

المسرح  
غفر الله له ولوالديه

شكراً

# مَقَامَاتُ الْحَبْرِيِّ

الأديب العباسي أحمد بن عبد الرحمن القاسمي الشيباني

تمتبه  
محمد أبو الفتح إبراهيم



المكتبة العصرية  
بيروت

المسرح  
غفر الله له ولوالديه

شكراً

# مَقَامَاتُ الْحَبْرِيِّ

الأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن القاسمي الشيباني

تمتبه  
محمد أبو الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية  
سنة ١٤٠٥

الجزء الأول

المسرح  
غفر الله له ولوالديه

# شرح مقامات الحريري

لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

جامعة الكويت  
إدارة المكتبات، قسم التزويد والعرف  
رقم التسجيل: ١٣٦٧٢١  
التاريخ: ٩٨/٦/٢٥



الجزء الأول

المكتبة العصرية  
سنة ١٤٠٠ هـ

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

الملكيتة العصرية للطباعة والنشر

الذات النشرية الحديثة المطبعة العصرية للنشر

بكيروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تالكس ٤٩١٧٤٤

صعيدا - ص.ب ٤٤١ - تالكس ٤٩١٩٨٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

### مقامات الحريري

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغته هذه المقامات - التي أبداع إنشائها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكذب تصدر منها التسعة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهر سنة أربع عشرة وخمسمائة على سبعمائة نسخة<sup>(١)</sup> ؛ كما أن العلماء في جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرءونها في الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت في حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد - منهم الحسن بن علي البطليوسى ، والحجاج بن يوسف القضاعى ، وأبو القاسم عيسى ابن جهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومدارسه وشرحاً . .

ولمؤرخى الآداب العربية أقوال مختلفة في سبب إنشائها . .

نقل ياقوت بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النعمان البزاز ببغداد ، قال :  
سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . يقول : أبو يزيد

(٢) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ .

السُّرُوجِيّ ، كان شيخاً شجاعاً بليغاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فسلم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحظته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يغير في كل مسجد زِيَّة وشكله ، ويظهر في فنون الحيل فضله ، فتمعنوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت المقامة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر المقامات ، وكان أول شيء صنعته . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأتتها خمسين مقامة<sup>(١)</sup> .

وفي رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريريّ المقامات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاه ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربيّ من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاه . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) مجمع الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري  
الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رِبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتَفُ عُنُونَهُ مِنَ الْهُوسِ  
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيْوَانِ بِالْخُرْسِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند  
الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات  
أخر ، وسبرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان لما لحقه من المهابة (١).

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخمسين وخمسمائة  
بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب  
أيضا بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن  
ابن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد ... قال : ولا شك أن هذه الرواية أصح  
لكونها بخط المصنف (٢).

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعنى  
بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث  
وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من  
شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجعل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجي ؛ وتختلف الروايات أيضا في  
حقيقة أمره ، فمن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة  
الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقي

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ . (٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره الففطى فى إنباه الرواة ضمن تراجم النعاة ، وقال فى حقه : صاحب أبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فىه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبى محمد الحريرى بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه (١) .

وأباً كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبى زيد ، فإن هذه المقامات عمل فنى رائع منقطع القرين ، حوى من متخير الألفاظ ومتنخل الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعده عن الركافة والابتذال - ماجعلها قمة فى الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدى والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التى تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها فى قوالب طريفة فى الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجمالها فى أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشاها بألوان البديع ، من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحمى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصمته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والتناوى اللغوية ، والرسائل المتكررة ، والخطب الخبيرة ، والمواعظ المبكية ، والأصاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى فى صنعاء ، وكانا فى رواء الشباب وربيع العمر ، حيث لقي الحارث أبازيد خطيباً واعظاً ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلاً ، وعليه بنى الحريرى المقامة الأولى وأسمائها المقامة الصنفاينة . ثم

(١) إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦



أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويجوب الفيافي والقفار ؛ ليلقى أبا زيد ؛ مرةً في  
 ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاية ، وآونة في أندية الأدباء ؛ واعظاً أو  
 شاعراً ، أو شحاذاً أو محاصماً ؛ ثم يمضي بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في  
 أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جدتهما ، وذوى عودهما ، ورث  
 بُرد شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم  
 من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديتُ  
 كم خضت بحر الضلال جهلاً ورحت في الغي واعتديتُ  
 ومك تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت  
 فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيتُ  
 يارب عفواً ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت

ثم يختفي أبو زيد ويمود إلى بلده سروج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصوف ،  
 ويجنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكف عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،  
 وبه تنتهي المقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فن المقامات ولا أبا عذرها ، بل سبقه إلى هذا  
 الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات يتحدث عن  
 سبقه : هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبق غايات ، وصاحب آيات ،  
 وأن المتصدّي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يفترق إلا من  
 فضالته ، ولا يسرى هذا المسرى إلا بدلالته ؛ والله درّ القائل :

فلا قبل مبكها بكيت صباية

بسمدي شفيت النفس قبل التندم

ولكن بَكَتْ قَبْلِي فَمَيِّج لِي الْبِكَاءُ بِكَاهَا فَقَلتَ الْفَضْلَ لِلتَّقَدُّمِ  
ومع ذلك فإن من جاء بعدهما من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة  
الحريري والنسج على منواله ، والسَّير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم  
من عمل ولكنه أخفق . . .

فمِمَّنْ حاول ذلك على بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ ، قال ياقوت :  
وردتُ أمِد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأنافي عنفوان الشباب وربعه ؛ فبلغني  
أن بها على بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ - وكان من العلم بمكان  
مَكِين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم  
المتقدمين ولا المتأخرين وزنا ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقتر لأحد بإحسان  
في شيء من العلوم ولا حُسن ، فحضرتُ عنده ، وسمعت من لفظه إزراره على أولى  
الفضل ، وتنديده بالعيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمني وأضجر ، وامتدّ في  
غيّه وأصحر ، قلت له : أما كان فيمن تقدّم على كثرتهم وشفّف الناس بهم عندك  
مجيد قط ! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المنجبي في مديحه خاصة ،  
ولوسلكت طريقه لما برز على ، ولسقت فضيلته نحوى ونسبتها إلى ، والثاني  
ابن نباته في خطبه ، وإن كانت خطبي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس  
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريري في مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك  
طريقته ، وتشدّد مقاماتٍ تحمد بها جمرته وتملك دولته ؟ فقال : يابني ، الرجوع  
إلى الحق خير من التمادي في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها  
فأسترذ لها ، وأعمد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أظن الله خلقني إلا لإظهار  
فضل الحريري<sup>(١)</sup> !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي الأشرأكوي<sup>(٢)</sup> المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) منسوب إلى أشرأكوي ، من أعمال تطيلة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الخمسین مقامة الزومية»<sup>(١)</sup> عارض بها مقامات الحریری،  
ولزم فی نثرها ما لا یلزم ، متأثراً بالمعری فی لزومیاته، فأبد النجعة، وأتعب خاطره،  
وكدّ ذهنه ، وأسهر جفنه ، وصعب علی نفسه المسالك ، وقید كلامه نظماً ونثراً.  
واتخذ راویه المنذر بن همام ، وجعل بطله السائب بن تمام ؛ ولكن هذه المقامات  
ذهبت بها عوادى الأيام ، فلم تصل إلینا .

ثم قام جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً ، فأنشأ مائة  
مقامة كالمقالة ، تدور كلها حول الوعظ ؛ ولكن ليس فیها راوی ، ولا بطل ؛ بل  
خاطب فی جميعها نفسه ، وذكرها بالآخرة ، ورغبها فی الأعمال التي تؤدي بها  
إلى نعيم الله ورضوانه .. وكان الزمخشريّ أحسن فی هذه المقامات بقصوره عن  
غاية الحریری ، وبعده عن مداه ، فقال :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته  
أن الحريريّ حرىّ بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلدون جيلاً بعد جيل ، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي  
بكر الرازيّ وابن نايقا وابن الصيقل الجزريّ وابن حبيب الحلبيّ وابن الوردیّ  
والسيوطیّ وغيرهم ؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف  
اليازجي ، أحد أعيان البيان بלבنان في القرن التاسع عشر الميلاديّ؛ فدرس مقامات  
الحريريّ وحفظها ، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها ؛ وتسلك  
نهجها ، وما زال يلتمس الوسائل ، ويتطلب الذرائع ، ويرتاد نواحي الظفر ،  
ويتوخى وجوه النجح ، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين» ،  
أى النثر والنظم ؛ وجعل راويها سهيل بن عباد ، وبطلها ميمون بن حزام ؛

(١) فهرست ابن خبير ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري بالحارث بن همام —  
ليلقي ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المسكيد وطرق التنكير  
والتعلق بفصيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبقى  
منفردا بفته ، واحداً في أسلوبه ؛ لا يدانيه أحد منهم في نثره أو نظمه ، بدّ من  
قبله ، وأتمب من بعده ، وستظلّ مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجل  
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ العصور والأيام ..

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند التدماء ، عبر عنها ياقوت بقوله :  
« واقفه من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة  
وأتسعت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ربقتها ، وأحسن نسقها ؛ حتى  
لو ادعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،  
فضلا عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق  
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت به وأكثر ... » ، - فإنها  
لم تخل من نقد بعضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير في المثل السائر وابن الطقطقي  
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن  
الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في  
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ  
ساکتاً فسلم ، أو لنازع مباحثاً . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فموضعاً ، مع  
تمهيد عذره ؛ لقلتها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،  
علماً بأن الكامل من عدت سقطانه ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن بري فألف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر . فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أرينيوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتنس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فانتوردي پارادي منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢م كما قام الأستاذ دي سامي بجمع مخطوطات المقامات وشرحها ، وعمل منها شرحاً عربياً ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكَّرت ، وترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رُكَّرت أجبر لفته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستشراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشنري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه استجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفي أسبانيا ترجم الشاعر اليهودي يوراي الحريزي هذه المقامات إلى العبرية، وطبعت هذه الترجمة في لندن سنة ١٨٧٢ م.  
وفي كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ماناله الحريزي في الحلقات الاستشرافية من التقدير في نواحي الغرب<sup>(١)</sup>.

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية؛ وأول طبعة لها كانت هي الطبعة التي ذكرت أنها كانت في باريس سنة ١٨١٩م بعناية كوسان دي برسفال، ثم توالى طبعاتها بعد ذلك في باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكتاوه ودهلي بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت<sup>(٢)</sup>.

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية في الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً، وفي دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة؛ غالبها نفيس، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه، وفي أولها إجازة بخطه، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت، وعليها خط المؤلف أيضاً، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣، ونسخة بخط مرتضى الزبيدي كتبت سنة ١١٦٥، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أدت هذه المعارف الاستشرافية؛ مما كتب به إلى العلامة الدكتور أنست يانرت أستاذ اللغات العرقية في جامعة فينا.

(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨، ٧٤٩

(٣) انظر فهرس دار الكتب.

## صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوباً إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بني حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتآدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشعيّ شيخ إمام الحرمين ، والفقّه على أبي إسحاق الشيرازي . وعُيّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العباد الأصبهانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يغلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصّة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئاً ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُملّي عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سارٍ عَزَّهُ قَمَرٌ      ورائد أعجبتته خُضرة الدَّمَنِ  
فاختر لنفسك غيري إنني رجل      مثل المعيدى فاسمع بي ولا ترني  
فجبل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئاً منها ، وله الرسالة السينية التزم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية للتزم في جميع كلماتها حرف الشين ، وأوردها ياقوت أيضاً .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلدان قوله :

قال العواذل ماهذا الفرامُ      أما ترى الشعر في خَدَيْهِ قد نبتَا

قلت والله لو أن المفئدلى      تأمل الرشد فى عينيه ما تبنا  
ومن أقام بأرض وهى مجدبة      فكيف يرحل عنها والربيع أتى !  
وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظباءً بماجرٍ      فتنت بالمحاجر  
ونفوسٍ      نفائسٍ خُدرت بالخادِرِ  
وتتنٍ      لخاطرٍ هاج وجراداً لخاطر  
وعذارٍ لأجله      عاذلى عاد عاذرى  
وشجون تضافرت      عند كشف الضفائر  
وأورد له ياقوت :

لا تحطون إلى خطء ولا خطيئ      من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا  
وأى عذر لمن شابت ذوائبه      إذا سرى فى ميادين الصبا وخطا  
وله غير الشعر والرسائل والمقامات ما يأتى :

١ - درة النواص فى أوام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما  
يستعملونه من الألفاظ بغير معناه فى غير موضعه . طبع فى مصر سنة ١٢٧٢ هـ ،  
وفى ليبسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجى فى الأستانة سنة ١٢٩٩ هـ .  
٢ - ملححة الأعراب فى صناعة الإعراب ، وهى أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول      بمحمد ذى الطول شديد الحول  
طبعت فى باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمى ، وأسمى  
الشرح « تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .  
٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين برقم  
٧٧٩ ، وأوردها السيوطى فى المزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضا      د الكيلا تفضله الألفاظ



## شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريري أكثر الكتب حظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعاليق ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن علي بن عبد الله الحلبي ، ومحمد بن علي المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلبي ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامة الضرير ، والشهاب الحجازي ، وعبد الله بن الحسين المكبري ، وقاسم بن قاسم الواسطي ، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزي ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهي ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبلي العروف بنجم الدين الطوفي ، وأحمد بن المظفر الرازي وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دي ساسي - كما ذكرنا - عمل شرحاً من الشروح التي وقعت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح في باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحادي والأناز ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأردية الاستطراد كثيرة .

٢- وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الشئيت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومتشعب الأغراض ، هذا الشرح الذي

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف القضاعي وأبي الطاهر الخشوعي ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريري في بغداد ، وقرأوا عليه المقامات في منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التي حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشي جهده حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها إلا وعبيته نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت في تفهمه ورداً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصراً ... ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصر على توقيف النصائيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده في هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات - ما وسعه الجهد - ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه والإكثار من الشعر في كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسي فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدها في غير هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغُنمية المتأدب ،وغاية المطالع والمستفيد .

٣- والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي ، ولد بشرش سنة ٥٧٧ - وكانت شريش من أجمل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن لبّال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش ، وتوفّي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد ألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادير أبي علي القالي وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردها المقرئ في ترجمته<sup>(١)</sup> ، وكان قد سافر إلى الشام وشُغِف بها ثم رحل عنها ، فقال يتشوق إليها :

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فإن قلبي بنار الشوق يستمر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم	مالذ للعين لا نومٌ ولا سهرٌ
إذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنير بين <sup>(٢)</sup> ضحى	والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأغصان راقصة	والدّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسّفح ، أين عشيّاتي التي سلفت	لى منه ، فهي لعمري عندي العمرا
سعة كياسفح ، سفح الدمع منهملا	وقلّ ذلك له إن أعوز المطر

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) فتح الطيب ٢ : ٣١٧ (٢) النيرين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثها هذا المطول ؛ وهو الذي اشتهر في الخلفاء ذكروه ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقل السواقيا .

\* \* \*

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيّرت النسخ الآتية للرجوع إليها :  
( ١ ) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع في ٤٣٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠هـ ، وفي أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف ( ا ) .

( ٢ ) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع في ١٢٧ ورقة ، وفي كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهي نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف ( ب ) .

( ٣ ) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهي نسخة خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع في ٤٥٢ ورقة ، وفي كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، ويحتوي على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف ( ج ) .

( ٤ ) نسخة طبعت في بولاق سنة ١٣٠٠هـ بتصحيح محمد الحسيني ، وقد رمزت لها بالحرف ( ط ) .

وجميع هذه النسخ كتبت على هامشها المقامات .

هذا عدا ما رجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات  
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور  
محمود مكى الذى تفضل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة  
أثبتها فيما بعد ، هنا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة  
فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله  
الرسالتين السينية والشينية للحريرى ، وحواشى ابن الخشاب وابن برى وغيرهما على  
المقامات ؛ فضلا عن الفهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق .

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم



# شرح مقاييس الحري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريفي





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ الغويّ النحويّ أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشيّ ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه أمين :

الحمد لله الذي اختصّ هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفسح الأذهان ، وشرفّ علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان ، وميّزنا بين سائر الأمم بالثرف المتفق الفقير والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أفئدة هداها ، وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها ، ونصلّى على سيد المرسلين ، وخيرة العالمين ، الذي ختمت بنبوته العامة النبوة ، ونسخت بشرعته التامة الكتب المتلوّة ، محمد سيد هذا العالم والمحصوص بعلوّ المكانة ، وعموم الديانة في ولد آدم ، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ووقّروه ، وآووه إيواء الموفين بالهود ونصروه ، وثقلوا شرعه الكريم ثقل التواتر وآثروه ، وسلّم تسليماً ، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرًا عظيمًا .

ورضى الله عن الإمام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، مجدّد معالم الديانة ، والمليء بأداء الأمانة ، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة ، وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى ، والتالين له في شرف ذلك المدي ، والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبداً .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين ، سعداً يُعلى أعلامه ، ونصراً يصحب قلبه وحسامه ، وتأيداً يُظهر أمره وينصر اعتمازه ، حتى ينتظم شدّان<sup>(١)</sup> الأمهار في سلك ملكه ، وتزدحم وفود الأمم

(١) الشدان ، بالضم والفتح : المنفرد ، وأصله في الحصى والإبل .

على غمِّ برِّه ، وتنطوي ضمائر القلوب ومحَبَّاتُ الغيوب على إخلاص طاعته والاشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربحُ المكاسب ، وأرجحُ المناصب ، وأرفعُ الراتب ، وأنصعُ المناقب ، وحرقة أهل الهمم من الأمم ، ونجلة أهل الشرف من السلف ، لم يتقدَّ ساكِّه إلا جيِّدُ ماجد ، ولم يتوشَّح بُرْدَه إلا عِطْفُ جادٍ في طلب الكمال . جاهد ، ولم يستحقَّ اسمه إلا الواحد النَّذَّ بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت أفاقينه ، وتنوعت دواوينه ؛ فعمل الأدب علمه ، والأسّ الذي يبني عليه كلمه ، والروح الذي يخبّ في ميدان الطُّروس قلمه ؛ ولذلك كان أولى ما تترحه الترائح ، وأعلى ما تجنح إليه الجوائح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يقنافسون في اقتنائه ، ويتصافنون في عافِي إنائه<sup>(١)</sup> ، ويرتاحون لأوضاعه وتآليفه ، ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ، وقوام<sup>(٢)</sup> نطقِ الألسنة وفكرِ الصدور ، ومنسِّطُ المقال من عقالِ النهاهة ، ومميِّزُ الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل في كلِّ عصر من حَمَلَتِه بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنوا إليه أبصار وتوميء إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكّن وتتأصل ، وتنويع البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخِر يكدّ ذهنه في تميم ما غادره الأول ؛ إلى أن اعتدلت كفتاه ، وامتلاّت ضِفَّتاه ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخرَ البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بِسِمَةِ السباق ، والقدّ الذي قد عمقت عن توءمه فتية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافن القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعاقب : ما فضل في القبول ؛ والكلام على الاستمارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام القُرطاس والبراعة ، والملبّي عند استدعاء دُرر النِقَر بالسمع والطاعة ،  
 أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ - سقى الله ثراه صَوْبَ رحماه ، وكافاً إحسانه  
 في الثناء عايه بمجسناه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهد جادة  
 الإجادة ، وقوى مادة الإفادة ، ولم يُبق في البلاغة متعقبا ، ولا للريادة مترقبا ،  
 لاسيما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلمح التي  
 وشّحها بدُرر النِقَر ورضّعها ؛ فإنه برّز فيها سابقاً ، وبزّ البُلغاء فائقاً ، وأتى بأعنى  
 الدقيق للنظ الرقيق مطابقاً ، وخلدها تاجاً على هامة الأدب وتِقصاراً<sup>(١)</sup> في جيد لغة  
 العرب ، وروضة تحوم أنفاس عليها ، ولا تصل أيدي المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا المحلّ الشهير ، وسارت مسير النّيرين بين  
 مشاهير الجماهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم فهمي ، والعكوف عليها حرز عزمي ،  
 والدّءوب في حفظ لغاتها وفكّ محبّاتها أهمّ همّي ، وصيّرت تحفّظها فرض عيني ،  
 والفكر الذي لا يحول وسني بينه ويدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والنقات ،  
 وتقييد ألتاظها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقل لفظاً إلا عن تحقيق ، ولا أثبت  
 ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايّتها ، ببليدى ،  
 الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره  
 الفقيه الحدّث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور ،  
 عن منشئها أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها أيضاً ببليدى الشيخ الفقيه الراوية  
 أبو بكر بن مالك النهرّيّ عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه  
 أبي الحجّاج الأبدّي التضاعّي ، كلاهما عن أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها  
 أيضاً إجازةً الشيخ الفقيه الحدّث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التقصار والتقصارة ، بالكسر : العبادة ؛ سميت بذلك لازوماً قصره العنق .

عن القُضاعيّ. وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعيّ عن الحريريّ. وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذرّ مُصعب بن محمد بن مسعود الخُشنيّ بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله .  
وتلقيت بها جماعة من جلة الأسيّاح أكثر في العدد ممن ذكرت ؛ لا يعدمني واحد منهم إفادة ضبطيّة أو لفظيّة ، ولا يقدني زيادة هزلية أو عظيمة ، فأخذتها أخذ متثبت ، عن واعي منكّت .

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف بين انفصالها واعتراضها إلا وعيته<sup>(١)</sup> نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وتردّدت في تفهمه ورذاً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى أتيت على جميع ما انتهى إليه وسعى ممن فسرها ، واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استاحقتها ، ولا غادرت في موضع منها مستحسناً يشدّ عن جمعي ، ولا مستجاداً ينبو عنه بصري أو سمعي .  
فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتمّ بها قبلي همة ، ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثت وناقشت ، وتناولت وتداولت ، وطالبت المتحفّظ بالأداء ، والمتيقّظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذحة زندياً إلا اقتدحته ، ولا مُتفلاً إلا افتتحت ، فتحصّل لي من ذلك أيضاً عيون صائبة النواظر ، وفنون قلماً توجد في مخبّات الدفاتر .

وأنا في خلال ذلك ألتبس مزيداً ، ولا أسأم بحثاً وتقييداً ، إلى أن عثرتُ على

(١) ط ب : «أوعيته» ، وأوعى الشيء : حفظه ؛ مثل وعى .

شرح الفَنجَدِيهِي<sup>(١)</sup> للمقامات - والفنجديهي هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبدالرحمن بن محمد السعدي ، من قرية فنجديهة من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة ، والبغية المرغوبة ، والضالة التي كانت عنى إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النَّظْرَ ثانياً ، وشمرت عن ساعد الجدِّ لا متكاسلا ولا وانياً ، وعانيت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت محتياجاً جانبياً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندةً أوردتها ، وآثاراً مرفوعة قيدها تليق بالباب الذى أوردت فيه ، وتورد مصححةً إما لألفاظه وإما إمامانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردتها - تخفيفاً عن يريد الملتن ويتغنيه ؛ فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعانى ، مطروق المعانى ، كالروض ركدت ريمه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فإضاف من فوائده هذا التأليف البديع - إلى الفوائد الملتقطة من الألسنة والأخوذة من التصانيف المستحسنة - روض كله زهر، وسلك كله دُرر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى فى ضمّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليف المقامات يُغنى عن كل شرح تقدّم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجديهي ؛ منسوب إلى فنجديهة ، قال ياقوت : « فنجديهة ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الدال وياه ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجديهة . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود السعدي ، التوفى سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العماد فى سفريات الذهب بالرحال الأريب وقال : مات عن اثنتين وثمانين سنة بدمشق ، وسمع من أبى الوقت وطبقته ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسعى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل العائظ : لم يكن فى نقله بثقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء فى كل فن ، فى الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها ، فتمّ من ذلك مجموع جامع ، وموضوع بارع<sup>(١)</sup> ، أودعته من اللغات أصحّها وأوضحّها ، وأسلسها قياد لفظ وأسمحها ؛ وأولاها بالصواب في مزان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكّل منها إلى قائله من جهابذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكا يدلّ على الإلغاء والإصفاء . وهذا النصل وإن سبقني إليه من تقدّمني من الشارحين قبلي ، فلي فيه مزية إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ، ومن عقّد صلاحها ، أو تولّى فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تنلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يتبعه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتمّ استيفاء ، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم وجرّقتهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم<sup>(٢)</sup> والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حقّ إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حقّ اعتماده ، وهو مهمّ في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت وبعده الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد التّمجديهي في بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فما شفي ولا أقنع :

(١) : « فصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً » .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من أ .

أحدها: تبين مأخذ الحريري في الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى المنشأ في آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائقة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متعين .

والفصل الثاني : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالنجيس والتتيم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب واقتنانه ، والإكثار من الشعر في مظانه من الجدد والهزل في المواضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد في حسنه وبيانه ، والجري مع أبي محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ الفرع إلى أصله ، والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله ، فأتبعت المواعظ بما يزيد لها أثراً في القلوب ، وأردفت المسليات بما يعينها في إجلاء الكروب ، وسلكت هذه المسالك في سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ؛ من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسنٍ وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلانّ أبا محمد بدأ بأمر فتتم ، وخصّ نوعاً فتمم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب في الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى في الجدد والدعوب أو فَرَ نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنحديهيّ وابن ظفر<sup>(١)</sup>

(١) هو محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ، ذكره القفطي في الإنباه ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنّفها لأهل المغرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف ونجح التصحيف ؛ وسمعت أنه كان ينتد من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثته العجالة وبعد الدار . وذكر صاحب كشف الظنون هنا الشرح وسماه : « التنقيب على ما في المقامات من الغريب » .

قد جرّدوا من شروحم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،  
فخذوتُ حظّهم في مختصرٍ أوردتها فيه على الكمال ، ووقّيتها حقها من رفع  
الغلط وكشف الإشكال ، ولم أخلّ في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه  
ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مغنيا في اللغات الغربية عن  
كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،  
فلذلك الفرع شُوف الاستيعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف  
والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد من شرّفت كتابي بخدمته ،  
وبنيتُ تأليفي على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لأقف ببابه الأعلى ، وأتزيّن  
بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ المدود على المسلمين  
والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المعارف ،  
ومفجّر بحور المنن والعوارف ، المجير بفضلّه وعدله من المفاقر الفادحة والخاوف ،  
سيدنا خليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولّي  
عهده سيدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم  
وحزبهم ، وجمع القلوب على الاتقياد لهم ، والوجوه على التوجّه قباهم .  
وهذا الكتاب وإن كان للمعبر عن حسنه ، والغاية الملتزمة في فنه ، والجامع  
لما افترق في سواه ، وللبرز بما وشّحه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله ،  
ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه  
الكريم باسم ولىّ عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق  
لخدمتهم ، والمعونة على شكر نعمتهم ، والتمرض لخيري الدنيا والآخرة في ظلّ حرمتهم .  
وقد بذلتُ في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التّأليف أنفس  
ما عندي ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحقّ الراجح ؛ فالقول  
يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليمّ من سبيل .



وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي  
 له والتكليف ، وجلوته كالحسنة ألفت في المنصّة النّصيف ، كثرت خطابه  
 إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، فقلت : حتى  
 يقشّر بلمّ اليمين العليا ، ويتخصّص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابهِ الأسمى  
 يلتقط درّه المنظوم ، وببركاته يسطع مسكه العبيق<sup>(١)</sup> المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجته المتقلّد منه  
 صفة وعهداً ، في شرح الخطبة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أَدع لفظة مبهمه ،  
 ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول  
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم  
 أفضل التسليم .

(١) ط : « العبيق » تصحيف ، صوابه من أ .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ  
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ  
مِنَ الْغَطَاءِ .

\* \* \*

اللهم - إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره ببناء الباري سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في أوله ، لأنه لا يلي حرف النداء لامُ التعريف إلا في قولهم : « يا الله » ؛ لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصليّ ، وهي همزة « إله » ، فصارت كالأصليّ ، وفي غير هذا الاسم تنجرد اللام للزيادة في أول الاسم . و « يا » زائدة في أوله كذلك ، وها جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة التشيع التذكير عنه ، فلما تقاربا في المعنى ، وتشابها في الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يلي الاسم دون صاحبه ، ترك استعمال الجمع بينهما في أول الاسم إلا في ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام في قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصليّ خفيت زيادتها ، فلما زادوا الميم في آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنعت « يا » من أوله إلا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والغلام ؛ فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع « يا » حمل الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء متمتعاً من غيره .  
ونحمدك ، معناه ثني عليك بآتم وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »<sup>(١)</sup> ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بما له من أفعال جليلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق مائتا كل من العلف . ويقال : أشكر من برّوقه<sup>(٢)</sup> ، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهّم المعنى وتبينه . والبيان منك لتفكيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تبييناً وتبياناً ، قال تعالى ﴿ تَبَيَّنَا لَكُمْ شَيْءٌ ﴾<sup>(٣)</sup> أى بيّنا لك فيه كل ما محتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعدُّ ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعيا شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذي<sup>(٤)</sup> . وقال : « العيا قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » .  
أهملت : تبهت عليه وفهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والغطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

\* \* \*

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الهَدَرِ ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ  
مَعْرَةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الحَصْرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِإِطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميداني ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة تخضر من غير مطر ، بل

تفتت بالسحاب إذا نشأ - فيما يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله في الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذي وأحد والمأتم .

الْمَادِحِ، وَإِعْضَاءِ الْمُسَامِحِ؛ كَمَا نَسْتَكْنِي بِكَ الْإِتِّصَابَ لِإِزْرَاءِ  
الْقَادِحِ، وَهَتَاكَ الْفَاضِحِ.

\* \* \*

نعوذ، أى نستجير . شِرَّةٌ: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام .  
فضول: زوائد. الهذر: إكثار الكلام بغير فائدة . معرَّة: شدة وصعوبة، والمعرَّة:  
الغيب والعار . وقيل: هى كل ما يؤذيك ، وفلان يعرُّ قومه ، أى يدخل عليهم  
مكروها يلطّخهم به ؛ وأصله من العرَّة وهى الفعلة القبيحة ، أو من العرّ وهو  
الجرب . واللكن: احتباس اللسان عند الكلام . فضوح: شهرة وفضيحة . الحصر:  
العِىّ، وحصر حصراً إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره . واستعاذ من شرّة اللسن  
لأنه من اقتدر على الكلام أداه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة  
الحق ، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشَّرَّة التلق والانتشار ، ومنه الشرّ ؛ وقد شرّ  
يشرّ، ومنه شرّر النار . ثم استعاذ من ضدها وهى المعرَّة ، لأن صاحبها لا يتم لفظه  
فيشين بذلك نفسه ، ويقصر عن مراده من البيان . ثم قرن بها الحصر لأن من  
يعتربه يتوالى عليه الوهلُّ والخلجل ؛ فلا يستطيع الكلام ، فيفتضح ويشهر عيبه .  
وهذا الفنّ من الكلام يسمّى فى صنعة البديع المقابلة، وأول من صدرّ به كتاباً  
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان<sup>(١)</sup>، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول،  
كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك  
من العُجب بما نحسن، ونعوذ بك من السَّلاطة والهذر<sup>(٢)</sup>، كما نعوذ بك من العِىّ  
والحصر ؛ وقد يما تعوَّذوا بالله من شرهما، ورجعوا إليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال  
النَّير بن تولب :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .

(٢) السلاطة : حدة اللسان والصخب : والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرَ وَعِيٍّ      وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُلُقَمَةَ<sup>(١)</sup>:

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَرِيكَ      كَثِيرٍ تَحْمَلُ وَقَلِيلٍ عَابِ  
صُوتًا فِي الْمَخَافِلِ غَيْرِ عِيٍّ      جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ

ثم استرسل في ذكر العيِّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلِّقُوا كُم بِالسَّنَةِ حِدَادٍ﴾<sup>(٢)</sup> ، وفي الصّدِّ بقوله تعالى : ﴿أَوْ مَن يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فاختدى الحريري هذا الخذو ، فجمت تشبيهاً به أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتداءً بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرّة بمرّة واللّسن باللكن ، والهدر بالحصر ؛ فإذا تفهّمت مواقعها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر . وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر أناظاً يعتمد التوافق بين بعضها وبعض في الخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فِياعجباً كيف اتفقنا فناصحٌ      وفي ومطوى على الغشّ غادرٌ<sup>(٤)</sup> !  
فجعل يزاء « ناصح » ، « وفي » ، « غاشاً : غادراً » . ومثله :  
فَتِي تَمَّ فِيهِ مَا يُسَرُّ صَدِيقَهُ      عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدَايَا<sup>(٥)</sup>

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النضّة بالنار ، قال تعالى في الاختبار : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾<sup>(٦)</sup> ، أي اختبرناك . والفتين : النضّة المحرقة ، والفتين أيضاً : الحجارة المحرقة ، وهي الحجارة تُدَلِّكُ بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « محرز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير التيجير ١٨٩ — قال : « أحسبه لكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤ » .

(٥) للناطقة الجمدي ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإِنسان بحضرة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله». .  
إغضاء: تجاوز ومسامحة، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدني جفنيك وتقتصر نظرك كأنك لم تره. والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغضت، إذا تغافلت عنه. المسامح: الموافق لفرضك، المتجاوز عن عيبك. الانتصاب: الظهور والاعتراض أمام الشيء. إزاء: تقصير وتنقيص. القادح: العائب، وقدحت الدود في الأسنان والشجر: أكلتها، فكأن فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر. والقادح أيضا: الذي يضرب الزند بالحجر ليورى. هتك: شق، وهتك الستر: خرقته. الفاضح: الذي يشهر عيوبك، وفضحت الشيء: كشفتته.

\*\*\*

وَنَسْتَفْرِكُ مِنْ سَوَاقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوَاقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَفْرِكُ  
مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خَطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا  
قَائِدًا إِلَى الرُّشْدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا  
بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ  
الرَّيْبِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا  
عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

\*\*\*

نستفرك: نسألك المغفرة، وهي من غفرت الشيء سترته. الشبهات: جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره. والخطوات: جمع خطوة؛ وهي ما بين القدمين. الخطط: جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يجعله حدًا للشيء يحوزه ويعتمده. والخطّة، بالضم: المنزلة والمزية. والخطيئات: الذنوب، وهي من الخطأ، وجعل ماساقه

في المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التَّباع فيها فلعَّله فيها خاسر الصَّفقة ، فلهذا استغفر الله منها. الرُّشد : الهداية يرشده الله رشداً وأرشده : هَدَاه . ورشدهو رُشداً ورشادا : اهتدى . متحلِّياً : متصفاً ومتزِيناً . مؤيداً : مُعَاناً . وأصابني كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى حيث أراد ، قال القراء : اختلفتُ أنا وعيسى النخوى في الآية فقلت : ما أحدٌ أعلم بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين ، فقال : أين تصيبان ؟ أى أين تريدان ؟ ، فقلت لصاحبي : كُنَيْتَ السُّؤال<sup>(٢)</sup> . ذائدة : دافعة . الزيف : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجِدُّ ، وعزم على الشيء : جَدَّ فيه . قاهرة : غالبة . وهوى النفس : ماتحبه وتميل إليه . بصيرةٌ : يقيا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عِرْفان القدر ، أى معرفة أقدارنا .

\* \* \*

وَأَنْ تَسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَمُضِدَنَا بِالْإِعَانَةِ ۖ عَلَى الإِبَانَةِ ، وَتَمُصِمَنَا مِنَ النِّوَايَةِ فِي الرُّوَايَةِ ، وَتَصْرِفَنَا عَنِ السَّقَاهَةِ فِي الْفُكَاهَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الأَلْسِنَةِ ، وَنُسَكْفَى غَوَائِلَ الرِّخْرِفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْتِمَةٍ ، وَلَا نَقْفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُرْهَقَ بِتَبِيعَةٍ وَلَا مَعْتَبَةٍ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنِ بَادِرَةٍ .

\* \* \*

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، روايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصدها ليسألوا عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبنا ؟ ورجما » .

(٢ - شرح المقامات)

الدَّرَايَة: مصدر دَرَيْتُ الشَّيْءَ دِرَايَةً وَدَرِيًّا، عَلِمْتَهُ . تَعَصَّدْنَا تَعَوُّدًا ، وَعَصَدَهُ : أَعَانَهُ وَكَانَ لَهُ عَصْدًا . الإِبَانَة : مصدر أَبْنَتُ الشَّيْءَ ، أَيْ بَيَّنْتَهُ . تَعَصَّمْنَا مِنَ الْعَوَايَةِ ، أَيْ تَمَنَعْنَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالنَّسَادِ ، وَالْعَوَايَةِ : مصدر غَوَى غَوِيًّا وَغَوَايَةَ وَغَوِيًّا أَيْضًا غَوَايَةَ ، وَهِيَ ضِدُّ رَشَدٍ رُشْدًا . الروَايَة : نقل الحديث من صاحبه إِلَى طَالِبِهِ . تَصَرَّفْنَا : تَزَيَّلْنَا . السَّفَاهَة : الجَهْلُ ، وَالْفَكَاهَة : العُزَاجُ وَمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ النَّفُوسُ وَهِيَ فِي الْكَلَامِ كَالْفَاكِهِةِ فِي الطَّعَامِ . حَصَائِدُ الْأَسْنَةِ : شَرٌّ كَلَامِهَا وَقَطْعِهَا فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَأَرَادَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ لَأَنَّا خَذِمْنَا تَكَلَّمْ ؟ قَالَ : « تَكَلَّمْتُكَ أَمَلِكُ بِإِمْعَاذِ ! هَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى رِءُوسِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَسْنَتِهِمْ ! » فَدَعَا اللَّهُ أَنْ يَتِمَّ سَعْدُهُ بِأَنْ يُؤْمِنَهُ عَادِيَةَ الْأَسْنَةِ . وَالْحَصَائِدُ فِي الْأَصْلِ : جَمْعُ حَصِيدَةٍ وَهِيَ الْحُزْمَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْمَحْصُودِ فَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ ، وَالْحَصِيدُ : الشَّيْءُ الْمَحْصُودُ .

نَكَفَى : تَمَنَعُ . غَوَائِلُ : قَوَائِلُ وَمَهْلِكَاتُ ، وَاحِدُهَا غَائِلَةٌ ؛ وَغَالَتِ الْمَنِيَّةُ أَهْلَكَتِ . الزَّخْرَفَةُ : تَزْيِينُ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلُهَا تَزْيِينُ الشَّيْءِ بِالزُّخْرَفِ وَهُوَ الذَّهَبُ . تَرَدٌ : تَقْصِدُ . مُورِدٌ مَأْتَمَةٌ : مَوْضِعٌ إِثْمٌ ، وَالْمُورِدُ أَصْلُهُ الْمَوْضِعُ يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ . مَنْدَمَةٌ : نَدَمٌ . نَرَهَقُ : نَهَمُّ وَنَعَابٌ : وَالزَّهَقُ : الْعَيْبُ ، وَتَبَعَةٌ : خَطِيئَةٌ يَتَّبِعُهَا ضَرُّهَا بَعْدَ الْمَوْتِ . مَعْتَبَةٌ : سَخَطٌ ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَابِ ، وَهُوَ تَقْيِيحُ الْقَوْلِ عَلَى جِهَةِ الْإِشْفَاقِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ عَتَبْتُ الْأَدِيمَ ، أَيْ رَدَدْتَهُ إِلَى الدَّبَاغِ لِيَصْلِحَ ، وَمِنْهُ : إِنْمَا يِعَاتِبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ<sup>(١)</sup> . وَيُقَالُ : عَتَبَ عَلَيَّ فِي كَذَا عَتَبًا فَأَعْتَبْتُهُ ، أَيْ رَجَعْتَ إِلَى مَا يَرِيدُ وَأَرْضِيئْتَهُ . وَبَاءُ « تَبَعَةٌ » وَتَاءُ « مَعْتَبَةٌ » يَكْسِرَانِ وَيَفْتَحَانِ . نَلَجَأُ : نُحُوجٌ . مَعْذَرَةٌ : اعْتِذَارٌ . بَادِرَةٌ : سَقَطَةٌ وَزَلَّةٌ ، وَقَدْ بَدَرَتِ الْكَلِمَةُ وَالْفَعْلَةُ :

(١) المبدأى ١ : ٤٠ قال : « والمأتبة : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره النبت عليه الشعر ، أى أن ما يعاد إلى الدباغ من الأديم ، ما سلعت بشرته » .



خرجت من غير أن يدبر موعدها ، وفلان تخشى بوادره ، أى فلتاته .

\* \* \*

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا تَضْحِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْمَعْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَخَعْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالْتَّوَسُّلِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ الْمَشْفَعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمَتْ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ نَمَّ أَمِينٍ ﴾ (١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْمَعْنَا لِيَدَيْهِ وَهَدِيهِمْ مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

\* \* \*

الْمُنِيَّةُ : مَا يُتَمَنَّى . وَالْبُغْيَةُ : مَا يُطْلَبُ . أَنْلِنَا : أَعْطَانَا . تَضْحِنَا : تَكْشِفُنَا . ظِلُّكَ السَّابِغُ : سِتْرُكَ الْمَدِيدِ ، وَأَصْلُ الظِّلِّ السِّتْرُ ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ الشَّمْسُ ، وَفِي الْحَدِيثِ « ضِحًا ظِلُّهُ » ، أَيْ عَدَمُ فَانْكَشَفَ مَوْضِعُهُ لِلشَّمْسِ . مُضْغَةٌ : لُقْمَةٌ ، وَكُلُّ مَا يَعْضَغُ لُقْمَةً ، وَالْمَاضِغُ هُنَا : الْعَائِبُ الْآكِلُ أَمْرَاضَ النَّاسِ ، وَجَمَلُ الْعَرَضِ حِينَ يَعْصِيهِ مُضْغَةٌ لَهُ ﴿ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا عُرِجَ

بى مهدتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقالت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس ويقعون فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . بجمعنا : أقررنا ، وبجمع له بحقه أقربه ، وبجمع نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَلَاعْلَآكَ بِأَخِيعِ نَفْسِكَ ﴾ <sup>(١)</sup> فالتمدية بالبلاء غير المتعدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنزلتنا : طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطف . والجَم : الكثير . فضاك : إحسانك . عَمَّ : شَمَلَ . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل : الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك . التوسُّل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو فى الأصل جمع بشرة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسَمُوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفع : الذى أُعطيَ الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُبِرَتْ بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المُنتقين ! لا ولكنها لذنبين المتلوثين الخطائين » <sup>(٢)</sup> .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليين : أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : المبين . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . تمم : معناه هناك ، قال الزجاجى : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخره فأزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وليس رجوعه عن القول



(٢) نقله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(١) الكهف ٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الريعب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن  
الثابت عند ابن جهور (إنه لقول رسول كريم) ؛ قال ابن عباس رضى الله  
عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذِي قُوَّةٍ ؛ لأنه قلع بأحد جناحيه  
أربع مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعمُورا ؛ فى كل  
مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله  
«أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى  
المضمر فى الشعر والكلام الفصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر  
الزُّبَيدى ، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضمر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من  
هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يتول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه  
ويرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا  
أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبي  
صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدى ، فمن أحبهم  
فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن  
آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه .» . جدير : حقيق .

\*\*\*

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بِيَعْضِ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِي رَكَدَتْ فِي  
هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ ، وَخَبَّتْ مِمَّا يَبْجُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا  
بَدِيعُ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ  
«الْإِسْكََنْدَرِيَّ نَشَأَتْهَا ، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ  
لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَعْرَفُ .»

\*\*\*

أندية : مجالس واحدها ندى ، والندى والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيعطون .  
 وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا .  
 وقيل : هو من الندى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرق . والأدب : معرفة  
 الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفنناً مشاركاً . ركبت : سكنت ،  
 والمقامات : المجالس ، واحداها مقامة ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة  
 ومجلساً ، لأن المستمعين للحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحدث يقوم ببعضه  
 تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض  
 على فعل الخير .

### [ بديع الزمان الهمداني ]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في يتيمته ، فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل  
 أحمد بن الحسين الهمداني ، مفخر همدان ، ونادرة الفلك وبكر عطار ، وفريد  
 الدهر ، وغرة العصر ؛ وهن لم يُلف نظيره في ذكاء التريجة وسرعة الخاطر  
 وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومآجه  
 وغرر النظم ونكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أو جاء  
 بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها  
 أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها  
 كلها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق  
 من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا  
 ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب  
 وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب  
 الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بأخر سطوره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه  
 كأحسن شيء وأماحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من  
 إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعطى التوافى الكثيرة ، فيمصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، و نفس لا يقطعها ؛ وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلوا الصداقة ، مر العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتباً الشيبية ، غرض الحدائة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستنفذ علمه <sup>(١)</sup> . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عبّاد ، فتزود من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة <sup>(٢)</sup> ، فنشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى أربعائة مقامة نحها أبا الفتح الإسكندري في الكدبة وغيرها ، وضمها ماتشهي الأنس ؛ من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطاع والمقطع كسجع الحمام . وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ... <sup>(٣)</sup> ثم ألقى عصاه بهرة ، فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده ، وأرنب على أربعين سنة ؛ ناداه الله قلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، واثلم حد القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، وورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظامه ونثره ؛ والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه <sup>(٤)</sup> .

(١) القيمة : « واستنفذ علمه ، واستترف بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والمبارة في القيمة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتميش في أكتافهم ، والاقباس من أنوارهم ، واختص بالدهخدا ابن سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائه لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف ، والإنصال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عنه في سفرته نوافها في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التعالي ما يزيد عن صفحة .

(٤) قيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بألفاظ بعيدة حوشية ، فأرضه البديع بأربعائة مقامة ، لطيفة الأغراض والمقاصد ، بدیعة المصادر والموارد (١) . انتهى كلامه .

والذي جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريري أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنْ فَتَشْتُ فِي لِقَابِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريري أن يسمى « بديع يوم » ؛ فكيف يقارن بديع زمان !

وجرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أشياخنا ، وكان حافظاً أديباً ، فقال : مقامات البديع يحكى أنها ارتجال ، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه : اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملي عليهم المقامة الارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه ؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع . قوله علامة : أي كثير العلم ، وهي بذية للمبالغة .

### [ ذكر همدان ]

وهمدان ، بفتح الهم ونقط الذال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، ويشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبي : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباز مرحل -

(١) زهر الآداب ٢٦١ .

هو من أسد آباز إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد . وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني حمدان :

إذا همدانُ اعتَرَّها البردُ وانقضى  
برغمك أيلولٌ وأنت مقيمٌ  
فعميناك عَمَشَاوانِ وَأَنْفَكَ سَائِلٌ  
ووجهك مسودَّ البياض بهيمٌ  
بلادٌ - إذا ما الصيفُ أُقبلَ - جنةٌ  
ولكنَّها عند الشتاء جحيمٌ

ولبعضهم :

همدَانُ متلفَةُ النفوسِ ببردِها  
والزَّمهريرُ ، وحرَّها مأمونٌ<sup>(١)</sup>  
غلب الشتاء مصيفها وخريةها  
فكأنما تموزها كأنونٌ

وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الميم ونقط الذال ، إلا ابن اللبابة فإنه رأيت في شرحه : همدان بسكون الميم ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنةٍ لقاتٍ لهمدان ادخلوا بسلام<sup>(٢)</sup>

والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أبي نسب يقال : عزيته عزياً ، وعزوته عزواً : نسبه ؛ واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعية بمنزلة أبي زيد في الحمرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعتها . روايتها : إسناد أحاديثها . والتكرة التي لا تتعرف ، هي في غير الأسماء .

\*\*\*

فأشار من إشارته حُكم ، وطاعته غُتم ، إلى أن أنشي  
مقاماتٍ أتلو فيها تلو البديع ، وإن لم يُدرك الظالم شأوَ  
الضليع ، فذا كرتُهُ بما قيلَ فيمن ألفَ بين كلمتين ، ونظَم

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاذب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، أوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٣٤

بَيْتًا أَوْ بَيْنَتَيْنِ ، وَاسْتَقَلْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،  
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسْبِرُ غَوْرَ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،  
وَيَضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَخَاطِبِ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِ رَجُلٍ  
وَخَيْلٍ ، وَقَلَّمَا سَلِمَ مِكْثَارُهُ ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارُهُ .

\*\*\*

### [ السبب في إنشاء الحريري للمقامات ]

غُفْمٌ : غنيمه . وحكى الفنجديهى في شرحه للمقامات : أن الذى أشار عليه بها هو شرف الدين أنوشروان بن خالدوزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة وواليتها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النُّفُور البزَّار ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس أبا محمد الحريرى يقول : أبو زيد السَّروجى كان شجاعاً بايعاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بنى حرام يتكلم ، ويسأل شيئاً ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والمسجد غاصُّ بالفضلاء ، فأعجبهم بفساحتِهِ ، وحسن صناعته وملاحظته ، وذكر أسرار روم ابنته ، كما ذكرنا في المقامة الحرامية وهى الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مُرادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إirاده ؛ فحكى كل واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير فى كل مسجد زِيَّةً وشكله ، ويظهر فى فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه فى ميدانه ، وافتتانه فى إحسانه ؛ قال الحريرى : فابتدأت فى إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً لِدَوِّهِ ، فلما فرغتُ منها أقرأتها جماعةً من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان ،



وأنبهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .  
وهذا الذي ذكر الفنجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطالبة ،  
بسندٍ يتصل بأبي محمد الحريري ، وأن الحريريّ وند مع أهل البصرة بغداد ،  
فوجدوا بواسط أبا زيد السروجي<sup>(١)</sup> ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم  
لا تكادون ولا تُخدعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فما تعذّر  
علىّ فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر . فلما بلغوا بغداد  
أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريريّ بجمع المقامات :

لكن الذي ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهر  
أنّ الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريريّ حدثه أن قصة المقامه  
الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلا قام بمسجد بني حرام ، فأظهر التوبة من  
ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفّارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر  
انته ، فنظم الحريريّ القصة وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت في الكتاب ،  
وكان ابن جهور يقول : إن الذي أشار إليه بها في قوله : « فأشار من إشارته  
حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب ، وحظّ  
من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل  
حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان ، وأجرى على كل واحد  
من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريريّ ألف  
المقامات كلها على الرّكاب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعها ، أخرج  
كالحافظ على العمال ، فكان يخرج في الأبردين يتمشّي في ضفتي دجلة والفرات ،  
ويقتل خاطره بنظر الحضرة والمياه ، فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قريبة من حران واسم أبي  
زيد السروجي المطهر بن سلال اللقوي ، وأحد من اشتغل بالتحقيق في البصرة ، ذكره القفطي  
في إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦ .

مائتا مقامة ، نخلص منها خمسين وأتلف البواقى ، وصدر الكتاب ، ورفعته إلى السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فذا كرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ، قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان فى فسحة من عقله ، وفى سلامة من أفواه الناس ، ما لم يضع كتاباً أو يقل شعراً .

وقال العتاتى : من صنع كتاباً فقد استشرف للمدح والذم ، فإن أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة ، وإن أساء فقد تعرض للشم بكل لسان .

غيره : من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس . وقال حسان :  
 وإنما الشعرُ عقلُ المرءِ يعرضُهُ على البريةِ إن كَيْسًا وإن حُجْمًا<sup>(١)</sup>  
 وإن أحسن بيتٍ أنت قائلُهُ بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقاً

واستقلت : طابت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار : نتحير : يفرض : يسبق . الوهم : الغلط . يسبر غور العتل ، يختبر قدره ومنتهاه ، وأصله فى الجراحات يُختبر غورها ، أى بعد قمرها . والمسبار : الحديدة التى يقاس بها مقدار غور الجراحة ، وسبرها : قاسها به ، يفعل ذلك الطبيب للقصاص أو للدواء ، ويقال لحديدته : السِّبَار والمِسْبَار والمِسْبَر والمكحل والميل والمِرود والجراف . تبين : تتبين . يضطر : يُلجأ . حاطب ليل : جامع الخطب بالظلام ، وهذا مثل لأكرم بن صيفى حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد فى الأمثال<sup>(٢)</sup> ، وقال : إنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لسعته العقرب فى احتطابه ليلاً ، فكذلك المهذار ربما أصابه فى إكثاره بعض ما يكره ، قال التزردق :

كحتطب ليلاً أسود هضية أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبة<sup>(٣)</sup>

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما تحتطب ، فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير ، والقوى والضعيف ، والجيد والردى ، فكذلك المكثار

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فصل المبال ٢٥ ، ولفظ المثل فيه : « المكثار كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردى، فشبهه لذلك بالحاطب، وأراد: بـ «جالب رجل وخيل» ما أراد بحاطب الليل، لأن الرجل ضعيف والفارس قوى. والمكثار: الكثير الكلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُنْتُ أَقِيلَ: أَقِيمِ وَرَفَعِ. عِثَارُ: انكباب وسقوط، وإقالة العائر أن تروعه من سَقَطْتَهُ، ومنه الإقالة في البيع ونحوه.

\*\*\*

فَلَمَّا لَمْ يُسْعِفْ بِالْإِقَالَةِ ، وَلَا أَعْنَى مِنَ الْمَقَالَةِ ، لَبَّيْتُ دَعْوَتَهُ تَلْبِيَةَ الْمُطِيعِ ، وَبَدَلْتُ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ ، وَأَنْشَأْتُ - عَلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ ، وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ ، وَرَوِيَّةٍ نَاصِبَةٍ ، وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ - خَمْسِينَ مَقَامَةً ، تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ وَهَزْلِهِ ، وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزَلِهِ ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ ، وَمُلْحِ الْآدَبِ وَنَوَادِرِهِ ، إِلَى مَا وَشَّحَتْهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَتَحَامِينِ الْكِنَايَاتِ ، وَرَصَعْتُهُ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللِّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَالْأَحَاجِي النَّحْوِيَّةِ ، وَالْفِتَاوَى اللَّغَوِيَّةِ ، وَالرِّسَالِ الْمُبْتَكِرَةِ ، وَالْخُطَبِ الْمُحَبَّرَةِ ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَّةِ ، وَالْأَضَاحِيكِ الْمُلْمِيَّةِ ، بِمَا أُمَلِّتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدِ السَّرُوجِيِّ ، وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامِ الْبَصْرِيِّ .

\*\*\*

يُسْعَفُ: يُوَاقِي وَيَنْبِيلُ الرَّغْبَةَ ، وَأَسْعَفَتِ الرَّجُلَ بِمَطْلَبِهِ : سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ .

والإسعاف المصدر ، وساعفته مساعفة : قضيت إرادته . ولا أعنى من القالة ، أى لم يُعنى من كلامه وإلحاحه ، وأعفيت : الرجل وعانيته : أزلت عنه ما يشق عليه ، وأصله التَّرك ، ومنه إعفاء اللحية . وهو أن يتركها على حالها ، ومنه : عفا الله عنك . لنيت : أجت وقلت : لبيك . أنشأت : ابتدأت وأخذت أفعل . أعانيه : أعالجه ، وأصلها من العناء وهو التعب . قريحه : ذهن ، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ، ومنه القُرحة للجراحة ، لأن أصلها مادة وشبهه الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعانى . فطنة : ذكاء ، والفطن : الذكى . خادمة : ساكنة ، وخمدت النار : سكن لهبها . روية تدبّر ، وروأت الأمر ، تدبّرت كيف تصنعه ، وأصل الروية الهمز واستعملت بغير همز . ناضبة : جافة ، ونضب الماء : غار في الأرض . ناضبة : متعبة ، وهم ناصب على معنى النسب ، أى ذو نصب ، ولو جاء على انقباس لقال : من نصب ، لأن فعله أنصبه الهم ، وقال بشر :

تَعَنَّكَ هُمٌّ مِنْ أُمَيْمَةٍ مُنْصِبٍ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا يَكْذِبُ<sup>(١)</sup>

وَنَصَبَ نَصَبًا : أعيى من التعب . جزلة : غليظه ومتينة . غرر : جمع غرّة وهى خيار الشيء ومنه غرّة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازاً . دُرُّهُ : جمع دُرّة ، وهى الجوهرة العظيمة ، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر . مُلْح : جمع مُلحة ، وهى ملبح الكلام . نواذره : غرائب . وشحّتها : زينتها . الكنایات : ضرب من الألفاظ ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه ، إما لإبهام على جليستك أو لتعظيم أو لتحقير ، فالإبهام أن تذكر لفظاً يفهم من ظاهره غير مرادك ، مثل قوله تعالى جا كياً عن هود عليه السلام ، حين قال له قومه : ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ... قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، فليس فى اللفظ زيادة على فى

(١) مطلع قصيدة فى ديوانه ٧ - ١٢ ، ورواية الشطر الثانى فيه :

\* كَذَى الشَّوْقِ لَمَّا يَسْأَلُهُ وَسَيَذْهَبُ \*

(٢) سورة الأعراف ٦٦ ، ٦٧ .

السفاهة ، وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعدل إلى كنيته تعظيماً له . والتحقير : أن يكون الشيء خسيماً فتأنف من ذكره فنذكره بغير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَا كِلَانَ الطَّعَامِ ﴾ (١) فكفى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه . رصعته : نظمته ، وألصقت بعضه ببعض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر يُنظم فيه . اللطائف : الرقائق والكامة اللطيفة ، أي الرقيقة المعنى التي تحل في القلب فتلطفه . الأحاجي : ضرب من الألفاظ واحداها أحجية ، وهي قولك لصاحبك : أخرج ماني يدي ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك ماني يدي ؟ وحجياك ماني يدي ؟ وهي من الحجى ، وهو العقل .

الفتاوى اللغوية ، أَرادها المسائل المائة التي في الثانية والثلاثين ، والفتيا : إظهار الشيء المستول عنه عند السؤال . المتكررة : التي لم يسبق إليها ، وبكر وابتكر خرج بكرة ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء في الإدراك ، وبكر كل شيء : أوله . الحبرة : الزينة ، وحبرت الشيء تحبيراً زينه ، وأصلها من الحبر ، وهي ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين . أمليت : أقيمت ، وأمليت على الصبي : أقيمت عليه ما يكتب . أسندت : رفعت .

\*\*\*

وَمَا قَصَدْتُ بِالْإِحْمَاضِ فِيهِ ، إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِنِيهِ ، وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِبِيهِ . وَلَمْ أُوَدِّعْهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَجْنِبِيَّةِ إِلَّا بَيْتَيْنِ فَذَبْنِ ، أَمَسْتُ عَلَيْهِمَا بَنِيَةَ الْمَقَامَةِ الْخُلُوعِيَّةِ وَآخِرِينَ تَوَامِنِ ضَمْنَتُهُمَا الْمَقَامَةَ الْكَرْجِيَّةَ (٢) ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عَذْرِهِ ، وَمُقْتَضِبِ خُلُوعِهِ وَمُرِّهِ .

(١) سورة المائدة ٧٥ .

(٢) ط : «خواتم المقامة الكرجية» ، وما أنبتة من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَدِيعَ رَحِمَهُ اللهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَصَاحِبُ  
 آيَاتٍ ، وَأَنَّ الْمَتَّصِدِيَّ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أَوْتِيَ بِلَاغَةَ  
 قُدَامَةٍ ، لَا يَعْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلَتِهِ ، وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ الْمَسْرِيَّ  
 إِلَّا بِدَلَالَتِهِ .

\*\*\*

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترعى الخلّة ، وهي  
 حُلُو المرمى فتملّه فتنقل إلى الحِمض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلبها استيلاءً  
 الحلاوة ، فتنشط بذلك على الرعى فيقال : أحمض الرجل إحماضاً ، والعرب تقول :  
 الخلّة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فائقة ،  
 إلى قضية رائقة ، ومن موعظة تبيكي إلى ماهية تُسلي ، وفي ذلك تشبیط وترغيب  
 في قراءتها ، ونقيّ للملل والكسل عن قارئها . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص  
 سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضمنه . الأجنبيّة : التي ليست من شعره ،  
 والأجنبيّ : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . فذّين : منفردين .  
 هذا من شعر وهذا من آخر . توأمين : أخوين من شعرٍ واحد . أسست :  
 أصلت ، والأساس أصل الحائط . الخلوانية والكرجيّة : منسوبتان إلى حلوان  
 والكرج ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذره ، أي  
 أوّل صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذرها ، أي أول زوج تزوجها فوجدها عذراء  
 فافتضحها وأزال عُذرتها ، أي ما بها من صعوبة . مقتضب . مقطوع . حُلوه ومُره :  
 جيده ورديته .

غَايَاتٍ : جمع غَايَةٍ وهي طَلَقٌ<sup>(١)</sup> الخليل ، والسَّبَّاقُ منها الذي يجيء أبداً سَبَّاقاً -

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

المتصدى : المتعرض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ ذكر قدامة بن جعفر ]

قدامة ، هو أبو الوليد<sup>(١)</sup> بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متضمنه ، وله تحقيق في صنع البديع يتميز به عن نظرائه ، وتدقيق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أ كفاؤه ، وتحذيق في علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه ؛ فلذلك سار المثل ببلاغته ، واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته .  
الفضالة : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فضل عن الحاجة . واغترفها : أخذها بيده يسرى ذلك السرى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسرى ، يسير بالليل . دلّالته : تقدمه وهدايته ، وتفتح دالها وتكسر ، والفتح أكثر . والدليل بالفلاة : الذي يهدى القوم قصدم .

\*\*\*

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

فَلَوْ قَبِلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً

بِسُعْدَى شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَأَكْرَنَ بَكَّتْ قَبْلِي فَمَيِّجٌ لِي الْبُكَاءِ

بُكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمَتَّقِمِ

\*\*\*

(١) كنيته في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ ، أبو الفرج ، واسمه قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب . قال : « كان أحد البلاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم المنطق » - (٣ - شرح مقامات الحريري)

مبكاها : بكاءها . صباة : شوقا هيج : حرك ، والبيتان لعدى بن الرقاع ، وقبلهما :

وتما شجاني أنتى كنت نائماً أعللّ من فرط الكرى بالتشم<sup>(١)</sup>  
إلى أن دعت ورقاع في غصن أيبكة تردّد مبكاها بحسن الترميم  
فلو قبل مبكاها . . .

### [ عدى بن الرقاع ]

وعدى هو أبو زيد بن مالك ، ينتمى إلى معاوية بن الحارث ، وينسب إلى الرقاع وهو جدّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وكان من أوصف الناس للعطية ، وكذا ذكره صاحب الأغاني<sup>(٢)</sup> في ترجمته . وقال نوح بن جرير لأبيه : من أنسب الناس<sup>(٣)</sup> ؟ قال : ابن الرقاع في قوله :  
لولا الحياء وأن رأسى قد عسا فيه الشيب لزلت أم القاسم<sup>(٤)</sup>  
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم  
وسنان أقصده التماس فرنقت في عينه سنة وليس بناأم

\* \* \*

أقرّ الحيرى هنا للبديع بالفضل ، وجعله سبّاقاً للغايات ، وما أحسن هذا الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدلّ دليل على ذلك أنه منذ ظهرت مقامات الحيرى لم تستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبّق استعمالها آفاق الأرض ، إلا أنه أسرّ هنا شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البديع فضله بالتقدم ؛ وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ،

(١) الكامل للمبرد ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأخصس : الصحيح أن الشعر مصيب .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١٠ ؛ الشعراء

(٣) الأغاني ٩ : ٣١٣ ، وعسى ، أى اشتد وانتشر .



ثم لم ير لنفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الظالعُ شأوَ الصليح » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي جريه إذا اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل التوتة . ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صرّح في الظاهر للسامع بأنّ البديع سبقاى غايات ، وصاحب آيات ، وأومى لمن فطن ، أنه إنّما فضله بتقدم الزمان . ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين ، وصرّح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إن يكن الإسكندري قبلي فالطلّ قد يبدو أمام الوبل  
\* والفضل للوابل لا للطلّ \*

ولو كان غيره من العلماء المنسويين إلى سوء الأدب، ورأى فضل مقاماته ، لذمّ البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذمّ عليه ؛ وكذا رأينا في الغالب من ادعى لنفسه فضلاً ، وازدرى غيره ، أنه قلما يكون إلا ممقوتا ، فلما أظهر الحريري مدح البديع ، ووقاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفي قلّ من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرق حتى لم يجد ذكر مشرقٍ وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب<sup>(١)</sup> . فلا يذمّ كتابه إلا أحد الرجلين فذين ذكرهما ؛ إما جاهل ، أو حاسد .

\*\*\*

[ القديم والحديث في الأدب ]

ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى • ما الحبّ إلا للحبيب الأول<sup>(٢)</sup>

(١) ط : « مغرب . . . مشرق » ، والوجه ما أثبتته من ا ، ب .

(٢) ديوانه ٢٥٧ .

كم منزلٍ في الأرض يألفه اللقي وحتيئنه أبدأً لأول منزلٍ  
وقال :

لَا زِلْتَ مِنْ شَكْرِي فِي حُلَّةٍ لِأُسْمَا ذُو سَلْبٍ فَآخِرٍ (١)  
يقول من تفرع أسماعه : ما ترك الأول للآخر  
وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الذميمة  
ليس إلا لأنهم حسدوا الحى ومالوا إلى العظام الرميمه (٢)  
وللتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين ؛ من أحسنه  
قول المرثى :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بآلمِ نُستطمه الأوائلِ (٣)  
وقال ابن عمار :

أنا ابنُ عمار لا أخفى على أحدٍ إلا على جاهلٍ بالشمس والقمرِ  
إن كان آخرنى دهرى فلا عجبٌ فوائداً لكتبٍ يُستلحقن في الطررِ  
والذى ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق ، قال : وليس لقدم العهد  
يفضّل القائل ، ولا لحدائثة العهد يُهضم المصيب ، ولكن يعطى كلُّ ما يستحقُّ (٤)

[ القول في الحمام ]

وأما بيت عدى في الحمام ، فالحمام قد كثر ذكر العرب لها في أشعارها ، ونلم  
هنا بفصل منها ؛ يروى عن عليّ رضي الله عنه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الوحشة فقال له : « اتخذ حمامةً تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقفك  
للصلاة بتفريدها » .

(١) ديوانه ١٤٣ .

(٢) ألف باء : ١٠٩ ، ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام فإنها تلهى الجنَّ عن صبيانكم »<sup>(١)</sup> .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يعجب بالحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله جمع فيها حسن النظر ، وكرم الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثر لديك معونتها ؛ فهي للطارق عُدَّة ، وللمستوطن لذة ، تطعم في الصحراء ، وتعود عليك بالسَّراء ، ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتغنيه عن الأوتار بنغماتها ؛ وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة ، وينفر عنك وهي داجنة ، وفي طباعها سكونٌ إلى الناس واستئناس بهم ، وهي طير عفيف ، يبقى الذَّكر بعد الأنثى مفرداً ، والأنثى مثل ذلك ، مع شدة اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقعا وقعا معاً ، لها سرعة طيران ، لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتفريد البلبل والورشان ، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيته ما يبعث التذكر ، ويولد الشجون ، ويهيج الأسى ، ويجدد رقة القلب ؛ حتى يجعل البكاء فرضاً معها ، والتصابي لازماً لأجلها ، وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والفواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون ويأنسون بتفريدهن ، ويقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزامير والأوتار . وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر الهذلي :

ولمادعتْ غُورِيَّةُ الأيْكَ سَجَّعَتْ      فسجَّعَ دمعِي يستهلُّ ويستشرِي<sup>(٢)</sup>

(١) الحمام الصغير ١ : ٩ ، ولفظه : « اتخذوا هذه الحمام المقاصيس » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٢١ ، عن الشريشي .

يذكرني شجوي دعاه حمامةً ويبعث لوعات الصبابة في صدري  
بكت حزناً رزء الهديل وشفني فراق حبيب ضاق عن فقدِه صبري  
وأنشد الأصمعي فقال :

أيها البلبل المغرّد في النَّخْل غريباً عن أهله حيراناً  
أفراقاً تشكوه أم ظلت تدعو فوق أفنان نخلة ورشانا!  
هاج لي صوتك المغرّد شجواً ربّ صوتٍ يهيج الأحراناً  
وقال آخر :

أحنّ إلى حوائط ذات عرقٍ لتفريد الفواخيت والحمام<sup>(١)</sup>  
المّ بها بكلّ فتى كريم من الفتيان مخلوع الزمام  
وقال آخر :

إذا غنّت على الأغصان وُرُقٌ أجبناها بإعمال المدام  
وقال آخر :

سُفِينيك عن مزمار آل محرقٍ ومربعهم تفريد تلك الحمام  
بأىكة أطيار تجاوبن بالضحي على باسقات مائلات نواعم  
وأنشد أبو عليّ عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنّت حمامٌ بينها فنن رطيب<sup>(٢)</sup>  
فقلت لها وقيت سهام رامٍ ورقط الريش مطعمها الحبوب  
كما هيّجت ذا حزن معني على أشجانه فبكي الغريب  
وقال نصيب :

لقد هتفت في جنح ليل حمامةً تبكي على إلفٍ وإني لنائم<sup>(٣)</sup>

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو الحد بين نجد وتهامة - ياقوت .

(٢) البيت الأول في معجم البلدان ٢ : ١٧٠ ، وقال : « وأنشد الأبيوردى لهمضم »  
وبستان إبراهيم في بلاد أسد .

(٣) من أبيات أربعة في ديوان المهنون . وكذا نسبها صاحب نثار الأزهار ٧٥ .

كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقاً      لكما سبقتني بالبكاء الجاهلُ  
 وأنشد أبو العباس لمحمد بن ثور :  
 وما هاج هذا الشوق إلا حمامةً      دعت ساق حرٍ ترحةً وترنماً<sup>(١)</sup>  
 مُجَلَّاةً طوقٍ لم يكن من تيممةٍ      ولا ضربَ صَوَانِغٍ بكفيه درهماً  
 تَفَنَّتْ على غصنٍ عِشاءٍ فلم تدعُ      لنائحةٍ في نوحها متلوماً  
 إذا حرَّ كفتهُ الريحُ أو مال ميلةً      تَفَنَّتْ عليه مائلاً ومَقُوماً  
 عَجبت لها أُنَى يكون غناؤها      فصيحاً ولم تَفَعِرْ بمنطقها فَمَا  
 فلم أَرِ مثلي شاقه صوتُ مثليها      ولا عَرَبِيًّا شاقه صوتُ أعجمَا  
 وقال حبيب :

لتضعضت عبراتُ عينك أن دعتُ      ورقاه حين تضعض الإظلامُ<sup>(٢)</sup>  
 لا تشجِينَ لها نين بكاءها      ضحك وإنَّ بكاءك استغرامُ  
 هنَّ الحمام ، فإن كسرت عيافةً      من حائِنٍ فإيهنَّ حِمامُ  
 وسمع حبيب بخراسان غناءً بالفارسية ، فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه فقال :  
 حَمْدُكَ لَيْلَةٌ شَرُفَتْ وطالتُ      أقام سهادُها ومضى كراها<sup>(٣)</sup>  
 سمعتُ بها غناءً كان أولى      بأن يقتاد نَفْسِي مِنْ عَنَّاها  
 ومسمعةً يحارُّ السمعُ فيها      ولم تصممه لا يصممُ صداها

(١) الكامل ٣ : ١٢٤ ، قال : « أما قول حميد : دعت ساق حرٍ ؛ فإنما حكى صوتها » . وفي شرح الديوان : هو ذكر القارى . وبمده في الكامل :

إذا شئتُ غَنَّتِي بأجراع ييشةٍ      أو النَّجْل من تثليث أو بيللها  
 مطوقة خطبائه تسجعُ كَلِمَا      دَنَا الصَّيْفُ وأنجاب الربيعُ فأنجمَا

انجال : ألقم . وانظر ديوان حميد ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انحدرت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرْتُكَ لَيْلَةٌ حَسَنَتْ وطلبتُ      أقام سرورها ومضى كراها

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجأها  
وظلت كأتى أعمى معنى يحب الغايات ولا يراها  
يعنى بهذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً<sup>(١)</sup>  
قالوا بمن لا ترى تهذى! فقلت لهم: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

صدرة

وَأَرْجُو أَلَا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أوردتهُ ، وَالْموردِ  
الَّذِي تورّدتهُ ، كَالْبَاحِثِ عَن حَتْفِهِ بِظَلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ مَارِنِ  
أَنفِهِ بِكَفِّهِ ، فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ صَلَّ سَمِيهِمْ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

\* \* \*

قوله : « الهذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أتيت به ، وقد تقدّم  
المورد<sup>(٣)</sup> . وتورّدته : اقتحمته . الباحث : المفتش ، والظلف : اللبقر والظنم كالحافر  
للخيل والحير . وهذا مثل للعرب : وذلك أن ماعزة كانت لقوم ، فأرادوا ذبحها  
فلم يجدوا شفرةً ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها  
بها ، وقالوا : بحث عن حتفها بظلفها ، فسارت مثلاً . وقال الشاعر :  
وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الثرى تستثيرها<sup>(٤)</sup>

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) صفحة ١٨ من هذا الجزء

(٣) توفى ، أى تبلغ .

(٤) للفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قبله :

وكان يُجِير النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْنِي نَفْسَهُ مَنْ يَجِيرُهَا

وقال أبو الأسود :

فلا تكُ مثل التي استخرجت بأغلافيها مُدِيَّةٌ أو بِفِيهَا<sup>(١)</sup>  
 فقامَ إليها بها ذابحٌ ومن يدعُ يوماً شعوباً يَجِيها<sup>(٢)</sup>  
 ولفظ المثل عند أبي عبيد « كالعنز تبحت عن اللدبة »<sup>(٣)</sup> والجادع : القاطع  
 الأنف . وللمارن : طرف الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش . وقد ذكرنا  
 قصته في شرح الرابعة والعشرين . ورجا المصنف ألا يدركه من الضرر ما أدركا<sup>(٤)</sup>  
 من الضرر حين جنياً على أنفسهما وانتفع غيرهما . ضلّ سعيهم : خابت أعمالهم ،  
 وأصل ضلّ ، تحير فلم يدر أين يتوجه ، وأصل السعي المشي بسرعة . سمع أعرابي  
 رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ، فقال : أنا أعرفهم ، قيل له :  
 ومن هم ؟ قال : الذين يبرّدون ويأكل غيرهم .

\*\*\*

عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَعْمَضَ لِي الْفِطْنُ الْمُتَغَابِي ، وَنَضَحَ عَنِّي  
 الْمُحِبُّ الْمُحَابِي ، لَأَأْكَادُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرِ جَاهِلٍ ،  
 أَوْ ذِي غَمْرِ مُتَجَاهِلٍ ، يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ ، وَيَتَدَدُّ بِأَنَّهُ  
 مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ نَقَدَ الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ الْمَقُولِ ، وَأَنعمَ النَّظَرَ فِي مَبَانِي  
 الْأَصُولِ ، نَظَمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ ، فِي سِلَكِ الْإِفَادَاتِ ، وَسَلَكَهَا  
 مَسَلَكَ الْمَوْصُوعَاتِ ، عَنِ الْمَجْمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ .

\*\*\*

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة نقائس المطومات) .

(٢) رواية الديوان : « ومن يدع يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على النية .

(٣) فصل القتل ٢٨٨ . (٤) كذا في ا و ف ط : « أدركما » .

أغمض : سامح وسدّ عينيه عمّالم يرض . والفطن : الذكي . المتغابي : المتجاهل  
عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يُحمد به الرجل ، قال حبيب :  
ليس الغبيّ بسَيِّدٍ في قومِهِ لكنَّ سيِّد قومهِ المتغابي (١)

ونَصَحَ بالماء : غسل . الحبابي : الذي يفضّلني على غيري ، وحباني : اختصّني  
بالعطية ، وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك ، وقد يكون في معنى «حَبَاه» . الغمّر :  
الجاهل ذِي غمْر : صاحب عداوة . متجاهل : مستعمل للجهل وهو على خلافه ؛  
يقول : إن سدّ عينيه عن عيبي فطنٌ ذو عقل ، أو تغابي حين يبصر لي خطأ ، أو رأى  
لي ذلك العيب محبّ ، فجعل يفسله عنّي لحبته لكلامي ؛ فلا أخلص مع ذلك ،  
إمّا من جاهل يعيب ما لا يفهم ، أو من عارف يُظهر لي عداوة وحسداً ، فيردّ حسني  
قبيحاً ، وهو عارف بحسني ؛ فيشيع في الناس أن المقامات أ كاذب ، وهو  
عارف بنصاها وما قصد بها .

[ من أقوالهم في الحقد مدحا وذمّا ]

والغمّر : الحقد ، وصاحبه مذموم ، ولا أعرف من تعرّض من الفصحاء  
لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جاء به إلى الرشيد في  
قيوده ، فقال له ابن خالد - وأراد أن يبكته : بلغني أنك حتود ، فقال عبد الملك :  
أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ؛ إنهما لباقيان في صدري -  
وفي رواية أخرى : إنما صدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر -  
فقال الرشيد : والله ما رأيت أحدا احتجّ للحقد بمثل ما احتجّ به عبد الملك ،  
فتفتح الباب لابن الروميّ ، فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :  
لئن كنتُ في حفظي لما أنا مودّعٌ من الخير والشرّ انتحيت على عرقبي

(١) ديوانه ، الورقة ١٥٤ مخطوطة دار الكتب رقم ١٢٩ - أدب



لَمَّا عِبْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرِي يُزْرِي عَلَى خُلُقٍ مَحْضٍ<sup>(١)</sup>  
 ولولا الحقود المشككات لم يكن  
 لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض  
 وما الحقد إلا توهم الشكر في الفتي  
 وبعض السجايا ينتسب إلى بعض  
 فحيث ترى حقداً على ذي إساءة  
 فتمّ ترى شكراً على حسن العوض  
 ثم رجع إلى الطريقة المثلى، فانتحل المذهب الأعلى، وقال بعيبه، ضاربا بسهم  
 البلاغة في الوجين :

يامادح الحقد محتالا له شُبهاً	لقد سالت إليه مسلكا وعمنا <sup>(٢)</sup>
يادافن الحقد في ضيف جوازجه	ساء الدفين الذي أضحته جدثا
الحقد داء دوي لأدواء له	يرى الصدور إذا ماجممه خرثا
فاستشفيته بصفح أو محادثة	فإنما ببرا الصدور ما نقدا
إن القبيح إذا أصلحت ظاهره	يعود ما لم منه مرة شعنا
كم زخرف القول ذو زورٍ ولبسه	على العقول ولكن قلنا لبنا

\*\*\*

قوله: « يضع مني » أي يحط من منزاتي . الوضع : السكتاب . يندد : يشهر  
 العيب، وندد به، إذا أسمعته المكروه . قد الأشياء : فتش وبحث عايبها . العقول =  
 العقل . أنعم : بالغ . وأصل النظم جعل حبات الجوهر في خيطها وضمها فيه لغيرها ؛  
 ثم سُمي بيت الشعر نظاما، لأن الكلام فيه ملتصق ببعضه ببعض كحبات الجوهر .

(١) الديوان : • إلا بما ليس عاني . . . « ولم جاهل يزري » .

(٢) ديوانه الورقة ٤٥ ، مطبوعة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

والبيت يضمه كالخيط ، والسلك : خيط الجواهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد. الموضوعات : الكتب المؤلفة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . المعجاوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والمجادات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّف من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر ، وقد صمّن الحكم الشافية فى الباطن ، مثل كتاب كليله ودمنة وغيره مما أُلّف على السنة ك ما لا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذباً فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتدكية عقله ، وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السروحيّ ، فيكون متنبهاً لما يطرأ عليه من التّوازل ، فتؤمن على عقله الغفلة α والخديعة ، إلى ما ينضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنّها أعون شىء عليها .

[ مما روى من الحكم على السنة البهائم وغيرها ]

ومما يحكى على السنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا راع فى غنم إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنفذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السَّبْع ، يوم ليس لها راع غيرى ! « (١) .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلمته فقالت : أنا لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفزعاً ؛ أبقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإنى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (١) .

السَّبْع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتاتوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيتمول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى مورأى فاقته » (٢) .

(١) صحيح مسلم ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، (٢) صحيح مسلم ٢٢٣٩

قالوا. خرج أسد وذئب وشعاب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: أقسم بيننا هذا، فقال: الحمار للملك، والغزال لي، والأرنب للشعاب؛ فرفع الأسد يده فضربه ضربة، فإذا هو مجدل بين يديه. ثم قال للشعاب: أقسمها، فقال: الحمار يتعدى به الملك، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أفضاك! مَنْ عَلَّمَكَ هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب. وحدث الشعبي، قال: صادر رجل قُبْرَةً، فقالت: ما تريد أن تصنع في؟ قال: أذبحك وآكلك، فقالت: والله ما أشبع من جوع، وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال: واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل؛ قال: هاتي: قالت: لا تلهفن على ما فات، نخلى سبيلها، فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون، فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درّتين، كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعضّ الرجل على شفته تأنهاً، ثم قال: هاتي: الثالثة، فقالت: أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة! ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فات، ولا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون! أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون في عشرون مثقالاً، فكيف يكون في حوصلتي درّتان كل واحدة عشرون مثقالاً! ثم طارت وذهبت. وأمثال هذه الملاح أكثر من أن تحصى.

\* \* \*

وَلَمْ يُسْمِعْ بِمَنْ نَبَأَ سَمِعَهُ عَنِ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ ، أَوْ أَيْمَرُوا بِهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ .

نَمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَبِهَا انْعِقَادُ الْمُقَوِّدِ الدِّيْبِيَّاتِ ،  
فَأَيُّ حَرَجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلْهَمًا لِلنَّبِيِّهِ ، لَا لِلتَّمْوِيهِ ، وَنَحَا بِهَا  
مَنْحَى التَّهْدِيْبِ ، لَا الْكَذِيْبِ ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ

اِتَّدَبَ لِتَعْلِيمٍ ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !  
 عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أُجِلَّ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا  
 قوله : « نبا سمعه » أى ارتفع ، وأصله فى السَّيْفِ إِذَا ارْتَفَعَ فَلَمْ يَمُضْ فِي الضَّرْبَةِ .  
 أَيْمٌ : جعلهم أصحاب أَيْمٍ . انعقاد العقود ، أى ارتباط العقائد . حرج : إثم ، وأصل  
 التحريج التضيق . للتنبية ، أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر . نحا  
 منحنى : قصد مقصد . التهذيب : التاخيص ، وهدت الطالب : أخرجته وخلصته ،  
 ورجل مهذب : مخلص من العيوب . ويروى : ندب وانتدب ، فندب دعا ، وانتدب  
 أجاب . وهدى : أرشد . صراط مستقيم : طريق معتدل ، ومن فعل ما ذكر  
 ماجور غير آثم ، لكن مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتعميب ،  
 وأن يخرج من هذا الكتاب كفاً لا أجر ولا وزر ؛ بل نرجوه الأجر على تبة  
 الإفادة والتعليم ، إن شاء الله تعالى .

\*\*\*

وَبِاللَّهِ اعْتَصِدْ ، فِيمَا اعْتَمَدُ ، وَأَعْتَصِمُ بِمَا يَصِمُ .  
 وَأَسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَتَا الْمَفْرَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا  
 الْإِسْتِعَانَةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوْئِلُ  
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ  
 نِعْمَ الْمُعِينُ !

أعتضد: أستعين. أعتمد: اقتصد. أعتصم: أمتنع. يصم، يعيب. أسترشد: أستهدى. يرشد: يهدى ويدلّ على الخير. والمفرزع: اللجأ، وكذلك الموثل. وتقول: فرعتُ إلى فلان، إذا لجأت إليه واستعنت به ليحميك ويمنعك، وفرعت منه: خفته، والمفرزع الذي ذكره مصدر بمعنى الفرع. وتقول: وأت من ذلك، إذا نجوت منه، وأنت موثلى منه، أى الذى تنجيتى منه. والمفرزع: الموثل والحصن، تفرع إليه فينجيك من طالبك. أنيب: أرجع. والإنبابة: الرجوع إلى الله تعالى والتوبة إليه.

## المثامنة الأولى وهى الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال : لما اقتعدتُ غاربَ الاغترابِ ،  
وأنا نتي المتربةَ عن الأترابِ ، طوّحتُ بي طوائِحُ الزمنِ ، إلى  
صَمَماءِ اليَمَنِ ، فدخَلتُها خاوى الوفاضِ ، بأدى الإنفاضِ ؛ لا أملكُ  
مُبلغةً ، ولا أجِدُ فى جِرابِ مُضغمةً .

\* \* \*

إن قيل : لأى معنى اختار الحيرى حارثاً وهاماً وأبا زيد، دون غيرهم من  
الأسماء؟ فالجواب أنه إنما قصدهم لأنهم أصدق الأسماء، قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فى الحديث المرفوع : « تَسَمَّوا بأسماء الأنبياء ، وأحبُّ الأسماء إلى الله  
عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة » (١) .  
وصدقهما أنه ليس أحداً إلا وهو يحرث ، أى يحاول النكسب أو يهجم بحاجته .  
وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم فى الصدر وقم الاكتفاء  
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :  
أعار أبو زيد يمينى سلاحه وحذ سلاح الدهر للمرء كالم (٢)  
و كنت إذا ما الكلب أنكر أهله أفدى ، وحين الكلب جذلان نأتم  
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نأتم ، فى  
الجدب إذا ماتت المواشى فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابى : يقال للشيوخ  
الكبير : أبو زيد وأبوسعيد . والمروجى فى الغالب إنما يصفة بالكبر والمهرم .

(١) نقله فى الجامع فى الصغير ١ : ٢٢٤

(٢) ما يتول عليه ، مصورة مكتبة المجمع القنوى الورقة ٢٠١ .

فوقعت التسمية لغوية، وإنما عني بالحارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لاتليق إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذئبي عاثُّ حتى كأني للأنام وارثُ

\* سامهم وحامهم وياثُّ \*

ومثل قوله :

ووترت أربابَ الأرا نك والدّرانك والسجوفِ

وهي كثيرة، وفي الحمسين له كلام لا يليق إلا بالدهر، فجعل أخذ الحارث من أبي زيد، كناية عن علم الحريري بما جرب من صروف الدهر .

قوله : «اقتعدت» أي ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه . والفارب : مقدم سنام البعير . والاعتراب والغربة : التحول في البلدان والبعد عن الأوطان، وسيأتي ما أصلهما، وأراد : لما اتخذت ظهر الغربة قعوداً. أنا تني : أبعدتني . المتربة : الفقر . الأتراب : الأصحاب على سنن واحد . طوّحت : رمت .

وطوايح : نوائب ؛ تقول : طوّحتُ بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ، وقياس الطوايح الطواوح لأنك تقول : طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات ومطواوح . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، وردّ الفعل إلى أصله ، فإنه من طاحت فهي طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيباني : جاءت على النسب ، مثل لابن وتامر ، أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح ، قال الشاعر :

( ٤ - شرح مقامات المريري ١ )

لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَغَتَبِطٌ مَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ (١)

ومثله ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾ (٢) : تقديره ملاقح ، لأنك تقول : أَلْقَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جَمَعَتْهُ وَأَلْقَتْهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه ضارع ، وهو الدليل .

\* \* \*

[ مدينة صنعاء ]

صنعاء ، بلد اليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ تَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية بدمشق . وكان اسم صنعاء في التديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي (٣) : ولما واقمها الحبشة قالوا : نعم ، فسُمِّيَ جبلها نعم (٤) أى انظر ، فلما نظروا إلى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنيئة ، فسُمِّيَتْ صنعاء (٥) .

وحكى الهمداني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : إثمها القرية المحفوظة ، وأنهم سمعوا هاتماً يقول في بعض أيام من حاربهم : كلُّك عليك يا أزال ، وأنا أتمحن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبهها ذكراً ، وأبعدها صيناً ومحمدان وقصر أزال ، وهي صنعاء .

(١) لهشل بن حرى ؛ في مرثية له ؛ وهو من شواهد الكتاب على أن الفعل المستند إلى ضارع « حذف جوازا ، أى يبكيه ضارع . خزانة الأدب للبغدادي ١ : ١٤٧ .

(٢) سورة الحجر ١٥ .

(٣) هو الشرقي بن القطامي ، واسمه الوليد والشرقي لقب له .

(٤) في ياقوت : « نعم ، أحد حصون اليمن » .

(٥) في ياقوت : « قالوا : هذه صنعة ، ومعناها حصينة » .



والذي أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحتفر بئرَه الذي هو اليوم سِقاية لمسجد جامع صنعاء، سامٌ بن نوح عليه السلام، على ما يذكره علماء صنعاء واليمن، وذلك أَنَّهُ لما مات نوح اجتوى بعده السكنى في الأرض الشماليَّة، فأقبل طالعاً في الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأوَّل، فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وصنعاء أطيبَ اليمن، فوضع مقراته — وهي الخيط الذي يقدر به البناء ويبني على حدّه — فوضع الأساس في ناحية فَجَّ عُمدان في غربيّ الجبل، وهو اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بعث الله طائراً، فاخطف المقرأة فطار بها، وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأمَّ بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما اتبعه طار بها، وطرحها على حَرَّة عُمدان، فلما قرَّت، علم سام أَنَّهُ قد أمرَ بالبناء هنالك؛ فأسس عُمدان، واحتفر بيده بئرَه المسَمَّى كرامة، ويُسَمَّى منها إلى اليوم لكنها أجاج<sup>(١)</sup>.

خاوى الوفاض: فارغ المزود، ويقال: خَوَى الرَّجُل، إذا سجد فترك بين جسده وبين الأرض خواءً، وخَوَى البعير: بَرَكَ على هذه الحال. والوافض: جمع وَفْضَةٌ وهي شِبُه الجراب، وهي أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت من خشب مجلّد أو غير مجلّد فهي كنانة أو جُعْبَةٌ.

ابن سيده في المحكم: الوفضة خريطة يجمل فيها الراعى أذاته وزاده. والوفضة: جُعْبَةُ السهام. قال أبو منصور الأزهريّ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ أمر بصدقة [أن] توضع في الأوافض »: <sup>(٢)</sup> إنهم أخلاط الناس. قال الفراء: هم أهل الصُّفَّة. أبو عبيد: هذا كلّه عندنا واحد؛ لأنَّ أهل الصُّفَّة أخلاط من قبائل شتى، ويمكن أن يكون مع كلِّ واحدٍ منهم وَفْضَةٌ، فعلى هذا من قُضِر الوفضة

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، قال في شرحه : « هم الفرق والأخلاط من الناس » .

على الجُعبَة ، وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون في الجُعبَة ، فهو الخَطَى  
والجاهل باتساع اللغة . بادی الإفاض : زاهر القفر ، وقد أنفض ، إذا فنى زاده .  
وأنفض الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : الأنفاض  
يُقَطَّرُ الجَلَبُ <sup>(١)</sup> ، أى فناء زادهم يحمل إبلهم قطاراً ، أى مربوطة بعضها خلف  
بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيما كلون ثمنها ، قال الهذلي :

لَه طَيِّبَةٌ وَلَهُ عَكَّةٌ إِذَا أَنْفَضَ الْقَوْمَ لَمْ يَنْفُضِ <sup>(٢)</sup>

طَيِّبَةٌ : جَرِيْبٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ طَبِي . مُبْلَغَةٌ : زَادٌ لِلسَّافِرِ يَبْلُغُ بِهِ مِنْ يَوْمِهِ  
إِلَى غَدِهِ . الْجِرَابُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَصْنَعُ لِلزَّادِ . مُضْفَةٌ : لُقْمَةٌ .

\* \* \*

فَطَفَقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِهَا مِثْلَ الْهَائِمِ ، وَأَجُولُ فِي حَوْمَاتِهَا  
جَوْلَانَ الْهَائِمِ ، وَأُرُودُ فِي مَسَارِحِ لَحَاتِي ، وَمَسَائِحِ غَدَوَاتِي  
وَرَوْحَاتِي ، كَرِيماً أَخْلِقُ لَهُ دِيْبَاجِي ، وَأَبُوحُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي ،  
أَوْ أَدِيْبًا تَفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمِّي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غَلَّتِي ؛ حَتَّى  
أَدَّتْنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ . وَهَدَّتْنِي فَاتِحَةَ الْإِطَافِ <sup>(٣)</sup> ، إِلَى نَادِي رَحِيْبٍ ،  
مُخْتَوٍ عَلَى زَحَامٍ وَنَحِيْبٍ ، فَوَلَجْتُ غَايَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ مَجْلِبَةَ  
الدَّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخَلْقَةِ ، شَخْصًا شَخَّتَ الْخَلْقَةَ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال في شرحه : « يقول : إذا ذهب طعام القوم  
أو هيرتهم قطروا لابلهم التي كانوا يضحون بها ، فجلبوها للبيع فباعوها واشتروا بثمنها مرة » .  
(٢) لأبي المثلم الخزاعي . شرح ديوان الهذليين ٣٠٥ . العكَّة : النهر الصغير .  
وأنفضوا : ذهب ما عندهم .  
(٣) متن المقامات : « الأطفاف » ، يفتح الهمزة .

أُهْبَةُ السِّيَاحَةِ ، وَهِيَ رَنَّةُ الْبَيْحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ  
لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعَظْمِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ  
الزَّمَرِ ، إِحَاطَةَ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ ، وَالْأَكْمَامِ بِالثَمَرِ ، فَدَلَفَتْ إِلَيْهِ لِأَقْتَبَسَ  
مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَالتَّقِطَ بَعْضَ فَوَائِدِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي  
مَجَالِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِمَالِهِ :

\*\*\*

طفقت : أخذت وجعلت ، ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه . أجوب :  
أقطع وأخرق ، وجوب الأرض : قطعها بالمشى . الهائم : الحيران . أجول : أتصرف .  
حوماتها : جهاتها . الحائم : الطائر العاطش يحوم حول الماء ، أى يدور به . أرود :  
ألمس المسارح : مراعى البهائم . لَمَحَاتِي : نظراتي ، يريد المواضع التى يسرّحُ عينيه  
فيها بالنظر . مسايح : مسالك ، أراد طُرُقَهُ التى يسير فيها بالمشى بالعدو والعشى ،  
والسَّيْحُ : الماء الجارى على وجه الأرض ، وتكون المسايح أيضا جمع مَسِيحَةٍ أو  
مَسْحَةٍ ، وهى الطَّوْفَةُ ، من قولك : مسحت البيت ، أى طفت به ، فيكون على هذا  
«فعائل» ميمها أصلية ، وعلى الأول «مفاعل» . أُخِلِقُ : أهين . ديباجتى : جلدة وجهى ،  
يريد أنه يخلق وجهه بالمسألة كما يخلق الثوب ، وهذا من قول النبي صلى الله عليه  
وسلم : «المسألة كدوح وخدوش فى وجه صاحبها» ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال  
المسألة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل ، وما على وجهه مزرعة لحم» ، أى قطعة . أبوح :  
أذكر . حاجتى : قهرى . تفرّج : تزيل . عُتْمَتِي : غمى وما يضيّق نفسى . غُلَّتِي :  
عطشى . أدتني : أوصلتني . خاتمة المظاف : آخر المشى . هدتنى : دلتنى . والإلطاف :  
حسن السؤال وفاتحته ، أراد به سؤال الله من تلقى فى الطريق إذا دخلت بلداً غريباً ،  
فإذا سألت بتلطف أرشدت بسرعة ، فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق . ويقال :

أَطْف سؤال الرجل ، إذا رَقَّ لفظه ولم يكن فيه جفاء ، فتقبله القلوب ، وألطف الرجل سؤاله ، إذا سألك بحنان وتلطف ، واللفظ الرفق ، وألطفك أيضا: بررتك وأكرمك ، فالإلطاف مصدر ألطف ، ويروى : «الألطف» جمع أطف وهو الرفق ، يقال : لطف الله بالعباد لُطْفًا ، رَفَقَ بهم رَفَقًا ، وهو راجع إلى الأول . ناد : مجلس . رحيب : واسع . محتو : مشتمل . نحيب : بكاء . ولجت : دخلت . غابة الجمع : وسط الناس ، وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه مَنْ يدخله . لأسبر : لأفتش ، وأراد دخلت بين الناس لأجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم . ويروى ، «مَحَابية» بالحاء ، وهى من الحلب ، يقال : انحلبت عينه ، إذا سالت بالدمع . بُهْرَة : وسط . شَحْت : دقيق ورقيق ، والشَحْت : الحطب الرقيق . أهبة : السياحة : آلة العبادة ، وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك . يطبع الأسجاع ، أى يرتبها ويصنعها ، تقول : طبعت الدرهم والسيف إذا صنعتها ، وطبعت الكتاب إذا ختمته ، وكانت اللوك تكتب فى فصوص خواتمها « لا إله إلا الله » و« الملك لله » وتطبع بذلك كتبها ، وهذا المعنى أليق بطبع الأسجاع ، أى يرتبها ويختتمها بجواهر كلامه ، ومن روى « لجواهر » باللام فعلى « يصنعها » لا غير ، والتفسير على الروایتين أخذته عن أبى ذر . والأسجاع الكلام المفقّر له فافية . كقافية الشعر ، وكان من كلام الكهان ، وهذه الموعظة التى فى المقامة من الأسجاع ، وسجعت الحمامة ، إذا غنّت على طريقة واحدة . يقرع : يضرب . الأسماع : الأذان . زواجر : نواهٍ ، وزجره : نهاه وانتهره . أحاطت : حَلَّت : أخلاط : أصناف مختلطون . الرَّمَر : الجماعات . الهالة : الدارة حول القمر من نوره ، والطفافة : الدارة حول الشمس ، والساهور : هو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما نقص منه . الأكام : جمع كَم ، وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به . وسمى كَمًا لأنه يستر ما تحته ، والأكام : جمع قائل ، والكثير كام . والثمر حمل الأشجار . دلقت : قربت ، ودلف الشيخ فى مشيئته ، إذا أسرع من ضعف فقار بخطوه . اقتبس من فوائده :

التمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجوهر .  
 خبّ في مجاله : أخذ في كلامه ، والخبّ عدو سهل ، وهو الذي تسميه العامة السير ،  
 وفسر مسيار . والمجال للخيل : موضع تصرفها وجريها . هدرت : صوتت .  
 شقاشق : جمع شقشقة ، وهي النفاخة يخرجها فحلّ الإبل من حلقة عند هياجه ورغائه ،  
 ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويترجم به الناس بصوت البعير  
 يهيج ويتابع الهدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرَتْ شِقَاشِقُهُ وَنَشِبَتْ لَهُ الْأُظُنَارُ تُرْكٌ لَهُ الْهُدَارُ<sup>(١)</sup>  
 أراد: نَشِبَتْ وَتُرْكٌ ، فَخَفَّفَ .

\* \* \*

أَيْهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَانِهِ ، السَّادِلُ مَوْبَ خَيْلَانِهِ ، الْجَامِحُ  
 فِي جَهْلَاتِهِ ، الْجَانِحُ إِلَى خَزَعْبَلَاتِهِ . . . إِيَّامَ تَسْتَعْرِ عَلَى غَيْكَ ،  
 وَتَسْتَمْرِي مَرْعَى بَنِيكَ ! وَحَتَّامَ تَنْتَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهِي  
 عَن لَهْوِكَ !

° ° °

السَّادِرُ : الرَّاكِبُ هَوَاهُ ، لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ اسْتِطَالَةً وَبَغْيًا ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَطِيلُ  
 الْجُلُوسَ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ بَصْرُهُ : قَدْ سَدَّرَ فَهُوَ سَادِرٌ . فِي غُلَوَانِهِ : فِي ارْتِفَاعِهِ  
 لِلشَّرِّ وَجَلَّاجِهِ فِيهِ ، وَهُوَ مِنْ غَلَا يَغْلُو فِي الْأَمْرِ ، إِذَا جَازَ الْحَدَّ ؛ فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى  
 الْكَثِيرُ اللَّجَّاجُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي ؛ هَلَّا نَظَرْتَ بَعِينَ الْبَصِيرَةَ ، وَرَجَعْتَ عَمَّا أَنْتَ  
 عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ! السَّادِلُ : الْمَرْخِيُّ ؛ خَيْلَانُهُ : كِبْرُهُ . الْجَامِحُ : الْجَارِي إِلَى غَيْرِ

(١) ملحق ديوانه ٣٥٨ مما نقله عن الشريشني .

غاية ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه في غير طريق . الجاحح : المائل . الخربلات : الأباطيل ، وهو ما يتراءى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غيك : ضلالك . تستمرى : تستطيب من المرى ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بنيك : ظلمك . تنهاى : تبلغ النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك . اللهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[ نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر ]

وقال القاضي أبو جعفر<sup>(١)</sup> بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :

وَلَا تُنْسَبُ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا أَبُوكَ التُّرْبَ يَخْفِضُكَ انْتِسَابًا  
وَلَا تَصْحَبُ أَحَا كِبَرٍ وَقَدَّمَ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِيَّ وَالصَّحَابَا  
وَلَا تَحِبُّ مَحَابَاةً بِمَسْحٍ كُنِي بِالرُّءُ حُوبًا أَنْ يُجَابِي  
وَحَازِرٌ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسًا وَلَا تَنْسِ الذُّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي<sup>(٢)</sup>  
تَرَابًا كُنْ هُنَا فَعَسَاكَ إِلَّا تَعْنَى أَنْ تَكُونَ عَدَا تَرَابَا  
وقال أبو نواس :

حَدَّرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَفْشَاكَ مَيْسَمُهُ فَإِنَّهُ مَابَسٌ نَارَعَتَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>  
يَابُوسَ جَلِدِ عَلَى جَوْفٍ مُجَوِّفُهُ يَحْوِي مَقَاذِيرَ إِنْ كَلِمَتُهُ تَاهَا<sup>(٣)</sup>  
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا بَيِّنَ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا  
إِنِّي لِأَمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتَ اللَّهِ إِيَّاهَا

(١) ط : « أبو حفص » ، وما أثبتته من أ

(٢) الذنابي : أذنب الناس .

(٣) رواية الديوان ١٩٧ :

يَابُوسَ جَلِدِ عَلَى عَظْمٍ مَحْوَرُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا كَلِمَتُهُ تَاهَا

وقال أبو العتاهية :

عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقبر<sup>(١)</sup>  
 ما بال من أوله نطفةٌ وجيفةٌ آخره يفخر!  
 أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

\*\*\*

تبارزُ بمصديك ، مالك ناصيتك ، وتجترى بفتح  
 سيرتك ، على عالم سيرتك ، وتتوارى عن قريبك ، وأنت بمرأى  
 رقيبك ، وتستخفي من مملوكك ، وما تخفي خافيةً على مليكك .  
 أظنُّ أن سننْفَمُكَ حَالِكٌ إذا أن ارتعَالُكَ ! أو ينقذُكَ مَالُكَ ،  
 حينَ توبُكَ أَعْمَالُكَ ! أو يُعْنِي عَنكَ نَدْمُكَ ، إذا زَلَّتْ قَدَمُكَ !  
 أو يعطفُ عليك معشرك ، يومَ يضمُّك محمرك !

\*\*\*

قوله: «تبارز»، أي تكاشف وتقابل. والبارز: الظاهر المنكشف. والناصية: شعرة مقدم الرأس. تجترى: تقدم وتشجع. والجريء: الشجاع المقدم. سيرتك: عادتك ، وجمعها سير وهي ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول: سرت سيرة من خير أو شر ، إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك ، فصارت عادة لهم ، ولذلك فسرتنا السيرة بالعادة حيث وقعت، وأصل السيرة هيئة عمل السير، وذلك أنك تقول: جلس فلان جاسةً بالفتح ، وهي المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

(١) قوله: «عجبت للإنسان في فخره»

(٢) قوله: «ما بال من أوله نطفة»

(٣) قوله: «أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر»

كسرت الجيم فهي هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هيئة ركوبه، وتقول: سار هذا الفحل سيرة، والسيرة بالكسر: هيئة سيره في الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطأ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: هيئة أفعاله حيث كانت. تتواري: تستتر. بمرأى من رقيبك، أي بمنظر ربك أو بحيث يراك، ورقيب الشيء: حافظه وحارسه. مليكك: مالكك، وأراد أن الإنسان إذا خلا بريية، استتر بها عن أخيه وعبدته حياءً منبهاً، ولا يستحي من ربه الذي يطالع على معاصيه، ولا يخفي عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ...﴾ الآية، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ  
وأنت في غفلةٍ من ذلك تركب ما  
تجاهر الله إقداماً عليه، ومن  
وقال نابغة بنى شيبان:

يرى ويسمع ما يأتي وما تذرُ  
نهالك عنه، ذأين الخوف والحذر!  
حُثالة الناس تستحني وتعتذرُ  
حين يخلو بسرّه غير خالٍ<sup>(١)</sup>  
شاهداه وربّه ذو الجلال!<sup>(٢)</sup>  
وكيف يخلو وعنده كاتباه  
وقال أبو نواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلُ  
ولا تحسبن الله يفتل ساعةً  
لهونا لعمر الله حتى تراكمتم<sup>(٤)</sup>  
خلوتُ، ولكن قل على رقيب<sup>(٣)</sup>  
ولا أن ما يخفي عليه يغيبُ  
ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان : « ذو الهال » .

(٣) ديوانه ٢٠١ .

(٤) رواية الديوان : « لهونا بعمر طال حتى ترادفت » .



حالك : عزتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : انتقالك . تو بقك : تهلكك ، يقال : أوبقته الذنوب ، أهلكته فوبق ، أي هلك ووبق أيضاً .  
وقال أعشى همدان :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَثْرَةٍ إِنْ يَعَاقِبْنِي بِهَا أُبِقِ  
زَلَّتْ : زلقت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذي تحشرك إليه .

\* \* \*

هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ اهْتِدَانِكَ ، وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةَ دَانِكَ ،  
وَفَلَّتْ شِبَاةُ اعْتِدَانِكَ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ  
أَعْدَانِكَ !

أَمَّا الْحَمَامُ مِيَادُكَ فَمَا إِعْدَادُكَ ! وَبِالْأَشْيِبِ إِندَارُكَ ، فَمَا  
أَعْدَارُكَ ، وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ ، فَمَا قِيلُكَ ! وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ  
فَمَنْ نَصِيرُكَ ! طَالَمَا أَهْطَكَ الدَّهْرُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَجَذَبَكَ  
الْوَعْظُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبْرُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَحَصَّصَ  
لَكَ الْحَقُّ فِتْمَارَيْتِ ، وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَأَمَّا كُنْتَ  
أَنْ تُوَاسِيَ فَمَا آسَيْتِ .

\* \* \*

انتهجت : ركبت . والنهج المنهج والنهاج : الطريق الواضح . محجة : طريق ،  
من حَجَّه يُحَجُّهُ ، إِذَا قَصَدَهُ . اهتدائي : استقامتك . معالجة : مداواة . فلتت :  
كسرت . شباة : حد . اعتدائك : جورك وظلمك . قدعت : كفت

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذى إن قتلتته كان لك نوراً ، وإن قتلت دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » . قال الأصمعى : كننا بطريق مكة فى بعض المنازل ، إذ وقفت علينا أعرابية فقالت : أطمعونا نأتما أطمعكم الله ، فناولها بعض التوم شيئاً فقالت له : كسبت الله لك كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار<sup>(١)</sup> واستفتاح كالأ . الحام : الموت ، من حمّ الأمر ، قضى . اليعاد : الموعد . ما إعدادك : ما استعددت له ، والإعداد مصدر أعدّ للأمر إذا هيأ له ما يحتاج إليه من عُدَّة ، يقول : الموت هو الذى وُعدت به أن يأتيك ولا بدّ ، فاستعدّ له من أفعال البر .

وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران :

يا صاح فى الموت لنا حكمةٌ      بالغة لو أننا ننتفع  
فأعمل له قبل مفاجاته      ويحصّد الزارع ما قد زرع  
لا حيلة تُنجيك منه ولا      ذو وزر عنه به يتمنع  
كم أمم أفتناهم قبلنا      وشمل قوم شته فانصدع

ولحبيب :

فقد أيقنت بالموت نفسى لأننى      رأيت المنايا يختر من حياتيا<sup>(٢)</sup>  
فيا ليت أنى بعد موتى ومبعثى      أكون رفاتاً لا على ولا ليا

المشيب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إنذارك : إعلامك ، هو إنذارك : أعلمك مما تحذر وخوفك منه ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ كُمُ النَّذِيرُ ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
وإنظر هذا المعنى فى الحادية والأربعين مستوفى نظاماً ونثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار . . . الظاهر أن هذا استفهام تقريرى — حاشية ط .

(٢) ديوانه ٤٨٤ . (٣) سورة فاطر ٣٧ .

أعذارك: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالغ فيها . قال ابن السبتي وجنس قوائمه :

الشَّيْبُ فِي مَفْرَقٍ حَلَاً وَعَقْدُ عَهْدِ الْمَلِاحِ حَلَاً  
وَكَانَ كَالْأَبْنُسِ رَأْسِي فَاحْتَلَّهُ عَاجُهُ حَلَاً  
وَحَرَمْتُ وَضَلِي الْعَوَانِي وَقُلْنَا قَتْلُ الْعَمِيدِ حَلَاً

الحد : حفرة في جانب القبر ، وليحد الميت وألحده : شق له في جانب القبر .  
وأصل اللفظة الميل . ومقيلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك  
المقول وحجتك الواضحة ، والقول مصدر كالطحن والذبح ، والقيل : اسم للمقول  
كالطحن بالكسر : اسم للدقيق المطحون ، والذبح اسم للمذبح . يعقوب : القال  
والقيل اسمان لا مصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي  
قاله قولاً وقيلاً ، مثل ذكره ذكراً ، والقيل يجوز أن يكون مصدرأ ، فإن سيويوه  
حكي : ذامه ذاماً وعابه عاباً ، إلا أنه لم ينص على القال . مصيرك : رجوعك . نصير :  
معدول عن ناصر للمبالغة . تناعست ، أي أظهرت أنك ناعس . جذبك :  
قادك بعنف ، ويقال : جذب ، وجبذوهي أقل من الأولى ، وصحفت العامة هذه الثانية  
وقالوا : «جبد» بدال غير منقوطة . تناعست : تأخرت وتصبعت وتشبهت بالأعس ؛  
وهو الذي دخل ظهره وخرج صدره ، أي قادك الوعظ إلى الخير فلم تنقده له ،  
والعرب تقول : عزة قعساء كأنها تنقس عن الذلة . تجأت : ظهرت . والعبر :  
ما يُتخوف ويُنَّعظ به عند رؤيته . حصحص : تبين ، من الحَصَّ وهو ذهاب الشعر  
فيقين ما تحته ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل  
هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من جنس الحرف السابق ، ومثله  
حششت ورفرت ، أصلها حششت ورفرت ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لغتان تقاربتا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في الخروج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ماريت : شككت : توأسى : تعطى .

\* \* \*

تَوَثَّرُ فَلَاسًا تَوْعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعِيهِ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ،  
عَلَى بَرٍّ تُولِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،  
وَأُغْلَبُ حُبَّ نَوَابٍ تَشْتَهِيهِ ، عَلَى نَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .  
يُوَاقِفُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِفِ الصَّلَاةِ ، وَمُعَالَاةِ  
الصَّدَقَاتِ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مَوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِحَافُ الْأُلُوَانِ ،  
أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَذْيَانِ ، وَدُقَابَةُ الْأَقْرَانِ ، آسُ لَكَ  
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

\* \* \*

تَوَثَّرُ : تَفَضَّلَ . تَوْعِيهِ : تَجْعَلُهُ فِي وَعَاءٍ . بَرٌّ : إِحْسَانٌ . تُولِيهِ : تَعْطِيهِ  
وَتَلَصِّقُهُ بِمَنْ تَبْرَهُ . هَادٍ : مَرشِدٌ لَطَرِيقِ الْخَيْرِ . تَرْغَبُ عَنْهُ ، أَى تَتْرَكُهُ .  
تَسْتَهْدِيهِ ، أَى تَسْتَرْشِدُهُ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَتَسْتَهْدِيهِ الثَّانِيَةَ : تَطْلُبُ  
أَنْ يَهْدِيَ لَكَ هَدِيَّةً . يَقُولُ : تَتْرَكُ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، فَلَا تَسْأَلُهُ  
الْهَدَايَةَ ، وَتَقْصِدُ أَعْرَاضَ الدُّنْيَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَتَرْغَبُ أَنْ تَعْطَى مِنْهَا  
هَدِيَّةً ، قَالَ الزَّاهِدُ ابْنُ عِمْرَانَ :

تَوْقٌ وَحَازِرٌ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ	وَإِنْ جَاءَكَ فِيهَا الْحَدِيثُ الْمَرْغَبُ
فَقَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الرَّسُولِ حَوَادِثُ	تَحَدَّرْنَا مِنْهَا ، وَعَنْهَا تَرْغَبُ
وَكَانَتْ هَدِيَّاتُ الْأَوَائِلِ قَبْلَنَا	تَوَلَّفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَحْجَبُ
فَعَادَتْ بِلَايَا يُسْرِعُ الْمُنُّ نَحْوَهَا	تَهْرَقُ فِيمَا بَيْنَنَا وَتَحْجَبُ

وله في مثله :

احذَرْ هَدَايَا النَّاسِ تَأْمِنَ الْمَنَّ بِهَا أَوْ قَوْلَ وَأَشِي يَتَشَى  
فَقَلَّ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قَدْ حُشِيَ  
التَّبَسُّ الْأَمْرَ فَلَا تَقْدَمَنَّ وَأَخْشَ مَقَامَ اللَّهِ فَيَمُنَّ خَشِي  
كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشَاً وَفِي الرَّشَا الْهَلْكَ لِمَنْ يَرْتَشِي  
حَذَرْنَا مِنْهَا نَبِيَّ الْهُدَى إِذْ لَعَنَ الرَّأْشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ

الثواب : المكافأة على الفعل ، وأراد به ما يجازى الله به عباده على إحسانه  
من الأجر ، وهو من تاب يثوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،  
وهو المكافأة على فعله . قوله « يواقيت » : أى جواهر . الصَّلَات : العطايا .  
أعلق : ألقى . موافيت : أوقات ، وهى جمع ميفات .

\* \* \*

[ من لطائف التجنيس ]

ومما يستحسن من تجنيس الصَّلَات والصَّلَاة ، حكاية أحمد بن المدبر - وكان  
إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لعلامه : امض به إلى المسجد فلا تفارقه حتى  
يصلى مائة ركعة ، ثم خله ، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين - فجاء الحسين بن  
عبدالرحمن البصرى المعروف بالجل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟  
قال : نعم ، وأنشد :

أرذنا في أبي حسن مديحاً كما بلدح ننتجع الأولة  
قتلنا أكرم الثقلين طراً ومن كفاه دجلة والفرات  
قالوا يقبل المدحات لكن جوائز على المدح الصلوة  
قلت لهم : وما تعني صلاتي عيالى ، إننا تعني الزكاة !

فَأَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَمْتَنِي الْمَمُومَ الشَّاعِلَاتِ  
 فَيَأْمُرُ لِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تَنْشَطَّنِي الصَّلَاتِ  
 فَيُصَلِّحُ لِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيُصَلِّحُ لِي عَلَى هَذِي الْمَاتِ

فضحك واستظرفه، وأمر له بمائة دينار، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال:-  
 من قول أبي تمام:

هِنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِبِينَ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

قوله: «مغلاة الصدقات»، أي الزيادة في المهور، وغاليت: زدت في ثمن  
 السلعة ووردتها غالية، والصدقات واحدها صدقة وهي الصدق، قال النبي صلى الله  
 عليه وسلم: «من يُمن المرأة تيسر صداقها وخطبتها»، قال عروة: وأنا أقول:  
 من أول شوأمها ن يكثر صداقها. آثر: أفضل وأكثر أثرًا. موالاة: متابعة.  
 صحائف: جمع صحيفة، وهي الورقة يكتب فيها من الرقّ والقرطاس. دُعابة: مزاح،  
 وفي فلان دُعابة، وتداعب الرّجلان: تمارحاً، وفي الحديث: «كانت فيه صلى الله عليه  
 وسلم دُعابة»، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «هَلَّا بَكَرًا تَدَاعَبَهَا وَتَدَاعَبَكَ!».  
 الأقران: الأصحاب والأمثال. تلاوة: قراءة، وتلوته: قرأته، واختلفوا في  
 اشتقاق القرآن، فقال أبو عبيدة: سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها، قال الله تعالى:  
 ﴿إِذَا قرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قرَأْنَهُ﴾<sup>(٢)</sup> أي إذا جمعنا لك شيئاً فضمه وامل به، وقال قطرب:  
 سُمِّيَ قرآنًا لأن القارئ يُظهره ويبيّنه ويلقيه من فيه، من قول العرب: ما قرأت  
 الناقة سلاقطاً، أي مارمت به. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن القلوب لتصدأ  
 كما يصدأ الحديد»، قالوا: يا رسول الله. ما جلاؤها؟ قال: «قراءة القرآن».

(١) دهرانه ٢٧٩ .

(٢) سورة القيامة ١٨ .

(٢) نقله في النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٨

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِمَاهُ ، وَتَحْجِي عَنِ النُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ،  
وَتُزْحِزِحُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَنْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ  
تَخْشَاهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا      نَنَى إِلَيْهَا انصِيَابَهُ  
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا      بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ  
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ      مِمَّا يَرُومُ صَبَابَهُ

\* \* \*

العرف ، أى المعروف . تنتهك : تتباعد . حماه : حماه .  
ماحى منه ، ومنع ، وأصل الحَمْى موضع العشب يحميه الرجل لإبله . وانهاكه :  
استئصال عشب بالرعى ، ونهكت الجلد وانتهكته ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف .  
النُّكْر : المنكر . تتحاماه : تتباعد عنه . تُزْحِزِحُ عَنِ الظُّلْمِ : تُنَجِّى عَنْهُ غَيْرُكَ  
وتزيهه . وتنشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،  
وهو أحسن شعرٍ قاله :

يَارَبِّ قَدْ أُسْرِفَتْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ      عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي  
يَا مَخْرَجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ      وَفَارَجَ الْكَرْبِ زُحْزِحِي عَنِ النَّارِ (٢)  
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ  
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١) .

قوله : « تَبًّا » ، أى خسراناً وهلاكاً ، وتبتت يده : خسرت . قال تعالى :  
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابٍ ﴾ (٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه ص ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود ص ١٠١ .

(٥ - شرح مقامات الحريري ١)

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ أَلَا تَبَا لِمَا عَمَلُوا تَبَابًا! (١)

ثَبِي : عطف وردّ . انصبابه : جريه - يستنق : يستريح ، وأفاق من المرض : استراح . غراماً : شدة حبّ لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغريم لملازمته التقاضى وإلحاحه فيه ؛ قال تعالى : ﴿ إِنِّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٢) أَي مُلِحًّا دَائِمًا ، ومنه ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ (٣) ، وفلان مغرم بالنساء : يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم :  
فَأَأْكُلُهُ إِن نَلْتَهَا بَغْنِيمَةً وَلَا جُوعَةٌ إِن جَعْتَهَا بَغْرَامَ  
أَي بهلاك وملازمة .

فوط صباية : شدة شوق ومجاوزة حدّ في ذلك . يروم : يطلب . صباية . بقية الماء .

\*\*\*

[ نبذ من الأشعار في ذم الدنيا ]

وهذا الشعر مستحسن التوافق ، ومثله في ذلك قول الزاهد ابن عمران (٤) ،  
وكثيراً ما كان يستمدّ في شعره من أدب المقامات :

تَبَا لِذِي جَهْلٍ دَعَا لِمَبْرَةٍ وَأَجْبَتْهُ بِرًّا بِهِ فَأَذَاعَهَا  
مَنَّا وَقَدْ كَأَفَاتُهُ بِهَيَاتِهِ وَذَخَرُهَا عِنْدِي لَهُ ، فَأَضَاعَهَا  
فَأَقْلُ اللَّثَامِ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبُ مَهْمَا دَعَاكَ وَجَنَّبْتَ أَوْ ضَاعَهَا

وقال آخر :

(١) لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة النخعي راوية الراعي ، وقبله :

أَتَانِي عَنْ عَرَادَةٍ قَوْلٌ سَوْءٌ فَلَا وَأَبَى عَرَادَةٌ مَا أَصَابَا

(٢) سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) هو أبو عمران موسى بن عمران المارتنلي الإشبيلي ، ذكره ابن سعيد في المغرب

١ : ٤٠٦ ، وأورد بعض شعره .



يامن يَضِيعُ مُعْمَرُهُ  
واعلم بأنك لا محَا  
متادياً في اللّهُوِ أُمْسِكُ  
لَهْ ذَاهِبٌ كذَاهِبِ أُمْسِكُ  
والمصور الفقيه في الشعر المردف (١) :

إِذَا كُنْتَ تَزَعُمُ أَنَّ الْفِرَاقَ  
وَأَنَّ الْمَقْدَمَ مَا لَا يَفُوتُ  
فِرَاقُ الْحَيَاةِ قَرِيبٌ قَرِيبٌ  
عَلَى مَا يَفُوتُ مَصِيبٌ مَصِيبٌ  
وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ لَا تَرَعَوِي  
فَأَمْرُكَ عِنْدِي عَجِيبٌ عَجِيبٌ  
وقال القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا :

بَارَا كِضًّا فِي طَلَابِ دُنْيَا  
لَمْ تُخَشِ نَارٌ هَوَى لَطَاهَا  
لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انْتِعَاشُ  
بِمَنْ لَهُ نَمُوهَا انْحِيَاشُ  
أَعْذِرُ مِنْكَ الْفِرَاشَ حَالًا  
عَلِمْتُ مَا يَجْهَلُ الْفِرَاشُ  
نَطْلِبُهَا لَا تَنَامُ عَيْنُ  
عِنَهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جَاشُ  
مَنْ لَكَ بِالرَّيِّ مِنْ شَرَابِ  
يَشْتَدُّ مِنْ شَرْبِهِ الْعَطَاشُ  
دَعَهَا فَطَلَّابُهَا رِعَاعُ  
طَاشَتْ بِالْبَابِهِمْ فَطَاشُوا  
لَمْ يَرِدُوهَا فَهَمَّ رِوَاءُ  
وَوَارِدُوهَا هُمُ الْعَطَاشُ  
فَظَلَمًا لَتَرَوِي ، وَكُنْ كَقَوْمِ  
سَقُوا بِهَا غَبِيَّةً فَعَاشُوا (٢)  
كَأَنَّ آمَالَنَا ظَبَاءُ  
وَنَحْنُ مِنْ حَيْرَةٍ خِدَاشُ  
إِنْ لَأَمَانَا انْبِسَاطًا  
بِهِ لِأَعْمَارِنَا انْكَشَاشُ  
كَأَنَّ آجَالَنَا صَقُورٌ  
وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشُ

ولابن الرومي رحمه الله :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بُدَارٌ إِقَامَةٌ  
إِذَا زَالَ عَنِ عَيْنِ اللَّيْبِ غَطَاؤُهَا

(١) الردف في الشعر: حرف ما كن في حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ، ليس بينهما شيء ، فإن كان الهمزة لم يجز معها غيرها ، وإن كان واوًا جازمه الياء . وانظر اللسان .  
(٢) ب : « ماتوا بها غفة فعاشوا » .

فكيف بقاء النَّاس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاؤها!  
وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيشٍ يسره      فسوف لعمري عن قريب يلومها  
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً      وإن أقبلت كانت كثيراً همومها  
ولا بن سارة رحمه الله تعالى :

بُنُو الدُّنْيَا بِجَهْلِ عَظْمُوهَا      فَجَلَّتْ عَنْهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ<sup>(١)</sup>  
يُهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا      مَهَارِشَةُ الْكِلَابِ عَلَى الْعَقِيرَةِ

\* \* \*

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ ، وَغَيَّضَ مُجَاجَتَهُ ، وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ . وَتَأَبَّطَ  
هَرَاوَتَهُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْجُمَاعَةَ إِلَى تَحْفُزِهِ ، وَرَأَتْ نَاهِبَهُ لِمَزَايِلَةِ مَرْكَزِهِ ،  
أَدْخَلَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَأَفْعَمَ لَهُ سَجَلًا مِنْ سَيْبِهِ ، وَقَالَ :  
اصْرِفْ هَذَا فِي تَفَقَّتِكَ ، أَوْ فَرَّقَهُ عَلَى رُفَقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُفْضِيًا ،  
وَأَنْتَنَى عَنْهُمْ مُشْنِيًا ، وَجَعَلَ يُوَدِّعُ مَنْ يُشِيئُهُ ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهِيئُهُ ،  
وَيَسْرِبُ مَنْ يَنْبَهُهُ ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبُهُ .

\* \* \*

قوله : « ثم إنه لبَّد عجاجته » ، أى سكن غبْرته المرتفعة حتى لصقت بالأرض .  
غَيَّضَ : جفف . الْمُجَاجَاةُ : ما يُبْقَى مِنْ فِيهِ . وقد مجَّ الرجل ريقه ، إذا سال من  
حق أو كبر . وأراد بلبَّد عجاجته ، قطع كلامه الذى كان قد استرسل ، وأخذه  
من قول سليمان بن عبد الملك ، وقد تكلم وفد بين يديه ، فلم يصنعوا شيئاً ،

(١) قلائد العقيان ٣٠١ .

وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لتبت عجابا .

وأراد بـ « قَيْضٌ مُجَاجِنَةٌ » ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء .  
 اعْتَصَدَهَا : جعلها تحت عَصُدِهِ . والشكوة : ركوة الماء تُصْنَعُ من جلد الثور أو الخروف . وتأبَّطها : جعلها تحت إبطه . هراوته : عصاه . رنت : نظرت . تحفزه : تهيوه وعجلته للانصراف ، وتحفزه وانحفزه ، إذا كان جالسا على عقبه متهيا للقيام . تأهبه : استعداده . مزايله : مفارقه . مركزه : موضعه الذي قام به . أفعم : ملأ ، ونعمت الشيء فعمأ : ملأته . سجلا : دلوا . سيبه : عطاؤه ، معناه وهب له نصيباً من عطاؤه . رفقتك : أصحابك . مفضيا : مستحيا ، وأصل « أغضى » كفت بصره وضم جفنيه . اثنى : رجع وانعطف عن طريقه . مهيه : طريقه البين . يسرب : يفرق ، فكأنه « تفعل » من السرب وهو الطريق ، كأنه يردم عن تشييعه في طرق مختلفة ، أو يكون من لفظ السرب ، وهو الجحر ، فكأنه يعيقهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم ، أو يكون من لفظ السارب وهو الذهاب في الأرض ، وقد سرب سروباً ، فكأنه يذهبهم في كل ناحية ليجهل مكانه . مربعه : منزله في الربيع خاصة . والمربع : المنزل في كل وقت ؛ من ربت بالمكان ، أقت به .

\*\*\*

قال الحارث بن همام : فاتبعته موارياً عنه عياني ، وفقوت  
 إثره من حيث لا يراني ؛ حتى انتهى إلى مغارة ، فأنساب فيها  
 على غزارة ، فأمهلته ريثما خلعت ثعلبيه ، وغسل رجلتيه ، ثم هجمت  
 ثعلبي ، فوجدته محاذياً لتلميذ ، على خبز سميد ، وجردي حنيد ،

وَقُبَالَهُمْ مَا خَائِبَةٌ نَبِيدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، أَيْكُونُ ذَاكَ خَبْرَكَ،  
وَهَذَا مَخْبَرَكَ!

\*\*\*

مواريًا : سائرًا . عياني : شخصي ، أى تبعته مستخفياً بحيث لا يرانى .  
قفوته : اتبعته من جهة قفاه . انساب: دخل ، وأصلُ الانسياب ، جَرَى الحَيَّة على  
وجه الأرض ، أو جَرَى الماء كذلك ، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،  
لا يقال : انساب فى الجُحر ؛ حدثنى به بعض مَنْ لقيت من أصحابنا ، وكان  
أضبط الناس للسان العرب ، قال : وقول الحريري : «انساب فيها» وهم منه ، ولو قال :  
«انشام فيها» لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضع فى غمده . غرارة : غفلة .  
رَيْث : قدر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحر ، وهجمت  
عينه : دخلت فى رأسه . محاذياً : ملاصقاً أو جالساً بجذائه . تليذ : متعلم الصنعة .  
حَنِيد : مشوي ، وحنذ اللحم حنذاً : شواه بججارة محمّاة . نبيد ، أراد به  
خمرًا . خبرك ، أراد به أمرك الذى أنت عليه . مخبرك ، أى باطنك وما يختبر  
منك .

[ أبو نواس فى مجالس الوعظ ]

ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أى نواس حين رُئى فى مجلس منصور  
ابن عمار يبكى ، فظنّ الناس أنه قد نَسَكَ ، فجعلوا يهشونهُ ، ويقولون : نرجو لك  
من الله الخير ، فقال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن  
أبكى لبقاء ذلك الغزال - و غلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور - ثم قال :  
لم أبك فى مجلس منصورٍ شوقاً إلى الجنة والحورِ

لكن بكأني لبكا شادنٍ      تقيه نفسي كلَّ محذورٍ  
تنسب الألسن في وصفه      إلى مدى عجزٍ وتقصيرٍ

وحضراً أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : لعل الله قد أقبل بك ! فقال :  
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خيامي والمعاصي      ودعا ذكر القصاصِ  
واسقياني الخمر صرفاً      في أباريق الرصاصِ  
وعلى وجه غزالٍ      طائعٍ ليس بعاصي  
بين فتیانِ كرامٍ      قد تواصلوا بالمعاصي  
وعلى الله - وإن أف -      سرطت في الذنب خلاصي

\* \* \*

ففر زفرة القنيط ، وكاد يتهيز من القنيط ؛ ولم يزل يحمق  
إلى ، حتى خفت أن يسطو علي . فلما أن خبت نارهُ ، وتوارى  
أوارهُ ، أنشد :

لبستُ الخبيصةَ أبنِي الخبيصةِ  
وأنشبتُ شعبي في كلِّ شبيصةِ  
وصيرتُ وعظيَ أحبَّ ولةِ  
أريغُ القنيصَ بها والقنيصه  
وألجأني الدهرُ حتى ولجـ  
تُبلطف احتيالي على الأيت عيصه

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ  
وَلَا نَبَضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَتَهُ  
وَلَا شَرَعْتُ بِي عَلَى مَوْرِدِ  
يُدْنَسُ عَرْضِي نَفْسُ حَرِيصَتِهِ  
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ  
لَمَا مَلَكَ الحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيسَتِهِ

\* \* \*

قوله: « فزفر زفرة القيط »، الزفرة: تنفس المهموم أو المعتاض، والقيظ: شدة الحر، شبه ما أبداه من شدة القيط بوهج الحر. يتميز: يتقطع ويتفرق. يحملق: يحد النظر، والحلقة: نظر النضبان، والحلاق: باطن الجفن. يسطو: يصل ويبتناولني بالمكروه، يقال: سطا عليه وبه، يسطو سَطْوًا وسطوة، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أواره: لهبه ونار غيظه. والأوار: وهج النار. الخميصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخميصة: كساء مربع أسودله علمان. الخبيصة: نوع من الحلواء، وتسميه عامتنا الخبيز، بالزاي، وكبني به عن لذة العيش. الشص: حديدة معوجة يصاد بها الحوت، وتسمى الصنارة. شيصة: ثمرة رديئة؛ ومن ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه: إنما الناس مثل التمر، فيهم الشيص والبرني، يارب اجعلنا برنيًا ولا تجعلنا شيصًا. وقال قاص آخر: إن في الجنة لحم جدى ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحترق شيئًا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريغ: أطلب ملبصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أى عدل عنه ورجع، وهو يخفى رجوعه. قلل الفراء: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفياً

لرجوعه، قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أى رجع إليهم يضر بهم مخفياً لرجوعه، ومعنى «بالمين» أى يمينه الذى حلف فى قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِمْ كَيْدًا مِّنْ أَسْفَلَ مَعَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أو يريد بالمين القوة، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ﴾<sup>(٣)</sup>، أى رجع إليهم فى إخفاء منه لرجوعه . القنيص والقنيسة : الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش ، وهذا مثل ، وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل . الأجانى : أحوجنى . ولجت : دخلت . لطف : رقة وتلطف . عيصه : بيته ، وأصله الشجر الملتف . والليث : الأسد . أهب : أخف . صرفه : تقبّبه . نبضت : تحركت . فريضة : بضعة فى آخر الكتف تتحرك عند النزاع . شرعت : دخلت . وعلى : بمعنى « فى » نحو قولك : كان ذلك على عهد فلان ، أى فى عهده . مورد موضع الماء . يدنس : يوسخ ويعيب . عرضى : ذكرى . نفس حريضة : كثيرة الرغبة والطعم . القنيسة : الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها .

وقال بعضهم :

غَضِي عِيونَكَ يَا عِيونَ النَّرْجِسِ	مِنْكَ اسْتَحْيَيْتُ بَأْنَ أُقْبِلَ مَوْسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَانُهُ	وَعِيونَكَ شَوَاخِصٌ لَمْ تَنْعَسِ
فَأَجَابَنِي تَفْلَاحٌ صَفْحَةً خَدِهِ	بِفَصَاحَةٍ مِنْ أَلْسِنٍ لَمْ تُخْرَسِ
قَبْلُ حَبِيبِكَ مَا اسْتَهَيْتَ فَإِنْ مِنْ	عَادَاتِنَا كَبْتَانِ سِرِّ الْجِمَاسِ
يَارَبِّ إِنْ قَدَّرْتَهُ لِمُقْبَلٍ	غَيْرِي فَلِلْمَسْوَاكِ أَوْ لِلْأَكْوَسِ
وَلَنْ قَضَيْتَ لَنَا بِصُحْبَةِ ثَالِثٍ	يَارَبِّ فَلْتَكُ شَمْعَةٌ فِي الْجِمَاسِ

ومن أحسن ما قيل فى الدهر ، قول تميم بن المعز :

(١) سورة الصافات ٩٣

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٣) سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أقساک من متلون  
 أتروح للنسک الجہول مہدًا  
 وإذا صفوت کدرت شیمہ باخلٍ  
 لا أرتضیک وإن کرمت لأنی  
 زمنٌ إذا أعطی استردَّ عطاءه  
 ما قام خیرک یا زمان بشرہ  
 فی حالتیک وما أقلک مُنصفًا<sup>(١)</sup>  
 وعلى اللیب الحر سیفًا مرهفًا!<sup>(٢)</sup>  
 وإذا وفیت نقضت أسباب الوفا  
 أدری بأنک لا تدوم علی الصفا  
 وإذا استقام بدا له فتحرفا  
 أولى بنا ما قلَّ منک وما کفی

إدریس بن الیمان<sup>(٣)</sup> :

ماذا أقول لدنيا لو ظنرتُ بها  
 شجًا من أقذية الأيام برح بي  
 أدبها غضبًا للعلم والأدب  
 بل بالعوالى وبالهنديّة القضب

\*\*\*

ثم قال لي : اذن فكل ، وإن شئت فقم وقل .  
 فالتفتُ إلى تلميذه وقلتُ : عزمْتُ عليكِ بمن تستدفعُ به  
 الأذى ، لتخبرني من ذا؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، سراجُ  
 العرباء ، وتاجُ الأدباء .

فانصرفتُ من حيث أنبتُ ، وقضيتُ العجبَ مما رأيتُ !

\*\*\*

قوله : « اذن » ، أى اقرب . قل ، أى قل ماشئت . التلميذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النسك : الرجل الضعيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدریس بنه اليماني العبدي الأندلسي ، صاحب الأملح الكثيرة

للكوائف ، ذكره صاحب المغرب في ١ : ٤٠٠ .



التلاميذ ، قال لبيد<sup>(١)</sup> :

\* يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَشِينَا \*

أى يجلو التلاميذ لولواً جديداً ، وطابة العلم : تلاميذ شيخهم . الأذى : الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته ، وللأدباء تاج يترزينون به ويضعونه فوق رؤوسهم . انصرفت : رجعت . قضيت العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى مما رأيت . ويقال : قضى نجبه من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قطع عليه ، والقاضى : القاطع للأمور المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى قطعهن وأحكم خلقهن ، ويكون « قضى » بمعنى « عمل » .

(١) ديوانه ٣١ وسدره :

\* فإلما يَجْلُو مَتُونَهُنَّ كَمَا \*

(٢) سورة فصلت ١٢ .

## المقامة الثانية وهي الخلوانية

حكى الحارث بن همام قال : كَلِيفْتُ مُذْ مَيِّطَتْ عَنِّي  
 التَّمَامُ ، وَنَيْطَتْ بِي اَنَعَمَاءُ ، بَأَنْ اَغَشَى مَعَانَ اَلْاَدَبِ ، وَاَنْضِي  
 اِلَيْهِ رِكَابَ الطَّلَبِ ، لِاَعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْاَنَامِ ،  
 وَمُزْنَةً عِنْدَ الْاَوَامِ . وَكُنْتُ لِفِرْطِ الْاَلْهَجِ بِقِتْيَاسِهِ ، وَالطَّمَعِ فِي  
 تَقَمُّصِ لِبَاسِهِ ، اُبَاحِثُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ ، وَاَسْتَسْقِي الْوَبْلَ  
 وَالطَّلَّ ، وَاَتَلَّلُ بِعَيْي وَتَلَّ .

\*\*\*

كَلِيفْتُ ، أى اشتدحني ، والكلف : شدة الحب والمبالغة فيه ، وفلان كَلِيفْتُ  
 بفلان ، أى مبالغ في محبته . وميَّطتْ وأميَّطت : أزيلت . التَّمَامُ : الأحرار .  
 نَيْطَتْ : علقت ، وإذا بلغ الصبي الحلم عند العرب أزلوا الأحرار عن عنقه ، وألبس  
 العمامة والإزار ، وقُدَّ السيف ، فأراد : أحببت مذبلتُ الحلم مجالس الأدياء . أغشى :  
 أقصد وأدخل .

المعان : المنزل . أبو عبيد ، يقال : البصرة معانٌ معنا ، أى منزل منا ،  
 قال المرى :

معانٌ من أحببتنا معانٍ<sup>(١)</sup>

فالأول اسم موضع معلوم جنس به ، وجعله منزل أحبابه . وقال بعضهم :

(١) سقط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبقيةه :

\* تُحِبُّ الصَّاهِلَاتِ بِهِ الْقِيَانُ \*

سُمِّي معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأنّ فيه أعيانا . أنضى : أهزل  
الركاب : الإبل ، وجعل للطلب إبلا مجازا ، وإنما يريد : أتعبت نفسى فرحلت  
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أتعاق بها . الأنام : الخلق .  
مُزنة : سحابة . الأوام : شدة العطش ؛ يريد أنه يتعب نفسه في طلب الأدب ليتزين  
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . فرط اللهج : شدة الحب ، يقال : قد  
لهج بالشئ إذا أكثر الحديث به لحبه فيه ؛ وحرصه عليه . ولهج الفصيل بالرضاع ،  
إذا لج فيه . اقتباسه : اكتسابه . التقمص : لبس التميمص . لباسه : ثيابه ،  
أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحث : أسائل . جلّ : عظم . قلّ :  
حقر . أستسقى الوبل والطلّ ، أى أطلب منه السقى ، والوبل : أشدّ المطر والطلّ :  
أضعفه ، ويقال : الرُّكّ أضعف من الطلّ ، ومنه قيل للدنىء : ركيك . أتعلّل :  
أشغل نفسى وأطعمها . والعلالة : الشئ اليسير . وعسى وعلّ : معناهما الرجاء  
والطمع ؛ يريد أنه يسائل الجليل في العلم والحقير ، ومنّ أكثر علمه وكان كالوبل ،  
أو قلّ وكان كالطلّ ، وإذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطعمها .  
والتعلّل : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تعلّل بشرابه ، إذا أخذ منه قليلا قليلا ؛  
فغنى «أتعلّل بعسى وعلّ» ، أذهب علة وجدي بالرجاء والطمع .

\* \* \*

فَلَمَّا حَلَمْتُ حُلُومَانَ ، وَقَدْ بَلَوْتُ إِخْوَانَ ، وَمَسَبَرْتُ  
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَرْتُ مَاشَانَ وَزَانَ ، أَلْفَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ  
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَائِبِ الْإِنْتِسَابِ ، وَيَخْطِطُ فِي أَسَالِيبِ الْاِكْتِسَابِ ؛  
فَيَدَّعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ ، وَيَعْتَزِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ ،  
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّعْرَاءِ ، ثُمَّ يَلْبَسُ حِينًا كِبْرَ الْكِبْرَاءِ .

\* \* \*

## [ ذكر حلوان ]

حلت : نزلت . وحلوان : بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كُور الجبل ، وسميت باسم بانيتها ، وهو حلوان بن علي بن الحاف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر وافتتحت في زمن عمر .

\* \* \*

بلوت : جرّبت . الإخوان : الأصحاب . سبرت : فتمشت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جرّبت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زين ؛ يريد أنه دخاها وهو مجرّب عارف بالناس . ألفيت : وجدت . يتقّب : يتنوّع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يُصنع عليه . يخبط : يمشى ، والخبط : المشى في الأرض على غير قصد كمشى الأعمى . أساليب : طرق ، واحدها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يعترى : ينتسب . أقيال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شرباً لولد مازن بن الأزدي بن العوث فسُموا به . يبرز : يظهر . طوراً : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب يلي الجسد . كبر : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوّع بذلك في أحوال المكدين ، ويجرى بذلك في طرق اكتساب العيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

## [ شعار الكدية ]

وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فلهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكهم بكتابه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يُمزقوا كل ممزق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية ، فلم يبق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب

ورماية ، فسكن من بقي منهم الأمصار ، واستعربوا وتثقفوا ، فكان منهم من ذم  
الله به المسلمين ، وكان منهم أهلُ أهواءٍ وبدعٍ ، ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة ،  
أهل الكدئية ، فكانوا يطوفون على البلدان ، ويقولون : نحن من بني ساسان ،  
فينتسبون إلى ملوكهم ، ثم يتدللون في السؤال ، ويذكرون تلاعبَ الدهر وانقلاب  
حال الملوك إلى السؤال ، فيقع الإشفاق عليهم ، والميل بالرزق لهم ، حتى شعر الناس  
بمكرهم وخديعتهم ، فطردوا ، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا :  
ساساني . وقيل : إن ساسان اسم رجل معين ، وهو أول من أسس الكدئية ،  
فنسبوا إليه ، كما أن الطنبليّ منسوب إلى رجل اسمه طنبيل وهو أول من تطفل .  
فأراد أن أبا زيد كان يتنوع في أحواله ، فيتمسكن تارة ويدعى أنه من  
ساسان ، ويتعاطم أخرى فينتسب إلى غسان ، ويبرمز مرة في أحلاس الشعراء  
المكدين ، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة ، لباس الكبراء المثرين .

\* \* \*

يَبْدَأُ أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ ، وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ ، يَتَحَلَّى بِرِوَاءِ وَرِوَايَةِ ،  
وَمُدَارَاةٍ وَدِرَايَةِ ، وَبِلَاغَةِ رَائِعَةٍ ، وَبِدِهَةِ مُطَاوِعَةٍ ، وَآدَابِ  
بَارِعَةٍ ، وَقَدَمِ لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةٍ ، فَكَانَ لِمَحَاسِنِ آيَاتِهِ ،  
يُبَلِّسُ عَلَى عِلَالَتِهِ ، وَلِسَعَةِ رِوَايَتِهِ ، يُصَيِّبُ إِلَى رِوَايَتِهِ ، وَلِخَلَابَةِ  
عَارِضَتِهِ ، يُرْغَبُ عَنْ مُعَارِضَتِهِ ، وَلِعُدُوبَةِ إِيْرَادِهِ ، يُسَمَفُ بِجُرَادِهِ ،  
فَتَمَلَّقَتْ بِأَهْدَابِهِ ، لِخِصَائِصِ آدَابِهِ ، وَنَافَسَتْ فِي مُعَافَاتِهِ ،  
لِنَفَائِصِ صِفَاتِهِ .

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُؤَوِّجِي وَأَجْتَلِي  
زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعِ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَمْنَاهُ غَيْبَةً وَرُؤْيِيَهُ رِيًّا ، وَمَخْيَاهُ لِي حَيًّا

\* \* \*

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير . مُحَاله : باطله ، والمُحال ما لا يمكن أن يُتصوَّرَ ، وهو « مفعول » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتحلَّى : يتزين . رواء : نظافة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في صُحْبَتِهِ ، وأصلها المخادعة . دراية ودرية : مصدر دريت . بلاغة : فصاحة . رائعة : معجبة ، ومَنْ شاهدتها ارتاع وتعجَّب . والبديهة والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهى الارتجال . مطاوعة : مُنْقَادَة . بارعة : فائقة تفضلُ غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائفة قد علمتها ، واللام في قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدَّمت أحسنُ منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت . آلاته : عدده ، وأراد به هذه الأنواع التى قدَّمها التى تحلَّى بها . يابس : يصاحب ويخالط . علاته : عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة . سعة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُضَيِّبُ : يمال . خلابة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلابة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقابلاته ومناقضة كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يعترض أحد لجداله ، فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفحش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تُقْرَبُ ناحيته . إيراده : أخذه في الكلام . يسعف : يساعد . أهدابه : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختصُّ به ، أى ينفرد . نائست : زائدت وغاليت . مصائنه : مصاحبته . نئاس : جمع نفيس ، وهو الرفيع من كلِّ شيء يسقى نئاساً ، من النَّفْسِ وهى العين ، حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين ، وقد قال المعرى :  
فالعينُ يسلمُ منها ما رأت فنبتُ عنه وتلحقُ ما تهوى من الصُّورِ (١)  
قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أنظر . طلق الوجه : مستبشرا ، والطلاق

ضدّ العابس . ملتجع : منير بادي الامعان : قربي : نسباً ، ومغناه : منزله ، من قولهم : غني بالمكان يعني غنياً ، إذا أقام به . غنية : غني ، يقال : غني يعني غني فهو غني ، إذا استغنى ، والاسم : الغنية . ريباً : شعباً من الماء ، ورويت من الماء ضدّ عطشت : محياه : حياته . حياً : مطر عام . ويقول : إنه كان بمصاحبته أبا زيد يزول همه ، ويلقاه يبشر منه ، فيرى قربه منه بالودّ كقراءة النسب ، وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه ، وإذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برويته . وقصد تجنيس الألفاظ ببعده المعنى .

\* \* \*

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً ، يُنْشَى لِي كُلِّ يَوْمٍ نَزْهَةً ، وَيَذُرُّ عَن قَلْبِي شُبْهَةً ، إِلَى أَنْ جَدَحْتَ لَهُ يَدُ الْإِمْلَاقِ كَأْسِ الْفِرَاقِ ، وَأَغْرَاهُ عَدَمُ الْعِرَاقِ بِتَطْلِيْقِ الْعِرَاقِ ، وَانْفَظْتُهُ مَعَاوِزُ الْإِرْفَاقِ إِلَى مَفَاوِزِ الْآفَاقِ ، وَنَظَّمَهُ فِي سَيْلِكَ الرَّفَاقِ خُفُوقُ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ ، فَشَحَذَ لِلرَّحْلَةِ غِرَارَ عَزْمَتِهِ ، وَظَمَنَ يَقْتَادُ الْقَلْبَ بِأَزْمَتِهِ .

فَمَا رَاقِي مِنْ لَاقِي بَعْدَ مُبْعِدِهِ

وَلَا شَاقِي مِنْ مَسَاقِي لَوْصَالِهِ

وَلَا لَاحَ لِي مُدَّ نَدِّ لِفَضْلِهِ

وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

° ° °

لبثنا : أقمنا . برهة : مدة . ينشئ : يصنع ويتبدى . والنزهة ، أصلها التّباعد عن الرّيب ، ثمّ كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتفرّج ، ثمّ استعملت في المعاني ، فقيل : نزّه فلان في آدابه ، وكنتي بهذا عمماً يستفيدة من علمه . يذراً : يدفع . شبهة : إشكال والتباس . جدحت : حركت ومزجت . والمجدح : ( ٦ - شرح مقامات الحريري ١ )

آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج . الإملاق: الفقر من الملقّة وهي الصخرة  
الملساء ، فأملق ، كأنه صادف ملقّة لاتنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان  
في ترفهٍ وغنى . أغراه : حرّضه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، فقال صاحب العين : العراق : العظم بلا لحم ، فإن  
كان عليه لحم فهو عرق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عراق ، وللخالي من اللحم عرق .  
أبو عبيد ، العراق : القاعة من اللحم . أبو يزيد ، قول العامة : ثريده العراق  
خطأ ؛ إذ كان العراق العظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه في  
عام جذب :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِسْفَاقِهَا      وَمِنْ طَرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا      حَمْرَاءَ تَبْرَى اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت  
العراق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق العنزيّة<sup>(١)</sup> : فجعلت  
لا آكل العراق ولا أضعه ، فقولها : « لا آكل » يدلّ على أن العراق لحم مفرد  
أو لحم على عظم .

الأصمعي ، قيل لأعرابي : أيّ الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دكّناء من  
الفلفل ، رقطاء من الحمض ، ذات حفايين من البضع ، لها جناحان من العراق ، قيل :  
كيف أكلك لها ؟ قال : أصدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين —  
يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شدّ منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب  
فيها ضرب ولّى السوء في مال اليتيم . فهذا يدلّ على أن العراق قطع اللحم إذ كانت  
العرب لاتصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعراق في البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عراقاً ، أكلت ما عليه  
من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكاتاً .

(١) اللسان : « الغنوية » .



العراق : قال صاحب العين : هو شاطئ البحر ، وبه سُميت العراق ، لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سمي عراقاً لأنه سفل عن نجد ، ودنا من البحر ، أخذ من عراق القرية ، وهو الخرز في أسفلها . قطرب ، سُمي عراقاً لأنه دنا من البحر ، وبه يَنَاح وينجد .

ويقال : استعرت إبلمهم ، إذا أتت ذلك الموضع . لفظته ، أي رمته . ومعاوز : جمع مَعَوَز ، والمعوز هو العوز نفسه ، والمعوز بالكسر : الثوب الخلق وجمعه معاوز . الإرفاق ؛ مصدر أرفقته ، إذا أوصلت إليه نفعاً يَرْتَفِقُ به ، ورقفته بمعناه ، فأراد بمعاوز الإرفاق فقد ما يُرْتَفِقُ به . والمفاوز : جمع مفازة وهي الصحراء ، سُميت مفازة على التفاؤل ، لأن الرجل إذا قطعها فاز ونجا . والآفاق : نواحي الأرض . نظمه : ضمّه وجمعه . سلك : خيط . الرفاق : جمع رُفقة ، وعنى بسلك الرفاق الطريق الذي ينتظمون فيه إذا أخذوا في السير ، لأنهم يمشون فيه واحداً بعد واحد ، فنظمهم الطريق ، وصار لهم كالسلك . خفوق : اضطراب ، وقد خفق خفقاً وخفوقاً ، والإخفاق : الخيبة ، ويقال : غدا فأخفق ، إذا خاب ، ومثله في الصائده : صاد فأروق . شحد : حدّ وسنّ ، وشحد الرجل سيفه ، إذا ألحّ عليه بالتحديد ، ومنه قولهم للملح في المسألة : شحاذ ، والعامّة تصحّفه فتقول : شحات ، بالتاء . غرار : حدّ . وأراد أنه لما عزم على الارتحال حدّ عزمته ، أي عوّل على السفر بحدّ . والعزيمة : مصدر عزم إذا جدّ ، وجعل لها حدّاً ، مبالغة في تعجيل السفر . ظعن : ذهب وارتحل . أزمّة : جمع زمام ، وهو حبل من جلود يشدّ به في حلقة مجموعة في وتد أنف البعير ، فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه ، وحينئذ إليه ؛ كأنه قد ربطها بأزمّة وقادها معه ، فمن روى « القلوب » عادت الهاء من « أزمته » على السروجيّ ، ومن روى « القلب » عادت على القلب أو على السروجيّ ، والقلب لابن همام .

قوله : « راقني » ، أي أعجبنى ، وقد راق الشيء يروق رَوْقاً فهو رائق ، إذا أعجب . لاقني : لصق بي وصحبنى .

شاقى : شوَقى . ساقى لوصاله : دعانى لصحبته . لاح : ظهر . ندَّ : فرّ وشرد .  
 ندَّ : مثل ، والجمع أُنْدَاد . خِلال : جمع خُلَّة بالضم ؛ وهى الصداقة ، خِلاله :  
 جمع خُلَّة بالضم أيضاً ، وهى الخصلة . وهذا النَّمط فى وصف الصديق وغيبته بارع .  
 ولا بن عمران فى ذلك :

يَمْزَجِبًا بِصَدِيقٍ لَسْتُ أَبْصِرُهُ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي أَنْسٌ بِمِرَاةِ  
 وَإِنْ تَعَيَّبَ عَنِّي فَلَمْ أَرَهُ فَلَئِنْ فَوَّادَ بظَهْرِ الغَيْبِ يَرَعَاهُ

\* \* \*

وَاسْتَسْرَّ عَنِّي حِينًا ، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِينًا ، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مَبِينًا .  
 فَلَمَّا أَبْتُ مِنْ غُرْبَتِي ، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي ، حَضَرَتْ دَارَ كِتَابِهَا الَّتِي  
 هِيَ مُنْتَدَى الْمُتَأَدِّبِينَ ، وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَعَرِّبِينَ ، فَدَخَلَ  
 ذُو لِحْيَةٍ كَثَّةٍ ، وَهَيْئَةً رَثَّةٍ ، فَسَلَّمَ عَلَى الْجُلَّاسِ ، وَجَلَسَ فِي  
 أُخْرِيَاتِ النَّاسِ .

° ° °

استسرّ : غاب واختفى ، وأصله من سِرار الهلال فى آخر الشهر ، وهو  
 يستسرّ ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد وماواه . مبيناً : معلماً به  
 يبين لى أين استقرّ . أبت : رجعت . منبت شعبتى ، أى بلدة قرابتى التى نبتوا  
 فيها ، يريد البصرة . والشعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . منتدى : مجتمع .  
 القاطنين : الساكنين ، وقطن بالمكان : أقام فيه . كثة : كثيرة الأصول من  
 غير طول .

[ مما قيل فى اللحية ]

ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر : إنها لكثة ، وقد كشت تكث كثافة  
 وكثوثة ، ورجل كث اللحية ، ولحية كُثْمَةٌ ، إذا كثفت وقصرت وجُمُدت ،

«ورجل كثرهم اللحية . وإذا عظمت وكثر شعرها قيل : إنه لذو عُشْتون ، وإنه  
 لَهَلُوفٌ ، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السَّنُوطُ  
 والشَّنَاطُ ، ورجل سُنَاطٌ : بَيْنَ السَّنَطِ ، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر ، فذلك  
 الشُّطَطُ ورجل نُطٌّ ، ورجال نُطَاطٌ . والسَّبَلَةُ : مَقْدَمُ اللّحْيَةِ ، ورجل مَسِيلٌ ، وفلان  
 خفيف العِذارين ، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ ، وهما العارضان ، وهما  
 ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان ، قال رؤبة في لحية حرب بن قطن :  
 هَلُوفَةٌ كَأَنَّهَا جُوالِقُ نَكَدَاهُ لَا بَارِكُ فِيهَا الْخَالِقُ  
 لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بِنَائِقُ إِذَا الرِّيحُ الْعَصْفُ السَّوَابِقُ  
 طَيْرُنَهَا طَارَتْ لَهَا عَقَائِقُ إِنْ الَّذِي يَحْمِلُهَا لِمَائِقُ  
 وأنشد أبو علي :

وأنت امرؤ قد كثأت لك لحية كأنك منها قاعد في جُوالِقِ  
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من سعادة المرء خفة لحيته» . وكانت عائشة  
 رضي الله عنها تقسم فتقول : « لا والذي زين الرجال باللحي » ، تقول : إنه قَسَمَ  
 للملائكة .

قال الأحدب الصوفي : سمعت مطيار بن أحمد يقول : رأيت النبي  
 صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أشتهى لحية كبيرة ، فقال لي :  
 « لحيتك جيدة ، وأنت محتاج إلى عقل تام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اعتبر واعقل الرجل في ثلاث : في طول لحيته ،  
 ونقش خاتمه ، وكنيته » .

أنى رجل طویل اللحية معاوية فقال له : أمّا اللحية فلا نسأل عنها ،  
 بما نقش خاتمك ؟ فقال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنْ  
 الْعَائِبِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، قال : فما كنيته ؟ فقال أبو الكوكب الدرّمي ، قال : كمل الرجل .

(١) سورة النمل . ٢٠ .

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .  
 وكان عبد الله بن عمر يقيض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .  
 الحسن بن المنثى : إذا رأيت رجلاً له لحية طويلة ، ولم يتخذ لحية بين لحيتين ،  
 كان في عقله شيء .

وكان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون  
 أخبار الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط إلا ونقص من عقله بمقدار  
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قطُّ طويل اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا  
 يردّ على أمير المؤمنين : قد يكون في طول اللحية أيضاً عقل ؛ فبينما هم يتذاكرون في  
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال المأمون :  
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن  
 يكون هذا قاضياً ، فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أضعده  
 إليه ووقف بين يديه ، فسلم فأجاد السلام ، فأجلسه المأمون ، واستنطقه فأحسن النطق ،  
 فقال المأمون : ما اسمك ؟ فقال : علوية ، قال : فما الكنية ؟ قال : أبو حمدويه ،  
 فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : فقيهٌ أجيد الشرع  
 في المسائل ، فقال له : نسألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له  
 المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلها تسلمها المشتري ، وقضى  
 الثمن ، ضرطت ، فخرج من استها بعة ففقت عين رجل ؛ على من تجب دية  
 العين ؟ قال : فنسكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون  
 المشتري ، فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :  
 إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقاً ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على  
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأنشد المأمون يقول :

ما أحدٌ طال له إحييةٌ فزادت اللحيةُ في حليته

إلا وما ينقص من عقله  
وقال آخر :

إذا عظمت للفتى لِحْيَةٌ  
فإنقصان عقل الفتى عندنا  
وأشدد أبو علي :

لا تفخرنَّ بالحِيةِ  
يهوى تفرُّقها الرِّيا  
قد يدرك الشرفَ الفتى  
وقال : الحسيلة العجلة .

وأشدد أبو العباس رحمه الله :  
كل امرئٍ ذى لحية عَثْوَلِيَّةٍ  
وما الفضلُ في طول السِّبَالِ وعرضِهِ  
عَثْوَلِيَّةٌ : كبيرة .

نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد  
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مثنوثة ، فقال :  
أجل ، ولذلك أقول :

لَعَمْرُكَ لو يعطى الأميرُ على اللحي  
إذا لشفتني لحيتي من عصاية  
لأصبحتُ قد أيسرتُ منذ زمان<sup>(١)</sup>  
لهم عنده ألفٌ ولى مائتانِ  
وأخر للحِمْماءِ بيتِ درانِ  
ولولا نوالٌ من يزيد بن مزيدِ  
لصوت في حافاتهما الجلمانِ

(١) الأبيات في اللسان ( حسل ) من محمودة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بمشرة آلاف درهم . والجلمان : المقصّ ، ويسمى الجالم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصرِ وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طولِ داودِ      وأنتي علم في البأسِ والجودِ<sup>(١)</sup>  
 ماشيتُ داودَ فاستضحكتُ من عجبِ      كأنني والذئبيشى بموؤودِ  
 ما طولُ داودَ إلا طولُ لحيتهِ      يظلُّ داودُ فيها غيرَ موجودِ  
 تكنه خصلة منها إذا نفحت      ريح الشمالِ ، وجفّ الماء في العودِ  
 أجدى وأغنى من الخرزِ الصفيقِ ومن      بيض القطائف يوم القترِ والسودِ

وأشدّ إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحيةٍ يحملها مائقٌ      مثل الشراعين إذا شربعا  
 تقوده الريح بها طامعاً      قوداً عنيفاً يتعب الأخذعاً  
 وإن عدا والريح في وجهه      لم ينبعث في مشيه إصبعا  
 لو غاص في اليمّ بها غوصةً      صاد بها حيتانه أجمعا

وأشدّ إفراطاً منه قول الآخر :

يا لحيّة الشّيخ الأزب تميم      أهديت للأقوام عرف الثوم  
 لو أنها دون السماء غمامةً      ضاقت مسالك دعوة المظلوم  
 أو صبّها في الماء ثم سماها      قامت مقام العارض المركوم  
 ولا بن سارة :

ولحيةٍ لست أدري كيف أنعتها      فضول أشعارها أودت بأشعاري  
 كأنها ويمينُ الريح تنشرها      مذبة وقعت في عود بيطان

(١) الكامل للهبرد ٢ : ١٢٨

وقال آخر :

أبصرتُ شيخاً ذاهباً جائياً      ذا لحيةٍ قد كبرتُ في اتساعِ  
عرضاً وطولاً وهو من خلفها      كأنه ناشرُ ثوبٍ يُباعِ  
وقال آخر :

لقد كانتُ مجالسنا فساحاً      فضيقتُها بلحيتيه ربأخ  
مُقلِّبة الأسافل والأعالي      لها في كلِّ زاوية جناحُ  
وقال آخر :

يأتيها الناس خذوا جذركم      قد برزت لحيته مُهنئول  
فطولها الفرسخُ في فرسخِ      وعرضها ميلٌ إلى ميلِ  
لو ضمَّ ما يقطر من دهنها      أسرج منه ألفُ قنديلِ  
ولو سها الحجاجُ عن قصها      لحالطت ما في السراويلِ

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي أنها كتة، وكل صفة يصف بها السروجي في المقامات ، فتلك كانت صفة الحريري . وذكر ابن جهور أن الحريري كان قليل اللحية لا خلقة ، وإنما كان مولعاً بنفها ، كانت يده رحمه الله لا تفارق لحيته . وهذا على كثرته قليل فيما قيل في اللحية .

قوله «رثة» ، أي خلقة بالية . أخريات : أطراف ، وهي جمع أخرى .

\* \* \*

ثم أخذَ يبدى ما في وطابه ، ويمجِبُ الحاضرين بفصلِ خطابه ،  
فقال لمن يليه : ما الكتابُ الذي تنظرُ فيه ؟ فقال : ديوانُ  
أبي عبادة ، المشهود له بالإجادة .

\* \* \*

أتى طاحه رضى الله عنه مجلس قوم ، فجعلوا ينادونه من كلِّ جانب : هاهنا

يا صاحب رسول الله! قال: فجلس في أدنى المجلس، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجلس».

وطابه: زقاق لبنيه، أراد أنه يظهر ما عنده. يعجب: يجعلهم يتمعجون. بفصل خطابه: يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته، وقوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾<sup>(١)</sup> هو قول الخطيب: «أما بعد». يليه: يلصق به.

[ البحتريّ وبعض أخباره وشعره ]

أبي عبادة. قال البكريّ: هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد، من بني بختر بن عتود بن عنين ابن سلامان بن ثعل بن عمرو بن العوث بن جلهمة، وهى طيء. شاعر مقدّم لا يُعدّل به أحد، يفضّل على حبيب، والناس في تفضيلهما على اختلاف.

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: كان البحتريّ شاعراً فصيحاً، حسن المذهب نقيّ الكلام، ختم به الشعراء المحدثون، وله تصرف في ضروب الشعر، سوى الهجاء، وإن بضاعته فيه نزرّة.

قال البحتريّ: وكان أول أمرى أنى سرت إلى أبي عامر بحمص، فمرضت عليه شعريّ - والشعراء يعرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل علىّ، فقال لي حين تفرّقوا: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلة، فكتب إلى أهل معرفة النعمان، وشهد لي بالحدق في الشعر، وشفع لي إليهم، وقال: امتدحهم. فسرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته<sup>(٢)</sup>.

وحدث أبو الفرج، قال: حدثني أبو العوث البحتريّ، عن أبيه، قال: أوّل

(١) سورة ص ٢٠.

(٢) الأغاني ١٨: ١٦٧، ١٦٩.



أمرى أنى دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، فأنشدته قصيدة أولها :

\* أأفاق صب من هوى فأفياً \*

فسرّ أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يافى وأجدت - وفي مجاسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على ، ثم قال : أما تستحى منى ! هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحقاً ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة ، حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت متحيراً ، فقال لى أبو سعيد : يافى ، قد كان لك فى قرابتك منى ما يفنيك عن هذا ! فجمعت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لى ، ماسمعه منه ، ولا انتحنته . فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أن يساخ بى فى الأرض ، فعمت منكسف<sup>(١)</sup> البال ، أجزّ رجلى ، فما بلغت باب الدار حتى ردّنى الغلام ، فأقبل على الرجل وقال : الشعر لك يافى ، والله ماقلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكننى كنت ظننت أنك تهاونت بموضعى ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتى ، تريد مضاهاتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك ، ولوددت ألا تلد طائية إلا مثلك ، ودعانى وضمّنى إليه ، وعانقنى ، وأبو سعيد يضحك ، فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت فنه<sup>(٢)</sup> .

وعن أبى الفوش عن أبيه قال : قال لى أبو تمام : بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالاً جليلاً ، فبم مدحتهم ؟ فأنشدنى شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لى : كم أعطوك ؟ قلت : كذا ، فقال لى : ظهوك ، والله ماوفوك حقك ، فلم استكثرت ما أعطوك ! والله لبيت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكثرت ذلك لك مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت المكارم ، وكسدت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٦

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أمير الشعراء غداً بعدى ، فقامت فقَبَلت رأسه ويديه  
ورجليه ، وقلت : والله لهذا التول أسرُّ لي مما وصل إلى منهم .

قال البحرى : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فأنشدني  
بيت أوس :

وإن مُهْرَمٌ مَنَّا ذَرَّاحِدُنَابِهِ تَمَخَّطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مُهْرَمٍ (١)

ثم قال : يابني ، نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي : فقلت : أعيذك بالله من هذا ! فقال لي :  
إن عمرى ليس يطول ، وقد نشأ مثلك لطياً ، أما علمت أن خالد بن صفوان  
المنقرى رأى شبيب بن شبة ، وهو من رهطه يتكلم ، فقال . يابني ، نعى نفسى  
إلى إحسانك في كلامك ؛ لأننا أهل بيت ، مانشأ فينا قط خطيب إلامات من قبله .  
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحرى سنة ثلاث  
وثمانين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة التي جرت بيني وبين أبي النفتح في  
تأويلات ، (٢) فبعث إلى عامله بالبصرة أن يحملني إليه مكرهاً ، فوردت سر من  
رأى ، فأدخلت على المتوكل ، وفي المجلس البحرى وأبو العنبر الصيمرى ،  
فأنشده البحرى قصيدة أولها :

عن أَى ثَغْرِ تَبَسَّمْ وَبَأَى طَرْفِ تَحْتَكِمِ (٣)  
حَسَنٌ يَصْنُ بِحُسْنِهِ وَالْحَسَنُ أَشْبَهُ بِالكَرَمِ

حتى بلغ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ

(١) وذرا حد نابه : انكسر ؛ كذا فسره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت .

(٢) ج : « تأويلاته » ومى ساقطة من السعدوى وإنباه الرواة .

(٣) ديوانه ١٩٩٨ .

المرتضى ابن المجتبى والمنعم ابن المنتقم  
 أمّا الرعيّة فهي من أمناتِ عدلِكَ في حرم  
 يابانى المجدِ الذى قد كان قووضَ فأنهدم  
 اسلمَ لدينِ محمدٍ فإذا سالتَ فقد سلمَ  
 نلنا الهدى بعد العمى بل والغنى بعد العدم<sup>(١)</sup>

ثم مشى القهقرى للانصراف ، فوثب أبو العنابس ، وقال : يا سيدي «  
 تأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد في ذلك :

في أى سَلحٍ تَنْتَظِمُ وبأى كَفِّ تَلْتَمِمْ  
 أدخلت رأس البحتريّ أبى عبادة في الرَّحِمِ

ووصله بما يشبهه من الشعر . فضحك المتوكل حتى استأق ، وقال : يُدفع  
 إلى أبى العنابس عشرة آلاف درهم ، فقال أبو الفتح : يا أمير المؤمنين ، والبحتريّ  
 الذى هُجِيَ وأُسمِعَ المكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويُدفع إلى البحتريّ  
 عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصريّ الذى أشخصناه من بلده ،  
 ألا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع له عشرة آلاف : قال . وانصرفنا كلنا  
 في شفاعة الهدى ، ولم ينفع البحتريّ جدّه وحِدَقَه .<sup>(٢)</sup>  
 وأما أبو الفرج ، فقال : حدثني جحظة عن أبى العنابس الصيمريّ ، قال :  
 كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشده :

\* عن أى نَفَرٍ تَبْدَسِمُ \*

وكان البحتريّ من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في مشيه مرّة  
 جانباً ، ومرّة القهقرى ، ويهزّ رأسه مرّة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف  
 عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ! ثم يقبل على المستمعين ، ويقول لهم :  
 مالكم لاتقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر

(١) الديوان : « بك والغنى » .

(٢) الخبر برواية البرد في مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ وإنباه الرواة ٣ : ٤٤٤ .

المثوكل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمح يا صيمري ما يقول ؟ قلت :  
بلى ياسيدي ، فرّ فيه بما أحببت ، فقال : بحياتي اهّجّه على هذا الروي ،  
حققت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ	وعلمت أنك تنهزم <sup>(١)</sup>
يا بحترى حذارٍ ويحـ	ك من قضاقة ضُغم
فلقد أسلت بواديينـ	ك من الهجاسيل العرم
فبأى عرض تعتصم	وبهتكه جفّ القلم
والله حلفه صادق	وبقبر أحمد والحرم
ووحق جعفر الإمام	م بن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة	بين المسيل إلى العلم
يا بن الثقيلة والتقيـ	ل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبـ	ير من الموالى والحشم

وبعد هذا ما يقبح ذكره ؛ فغضب البحترى ، وخرج يعدو ، وجعلت

أصبح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ      وعلمت أنك تنهزم  
والمثوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عنه .<sup>(١)</sup>

ومدح البحترى بعض الولاة ، فتوانى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطل الله مدته      يعطى من العرف ما لم يُعطه أحد<sup>(٢)</sup>  
ينسى الذي كان من معرفه أبدا      إلى العباد ، ولا ينسى الذي يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البيتان خير من القصيدة .

وقال الهدلي : قيل للبحترى : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير

من جيدي ، وردئي خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتعاقب به أحسن في

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البحترى للصولي ٨٧

(٢) ملاحق ديوانه ٢٥٤٥ .

بقي جيده ، وربما اختل لفظه لامعناه، والبحترى لا يختل لفظه .  
 وقيل له : قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك! فقال: أيعاب علي أن أتبع  
 أبا تمام ، وما علمت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالي !  
 وذكروا معنى تعاوره البحرى وأبو تمام ، فقال المبرد للبحترى: أنت في هذا  
 أشعر من أبي تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت  
 الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحترى أيهما أشعر؟  
 فقال : لأبي تمام استخرجات لطيفة ، ومعانٍ ظريفة ، وجيده أجود من شعر  
 البحرى ومن تقدمه من المحدثين ، وشعر البحرى أحسن استواء من شعره ، لأن  
 البحرى يقول التصيدة كلها ، فتكون سليمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول  
 البيت التادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعي ، وما أشبهه إلا  
 بغائص يُخرج الدرّة المخشّلبة - وهي زجاجة توضع مكان الدرّة - ثم قال : لأبي  
 تمام والبحترى من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ،  
 ثم قال : والبحترى ختم الشعر، وله بيتان لو وضعنا إلى شعر زهير لجازا فيه؛ وهما:

فما سَفَهُ السَّفِيهِ وإن تعدى      بأنجحَ فيك من حِلْمِ الحليمِ (١)  
 متى أحفظتَ ذا كرمٍ تخطى      إليك ببعض أفعال اللثيمِ -

وذكر المبرد في هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرتُ محاسنَ ابني صاعدٍ      أدت إليك مخائِلَ ابني مُخَلدٍ (٢)  
 كالفرقدين إذا تأملَ ناظرٌ      لم يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقدٍ

وقوله :

مَنْ شَاكَرْتُهُ عَنِّي الخليفةَ للذى      أولاه من فضلٍ ومن إحسانٍ (٣)

(٢) ديوانه ٥٤١

(١) ديوانه ٢٠٧٩

(٣) ديوانه ٢٢٥٥ .

حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ      وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ رَأَيْتِي  
وبعدهما :

أَغْنَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ      بُخْلِي ، فَأَقْرَنِي كَمَا أَغْنَانِي  
وله أيضاً في الفتح بن خاقان ، وقد نزل إلى الأسد فقتله :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ عَطْفَكَ مَا انْتَنَى ،      وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدَّهُ نَبَأٌ (١)  
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا      وَصَمَّ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا  
وله فيه :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بِنَ خَاقَانَ نَيْلَهُ      وَلَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُعْطَى وَتَحْرِمُ (٢)  
سَحَابٌ خَطَانِي جَوْدُهُ وَهُوَ مَسْبِلٌ      وَبِحَجْرٍ عَدَانِي فَيَضُهُ وَهُوَ مَنَعَمٌ  
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا      وَمَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدٌ مُظْلَمٌ  
أَشْكُونَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسِعَ الْوَرَى      وَمَنْ ذَا يَنْدِمُ الْغَيْثَ إِلَّا مَذَمَّمٌ !

وله أيضاً في انتقاض صلح بين عشيرته :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادٍ      تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ (٣)  
وَلَسَّهْمُ السَّيِّدِ أَشَدَّ حُبًّا      إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ  
ومن جيد شعره :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَاللَّوْمَى مَوْعِدٌ لَنَا      تَبَيَّنَ رَأْيِي الدَّرَّ حَسَنًا وَلَا قِطْعَةً (٤)  
فَمَنْ لَوْلُوِّ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا      وَمَنْ لَوْلُوِّ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاوِطُهُ

والبحتري مكثر جداً ، وديوان شعره نسخ مختلفاً بالزيادة والنقص ؛ لأنَّ شعره لا ينضبط لكثرتيه .

(٢) ديوانه ١٩٨٠

(١) ديوانه ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٩٠ .

(٤) ديوانه ١٢٣٠ .

## [ وصية أبي تمام للبحرئى ]

قال البحرئى : كنت أروم الشعر في حدائتي ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقضت فيه إليه ، واتسكنت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تحيّر الأوقات وأنت قليل المهوم ، صفر من الغموم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السّحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بحظها في الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت التشبيب ، فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه بيان الصّبابة ، وتوجّع الكتابة ، وفاق الأشواق ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيّد [ذى أباد] (١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالنه ، وشرف مقامه ، ونضد المعاني ، واحذر المحتمل (٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ المهجينة (٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضّجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذريعة إلى حسن نظامه ، فإن الشهوة تجمع النفس (٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر المايضين ، فما استحسّن العلماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعلمت نفسي فيما قال ، فوقفت على السياسة (٥) .

\* \* \*

فقال : هل عثرت له فيهما لمخته ، على بديع امتمّامخته ؟ قال :

نعم ، قوله :

(١) من زهر الآداب

(٢) زهو الآداب : « الرديئة » . (٤) زهر الآداب : « نم المين » .

(٥) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، العمدة ٢ : ١١٤ .

(٧ - شرح مقامات الحريري ١)

كَأَنَّما يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو مُنْضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ آقَاحٍ  
فَإِنَّهُ أَبَدَعَ فِي التَّشْبِيهِ، الْمَوْدَعِ فِيهِ .

\* \* \*

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحته : نظرته . بديع : معنى لم يسبق  
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما كما ذكر من صنع البديع في [ المقامة ]  
الثالثة والعشرين . والبِدَعُ : إحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبِدَعَةُ : ما ابتدع  
من الدين ، والبديع : الحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى ببديع من قول أو فعل ،  
وأبدع الله الأشياء وابتدعها : خلقها بلامثال . استملحته : وجدته مليحاً . يسيم :  
يبدي بعض أسنانه عند الضحك . لؤلؤ : جوهر شبه به الأسنان . وهذا البيت  
من شعره ، وقبله :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ      أَعْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ<sup>(١)</sup>  
فَبِتَ أَفْئِدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي      لَمْ يَهَيِّ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَمْ يَحْيِ لَاحِ  
أَمْزُجُ كَأْسِي بِحَيِّ رِبْقِهِ      وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا بِرَاحِ  
كَأَنَّما يَبْسِمُ . . . . . الْبَيْتِ .

وبعده :

سِحْرُ الْعُيُونِ النَّجْلِ مُسْتَهْلِكُ      لُبِّي ، وَتَوْرِيدِ الْخُدُودِ الْمِلَاحِ  
قَلْ لِأَبِي نُوحٍ شَقِيقِ الْعَلَا      وَمَعْدِنِ الْجُودِ ، وَتَرْبِ السَّمَاخِ<sup>(٢)</sup>  
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي      عَوَدَتِي ، وَالنَّائِلِ الْمُسْتَمَاحِ  
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الطَّرْفَ عَنِّي وَأَنْ      أَخِيبَ فِي جِدْوَاكَ بَعْدَ النَّجَاحِ  
أَشْمَتَ حُسَّادِي وَأَخْرَجْتَنِي      عَنِ سَيْبِكَ الْمُعْدَى عَلَى الْمَرَاخِ  
فَهَلْ لِأَنْسِ بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ      أَمْ هَلْ لِحَالِ فَسَدَتْ مِنْ صَلَاحِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .



لستُ على سخطك جَدَّ التوى وَلَا عَلَى هجرِكَ شَاكِي السَّلَاحِ  
قوله : « المودع » : المضمّن ، وأودع الشيء : صيره وديعةً .

\*\*\*

قَالَ لَهُ : يَا لَلْعَجَبِ ، وَلِضِيْمَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ اُسْتَسَمَنْتَ ذَا وِرْمٍ ،  
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ النَّذْرِ ، الْجَامِعِ  
مُشَبَّهَاتِ الثَّنْرِ ! وَأَنْشَدَ :

أَفْسَى الْفِدَاءِ لِثَنْرِ رَقٍ مَبْسَمُهُ  
وَزَانَهُ شَنْبٌ نَاهِيكَ مِنْ شَنْبِ  
يَهْتَرُ عَنْ لَوْلُوٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرْدِ  
وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبِ

\*\*\*

استسمنت : حسبته سميئاً وطلبت السمانه من هزيل . ورم : دمل ، والمعنى  
أنه يرميه بسوء الفهم ، وقد بين هذا أبو الطيّب المتنبي فقال :

أَعِيدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فَيَمِنُ شَحْمُهُ وَرَمٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا ائْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ

ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ولفظ المثل<sup>(٢)</sup> :  
« نفخت » أو « تنفخ » ، والضرم : النار . النذر : النادر ، الغريب . الثنر :  
الأسنان ، مبسمه : موضع ابتسامه ، يعنى الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جهرة الأمثال ٢ : ٣٠٥ : « نفخت لوتنفخ في فم » ، والفصم :  
الجر الطاق .

الشَّنْبُ : الماء القليل الجاري على الأسنان . الجرمي : سمعت الأصمعي يقول :  
الشَّنْبُ بَرْدُ الْأَسْنَانِ وَالنَّم ، فقلت : أصحابنا يقولون : حدتها حين تطلع ، فيراد  
بذلك حداتها وطراءتها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تغيرت ، فقال : ما هو إلا  
بَرْدُهَا . ابن سيده : قال الأصمعي : سألت رؤبة عن الشَّنْبِ ما هو ؟ فأخذ حبة  
رمان فأوماً إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أي قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية  
وَنَهَى الرَّجُلَ مِنَ اللَّحْمِ وَأَنْهَى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنَّهْيُ : الغدير  
لأنه ينتهي إليه ماء الوادي . يفتَرُ : يكشف وييسم . رطب ، أي طرى كما  
أخرج من أصدافه ، وفي اللؤلؤ إذا ذاك رطوبة وسطوع بياض ، فإذا أصابه الهوى  
ودام عليه صلب ، وإذا تناولته الأيدي باللمس وقدم تغيرت بياضه . الطَّاعُ :  
أول حمل النخلة ، وهو الفرخ فإذا انشق فهو الضحك ، وبه تشبه الأسنان  
في بياضه ، ثم الإغريض إذا افترق حبه ، وإنما شبه الأسنان بالطلع ، وهو الفرخ ،  
لأنه إذا شقّ وجد ما فيه من حمل النخلة في غاية البياض ، ويقال له : الوليع ،  
قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليم تشقق عنه الرقاة الجفوا<sup>(١)</sup>

الجفوف جمع جُفَفَ وهو قشر الفرخ ، ويقال له القيقاء والببلة ، وهو طيب  
الريح ، والرقاة : الراقون إلى أعلى النخل .

والحَبِّبُ : تنضد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر في الحمر عند مزجها بالماء ،  
فأما الفقاقع التي تعلق الحمر عند المزج فهي الحباب ، بزيادة الألف ، قال المتلمس<sup>(١)</sup> :  
عُقَارُ أَعْتَقَتْ فِي الدَّنِّ حَتَّى كَانَّ حَبَابَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ<sup>(٢)</sup>

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من غير نسه .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والعقار : الحمر ؛ سميت عقارا لأنها ماثرت اللان .  
والحمر المبيقة : القديمة .

وقال آخر :

حَمْرَاءُ قَانِيَةٌ إِذَا مَا شَعَمَتْ يَنْزُو إِلَى وَجهِ النَّدِيمِ حَبَابِهَا

\*\*\*

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَحْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،  
 وَسُئِلَ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَى قَائِلُهُ أَوْ مَيَّتٌ ؟ فَقَالَ : أَيُّمُ اللَّهِ ،  
 لِلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ ، وَلِلصِّدْقِ حَقِيقٌ بَأَنَّ يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَا قَوْمُ ،  
 لَنَجِيَّتِكُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِدِرْزَوْتِهِ ،  
 وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دِعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،  
 وَفَطَنَ لِمَا بَطَنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَحَازَرَ أَنْ يَفْرُطَ إِلَيْهِ ذِمٌّ ، أَوْ  
 يَلْحَقَهُ وَهْمٌ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةَ  
 الْقَرِيضِ ، وَأَسَاةَ الْقَوْلِ الْمَرِيضِ ، إِنَّ خُلَاصَةَ الْجَوْهَرِ نَظَرٌ بِالسَّبْكِ ،  
 وَيَدَ الْحَقِّ تَصَدُّعُ رِذَاءِ الشَّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ  
 الْاِمْتِحَانِ يُبَكِّرُ الْمَرْءُ أَوْ يَهَانُ ، وَهَا أَنَا قَدْ عَرَّضْتُ خَبِيَّتِي <sup>(١)</sup>  
 لِلَاخْتِبَارِ ، وَعَرَّضْتُ حَقِيبَتِي عَلَى الْاِعْتِبَارِ .

\*\*\*

قوله : «استعاده» ، أى قال : أعده على . استملاه : طلب أن يكتبه . ايم الله :  
 يمين يحلف به . نجيتكم : محذتكم - يعنى نفسه . ارتابت : شكّت والرتيب : الشك .  
 بعزوته : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعاؤه أنه من قوله . والدعوة  
 بكسر الدال فى النسب ، وفتحها فى الطعام . فتوجس : أى أحسّ وسمع .  
 هجس : وقع وخطر . فطن : شعر . فطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

(١) متن اللغات : • جيتى •

يصدّقوه في أنّ الشعر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . . يفرط : يسبق . القريض : الشعر . أساة : أطباء ، واحدهم آسٍ . القول المريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلص منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنحاس وغيرهما ، فإذا عرض الجوهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاءً وجودةً ، وما لم يكن خالصاً فضحّته النار وأظهرت عيبه . السبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غير : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بقي » وهو من الأضداد ؛ يقال : غير الشيء غبوراً إذا بقي ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْتُمْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، أي الباقين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدته حيث قال : غير من الزمان . خبّيتي : مكتومي ، وما خبّأته من علمي ، وأصل « خبّيتي » الهمز ، فقلبت همزته ياءً وأدغمت فيها الياء ، كما قلت في « خاسية » . وتقول : عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعلی خففت الرأء ، وإن أتيت باللام شدّدتها . والحقيية : وعاء يجعله الرّاكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

\* \* \*

فابتدر أحد من حضر ، وقال : أعرفُ شيئاً لم يُنسجِ على منواله ،  
ولا سمحت قريحةً مثاله ، فإن آثرت اختلاب القلوب ، فانظّم  
على هذا الأسلوب :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت

وزداً وعصت على العناب بالبرد

\* \* \*

قوله : «ابتدر»، أى سبق بالكلام وبأدر به . والمِنوال : خشبة الحائك ؛ يريد أن البيت رفيع الصنعة فى الشعر لم يصنع بيت مثله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب . سمحت : جادت . قريحمة : ذهن . آثرت : فضلت . اختلاب القلوب : إمامتها إليك بتصديقك واخذاعك بما تبديه ، وهو من الخلب وهو من غشاء القلب . وعن أبى عبيدة وغيره قال ثعلب : الخلب : الذى بين الزيادة والسكيد<sup>(١)</sup> ، يقال : خلبنى حب فلان ، أى وصل حبه إلى خلبي ، وفلان خلب نساء ، أى تخلبه النساء ، وخالب : يخلب الناس ، أى يذهب بقلوبهم ، وخبب جمعه خلبة ، وكله من الخلب ، قال أعرابي :

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِمَا حُبُّ جُمِعَتْ لَهُ      أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ  
فَالْحُبُّ أَوْلَهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ      مِثْلَ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلْبِ وَالسَّكِيدِ  
[ انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة ]<sup>(٢)</sup> .

لؤلؤاً : درأ . النرجس : نوار أصفر فى نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان فى نظرها فتور .

[ ذكر النرجس وما قاله الشعراء فى تشبيه العيون به ]

وقد تبادى إنكار أدباء وقتناتشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفرته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة فى العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ! ويستهمجن موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشياخى فى صغرى ، وأنا أقرأ عليه كتاب «الجلل» وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لى : النرجس عندهم

(١) من ج ٢ .

(٢) فى اللسان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكيد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والسكيد

بالمشرق نُورٌ يشبه نُورَ الفول . وأكثرَ مَنْ لقيتهُ يستبعد التشبيه بهذا الأصفر ، لأجل لونه ، وذلك لقلّة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً؛ وهو أكمل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيهه العيون بالسيوف والسّهام ، إنما المراد به المضاء والقطع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيه العيون بالنّرجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكّن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانٌ قَدْ خَدَعَ النُّعَاسُ جَهْوَنَهُ      فُحْكِي بِمَقْلَتِهِ ذَبُولَ النَّرْجِسِ <sup>(١)</sup>

والنّرجس الذي يشبّه به أهل المشرق العيون ، هو نبات له قضبان خضر في رءوسها أقماع ، يخرج منها نُورٌ ينبسط منه على الأقماع ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النّرجس ، وبذلك وصفه كسرى أنوشروان ، فقال : النّرجس ياقوت أصفر ، بين دُرٍّ أبيض على زمرد أخضر ، أخذه بعضهم نقال فيه :

وياقوتة صفراء في رأس دُرّة      مركّبة في قائم من زبرجد  
كأنّ بهي الدّر عِقد نظامها      فريد أنيق قد أطاف بعسجد

وأشده أبو عَوْن الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيّد ما قيل في النرجس ما أشده البرّ رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ١ : ٦٨ .

تَرْجِسَةٌ لَاحِظِي طَرَفُهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ<sup>(١)</sup>  
 وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

ترنو بأبصارها إليك كما  
 مثل اليواقيت قد نظمن على  
 كأنها والعيون ترممها  
 دراهمٌ وَسَطَهَا دَنَائِرُ  
 وقال أبو نواس :

لدى نرجسٍ غضُّ القَطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَامُنَحْنَاهُ الْعَيُونَ عَيُونَ<sup>(٢)</sup>  
 مخالفة في شكلهنَّ وصفرةٌ مَكَانَ سَوَادِ الْبَيَاضِ جُفُونُ  
 أجد التشبيه ، وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة ، وبين مواقع التشبيه  
 غاية البيان .

وقال أبو عبد الملك بن فرج في كتاب الحاسِّ والحسوس ، له : وأحسن بيتٍ  
 أتشدنيهِ أبو جعفر البغدادي رحمه الله :

مَدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ عَلَى تَيْسِ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّبْرِ جَدٍ  
 وقال أبو الفرج البغواء :

ونرجس لم يعدُّ مُبَيِّضُهُ الْكَأْسَ وَلَا أَصْفَرُهُ الرَّاحَا<sup>(٣)</sup>  
 تخال أحقاق لَجِينِ حَوْتٍ مِنْ أَصْفَرِ الْعَسْجَدِ أَقْدَا حَا  
 كأنما يهدى الحمي به لطفًا إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَا

(١) كتابة التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ ، واليعاقبة : جم يعفور ، وهر الظبي بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٨

يعنى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحا  
وقال ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغضّ بيننا مداهنُ درّ بينهنّ عقيق<sup>(١)</sup>  
إذا بلهنّ القطر خلت دموعه بكاء عيون كحلهنّ خلوق  
وقال التاشي :

أخصّ الصفات التي تناولها من كتب  
عيون بلا أوجبه لها حدق من ذهب  
وقال ابن الرومي :

يانرجس الدينأ ترى أبداً للإفتراج ودائم النخب  
ذهب العيون إذا مثلن لنا درّ الجفون زبرجد القصب  
وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس، هي التي يصف بها أهل المغرب  
البهار، قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حدق الحسان تقرّ لي وتفار وتظلّ في صفة البهار تحار  
طلعت على قضبي عيون كأمي مثل العيون تحفها الأشفار  
وأخصّ شيء بي إذا شبهتني درّ تمنطق سلكه دينار<sup>(٢)</sup>  
أهدى لنا قصب الزبرجد ساقه وحباه أنفاس عطره العطار  
أنا نرجس حقاً بهرت عقولهم ببديع تركيبي فقيل بهار  
يبين أن البهار عندنا، هو الذي تسميه أهل المشرق نرجساً .

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كذا في ج ، و فط : « سلكه و سار » .



وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مفاصلاً كماثمه عن نوره الخضيلِ النَّدى<sup>(١)</sup>  
مداهنٌ تبرُّ في أناملٍ فضِّه على أذرعٍ مخروطةٍ من زبرجدٍ  
وقال القسطلي<sup>(٢)</sup> :

بهارٌ يروقُ بمسكٍ ذكيٍّ وصنعٌ بديعٌ وخاقٍ عجبٌ  
غصون الزَّبْرَجَدِ قد أوزقتُ بها فضةً نورَّت بالذهبِ

وقال القاضي أبو الحسن بن لبَّال :

وبهارٍ يحكي كئوسَ الجُنينِ حملتها أناملٌ من زبرجدٍ  
سابرتها الكواكب الزُّهرحتى سمَّرتُ وسطها كواكبُ عسجدٍ  
وأنشدني بعضُ أشياخنا :

انظُرْ إلى حُسْنِ البهَارِ وَغُنْجِهِ يرنوُ إليك بمقلتي وَسَنَانِ  
فكأنما هي راحةٌ من فضةٍ قد ضُمَّتْ كأساً من العَقِيَانِ  
وكانَ نَشْرَ نسيمةِ غبِّ النَّدى يأتيكَ بالأنفاسِ مِنْ بَغْدَانِ

والذي تسميه أهل المغرب نرجساً يسميه أهل الشرق بهاراً ، ولذلك قال  
الحريري في العاشرة : « ووردي بالبهار » ، دعا فيها على الغلام بالحَمَى ، وأن  
ينعكس حمرة خده صفرة ، وقال حبيب في ذلك :

إنَّ وجهَ الحمَى لوجهٌ صفيقٌ حين تسطو به نهَاراً جَهَاراً<sup>(٣)</sup>  
لم تشنُ وِرْدَ وَجَنَّتِيهِ ولكن صيرت وِرْدَ وَجَنَّتِيهِ بهَاراً<sup>(٤)</sup>

(١) الذخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن دراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشن وجهه المبيح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض .

وقال أبو بكر الأبيض :

ياشاكيا صدني عن مسه ألى      طال اشتياقي به ليلاً فلم أنم  
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قرٍ      رقيبهِ في سماءِ المجدِ والكرمِ  
لم أرضَ قلبي مكاناً إذ حلت به      حتى خلطتك في سوادئهِ بردي  
أنت البهّار ولا أدري متى خلعتُ      عليك أيدي الليالي نرجسَ السقمِ

ولابن الزقاق :

وغزالٍ ذى اعتدالٍ شفهُ      بعد ما شقَّ هَوَاهُ الأنفَسَا<sup>١</sup>  
جارت الحمى على وجنته      فاستحال الوردُ منه نرجسًا

فثبت بما قدمناه، أنّ نرجسهم بهارنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدلّ على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن بُردٍ في لفظٍ واحدٍ ، أخذ ابن بُردٍ منه صفة النرجس ، فقلبه لاسم البهّار حين نظمه .

واعلم أن تشبيه العين برجسهم أّبين لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى، وهو مع ذلك متمكّن في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد فيه من صفة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقضة ابن الرومي

في تفضيله النرجس على الورد :

(١) ديوانه ٢٩٣ .

إِنْ كُنْتَ تَنْكَرُ مَاذَكَرْنَا بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُهُ وَشَوَاهِدُهُ<sup>(١)</sup>  
 نَاظِرًا إِلَى الْمَصْرَةِ لَوْنًا مِنْهُمَا وَافْطِنُ فَمَا يَصْفُرُهُ إِلَّا الْخَاسِدُ  
 نلولا ما ذكرنا من أشعارهم ، لحكنا بهذا البيت ، على أن نرجسهم هو  
 نرجسنا ، ومذهب ابن الرومي<sup>(١)</sup> تفضيله على الورد ، وهو القائل :  
 وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوَجْهِ الْعِيُونُ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا النَّرْجِسُ  
 وَالذُّنُوسُ تَتَشَوَّقُ إِلَى رُؤْيَةِ نَرْجِسِهِمْ ، لَأَنَّا لَمْ نَعْلَمْ نَرْجِسَنَا غَيْرَ هَذَا الْأَصْفَرِ ،  
 حَتَّى نَعْلَمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ النُّوَّارُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَشَوَّقُونَ  
 لِنَظَرِ نَرْجِسِنَا .

ويدل على ذلك حكاية القاضي الفقيه أبي الحسن بن لبّال ، قال : خرجت  
 عشيةً لخارج إشبيلية أيام حدائق وقراءتي بها ، فجلست في وسط واديها ، وبیدی  
 كتاب أنظر فيه ، وإذا رجلٌ يُحْمَلُ حِوَالِيَّ ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي الْكِتَابِ يَأْخُذُ وَيَنْشُدُ  
 لِلْأَشْعَارِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا نَظَأْتُرُ مِنْ بَدِيعِ الشَّعْرِ ، فَذَا كَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ بِحَرَ أَدَبٍ ،  
 فَسَأَلْتَهُ عَنْ مَحْوَظِهِ ، فَقَالَ : أَحْفَظُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَسَأَلْتَهُ : هَلْ  
 تَنْظُمُ شَيْئًا؟ فَأَنْشَدَنِي فِي وَصْفِ فَرَسٍ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْقَائِلُ :

(١) أورد النويري في نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ من شعر ابن الرومي أبياتاً منها :

خَجَلْتُ خَدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ  
 لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةَ عَانِدُ  
 لِلنَّجْسِ الْفَضْلُ الْمَبِينُ وَإِنْ أَبِي آبٍ ، وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقَةِ حَائِدُ  
 فَضْلُ الْقَضِيَةِ أَنْ هَذَا قَائِلُهُ زَهْرُ الرَّبِيعِ ، وَأَنْ هَذَا طَارِدُ  
 شَتَانٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مَوْعِدُ بَتَسْلُبِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاوَعِدُ

منع الحوافر أن تطين به التّرى فكأنه في جريه متعلّق  
وكأنّ أربعة توافق طرفه فتكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته، وراجعتهم في قوله: «تأمين»، فقلت له: إنما هو «تطآن»، فلم يعرف اللفظ، وإنما تكلمم بلا همز على لحن عامته، فجزّيته في غيره، فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ، لا من جهة العلم، فسألته عن بلاده، فقال: أنا من العراق، فقلت له: فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس؟ فقال لي: لأرى النرجس الأصفر المذكور في أشعاركم عياناً. ودعاني إلى الإطالة في ذكر النرجس رغبةً أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أقمت فيها زماناً طويلاً، لا أجد من يرفعها عني.

[ ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره ]

والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لأبي الفرج الفسّاني الدمشقي، المعروف بالوأواء، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيّمته<sup>(١)</sup>، فقال: أبو الفرج من حسان الدهر، وصاغة الكلام<sup>(٢)</sup>.

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البيطّيح بدمشق ينادي على الزواك، وما زال يشعر حتى جاد شعره، ووقع له ما يروق، ويشوق ويفوق، حتى تعلق بالعيوق<sup>(٣)</sup>.

وقال الفتح بن خاقان: إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما

(١) يتيمة الدهر: ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) اليتيمة: من حسنات الشام، وصاغة الكلام.

(٣) اليتيمة: حتى يعلو العروق، والعيوق: نجم أحر مضى وطرف الهجرة الأيمن أو الثريا لا يتقدمها.

دخلت مجلسي لقيت خلافة<sup>(١)</sup> جاريتي ، فلم أملك أن ، قببتها ، فوجدت ما بين شفتيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام الفتح ، فقال الوأواء مأمًا به<sup>(٢)</sup> :

سَقَى اللهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ      فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّبَّاحِ عِنَاقًا<sup>(٣)</sup>  
بَطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجَلَبُ الْكَرَى      فَلَوْ رَقَدَ الْمَحْمُومُ فِيهِ أَفَاقًا<sup>(٤)</sup>  
وله أيضًا :

بِاللهِ رَبِّكَمَا عُوْجًا عَلَى سَكْنِي      وَعَاتِبَاهُ ، لَعَلَّ الْعَتَبَ يَعْطِفُ<sup>(٥)</sup>  
وَعَرَضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَا      مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُنْفَعُهُ !  
فَإِنْ تَبَسَّمَ قَوْلًا فِي مَلَاظِفَةٍ<sup>(٦)</sup>      مَا ضَرَّ لَوْ بُوْصَالٍ مِنْكَ تُسَعِّفُهُ !  
وَإِنْ بَدَأَ لِكَيْمَنِ سَيِّدِي غَضَبٌ      فَعَالِطَاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرُفُهُ  
وله في النحول :

وَمَا أَبَقِيَ الْهَوَى وَالشُّوقُ مَنِّي      سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالٍ<sup>(٧)</sup>  
خَفِيتُ عَنِ الْعَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي<sup>(٨)</sup>      كَأَنَّ الرُّوحَ مَنِّي فِي مُحَالٍ

(١) اليقظة : « استقبلتني فلانة — يعني جاريتي له — فلم أملك أن قببتها » .

(٢) اليقظة : « فكان هذا مما يسعسن ويستظرف من كلام الفتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، وبعده هناك :

تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي      وَفَارَقَنِي لَمَّا أَمِنْتُ فِرَاقًا

(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاظفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن النوايب » .

وله في الزَّرَقَة :

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خَلْقَتِهِ      وَمَنْ هُوَ الْخَرُّ فِي أفعالِ مُقْلَتِهِ (١)  
وَمَنْ بَزُرُقَةَ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَمِي      وَالسَيْفُ ، مَا فَاخَرُهُ إِلَّا بَزُرُقَتِهِ  
عَلِمْتَ إِنْسَانَ عَيْنِي أَنْ يَعُومَ فَقَدْ      جَادَتْ سَبَاحَتُهُ فِي بَحْرِ دَمَعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكَتْ يَا مَهْجَتِي مَهْجَتِي      وَأَسْهَرْتَ يَا نَاظِرِي نَاظِرِي (٢)  
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ (٣)      وَلَا هَجَسَ الْمَجْرُ فِي خَاظِرِي (٤)  
فَجِدْ بِالْوَصَالِ فَدَتِكَ النَّفْسُ      فَلَسْتُ عَلَى الْمَجْرِ بِالْقَادِرِ  
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ تَطَمَّ الْقَرِيضِ      فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يُفَقِّنْ لَنَا بَرَقَ الثُّغُورِ أَدِلَّةً      إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظِلَامِ الدَّوَابِّ (٥)

قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ تَرْجِسٍ ... الْبَيْتِ (٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبعده :

وَمَنْ خَامَتْ عِنْدَارِي فِي هَوَايَ لَهُ      وَمَنْ تَهَتَّكَ سِتْرِي فِي مَحَبَّتِي

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يا ظلوم »

(٤) الديوان : « ولا خطر الهجر » .

(٥) من قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

قَفُّوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَاثِ      لِنَبْدِلَ مَذْخُورِ الدُّمُوعِ السُّوَابِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضمنه خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضمنها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قَرَأً ، وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرًا ، وَرُنْتُ غَزَا لَا (١)

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد على أكثر منه ، إذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

خَلَوْتُ بِهَا وَالكَأْسُ ثَالِثَةٌ لَنَا      وَجُنْحُ ظَلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ وَاتَّاجَ (٢)  
فَتَاةٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقَرِيبِهَا      وَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَيُنْحَكَ مِنْ حَرَجٍ !  
كَأَنِّي وَهِيَ وَالكَأْسُ وَالْحَمْرُ وَالذُّجَى      تَرَى وَحَيًّا وَالذَّرَّ وَالْتَبْرَ وَالسَّبْجَ  
وقبل بيت الوأواء :

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ      لِلنَّاظِرِينَ وَلَمْ تَقْرُبْ عَلَى أَحَدٍ  
قَالَتْ وَقَدْ فَتَسَكْتُ فِينَا لَوَاحِظُهَا :      مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوَدٍ (٣)  
فَأَمَطَرْتُ لَوْلَوْ أَنَّ مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ      وَرِزْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبِرْدِ  
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة :

قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ فَعَلُ الظَّنْبِيِّ بِالْأَسَدِ ! (٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدًا لِيَدٍ      وَصَحَّتْ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلَامُوا كَبِدِي (٥)

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٤ .

(٢) الديوان : ٥ كم ذا أما .

(٣) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كأنما بين غابات الجفون لها أسد الحمام مقيات على الرصد

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٨ - شرح مقامات الحريري ٩)

وقال أيضاً :

أتاني زائراً من كان يُبدي لي الهجر الطويل ولا يزور<sup>(١)</sup>  
 فقال الناس لما أبصروه  
 قتلتم لهم ودمع العين يجري على خدي له دُرٌّ نثير  
 ولو نصبوا رحاً يلبزوا عيني لكانت من مدامعها تدور<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ  
 فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضُو بُرْقِعِهَا أَلَا  
 قَانِي وَإِيدَاعَ سَمْعِي أَطِيبَ الْخَبْرِ  
 فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَى سَنَا قَمْرٍ  
 وَسَأَقَطَتْ لَوْلُؤًا مِنْ خَاتَمِ عَطْرِ

\* \* \*

قوله: «لمح البصر» ، يعني نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغيب عنه بسرعة ،  
 وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بغريب . نضو : كشف . التاني :  
 الأحمر . إيداع سمعي : إعطاء أذني ، كأنه جعله ودیعة عنده . زحزحت : أزلت .  
 الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غشى : غطى . سنا : ضوء . عطر : قواح  
 طيب للتنفس . وبيت الحريري في صنعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعد تشبيهات  
 بيت أبي النرج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة باكية ، فيقول : إنها نثرت  
 دموعها على من قتل من عشاقها ، فسقطت على خدّها فلبّته ، ونفضت

(١) ديوانه ١١٠ .

(٢) الديوان : « من تحدره » .



على أصابعها المصبوغة بالحِنَّاءِ، فجعل البيت كَلِّه استعارة ، قال : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً وورداً ، وهو يريد عيناً وخدّاً ، وذكر عُنَّاباً وبردّاً ، وهو يريد أنامل وأسنانا ، فضمّن تحت ألفاظه هذه للمعاني ، وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر ، فقابل الحريريّ هذا بقوله : « نزعحت شفقاً » ، وهو يرى نقاباً أحمر ، وذكر « سناقر » وهو يريد ضوء وجهها ، وذكر لؤلؤاً من خاتم ، وهو يريد كلاماً من فم . والبيت الثاني في مقابلة بيت أبي الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فسألها ، أن تكشف عن وجهها وتحديثه ، فأزالت نقابها ، وأسمعت كلاماً حسناً من فم عطر .

[ مما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ ]

واللؤلؤ تشبّه به الأسنان في مثل قوله :

\* كأنما يبسم عن لؤلؤ رطب \*

وقوله :

\* يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد \*

ويشبه به الكلام في مثل قول البحتريّ :

\* ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه <sup>(١)</sup> \*

وقول الحريريّ :

\* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر \*

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للوداعِ ودَمْعُها      ودَمْعِي مُبْشِرَانِ الصَّبَابَةِ والوجدَا  
بكت لؤلؤا رطباً فاضت مدامعي      عَقِيْقاً ، وصار الكَلِّ في نحرها عِقْدَا

وقال ابن عبد ربه :

وكأنما غاص الأسي بجفونها      حتى أتاك بلؤلؤ منشور

(١) ديوانه ١٢٣٠ ، صدره :

\* فمن لؤلؤٍ تجلوه عند انبسامها \*

فأخذه الرمادي فحسنته فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعينٍ      غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنًا

قال : فوقعت استعارة التبسم للعين موقعاً لطيفاً ، وإنما هو للشر بسبب  
توسط اللؤلؤ . والحدائق يتحليون في أخذ المعاني بترك القافية والوزن ، كقول  
ابن شهيد :

ولما فشا من دمعنا بعض سيرنا      إلى كاشحينا والقلوب كواهم  
أمرنا بإمسك اللُموع جفوننا      ليشجى بما يطوى عذول ولائم  
أبى دمعنا يجرى مخافة شامتٍ      فنظمته بين الحاجر ناظم  
وراق الهوى منّا عيونٌ كريمة      تلحن حتى ما تروق المبايم

[ من قولهم في الامتحان ]

وقال ابن شهيد في الامتحان فأحسن :

ونبتت أقواماً تبيض صدورهم      على وأنى منهم فارغ الصدر  
أصاخوا إلى قولي نأسمت صمهم      وغاصوا على سري فأعيامهم أمري  
فقال فريق: ليس ذا الشعرُ شعره      وقال فريق كئبنُ الله ما ندرى  
فمن شاء فليخبر فإني لحاضر      ولا شيء أجلى للشكوك من الخبر

وينظر في هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال ، إلى قصة أبي بكر  
ابن بَقِيٍّ<sup>(١)</sup> حين استهدى بعض إخوانه أقالما ، فبعث إليه بثلاث من القصب ،  
وكتب معها :

خُذها إليك أبا بكر الملاء قصباً      كأنما صاغها الصّواغ من ورقه  
يُرهمي بها الطرس حسناً ما نثرت به      مسك المداد على الكافور من ورقه

(١) هو أبو بكر بن بَقِيٍّ ، ذكره أبو الفتح بن خافان في القلائد ٣٢٢ ضمن من ذكرهم  
من الأدباء .

فأجابه أبو بكر بن بَقَّ فقال :

أرسلت نحوى ثلاثاً من قنأ سلبٍ      ميادة تطعن القِرطاسَ في وِرْقِهِ  
فالخطُّ ينكرها والخطُّ يعرفها      والرق يخدمها بالرق في عُنُقِهِ  
فحسده عليها بعض من سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، فقال أبو بكر يخاطب  
صاحبه الأول :

وجاهلٍ نسب الدعوى إلى كلبى      لكأ رماه بمثل التَّيْلِ في حَدَقِهِ  
فقلت من حنني لكأ تعرّض لي :      من ذا الذي أخرج اليزبوع من نَفَقِهِ !  
ما ذم شعري وإيم الله لي قسمٌ      إلا امرؤ ليست الأشعارُ من طُرُقِهِ  
الشعر يشهد أنني في كواكبه      بل الصباح الذي ينشق في أَفُقِهِ

### [ بديهة السّلامى ]

وخرج السّلامى<sup>(١)</sup> إلى الموصل وهو صبيّ حين راهق البلوغ، فوجد بها أبا عثمان الخالديّ وأبا الفرج البغواء وأبا الحسن التلعفريّ وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه عجبوا منه ، وآتهموه في شعره ، فقال الخالديّ : أنا أكيفكم أمره . فاتخذ دعوة ، وجمع الشعراء والسّلامى معهم ، فلما توسّطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قدرٍ بضاعته ، ثم لم يلبثوا أن جاء مطرٌ شديد وثليج وبرد عمّ الأرض كثرة ، فألقى أبو عثمان الخالديّ نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم في أن نصف ذلك ؟ فقال السّلامى ارتجالاً :

لله درّ الخالديّ الأوحّد النَّدْبَ الحَظِيرِ  
أهدى ماء المزنِ عنْدَ جموده نارَ السَّعِيرِ  
حتى إذا صدر العتّا      ب إليه من حنقِ الصّدورِ<sup>(٢)</sup>

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد السّلامى ، نسبة إلى مدينة السلام ، أشعر أهل العراق في عصره ، ومن ترجم لهم الثعالبي في البيعة ٣ : ٣٦٤ - ٣٩٨ ، والحبر في ترجمته في ابن خالكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خالكان : « من حر الصدور » .

بعثت إليه بذره من خاطري أوفى الشُّرورِ  
لا تمدُّوه فإنَّنا أهدى الخلود إلى الثُّغورِ  
فأمسكوا عنه عند ذلك ، واعترفوا له بالفضل ، إلا التلمغري ، فإنه أقام على  
قوله فيه ، حتى قال السَّلامى فيه :

يا شاعراً بشعوره لم يشعُرِ  
لو كنت تعرفُ والدًا تسمو به  
تاه ابنُ فائقةِ النسوقِ على الورى  
وبلادةٍ في الشعرِ تعلم أنه  
ما كنتَ أوَّلَ طالبٍ لم يظفرِ  
لم تنسبَ صفةً إلى تلعفرِ  
بقدالِ صَفَعانٍ ونكهةِ أبحرِ  
تيسُّ ولو نُصرتَ بطبعِ البُحترِ  
وقال فيه :

سما التلمغري إلى وصالي  
ينافى خلقه خلقي وتأبى  
فصنعتي اللطيفة في لساني  
فإن أشعرُ فما هو من رجالي  
ونفس الكلب تكبر عن وصاله  
فعالي أن تضاف إلى نعاله  
وصنعتُه الخسيسة في قذالة  
وإن يُضغَعُ فما أنا من رجالة

[ من نوادر صاعد بن الحسن الربيعي ]

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة ، أن صاعداً<sup>(١)</sup> اللغوي  
متهم في كل ما يورده من حديث أو شعر ، فأدخلت عليه يوماً با كورة ورُد لم  
تفتح أكامها ، فقال فيها صاعد ارتجالاً :

أتتك أبا عامرٍ وردةٌ  
كعدراء أبصرها مبصره  
يذكرُكَ المسكُ أنفاسها  
فقطتُ بأكامها رائحتها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضراً فحسده وقال : إن هذين

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي ، وفد على المنصور بن أبي عامر بغداد ،  
وله معه أخبار و نوادر مشهورة في الأدب واللغة ، ابن خلكان ١ : ٢٢٩ .

البيتين لغيره ، [ وقد أشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه ، فخرج ابن العريف ، وركب وجعل بحث ، حتى [ (١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بديهة - فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إلى قصر عَبَّاسِيَّةٍ وقد صرَّعَ التَّوْمُ حَرَّاسَهَا (٢)  
أبياتاً ضمنتُ فيها البيتَينِ ، فكتبها ابن العريف بخطِّ بصرى (٣) ، وصار بها إلى المنصور . فاشتدَّ غيظه ، وقال : غداً أمتحنه ، فإن فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان . (٤) ثم أخذ يطبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوارٍ باسمين (٥) على بركة ماء حبساؤها الدر والجوهر . ودعاها في مجلس حافل ، وقال له : هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدَّم بين يدي ذلك قبلي ، فصفه فقال على البديهة :  
أبا عامرٍ هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف (٥) !

(١) من الذخيرة .  
فألقيتها وهي في خدرها  
فقلت : أسارٍ على هجمة ؟  
ومدت يديها إلى وردة  
كعذراء أبصرها مبصر  
وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها  
فوليت عنها على عفة  
(٢) بدمه كاف الذخيرة :  
وقد صرَّع السكر أناسها  
قلت : كلى ، فرمت كاسها  
يحاكي لك الطيب أنفاسها  
فقطت بأكماسها رأسها  
فقلت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها  
فوليت عنها على عفة  
(٣) الذخيرة . « مصرى » .

(٤-٤) الذخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب النواوير ، ووضع على السقائف جوارى باسمين » .  
(٥) الذخيرة :

\* وهل غير من عاداك في الأرض خائف \*

وبعده :

يسوق إليك الدهر كل عجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاغها هامرُ الحيا  
 حُلِيًّا فمها عَبَقْرُ ورفارفُ  
 ولما تنأهى الحسن فيها تقابلتُ  
 عليها بأنواع الملاهي الوصائفُ  
 كمثل الظباء المستكئة كُنَسًا  
 تظللها بالياسمين السَّاقِفُ  
 فلم ترعيني في البلاد حديقةً  
 تنقلها في راحتين المناصِفُ<sup>(١)</sup>  
 والحكاية تطولها في القسم الرابع من الذخيرة.<sup>(٢)</sup>

وخرج معه إلى أرض الزاهرة<sup>(٣)</sup>، فمد يده إلى شيء من الترنجان يعبث به،  
 ورمى به إلى صاعد معترضاً بأن يصفه، فقال :

(١) بدمه في الذخيرة :

وأعجب منها أنهم نواظِرُ  
 إلى بركةٍ ضُمَّتْ إليها الظرائِفُ  
 حصاها اللآلى ، سابجٌ في عُبابِها  
 من الرُّقش مسموم العلابِينِ راجِفُ  
 ترى ما تشاء العينُ في جنباتِها  
 من الوحش حتى بيتهنَّ السلاحِفُ

قال في الذخيرة بعد هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه ، وكان إلى ناحية سفينة فيها جارية  
 تجذب بمجناف ذهب ، لم يرها صاعد ، فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية ،  
 فقال :

وأعجبُ منها عادة في سفينةٍ  
 مكلّلة تصبو إليها المهايفُ  
 إذا راعها موجٌ من الماء تتقي  
 بسكّانها ما أنذرته العواصفُ  
 متى كانت الحسناء ربان مركب  
 تصرف في يميني يديها المجاذِفُ  
 فلم ترعيني في البلاد حديقةً  
 تنقلها في راحتين المناصِفُ  
 إلى آخر الأبيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى رياض زاهرة » .

لم أدرِ قبل ترنجابِ عبثتِ بهِ  
من طيبه سرقَ الأترجَ نكتهُ  
كأنما الحاجب المنصورَ علمه  
من ليس يقعه عن سُوددِ كرمِ  
وله أيضاً :

بعثت إليك من خيري داري  
توكّلُ بالعكوفِ على التصابي<sup>(٣)</sup>  
محزّمة كألوانِ العقيقِ<sup>(٢)</sup>  
وتصطاد الخليع من الطريقِ

\* \* \*

فحار الحاضرون لبداهته ، واعترفوا بنزاهته . فلما آنسَ  
استثناسهم بكلامه ، وانصبأبهم إلى شعبِ إكرامه ، أطرقَ كطرفه  
العين ، ثم قال : ودونكم بيتين آخرين ، وأنشد :  
وأقبلت يومَ جدّ البين في حبللِ  
سودٍ تعضُّ بنانَ النّادِمِ الحِصرِ  
فلاحَ ليلٌ على صُبْحِ أفلهما  
غُصْنٌ وضرستِ البلورَ بالذّررِ  
فحيأئذِ استسنى القومُ قيمتهُ ، واستفزروا ديمتهُ ، وأنجلوا  
عشرتهُ ، وجملوا قشرتهُ .

\* \* \*

(٢) الذخيرة ٤ : ٤٨ .

(١) الذخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) الذخيرة : «بالزوف عن التصابي» .

قوله: «لبداهته»، أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة، ويقال: بدّه بدّهاً وبديهة وبدّاهة، إذا لجأه. وبدّه فى كلامه: إذا لم يتفكّر فيه، وفلان حسن البديهة والبداهة، أى الارتجال..

[ مما قيل فى البديهة الحاضرة ]

والقول من غير تفكّر وهو عندهم مما يمدح به، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له: دَعُوا الرأى حتى يَحْتَمِر، فلا خير فى الرأى الفطير، والقول القصير.

وقال المنصور لكتابه: لا تبرم أمراً حتى تفكّر، فإن فكرة العاقل مرآته تزيه حسنه من قبيحه.

وقال أيضاً: الحكمة نور الفكرة، والصواب فرع الروية، والتدبير فرع الهمة.

قال ابن الرومي:

نارُ الرويةِ نارٌ جدّة منضجةٍ      وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلويحٍ<sup>(١)</sup>  
وقد يفضّأها قومٌ لعاجاها      لكنّه عاجل يمضى مع الريحِ

وقال أشجع فى جعفر بن يحيى:

يريدُ الملوكُ مدى جعفرٍ      ولا يصنعون كما يصنع<sup>(٢)</sup>  
وليس بأوسعهم فى الفنى      ولكنّ معروفه أوسعُ  
بداهته مثل تفكيره      متى تلقه فهو مستجع<sup>(٣)</sup>

وقال فيه:

بديهته وفكرته سواء      إذا التبتت على الناسِ الأمورُ

(١) بدائم البدائه ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧: ٣٧.

(٣) الأغاني: «بديهته.... متى رمته».



وقال إبراهيم بن العباس الصوليّ في الفضل بن سهل :

يقضى الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبه  
فيظلّ يُوردها ويصدرها فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلمٌ فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل بمخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال للمأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول. ثم أمر أن تُرفع مرتبته في الديوان.

\* \* \*

قوله: «بزاهته» أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر. آنس: أبصر. استنناسهم: أنسهم وتركهم الإنكار. طرفة: نظرة، قد طرف طرفاً، إذا حرك جفنيه بعد النظر. دونكم: إغراء، ومعناه خذوا حذرکم واسمعوا. جدّ: تحقق. البين: الفراق. بنان: أصابع. الحصر: المنقطع عن الكلام عيياً. ليل: أراد به نقاباً أسود. صبح: وجه. أقالهما: رفعهما. غصن: قدّ. ضرّست البلور: الأصابع. الدرر: الأسنان.

[ نقد شعر الحريريّ ]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدهم استنساساً بأنه غير مدع في الشعر، ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما، وهو قد أخرج معنى زائداً في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره، وذلك أنه لما لم يستوفِ مقابلة بيت أبي الفرج مرةً بيئته المتقدمين، استوفاهما في هذا البيت الثاني، لأنه قابل «أمطرت» بساقت، واللؤلؤ باللؤلؤ، والنرجس بالخاتم، وهما العين والنم، وحرمة بالحد بسنا القمر، وبقى عليه زائد من قول أبي الفرج: «وعضت على العتاب بالبرد»، فقابله في هذا البيت بقوله: «وضرّست

البلور بالدرر ، وجعلها تعضّ على أصابعها وهي بيض ، لانه يصف امرأة شعرت  
بفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحنّاء ، فلتا حان وقت فراقهم ، لبست  
ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تأنّفاً وتندماً على فراقهم ، ووصف الأصابع  
باللّين والصبغ ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل  
المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلسٍ فظنتمْ      بلطفكم إلى أمرٍ عجيبِ  
لبستم في ما تمكم بياضاً      وجتم منه في زى غريبِ  
صدقتم فالبياض لباسُ حزنٍ      ولاحزن أشد من المشيبِ

وأشد أبو عثمان الأشناداني في أبيات المعاني له :

أرعت مراتع مدرّاهها على عجلٍ      صنوين إن أفردا لم يرعيّا أبداً  
واستبدلت من رياض الحزن موقّةً      ثوب الأمير الذي في منك قعداً

عني بمراتع مدرّاهها شعّرها ، وبصنوين مقصّاً حلقته به ، ورياض الحزن  
ثياباً ملوّنة ، وثوب الأمير ثوباً أسود ، لأن ملوك بني العباس لباسهم السواد .

وعارض ابن لبّال<sup>(١)</sup> الحريري في أبياته فقال :

ودّعته ومدامعي      تنهلّ بالدمع الطليقِ  
فيككت فأذرت أدمعاً      في صفحة الخلد الأنيقِ  
ومضت تعضّ بناتها      بين التلّيف والشهيقِ  
ورأيت مبيض اللّج      بين يعض محرّ العقيقِ

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحرّي المتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه على ابن أحمد بن علي ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأدبائها ؛ وله

كتاب في شرح المقامات . الغرب ١ : ٣٠٣

يا بآبى ظبىؑ إِذا مارنا  
أثخن قلبى وفؤادى جراح  
يفترّ عن طلعٍ وعن جوهرٍ  
وفضةٌ أو حَبَبٍ أو أُلُحاحٍ  
فزاد عليه بوصفين .

### من أقوالهم فى الفراق

ومما يناظر ما تقدّم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :

وكأنما أثر الدموع بخدّها  
طلّ تساقط فوق وَرْدٍ يانِعِ  
عَدَبَ الفراقُ لنا قبيلَ وداعِنَا  
ثم اجترعناه كَسْمٍ ناقِعِ  
وقال ابن الرومى :

لو كنتَ يومَ الوداعِ شاهدنَا  
وهنَّ يُطفئن غلّةَ الوجِدِ  
لم ترَ إِلَّا دموعَ باكيةٍ  
تسفع من مُقلّةٍ على خَدِ  
كأنّ تلكَ الدموعَ قطارُ ندَى  
يقطر من نرجسٍ على وَرْدِ

وقال النّاشى :

بكيتُ الفراقَ وقد راعِنى  
بكاءَ الحبيبِ لبعْدِ الديارِ  
كأنّ الدموعَ على خدّها  
بقية طلٍّ على جُلنارِ

وقال أبو نواس :

تقولُ غداةَ البينِ إحدى نساءهم  
لى الكيدِ الحَرى فيسرُ ولكَ الصبرُ (١)  
وفد غلبتها عبرةٌ فدموعها  
على خدّها جَمْرٌ وفى نحرها صفرُ

يقول: لون خدها أحمر، فتشككت الدمعة به جزأً، ولون نحرها أصفر عاجي  
كما قال ذو الرمة :

كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهبٌ فصارَ فيها للون الدمعُ صُفْرَتُهُ  
وقيل للعباس بن محمد: ما لونُ الماء؟ فقال: لونُ إنائه.

ولما ذكر الحريريُّ الحلل السود على الجارية، تذكّرت ما قال أبو عثمان  
الناجم<sup>(١)</sup> في جارية رأى عليها ثوباً أزرق:

ما تعدت قبولُ حينَ جلتَ زيباً شبيهاً بوجهها ذي الضياءِ  
لبست أزرقاً فجاءتُ بوجهٍ يشبه البدرَ في أديمِ السماءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي، فقال:

لما بدا في لازور دى الحرير وقد بهر<sup>(٢)</sup>  
كبرت من فرط الجمل ل وقلت ما هذا بشرُ  
فأجابني لا تنكرف ثوب السماء على القمر

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي:

وبنفسجي الثوبقت ل محبه من حاله<sup>(٣)</sup>  
الآن صرت البدر إذ ألبست ثوب جماله

قوله: «استسنى»، أي استعظم، وقد سنو الرجل، وسنا: شرف وعظم. ديمته:  
كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع، أو يريد بها فطنته التي تمدده بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسن بن شداد المعروف بالناجم الشاعر الأديب، صاحب ابن الرومي  
ورواية شعره. معجم الأدياء ١١ : ١٩ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٣٧

(٣) برد البيان في ديوان المطبوع، وما في الذخيرة ٢ : ٣٧، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة المطر الدائم . واستغزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .  
أجلوا عشرته، أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حسنوها ،  
من لفظ الجمال ، أو يكون معناه: جملوا من جملة الحساب وأجلته ، أى جمعته ،  
فكأنهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته: ثوبه ، لأنه قدم أن هيئته كانت رثة ،  
فاحتاجوا أن يكسوه .

\*\*\*

قال المخبر بهذه الحكاية: فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلْمَبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ  
جَلْوَتِهِ ، أَمَمْتُ النَّظَرَ فِي تَوْبِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مِيسَمِهِ ،  
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَمَرَ لَيْلَهُ الدَّجُوجِيُّ ، فَهَنَأْتُ نَفْسِي  
عَمُورِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلامَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،  
حَتَّى جَهَلْتُ مَمْرَفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ شَيَّبَ لِحْيَتَكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ  
حِلْيَتَكَ ! فَأَنْشَأُ يَقُول :

وَقَعُ الشَّوَابِ شَيْبٌ	وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلَّبٌ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ	فِي غَدٍ يَتَغَلَّبُ
فَلَا تَثِقْ بِوَمِيضٍ	مِنْ بَرَقِهِ فَهُوَ خَلْبٌ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى	بِكَ الْخَطُوبِ وَأَبُّ
فَا عَلَى التَّبْرِ عَارٌ	فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبُ

ثم نهض مفارقاً موضعه ، ومستصبحاً القلوب معه .

\*\*\*

تأهب جذوته : اشتعال جمرته واتقادها ؛ وأراد حدة ذهنه، والجذوة : النار في طرف العود . تألق : لمان . جلوته : ما جلاه وكشفه من وجهه ، وتقول : جلوت العروس جلوة ، إذا أزلت نقابها ، وأظهرت وجهها ، والجلوة بالكسرة : هيئة جلوه حين يجلى ، وأراد بتألق جلوته بريق وجهه . أمعنت : بالغت وأدمت النظر ، وأصله من أمعن في الأرض إذا أبعده الذهاب فيها . توسمه : نظر سماته ، وهي علامته التي بُرِف بها ، ويريد أنه أدام النظر في نعوته . سرتحت الطرف : أرسلت العين بالنظر ، وأصل الطرف تحرك العين عند النظر ، تقول : طرفت العين طرفاً . والعين : الجارحة ، والبصر : ما تدركه بنظرها ، ثم تُسميت العين طرفاً لذلك . وميسمه : علامته . أقر : ابيض ، نصار مثل لون القمر . الدجوجي : الشديد السواد ، وأراد نبات شعره الأسود .

قوله : « بمورده » ، أي بتدومه وإتيانه ، تقول : وَرَدَ علينا فلان ، إذا قدم عليك من بلد آخر ، والمورد : مصدر وَرَدَ ، وهو بمعنى الورد ، لأنه قدّم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعاً ، ولا يجد عنه مخبراً ؛ حيث قال : « واستتر عني حيناً » ، فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بتدومه وهناً نفسه على ذلك .

استلام : تبجل اليد . ابن الأنباري : استلم الحجر ، معناه أخذه ومسه بيده ، واستلم ، افتعل ، من المسألة . يريد أخذ الحجر وضمه إليه ، أو يكون استفعل ، من اللأمة وهي السلاح ، يريد أنه حصّن نفسه بمسّ الحجر من العذاب ، لأن السلاح إنما يابس ليمنع به ويتحصّن . أحال : غير . حليتك : صنتك ، ولذلك احتاج أن يعمن النظر لمّا تغيرت صفاته التي كان يعرفه بها من الفتوة والشبيبة ، فلما رآه قد شاب شعره ، وتغيرت صفاته لم يعرفه إلا بعد طول تأمل . وقال الحلواني القيرواني :

ولربّ باكيةٍ رأت في مِلَّتِي      وَخَزَ المِشِبِّ تَأَلَّقَتْ ضَحِكَاتِهِ

قالت : أغصنًا قد علاه فلا أرى      زهر الرّياض ونورت ورقاته  
فأجبتُها: قارعتُ في جنبِ الهوى      صرف الزّمان، وهذه نكباته  
ولا بن الجدّ :

نكرتُ محوّلِي وهومن فرط الأسي      لفراقِ إخوان عليّ كرامِ  
وتعجبتُ للشّيب لا تتعجّبي      هذا غبار وقائع الأيامِ  
قوله : «فأنشأ يقول» أي ابتداءً ، وأنشدوا :

أنشأت. تطلب ما تغيّر      ر قد تناشبت الأظافر

أي ابتدأت تطلب . الشوائب ، أصله ما يقع في الماء الصافي من الأتداء فيكدره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيئته . وقُلّب : كثير التقلّب ، فيحوّل من حال إلى حال . دان : طاع وانقاد . يتقلّب : يتحوّل عن الطاعة . وميض : لمع خفيّ . خُلب : خداع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تنق بالدهر ، إذا ما كسبت فيه شيئاً من المال فإنه يحوّل عنك ولا يترك لك منه شيئاً . أضرى : أغرى وألصقها بك ، وأصل «أضرى» من ضراوة الكلب ، تقول ضري الكلب بالصيد ؛ إذا تعلم الصيد ، وأضرّيته أنا بمعنى عرّضته للصيد . والخطوب : الأمور الشداد . وألب : حشد ، أي اصبر للشدائد إذا أضرها الدهر بك وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسبّك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والأربعين :

وطالما أصليّ الياقوت جمر غصبيّ      ثم انظف الجرّ والياقوتُ ياقوتُ

( ٩ - شرح مقامات الحريري ١ )

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذهبُ المحمى ومخبره يزيد في السبك للدينار ديناراً

وأشدوا :

اضبر على نوب الزما  
فرح وحزن تارة  
ن فكذا مضت الدهور  
لا الحزن دام ولا الشروز



## المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الحارثُ بن همامٍ قال : نَظَمَني وأخذانا لي نادٍ ، لمَ يَنخبُ  
فيهِ منادٍ ، ولا كِتاباً قدحُ زنادٍ ، ولا ذَكَتْ نارُ عِنادٍ ؛ فَبِينا نَحْنُ  
نتجاذبُ أطرافَ الأناشيدِ ، وتتواردُ طرفُ الأسانيدِ ، إذ وقف بنا  
شخصٌ عليه سَمَلٌ ، وفي مِشيتِهِ قَرَلٌ .

\*\*\*

نَظَمَني ، أي جمعني . أخذانا ؛ أي أصحابا . نادٍ : مجلس . منادٍ : متكلم .  
كبا : شحّ ولم يبد ناراً . قدح : ضرب . زناد : حديدة النار ، وزناد العرب  
من خشب ، وأكثر ما يكون من المرخ والعقار ؛ وإنما هو أن يؤخذ عود  
قدر شبر ، فيثقب في وسطه ثقب لا ينفذ ، ويؤخذ عود آخر قدر ذراع ، فيجد  
طرفه ، ويجعل ذلك في الثقب ، وقد وضعه رجلٌ بين رجليه ، فيديره ويفتله ،  
فيبدي النار ، فالأعلى زَند والسفلى زَندة ، والزناد جمع زند . قوله : « ذَكَتْ » ، أي  
اشتعلت . عناد : خلاف ، يريد أن هؤلاء الأصحاب لحسن أديهم ومناظرتهم  
ليس بينهم خلاف ، وهم علماء لا يسقط من كلامهم شيء ، وليس فيهم جاهل ،  
فيكون كلامه قليل الإصابة . والأناشيد : ما يتناشدونه من الأشعار بينهم ، كأن  
واحدنا أنشودة . وتجاذب أطرافها ، يريد المشاركة في إنشادها ، أي إذا أنشد  
أحدٌهم شعراً ليُغرب به شاركوه في إنشاده لحفظهم الأشعار ، فكانهم تجاذبوه كما  
يتجاذب بأطراف الثوب . والأسانيد : الأخبار المسندة إلى أهلها . وأصل التوارد ،  
مزاحمة الإبل على شرب الماء ، فجعل مشاركتهم في ضبط غرائب الأخبار

كتوارد الإبل على الماء، والطَّرف: الغرائب، والطَّرفة: الشيء العجيب من كل شيء، الذي لا يوجد له نظير. سَمَل: ثوب خلق، وأكثر ما تقول العرب: ثوب أسمال وأخلاق، فيوصف بالجمع لأنه قطع متفرقة. وسَمَل: قليل، وفي تبدل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب المتبدل الذي لا يبالي بما لبس». قزل: عرج.

\* \* \*

فقال: يا أخير الذخائر، وبشائر العشاير، عموا صباحاً، وأنعموا اضطباحاً، وانظروا إلى من كان ذا ندى وندى، وجدة وجداء، وعقارٍ وقرى، ومقارٍ وقرى، فما زال به قطوب الخطوب، وحرُوب الكروب، وشررُ شر الحُسود، وانتياب الثوبِ الشود، حتى صَفرتِ الرّاحة، وقرعت السّاحة، وغار المنبع، ونبا المربع، وأقوى المجمع، وأفضّ المضجع، واستحالت الحبال، وأعول العيال، وخلت المرابط، ورحم الغابط، وأودى الناطق والصّامت، ورثى لنا الحاسدُ والشّامتُ.

\* \* \*

قوله: «يا أخير الذخائر»، الأخير: جمع أخير، كما يقال: أكبر وأكبر، والمستعمل خير وشر، ولا يقال: أخير ولا أشر إلا شاذاً، وإن كان هو الأصل، لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل، لأنه يرد الشيء إلى أصله وقال رؤبه:

### \* بلال خيرُ النَّاسِ وابنُ الأَخِيرِ \*

فنطق بالمستعمل لشهرته ، وبأصله وهو قليل ، فإذا تعجبوا من ذلك قالوا :  
 ما أخيرَ فلاناً ، وما أشرَ فلاناً . والذخائر : جمع ذخيرة ؛ وهي الشيء النفيس الغالي  
 يصونه الإنسان ويعتده لزمانه . البشائر . جمع بشارة ، وقد بشرت الرجل بشارة  
 إذا أدخلت عليه السرور . والعشائر : جمع عشيرة ، وهي قرابة الرجل من قبيلته ،  
 يقول : أنتم أرفع الذخائر ، وخيرها ، وأنتم يستبشرون لقيمكم برويتكم ، وبتيامن  
 بلقائكم ، ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ؛ ليستمظفهم بهذا الكلام . عموا  
 صباحا : دعاء لهم بالنعمة في الصباح ، أى جعلكم الله تنعمون في صباحكم .  
 وعموا : أمر من وعم يعم ، وهي فى معنى نعيم ينعم . وأنعموا اصطباحا ، أى طاب  
 شربكم فى الصبح وتنعمتم به ، والاصطباح : أن يُصبحوا وهم يشربون . ندى :  
 مجلس اجتماع ، أى هو شريف يُقعد ويجتمع عنده . ندى : كرم . جدى : عطية .  
 العقار : المال الذى لا ينتقل كالنخل والدور والأرضين . قرى : جمع قرية .  
 مقار : جفان يُقرى فيها الأضياف ، أى يطعمون فيها . والقرى : طعام الضيف .  
 قطوب . عبوس . الخطوب : الشدائد . الحروب : القتال . الكروب : الهموم ،  
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : «مما أعلم أنه لا يقوله مكروب إلا فرج الله عنه ، كلمة  
 أخى يونس : ﴿ فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت ... ﴾ الآية .»

ومن كلام ابن المعتز : الحوادث الحضة مكسبة لحظوظ جزيلة ، وثواب مدخر ،  
 وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرور على مقارعة  
 الدهر ، وإذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة .

غيره : لولا حوادث الأيام ﷻ لم يعرف صبر الكرام ، ولا جزع

الناس .

وقال أبو تمام :

والحادثاتُ وإن أصابك بُوسُها فهو الذي أتباك كيف نعيمها<sup>(١)</sup>

الحسود : التمتعى إهلاك مالك ، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته ، يريد أن الحسود أتبع ماله بالعين حتى أهلكه ، وقلمًا يُوجد الذي يرمى بالعين لإحسودا . انقياب : نزول وقصود . الثوب : النوازل . قوله ، «صفرت» ، أى خلت من الدراهم الراحة : باطن الكف . قرعت : خلت من المال وصارت قرعاء . والساحة : فناء الدار ، والساحة عند العرب : الرحبة التى تُحلق بها البيوت ، وأراد أنها خلت من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك . غار المنبع : جفَّ الماء النابع ، والمنبع : موضع النبع . المربع : المنزل فى الربيع . ونبا : بأهله . وجد نبوة ، أى ارتقاها غير وطىء فلم تمكن الإقامة فيه . أقوى : خلا . الجمع : موضع الاجتماع . أقض : حَسُنَ وصار فيه القَضُض ، وهى الحجارة . والمضجع : موضع رقاذه ، وأخذه من قول أبي ذؤيب :

أم ما جنبك لا يلائمُ مَضْجَعًا إِلَّا أَقْضَ عَلَيْهِ ذَاكَ الْمَضْجَعُ<sup>(٢)</sup>

وكى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب اللال .

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب ؛ منها أن أعرابياً وقف بقوم ، فقال : أشكو إليكم أيها الملال زماناً أناخ على بكل كلكه بعد نعمة من البال ، وثروة من اللال ، وغبطة من الحال ، أخصماني جديدها بنبل مصائبه ، عن قسي نوائبه ، فاترك لى راغية أجتدى ضرعها ، ولا تاغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعَدِّ على حتفه !

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهدلين ٢ .

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو عليّ في نوادره حكاية عن أبي زيد اللغويّ على لسان أعرابيّ يشبه كلام الحريريّ هنا في سياقه وكثير من الألفاظ ، فيقول : إنّ المنبع الذي كنا نعيش به نحن وأموالنا قد ذهب ، فهل كنا بذها به . والمربع : وهو موضع الخِصْب ، صار نبوة لا ينبت شيئاً ، فلم تجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والمجالس التي كنا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلّت ، ومضجعنا الذي كان موطاً بالفُرَش أفضّ فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : «استحالت ، تغيرت» . وحالُ الرجلِ : ما هو عليه من خير أو شرّ أو غنى أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتقر إليه في مؤنته ونفقتة ، واحدهم عيّل . الرابط : المواضع التي تربط فيها الخيل وتُخبَس . الغابط : الذي يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق : المال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكلّ ما يُتملك من ذى روح ؛ سميت بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة والمتاع . رثى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يُسرّ بمصيبتك ، ومنه تسميت العاطس ، وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شماتاً وشماتة ، فهو شامت إذا سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .

\*\*\*

[ فصل في الحسد وما قيل فيه ]

والحسد أوّل ذنب عصى الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قاييل هايل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلَّانَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾<sup>(١)</sup>: إنهما قابيل وإبليس، فالحسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قابيل على قتل أخيه .

وقال علي رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا أخ لملول، ولا محب لسبيء الخلق.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحيبك، قال: وما يمنعك، ولست لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابن عمٍ! يريد أن الحسد موكل بالأدنين .  
الحسن البصرى: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من حاسد بنفسٍ دائمٍ، وحزن لازم، وغيره لا تنفذ .

معاوية: كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها .

المبرد: حدثنا الزبدي، قال: يقال: ستة لا تحطهم الكتابة: فقير حديث عهد بغي، ومكثر يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل الأدب وليس منهم .

قال الأصمعي: اجتمع ثلاثة حساد، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ قال: ما شتهيت أن يفعل بمسلم خير قط، فقال الثاني: أنت رجل صالح، ولكني ما شتهيت أن يفعل بي خير قط، فقال الثالث: ما في الأرض خير منكما، ولكني ما شتهيت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط .

قال: وأنشد الشاعر:

كلّ العداوة قد تُرجى مودتها إلا عداوة من عاداك من حقد

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ  
لَمْ يَلَا شَتَالَةَ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ  
طُوبَىٰ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ<sup>(١)</sup>  
مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبَ عَرَفِ الْعُودِ

وقال القاضي ابن عمر :

نَهَانِي حِلْمِي فَمَا أَظْلِمُ  
وَلَا بَدَّ مِنْ حَاسِدٍ قَلْبُهُ  
وَعَزَّ مَكَانِي فَمَا أَظْلِمُ  
بَنُورِ مَا ثَرِنَا مُظْلِمُ  
رَحِمْتَ حَسُودِي عَلَىٰ أَنَّهُ  
يَعَذِّبُ بِي ثُمَّ لَا يُرْحَمُ  
أَتَانَا الْحَسُودَ وَلَسْنَا كَمَا  
يَقُولُ وَلَسْنَا كَمَا يَعْلَمُ

وقال البائي :

إِنِّي لِأَرْحَمَ حَاسِدِي لَقَرَطًا مَا  
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ فِي فَعْيُونِهِمْ  
ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ  
فِي جَنَّةِ وَقُلُوبِهِمْ فِي نَارِ  
لَا ذَنْبَ لِي قَدِ رُمْتُكُمْ فَوَاضِلِي  
فَكَأَنَّمَا بَرَقَتْهَا بِنَهَارِ

قوله: «رثي لنا الحاسد والشامت»: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارحموا  
ثلاثاً: غنى قوم افتقر، وعزيز قوم ذل، وفقية ياب بها الجهال».

قال الشافعي: خمسة مرحومون: عزيز ذل، وغنى فل، وحبیب مل، وفصیح  
كل، وفقية ضل.

وقال الشافعي: ومن حديث واثلة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
«لأنظهر الشماتة بأخيك، فبعاقيه الله وبيتايك»، وأخذته الحريري من قول الآخر:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ  
وَمَغْرَمٌ تُوَقَّدُ أَحْشَاوَهُ  
وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ  
بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ  
رَقَّ فَمَا فِي جِسْمِهِ مَفْصَلَةٌ  
إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ

(١) ديوانه ٨٥

يرثي له الشامتُ مما بهِ يويحَ من يرثي له الشامتُ !

\* \* \*

وآل بنا الدهرُ الموقِعُ ، والفقرُ المذقِعُ ، إلى أنِ احتذينا الوجي ،  
واغتذينا الشجا ، واستبطننا الجوى ، وطوينا الأخشاءَ على الطوى ،  
واكتحلنا السهادَ ، واستوطننا الوهادَ ، واستوطننا القتادَ ، وتناسينا  
الأقتادَ ، واستططننا الحينَ المجتاحَ ، واستبطننا اليومَ المتاحَ ، فهل  
من حرّ آسٍ ، أو سَمحِ مواسٍ ! فوالذي استخرجني من قبلة ،  
لقد أمسيتُ أختا غيلة ، لا أملكُ بيتَ ليلة .

قال الحارث بن همام : فأويتُ لمفأقره ، ولويتُ إلى استنباطِ  
فقره ، فأبرزتُ ديناراً ، وقلتُ له اختباراً : إن مدحته نظماً ، فهو  
لكَ حتماً ، فانبرى ينشدُ في الحالِ ، من غيرِ انتحالِ .

\* \* \*

قوله : « آل بنا » أى رجع بنا ، وقد آل بثيل ويثول ، أى رجع . الموقِعُ :  
المهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقوع ، ورجل موقِع  
إذا اشتكى ألم رجليه . المذقِعُ : الملتصق بالدقما ، أى التراب ، أى لم يترك للإنسان  
شيئاً يبسطه غير التراب . احتذينا : اتعلمنا . الوجي : توجع باطن القدمين من الحفا ،  
يريد أنه لبس مكان النعال الحفا حتى توجعت قدماه . الشجى : ما يعرض في  
الخلق ، وكفى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بغذاء إنما هو مقلقة وتعيب .  
ولكن بالغ في وصف سوء حاله ، فقال : إنه يتنعل مالا يتنعل ، ويعتدى ما ليس .



بغذاء ، أى ليس ثمَّ انتعال ولا غذاء . استبطنا ، أى جعلناه فى بطوننا . الجوى : فساد الجوف . والأحشاء : مافى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد طوى يَطْوَى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه انطوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لعيني كُجِلت بالشَّهادِ ولجني نابياً عنِ وسادى

استوطنا : سكننا واتخذناه وطناً . الوهاد : ما انخفض من الأرض . استوطنا : وجدناه وطيباً . القتاد : شجر له شوك شديد يستعمل عندنا حمض الأمير . الأقتاد : خشب الرِّحال ، يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطيباً . الحين : الموت . المحتاح : من لفظ الجوائح ، يريد به المستأصل للأموال . استبطنا : وجدناه بلىء الحياء . المتاح . المقدر ، يريد أن يوم موتهم تمتوه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آس : طيب يطب علة الفقر والجمع الأساة . سمح : كريم . المواسى : المعين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى فى كريهته أخاه » ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواسى من الأسوة ، كأنه يشاركه فى ماله . ويقال : آسيته ، والأصل الهمز .

المفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه : شاركه فيما هو فيه .

مؤرَّج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلاً .

غيره : معناه يعوضه من مودته وقرابته شيئاً ، من الأوس وهو العوض .

قال الشاعر :

فلا رَمَيْتَكَ مِشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالَةِ<sup>(١)</sup>

(١) اللسان- هبل ، ونسبه إلى أسماء بن قارحة؛ وفيه أن الهبالة اسم ناقة أسماء بن قارحة .  
ورواية اللسان : « لأحشأنك » .

والهبالة: اسم ناقة ، أى أرميك بسهم يكون عَوْضًا عن الناقة . وَكَانَ أَصْلُهُ  
يؤاوسه ، فقدموا السين وهى لام الفعل ، وأخروا الواو وهى عينه ، فصار «يؤاوسه»  
فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، فهو من المقلوب ، وإن جعلته من أسوتُ  
الجرح ، إذا أصاحته فلا قلب فيه .

قوله : «فوالذى استخرجنى من قبيلة» ، قبيلة هى أمّ الأوس والخزرج ، وهى بنت  
الأرقم النسائية ، وانتسابه لها كانتسابه قبل إلى أقيال غسان . أخت عَيْلة : صاحب  
فقر ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ (١) ، أى فقراً ، وقال صلى الله عليه وسلم : «أعوذ  
بك من التسوة والغفلة والعيلة والمسكنة» . بيت ليلة : قوت بيت عليه ليلة .

أويت : أشفقت وحننت . مفارقة : جمع فقر على غير قياس - ومثله مذا كير  
الرجل جمع ذَكَر : محاسنه ومساويه . لويت : انعطفت . استنباط : استخراج .  
الفقر فى النثر : فواصله ، وهى مثل القوافى فى النظم ، والفقر : ما تقدّم فى المقامة من  
الكلام المفقر . أبرزت : أطهرت . حمأً : واجباً ، يريد أنه قصد إلى أن يحقق  
ما تقدّم من الفصاحة فى فقره إن كانت له أو انتحلها ، فقال ليختبره : امتدح هذا  
الدينار بشعر . فأنبرى ، أى اعترض وتقدّم . انتحال : ادّعاء منه فى شعر غيره ،  
يقال : انتحل كذا ، أى ألزمه نفسه ، وجعله كالملك ، من النحلة ، وهى الهبة  
والعطية .

\* \* \*

أَكْرَمَ بِهِ أَصْفَرَ رَأَتْ صُفْرَتَهُ  
مَأْتُورَةً سَمَمَتُهُ وَشَهْرَتُهُ  
وَفَارَنْتَ نَجْحَ الْمَسَاعِي خَطَرَتُهُ  
كَأَنَّمَا مِنْ الْقُلُوبِ نَقْرَتُهُ  
جَوَابَ آفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتَهُ  
قَدْ أودِعْتَ سِرَّ الْغِنَى أَسْرَتَهُ  
وَحُبِّبْتَ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتَهُ  
بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوْنَهُ حُرَّتَهُ

(١) سورة التوبة ٢٨ ،

وَإِنْ تَفَانَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِزَّتُهُ      يَا حَبِذَا نُضَارُهُ وَتُقْرَتُهُ  
 وَحَبِذَا مَغْنَمَاتُهُ وَنُصْرَتُهُ      كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَنْبَتِ إِمْرَتُهُ  
 وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَمْرَتُهُ      وَجَيْشٍ هَمَّ هَزَمْتُهُ كَرَّتُهُ  
 وَبَدْرٍ تَمَّ أَنْزَلْتُهُ بَدْرَتُهُ      وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَطَّى جَهْرَتُهُ  
 أَسْرًا بِنَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ      وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمْتُهُ أَسْرَتُهُ  
 أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسْرَتُهُ      وَحَقُّ مَوْلَى أْبَدَعْتُهُ فِطْرَتُهُ  
 \* لَوْلَا التُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ \*

\*\*\*

قوله: «اكرِّم به»، معناه ما أكرمه . راق . أعجبت . جواب آفاق :  
 قطاع بلاد . ترامت سفرته : بعدت غيبته، وسمى السفر سفراً ، لأنه يسفر عن  
 أخلاق الرجال ، أى يكشفها ويوضحها ، أخذ من قولهم : سقرت المرأة عن  
 وجهها ، إذا كشفته وأظهرته ، ويقال لامكسة : مسفرة ، لأنها تسفر التراب  
 عن الموضع ، وسفر بيته ، كنسه . ماثورة : محدث بها . سمعته : ذكره المسموع .  
 أودعت : ضمنت . أسرته : خطوط وجهه ، أراد نقشه ، وأن بين أسطاره سر  
 الفنى ، فمن ملكه ملك الفنى . فارنت : ساوت : النجح : ضد الخيبة . المساعى :  
 المشى فى طلب الحوائج . الأنام : الخلق . غرته : وجهه ؛ قيل لأبى الزناد : مالك  
 تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا ! قال : إنها وإن أدنتنى من الدنيا ، فقد  
 صانتنى عنها . والنقرة : القطعة المسبوكة من الذهب والفضة ، قبل أن يطبع منها  
 الدراهم والدنانير ، وأراد : كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبه  
 فيه . والنقرة ، إنما تستعمل من الفضة ، واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما ،  
 وأخذه من قول البحترى :

فكَلَّ قلبٍ إليه منصرفٌ كأنَّه من جميعها خُلِقًا (١)  
أو من قول ابن الرومي :

به أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفسُ  
أو من قول المتنبي :

في خَطِّه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ حتى كأنَّ مداده الأهواء (٢)

يصول : يقهر ويفلب ، وصال الشجاع على قرّنه ، والفحل على إبله ، والحمار  
على أُنْته صَوْلًا ، إذا قهر وعلا وصاح بها . الصرّة : الخرقّة تصرّف فيها الدراهم . حوته :  
ضمّته ، يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه . تقاتت : هلكت . توانت :  
أبطأت وضعفت عن نصرته . عترته : قرابته الأذنون . نضاره : ذهبه . نصرته :  
حسنه . مغناته : منابه ، يقال فلان يغني مغناتك ، أى ينوب منابك ، ويقوم مقامك ،  
يريد أنه ينوب عن الإنسان في المضايق وينصره . استتبت : تمت واستقامت ،  
والمستتب : الطريق البين ، قال الشاعر :

\* على مستتب كالجرّة تعمل \*

إمرته : ولايته . مُترف : منعم . حسرته : تفجّعه ، وحزنه . كرتته : رجعته ،  
وبدترتم : القمر ليلة الكمال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا  
جمعت في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته ، والبدرّة : عشرة آلاف درهم .  
مستشيط : غضبان : تتلظى : تتأهب . جمرته : شدّة غيظه . أسرّ : أخفى . نجواه :  
حديثه سرّاً . شيرته : حدّته وغضبه ، يقول : كم من غضبان شديد الفيظ ، مثل

(١) فلحق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوى ، مقصور ، وهو المحبة .

حاكم يَصُولُ بِصَاحِبِ جَنَايَةٍ وَيَهْدِيهِ ، فَإِذَا رُشِيَ بِالدِّينَارِ وَبُعِثَ إِلَيْهِ سِرًّا أُرْزِلَ غَضَبُهُ ، وَسَكَنَتْ حِدَّتُهُ . أَسْلَمْتَهُ ، تَرَكَتَهُ . أَسْرَتَهُ : قَوْمَهُ . مَسْرَتَهُ : فَرَحَهُ . أُبْدَعْتَهُ : أَوْ جَدْتَهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ . فطرتَه : خلقته . التقي : الخوف . جَلَّتْ : عظمت .

\* \* \*

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أَنْشَدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ،  
وَسَحَّ خَالٌ إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ  
عَلَيْهِ ، فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلانْتِئَاءِ ،  
بَعْدَ تَوْفِيَةِ الشَّنَاءِ .

\* \* \*

[ قصة المثل : أنجز حرٌّ ما وعد ]

قوله : «أنجز حرٌّ ما وعد»، هذا مثل ، قاله الحارث آكل المرار - وهو جدُّ امرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ، وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها؟ قال نعم ، فدلته على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا ، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان طريقهم على شجعات - وهي ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى قعد على رأسها ، ومنعهم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي : والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففي ذلك يقول نهشل بن حرّ بن منجز ابن نهشل بن دارم :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا الْجَيْشَ أَنْ يَتَأَوَّبُوا  
عَلَى شَجَعَاتِ وَالْجِيَادِ بَنَى تَجْرِي  
حَبْسَانَهُمْ حَتَّى أَقْرَوَا لِحَكْمِنَا  
وَأَدَّى أَتْقَالَ الْخَمِيسِ إِلَى صِخْرِ

فمعنى «أنجز حرثاً ما وعد»<sup>(١)</sup> أحضر وهياً. وقد نجز الشيء إذا حضر، ولفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرثاً ما وعد.

\* \* \*

سَحَّ: صبَّ وأمطار. خالٌ: سحابٌ يحيلُ لك أن المطر فيه. رَعَدَ: صوتٌ؛ يقول لابن همام: إنَّ السحاب إذا سمع الرعد سَحَّ بالمطر، وأنت قد أسمعتنى ذكر الدينار، ووعدتني به، فأنجز لي وعدى.

نبذتُ: رميتُ. مأسوفٌ: محزون. بارِكٌ: أى ضع البركة فيه، وقولهم: تبارك الله، أى تقدَّس وتطهَّر، وقيل: هو «تفاعل» من البركة، أى البركة تنال بذكر اسمك. الانشاء: الرجوع. توفية الثناء: كمال الشكر والمدح.

[ مما قيل في وصف الدينار ]

ومما قيل في وصف الدينار ومدحه:

وَمُقَسَّمِ الْوَجَنَاتِ يَبْرِقُ وَجْهَهُ      بَادٍ عَلَى وَجَنَاتِهِ عِبَادُ  
جُبَلِ الْأَنَامِ عَلَى حَبَّةِ حَسَنِهِ      فَكَأَنَّهُ رَبٌّ وَهُمْ عِبَادُ  
وفي مقامات البديع في وصفه:

يَاحْسَنَهَا فَاقْعَةُ صَفْرَاهُ      مَشْرَقَةٌ مَنْقُوشَةٌ قَوْرَاهُ<sup>(٢)</sup>  
يَكَادُ أَنْ يَقْطَرَ مِنْهَا الْمَاءُ      قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلَيْهِ  
يَاذَا الَّذِي بَغِيْتَهُ الثَّنَاءُ      مَا يَنْقِضِي بِقَدْرِكَ الْإِطْرَاهُ

\* امض على الله لك الجزاء \*

\* \* \*

(١) جهرة الأمثال ١ : ٣٠ ، فصل المقال ٧٩ ، الفاخر ٦١ .

(٢) مقامات البديع ٩٢ ، وفيها : « ممشوقة » بدل « مشرقة » .

[ فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه ]

وإذ قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ، فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكثرهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

\* وبيع آجلاً منك بالعاجلِ \*

وقال : وإذا خُيِّرتَ بين ذرّة منقودة ، وذرّة موعودة فَمِلْ إلى النقد .  
وقال جرير :

إِنِّي لأرْجُو مِنْكَ خَيْراً عَاجِلاً وَالنَّفْسُ مَوْلَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ (١)

قال آخر :

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ وَلَكِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ عِنْدِي الْمَعْجَلُ

وقال آخر :

أَتَى زَائِراً مِنْ غَيْرِ وَعَدِي وَقَالَ لِي : أَجَلُّكَ عَنِ تَعْذِيبِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد كَلَّمَ يحيى بن خالد في حاجة رجل ، فقال له : عدّ معني قضاءها ، فقال منصور بن زياد : وما يدعوك إلى العِدَّة مع القدرة ! فقال : هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إذا لم يتقدّمها وعد يُنتظر به نجحها ، لم تتحدث النفس بسرورها ؛ إن الوعد مطعم والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام كمن وجد رآحمته وتطعمه ثم طعمه ، فدع الحاجة تحتّم بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولفظ محمل .

(١) ديوانه ٤٩٥ ، من قصيدة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠ - شرح مقامات الحريري ١)

قال ابن الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لاتصنع إليّ معروفاً حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سب على غير وعد إلا هان عليّ قدره ، وقلّ مني شكره ، فقال له : لِمَ قلت ذلك ، وقد قال سيّد قومك أبو مسلم الخولانيّ : إن أنجح المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعد لا يكدره مَطل .

ووعده المهديّ<sup>(١)</sup> عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيريّ [ قول مضرّس الأسديّ ]<sup>(٢)</sup> :

ولا تياسن من صالح أن تناله وإن كان قدماً بين أيدي تبادره  
فقال : يُدفع لعبد الله جارية أخرى ، فقال الزبيريّ :  
وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مَطل ومن طول كده  
فقال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :  
حلاوة الفضل بوعدٍ ينجزُ لا خير في العرف كنهبٍ يُنهزُ  
فقال المهديّ :

الوعدُ أحسنُ ما يكو ن إذا تقدّمه ضمانُ  
وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل ، وجليله حقير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعد ، لم يجد للصنيفة مطعماً وفيه بقول أبو قابوس النصرانيّ :

رأيتُ يحيى أتمّ الله نعمته عليه يأتى الذي لم يأتِهِ أحدُ  
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعدُّ

(٢) من معجم الأدباء

(١) ط : « المستهدى » تحريف .

(٣) الخبير في معجم الأدباء ١٦ : ١٥٤



وقال الحارثي :

هو ما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ      منمنمةٌ زهراء ذات ثري صعدِ  
يأحسن من حرٍّ تضمّن حاجةً      لحرٍّ ، فأوفى بالنجاح مع الوعدِ

وقال ابن رشيق :

أحسنت في تأخيرها منّةً      لو لم تؤخّر لم تكن كامله (١)  
وكيف لا يحسن تأخيرها      بعد يقيني أنها حاصله !  
وجنة الفردوس يدعى بها      آجلة للمرء ، لا عاجله

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه! فقال أبو عمرو: من أولى منّا بالعتب؟ أنا وإلا أنت! قال: أنا؛ قال أبو عمرو: لا والله بل أنا، قال: وكيف؟ قال: لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد، فبيت ليلتك جذلان مسروراً وبت أنا بهم الإنجاز، فبت ليلتي منكراً منغموماً بما عاق الدهر من بلوغ الإرادة فيه، فلقمتني مدلاً ولقمتك مستهيباً.

واعتذر بعض الرؤساء لأبي عليّ البصريّ من تأخر وعد، فقال: في شكر ما تقدّم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه.

\*\*\*

فنشأت لي من فكاخته نَسْوَةٌ غَرَامٍ ، سهّلت عليّ اتئاف  
اغترام ، فجردت ديناراً آخرَ وقلت له: هل لك في أن تدممه ، ثم  
تضممه ؟ فأنشد مرّ تجلاً ، وشداً عاجلاً :

° ° °

(١) العمدة ٢ : ١٢٨ ، ١٢٩ .

قوله : «فتشأت»، أى ظهرت وبدت. فكاهة: مزاح. نشوة غرام: سكرة شوق، والغرام: الحبّ المعبّد للقلب. ائتفاف: استقبال. اغترام: غرْم. ثم ذكر أن يذمه ثم يضمّه، وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله :

إنّ المؤنة والحساب كالأهما      قرنا بهذا الدرهم المذمومِ  
كف الأنام بذمه وبضمّه      فتعجبوا للمذمّمِ مضمومِ

وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم :

ألا ربّ شيء فيه من أحرف اسمه      نواه لنا عنه وزجرٌ وإنذارُ  
ففتنا بدينارٍ وهمننا بدرهمٍ      وآخِر ذاهمٌ، وآخِر ذانارُ

وقال ابن رشيق :

صحفتُ دالين من دينة      ار يلوح ودرهمُ  
فقال لى ذلكم «ذى نار»      وذاقال: «ذَرهم»

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان، يجمعهما البلد والزمان، وكانا مرّة يتصاحبان، ومرّة يتباغضان.

وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم :

صديقُ المرء كالدينارٍ طبعاً      وكيف يفارق المرء الطباعاً!  
تراه إذا أقام يقيمُ جاهاً      وإن فارقته أجدى انتاعاً  
أخذه من قول كُشاجم :

ومريدٍ من أباه      ومهينٍ من أجَله<sup>(١)</sup>  
فهو كالدينار لا يك      -رُمُ إلا من أذله

وقال آخر :

النارُ آخر دينارٍ نطقتَ به      والهَمُّ آخر هذا الدرهم الجارى  
والمرء ما لم يفد من غيره ورعاً      مقسم القلب بين الهَمِّ والنارِ

قوله : «مرتجلاً» ، أى من غير تفكير . شدا : ابتداء الفناء وطرب بنشيدته

\* \* \*

تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَازِقٍ      أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَأَلْمُنَافِقِ  
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ      زِينَةَ مَعْشُوقٍ وَلَوْنِ عَاشِقِ  
وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ      يَدْعُو إِلَىٰ أَرْتِكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ  
لَوْلَا هُ لَمْ تُقْطَعِ يَمِينُ سَارِقِ      وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ  
وَلَا اشْمَازٌ بِاخِلٍّ مِنْ طَارِقِ      وَلَا شَكَا الْمَطُولِ مَطْلَ الْعَائِقِ  
وَلَا اسْتَعْيِدَ مِنْ حَسُودِ رَاشِقِ      وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ  
أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ      إِلَّا إِذَا فَرَّ فِرَارَ الْآبِقِ  
وَاهَا لَيْنٌ يَفْضِدُهُ مِنْ حَالِقِ      وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الْوَامِقِ  
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ :      لَا رَأَى فِي وَصْلِكَ لِي فَفَارِقِ

\* \* \*

تَبَّأَ : أى خسرأ . مُمَازِقٍ : لا يهتفو وده لصاحبه ، وقد مذق وده ، إذا لم يخلصه ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : الخلوط . أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شرّ الناسِ دو الوجهين، يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

ووقع هذا في نثر البديع، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى<sup>(١)</sup>: أظننا تريد؟ قلت: إى والله، قال: أخصّب رائدك، ولاضلّ قائدك، فمتى عزمتم؟ قلت: غداة غدٍ، فقال:

صباحُ الله لا صباحُ انطلاقٍ      وطيرُ الوصل لا طيرُ القراقِ  
وقال السَّعد لا يعدوك دأباً      يصاحبكم إلى يومِ التَّلاقِ<sup>(٢)</sup>

فأين تريد؟ قلت: الوطن، قال: بُلغتَ الوطن، وقضيتَ الوطر، فمتى العود؟ قلت: القابل، فقال: طويتَ الرِّيط<sup>(٣)</sup>، وثنيتَ الخيط، فأين أنت من الكرم؟ قلت: بحيثُ أردت، فقال: إذا رجعتَ الله سالماً من هذا الطريق؛ فاستصحب لي عدوًّا في ثياب صديق، من نجار الضُّفَر، يدعو إلى الكفر، ويرقص على الطُّفَر، كدائرة العين، يحطُّ ثِقَلُ الدُّنْ، وينافق بوجهين. فعملت - أنه يلتمس ديناراً، فقلت: ذلك لك نقداً، ومثله وعداً، فأنشأ يقول:

رأيتُك بما خطبتُ أعلَى      لا زلتَ للمكرُماتِ أهلاً  
صَلَبْتُ عوداً، ودمتُ فرداً<sup>(٤)</sup>      وطبتُ فرعاً وطبتُ أصلاً  
يا واحدَ الدهرِ والمعالَى      لا لقيَ الدهرُ منك تُكلاً

قوله: «عدوًّا في ثياب صديق» من قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتُ      له عن عدوِّ في ثياب صديق<sup>(٥)</sup>

قوله: «الرامق» أى الناظر، ورمقت الشيء رمقاً أتبعته النظر إليه. وزينته

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع الهمداني في المقامات ص ٢٢، ٢٣

(٢) هذا البيت ساقط من المقامات (٣) الريط: جمع ريطه، ومى الملاوة

(٤) المقامات: «جودا»

(٥) ديوانه ١٩٢.

المعشوق التي في الدينار : نقشه وتزيينه ، ولون العاشق : صفرته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينته فيهبواه ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ، ويدلّ على ذلك صفرته الظاهرة عليه . . وقال ابن ظفر : زينة المعشوق غرور مدعاة إلى التهور في الغرام ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسرّ من شاغف الكاف ، فالعافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعافل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدلّ على باطن الجوى . ذوى الحقائق ، يعنى أهل الرشد والعلم ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بعين الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب . ومن مَنَح السَّرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمنهما ، فكان الأعسر يعمل بيساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيئاً ، ففخر الأعسرُ عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما علمت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المعصية أو عن الإيمان إلى الكفر ، أُخِذَ من نَسَقَت الرطبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : الفاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (١) ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يهوئين في نجدٍ وغورٍ غائراً فواسقاً عن قصدها جوائراً (٢)

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) الفائق ، اللسان - فسق

اشمَارًا: انقبض . باخل : شحيح ، وبخيل أ كثر من باخل . طارق : قاصد  
 بئيل . المَطل : تأخير الحق الواجب ، وأصله من مَطَل القين الحديدَ في النار، إذا  
 مدّه وطوّله . العائق : الحابس ، وقد عاقبه عن الشيء إذا حبسه . راشق : عائن ،  
 وأصله الراعى ، فجعله للذى يضيّب الناس بعينه . واستُعِيد : قرى عليه المعوذتان ،  
 وهما: «قل أعوذ برب الفلق» ، و«قل أعوذ برب الناس» . الخلائق : الطبائع ، واحدها  
 خَلِيقَة . الآبق : الهارب ، وأبق العبد يَأْبِقُ إباقًا : زال عن مولاه . وفي معنى  
 فراق الدينار قول الأخطل :

ومعشوق يرقص كلَّ يوم ترى في وجهه أبدأً كلاماً<sup>(١)</sup>  
 إذا فارقتَه أجداك خيراً ولا يجدى عليك إذا أقاماً  
 وهذا من قول الحسن البصرى ، وقد رأى رجلاً يقبّ درهماً ، فقال له :  
 أتحمب درهمك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك .  
 واهماً : تعجّب ، معناه ما أعجب من يقذفه . حالق : جبل أملس مُنيف .  
 ناجاه : حدّثه سرّاً . الوامق : الحبّ ، وقد ومق يَمِيق مِقَّةً . الحقّ : القائل الحقّ .

\*\*\*

فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَغْزَرَ وَبَلَكَ ا فَقَالَ: وَالشَّرْطُ أَمْلَكُ ،  
 فَفَتَحْتُهُ بِالذِّينَارِ الثَّانِي ، وَقُلْتُ لَهُ: عَوِّذُهُمَا بِالْمَثَانِي ، فَأَلْقَاهُ  
 فِي فَمِهِ ، وَقَرَنَهُ بِتَوْنِهِ ، وَأَنْكَفَأَ بِحَمْدِ مَعْدَاهُ ، وَيَمْدَحُ  
 النَّادِي وَنَدَاهُ .

\*\*\*

قوله : «ما أغزر وبلك» ، أى ما أ كثر بلاغتك . وأملك : ألزم وأحقّ ،  
 يريد أن شرطك الذى شرطت من إعطائى ديناراً آخر إن ذمته ، فقد ألزمك

(١) لم أجدها في ديوانه .

بذئى له. والشرط أملك مثل<sup>(١)</sup> ، وأول من قاله الأفعى الجرهمى ، وكان حكيماً للعرب ، فتحاكم إليه خصمان ، فاشتراط أحدهما وأراد ألا يلتزمه ، فقال الأفعى : الشرط أملك ، وتقديره الشرط أملك لأمرك منك .

نفحته : رميته . عودهما : رقاها . والثانى : أم القرآن ، سميت بذلك لأنها تشبى فى الصلاة ، واحتصتها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار ، فكأنه قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين ، شكراً لله عليهما وتعويذاً لهما .

وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل :

معتدل القامة والقدّ      مورّد الوجنة والحدّ  
لو وضع الورد على خده      ما عرف الحدّ من الورد  
قل للذى يعجب من حسنه      اقرأ عليه سورة الحمد

وله فى مثله :

شكوت بالحبّ إلى ظالمى      فقال لى مستهزئاً : ما هو !  
قلت : غرام ثابت ، قال لى :      اقرأ عليه « قل هو الله »

وقال أبو عبيد : الثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء : القرآن ، سمّاه الله الثانى فى قوله تعالى : ﴿ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ ، وسبى الفاتحة « مثنائى » فى قوله : ﴿ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي ﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم . « إن المثنائى من السور ما دون المثين » ، كأنها جعلت مبادئ ، والتي تليها مثنائى .

قوله : « بتوءمه » ، أى بأخيه ، يعنى الدينار الأول . انكفاً : انقلب ووتى ، معناه بكوره وسيره فى الغدوّ . النادى ونداه : المجلس وكرم أهله .

## [ فصل في مدح الشيء وذمّه ]

ونريد أن نأتى بفصل في مدح الشيء وذمّه على حكم ما مدح الحريريّ  
الدينار وذمّه ، ونبيّن مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك ، فقد ألف ابن رشيق  
فيه كتاباً جابت في هذا الكتاب عيونهم .

قال أبو عثمان الجاحظ: العربي يعاف الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتلي به فخر  
به ، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره ، فأنهم هذا ؛ فإن الناس  
يفلطون على العرب ، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به ، وهذا  
باطل ؛ ليس شيء إلا وله وجهان ، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا  
ذموا ذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيق : وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذام على جهة المناقصة ،  
لا على جهة المناصفة ، ومن باب المسامحة لا من باب المشاحنة ، وإلا فالشيء  
لا يوافق ضده ، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة ، والمدح ذمّاً لمعنى واحد ،  
لكن لكل شيء - كما ذكر الجاحظ - مساوي ومحاسن ؛ كما فعل عمرو بن الأهتم  
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده الزبير بن بدر على  
ما ادّعاء من الشرف في قومه ، قال عمرو : أجل يارسول الله ، إنه مانع حوزته ،  
مطاع في أُنديته ، شديد العارضة . فقال الزبير : أما والله لقد علم أكثر مما  
قال ؛ ولكن حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما وقد قال ما قال ، فوالله ما علمته  
إلا ضيق الطعن زمر المروءة<sup>(١)</sup> ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة  
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاختلف قوله ، فقال : يارسول  
الله ، رضيتُ فقلت أحسن ما علمت ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمت ؛ وما كذبت  
في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان  
لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة<sup>(٢)</sup> .

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه  
محاربة الحسين بن عليّ رضي الله عنهما - وكان قبل ذلك يسمى الرأي عليه : أما

(١) زمر المروءة: قلبها ، وفي ط: «زمن» تحريف . (٢) جبهة الأمثال ١ : ١٣ .



بعد ، فإن السبوب يوماً ممدوح ، وإن المدوح يوماً مسبوب .  
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئاً قط ، فمر يوماً بكلب ميمت ،  
فقال أصحابه : ما أنتن ريمه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن  
بياض أسنانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! فقال :  
لأني شديد الرأي ، شديد الإقدام .

وقال مسleme بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطمع في الخلافة وأنت  
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأني حلیم ، وأنا عفيف ؛ فسلم لعائبه ما ادعاه من  
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم ينزع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن  
عبد الملك بن مروان ، فأثنى على الحجاج خيراً ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد  
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار  
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر  
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلاً ، وكان الله قد  
علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتة ابتلاه بالشجود  
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة  
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله  
وغشه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد فضيحتة أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .  
فالعنوه لعنه الله . ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الصبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي  
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصح هذا الثمر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان :  
أجل والله أيها الأمير ؛ يتعلم العوم في صبيانهم ، ويكون لسقايمهم ولسيل مياهم ،  
ويأتيهم بمرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فسأير زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضر هذا

التهر لأهل هذا المصر! فقال: أجل والله أيها الأمير، تزي منه دورهم، ويفرق فيه صبيانهم، ويكثر لأجله بعوضهم.

ومدح الجاحظ العروض، فقال: هو ميزان الشعر ومعياره، به يعرف الصحيح من السقيم، والعايل من السليم، وعليه مدار القريض والشعر، وبه يسلم من الأود والكسر. ثم ذمه فقال: هو علم مولد، وأدب مستبرد، ومذهب مرفوض، تستنكره العقول، مستنفلن فعول، من غيره فائدة ولا محصول.

وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده، ثم يقول: أما النفس فتسمحين، وأما الهم فتطردين، أفتراك مني ثقتين! ثم يشربها.

وشكا أبو العنقاء حاله إلى عبد الله بن سليمان، فقال: أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر! قال: كتبت إلى رجل قد حصر من همته طول الفقر، وذل الأسر، ومعاناة محن الدهر، فأخفت في طلبتي. قال: أنت اخترته، قال: وما علي أعز الله الأمير في ذلك! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً، واختار على رضي الله عنه أبا موسى حكماً، فحك عليه.

\*\*\*

قال الحارث بن همام: فناجاني قلبي بأنه أبو زيد، وأن تعارجه لكيد. فاستعدته وقلت له: قد عرفت بوشيك، فاستقم في مشيك. فقال: إن كنت ابن همام، فحييت يا كرام، وحييت بين كرام. فقلت: أنا الحارث، فكيف حالك والحوادث؟ فقال: أتقلب في الخالين: بؤس ورخاء، وأتقلب مع الرميحين: زعزع ورخاء. فقلت: كيف ادعيت القرى، وما مثلك من هزل! فاستسر بشره الذي كان تجلي، ثم أنشد حين ولى:

تَمَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ      وَلَكِنْ لَأَقْرَعَ بَابَ الْفَرَجِ  
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِبِي      وَأَسْلُكُ مَسْلِكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ  
فَإِنْ لَا مَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا      فَلَيْسَ عَلَيَّ أَعْرَجٌ مِنْ حَرَجِ

\*\*\*

قوله: «فاستعدته»، أي قلت له أعد عليّ. عرفت بوشيك، أي عرفت بحسن كلامك وتزيينه. استقم: استعدّل وأزِلْ عوجك. حَيِّت: طال بقاؤك، والتحية البقاء: حَيِّت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. بؤس: شدة العيش. رخاء: لينه وسعته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء في السَّير، وهو عدوٌّ فوق التقريب، وناقة مرخاء: سريعة. القزَل: أسوأ العراج، وقد قزل قزلاً.

وهزل هزلاً: ترك الجِدَّ في قول أو فعل، يقول: كيف تحيَّلت بالعراج ومثلك لا يهزِل ولا يقع في هذه النقيصة! فهو يهزأ به، فغضب عند ذلك. استسرت بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلَّى: ظهر. ولَّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أي أضرب. الفرج: كشف الهمم. ألقى حبلِي على غارِبِي: أي أسرح وأمشي حيث أحببت، والعرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة: حبلُك على غارِبِك، أي أنت مسيَّبة فتوجَّهِي حيث شئت لا مانع لك ولا حابس، والغارب: ما انحدر من السَّنام، والحبل هو الذي يُعقل به البعير، فإذا سرَّحوه حلوا عقالَه وألقوه على غارِبِه، قال ابنُ الأنباري: أصله أن يلتقي على حبل الناقة على غارِبِها فتفرع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أي أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مرَّج: خلط الجِدَّ بالهزل. حرج: إثم والله تعالى أعلم

## المفامة الرابعة وهى الرمياطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : ظَعَنْتُ إِلَى دِمْيَاطَ ، صَامَ هِيَاطِ  
 وَمِيَاطِ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرَّخَاءِ . مَوْمُوقُ الْإِخَاءِ ، أَسْحَبُ  
 مَطَارِفِ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَاءِ . فَرَأَقْتُ صَحْبًا قَدْ شَقُّوا  
 عَصَا الشَّقَاقِ ، وَارْتَضَعُوا أَفَاقِ الْوِفَاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ  
 الْمُسْطِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَكَالْنَفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي الشَّمَامِ الْأَهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ  
 ذَلِكَ نَسِيرُ النَّجَاءِ ، وَلَا نَرَحُلُ إِلَّا كُلَّ هَوْجَاءِ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مِنْزَلًا ،  
 أَوْ وَرَدْنَا مِنْهَلًا ، اخْتَلَسْنَا اللَّبَثَ ، وَلَمْ نُطَلِ الْمَكْثَ . فَعَنَّ لَنَا  
 إِعْمَالُ الرُّكَّابِ ، فِي آيَلَةٍ فِتْيَةِ الشَّبَابِ ، غُدَافِيَةِ الْإِهَابِ . فَأَمْرَيْنَا  
 إِلَى أَنْ نَضَا اللَّيْلُ شَبَابَهُ ، وَسَلَّتِ الصَّبِيحُ خِضَابَهُ .

\*\*\*

قوله : « ظعنت » ، أى رحلت ، والظعن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخًا ، وهى على ساحل البحر الملح ،  
 وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تَنيسَ ،  
 وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر ، وبها  
 تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تَنيسَ .

قوله : « هياط » : صياح ، وتهايط التوم : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مياط :  
 دفاع ، أى كان عام هَرَجٍ وَخِلَافٍ . مرموق : منظور إليه . الرخاء : سعة للال .  
 موموق : محبوب . أسحب : أجر . مطارف : ثياب لها أعلام فى أطرافها .

أَجْتَلَى : أَنْظَرَ . مَعَارِف : وَجُوه . السَّرَاء : الْفَنَى وَالسَّرُور . رَاقَتْ : صَحِبَتْ فِي السَّفَر . وَالصَّحْب : الْأَصْحَاب . الشَّقَاق : الْخِلَاف ، وَمَعْنَى شَقُوا عَصَاهُ ، أَزَالُوهُ وَطَرَحُوهُ ، وَالْعَرَبُ تَقُول : شَقَّ فُلَانُ الْعَصَا ، إِذَا تَرَكَّ الطَّاعَةَ وَخَرَجَ مَبَايِنًا ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْعَصَا تُضْرَبُ مِثْلًا لِلْاجْتِمَاعِ ، وَانْشِقَاقُهَا يُضْرَبُ مِثْلًا لِلْإِفْتِرَاقِ الَّذِي لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهُ . أَفَاقِيق : جَمْعُ أَفْوَاقٍ ، وَأَفْوَاقٍ جَمْعُ فُؤَاقٍ ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحُلْبَتَيْنِ . وَالْوِفَاق : تَرَكَّ الْخِلَافَ ، وَقَدْ وَاقَتْهُ مَوَاقِفٌ وَوِفَاقًا .

قوله : « لآحوا » ، أى ظهروا . والعرب تضرب المثل بأسنان المشط ، وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » ، فإن أرادوا الاستواء فى الشر قالوا : سواسية كأسنان الحمار ، وقال كثير يهجو بنى ضمرة :

فسائل بقومى كل أجردَ سامحٍ وسل غنارُ بنى بضمرة أو سَخْلًا<sup>(١)</sup>  
سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي كِبَرَةٍ منهم على ناشئ فضلًا

التثام : اجتمع واتفاق . الأهواء : جمع هوى ، وهو ما تحبُّه وتميل إليه النفس ، فأراد أن أغراضهم متفقة . النجاء : السير السريع . نرحل : نشد عليها الرِّحْلُ ونشخص بها . هوجاء : ناقة سريعة ، كأنَّ بها هوجًا وهو الحمق ، لسرعة مشيها . وردنا منهالاً : أتينا ماءً نَنزِلُ عليه ، والنهْلُ : المشرب الأول ، والعَالُ الثانى ؛ وذلك أن الإبل تَرِدُ الماء فتشرب منه ، ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح ، وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التمرثة ، ثم ترد مرة أخرى فتشرب الماء ، فالشرب الأول نهْلٌ ، والثانى عَالٌ . والنهْلُ : موضع النهل . والورود : قصد الماء .

اختلسنا : استرقنا . اللبث : الإقامة . ومثله المَكْثُ ، أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً . والرُّكَّاب : الإبل ؛ وإعمالها : استعمالها . فَبَيْتَةُ الشَّبَابِ : صغيرة السن ، وأراد أنها طويلة سوطاً لا قمر فيها ، لأن شعر الشباب أسود ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن الشريسي : و «رُبِّي» لغة فـ : «رُبِّي» .

ويريد أنها أول الشهر ، فهي كالفتية ، والليلة أول الشهر سوداء . غداقية : منسوبة إلى الغداف ، وهو الغراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها . أسرينا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نضاً الليل شبابه ، أى أزال ظلامه ، ونضاً ثوبه : جرّده عنه ، ومثله : سلّت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه ، وسلّت الشيء سلّتاً : أزاله عمّا علق به ، والمرأة خضابها كذلك ، وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة .

### [ مما قيل في سواد الليل ]

وينظر في سراه مع صحبه في سواد الليل إلى قول ابن شهاب :  
 وَفُتُوْا أَسْرَوْا وَقَدْ عَكفَ اللَّيْلُ وَأَقْمَى مُعْدَدِيفَ الْأَطْنَابِ  
 وَكَأَنَّ النُّجُومَ لَمَّا هَدَّتْهُمُ أَشْرَقَتْ كَالْعَيُونِ مِنْ أَهْدَابِ  
 يَنْفَرُونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاحٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَ أَوْهٍ مِنْ رِكَابِ  
 عَنْ ذِكْرِي لِمَدْحِهِمْ فَتَنَّاؤُوا مِنْ حَدِيثِي فِي عَرْضِ أَمْرِ حِجَابِ  
 هَمَّةٌ فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلًا مِنْ ذِيُولِ الْعُمَلَا وَجَدَّ الرَّكَّابِ

ومما جاء في سُرى الليل قول عبد الصّمد بن المعدّل ، وهو من حسن الاستعارة :

أَقُولُ وَجُنْحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ      وَلَيْلٌ فِي كُلِّ نَجَجٍ يَدٌ<sup>(١)</sup>  
 وَنَحْنُ ضَجِيعَانُ فِي مَسْجِدٍ      فَاللَّهُ مَا ضَمَّنَ الْمَسْجِدُ !  
 فِيَا لَيْلَةُ الْوَصْلِ لَا تَبْعَدِي<sup>(٢)</sup>      كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَبْعَدُ<sup>(٣)</sup>  
 وَيَا غَدَّ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا      فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَا غَدَّ

(١) ديوان المعاني ٤٣ . ونسبها إلى ابن أبي فتن .

(٢) ديوان المعاني : « لا تنفدى » (٣) ديوان المعاني : « لا تنفد »

وقال ابن المعتز :

ياربَّ ليلِ حالكِ الجلبابِ ملتحفٍ خافيتي غرابِ

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا نراعي الليل لم نطوِ بُرْدَهُ ولم يجن شيبُ الصبح من فرّعه وخَطَهُ

تراه كملك الزنج من فرطِ كِبَرِهِ إذا رام شيئاً في تأخره أبطأ

مطلا على الآفاق والبدرُ تاجُهُ وقد علّقَ الجوزاءُ في أذنه قرطاً

وقال حبيب :

إليك هتكننا جُنَحَ ليلٍ كأنه قد اكتحلت منه البلاد بِأَمْدٍ<sup>(١)</sup>

وقال ذو الرّمة :

ودويّةٌ مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليلُ الحصى بسوادٍ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدٌ<sup>(٣)</sup>

أحمّ غدافيّ ، وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريّ ، وأرّوعُ ماجدٌ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسفتها : سرت فيها على غير هداية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : « دليل كأتناء الرويزي جيته » . والرويزي : طيلسان ، شبه الليل في سواده به . وجيته : قطعه .

(٤) هذا البيت تفسير للأريمة في البيت السابق : أحمّ : أسود ، ومثله غدافيّ . وفي الديوان : « علاقي » ، منسوب إلى علاف حتى من العرب يعملون الرجال . والأبيض : سيف صارم قاطع ، والأعيس : الأبيض ، يعني بغيره . وأشعث ، يعني نفسه . والمهري من الإبل : منسوب إلى مهرة ، حي من عرب اليمن .

( ١١ شرح مقامات الحريري ١ )

وقال البحرى :

يا خليلي بالهواجر من مَعْنِ بنِ عوفٍ وُبُحْتَرِ بنِ عَتُودِ (١)  
اطلبنا ثالثا سواى ، فإني رابعُ العيس والدجى والبيدِ

وقال السّلامى :

إليك طوى عَرْضَ البسيطةِ عاجلاً قطارُ المطايا أن يلوح لها القَصْرُ (٢)  
وكنت وعزى في الظلامِ وصارى ثلاثة أشباح كما اجتمع النَّسْرُ  
وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ، ودارى هى الدنيا ، ويومٍ هو الدهرُ

فالبيت الأوّل والثانى نحو بيت البحرى ، والبيت الثالث نحو بيت ذى الرّمة فى التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك وإلا فلا . ولما مدح عضد الدّولة بلغه به من المكانة الثّغاية التصوى ، وفنّ بشعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ السّلامى فى مجلسى ، ظننت أن عطارداً نزل من السماء . وسندكر من شعره ما يحسن .

\* \* \*

فحين مللنا السرى ، وملنا إلى الكرى ، صادفنا أرضاً  
مُخضلة الرُّبَا ، مُعتلة الصِّبَا ، فتخيرناها منأخا للعيس ، ومحطاً  
للتعريس ، فأمّا حملها الخليطُ ، وهدأ بها الأريطُ والقَطيطُ ، سمعتُ  
صبيّتاً من الرِّجالِ ، يقولُ لسَميره فى الرِّحالِ : كيفَ حُكِمَ مُميرِ تِكْ ،  
معَ جيلِكَ وجيرِ تِكْ ؟

\* \* \*

(١) ديوانه ٦٣٣ ، وفيه « ياندىمى بالسواجير من ودين معن » والسواجير : نهر من أعمال منبج بسوريا  
(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٠



قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .  
 الرثبا: السكدى ، واحدها ربوة . معتلة الصبا ، أى لينة الريح . مناخاً: منزلاً .  
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطاً: منزلاً تحطُّ به الأحمال . التعريس :  
 النزول بالليل فى آخره، وهذا التخير الذى ذكر لهذه الأرض ، منتزَع من حديث  
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت  
 أرض مخصبة فتقصّدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها ، فإن الله رفيق يحب الرفق ،  
 وإذا كانت مجدبةً فألجأوا عليها ، وعليكم بالدجلة ، فإن الأرض تطوى بالليل ،  
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق ، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع .»  
 الخليط : الأصحاب . هدأ : سكن . الأطيظ : أصوات الإبل ، والغطيظ :  
 أصوات الناس التيام . صيتاً : جهير الصوت . سميره : رفيقه الذى يسمر معه  
 بالحدث . الرّحال : منازل المسافرين ، سميت رحالاً باسم الرّحال التى توضع فيها ،  
 والرّحل : اسم لما يحمله البعير من حملة وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك :  
 عادتك . جيلك : أهل عصرك . جيرتك : جيرانك .

\* \* \*

فقال: أرعى الجارَ ، ولو جارَ ، وأبذل الوصالَ ، لعمن صالَ ،  
 وأحتمل الخليطَ ، ولو أبدى التخليطَ ، وأودّ الحميمَ ، ولو جرّ عني  
 الحميمَ ، وأفضل الشقيقَ ، على الشقيقِ ، وأفي للعشيرِ ، وإن لم  
 يكافئ بالعشيرِ ، وأسثقل الجزيلَ ، للنزيلِ ، وأعمّر الزميلَ ، بالجميلِ .  
 أنزل مسيرى ، منزلة أميرى ، وأحلّ أنبىى ، محلّ رئيسى ، وأودع  
 مزارفى ، عوارفى ، وأولى مرافقى ، مرافقى ، وأبىن مقالى ، للقالى ،  
 وأديم تسالى ، عن السالى ، وأرضى من الوفاء ، باللقاء ، وأقنع

(١) السكدى : جمع كدية ؛ ومى الأرض العاظمة .

مِنَ الْجُزَاءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَطَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أُتَقَمُّ ،  
وَلَوْ لَدَغَنِي الْأَرْقَمُ .

\*\*\*

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح نحوفاً . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد ، ووسمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق الخالص ، والثانى الماء الحار . الشفيق : الحب . الشقيق : الأخ من الأب ، كأنه شق معك ظهر أبيك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى للعشير : أعامل الصاحب بالوفاء . يكافى بالعشير : يجازى بالعشر من فعلى ، والمكافأة المواساة . أستقل ، أراد قليلاً . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجميل : الأفعال الجميلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وفلان رئيس قومه : أفضاهم وأعزهم . أودع : أعطى وديعة . معارفى : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحداها عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولى مُرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرقعة لاتفاق بعضهم ببعض ، جمع مرفقة وهى المعونة وما يُرتفق به . القالى : المبعض ، وقليت الرجل قلى ، أبغضته . تسالى : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للمودة والتارك لها ، وسلوت عن الشئ أسلو سلواً وسلوة ، إذا تركته . اللفاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللفاء ما دون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حرملة رحمه الله :

فما أنا بالضعيف فتظلموه ولا حظى اللفاء ولا الخسيس (١)

(١) اللسان - لفا . وروايته : « فإنا بالضعيف فتزدربى » .

أقنع : أَرْضَى، والقناعة الرضا باليسير . والجزاء : المكافأة ، وجزأته بما صنع  
مثل كفايته ، والأجزاء : الأنصباء تقسم على جماعة ، واحدها جزء ، وأقلها أنقصها .  
أتظلم : أشتكى من الظلم . لا أنقم : لا أنتقم . تقول : نَقَمْتُ منه نَقْمَةً ، أى  
عاقبته ، فنعناه : لا أعاقب صاحبي ، ولو بلغ في الإضرار منى الغاية ، وتقول  
أيضاً : نَقَمْتُ الشئ وأنقمه نقماً ونقوماً : إذا أنكرته ، فنعناه على هذا :  
لا أنكر على صاحبي ولو بلغ في الأذى ، ويقال في الإنكار أيضاً ، نَقِمَ ينقِم .

\* \* \*

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَيَا بَنِيَّ ! إِنَّمَا يُضِنُّ بِالضَّئِنِ ، وَيُنَافِسُ  
فِي الثَّمِينِ ؛ لَكِنِ أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمُوَاتِي ، وَلَا أُسِمُّ الْعَمَاتِي ، بِمَرَاغَاتِي ،  
وَلَا أَصَافِي ، مَنِ يَا بَنِيَّ إِنصَافِي ، وَلَا أُوَاحِي ، مَنِ يُبْلَغُنِي الْأَوَاحِي ،  
وَلَا أَمَالِي ، مَنِ يُحَيِّبُ أَمَالِي ، وَلَا أَبَالِي ، بِمَنْ صَرَمَ حِبَالِي ،  
وَلَا أَدَارِي ، مَنِ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنِ يُخْفِرُ  
ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وِدَادِي ، لِأَضْدَادِي ، وَلَا أَدْعُ إِعَادِي ، لِلْمُعَادِي ،  
وَلَا أُغْرِسُ الْأِيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمُوَاسَاتِي ، لِمَنْ  
يَفْرَحُ بِمَسَا آتِي ، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا  
أَخْصُ بِجِبَابِي ، إِلَّا أَحِبَابِي ، وَلَا أَسْتَطِبُّ لِدَائِي ، غَيْرَ أَوْدَائِي ، وَلَا  
أُمْلِكُ خَلَّتِي ، مَنِ لَا يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَلَا أَصْنِي نَيْبِي ، لِمَنْ يَتِمَّنِي  
مَنْبِي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَائِي ، لِمَنْ لَا يُفِهُمُ وَعَائِي ، وَلَا أْفْرِغُ ثَنَائِي ،  
عَلَى مَنْ يُفْرِغُ إِنَائِي .

• • •

قوله: «ويك» معناه التعجب، كأنه قال: ما أعجبك! أو عجبالك. وقيل: أراد «ويلك»، فحذف اللام. إنما يضمن بالضمين<sup>(١)</sup>، هذا مثل؟، أوّل من قاله الأغلب العجلى، وفسره أبو عبيد<sup>(٢)</sup> فقال: معناه: تمسك بإخاء من تمسك بإخائك، وبيانه أن الضمين البخیل، ويضمن: يبخل، فيقول: إنما تمسك وأتعاق بصاحب تمسك بنى وعرف حتى، فأنا أبخل به على غيرى أن يشركنى في صحبتته كما يبخل بنى هو على غيره، وقيل: الضمين فى المثل هو الشيء المضمون به لنفاسته، فمعناه إنما يُبخل بالشيء النفيس الرفيع. المواتى: المساعد الموافق. العاقى المتكبر الصعب الخلاق. والمراعاة: المحافظة للود. أسم: جعلها سمة، أى علامة. أصافى: أخلص له ودّى. يآبى: يمنع. إنصافى، أى إعطائى الحق من نفسه. أواخى: أصير له أخاً وأتخذُه صديقاً. يلقى: يترك وي طرح. الأواخى: أسباب الود، واحداها أخیة، وأصل الأخیة عروة من حبل تشدّ فى وتدلّ أو على حجر تحت الأرض، وتبقى العروة على الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها. أمالى: أعاون، وأصلها الهمة، تقول: مالا تُته على الأمر أمالته، إذا عاونته وساعدته، ومنه: والله ما قتلت عثمان ولا مالات فى قتله، فخفف الهمة ليوافق أمالى، وهو جمع أمل، وهو الرجاء. صرم حبالى: قطع أسباب وصالى، وهم يكونون بالحبل عن الود، لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط. قوله: «أدارى»، أسوس وأحسن صحبتته. والزمام: حبل من جلود يربط فى حلقة فى أنف البعير. يخفر ذمامى: ينقض عهدى، أى لا أقادمن لاعهدله. ودادى: حُبّى، وهو من وادّه وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودّى، ويقال أيضاً: فى الحلب حباب، مثل وداد، قال الشاعر:

\* أداء عراني من حبابك أم سحر \*

(١) جهرة الأمثال ١ : ٤٩

(٢) اللسان، ونسبه إلى أبى عطاء وصدره:

\* فوالله ما أدرى وإنى لصادق \*

أضدادي : أعدائي المناقضين لأفعالي . إيعادي : تهديدي وتخويفي .  
 الأيادي : التعم ، وواسيته : مواساةً : جعلته أسوة نفسي في مالي فقاسمته فيه .  
 مساآتي : أحزاني وما يسوءني . التفاتي : نظري وانعطافي إلى جهته . يشمت :  
 يسرّ : وذاتي : موتي . أخصّ : أفرد . حبائي : عطائي . أحبائي : جمع حبيب .  
 أستطبّ : أطلب طيبه . خلّتي : صداقتي . يسدّ خلّتي : يصلح فكري . أخلص :  
 أبعده خالصاً . يُنعم : يملأ . أفرغ ثنائى : أصبّ مدحى وأكسوه ، أو يكون  
 أفرغه ، أبلغ آخره .

\* \* \*

وَمَنْ حَكِمَ بَانَ أَبْدُلَ وَتَخَزَنَ ، وَأَلَيْنَ وَتَخَشُنَ ، وَأَذُوبَ  
 وَتَجْمَدَ ، وَأَذْكَو وَتَخْمَدَ ! لا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ  
 الْمُثْقَالِ ، وَتَتَحَاذَى فِي الْفَعَالِ . حَذُو النَّعَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ التَّعَابِنَ ،  
 وَنُكْفَى التَّضَاغُنَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلَمُكَ وَتُعَلِّمُنِي ، وَأُقَلِّكَ وَتَسْتَقِلُّنِي ،  
 وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتَجْرِحُنِي ، وَأَسْرَحُ إِلَيْكَ وَتُسْرِحُنِي . وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ  
 إِنْصَافٌ بِضَيْمٍ ، وَأَتَى تُشْرِقُ نَفْسُهُ مَعَ غَيْمٍ ! وَمَتَى أَصْحَبَ وَدٌّ  
 بِمَسْفٍ ، وَأَيُّ حُرِّ رَضِيَ بِخَطَّةِ خَسْفٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

o o o

قوله : «تخزن» ، أى تجبس . أذكو : أضيء ، يقال : خمدت النار ، إذا  
 سكن لهبها ، وذكت : انقادت . والمثقال : الصنجة التي يوزن بها ، سميت بذلك  
 لأنها ثقيل ما يوزن بها في الكفة الثانية . تتحاذى : تتشابه . والنعال : بفتح  
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرهما إلا في مصدر ناعل ، قال ابن  
 الأعرابي : الفعال : فعل الواحد من الخير والشر ، والفعل بالكسر : الفعل بين  
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والعرب تقول في الشئين يشتهبان : هما حذو النعل

بالنعل، أى كل واحد من النعلين تقطع على قلب أختها، ومنه قول الهذلي:  
وتأمل السبب الذى أخذوكم فانظروا بمثل حذائه فاحذوني<sup>(١)</sup>

التغابن: الغبن. نكفى: نمنع. التضامن: العداوة، وتضامن الرجلان:  
اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضعفاً وهو الحقد. أعلك: أسقيك عللاً، أى مرة  
بعد أخرى. تعلقى: تمرضى. أفلك: أرفعك. تستقلنى: تحقرنى. أجترح:  
اكتسب. أشرح: أرى عليك، وأجلب عليك الرزق بالعداء والعشى.  
تسرحنى: تهملى. ضميم: ذل. أنى: كيف. تشرق: تضىء، من أشرقت،  
وتشرق تطلع، من شرقت. غيم: سحب. أصحاب: ألقاد. بعسف: يجور،  
وأصل العسف ركوب الأمر بغير تدبير. والخطبة: المنزللة والمرتبة، والخسف:  
الإذلال والنقصان، ومنه خسف الأرض، والخساف: المهزول، ويقال: باتوا على  
الخسف، أى جيباً ليس لهم شيء يتقوتون به والخسف للداية: أن تبيت  
بغير علف.

\* \* \*

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ بِي وَدَّهْ      جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أَسَدِهِ  
وَكَلْتُ لِلنَّخْلِ كَمَا كَالِ لِي      عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ  
وَلَمْ أَخْسِرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى      مَنْ يَوْمَهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ  
وَكَلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى      فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَزْسِهِ  
لَا أَبْتغِي النَّعْنَ، وَلَا أَنْتَنِي      بِصَفْقَةِ الْمُتَبَوِّنِ فِي حِسِّهِ  
وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لِنَنْ      لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ  
وَرُبَّ مَذَاقِ الْهُوى خَالِنِي      أَصْدُقُهُ الْوَدَّ عَلَى لَبْسِهِ

(١) ليدر بن عامر، ديوان الهذليين ٣ : ٣٦٠

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ حِنْسِهِ  
 فَأَهْجُرُ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجْرَ الْقَلِي وَهَبَهُ كَأَمَّا لِحُودٍ فِي رَمْسِهِ  
 وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةٌ لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ  
 وَلَا تُرْجُ الْوَدَّ مِمَّنْ يَرَى أَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَلْسِهِ

\* \* \*

قوله: «أعلق»، بمعنى ألق، أى ألق. أسه: أصل بنائه؛ يقول: من علق  
 يتلقى وده، جعلت ذلك الود أساً بقاى، وبنيت عليه ودى، فإن أسس فى قلبى  
 وداً سلماً بنيت له عليه مثله، وإن غشنى فى ودِّ غششته، والهاء فى «أسه» ترجع إلى  
 «من» أى من نصحنى فى صحبتته نصحته. والخلل: الصاحب. بحسه: نقسه.  
 أخسر: أقتص. الورى: الخلق من الناس. الجنى: ما يجنى من الثمرة.  
 أبتغى الغبن: أطلب الخداع: أثنى: أرجع، وصفقة المغبون: بيعة الخدوع.  
 حسه: نهمة، والحسن: صوت حركة الحى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال:  
 صفق صفقاً إذا ضرب بإحدهما على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب  
 أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري  
 وانعقد البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا  
 رضى البيع، ثم سُمى عقد البيع صفقة. مذاق: خلط غير مخلص. الهوى:  
 الحب. وخالى: حسبنى. كبسه: تخليطه وتليسه. غريمى: صاحب دينى.  
 من جنسه: من نوع ما أعطانى. استفباك: استفهك. القلى: البفض. هبه:  
 أحسبه. الملحود: المدفون. رمسه: قبره، ويمصر إلى بيته قول  
 ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ بِالغَى فهُوَ أَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوهُ  
يُكرَم المثرى فإن أمَلَقَ أقصاه بُنُوهُ  
أنت ما استغنيتَ عن صا حبك الدهرَ أخُوهُ  
فإن احتجتَ إليه ساعةً مجَّكَ فُوهُ

ووجد على حجر مكتوباً :

كلّ من أحوجك الدهر إليه وتعرّضت له هُنتَ عليه

وهذان الذهبان اللذان ذكرهما الحريريّ مبنيان على آيتين ، من كتاب  
الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولَا بِمِثْلِ مَا عُوِقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ  
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ  
مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاخير في صحبة مَنْ لا يرى لك من الحق ،  
مثل الذي ترى له » .

[ مذاهب الشعراء في العفو أو الانتصاف ]

وللشعراء القدماء والحديثين في المذهبين شعر كثير ، قال المقمّع الكندي في  
المذهب الأول :

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي      وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٌ جَدًّا<sup>(١)</sup>  
أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بِطَاءٍ وَإِنْ هُمْ      دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِي أَتَيْتَهُمْ شَدًّا  
وَإِنْ أَكَلُوا لِحْيِي وَفَرَّتْ لِحْوَةُ هُمْ      وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتَ لَهُمْ مَجْدًا

(١) حاسة أبي تمام ٣ : ١٧١ - بشرح التبريزي



وإن ضَيَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غَيْبَهُمْ      وإن هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتَ لَهُمْ رُشْدًا  
وإن زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسِي تَمَرْتُ بِهِي      زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمَرْتُ بِهِمْ سَعْدًا  
لَهُمْ جَلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعُوا لِي غَيْبِي      وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رِذْدًا  
وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ      وَلَيْسَ يَسُودُ الْقَوْمَ مِنْ يَحْمِلُ الْحِقْدًا

وقال معن بن أوس المزني في المذهب الثاني :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته      على طرف الهجران إن كان يعقل<sup>(١)</sup>  
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تَضِيعَهُ      إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ  
وكنتُ إذا ما صاحبُ رامَ ظَنَّتِي      وبدلَّ سوءاً بالذي كُنْتُ أَفْعَلُ  
قلبت له ظهر المِجَنِّ نلم آدم      على ذلك إلا ريثما أتحمول<sup>(٢)</sup>

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أميل مع الذمام إلى ابن عمي      وآخذ للصدیق من الشقيبي<sup>(٣)</sup>  
وإن ألفتيني حُرًّا مُطَاعًا      فإنك واجدي عبد الصدیق  
أفترق بين معروفي وبينی      وأجمع بين مالي والحقوق  
وكنت إذا الصدیقُ أراد غيظي      وأشرقني على شريقي بريتي  
غفرتُ ذنوبه، وصفححت عنه      مخاذة أن أعيش بلا صدیق

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صدیق فقال له :

إني متى أحمل بحقدك لا أضرب به سواك<sup>(٤)</sup>

(١) حاسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٣ ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومتى أطعْتُكَ في أخيكَ أطعتُ فيكَ غداً أخاكِ  
حتَّى أرى مستقسماً يومى لداً ، وغداً لذاكاً

وقال أبو الفتح البُستى في المذهب الثاني:

فإن تزرني أزرُ وإمّا تقف بيابي أقف بيباكِ  
والله لا كنت في حسابي إلاّ إذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البُستى أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه  
أحد فيه ، ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإني لأختصُّ بعضَ الرجال وإن كان قدماً ثقيلاً عباماً<sup>(١)</sup>  
فإنَّ الجبين على أنه وخيمٌ ثقيلٌ يشهى الطاماماً

ولابن شرف :

بع من جفاك ولا تبخل بسلعتِهِ واطلب به بدلاً إن رام تبديلاً  
وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

\* \* \*

قال الحارثُ بنُ همام : فلما وعيتُ ما دارَ بينهما ، تقّتُ إلى أنْ  
أعرفَ عيَهما ، فلما لاحَ ابنُ ذُكّاء ، وألحفَ الجوّ الضيَاء ، غدوتُ  
قبلَ استِقلالِ الرّكّابِ ، ولا اغتداءَ العُرابِ ، وجَمَلتُ أستقرى  
صَوْبَ الصّوتِ الليليِّ ، وأتوسّمُ الوجوهَ بالنّظرِ الجليِّ ، إلى أنْ

(١) العمام : التليظ الحلق

لَمَحْتُ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحَادَثَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَمَّانِ ، فَعَلِمْتُ  
أَنَّهُمَا نَجِيًّا لَيْلَتِي ، وَصَاحِبًا رِوَايَتِي .

\* \* \*

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى اشتقت . عينيما : شخصيما .  
لاح : ظهر . ابن ذكاء : هو الصبح ، وذكاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن  
ذكاء لأنه من ضوءها . ألحف : غطى . الجو : الهواء بين السماء والأرض ،  
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد فى الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للسرائى الذى كَمَل السرى      على أخريات الليل فَتَقُّ مشرر<sup>(١)</sup>  
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً      تمايل عنه الجبل واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يجعل المندبل منه      مكان حمائل السيف الطوال  
غدا والصبح تحت الليل بادٍ      كطرفٍ أشقرٍ ملقى الجلال

وقال يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها      بأوجهٍ راحٍ تستنير فتشرف  
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما      تحمّل لقمان ، وأقبل يوسف

قوله : «غدت» ، أى بكرت واستقلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الا.

واحدتها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فخذف « مثل » المنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب المعارف ، وأراد أن اغتدأى كان قبل أن يقتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكوراً ، وهذا وما شابهه في هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « فتى ولا كمالك » ، فيريدون مالكاً أفضل من الفتى ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى أفضل في طيبه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب في ذكر « لا » بين المشبهين .

وأما قول الحريري : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ، ولا فائدة في ذلك ، فإذا حققت لفظة « ولا » في تشبيه الحريري على ما يجب لها في كلام العرب انقلب المعنى ، وإنما اللفظ من كلام عامة العراق ، فاستعملها لأنها عندهم متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزه المولدون في أشعارهم ، وجاء منه في مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس في مغربنا لفظة « ولا » في تشبيهاتهم كثيراً جداً على حد استعمال الحريري لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال الفنجديهي : الرفع في قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة في التشبيه من النصب .

قوله : « أستقرى » ، أى أتبع . صوب : جهة وناحية . الليلى : الذى سمي بالليل . أتوسم ، أتعرف وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . برُدان زئمان :

يوبان خَلْقَان . نَجِيًّا لِيَاتِي ، أَى الْمُتَحَدِّثَانِ فِيهَا ، وَجَعَاهُمَا مُتَحَدِّثِينَ مَعَ اللَّيْلَةِ مَجَازًا  
لَمَّا أَوْقَعَا الْحَدِيثَ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾<sup>(١)</sup> وَلَا يُمْكِرَانِ إِنَّمَا  
يُمْكِرُ فِيهِمَا ، فَدَسَبَ ذَلِكَ الْمَكْرَ إِلَيْهِمَا . صَاحِبَا رِوَايَتِي . أَى الذَّانِ أَرَوَى عَنْهُمَا  
هَذِهِ الْقِصَّةَ .

\* \* \*

فَقَصَدْتُهُمَا قَصْدَ كَلْفٍ بَدَمَاتِهِمَا ، رَاثٍ لِرَثَائِهِمَا ، وَأَبْحَثُهُمَا  
التَّحْوُلَ إِلَى رَحْلِي ، وَالنَّحْكَمَ فِي كُثْرِي وَقُلِّي ، وَطَفَقْتُ أُسَيْرُ بَيْنَ  
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْرُزُ الْأَعْوَادِ الْمُثْمِرَةَ لَهُمَا ، إِلَى أَنْ غُمِرَا  
بِالنُّحْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنَ الْخُلَّانِ . وَكُنَّا بِمُعْرَسٍ نَنْبَتُ مِنْهُ بُدْيَانُ  
الْقَرْيِ ، وَنَتَنُورُ نِيرَانَ الْقَرْيِ .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ ، وَأَنْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :  
إِنَّ بَدَنِي قَدْ انْسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفْتَأْذَنُ لِي فِي قَصْدِ  
قَرْيَةٍ لِاسْتِحْمٍ ؟ وَأَقْضِيَ هَذَا الْمَهْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ  
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ : سَتَجِدُّ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،  
أَسْرَعُ مِنْ أَرْتِدَادِ طَرْفِكَ إِلَيْكَ .

\* \* \*

كَلْفٍ : مَحَبَّةٌ . دَمَاتِهِمَا : سَهولَتُهُمَا ، وَالذَّمَامَةُ سَهولةُ الْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَا  
يُوطِئُهُ وَسَهْلَتُهُ وَأَذَلَّتُهُ بِيَدِكَ فَهُوَ دَمِثٌ . رَاثٍ : بِالْكَافِ مَشْفِقٌ . وَرَثَاتُهُمَا : سَوْءٌ

(١) سُوْرَةُ سَبَأٍ ٣٣ .

حالمها . أبجته : جعلته له مباحاً . كُثِرِي وُقْلِي : أى كثير مالى وقليله . طفقت : أخذت . أسير : أمشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسنار . أهز الأعواد ، استعاره ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فيواسونهم ، فكنى عنهم بالأعواد ، وقد كرّر هذا المعنى نظاماً حين قال :

قصده والشيخ يبنى جنى عودٍ له ما زال مهزُوزاً<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر فى مثله :

إلّا يَكُنْ ورقٍ غصّاً أراح به الـمعتفين إني لئن العود  
أراد إن لا أكن كثير المال إني كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهتزّ به ، من الأريحية . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف لأصل له ، ويقال لها الخلفة . قوله : « غمراً » ، أى أعطيا . النحلان : العطايا . الخِلان : الأصحاب . وقوله : « وكنا بمعرّس » ، المعرّس موضع النزول آخر الليل . تنتور : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كيسه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرّة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب :  
من بعد ما صارت هنيذة صرمةً والبدرّة النجلاء صارت كيساً<sup>(٢)</sup>

قوله : « انجلاء بوسه » ، انكشاف فقره . درّني : وسخى . ورسخ الشيء فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العالم فى العلم : دخل فيه . استحمّ : أدخل الحمام ، واستحمّ الرجل : اغتسل بالمحيم ؛ وهو الماء الحارّ . أفضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشيء : صنعته . المهمّ : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنّ أهمّ أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيّعها فهو لما سواها أضيّع . وقيل :

(١) فى المقامه الأربعين صفحه ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٧٧ ، والهنيذة : اسم المائة من الإبل . والصرمة : ما بين الدهرة إلى هضعة عشر . والنجلاء : الصرمة .

للمهم: الوسخ لأن الأمر المهم ، هو الذي في القلب منه همّ وشغل ، وقد ذكر أن الذي أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ ، فيكون قوله : « وأفضى هذا المهم » من قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لِيَقْضُوا تَفْسَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقد أهمني الشيء فهو مهم ، وهذا القول أوفق بمراده .

[ نبذة ما قيل في الحمام شعرا ونثرا ]

وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ في دخول الحمام :

يا صاح عهدي بالحمام قد بعداً	فلا تلمني فيه إن طلبت مدى
قارعت فيه العدا في معرك الجب	دحض تزل به الأقدام قد بعداً
عداً أترن برأسي حين تُرن به	توقدا وأعدت جلده جليداً
فظلت مستأصلاً بالقتل أجمعها	فلم أدع والداً منها ولا ولداً
ثم انثيت معاقى ناعماً جديلاً	مظفراً أستزيد الواحد الصمداً

ورأى نفسه ممتداً بين يدي الحكاك ، قال :

أغترت إن مُدّ في العُمري لي	وأرجى المتاب إلى قابلي
وأغفلُ والموت لي طالبُ	حيث كذب النضى القاتلِ
كأنّي بي هكذا ميتاً <sup>(١)</sup>	تَحَكَّمُ في يدِ الغاسلِ

وله أيضاً :

شكرت للدهر حسن ما صنعا	طريد مجدي تحيتي رفعا
يا حُسن حماننا وقد غرُبت	شمس الضحى فيه بعد ما ممتعا
أيقن أن الهلال راكبه	فضاء للعاضرين واتسعا
فأنعم أبا عامر بنعمته	والمحج لأمرين فيه قد جمعا

(٢) ١ (٢) كأن بي

(١) الحج ٢٩ : ١١٢

(١٢) - شرح مقامات الحريري : ١٦

نيرانه من زنادِكُمْ قُدِحَتْ وماؤه من بَنانِكُمْ نبعاً  
ولبعضهم في حَمَامٍ كانت مضاوئُه من زجاجِ أحمر ، وفي سماءه حرّة وبياض :  
تَحَيَّرْتُ مِنْ طيبِ حَمَامِنَا فَخَيَّلَ لِي أَنْ فِيهِ الفَلَقُ  
فمن حرّةٍ فوقنا وبيضاضٍ نلَدَّ الحبيبِ إِذَا ماعَرَقُ  
رأى الدهرَ ماسداً من حُسْنِهِ فَسَدَّ كُؤُوسِي سَقْفَهُ بِالشَّقِّقُ

ودخل الحمام أبو جعفر التُّطَيْلِيّ وأبو بكر بن بَقِّ رحمهما الله تعالى ، فقال  
أبو جعفر :

يا حُسْنَ حَمَامِنَا وبهجتِه مرأى من السَّحَرِ كلّه حَسَنُ  
ماءٍ ونازُ جِواها كَنَفُ كالقلبِ فِيهِ السَّرورِ والحزَنِ

ونظر فيه إلى غلامٍ وسيم ، فقال :

هل استمالك ميّال القوامِ وَقَدْ سالت عليه من الحَمَامِ أُنْدَاهُ  
كالفضنِ باشَرَ حرّ النارِ من كَثَبِ فظلَّ يقطر من أعطافه الماء

وقال آخر :

حَمَامِنَا فِيهِ فصل القِيظِ محتدِمٌ وفيه للبردِ سرٌّ غير ذِي ضررِ  
ضدّانِ ينعم جسم المرءِ بَيْنَهُمَا كالفضنِ ينعم بين الشمسِ والمطرِ

وقال ابن رشيقي : ومما قلته على عقب وداع :

ولم أدخِلِ الحمامَ ساعةً بَيْنَهُمْ لأجلِ نعيمٍ ، قد رضيت بِبُوسِي (١)  
ولكن لتجرى عَبرتي مطمئنةً فأبكي ، ولا يدري بذلكِ جليسي

(١) طراز المجالس ١٢٢ .



وقال آخر :

وحَمَّامٍ كَانَ النَّارَ فِيهِ      مسقرةً بنيرانِ الجحيمِ  
دخلت أنا ومن أهواه فيه      فعاد لنا كجنتِ النعيمِ

وقال آخر في ذم حمام :

وحَمَّامٍ سُوءِ وَحِيمِ الْهَوَا      قليل المياه كثير الزحَامِ  
فما للقيام به من قعودٍ      ولا للقعود به من قيامٍ  
حنياته عطفات القسيِّ      وقطراته صائبات السَّهَامِ

وقال آخر في تعجيل الخروج منه :

خذ من الحمام واخرج      قبل أن يأخذ منكَا  
حدِّثْ عنه وإلا      حدث الحمام عنكَا

وقال ابن رشيقي :

ومُرَّتْهُنَّ لَدَى الْحَمَّامِ أَضْحَى      وحالاه لأصحاب السَّعِيرِ  
إِذَا سَمُوا الْعَذَابَ أَوْ اسْتَعَاثُوا      أغاثوهم بباب الزمهريرِ  
كَذَلِكَ حَالُهُ حَرًّا وَبَرْدًا      بيت الحوض أو بيت الطهورِ  
وَطَالَ بِهِ ائْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ      فقد زاد الشقي على النَّظِيرِ  
وَلَهُ أَيْضًا :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَّامِ بَدْءًا وَعَوْدَةً      أَيْدَى بِيضًا مَا لَمْ يَنْبِئْ  
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عُرْيَانَ حَاسِرًا      فرحت بتطليقي وأنت قين<sup>(١)</sup>  
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ      وسُخْنٍ تَقَرَّ الْجَفْنَ وَهُوَ سَخِينُ

(١) ط : « نعين » . وما أنبته من ا ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحَمَامُ يذَكُرُ جِهْمَ ، وَيَنْقَى الدَّرَنَ ..  
وقال على رضى الله عنه : بئس البيت الحَمَامُ ! تُكشَفُ فيه العورات ، وترتفع  
فيه الأصوات ، ولا يُقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى .  
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقاشى فقال له : امدحْه ، فقال : يُذهب القِشَافَةَ ،  
ويعقب النظافة ، وَيُقَشُّ<sup>(١)</sup> الثُّخْمَةَ ، وَيطِيبُ النِّعْمَةَ ، فقال : ذمّه ، فقال : يهتِكُ  
الأسْتارَ ، ويؤلِّفُ الأقدارَ ، ويذهب بالوقار .

\*\*\*

قوله : « إذا شئت فالسرعة السرعة » ، يقول : إذا شئت أن تقصد الحَمَامَ  
فالزم السرعة ، وعجل الرجعة ، وكررها تأكيذاً ، والنعل الناصب لهما يلزم  
إضماره مع التكرير ، فإذا أفردت جاز إظهار النعل ، ونظيرهما قول العرب :  
الطريق ، الطريق ، والأسد الأسد وقال الشاعر :

\* خلّ الطريق ابنُ يبنى المنارُ لَهُ \*

فلما سقط التكرير ساغ له إظهار النعل . مطّلعى : مصدر بمعنى طلوعى .  
أهل الحجاز يفتحون لامه فى المصدر وغيرهم يكسرها . ارتداد طرفك ، أى  
رجوع نظرك .

\*\*\*

ثُمَّ اسْتَنَّ اسْتِنَانِ الْجَوَادِ فِي الْمَضَامِ ، وَقَالَ لَابْنِهِ : بَدَارِ بَدَارِ !  
وَلَمْ نَحَلْ أَنَّهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ التَّمَرَّ . فَلَمِثْنَا نَرْقُبُهُ رِقْبَةَ الْأَعْيَادِ ،  
وَنَسْتَطْلِعُهُ بِالطَّلَائِحِ وَالرُّوَادِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرْفُ  
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتِظَارِ ، وَوَلَّحَتِ الشَّمْسُ فِي  
الْأَطْمَارِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْتَا فِي الْمَهَلَةِ ، وَتَعَادَيْتَا فِي

(١) يقال : فسر الوطْبُ ، أى أخرج ما فيه من الريح

لِلرَّحْلَةِ ، إِلَى أَنْ أَضَعْنَا الزَّمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،  
فَتَأَهُبُوا لِلظَّنِّ ، وَلَا تَلُؤُوا عَلَى خَضْرَاءِ الدَّمَنِ .

° ° °

استنَّ استنَّ الجواد : جرى كما يجرى الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه  
إذا جرى في غير طريق بتحريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفِصال حتى القرعى <sup>(١)</sup> ،  
يريدون جرت الفِصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت  
شرفاً أو شرفين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بمستنة كاستنات الخرو ف وقد قطع الخيل بالبرود <sup>(٢)</sup>

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفوف ، وقد فسر « استننت الفِصال » بأن معناه  
أحسن رعيها ، حتى كأنه صقلها . والجواد : الفرس الكريم . المضمار : الطلق تجرى  
فيه الخيل ، سمي مضماراً لأن الخيل تضر فيه ، وذلك أن العرب كانت تستن  
الخيل فتستخرجها إلى المضمار ، فتجريها طلقاً قدر ما تحتمل ، ثم تزيد يوماً  
آخر في الجري على ذلك ، ثم لا تزال تزيد في الطلق كل يوم ، حتى تجرى بها  
الأميال ، فيسيل عرق الخيل بذلك الجري ، ويشد لها بذلك التضميم  
قال زهير :

تُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ تُسَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ <sup>(٣)</sup>

القرن : دُفِعَ العرق ، واحدها قرن .

وقوله : « بدار بدار » ، أي سبقاً سبقاً ، وهو معدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرِب للرجل يفعل ما ليس له أهل . جمهرة الأمثال ١ : ١٠٨

(٢) اللسان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧

أبدر بالجري ، واسبق إلى الحَمَام . لم تَحَلْ : لم تحسب . غرّ : خدع . نرقبه ، أى  
ننظر من أين يحيى ويروى : « نرقبه رقية أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الزقاق فى هذه الرّقية :

وشهرٍ أدرنا لارتقاب هلاله      جفوننا إلى نحو السماء موائلًا<sup>(١)</sup>  
إلى أن بدا أحوى الدامع أحورٌ      يجرّ لأذيال الشّباب غائلًا  
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً      بمن قد حوى طيب السّمول شمائلاً  
أتطلبك الأبصار فى الجوّ ناقصاً      وأنت كذا تمشى على الأرض كاملاً  
وله فى معناه :

لله شهرٌ ما نظرتُ هلاله      إلاّ كنونٍ أو كعطية لامٍ<sup>(٢)</sup>  
حتى تبدى لى أغنٌ مهفهفٌ      بضياته ينجابُ كلُّ ظلامٍ  
فطفقت أهتف بالأنام ضلّتمُ      وغلظتمُ فى عدّة الأيام  
ما جاءنا شهرٌ لأول ليلة      مذ كانت الدنيا بيدر تمام

نستطاعه ، أى نلتمس طلوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والرواد : الطالبون  
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون فى الطرقات ، الواحد  
طلية ، وأصل الرواد الطالبون للمرعى . هَرِم : شاخ ، ومعناه قارب أن يتمّ .  
ينهار : ينهدم . والجُوف : ما يأكله الوادى ، استعاره للنهار . لاحت : ظهرت .  
والأطيار : الثياب الخلقّة ، أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغبّر وبلى عند  
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس .

ومما يستغرب من ذلك قول العلوّى الأصهبانى :

ومجلسٍ شربٍ جثته مطرّباً      عشياً وعينُ الشمس فى الأفق تنعّسُ

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كأن جنوح الشمس ثم غروبها  
تخاص عَيْنَ بَيْنَ أَجْفَانِهَا الكرى  
وقال أيضاً :

إذا رتعت شمس الأصيل ونفقت  
وودعت الدنيا لتفضي نحبها  
ولا حظت الأنوار وهي مريضة  
كما لاحظت عواده عين مدنف  
على الأفق الغربي ورساً مُدْعِزَعَا (٢)  
وشوّل باقي عمرها فتشعشعا (٣)  
وقد وضعت خدّاً على الأرض أضرعا  
توجّع من أوصابه ما توجعا

أخبرني ابن منصور ، قال : خرجتُ بخارج فاس عشية مع فتى وراق ، فنظر  
إلى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم ، وأنشدني مرتجلاً :

انظر إلى الشمس في الأصيل  
ورقاً هذا النسيم حتى  
كأنها وجنتنا على ليل  
كأنما يشتكي نحولي

وقال ابن الزقاق :

وعشية لبست ملاء شقيق  
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما  
لو أستطيع شربتها كلفاً بها  
وقال ابن سراج :

والشمس تنفض زعفرانا بالرّبا  
وتبتّ مشكتهما على الفيضان

(١) ديوان الماني ٣٦١

(٢) ديوان الماني ١ : ٣٦١ ، ومذعلاًهما : مفرقا .

(٣) شوّل باقي عمرها ، أي لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : « لبست رداء شقيق »

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشى أنسٍ للسرور وقد بدأ من دون قرص الشمس ما يتوقع<sup>(١)</sup>  
سقطت ولم تملك يمينك ردّها فوددت يا موسى لو أنك يوشعُ

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تريك بياض غرّتها ووجهها كقرن الشمس أغسق ثم زالاً  
أصاب خصاصةً فبدا كليلاً كلاً وانفل سائرُه انفللاً

قوله : « بدا كليلاً » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »  
في المقامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تظلّ الشمسُ ترمقنا بلحظٍ مريضٍ مدنفٍ من خلفٍ سنترٍ<sup>(٢)</sup>  
تحاول فتق غيم وهو يابئ<sup>(٣)</sup> كعنينٍ يريدُ نكاحٍ بكرٍ

قوله : « تناهينا » ، أي بلغنا النهاية . والمهله : التراخي ، يقول : قد تراخينا في  
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هذا على حذف مضاف للعلم  
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم  
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم مني مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارِي

أي على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :

وأهلك مهرَ أبيك الدّوا ليس له من طعامٍ نصيبِ

(١) ديوانه ١٠٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان المعاني ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلحظ خفي » .

(٣) ط : « فتح غيم » ، وما أثبتته من ديوان المعاني .

أى فقد الدواء ، وجاء في القرآن ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾<sup>(١)</sup> أى أهل القرية ، و﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير في القرآن والكلام الفصيح ، بما لا يتم المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غا ط الحريى فقال : لو ت مدت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام التصيح فأراد : طالت بنا هذه السفره . وتمادى الشىء فهو متما د ، إذا طال فيه المدى ، وهو الغاية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره ، فطالت علينا السفره لعطلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسا فر فيه . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مئينا ، وأما مانهُ يُمونه مؤنًا ، فقام بمؤنته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظنن : الرحيل . ولا تلؤوا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب المزابل ، هى حسنة المنظر سيئة الخبر ، وإذا يبست لم ينتع بعدوها لخوره وضعفه ، فشبها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحتها ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطلهم عن سفرهم نهاراً فى انتظاره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، فقيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى المنبت السوء » .

\*\*\*

وَنَهَضْتُ لِأَحْدِجِ رَاحِلَتِي ، وَأَتَحَمَّلَ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ  
أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَايَ سَاعِدًا وَمُسَاعِدًا دُونَ الْبَشَرِ  
لَا تَحْسِبَنَّ أُنَى نَأْيُهُ كَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشْرِ  
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِمَّنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرَ

(١) - سورة يوسف ٨٢ .

(٢) - سورة محمد ١٣

قال: فَأَقْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتَبَ ، لِيَعْدِرَهُ مَنْ كَانَ عَتَبَ  
فَأَعْجِبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ .  
ثمَّ إِنَّا ظَعَنَّا ، وَلَمْ نَذِرْ مِنْ اعْتِاضِ عَنَّا .

\*\*\*

قوله: «أحدج»: أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء ،  
وأراد أرحل الناقة . وراحلته : ناقته . أتحمّل لرحلتي ، أو قرحملى للرحيل ،  
يقال : تحمّل القوم ، إذا عبّوا أحماهم وارتحلوا . والقَتَبُ: خشب الرّحْلِ . قوله :  
«ساعد» ، أى ذراعايستعين به . مساعدا : موافقا . نأيتك : بعدت عنك . أشرّ:  
بطر وعدم شكرٍ ، يقال : أشرّ الرجل يَأشِرُ أَشْرًا ، إذا بطر ، قال الأخطل  
يذكر بنى أمية :

أعطاكم الله جدًّا تنصرون به لا جدًّا لإصغيرم بعدد محتمر<sup>(١)</sup>  
لم يَأشروا فيه إذ كانوا موالية ولو يكون لقوم غيرهم أشروا  
قوله : «مذ لم أزل» ، أى مذنبت ووجدت . انتشر : ذهب . عتب : لام  
وسخط فعله . خرافته : حديثه اللئيمى .

### [ حديث خرافة ]

وحديث خُرافة<sup>(٢)</sup> مثلٌ سائر على السنة الناس في القديم والحديث ، يضرّب  
لكلّ حديث لا حقيقة له . ووقع في أمثال المفضل بسند يصل إلى عائشة رضى الله  
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثني حديث خُرافة ، فقال : رحم الله  
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرني أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن

(١) ديوانه ١٠٤ ، وفيه : « أعطاهم الله » .

(٢) انظر الميداني ١ : ١٣١ ، الفاخر ١٦٨ ، اللسان ١٠ : ٢١٤ .



فسبوه ، فقال أحدهم : نعوذ عنه ، وقال آخر فقتله ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ، قال : وما أتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أسرنا هذا فنحن نأتمر في أمره . فقال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنتُ ذا نعمةٍ فرالت ، وركبني دَيْنٌ ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صائح من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، فغلبني العطش ، فعدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألثفت إليه . فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوِّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوِّلها رجلاً ، فإذا أنا امرأة ، فأتيت مدينة قنزوجة جنى رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدت إلى بلدي ، فمررت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت ولم ألثفت له ، فدعا كالأول ، فعدتُ رجلاً كما كنت . فأتيت بلدي ، قنزوجة امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني . فقالوا : إن هذا عجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم نور يطير فلما جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يحفر في إثره ، فوقف عليهم فسلم ، فردوا ، وسألهم ، فردوا عليه مثل ردِّهم على صاحبهم ؛ فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجلٌ يربيه ، فانفلت ، فقال : أيتكم يردّه فابنتي له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، واتزرت ، ثم حفزت في إثره وأنا غلام ، وقد شبت ، فلا أنا ألحقه ولا هو يكلّ ؛ فقالوا : إن هذا لعجب ، اتعد فأت شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أبيض . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فسلم كما سلم صاحبه فردوا عليه كردِّهم على صاحبه . فسألهم فأخبروه الخبر ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أشركونني فيه ؟ فقالوا نعم ، قال : كانت لي أمٌ خبيثة . ثم قال للفرس الأثبي الذي تحته : أ كذلك هو

فقالت : برأسها نعم — قال : وكنت أتهمها بهذا العبد — وأشار إلى الفرس ،  
الذى تحت غلامه : أهكذا ؟ فقال برأسه : نعم — فوجهت بغلامى هذا الراكب  
ذات يوم فى بعض حاجاتى ، فحبسته عندها فأغفى ، فأرى فى منامه كأنها صاحت  
صنيحة ، فإذا هى بجرذٍ قد خرج ، فقالت : اسجد ، فسجد ، ثم قالت : اكرب  
فكرب<sup>(١)</sup> ، ثم قالت : ادرس فدرس ، ثم دعت برحاً فطحنت قدح سويقي ،  
فأتت به الغلام ، فقالت له : أنت به مولاك ، فأتانى به ، فاحتلت عليهما حتى سقيتهما  
القدح ، فإذا هى فرس أتتى ، وإذا هو فرس ذكر ، قال : أ كذلك ؟ قالت الفرس  
الأتتى برأسها : نعم ، وقال الفرس الذكر برأسه : نعم ، فقالوا إن هذا أعجب  
شئ سمعناه ، أنت شريكنا . فأجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبي صلى الله عليه  
وسلم فأخبره بهذا الحديث ، فما جاء من الأحاديث المحاللة نُسب إلى خرافة  
صاحب الحديث .

\* \* \*

قوله : « آفته » أى ضرره . ظعننا : رحلنا . اعتاض : استبدل .

(١) الفاخر : « احمد نخصد » .

## المقامة الخامسة وهي الكوفة

حكى الحارث بن همام قال : سمّرتُ بالكوفة في ليلةٍ أُدِيمُها ذو  
 لَوْنين ، وقمرُها كتمويدٍ من لجين ، مع رُققةٍ غُدُوا بلبانِ البيان ،  
 وسحبوا على سحبانِ ذيلِ النسيانِ ، ما فيهم إلا من يُحفظُ عنه  
 ولا يُتَحَفَّظُ منه ، ويميلُ الرقيقُ إليه ، ولا يميلُ عنه ، فاستهوانا  
 السمرُ ، إلى أن غرَبَ القمرُ ، وغلبَ السهرُ . فلهما روق  
 الليلِ البهيمُ ، ولم يبقَ إلا النهويمُ ، سمعنا من الباب  
 نَبأةً مُستنجِحِ ، ثم تلتها صكّةٌ مُستفتحِ ، فقلنا : من المُلمِّ ،  
 في الليلِ المُدَلِّمِ ؟ فقال :

\*\*\*

### [ الكوفة ]

سمّرتُ بالكوفة . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون  
 فرسخاً ، وسميتُ كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهي الرملة الشديدة  
 البياض ، وقيل : سميت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوَّفَ الرمل .  
 تكوَّفًا ، إذا ركب بعضُه بعضاً ، وقيل : سميت كوفة ، لأنها قُطعت من البلاد ،  
 من قولهم : أعطيت فلاناً كيفةً ، أى قطعةً ، وكفت أ كيف كينا : قُطعت .  
 والكوفة « فُعلة » منه ، قُلبت الياء واواً للضمّة التي قبلها .

وهي مدينة العراق الكبرى ، والبصرُ الأعظم وقبة الإسلام ، ودار هجرة  
 المسلمين ، وأوّل مدينة اختطّها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير<sup>(١)</sup> في رحلته حاجًا، أنه دخل الكوفة في أوّل محرّم سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فقال: هي مدينة كبيرة، قد استولى الخراب على أكثرها، فالعالم منها أقلّ من الخراب، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة الجاورة لها، وهي لا تزال تضرّ بها، وكفالك بتعاقب الأيام والليالي ما حقًا ومنينياً! وبنّاؤها بالأجرّ خاصّة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها ممّا يلي شرق البلد، ولا عمارة تتّصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبليّ منه خمس أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطتان متّسعتان، وهي على أعمدة من السوّاريّ المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مُفرّغة بالرّصاص، ولا قسّى عليها، وهي في نهاية من الطول متّصلة بسقف المسجد، فتجار العيون في تفاوت ارتفاعها، فما رُئِيَ في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه، ولا أطول أعمدة، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت يزاء الخراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال إنه كان مُصلّى الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه ستر أسود صونّاه، ومنه يخرج الخطيب لابساً ثياب السواد للخطبة، والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج، كأذه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط، هو محراب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ضربه الشقيّ عبدالرحمن بن مُلجّم، فالناس يصلّون فيه باكين داعين، وفي الزّواية من البلاط القبليّ المتّصل بأخر البلاط الغربيّ شبه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج، وهو مفارّ التّثور الذي كان آية نوح عليه السلام، ويتصل بالجدار القبليّ فضاء، يقال إنه كان منشأ السنيينة.

ومع هذا الفضاء دار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه - تلقينا هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسيّ البنيّ الرحالة، قام برحلته الأولى إلى المغرب من غرناطة سنة ٥٧٨، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١، ووصف مشاهدته في كتابه المعروف برحلة ابن جبير.

عن أشياخ - البلد وفي الجهة الشرقية بيت قبر مسleme بن عقيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير المنسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفُرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ ، والجانب الشرقي كله حدائق نخل ماتفئة يمتد سوادها امتداد البصر (١) .

\* \* \*

قوله : « سمرت » أي ذهب نومي . الأديم : الجلد ، وأراد أن لون الليلة فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جعله . كتعويذ من الجُبن ؛ وهو خرز فضة ، يُستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبعض الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيعلق في أعناق الصبيان .

[ مما ورد في الهلال من الشعر ]

وقال فيه السكرادي :

م فففيه هم قد أمضه	قَمَّ سَلَّ هَمِّي بالدا
ء كأنه تعويذ فضه	أَوْ ما ترى قر السما
ق تخاله في الخلد عَضَه	فإذا ألمَّ به الحما

وعلى معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

واخش صرف النوايب	اسقني قبل صاحبي
حُ خلال الغياهب	فالهلال الذي يلو

(١) رحلة ابن جبير ١٨٩ ، ١٩٠ .

مثل فتح اللجين صيد - غ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال منطويًا      في غرة النجر قارن الزهرة  
شبهته والعيان يشهد لي      بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ      لاح بهي المنظر  
كزورقٍ من فضةٍ      وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً ببطيرٍ قد أنار هلاله      فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر<sup>(١)</sup>  
وانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ      قد أثقلته حمولة من عنبر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالناي والعود      وشرب كأسٍ بكفٍ مقدود  
قد انتضت دولة الصيام وقد      بشر مرأى الهلال بالعيد  
يتلو الثرياً كفاغبرٍ شره      يفتح فاه لأكلٍ عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قميص الليل مستتراً      يستعجل الخطو من خوفٍ ومن حذر  
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحه      مثل القلامة قد قدّت من الظفر

(١) ديوانه ١١٦ . ديوان المغان ١ : ٣٤٠

وأخذه من قول الأعرابي :

كأنَّ ابن مُزنتها جانحًا فسيط لى الأفق من خنصر<sup>(١)</sup>

ابن مزنتها : الهلال . الفسيط : قلامة الظفر .

قوله : «غذوا» : أى ربّوا به وجعل غذاءهم ؛ واللّبان اللّادميات ، واللبن اللّادميات وغيرهن . سحبا : جرّوا . سحبان : فصيح العرب ، وانظره فى السادسة عشرة . ذيل النسان : طرفه ، يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سحبان ، فكأنهم جرّوا عليه ثوب النسيان حتى غطّوه ، فلم يذكره أحدمن هؤلاء ، وأصل ذلك أن يُسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى ، كقول امرئ القيس :

\* تعقّ بذيل الدرّع إن جئت مؤثلى \*

وكقوله :

خرجتُ بها تمشى نَجْرًا وراءنا على أثرٍ بناذيلٍ مرطٍ مرحلٍ<sup>(٢)</sup>

قوله : «يُحفظ عنه» ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظُ ، يُتَحَدَّرُ ، وأخذ هذا من قول سليمان بن عبد الملك : قد أكلتُ الطيب ، ولبست اللين ، وركبت الفاره ، وتبطنت العذراء ، فلم يبق لى من لذتى إلا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ . فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه ، وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ وقلة الغفلة فى الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد ثعلب :

إنى لأبفض عاشقًا متحفظًا لم تهمه أعينٌ وقلوبُ

(١) اللسان - فسط ، ونسبه إلى عمرو بن قبيصة وهو أيضا فى ديوان العاقى ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣- شرح مقامات الحريرى ١)

قوله: «يميل الرفيق إليه»، تقول: ملت إلى فلان، إذا أحببته وتقربت منه، وملت عنه، إذا كرهته وبعُدت عنه. والرفيق: الصاحب يُرتفق به في السفر. قوله: «استهوانا»، هوى بنا وشغلنا. والسمر: الحديث يُسمر عليه. وذكر الحريري أن أصل السمر ظل القمر، والسمر: الحديث، ومنه أخذ السمر، وغالب أحوال السمر أنهم يتحدثون في ظل القمر - وذكر هذا في تفسير الاربعة والأربعين - وهو الأصل، ثم لتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرًا، على أي حال اتفق. روق: ضرب رواقه، والرواق: الثوب يُستظل به من الشمس، يريد أن الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقًا فأنحجب عنهم به القمر. والبهيم: الخالص السواد، والبهيم الخالص من كل لون. والتهويم: النوم بالليل، والتغوير: النوم في القائلة، وقد هوم الرجل، إذا أسقط النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه، فحقيقته سجود الرأس من النعاس، قال ذو الرمة في ذلك:

وأشعث مثل السيف قد لآح جسمه      وجيف المهاري والهموم الأبعاد<sup>(١)</sup>  
سقاء النعاس كأس سكر فرأسه<sup>(٢)</sup>      لدين الكرى في آخر الليل ساجد

ويقال: خفق رأسه فهو خافق، قال ذو الرمة:

وخافق الرأس فوق الرّحل قلت له      زرع بالزمام وجوز الليل مرّ كوم<sup>(٣)</sup>  
وقال الرصافي<sup>(٤)</sup> فأحسن:

ومجدّين للشرى قد تعاطوا      غفوات الكرى بغير كئوس  
جَنَحُوا وانحنوا على العيس حتى      خلتهم يلمون أيدي العيس  
نبدوا الغمض وهو حلوا إلى أن      وجدوه سُلافةً في الرعوس

(١) ديوانه ١٣٠.

(٢) الديوان: «سقاء الكرى كأس النعاس وما درى».

(٣) ديوانه ٥٧٩. وزع بالزمام، أي اعطف الناقة بالزمام.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي، والأبيات في ديوانه ١٠٣.



قوله : « نَبَاة » ، أى صوت . مُسْتَنبِح : يَحْكِي نُبَاح الكلاب ، وكان الرجل إذا تَلَف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجّه ، حاكى بصوته نُبَاح الكلب ، فإن كان قريباً من العمران نَبَحَتْ لُنْبَاحه كلاب الحَيّ ، فسمع أصواتها ، فقصد الحَيّ . تَسْمَى العرب مَنْ يَفْعَل هذا المُسْتَنبِح . وأنشد أبو عليّ في نوادره :

ومستنبحٍ بات الصدى يستنبحه      فتاهَ وجوز الليل مضطرب الكيسر<sup>(١)</sup>  
رفعت له ناراً ثقبوا زنادها      تليح إلى السارى : هلم إلى قدري  
وقال حسان بن مائل :

ومستنبحٍ في جُنح ليلٍ دعوته      بمشوبة في رأس صمّدٍ مقابل  
فقلت له أقبل ، فإنك راشدٌ      وإنّ على النار الندى وابن مائل  
وقد أنشد أبو تمام في حماسه في باب الأضياف في المستنبح ما فيه كفاية ؛

قلينظر هنالك

قوله : « تَلَبَّها » ، أى تبعها . صَكَّة : دفعة . مستفتح : طالب فتح الباب .  
اللّمّ : الزائر : اللدلمّم : الشديد السواد ، من الدّهمة ، ولامه زائدة .

\* \* \*

يا أَهْلَ ذَا الْمَغْنَى وَقِيَّتِمُ شَرًّا      وَلَا لَقِيَّتِمُ سَابِئِيَّتِمُ ضُرًّا  
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الَّذِي أَكْفَهَرَا      إِلَى ذَرَاكُمُ شَمِنًا مُغْبَرًّا  
أَخَا سِفَارٍ طَالَ وَاسْبَطَرَا      حَتَّى انْتَنَى مُحَقَّقَوْنَا مُصْفَرًّا  
مِثْلَ هِلَالِ الْأَفْقِ حِينَ افْتَرَّا      وَقَدْ عَرَا فِنَاءَكُمُ مُعْتَرًّا  
وَأَمَّكُمْ دُونَ الْأَنَامِ طُرًّا      يَبْنِي قَرَى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرًّا

(١) أمالي الغالي ١ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد البكري في اللآلى هذا الشعر إلى رجل من بني الحارث بن كعب . وجوز الأيل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

فَدُونِكُمْ صَيْفًا فَنُوعًا حُرًّا يَرْضَى بِمَا أَحَلَّوْنِي وَمَا أَمَّرًا  
وَيَنْثِنِي عَنْكُمْ يَنْتِ الْبِرًّا

\* \* \*

المعنى : المنزل . ووقيتم : كوقيتم ، وإنما دعاهم بهذا ، لأن في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوشك قلوبُ الناس أن تملأ شراً حتى يجرى الشرُّ فضلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله » .  
ا كفهرة : تراكم ظلامه وكثر ذرأكم : منزل لكم وكنتم ، وكلُّ ما استترت به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرأ . شعيتاً : متغير الشعر ، والشعث : ترك غسل الرأس حتى يتغير . مغبراً : عليه الغبار ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخت ثيابه ، فقال : « أما وجد هذا ما ينقي به ثيابه ! » . ورأى رجلاً شعث الرأس ، فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به شعره ! » . أحنأ سفار : صاحب أسفار ، أي ملازم لها . اسبطر : امتد وطال سفره . انثنى : رجع وعاد . محقوقاً : منحنيًا . الأذق : ناحية السماء . افتتر : انفتحت أطرافه ولم يتقارب ، كأنه فرَّ هذا من هذا ، ومنه فررت الدابة ، وافتتر : ضحك ، وشبهه انحنأؤه من السفر بدائرة التمر الناقص ، وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه على الانحناء من الكبر ، قال الشاعر :

تقوس بعد مرَّ العُمَرِ ظهري      وداستني الليالي أي دوسِ  
فأمشى والمصا تهوى أمامي      كأن قوامها وترُّ لقوسي  
وقال ابن لبَّال :

قوس ظهري الشيب والكبر      والدهر ياعمرو كله غير  
كأنتي والمصا تدب معي      قوسها وهي في يدي وترُّ

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض فحتمته . معتزاً : قاصداً الطلب معروفكم ، أممكم : قصدكم . طُرَا : أجمع . يبنى قِرَى : يطلب طعاماً . احولى : اشتدت حلاوته . يثث : يفشى وينشر . البر : الإحسان .

\* \* \*

قال الحارثُ بن همامٍ : فلما خَلَبْنَا بِمُدْوَبَةِ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا ما وراءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَتَحَ البَابِ ، وَتَلَقِينَاهُ بِالترْحَابِ ، وَقُلْنَا لِلغُلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمَّ ما تَهَيَّيَا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحَنَّنِي ذَارِكُمْ ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُمْ ، أَوْ تَضَمُّوْا لِي أَلَّا تَتَّخِذُونِي كَلًّا ! وَلَا تَجَسَّمُوا لِأَجْلِ أَكَلِّ ؛ فُرْبَّ أَكَلَّةِ هَاضَتِ الأَكَلِ ، وَحَرَمْتُهُ ما كَلَّ ، وَشَرُّ الأَعْضَائِفِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيفِ ، وَآذَى المُضِيفِ ، خُصُوصاً أَدَى يَغْتَلِقُ بالأَجْسَامِ ، وَيُفْضِي إِلَى الأَسْتِقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي المَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ : « خَيْرُ العِشَاءِ سِوَا فِرِّهِ » ، إِلاَّ لِيَجْعَلَ التَّعَمُّي ، وَيُجْتَنَبَ أَكَلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعَمِّي ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تَقِدَ نارُ الجُوعِ ، وَتَحُولَ دُونَ المُجُوعِ .

\* \* \*

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراءَ برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولع علم ما وراءه من المطر . ابتدرونا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحباً . هيا هيا ، أى سق سق . هلم ما تهيأ ، أى أحضر ما تيسر . لا تلمظت بقراكم : لا تذوقت بطعامكم ،

وأصل التلمّظ تتبع اللسان ما بقي من الطعام في الفم بعد الأكل . كغلا : ثقيلاً ، وفلان كلٌّ على أهله ، إذا لم يكفهم مؤنة نفسه ، والكل : الإعياء ، وجمعه كلول ، وعلى فلان كلٌّ كثير ، قال النابغة الجعديّ :

رأيتم بني سعدٍ كلولاً كثيرةً شهيدٌ بذاك ابنا حماد بن أحمر<sup>(١)</sup> .

تجشّموا : تكافوا . أ كلا : طعاما ، والأكلة : الغداء والعشاء ، والأصل في هذا أنّ الأكل بالفتح ، مصدر أكل ، وبالضمّ ما أكل ، والأكلة بالفتح : المرّة الواحدة ، وبالضمّ اللقمة ، وبالكسر هيئة الأكل . هاضت : أضعفت ، وأدخلت عليه هيضةً ، وهي القيء والإسهال ، وأصل المثل : رب أكلة تمنع أكلات ؛ وقال ابن هرمة :

ورُبّت أكلةٍ منعت أخاها      بلذة ساعةٍ أكلاتٍ دهرٍ  
وكمٍ من طالبٍ يُشفي بشيء      وفيه هلاكه لو كان يدري

والماكل : جمع ماكلة أو ماكل ، وهي الأكل ، وهي أيضاً ما يؤكل . سامّ التكليف ، أي عرّض مضيفه إلى تكلف ما يشقّ عليه . والأذى : الضرر ، والمضيف : صاحب المنزل . يفضي : يُتول . سار سائرته : انتشر التحدّث به ومشى في الناس . خير العشاء سوافره ؛ بواكره ، أي ما أكل منه بضوء النهار ، واحداها سافرة ، والسافرة : المرأة التي سَفرت نقابها عن وجهها ، أي كشفتها ؛ فكأن اللقمة إذا أبصرتها عند أكلها قد سَفرت الظلام عن نفسها ، وتُجمع على سوافر على هذا المعنى ، حكى أبو بكر بن شعبان النحويّ ، قال : دخلت على محمد اليزيديّ وهو يتغدّى ، فقال : يا أبا بكر ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء . ماذا ؟ فقالت : لا أدري ، فقال : دخلت على حسين بن الخادم ، وهو يتغدّى فقال :

(١) ديوانه : ٥٦

يا أبا سليمان ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : كنت بحضرة الرشيد وهو يتغدى ، فدخل الأصمعي ، فقال : يا أصمعي ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره ، يعني ما يبصر من الطعام قبل الظلام . وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير . فقال : قال الحكيم - وقيل هو لعلّ ابن أبي طالب رضى الله عنه - من سرّه البقاء ولا بقاء . فليبكر الغداء ، وليبكر العشاء ، وليخفف الرداء - يريد ثقل الدّين .

التمشي : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالعشي . يُعشى : يورث العشاء ، وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دُرَيْد :

وأرى العشاء في العين أكثر ما يكون من العشاء<sup>(١)</sup>

أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره ، وقال كشاجم :

ونديمٍ مخالفٍ لا يشاء الذي أشأ<sup>(٢)</sup>  
هو في الصَّحْوِ لى أخٍ وعدوّ إذا انتَشَى  
اقترحت العشاء يو ما عليه فأدهشاً  
ساعةً ثم قالى لى : العشاء يورث العشاء

كأن هذا التطبّب أحذه كشاجم من قول [ضيف] صاحب بن عباد ، قال صاحب : ما أفجمنى أحد كأبي الحسن البديهي ، فإنه كان عندي ، فقدمت إليه فأكبه ، فأمن في الشمس ، فقلت : الشمس يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والعشاء المقصور داء في العين ، والممدود الأكل عشياً .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إِذَا تَطَبَّبَ ، فَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَقْلَهَا .

وورد النهي عن ترك العشاء في حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَدَعُوا الْعِشَاءَ ، وَلَوْ بَكَفَ مِنْ حَشَفٍ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ تَرَكَهُ مَهْرَمَةً <sup>(٢)</sup> . »

وقوله : « تحول دون الهجوع » ، أى تمنع من النوم ، وجاء في الحديث النهي عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحبى لى إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبى : لو كان فى ملحنا صاعتر ! فبعث سلمان مطهرته <sup>(٢)</sup> ، فأرهنها <sup>(٣)</sup> ، فجاء بصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبى : الحمد لله الذى أقتننا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قتعت لم تكن مطهرتى مرهونة ! وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخلل » ، وكفى بالمرء إثماً أن يسخط ما قرَّب إليه . الهجوع ، أى النوم .

\* \* \*

قال : فَكَأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا ، فَرَمَى عَنِ قَوْمِي عَقِيدَتِنَا ،  
لَا جَرَمَ أَنَا أَنْسَأَهُ بِالْإِزَامِ الشَّرْطِ ، وَأَثْنَيْنَا عَلَى خَلْقِهِ السَّبْطِ .  
وَلَمَّا أَحْضَرَ الْغُلَامُ مَارَاجَ ، وَأَذْكَى بَيْنَنَا السَّرَاجَ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا  
هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لِيَهْنِكُمُ الضَّيْفُ الْوَارِدُ ، بَلِ الْمَغْنَمُ  
الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَسْكُنُ أَفَلْ قَمَرُ الشُّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرِ ،  
أَوْ اسْتَسْرَّ بَدْرُ النَّثْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَدْرُ النَّثْرِ . فَسَرَتْ مُحْيَا الْمَسْرَةَ  
فِيهِمْ ، وَطَارَتْ السَّنَةُ عَنْ مَا فِيهِمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَوْهَا ،

(١) الحشف : ردىء التمر . (٢) المطهرة : إناء يطهر به .

(٣) أرهنها : جعلها رهناً .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفِكَاهَةِ بِنْدِ مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ عَلَى  
إِعْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطْرَفْنَا بَغْرِيَّةً مِنْ  
غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ ، أَوْ عَجِيْبَةٍ مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ . .

\*\*\*

قوله : «عقيدتنا» ؛ أى ما انعقدت عليه نياتنا، ويقال : رميت عن القوس ،  
ولا يقال : رميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بد  
ولا محالة . السَّبَطُ : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السَّرَاجُ : المصباح .  
تأملته : نظرت . ليهنكم ، أى ليسرّكم . الوارد : القاصد . المغم البارد : الهنى الذى  
يُغْنِمُ دون قتال ولا تعب . أفل : غاب . الشعرى : كوكب معروف ، وهما  
شعريان : العبور والغميصاء ، سمّوها عبورا لأنهم يزعمون أنها عبرت الحجرّة ،  
وسموا الأخرى الغميصاء لأنها بكت على أخيها حتى غمضت عينها . أى خفيت .  
استدرّ : غاب وخفى . الثثرة : ثلاثة أنجم مجتمعة . تبلّج : ظهر وأضاء . النثر :  
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر  
الفصاحة قد طاع ، فجدّدوا حديثكم ودعوا النوم .

سرت : مشت . حميا المسرّة : شدة السرور ، والحميا : حدة الخمر وتسمى الخمر  
الحميا . السنّة : أخفّ من النوم . ما قيمهم : عيونهم ، والمائق : طرف العين من جهة  
 الأنف . رفضوا : تركوا . الفكاهة : الحديث المظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :  
لا تمازحن صبيا ولا تفا كهنّ أمة ، قال ابن الأنباري : المعنى : لا تمازحن ، إلا أنه  
استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه ، مخالف للفظه . وتفا كهنّ ، مشتق  
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرّانة :

وإنّ امرأ لم يُعْفُ يوماً فكاهةً لمن لم يُرِدْ سوءاً بها بجهول<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ١٢٠ .

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، فقال: له هزل يؤتم به، وجدُّ يتقدم الجِدَّ،  
 وبين ذلك فكاهة تستملح ، ودعا به تستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح  
 ومزاح وممازحة . اليزيدى: المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو: ما ذكره اليزيدى  
 مصدر ما زحت مزاحاً وممازحة .

قوله: «مكب» ، أى مائل الرأس . إعمال يديه: استعمالها بالأكل . واسترفع:  
 أمر برفعه ، ويروى «استفرغ» ، أى أتم . أطرفنا، أى حدثنا بطريقة ، وهى الحديث  
 المستملح ، والطرفة عند العرب : الشيء المحدث الذى لم يكن عرف ، وجاء فلان  
 بطرفة وشيء طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما المال المستحدث  
 الذى جمعه الرجل واكتسبه . والتالد : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى وكان المال بالأمس مالياً  
 أسمارك : جمع سمر ، وهو الحديث يُسمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّامُونَ ، وَلَا رَوَاهُ  
 الرَّأُونَ ؛ وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبَهَا مَا قَايَنَتْهُ اللَّيْلَةُ قُبَيْلَ انْتِيَابِكُمْ ، وَمَصِيرِي  
 إِلَى بَابِكُمْ ؛ فَاسْتَخْبِرْنَا عَنْ طُرْفَةِ مَرَاه ، فِي مَسْرَحِ مَسْرَاه ، فَقَالَ :  
 إِنَّ مَرَامِي الْعُرْبَةَ ، لَفَطَّتْنِي إِلَى هَذِهِ التُّرْبَةِ ، وَأَنَا ذُو مَجَاعَةٍ وَبُوسَى ،  
 وَجَرَابِ كَفُودِ أُمِّ مُوسَى . فَتَهَضَّتْ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنْ  
 الْوَجَى ، لِأَرْتَادِ مُضِيْفًا ، أَوْ اقْتَادَ رَغِيْفًا ، فَسَأَلَنِي حَادِي السَّعْبِ ،  
 وَالْقَضَاءِ الْمَسْكُونِ أَبَا الْعَجَبِ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ ، فَقَلْتُ  
 عَلَى بَدَارِ :

\*\*\*



قوله: «مالم يره اراءون»، أى الناظرون إليه، وقوله: «ولارواه الراوون» أى حفظه الحافظون. عابته: شاهده ورأبته بعيني. انتيابكم: قصدكم. مصيرى: رجوعى. مرآه: رؤيته. مسرح: حيث يسرح ويمشى. مسراه: سيره بالليل. مراى: قواذف التربة: البلدة. محاعة: جوع. بؤسى: ضرر. جراب: وعاء الزاد. كفؤاد أم موسى، أى فارغاً لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ نُؤَادٌ أُمُّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ (١).

[ قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه ]

وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر، وهو بالقبطية هو الماء، وشجرة الشجر، فعربت فجعلت الشين سيناً. وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ولم تنزل بنو إسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة، وهم على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام المشروع له وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام، حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتز على الله منه ولا أطول عمراً. وكان شديد الغاظة سبباً للملكة. واسمه الربيع بن مصعب، وكان اتخذ بنى إسرائيل حولاً، فصنّف منهم بينون، وصنّف يجرثون، ومن لا عمل له وظف عليه الجزية، فرأى فى منامه أن ناراً أقبلت من المقدس، فأحرق القبط وتركت بنى إسرائيل، فسأل عن رؤياه، فقيل له: يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر، فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى إسرائيل. فجمع القوابل وعهد إليهن بذلك، فذبح الولدان وعذب الحبالى، حتى يطرحن ما فى بطونهن، حتى كاد يفنيهم، فقيل له: إنهم حوأك، وإنك إن تفنيهم ينقطع النسل. فأمر بقتل العلماء عاماً ويستحون عاماً، فولد هارون فى السنة التى يستحيون فيها. وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها.

فلما وضعته أمه حزنّت لشأنه، فأولحنى الله إليها: أن أرضعيه، فإذا خفت

عليه فألقيه في اليمّ - وهو النيل - ولا تخافي ولا تحزني. فعمات تابوتا وجعلته فيه ، وألقيته في اليمّ ، وقالت لأخته: قصّيه ، أى اقتنى أثره ، فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جواري فرعون يفتسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهى بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشى أن يكون المولود الذى حُدّر منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (١) ، فاللام من ﴿ لِيَكُونَ ﴾ للعاقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فاتّخذ له ولدا ، فارتادوا له المرضعات ، فلم يقبل ثدى واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته تأمها تلتمس رضاعه ، فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فجاءت بأمه .

فلما رأته كادت لشدة حبّها فيه ، ونرحها به أن تقول : هو ابني ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربّته فى قصر فرعون ، فلما تحرّك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مدموسى يده إلى لحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، فإنما هو هذا ! فقالت آسية : قرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه فإنه صبيّ لا يعقل ، ودعت له بحمر وياقوت لتختبره ، فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار وأخذ قطعة منها ، فوضعها موسى عليه السلام فى فيه ، فأحرقته . فتركه فرعون ، فكبر فى حجره . فلما ترعرع تبناه ، فكلن يركب مراكبه ويلبس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

(٢) سورة القصص ١٢ .

(١) سورة القصص ٨ .

(٣) سورة القصص ١٠ .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب ، فركب أثره ، فأدر كه ببلد منف ، فدخلها وقد أحلّيت لفرعون وليس في طرقها أحد ، فرأى إسرائيليا مع قبطيّ يقتتلان ، ناستفاته الإسرائيليّ ، فوكز القبطيّ قفضي عليه ، فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه ، حتى خرج خائفا يترقب إلى مدين .  
وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر وجنوده ، فذاكور في الثامنة عشرة .

\* \* \*

قوله : « نهضت » ، أى مشيت . سجا الدجى : سكن بالظلام وغطى كل شىء . الوجى : الحفا . أرتاد : أطلب . مضيفا : منزلا ، وأضافه : أنزله . وضافه : نزل به فهو ضيفه ، أى النازل به . أقتاد : أقود . حادى السنب : سائق الجوع .

\* \* \*

حَيْتُمْ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ وَعَيْشْتُمْ فِي خَفْضِ عَيْشِ خَضِلٍ  
مَا عِنْدَكُمْ لَابْنِ سَبِيلِ مُرْمِلٍ نِضْوِ سُرَى خَابِطِ لَيْلِ أَيْلِ  
جَوَى الْحَنْئِ عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلٍ مَا ذَاقَ مُذِيَوْمَانِ طَعْمَ الْمَاكِلِ  
وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْنِلٍ وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ الْمَسْبِلِ  
وَهُوَ مِنْ الْحَيْرَةِ فِي تَمَلُّلٍ قَبْلَ هَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ  
يَقُولُ لِي : أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ وَأَبْشِرْ بِبَشْرِ وَقَرَى مَعْجَلِ !

\* \* \*

حَيْتُمْ : طابت حياتكم ، والتحية البقاء . خفض : لين وخفض عيشه خفضاً ، إذا أخصب . خضل : ناعم ، وخضل : الشىء يخضل خضلاً : ابتل . ابن سبيل : خاطر طريق ، وهو الغريب ، وسُمي الغريب ابن السبيل لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب إلا السبيل الذى جاء منه . ومرميل : لا زاد له ، وأرمل القوم : فنى زادهم

ومن أبيات اللغز في ابن السبيل :

وَنَحْنُ ابْنُ مَنْ لَا يَنْكِرُ النَّاسَ نَضَلَهُ      وليس له في الناس من طالبٍ وثرا  
نَايُنُ تَحَنَّنُوا فِينَا أَبَانَا فَحَقَّنَا      رَعَيْنَهُمْ وَإِلَّا أُوقِدَتْ نَارُكُمْ شَرًّا

أى سيئتم في كل مكان ، كما قال الآخر :

وَأَنْتَ الَّذِي شَيَّبْتَنِي قَبْلَ شَيْبَتِي      وَأُوقِدَتْ لِي نَارًا بِكَلِّ مَكَانٍ

ومنها أيضاً :

وَأَحْيَانًا يَكُونُ كَبِيرَ سِنٍ      وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الشَّبَابِ  
وَمَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ لَمْ يَلِدْهُ      كَذَاكَ اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ

قوله : «نضو سُرَى» ، أى هزيل من مشى اللَّيْلُ في الأَسْنَانِ . و . ابط ليل : الذى يمشى فيه على غير هداية . أَلَيْلٌ : شديد السواد . جوى الحشى : فاسد الجوف من الجوع ، وهو الطوى . مشتمل : منضم ، أى قد انضم جوفه على الجوع ، ففسدت أحشائه . موئل : ماجأ ، من وألت إلى كذا ، أى لجأت . دجا : ألبس . جنح : سواد : المسبل . المتألق . تملل : تقلب وتوجع . والرتمع : المنزل ، والمنهل : موضع الماء .

ويقال : ألقى عَصَاهُ ، إِذَا تَرَكَ السَّيْرَ وَأَقَامَ ، وَرَوَى الْأَصْدَعِيٌّ عَنْ بَعْضِ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّهُ قَالَ : سُمِّيَتِ الْعَصَاعِصَاءُ لِأَنَّ الْيَدَ وَالْأَصَابِعَ تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : عَصَوْتُ الْقَوْمَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ عَلَى خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَيُقَالُ : عَصِيَ بِالسَّيْفِ يُعَصَى إِذَا خُزِبَ بِهِ كَمَا يُضْرَبُ بِالْعَصَا . بشر : طلاقة وجه .

\*\*\*

قَالَ: فَبَرَزَ إِلَى جَوْذَرَ، عَلَيْهِ شَوْذَرٌ، وَقَالَ: **وَحُزْمَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى** وَأَسَّسَ الْحَجُوجَ فِي أُمَّ الْقِرَى **مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى** سِوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَاحِ فِي الذَّرَا **\* فَمَا تَرَى فِي مَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى \***

برز: خرج. جوذر: ظبي، وأصله ولد الغزالة. الشوذر: ثوب قصير.

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَنَّ الْقِرَى، هو إبراهيم عليه السلام، واختصه بلقب الشيخ لأنه أَوَّل مَنْ شَابَ، ولما رأى الشيب، قال: يارب، ما هذا؟ فأوحى الله إليه، يا إبراهيم، هذا وقار، فقال: يارب زدني وقاراً. وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة، وذلك أنه لما ولدت سارة إسحاق، قال الكنعانيون: ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجداً غلاماً، فبنيناها! فصور الله إسحاق على صورة إبراهيم عليهما السلام، فلم يفصل بينهما، فوشم الله إبراهيم بالشيب.

قوله: «سن»: ابتداء، وجعله سنة، وهو أول من ضَيَّفَ الضيف، وأطعم المساكين، وقصَّ شاربه، وقلم أظافره واستحدَّ واستاك، وفرَّق شعره، ومضمض فواستنثر، واستنجد بالماء. وأسَّسَ الحجوج، أي بني أساس البيت الحرام. وأمَّ القري: مكة. والطارق: الآتي بالليل. والمناح: موضع البروك. بقري: يصيف الكرى: النوم برى أعظمه، أي أزال اللحم عنها. انبرى: اعترض.

[فَمَا قِيلَ فِي الْقِرَى وَالْأَضْيَافِ]

وقال حبيب في أن أول من قري الضيف إبراهيم عليه السلام:

لِلْجُودِ سَهْمٌ فِي الْمَكَارِمِ وَالتَّقَى **لَا رَبَّ لِمَكْدِي وَلَا لِمَسْهُومٍ** (١)

(١) ديوانه ٣٠٠، والمكدي: الفقير، والمسهوم: الضامر.

وبيان ذلك أن أول من قرى وحبا خليل الله إبراهيم  
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتى اسمه إبراهيم، وأبدع ما شاء  
حيث قال :

أَسْمَىٰ مِنْ سَنِّ الْقِرَىٰ رَفَقًا بِنِ  
أَنَا ضَيْفٌ حَسَنِكَ فَاصْطَنِعْنِي إِيَّاهُ  
لَمَّا نَظَرْتُ نَجْمَ خَيْلَانَ بَدَتْ  
أَفْنَيْتَ جِسْمِ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَهَا  
يَا زَهْرَةَ سَكَنْتُ فَوَادِي غَضَّةً  
حَتَّىٰ كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْلَعِي :  
يَفْنَىٰ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَغَرَامَا  
ضَيْفُ الْهَوَىٰ يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامَا  
فِي صَحْنِ وَجْنَتِكَ اسْتَفْدَتْ مُقَامَا  
أَفْنَىٰ سَمِيئِكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا  
إِنِّي تَبَوَّأْتُ اللَّهَيْبَ كَمَا مَا  
يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامَا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهَوَىٰ جَنَّبَهُ  
تَقَحَّحْتُ جَاحِمَ نَارِ الْحَشَىٰ  
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِيمَ  
وَأِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَقِ  
وَخَضْتُ بِحَارِ سَوَادِ الْحَدَقِ  
أَمَنْتُ الْجَوَىٰ وَأَمَنْتُ الْقَرَقِ!

انظر إلى الأضياف الاربعة والأربعين .

\*\*\*

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفْرِ ، وَمَنْزِلِ حِلْفِ قَفْرِ ! وَلَيْكِنْ  
يَافْتَى ، مَا اسْمُكَ ، فَقَدْ فَتَنَنِي قَهْمُكَ ؟ فَقَالَ : اسْمِي زَيْدٌ ، وَمَنْشِي قَيْدٌ ،  
وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْمَدْرَةَ أَمْسٍ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ .

\*\*\*

قوله: « بمنزل قفر »؛ كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول :

ليس إغلاقى لبابى أن لي      فيه ما أخشى عليه السرّاقاً  
إنما أغلقتة كى لا يرى      سوء حالى من يمرّ الطرّاقاً  
منزل أوطنه الفقرُ فلو      يدخل السارق فيه سرّاقاً

[ نبذ وحكايات فى البؤس والحрман ]

إنما أخذ الحيرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى ، وكان من أهل المالح ، فاستضافه أعرابى ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابى : خير كثير ، فقال : لملك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرة ، فلم يكن ليزيد دارٌ إلا الحرة - وهى أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهى مقبرة المدينة - والقبور المخصّصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود فى أرض سوداء فى ظلمة الليل ! كيف حال من يكون هذا قرأه ! فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابى .

ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقمق - ويروى عن وهب عابد قرطبة :

برزت من المنازل والقباب      ذلم يمسرّ على أحد حجّابى  
فنزلى النضاء وسقف بيتى      سماء الله أو قطع السحاب  
وإنى لم أجد مصراع بيت      يكون من السحاب إلى التراب  
ولانشق الثرى عن عودنحت      أو مل أن أشدّ به ثيابى  
ولاخفت الإباق على عبيدى      ولاخفت الهلاك على دوابى  
وفى ذا راحة وفراغ بال      فدأب الدهر ذا أبدأ ودابى

( ١٤ - شرح مقامات الحيرى ١ )

وقال آخر :

ولما التمتُ الرزقُ فانبجذَ حبلهُ  
خطبتُ إلى الإعدامِ إحدى بناتِهِ (١)  
فأولدتُها الحُرْفَ الشَّقِيَّ - فماله  
فلوتت في البيداءِ والليلِ مسبلٌ  
ولو خفتُ شرًّا فاستترتُ بظِلِّهِ (٢)  
ولو جادَ إنسانٌ عليَّ بدرهمٍ  
ولو يُمطرُ الناسُ الدنانيرَ لم يكنِ  
وإن يقتربُ ذنبًا ببرقةٍ مذنبٌ  
وإن أر خيرًا في الأنامِ فنازحٌ  
أمامي من الحِزْمَانِ جيشَ عَرْمَرُمُ

وقال آخر :

لو ركبتُ البحارَ صارتُ أجاجا  
ولو أني وضعتُ ياقوتةَ حمى  
ولو أني وردتُ عذباَ فراتا

وقال آخر :

لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماءً  
أو مسستُ العودَ النضيرَ بكفي  
أورمى باسمي النجومُ الدَّراري  
ولو أني بعثُ القناديلَ يوماً  
جفَّ قبلُ الورودِ ماءُ البحارِ  
لندوى بعد بهجةٍ واخضرارِ  
لا نزوى ضوءها عن الأَبصارِ  
أدغمَ الليلُ في ضياءِ النهارِ

(١) ط «من الإعدام»، وما أثبتته من ا، ب، و.

(٢) ط : «بظلمة» .



وقال شواش :

كسدت شواشينا وقلّ معاشنا فسعودنا مقرونة بنحوس  
فكأنما قُطعت رءوس الناس أو خُلِقوا لشقوتنا بغير رهوس  
قيل لأبي الشمقمق : أبشِرْ فإننا روينا في الحديث : « العارون في الدنيا هم  
الكاسون يوم القيامة » ، فأنشأ يقول :

أنا في حالٍ تعالى الله ربي أي حالٍ

ليس لي شيء إذا قيلَ لِمَنْ ذا؟ قلتَ ذَا لي

فأراضى الله فرشي والسّموات ظلّالي

ولقد أفلستُ حتّى حلّ أكلّي لعمالي

من رأى شيئاً محالاً فأنا عين المحال

لو بَقِيَ في الناسُ خُرٌّ لم أكن في مثلِ حالِي

قوله : « منزل » ، أي مضيف . حلف : صاحب . منشئ : موضعي الذي  
نشأت فيه .

[ ذكر مدينة فيد ]

وفيد بلد مشهور ، في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،  
وينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهم في سفح جبلهم المعروف بسلي ،  
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثم استمرّوا وقالوا إن مشربكم ماء بشرق سلى فئيد أوركك<sup>(١)</sup>

قال الزجاجي : سميت بنيد بن حام ، وهو أول من نزلها ، قال : ويقول  
أهل العراق : هي من قولهم : فاد الرجل يفيد فئيداً إذا مات ، أو من قولهم : استناد  
فائدة ، وقلما يقولون : أفاد نائدة ، والفئد أيضاً نور الزعفران . قال شيخنا ابن جبير<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه ١٦٧ ، وركك : اسم ما يبيعه ، وفي ط : « ركل » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصَبَّحُوا فَيَدًا يَوْمَ الأَحَدِ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ خُرُوجِهِمْ . ثُمَّ وَصَفَهَا قَتَالَ : هِيَ مِصْرٌ كَبِيرٌ ، مَنفَرَجٌ فِي بَسِيطٍ مِنَ الأَرْضِ ، يَمْتَدُّ حَوْلَهُ رَكْبُضٌ ، يَطِيفُ بِهِ سَوْرٌ عَتِيقٌ . وَهُوَ مَعْمُورٌ بِسُكَّانٍ مِنَ الأَعْرَابِ يَتَعَيْشُونَ <sup>(١)</sup> مِنَ الحِجَّاجِ فِي التَّجَارَاتِ وَالمَبَايِعَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَرَاقِقِ ، وَفِيهَا يَتْرُكُ الحِجَّاجُ بَعْضُ أَزْوَاجِهِمْ إِعْدَادًا لِلرِّمَالِ <sup>(٢)</sup> مِنَ الزَّادِ عِنْدَ انصِرَافِهِمْ يَتْرُكُونَهَا عِنْدَ مَعَارِنِهِمْ بِهَا ، فَإِذَا رَجَعُوا أَخَذُوا أَزْوَاجَهُمْ ، وَوَهَبُوا لِمَنْ أَوْدَعَهَا عِنْدَهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

وهي نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقلّ يسيرًا ، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوما في طريق سهلة . ودخلها أمير الحاج على تعبئة وأهبة إرهابا للمجتمعين بهامن الأعراب لثلاّ بداخاهم الطمع في الحاج ، لكتهم لا يجدون إليهم سبيلا والحمد لله . والمياه كثيرة في آبارها ، تمدّها عيون تحت الأرض ، وامتلأت أيدي الحجاج التادمين من أغنام العرب بالمبايعة ، فلم يبق خيمة ولا ظلاله إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان ، بحسب الوجد ، فعمّ جميع الحلة الغنم واللبن والسمن والعسل ، نأكلوا واحتملوا ، وكان ذلك اليوم عيداً للركب .

قال : وبهذه الحلة العراقية ، وما انضاف إليها من الخراسانية والموصليّة وسائر جهات الآفاق ينزل من صحبة أمير الحاج جمعٌ لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، يفصّ بهم البسيط الأفيح ، ويضيق بهم المهمة الضحح ، فترى الأرض تميد بهم مَيِّدًا ، وتموج بجمعهم موجًا ، فتصير بهم بحرًا طامحًا القباب ، ماؤه السراب ، وسفينه الركاب ، وشراعه الظلال المرفوعة والقباب ، ويسير سير السحاب ، متداخلا بعضها على بعض ، فتعاين تزاوحا في البراح المنفسح يهولُ ويُرُوعُ ، واصطكاكا

(١) رحلة ابن جبير : « يتعشون » .

(٢) أرمل القوم : نقد زادم .

لمبيع التجارات فيه ، فبعضها ببعض متروك ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر العراقي لم يشاهد عجباً يتحدث به ، ويتعجب السامع بفرائبه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن النازل في منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضلّ وتاب ، وعاد منشوداً بحملة الضوالم ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحد النشدين بما أعدّ لذلك ، فيردفه خلفه على جبل ، ويطوف به المحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يودّيه إلى رفقته .

وعجائب هذه المحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يفنيهم على ما هم بسبيله .<sup>(١)</sup>

وما ذكرنا أمر هذه المحلة إلا لئلا يستدلّ على أن فيها بلداً في غاية القوة والعمارة ، حيث أميد هذا الجمع الكثير والجم الغنير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيء متوفرة بحيث تطلع إلى الغارة على مثل هذه المحلة . والملك لله وحده مني الجميع بعد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أي أتيت . المدرة : البلاد . عبس : قبيلة .

\*\*\*

فَقُلْتُ لَهُ: زِدْنِي إِيْضَاً ، عَشْتِ وَنُعِشْتِ ، فَقَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بَرَّةً ، وَهِيَ كَأَسْمَاءَ بَرَّةً ؛ أَنَّهَا نَكَحَتْ قَامَ الْغَارَةِ بِمَاوَانَ ، رَجُلًا مِنْ سَرَاةِ سُرُوحِ أَوْعَسَانَ ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِمْقَالَ - وَكَانَ بَاقِعَةً فِيهَا يُقَالُ - ظَعَنَ عَنْهَا سِرًّا ، وَهَلَمَّ جَرًّا ، فَمَا يُعْرَفُ: أَحَىُّ هُوَ فَيَتَوَقَّعُ ، أَمْ أُوْدِعَ اللَّحْدَ الْبَلْمَقَ .

قال أبو زيد : فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي ، وَصَدَّقَنِي

(١) انظر رحلة ابن جبير ١٨٣ ، ١٨٤ .

عن التَّمْرِفِ إِلَيْهِ صَفَرُ يَدِي، فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ، وَدُمُوعٍ  
مُفَضُّوَصَةٍ. قَهْلٌ سَمِعْتُمْ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعُجَابِ!  
فَقَلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبَتُوهَا فِي عِبَابِ  
الْإِتْفَاقِ، وَخَلِّدُوهَا بِطُورِ الْأُورَاقِ، فَمَا سِيرٌ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ -  
فَأَحْضَرْنَا لِدَوَاةٍ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِسْكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا.

\*\*\*

إيضاحاً: بياناً. نُفِشت: جُبرت. وبرة الأول اسمها والثاني صفتها، يريد  
أنها مكرمة كثيرة البر. نكحت: تزوجت. عام الفارة، أي عام أغار عليهم  
عدوهم. ماوان: بلدة. سارة: سادة. آنس: أبصر. والإتقال: الأمتلاء  
بالولد. باقعة: داهية، ويقال: إنه الذي جال بقاع الأرض وعرف خيرها  
وشرها.

قال ابن الأنباري رحمه الله: فلان باقعة، أي داهية حذر محتمل حاذق، والباقعة  
عند العرب: الطائر الحذر المحتمل الذي يشرب الماء من المباح (١)، ولا يرد  
المشارع والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحتمل عليه فيصطاد، ثم شبه به كل حذر  
محتمل. هلم جرأ، معناه إلى الآن، قال ابن الأنباري: هلم جرأ، سيروا على  
هينتكم، أي تثبتوا على سيركم، ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها، أخذ  
من الجر في السوق، وهو أن تترك الغنم والبقر ترمي في السير، وينتصب «جرأ»  
في قول الكوفيين على المصدر، لأن في «هلم» معنى «جر»، وفي قول البصريين:  
هو مصدر في موضع الحال تقديره «هلم جارين» أي مستنبتين، قياساً على: جاء عبد الله  
مشياً، وأقبل ركضاً، وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض.  
وقال بعضهم: ينصب على التمييز. يتوقع: ينتظر. أودع: أدخل. اللحد البلقع:

(١) المباح: الأمكنة بستی منها الماء.

اللحد الخالي . صدقني : أمالتي . التعرف : أن يعرفه أنه أبوه . صفر يدي : فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة : مفترقة . أولى الألباب : أهل العقول . العُجاب : مبالغة في العجب .  
 خلدوها ، أى أثبتوها . الآفاق : البلدان وجهات الأرض جميعها .  
 أسودها : أقلامها . رقتنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كما حكاهما  
 وتكلم بها .



ثم استبتنناه عن مُرتاه ، في استنضمام إفتاه ، فقال : إذا ثقل  
 رُذني ، خفّ عليّ أن أكفلَ ابني ؛ فقلنا : إن كان يكفيك نصابُ  
 من المال ، ألفتناه لك في الحال ؛ فقال : وكيف لا يُقنعني نصابُ ،  
 وهل يحقر قدره إلا مُصابُ !

قال الراوى : فالتزم منه كلُّ منّا قسطاً ، وكتب له به قطاً ،  
 فسكرَ عند ذلك الصنيع ، واستنفد في الثناء الوُسع ، حتى إننا استطلنا  
 القول ، واستقلنا الطول . ثم إنه نشرَ من وشي السمرِ ، ما أزرى  
 بالحبرِ ، إلى أن أظلم التنويرُ ، وجشَرَ الصبحُ المُنيرُ ، فقَضيناها  
 ليلةً غابت شوائبها ، إلى أن شاب ذوائبها ، وكمَل سَعودها ،  
 إلى أن انقطرت عودها .



استَبَطَّنَاهُ : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاهَ : رأيه وغرضه . رُدْتِي : كَتَى . أ كفل : أضمّ . نصاب : عشرون ديناراً . أَلْفَنَاهُ : جمعناه . يَتَعْنَى : يكفيني . مصاب : مجنون . قوله : «قسطا» ، أى نصيباً . قِطًّا : كتاباً . الصنع : الفعل الجميل . استنفذ : استتمّ . الوسع : الطاقة ، ووُسِعَ الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استطلنا : استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطول : الإِنعام والفصل ، أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلاً . والوشى : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والحِبر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والحِبر تصنع باليمن ، فشبّه حسن حديثه بالوشى ، وخصّ الحِبر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سأمهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي اسْتَجَدَى بِهَا      فَلَقَّ الصَّبَاحَ لِسُدْفَةِ الإِظْلَامِ (١)  
 طرأت علىّ مع النجوم بأنجم      من فتيةٍ بيضِ الوجوه كِرامِ  
 إن حوربوا فزِعوا إلى بيضِ الظُّبَا      أو خوطبوا فزِعُوا إلى الأَقْلَامِ  
 فترى البلاغة إن نظرت إليهمُ      والبأس بين يراعةٍ وحُسامِ

جسر : طلع . قضيناها : أتمناها . شوائبها : ما ينكدها ويكدرها .  
 الذوائب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض  
 الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن دريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْيِي حَاكِي لَوْنُهُ      طُرَّةَ صَبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجَى (٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من المقصورة ص ١١٧

انفطر : انشقّ وطلع . عودها : بياض صبحها ، ويقال : انفطر القضيب ،  
إذا بدأ نبات ورقه ، وقال امرؤ القيس :

\* كخرعوبة البانة المنفطر<sup>(١)</sup> \*

\* \* \*

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الْغَزَالَةِ ، وَقَالَ : انْهَضْ بِنَا  
لِنَقْبِضِ الصَّلَاتِ ، وَنَسْتَنْضِ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدِ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ  
كَبِدِي ، مِنْ الْحَنِينِ إِلَى وِلْدِي . فَوَصَلْتُ جَنَاحَهُ ، حَتَّى سَدَّيْتُ  
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أَسَارِيرُ مَسْرَتِهِ ،  
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيْفَتِي  
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النُّجِيبَ ،  
وَأَنَا فَتْنَهُ لِكِي يَجِيبُ .

\* \* \*

قرن الغزاة : شعاعها وحاجبها ، والغزاة من أسماء الشمس ، وأسمائها  
كثيرة؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منها عشرة خمسة بالهاء ، وهي : الغزاة ،  
والجارية ، والجنونة ، ومهاة ، والإلاهة . وخمسة بغير الهاء وهي : الشمس ،  
والسراج ، والضَّحَّ ، وذُكَاء ، وبوح<sup>(٢)</sup> .

طمر : وثب . الغزاة : الظبية . انهض أي قم . الصَّلَات : العطايا . نستنض :  
نستحضر . والنَّاض : المال الحاضر . والإحالات : الديون التي وعدوه بها .  
استطارت : توسعت وانتشرت . صدوع : شقوق . والحنين : الشوق والرحمة .  
وصلت جناحه ، أي مشيت معه ويدي في يده ، وجناح الرجل : يده . سدَّيت :

(١) ديوانه ٥٧ ، وصدرة :

\* بَرَهْرَهَةٌ رُوْدَةٌ رَخْصَةٌ \*

(٢) مبادئ اللغة العربية ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والشرق .

يسرت . نجاحه : قضاء حاجته . أحرز العين : حصل المال . وصرته : خرقة .  
دراهمه . برقت : لعت . أسارير : طرق الوجه ، ومنه الحديث عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « نخرج تبرق أسارير وجهه » ، ويقال لها الأسرّة ؛ ويقال  
لخطوط الكف : الأسرّة ، وقد جمعها التهامي في لفظ واحد في قوله :

بُدى أَمِرَّةَ وَجْهِهِ وَيَمِينَهُ فِي سَاعَةِ الإِسَارِ وَالإِسَارِ

مسرته : سروره ، أراد : انطلق وجهه سروراً بالللال . خطأ : مشى .  
والنجيب : الجتيد العقل الكريم الأصل . قوله : « أنانته » ، أى أكله .

\*\*\*

فَنظَرَ إِلَى نَظْرَةِ الخَادِعِ إِلَى المَخْدُوعِ وَضَحِكَ حَتَّى تَفْرَغَتْ  
مُقَدَّاهُ بِالدُّمُوعِ ، وَأَنشَدَ :

يَا مَنْ تَظَنَّى السَّرَابَ مَاءً لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ  
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ مَكْرِي وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ  
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِعُرْبِي وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنَيْتُ  
وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ سِحْرٍ أَبَدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ  
لَمْ يَخْكِبْهَا الأَضْمِي فِيمَا حَكَى ، وَلَا حَاكَا الكَمَيْتُ  
تَخَذْتُهَا وَضَلَّةً إِلَى مَا تَجَنَّبَهُ كَفَى مَتَى اشْتَهَيْتُ  
وَلَوْ تَعَايَيْتُهَا لَحَالَتْ حَالِي ، وَلَمْ أَحْوِ مَاحَوَيْتُ



فَمَهْدِ الْمُنْذَرِ أَوْ فَسَامِحِ إِنْ كُنْتَ أَجْرَمْتَ أَوْ جَنَيْتَ  
ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى ، وَأَوْدَعَ قَلْبِي جَمْرَ الْغَضَى .

\*\*\*

تفرغرت : امتلأت . تظنى : حسب . حلت : حسبت . يستسر : يخفي .  
مكرى : خداعى . يُخِيل : يلبس ويشبهه . عُرِى : زوجتى . فنون : أنواع .  
أبدعت فيها : أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها . يحكها : يحدث بها . حاكها :  
نسجها وقال مثابها . الأصمعى مذكور فى المقامة الأربعين .

[ ذكر الكميت وبعض أخباره وشعره ]

وأما الكميت الشاعر ، فهو ابن زيد الأسدى ، وهو شاعر مجيد مكثر  
جداً ، وديوان شعره مستعمل مشهور ؛ ولما قال قصائده الهاشميات قصداً البصرة ،  
فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، فقال : ومن أنت ؟ فانتسب له ،  
قال : صدقت ، وما حاجتك ؟ قال : أنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن  
أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك  
أمرتني بستره ، قال : يا ابن أخى ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فقل راشداً ،  
فأنشده :

طربتُ وماشوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مِنِّي وذو الشَّيبِ يلعبُ !

قال : بلى ، فالعب ، فأنشده :

ولم يُلَهِنِي دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يطرَبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ

قال : ما يطرَبُ بك إذا ؟ فقال :

• لا أنا تمن يزجرُ الطيرُ همهُ أصاحِ غرابٍ أم تعرَضُ نعلُ

قال : أنت تَمَنُّ؟ ويحك ! وإلى من تسمو؟ قال :  
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً      أمرَ صحيحِ القرنِ أمَ مَرَّ أعْضَبُ  
قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، قال :

ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنهْيِ      وخيرِ بني حواءِ والخيرِ يُطلبُ  
قال : فَمَنْ هم ويحك ! فقال :

إلى النَّفَرِ البيضِ الذينَ محبِّبهمُ      إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ  
قال : أرِحني ويحك ! مَنْ هؤلاء ؟ فقال :

بني هاشمٍ رهطِ النَّبِيِّ نِابِنِي      ولهمُ أرضى مراراً وأعْضَبُ

فقال : لله درك يا بُنَيَّ ! فقد أصبت وأحسنت ، إذ عدلتَ عن الزَّعَافِ  
والأوباش ، إذا لا يُصردُ<sup>(١)</sup> سهمك ، ولا يثلب قولك . ثم مَرَّ فيها ، فقال : أظهر  
وأشهر ، فانت أشعر من مضى ، وأشعر مَنْ بقى<sup>(٢)</sup> .

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ،  
إن لي ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بها  
شهوداً ، فقال : بأبي أنت وأمي ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ،  
ولا والله ما قلتُ فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذ في شيء جعلته لله ثمناً .  
فلما أبى عليه أخذ مئزره ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بني هاشم ،  
ويقول : هذا الكميت ، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ،  
وعرَّض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حَلَى النساءِ ومن الدنانير  
والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكميت ، وقال : يا أبا المستهل

(١) أمرد السهم : أخطأ . (٢) انظر الاغانى ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

أتيناك بجهد المقلّ، ونحن في دولة عدوّنا ، فاستعن بهذا على دهرك ، فقال :  
 بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأظنتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ،  
 فاردده إلى أهله . فجهد به بكل حيلة ، فأبى ، فقال : أما إذا أبيت أن تقبل ، فإن  
 رأيت أن تقول شعراً تغضب به بين النزاريّة واليمينيّة لعل فتنةً تحدث ، فنخرج  
 بين أضغانها ، فقال قصيدته التي أولها :

ألا حُيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا      وهل بأسٌ بقولِ مسأَمِينَا! (١)

فمرّض فيها ، وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم؛ مثل قوله :

لنا قمر السماء وكلّ نجمٍ      تُشير إليه أيدي المهتدينا (٢)  
 وماضرت هجان بنى نزارٍ      هو أُنحُ من فحول الأعمجينا  
 وما حملوا الحمير على عناقٍ      مضرةً فيلّفوا مُنلفينا

ومشت في العرب ، فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار ، وثارَت  
 العصبية في البادية والحاضرة ، وتحزّب الناس ، فتعصّب مروان بن محمد لقومه من  
 نزار على اليمن ، فانحرفت عنه إلى الدعوة العباسية وكان الكميّ سبب ذلك .  
 وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه ببني أمية ، يطابه خلفاء بني أمية ،  
 فهرب منهم عشرين سنة ، جدّ هشام بن عبد الملك في طلبه ولم يجده ، ولم يستقرّ  
 للكميّ قرار من خوفه . وكان لسامة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها  
 له ، لا يرده فيها ، ففرج مسامة لبعض صيوده ، فأتاه الناس يسألون عليه ، وأتاه  
 الكميّ - ومسامة لا يعرفه - فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بِالذِّيارِ وَقُوفِ زائرُ      وتَأَيَّ إنك غير صاغر (٣)

(١) ورد الشطر الثاني محرماً في الأصول للصواب ما أثبتته مر الفاجر ٣

(٢) والحزانة ١ : ٨٦ .

(٣) ط : « وتأن » ، وصوابه من اللسان - أبي



في العماية؟ قال: الذي أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزماً، وأنت يا أمير المؤمنين، أضاء الله بك الظلمة الداخلة بعد العموس فيها قبصرت، وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم؛ فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك، وعز بأسك. وثبات جأشك. وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب؛ برأى أريب، وحلم مصيب. فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء، وأتم عليه النعماء، ودفع به الأعداء.

فرضى عنه وأمر له بمال كثير<sup>(١)</sup>.  
فهذه منزلة الكمية من الشعر والخطابة خلافاً لمن يقول: القافية جلبته في المقامات؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه.

\* \* \*

قوله: «حاكها»، أى نسجها. يريد أن الكمية بمن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه، فلذلك قال: «حاكها». وسأل بعض الخلفاء جريراً عن النابغة وزهير، فقال: ينيّران الشعر ويُسديّانه، والعلماء بالشعر يسمون صنّاع الشعر عبيد الشعر، مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والكميت.

قوله: «تخذتها»، أى اتخذتها، يقال: اتخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ، وخُفّف عنه، حذفوا ألف الوصل من اتخذ، والتاء الأولى الساكنة، التى هى فاء الفعل، فبقى اتخذ، ومثله تقى يتقى واتقى يتقى، حذف ألفه وتاؤه الأولى، وليس يطرد هذا التخفيف، وإنما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع، فقالوا: تقى واتخذ واتجه واتسع وصلة أى موصلة. تعافيتها: تكارها، وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عيافاً، أى كرهته. حالت: تغيرت. أحو: أجمع. مهّد: أقبل وسهل. أجمرت: أذنبت لنفسى، جنيت: أذنبت لغيرى، أراد: إن كان عذرى يديناً فأقبله، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح. أودع: ضمن وجعل فيه. الغضى: شجر جره يثبت فى النار.

(١) العقد ٧: ١٨٣ - ١٨٥، مع تصرف وحذف

## المِفَاهِمُ السَّادِسَةُ وَهِيَ المِرَاعِيَّةُ

وتعرف بالخيفاء

روى الحارثُ بن همامٍ قال : حَضَرْتُ دِيْوَانَ النَّظْرِ بِالمِرَاعِيَّةِ ،  
وَقَدْ جَرَى بِهِ ذِكْرُ البَلَاغَةِ ؛ فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرْسَانَ البِرَاعَةِ ،  
وَأربَابِ البِرَاعَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ يُنْقَحُ الإِنْشَاءَ ، وَتَصَرَّفُ  
فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَلَا خَلْفَ ، بَعْدَ السَّلْفِ ، مَنْ يُبْتَدِعُ طَرِيقَةَ غَرَاءَ ،  
أَوْ يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ ، وَأَنَّ المُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الأَوَانِ ،  
الْمَتَمَكِّنُ مِنْ أَرْمِهِ البَيَانِ ، كَالْعِيَالِ عَلَى الأَوَائِلِ ، وَلَوْ مَلَكَ فَصَاحَةَ  
سَحْبَانَ وَائِلَ .

\*\*\*

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . المِراعِيَّةُ : بـلـدـة من  
كُور أذربيجان . البِرَاعَةُ : القلم قبل أن يبرى ويسوى ، فإذا بُرِيَ وَسُوِيَ قِيلَ  
لَهُ قَلَمٌ ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ الأَسْمُ الأَوَّلُ وَهُوَ البِرَاعَةُ ، وَالبِرَاعُ : القصب . أرباب البِرَاعَةِ :  
أصحاب أصالة الرأى . وَالبَارِعُ : الأصيل الجيد الرأى ، وَيُقَالُ : بَرَعَ يَبْرَعُ بَرُوعاً  
وَبِرَاعَةً ، إِذَا فَاقَ فِي السُّودِّ . وَيُنْقَحُ : يَحْسَنُ وَيُخَلِّصُ . الإِنْشَاءُ . الكِتَابَةُ . خَلْفٌ :  
بَقِيَ . السَّلْفُ : المَتَقَدِّمُونَ ، وَسَلَفُوا : ذَهَبُوا وَتَقَدَّمُوا . يُبْتَدِعُ : يَحْدِثُ . طَرِيقَةُ : حَالَةٌ .  
مَوْصُوفَةٌ ، وَطَرِيقَةُ فُلَانٍ كَذَا ، أَى حَالَتُهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا . غَرَاءٌ : وَاضِحَةٌ مَشْهُورَةٌ .  
لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِثْلَهَا . وَغَرَّةُ الشَّيْءِ : أَوَّلُهُ . يَفْتَرِعُ : يَفْتَضُّ . عَذْرَاءٌ : بَكَرٌ بِسَمِيَّتِ .  
عَذْرَاءٌ لَصُعُوبَةٌ جَمَاعَهَا ، وَتَعَذَّرَ الشَّيْءُ : تَصَعَّبَ ، وَافْتَرَعَ البَكَرُ : إِدْمَاؤُهَا وَإِزَالَةُ  
مَا تَصَعَّبَ مِنْهَا ، وَكُلُّ مَا أَدْمَيْتَهُ فَقَدْ فَرَعْتَهُ وَافْتَرَعْتَهُ ، فَمَعْنَى يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ

أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره ، فاقدر هو على سلوك طريقها  
والإتيان بها . المفلق : النصيح المعرب الذى يأتى بالمفلق ؛ وهو الشيء العجيب .  
الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يَتَّكِلُ فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال  
الرجل عيلة إذا افتقر ، وعُلتُه عولاً : قمت بمؤنته ، فيريد أن كُتِّبَ هذا الزمان  
عيال على من تقدّمهم حيث افتقروا إلى الأخذ من كلامهم .  
وقد وعدنا أن نذكر سبحانه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

\* \* \*

وكان بالجلس كهلٌ جالسٌ فى الحاشية ، عند مواقف الحاشية ،  
فكان كلما شطّ القوم فى شوطهم ، ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم ،  
ينبىء نجازر طرفه ، وتشمخ أنفه ، أنه مخربق لينباع ، ومجرمز  
سيمد الباع ، وناض يبرى النبال ، ورايض يينى النضال . فلما  
نثلت الكنائن ، وفأت السكائن ، وركدت الزعازع ، وكف  
المنازع ، وسكنت الزماجر ، وسكت المزجور والزاجر ، أقبل  
على الجماعة ، وقال :

\* \* \*

الكهل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس .  
والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذال المال وصغاره ، قال  
يعقوب : الحاشية والحواشى والحشو : صغار الإبل ، وأنشد :

\* جللتها والأخر الحواشيا \*

ل : جرى . شوطهم : طلقهم . نثروا : ألقوا عليها . العجوة : التمرة  
( ١٥ - شرح مقامات الحريرى ١ )

الطبية . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان ينسرها شيخنا أبو بكر بن أزر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتاب لفة أن النجوة اسم للتمر الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر ، فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً ، وأظنها لفة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء ، لا أنها لفة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده ، لأن البصرة أكثر بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثراً أنواعه عندهم . ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً من التمر زعموا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما حاله أن ينكش على نواه ، فلا تجد إلا جلدًا يابساً على النواة ، فيعلقونه المِعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل البصرة يسمى نجوة ، ويقابل بالمجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه . وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل : لأنها لفاظة التمر إذا سقطت لا يبالي بها ، فإن صحت روايتها فكانها سميت بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الجلة الصغيرة من جلال التمر ، والجلة : الوعاء الذي يكتز فيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو نوطة ، والجمع نوط ، وقد ناظه بنوطه ، إذا علته ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم . ينبيء : يخبر . تخازر طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتخازر : نظر بمؤخر عينيه ، وهو نظر المنكر للشيء . تشامخ : ارتفاع ، وهو فعل المستحقر للشيء . مخربق : متهيئ . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال . فقال : المخربق : المطرق الساكت ، لينباع . ليئب إذا أصاب فرصة ، قال : ومعناه أنه سكت لداهية يريد بها ، وقيل : المخربق : الساكت على السوء . لينباع : ليظهر الذي في ظنه من الشر . مجرمز : منقبض ، وهو كقول النابغة :  
وقلت يا قوم إن الليث منقبضٌ  
على برائنه للوثبة الضاري<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٤٢ والضاري من وصف الليث ، وروى : « لوثبة الضاري » .



فأخذه ابن الرومي فقال :

سَكَنَ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا بُوْثِيَةً غِمَّاسَ كَذَاكَ اللَّيْثِ لِلْوَيْثِ بَلِيدٌ<sup>(١)</sup>

نابض : رام ، ويقال : أنبض القوس ، إذا جذب وترها ثم أطلقه ليختبر شدتها . ونبض العرق : تحرك ، فيكون : « نابض » على النسب ، أو على حذف الزائد . الننجديهى : أورد أبو الحسين بن فارس اللغوى في كتابه المجمل أن نبض لغة في أنبض ، وهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

ذَابَ أَبَاهَا مَقْسِمٌ بِيَمِينِهِ لَئِن نَبَضْتُ كَتَى فَإِنِّي لِنَابِضٌ

فصح بهذا قوله . رابض : لاطيء بالأرض ، وربضت الشاة : اضطجعت . يعنى التضال ، أى يطلب المرأمة ، وأراد أنه يريد أن يلقي عليهم المسائل ليجاذبوه . قوله : « نُثِلْتُ » ، أى نفضت وصب ما فيها . الكنائن : الجباب ، وهى أوعية السهام . فاعت : رجعت . السكان : جمع سكينه ، وهى الوقار ، يريد : أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا . ركدت : سكنت . الزعازع : الرياح الشديدة المنزللة ، واحدها زعزع . كف المنازع : أمسك المخالف ، يريد انقطع كلامه .

\*\*\*

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، وَجُرْتُمْ عَنِ الْقَمْدِ جِدًّا ، وَعَظْمَتُمْ  
الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَافْتَشْتُمْ فِي الْمَيْلِ إِلَى مَنْ فَاتَ ، وَعَمَصْتُمْ  
جَيْلَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَاتُ ، وَمَعَهُمْ انْعَقَدَتِ الْمَوَدَاتُ .  
أَنْسَيْتُمْ يَاجِبَاهِذَةَ النَّقْدِ ، هَوَ ابْدَةَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ ، مَا أَبْرَزْتَهُ

(١) بليد ، أى يجثم على الأرض .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنْ الْعِبَارَاتِ  
 الْمَهْدِيَّةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُسْتَعْدِيَّةِ ، وَالرَّمَايِلِ الْمَوْشِحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ  
 الْمُسْتَمْلِحَةِ ! وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَضَرَ ، غَيْرُ الْمَعَانِي  
 الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْتُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ  
 الْمَوَالِدِ ، لِاتِّقَادِمِ الصَّادِرِ عَلَى الْوَارِدِ ! وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا  
 أَنْشَأَ ، وَشَى ، وَإِذَا عَبَّرَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَسْهَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أَوْجَزَ ،  
 أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَّهَ ، شَدَّهَ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

\* \* \*

إِذَا : أَمْرًا فَظِيحًا مَنكَرًا . جُرْتَمَ عَنِ الْقَصْدِ : خَرَجْتَ عَنِ الْاسْتِقَامَةِ . جَدًّا :  
 كَثِيرًا . الرِّفَاتُ : الْبَالِيَةُ . انْتَمَّ : فَعَلْتُمْ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزْتُمْ فِيهِ ، وَيُقَالُ : انْتَمَتِ  
 الرَّجُلُ « افْتَعَلَ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتٌ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَمَصْتُمْ : حَقَرْتُمْ وَغَطَيْتُمْ .  
 جَيْلَكُمْ : أَهْلُ عَصْرِكُمْ . اللَّدَاتُ : جَمْعُ لِدَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ . جِهَابُذَةٌ :  
 حَدَاقٌ : الْوَاحِدُ جِهَيْذٌ . النُّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، نَقْدُهُ : مَيَّزَهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مَيَّزَ الدَّرَاهِمَ  
 الْجَيِّدَةَ مِنَ الرَّدِيئَةِ . مَوَابِذَةٌ : حِكَاةٌ ، وَالْمَوْبِذُ : الْكَثِيرُ الْجَاهُ مِنَ الْفُرْسِ ، مِثْلُ  
 الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَبْرَزْتَهُ : أَظْهَرْتَهُ . طَوَارِفٌ ، جَدِيدَاتٌ وَغَرِيبَاتٌ . الْقَرَائِحُ :  
 الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنْ الْخَيْلِ ابْنُ سَنْتَيْنِ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،  
 أَيْ غَلَبَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْعَصْرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتٌ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،  
 وَعَبَّرْتَ عَنْ فُلَانٍ : تَكَلَّمْتَ عَنْهُ وَكُنْتَ لِسَانَهُ . الْمَهْدِيَّةُ : الْخُلَاصَةُ مِنَ الْعَمِيهِ .  
 الْاسْتِعَارَةُ : أَنْ تَعْبِرَ بِالْفِظِّ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . الْمَوْشِحَةُ : الْمَزِينَةُ .  
 الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أُسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ الْمَرْبُوطُ بِقَافِيَةٍ . أَنْعَمَ : بِالْفِعْلِ الْمَطْرُوقَةِ :

التي نزل عليها . المعقولة : المربوطة . الشوارد : الفارّة ، يقول : ليس للقدما . إلا المعاني التي قصدها المتأخرون ، كما قصدها المتقدمون ، وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون ، فكان تقييدها سبباً لأن مشت في الأقطار فعرفت وحفظت . الماثورة : المحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في المقامة . قال الحريري في درة الغواص : إن<sup>(١)</sup> الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من الوِرْد والصدر ، ولما كان الوِرْد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ «الوارد» على الصادر ، وهذا كما ترى ، الوارد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : وِرِد الماء ثم صدر عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه المقامة ، فالصادر يتقدم الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى رتبة ، يقول : لا نتحدث بكامهم ونظمهم ونثرهم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا . أنشأ : كتب . وشى : زين ورقم . عبر : تكلم أو فسر . حبر : حسن . أوجز : اختصر . أعجز ، أي عجز عن فعله غيره . أسهب : أطل الكلام . أذهب : جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بئراً بعيدة القعر ، وأذهب : صادف معدن الذهب في حفير . بدّه : ارتجل ولم يتفكر . شدّه : حبر من يتعاطى منزلته . اخترع : قال ما لم يسبق إليه . خرع : شقق المعاني .

\* \* \*

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيوانِ ، وَعَيْنُ أَوْلِيكَ الْأَعْيَانِ : مَنْ  
خَارِعُ هَذِي الصَّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قِرْنُ

(١) درة الغواص ص ٧١

تَجَالِكَ ، وَقَرَيْنُ جِدَالِكَ ؛ وَإِذَا سِتَّ ذَاكَ فَرَضٌ نَجِيًّا ، وَادْعُ  
مُجِيًّا ، اِتْرَى عَجِيًّا . قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْبُنَاتَ بِأَرْضِنَا  
لَا يَسْتَنْسِرُ ، وَالْتَّمِيْزَ بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَبَسِّرٌ ، وَقَلَّ مَنْ  
اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ ، فَخَلَصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، أَوْ اسْتَشَارَ نَقَعَ  
الْإِمْتِحَانِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ بِالْإِمْتِهَانِ ، فَلَا تُعْرَضُ عِرْضُكَ لِلْمَفَاضِحِ ،  
وَلَا تُعْرَضُ بِنِ نَهَاةِ النَّاصِحِ . قَالَ : كُلُّ أَمْرِيءٍ أَعْرَفُ  
بِوَسْمِ قِدْحِهِ ، وَمَمِيْتَفَرَى اللَّيْلِ عَنْ صُبْحِهِ . فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ  
فِيمَا يُسَبِّرُ بِهِ قَلْبِيهِ ، وَيُعَمِّدُ فِيهِ تَقْلِيْبِيهِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :  
ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي ؛ لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْمُقَدِّ ،  
وَمَحَكُ الْمُنْتَقَدِ . فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزَّعَامَةَ ، تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ  
أَبَا نَعَامَةَ .

قوله: «ناظورة»، أي كبير التوم ومقدمهم الذي ينظرون إليه. الديوان: دار الكتاب وموضع اجتماعهم. والديوان، الزمام يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم، وأصله «ديوان»، فقلبت واوّه الأولى ياء لانكسار ما قبلها، وودل عليه دواوين في جمعه، وهو اسم أعجمي عرب، والأصل في تسميته أن كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا له في دار، ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام، وأعجلهم فيه، فأخذوا في ذلك، وأطلع عليهم لينظر ما يضمنون؛ فنظر إليهم يحسبون بأسرع ما يمكن، وينسخون كذلك، فعجب من كثرة حركاتهم، فقال: أرى «ديوان» ومعناه شياطين، ثم سمي موضعهم ديواناً، ثم استعملته العرب، وجعل كل محصل

من كلام أو شعر ديواناً<sup>(١)</sup>. قارع: ضارب وكاسر. الصفاة: الصخرة للساءه  
استعارها للصب من الكلام. قريع: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه  
يُعرف بفعلها. وقرن مجالك: صاحب كلامك الذي تجول فيه — يعني نفسه.  
قرين جدالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثلك في شدة أو  
خصام أو علم، وإن لم يكن بينكما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقك.  
كأنه قرين معك. والمجال: الموضع الذي تراض فيه الخليل. رُض: سسن ولين.  
النجيب: الفحل الكريم من الإبل، وعنى نفسه. ادع مجيباً، يقول: سسني ثم  
ادعني أستجب لك. ترى هجيباً، في حسن جوابي. البغاث: صفار الطير.  
يستنسر: يصير نسرأ، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا تجوز علينا الخاوف،  
والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنسر»، أي يرجع الضعيف  
قويا أمرنا وحمايتنا له ممن يريده، وقيل في البغاث: إنه ذكر الرخم، وقيل: البغاث  
كل ما يصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والرهام: ما لا يصيد ولا يصاد،  
كالخطاف وغيره. القضة: الحصى البيض الصغار، ويقال: جاء بالقض والقضيض  
بالتقاف والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. و القضيض: صفار الحصى وما  
تكسرت منه، وقالوا: جاءوا قضيضهم بقضيضهم. أي كلهم. استهدف: صار هدفاً،  
وهو الغرض للسهم، النضال: المراباة. العضال: الذي لا يُبرأ منه. استثار:  
حرك نفع غبار. الامتحان: الاختبار. يقد: يقع في عينه القذى، وهو ما يسقط  
في العين، ويقول: من صار غرضاً للألسنة قل أن يسلم، ومن صار طالباً لمناظرة  
أهل المعارف أهين وأخف. المفاضح: الخزيات واشتهار العيوب. وسم: علامة.  
قدحه: سهمه، يريد قداح الميسر، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف  
بها، قال دريد بن الصمة:

وأصفر من قداح النبع فرع به علمان من عقب وضرس<sup>(٢)</sup>

(١) المراد للجواب بقى ١٥٤، وفي حذاء الغليل ٩٤ عن المرزوق في شرح الفصح،  
قال: هو عربي، من دونات الكلمة إذا ضبطتها.  
(٢) اللسان - ضرس

الضرس : العَضُّ بالضرس ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قِداح العرب :  
 سينفترى : سينتكشف . قوله : «تناجت» ، أى تحدت سرّاً . يُسَبَّر : يقاس .  
 قَلْبِيه : بئره . يَعْمَد : يَقْصِد . تَقْلِيه : تجريبه . ذُرُوه : أتركوه . حِصْتِي : نصيبي .  
 قِصْتِي : خبري ، وجعل لمسأله حجراً يرميه به مجازاً . عَضْلَة : صعبة . العَقْد :  
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحلّ . محك المنتقد : وهو حجر يقاس به جيد  
 الفضة والذهب من الرديء ؛ أراد أن مسأله نهاية في الصعوبة ، والعَضْلَة : كل  
 مسألة شديدة لا يهتدى لثلها ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : داء عضال  
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يهتدى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعضات  
 المرأة تعضيلاً ، نشب ولدها في بطنها ، وعضت الدجاجة بيضها كذلك ، وفلان  
 عَضْلَة من العضل ، أى داهية لا يهتدى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أى  
 الرياسة .

### [ ذكر قَطْرِيّ بن الفجاءة ]

وأبونعامه هو قَطْرِيّ بن الفجاءة التميمي الخارجيّ . وكان له فرس يكنى  
 بها في الحرب ، ويكنى في السلم أبا محمد . وقَطْرِيّ : منسوب إلى قَطَر ، موضع  
 قريب من عُقير .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيس الخوارج ، وسلّموا عليه  
 بأمر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة في ذم الدنيا انتهى  
 فيها من البلاغة إلى الغاية . وأولها :

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفّت بالشهوات ، وراقت  
 بالقليل ، وتحببت بالعاجل ، وتملّت بالأمانى ، وتزينت بالفروير ،  
 لاتدوم زهرتها ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنيّة الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .

ومنها :

كم وائقٍ بها قد فجعته ، وذى طمأنينة إليها قد صرعته ، وذى احتيالٍ فيها قد خدعتته . وكم من ذى أهبة فيها قد صيرتته حقيراً ، وذى نخوة قد ردّته ذليلاً ، وذى تاج قد كسّته للبدن والنم ؛ سلطانها دول ، وعيشها رنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

ومن جيد شعره في وقعة دُولاب :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألق أمّ حكيم <sup>(١)</sup>
من الخفريات البيض لم ير مثلها	شفاءً لدى بثٍ ولا لسقيم <sup>(٢)</sup>
لعمرك إني يوم ألطم وجهها	على نائبات الدهر جدّ لثيم <sup>(٣)</sup>
ولو شهدتني يوم دُولاب أبصرتُ	طعان ذئبي في الحرب غير ذميم <sup>(٤)</sup>
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعُجنا صدور الخليل نحو تميم <sup>(٤)</sup>

(١) الأغاني ٦ : ١٤٨ ، الكامل للمبرد ٣ : ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لم أر مثلها » .

(٣) دُولاب ، قال في الأغاني : « هي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب الأزارقة ومسلم بن عيسى بن كرز ، خليفة عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير » .

(٤) علماء ، يريد على الماء ، وبمده في رواية المبرد :

وكان لعبيد القيس أولُ جدّه  
وظلت شيوخ الأزدي في حومة الوغى  
وأحلافها من يحضب وسليم  
تعموم وظلنا في الجلاء نعوم  
وفي البيت الثاني لإفواء .

فلم أري يوماً كان أكثر مفضلاً (١) يُمسحُ دماً من فائظٍ وكليم (٢)  
 وضاربة خذاً كريماً على فتى أغرَّ نجيب الأمهات ككرم  
 أصيب بدولابٍ ولم تكُ موطناً له أرض دولابٍ ودير حميم (٣)  
 فلو شهدتني يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كلَّ حريم  
 رأيت فتيةً باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وأم حكيم التي شتت بها ، كانت معه في عسكر الإباضية ، وكانت من أشجع الناس ، وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم بدنه متمسكا . وكان قطري يجهتها ويجهلها ، وأخبر من شاهدها في تلك الحروب أنها كانت ترتجز فتقول :  
 أحملُ رأساً قد سئمتُ حملةً وقد ملتُ دهنهُ وغسلتهُ

\* ألا فتى يحمل عني ثقله \*

والخوارج يقدونها بالآباء والأمهات ، وخطبها جماعة من أشرف الخوارج فردتهم ، وقالت :

ألا إن وجها حسن الله خلقه لأجدر أن يلتقي به الحسن جامعاً  
 وأكرم هذا الجرم عن أن يناله تورك فخل همه أن يجامعا

أين هذه من أم خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد ، كان يقال : لها خطب ، فتقول : نكح ، وضرب بها المثل فقيل : أسرع من نكاح أم خارجة (٤) .

(١) الأغاني والكمال : « مقمصا » ، وهو الطمن بالرماح .  
 (٢) ط : « فائض » . تحريف ، صوابه من ا ، ب ؛ والفائظ ، من قولهم : « فائظ الرجل ، إذا مات » .  
 (٣) دير حميم : موضع بالأهواز .  
 (٤) الميداني ١ : ٣٤٨



وأين هي من حفيذة قطريّ مع صاحبها ، حكى الإصبهانيّ عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميريّ سكارى ، فلقينا بنت الفجاءة بن عمرو ابن قطريّ بن النجاءة ، وكانت امرأة برزّة حسناء ، فواقفها السيد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق ! قال : يكون كمنكاح أمّ خارجة ، قيل لها : خطب ، قالت : نكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ قال :

إن تسأليني بقومى تسألني رجلاً في ذرّوة المجد من أجواد ذى يمن<sup>(١)</sup>  
ثمّ الولاء الذى أنجّو النجاة به من كبة النّار للهادى أبى حسن

فقالت : لا شيء أعجب من هذا ! يمانى وتميمية ، ورافضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك<sup>(٢)</sup> ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا علم ، انكشفت معه الستور<sup>(٣)</sup> ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المتعة<sup>(٤)</sup> التى لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) بعمه في رواية الأغاني :

حوّلي بها ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن  
والأزد أزد عثمان الأكرمون إذا عدت ما أثرهم في سالف الزمن  
بانث كريمةتهم عني فدارهم دارى في الرحب من أوطانهم ووطني  
لى منزلان : بلحج منزل وسط منها ، ولى منزل للعز في عدن

(٢) ط : « تحشد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشفت معه الستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) المتعة : أن تزوج امرأة تتمتع بها أياماً ، ثم تحلّ سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ، ويحلّ لها شيئاً ، فيستحلها بذلك ، ثم تحلّ سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة في أول الإسلام ثم حرمت ؛ ولجلودى ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء : « المتعة وما جاء في تحليلها » .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تكفرى بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ، قالت : أستخير الله وأقعدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . ولما انصرفت معه ، وبات معرساً بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها توعدوها بالقتل ، فوجدت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تخلف إليه مدّةً وتواصله<sup>(١)</sup> .

وقوله : «تقليد الخوارج بأناعمة» ، لما قُتل الزبير بن علي السائي على أمير الخوارج ، أداروا أمرهم ، فأراد تولية عبدة بن هلال الشكري ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لكم ؟ من يطاعن في قبلي ، يحمي عن دُبري ؛ عليكم بقطري ابن النجاء للملأني ، فبايعوه .

\* \* \*

فَأَقْبَلَ عَلَى السَّكَنِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَيُّ أَوْلِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْقُحُ حَالِي ، بِالْبَيَانِ الْحَالِي . وَكُنْتُ اسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بَلَدِي ، بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قَلَّةِ عَدَدِي . فَمَا نَقُلَ حَاذِي ، وَنَفِدَ رِذَاذِي ، أُمَّمَتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرِجَائِي ، وَدَعَوَتُهُ لِإِعَادَةِ رُؤَايَ ، وَإِرْوَايَ ؛ فَهَشَّ لِلْوِفَادَةِ وَارْتَاخَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ . فَلَمَّا اسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْمَرَايِحِ ، إِلَى الْمَرَايِحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمَرَايِحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَرَمَمْتُ أَلَّا أَرُودُكَ بَتَاتَا ؛ وَلَا أَجْمَعُ لَكَ شَتَاتَا ، أَوْ مُنْشِيءَ لِي أَمَامَ ارْتِمَالِكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرَحَ حَالِكَ ، حُرُوفُ إِحْدَى كَلِمَتَيْهَا يَمُومُهَا النَّقْطُ ، وَحُرُوفُ الْأُخْرَى لَمْ يُمَجِّمَنَّ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بَيَانِي حَوْلًا ، فَمَا أَحَارَ قَوْلًا ، وَنَبَّهْتُ فِكْرِي سِنَّةً ، فَمَا ازْدَادَ  
إِلَّا سِنَّةً . وَاسْتَعْنْتُ بِقَاطِبَةِ الْكِتَابِ ، فَكَلُّ مِنْهُمْ قَطَّبَ  
وَتَابَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَّعْتَ عَنِّ وَصَفِكَ بِالْيَقِينِ ، فَأَتِ بَآيَةَ إِنْ  
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

فقال له : لقد استسقيت يعقوباً ، واستسقيت أنكوباً ،  
وأعطيت القومس باريها ، وأسكنت الدار بانيها . ثم فكر ريثما  
استجم قريحته ، واستدر لفتحته ، وقال : ألقى دواتك واقرب<sup>(١)</sup> ،  
وخذ أدانك واكتب :

◊ ◊ ◊

قوله : « أوالى » ، أى ألزم وأتخذة ولياً . أرقح : أصلح ، يقال رقق من  
عيشه ، إذا أصلح منه ، قال الشاعر :

يترك ما رقق من عيشه يعبت فيه همج هامج<sup>(٢)</sup>

الهمج : البعوض ، ثم قيل لأرذال الناس : همج . الحالى : الزين بالحيلى .  
أودى : عوجى . سعة : كثرة . ذات يدي ، أى مالى . عددى : عيالى . حاذى :  
ظهري ، وفلان خفيف الحاذ ، أى قليل العيال ، وأصل الحاذ مؤخر الفخذين .  
نقد رذاذى : فرغ قليل مالى ، والرذاذ . المطر الضعيف . أمته : قصده . أرجأى :  
جهانى وبلادى . رجأى : أملى . روائى : حسن هيئتى وحالى : إروائى : إزالة  
عطشى . هشى : خفت ، ورجل هشى بسم : طليق الوجه . للوفادة : للقدوم عليه . وارتاح :  
طرب واهتز . الإفادة : تكسيب الفوائد . المراح ، بفتح الميم : المشى والانصراف .

(١) ساقطة من غمطوة المقامات .

(٢) اللسان - رقق ، ونسبة إلى المارث بن حنزة .

والمِراح، بالضم: الموضع الذي تَرُوح إليه الإبل وتروح منه، أو تراح إليه، أي تساق بالعشي. والمِراح، بالكسر: النشاط والخِمة، وقد مَرِحَ مَرِحًا، لعب، من الفرح. كاهل: ما بين فروع الكتفين، استعاره للنشاط. أزمعت: عزمت. بتاتًا: زادًا. شتاتًا: مالًا متفرقًا. تنشىء: تصنع وتكتب. أمام ارتحالك: قبل سفرك: تودّعها: تضمّنها وتجعل فيها. يعجمن: ينقطن، وأعجمت الكتاب: أزلت عنه عجمته.

قطّ: لفظه موضوعة لما مضى من الدهر. وجعل الحريريّ قول الخواصّ: «لا أكله قطّ» من أخش الخيطاً لتناقض الكلام، قال: وذلك أن العرب تستعمل لفظه «قطّ» فيما مضى من الزمان، كما تستعمل لفظه «أبدأ» فيما يستقبل، فيقولون ما كلمته أبدأ، والمعنى: ما كلمته فيما انقطع من عمري، لأنه من قططت الشيء، إذا قطمته، ومنه قطّ القلم، إذا قطع طرفه. وفيما يؤثر من شجاعة عليّ رضي الله عنه أنه كان إذا استقبل قَدَّ، وإذا استدبر قطّ، فالقدّ قطع الشيء طولاً، والقطّ قطعه عرضاً<sup>(١)</sup>. يقول: تصنع رسالة تضمّنها حالك، يكون تركيبها من كلمة يعمّ حروفها النقط، وكلمة لا ينقط منها حرف، وبهذا المعنى سُمّيت المقامة الخليفة، لأنّ الأخيف من الخيل: الذي إحدى عينيه زرقاء. والأخرى كحلاء. استأنيت: أمهلت وأخرت. أحر: ردّ وراجع. نهبت: أيقظت. سنّة: حولا. سنّة: نومًا. قاطبة: جماعة. قطب وجهه، إذا عبسه. صدعت: أوضحت وأظهرت، وأصل الصدع الشقّ. باليقين: بالحقّ الواضح. آية: علامة، قال ابن الأنباري رحمه الله: في قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه: قيل إنها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها، واحتجّ أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر:

\* بآية ما تحبون الطعّامًا \*

وبقول النابغة :

تَوَهَّمَتْ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لَسْتَةَ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعٌ<sup>(١)</sup>  
 الثانى: سُمِّيت الآية لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بأيّتهم،  
 أى بجماعتهم .

الثالث: سُمِّيت آية لأنها عجب من المعجائب ، فالآية العجب .

قوله : « استسقيت » : طلبت سعيه أى جريه . واليعبُوب: الفرس السريع .  
 استسقيت : استمطرت وطلبت سُقياه . والأسكُوب : المطر الكثير . باريها :  
 صانعها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ما طلبت .

[ الخطيئة وسعيد بن العاص ]

وأول من قال: أعط القوس باريها<sup>(٢)</sup> الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد  
 ابن العاص وهو يقري الناس ، فأكل أكلًا جافيًا ، وخرح الناس ، فأقام ، وأتاه  
 الحاجب ليُخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إني بنفسى عنهم  
 لأرغب ! فقال له سعيد : دعه . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لهم الخطيئة:  
 والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيتم القوس باريها ، وقستم  
 على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أعدُّ الإقتار عُدْمًا ولكن قدَّ من قد رزنته الإعدامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دواد الإيادى ، قال : ثم  
 من ؟ قال : والله لحسبك بى رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رفعت إحدى رجلتى على  
 الأخرى ، وعويت فى إثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) الميدانى ٢ : ١٩ ، ومجمره الأمثال ١ : ٧٦ .

[ من أنت ؟ قال : ]<sup>(١)</sup> الحُلَيْمِيَّة ، قال : حَيَّاكَ اللهُ يَا بَامَلِيكَةَ ، أَلَا أَعَلَمْتُنَا بِمَكَانِكَ ، ولم تحملنا على الجهل بك ، فنضيع حَقَّكَ ونبخسك قسَطَكَ ! وأذناه ووصله<sup>(٢)</sup> .  
وقال الشاعر :

يا باري القوس برّيا ليس يُحْسِنُهُ      لا تنظّم القوس واعط القوس باريها  
ريث : مقدار وبطاء . استجم : استكثر . قريحته : طبيعته ، والقريححة في الأصل أوّل ماء البئر النابع ، واستجمها : تركها حتى تسكّر . استدرّ : استنزل . درّها وهو لبنها . واللقحة : الناقة ذات اللبن ؛ يريد : أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول : ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لكلثوم العتّابي أتاه يوما ، فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستبدت مدة ، ثم علم القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ، وهذا مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذودُ القوافي عني زيادا      زياد غلام غوي جوادا<sup>(٣)</sup>  
فلما كثرت وعينيه      تخير منها جوادا جيادا  
فأعزل مرجانها جانبا      وآخذ من درّها المستجادا

وقال عريف القوافي<sup>(٤)</sup> :

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما      أصادى بها سربا من الوحش نزعا  
عواصي إلا ما جعلت وراءها      عصا مر بدّ غشي وجوها وأذرا  
إذا خفت أن تُروى على رددتها      وراء التراقي خشية أن تطلما

(١) من الأغاني (٢) الأغاني ٢ : ١٦٧ ، مع تصرف واختصار .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ .

(٤) كذا ذكر المؤلف ، والأبيات في الصغر والشعراء ٦١٦ ، ٢٣ ، والبيان والتبيين ١٢ : ٢

والأغاني ١١ : ١٢٣ منسوبة لسويد بن كراع .

أَصَادِي : أَدَارِي ، وَجَعَلَ الْقَوَافِي تَفْتَحُمُ عَلَيْهِ كَالْإِبِلِ ، وَهُوَ يَضْرِبُهَا بَعْضَاهُ حَتَّى يَخْتَارَ حَيَادَهَا .

### [ فَصَلْ فِي الدَّوَاةِ وَالْمَدَادِ وَالْقَلَمِ ]

قَوْلُهُ «أَلِئِنْ» ، أَي اجْعَلْ فِيهَا لَيْقَةً ، تَقُولُ : لَيْقَتِ الدَّوَاةُ فَهِيَ مَلِيقَةٌ ، وَأَلْقَتْهَا فَهِيَ مُأَلَقَةٌ ، وَجَمْعُ اللَّيْقَةِ لَيْقٌ . وَيُقَالُ لِلصُّوْفَةِ قَبْلُ أَنْ تُتَبَّلَ بِالْمَدَادِ : التُّبُوهَةُ وَالْمَوَارَةُ ، فَإِذَا بَلَّتْ بِالْمَدَادِ سُمِّيَتْ لَيْقَةً ، وَقَدْ يُقَالُ لَهَا : لَيْقَةٌ قَبْلُ أَنْ تُتَبَّلَ ، سُمِّيَتْ بِمَا تُتَوَلَّى إِلَيْهِ ، كَمَا قِيلَ لِلْكَبْشِ : ذَبِيحٌ ، وَلِلصَّيْدِ : رَمِيَّةٌ ، فَإِنْ كَانَتْ قَطَنَةٌ فَهِيَ الْمُطْبَةُ وَالْكَرْسُفَةُ ، وَكَرْسَفَتِ الدَّوَاةُ كَرْسُفَةً ، وَالْقَطَنُ كُلُّهُ يُقَالُ لَهُ : الْمُطْبُ وَالْكَرْسُفُ .

وَيُقَالُ لِلْمَدَادِ : نَقَسَ وَنَقَسَ ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ ، وَقِيلَ : الْفَتْحُ مَصْدَرٌ نَهَسْتَهَا ، جَعَلَتْ فِيهَا نِقْسًا ، وَالْحَبْرُ مِنَ الْمَدَادِ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ ، وَالْحَبْرُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرُ : الْعَالِمُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : سُمِّيَ الْمَدَادُ حَبْرًا بِاسْمِ الْعَالِمِ ، كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا مَدَادَ حَبْرٍ ، فَخَذَفُوا ، وَلَوْ كَانَ مَا قَالُوهُ صَحِيحًا لَقَالُوا لِلْمَدَادِ : حَبْرٌ بِالْفَتْحِ ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يُسَمَّى حَبْرًا لِأَنَّهُ يُحَسِّنُ الْكِتَابَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَبْرَتِ الشَّيْءُ إِذَا حَسَّنْتَهُ . وَيُقَالُ لِلجَمَالِ : حَبْرٌ وَسَبْرٌ ، فَدَادَ حَبْرٌ ، كَقَوْلِكَ مَدَادَ زَيْنَةَ وَجَمَالَ ، أَوْ يَكُونُ مِنَ الْحَبْرِ وَالْحُبَارِ ، وَهُوَ الْأَثَرُ ، فَيُسَمَّى بِذَلِكَ لِتَأْثِيرِهِ فِي الْكِتَابِ . وَيُقَالُ : مَدَدَتِ الدَّوَاةُ أَمْدَهَا مَدًّا ، إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا مِدَادًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَدَادٌ فَزِدْتَ عَلَيْهِ قَلْتَ : أَمَدَدْتَهَا ، فَإِذَا أَمَرْتَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَدَادِ بِالْقَلَمِ قَلْتَ : اسْتَمَدَدَ ، فَإِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُعْطِيَكَ عَلَى الْقَلَمِ مِدَادًا ، قَلْتَ : أَمَدِدْ لِي مِنْ دَوَاتِكَ ، وَاسْتَمَدَدْتَهُ أَنَا ؛ سَأَلْتَهُ أَنْ يَمِدَّ لِي . وَقَالَ الْخَلِيلُ : مُدِّنِي وَأَمَدِّنِي : أَعْطَنِي مِنْ مَدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَادَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ مَدَادٌ لَهُ ، وَأَمَهَتْ الدَّوَاةُ وَمَوَّهَتْهَا ؛ إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا مَاءً ، وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمَةٌ وَمَوَّةٌ دَوَاتِكَ .

وَاسْتِشْقَاقُ الدَّوَاةِ مِنَ الدَّوَاءِ ، لِأَنَّهَا يُصْلَحُ بِهَا إِصْلَاحُ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ اسْتَشَقَّهَا مِنْ دَوَى الرَّجْلِ يَدْوَى دَوِيًّا ، إِذَا صَارَ فِي جَوْفِهِ الدَّاءُ ، قَالَ :  
(١٦ - شَرْحُ مَقَامَاتِ الْمَرْيَمِ)

أما الدواة فأدوى حمها جسدی وحرّف الخلط تحريف من القلم<sup>(١)</sup>  
ووزنها «فَعَلَة» تحرّكت الياء وقبها فتحة، فقلبت ألفاً، وتجمع دَوَايَاتُ ؛  
كقناة وقنّوات ، ودوَى كقناة وقنّاً . ويقال : أدويت فأنا مدوٍ : اتخذت  
دواة ، ويقال للذي يبيعها : دواء كحياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدوِ  
دواةً ، ويقال لمن يحمها ويمسكها : دواء ، ويقال لها : الدواة والزقيم والنون .  
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت ، أي كتبت ، ومنع  
فرض بينهما قال : زبرت بالزاي ، أي كتبت ، وذبرت ، أي قرأت . وسمّى  
قلماً لأنه قلم ، أي قطع وسوسى ، كما يقلّم الظفر ، وكلّ عود قطع وحزّ رأسه وأعلم  
بعلامته فهو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾<sup>(٢)</sup> ،  
وكانت سهاماً فيها أسماؤهم مكتوبة . ويقال للذي يقلّم به : مقلم ، وللذي يُبْرِى  
به : مبرى ، ولما سقط عن البرى والتقليم : القلامة والبراية . وقيل لأعرابيّ :  
ما القلم ؟ ففكر ساعة ، وجعل يقلّب أصابعه ، ثم قال : لا أدري ؛ فقيل له :  
توهّمه في نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأظفار . ويقال  
لعمّقه : النكوب ، واحدها كعب ، ولما بينها الأنابيب ، واحدها أنبوب ،  
ويستعملان في الرّمح ، وفي كلّ عود فيه عمّد ، والعمدة التي تشينه تسمى  
الأبنةُ وجمعها أبْن ، فإن كان في العود أو القصبة تأكّل ، قيل فيه : قادح  
ونقد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره اللّيط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :  
لّيطت من القلم ليطّة ، فإن أخذت شحمته بالسّكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن  
أفرطت في أخذها ، قلت : بطنته تبطيناً فهو مبطن ، وحفرته فهو محفور ، فإن  
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لنشائه الذي عليه : الغلاف  
واللحاء والتشر ، فإذا نزعها عنه قيل : قشرته ولحوته وقشوته وسحوته ،

(١) الانتصاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .



ويقال في ثلاثتها بالياء ، ووسقته ونقخته ، مشدّان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السّنان والشّعيرتان ، واحدهما سنّ وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهيئاً للكتابة قيل : فطّطته أقطه فطّاً ، وصمته أفصمه قصماً ، والمقطّ بالكسر : ما يقطّ عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جعلت إحدى سنّيه أطول من الأخرى قلت : قلم محرف ، وقد حرفته تحريفاً ، فإن سويتهما قلت : قلم مبسوط ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك الصريف والصرير والرشيقي ويقال للقصب : البراع والأباه ، الواحد يرّاعة وأباه ، وقيل : الأباه أطراف القلم ، أي القصب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : البَيْلَمُ والقيصف والقيسع ، واحده بَيْلَمَةٌ وقيصفة وقيسعة ، فإن كان في القصب تأكل قيل فيه : قادح ونقد ، وكذلك العود والسنّ والقرن ، فإن كان فيها عوج فذلك الدرّ<sup>(١)</sup> .

قوله : «خذأداتك» ، أي قلمك . وقال ابن طاهر لكاتب له : ألقِ دواتك ، وأطلِ سنّ قلمك ، وفرّق بين السطور ، وتوسط بين الحروف .  
وقال ابن عبد ربه : ينبغي للكاتب أن يصلح آلته التي لا بدّ له منها ، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلا بها ، وهي دواته ، فلينعم ربّها بإصلاحها ، ثم ليختر من أنابيب القصب أفضلها عُقْدًا ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ، وأعدّها استواءً ، ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ليكون عوناً له على برّى أعلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصب .

واعلم أنّ محلّ التلم من الكاتب محلّ الرّمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمسِكُ الفارسُ رُمحاً بيدِهِ وأنا أمسكُ فيها قَصَبَهُ  
فكللانا فارسٌ في شأنِهِ إنما الأقلامُ رُمحُ الكُتّابِ

(١) نظر المؤلف في هذا النصل إلى ما أورده ابن السيد البطلبوسي في كتاب الاقتضاب هي شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البستي :

إن هزّ أقلامه يوماً ليعملها أنسك كل كمي هزّ عامله<sup>(١)</sup>  
وإن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، فقال : الخطّ خيطة الحكمة ، يُنظم فيه منشورها ، وتُنصل فيه شذورها .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قلبك محرّفاً ، لامتينا ولا رقيقاً ، ضيق القلب . فأبره برياً مستويّاً كمنقار الحمامة ، أعطف بطنه ، ورقق شفرتيه ، وليكن قرطاسك رقيقاً مستويّ النسيج ، مخرج السحاة<sup>(٢)</sup> ، مستويّاً من أحد الطرفين إلى آخره ، فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر مطك في أطراف القرطاس الذي فيه يسارك ، وأقله في الوسط ، ولا تمطّ في الطرف الآخر ، والمطّ نصف الخطّ ، ولا يقوى عايه إلا العاقل .

قال العتّابي : سألت الأصبغ في دار الرشيد : أيّ الأنايب للكتابة أصح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نشف بالهجير مأوه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، من الدرّية الظهور ، النيرة القشور ، الفضية الكسور ؛ قال : فأى نوع من البرى أصوب وأكتب ؟ فقلت له : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنّها قرنة<sup>(٣)</sup> ، تأمن معها المجّة عند المدّة والمطة ، للهواء في شقها صفيق<sup>(٤)</sup> ، وللريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتّابي : فبقي الأصبغ شاخصاً إلى لا يجير جواباً<sup>(٥)</sup> .

(٢) السحاة : القشرة .

(٤) المقد : « فيق »

(١) بيتية الدهر ٤ : ٢٩١

(٣) القرنة : الطرف المائل من كل شيء

(٥) المقد ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة برى القلم ، وإطالة جلفته ، وتحريف قَطَّته ، وحسن التأتى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدّة بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .  
وقال بعض الكتّاب : عَطَّرُوا دَفَاتِرَكُمْ بِجَيِّدِ الْخَبْرِ ، فَإِنَّ الْكُتُبَ غَوَانٍ وَالْخَبْرَ غَوَالِرٌ .

وقال بعض الكتّاب أيضاً :

وما رَوْضَ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاها      نَدَى الْأَسْحَارِ بِأَرْجِ بِالْعَدَاةِ  
بِأَضْوَعِ أَوْ بِأَسْطَعِ مِنْ نَسِيمِ      تَوْدِيهِ الْأَفَاوِهُ مِنْ دَوَاةِ  
كَأَنَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

دعى في الكتابه ليس منها      له فِكْرٌ يُعَدُّ وَلَا بَدِيهٌ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ دَوَاتِهِ مِنْ رِبْقٍ فِيهِ      تُلَاقٌ ، فَرِيحُهَا أَبْدَأُ كَرِيهٌ

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ، وهو يستره ، فقال له :  
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ      عَطَّرَ الرِّجَالَ وَحَلِيَةَ الْكُتَّابِ  
وَلِبَعْضِهِمْ يَهْجُو كَاتِبًا :

حَارٌّ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا      كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ  
فَدَعُ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا      وَلَوْ لَطَخْتَ نَفْسَكَ بِالْمِدَادِ

وقال كُشَاجِمُ لُورِاقٍ يَدْعَى الْكِتَابَةَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي الْكِتَابَةِ مَدْرُكٌ      شَاوِيٌّ ، قَلْتِ : رَمَاحُنَا أَقْلَامٌ<sup>(٢)</sup>  
هِيَاتَ تِلْكَ صِنَاعَةَ مَمْزُوجَةٍ      فِيهَا ضِيَاءٌ وَاضِحٌ وَظُلَامٌ

(١) أدب الكتاب للصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : « يربق دما »

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يَنْجِّ دماءنا الحِجَامُ  
 وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،  
 فنقطت من القلم نقطة مفسدة ، فسحها بكمه ؛ فتمجّبت ، فقال : لا تعجب ،  
 المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد  
 جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما الفِكرُ وُلِدَ حسن لفظٍ      وأسأله الوجودُ إلى البيانِ  
 ووشاه فتمنمه جوادٌ      فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ  
 ترى حلَّ البيانِ منشراتٍ      تجلّي بينها صور المعانيِ

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرّ  
 القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً      يكاد يُصمّ السامعين صريرُها  
 تساقط في القرطاس منها بدائعٌ      كمثل اللآلي نظمها ونثيرُها  
 تقود أبيات البيان بظنّةٍ      تكشف عن وجه البلاغة نورُها  
 تظلّ المنايا والمطايا شوارعاً      تدور بما شئنا وتمضى أمورُها  
 إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها      تجلّت بنا عما يسرّ ستورها

وأتى رجل وكيعاً ، فقال : رجل يمتّ إليك بجرمة ! فقال له : وما حرمتك ؟  
 قال له : كنت تكتب بمحبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم  
 أخرج منه دنائير لنفقته ، وقال له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودنمها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبّال في محبرة أنبوس :

وخديمة للعلم في أحشائها      كلّف بجمع حلاله وحرامه  
 ليست رداء الليل ثم توشّحت      بنجومه وتتوجّت بهلاله

وحدثني عن شيخني الفقيه أبي عبدالله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين ، قال : حدثني أبي أنه كان بسبته أيام الشبية والطلب ، في مجلس جمع من طلبة الأدب ، فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها ، وأراد أن يقصد بها الوالي على حسنها ، وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب ابن أبي ركب فقال :

جاءتك من غررِ العلاء زنجيةٌ في حلةٍ من حليةٍ تبخترُ  
سوداء صفراء الحلى كأنها ليل تطرزه نجوم تزهُرُ

فاستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر ، فكتبنا للرجل في رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلم صُفرٍ مذهبا ، ورغب أن يضمّن ذكره في منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون في ذلك ، فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كملت بأصفرٍ من نجارِ حليتها تخفيه أحيانا ، وحينما يظهرُ  
خرسان إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء ويذكرُ  
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قد بعثنا إليك أمّ المطايا والنايا زجيجة الأחסاب  
في حشاها من غير حربٍ حرابٍ وهي أمضى من نأفذات الحراب

وأحسن ما قيل في القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :

لكَ القلمُ الأعلى الذي بسنانه نُصاب من المرء الكلى والمفاصل<sup>(١)</sup>  
له الجلوات اللاء لولا نجيتها كما احتفلت للماك تلك المحافلُ  
لُعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجني اشتارته أيدٍ عواسل<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده

(٢) الأرى : العسل .

لهديمةٌ طلٌّ ، ولكنَّ وقعها  
فصيحٌ إن استنطقته وهو راكب  
بأثاره في الشرق والغرب وإبل<sup>(١)</sup>  
وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ  
إذا ما امتطى الخسَ اللطافَ وأفرغت

عليه شعاب الفكر وهي حوافلٌ  
أطاعته أطرافُ القنا وتوقّضتْ  
لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ  
إذا استغزر الذهنَ الذكيَّ وأقبلتْ  
أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ  
وقد رفدته الخنصران وسدّدتْ  
ثلاث نواحيه الثلاثُ الأناملُ  
رأيتَ جليلاً شأنه وهو مرهفٌ  
ضنيّ ، وسميناً خطبه وهو ناحلُ

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم  
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعاً  
وعدّوه مما يكسب المجدَ والكرمَ<sup>(٢)</sup>  
مدى الدهر أن الله أقسم بالآلَمِ

وقال البحرى :

تعنوله وزراء الملك خاضعةً  
وعادةُ السيفِ أن يستخدمَ القلمَ<sup>(٣)</sup>

وقال أبو العباس التنوخي :

إن يخدم القلمُ السيفَ الذي خضعت

له الرقابُ ودانت خوفه الاممُ

فالوتُ والموت لا شيءٌ يقابلهُ  
فبذا قضى الله للأقلامِ مذُبريتُ  
ما زال يتبع ما يجري به القلمُ  
أنَّ السيوف لها مذُبريتُ خدَمُ

(١) الطال : المطر القليل ، والوايل : المطر الكثير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الغرائف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال :

حتى رجعتُ وأقلامي قوائِلُ ملى : الحمد لل سيف ليس الحمد للقلم (١)  
ا كتب بنا أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسيافِ كالتلخّمِ

وقال الصوليّ : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أكتب  
بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تمّ  
مداده ، وإلا فإلى السيف معاده .

قال الصوليّ : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف  
وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفي ذلك يقول جرير النميريّ :

أتحيرني ولستَ لذك أهلاً  
جهاذةٌ وكتابٌ وليسوا  
ستذكرني وتعرفني إذا ما  
وقال كشاجم :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالةٌ  
وكم فيهم من دائم الأمر لم يرع  
وكلّ ذوى الأقلام في كلّ ساعة  
وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصبٍ ثم استمدوا بها ماء المنياتِ  
نالوا بها من أعاديبهم وإن بعدوا

مألاً ينال بحمة المشرقياتِ

وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

(١) ديوانه ٤ : ١٥٩ ، ١٦٠ .

وإذا تآلق في العيون كلامه ألو  
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت  
فاللفظ يقرب فهمه في بُعدِه  
حكّم ، فساخها خلال بنانه  
فكأنها والاعم معقود لها  
مخمود خلت لسانه من عضبه<sup>(١)</sup>  
برقت مصاييح الدجى في كُتبه  
منا ، ويبعد نيله من قربه  
متدفق ، وقلبيها في قلبه  
شخص الحبيب بدا لعين محبه

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءت به بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنية  
نبت سواد في بياض كما<sup>(٢)</sup>  
سأهمة الأسطر مصروفة  
يا كاتباً أسامني عتبه  
وقال البحرى في ابن الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى  
عطّل الناس ذكر عبد الحميد<sup>(٣)</sup>  
في نظام من البلاغة ما شكّ أمرؤ أنه نظام فريد  
وبديع كأنه الزهر الضا  
حك في رونق الربيع الجديد  
ما أبرت منه بطون القرايد  
حزن مستعمل الكلام اختياراً  
كالعداري غدون في الحلال الصفة  
عطل الناس ذكر عبد الحميد  
س وما حمت ظهور البريد  
وتجنن ظلمة التعقيد  
ر إذا رحن في الخطوب السود

قال المأمون لحمد بن داود: إن شاركنك في اللفظ فقد تاركناك في الخط ،  
فقال: يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أذى  
عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أذى لا يعرف من فنون الخط فنا ،

(١) ديوانه ١٦٤

(٢) النبت: الشيء القليل .

(٣) ديوانه ٩٦

(٤) ديوانه ٦٣٦ .



ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقي عمود ذلك في أهله ، نهم يشرفون بالشرف  
الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص  
الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لتهيئه وأمره ،  
فتعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة . فقال المأمون : يا محمد ، لقد  
تركنتي لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة نثراً ونظماً ما فيه كناية وفي السادسة  
والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا .  
وإنما أخرج الحريزي رسالته الختباء من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي  
قدمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من  
لزوم تظ لفظة وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، راقحة المعاني ،  
أنيقة المباني ، ولو غيره تعادها لأظلمت معانيها ، وتداعت مبانيها ، فله هو !  
لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مرام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا  
كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرْحُ نَطْقِهِ إِذَا مَا اسْتَمَرَّتْ      عقدة العنى في لسان الخطيب<sup>(١)</sup>  
ومصيب شواكل الأمر فيه      مشكلات مملكتن لب اللبيب  
لامعنى بكل شيء ولا كل      عجيب في عينه بعجيب

\* \* \*

الكرم - ثبَّت الله جِدْشَ سُوْدِك - يَزِينُ ، وَاللُّؤْمُ - غَضُّ الدَّهْرِ  
جَفْنُ حَسُوْدِكِ يَشِينُ ، وَالْأَرْوَعُ يَثِيبُ ، وَالْمَعْمُورُ يَخِيبُ ، وَالْمَلْحَلُّ  
يُضِيفُ ، وَالْمَالِحُ يُخِيفُ ، وَالسَّمْحُ يُغْذِي ، وَالْمَحْكُ يُقْذِي ، وَالْعَطَاءُ  
يُنْجِي ، وَالْمِطَالُ يُشْجِي ، وَالذُّعَاءُ يَقِي ، وَالْمَدْحُ يُنْقِي ، وَالْحَرْثُ يَجْزِي

(١) ديوانه ٢٧ . وفي فيه : « سرح قوله » .

والإلطاء يُخزى، وإطراح ذى الحرمة غي، ومحرمة بني الآمال بغي،  
وما صن إلا غبين، ولا غبن إلا صنين، ولا خزن إلا شقي، ولا  
قبض راحه تقي. وما فتى، وعدك يني، وآراؤك تشني، وهلاكك  
يضي، وحلمك يفيض، والآؤك تُغني، وأعداؤك تُثني، وحسامك  
يُفني، وسوددك ييني، ومواصلك يجتني، ومادحك يقتني، رسماحك  
يغيث، وسماؤك تغيث، ودرك يفيض، وردك يفيض، ومؤملاك  
شيخ حكا في، ولم يبق له شيء. أمك بطن حرصه يلب، ومدحك  
بنخب مهورها تجب، ومرامه يخف، وأواصره أشف، وإطراؤه  
يجتذب، وملامه يجتذب، ووراءه صفف، مسهم شطف، وحصهم  
جنف، وعمهم قشف، وهو في دمع يجيب، ووله يذيب، وهم  
تضيّف، وكمد نيّف، لما مول خيب، وإهمال شيب، وعدو نيب،  
وهدو تنيب، ولم يرغ وده فيفضب، ولا خبت عوده فيقتضب،  
ولا نفت صدره، فيمفض، ولا نشز وصله فيمبفض، وما يقتضي  
كرمك تبد حرمة؛ فييض أمله، بتخفيف أمله، ينت حمدك بين  
عالمه. بقيت لإمطة شجب، وإعطاء نشب، ومدأواة شجن، ومراعاة  
يفن، موصولا بخفض، وسرور غض، ما غشي ممد غني، أو خشي  
وهم غني، والسلام.

قوله: «غَضَّ الدهر جفن حسودك»، يقال: غَضَّ جفنه، أى سدَّ عينيه، دعاء عليه بالعمى، يقول: الكرم يزيتن صاحبه. واللؤم — وهو البخل — يشينه ويعيبه، ثم دعاه بدوام السعد وثبوته، وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أُعْطِيَ الممدوح من النعم، فيأخذها بالعين. الأروع: السيد الكريم، وهو الذى قصِد، وقيل: الأروع الحديد النفس، وقيل: الذى يروءك بحاله. يُثِيب: يُجَازى قاصده. والمُعَوَّر: البادى العَوْرَة، وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة، ومن جملة عيوبه البخل حتى يخبى قاصده، لأنه قابِلٌ به الأروع، وهو التامّ الجسيم، الجهر الصوت، قال الشاعر:

يواخى لثيمُ النَّاسِ كُلِّ مَلَأَمٍ      وينطق بالعوراءِ مَنْ كَانَ مُعَوَّرًا

المُحَلَّل: السيد الذى يُحَلَّ به الناس كثيراً. يُضَيِّف: يُنزل الأضياف ويكرمهم. والمآحل: البخيل، شَبَّه بالبلد المآحل، وهو الجدب، فكانت المآحل الذى لا يوجد عنده خير، يقال: أمحل البلد، وبلد مآحل وذو مَحَل، مثل لابن وتامر، والمآحل النَّمَام، يقال: مَحَلَّ به إلى السلطان إذا وشى به، وهو الذى يُخَيِّف على الحقيقة، والمآحل أيضاً: المحاصم، وقد مآحلته ومآحلني. يُغْدِي: يطعم. والمَحِكُ: اللجوج، وهو مقابل السَّمَح الخلق. يُغْدِي: يجعل فى العين قَدَى، أى يضرر قاصده ويؤله. يُنَجِي: يخلص صاحبه من الذم، وتقدم المطال. يُنْقِي: يغسل العيب. والإلطاط: الامتناع من فعل الخير، ويقال: لَطَّ وألَطَّ، إذا ذهب، واطَّ الشئ وألَطَّه، إذا ستره. يُنْجِزى: يهين. اطرَّاح: ترك. ذى الحرمة، أى صاحبها، والحرمة ما لا يحل تركه لـ            بن قصدك فقد دخل فى حرمك، فتركه ليس من الروءة. غَنَى: فساد وضلال. مَحْرَمَة: منع. بنى الآمال: أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه. بَغَى: ظلم. ضَنَّ: بخل. غَبِين: مخدوع فى رأيه. ضنين: بخيل، يقول: ما يَضَنَّ بماله من هو سديد

النظر ولا المصيب الرأى إنما يبخل به مَنْ هَرَفَ فاسد النظر مغبون في رأيه .  
 خزن: حبس ماله : قبض راحه: ضمّ كفه على ما فيها ، وهذه كناية عن المنع والبخل.  
 والتقى: الذى يبقى نفسه من العذاب بعماله الصالح ، من وقيتُ نفسي أقيها ،  
 واختلف في وزنه فقيل « فعول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء لقرب  
 مخرجيهما ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها في الياء ، وكسروا القاف لتصحح  
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فعيلاً » وأصله « تقي » ، فأدغموا الياء في الياء ،  
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه  
 « فعول » قال : لما أشبه « فعيلاً » بجمع جمعه .

قوله : « ما فتىء » ، أى مازال . يفتى : يصدق ويكون وقتياً . آراؤك : جمع رأى .  
 تشفى : تزيل الهم عن قلب ولّيك ، وتبرى مرض قاصدك من فقره ، يصفه بجودة  
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلاك يضى :  
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

تراه إذا ما جثته متمالاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله<sup>(١)</sup>  
 وكما قال أبو بكر في الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهايل

خلافاً لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، واللثيم الذى إذا سئل  
 انزوى وتقبض .

بغضى : يسمع . آلاؤك : نعمك . أعداؤك ثنى : يقول لكثرة المادحين  
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس  
 إياهم ، فصاروا يثنون عليك مع من يثنى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حتماً ،

(١) ديوانه ١٤٢ .

فلم يُنزله، فبات جائعاً مقروراً، فلما كان في السحر ركب راحلته، وانصرف، فتقدمه حاتم، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً، فقال له: من كان أبا مثواك البارحة؟ قال: حاتم، قال: فكيف كان مبيتك عنده؟ قال: خير مبيت، نخر لي ناقةً فأطعمني لحماً عبيطاً، وأسقاني الخمر، وعلف راحلتي، وسرت من عنده بخير حال. فقال له: أنا حاتم، والله لا تبرح حتى ترى ما وصفت، فردّه وقال له: ما حملك على الكذب؟ فقال له الأعرابي: إن الناس كلهم يثنون عليك بالجود، ولو ذكرت شرّاً كنت أ كذب، فرجعت مضطراً إلى قوهم، إبقاء على نفسي لا عليك. وقد تقدم قول البحترى في هذا المعنى:

أأشكو نداء بعد ما وسع الورى      ومن ذا يذم الغيث إلا مُدّمه<sup>(١)</sup>!

وقال حبيب:

فإن أنا لم يمدك عني صاغراً      عدوك فاعلم أنني غير حامد<sup>(٢)</sup>  
بسبابة تنساق من غير سائق      وتنقاد في الآفاق من غير قائد  
أفادت صديقاً من عدوٍ وصيرت<sup>(٣)</sup>      أقاربَ دنيا من رجالٍ أباعد  
ومخلفة لما تردُّ أذنَ سامع      فتصدر إلا عن يمين وشاهد

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن المهيم، يقول: يسمع عدوك إطناباً في مدحك فيمدحك صاغراً، فكيف وليك! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض، ليست بإبل تُساق، ولا بخيل تُقاد، فتردّ العدو صديقاً، والبعيد قريباً، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩ ، ١٢٠

(٣) ط : « وعاودت »

يسمعها أحد إلا ويخلف أنه لم يسمع مثلها ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسودك يَبْنِي » ، أى يرفع لك مجداً وشرناً . حسامك يفنى ، أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك . مواصلك يجتنى ، أى مَنْ زارك وواصلك اجتنى نعمتك ومواهبك . يقتنى ، أى يكتسب . سماؤك تقيث ، أى تأتى بالفيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجذب . سماحك يُقيث ، أى جودك وحسن خلقك يفرّج كُرْبَ المهموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، وأغثته أغيثه ، إذا فرّجت عنه ما يشتكى منه . درك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبُنك يملأ الإِناء ويفيض عليه ، يريد أن عطاءه يكثر لسائله . وردك يعيض ، أى منعك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار في الأرض ، مؤمّك : راجيك . والنبيء : الظلّ بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فشبه نفسه بالنبيء الذاهب . أمّك بظنّ ، أى قصّدك برجاء . وحرصه يُثب ، أى طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق . نُحَبّ : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب في ملئه ، فوجِبَتْ حقوقها لحسنها وجودتها . ومما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمدي بجدوك ، ذَا بهذا      كلانا اليوم أربحُ صيرفي  
لأصبح من نوالك في رباشٍ      وتصبح من مقالى في حُلِيٍّ

وقال آخر :

وحلّة كساها      كالحلّي في التهاية  
فاستبطنت مديحاً      كالأزبي في نصابه  
فراح في ثيابي      ورُحْتُ في ثيابه

وقال ابن شهيد في ضيف له :  
 وما أنفك معشوق الثواء نمذُهُ  
 يبشر وترحيب وبَسَطَ لِسَانِ (١)  
 إلى أن تشهَى البينَ من ذاتِ نفسه  
 وحنَّ إلى الأهلين حنَّةَ حانِ  
 فأتبعته ما سدَّ خَلَّةَ حالِهِ  
 وأتبعني ذكراً بكلِّ مكانِ

قوله : « مرامه يخفّ » ، أى مطلبه يسهل عليك .

أواصره : جمع آصرة وهي صلة الرحم ، والأصر : الموضع الحابس ، من قولهم :  
 أصرت فلاناً على الشيء أصره أصراً ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ماتأصرني  
 على فلان آصرة ، أى ما تحبسنى عليه حابسة ، ولا تعطفني عليه عاطفة . ذكره ابن الأنباري .  
 وذكر الحريري في الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ،  
 بكسر الصاد ، ومعناه الرضع الحابس للماء عليه ، فسُميت أواصر ، لأنها  
 تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى سُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله  
 ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي فتجادتا (٢) ،  
 فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب زَمَّةً ،  
 فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كساك ولم تستكسه فحِمِدَتَهُ      فتي ماجد يعطى الجزيل ويأصِرُ  
 وإنَّ أحقَّ الناس إن كنتَ مادحاً      بمدحك من أعطاك والعرض وافِرُ

فقال ابن الأعرابي : « وناصر » بالنون ، فقال له أبو نصر : دعني ياهذا  
 وياصرى وعليك بناصرك ؛ يريد : « ياصر » يعطف (٣) .

(١) الذخيرة لابن بسام : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتجادبا الحديث » .

(٣) درة الفواص : ٧١

قوله: «تشفّ» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التي توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشَّيْخُ<sup>(١)</sup> والضعف وكثرة العيال وجودة المدح، والعهود السابقة التي بيني وبينك . إطراؤه يُجْتَذَبُ ، أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح في الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجْتَنَّبُ : ذمّه يخاف ويبعد منه ، فيرثى عليه ، يقول : إن الذى رجاك شيخ مسنٌ فقير قصدك بيتين لأنك من أهل الكرم ، فطعمه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك، وأهدى إليك من مدائح عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك علقٌ تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح يرغبُ فيه وذمٌ يرهّب منه .

وراءه ضَفَّفَ ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضفّ الطعام ضففاً إذا كثرتقوم عليه ، وضمّ العيش اشتدّ . والشظف : سوء الحال . حصّهم : عراهم وتفرّشهم . جنّف : ميل الدهر عليهم . قشّف : بؤس عيش . يجيب : يساعد . ولّه : همّ وحيرة . يذيب : يُذهب اللحم . تضيّف : نزل به ومال إليه . كمد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على المهود . للممول ، أى المقصود مرجو . إهمال : تضييع وتسيب . نيب : عضّ بأسنانه . وهدوّ تغيّب ، أى سكون وأمن زال عنه . يزغ : يمل . نفث صدره ، أى تكلم بشرّ ، ونفث : بزق من داء في صدره . ومنه المثل : لا بدّ للصدور أن ينفث . ينفض ، أى يضرب ويبعد . نشز : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمّن ويلزم . نبذ : طرح . حرّمه : جمع حرمة . بيّض أمله ، أى أسعد رجاءه ، ورّده أبيض بعبائك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجعه . ينث : ينشر . عالّه : ناسه وأهل زمانه . بقيت : عشت . وطال بقاؤك . إماطة شجب : إزالة هلاك وتنحيته . نسب : مال . شجن : حزن ، والشجن أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يفن : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، محرّك ، مصدر شاخ يشيخ ، مثل الشيوخة .



متصلاً . بمنفض : عيش هنىء . غض : ناعم جديد . غشي : قُصِد ودخل .  
معهد : موضع يعهد به جلوسه . وهم غبي : غلط جاهل .

\* \* \*

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِمْلَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ  
بَسَاتِهِ ، أَرْضَتْهُ الْجَمَاعَةُ فِعْلًا وَقَوْلًا ، وَأَوْسَعَتْهُ حِفَاوَةٌ وَطَوْلًا . ثُمَّ  
سُئِلَ مِنْ أَىِّ الشُّعُوبِ نَجَّارُهُ ، وَفِي أَىِّ الشُّعَابِ وَجَارُهُ ،  
فَقَالَ :

غَسَّانُ أَسْرَتِي الصِّمِيمَةَ	وَسِرُّجُ تَرْبِي الْقَدِيمَةَ
فَالَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْدُ	رَاقًا وَمَنْزِلَةَ جَسِيمَةَ
وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدُوسِ مَط-	سِيَّةً وَمَنْزَهَةً وَقِيمَةَ
وَاهَا لِعَيْشِ كَانَ لِي	فِيهَا وَلَدَاتِ عَمِيمَةَ
أَيَّامَ أَسْحَبُ مُطَرِّفِي	فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْعَزِيمَةَ
أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا	بِ وَأَجْتَلِي النِّعَمَ الْوَسِيمَةَ
لَا أَتَّقِي نُوبَ الزَّمَانِ	بِ وَلَا حَوَادِثَهُ الْمَلِيمَةَ
فَلَوْ أَنَّ كَرْبَا مُتَلِفُ	لَتَلِفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمَقِيمَةَ
أَوْ يُفْتَدِي عَيْشُ مَضَى	لَفَدَّتُهُ مُهْجَتِي الْكَرِيمَةَ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى	مِنْ عَيْشِهِ عَيْشِ الْبُهِيمَةَ
تَقَادَهُ رُؤُةُ الصَّفَا	رَ إِلَى الْعَظِيمَةِ وَالْهَضِيمَةَ

وَيَرَى السَّبَّاعَ تَنَوَّشُهَا أَيْدِي الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيئَةِ  
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَيْئَةً  
وَلَوْ اسْتَقَامَتْ كَانَتْ ۖ أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيمَةٌ

\*\*\*

قوله : «إملاء رسالته» ، أى إلقائها عليه ليكتبها جلي : كشف . الهيجاء :  
الحرب ، وهى من الهنج وهو الحركة والاضطراب . بسالته : شجاعته . أوسعته :  
كثرت له . حفاوة : إكرام . والطَّوْلُ : الإناعام . الشعوب : القبائل ، واحدها  
شعب ، بفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى يفتنون  
إليه والقبيلة دونه . نجاره : أصله . الشعاب : الطرق فى الجبال . وجاره : جُجره ،  
أراد بَيْتَهُ ، لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .

قوله : «غسان أسرتى» : أى هذه القبيلة أصلى وقرابتي . الصميمة : العريضة  
الخالصة . تربتى . بلدتى . إشرافاً : ضياءً ونقاءً من العيب . جسيمه : عظيمة .  
الفردوس : الجنة ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِعَرَائِشِهَا ، والفردوس : المعرَّش من الكرم .  
مطوية ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى نزهتها وحسنها ، وفى قدرها ،  
وأراد بالبيت غسان ، وبالربع سروج ، أو يريد بيته فى غسلن فى الشرف  
كالشمس ، ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزهتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَّسَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَرُوجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمْحَانِ القَيْنِي :

وَأَيُّ مَنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ<sup>(١)</sup>

(١) الأبيات فى المكامل للبيري ١ : ٤٩

نجوم سماء كلِّما غار كوكبٌ      بدأ كوكبٌ تأوى إليه كواكبُه  
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم      دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه<sup>(١)</sup>  
وقال حسان بن ثابت :

بيض الوحوه مضيئةٌ أحسابهم      شمّ الأنوف من الطرازِ الأوّلِ<sup>(٢)</sup>  
وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجّية بن المضرّب فقال :

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت      لنورهم الشمس النيرة والبدرُ  
وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علوّ الهمة وتباعد منازلها من منازل  
الكواكب ، حيث يقول :

وعزيمة بعثتها همّة زُحَلٌ      من تحمّتها بمكان التّرب من زُحَلِ<sup>(٣)</sup>  
وزُحَلُ أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلةً ، وهذا من علوِّ  
المتنبّي الذي يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زُحَل في منزلة  
واحدة ، كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على  
غيره ، فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زُحَل ، كما يعلو زُحَل على الأرض .  
ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعيبون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته  
في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يجارى في كثير منها .  
وأها : تعجباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشي بها ! عميمة : كثيرة .  
أسحب مطرفي : أجرّ ثوبى العلم في طرفه إعجاباً بنفسى . أختال : أمشى الخيلاء  
متكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسان .  
والتوب والحوادث : النوازل والمصائب ، كلّها بمعنى واحد ، وهي ما ينوب  
بالإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . المليمة :

(١) الجزع ، بالفتح ويكسر : الحرز اللّذان .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره ابن طالب النبي الأندلسي فيما أورده ابن  
بسام في الذخيرة وعلى بن سعيد في التّرب .

التي تأتي بما يلام عليه . كربي المقيمة : هومي الثابتة . مهجتي : نفسي ، وأصلها دم القلب . تقناده : تسوقه . بُرّة : حَلَقَة من صُفْر تجعل في وتره أنف البعير ، يذلل بها . الصَّغَار : الذَّلَّة . العظيمة : داهية يُستعظم أمرها . والهضيمة : الحَقْرَة لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذي يقاد ويذلل بالبرّة ، وبالعظيمة سؤاله الناس ، وبالهضيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والسباع هنا : الأسود . تنوشها : تناولها وتخدشها .

### [ الضباع وما قيل فيها ]

والضباع : جمع ضَبْع ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهي مضادة في الحَلَقَة لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكفّل والفخذين رقيقة الصدر ، وهذا السبع أزل<sup>(١)</sup> عظيم الصدر ، والضبع عظيم البطن ، ولذلك سمي حُضاجر بالجمع ، والحِضجر : عظيم البطن . والحِضجر : الوطب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن ، وهي عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحمةها المثل فيقال : أحق من ضَبْع ، وأحق من أم عامر وهي كنيته . ومن حمقها أن الصائد يدخل وجرها فيقول لها : خامري أم عامر ، ومعناه الجئي إلى أقصى مفارك واستتري ، فتتقبص ، فيقول : أم عامر ليست في وجرها ، ثم يقول : أبشري أم عامر بكرم الرجال ، أبشري أم عامر بشاة هزلي ، وجرادة عظلي ، فتمد يديها ورجليها ، فيوقتها ويشد عراقبها بحبال فلا تتحرك ، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها ، ولا يدخل عليها إلا عريانا ، وإن دخل ثوب قتلته ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوِجَار بأسلحتهم ، فيخرجونها بالجرّ من قعر الوِجَار ويقتلونها .

ومن حمقها أنها تترك جِراءها إذا خرجت تلتمس ما تأكل ، فتجد جِراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فترضع أولاد غيرها ، وتترك أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب<sup>(٢)</sup> . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جبهة الأمثال ١ : ٤١٦ ، الميداني ١ : ٢٣٨ .

كَمْ رُصَّةٍ أَوْلَادٍ أُخْرَى وَضِيَّعَتْ  
 بنى بطنها ، هذا الضلال عن القصد  
 قال أبو زيد : والضباع لا تفترس شيئاً إنما تأكل الجيف ، وتنش القبور  
 عن الموتى ، وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته ، وليس لها بالنهار  
 كبير عمل ، قال الهذلي :

تبيت الليل لا يخفى عليها حمارٌ حيث جُرَّ ولا قتيلٌ<sup>(١)</sup>

قوله : « المستضيمة » أي المذلة . والضم : الذل ؛ يضرب المثل لتلاع الزمان  
 بالناس بالأسود والضباع ، فقال : إن الضباع المحترقة عند الأسود تتناول  
 الأسود بالضرر ، وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه ، ويضع  
 الرفيع ويقترب عليه ، ويملك المحنأ والأراذل الخطط الجسام ، ويجرّع النبلاء  
 والأعيان غصص الخمازي وكثوس الحمام .

\* \* \*

[ نبذ في أحوال الدهر ]

وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه ، وقد رها الباري عز وجل  
 اختبار العباد ، وليبصر العقلاء جريان أحكامه في خلقه ، وأن الكل تحت قهره ،  
 وأن كل إنسان من أهل الحزم والرأي عاجز عن إدراك ما لم يقدر له ؛ وقال محمد  
 ابن الفضل :

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللثاما  
 فهم فيها يعيشون ويلاحون الكراما

(١) لساعدة بن جؤية الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٢١٦ .

وقال المعري في معنى بيت الحريري :

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي عِلْمَتُهُ خداع الإلفِ والقيل المَحَالَا<sup>(١)</sup>  
وغيرت اخطوب عليه حتى تربه الذرّ يحملن الجبالا

وقال يزيد المهلبي يرثي المتوكل :

علتكَ أسياف من لادونه أحدٌ وليس فوقك إلا الواحد الصمد<sup>(٢)</sup>  
وأصبح الناس فوضى بمجربون به لينا صريعا تندي حوله النقد<sup>(٣)</sup>

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَمَازِنِ أَبَا نَصْرٍ وَقَاتَلَهُ فَمَا رَأَى ضُبْعًا فِي شِدْقِهِ سَبْعٌ<sup>(٤)</sup>  
فيم الشامة إعلانا بأسدٍ وغى أفنهم الصبرُ إذ أبقاكم الجزعُ !

هكذا ينظم حرّ الكلام، ويُعتذر لموت الكرام، وتنفى عنهم شماتة اللثام. وقد أحسن الاعتذار أيضاً لأبي نصر بأغرب من هذا، وجعله قاتل نفسه، إذ لا نظير له في شجاعته فيقتله، وإنما قتله أمر الله الذي لا يغالَب، كما قال أبو الطيب:

ألا إنما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالب<sup>(٥)</sup>

وكذلك قوله :

فإن ترم عن عمرٍ تواني به المدى فخانك حتى لم يجد فيك منزعا<sup>(٦)</sup>  
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها حتى اثنتي ففقطما

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨١

(٣) النقد : جنس من الفم .

(٥) ديوانه ١ : ١٠٩

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمي  
ومما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما هو الكفرُ يوم الرُّوعُ أو دونه الكفرُ<sup>(١)</sup>  
فأثبت في مستنقع الموتِ رجُلَهُ وقال لها: من تحت إحصيك الحشرُ

قوله: «الذنب للأيام»، نسب الذنب إليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم .  
تنبُّ : ترتفع ، شيمة : طبيعة، أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع ، أى لو استقامت  
هى لاستقامت أحوال الناس فيها ، فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته .

\* \* \*

[ نبذ وأقوال وحكايات في ذم الزمان ]

ومما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ، أن عبد الملك بن مروان سأل  
مسلمة بن يزيد — وكان من المعمرين — فقال : أى الملوك رأيت أكمل ؟ وأى  
الزمان رأيت أفضل ؟ فقال : أمّا الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً ، وأمّا الزمان  
فيرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وكلّهم يذمّ زمانه . لأنه يُبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ،  
ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

أبو جعفر الشيباني قال : أتانا أبو ميثاس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال :  
ما أنتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاً إن الزمان وعاء ، وما ألقى  
فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصانُ على رجالٍ وأخلاقاً تُذالُ ولا تُصانُ  
يقولون الزمانُ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وقال آخر :

أيا دهر إن كنت عاديتنا  
جعلت الشرار علينا خياراً  
فها قد صنعت بنا ما كفنا كما  
وأوليتنا بد وجه قفنا كما

وقال أبو العتاهية :

كفناك عن الدنيا الذميمة مخبراً  
وأن رجال النفع تحت مداسيها  
غني باخليها وافتقار كراميتها  
وأن رجال الضر فوق سناميها

وقال ابن كنفك :

يا زمانا ألبس الأح  
لست عندي بزمان  
ررار ذلاً ومهاناً  
إنما أنت زمانه (١)

وقال ابن الرومي :

دهر علا قدر الوضيع به  
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه  
وغدا الشريف يحطه شرفه (٢)  
سفلًا ويطفو فوقه جيفه

وكرره فقال :

قالت : علا الناس إلا أنت قلت لها :  
كذلك يسفل في الميزان ما رجحها

وقال آخر :

رب يوم بكيت فيه فلماً  
صرت في غيره بكيت عليه (٣)

(١) الزمان : العاهة

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨



وقال آخر :

لم أبلك من زمنٍ نكدٍ أساء به  
ولا جزعتُ على مَيِّتٍ فُجِعْتُ به  
ولا ذممتُ زماناً في تقلِّبه  
وقال ابن أبي عيزاره :

عُتِبْتُ على سَلَمٍ فَلَمَّا قَدَّتْهُ  
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَفْوِيتِ غَيْرِهِ  
وَأُنشِدُ الْمُبَرَّدَ :

حياة أبي العباس زيدت بقربه  
ونعتب أحياناً عليه ولو قضى

قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم . أخذه أبو الطيب  
قال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه  
ولو لم يعلُ إلا ذو محلِّ  
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صفارٌ  
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ  
الطَّعامُ : السفلة .

\* \* \*

نَمَّ إِنْ خَبِرَهُ نَمًّا إِلَى الْوَالِي ، فَمَلَّأَ فَاهُ بِاللَّالِي ، وَمَسَّامَهُ أَنْ  
يَنْضَوِيَ إِلَى أَحْسَانِهِ ، وَيَلِيَّ دِيْوَانَ إِنْشَائِهِ ، فَأَحْسَبُهُ الْجَبَاءُ ،  
وَوَلَّفَهُ عَنِ الْوَالِيَةِ الْإِبَاءُ .

(١) ديوانه ٤ : ٧١

قال الراوي : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ إِيْنَاعِ ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَدْرِهِ ، فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِيْمَاضِ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجْرِدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَمَّا خَرَجَ بَطِينُ الْخُرْجِ ، وَفَصَلَ فَايْزًا بِالْفُلْجِ ، شَيَّعْتُهُ قَاضِيًا حَقَّ الرَّعَايَةِ ، وَوَلَّيْتُهُ عَلَى رَفْضِ الْوَلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ، وَأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمَتْرَبَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُرْتَبَةِ  
لِأَنَّ الْوَلَاةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ !  
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُسَيِّدُ مَارْتَبَةَ  
فَلَا يَخْدَعَنَّكَ لُئُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَتْ  
فَكُنْ حَالِمٌ سَرَّهُ حِلْمُهُ وَأَذْرِكُهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبَهَتْ

\* \* \*

قوله : « نما » ، أى ارتفع ووصل . اللآلى : الدرر . سامه : كلفه .  
ينضوى : ينضم . وأحشائه : خاصته . يلى ديوان إنشائه : يتولى دار كتابته ،  
أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .  
أحسبه : كفاه . الحياء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أبيت  
من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد  
أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إيداعها  
ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عضبه : سيفه . جفنه : غمده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . أخرج : وعاء معلوم ، وهذا كقول الشاعر :

يببتون بالدهن خفاقاً عياهم<sup>(١)</sup> ويخرجن من دارين بجر الحقايب<sup>(٢)</sup>

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى فقال : حتى آل ذا عيبة خضراء  
وحقبة بجراء ، أى مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم<sup>(٣)</sup> قفازات أو شال ومولاك قارب<sup>(٤)</sup>  
قفوا خبروني عن سليمان إنسي<sup>(٥)</sup> لمعروفه من أهل ودان طالب<sup>(٦)</sup>  
فأجوا فأننوا بالذي أنت أهله<sup>(٧)</sup> ولوسكتوا أننت عنك اخقائب<sup>(٨)</sup>

ثناؤها عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفه ، فأتى أبو العتاهية فزاد  
المعنى بياناً بقوله :

إن المطايا تشتكك لأنها<sup>(٩)</sup> قطعت إليك سباسباً ورمالاً<sup>(١٠)</sup>  
فإذا أتين بنا أتين مخفة<sup>(١١)</sup> وإذا رجمن بنا رجمن ثقلاً<sup>(١٢)</sup>

قوله : « فصل » ، أى زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية :  
حفظ الصحبة . لاحقياً : لأنما . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أى لل  
خرج ممتلئ الوعاء ، ظافراً بما أراد ، لئمه على ترك خدمة الأمير التي كلفه ، فأنشد

(١) لأعشى همدان ، يهجو لصوصاً ؛ وهو من شواهد ابن عقيل ٤٩٨/١  
(٢) البيان والبعين ١ : ٨٣ . والقارب : طالب الماء . وذات أو شال : موضع بينه  
(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجسفة ؛ قال ياقوت : « وقد أكرر  
نصيب من ذكرهما في شعره » وأنشد الأبيات .  
(٤) ديوانه ٣١٢ .

معتذراً . المتربة ، أى الفقر . المتربة : المنزلة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأوصمى وقد رُئي راكباً حماراً فقيل له : أبعد برازين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً .

ولما أبت إلا طرفاً بودها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا  
شربنا برنق من هواها مكدرٍ وليس يعاف الرنق من كان صاديا  
يقول : هذا وأملك ديني ونفسي ، أحب إلى من ذلك مع ذهابهما (١) .  
أطرف الشيء وتطرفه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :  
يا عجباً لها ، ما أشدها . يرب : يصلح ويقوى . الصنيع : الفعل الجميل . يشتيد :  
يرفع ويتم . رتبه : بناه وهياه . السراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،  
اشتبه : أشكل . الحالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والروع :  
الفرع ، يقول : مثل المترفة بالخطه السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،  
فانتبه فى أيدى أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزيور  
أسود ولصغير ثعابين ، وكذلك الأمراء إن رفعوا الخديم ببعض إنعامهم كدروه  
بتمجيل انتقامهم . وما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كل يومٍ وليلةٍ إذا نمت لم أعدم خواطر أو هام  
فإن كان شرّاً كان لاشكّ واقماً وإن كان خيراً كان أضغاث أحلامٍ  
أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع . قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،  
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أرانى أحمل بدرة ؛ فمن ثقلها كنت  
أسلح فى ثيابي ، فانتبهت فإذا السلح ولا بدرة . قال الفنجديسى : ومن أحسن  
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى ظريفة المباني ، شرقتى بإنشادها وإملائها  
على السيد الأجل أبو المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بفاخرة مصر لبعضهم :

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٧ .

وزارني طيف من أهوى على وجلٍ      من الوشاة وداعى الصبح قد هتفاً  
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً      وكاد يهتك ستر الحب بي شغفاً  
ثم انتهت وآمالى تحيبنى      نيل المنى فاستحالت غبطني أسفاً

ومن ملح هذا الباب ، أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، قال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأذن لي بقصتها ، فقال : قل ، فقال :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ      في ساعة ما كنت قبل أنامها<sup>(١)</sup>  
فرأيت أنك رُعنتي بوليدةٍ      مفنوجةٍ حسنٍ على قيامها  
وببدرهٍ مُحلت إلى وبغلة      شهباء ناجيةٍ يصل لجامها<sup>(٢)</sup>

فقال له بشر : كل شيء رأيتهُ فهو عندك إلا البغلة ، فإنها دهاء ، قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهاء ولكني غلظت .

قال البطين الشاعر : قدمت على علي بن يحيى الأرميني ، فكتبت إليه :  
رأيت في النوم أني راكب فرساً      ولى غلام وفي كفي دنابيرُ  
فجئت مستبشراً مستبشراً فرحاً      وعند مثلك لي بالفضل تبشيرُ  
فوقع في أسفل كتابي : ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ  
بِعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم أمر لي بكل ما رأيتهُ في منامي

(١) الخمر والشعر في ذيل زهر الآداب ١٠١ .

(٢) بده في زهر الآداب :

فدعوت ربّي أن يثيبك جنةً عِوضاً نصيبك بردّها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٤٤ .

## المقالة السابعة وهي البرقعيدية

حكى الحارث بن همام، قال : أزمعتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرَقَيْدٍ ،  
وَقَدْ شَمْتُ بَرَقَ عَيْدٍ ، فَكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ أَشْهَدَ  
بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرَضِهِ وَنَفْلِهِ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ  
وَرَجْلِهِ ، انْبَعَثُ السَّنَةُ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ ، وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ  
لِلتَّعْبِيدِ . وَحِينَ النَّامِ جَمْعُ الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ ، وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكَظْمِ ،  
طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمْلَتَيْنِ ، فَحُجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ ، وَقَدْ انْتَضَدَ شِبْهُ الْخَلَاةِ ،  
وَاسْتَقَادَ الْعَجُوزَ كَالسَّعْلَةِ ، فَوَقَفَ وَفَقَّةَ مُتَهَافِتٍ ، وَحَيًّا تَحِيَّةَ  
خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ ، أَجَالَ خَمْسَةَ فِي وَعَائِهِ ؛ فَأَبْرَزَ  
مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كَتَبَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاغِ ، فِي أَوَانِ الْفَرَاغِ ، فَنَاوَلَهُنَّ عَجُوزُهُ  
الْحَيْزُبُونَ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونَ ، فَمَنْ آنَسَتْ نَدَى  
يَدَيْهِ ، أُلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ ، فَأَتَا حَ لَه الْقَدْرُ الْمَتُوبُ ، رَقْعَةٌ  
فِيهَا مَكْتُوبٌ ...

\*\*\*

أزمعت الشخوص ، أى عزمت على الخروج . برقعيد : بلد بينه وبين  
الموصل عشرون فرسخاً . شمت : نظرت .

ويريد يروق عيد ، مقدمات العيد التى ينظر الناس بها فى أسبابه ، سأل رجل

الجَنيد ، لماذا سُمِّي يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدمَ لما خرج من الجنة ، وأهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ فقيل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسُرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يُعود ، فلما سُكَّنت الواو وكُسِّر ما قبلها قلبت ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكنت ، وانضمَّ ما قبلها قلبت واواً مثل مُوسر ومُوقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أخذها من مَدَنٍ بالمكان يمدُن ، إذا أقام فيه ، فهي « فَعِيلَة » والجمع مدائن بالهمز ، والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أخذها من دَانَ يدين ، فالميم زائدة والياء أصلية ، وهي « منفعولة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ ملكته ، ودنت له أطعت ، ويقال للأمة مَدِينَة لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبْتُ وَرَبًّا فِي حَجْرِهَا ابْنَ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ (١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيّن الناس فيه . قوله : « أظل » ، أى قرب ودنا حتى دخلنا في ظلّه . بفرضه : يعنى زكاة الفطر . ونقله : يعنى صلاة العيد . الفنجديهيّ : فَرَضَ العيد : صدقة الفطر ، ونَقَلَ العيد مثل الصلاة والنُّسَل ولبس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضی الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرّ أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ابن عباس رضی الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاختل ، ديوانه . . تركل الشيء : دفعه برجله .

( ١٨ - شرح مقامات الحريري ١ )

الفطر من رمضان لجبر الصيام من الغفو والرّفث طعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات .  
أجلب بنخيله ورجله ، أى جمع أصحاب الخيل والرّجالة وجاء بهم ، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحجى . لبس : لباس ، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمعه ولعيده » .

جابر : كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة . برزت : خرجت . التأم : التحم والتصق . المصلّى : موضع صلاة العيد . الزحام : الضيق لكثرة الناس . الكظّم : تضيق النفس من شدة الزحام . شملتين : عباءتين ، والشملة : نوع من الأكسية ، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل بها ، أى يديرها حواليه ، محجوب : مستور . المقلتين : المينين ، أراد أنه أعمى . اعتضد : علقها فى عضده . استقاد : جعلها تقوده . السعلة : أتى القول ، وذكرها يسمى الكعنكع ، وأنشدوا :

\* غولا تراعى شرساً كعنكعاً \*

والقول : جن مسكنها الصحارى تترأى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضلّ الطريق فيهلك . قوله : « متهافت » ، أى متساقط لضعفه ، وتهافت الشيء فى يدي : تتأثر . خافت : خفى الصوت ، وقد خفت الرجل ، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك ، وأصل خفت مات هزالاً . فرغ : أتم . أجال : مشى وصرّف . خمسة : أصابعه . فى وعائه ، بمعنى المخلاة التى اعتضدها ، وهى تعلقية يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ، ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة . أبرز : أخرج . أوان : وقت . الفراغ : قلة الشغل . ناوهنّ : أعطاهنّ . الحيزبون : المسنة القويّة الخلق . تنوّم : تنظر . الزّبون : المنخدع عن حاله «فعول» بمعنى «مفعول» ، وهو من ألقاظ أهل المشرق ، وأراد به الكثير



الصدقة ، آنت : أبصرت . ندَى : كرم . أتاح : ساق . التَدَارَ المتعوب : الملووم .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا      بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ  
وَمَمْنُوا بِمِحْتَالٍ      وَمِحْتَالٍ وَمُغْتَالٍ  
وَخَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ      نَ قَالَ لِي لِإِلَالِي  
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْعَمَّالِ      لَ فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي  
فَكَمْ أَصْلَى بِأَذْحَالٍ      وَأَنْحَالٍ وَتَرْحَالٍ  
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ      وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ  
فَلَيْتَ الذَّهْرَ لَمَّا جَاءَ      رَ أَطْفَالِي أَطْفَالِي  
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي      أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي  
لَمَّا جَهَّزْتُ آمَالِي      إِلَى آلٍ وَلَا وَالِي  
وَلَا جَرَّزْتُ أَذْيَالِي      عَلَى مَسْحَبِ إِذْلَالِي  
فَمِجْرَابِي أَحْرَى بِي      وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي  
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِي      فَيَفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالٍ  
وَيُطْفِي حَرَّ بِلْبَالِي      بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ !

\*\*\*

قوله : « موقوداً » ، أى مشرفاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،  
والموقودة فى القرآن<sup>(١)</sup> : المقتولة بالخشب ، والموقد : شدة الضرب . أو جال :  
مخاوف . ممنوا : مبتلى . محتال : ما كر كثير الحيلة . محتال : متكبر . مغتال :  
مهلك . خوان : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد فى

(١) وهو قوله تعالى فى سورة المائدة ٣ : « والنخفة والموقودة » .

أخّر الزمان درهم من حلال، أو أخ يوثق به». قال: مبنض. إقلالي: قبرى. إعمال: جدّ وبحث، تقول: أعملت الشيء فى الشيء، إذ جعلته يعمل فيه. والعمال: عاملو كلّ شيء. تضليع: إفساد. أعمال: جمع عمل، يريد أنه مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنتقض أعماله وتصير له أضلاعاً بعد اجتماعها، وذلك فساد لها. ويحتمل أن يكون التضليع من «ضلمك مع فلان». أى ميلك معه، فأعماله تميل عن طرقها فتفسد. وقيل: تضليع الأعمال: تنقيها، قال الأزهرى رحمه الله: ضلّع الدين. ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله، وفى الحديث: «أعوذ بالله من ضلّع الدّين». أصلى: أحترق. أذحال: أحقاد وعداوات. إجمال: فقر. ترّحال: سَفَر وثقله من بلد إلى بلد. أخطر: أمشى متبختراً، وقد خطر الرجل، إذا أقبل بيديه وأدبرهما، وهى مشية الشّبان. بال: خَلَق. ولا أخطر فى بال: لا أمرّ على بال أحد ولا خاطره. جار: مال عن الحق ولم يعدل. أطفأ: أمات. أطفالي: أولادى، ومثله: أشبالي.

الفنجدية: يقول: ليت الدهر لما ظلم أولادى، وجار عليهم أماتنى لأتلخّص، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد. قال ابن عيينة: قلت لصياد: أى طائر أسرع إلى مصايدكم؟ قال: الذى يزق، يعنى الذى يطعم ولده. أغلالى: قيودى. والأعمال: جمع علّ، وهو القراد الضخم، وهو الذى يلصق بأنفاذ الدواب، وهو كثير التثبّت والالتصاق، لا يقام إلا بجهد، فيريد بالأغلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسبيهم، وبالأغلال أنهم قد تملّقوا به يطلبون ما عنده، وقال الشاعر يصف ناقته:

\* ولو ظلّ فى أوصلها العلى يرتقى \*

ويقال للقراد: الطّلح والفينق والحجير والعلّ والبُرَام والقُرشوم واللبود فى بعض اللغات. جهزت: أرسلت. آل: قريب، وآل: أهل، أو يكون آل أميراً وسائساً؛ قال عمر رضى الله عنه: أَلْنَا وَأَيْلَ عَلَيْنَا، أى سُسْنَا الناس

و. ساسنا غيرنا، فيكون على هذا مقلوباً من «آيل»، كما قيل: سار في سائر .  
 مسح: طريق . يقول : لولا ذلّ الأولاد ما قصدت والياً ، ولا جرت ذلي  
 في طريق ذلّ ، ويقال : سحب ذيله سحباً إذا جرّه ، والمسحب : موضع جرّه  
 ثوبه محرابي : مسجدي . أخرى : أحقّ بي . أسمالي . أثوابي الخلقة . أسمى لي :  
 أعزّ لي وأرفع لقدري . أنقالي : هومي أو ديوني ، أو كثرة عيالي واحدها نقل ،  
 وثقل الشيء ثقلاً ضدّ خفّ ، وأثقل الرجل : كثر عياله . بلبالي : حزني ،  
 والبلبال : وسواس الموم . سربال : قميص . والسروال : معروف ، وفي الحديث  
 أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها ،  
 فقالوا : إنها متسرولة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اغفر للمتسرولات  
 من أمّتي - ثلاثاً - بأيّها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أسيّر ثيابكم ،  
 وحضوا بها نساءكم إذا خرجن » .

ومن ملّح الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء<sup>(١)</sup> كتب له :

أيا مَنْ عطاياه تُعطى الغني إلى راحتي مَنْ نأى أو دنا  
 كسوتَ المقيمين والزائرين كسّأ لم يخل مثلها ممكنا  
 ونحاشية الدار يمشون في ثياب من الخز إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : احبني  
 أيها الأمير ، فأمر له بباقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت  
 أن الله خلق مركباً غير هذا لمثلتك عليه . وقد أمرنا لك من الخز بجمّة وقيص  
 ودراعة وسراويل وحمّامة ومنديل ومُطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ،  
 ولو علمنا لباساً غير هذا من الخز لأعطيناكه . ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة ؛  
 وصبّ تلك الخلع عليه<sup>(٢)</sup> .

وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح .

(١) هو أبو القاسم الزعفراني .

(٢) الخبر والنمر في يتيمة الدهر ٣ : ١٧١ ، مع تصرف واختصار .

قال الحارث بن همام : فلمَّا استعرضتُ حُلَّةَ الأبياتِ ، تُقَّتْ  
إلى معرفةٍ مُلجِمةٍ ، وراقمِ علمِها . فَنَاجَانِي الفِكرُ بِأَنَّ الوُصْلَةَ إِلَيْهِ  
العُجُوزُ ، وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلُوانَ المَعْرِفِ يَجُوزُ ؛ وَرَصَدْتُهَا وَمِي  
تَسْتَقْرِى الصُّفُوفَ صَفًّا صَفًّا ؛ وَتَسْتَوِ كِفُّ الأَكْفِ كَفًّا كَفًّا ،  
وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهَا عَنَاءُ ، وَلَا يَرشَحُ عَلَى يَدِهَا إِذَا ، فَلَمَّا أَكْدَى  
اسْتِعْطَافُهَا ، وَكَدَّهَا مَطَافُهَا ، عَاذْتُ بِالاسْتِرْجَاعِ ، وَمَالْتُ إِلَى إِرْجَاعِ  
الرَّقَاعِ ، وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي ، فَلَمْ تَمُجْ إِلَى بُقْعَتِي ، وَآبَتْ  
إِلَى الشَّيْخِ بِأَكْيَةِ لِلْحِرْمَانِ ، شَاكِيَةً تَحَامِلُ الزَّمَانَ ؛  
فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ، وَأُفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ ! ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ      وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ  
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي      فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

\* \* \*

قوله : « ملجمها » ، ناسجها ، ولما جعل الشعر حُلَّةً جعل له ناسجاً وراقماً .  
ناجاني : حدثني . الوصلة : الموصلة . استعرضت ، أى نظرت وعرضتها على  
نفسى . تُقَّتْ : اشتقت . أفتانى ، أعلمنى . الحُلوان : أجر السكَّان ، وأراد  
أجرة العراف ، وهو الذى يعرف بالتلائف الملتقطة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا  
عليه ، فذهب مالك أن من عَرَفَ اللَّقْطَةَ<sup>(١)</sup> ، وكان من شأنه أخذ الجعل على مثل  
ذلك ، فله أجرة مثله ، والشاعرى لا يوجب له حقاً ؛ سواء كان من شأنه أن يعرف

(١) اللقطة ، كهمزة : ما التقط .

باللَّقْطَةِ أو لم يكن ، تعب في ذلك أو لم يتعب ، إلا أن يشترط قبل الطلب .  
 رصدتها : ارتقبها . تستقري : تتعب ؛ واقتربت الأرض واستقربتها ،  
 تتبّعُها متأملاً . تستوكف : تستمطر . ينجح : ينفع ويؤثر ؛ يقال : نجحت  
 الحاجة إذا انقضت ، ونجح طالبها إذا لم ينجب ، وأنجح : أشهر ؛ يقول : إن مشيها  
 عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها . وقصد برشح الإناء كرم الكف ؛ يقول :  
 لم يرشح لها كفٌ بعطيّة . أكدي : خاب وصعب ، ويقال : أكدي الحافر ،  
 وهو أن يحفر البئر يطلب الماء ، فإذا بلغ إلى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على  
 الحفر قيل له : أكدي فهو مكدي ، والكُدِيّة هي الصلابة التي يتعدّر حفرها .  
 استعطافها : تليينها القلوب . كدّها : أتعبها . مطافها : مشيها وطوفانها على الناس ،  
 ويحسن أن ينشد هنا في حالها لأبي نُوَاس :

إذا لم يُعِنك الله فيما تربده فليس مخلوق إليه سبيلُ  
 وإن هو لم يرشدك في كلِّ مسلكٍ ضلّت ، ولو أن السّمك دليلُ

غيره :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهادهُ

عادت : تعوّذت ولاذت . الاسترجاع ؛ قولهم : إنّا لله وإنا إليه راجعون ،  
 وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما قال أحدٌ عند  
 المصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى ، وأخلف لي خيراً  
 منها ؛ إلا استجيب له » .

إرجاع : ردّ . تعج : تميل وترجع . بقعتى : موضعي . آبت : رجعت .  
 الحرمان : الخيبة والمنع . تحامل : مشتهات ، وتحاملت في الأمر : تكلفته على  
 مشقة . أفوتّض : أردّ .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حَوْل ، وما له احتيال ولا  
 محْتال ، ولا تحالة ولا تحيِّلة ؛ كَلِمَةٌ بمعنى . ويقال : ما له تحال بالفتح ، أى حَوْل ،  
 ومحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : محِل به ؛ إذا سعى به إلى  
 السلطان وعرضه للهلاك . ومحِل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال الفراء :  
 المحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والتي تجعل على رأس البئر كالبكرة ، وواحدة  
 محال الظهر وهى فقاره . ويقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول  
 ولا قوَّة إلا بالله ، وينتصب « لا حول ولا قوَّة » بالتبرئة ، وإن شئت  
 رفعتها بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوَّة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة  
 الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصبت « قوَّة » بالتبرئة ،  
 وإن شئت نصبت « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوَّة » بالعطف على موضع  
 « لا حول » ، وإن شئت نصبت « قوَّة » بالتنوين عطفًا على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الودِّ . مصاف : صادق فى ودِّه . معين : ماء  
 كثير ، يريد صاحب كرم كثير . مُعِين : يُعِين بماله . المساوى : ضد المحاسن ،  
 واحدها « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحد لها . بدا : ظهر . الثمين :  
 النفيس الغالى الثمن ؛ يقول : إنَّ الناس قد استووا فى الأفعال السيئة ، وأراد  
 قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا استووا  
 هلكوا » ، ومعناه أنَّ الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشرِّ ، ولا تجدهم  
 كلهم فضلاء لأنَّ الخير قليل .

قال أبو العباس التُّطَلِّى فيما يتعلق بهذا المعنى :

والناس كالناس إلا أنَّ نَجْرَ بِهِمْ      وللبصيرة حكم ليس للبصر<sup>(١)</sup>  
 كالأيك مشتهيات فى منابتها      وإنما يقع التفضيل بالثمر  
 وقال التهامى :

وَمِنَ الرَّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ      وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي (١)  
 وَلرَبَّمَا اعْتَضَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ      لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ بَسَارِ  
 وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ      وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِصْدَارِ

\* \* \*

ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَنَى النَّفْسَ وَعَدِيهَا ، وَاجْمَعِي الرُّقَاعَ وَعُدِّيهَا ،  
 فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَعَدَّتْهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الضِّيَاعِ ،  
 قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرُّقَاعِ ، فَقَالَ : تَعَسَّا لَكَ يَا لِكَاعِ ، أَنْحَرَمُ  
 وَيَحَكِ الْقَنْصَ وَالْحِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَةَ ! إِنَّهَا لَضِغْتُ عَلَى  
 إِبَالَةٍ . فَاَنْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا  
 دَانَتْنِي قَرَنْتُ بِالرُّقْعَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتِ  
 فِي الْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ - وَأَشْرَتِ إِلَى الدَّرْهَمِ - فَبُوحِي بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ .  
 وَإِنْ أُيِّتَ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي . فَمَالَتْ إِلَى  
 اسْتِخْلَاصِ الْبَيْدْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهَيْمِ ، وَقَالَتْ : دَعِ جِدَالَكَ ،  
 وَسَلِّ عَمَّا بَدَالَكَ ، فَاسْتَطْلَعْتُهَا طَلْعَ الشَّيْخِ وَبَلَدَتِهِ ، وَالشَّعْرِ  
 وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ .

° ° °

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعدتها : رددتها . غالت : أهلكت ،  
 واستعار للتضييع «بدأ» مجازاً . تعسا : هلكاً ، والتعس : الدعاء ألا تقال عثرته .  
 يالكاع : يا لثيمة يا مُنْتَدَةَ ، واللكع : وسخ الفرج . واللكع : ولد الحمار .  
 القنص : الصيد .

الحباله : الشبكة ، وصفة الحباله أن يُعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثاني خشبة ، وربما حدّدا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزبل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فيثب فازعاً ويفرّ ، فتتبعه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهي أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجليه ، فلا يسير بها قدر ميل ، حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الإصائد فيأخذها ، وأنواع الحباله كثيرة .

قوله : « القبس » ، يريد به نور المصباح . والذبالة : الفتيلة . ضِفْتُ : حُزِمَ من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضبان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكلّ ما جمعت عليه كمنك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضفّت . إبالة : حُزِمَ كبيرة ، والضفّت على الأبالة مثل حزمة الخطاب إذا حملها للبيع ، وجعل فوقها حزيمة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إبالة والصغيرة ضِفْتُ ، فكأنه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إبالة وأبيل وأبيلة ، وضِفْتُ على إبالة ، مثل أخذه من قول الشاعر :

في كلِّ يومٍ من ذُوَالِهْ ضِفْتُ يزيد على إبَالِهْ<sup>(١)</sup>

وقال آخر وذكر ناقته :

رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الْفَلَاوِنَجْتِ بِمِثْلِ إبَالِهْ من خالصِ الشَّعْرِ

وهذا مثل قول حبيب :

(١) الميداني ١ : ٤١٥ . من غير نسبة واللسان - أبيل ، ونسبه إلى أسماء بن خارجة .



فكم جزع وادٍ جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتمكته جوانبه<sup>(١)</sup>

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة وانشدت مسرعة ، وكل ما نبتته ولو يته .  
بسرعة ؛ فقد صعته صوعاً ، وكذلك إذا جمعته وفزقته ، فذهب عنك بسرعة ،  
وصاع الشجاع القوم فى الحرب ؛ إذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ، فقروا سراعاً  
متفرقين ، وكل نافرٍ مسرعٍ منصاع ، وقال ذو الرمة فى الخمر :

رمى فأخطأ والأقدارُ غالبيةً فانصعنَ والويلُ هجيرةً والحربُ<sup>(٢)</sup>

تقتص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال :  
درج الشيخ والصبى درجاً ودرجاً ، إذا تقاربت خطأهما ، والمدرج : الموضع الذى  
درج فيه ، والمدرجة : قارعة الطريق . تشد : تطلب من تشدت الضالة ، ومدرجها :  
رقعتها ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طوبتهما . القطعة : عند أهل المشرق :  
الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس ، يعمدون إلى دراهم فيقطعونها قطعاً ،  
فهى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهماً ، وقطعة من  
الخندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقائل الشعر ، نخذى الدرهم أجرة ، وإن أبيت  
أن تعرفيني به نخذى القطعة صدقة وانصرفى . المشوف : المصقول المجلو ، والشوف :  
لجلاء ، والمعلم : المنقوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك ،  
وأخذه من قول عنتره :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركذ الهواجرُ بالمشوف المعلم<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٤٤ . جزع الوادى : جانبه . جب : قطع . الذروة : أعلى شيء . الغارب :  
الكامل . أتمكته : رففته . وفى الديوان : « أمكته جوانبه »

(٢) ديوانه ١٦ ، وانظر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بشرح التبريزى .

بُوحى . تكلّمى . المبهم : المغلق للمببس . أبيت : امتنعت . اسرحى : اذهبى .  
 استخلاص : تخلص ، واستخلص الشيء ، جعله خالصاً . التم : الكامل . والأبلج :  
 النقى الأبيض ، وفعله ابلج كاحمار . الهم : الكبير الذى يهّم به من رآه ،  
 وشيخ هم : مسن ، والهم : الرقيق النحيف ، وهو من همته النار إذا أذابتها ،  
 وهممت الشحم : أذبتة . استطلعت طلعته : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطلعنى  
 عليه ، وتقول : استطلعت طلع الشيء ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة  
 خبره الذى تطلع منه عليه ، وطلع بالكسر . برّدت : ثوبه .

\*\*\*

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ ، وَهُوَ الَّذِي وَشَى الشَّعْرَ  
 الْمَنسُوجَ ، ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرَمَ خِطْفَةَ الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ  
 السَّهْمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَى ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي  
 لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأَنَاجِيهِ ، لِأَعْجَمَ عُوْدَ قِرَاسَتِي  
 فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطُّي رِقَابَ الْجَمْعِ ، أَلْمَنِي  
 عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعَفْتُ أَنْ يَتَأَذَى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى  
 إِلَيَّ لَوْمٌ ، فَسَكَدْتُ بِمَكَانِي ، وَجَمَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي ،  
 إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الْوَيْبَةُ ، فَخَفَقْتُ إِلَيْهِ ،  
 وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ ، فَاذَ الْمَعِيَّتِي الْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،  
 وَفِرَاسَتِي قِرَاسَةَ إِيَّاسٍ .

\*\*\*

وشى : زين ورقم . خطفت : أخذت بسرعة . الباشق : من جوارح  
 الطير . مرقت : خرجت بسرعة . الراشق : الذى يرشق الصيد ، أى ينشبه ،

ويكون الراضق بمعنى المرشوق ، كقوله تعالى : ﴿من ماء دافق﴾<sup>(١)</sup> ، أى مدفوق .  
قوله : «خالج» ، أى داخل وجاذب . تأجج : اشتعل . كربى : همتى ، والتأجج  
«التفعل» من الأجيح ، وهو تصويت النار ولهبا إذا اشتعلت وعظمت .  
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار المصدر . أفاجيه :  
أتيه فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحدثه . أعجم : أجرّب . فراستى : نظرى ،  
وجعل لها عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج  
الترمذى فى النهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من  
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتّخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . يتأذى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،  
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . سَكَدْتُ : التصقت ولزمت . قيد  
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقت الوتبة ،  
أى وجبت القفزة إليه . خفت : أسرعت . توّسمته : نظرتة . التحام : التصاق  
وانفلاق . ألمعيتى : ذكائى وصدق ظنّى ، والألمعى ، هو الذى يظن بك الظنّ ،  
ولا يخطئ ، وهو اليلمعى من اللعان ، كأنه يلمع لذكائه وجودة فطنته ،  
وقال أوس :

الألمعى الذى يظنّ بك الظنّ كأنّ قد رأى وقد سمعاً<sup>(٢)</sup>

ولا يبيّن أحد الألمعى بأحسن مما بينه أوس ، فإذا سئلت : ما الألمعى ؟  
فأنشدت بينه تات بالجواب الشافى .

والفراسة ، أن تنظر الشيء فتستدلّ بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما  
غاب ، وقيل : الألمعية أن ترى الشيء على بُمد فتعرفه وتحققه ، والفراسة أن ترى  
الرجل بين يديك فتحكّم عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألمعية فى البعد ،  
والفراسة فى القرب ، وكيف اختلفت الألمعية والفراسة ، فالظنّ الصادق يجمع بينهما .

(١) سورة الطارق ٦ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

[ ذكر ابن عباس وبعض أخباره ]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختُلف في السنة التي مات فيها ، ما بين ثمان وستين في الأقل ، وأربع وسبعين في الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضربَ على قبره فسطاق .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن» ، وفي حديث آخر : «اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين» . وفي حديث آخر : «اللهم زده علماً وفقهه» ؛ وفي حديث آخر : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويُدِينه ويقربُه ويشاوره ، مع وفور جِلَّة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فتى الكهول ، له لسان ستول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجَلَد رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يمدّه للمعضلات ، مع اجتهاد عمر ونظرة للمسلمين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خيرٍ من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعريبة والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

لأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتونه للعلم والفتى ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت : أجزل الناس ؛ فإذا تكلمت قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدثت قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلمت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكروا ابن عباس خالفوه ، فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا إلى قوله .

ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أسناننا معاشره منا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حاجاً ، ومعه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قط ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أمن آل نهم أنت غاد فبكر  
غداة غد أم رائح فهجّر

فحفظها من سمعها ، وهي ثمانون بيتاً (١) .

(١) الكامل للمبرد ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد آياتاً من القصيدة : « فقال له ابن الأزرقي — وقد كان حاضراً في المجلس : قد أنت يا ابن عباس انفضرب إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : رأيتَه ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرَكَ ؛ فعمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - ويروى لسان رضى الله عنهما :

إن يأخذ الله من عيني نورها      فى لسانى وقلبي منهما نور<sup>(١)</sup>  
 قلبٌ ذكىٌ وعقل غير ذى دخلي      وفى فى صارم كالسيف مأثور<sup>(٢)</sup>  
 نظر إليه الخطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما ، فقال : من هذا الذى برع  
 الناس بعلمه ، ونزل عنهم بسنه ؟ فقيل له : عبد الله بن عباس .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إذا ما ابن عباسٍ بدآ لك وجهه      رأيت له فى كلِّ أحواله فصلاً<sup>(٣)</sup>  
 إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ      بمنتطحات لا ترى بينها فصلاً<sup>(٣)</sup>  
 كفى وشفى ما فى النفوسِ ولم يدع      لذي إربةٍ فى القولِ جدًّا ولا هزلاً

= أ كباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، وبأيتك غلام من قريش فينشدك سفها فنسئمه ؛ فقال : نأله ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت      فيخزى ، وأما بالشى فيخسر<sup>١</sup>  
 فقال : ما هيكننا قال ؛ إنما قال : « فيضحى وأما بالشى فيخسر » فقال : أوتحفظ الذى قال ؟ قال : واهه ما سمعتها إلا ساعى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فأرددها - فأنشدها إياها كلها .

(١) ديوان حسان ١٦٤

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بعلتطحات » .

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا ذليلاً ولا وغلًا<sup>(١)</sup>

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مصيب ولم يثن اللسان على هُجْرٍ  
يصرِّف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظرَ الصَّقْرِ

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، فقيل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر

أبيض فدخل في نعشه حين حُل ، فما رُئى خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنقف منها على هذا القدر .

### [ ذكر إياس القاضي ]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رباب

المزنيّ ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب

إلى عدى بن أرطاة عامله على البصرة ؛ أن اجمع إياس بن معاوية المزنيّ والقاسم

ابن ربيعة الحارثيّ ، فولّ القضاء أنفذهما وأقعهما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد :

إن صاحبه أنفذ وأقعه ، فقال له إياس : سلّ عنّي وعن القاسم فقيهيّ المصر :

الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما - فعلم القاسم أنه

إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّي ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله

إلا هو ؛ إن إياساً لأقعه منّي ، فإن كنت كاذباً فما عليك إلا ألا تولّيني

(١) الوغل من الرجال : الضعيف الساقط .

(١٩ - شرح مقامات الحريري)

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئت برجل، فوقفته على شفير جهنم، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستغواه. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكت، فلما أطلت قال: هيه! قلت: سل عما بدا لك، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف، قال: إني أريد أن أستعين بك على عملي، قلت: إن في خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا عبي، وأنا حديد، قال: أما دمامتك إني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العبي فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقوّمك، قم. فولاني القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهي أول مالٍ تمولته.

ودخل عليه عدى بن أرطاة في مجلس القضاء - وعدى أمير البصرة، وكان أعرابياً الطبع - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الخائط، قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرّفاء والبنين، قال: وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فبم تحكم؟ قال: بألا تخرجها، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتحاكم مع شيخ عند قاضيا، فصال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضي: إنه شيخ كبير، فخذنض كلامك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضي:



اسكت ، فقال : وَمَنْ يَنْطِقُ بِحَجَّتِي ؟ فقال له القاضي : ما أراك تقول حقًا ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : اخرج فاحكم بينهما ، وأخرجه الآن من دمشق إلى بلاده لئلاَّ يُفسد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبيّ ، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : أفٍ لهذه العنانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدث ! ثمّ التفت إليه ، وقال : كم سنك ؟ فقال : سنّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكاؤه وفراسته ، فقد أُلّف في ذلك المدائني كتاباً سمّاه كتاب «زكّن إياس» ، والزكّن : التشبيه ، يقال : زكّن عليهم وزكّم : شبّه وخيّل ، وقيل : الزكّن : الظنّ والتفرّس . ومن زكّنه أنه اختصم إليه رجلان في قطيفتين : حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوضَ لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ، فقال : ألك يدنة ؟ قال : لا ، قال : اثنوني بمشط ، فأثني به ، فسرّح رأس هذا ، ثم هذا ، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكّنه أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، فقال : أهاب الذين ذكروا أني قاضٍ ، ورويداً أخبرك عن القوم ؛ أما الذي منّ صفته كذا فهو كذا ، وأما الذي يليه فهو كذا ، وأما ذاك الشيخ فإنه نجار ، فقال الرجل : في كلهم والله أصبت إلا في الشيخ ،

فإنه من قريش ، فقال إياس : وإن كان من قريش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئتكم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحدٍ إلا أخبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، فقال : صدق والله ؛ إني لأنجر عيدان جواري - يعني عود الزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلتن فوجدن كذلك ، فسئلت من أين لك علم ذلك ؟ فقال : لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها ، فوضعت المرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على فرجها .

وسمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظر فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويًا ، ثم سمعت بعده صيًى يخبية ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، فقال : هذا بعير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل ، كما يضرب بجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن معد يكرب ، نظمهم حبيب في بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس ابن المأمون ، فقال :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتمٍ في حلمٍ أحنفٍ في ذكاءِ إياسٍ (١)

وتوفي سنة ثنتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي ؛ وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُمْصِي ، وَأَهْبَتُ بِهِ  
إِلَى قُرْصِي ، فَهَشَّ لِعَارِفَتِي وَعِرْفَانِي ، وَبِي دَعْوَةَ رُغْفَانِي ،

(١) ديوانه ١٧٤ ، وفيه : « يمدح أحمد بن المعتصم » .

وَانْطَلَقَ وَيَدِي زَمَامُهُ ، وَظَلِّي إِمَامُهُ ، وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي ،  
 وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحَلَسَ وَكُنْتِي ،  
 وَأَخْضَرْتُهُ عَجَالَةً مُكْنِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَعْنَا ثَالِثُ ؟  
 فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ ، قَالَ : مَادُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ . ثُمَّ فَتَحَ  
 لِخَدِي كَرِيْمَتِيهِ ، وَرَأَى بِنُوْمَتِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِي يَقْدَانِ ،  
 كَأَنَّهُمَا الْفَرَقْدَانُ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ بَصَرِهِ ، وَعَجَبْتُ مِنْ  
 غَرَائِبِ سَيْرِهِ ، وَلَمْ يُبْلِقْنِي قَرَارٌ ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ ، حَتَّى  
 سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى التَّمَالِي ؛ مَعَ سَتِيرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوْبِكَ الْمَوَامِي ،  
 وَيَا غَالِكَ فِي الْمَرَامِي !

• • •

قوله : « أهبت به » ، أى دعوته ، وأصل « أهاب » دعا نفسه من بُعد . وقيل :  
 الإهابة دعاء الإبل للشرب . والقُرْصُ : رغيص صغير سُمِّيَ قرصاً ، كأنه قرص من  
 العجين ، أى قُطِعَ ، والتقريص : التقطيع . هَشٌّ : خف فرحاً . والعارفة ، يريد النعمة  
 وهى المعروف . لَبَّى : أجاب وقال : لبيك ، ومصدره تلبية وهى « تفعلة » ، من  
 الإلباب وهو اللزوم ، ولَبَّ بالمكان وألَبَّ به : أقام ، وأصله لَبَّب بثلاث باءات ،  
 فأبدلوا الآخرة باء استنقالات اجتماع الأمثال ، كما قالوا : تظنيت وتمطيت ، فالياء  
 فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ، ثم أتبعوه الإبدال فى المصدر وهو تلبية ،  
 فإيوه باء ، وقولهم : لبيك ، معناه إجابة بعد إجابة ، ولزوماً لطاعتك بعد لزوم .  
 رُغْفَانٌ : جمع رغيص ، يريد أنه لما سمع يذكر الخبر ، فكان الخبر دعاه فأجابه .  
 زحامة : مقوده . إمامه : هاديه . الأثافي : حجارة القدر ، وهى ثلاث ، والعرب  
 تقول : رماه الله بثلاثة الأثافي - يعنون بها الجبل ، لأنهم يجعلون حجرين

ويلصقونهما بالجبل ، فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث ، واحدتها أُنْمِيَّةٌ بالتشديد ، وقد تُخَفَّفُ ، وقد أُنْفَيْتِ القدر وأُنْفَتْها ونَفَيْتِها ، وتسمَّى العرب أُنْفَاقَ الحديد المنصَّب . الرقيب : الحافظ ، يريد الله تعالى . استحلَسَ وُكْمَتِي ، أى دخل بيتي ، وجلس على حِاسِه ، وهو ما يُبَسِّطُ تحت بسطه ؛ يقبها الأرض ، وفلان حِلْسُ بيته ، أى لازم التعمود فيه ، وفي الحديث : « كن في الفتنة حِلْسُ بيتك » ، أى لا تدخل فيها ، والحِلْسُ : كساء يلي ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه ، فشبه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالحِلْسِ ، ومنه قولهم : لست من أحلاسها ، أى من أصحابها العارفين بها . ومنه بنو فلان أحلاس الخيل ، أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها ، وأحلاس القوافي : المجيدون في نظم الشعر ، والوُكْنَةُ : الثقبه في الحائط يسكنها الطائر ، وقيل : هى الموضع من الشجرة وغيرها ، يقع عليه للمبيت ، وهى الوَكْنُ ، ووَكْنُ الطائرُ وَكْنًا ، فهو واكن إذا حضن على فرخه ، فلزم وُكْمَتَه . عَجَالَةٌ مُكْمَتِي : ما تعجَّلَ وأمكن من الطعام . محجوز : ممنوع ، وحجزت الشيء : حجزته ومنعته ، وحجزت بين الشيتين حجزاً ، فأنا حاجز ، إذا جعلت بينهما حائلاً ، والمنعول محجوز ، ومنه الحِجَاز ؛ لأنها أرض حجزت بين نجد والسَّراة . كريمته : عينيه ، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد أذهب الله كريمته إلا كان ثوابه عند الله الجنة » قالوا : وما كريمته ؟ قال : عيناه . رأراً : قلبهما وأدارها إدارة كثيرة . وتوهمته : كريمته ، وقوله : « مسح كريمته » ، يريد أنه حكَّهما بكفِّه ، فانتفض عنهما ما كان ألصقهما به ، حتى التحا . وقيل : رأراً : أدار العين وحدد نظرها . وتوهمته : عيناه ، وفي الغريب المصنَّف : رأراتِ المرأة بعينها ولألأت ، إذا برقت عينيها ، وأنشد ابن الأعرابي :

عجبت من الحور الكريم نجارها      تُرأرىء بالعينين للرجل الحليل<sup>(١)</sup>

الحليل : الداهية . الفرقدان : نجان مُنيران في بنات نعش . ابتهجت : فرحت .

(١) اللسان - حبل ، وروايته : « فيا عجبا للغود تندی قناعها » .

سِيرَه : عاداته . يُبْذِنِي قَرَار : يحبسني سكون وطمانينة . التَّعَامِي : استعمال العمى .  
 المعامى : الطرُقُ الجُهولة ، وقيل : القفار البعيدة التي تعمى فيها الأثار فلا يُهْتدى  
 فيها . الموامى : القفار ، واحدها مَوْمأة . إِبْغَالِك : إِبْغادك ومبالغة دخولك .  
 المرامى : المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أُخْرَى ؛ يقول : سألته ما الذى  
 دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى المشقات وجَوْب البلاد  
 البعيدة ، فلم تجِدْ لنفسك حيلة حتى تشبَّهت بالعميان !

\* \* \*

فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَارَ  
 إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى      عَنِ الرَّشِيدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقاصِدِهِ  
 تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ لِي أَخُو عَمَى      وَلَا غَرَّرَ أَنْ مَحْذُوقِ الْفَتَى حَذُوقِ الدِّمَةِ

ثمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَانْتِنِي بِمَسْئُولِ يَرُوقُ الطَّرْفِ ،  
 وَيُنْتِقِ السَّكْفِ ، وَيُنْعِمُ الْبَشْرَةَ ، وَيَمَطِّرُ النَّكْهَةَ ، وَيَشْدُ اللَّئِمَةَ ،  
 وَيَقْوَى الْمَعِدَةَ ، وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ ، أَرِيحَ انْعَرَفِ ، أَيْ  
 الدَّقِّ ، نَاعِمِ السَّحْقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا ، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَأَفُورًا ،  
 وَأَقْرُنْ بِهِ خِلَالَ تَقِيَةِ الْأَصْلِ ، مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ ، أُنَيْقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ  
 إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَعَافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقَالَةُ التَّمْضِيبِ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،  
 وَلِدُونَةُ النُّغْضِ الرَّطْبِ .

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريد: لنا امتلاؤه بالطعام .

لم يقسرح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك علة لقطع الجواب ، فكان الأكنة أبحاثه على ذلك . اللهمنا : الطعام المعجل للصيف قبل الغداء ، وكل ماتعجلته قبل إدراك الطعام لهنة ، ولهمنت الضيف : علته بذلك . قضى وطره : أتم حاجته من الأكل ، والوטר : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدده . الورى : الخلق . آحائه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتصديق . لاغرو : لا عجب . يحدو حدوة : أى يفعل فعله .

[ ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر ]

وهذا الاعتذار عن التعامى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه . ومما يعزى للحضرمى<sup>(١)</sup> فى ذلك :

وقالوا قد عميت فقلت كلاً  
سواد العين زار سواد قلبى  
فأبى اليوم أبصر من بصير  
ليجتمعاً على فهم الأمور  
أخذته من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته  
عميت جنيناً والذكاء من العمى  
وفاض ضياء العين للقلب فاعتدى  
وشعر كنور الرّوض لا امت بينه  
وقال بشار :

قالوا العمى منظره قبيح  
تالله ما فى البلاد شىء  
قلت بفقدي لكم يهون<sup>(٢)</sup>  
تأسى على فقده العميون

(١) الحضرمى ، بضم الحاء وسكون الصاد ، منسوب إلى عمل الحضرم أو يبعها : على ابن عبد الفى القيروانى ، صاحب قصيدة « ياليل الصب » ، وهو ابن خالة لإبراهيم بن على الحضرمى ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيتان فى نكت الهميان ٧٦ .  
(٢) الأبيات عدا الأولى فى الأغاني ٣ : ١٤٢ ، ونكت الهميان ٧٥ .  
(٣) نكت الهميان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل : ما أشدُّ ما عليك في ذهاب بصرك؟ قال : ما حرِّمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك .

ومما يُستملح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ، فحاذى عَوْرُ هذا عَوْرَ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبى يمدح العورَ ويذمه في بيت واحد :

أيا بن كروسي يا نصفَ أعمى وإن تفخر فيا نصفَ البصير<sup>(١)</sup>  
فإذا انضمَّ ابن كروسي إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :  
وبيننا أبدأ أعمى نؤلّفه قد يخلق الله عيانا من العورِ  
وقال آخر :

ألم ترني وعمراً حين نغدو إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ  
أسايره على يميني يديه وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ  
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شتاً  
بين شخصيهما ضريرٌ إذا ما قعدت عن شماله تنفّى  
فأما قول جميل<sup>(٢)</sup> اليشكري في صفة الذئب<sup>(٣)</sup> :

وأعور من يمينه إن شاء مرة وإن شاء من يسراه ما كان راقداً  
لقد فرزت دون العور - أوس - برتبة<sup>(٣)</sup> وأعطيت نابا يفلق الصخر بارداً

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه في مخاطب ابن كروس الأعور وكان يماديه .

(٢) كذا في الأصول ، ولمه تصحيف عن « المنخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الحذر ، وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد  
ابن ثور :

ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم<sup>(١)</sup>

وقال ابن المعتل :

أشهى في المقلة القبلا لا كثيراً يشبه الحولاً  
واحمرار الحدة من خجلٍ إننى أستحسن الخجلاً

وقال آخر :

وأحولٍ ذى حرَّكته يملأ بيتى برَّكته

يريد أنه يرى من الشيء اثنين ، كما قال الآخر :

فقد جعلتُ أرى الشخصين أربعةً والواحد اثنين تما بورك البصرُ

لأن هذا يصف الكبير .

واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب<sup>(٢)</sup> عن الحول فأحسن ، حيث يقول :

حمدت إلهي إذ بُليت بحبِّها وبي حَوْلٌ يفنى عن النَّظَرِ الشَّرِّ  
نظرتُ إليها والرَّقيبُ يظنُّني نظرتُ إليه، فاسترحت من العُذْرِ

فجَوَّله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذي ذكر الآخر حين قال :

ولما التقينا والعيونُ نواظرُ وليس لنا رُسلٌ سوى الطَّرفِ للطَّرفِ

(١) البيت لحميد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : « يقظان حاجم » .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره البناهي في

التربية النيابية ٤٠ - ٤٢ .



تنزهت في خديك من نظر خفي وما زلت أخفي الودّ ضعفاً على ضعفي  
فإن غفل الواشون فزت بنظرة وإن نظروا نحوي نظرتُ إلى كفي  
فلذلك حمد الله على الحول .

وقال الناشئ في هذا المعنى فأحسن :

يتناقضان اللفظ من جنبيهما فكأنما يتناسخان كتاباً  
وإذا سَهت عينُ الرقيب تحالستُ كفاهما خأس السلامِ سلاباً

وللقاضي أبي محمد عبد الوهاب ، أنشدنا بعض أسياننا البيت الثاني والأخير من القطعة التالية ، وكان كثيراً ما يحرضنا بها على الطلب ، ويسلينا عن الغربة :

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظرٍ ولو برزت بالليل ماضل من يسرى  
أقول لها والدمع يغبُ صبرها أعدي لفقدي ما استطعت من العبر  
سأنق ريعان الشبية آنفاً على طلب العلياء أو طلب الأجر  
أليس من الحرمان أن ليالياً تمرُّ بلا نفعٍ وتحسب من عمرى

ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط ، وهما من القطعة .

وأما كلام الحريري الذي فرغنا من شرحه ؛ فهو منقول من مقامة البديع<sup>(١)</sup> ، يقول على لسان عيسى بن هشام : « ثم فارقهم وتبعته ، وعرفت أنه متعام لسرعة ما عرف الدينار . فلما نظمتنا خلوة ، مددت يميني إلى يسرى عضديه ، فقلت : والله لتريني سرّك ، أو لأهتك<sup>(٢)</sup> سترك ، ففتح عن توءمته<sup>(٣)</sup> ، وحدر لثامه عن وجهه ، فإذا والله أبو الفتح الإسكندري ، فقلت له : أنت أبو الفتح ؟ فقال :

(٢) المقامات : « لا كفن » .

(١) المقامات ٩٣ .

(٣) المقامات : « توءمتي لوز » .

أنا أبو قلمونُ      في كلِّ لونٍ أكونُ  
 اختر من الكسبِ دوناً      فإنَّ دهرَكَ دُونَ  
 زَجِّ الزَّمانِ بِحَمَقِي      إنَّ الزَّمانَ زَبُونُ  
 لا تكذبنَّ بعقلي      ما العقلُ إلا الجنونُ

وعتب الحريري على العمى فائق في النثر، وشعره في الاعتذار عنه رائع في النظم، وهو على انطباعه في القصد إذا أتى بالبيتين أتى بالعجب، وهو في ذلك كما قيل في أبي منصور الفقيه: إذا رمى بزُجَّيه قتل.

\*\*\*

قوله: «الخدع»، هو بيت داخل بيت، قال ابن الأنباري: هو الخزانة في جانب البيت، وهو من خدع، إذا توارى واستتر، وأخدعه إخداعا: أخفاه، فمن ضمَّ ميم «مُخدع» فهو من «أخدع»، ومن فتح فهو من «خَدَع»، وخدع الصبُّ في جُعره خدعاً: دخله خوفاً من صائده. التَّؤول: الأُشنان، وهو التناوة، ويقال أيضاً: الفاسول، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غِسلٌ وغَسُول. يَرُوق: يمجِب. والطرف: العين. ينقُّ: ينظف. والبشرة: ظاهر الجلد. والنكمة: رائحة الفم، ونكمت الرجل أنكبه وأنكبه - والفتح أقل - واستنكته، كلّه شممت فاه، قال الشاعر:

نكَّنتُ مجالداً فشممتُ منه      كريح الكلبِ ماتَ حديثَ عَهْدِ  
 واللثة: اللحم على الأسنان. نظيف الظرف: تقي الوعاء. أريج العرف: عطر الرأبحة، والأرج: فوح الطيب وأرج المسك: فاح. فتى الدق: طرى الكسر. ناعم: حسن، قد بولغ في سحقه، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل. الناشق: الشام. والذرور والكافور: من أنواع الطيب، والذرور هو

(١) السان - نكه، وفيه: «فوجدت منه».

المعروف بالذريعة ، والذرور أيضاً: غبار يُذَرّ في العين، وكله مأخوذ من الذرّ ، وهو التفرق ، لأن أجزاءه تفرقت عند سحبه ، وفعله ذرّ ، وأصله ذرر - والكافور مأخوذ من الكفر ، وهو التغطية ، فإشدة فَوْحِهِ وحده يستر رائحة غيره من الطيب . واللامس : الذي يمسه بيده . الخلالة : عوید رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان . أنيقة الشكل ، معجبة الهيئة ، وشكل الشيء : هيئته التي هو عليها . ومدعاة : داعية ، والماء للمبالغة . نحافة الصبّ : رقة العاشق . والمضب : السيف القاطع . آلة : عدّة وأداة ، يريد أنها محدّدة مصقولة مثل آلة الحرب . وىروى : « آلة » بالتشديد ، وهي الحربة . لدونة : لين . نحافة الصبّ : ليس هو تشبيهاً حقيقياً ، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق نحافته ، ومن المضب صقالته ، ومن الفصن لدونته ، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ونحوه لكان جائزاً ، وكان من التشبيه المقلوب ، وكلاهما بديع في بابه .

والخلالة التي ذكر ، أصلها نبات لشجيرة نبت في الصيف ، وتقطع له رءوس ، يكون في الواحد منها عدّة من قضبان رفاق ، فيمسك الرجل منها في يديه رأساً ، فتنى أكل طعاماً نزع منها قضيباً فتخلل به ، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج ، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في المشرق ، وإلا فصفته التي وصفت موجودة في البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة .

وجاء في الحديث النهى عن التخلل بمود الآس والرمان والقصب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقوا أفواهكم بالخلال فإنها مسكن الملكين للكاتيبين الحافظين ، وإن قلمها اللسان ، ومدادها الرقيق ، وليس عليهما شئ أشد من فضول الطعام » .

أبو أيوب : قال صلى الله عليه وسلم : « حبذا المتخللون في الرضوء والطعام » .  
أبو هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من أكل فليتنخل ، فما تنخل فليلفظ ، ومالك بلسانه فليبتلع » .

[ استطرد بذكر أشعار في التشبيه رائقة ]

والخِلافة إذا بلغت من رقتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالعاشق إذا بلغ الغاية التحول ، هو الذي يشبه بها ، كما قال في التاسعة في وصف الصبي الهزيل من الجوع : « ولى منه سُلالة ، كأنها خِلافة » ، وأخذه من قول ديك الجن :

ارحَمَ اليوم ذلتى وخُضوعي فلقد صرت ناحلاً كالخِلالِ

وقال أبو الطيب :

رُوحٌ تَرَدَّدَ في مثل الخلالِ إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يَبِين<sup>(١)</sup>

فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر . والتشبيه المقلوب عندهم شيء مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :

ورملٍ كأوراكِ المذارى قطعته وقد جَلَّته للظلماتِ الحنادِسِ<sup>(٢)</sup>

فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبه الأعمار بكثبان الرمل ، كما قال الآخر :

\* مثل قضيبٍ تحته كثيبُ \*

وكما قال الآخر :

وبيضٍ نصيراتِ الوجوه كأنما تَأزَّرْنَ دون الأزرِّ رملاتِ عالجٍ

وأخذه حبيب ، وجود الصنعة حيث قال :

كم أحرزت قضب المندى مصلته تَهتَزُّ من قضبٍ تهتَزُّ من كُثْبِ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله: «من قُضِبَ تهتز» : «أحرزت» يلج<sup>(١)</sup> لك بديع صنعته بسرعة ، فإنه أراد: كم أحرزت قُضِبَ الهند وهي السيوف إذا أُصْلِتَتْ من أعمادها ، وهزّت من قُضِبَ ، أي قدود نساء . تهتز من كُشِبَ ، أي أكفال شبه أكداس رمال . وما أعذب وأظرف قول البحتری :

أين الغزال المستعير من النِّقَا كَفَلًا ومن نَوْرِ الأَفَاحِي مَبِيسًا<sup>(٢)</sup>

فهذا هو الذي جرت به العادة في التشبيه ، قلب ذو الرمة العُرف والعادة ؛ فشبهه كُشبان النِّقَا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره . حدث جحظة قال : حدثني خالد الكاتب ، قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم بن المهديّ ، فسرت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرُشٍ قد غاص فيها ، فاستجلسني وقال : أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رأتُ منه عيني منظرين كما رأْتُ من الشمس والبدر المنير على الأرض  
عشيّة حَيَّانِي بورِدٍ كأنّه خدود أضيفتُ بعضهنّ إلى بعض  
ونازعني كأساً كأنّ حبابها دموعي لما صدّ عن مُقلتي غمضي  
وراحَ وفعلُ الرّاح في حرّكاته كِفعلِ نسيم الرّيح في الغصن الغصّ

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد ، وأنت شبهت الورد بالخدود ! فزدني ، فأنشدته :

عابتُ نفسي في هواك فلم أجدها تقبل<sup>(٣)</sup>  
وأطعت داعيها إليّ بك ولم أطع من يعذِل  
لا والذي جعل الوجوه لحسن وجهك تمثُل  
لا قلت إن الصبر عندك من التّصابي أجمل

(١) كذا في ا ، ب ، و في ط : « يلج » .

(٢) الأغاني ٢١ : ٣١

(٣) ديوانه ٨٠ : ١٩٥

فرحف حتى انهدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأشدته :

عش فحُبِّيكَ سريعاَ قاتلي      والصني إن لم تصلني واصلِي  
فأنا بين اكتابِ وِصْنِي      تركاني كاتمةِ ضيبِ الذابل  
فبكي العاذل لي من رحمةِ      فبكاني لبكاءِ العاذلِ

فاستخفتُ طرباً ، ثم قال : يابليق<sup>(١)</sup> ، كم معك لنفقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسما بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سبق إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد ، وعنده جاريةٌ مليحةٌ شاعرةٌ أديبةٌ ، قد أهديت إليه ، قال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبهه به ، فأنشأتُ أقول :

كأنه خدٌ معشوقٍ يقبله      فم الحبيب وقد أبقى به خجلاً

وقالت الجارية :

كأنه لونٌ خدِي حين تدفني      كف الرشيد لا أمر يوجب الفسلاً  
فقال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه الماجنة قد هيَّجتنا ، قصمت وأرغيت السور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

ورياضٍ من الشقائق أضحت      تنهادي بها نسيم الرياح<sup>(٢)</sup>  
زرتها والغانم يجلد منها      زهراتٍ تروق لونَ الزاج  
قلت : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً :      سرقتُ حُجْرَةَ الخدودِ الملاحِ

(١) الأغاني : « يابليق » .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، المغرب ٣٢٤ .

وقال البحرى :

في طلعة الشمس شئٌ من ملاحظتها      وللقضيب نصيبٌ من تشبيها<sup>(١)</sup>

وقال ابن المعتز :

سقتنى في ليلٍ شبيهة بشعرها      شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيتُ في ليلين: في الشعر والدجى      وشمسين : من خمر وخذ حبيب

وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة التحول الذى ذكرنا ، فأقول : إذا

صار جسم العاشق من التحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلنى الحبّ فلو زجّ بى      فى مُقلّة النَّائم لم ينتبه

قد كان لى فيما مضى خاتمٌ      والآن لو شئت تمنطقت به

وبمثل قول أبى بكر بن دريد :

إن الذى أبقيت من جسمه      يامتاف الصبّ ولم يشعُر<sup>(٢)</sup>

صُباية لو أنها قطرةٌ      تجول فى جفحك لم تقطُر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصبّ بأضعاف ، فينقلب

التشبيه ، وكذلك إذا بولغ فى وصف الأكفال بالعظم صغرت عندها الكتبان ،

فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جنى فى خصائصه ترجمة ، قال : هذا باب من غلبة الأصول

على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه

الباب<sup>(٣)</sup> .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « فى حمرة الورد شكل من تلبها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) المحاسن ١ : ٢٠١ - ٢٠٣

(٢٠ - شرح مقامات المريرى ١)

والمتقدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول المجنون:

فأصبحتُ من ليلَى الغداة كناظرٍ - مع الصَّبحِ في أعقابِ نجمٍ مغربٍ<sup>(١)</sup>  
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ - صدَى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ  
أخذه المؤملُ فقال :

قد صرتُ من ضعفى إلى حالَةٍ تجرى لها آمانُ حُسادى  
يكاد جسى من نحول الضّى تحمله أنفاسُ عوادى  
وزاد خالد الكاتب ، فجعله لا يدرك إلا بالوهم ، فقال :

يا من تجاهلَ عما كان يعمله عمداً وباح بسرِّ كان يكتُمه  
غداً خليلك نضواً لاحراكَ به لم يبق من جسمه إلا توهمه  
فزاد ابن المعتز ، وجعله يخفى على الموت ، فقال :

مُسَهَّدٌ خانهُ التفريقُ في أصلِهِ - أضناه سيده ظلاماً بمرتحمِهِ<sup>(٢)</sup>  
فدقَّ حتى لو أن الدهرُ قادَ له - حنناً لما أبهرتهُ مقلتا أجَلِهِ  
فأقدمه المتنبي واستريح منه ، فقال :

أراكِ حسبِ السَّلكِ جسى فَعَقَّتِهِ - عليكِ بدرِّ عن لقاء التَّرابِ<sup>(٣)</sup>  
ولو قلمُ ألقيتُ في شقِّ رأسِهِ - من السقمِ ماغيَّرتُ من خطِّ كاتبِ

\* \* \*

قال : فَمَهَضْتُ فِيما أَمَرَ ، لأذراً عَنْهُ العَمَرَ ، ولمْ أَمِّ إلى أَنَّهُ

(١) البيتان في حاسة ابن الشجرى ١٥٦ بنسبتهما إلى محمد بن النيزى .

(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السلك : الحيط . والتراب : عل القلادة من الصدر .



تَقْصِدَ أَنْ يَخْدَعَ، بِإِذْخَالِي الْمَخْدَعِ، وَلَا تَظَنِّتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ،  
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَالَةِ وَالْعَسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ، وَجَدْتُ  
الْجَوْهَ قَدْ خَلَا، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا، فَاسْتَشَطْتُ مِنْ مَكْرِهِ  
غَضَبًا، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ، أَوْ  
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

\*\*\*

قوله: «أدراً»، أى أزيل . القمر : الودك . أم : أظن ، ويذهب وهمى .  
تظنيت : حسبت ، وأبدل إحدى نونى «ظن» بياء تخفيفاً للتضعيف . سخر : هزأ .  
الملتمس : المطلوب . الجوّه هنا : داخل البيت . أجفلاً : هرباً وأسرعاً . قوله :  
«استشطت» : اشتد غضبى . مكره : خداعه . أوغلت : بالفت وباعدت .  
قمس : غمس . عرج به : طلع به . عنان بفتح العين : سحب ، والعنانة :  
السحابة ، وأعنّت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

## المقالة الثامنة وهي المعرّة

[ معرّة النعمان ]

هي بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل مطلق عليها ، والمعرّة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْرُ نَعْمَانَ ، فيه قبر عمر بن عبدالعزيز ، وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيلٌ في كل عام ، وإلى المعرّة ينسب الشاعر المرسي . قال شيخنا ابن جبیر : إنه خرج من قنّسرين يريد حِصص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرّة ، وهي سواد كلها محاطةٌ بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع النواكه ، ويتصل التفاف بساتئنها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقاً ، ووراءها جبل لبنان ، وهو سامي الارتفاع ، ممتد الطول ، متصل من البحر إلى البحر ، وفي سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مرّقت من الإسلام ، وادّعت الإلهية<sup>(١)</sup> ، قيّض لهم شيطان يعرف بسنان ، خدعهم بأباطيل وخيالات ، وموّه عليهم باستعمالها ، وسجرهم ببحالها ، فاتخذوه إلهاً يعبدونه ، ويبدلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته<sup>(٢)</sup> بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل ، فيتردى المأمور ، والله يضل من يشاء<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

أخبر الحارث بن همام قال : رأيتُ من أعاجيب الزمان ، أن

(١) بعدما في ابن جبیر « في أحد الأيام » .

(٢) بعدما في ابن جبیر « وامثال أمره » .

(٣) رحلة ابن جبیر ٢٣٤

تَقَدَّمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَعْرَةَ النُّعْمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ  
الْأَطْيَانِ ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ .

• • •

قوله : « الأطيان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هوشىخ مسن ، وقيل :  
الأطيان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .  
أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأطيان التمر واللبن » .  
وسئل شيخ مسن من العرب عن حاه ، فقال : ذهب منى الأطيان :  
السيز والأيز ، ويقى الأزطبان : الضراط والسعال .  
والبان : شجر تشبه بقضبانة القدود الناعمة .

• • •

فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِي ، كَمَا أَيَّدَ بِهِ الْمُتَقَاضِي ، إِنَّهُ  
كَانَتْ لِي تَمْلُوكُهُ رَشِيقَةُ الْقَدِّ ، أَسِيلَةُ أَخْذٍ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،  
تَحْبُ أَحْيَانًا كَالْتَّهْمِدِ ، وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ  
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلِ وَعَيْنٍ ، وَخَدَّ وَمِيزَانٍ ، وَكَفَّ بَيْنَانٍ ، وَفَمٌ  
بِلَا أَسْنَانٍ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْنَاضٍ ، وَتَرْفُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْفَاضٍ ،  
وَتُجَلِي فِي سَوَادٍ وَيَيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَسِكِنْ مِنْ غَيْرِ حِيَاضٍ ، نَاصِحَةٌ  
خُدَعَةٌ ، خُبَاءَةٌ طُلَمَةٌ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَنَفَعَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضِّيقِ  
وَالسَّعَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ وَصَلْتَ ، وَهَلَى فَصَلَّتْهَا عَنْكَ أَنْفَعَلْتَ ، وَطَلَمْنَا  
خَدَمَتِكَ فَجَعَلْتَ ، وَرُمْنَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَأَلَمْتَ وَمَلَمَلْتَ ، وَإِنَّ هَذَا

الْفَقِي اسْتَعْدَمَ مِنْهَا لِنَرَضٍ ، فَأَخَذَتْهُ إِيَّاهَا بِلَا عِيُوضٍ ، عَلَى أَنْ  
يَجْتَنِي نَفْعَهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَسْمَهَا ، فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ ، وَأَطَالَ  
بِهَا اسْتِمْتَاعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَدَلَ عَنْهَا قِيَمَةً  
لَا أَرْضَاهَا .

\* \* \*

المتقاضى ، أى المتحاكم إليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه؛  
وهذا النرض الذى ذكره ضرب من الألفاظ ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية  
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبرة ومرود. مملوكة ، يعنى الإبرة جعها مملوكة  
لأنها مما يتمول. رشيقة القد : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خد الإبرة : شق فيه  
تقبها ، وأصل اخذ شق مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاسة مع طول .

صبور على الكد ، أى صابرة على المشقة والتعب ، ونعول - بمعنى فاعل -

يتمتع من إلحاق الماء به إذا وقع صفة لمؤنث ، قال عنتره :

إِنِّي أَمْرٌ سَهْلٌ الْخَلِيقَةَ مَاجِدٌ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور ووجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم :

شكورة ولجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «فعل» إذا كانت  
بمعنى «مفعول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة<sup>(١)</sup> . قال : وذكر النحويون فى امتناع

الماء من «فعل» بمعنى «فاعل» للمؤنث عيلاً ، أجودها أن الصفات الموضوعه  
للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به ، فأسقط الماء من صبور  
وفتاة معطار ونظائره ؛ كما ألحقت بصفة المذكور فى رجل علامة ونسابة ، ليدل  
على تحقيق المبالغة ، وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة - وامتناع الماء المذكورة

(١) قال فى درة الفواص : «لانها بمعنى ركوبة وحلوبة» .

أصل مطرد [لم يشذ منه إلا قولهم] <sup>(١)</sup>: عدوّة، فإنهم ألقوه بصديقه، والشيء في أصول العربية [قد] يُحمَل على ضده وتقيضه، كما يُحمَل على نظيره ورسيه <sup>(٢)</sup>.  
تَحَبَّبَ: تشب في الثوب بسرعة. النهد: الفرس الضخم. أطواراً: أحياناً، ومهدا: مثير الخائط الذي تمسك به إبرته. تموز: أحد الشهور، وهو يوليه.  
والبرد: أن يبردها الحداد بالبرد ليقومها ويمدّها، فالبرد هنا فعل صانمها. قال ابن ظفر: ذهب بالبرد إلى ما طبع عليه الحديد من البرد في القيظ. قوله: «ذات عقل وعنان»، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة، والعقل شدّها بالخيوط حين تمسك في الثوب. سنان: طرفها السنون، أي الحدد. كفّ بينان: الكفّ والتضريب شيثان معروفان في الخياطة، فيريد أن الخائط يقبّ التضريب بأصابعه وهي البنان ويكفّه بالإبرة. فم، يريد ثقب الإبرة. تلدغ: تضرب الإصبع. واللسان النضناض للحية، والنضنضة، قيل: هي صوت الحية، وقيل: حركة لسانها، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضيق عليها فتجت فاما وصفت وحركت لسانها، فيقال: نضنضت، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج:

وقندبل كأن النور منه  
أشار على الدجى بلسان أفعى  
محيّا من أحب إذا تجلّى  
فشمّر ذيله فرقا وولّى

وقال ابن الصبّاح الصقلّي في شمة:

يطعن صدر الدجى بعالية  
كحياة باللسان لاحسية  
صنوبري لسان كوكبها  
ما أدركت من سواد غيبتها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة، حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين: لشهرتها، ولأنني وجدت البيتين مثبتين في بعض النسخ من

(١) من درة النواص

(٢) درة النواص ٦٨

القلائد لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها ، فذكرتها على اختصار لفائدتها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكيّ الهجاء ، دخل عليه في ليلة مطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دوابّ - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعلى البكيّ بقية من سلّهامة<sup>(١)</sup> خلّقة ، لا يواريه غيرُها ، وعلى الثاني بقية من قبيص قد أسودّ من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائبته من أيّ ثوب هو ؛ وقد بلل كلّ واحدٍ منهما المطر . وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، قرّق لهما خادم الفندق ، فدخل عليهما بقنديل ، فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأمّى به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . فقال البكيّ لجليسه : أيّ شيء أنت ؟ فقال : شاعر ، وشوّم الأدب بلغ بي ماترى ، قال : فأجزّ ، فقال :

\* \* \* \* \*  
وقنديلٍ كأنّ النورَ منه \*

فقال الآخر :

\* \* \* \* \*  
محيّا من أحبّ إذا تجلّى \*

فقال البكيّ :

\* \* \* \* \*  
أشار على الدجى بلسانِ أفعى \*

فقال الآخر :

\* \* \* \* \*  
فشمر ذيله فرقا ووّلى \*

فقال له البكيّ - وقد أعجب به : بمن تعرّف ؟ فقال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكيّ ، فجعلنا يتناظران بقية ليلتهما في أيّهما أكره مانأ ، حتى أصبحا وكانا يتلسان . فقال عنق البرة للبكيّ : هلمّ لنفترع ؛ أيّنا يقيم هنا ، وأيّنا يرتحل ؟ فإننا إن بقينا في موضع واحد ، أدرك الناس من شوّمننا ما يؤدّي بهم إلى الهلاك ، فاقترعا نفرجت قرعة البكيّ بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فحلّ بأهلها من بلائه ما قد شهّر .

(١) كذا في الأصول ، ولم ألق على معناها .

قوله : « ترفل في ذيل فضفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحدّاد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في الماء لتصلب . ناصحة : خائطة ، والنّصاح : الخياط ، ونصحتُ الثوب : خطته . خُدعة : مخدع الخائط كثيراً ، فتخيط وجه الثوب الأعلى ، وتترك الأسفل ، والهاء في هذه الصفات للمبالغة . خُبأة طُلعة ؛ يصف حالها من الخياطة حين تختبئ في الثوب ، ثم تطلع في يد الخائط . مطبوعة ، أى مصنوعة لينتفع بها . مطواعة في الضيق والسّعة ؛ ييد إذا دفعته في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصّأتها عنك : نحيتها ، وجعلتها في مثيرها . خدمتك ، أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك . جحمت : ألفت قطع الثوب . جنت عليك فألمت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيّرتك ذا ألم . ماملت ، أى جعلتك متقلّباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . الفرض : الحاجة ، وأصل الفرض ما قصدته سهام الرامى ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قصدت بالرغبة فيها . وسماها : طاقتها وقدر ما تحمل مما تكلف . أولوج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خيطه . أفضاها : خرق عينها ، وفي المرأة خلط مسلكيها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصلت إلى متسع ، ومنه : القوم فوضى ، أى متسعون مختلطون . بذل : أعطى .

\*\*\*

فَمَالَ الْحَدِيثُ : أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ  
فَقَرَطَ عَنْ خَطَا ، وَقَدَرَهُنَّ ، عَنْ أَرْضِي مَا أَوْهَنْتُهُ ، تَمْلُوكًا لِي  
مُتَنَاسِبَ الطَّرَفَيْنِ ، مُتَنَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، تَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ ،  
مُقَارِنُ سَمَلُهُ سَوَادَ التَّيْنِ . مُفَشِي الْإِحْسَانَ ، وَمُيْنَشِي الْإِسْتِحْسَانَ ،

وَيُعْذِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُودَّ جَادَ ، أَوْ وَسَمَ  
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُوِّدَ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بَعْنَى ،  
 وَقَلَّمَا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى ، يَسْنُو بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،  
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَيُسْتَمْتَعُ بِزِينَتِهِ ،  
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعِ فِي لِينَتِهِ .

\* \* \*

## [ القَطَا ]

الْقَطَا: طائر يصيح «قَطَا قَطَا» فسُمِّي بصياحه ، وبما يُفهم من صوته ، ولذلك  
 تسميه العرب الصَّدُوق ، ويقال : أنسب من قطة ، لأنها إذا صاحت عرفت ،  
 وقال الشاعر :

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبتُ      ياصدقها حين تدعوها فتنسبُ  
 حمراء مقبله سكاها مدبرة      للماء في البحر منها نؤطة مجبُ  
 وقال الكمي :

لا تكذب القول إن قالت قطا صدقتُ      إذ كل ذى نسبة لا بد ينتجل<sup>(١)</sup>  
 وقال أبو وجزة :

مازلن ينسبن وهنأ كل صادقة      باتت تبأشر عزمأ غير أزواج<sup>(٢)</sup>

(١) الحيوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الحيوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايته : « وهن ينسبن » ، والوهن : نصف الليل



يريد ، أن الحمير وَرَدَت الماء ليلاً ، فَأثارت القطا عن أفاحيصه ، فَصاحت : « قطا قطا » ؛ فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا . وَالْمُرْمُ بِيضُهَا ، لأن فيه سواداً وبياضاً ، وَبِيضُ الْقَطَا أَفْرَادٌ ثَلَاثَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ ، قال مزاحم العقيلي في القطا وفرادها :  
فَلَمَّا دَعْتَهُ بِالْقَطَاةِ أَجَابَهَا بِمِثْلِ الَّذِي قَالَتْ لَهُ لَمْ يَبْدَلِ<sup>(١)</sup>  
وقال المعري :

عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَمَا لَفْظُ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهَا<sup>(٢)</sup>  
وقال الأصمعي : القطا لاتصيح إلا إذا أرادت الماء ، فإذا عدم الماء ، وسمعت العرب صياح القطا ، فرحوا به وعرفوا قُرْبَ الماء من بعده .  
وقيل : سُمِّيَ الْقَطَا لثِقَلِ مَشِيهِ ، يقال : قَطَا الرَّجُلُ يَقْطُو ، إِذَا ثَقُلَ مَشِيهِ .

\* \* \*

قوله : « فرط » أي سبق . عن خطأ ، أي عن غير تعمد . رهنته : أعطيته .  
رهنًا ، وأرهنتك : أعطيتك ما ترهنه . والأرث : قيمة العيب ، أي دية الجرح ، مأخوذ من أرش بين القوم لأنَّ الأرش يُختصم في قدره . أوهنته : أفسدته ، ووهن الشيء يَوْهِنُ وَيُهِنُ : ضَعُفَ ، وَأَوْهَنْتُهُ أَنَا ، إِذَا أضعفته . مملوكا ، يعني المرود . متناسب الطرفين ، أي هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيهما شئت . القَيْن : الحدّاد الذي صنعه . الدَرَن : وَسَخُ الْحَدِيدِ ، وَالشَّيْنُ : الْعَيْبُ ، أي هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن محله سواد العين ، أي عند التكحل به . ينشى : يحدث ويظهر . وإحسان الكحل في العين لا ينحى . ينشئ استحسان ، أي ينشئ لناظر العين استحسان الكحل في العين .

(١) الحيوان ٥ : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده في سقط الزند ولا في الأروميات .

والإنسان : إنسان العين يفذه بالكحل ، والإنسان : السواد الذى فى وسط العين ، إذ رأيت فيه شخصاً ، والشخص هو الإنسان ، فسُمى السواد به . يتحامى : يبعد عنه، يريد أنه يكحل العين ولا يقرب من الفم . قوله : « سَوْدٌ » ، أى جعل فيه الكحل . جاد : أعطاه العين . وَسَمَ العين بالكحل : أجاد عمله فيها . قلما ينكح إلا مثنى ، أى ينكح عينا واحدة فى الغالب . وقد نظم هذا النثر فى الثانية والأربعين .

جوده ، أى يوجد بكحله للعين . ويسمو : يطعم للعين ، وجعل له الكحل غذاء يأخذ ويرتفع به للغير . قرينته : مكحلته . من طينته : من جنسه . زينته : تزيينه للعين . يطمع فى لينته : أى لا يطمع أن يكون الحديد ليّناً . وكلّ لفظه فسرّ بها الرود والإبرة ، لما لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به .

\*\*\*

فقال لها القاضى : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَإِلَّا فَبَيِّنَا ، فابْتَدَرَ

الغلامُ ، وقال :

أَعَارَنِي إِزْرَةَ لِأَرْفُو أَط  
مَارًا عَفَاهَا الْبَلَى وَسَوْدَهَا  
فَانْحَرَمْتُ فِي يَدِي عَلَى خَطِي  
مِنِّي لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا  
فَلَمْ يَرَ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي  
بَارِشَهَا إِذْ رَأَى تَأْوُدَهَا  
بَلْ قَالَ هَاتِ أِزْرَةَ تُعَاثِلُهَا  
أَوْ قِيمَةً بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا  
وَاعْتَاقَ مِثْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا  
هَيْكَ بِهَا سُبَّةً تَزْوُدَهَا  
فَأَتَمُّنُ مَرَهَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي  
تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا  
فَاسْتَبْرُ بَدَا الشَّرِيحَ غَوْرَ مَسْكَتِي  
وَارِثَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَمَوُّدَهَا

\*\*\*

تينا : تَوْضَعًا وتَفْسِرًا حديثكما اللهم للفرز . فبيننا : أبعدا ، أو ارتفعا .  
قوله : «أرفو» أى أخيط ، ويروى «لأرفأ» يقال : رفأت الثوب أرفوه ورفوته  
وأرفوه ، والرفو من أدق أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود  
كأنه لم يكن فيه خرق .

[ مما قيل في رَفْو الثياب ]

وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء :

يارفيا قطع كل ثوبٍ ويارشا حبةً اعتمادي  
عسى بخيط الوصال ترفو ماقطع المجر من وادي  
وقال الحلواني في خياط :

رب خياطٍ فتنت به فتنة أوهت قوى جلدي  
لاعبٌ بالخيط يفتله أتراه ظنه جسدي !  
ليت أنى كنته فأرى بين ذاك الدرّ والبرد  
فملت بالثوب إبرته فعل سهم الشوق في خلدي  
وجرى المقرّاض في يده جرى عينيه على كبدي

ومن مجون أبي نواس ، أنه كان يؤاكل إسماعيل بن أبي سهل ، فعرضت  
له على مائدة رفاقة في جانبها خُرق قد ضمّ ، فرفعها بإحدى يديه ونقرها بالأخرى ،  
فانفجرت ، وقال وهو يضحك : أخبزكم مرفوء ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونسي إذا ما انشق يُرفأ  
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى  
إن رفاءك هذا أطف الأمة كفا  
فإذا قابل بالتنصّف من الخبزة نصفاً

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى الْمَغْرَرَ أَشْفَى  
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا

والأطوار: الثياب الخَلَقَة، واحدها طِمْر . عفاها البلى: غَيَّرَهَا القَدَم  
ودرسها، وسَوَّدها بالأوساخ حتى صارت في طبع الثوب، فمتى غسلت لم تزل.

[ مما قالت الشعراء في الأطوار البالية ]

ومما قالت الشعراء في الأطوار البالية مما يستحسن قول الحمدوني في  
طيلسان<sup>(١)</sup> وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَابْنَ حَرْبٍ أَطَلْتَ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا<sup>(١)</sup>  
فَهُوَ فِي الرَّفْوِ آلُ فِرْعَوْنَ فِي الْقَرْوِ ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا  
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَابْنِ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا  
قَدْ طَوَى قَرْنًا فَقْرَانًا وَأُنَاسًا فَأُنَاسًا  
لَبِسَ الْأَيَّامَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِبَاسًا  
غَابَ تَحْتَ الْحَسِّ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسًا

(١) قال الثعالبي في المضاف والمنسوب ٦٠٢ : كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلسانا خلقا ، وكان الحمدوني يحفظ قول ابن حمران السلمي في طيلسان :

يَا طَيْلَسَانَ أَبِي حَمْرَانَ قَدْ بَرَمْتَ بِكَ الْحَيَاةَ فَمَا تَلْتَدُّ بِالْعُمُرِ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَفًا يَجِدُّهُ هَيْهَاتَ يَنْفَعُ تَجْدِيدُهُ مَعَ الْكِبَرِ  
إِذَا ارْتَدَاهُ لَعِيدٍ أَوْ لَجْمَتِهِ تَنْكَبُ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ النَّظَرِ

واحتذى حذوه ، واثالث عليه المعاني ، حتى قال في وصف العايلسان قرابة مائتي مقطوعة ،  
ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع

(٢) المضاف والمنسوب للثعالبي ٦٠٢ ، وفيه : « أَطَلْتَ فَرِي » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العاتب  
أما رأيت الرفاء يُحزِنِي  
أفناه جَوْرُ البِلي عليه كما  
ولستُ فيما أقولُ بالكاذِبِ  
برفوه طيلسانك الذَّاهِبِ  
أفنى الهوى عُمرَ خالدِ الكاتبِ

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حرب جادلي كاسياً  
انظر إلى كثرة تمزيقه  
رفوى له وهو رميمٌ كمن  
يصدعه اللحظ بإيماضه  
يُدْكرُني كثرةً تمزيقه  
بطلسان هريمٍ قشعمٍ  
كأنما مُزق في ماتمٍ  
يبنى بناء فوق مستهدمٍ  
صدع فؤاد العاشق للمقرمٍ  
تفرق الناس عن الموسمٍ

وقال فيه أيضاً :

يابن حرب كسوتني طيلساناً  
حال ترداده إلى الرفو حتى  
فحسبنا نسج العناكب قد جئن  
مل من صحبة الزمان وصدًا<sup>(١)</sup>  
لو بعثناه وحده تَهْدِي  
إلى ضعف طيلسانك شداً

وقال أيضاً فيه :

يا قاتل الله ابن حرب لقد  
بطلسان خلت أن البلي  
أجد في رفوى له والبلي  
أطال إتعابي على عمدٍ  
يطلبه بالوتر والحقد  
يلهو به في الهزل والجدد

(١) المضاف والمنسوب ٦٠٣

إن أتهم الرافى فى رفوه مضى به التمزيق فى تجد  
غنيتها لامضى راحلاً : تركنى يا واحدى وحدى

والحدونى هو إسماعيل بن إبراهيم حمدويه ، نُسب إلى جده ، وهو من أهل  
ميسان ، وكان حلو التصرف مليح الافتنان ، وهو القائل :

من كان فى الدنيا له شارة فنحن من نظارة أذنى  
نلحظها من كسب حسرة كأننا لفظ بلا معنى

وقال ابن الرومى فى طيلسانه :

ولى طيلسان ناجل غير أنه ثبوت لهفات الرياح الزعازع  
وما ذاك إلا أنه متهتك يخلى سبيل الريح غير منازع  
أراه لضوء الشمس بالعين رؤية ويمتنع من لمسه بالأصابع  
شكاقل اسم الطيلسان لضعفه فسميته ساجا فهل ذاك نأفئى !

وقال ابن سارة فى فروة :

أودت بذات يدى فريوة أرنب كفواد عروة فى الضنا والرقفة  
يتجشم الرفاه فى ترقيعها بعد المشقة فى قريب الشقة  
لو أن ما أنفتت فى ترقيعها يحصى ل زاد على رمال الرقة  
إن قلت : « باسم الله » عندلباسها قرأت على « إذا السماء انشقت »

وله فيها أيضاً :

لى فروة وصنى لجائحتى بها باتيك بين مقسط ومشتف  
عطت كتب أبى عبيد بالذى ألفت فيها من غريب مصتف  
يسطو على النرم فى ترقيعها سطو النرام على فواد اللدنف

فأنا وفروى خوف تمزقي لها أحكى معاويةً يجنب الأحنف  
وله في طيلسانه :

وطيلسان هَرِمٍ يُحْتَمَى عليه أكلُ الخَلِّ والبَقْلِ  
كَانَ كَفِيًّا إِذَا انضَمَّتَا عليه خوف الرِّيحِ في غُلِّ  
ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابنِ عَلِيٍّ سَمَلٌ تَقَطَّمَهُ لِحَظَاتِ اللَّقْلِ  
إِذَا غِيَمَ الْجَوَّ أَبْصَرْتَهُ رَهين الذَّبُولِ بِكَفِّ البَلَلِ  
نِسْوَاطِ طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ بِهِ وَصَارُوا بِهِ يَضْرِبُونَ اللَّثْلَ  
وله في غِفَارَتِهِ (١) :

لأحمد بنِ عَلِيٍّ غِفَارَةٌ كَالسَّرَابِ  
إِنْ هَبَّ أَدْنَى نَسِيمِ تَمْرٍ مَرَّ السَّحَابِ

والشعر في هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . متودها : خيطها . تأودها :  
انكسارها ، وأصله الاعوجاج . أعتاق مِيبلى : أحبس مِرْوَدِي . ناهيك :  
كافيك ، ومعناه المبالغة ، كأنه بلغ النهاية فى العيب الذى فعل . سُبَّة : عيب  
يُسَبُّ به . مَرَهَى : خالية من الكحل ، وقدمه الرجل مرهاً إذا لم يتعهد  
الكحل ، والمرهى من النساء : البيضاء البينة الزرق الذى يختص الكحل فى  
زرقها . اسْبُر : قِس . غُور : غاية وقَدْر . ارث : ارحم وتوجع .

• • •

(١) الغفارة ، ككتابة : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة .

(٢١ - شرح مقامات الحريرى ١)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِيَ عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيه ، بِغَيْرِ تَمْوِيهِ ،

فَقَالَ :

أَقْسَمْتُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ  
لَوْ سَاعَفْتَنِي الْأَيَّامُ لَمْ يَرِنِي  
وَلَا تَصَدَّيْتُ أَبْتَنِي بَدَلًا  
لَكِنَّ قَوْسَ الْخَطُوبِ تَرشُقُنِي  
وَخُبْرُ حَالِي كَخُبْرِ حَالَتِهِ  
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَأَنَا  
لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ  
وَلَا مَجَالِي لِضَيْقِ ذَاتِ يَدِي  
فَهَذِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ

ضَمٌّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مِنِّي  
مُرْتَهِنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهَنَا  
مِنْ إِبْرَةِ غَالِبًا وَلَا ثَمْنَا  
بِمُضْمِيَّاتٍ مِنْهَا هُنَا وَهُنَا  
ضُرًّا وَبُؤْسًا وَعُزْبَةً وَصَنِي  
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا  
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهِنًا  
فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنِي  
فَانظُرْ إِلَيْنَا وَبَيْنَنَا وَلَنَا

◦ ◦ ◦

إِيه : كلمة يُستزاد بها الحديث . والتمويه : الكذب ، وهو في الحديث  
بالتممية ، وقد موّه عليه ، إذا ختيل له أنه على شيء وهو على ضده ، وأصل  
التمويه الصقل ، كأن على ألقاظه المموّهة صقالة ، وهو من لفظ الماء . المشعر :  
المزدلفة ، وهو جمع ، سُمي مشعراً لأنه من علامات الحج ، وكل علامات الحج  
مشاعر ، والمشعر والمنسك : موضع ذبح الهدى بمكة المنفصل ، سُمي مشعراً ، لأنه  
شعر أنه حرام كالبيت . الناسكين : الحجّاج الذين يُشعرون الهدى وما يُنجر ،  
أُنسك ونسكاً مَنْسكاً ونسكاً ونسكاً ، إذا ذبح النُسك ، وأصلها ذبائح



الجاهلية ثم سُميت الأضاحي، والناسك أيضاً: الزاهد. خيف: موضع بمي. قوله: «ساعفتي»: ساعدتني. تصدّيت: تعرّضت. غالما: أهلها. الخطوب: الأمور الشداد. ترشفتي: تصيبتني. بمصميات: بسهام قاتلة. بؤس: شدة حال. ضني: ضعف ومرض. وهو أنا، أي هو مثلي في ضيق الحال. مجالي: موضع تصرّفتي. ذات يدي: مالي، وذات اليد ما يملك. العفو: الغفران. جنّي: أذنب. قصّتي: حديثي، يقول: فانظر إلينا بعين الشفقة والرحمة، وأصلح بيننا بما نتصرف به شاكرين لك، وهب لنا ما نُثني به عليك، وجعل النظر عاملاً في الجميع، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم والتكرّم عليهم.

\* \* \*

فلما وعى القاضي قصصهما، وتبين خصائصهما وتخصّصهما؛ أبرز لهما ديناراً من تحت مصلاه، وقال لهما: اقطعاً به الخصاص وافصلاه. فتلقّفه الشيخ دون الحدّ، واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث، وقال للحدّث: نصفه لي بسهم مبرّتي، وسهمك لي عن أرض إبرّتي، ولست عن الحقّ أميل، فقم وخذ الميل. فمرا الحدّث لما حدّث اكتباب، واكفهر على سماه سحاب، وجم له القاضي، وهيج أسفه على الدينار الماضي؛ إلاّ أنّه جبر بالفتى وببلاه، بدريهمات رضى بها له، وقال لهما: اجتنبا المعاملات، وادريا المخاصمات، ولا تحضرا في ملحا كمات، فما عندي كيس الغرامات.

فَهَضًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرِحِينَ بِرِفْدِهِ ، مُفْصِحِينَ بِحَمْدِهِ ،  
وَالْقَاضِيَ مَا يَنْجُبُو ضَجْرَهُ ، مُذْبِضًا حَجْرَهُ ، وَلَا يَنْصُلُ كَمْدَهُ ،  
مُذْرَسَحَ جَلْمَدُهُ .

\*\*\*

قصصهما ، أى حديثهما ، وهو جمع قصة . خصاصتهما : فقرهما . تخصصهما :  
رفعتهما واتقياهما ، وقد تخصص الرجل ، إذا اتقبض عن العامة وتشبه بالخاصة .  
أبرز : أخرج . مصلاه : بساطه الذى يصلّى عليه . افصلاه : اقطعه وأزيله .  
استخلصه : حازه لنفسه خالصاً . الجلد : التحقيق . العبث : الهزل . سهم : نصيب .  
ميرتى : إكراى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدل عنه . عرا :  
قصد ونزل به . حدث : ظهر . اكتتاب : حُزن وهم . وجم : غضب ، والوجوم :  
السكوت على غضب . هيج : حرّك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه  
ووسواسه . رضخ : كثّر العطاء . اجتنبا : باعدا . المعاملات : الماوضات  
والموارى . ادركا : ادفا . كيس : وعاء الدراهم . رفته : عطاؤه . ينجبو ضجره :  
يسكن غضبه : بض حجره : رشحت كفه . قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَطِيَّةِ مَمْسِكٌ      مَا إِنْ تَبِضَّ صَفَاتُهُ بِيَلَالٍ (١)

ينصل كمده : يزول حزنه . الجلمد : الصخر الصاب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه  
بخيل ، ويد البخيل تشبه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلِقَتْ كَفَاهُ مِنْ حَجَرٍ      فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالذِّهْدَى عَمَلٌ (٢)  
يرى التيسم فى برّ وفى بحرٍ      مخافة أن يرى فى كفه بللٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد البيتان فى ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

يَرَاةٌ غَرَنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَا      حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مَقْتَبِسًا<sup>(١)</sup>  
فَصَادَفَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ نَضْرِبُهُ      مِنْ لُؤْمِهِ بِمِصَا مُوسَى لَمَا انْبَجَسَا  
كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ      فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجية بن المضرب، حين قال:

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ      فَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُمْ غُرٌّ  
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مَوْثَلًا      يَبْدُلُ الْكَفَّ دُونَهَا الْمَزْنَ وَالْبَحْرُ  
فَلَوْلَا مَسَّ الصَّخْرَ الْأَصْمُ أَكْفَهُمْ      أَفَاضَ يَنْبِيعَ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص:

إِنَّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّهْمَانِ وَرَيْبِهِ      بِعَبَّ شَطَاً بِمَرْكَ النَّيَاضِ<sup>(٢)</sup>  
بِحَرٍّ يَلُودُ الْمُتَضَوْنَ بِسَيْلِهِ      قَمَّ الْجُدَاوِلُ مَتَرَعُ الْأَحْوَاضِ  
لَأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُؤَمَّلِ رَاحَتَا      مَلَكٍ إِلَى أَعْلَى الْمَلَانِهَاتِ  
فِيَدُّ تَدْفُقُ بِالْفَنَى لَصَدِيقِهِ      وَيَدُّ عَلَى الْأَعْبَادِ سَمَّ قَاضِ

وقال أبو تمام:

تَمُودُ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ      دَعَاهَا لَقَبِضَ لَمْ تَجِبْهُ أَنَامِلُهُ<sup>(٣)</sup>

وقال البحتري:

قَدْ قَلَّتْ لِلغَيْثِ الرَّكَامُ وَتَلَجَّ فِي      إِبْرَاقِهِ، وَأَلَحَّ فِي إِرْعَادِهِ<sup>(٤)</sup>

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦  
(٤) ديوانه ٧٠٣

(١) اللقد ٦ : ٢٩٥  
(٣) ديوانه ٢٣٢

لا تعرضنَّ لجعفرٍ متشبَّهًا      بندى يديه فلست من أنداده  
الله شرفه ، وأعلى ذكره      وراه غيث بلاده وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقَبِّلُ ظهر الكف وهاب بطنها      له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ  
فظاهرها للناس ركنٌ مقبَّلٌ      وباطنها عينٌ من الجود عَيْلُمُ

\*\*\*

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَيَّ غَاشِيَتَهُ وَقَالَ : قَدَّ  
أَشْرَبَ حِسِّي ، وَيَأْنِي حَدْسِي ؛ أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَأَخْصَمَا أَدْمَاءٍ ،  
فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتَنْبَاطِ سِرِّهِمَا ! فَقَالَ لَهُ نَحْرِي رُ  
زُمْرَتِهِ ، وَشَرَارَةُ جَمْرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبْنِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،  
فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي  
سَنَ بَكَرِكُمَا ، وَكَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَحْجَمَ الْحَدِيثُ  
وَاسْتَقَالَ ، وَأَدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

\*\*\*

قوله : «غشيتته» ، أي ذهاب عقله بأن يُعَمَى عليه . وغاشيته : زواره ومن  
يفشى موضعه . أشرب : دُوخِلَ : حِسِّي : إدراكى وفهى . نَبَأْنِي : حَدْسْنِي .  
وأخبرنى . حَدْسِي : ظَنِّي ، قال الفراء رحمه الله : حَدَسْتُ أَحْدِسُ ، إِذَا قَلْتُ فِي  
الشَّيْءِ بِرَأْيِكَ . غيره : حَدَسْتُ : ظَنَنْتُ ظَنًّا بَلَفَتْ مِنْهُ غَايَةَ الشَّيْءِ فِي عَدَدِهِ أَوْ

وزنه ، وأصله من قول العرب : بلغت الحدس ، أى الشيء الذى تطلب الملاقاة .  
والدهاء فى الرجل : الحدق والتبصّر فى الأشياء . لاختصاص ادّعاء ، أى ليس بينهما  
ادّعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبّرها : اختبارها . استنباط : استخراج .  
نَجْرير : حاذق . زَمْرته : جماعته ، وجعله شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك  
يسمى نَجْريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء ينحرفها بظنّه  
الصادق . خبئها : خفى ما عندها . قفاهما : أتبعهما . والعون : الشرطى ، لأنه  
يُعين من يتصرّف له . مثلاً : وقفاً ، يقال : مثّل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام  
وانتصب ، وإذا طوى بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سنّ بكر كما :  
حقيقة خبر كما . والبكر : الفتى من الإبل ، وسنه : مبلغ عمره ، لأنّ بالسن يُعرف كم  
بلغ من العمر ، ولنظّم المثل « صدقنى سنّ بكره » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابى  
أن رجلاً سأم رجلاً بَكراً على أن يشتريه مسنّاً ، فقال البائع : هذا جمل ؛ لبكر  
له ، وقال المشتري : هذا بكر ، فقال البائع : بل هو مسنّ ، فبينما هما يتنازعان  
إذ نفر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب  
يسكن بها صغار الإبل عند نفارها ، ولا تقال للكبار ، فقال المشتري عند ذلك :  
صدقنى سنّ بكره . تبعة ؛ شُرحت فى الصدر . أحجم : تأخر فزِعاً . أقدم :  
تقدم متشجعاً . استقال : طلب الإقالة .

\* \* \*

أنا المَرْوَجِيُّ وَهَذَا وَلَدِي      وَالشُّبْلُ فِي الْمُنْخَبِرِ مِثْلُ الْأَسِيدِ  
وَمَا تَمَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي      فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدِ  
وَإِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيُّ الْمُعْتَدِي      مَالَ بَنَّا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي  
كُلَّ نَدِي الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمُرْدِ      وَكُلَّ جَعْدِ الْكَفِّ مَغْلُولِ الْيَدِ

بِكُلِّ فَنِّ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ      بِالْحَدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالذِّدِ  
لِتَجْلِبَ الرَّشْحَ إِلَى الْحَطِّ الصَّدَى      وَتَهْفِدَ الْعُمَرَ بِعَيْشِ أَنْكَدِ  
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ      إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدِ

• • •

الشَّيْلُ : ولد الأسد . المخِيرُ : التجربة والخبرة . تعَدَّتْ : ظلمت ، والمتعدى :  
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطنا . يجتدى : نسأل الناس الجدا ، وهو  
المطاء . ندى الراحة : كريم الكف . وجند الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل  
كريم سهل المطاء ، وكل لثيم صعبه ، وأصل الجمودة اقباض الشعر ، ثم استعيرت  
تقبض الكف من اللؤم ، ومثله مغلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بقلّ اللؤمها ،  
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بقلّ اللؤم ، وفي الكتاب  
العزير : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾<sup>(١)</sup>  
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ويذكر الجمودة ، وهى :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْزَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ      مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْ كَانَ مَا يَعْطِيهِ غَيْثًا لَأَمْرَتْ      سَحَابُهُ مِنْ غَيْرِ بَرَقٍ وَلَا رَعْدِ  
مِنَ الْقَوْمِ جَعْدٌ أبيضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى      وَليْسَ بِنَانٍ يَجْتَدِي مِنْهُ بِالْجَعْدِ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ :

وقال البحرى :

صنعتني عن معاشرٍ لا أسمى  
من جمادٍ الأكَفِّ غيرِ جمادٍ  
أولهم إلا عَدَاةَ سِبَابِي (١)  
وغضاب الوجوه غيرِ غِضَابِ  
خطرُوا خطرةً الجهم وسارُوا  
في نواحي الظنون سَيْرَ السَّحَابِ

وقال أيضاً في نحوه :

وخلفني الزمانُ على أناسٍ  
لهم حُللٌ حُسنٌ فهنَّ بيضٌ  
وجوههم وأيديهم حديدٌ (٢)  
وأخلاقٌ قبحنَّ فهنَّ سودٌ  
أناسٌ لو تأمَّتهم لبيدٌ  
بكي الخلف الذي يشكولبيدٌ

قوله « الدد » : ضد الجدة ، وهو اللهو واللعب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لست من ددرٍ ولا الدد مني » ، أى لست من باطل ولا الباطل منى أجدى : نفع . الحظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظه . ننفذ : تتم . أنكد : مشثوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والمرصد : الموضع الذي ترتقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصدته رسداً ترتقبته . يفاج : يأت على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فسقه .

\*\*\*

فقال له القاضى : لله درك ، فأعذب نَفَثَاتِ فَيْك ، وواها  
لَكَ لَوْلَا خِدَاعُ فَيْك ، وَإِنِّي لَكَ لِمِنَ الْمُنذِرِينَ ، وَعَلَيْكَ مِنْ

(١) ديوانه ٨٦

(٢) ديوانه ٥٨١

الْحَذِرِينَ ، فَلَا تَمَّا كِرْ بِمَعْدَاهَا الْحَاكِمِينَ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،  
فَمَا كُلُّ مُسَيِّطَرٍ مُيْقِيلٌ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَمَا هَذِهِ الشَّيْخَ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعِ عَنْ تَلْبِيسِ  
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَهَّتِهِ ، وَانْخَلَّتْ يَلْمَعُ مِنْ جِبَّتِهِ .

قال الحارث بن همام: فلم أرَ أعجبَ منها في تصاريفِ الأسفارِ ،  
ولا قرأتٍ مثلها في تصانيفِ الأسفارِ .

\* \* \*

قوله: «لله درك»، أى ما أحسن كلامك، والدَّرُّ أصله اللبن، وكأنه سُمِّيَ  
بحكاية صوته عند الحلب. والله، أصله القسم، ولا تدخل اللام في القسم إلا لأعلى  
اسم الله تعالى، والتعجب معها لازم، فإذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب  
الناقة: لله درك! فكأنه قال: والله إن درك هذا لكثير، ثم استعير للفصيح في  
كلامه، ولكل من أحسن فى شيء، فكأنه قيل: ما أحسن ماجئت به! وقيل:  
معناه لله اللبن الذى شربته من أمك، قال الفراء رحمه الله: ربما قالوا: درك، ولم  
يقولوا: لله درك، وأنشد:

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرَّجَالِ

قوله: «نفثات»، أى كلمات. واهأ: عجباً. والمنذر: المعلم بما يخاف. تماكر:  
تمخادع. سطوة: بطشة. المتحكم: الذى يتحكم بما شاء فيمثل حكمه. مسيطر:  
أمير مساط. يقيل: يفقر الالة. أوان: وقت. عاهده: حاله. مشورته: أخذ  
رأيه. الارتداع: الكف. تلبيس: تخليط. صورته: قصته. فصل: زال.



الخنز: الخلداع. يلمع: يضيء، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الفدر، وأن يمينه التي حلف له كاذبة، وأوّل مَنْ نظم في هذا المعنى الشماخ حين قال:

أَتَنِي تَمِيمٌ قَضَاهَا بِقَضِيئِهَا      تَمَسَّحَ حَوَلِي بِالْبَقِيْعِ سَبَاهَا  
يَقُولُونَ لِي: أَحْلَفُ وَلَسْتُ بِجَاهِفٍ      أَخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنَالَهَا  
فَفَرَّجَتْ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحَلْفَةٍ      كَمَا شَقَّتْ الشَّقَاءَ عَنِّي جَلَاهَا

ومن الملح في اليمين الفاجرة، قول ابن الرومي:

وَإِنِّي لَدُو حَلْفٍ كَاذِبٍ      إِذَا مَا اسْتَمَحْتُ فِي الْمَالِ ضَيْقُ  
وَهَلِي مِنْ جَنَاحٍ عَلَى مَعْسَرٍ      يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

إِذَا حَلَّتْ عَلَى ضَيْقِ دُيُونِي      وَبَاكَرَنِي التَّجَارُ وَخَوْفُونِي  
دَفَعْتَهُمْ بِنِ لَوْ شَاءَ أَدَى      حَقُوقَهُمْ إِلَيْهِمْ مَنْذَرِينِي

ولدعبل:

سَأَلُونِي الْيَمِينَ فَارْتَمْتُ عَنْهَا      كَيْ يَفِرُوا بِذَلِكَ الْإِرْتِيَاعِ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا كَمُنْحَدَرِ السَّيْلِ      تَدُلُّ مِنَ الْمَكَانِ الْيَفَاعِ  
وَأَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ:

لَا شَيْءَ يَدْفَعُ حَقَّ خَصْمٍ شَاغِبٍ      إِلَّا كَلْفَ عَبِيدَةَ بْنِ سَمَيْدَعِ  
يَمْضِي الْيَمِينَ عَلَى الْيَمِينَ لِجَاةٍ      عَضَّ الْجُوحَ عَلَى الْجَامِ الْمَقْدِعِ  
فَإِذَا يَذْكَرُ حَلْفَةَ أَصْفَى لَهَا      وَإِذَا يَذْكَرُ بِالتَّقَى لَمْ يَسْمَعِ

(١) ديوان ١٠٧.

قوله: «تصاريف»، أراد التصريف بالجولان في البلدان. والأسفار: الأول: جمع السفر في البلاد، والثاني: جمع سفر، وهو الكتاب، قال الفراء رحمه الله: الأسفار: الكتب العظام. والتصانيف: التأليف المنوعة، والمصنف الذي فيه أنواع شتى.

## المقامة التاسعة وهي الإسكندرانية

قال الحارث بن همام : طحاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى  
الْاِكْتِسَابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةَ وَغَاثَةَ ، أَخُو ضُ النَّمَارِ ،  
لِأَجْنِي النَّمَارِ ، وَأَقْتَحِمَ الْأَخْطَارَ ، لِكُنَى أَدْرِكَ الْأَوْطَارَ ،  
وَكَنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،  
أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ ، أَنْ يَسْتَمِيلَ  
قَاضِيَهُ ، وَسَتَخْلِصَ مَرَاضِيَهُ ، لِيَسْتَدَّ ظَهْرَهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،  
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ ؛ فَاتَّخَذَتْ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،  
وَجَعَلَتْهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَأَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وُلِجْتُ عَرِينَةً ،  
إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ  
تَقَوَّى الْأَجْسَادَ بِالْأَرْوَاحِ .

\* \* \*

طحنا بك قلبك ووجهك طحوا وطحنيا : ذهب بك ، وطحا الله الأرض  
ودحاها : بسطها . ابن الأنباري : طحا قلبه في الهوى واللهو ، إذا تطاول وتمادى ، قال .  
علقمة :

\* طحنا بك قلبك في الحسان طروب \*

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جبت : قطعت ومشيت .

## [ ذكر فرغانة ]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيتٌ يُسمَّى هيكَل الشمس ، بناه فارس الملك ، وخرَّبه المعتصم ، وبها قُتِل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين ، وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليعقوبي : من سمرقند إلى أسروشنة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشنة إلى فرغانة مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جليلة القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه المدن مضافة إلى عمل سمرقند . وكان أنوش . وان بنى فرغانة ، ونقل إليها من كل بيت قوماً ، وسمّاها أزهرخان ، أي من كل بيت .

## [ ذكر غانة ]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهي التجار ، والمدخل إليها من سجدلماسة . ومن سجدلماسة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سجدلماسة شهر ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرِّفاق تتجهز إليها من سجدلماسة بالأمتاع والأثقال ، فتباع في غانة بالتبر ، فمن سافر إليها بثلاثين حملاً يرجع منها بثلاثة أحمال ، أو بحملين : واحد لركوبه ، وثانٍ للماء بسبب المفازة التي في طريقها ، حدثنى غير واحدٍ من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوماً ، لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأثمان أحمال الثلاثين حملاً يجتمع فيها من التبر ما يجعل في مزود واحد ، فيطوون المراحل للخفة . وغانة بلد مملكة السودان ، وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر ، فيشترون بها خدماً للتسري ، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جعل الله فيهن من

الخصال الكريمة في خلقهم وخلقهم فوق المراد، من ملامسة الأبدان، وتفتق السواد،  
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[ مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض ]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهن بقوله :

تذكرك المسك والفوالى والنَّدْ ذواتُ التَّسِيمِ والعَبَقِ  
ليست من العَبَسِ الأَكْفِ ولا الفُلْجِ الشَّفَاهِ الخبائثِ العَرَقِ  
أَكْسَبَهَا الحَبَّ أَنهَا صُيِّغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القُلُوبِ والحَدَقِ  
فَتَرَدُّ ذَاكَ السَّوَادِ عَنِ يَقِيٍّ مِنْ نَعْرِهَا كَاللَّالِيءِ النَّسَقِ  
كَأَنَّهَا وَالْمِزَاحِ يَضْحَكُهَا لَيْلُ تَعْرَى دُجَاهِ عَنِ فَلَاقِ  
لَهَا حَرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدْتَهُ مِنْ قَلْبِ صَبٍّ وَصَدْرِي حَنْقِ  
يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى المِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أُنْشُوطَةُ الوَهَقِ  
غَصْنٍ مِنَ الأَبْنُوسِ رَكَّبَ فِي مُؤَزَّرٍ مَعْجِبٍ وَمُنْتَطِقِ  
وقال الشريف الرضي :

أَحْبَبُكَ يَالُونَ السَّوَادِ فَإِنِّي رَأَيْتُكَ فِي العَيْنِينَ وَالقَلْبِ تَوْأَمًا (١)  
وَمَا كَانَ سَهْمُ العَيْنِ لَوْلَا سَوَادُهَا لِيَبْلُغَ حَبَّاتِ القُلُوبِ إِذَا رَمَى  
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى الطَّبِيءَ أَلَمَى فَلَاتَلَمْ جَنُونِي عَلَى الطَّبِيءِ الَّذِي كَلَّمَهُ لَمَى  
وقال ابن مسleme :

يَكُونُ الخَالُ فِي خَدِّ قَبِيحٍ فَيَكْسُوهُ المَلَاخَةَ وَالجَمَالَ

(١) ديوانه ٧٥٥ .

فكيف يُلامُّ مشغوفٌ على مَنْ يراها كلَّها في العينِ خالاً!  
وله أيضاً :

لامِ العوازلِ في سوادِ فاحمةٍ كأنَّها في سوادِ القلبِ تمثالُ  
وهامِ باخالِ أقوامٍ وما علِّمُوا أنّي أهيّمُ بشخصٍ كلّه خالُ  
ولابنِ رباح :

وسوداءِ الأديمِ إذا تبدّتْ يرى ماءَ النعيمِ جرى عليه  
رأها ناظريّ نصّباً إليها وشبههُ الشّيءُ مُنجذبٌ إليه  
ولابنِ رشيق :

دعا بكِ الحنينِ فاستجيبِي يامسكُ في صبغةٍ وطيبِ<sup>(١)</sup>  
تبيهي على البيضِ واستطيلي تيهَ شبابٍ على مشيبِ  
ولا يرعكِ اسودادُ لونِ كمقلّةِ الشادينِ الرّيبِ  
فإنّما الثور عن سوادِ في أعينِ الناسِ والقُوبِ

قال ابن رشيق : أخذته من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

مشبهاتُ الشّبابِ والمسكِ تفديهمنّ نفسى من الرّدى والخطوبِ  
كيف يهوى الفتى اللبيبِ وصالِ البيضِ ، والبيضُ مشبهاتُ المشيبِ  
وأخذ بيته الآخر من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

وإنّ سوادِ العينِ في العينِ نورُها وما لبياضِ العينِ نورٌ فيعلمُ  
فأخذه أيضاً أبو الطيب ، فقال في كافور وأحسن :

(١) الغيث المنسجم ٢ : ١٦١ ، معاهد التنصيص ٢ : ٢٣ ، ديوان الصبابة ( على هامش  
تزيين الأسواق ) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وغلّت بياضاً خلفها وماقياً<sup>(١)</sup>  
ولابن الجهم :

وعائب للشمر من جهله مفصلٌ للبيض ذى محك<sup>(٢)</sup>  
قولوا له عني : أما تستحي ! نَـنْ يَجْمَلُ الكافور كالمسك !

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجي ، والناس تبع له حيث قال :  
أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعدة  
لا شك - إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحدة  
على أن العباس<sup>(٣)</sup> بن الأحنف معاصره ، قال :

أحبّ النساء السود من أجل تكتمهن

ومن أجلها أحببت ما كان أسوداً

فجئني بمثل المسك أطيب نكهةً وجئني بمثل الليل أطيب مرقداً

أخذ بيته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحبُّ لحبها السودان حتى أحبّ لحبها سود الكلاب

وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض :

وبعض ما فضل السواد به والحق ذو سلم وذو نفق  
ألا يعيب السواد خلكته وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على

تحسين القبيح ، والأمر الجمع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الشمريني)

(٣) كذا في ب ، وفي ط ، ١ : ٥ على ابن العباس ، تصحيف ، ولم أجد الأبيات في

ديوان عباس بن الأحنف .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ١)

قال الجاحظ: العرب تمدح بالبياض، وتهجو بالسواد، وربما مدحوا بالسواد، ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه، وأنشد:

لهم ديباجةٌ عُرِفَتْ قديمًا  
بياضٌ في الوجوه وفي الجلودِ  
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله:

يامشيهما في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمه<sup>(١)</sup>  
خاتك من خلتك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة<sup>(٢)</sup>

قوله: «جيب ما بين فرغانة وغانة»، ماها هنا بمعنى الذي، كأنه قال: جيب الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق، وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال، فاهى التي أوجبت ما بين البلدين ما ذكر أن يعم بالشيء؛ ولوسقطت لم يلزم العموم، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى قول حبيب:

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب<sup>(٣)</sup> وغادرت ربعي من ركابي سباسب<sup>(٤)</sup>  
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرقٍ وشرقت حتى قد نسيت المغارباً

قوله: «أخوض الغار»، أي أدخل المياه الغزيرة فأجوزها. أفتحم الأخطار، أي أترامى في المخاوف. والخطر: الغرر. والأوطار: الحاجات. وقال أبو عمر القسطلي<sup>(٤)</sup> فيما يتعلق بهذا:

يقولون في طول السفار وإنما لتقبيل كف العامري سفير  
وذا ذعبي أريد ماء المتكافوز آجناً إلى حيث ماء المكرمات تميز

(١) ديوانه ١٧، وفيه: «في لونه فله».

(٢) في الديوان: «فانك من خاتك».

(٣) ديوانه ١٧، والسباسب: القفار الفسيحة.

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن جاجان بن عيسى بن دار، المعروف بلقب القسطلي، في طبرستان أبو عمرو، جعل يذكر في بعض تراجمه؛ وقد نبه إليه الدكتور محمود مكي في حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١، والأبيات في ديوانه ٢٩٨.

(١) ديوانه ٢٢٢ - ٢٢٣



ألم تلعن أن الثواء هو النوى وأن بيوت العاجزين قبور  
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزء خطير  
وقال النابغة الجعدي :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر<sup>(١)</sup>

فسير في بلاد الله والتمس القنى تمش ذا يسار أو تموت فتُغذراً  
وقال ابن سارة :

سافر فإنّ القنى من بات مفتحاً قفل المصاح بفتح من السفر  
إن شئت خضرتها يا ابن الرخاء فكن

في طى عمر الفيافي نأى الحصر  
ولا يصدّك عن أمرٍ تصعبه قد ينفع الكوثر السلسال من حجر  
لا بد أن يقع المطلوب في شرك ولو بنى وكوره في دائرة القمر

[ باب في الحضّ على السفر وترك العجز ]

ومما ينتظم في باب الحضّ على السفر وترك العجز قولهم : لا ينبغي للعاقل  
أن يكون إلا في إحدى المنزلتين ، إما في الغاية من طلب الدنيا ، وإما في الغاية  
من تركها ، ولا ينبغي للعاقل أن يرى إلا في أحد مكانين ، إما مع الملوك مكرماً ،  
وإما مع العباد متبتلاً ، ولا يعدّ الغرم غرماً إلا إذا ساق غنماً ، ولا انعم غنماً إلا  
إذا ساق غرماً ؛ ونظم هذا المعنى فقال :

ذِرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ فِيهَا      وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا<sup>(١)</sup>  
وَأَصْبِحْ وَاحِدَ الرَّجُلِينَ إِمَّا      مَلِيكًا فِي الْعَشَائِرِ أَوْ أَيْلًا

الأيل : الراهب .

وفي كتاب الهند : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب .

وفي التوراة : ابن آدم ، خُلقتَ من الحركة إلى الحركة ، فتحرك وأنا معك -

وفي بعض الكتب : امدد يدك إلى بابٍ من العمل ؛ أفتح لك باباً من

الرزق .

وقالوا : مَنْ ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهِ أَتَكَلَّ عَلَى رِزْقِ غَيْرِهِ .

وقال علي رضي الله عنه : الحرص مقدمة الكون .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس : ما المروءة فيكم ؟ قالوا :

العفة والحِرْفَةُ .

ورثي عكرمة وراء نهر بئح ، فقيل له : ما جاء بك هاهنا ؟ فقال : بناتي .

وقال رجل لمعروف الكرخي : يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس ؟

قال : لا بل تحرك ، فإنه أصلح لك ، فقال : أتقول هذا ؟ قال : وما أنا قاتله

ولكن الله عز وجل أمر به ، قال لمريم عليها السلام : ﴿ وَهَزِّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ

النَّخْلَةِ تَسَاقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴾<sup>(٢)</sup> ولو شاء لأنزله عليها .

وأنشد الثعالبي :

ألم ترَ أن الله أوحى لمريم      وهزّي إليك الجذع يساقط الرطب

(١) سقط الزند ١٣٧١ .

(٢) سورة مريم ٢٥

ولو شاء أن تجنيه من غير هزّها جنته ، ولكن كل شيء له سبب  
وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تلوموا السفر ؛ فإنّي أدركت فيه ما لم  
يدركه أحد ؛ يريد أن الله كلّه فيه .

ونظم هذا المعنى حبيب فقال :

إنّ موسى صلّى على روجه الله صلاةً كثيرةً القدس<sup>(١)</sup>  
صار نبياً وعظماً بعبّيته في جدوة للصلاة والقبس<sup>(٢)</sup>

قال المؤمنون : لا شيء ألدّ من السفر في كفاية ؛ لأنك تحمل كل يوم في محلّة  
لم تحلّها ، وتعاشر قوماً لم تعاشرهم .

الثعالبي : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ، وبدائع  
الأقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيد علماً بقدرة الله ، ويدعوه إلى شكر نعمته .

وفي الأثر الصحيح : سافروا تصحّوا وتغنموا .

آخر : السفر يشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويشهّي إلى الطعام .

آخر : ليس بينك وبين بلد نَسب ، فخير البلاد ما حملك .

قال ابن رشيّق : كتبت إلى بعض إخواني : مثل الرجل القاعد - أعزّك الله -  
كمثل الماء الراكد ، إن ترك تغير ، وإن تحرّك تكدر ، ومثل المسافر كالسحاب  
الماطر ، هو لاء يدعونه رحمة ، وهو لاء يدعونه نقمة ، فإذا اتصلت أيامه ، ثقل  
مقامه ، وكثر لوائه ، فاجمع لنفسك فرجة الغيبة ، وفرحة الأوبة ، والسلام .

وقال ابن رشيّق :

غِبْ عن بلادك وارحُ حسن مغبّةٍ إن كنت حقاً تشتكي الإقلاقاً<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١٧٠ . والقدس : الطهارة

(٢) البنية : المطاب . الجدوة : الحرّة ، والصلاة ، التدفؤ .

(٣) نقله في التنف ٥٩

فالبدرُ لم يُجِيفْ به إِدْبَارُهُ أَلَا يَسَافِرُ يَطْلُبُ الإِقْبَالَ  
وقال أبو الطَّيِّبِ :

وما بلد الإنسان غير الموافقِ ولأهله الأذنون غير الأصادقِ<sup>(١)</sup>  
وقال البحترى :

وإذا ما تذكرت لى بلادُ أو صديقُ فإِنِّى بالخيارِ<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو الطَّيِّبِ :

إذا لم أجدُ فى بلدةٍ ما أريده فعندى لأخرى عَزْمَةٌ وِرِكَابُ  
وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

لا يمنعك خفض العيشِ فى دَعَاةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ<sup>(٣)</sup>  
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

أى لا يمنعك الشوقُ إلى الوطنِ فى الغربية من الاستمتاعِ ببلدةِ العيشِ ،  
فالأرضُ واحدة ، والناسُ جنسٌ واحد . وفى غير الحماسة :

لا يمنعك خفضُ العيشِ فى دَعَاةٍ من أن تبدلَ أوطاناً بأوطانِ  
برفعِ «خفض» ، أى لا يمنعك عيشك الهنىء فى بلدك أن تجول فى البلدان ،  
وترى الناسَ ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافرُ يسمع العجائب ، ويكشف التجارب ، ويحلب المكاسب .  
أوحشُ أهلك إذا كان أنسُك فى إيمحاشهم ، واهجر وطنك إذا نبتَ نفسك عنه .  
قيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدعة ! قال : لودامت  
الشمس عليك يومين للتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) ديوانه ١٥١ ، ديوان المانى ١ : ٩٩٢ .

أخذه حبيب فقال :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ      لذيّاجتئيه فاعترَبَ تتجددٌ (١)  
فإني رأيتُ الشَّمسَ زِيدتْ مَحَبَّةً      إلى النَّاسِ أَنْ لَيْستْ عَلَيْهِمُ بِسَرْمَدٍ

وقال الحكماء: لاتنال الراحة إلا بالتعب، ولا تدرك الدعة إلا بالتصّب .

وقال حبيب :

على أنى لم أحوٍ وَفرا مجمَعاً      ففزت به إلا بشملٍ مبددٍ (٢)  
ولم تُعْطِنِي الأيامُ يوماً مسكناً      ألذَّ به إلا بنومٍ مُشرّدٍ

وقال ابن عبد ربه: هل يجوز في عقل، أو يمثل في وهم، أو يصح في قياس، أن يُحصّد زرعٌ بغير بذر، أو يثمر مالٌ بغير طلب، أو تُجنى ثمرة بغير غرس، أو يُورى زندٌ بغير قدح! وقد يكون الإكداء مع الكد، والخينة مع الغيبة.

وقال الشاعر :

ومازلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ      من المشرقين إلى المغربين  
وأدرع الخوفَ تحت الدُّجى      وأستصحب الجُدَى والفرقدَيْن  
وأطوى وأشرُّ ثوبَ الهمومِ      إلى أن رجعتُ بخفي حُنَيْنِ

وقال ابن رشيقي :

بُعْطَى الفَتَى فينالُ في دَعَةٍ      ما لم ينل بالكُدِّ والتَّعَبِ (٣)  
فاطْلُبْ لِنَفْسِكَ فَضْلَ راحَتِهَا      إذ لَيْستِ الأشياءُ بالَطَّلَبِ  
إن كان لا رزقٌ بلا سببٍ      فرجاء ربِّكَ أعظمُ السَّبَبِ

وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠، ١٠١ .

(٢) ديوانه ١٠٠، وفيه: «ولكني لم أحو» .

(٣) نقله في التنف ١١ .

قد يُرْزَقُ الخَافِضُ المَقِيمُ وما  
ويَحْرَمُ المَالُ ذُو المَطِيَّةِ والرِّءُ  
شَدَّ لِعُنْسِ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا (١)  
حَلَّ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا

وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المرءُ لم تتعب رِواحِلُهُ  
إِنِّي وَعَمْرُكَ مَا أَحْصَى ذَوِي حَقِّي  
ويَحْرَمُ الرِّزْقَ بِالسَّفَارِ والتَّعَبِ  
الرِّزْقَ أُعَدِّي بِهِمْ مِنْ لاصِقِ الحَرْبِ

ولآخر :

أَلَا رَبَّ بَاغِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا  
وآخر قد تُقْضَى لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ

آخر :

قد يُرْزَقُ المرءُ، لَا مِنْ حُسْنِ حَيْلَتِهِ  
مَامَسْتَنِي مِنْ غَنِيِّ يَوْمٍ وَلَا عَدَمٍ  
وَيُصْرَفُ الرِّزْقُ عَنْ ذِي الحَيْلَةِ الدَّاهِي  
إِلَّا وَقَوْلِي فِيهِ : الحَمْدُ لِلَّهِ

آخر :

لَوْ كَانَ بِاللَّبِّ يَزِدَادُ اللَّيْبُ غَنِيٌّ  
لَكَدَّتْهُ الرِّزْقُ بِالتَّسْطَاسِ مِنْ حِكْمٍ  
لَكَانَ كُلُّ لَيْبٍ مِثْلَ كَأْفُورٍ  
يُقْصَى اللَّيْبُ، وَيُعْطَى كُلُّ مَا خُورٍ

ومثل هذا قليل في كثير وإنما يحكم بالأغلب ، والنَّجْحُ مع الطلَبِ أَكْثَرُ،  
والحرمان للعاجز أصح ، وشرح حبيب هذا المعنى فقال :

هَمَّ الفَتَى فِي الأَرْضِ أَغْصَانُ المَنَى  
أَوْصَى بَعْضُ الحُكَمَاءِ ابْنَهُ وَأَرَادَ سَفْرًا ، فَقَالَ : إِنَّا نَكُ تَدْخُلُ بِلَدَا لَا تَعْرِفُهُ ،  
وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ ، فَتَمَسَّكَ بِوَصِيَّتِي تَنْفِقُ بِهَا ؛ عَلَيْكَ بِحَسَنِ الشَّمَائِلِ ؛ فَإِنَّهَا تَدَلُّ عَلَى  
الْحَرِيَّةِ ، وَنَقَاءِ الأَطْرَافِ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِالمُلُوكِيَّةِ ، وَنِظَافَةِ البِزَّةِ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِالنِّسَاءِ فِي  
النِّعْمَةِ ، وَطِيبِ الرِّائِحَةِ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ المَرْوَةَ ، وَالأَدَبَ الجَمِيلَ فَإِنَّهُ يُكَسِبُ الحِجْبَةَ ،  
وَلَيْسَ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ ، وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ ، وَلباسُكَ دُونَ قَدْرِكَ ، وَالزَّم

(١) الأغانى ٥ : ٢١ ، من أبيات نسبها إلى بن عبد الملأ

«الحياء والأئفة فإياك إن استحيت من الفظاظة اجتنبت الخساسة ، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لِفَت» ، أخذت ، واللَّفَف: أخدم ايرمى إليك بيدك . ثَقِفَت: قيدت ، ويُمدح الرجل الحازم به فيقال: فلان ثَقِفُ لَقِف . والأرِب: العاقل ، وقد أَرَب أَرابة وأَرَبًا ، صار أَرِيبًا ، والأرِب من أَرَبت العُقْدَة أَرَبًا ، شدَّتها . يستميل: يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مرضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه: ما يُرضى القاضى ويوافقه ، وهو جمع مَرَضَاة ، ويقال: صلة الرحم مَرَضَاة للربِّ ، أى يرضيه برّها ، يقول: العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه ، بحسن خلقه حتى يخفّ عليه أمره . ليشتدّ: ليتقوى . جَوْر: ظُلم ، إمامًا: قُدوة ، زمامًا: حبلًا أقودها به . ولجت: دخلت . عرينة: بلدة ، وأصاها بيت الأسد . الراح: اسم الحجر ، وأبهم على ابن الرومى ممّ اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدري لأية علة يدعونها في الراح باسم الراح  
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها للرتاح!

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

\*\*\*

فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشيّة عريّة ، وقد أخضر مال الصدقات ، ليُفضّه على ذوى الفاقات ، إذ حلّ شخصٌ عريّة ، تعتله امرأة مُصيبةٌ فقالت: أيد الله القاضى ، وأدام به التراضى ، إني امرأة من أكرم جرثومة ، وأطهر أرومة ،

وَأَشْرَفِ خُثُولَةٍ وَعَمُومَةٍ ، مِيسَمِي الصَّوْنِ ، وَشِيمَتِي الْهَوْنِ ،  
 وَخُلِقِي نِعْمَ الْعَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي  
 بُنَاةَ الْمَجْدِ ، وَأَرْبَابُ الْجَدِّ ، مَسْكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ ، وَفَافَ  
 وَمُضَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ  
 غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

[ ذكر الإسكندرية ]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي  
 مشى مشارق الأرض ومغاربها . قال السديّ : لما سأل أهل الكتاب النبيّ  
 صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، قال : سأخبركم كما تجدونه مكتوباً عندكم :  
 إنَّ أول أمره أنه غلام من الروم ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فسار حتى أتى ساحل البحر  
 من أرض مصر ، فابتنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية .

وقال الهمذانيّ : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤدّبه  
 أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الذي بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر  
 عاماً ، والإسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الأبيض جدُّرها وأرضها ، فكان  
 لباسهم فيها السواد من نضوع بياض الرخام ، وإذا كانت ليلة مقمرة يُدْخِلُ  
 الخياط الخيط في خرّق الإبرة من بياض رخامها .

وقيل : إنها مكثت سبعين عاماً لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء  
 من بياض جِصِّها ورُخامها ، ولم يخرج لها في تلك المدة إلى سراج بالليل من  
 ضيائها . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .



قال ابن جبير: ما شهدنا<sup>(١)</sup> بلداً أوسع مسالك، ولا أعلى بناء، ولا أعتق ولا أحفل من الإسكندرية، وأسواقها في نهاية الاحتفال ومن أعجب ما قرى وصفاً أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق، لأن الماء إذا جاء من النيل يخترق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض، فتتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضاً، وعابنا فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وعلواً واتساقاً وحسناً مالا يُتخيل إلا بالوهم؛ حتى إنك تلقى بعض سواريتها يغص بها الجوهر صعوداً لا يدرى معناها، ولا لأى شيء وضعت إلا ما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنار، آية للمتوسمين وهداية للمسافرين، لولاه ما اهدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، ومبناه في نهاية العتاقة والوثاقة طولاً وعرضاً، يراحم الجوهر سماءاً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف، وينحصر دونه الطرف، الخبر عنه يصيق، والمشاهدة له تسع، ذرعتنا أحد جوانبه الأربع، فالفينا فيه ثماناً وخمسين باعاً، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة

وأما داخله فرأى هائل، اتساع معارج، ومداخل<sup>(٢)</sup> وكثرة مساكن. حتى إن الواج في مسالكه ربما ضل. وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة، يتبرك الناس بالصلاة فيه، طلعنا إليه، وشهدنا من شأن مبناه عجباً لا يستوفيه وصف واصف، والله تعالى لا يخليه من عزة الإسلام.

\* \* \*

قوله «عشية عربية»، أى باردة. بفضه: بفرقة. ذوى الفاقات: أهل الفقر والحاجات. عفرية: يقال رجل عفرية وعفر وعفري، إذا كان صحيحاً شديداً موثقاً

(١) رحلة ابن جبير ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) ط: «دواخل»، وما أنبته من أ، ب وابن جبير.

«الخلق ، أخذ من عَفَرِ الأَرْضِ ، وهو التراب ، أى من عَلِقَ به عفره بالأرض ومنه لَيْثٌ عَفْرَيْنٌ ، أى لَيْثٌ لِيُوثٌ ، مَعْفَرٌ لِفْرِيسَتِهِ . قال النخيل : رجل عَفْرٌ بَيْنَ العَفَارَةِ ، إِذَا وَصِفَ بِالشَّيْطَانَةِ ، وَالعَفِيرُ أَيضاً : الظَّرِيفُ الكَيْسُ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ : عَفْرِيَتٌ وَعَفْرِيَةٌ ، وَهِيَ عَفْرَابِيَةٌ . وقرئ : ﴿ قَالَ عَفْرِيَةٌ مِّنَ الجِنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وفي الحديث : « إِنْ اللهُ لَيُبَغِضَ العَفْرِيَتِ النَّفْرِيَتِ » ، قِيلَ هُوَ الجُمُوعُ المُنُوعُ .

وقال أبو عثمان النهديّ : دخل رجل عظيم الجسم على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له : متى عهدك بالحلى . قال : ما أعرفها ، قال : فبالصدّاع ؟ قال : ما أدري ماهو ! قال : أفأصبّت بمالك ؟ قال : لا ، قال : أفرضيت بولدك ؟ قال : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللهُ يُبَغِضَ العَفْرِيَتِ النَّفْرِيَتِ » ، وهو الذى لا يبرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله .

وقوله : «تعتله» ، أى تسوقه بعنف ، وكذلك تدعّه . مُصْبِيَةٌ : لهاصبىّ . جرتومة : أصل ، وكذلك أرومة . ميسى : علامتى . الصّون : الصيانة والاشباض . شيمتى : طبيعتى . الهون : الرفق . بون : بُعد . بناء : جمع بان ، والمجد : الشرف الضخم ، وأصله من الإبل المواجد ، وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت . وأجد هاراعمها ، إذا رعاها بحيث تمجد ، ومجدت وهى تمجد : رعت فامتلات . وحكى الأصمعى قال : أتيت شعبة يوماً ؛ وعنده حماد بن سلمة ، وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة : يا أبا سلمة ، هذا الفتى الذى ذكرت لك ، فقال حماد : يا بنى كيف تنشديت الحطيئة : « أولئك قوم . . . » ؟ فابتدأت القصيدة من أولها :

ألا طرفتنا بعد ما هجعت هندُ وقد سيرنَ خمساً واثلاث بها الجديّ <sup>(٢)</sup>

(١) هى قراءة عيسى التقي ، وانظر تفسير القرطبي ١٣ : ٢٠٣ .

(٢) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البني وإن عاهدوا أوفوا وإن عقَدُوا شدًّا<sup>(١)</sup> وقال لي حماد : يا بني إن العرب تقول : بني يبني بناءً في العمران ، ويقولون في الشرف : نبا يَنْبُو نَبْوًا ، فأنشد هذا البيت « أحسنوا البني » ، فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لقتني .

قوله : « أرباب الجدِّ » . أي أصحاب السعد والمال ، والعرب تقول : لفلان جدٌّ في الدنيا ، أي حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :

\* وقام جدُّهم بني أبيهم<sup>(٢)</sup> \*

وقال آخر :

عش بجدِّ ولا يضرُّكَ نوْكُ إنما عيشُ من ترَى بالجدودِ  
وجدَّ الرجلُ : صار له جدٌّ ، وأجدّه الله : جعل له جدًّا ، وما كنت ذا جدِّ ، ولقد جدِّدت تجمد ، ورجل جديد : حظيظ من الجدِّ والحظ .  
أبو عبيد قوله : « ولا ينفَعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ »<sup>(٣)</sup> ، أي ولا ينفَعُ ذا الفنى منك غناه إنما تنفعه طاعته . يعقوب : أي من كان له حظ في الدنيا لم ينفعه ذلك في الآخرة .

بكتهم : قطع كلامهم وأهانهم . عاف : كره . وصلتهم : اتصاهم به ،  
والوَصْلَةُ : سبب التواصل ، وهي في الآدميين ما يصل واحدًا بآخر من حُبِّ وغيره ،  
والوَصْلَةُ بالفتح : ما جعلته بين عود وعود ، أو حبل وحبل ، فوصلتهما به . صلتهم : عطيتهم . حِلْفَةٌ : يمين . يضاهر : يخاتن . حِرْقَةٌ : صنعة ومكسب ، وهي فِعْلَةٌ من الحرف وهو الحرمان ، والحارَفُ : الحروم ، كأن صاحبها منع الرزق ، فصار يعالج كسبه .

(١) ديوانه ١٣٨ و بقينه :

\* وبالأشقيين ما كان العقاب \*

(٢) اللسان - جدد ، وفي رواية : الجد ، بكسر الجيم ، أي الاجتهاد والعمل -

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، ومن النساء الغزل »

\* \* \*

فَقِيضَ الْقَدْرُ لِنَصَبِي وَوَصِي ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَاعَةَ  
 نَادَى أَبِي ، فَأَقْسِمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرْطِهِ ، وَادْعَى أَنَّهُ طَامًا  
 نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاعَهُمَا بِيَدْرَةَ ؛ فَاغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرُفِ مُحَالِهِ ؛  
 وَزَوَّجْنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي ، وَرَحَّلَنِي  
 عَنْ أَنَاسِي ، وَتَقَلَّنِي إِلَى كَسْرِهِ ، وَحَصَلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ  
 قُعْدَةً جُبْمَةً ، وَالْفَيْئَةَ ضُجْمَةً نُومَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتَهُ بِرِيَاشٍ  
 وَزِيٍّ ، وَأُنَاتٍ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيئُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،  
 وَيُتَلَفُ ثَمَنُهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَزَّقَ حَالِي بِأَسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ  
 مَالِي فِي عُسْرِهِ .

○ ○ ○

قوله : « قِيض » ، أى قدر وساق . نَصَبِي : تعبي . وَوَصِي : مرضى ،  
 وَنَصَبِ الرَّجُلِ نَصَبًا . أَعْيَا مِنْ التَّعَبِ ، وَوَصَبٌ وَصَبًا : أَتَعَبَهُ الْمَرَضُ ، فَهُوَ نَصَبٌ  
 وَوَصَبٌ . الْخُدَاعَةُ : الْكَثِيرُ الْخُدَاعِ لغيره ، وَبِسُكُونِ الدَّالِ الَّذِي يَخْدَعُهُ غَيْرُهُ  
 كَثِيرًا ؛ التَّحْرِيكُ لِلْفَاعِلِ وَالسُّكُونُ لِلْمَفْعُولِ فِيمَا يَأْتِي عَلَى « فُعَلَةٌ » مِنَ الصِّفَاتِ .  
 نَادَى : مَجْلَسٌ . رَهْطُهُ : قَوْمُهُ ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَجَاعَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ ، وَيَجْمَعُ

أرهُط وأراهط . وفق شرطه : أى موافق ما اشترط . نَظْمُ دُرَّةٍ ، يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ . بَدْرَةٌ : عشرة آلاف درهم ، وأراد بالدُرَّةِ هنا الكلمة ، ويمبربها عن الحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَدْعُوا الدَّرَّةَ في أفواه الكلاب » ، يعنى العلم . اغترت : انخدع ، وهو افتعل من الغرور . زخرف محاله : تزيين باطله ، وأصل زخرف ؛ زين الشيء بالزخرف وهو الذهب . كِنَاسِي : بيتى وأصله للظبي ، وهو من قوله تعالى : ﴿ الجَوَارِ الكِنَاسِ ﴾ <sup>(١)</sup> تشبيهاً لها بالطباء على ما ذكره ابن قتيبة ؛ ويقال له : كِنَاسٌ ومِكنس من الكنس ، كأن الظبية قد كنست مرقدتها ووطأتها . رَحَلَنِي : قتلني وحمَلَنِي على الرَّحْلِ . كِسْرُهُ : بيته ، وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء ، لأن جانب الخباء قد انكسر عن يمينه . أسره : حبسه . قُعدَة : كثير القعود . جُمَمَةٌ : كثير الجثوم ، وهو ملازمة الموضع . ضُجعةٌ : كثير الاضطجاع ، وهو الامتداد على الأرض للنوم . نُومَةٌ : كثير النوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لهم المقت من الله » ، وذكر الذى يكثر النوم بالنهار ، ولم يأخذ من الليل شيئاً ، وفي حديث آخر : « خير أهل شر الزمان مؤمن نُومَةٌ » . أبو عبيدة : هو الحامل الذَّكر الذى لا يعرف الشر وأهله ، فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها ، فإن تصرف فيه اعترضها ممتداً ، فلا تجد معها راحة . رِيَّاشٌ : ثياب ، « فِعال » من الرِّيش ، لأنها تكسو البدن كما يكسو الرِّيش الطائر . زِيٌّ : هيئة حسنة من اللباس . أُمَاثٌ : متاع . رِيٌّ : حالة حسنة ، وأصله الهمز ، فسُهِّل وأدغم ليوافق « زِيّاً » . قال ابن الأنباري : الأُمَاثٌ : المتاع . والرَّوِيُّ والرُّوَاءُ : المنظر ، وما له رؤاء أى ماله منظر واللسان . والحرفان ، من رأيتُ أرى . ما برح : ما زال . الهضم : التقصان . الخضم : الأكل بالفم كله . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . مَرَّقٌ : قطع وأفسد . حَالِي : غنای ، ويروى « مَالِي » مكان « حَالِي » ، وما فيه بمعنى الذى كأنه قال : فرق

الذى لى، ورواية ابن ظفر «بالي» بالياء، وقال: البال: الخاطر، وما لهذا الشيء .  
بال، إذا حَقَّرْتَهُ ، والبال كالحلْد ، تقول خَطَرَ بِنَالِي ، كما تقول : خَطَرَ بِخَلْدِي .  
ونفسى ، وكانَ هذا هو الأصل . والبال : الحال أيضاً ، ومنه قوله :

\* وخالف بال أهل الدار بالي \*

عسره ، أى فقره .

\* \* \*

فَلَمَّا أَنَسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ ، وَغَادَرَ بَيْنِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ ،  
قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّهُ لَا نَجْبًا بَعْدَ بُوسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ،  
فَانْهَضْ لِلِاِكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ ، وَأَجْنِبْنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ ؛ فَرَزَعَمَ أَنَّ  
صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ ، لِأَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،  
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانًا مَا يَنَالُ مَعَهُ  
شِبَعَةٌ ، وَلَا تَرَقًا لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمَعَةٌ ، وَقَدْ قُدُّتُهُ  
إِلَيْكَ ، وَأَخْضَرْتُهُ لَدَيْكَ ، لِتَمَجِّمَ عُوْدَ دَعْوَاهُ ، وَتَحْكَمَ بَيْنَنَا  
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قِصَصَ عَرْسِكَ ،  
فَبَرِهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ نَبْسِكَ ،  
وَأَمَرْتُ بِجَبْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَنْعُمَانِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلْحَرْبِ  
الْعَوَانِ ، وَقَالَ :

• • •

الراحة : القرار والعيش الهنيء ، وأراد بأنقى من الراحة خلوا الكف من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدة وقهر . عطر : طيب ..

[ أصل المثل : لا عطر بعد عروس ]

ولا عطرَ بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ، وأصله أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تَفَلَّةً<sup>(١)</sup> ، فقال لها : أين عِطْرِكِ ؟ قالت : خبأتها لغير هذا الوقت ، فقال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى أبو زيد الأنصاري المثل<sup>(٢)</sup> .

السكري : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له ، فأت عنها ، فترزوها بعده ابن عم لها آخر ، وهي كارهة ، وانطلق بها إلى أهلها وقد زودها طيباً في سَفَط ، فمر بها بقبر عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ، ويا شديد الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فانتهرها زوجها ، وقال : ما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عن المكارم غير نَعَّاس ، يُعْمَلُ السيف صبيحة الباس . ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم الحضر ، مع أشياء كانت تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيوقاً للخنا والمنكر ، طيب النكحة غير أبجر ، ثم أخذت السَفَط وكسرتة على قبر عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . فقال زوجها : ارجعي إلى أهلك ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرفت مغتبطة<sup>(٣)</sup> .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هذيل ، وامرأته هذليّة اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تدبيرك . سلالة : ولد صغير كما سئل من بطن

(١) نفل الشيء : تغيرت رائحته ، وامرأة تَفَلَّةٌ ومثقال .

(٢) اللسان - عرس ، جهرة الأمثال ٢ : ٣٩٥ ، الفناخر ٢١١ .

(٣) فصل المقال ٣٣٨

(٢٣ - شرح مقامات الحريري ١)

أمه ؛ ولهذا سُمِّي ولد الناقة عند النتاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى : سليل ، ثم اتسعوا في السَّلالة فقالوا : فلان كريم السَّلالة . والخلالة : عود تُنقى به الأضراس من الطعام ، شَبَّهت ولدها به في رِقته . ترَقاً : تنقطع . الطَّوى : الجوع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » . تعجُّم : تختبر . دَعَوَاه : ما ادَّعاه من الصنعة ، وعجمت العود : عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه . وعيت : حَفِظت . قِصَص عرسك : حديث زوجك . بَرَهِن : أظهر حُجَّتكَ ، والبُرهان : الحجَّة . لَبَسَكَ : تخليطك والتباس أمرك . أطرق : أمال رأسه إلى الأرض ساكناً . الأفعوان : ذَكَر الأفاعى ، وهذا منقول من قول المتمس :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمًّا<sup>(١)</sup>

ووقع لنا في رواية « لناباه »<sup>(٢)</sup> ، وهي لفة . شمر : احتزم . العوان : التي قُوتل فيها مرة بعد أخرى ، وهي أشد ، والمرأة العوان : التي علت في السن ولم تهرم . والعوان : الثيب ، كانت ذات زوج أو لم تكن ، وعوت المرأة تعويناً ، والجمع عُون .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ \* \* \* يُضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُنْتَحَبُ  
أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ \* \* \* عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَّارِهِ رَيْبٌ  
سَرُوجٌ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا \* \* \* وَالْأَصْلُ غَسَّانٌ حِينَ أَنْتَسِبُ  
وَشُغْلِي الدَّرْسُ ، وَالتَّبَحُّرُ فِي الْعِلْمِ \* \* \* طِلَابِي ، وَحَبَّذَا الطَّلَبُ  
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي \* \* \* مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْحَلْطَبُ

(١) من الأصعية ٩٢ ص ٢٥٦ ، الشجاع : الحية الذكر ، ومساغ ، مفعول من صاغ يسوغ ، وأصل معناه سهولة مدخل الشراب في الخلق .

(٢) يميلونه شاهدا على إلزام المثني الألف في إعرابه .



أُغْوِصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْـتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ  
وَأَجْتَنِي الْيَانِعَ الْجَنِيَّ مِنَ السَّقُولِ ، وَغَيْرِي لِلْمُودِ يَحْتَطِبُ  
وَأَخْذُ اللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا مَا صُنِّمَتْهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبٌ  
وَكَنتُ مِنْ قَبْلِ أُمِّتِي نَشَبًا بِالْأَدَبِ الْمُنْتَقَى وَأَحْتَلِبُ  
وَيْمَتِي أَخْصِي لِحْزَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبٌ  
وَطَالَمَا زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

\* \* \*

قوله : « يُنْتَجِبُ » ، أى يُبْكَى ، ونَجِبٌ نَحِييًّا : أعلن بالبكاء . خصائصه : فضائله وما يختص به من الأفعال الحمودة . رَيْبٌ : شكوك . التَبَجَّرُ : التوسُّع . حِلَابِي : أى طَلَبِي ، وإنما هو للعلم ، وذكر التَبَجَّرُ واللَّالِي والغَوْصُ وغير ذلك مجازاً ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما انتعل رجل قطاً ولا تخفف ولا لبس ثوباً ليغدو في طلب علم يتعلمه إلا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته » . رَوَى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من انتعل ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطو » .

ابن عباس رضی الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْغُدُوُّ وَالرُّوْحُ فِي تَعْلِيمِ الْعِلْمِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَمَادِ فِي سَبِيلِهِ » .

ابن مسعود رضی الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيُرَدَّ بِهِ ضَلَالاً إِلَى هَدًى ، أَوْ بَاطِلاً إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كَعِبَادَةِ مُتَعَبِّدٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « بَصَاغٌ » ، أى يَصْنَعُ . الْهَرِيضُ : الشعر . أَعْوِصُ : أَعْيِبُ فِي الْمَاءِ إِلَى قَعْرِهِ . وَاللَّجَّةُ : مَعْظَمُ الْمَاءِ ، جَعَلَهُ لِلْبَيَانِ مَجَازاً . اللَّالِي : جَمْعُ لَوْلُؤَةٍ أُتْنَخِبُ :

أختار . وقال المسيب بن علس<sup>(١)</sup> في وصف الفانص وانتخابه الدرّة وتشبيهه  
للرأة بها :

كجُمانَةِ البحريّ جاءَ بِها غَواضِها من لُجّةِ البحرِ<sup>(٢)</sup>  
نصفَ النهارِ الماءَ غامرُهُ وشريكه بالغيّب ما بدرِ  
فأصاب مُنذِيتَه فجاءَ بِها صدقيّةٌ كضيفةِ الجُمُرِ  
يُعطى بِها ثَمنا فيمنعُها ويقول صاحبه: ألا تُشريّ!<sup>(٣)</sup>  
وترى الصّارِي يسجدون لها ويضمُّها بيديه للنحر  
وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهي بيضاء مثل جوهرة الفواصِ مُبَيَّرت من جوهرٍ مكنون.  
وقال النابغة :

أو درّةٍ صدقيّةٍ غواضِها بهرج متى يرها يُهَلّ ويسجد  
قوله: «اليانغ» أي الناعم . الجنيّ: الطريّ . أمترى نشباً ، أي أستخرج  
مالاً ، ومربتُ ضرع الناقة: مسحته وحككته ليدرّ اللبن . والنشب ، قيل: هو  
العقار وما لا ينقل ، وكان مالكة قد نشب إليه حيث لا ينتقل به ، كالذي ماله الماشية  
أو الذهب والفضة . المنتقى: المختار ، ويروى «المقتنى» ، وهو المكتسب . ويقال:  
احتلب وحلب حلباً ، والحليب: اللبن ، وهو الحلاب ، والحلاب أيضاً: الإزاء بحلب  
فيه ، وأصله السيلان . وتحلب الضرع: سال ، وانحلبت عينه: سال دمعها . يتمطى:  
يركب . أخصى: باطن قدمي ، وهو ماضر منها وارتفع عن الأرض . الحُرْمته:  
أي لرفعته وشرفه . مراتباً: منازل : والمرتبة منزلة الشرف ، من الرتب وهو

(١) ط: « على » تحريف .

(٢) الأبيات في شعراء النصرانية ٣٥٦ ، وخزانة الأدب ١ : ٥٤٥ .

(٣) ألا تُشريّ ، أي ألا تبع ، كما ذكره ابن الأنباري في الأضداد ٧٤

ها أشرف من الأرض . والرُّتَبُ : جمع رُتْبَةٍ ، وهي بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَبُ الدَّرَجُ تَقَطَعُ فِي الْحَجْرِ لِيَصْعَدَ بِهَا إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ ، وَمِنْهُ رَتَبَ فَلَامَهُ ، إِذَا أْتَمَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا عَلَى نِظَامٍ وَعِندَالٍ . زُفَّتْ : حُجِلَتْ ، مِنْ زَفَفَتِ الْعُرُوسُ إِلَى زَوْجِهَا إِذَا أَهْدَيْتَهَا لَهُ . الصَّلَاتُ : الْعَطَايَا . رَبَيْتُ : مَنْزَلْتُ . لَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُّ ، أَي لَا أَرْضَى أَنْ أَكُونَ تَحْتَ مَنَّةِ كُلِّ أَحَدٍ .

\* \* \*

فَالْيَوْمَ مَنْ يَفْلِقُ الرَّجَاءَ بِهِ      أ كَسَدُ شَيْءٍ فِي سَوِيهِ الْأَدَبُ  
لَا عَرَضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا      يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلَّا وَلَا نَسَبُ  
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفُ      يُتَعَدُّ مِنْ نَنِّهَا وَيُجْتَنَّبُ  
فَخَارَ لُبِّي لِمَا مُنِنْتُ بِهِ      مِنَ اللَّيَالِي وَمَرْفَهَا عَجَبُ  
وَصَاقَ ذَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي      وَسَاوَرَتْنِي الْهُمُومُ وَالسَّكْرُ  
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى      سَلُوكِ مَا يَسْدُ شَيْنُهُ الْحَسَبُ  
فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدُ      وَلَا بَاتُ إِلَيْهِ أَنْقَابُ  
وَادَنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي      بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ  
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَى عَلَى سَنَبِ      خَمْسًا فَلَمَّا أَمْضَى السَّنَبُ  
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضًا      أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرُّ

\* \* \*

مَنْ يَفْلِقُ : مَعْنَى مَنْ اسْتَفْهَمَ <sup>(١)</sup> . يُرْقَبُ : يَرَعَى . إِلٌ : قَرَابَةٌ ، وَإِلٌ : بَقَاءٌ

(١) حاشية ط : قوله : من استفهام ، الظاهر أن من موصولة وعبارة غيره ؛ أي أن من يطلق به الأمل ، ويرجى منه النوال لا يشمل الأدب والمعارف ، حتى صار ذلك كالسلة بالكسادة عنده . انتهى بالحرف . مصححه .

عهد . وسبب : معرفة ووصحبه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾<sup>(١)</sup> ؛ وأصله الخبل ؛ ثم يُستعمل في كل ما يربط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عِرَاصِهِمْ : مواضعهم ، وأصل العِرَاصَةُ ، فناء الدار . يقال : لَبَّ الرَّجُلُ يُلَبُّ لَبَابَةً ، ورجل ملُوب : موصوف باللبابة ، ولَبَّ كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولَبَّ كل شيء : خالسه . مُنِيَت : ابتليت وقد رلى . صَرَفُهَا : تقلبها وتصرفها بما يكره . دَزَعِي : كناية عن صدرى وخُلُقِي ، وأصل الذرع كيل الشيء بالذراع ؛ ثم صار مثلاً ، يقال : ضاق دَزَعِي بكذا إذا لم تحمله وضاق تصرفك فيه . ذات يدي ، أى مالى . ساورتني : واثقتني . الكَرْبُ : الهموم ، وكررها لاختلاف اللفظ . المَلِيمُ : الذى أتى بما يُلام عليه . سُلُوكُ : دخول . يستشِينه : يستعيبه ، والشَيْنُ : العيب . لَبَدُ : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصوف ، وأكثُر ما يستعمل مُزْدَوِجًا مع سَبَدٍ ؛ يقال : ما عنده سَبَدٌ ولا لَبَدٌ ، أى لا شعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والغنم ، ثم صار نفيًا لكل شيء من المال . بَتَات : زاد . أُنْقَلَبُ : أرجع .

أَدَنْتُ : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «فَأَذَانُ مُعْرِضًا»<sup>(٢)</sup> . والسالفة : صفحة العنق ، يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العَطَبِ ، والعَطَبُ : الذى هو الهلاك دونه فى الشدَّة . عائشة رضى الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذَلَّ عَبْدُهُ ابْتَلَاهُ بِالَّذِينَ وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ» ، وقال أنس رضى الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ بِاللَّيْلِ وَمَدَلَّةً بِالنَّهَارِ» ، وروى جابر رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لَا هُمْ إِلَّا هُمُ الَّذِينَ وَلَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعَ الْعَيْنُ» .

الحشى : أسقاط الجوف . سَغَبٌ : جوع . أَمْضَيْتُ : أحرقتى . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) فى حديثه عن أسيف جبينه ، أى استدان معرضا . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذي جاءتني به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عَرَضًا ، أراد « عَرَضًا » فحركة ضرورة ، والعرض الأمتعة هنا ، أخبرني بهذا من يوثق به في اللغة : والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة . وفي العين : العَرَضُ ، بفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لتألم ببق لي مال لم أر مالا إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التي ألزمته ذلك التحريك . أحول : أتصرف . أضطرب : أكثر التردد والتصرف .

\* \* \*

فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ      وَالْعَيْنُ عِبْرِي وَالْقَلْبُ مَكْتَبٌ  
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَّيْتُ بِهِ      حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ الْغَضَبُ  
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا      أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ  
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا      زَخْرَفْتُ قَوْلِي لِيُنَجِّحَ الْأَرْبُ  
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى      كَمْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا التَّجِبُ  
مَا الْمَكْرُ بِالْمَحْصَنَاتِ مِنْ شَيْئِي      وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ  
وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نَيْطَ بَهَا      إِلَّا مَوَاضِي الْيَرَاعِ وَالْكَتِبُ  
بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا      كَفِي ، وَشِعْرِي الْمُنْظُومُ لَا السُّخْبُ  
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُسَارُ إِلَى      مَا كُنْتُ أَخْوِي بَهَا وَاجْتَلِبُ  
فَأَذَنْ لَشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا      وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

عَبْرِي : باكية . مكتئب : حزين . لعبت وتحكمت فيه ؛ يقول :  
ماتصرفت في بيعه الا برضا منها ومتي<sup>(١)</sup> . قوله : « تَوَهُمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ودني ، لاجابة لايه » .

مراسلتها في النكاح . لينجح الأرب : لتفضي الحاجة . تستحبها : تستعملها .  
 التُّجُب : الإبل الكرام . المكر : الخداع ، المحصنات : العفاف . شيمى :  
 خطابى . شعارى : علامتى : التمويه ، تقدم فى الثامنة . نيط : علق ، وناط الشيء  
 نوطاً : علقه . اليراع : الأقلام . والمواضى : السرعة فى الكتابة ؛ يريد أنه فصيح  
 لا يتوقف قلمه . السُّخْب : جمع سخاب ، وهى قلادة قرنفل ليس فيها جوهر  
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظفر : السُّخْب : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطيب  
 أيضا . أخوى : أخوز وأجمع .

فأذن : اسمع . لا تراقب : لاتراع متناً أحدا ولا تؤثره على صاحبه  
 واحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الأبيات المتقدمة من قول ابن هرمة :  
 إني امرؤ لأصوغ الحلىَ تملهُ كفاى لكن لسانى صائغُ الكلمِ  
 وقال آخر :

وإني لنظام القلائد للعلاء ولستُ بنظام القلائد للنَّجْر

\*\*\*

قال : فلما أحكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطف القاضى إلى  
 الفتاة ، بعد أن شُف بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع  
 الحكماء ، وولاة الأحكام ، انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام  
 إلى اللثام ، وإني لإخال بملك صدوقا فى الكلام ، برىا من الملام ،  
 وهأهو قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المحض ، وبين مصداق  
 النظم ، وتبين أنه معروى العظم ؛ وإغناات المَعْدِر ملامة ، ومجنس  
 المُسِير مائة ، وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر

عِبَادَةَ ، فَارْجِي إِلَى خِدْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عُدْرِكَ ، وَنَهْنِيهِ  
 مِنْ غَرْبِكَ ، وَسَلِّمِي لِقِضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي  
 الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْضَةً ، وَقَالَ لَهُمَا :  
 تَمَلَّلاَ بِهَذِهِ الْمَلَالَةِ ، وَتَنَدَيَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ ، وَاصْبِرَا  
 عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكُدِّهِ ، فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ  
 أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَذَا لِلشَّيْخِ فَرَحَةَ الْمَطْلُوقِ مِنَ الْإِسَارِ ،  
 وَهَزَةَ الْمُوسِرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

\* \* \*

قوله : « أحكم » ، أى أتقن . شاده : بناه وزينه ، وشاد البناء : أطاله وعمله  
 بالشيد ، وهو الجص ، ويقال فيه : أشاد ، ويقال : شاد عمله بالشيد وأشاده : أطاله ،  
 هو الأول ، وأشاد الحديث : رفعه ، وعطف : ثنى عنقه وردّها ، وكل ما تننيه  
 من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته . شُعِفَ : أعجب . اقراض : اقتطاع  
 وهلاك . جيل : صنف ، وجيلك : أهل عمرك . بعلك : زوجك ؛ وبعل الرجل  
 بؤولة : تزوج . والقرض : السلف ، أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفاً .  
 صرح : بين . وصرح عن المحض ، مثل يضرب لسرّ الأمر ، إذا انكشف ،  
 وقالوا : أمرٌ صراح ، أى منكشف ظاهر ، والصریح من اللبن : المحض الخالص  
 الذى لا رغوّة فيه ، قال الشاعر :

\* وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنِ الصَّرِيحُ (١) \*

ثم قالوا : لكل شيء خالص : صريح . وقوله : « بين مصداق النظم » ، يريد  
 أن نظمه إنما هو للشعر لا للجوهر . معروق : لا لحم على عظامه ، أى هو فقير  
 (١) أصل المثل : « تحت الرغوّة الصريح » ، وأول من قاله عامر بن الظرب . وانظر  
 جهرة الأمثال ١ : ٢٧٠ .

إعنت : مشقة . المعذر : الذي يجهد نفسه في الشيء ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ،  
 أى قد بين عذره أنه لا يقدر عليه ، وعذر فهو معذر ، إذا قصر في طلب الشيء ،  
 قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال ابن دريد :  
 \* حكم المعذر غير حكم المعذر \*

الملائمة والمأئمة : اللؤم والإثم . والعسر : الفقير : والزهادة : قلة الرغبة ،  
 قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاع  
 واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله ، كان حقاً على الله أن يفتح عليه رزق سنة  
 من حلال » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار  
 الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على  
 جهد ثلاثاً إلا أتاهم الله عز وجل برزق » .

خدرك : بيتك ، وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة . أبا عذرك :  
 زوجك المفضل لك . نههى : كفى . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نههى »  
 من غربك ، أى غيضى من دموعك ، والغرب : فيض الدمع ، والأوّل أشبه .  
 سلمى : اتقادى . فرّض ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولها : أعطاهما . قبصة :  
 ما أخذت بأطراف أصابعك . الملالاة : الشيء القليل . تعللاً : خذاً منه شيئاً بعد  
 شيء ، وكذلك تندياً ، وأصل الملالاة بقية الماء في الإناء ، وبقية اللبن في الصرّع  
 بعد الحلب ، قال الراجز :

\* يرضعها الدرّة والمّلاله \*<sup>(٢)</sup>

(٢) اللسان - عتل ، وروايته : « ترضعى » ، وقوله :

\* أحمل أمى وهى الحماله \*

(١) سورة التوبة ٩٠



والبلاة : الندى القليل بيلُّ وجه الأرض . كيد : مكر . كدّه : جهده  
وأنشد أبو مخجنّ الثقفي :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه له كلُّ يومٍ في خليقته أمرٌ  
عسى ماترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألحّ به الدهرُ  
إذا اشتدَّ عسرُ فارحُ يُسرًا فإنه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسرُ

الإسار : الجبل يشدّ به الأسير . هزة : طرب . الموسر : الغنى . الإعسار :  
الفقر ، وسئل حكيم : أيّ الأشياء أحلى ؟ قال : النصرّة على العدو بعد الهزيمة ،  
والاستغناء بعد الحاجة ، والغلبة للمتكلم .

\* \* \*

قال الراوى : وكنتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةَ بَرَزَتْ  
شَمْسُهُ ، وَنَزَعَتْ عِزُّهُ ، وَكِدْتُ أَفْصِحُ عَنْ افْتِنَانِهِ ؛ وَإِنَّمَا  
أَفْنَانُهُ ؛ ثُمَّ أَشْفَقْتُ مِنْ عُنُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ ، وَتَزْوِيقِ  
لِسَانِهِ ، فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ ، أَنْ يُرَشِّحَهُ لِإِحْسَانِهِ ، فَأَحْجَمْتُ  
عَنِ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرتَابِ ، وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَى السَّجْلِ لِلْكِتَابِ ؛  
إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَّلَ ، وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ : لَوْ أَنَّ لَنَا  
مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَمْرِهِ ، لِأَنَّا بِفِصِّ خَبْرِهِ ، وَبِمَا يُنْشَرُّ مِنْ حَبْرِهِ ا  
فَاتَّبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدَ أَمْنَانِهِ ، وَأَمْرَهُ بِالْتَجَسُّسِ عَنْ أُنْبَانِهِ ،  
فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهِّدًا ، وَفِيهِرَ مُقْبِهِهَا ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : مَهْمِيمٌ ،  
يَا أَبَا مَرْيَمَ ، فَقَالَ : لَقَدْ حَايَنْتُ عَجَبًا ، وَسَمِعْتُ مَا أَنْشَأَ لِي طَرَبًا ،

## هَقَالَه : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَيْتُ ا

\*\*\*

قوله : « بزغت » ، أى طلعت . ونزغت : نشرت وقابلته بالشر والذِّكْر  
 القبيح ، وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضي . أفصح : أبين . افتنانه :  
 تنوعه . إثمار : إخراج الثمر ، وهو حمل كل شجرة . أفنانه : أغصانه . أشفتت :  
 خافت . عثور : ظهور ، وعثر على الأمر : أطلع عليه . بهتانه : باطله وكذبه .  
 تزويق : تزيين ، وهو من الزَّووق الذى يعرفه العامة بالزَّواق ، أى أنه تزيين  
 نفي الظاهر ، وليس له ثبات . عرفانه : تقدم معرفته . يرشحه : يهبثه ، وفلان يرشح  
 لكذا ، أى يؤهل له ، من رشحت الأم ولدها باللبن ، إذا جعلته في فيه شيئاً بعد  
 شيء حتى يقوى ، وقيل : الترشيح : التربية ، وقيل : هو تحنن الأم على ولدها من  
 الشدة . أحججت : تأخرت . المرتاب : صاحب الريبة . طويت : سترت . السَّجَل :  
 الورق . والكتاب : المكتوب فيها ، وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ ﴾ (١) ،  
 قيل : السَّجَل : اسم كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ملك من السماء الثالثة ترفع  
 إليه الحظوظة أعمال العباد كل خميس واثنين . فصل : زال وانفصل . بفص خبره :  
 بحقيقة أمره . ينشر : يظهر . حبره : حسن كلامه ، وأصله ثياب يمانية مزينة ،  
 ونشرها : حابها من طيها . التجسس : البحث . أنبائه : أخباره . ما لبث ، أى  
 ما أقام ، والمعنى ما لبث شيئاً حتى رجع . متدهداً : متحرراً ، والتدهده : قد ذلك  
 الحجر من أعلى إلى أسفل . قهقر : رجع إلى خلف . مقهقهاً : مبالغاً في الضحك ،  
 والقهقهة : حكاية صوت الضاحك . مهيم : كلمة استفهام ، معناها : ما الأمر ؟  
 عاينت : رأيت . أنشأ : أحدث ، وتقديره : سمعت شيئاً أحدث لى ذلك الشيء .

(١) سورة الأنبياء ١٠٤ .

المسموع الطَّرب ، ولا يكون «أنشأ» فعلاً لأبي زيد ، إنما هو فعل «ما» من قوله : «ما أنشأ» . وعيت : حفظت .

\* \* \*

قال : ولم يزل الشيخ مُذْ خَرَجَ مِصْفَقُ بِيَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيُمَرِّدُ عِلَّ شِدْقَيْهِ ، وَيَقُولُ :

كَدْتُ أَصْلِي بِيَلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَعْرِيهِ  
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيهِ  
فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِينَتُهُ ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ ،  
فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْاسْتِغْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ  
بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَدِّبِينَ . ثُمَّ قَالَ  
لِذَلِكَ الْأَمِينِ : عَلَىَّ بِهِ ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدِّدًا فِي طَلْبِهِ . ثُمَّ مَا دَبَّ بَعْدَ  
لَايِهِ ، مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ ، لَكُنِّي  
الْحَذَرَ ، ثُمَّ لَأَوْ لَيْتَهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى ، وَلَأَرَيْتَهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ  
لَهُ مِنَ الْأُولَى .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَفْوَةَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوَتْ  
ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ ،  
وَالْكُسَيْمِي لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ .

\* \* \*

يصفق بيديه : يضرب بكفيه . يخالف بين رجليه : يبعث بهما في مشيه

خضع كل رجلٍ موضع الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه يضرب بكأيه ويرقص . يفرّد : يعنى . بملء شذقيه ، أى بصوت شديد تمتلئ به أشداه .

وملء القدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطنى ملء القدح ماء ، وأعطنى ملأيه ، وأعطنى ثلاثة أملائه .

أصلى ببلية ، أى قربتُ أن أحترق بها وأتصلّى بها ، والبلية : الصيبة يبتلئ بها ، وقآح ، جمع وقاحة ، وهى صلابة الوجه ، وأصلها من الحافر الصُّلب ، وقال بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعملُ المبرّدُ فى وجهه بل وجهه يعمل فى المبرّدِ

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد . شمريّة ، أى شديدة القحّة ، قال الأصبغى : سألت أعرابياً ، وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شمريّة . هوت : سقطت . ديننته : قلنسوته ، وهذه اللفظة إنما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ، وديننته بنونين لتوافق «سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قلنسوة محدّدة الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لَنَكِّك :

نفسى تقيك أبا الهذامِ يا أملي      إني بكلّ الذى ترضاه لى راضى<sup>(١)</sup>  
ما كان أيرى ققيها إذ ظفرت به      فكيف ألبسته دينيّة القاضى  
وقال الصابى :

وفوقه دينيّةٌ      تذهبُ طوراً وتجي

(١) يتيمة الدهر .

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « تقيك أبا الهذام كل أذى » ، وأبو الهذام شاعرا اسمه كلاب بن حرة ؛ كان ابن لَنَكِّك مولعا بهجائه .

ذَوْت : زالت وخفيت . سكينته : وقاره ، وأصل ذَوَى ، في الشيء الذي فيه بللٌ وندوة ، فيجفّ بله ، فاستعاره للسكينة . فاء : رجع . وعقب : أتبع . الاستغراب : كثرة الضحك ، حتى تدمع العينان ؛ أراد أنه أتبع ضحكه الاستغفار ليكون كغفارة له ، وهذا الذي حُكِيَ عن القاضي يُحْكِي مثاله عن الحجاج ، يقال : إنه كان إذا استغرب ضحكاً يوالى من الاستغفار .

وقال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً . . . ﴾<sup>(١)</sup> الآية ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ . . . ﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : من قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » خمس مرات ، غفر له ولو فرّ من الزحف .

شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيّد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت وأنا عبدك أصبحت على عهدك<sup>(٣)</sup> ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شرّ ما صنعت ، أبوء بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

وأصل غفر واستغفر غطى . قال قطرب : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أي غطها ، من قول العرب : غفرت المتاع في الوعاء أغفره غفراً ، أي غطيته . ثعلب : غفّر الرجل في مرضه يغفر غفراً ، أي نكس ، فكان المرض غطى عليه . وقال الأصمعي رحمه الله : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أي استرها علينا ، ومنه : اصبح ثوبك ، فإنه أغفر للوسخ ، أي أستر ، وهذه معان متقاربة .

(٢) النساء ١١٠ .

(١) آل عمران ١٣٥

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك » ، وفي آخر الحديث : « ومن قالها من الليل وهو موقن بها مات قبل أن يصبح كان من أهل الجنة » .

قوله: «عَلَىَّ بِهِ»، أى جئني به. مجداً: مجتهداً في طلبه. لأبيه: إبطائه. نأيه: بعده. الحذر: الخوف. أوليته، بمعنى وليته وأعطيته. أولى: أحق، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله في المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أوّل مرة. قوله: «صفو»، أى ميل. فَوَتْ: ذهاب. التنبيه: الإعلام. غشيتني: غطتني. ولحقتني. أبان: طلق. النوار: بنت عم الفرزدق وزوجه. استبان: تبين.

وقال الشاعر:

لو أن صدور الأمر تبرزلفتي كأعقابه لم تلتفه يتندّم

[ ذكر الفرزدق وبعض أخباره ]

والفرزدق اسمه هام بن غالب بن صعصعة، دارى من أشراف تميم، والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه، والفرزدق: قطعة العجين، وقيل: الرغيف الضخم.

وخبر مع النوار بنت أعين المجاشعي، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم، فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليها إذا كان ابن عمها، فقال: إن بالشام من أقرب إليك منى ولواء، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم، فينكر ذلك على، فاشهدى أنك جعلت أمرك إلى. فجعلت له أمرها أن يزوجه من يرى، وأشهدت له بذلك، فقال لها: أرسلني إلى القوم أزوتك ممن خطبك. فلما غصّ مسجد بني مجاشع ببني تميم جاء الفرزدق، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد علمت أن النوار ولتني أمرها، وأشهدكم أنني قد زوتتها من نفسي، فنشزت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعيها أمراء البصرة، أن يطلقوها منه. وأعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تحمّلها قومٌ من بني عدى ، يقال لهم بنو نسير إلى مكة ، فصحبهم  
النّوار ، فقال الفرزدق :

وقد سخّطت مني النّوار الذي ارتضى      به قباها الأزواج ، خاب رحيلها<sup>(١)</sup>  
أطاعت بني أمّ النّسِيرِ فأصبحت      على شارفٍ ورفاء صعب ذلولها<sup>(٢)</sup>  
وإن امرأً يسعى ليفسد زوجته<sup>(٣)</sup>      كساعٍ إلى أسدٍ الشّرى يستبيلها<sup>(٤)</sup>  
ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ      وبسطة أيدٍ يمنع الضّيم طولها  
وإنّ أمير المؤمنين لعالم      بتأويل ما وصّى العباد رسولها

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النّوار على بنت منظور بن  
زبان زوجة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنه حمزة ، وقال :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي      إن النّوءه باسمه الموثوق<sup>(٥)</sup>  
بأبي عمارة خير من وطئ الحصى      وجرت له في الصالحين عروق  
بين الحوارى الأغرّ وهاشم      ثم الخليفة بعد الصّدّيق

فكان كلُّ ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهراً أفسده  
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النّوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أمّا البنون فلم تُقبلْ شفاعتهم      وشهقت بنت منظور بن زباناً<sup>(٥)</sup>  
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤزراً      مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً

فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقّف في أمره ، فلقبه يوماً بباب المسجد ، فضمه  
إلى الحائط ، حتى كادت ترهق نفس الفرزدق . وكان الزبير في غاية من القوّة ، ثم

(١) ديوانه ٦٠٤ ، ٥٦٠ ، النقايس ٤٠٤ ، طبقات الشعراء ٢٨١ (٢) الشارف : الناقة المسنة .

(٣) يستبيلها : يأخذ بولها بيده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٣ ، النقايس ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤ - شرح مقامات الحريري ١)

هزه وتركه خائفاً. ثم دخل على النّوار ، فقال لها : إِمّا أن تُتِمِّي زواج ابن عمك وإلا قتلتُه ، وأرحت المسلمين من شرّ لسانه ، فقالت له : ولا بدّ أن تقتله ؟ قال : ولا بدّ ، فعطفها عليه رَحِمِ القرابة ، وقالت : لا والله لا أدعُهُ للقتل ، قدرضيته . فتزوَّجها ، فحكّم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم ، فسأل : هل بمكة أحد يعينه ؟ فُدِّلَ على سلم بن زياد ، وكان ابن الزبير قد حبَّسه ، فقال :

دَعِيَ مُغْلِقِي الأبواب دون فهاهم      ومُرِّي بمسرِّي لي هُبُلْتِ إلى سَلَمِ (١)  
إلى مَنْ يري المعروف سهلاً سبيله      ويفعل أفعال الكرام التي تَنْبِي

ثم دخل على سلم ؛ وأنشده القصيدة ، فقال : هي لك ومثلها لنفقتك ، فقبض عشرين ألفاً ، فدفع مهرها ، فدخل بها ، وأحبها قبل أن تخرج من مكة ، ثم خرج بها ، وهما عدلان في محمل ، وكانت أبدأً تخالفه وتسبّه ، لأنها كانت صالحة الدين ، وكان هو رديء الدين ، زانياً قاذفاً للمحصنات ، فكانت تكرهه .

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها ، فامتنت عليه ، فتهدَّدها بالهجاء ، فاستعانت بالنّوار ، فقالت : واعديه ليلة ؛ ثم أعلميني . ففعلت ، وجاءت النّوار ، ودخلت الحجلّة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت ، أمرت الجارية فأطفت السراج ، وبادر الحجلّة والنّوار فيها ، وهو لا يشكّ أنها صاحبة الدار ، فواقمها . فلما فرغ قالت : يا عدو الله ، يا فاسق ! فعرفها ، وعلم أنه قد خُدِعَ ، فقال لها : وأنت هي ! ياسبحان الله ! ما أطيبك حراماً ، وأبرذك حلالاً ! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبفضها .

فحدّث أبو معقل راويته ، قال : قال لي الفرزدق يوماً : امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإني أريد أن أطلق النّوار ، فقلت : إني أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد



عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فجننا حتى وقفنا على الحسن فقال :  
 كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :  
 لتعلمن أن النوار طالق مني ثلاثاً ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :  
 فانطلقنا ، فقال الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النوار شيئاً ، فقلت : قد  
 حذرتك ، فقال :

ندمتُ ندامةَ الكسعيِّ لما      غدتِ مِنِّي مطلقَةً نواراً<sup>(١)</sup>  
 وكانتِ جنَّتِي فخرجتُ منها      كأدم حين أخرجهُ الضُّرَّارُ  
 ولو أني ملكت يدي ونفسي      لأصبح لي على القَدَرِ اختيارُ  
 وكنت كفاقي عينيهِ عمداً      فأصبح ما يُضِيءُ له نهارُ

وتوفى سنة عشر ومائة. وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن ، فقالت  
 امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه ، وأضافت جريراً إلى البصرة  
 لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره تطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعاقق  
 بالنوار معه .

[ ذكر خبر الكسعيِّ وقوسه ]

وأما الكسعيُّ فرجل منسوب إلى كُسع ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب  
 ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أندم من الكسعيِّ<sup>(٢)</sup> ، وقيل : إنه من بني  
 سعد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلاً بوادي كثير العشب وانطمط؛ فبينما هو يربعاها  
 بَصْرَ بَنْدُعةٍ على صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يجمعها  
 ويقومها حتى أدركت ، فقطعها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) ثمار القلوب ١٣٤ ، الميداني ٢ : ٣٤٨ .

يَا رَبِّ وَقَفَّنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدَّتِي لِنَفْسِي  
وَأَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي أَنْحَثَهَا صَفْرَاءُ مِثْلَ الْوَرْسِ  
\* صَلْدَاءُ لَيْسَتْ كَقِسِي الثَّنَكْسِ \*

ثم دهنها وخطمها بوتر، واتخذ من بُرايتها خمسة أسهم، وجعل يقلبها في كفه، ويُنشد:

هَنْ وَرَبِّي أَسْهَمٌ حَسَانٌ يَلِدُ لِلرَّامِي بِهَا الْبِنَانُ  
كَأَنَّهَا قَوْسُهَا مِيزَانٌ فَأَبْشُرُوا بِالْخِصْبِ يَا صَبِيانُ  
\* إِنْ لَمْ يَعْقِبِ الشُّؤْمُ وَالْحَرَمَانُ \*

ثم أتى قُتْرَةَ<sup>(١)</sup> على موارد مُحْر، فكمن فيها، فمرَّ به قطعٌ، فرمى عَيْراً منها بسهم، فأخطه - أي أنفذه - وجازه، وأصاب الجبل، فأورى نارا، فظن أنه أخطاه، فأنشأ بقول:

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكَدِ الْجِدِّ مَعَا وَالْحَرَمَانِ  
مَالِي رَأَيْتَ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَّانِ بُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ الْعَقِيَانِ  
\* فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبِيَانِ \*

ثم مرَّ به قطع آخر، فرمى عَيْراً فأخطه السهم، فصنع صنيعه الأول، فأنشأ يقول:

لَا بَارِكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمِي الْقُتْرِ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ  
أَأَخْطُ السَّهْمَ لِإِرْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَاكَ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ  
\* أَمْ لَيْسَ يَفْنَى حَذَرَ عَنْهُ قَدَرٌ \*

(١) القتره: ناموس الصائد.

ثم مرّ به قطيع آخر فرمى غيراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيمه الأول ، فأنشأ يقول :

ما بال سهمي يوقد الحبيحياً      قد كنت أرجو أن يكون صائباً  
فأخطأ العيز وولى جانباً      فصار رأبي فيه رأياً خائباً  
ثم مرّ به قطيع آخر ، فرمى غيراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،  
فأنشأ يقول :

يا أسفاً للشؤم والجدّ التكدن      في قوس صدق لم تزيّن بأود  
أخلف ما أرجو لأهلٍ وولّد      فيها ولم يفن الحذار والجلد  
\* نخاب ظنّ الأهل جمعاً والولّد \*

ثم مرّ به قطيع آخر ، فرمى غيراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،  
فأنشأ يقول :

أبعد خمس قد حفظت عدّها      أحجل قوسي وأريد ردّها  
أخزي الإله لينها وشدّها      والله لا تسلم مني بعدّها  
\* ولا أرجى ما حبيت ردّها \*

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار  
الخمسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعضّ على إبهامه  
فقطعها تلهفاً ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامةً لو أنب نفسي      تطاو عني إذاً لقطعت خمسي  
تبين لي سفاه الرأي مني      لعمرو أبيك حين كسرت قومي

## المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال: هتف بي داعي الشوق، إلى رَحْبَةِ  
مالك بن طوق؛ فليته مُتَطِيًّا شِمْلَةً، وَمُنْتَضِيًّا عَزَمَةً مُشَمَلَةً. فَلَمَّا  
أَلْقَيْتُ بِهَا الْمَرَّاسِي، وَشَدَدْتُ أَمْرَاسِي، وَبَرَزْتُ مِنَ الْحَمَامِ بَعْدَ  
سَبْتِ رَاسِي، رَأَيْتُ غُلَامًا أَفْرَغَ فِي قَائِبِ الْجَمَالِ، وَالْبَيْسِ مِنَ الْحُسْنِ  
حُلَّةَ الْكَمَالِ.

\*\*\*

هتف بي، أي دعاني، يقال: هتف بي هتفاً وهتافاً: دعاه، وهتفت الحمامة:  
مدت صوتها. والشوق: تحريك الحب، يريد أن شوقه إلى الرحبة يهبج عليه  
حتى سار إليها، وجعل له داعياً مجازاً. والرحبة: مدينة شهيرة من عمالة الفرات،  
بناها مالك بن طوق، ووليتها فنسبت إليه، وإليها تنسب الثياب الرحبية، وتعرف  
برحبة الشام، وهي على يسار الطريق هي والرتقة في استقبالك الفرات جاثياً من  
حوران، وهي في آخر ديار ربيعة، وأول بلاد الشام والفرات، بين ديار ربيعة  
والشام، فإذا عبرته صرت في حد الشام.

[ ذكر مالك بن طوق ]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم  
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب. وقال حبيب يمدحه ويذكر  
الرحبة:

يامالٍ قد علمت ربيعةً أنه<sup>(١)</sup> ما كان مثلك في الأرقام أرقم<sup>(١)</sup>  
 طالت يدي لما رأيتك سالماً وأنبخ عن خدي ذاك العظم<sup>(٢)</sup>  
 وشممت ترب الرحبة العبق الثرى وشفى صدأى البحر منها الحضر<sup>(٣)</sup>  
 كم حلّ في أكتافها من معدمٍ أمسى بها بأوى إليه المعدم<sup>(٣)</sup>

وقال فيه:

رأته في النوم عتابٌ فقال لها ذوو الفراسة : هذا صفوة الكرم<sup>(٤)</sup>  
 فجاء والنسب الوضاح جاء به كأنه بهمة<sup>(٥)</sup> فيهم من البهم<sup>(٥)</sup>  
 طعان عمرو بن كلثوم وناثله إن السيور التي قدت من الأدم<sup>(٦)</sup>  
 لو كان يأمل عمرو مثله خلفاً<sup>(٧)</sup> من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبل

يهجوه :

الناس كلهم يعدو لحاجته<sup>(٨)</sup> ما بين ذى فرج منهم ومهموم<sup>(٨)</sup>  
 ومالكٌ ظلّ مشغولاً بنسبته يزوم منها بناء غير مهدوم<sup>(٩)</sup>  
 يبني بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم<sup>(٩)</sup>

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأرقام بنو تغلب .

(٢) الديوان : « وأنخت عن خدي » . والعظم ، كزبرج : نبت يصنع به .

(٣) الحضر : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) النائل : الطاء . والأدم : الجهد .

(٧) الديوان : « ولنا » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الماني ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مرموم » .

وكان ملكاً شجاعاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه  
بنى ثعلب .

\* \* \*

قوله « لبيته » ، أى أجبته . ممتطياً : راكباً . شملة : ناقة سريعة . منتصبياً :  
مجرداً . عزمة مشمعة ، أى عزمة سريعة لاتوانى فيها . المراسى : هى محابلس  
السفينة . أمراسى : حبالي ، يريد أنه استعد للإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك  
المثل بإلقاء المراسى وشدّ الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سبّت : حلق ،  
ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤوسهم . أفرغ : وُضع ليصنع . والقالب :  
الذى تطبخ فيه الدراهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصبّت في قالبه ، فيريد  
أن هذا الغلام لإفراط حسنه أفرغ في قالب الجمال .

[ نبذ وحكايات وأشعار مما ورد في الحسن والجمال ]

ونذكر في هذه اللقمة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى  
ذلك ما قيل في العلمان من الأشعار الحسان مما يليق بهذا المكان ونذكرها من كل  
مقامة يقع فيها ذكر العلمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه  
الصفرة مع طول المسك في السكن والتضخ بالطيب كما تضرب في بيضة الأدهى .  
وقال أعرابي :

وما تطّيت من صفراء خالية كالعاج صفرها الأكنان والطيب  
وقال آخر :

كان لون البيض في الأدهى لونك لولا صفرة الجادى  
يريد أنها تضخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفوته .  
وقالوا : إن الجارية الحسنة تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ،  
وبالعشى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة<sup>(١)</sup>

العرار : البهار .

وقال الحريري في الدرّة : فأما<sup>(٢)</sup> قولهم في الحسن : أحمر ، فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال إلا بتحمّل مشقة يحمر<sup>(٣)</sup> منها الوجه ، كما قالوا : السنّة الحمراء للمجدبة<sup>(٤)</sup> ، وكنّوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هجانٌ عليها مُحْمَرَةٌ في بياضِها تروق لها العينان والحسنُ أحمرٌ  
فإنه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسناً .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجميل ، وهو الشحم<sup>(٥)</sup> ، والمليحة البيضاء من الملمحة<sup>(٦)</sup> ؛ وهي البياض ، والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه .

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر ، وإذا فرق يصفر ، ومنه قولهم : ديباج الوجه ، يريدون تلونه من رفته .

وقال عدئ بن زيد في تلون الوجه :

مُحْمَرَةٌ خلط صفرة في بياضٍ مثل ما حاك حائكٌ ديباجاً

(١) ديوانه ١٥٣ ، والعرارة : شجر لها نور أصفر .

(٢) درة العواس ١٠٤ .

(٣) الدرّة : « يحمار » .

(٤) الدرّة : « السنّة المجدبة حمراء » .

(٥) في القاموس : « الجميل : الشحم القائب » .

(٦) في القاموس : « الملمحة : بياض يخالط سواد » .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

يَالْوَلُوْءَا يَسْبِي الْعَقُوْلَ اُنَيْقَا      وَرَسَاً بِنَقْطِيعِ الْقُلُوْبِ رَفِيْقَا<sup>(١)</sup>  
 مَا اِنْ رَاَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ      دُرًّا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقَا  
 وَاِذَا نَظَرْتَ اِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ      اَلْفَيْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَاهِ غَرِيْقَا  
 يَامَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ      مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُوْنُ رَقِيْقَا!

وأعاد معنى: « دُرًّا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقَا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَسَنٍ لَطْفَ الْحَيَاءِ بَلُوْنَهُ      فَاَصَارُهُ وَرَدًّا عَلَيَّ وَجَنَاتِهِ  
 قَالَتْ امْرَاةٌ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ: لَقَدْ اَصْبَحْتَ جَمِيْلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ  
 وَمَا فِي رَدَائِ الْحُسْنِ وَلَا عَمُوْدِهِ      وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عَمُوْدِهِ  
 الشُّطَّاطُ<sup>(٢)</sup> ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا: الحَلَاوَةُ في العَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحَسَنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَا حَةَ  
 فِي النِّمِّ .

وقال بعضهم : الظَّرْفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبِرَاعَةُ فِي الْجَيْدِ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ  
 وَالْخَصْرُ ، وَالشَّانُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْمَدَارُ عَلَيَّ الْعَقْلُ .

وقال علي بن عبيد الریحاني : الْحَسَنُ تَنَاسُبُ الصُّوْرَةِ ، وَزَيْنَتُهُ اعْتِدَالُ  
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَّةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الحُسْنِ ، فقال : أَمَا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّتْكَانَ

(١) مطمح الأنفس ٥٢

(٢) الشطاط : الطول وحسن القوام.



وثلاثة بينهما ، ليست من صفة اللسان تعجبنى صورة أكثر نعتها الملاحظة ،  
وبراعة بفصاحة ، والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وماهية الشوق ،  
وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة  
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، ما لم يُجَلَّبَ بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب  
الطيب أنفاس عبقّة من كبدسايمة ، ومزاج معتدل ، وثمر نقي<sup>(١)</sup> ، قال امرؤ القيس :  
ألم ترَ أني كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب<sup>(١)</sup>  
ويحكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، لثلاث يشغله بحسنه  
عن تعليمه . ومعنى «سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان يقال : إنه أطيّبُ  
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سيبويه  
يقول : مرحباً بزائر لا يمل .

وكان أبو حاتم السجستاني يحتم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم  
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرّد ، وكان أبو العباس  
يلزم حلقتة وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَمَجِّنٍ خَنِثَ الكلامِ<sup>(٢)</sup>  
وقفَ الجمالَ بوجهِهِ فسَمَتْ له حدقُ الأنامِ  
حركاته وسكوته يُجَنِّي بها ثمرَ الأثامِ  
فإذا خلوتُ بمثله وعزمت فيه على اغترامِ<sup>(٣)</sup>  
لم أعدُ أفعالَ العفّا ف ، وذاك آكدُ للغرامِ  
نفسى فداؤك يا أبا العباس يا جلَّ اعتصامِي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والخبر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والأبيات الثلاثة الأخيرة في نزهة الألباء ١٩٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزَرَ الْكُرَى بِأَدَى السَّقَامِ  
وَأَنَّ اللَّهَ مَادُونِ الْحَرَامِ مَ فَلَيْسَ يَرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

والوَلُوعُ فِي الْجَمَالِ سَجِيَّةٌ رَكِبَهَا اللَّهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَأَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ ، فَمَنْ دُونَهُمْ  
مِنَ السُّوقَةِ وَالْفَوْغَاءِ . وَعَلَى قَدَرِ ذِكَاةِ الْأَرْضِ يَطِيبُ زَرْعُهَا ، وَعَلَى قَدَرِ طَيْبِ  
الْتُّرْبَةِ يَطِيبُ تَبْعُهَا ، فَمَنْهَا الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَعَلَى قَدَرِ شَرَفِ النَّفْسِ يَكُونُ  
حُبُّهَا ، فَمَنْهُ الْمُسْتَحْسَنُ وَمَنْهُ الْمُسْتَقْبِحُ .

\* وَكُلَّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ \*

فِي كِتَابِ الْوَشَاحِ : الْعَشْقُ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْعَفَافِ فَهُوَ مَعْنَى شَرِيفٍ ، وَيَتَلَوُ  
قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ فَمَنْ اتَّقَى  
اللَّهَ فَهُوَ خَلِيلٌ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَغْدَادِيِّينَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا مَتَّحَنَ النَّاسَ  
بِالْهَوَى ، لِأَخْذُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ يَهْوَوْنَ ، وَلِيَشْقَ عَلَيْهِمْ سَخَطَهُ ، وَيَسْرَتَهُمْ رِضَاهُ ؛  
فَيَسْتَدَلُّوْنَ بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ  
غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، وَرَازِقُهُمْ مَبْتَدِئُ الْمَنْعِ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةَ  
لِسِوَاهُ كَانَ هُوَ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُتَّبَعَ رِضَاهُ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَنْكِرَ عِلَاقَةَ شَخْصٍ بِشَخْصٍ ،  
وَحَنِينَ شَكْلِ إِلَى شَكْلِ ، وَمُؤَالَفَةَ إِلْفٍ إِلَى إِلْفٍ ، فَالْقُلُوبُ صَافِيَةٌ قَابِلَةٌ ، وَالْعَيُونُ  
إِلَيْهَا نَاقِلَةٌ .

وَقَالُوا : لِأَعَاشِقٍ عَلَى الْأَغْلَبِ إِلَّا مَوْفُورَ النَّعْمَاءِ ، مَكْفِيٌّ كَدَّ الْمَعِيشَةِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ  
فِرَاقِ نَفْسِهِ وَرَقَّةِ حَاشِيَتِهِ .

وقد قيل : إن جميلاً وُثينة لوقعدا لينتين دون غداء وعشاء ليزق كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المشوق أن يكون ممن يؤيس ويُطعم ، ويستتر ويلمع ، ويبدو ويُحجَّب ، ويبين ويصعُب ، ويرضى ويُسخط ، ويقرب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه

في الهجر فهو الدهرَ يرَجُو ويتَّقِي (١)

وبين الرضا والسخط والقرب والتوى

مجالّ لدمعِ المقلّة المترقِّقِ

والحسن أول سعادة المرء ، ورائد اليُمن ، وسائق التُّجح ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، وبشرف الإبداع والصنعة ، لم يخلق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلاّ عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلاّ بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . ولما تجد الخلق إلاّ تبعاً للخلق ، تناسباً يطرده ، وأصلاً لا ينعكس ، وإجمالاً لا ينفرد ، وما خلق الله نبياً قط إلاّ وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأوّل وهلة رأيتهم أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنيةً ، فهو أوّل مرتبة ، وأعلى منقبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يمدّب حسان الوجوه ، سُود الحدق» .

وورد عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضىء الوجه ، فأقعده وراء ظهره ، وقال : إنما أتيتُ أخى داود من النظر .

وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام ؛ وكأنه يصف الفتى الذى ذكره الحريرى :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفيه البيت الأول بعد الثانى .

يَأْمَنُ تَسْرُبَلُ بِالْمَلَاخَةِ وَارْتَدَى فَعَلِيهِ تَعْتَكِفُ الْعَيُونُ إِذَا بَدَأَ  
 فَيُرَى هِلَالاً زَاهِراً وَيُرَى قَضِيْباً نَاضِراً وَيُرَى كَثِيْباً أَمْلَداً  
 فَإِذَا نَهَضَتْ تَرْجَرَجَا وَإِذَا سَفَرَ ت تَبَلَجَا وَإِذَا مَشِيَتْ تَأْوَدَا  
 فَتَرَى الْجَبِيْنَ كَنَاجَ مَلِكِ زَانَهُ دَرَّ تَرَاهُ مَقَرَّفاً وَمَنْصُدَاً  
 وَيَجُولُ ذَاكَ الرَّشْحُ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسَمِيْنَ جَرَى بِهِ قَطْرُ النَّدَى  
 الْوَجْهَ فَضَى أَحَاطَ بِوَجْنَتِيْ ذَهَبٍ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِيْنَ زَبْرُجَدَاً  
 وَفَمَّ عَقِيْمِيْ تَضَمَّنَ لَوْلُوَا رَطْبَاً وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمَرَدَاً  
 وَالأبى إِسْحَاقُ الْخَنَاجِيْ<sup>(١)</sup> :

وَأَعِيْدَ أَهْدَى تَرْجَسَاً مِنْ مَحَاجِرِ وَتَنِيْ فَأَبْدَى سَوْسَنَاً مِنْ سَوَالِفِ  
 وَقَدْ مَاجَ مِنْ عَطَلِيْهِ مَاءَ شَبِيْبِيَّةِ تَعَبٌ وَلَا أَمْوَاجَ غَيْرِ الرَّوَادِفِ  
 تَطَّلَعَ مِثْلَ الرَّمْحِ بِسَطَّةِ قَامَةٍ وَفَتَكَةَ الْحَاطِظِ وَلِيْنَ مَعَاظِفِ  
 وَالأبى وَكَيْع :

يَأْمَنُ إِذَا لَاحَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ غَفَرَتْ بِلَدَائِعِهَا جَمِيْعَ ذُنُوْبِهِ<sup>(٢)</sup>  
 إِ كَانِ فِي تَعَذِّبِ قَلْبِي رَاحَةً لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللَّهِ فِي تَعَذِّبِهِ  
 وَالأبى إِسْحَاقُ الْخَنَاجِيْ :

يَارَبِّ وَضَّاحِ الْجَبِيْنَ كَأَمَّا رَسْمُ الْعِيْدَارِ بِصَفْحَتِيْهِ كِتَابُ<sup>(٣)</sup>  
 تُغْرَى بِطَلْعَتِهِ الْعَيُونُ مَلَاخَةً وَتَبِيْتُ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ  
 خَلِمَتْ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غَلَالَةً تَنْدَى وَمِنْ شَفَقِ السَّحَابِ نِقَابُ

(١) هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، والأبيات في ديوانه ٣٣٦ .  
 (٢) بتيمة الدهر ٢ : ٣٤٠ ، وبمده هناك :

النَّجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِي فِي الدُّجَى مَعْمُودَةٌ بِطَلْوَعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) ديوانه ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أساء فزادته الإساءة حُطْوَةً      حبيبٌ على ما كان فهو حبيبٌ  
يعدّ على الواشيان ذنوبه      ومن أين للوجه الجميل ذنوب !

ولأبي إسحاق الخفاجي :

تعلقته نشوان من خمر ريقة      له رشها دوني، ولي دونها السكر<sup>(١)</sup>  
ترقق ماء مُتَلَتَيَ ووجهه      ويذكي على قلبي ووجنته الجمر  
أرق نسيبي فيه رقة حسنه      فلم أدر أيّ قبلها منهما السخر  
وطبنا معاً نغرا وشعرا، كأنما      له منطقي نغراً، ولي نغره شعر

\* \* \*

وَقَدِ اعْتَلَقَ شَيْخٌ بُرْدَنَهُ، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابِنِهِ، وَالغَلَامُ  
يُنْكِرُ عِرْفَتَهُ، وَيُكْبِرُ قِرْفَتَهُ، وَالْحِصَامُ بَيْنَهُمَا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ،  
وَالزَّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا بَعْدَ  
اشْتِطَاطِ اللَّدَدِ، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ،  
وَيُعَلَّبُ حُبَّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ، فَأَسْرَعًا إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسَّلِيمِ فِي

عَدْوَتِهِ

\* \* \*

قوله : « وقد اعتلق شيخ بُردنه »، أي تعلق بكمه وأطراف ثوبه . فتك : قتل ، والفتك : أن تأتي رجلاً آمناً منك وتقتله، أو تسكن له في موضع لا يعرف بك، فإذا أتاك قتلته، ثم سُمي من جهل الأُمور العظام فاتكاً ، فإذا أدخلت

(١) ديوانه ٣٥٣ :

رجلا منزلك أو موضعاً لا مغيث له فيه ، فقتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً يحافك فأمنته وآنته حتى آمنك ، ثم قتلته فذلك الغدر . عزفته : معرفته . يكبر : يراه أمراً كبيراً قرفته : تهمة ، وقد قرفته بذنب ، إذا حملته عليه وأتهمته به ، وشبهه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللدد : اشتداد الخصام . التنافر : التحاكم . يزن بالهنات : يتهم بالقبائح ، والهنات : الدواهي والهن والهنّة من الكنايات العامّة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء .

### [ فصل في ذكر بعض أخبار الولاية ]

قوله «ويغلب حبّ البنين على البنات» نذكر هنا من الولاية التهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار : إن القاضي يحيى بن أكثم<sup>(١)</sup> ، كان مشتهراً بحبّ الغلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ، وقالوا فيه : إنه قد أفسد أولادهم ، وظهرت منه الفواحش ، وأنه القائل في صفة الغلمان :

أربعةٌ تمسّقُ الحاظمُ	فعين من بعشقم ساهرة
فواحد دنياه في وجهه	مناقٍ ليست له آخرة
وآخر دنياه منقوصةٌ	من خلفه آخرةٌ وأفره
وثالث فاز بكاتيهما	قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابعٌ قد ضاع ما بينهم	ليست له دنيا ولا آخرة

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد ركب الجند أمامه ، ويحيى يحادته ويضاحكه ، فنظرت إلى غلام أمرد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكثم في ابن خلكان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وأخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٦١ - ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٥٦ ، ١٥٧

الجند في غاية الفراهمة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزررة بالذهب .  
فالتفت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،  
إنّ هذا لتبيح من إمام مثلك مع فقيه مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاضي يرى الحدف في الزناة ولا يرى على من يلوطن من باس

قال : من عليه لعنة الله وغضبه ، ابن أبي نعيم<sup>(١)</sup> ، الذى يقول :

أميرنا يرأى كئيباً وحاً كئيباً يلوطن والشير بيننا راسى

قاضي يرى الحدف .. البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينتضى وعلى الامة والى آل عباس<sup>(٢)</sup>

قال : أو صحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنقى إلى السند ، وإنما ما زحناك ، ثم

قال المأمون في الغلام :

أيها الراكب ثوباً حريراً وحديداً

جئت للعيد وفى وجهك للأعين عيد

أنت جندي ولكن فيك للحسن جنود

وفى يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد له أكثمه ولم تظأ أرض العراق قدمه<sup>(٣)</sup>

ألوطن قاضي في البلاد نعلمه أى دواة لم يلقها قلمه

\* وأى ججر لم يلجّه أرقمه<sup>(٤)</sup> \*

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) المضاف والمنسوب ١٥٨ .

(٤) ذكر في المضاف والمنسوب بمد الأبيات : « فقال يحيى : دواتك أيها الأمير » .  
( ٢٥ - شرح مقامات الحريري ١ )

وهذا كقول الآخر :

\* يُدْخِلُ الْأَفْعَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ \*

ويحيي خراساني من مَرُو . وبلغ من تحمكه على المأمون أن فرض لأربعائة غلامٍ مُرَدٍّ ، واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلِي أَنْظِرَا مَتَعَجِّبِينَ	لَأُظْرِفَ مَنْظِرٍ تَقْلَاهُ عَيْنِي
لِفِرْضٍ لَيْسَ يُقْبَلُ فِيهِ إِلَّا	أَسِيلُ الْخَلْدِ حُلُوُّ الْمَقْلَتَيْنِ
يَقُودُهُمْ إِلَى الْمِهْجَاءِ قَاضٍ	شَدِيدُ الطَّعْنِ بِالرُّمْحِ الرَّدَّيْنِ
إِذَا شَهِدَ الْوَعَى مِنْهُمْ غَلَامٌ	تَجَدَّلُ لِلجَبِينِ وَلِلْيَدَيْنِ
وَبَاتَ الشَّيْخُ مَنْحِنِيًّا عَلَيْهِ	وَصُدْغَاهُ تَحَاذِي الرُّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَرَى الْعَدْلَ بَيْنَنَا  
مَتَى نَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَصْلُحَ أَهْلُهَا  
فَأَعْقَبَنَاهُ بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطُ  
إِذَا كَانَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ يُلُوطُ

\* \* \*

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي<sup>(١)</sup> مولعاً بالعلمان ، وكان له غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويخصه بتقريبه واستجدانه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَنْعِ لَامِهِ مَدْعَةٌ لِاضْطِرَارِ الشَّعْرِ فِي مِيمِ نَسِيمِ

فَوَقَّعَ تَحْتَ الْبَيْتِ : نَعَمْ ، وَلَمْ لَا !<sup>(٢)</sup>

وسند ذكر من شعره في هذه المقامة ما يستملح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٥٣ .

(٢) الخبر في معجم الأدباء ١٤ : ١٦٦ .



ومن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو العشائر الحمداني<sup>(١)</sup> الذي يقول  
فيه المتنبي :

فيا بحرَ البحُورِ ولا أوريّ      وياملكَ الملوكِ ولا أحاشي<sup>(٢)</sup>  
كأنك ناظرٌ في كلِّ قلبٍ      فما يخفي عليك محلُّ غاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة ، فقلت : ما  
يُجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأن رضوان قد غفل عنه فأبى من  
الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أسقمُ هذا الغلامُ جسمي      بما بعينه من سقام<sup>(٣)</sup>  
فتورُ عينيه من دلالٍ      أهدي فتوراً إلى عظامي  
وامتزجتُ روحه بروحي      تمازجُ الماء بالدم

ولأبي العشائر :

سطا علينا ومن حاز الجمال سطا -      ظبي من الجنة الفردوس قد هبطاً  
له عذاران قد خطا بوجنتيه      فاستوقفا فوق خديه وما انبسطاً  
وظل يخطو فكلُّ قال من شغف :      يا ليتنه في سواد الناظرين خطأ !

ومع هذا الليل ، كان نزيه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في  
الجدود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو  
أشعرُ الناس عند الأُكثرية ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :  
قد تجاوزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة ، مذ فارقت آل  
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا العشائر :

(١) انظر أخبار أبي العشائر في بئمة الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه : ٢١١ .

(٣) بئمة الدهر ١ : ٧٢ :

أَخَا الْفَوَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي      وَالخَيْلِ مِنْ تَحْتِ الْأَسْنَةِ تَنْحَطُ<sup>(١)</sup>  
 لَقَرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخَطُّ يَدُ الْوَعْيِ      وَالْبَيْضِ تَشْكُلُ وَالْأَسْنَةُ تَنْقُطُ  
 فَهَكَذَا تَسْتَعَارُ الْعَانِي الْبَدِيعَةَ فِي الْأَلْفَاظِ الرَّفِيعَةِ ؛ فَمَا ظَنِّكَ بِنَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ  
 الْمُنْتَبِي هَذَا الثَّنَاءُ !

\* \* \*

وَمَنْ وَصَفَ غَلَامًا فَأَحْسَنَ ، الْأَمِيرَ تَمِيمَ بْنَ الْمَعَزِّ صَاحِبَ مِصْرَ ، حَيْثُ يَقُولُ :  
 وَبَاتَ ضَجِيعِي مِنْهُ أَهْيَفُ نَاعِمٍ      وَأَدْعَجُ وَسِّنَانٌ وَالْعَسُّ أَشْنَبُ<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنَّ الدَّجِيَّ مِنْ لَوْنِ صُدُغِيهِ طَالِعٌ  
 وَشَمْسُ الضُّحَى فِي صَحْنِ خَدَّيْهِ نَعْفَرُبُ  
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا لَيْلَةً بَاتَ فِيهَا الْبَدْرُ مَعْتَبِقِي      وَكَانَتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضُ جُلَاسِي<sup>(٣)</sup>  
 وَبَتْ مُسْتَفْنِيًا بِالشَّعْرِ عَن قَدَحِي      وَبِالْخُدُودِ عَنِ الثُّفَاحِ وَالْأَسِ  
 وَقَالَ أَيْضًا :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقُ مِنْ      وَرَدِّ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ<sup>(٤)</sup>  
 هَذَا تَنْشِئُهُ الْأَنْوُ      فُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُّ  
 فَإِذَا عَدَلَتْ فَأَفْضَلُ الْـ      وَرَدِينَ وَرَدُ يُلْسَمُ  
 قَوْلُهُ : « نَدْوَتُهُ » ، أَي مَجْلِسُهُ .

[ذَكَرَ السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ]

وَالسُّلَيْكُ ، هُوَ ابْنُ السُّلَيْكَةِ ، مَعْرُوفٌ بِأُمَّهُ ، وَكَانَتْ أُمَّةً سَوْدَاءَ شَدِيدَةً

(١) يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ١ : ٧١

(٢) دِيْوَانُهُ ٤٠٤ ، ٤١٤ . الْعَسُّ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الشَّفَةِ . وَالسَّنْبُ : رَقَّةٌ وَعَذْوِيَّةٌ وَبُرْدٌ فِي الْأَسْنَانِ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٢٥٠ .

(٤) دِيْوَانُهُ ٣٨٦ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .  
 وكان يسبق الخيل على رجليه ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب -  
 وهم الذين يسعون على أقدامهم ، ويسبقون الخيل ، فيستفنون بأرجلهم عنها -  
 وكان من أشجع الناس ، وكان لا يُغيرُ إلاَّ وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أئى العرب كان أبغض لك أن تلقاه ؟ فقال : أمّا من معدّ فعدى بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والأرقام من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ماخفت هَيْجَ أحدٍ ؛ ما لم يلقتنى حرّاها أو عبداها ، قال : أما حرّاها فعامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب ، وأما عبداها فمعترة الفوارس وسليمان المقانِب .

وأما عدوته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوه فنزا نزوة عدّ فيها أربعاً وعشرون خطوة ، وعدّ أيضاً فى نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة .  
 ويقال فى المثل : أعدى من الشنفرى ، وأعدى من السليك .

فأما الشنفرى فإنه أغار على بجيلة مع تأبط شرّاً وعمرو بن براق ، فرصدتهم بجيلة على الماء ، فقال تأبط شرّاً : إنّ بالماء رصداً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بدّ من وروده ، فورد الشنفرى ثم عمرو ، فقال تأبط شرّاً : القوم إنما يريدوننى ، فذلك لم يعرضوا لكما ، وإذا وردتُ أنا الماء فسيشدون علىّ ، ويأسروننى ، فاذهب يا شنفرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فتمال فأطلقتنى ، وقال عمرو : إئتى سامرك أن تستأسر لهم ، فلا تبعد ، ولا تمكّنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشدوا عليه ، وكتفوه ، وفعلا

ما أمرهما ، فقال : تأبّطشراً : يامعشر بجيلة ، هل لكم في أن تيسروا فداءنا به  
ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال ياعمرو : هل لك في أن تستأثر ويأسرونا  
في الفداء ؟ قال : حتى أروضَ نفسي شوطاً أو شوطين ، فجرى الأوتل كالريح ،  
والثاني كالخيل ، ثم أراد أن يجرى ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يُطمعهم بذلك ،  
فقال لهم تأبّطشراً : خذوا خذوا ، فأسرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفرى  
كالريح قطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجحوا ، فقال تأبّطشراً من قصيدة :  
ليلةً صاحوا وأغرّوا بى سراعهمُ بالعيككتينِ لدى عمرو بن براق (١)  
لا شيء أسرع منى غير ذى عذرى أودى جناح بجنب الريدِ خفاق (٢)

فالثلاثة عدّاءون ، والمثل مقصور على الشنفرى .

وأما السليك ، فرأته طلّاع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين ليغيروا على  
تميم ، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ،  
فلما صالحاه خرج يمحص (٣) كأنه ظبي ، فطاردها يوماً أجمع ، ثم قال : إذا كان  
الليل أعيافنا أخذه ، ووجدنا أثر بوله قد خد (٤) في الأرض ، فقالا : قاتله الله ! ما  
أشدّ متنه ! فتبعاه ليلتهما : فلما أصبحتا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فنذر (٥) منها  
كسكان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانخطمت ، فوجدنا قطعه منها قد ارتزت (٦)  
بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى  
أهله ، فأنذرهم ، فكذّبوه لبعده الغاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مطلعها :

ياعيدُ مالك من شوقٍ وإبراقٍ ومّرّ طيفٍ على الأهوالِ طراقٍ

والعيكتان : موضع ، ورواية المفضليات : «معدى ابن براق» ، ومعنى مصدر ميمي من  
عدا يعدو .

(٢) العذرة : جمع عذرة ، وهى ما أقبل من شعر الباصية على وجه الفرس . والريد :  
الشمرأخ الأعلى من الجبل ، يقول : لا شيء أسرع منى إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح  
الذى يأوى إلى الجبل .

(٣) يمحص : يسرع .

(٤) خد في الأرض : شقها .

(٥) نذرت : سقطت .

(٦) ارتزت : أثبتت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمْرَانِ: عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذَّبُ أ كذب<sup>(١)</sup>  
 تَكَلَّتْكُمْ إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسٍ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ  
 كَرَادِيسٍ فِيهَا الْخَوْفُ زَانَ وَحَوْلَهُ فَوَارِسٌ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ بِرَكْبُوا  
 فصدقه قوم ، فنجوا ، وكذب به آخرون ، فورد عليهم الجيش فاكسحهم .  
 ومن شعر السليك يرثي فرسه — وكان يقال لها النجم — وأنشدها  
 المبرد في باب التشبيه من الكامل :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النِّجْمِ لَمَّا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ<sup>(٢)</sup>  
 عَلَى قَرَمَاءَ عَالِيَةً شَوَاهُ كَأَنَّ بِياضَ غَرَّتِهِ خِمَارُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا يُدْرِيكَ مَا قَفَرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وُلُّوا أَوْ أَعَارُوا<sup>(٤)</sup>  
 وَيُخْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْخَضْرِ نَصًّا يَصِيدُكَ نَافِلًا وَالْمَخْرَارُ<sup>(٥)</sup>

أى يصيدك . ونافلا : ثانيا ، ورار : ذائب من الهزال ؛ وحكاية السليك ،  
 عن أبي عبيدة ، وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيباني ؛ وكلتاها على اختصار .  
 ونزل على جماعة من كنانة ضيقاً ، فأكرموه ، وجمعوا له إبلاً كثيرة ،  
 وأعطوه إياها ، وكان قد كبر وشاخ ، وذهبت قوته ، وانتقص عدوه ، فقالوا  
 له : إن رأيت أن ترينا ما بقى من عدوك ! قال : نعم ، ابغوا لى أربعين شاباً ،

(١) الأغاني ٢٠ : ٣٥٣ ( طبعة بيروت )

(٢) الكامل ٣ : ٣ : ٦٩ ، قال في شرح هذا البيت : المحار : الصدقة ، يريد الملاسة  
 وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت . والأصل : جمع أصيل ، والأصيل : العشى .

(٣) قال أبو العباس : قرماء ، ممدودة : اسم موضع : وشواه : قوائمه .

(٤) قال أبو العباس : ولوا أو أعاروا ؛ إذا طلبوا أو هربوا .

(٥) قوله . « بصيدك » ، أى يصيد لك ، يقال : صدتك ظيباً ، قال الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

وأَتونى بدرعٍ ثقيلةٍ عظيمةٍ ، فأَتوا بيها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء  
عدائين ، فأبس سُلَيْك الدرع ، ثم قال للشَّبان : الحقونى ، ثم عَدَا عَدَوًا وسطًا ،  
وعدا الشبان وراءه جهدهم ، فلم يَاحقوه حتى غاب عنهم ، ثم كرَّ راجعًا حتى عاد  
إلى القوم وحدَه يَخطِر ، والدرع عليه ، وسبق الشَّبان .

وخرج فى ليلةٍ مقمرةٍ يطلب الإغارة ، فغلب عليه النوم آخر الليل ، فبينما هو  
ملتفٌ بكساءٍ ، جثم عليه رجلٌ مثله ، شديد البأس ، عظيم القوة ، وأمسك على  
يديه ، ومنعه التحرك ، وجعل يلززه ويؤذيه ، ويقول له : استأسرْ يا خبيث ،  
فاجتهد سليك حتى خلَّص إحدى يديه ، فضمَّ الرجل إليه صَمةً ، وعصره عصرةً ،  
فصرط ، فقال له : أضرِّطًا وأنت الأعلى<sup>(١)</sup> ! فأرسلها مثلاً ، فلما تخلَّص منه ،  
قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت فقلت : لأخرجنَّ ولا أرجع إلى  
أهلى حتى آتيهم وأنا غنى . فقال له السُّليك : انطلق معى ، فانطلقا فوجدا ثالثًا ،  
قصته قصتهما ، فاصطحبوا حتى أتوا وادياً لمراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَمٌ ،  
قد ملأ نواحيه من كثيرته ، فقال لها السُّليك : كونا قريباً منى حتى آتى الرِّعاء ،  
فأعلم علم الحى : أهو قريب أم بعيد ؟ فإن كان قريباً رجعت ، وإن كان بعيداً  
أوحيت إليكما بقولى فأغيرا . فأتى الرِّعاء فاستخبرهم عن الحى ، فأخبروه  
ببعد الحى ، وأنهم إن طلبوا لم يدركوا ، فقال للرِّعاء : ألا أغدِّكم ؟ قالوا :  
بلى ، فرفع صوته ففتى :

يا صاحِبِ أَلَا لا حى فى الوادِى      سوى عبيدٍ وأمِّ بين أذوادِ<sup>(٢)</sup>  
أنتظران قريبا ريث غفلتهم      أم تغدوان فإن الريح للمادى !  
فلما سمعا ذلك أتياه ، وطرردوا الإبل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخ الحى ،  
حتى فاتوا بالإبل<sup>(٣)</sup> .

(١) الميدانى ١ ٤٢٠ ، جبهة الأمثال ١ : ١٣٠

(٢) الريح منا : القوة

(٣) الشعر والشعراء ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العزّاب ، جمع أمة<sup>(١)</sup> .  
 وكان السلبك من أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع  
 الماء بيضَ النعام في الشتاء ، ويدفنه في المفاوز العظيمة ، فإذا كان الصيف  
 وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :  
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

\* \* \*

قوله : «عِدْوَتُهُ» ، العِدْوَةُ بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فيريد  
 الحريرى أن إسرعهما إلى الوالى كان كعدوة السليك .

\* \* \*

فَلَمَّا حَضَرَاهُ ، جَدَّدَ الشَّيْخُ دَعْوَاهُ ، وَاسْتَدْعَى عَدْوَاهُ . فَاسْتَنْطَقَ  
 الْغَلَامَ وَقَدْ فَتَنَهُ بِمَحَاسِنِ غُرَّتِهِ ، وَطَرَّ عَقْلَهُ بِتَصْنِيفِ طَرَّتِهِ ، فَقَالَ :  
 إِنَّهَا أَفِيكَةٌ أَفَاكٌ ، عَلَى غَيْرِ مَفَاكٍ ؛ وَعَضِيهَةٌ مُخْتَالٍ ، عَلَى مَنْ لَيْسَ  
 بِمُغْتَالٍ . فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ : إِنْ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،  
 وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنَّهُ جَدَّاهُ خَاسِيَا ،  
 وَأَفَاحَ دَمَهُ خَالِيَا ، فَأَنْبَى لِي شَاهِدًا ، وَلَمْ يَكُنْ نَمَّ مُشَاهِدًا وَلَكِنْ  
 وَلَّنِي تَلْقِيئَهُ الْيَمِينَ ، لَيِّبِينَ لَكَ : أَيُصَدِّقُ أَمْ يَمِينُ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ  
 لِلْمَلِكِ لَدَلِيكَ ؛ مَعَ وَجْدِكَ الْمَتَّهَلِكِ ، عَلَى ابْنِكَ الْمَهَالِكِ !

\* \* \*

واستدعى عدواه ، أى طلب إغاثة وأعداء الحاكم : أغائه . استنطق :  
 أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام

(١) نقله في اللسان ١٨ : ٤٧ .

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لهجته من بهجته <sup>(١)</sup> . وكذلك لم يُردِ الوالى أن يستنطقه ليقول حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[ إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره ]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بإبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه لَقِيَ غلاماً جميلَ الوجه ، مقبول الصورة ، فاستحسنه ، وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحكماء ، لما جعلوا السبيل مثلى إلى مثلك بقولهم : لا ينبغى لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، لَمَّا أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام - وهو لا يعرفه : لئن قلت ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالجائسة ، وتميل إلى ما قارنها بالموافقة ، وكيانى مائل إلى كيانك بكائيتى ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عرضاً لم أعتد به ودأ ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه بقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال الهدلى :

فتبينى أنى بكم كلفٌ ثم اصنعى ما شئت عن علمٍ <sup>(٢)</sup>

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محلٌ مقيم ما تعرضت لك ، ثم اعتلقتك النظام بعد ، وقال فيه جريا على علمه :

(١) متن المقامات ص ٣٧٣ ( طبع الحسينية ) .

(٢) ديوان الهذليين ٩٧٣ ، ونسبه إلى أبي صخر ( طبعة مدنى ) .



توهمه طرفى فألم خدّه  
وصاغه كفى فألم كفه  
ومرّ بفكرى خاطراً فجرحتهُ  
وقال فيه أيضا :

وإذ تأمل في الزّجاجة ظلّه  
وجرحته لحظة مقلة الظلّ  
وقال فيه أيضا :

أفرغ من نور سماوى  
وافتقر الحسن إلى حسنه  
فجّل عن تحديد كفى  
وقال فيه :

يا مشرقاً ملاً العيو  
أوفى على شمس الضحى  
أتريد قتلي عامداً  
ن فلاحظها ما يستقل<sup>(١)</sup>  
حتى كأنّ الشمس ظلّ  
ولقتل مثلي ما يحلّ !

فصرّف في شعره من صناعته ، وأبدع في تخيله ببراعته .

\* \* \*

قوله : «غرته» ، أى وجهه . طرّ ، أى قطع وأذهب . تصفيف طرّته : شعره .  
المعتدل على جبهته . أفيكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيهة : بهتان .  
وباظل . مقتال : قاتل الفيلة . استوف : استكمل . جدله : صرعه وألقاه على .

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٨٨

(٢) بدهق أمالى المرتضى :

يمرّ فمن لينٍ وحسنٍ تعطف  
يقال به سكرٌ وليس به سكرٌ

(٣) ديوان المعاني ١ : ٢٣١

الجدالة . وهي الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه قهره ومنعه أن يصيح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهمزة فسهله ليوافق «خالياً» إن أخذته من خسأت السكب ، وإن أخذته من خسي البصر إذا كل ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأول ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهملة : أراقه . قال أبو زيد في نوادره : أفحت دمه ففاح فيجأ وفيجانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجحججاً ولم ندع لسارحٍ مراحاً  
\* إلا دياراً أو دماً مفأحاً \*

وقال أبو حاتم : أراد : ودما مفأحاً أى مهرأقا . خاليا : بمعنى «منفرداً» . أنى ، بمعنى كيف . مُشاهد : منى شاهد حاله وحضر عليها . ولئى : مكئى . تلقينه : تفهيمه وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجدك : حزنك . المهالك : الكثير التفاوت ، وتهالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى<sup>(١)</sup> :  
تهالك حتى ينكر المرء عقله وتُسبى الحكيم ذا الحجى بالتَّقل<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْغَلَامِ : قُلْ : وَالَّذِي زَيْنَ الْجَبَابَةِ بِالطَّرْرِ ،  
وَالْعَيُونََ بِالْحَوَرِ ، وَالْحَوَاجِبَ بِالْبَلَجِ ، وَالْمَبَاسِمَ بِالْفَلَجِ ،  
وَالْجُنُونََ بِالسَّقَمِ ، وَالْأَنْوْفَ بِالشَّمَمِ ، وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ ، وَالشُّوْرَ  
بِالشَّنْبِ ، وَالْبَنَانَ بِالْتَّرْفِ ، وَالْخُصُورَ بِالْهَيْفِ ، إِنِّي مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ

(١) اللسان - فيح ، ونسبه إلى أبي حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهالكت المرأة في مشيها : تمايلت .

سَهْوًا وَلَا عَمْدًا، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسِنِّي غَمْدًا، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ  
جَفْنِي بِالْعَمَشِ، وَخَدِّي بِالنَّمَشِ، وَطُرَّتِي بِالْجُلْحِ، وَطَلَعِي بِالْبَلْعِ،  
وَوَرَدَّتِي بِالْبَهَارِ، وَمَسَكَنِي بِالْبُخَارِ، وَبَدَرِي بِالْمِحَاقِ، وَفِضَّتِي  
بِالْإِحْتِرَاقِ، وَشُعَائِي بِالْإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ.

◊ ◊ ◊

قوله: «الذي زين الجباه بالطرر . . .»، إلى آخر يمينه، إنما ذكر صفات  
الحسن شيئاً بعد شيء، ليُرى هذا الوالى كمال الغلام، فيشتد حبه فيه، فإذا ذكر صفة  
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها، فوجدها كما يصف، فهو الآن في  
هذه اليمين مجلّو محاسن الغلام عليه.

الطَّرَرُ: جمعُ طُرَّةٍ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة، والطُّرَّةُ عندهم أن يقطع  
للجارية من مقدّم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها، فيبقى ما بين شعر  
ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقياً، والشعر عليها معتدل، كطُرَّة الثوب ثم تسمى  
الشعور الحسن طُرراً.

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث فائنات: الشعر  
الحسن، والوجه الحسن، والصوت الحسن».

عائشة رضى الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملائكة السماء  
يستبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال، فيقولون: سبحان الذى زين الرجال  
باللحى، والنساء بالذوائب».

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسال عن  
شعرها كما يسأل عن وجهها».

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجمالاً ، وقال ابن صارة<sup>(١)</sup> - وكأنه وصف طرة هذا الغلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعم ، وكان من أجمل الناس وأذكركم<sup>(٢)</sup> في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، فقال فيه :

أكرم بحعفر اللبيب فإنه      مازال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»<sup>(٣)</sup>  
 ماء الجمال بخدّه متفرقٌ      فالعين منه تجول في ضَحَضَاحٍ<sup>(٤)</sup>  
 ما خدّه جرحته عيني ، إنَّما      صبغت غلالته دِمَاءَ جِرَاحِي  
 لله زاي زبرجد في عسجدٍ      في جوهرٍ في كَوْنٍ في رَاحِ  
 ذى طُورَةٍ سَبِجِيَّةِ ذِي غُرَّةِ      عاجية كالليل والإضباح  
 رشأله خدّ البري ولحظه      أبداً شريك الموت في الأرواح

\* \* \*

### [ مما قيل في أنواع الحسن والجمال ]

ونذكر بعد هذا الجور في العيين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ، وكل ذلك عندهم ممدوح . وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما ما يزهّد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزرق ؛ على أنه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزرق في العيين يُمّن» .

(١) ط : « صارمة » ، تصحيف . (٢) فتح الطيب : « وأذكركم » .

(٣) فتح الطيب ٥ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي .

(٤) الضحضاح : الماء القليل .

وقال معاوية لضحار العبدى : إنك أحمر ، قال : والذهب أحمر ، قال :  
إنك لأزرق ، قال : والبازى أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زُرْقَه كذاك عتاق الطير زُرُق عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زُرْقَة ، فقلت لهم بذلك تمت خصالة البهجة<sup>(١)</sup>  
ما كحل العين مثل زُرْقَمها كم بين ياقوتة إلى سبجها!

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الظباء الأزرق الأزرق القباء  
يجول في مقلتيه طرفي في زُرْقَة المـاء والسما  
يا أبى الشمر ما عليهم من ذلك النور والتبهاء  
شُقْرَة شعـرٍ على بياض شعاع شمس على هـواء

وكل هذا . اعتذار جاء على وفق مدح سواد الألوان ، ولسواد الألوان في  
التاسعة فصل مستطرف فقف عليه .

واختلفوا في الحور ، فقال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين  
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الظبية الحوراء : السوداء العين التي ليس في عينها بياض ،  
ولا يكون هذا في الإنسان إنما يكون في الوحوش .

(١) يتيمة الدهر

وقال يعقوب : الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنه المحاجر ، صغرت العين أم كبرت .

واشتقاق « ح ور » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوراءى للدرمك الشديد البياض ونحوه ، وقلمًا يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضى التنوخى في أحور :

حورٌ بعينه أطال تحيرى ترك الدموع بجدي المتصفر<sup>(١)</sup>  
غصنٌ تاوّد فوق غصنٍ من نقا ليل تبلّح عن نهارٍ مُسفرٍ  
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكةٍ متبسمٍ عن جوهرٍ

والبليج : أن يكون ما بين الحاجبين نقيًا من الشعر ، وهو من علامات السيادة عند العرب ، ويُمدح به ويُتيمن بصاحبه ، ويُتطير بمقرون الحاجبين ؛ ويقال : أبلج وأبلد ، وهى البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلٌ الحيا أبلجُ الوجه واضحٌ حلِيمٌ إذا ما زلزلته الزلزالُ  
الفالج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فاج ثفره فلاجًا ، وهو مستحبٌ في الثغر . قال وجيه الدولة : وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافه ذكرها الحريرى رحمه الله هنا :

إذا عدم الرّوضَ المنورَ ناظرى أرانيه ظبيّ فاطر الطّرف أدعجُ  
فصدّغاه ريجاني وعيناة ترّجيسى ومن ثفره لى أقحوان مفلجُ  
وواحرَ بأ من حسن وردٍ بجده بَطيفٌ به من عارضيه بنفسجُ

(١) الأبيات في يتيمة الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٢) بعمده في اليتيمة :

وأطالَ من ليلي وقصر ليله أنى سهرت وأنه لم يسهر

الجفون : أعطية العيون ، ثم تسعى العين جفناً مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطبَّ بحديث من نديمٍ مساعدٍ      وساقية بين الراهق والحلم<sup>(١)</sup>  
ضعيفة كرت الطرف تحسب أنها      قريبة عهد بالإفاقة من سُقمِ  
وقال أيضاً :

وشادنٍ قال لي أنا رأى سقمي

وضف جسمي والدمع الذي انسجماً

أخذت دمعك من لفظي ، وجسمك من

خصري ، وسقمك من طرفي الذي سقمًا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيم      لو أن من أشكو إليه رحيم

وقال ابن الزقاق :

ومقلّة شادنٍ أوّدت بجسمي      كأنّ السقم لي ولها لباس<sup>(٢)</sup>  
يسلّ اللحظ منها مشرفيًّا      لقتلي ثم يفهده النعاس

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهام مالها غرض      إلا فؤادي وما منها له عوض

(١) ديوانه ٣٢ ، حاسة ابن الشجري ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبعده :

تفوق مالي من طريف وتالد      تفوق الصهباء من حلب الكرم

قال : قوله « تفوق مالي » هو من الفؤاد ؛ وهو ما بين الحلبتين .

(٢) ديوانه ١٩٠

(٢٦ - شرح مقامات الحريري ١)

ومرضى بجهنم كلها سقمٌ      صحّت وفي طبعها التمريضُ والمرضُ  
امن ولو بخيالٍ منك يؤنسني      فقد يسدّ مسدّ الجواهر العرضُ  
الشمم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجمال والسودد ،  
قال الفرزدق :

بلكفه خيزرانٌ ریحُهُ عبقٌ      من كفّ أروع في عرينه شمّم<sup>(١)</sup>  
يُغضى حياءً ويُغضى من مهابة      فلا يكلمُ إلا حينَ ينقسمُ  
وقال آخر :

في باعه طولٌ وفي وجهه نورٌ      وفي العرين منه شمّم  
وقال النابغة<sup>(٢)</sup> :

\* شمّ العرائن ضراً يؤنّ للهام \*

الذهب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبهه الحمرة في الخلد وضياؤه بحمرة النار ،  
وكني به أبو لهب لجماله .

وقال ابن وكيع ؛ فجمع السقم والذهب :

واحزني من جفون ظبي      أقام عذري بها عذاره<sup>(٣)</sup>  
أسقم جسمي بسقم طرفي      حبرني في الهوى اخوراره  
عجبت من جمرٍ وجنتيه      يحرّقني دونه استعاره  
هو اختياري فأبصروه<sup>(٤)</sup>      شاهد عقل النقي اختياره

(١) ديوان الحماسة - بهرح المرزوقي ١ ، ١٦ .

(٢) ديوانه ٧٣ ، صدره :

\* مستحقي حلق الماذي يقدّمهم \*

(٣) بئيمة الدهر ١ : ٣٤٢ ، وفيه : « واحزني » .

(٤) البئيمة : « هذا اختياري » .



وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ  
بَيْتَ مِنَ الْحَسَنِ لِي إِلَيْهِ  
وهو على خدّه مُدَارٌ<sup>(١)</sup>  
حَجٌّ مَدَى الدَّهْرِ وَعَاتِرٌ

ولا بن الزقاق :

بِأَبِي مَنْ لَمْ يَدْعُ لِي لِحْظَهُ  
جَعَلَتْ نَكْبَتُهُ فِي ثَغْرِهِ  
فِي الْهَوَى مِنْ رَمِيٍّ مِنْدُرْمَقٍ<sup>(٢)</sup>  
عَبَقًا فِي نَسَقِي يَسْبِي الْحَدَقَ  
وَبَدَتْ خَجَلَتُهُ فِي خَدِّهِ  
شَفَقًا فِي فَلَقِي تَحْتَ غَسَقِي

وقال الخفاجي<sup>(٣)</sup> :

يَابَانَةٌ تَهْتَزُّ فَيَنَانَةٌ  
كَمْ دَمَعِ عَيْنِيكَ قَدْ أَجْرِبْتُهُ  
وَرَوْضَةٌ تَنْفَحُ مِغْطَارًا  
كُنْتُ فَسْتَى قَوْسَهُ حَاجِبًا  
وَقَلْبٌ صَبَّ فِيكَ قَدْ طَارَا  
فَإِنْ رَمَى يَجْرَحُنِي طَرْفُهُ  
رَمَزًا وَسَمَى النَّبْلَ أَشْفَارًا  
فِيصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيقًا بِهِ  
لَحْظَتُهُ أَجْرَحُهُ نَارًا  
وَأَصْبِغُ الْأَلْوَانَ أَزْهَارًا<sup>(٤)</sup>  
يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ  
كَعْبَةٌ حُسْنٍ حَيْثُمَا دَارَا  
قَدْ طَبِعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَاهِمًا  
تَعْبُدُ مِنْ وَجْنَتِهِ نَارًا  
تَسِيكُ مِنْهُ الْعَيْنَ دِينَارًا  
فَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجُوسِيَّةٌ

غيره :

وَأُعِيدُ تَدْنِي وَجْنَتَاهُ مِنَ اللَّسْحِ  
تَخْلُقُ إِلَّا مِنْ صَدُودِيَّ بِالشُّحِّ  
عَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلَّتْ أَجْرَحُ خَدَّهُ  
مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقَصَابُ مِنَ الْجُرْحِ

(١) يتيمة الدهر ١ : ٣٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة ، ويعرف بالخفاجي أيضا ، والآيات في ديوانه ١٢٥ م .

(٤) الديوان « وأصبغ النوار » .

الثغور : جمع ثغر وهو السن . وتقدم الشنب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب النعم :

ذكرتكِ بالتفاحِ لما شممتُهُ      وبالرَّاحِ لما قابلتِ أوجهَ الشربِ (١)  
وتذكرتِ بالتفاحِ منكِ سوائفًا      وبالرَّاحِ طعامًا من مقبلِكِ العذبِ

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

بأبي فمٌ شهد الضميرُ له      قبل المذاقِ بأنه عذبُ  
كشهادةِ اللهِ خالصةِ      قبل العيانِ بأنه الربُّ

وقال أحمد بن محمد الغساني :

له مبسمٌ برقتهِ خاطفٌ      عقولَ الرجالِ إذا ما ابتسمُ  
أقولُ له إذ بدأ دُرّه      شهدنا لصانعهِ بالحكمِ  
أرى الدرَّ تثقبه الناظمونُ      وما تقبوا إذا فكيف انتظمُ!

وقال أبو بكر البلوي :

تقطفُ من ثمره ووجنته      أناملُ الطرفِ زهرةً عجبًا  
شقيقها مذهبًا يرى خجلًا      وأقحوانًا مفضضًا شنبًا

وقال ابن بشر الكاتب : (٢)

ولم نزل ، والظلام حارسنا      جسمين مستودعين في جسمِ  
ألمه في الدجى وبرق ثنا      ياهُ يربني مواقعَ اللثمِ

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والأبيات في نهاية الأرب ٢ : ١٠٤

ثم افترقنا عند الصّباح وقدْ أتر فيه كهيئة الختمِ-

وقال الشريف الرضى :

بنناً ضجيعين في ثوبني هووى وتقى  
وبات بارق ذلك الثغر يوضح لى  
يلفنا الشوق من فرقى إلى قدمِ (١)  
مواقع اللثم في داجٍ من الظلمِ-

وقال المتنبي :

حسان التثنى ينقش الوشى مثله  
ويبسمن عن درٍ تقلدن مثله  
إذا مسن في أثوابهنّ النواعمِ (٢)  
كان التراقى وشحت بالمباسمِ-

فهذه معانٍ مختلفة في أوصاف الثغر كلها حسان .

\* \* \*

قوله : « والبنان بالترف » ، أى الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل في

ذلك قول النابغة :

بمخصبٍ رخصٍ كان بنانهُ  
فإنذا تشبيهه بديع .  
غم يكاد من اللطافة يعقد (٣)

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخصٍ غير شئن كأنه  
وقال غيره :

يا قرأ أبصرت في مائمٍ  
يندب يشجواً بين أتراب (٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، وفيه : « في أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٥) ديوانه ١٧

(٦) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأغاني ٣ : ١٣٠

أبرزه المائم لي كارهاً  
بيكي فيذري الدر من نرجس  
من بين راياتٍ وحجابٍ  
ويلطمُ الورْدَ بعُنَّابٍ  
وقال عكاشة<sup>(١)</sup> :

سقىا لمنزلنا الذي كا به  
إذ نحنُ نسقاها شمولاً قرَفًا  
يوم الخميس عشيةً أصحَّابًا  
تدعُ الصَّحِيحَ بعقله مُرتابًا  
من كفِّ جارِيَةٍ كأنَّ بنانها  
وكان يُمناها إذا ضربت بها  
من فضةٍ قد فُعمتْ عُنَّابًا  
تُلقي على يدها الشَّمالَ حِسَابًا  
وقال آخر :

وحوراء اللواخطِ بين قَلبي  
تري ماء النَّعِيمِ يحولُ فيها  
وبين جفونها حَرَبُ البُسُوسِ  
كمثلِ الحمرِ في صافي الكُثُوسِ  
كانَ بنانها أقلامَ عاجٍ  
مرصعة الرأسِ بآبنوسِ

ووصف الخصور بالهيف ، وهو الضمر والرقعة ، وسندكر معها ما يستظرف ،  
وقد تقدم قول ابن عبد ربه :

با مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ  
ما بالُ قَلْبِكَ لا يَكُونُ رِقِيْقًا<sup>(٢)</sup>

وقال ابن الرومي :

وَهَبْتَ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا  
ظَبِيٌّ كَأَنَّ بَحْضَرَهُ  
فَأثَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا  
مِنْ ضَمْرِهِ ظَلَمًا وَجُوعَا

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد العمي ، منسوب إلى بني العم ، من شعراء الأغاني ،  
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .  
(٢) مطمح الأنفس ٥٢ .

وقال عبید<sup>(١)</sup> الله بن عبد الله :

سَلَمَى وَمَا سَلَمَى تَفُوقُ الْمَنَى  
وَسَاحَهَا يَحْسُدُ خَلْخَالَهَا  
وَالْحَسْنَ أَوْصَافَا وَأَوْأَنَا  
كَجَائِعٍ يَحْسُدُ شَبْعَانَا

وقال كشاجم في مقلوبه :

مَسَاوِلَةُ السَّكَلِ غَيْرَ بَطْنِ  
حَجُّوْهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِرَابٍ  
مَنْقَلٍ فِيهِ عَنَكِيوتُ  
وَوَشَّحَهَا كَاطْمٌ صَموتُ

وقال حبيب :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوْأَنْسُ  
مَنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنْ الْخَلَاخِيلِ صُيِّرَتْ  
قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلِ<sup>(٢)</sup>  
لَهَا وَشُجًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِلُ

أخذه القاضي ابن لبّال فقال :

جَلوتِ لَنَا شَيْئًا مِنَ الدَّرِّ عَاطِلًا  
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيْتُ سُقُوطَهُ  
بِعَيْشِكَ لِمَ جَنَّبْتَهُ الْجِيدَ وَالذَّخْرَا  
وَأُومِتْ إِلَى فِيهَا فَنظَّمْتَهُ نَفْرَا  
وَحَازَرْتُ أَنْ يَدْمِيهِ حَمَلْتُهُ الْخَصْرَا  
كَذَلِكَ إِنْ عَضَّ السَّوَارُ بِمَعْصِي

وأكثر ما يذكرون الخضر بالرقعة مع ذكر الكفل بالمعظم ، كما قال

ديك الجن :

وَتَمَائِلَتْ فَضَحَكْتُ مِنْ أَرْدَادِهَا  
تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا  
عَجْبًا ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ نَخْصِرِهَا<sup>(٣)</sup>  
وَرَدِيَّةً ، وَمُدَامَةٍ مِنْ نَفْرِهَا

وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

(١) ط : « عبادة » ، وهو عبید الله بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في  
ابن خلكان ١ : ٢٧٣ ، والبيتان في ديوان المعاني ١ : ٢٥٠ .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مشت كأنصن ينهيه النَّسِيمُ      ويعدُّوه النَّسِيمُ فيستقيمُ  
 لها ردْفٌ تعلق من ضعيفٍ      وذلك الرَّدْفُ لي ولها ظُومُ  
 يعذبني إذا فكرت فيه      ويتعَبها إذا رآمت تُقومُ  
 وما حَبِّي لها إلا عذابٌ      عليه من نَضَارَتِهَا نعيمُ

قوله: «سهواً» . أى خطأ. والهامة: الرأس. وإلا فرمى الله جفنى بالعمش،  
 إنما ذكر العمش والنمش وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لما يتبين  
 من الغلام عند الوالى أضدادها، فيزداد حسناً .

\* \* \* وبضدّها تتبينُ الأشياءُ \* (١)

والعمش : انتشار شعر العينين . والنمش : أخفى من البرش . الجلح : الصلح ،  
 وهو انحسار الشعر من التزعتين ، وفعله جَلَحَ الرجلَ واجلَحَ ، كاسودَّ . والطلع :  
 قد تقدّم في الثانية ، وإذا علته خضرةٌ سُمِّيَ بلحاً . والبهار : نرجس المغرب ،  
 وهو أصفر ، والورد أحمر ، فدعا له بعلّة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده .  
 والبخار : كالبختر : اللتن . والمسكة : أطيب العطر ، فدعا له بتغيير الرائحة . وتقدّم  
 أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة . وتقدّم في الثانية معنى قوله :  
 « ووردتني بالبهار » منظوماً ، وقال الصّابي في أبحر :

نطق ابن نصرٍ فاستطارت جيفةٌ      في العالمين لنتن فيه الفاسدِ (٢)  
 فكانَ أهل الأرض كلهمُ فسوا      متواطئين على اتّفاقٍ واحدٍ

وقالت جنان في أبي نواس :

فإذا ما أردت أن تحمد الله      على ما أعطى وأولاك شُكراً  
 فليكن ذلك بالضمير فمن سبَّح      بالفسو نال إثمًا ووِزراً

(١) للعتبي ديوانه ١ : ٢٢ ، صدره :

\* ونديمهم وبهم عرفنا فضله \*

(٢) بتيبة الدهر ٢ : ٢٦٣ .

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه      قد لا كهافي فيه الأبخر  
فبادر القط إلى دفنها      يحسبها من بعض ما قد خرى

قوله: «وبدرى بالمحاق»، المحاق: أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .  
واحتراق الفضة: اسودادها . وشُعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته  
بسواد اللحية ، أى عاجلنى لله بالالتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسو بياض  
وجهه سواد الشعر ، فيكسد ولا يُبْلَغَتْ إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يارب إن لم يكن فى وصله طمع      وليس لى فرج من طول هجرته (١)  
فأشف السقام الذى فى طرف مقلته      واستر ملاحه خديه بلحيته

ونقل لفظاً احتراق الفضة من قول أبي الحسين النعمرى (٢) ، وهو من شعراء اليتيمة:

لى حبيب يزهى بحسن عجيب      وبقد مثل القضيب الرطيب  
أحدثت بالسواد فضة خدي      فقد أحرقت سواد القلوب

[ ذكر العذار والالتحاء ]

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضوع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح  
به وذم ، قال ابن عبد ربه :

ومعذر نقش الجلال بمسكه      خدأ له بدم القلوب مُضْرَجَا (٣)  
لما تيقن أن سيف جفونه      من نرجس جعل التجاد بنفجَا

وقال ابن صارة (٤) :

(١) ديوانه ١ : ٧١

(٢) هو أبو الحسين محمد بن عمر النعمرى الكاتب ، من شعراء العراق ، والبتان فى

اليتيمة ٢ : ٣٤٦ .

(٣) المقدم ١ : ٣٣

(٤) ط : « صارة » ، تصحيف ، والبتان فى نهاية الأرب ٢ : ٨٦٥ .

ومعذّر رقت حواشي حسبه  
لم يكس عارضه السواد وإنما  
وقال عبد المحسن الصوري :

ومعذّر العذار إلى فؤادي  
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي  
ولما قلت إن الشعر يسى  
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلعت عذارى  
ما كنت أحسب أن أعين أو أرى  
حتى نظرت إلى عذارك فاعتدى  
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسنُ بالعذارِ  
أخضرٌ في أبيضٍ تبدى  
لقد حوى مجلسي تماماً  
واختاط الليل بالنهار<sup>(١)</sup>  
ذلك آسى وذأ بهارى  
إن يك من ريقه عفارى

وقال ابن حمدون :

ظلّ على خده العذارُ  
وأبيض هذا واسود هذا  
أغض عيني عنه لأنى  
فافتضح الأسُ والبهارُ  
واجتمع الليل والنهارُ  
عليه من مُقلتي أغارُ

(١) والبيتان أيضاً في التخيبة ١ : ١ : ١٢٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٥٧ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٩ .

(٤) التخيبة ١ - قنعة ٢ : ١٥١ ، ١٠٠ - ق ٢ : ١٤ .



فهذا كله حسن في مدح العذار؛ وإن كان التذير بموت الجمال، فإذا تقوى العذار واسود؛ صاروا إلى نعيه، كما قال أبو بكر البلوي:

انظر إلى مَيِّتٍ وَلَكِنَّهُ      خَلَوْا مِنَ الْأَكْفَانِ وَالْقَاسِلِ  
قد كتب الدهر على خدّه      بالشعر: هذا آخرُ الباطلِ

وله في ضده:

لَمَّا التَّحَى مَنْ قَد هَوَيْتُ      وقلت رسمٌ قد دَرَّ  
عَايَنْتُ مِنْ طَلَّابِهِ      زُمْرًا مُوَاصِلَةً زُمْرَ  
وكذاك أصحاب الحديث      نَفَاقِهِمْ عِنْدَ الْكِبَرِ

وكما قال أبو الحسن بن الحاج:

أَبَا جَعْفَرٍ مَاتَ فِيكَ الْجَمَالُ      فَأَظْهَرَ خَدَّكَ لُبْسَ الْحِدَادِ  
وَقَدْ كَانَ يَنْبِتُ زَهْرَ الرِّيَاضِ      فَأَصْبَحَ يُنْبِتُ شَوْكَ الْقَتَادِ  
أَبْنِ لِي مَتَى كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ      يُدْرِكُ بِالْكُونِ أَوْ بِالْفَسَادِ!  
وَهَلْ كُنْتَ فِي الْمَلِكِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ      فَأَخَى عَلَيْكَ ظَهْرُ الْقَسَادِ  
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي غِلَامِ التَّحَى:

هَلَّا وَأَنْتَ بَمَاءِ وَجْهِكَ يُسْتَقَى      رَوْضُ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ الْعَارِضِ  
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحِيَّةً      ذَهَبَتْ بِحَسْنِكَ مَلءَ كَفِّ الْقَابِضِ  
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرَ عَصِيرِهَا      بَعْدَ اللَّذَازَةِ مِثْلَ خَلِّ الْحَامِضِ  
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بَسَامٍ فِي أَخِيهِ جَعْفَرٍ<sup>(١)</sup>:

يَا مَنْ نَعَّمْتَهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لِحِيَّتِهِ      أُدْبِرَتْ وَالذَّهْرُ إِقْبَالَهُ وَإِدْبَارُهُ  
قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ يَهْشَمُ النَّاضِرُونَ لَهُ      تُفَضُّ دُونَكَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارُ  
أَيَّامٌ وَجْهِكَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهُ      وَلِلرِّيَاضِ عَلَى خَدِّكَ أَنْوَارُ

(١) هو على محمد بن نصر بن بسام البغدادي، والأبيات في التخييرة ١ - ق ١: ١١٩ -

فيا لدهرٍ مضى ما كان أحسنه  
حانت منيته فاسودَّ عارضه  
إذ أنت ممتنعٌ، والشَّرطُ دِينَارُ  
كما تُسودُّ بعد الميِّتِ الدَّارُ  
وفيه يقول أيضاً :

حانتُ وفأنتك يا أبا العباسِ  
ما بالُ وجهك بعد كثرة نُورِهِ  
أين الدَّنانيرُ التي عودَناها  
كانت بخذلانِ ثيابه ديباجةً  
فدع المِكاسِ فلات حين مِكاسِ  
قد سودَّوه بحالك الأنفاسِ !  
هيَّهات جاء الشعرُ بالإفلاسِ  
فاستبدلت حِلْساً من الأحلاسِ  
كانت بليته من الآساسِ  
وكذا البناءُ فقيرٌ مرتفعٍ إذا  
وقال مُصعبُ الماعِجِن :

قد ضافحتُ أقطارَ خذلك لحيةً  
فكانَ خط الشعرِ في جنباتِهِ  
تركته وهو مسودُّ الأقطارِ  
ليلٌ أقام على نُجومٍ أو نهارِ

وكان لمحمد بن بشر بابان يُدخل من الأُكبر أصحابه ، ومن الأصغر أحبابه  
فجاء يوماً غلامٌ مليح ، وأراد الدخول من الأصغر على عادته ، فمنع ، فجعل يخاصم  
البواب لإدلاله ، فبلغ ذلك ابن بشرٍ ، فكتب إليه :

قل لمن رامَ بجهلٍ مدخلَ الطَّيِّبِ العَرِيرِ  
بعد أن علق في خديب  
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إن جا  
من البابِ الكَبِيرِ  
مدخلَ الطَّيِّبِ العَرِيرِ  
من خِلاَةِ الشَّعِيرِ  
من البابِ الكَبِيرِ

وقال ابن الأَبَر :

لستُ بصابٍ إلى معذَر  
لا أعشقُ الطَّيِّبِ ذا الجِمامِ  
بل أنا في حُيِّهِ معذَر  
لأنه في الطَّيِّبِ منكَرُ

أحسن ما فيه أن تراه بين مهارة وبين جوذرة

ينظر قوله : «لأنه في الظبا منكر» إلى قول حبيب :

تعشقت الكبارَ يدلّ عندي على أن الرحي قلبت نِفالا<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

لى فى أبى يحى ومعشوقه شغل على ذى شغل شاغل  
يا ليت شعري قول ذى حيرة من منهما المفعول والفاعل!

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بأبى ظبي صغير السن حازت ثلث سببي  
سررتني أن ليس يدري مذهبي فيه وقتي  
فهو يدعوني عما وأنا أدعوه بأبني

وللخبز أرزى :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ربيع حسن دعاني لاتباع هوى  
لما تفتح فيه النور والزهر  
وقال التنوخي في جسيم :

من أين أستر وجدى وهومنتهك ما للمعتم في نيل الهوى درك<sup>(٢)</sup>  
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم جسم ضمّه الفلك  
وللقية ابن حزم :

وذى عدل فيمن سباني حسنه يُطيل ملاحي في الهوى ويقول<sup>(٤)</sup> :

(٢) يتيمة الدهر : ٣٣٨ .

(١) ديوانه : ٤٢٠ ( طبع المعارف )

(٤) الذخيرة ، القم الأول ١ : ١٤٧

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٣١٨ .

أني حسن وجهٍ لآح لم تر غيره  
فقلت له: أسرفت في اللوم ظاهراً  
ألم تر أنني ظاهريٌّ وأنني

وأحسن حبيبٍ حين قال :

قال الوشاةُ بدا في الخلد عارضه  
الحسن منه على ما كنت أعهد  
أحلى وأعذب ما كانت شمائله  
وصار من كان يلحى في مودته

وقال الحلواني :

قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته  
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته:

وله أيضاً :

سامني بالمهوى عذاباً شديداً<sup>(١)</sup>  
خيفة أن يكون حسناً جديداً  
أن أراه مثلي محبباً عميداً

وقال غيره :

قد حل في سوق الكساد  
كأنما الشعر فيه زرع  
مذ لآح في خدك السواد<sup>(٢)</sup>  
والنتف منه له حصاد

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لانكثروا » .

(٢) نهاية الأرب ٢ : ٨٥ ، من غير نسبة الذخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٠٠ (٤) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الحلواني أيضاً .

وقوله: «ودواتي بالأقلام»، أي ابتلاه الله أن يلاطبه، قال الفنجديهي:  
أُنشدني بعضُ الشعراءِ بمروُوزٍ لبعضهم:

دوادار الأمير له دواةٌ كمثل الياسمين بغير صُوفٍ  
پرى قلم الأمير يفوصُ فيها مفاص عصيدةٍ في حلقِ صوفِي

ونقل لفظ الدواة والأقلام من قول ديك الجن؛ وكان يهوى غلاماً من  
حِمْص، اسمه بكر، جلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر، فقام بكر  
لميشي، فقال:

دع البدر فليغرُبْ فأنت لنا بدرُ إذا ما تجلَّى عن محاسنك الشَّفَرُ<sup>(١)</sup>  
إذا ما انقضى سحر الذين يبابلُ فأنت لنا سحرٌ وريقك لي حَمْرُ  
ولو قيل لي قم فادع أحسنَ مَنْ ترى

لصحت بأعلى الصوت: يا بكرُ يا بكرُ!

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمتع، فاحتال عليه قومٌ من حِمْص،  
فأخرجوه إلى متنزّه، فأسكروه وفسقوا به، فبلغ ذلك ديك الجن فقال:

يا بكرُ ما فعلت بك الأَرْطَامُ يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ<sup>(٢)</sup>  
في الدار بعدُ بقيّة نستانها أم ليس فيك بقيّة نُستانمُ  
شغل الظلامُ كراك في أبوابهم<sup>(٣)</sup> فتفرّغت لدواتك الأقلامُ  
وله فيه أيضاً:

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عسا كُر اللّيل بين الطّاس والجّام<sup>(٤)</sup>

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من عاسنك الفجر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأبطال » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن دهمرد » .

ألم أقل لك إن الكبر مهلكة  
قد كنت تفرق من سهم تعابنه<sup>(١)</sup>  
وكنت تفرع من لمسٍ ومن قبل  
إن تدم نخداك من ركض فربتما  
والبغي والعجب إفساد لأقوام  
فصرت غير رميم رقعة الرامي  
فقد ذلك لإسراج وإلجام  
أمسى وقلبي منك الموجه الدامي

قال أبو علي بن رشيقي: كنت أوصي غلاماً وضيعاً ، كان يختلف إليّ ،  
وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه ، فأوقع به ،  
فأخبرت بذلك ، فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحال  
مأخذق الناس بصوغ الخنا  
وإن كان ما قالوا كما قالوا  
صيع من الخاتم خلخال  
وهذا من قول ابن المعتز :

مضى خالدٌ والمال تسعون درهما  
وأبورأس المال ثلث الدرهم<sup>(٢)</sup>

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين في اليد .  
وقال ابن رشيقي :

سقطت ثنيته فأوجع قلبه  
فإذا مررت به فسلّ فؤاده  
لسقوطها وجرى عليه عظيم<sup>(٣)</sup>  
عنها وقلّ صبراً كذاك الريم  
والسلك لا واهٍ ولا مفصوم  
أعجاباً للؤلؤة هوت من سلكها  
أتمدياً يا خطبٌ وهو مصون

(١) الأغاني : « لغانية »

(٢) نقله في التنف ٥٨ .

(٣) نقله في التنف ٦٥

ويستحب لمن وُسم بوشمة الجمال ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل التبدُّل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعاً      فقلت : هيهات عنكم غاب أطيبيهِ<sup>(١)</sup>  
لو جادهان ، وقلت الجود عادتهُ      وإنما عزَّ لَمَّا عزَّ مطلبهُ

فإذا تبدَّل وأجاب كلٌّ من دعاه صار عرضةً للظنون ، ونبت عن محاسنه العيون ، لأنَّ النفس الحرَّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قومُ لم أهرزكمُ لللالةِ      مِنِّي ولا لِمقالِ واشٍ حاسدِ<sup>(٢)</sup>  
لكنني جرّبتكمُ فوجدتكمُ      لا تصبرون على طعامٍ واحدِ  
وقال أبو الوليد بن حزم :

لَمَّا استمالك معشرٌ لم أرضهمُ      والقول فيك كما علمت كثيرُ  
داويتُ دونك مُهجتي فمأسكتُ      من بعد ما كادتُ إليك تطيرُ  
فأذهب فقيرٍ جوانحي لك منزلُ      واسمعُ فقيرٍ وفائِك المشكورُ  
وله أيضاً :

يقول وقد لُمته في الهوى      فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :  
أتمسدتني؟ قلت : لا ، والذي      أحلك في الحب مبرعى وببلا  
وكيف وقد حلَّ ذلك الإزارُ      وقد سلك النَّاس تلك السبيلاً

(١) بيتية المهر ١ : ٣٣٧

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٥٠ ، الأغانى ١٥ : ١٣٧ ( ساسى ) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قايسْتُ بين جماله وفعاله      فإذا الملاحَةُ بالخيانةِ لا تَنِي (١)  
والله لا كَلَمْتَهُ ولو أنه      كالبدْرِ أو كالشمسِ أو كالمكتَنِي

وقال آخر :

أيا حسناً أزرْتُ قبائحَ فعله      عَلَيْهِ كما أزرَى الكسوفَ على البدرِ  
لقد فُتَّتْ كلُّ الناسِ حسناً وزينةً      ولكنما قَبَّحْتَ ذلكَ بالقدرِ

وقال ابن عيينة :

ضيعتِ عهد فتى لمهدك حافظُ      في حفظه عجبٌ وفي تضبيعك  
إن تقليه وتذهبي بفؤاده      فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

\* \* \*

فقال الغلامُ : الاضطِلَاءُ بِالْبِلْمِيَّةِ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ بِهَذِهِ الْآلِيَّةِ ،  
وَالانْتِقَادَ لِلْقَوْدِ ؛ وَلَا الْحَلْفَ بِعَالَمٍ يَحْفِيفُ بِهِ أَحَدٌ . وَأَبَى الشَّيْخُ  
إِلَّا تَجْرِبَهُ الْيَمِينِ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَرَ لَهُ جُرْعَهَا . وَلَمْ يَزَلْ  
التَّلَاحِي يَدْنُهُمَا يَسْتَعْمِرُ ، وَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعْرِ ، وَالغُلَامُ فِي ضِمْنِ  
تَأْيِيهِ ، يَخْلُبُ قَلْبَ الْوَالِي بِتَلْوِيهِ ، وَيُطْمِعُهُ فِي أَنْ  
يُلبِّيهِ ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَبَّ بِلُبِّيهِ ،  
فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تِيَمُهُ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهَّمُهُ ، أَنْ

(١) إنباه الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وبعده هناك :

حلفت لنا ألا نَمُحُونَ عُهُودَنَا      فكأما حلفت لنا ألا تَنِي



يُخَلِّصُ الْعُلَامَ وَيَسْتَخْلَصُهُ ، وَأَنْ يُقَدِّدَهُ مِنْ حِبَالَةِ الشَّيْخِ  
مُ يَقْتَتِصَهُ .

\*\*\*

قوله : « الاصطلاء » ، أى الاتصال والتأبُّس . والبلية ، أراد دعوة الباطل  
التي ادعى عليه الشيخ . والإبلاء : الخلف . والألوية : اليمين . والقود : قتل النفس  
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف  
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمقر : أمر ، من المقر ؛ وهو الصبر .

[ من ألوان من الخلف ]

وهذه اليمين المخترعة ، حكى الأصمعيّ شبهها ، فقال : اختصم أعرابيان عند  
بعض الولاة في دين ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال المدعى :  
دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل : لا ترك  
الله لك خُفًا يتبع خُفًا ، ولا ظلفًا يتبع ظلفًا ، وحتك من أهلك وولدك ، كما  
يُحاتّ الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لي هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم  
يحلف له .

وحكى المسعودي أن الفضل بن الربيع قال : صار<sup>(١)</sup> إلى عبد الله بن مصعب  
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله  
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أرادنى على بيعته ، فأخبرت  
الرشيد بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبيرى لموسى : سعيتم علينا ، وأردتم نقض  
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فغلب الرشيد الضحك حتى رفع  
رأسه إلى السقف لثلاثا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا  
المشنع على ، خرج مع أخى محمد على يدك المنصور ، وهو القائل [من أبيات]<sup>(٢)</sup> :

قوموا ببيعتهم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

(١) ط : « سار » ، وما أتتبه من ا ، ب . (٢) من المسعودي .

ولست سعايته حُبًّا لك ، ولا مراعاةً لدولتك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت<sup>(١)</sup> ، وأنا أستحلفه بيمين ، فإن حلف بها أتت قات ذلك ، فدمى حلال لأمير المؤمنين . فقال له الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فامتنع ، فقال له الفضل : لِمَ تمتنع وقد زعمت أنه قال ما ذكرته؟ قال : فإنى أحلف له ، قال موسى : قل : تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ، إن لم يكن ما فاته حقاً . فخاف له ، فقال موسى : الله أكبر ! حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث » ، وهأنذا بين يدي أمير المؤمنين في قبضته ، فإن مضت ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدمى حلال لأمير المؤمنين .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من داره<sup>(٢)</sup> . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم أسود حتى صار كالنجم ، فعرّفت الرشيد في الحين ، فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد مات ، فبادرت بتعجيله ، وتولّيت الصلاة عليه . فلما وُورى في قبره انخسف به ، وخرجت رائحة مفرطة الذنن ، ومرّت أحمال شوك على الطريق ، فأمرت بها فطرحت في قبره ، فانخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحت على قبره وألقى التراب عليها ، وانصرفت ، وأعلمت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاها ألف دينار ، وقال له : لِمَ عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس ؟ فقال : أخبرت بالسند المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من خلف بيمين كاذبة تجد الله فيها ، استحيا الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث<sup>(٣)</sup> » .

\* \* \*

قوله : « التلاحى » ، السباب والتشائم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بعدها في السمودي : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكان معه ، وقد قال باطلاً :

(٢) ب والسمودي : « من دار عباده » .

(٣) الخبر في السمودي ٣ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

عليه وسلم : « من لآحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لاحاك فقد عاداك .

يستمر : يتقد . محجة التراضي : أى طريق الرضا . تعرُّ : تصب . وفي ضمن تأبّيه ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يخلب : يخدع ويأخذ قلبه . تلويّيه : انعطافه . يطعمه : يدعو للطمع . يلبّيه : يحببه لمراده . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نُكِّت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقلت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران » ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١)

ألب : أقام . لبه : عقله . سؤل : زين . الوجد : حرقه القلب . تيمه : عبده وذلكه ، والتميم : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حباله : آلة الصيد . يقتنصه : يصيده ؛ يقول : إن هذا الغلام فى أءء كلامه بالتمنع وترك الاقنياد للشيخ يطمع الوالى فى الاقنياد له ، وإنه إذا دعاه لما يريد منه أجابه ، وإنما فعل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسّر الوالى حال الغلام بمنظوم لأنشد :

يهدى لك الدر من لفظٍ ومبتسمٍ      ضربان : منتشر منه ومنظوم

يجنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه      من أجل ذلك قيل الحسن مرخوم

ولأنشد إذا غلب عليه هواه :

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر      وورد خديك لاورد ولا زهر (٢)

فى ذمة الله قلب أنت ساكنه      إن بنت بان فلاعين ولا أثر

لولا محلك من قلبى لما أسفت      نفسى عليك ، فرقناً أيها القمر

هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :

(٢) فصح الطيب ٤ : ٤ .

(١) المطدئين ١٤

أذكيت من قلبي بنايك لوعةً حتى خشيت على محلك فيه

ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

وإنا رماني بالسهام تَمُدًّا وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدري  
فقلت له لا ترم قلبي فإنه مكانك والمرمى أنت ولا تدري

وقال آخر :

حملتك في قلبي فهل أنت عالم بأناك محمول وأنت مُقِيم !  
ألا إن شخصاً في فؤادي محله وأشتاقه ، شخصٌ على كريم  
وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل تذكى شهاب الشوق في أنثائه<sup>(١)</sup>  
جاورته شرّ الجوار وزرته لما حطت فناءه بفنائيه  
حرق سوى قلبي ودعه فإنتى أخشى عليك وأنت في سودائه  
وقال آخر :

أودع فؤادي حرقاً أودع نفسك تؤذي أنت في أضلعي  
أمسك سهام اللحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابٍ معي  
موقعها القلبُ وأنت الذي مسكته في ذلك الموضع

\* \* \*

فقال للشَّيخ : هَلْ لَكَ فِيما هُوَ الْبَيْتُ بِالْأَفْوَى ، وَأَقْرَبُ  
لِلتَّقْوَى ! فقال : إلام تُشيرُ لأَقْتَفِيهِ ، وَلَا أَقِفُ لَكَ فِيهِ ؟ فقال :  
أرى أن تُقَصِّرَ عَنِ الْقَيْلِ وَالْقَالِ ، وَتَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مائةٍ مِثْقَالٍ ،

(١) ديوانه ٨٨ .

لَا تَحْمَلْ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأَجْتَبِي الْبَاقِيَ لَكَ عَرْضًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :  
مَا مِنِّي خِلَافٌ ، فَلَا يَكُنْ لَوْعَدِكَ إِخْلَافٌ ، فَتَقَدَّهُ الْوَالِي عِشْرِينَ ،  
وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمَلَةَ خَمْسِينَ . وَرَقَّ ثَوْبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ  
لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَارَاجَ ، وَدَعْ عَنكَ اللُّجَاجَ ،  
وَعَلَى فِي غَدٍ أَنْ أُتَوَّصَلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَى لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،  
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ الْأَازِمَةَ لَيْلَتِي ، وَيَرَاهُ إِنْسَانٌ  
مُقَلَّتِي ، حَتَّى إِذَا أَعْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ  
الصُّلْحِ ، تَخَلَّصْتَ قَائِبَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيءٌ بِرَاءَةِ الذُّبِّ مِنْ  
دَمِ ابْنِ يَمْقُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سُمْتَ شَطَطًا ، وَلَا  
رُمْتَ فَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَّجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَّجِ  
السَّرِيحِيَّةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلمُ السَّرُوجِيَّةِ

\* \* \*

قوله : « أليق » أى أشكل وأصقل . بالأقوى . بصاحب القوة . والذي  
هو أقرب للتقوى ، هو العفو لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) .  
أقضيته : أتبعه . لا أقف لك فيه ، أى لا أتوقف فيما تشير به . تقصر : تكف . عن  
القييل والقال ، أى عن كل كلام . أجتبي : أجمع . عرضاً : كل ما ليس فيه  
روح من الأمتعة غير العين ؛ وهو ليس بنقد من الساع التي يتجر فيها من متاع  
ورقيق وغير ذلك . أحمّل : أضمن ، وفلان حميل بكذا ، أى ضامن له . إخلاف :  
كذب وعد . نقده : أعطاه نقداً . وفرق : فرقه . شرطته الذين يكونون

(١) سورة البقرة ٢٣٧ .

عنه الناس ، واحدهم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كَفَفْتَهُ ،  
 وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصرى رحمه الله : لا بدّ للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل  
 العشى . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو في ذلك الوقت رقيق . صَوْبٌ : وقع ، وصاب  
 السهم صوباً وصيَّباً : وقع بالرماية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والاصحليل : أن  
 يحصل بقية المال . راج : حضر وتيسر ، ويقال : راج الشيء رَوْجًا فهو رَاجٌ إذا  
 جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقلتي » ، أى سواد عيني . يراعه : يحفظه وينظره .  
 أَعْفَى : أتى بالبقية ، والعفاوة : بقية المرق في القدر . تخلّصت : انفصلت . والقائبة :  
 البيضة . والقُوب : الفَرْخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصَّحبة ،  
 وجاء مقلوباً لأن الذى يفصل ويخرج إنما هو الفَرْخ من البَيْضَة ، والقُوب ، من  
 تقوَّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحِزاز<sup>(١)</sup> . وابن يعقوب هو يوسف  
 عليهما السلام ، وبراءة الذئب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى  
 أبيهم يبكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدّقهم ، فاصطادوا ذئباً فلطّخوه بدم ،  
 وآتوه ببيكون ، وقالوا له : هذا الذئب قد ضرى ، أكل أغنامنا وأكل يوسف  
 أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطقه له ، فقال للذئب : ادن منى ،  
 فجعل يبصص بذئبه ويدنو منه ، حتى وضع خده على فخذ يعقوب ، فقال له :  
 لم أكلت ابني ، وجعفتى فيه ؟ فقال : لا والله يا نبي الله ، ما رأيته ولا أكلته ،  
 ولما لغريب فى أرضكم اليوم ، وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقدته ،  
 فأوثقتى هؤلاء وساقونى إليك ، فقال لهم يعقوب عليه السلام : الذئب مع أخيه  
 أوئى منكم مع أخيكم .

قوله : « سُمّت » : أى كَلَّمْت . شَطَطًا : شيئاً بعيداً ، والشَّطَط : مجاوزة القدر .  
 ورمت فَرَطًا : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسمّه شططا ، وقد حرّمه لذة  
 ليلة مع هذا العلام أحسن من ليلة الخفاجى<sup>(٢)</sup> حيث يقول :

(١) فى القاموس : الحِزاز ؛ ككتاب : وجم فى القلب من غيظ أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسى ، صاحب الديوان المنسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَضَيْتَنِي      من موعدٍ للحبيب دِينًا<sup>(١)</sup>  
 بَتْنًا نَجْرًا الذِيُولَ فِيهَا      والحمر تَمْشِي بنا الهويبِي  
 أَرْسَلَ فِي رَوْضٍ وَجَنَّتِيهِ      لِحِظَةِ عَيْنٍ تَفِيضُ عَيْنًا  
 كَأَنَّما اللَّحْظُ كِيمِيًا      تُذْهَبُ مِنْ وَجْهِهِ لُجَيْنًا  
 وَمَا تَوَهَّمَتْ أَنْ طَرَفَا      يَقْلِبُ عَيْنَ اللَّجِينِ عَيْنًا

أو ليلة الآخر حين يقول :

لَمَّا رَأَى مَنْ ظَلَّتْ فِيهِ مَتَمًّا      جَسْمِي ضَيْلًا وَالْفَوَادِ مَوْلَهَا  
 جَادَتْ شَمَائِلُهُ عَلَى بَلِيلَةٍ      أَهْدَتْ إِلَى الصَّبِّ الْمَعْنَى مَا شَتَمَتِي  
 عَانَقَتْ فِيهَا الْبَدْرَ لَيْلَةَ تَمِّهِ      يَا مَنْ رَأَى بَدْرًا يَعَانِقُهُ الشَّمَا!

[ ذكر أحمد بن سريح أحد أئمة الشافعية ]

قوله: «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريح، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة.

وقال الفنجديهي: الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريح إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، ومن لانفست ذات درّ بمثله في الآفاق، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج، وكان يلقب بالبازي الأشهب، وبالشافعي الثاني، لتبجّره في استنباط المعاني، من غوامض الأخبار والمثاني، دلائله في فنون العلم متينة، وبراهينه مبيّنة. وقال: رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحمر، فملاّت كمي وحجري وجيبي منه، فعُبر لي أني أرزقُ علماً غزيراً كعزة الكبريت الأحمر.

وَمُسَمِّعٌ يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

(١) ديوانه : ٣٤٠ ، المغرب ٢ : ٣٦٩

فلا تحمد الكلب أكل العظام - فعند الخسارة ما ترحة  
 تراه وشيكاً شيكساً إسته كلوما جناها عليه فمه  
 إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من بكرمه

وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوماً وقد أكثر عليه  
 السؤال : أبلغني ربي ، فقال له : قد أبلعتك الدجلة والفرات<sup>(١)</sup> .

وقال له مرة : أمهلني ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم  
 الساعة<sup>(٢)</sup> .

وقال له ابن داود يوماً : أكلك من الرّجل وتجيبي من الرأس ! فقال له :  
 كذلك البقر إذا حفيّت أظلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصبهاني في مجلس  
 عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من  
 كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإيلاء ، فقال له  
 ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أنزه في روض الحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرمًا<sup>(٣)</sup>  
 وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه يُصبّ على الصخر الأصم تهدماً  
 وينطق طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رده لتكلمًا  
 رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فلست أرى حبًا صحيحًا مسلمًا

وقال له ابن سريج : بم تفتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ ( طبع الحلبي ) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .



وَمُساهِرٍ بِالْفُتُوحِ مِنْ لَحَظَاتِهِ قَد بَتَّ أَمْنُهُمُ لَدَيْدِ سِنَاتِهِ (١)  
 أَصْبُو لِحْنِ كَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ وَأُكْرِرُ الِاحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ  
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ لَاحَ عَمُودِهِ وَلَى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ  
 فقال له أبو بكر: أصلح الله الوزير! يحفظ عليه ما قال، حتى يقيم عليه  
 شاهدين عدلين، أنه ولي بخاتم ربه وبراعته، فقال له ابن سريج: فيلزمي في  
 هذا ما يلزمك في قولك:

\* وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحْرَمًا \*

فضحك الوزير، وقال: لقد جئتُما ظَرْفًا ولطفًا وعلماً ونَهْمًا .  
 اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم  
 والفضل والدين كانا يرتاحان إلى التعمش على سبيل التعزف والتزام التعفف  
 على ما يليق وبشكل بمنصهما؛ وإذا كان التعمش بشرط العفاف، فإنما يزيد  
 الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رِقَّةً طَبِيعٍ، وَحِلَاوَةً شَمَائِلٍ .

وقال ابن سريج في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: أُرَيْتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةِ كَأَنَّ  
 قَائِلًا يَقُولُ: هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ فَقُلْتُ:  
 بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، قَالَ: قَمِيلٌ: مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ  
 يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةٌ فِي الْجَوَابِ، فَقُلْتُ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَصَبْنَا مِنْ  
 هَذِهِ الذَّنُوبِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَنُوفِي لِحْسِ مَضِينٍ مِنْ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَبَلَغَ سَنَةَ  
 سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَدُفِنَ فِي حِجْرَةِ بَسُوفَةِ غَالِبِ بِنَفْدَادِ رَحْمَةِ  
 اللَّهِ عَلَيْهِ .

[ طائفة من شعر النسيب ]

ونذكر الآن من نفيش الشعر المضمّن « مَنْ ظَفَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ بِرَادِهِ مِنْ .

الوصال ، ثم عفا عما يخلّ بأهل الجلال ، قال إدريس بن اليمان :

لم تدر ما خلّدت عينك في خلدي  
أفديك من زائر رام الدنوّ فلم  
خاف العيون ، فوافاني على عجل  
عاطية الكأس فاستجيت مدامتها  
حتى إذا غازلت أجفانه سنة  
أردت توسيده خدي وقل له  
فبات في حرم لا غدر يُرّعه  
بدر ألم وبدر التّم منه حق  
تخيّر الليل فيه ، أين مطاعه  
وقال الرمادي : (١)

وليلة راقبت فيها الهوى  
والراح ما تنزل عن راحتي  
وربّ يوم قيظه منضج  
أبرز من خدي لي رشحه  
وكان في تجليل أزراره  
فتحت الجنة من جيبي  
مروءة في الحب تنهى بان  
وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعد  
أهيف الكشح ، مُثقل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادي ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشح : العرق ؛ والطل : قطرات الندى .

غالب الخوف حين غالبه الشؤمُ      ق فأخفى الهوى وليس بخافي  
 غض طرفي عنه تقي الله واختره      ت على بذله بقاء التصافي  
 ثم ولي والخوف قد هز عطفية      ه، ولم تخل من لباس العفاف  
 وقال بعض الطالبين :

رموني وإياها بشنءا هم بها      أحق، أدال الله منهم وعجلاً  
 بامرٍ تركناه ورب محمد      جميعا، فلما عفا أو تجملاً  
 وسنزيد ما يستحسن في العفاف وضده في الثانية عشر .  
 قوله : « علم السروجية » ، أي مشهورها . والعلم : الجبل .

\* \* \*

فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام ، وانتشرت عقود الزحام ،  
 ثم قصدت فناء الوالي ، فإذا الشيخ لافق كالي ، فنشدته الله : أهو  
 أبو زيد ؟ فقال : إي ومحل الصيد ا فقلت : من هذا الغلام ،  
 الذي هفت له الأحلام ، قال : هو في النسب فرخي ، وفي  
 المكتسب فحى ، قلت : فهلا كفيت بحاسن فطرتيه ، وكفيت  
 الوالي الافتنان بطرتيه ! فقال : لو لم تبرز جبهته السين ، لما  
 فنفت لحمسين ، ثم قال : بت الليلة عندي انطفي نار الجوى ،  
 وندبل الهوى من النوى ، فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة ،  
 وأصلى قاب الوالي نار حسرة .

\* \* \*

لبثت : أقت. عقود : جمع عقد ، أراد ما يعقد من جموع الناس في الزحام .  
انتثرت : افتترقت . زهرت : أضاءت . الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سألته .  
هفت ، أى طارت . الأحلام : العقول . فطرته : خلقتة . تبرز : تظهر . والطرّة :  
قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشّمر على الجبهة بشكل السين على السّطر ، وأخذه  
من قول التّهامي :

يارُبّ معنّى بعيد الشّان نَسَلِكُهُ      فى سلك لفظٍ قريب الفهم مُحْتَصِرِ (١)  
لفظٌ يكون لِعَقْدِ القَوْلِ واسِطَةً      ما بين منزلة الإسهاب والمُحَصِّرِ  
إن الكتابة صارت تحت أنمله (٢)      وألجود فالتقيا منه على قَدَرِ (٣)  
تردّ أقلامه الأرماح صاغرةً      عكسًا ، كعكس شعاع الشّمس للقمرِ (٤)  
وفى كتابك فاعذُرْ مَنْ يهيم بهِ      من المحاسن ما فى أحسن الصّورِ  
الطرّس كالحدّ والنونات دائرة (٥)      مثل الحواجِبِ والسّينات كالطرّيرِ

ومن ملح الخبز أرزى :

وبنفسى من إذا خمّشته      نثر الوردُ عليه ورَقَه  
وإذا مسّتْ يدي طرّته      أفلتت منه فعادت حاقمه

أخذها من حكاية لعمر بن أبى ربيعة ؛ حدّث المغيرة بن عبد الرحمن ، قال :

(١) ديوانه ٤٥ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقيا به » .

(٤) بمدّه فى الديوان :

يحلّو بياض المعانى سودُ أحرفها      إن الظلامَ ليحلّورونق السّجّورِ

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة<sup>(١)</sup> ، فحُتَّتِ عَمْرَ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ ، فَجَلَسَتْ عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَمِدُّ الْخُلْصَةَ مِنْ شَعْرِي ثُمَّ يَرْسُلُهَا ، فَتَرْجِعُ عَلَيَّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : وَأَشْبَاهَهُ ! حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا بَنَ أَخِي ، قَدْ سَمِعْتَنِي أَقُولُ فِي شَعْرِي : قَالَتْ وَقَلَّتْ ... وَكَلَّ مَمْلُوكٌ لِي حَرًّا إِنْ كُنْتُ كُشِفَتْ عَنْ فَرْجِ امْرَأَةٍ حَرَامٍ قَطًّا ، فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ ، فَقِيلَ لِي : أَمَا فِي الْحَوْكِ فَسَبْعُونَ سِوَى غَيْرِهِمْ<sup>(٢)</sup> .

وساير عمرَ عُرْوَةَ بنَ الزبيرِ يحدِّثُهُ ، فَقَالَ : وَأَيْنَ زَيْنُ الْمَوَاكِبِ؟ - يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدًا ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ الْجَمَالِ - فَقَالَ عُرْوَةُ : هُوَ أَمَامَكَ ، فَرَكَدَ يَطْلُبُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَوْلَسْنَا أَكْفَاءَ كَرَامًا لِمُحَادَثَتِكَ ! قَالَ : بَلَى ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَلَكِنِّي مَغْرَى بِهَذَا الْجَمَالِ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ :

إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلَّعٌ بِالْحَسَنِ أَتْبَعُهُ      لَأَحْظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ<sup>(٣)</sup>

أَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، فَقَالَ :

أَتَأْذَنُونَ لَصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ      فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
لَا يَضْمُرُ السُّوءَ إِنْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ      عَفْءُ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقَ النَّظْرَ

[ بما قيل في حلق الشعر ]

ومما يتعلق بذكر الشعرِ حِلَاقِهِ ، وَالشَّعْرُ فِيهِ كَثِيرٌ ؛ فَلَمْ مِنْهُ بِالْبَسِيرِ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَرَعَ هَذَا الْبَابَ - فِيمَا يَذْكَرُ - الْقَائِلُ :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا      خِيفَةَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحْحًا

(١) الجملة : شعر الرأس

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذلك ليلاً وُصِبَ  
وقال أبو العباس القربيّ :

كان إلّا قَمَرًا تحت دُجَى  
أو كزهرٍ في كمامٍ كامنٍ

وقال أبو العباس بن حيّون :

حلقوك في تغييرِ حسنكِ رغبةً  
كالخمرِ فُضَّ ختامه فتشعشتُ

فازداد حسنك بهجةً وضياءً  
والشَّعْ قُطَّ ذُبَالُهُ فأضاء

\* \* \*

قوله: «قنفشتُ» ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قفشت الشيء ، قفشا إذا جمعت عليه كفك بسرعة ، وقد انقشفت العنكبوت ، إذا دخلت حُجْرَها .

قوله: «الجوى» ، أى مرض القلب. نديل : نعوض ، والإدالة : أن يكون الشيء لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدَّوْلَةِ. النوى : البعد أو يريد : هلم انجدد بالموْدَةِ فى هذه الليلة ، ويكون ذلك عِوَضًا من طول النزاق ، فقد عزمت على أن أنسلّ بالسَّحَرِ وأفرّ ، والانسال : الخروج مستخفياً . أصلي قلب الوالى : أجمله متحرّقا بالتحسر والتفجع .

\* \* \*

قال : فقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فى سَمَرٍ ، آتَقَ مِنْ حَدِيْقَةِ زَهْرٍ ، وَخَمِيْلَةِ شَجْرٍ ، حَتَّى إِذَا لَأَلَا الْأَفُقَ ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، وَآنَ انبِلَاجُ الفَجْرِ وَحَانَ ، رَكِبَ مَثْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الوَالِي عَذَابَ الحَرِيقِ ، وَسَلَّمَ إِلَى سَاعَةِ الفِرَاقِ ، رُفْعَةَ مُحْكَمَةِ الإِلْصَاقِ ،

وقال : اذْفَعُهَا إِلَى الْوَالِي إِذَا سَلِبَ الْقَرَارَ ، وَتَحَقَّقَ مِنْهَا الْفِرَارَ ؛ فَفَضُّضْتُهَا فِعْلَ التَّمَلُّسِ ، مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ التَّمَلُّسِ .

\*\*\*

قَضَيْتُ : أَتَمَمْتُ . سَمَرٌ : حَدِيثٌ بِاللَّيْلِ يُسَمَّرُ عَلَيْهِ . آتَقُ : أَحْسَنُ . حَدِيثٌ : بَسْتَانٌ ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا تَحْتَ حَائِطٍ أَوْ زَرْبٍ . زَهْرٌ : تَوْرٌ . خَمِيلَةٌ : رَوْضَةٌ فِيهَا شَجَرٌ . لِأَلَا : لَمَعَ وَأَضَاءَ . الْأَفَقُ : جِهَاتُ السَّمَاءِ . ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، هُوَ الْفَجْرُ الْكَاذِبُ ، وَهُوَ ضَوْءٌ يَظْهَرُ قَبْلَ الْفَجْرِ دَقِيقٌ مَتَّصِدٌّ إِلَى السَّمَاءِ . وَالسَّرْحَانُ : الذُّئْبُ ، شَبَّهَ ضَوْءَهُ بِذَنْبِهِ . آتَنٌ : حَانَ وَقَرُبَ . انْبِلَاجُ الْفَجْرِ : ظُهُورُ ضَوْئِهِ . مَتَنٌ : ظَهَرَ . الْحَرِيقُ : النَّارُ . سَلَّمَ : تَرَكَ . مُحْكَمَةُ الْإِلْصَاقِ : مَتَقَنَةُ الطِّيِّ . الْقَرَارُ : السَّكِينَةُ ، يَرِيدُ أَنْ الْوَالِيَّ إِذَا أَخْبَرَ بِهِرٍ بِنَا ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَجَعَلَ يَتَمَلَّلُ وَلَا يَقْرَ . فَضُّضْتُهَا : كَسَرْتُ خَتَامَهَا .

### [ ذِكْرُ التَّمَلُّسِ وَصَحِيفَتِهِ ]

والتَّمَلُّسُ ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ ، اسْمُهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ ، وَسَمِّيَ التَّمَلُّسَ بِقَوْلِهِ :

فَهَذَا أَوَانُ الْعَرِضِ جُنَّ ذَبَابُهُ زَنَايِرُهُ وَالْأُزْرُقُ التَّمَلُّسُ (١)

وَهُوَ مَا خُودٌ مِنَ تَلَمَّسِ الرَّجُلِ الْحَاجَةَ ، إِذَا طَلَبَهَا مَرَّةً مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ التَّمَلُّسِ بِالْيَدِ ، كَالَّذِي يَلْمَسُ بِيَدِهِ فِي الظَّلَامِ مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ يَطْلُبُ مِنْهَا شَيْئًا ضَاعَ مِنْهُ ، أَوْ كَلِمَاتٍ الْأَعْمَى شَيْئًا بِيَدِهِ .

(١) الْعَمْرُ وَالْمَعْرَاءُ ١٢٤ ، قَالَ فِي شَرْحِهِ: الْعَرِضُ : الْوَادِي ، وَيُرْوَى : «حَى ذَبَابُهُ» . ( ٢٨ — شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ ١ )

ومن كلام عامتنا: فلان يفتمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يُشعر به .

والمتمسُّ أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر القلَّين في الجاهلية ، وهم : التمسُّ والمسيب بن علس وحُصين بن الحِمام .

والمتمسُّ ، بالميم قبل اللام ، هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة ، وقد أُمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون ، وقد أُمس الشيء ، إذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته .

والصحيفة : الكتاب. وقصتها<sup>(١)</sup> أن التمسُّ وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سييء الخلق شديد ، وهو الذى حرَّق من تميم مائة رجل ، فهجوه ، فقال فيه التماس - وكان طرده لشيء بلغه عنه :

أطردتى حذرَ الهجاء ولا      والآلات والأنصاب لا تتل<sup>(٢)</sup>  
أى لا تنجو .

وقال فيه أيضاً :

إن الخيانة والمفالة واتلنا      والغدرَ نتركه ببلدة مفسد<sup>(٣)</sup>  
ملك يلاعب أمه وقطينها      رخو المفاصل أيزه كالبرد  
فإذا حلت ودون بيتى غاوة<sup>(٤)</sup>      فابرق بأرضك ما بدالك وارعد  
وقال طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو      رغوئنا حول قبتنا بخور<sup>(٥)</sup>

(١) جهرة الأمثال ١ : ٥٧٩ - ٥٨٢ ، الميداني ١ : ٣٩٩ .

(٢) الأفغانى ٢٣ : ٥١٦ (طبع الثقافة ببيروت) .

(٣) شعراء النصرانية .

(٤) غاوة : قرية من قرى حلب .

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦ ، والرغوئ : النعجة المرضع .



لعمرك إن قابوس بن هندٍ ليخط ملكه نوكٌ كثيرٌ<sup>(١)</sup>  
 في أبياتٍ شهرتها تنبي وتغني عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بحضرته ،  
 ويذمها إدلالُ المنادمة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختهما لثلاً يعلم ما فيهما -  
 هو أوّلُ مَنْ ختم الكتاب - وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته  
 أن يصلكما بجواز. فذهبا فمراً بطريقهم. اشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ،  
 ويتناول القمل من ثيابه ويقصمه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً كالיום أحق  
 من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مُحقٍ ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،  
 وأقتل الأعداء. ويروى : أقتل عدواً ، وأدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ، أحقُّ والله  
 مني مَنْ يحمل حتفه بيده .

فاستراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب  
 العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك الصحيفة فإذا فيها : فإذا  
 أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً : فقال لطفة : ادفع إليه صحيفتك ،  
 فإن فيها مثل هذا ، فقال لطفة : كلام لم يكن ليحتري على - وكان غراً صغيراً سن -  
 فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في الثُّني من جنبِ كافرٍ      كذلك أقنوا كل فظٍّ مضالٍ<sup>(٢)</sup>  
 رضيت لها بالماء كما رأيتهَا      يحولُ بها النِّيار في كل جدولٍ  
 وأخذ نحو الشام وقال :

ألقي الصحيفة كي يخفِّبَ رَحْله      والزاد حتى نعله ألقاها  
 أراد : أنه تخفَّف للفرار ، فألقى ما لا يُثقل ، وما لا بدَّ للسفر منه .

(١) النوك : الحماة

(٢) الشعر والشعراء ١ : ١٣١ . المحق : منطقت النهر . كافر : اسم علم للنهر الحيرة ،

وأقنوا ، أي أجزى .

وقال حين نجا :

مَنْ مَبْلَغِ الشَّمْرَاءِ عَنْ أَخْوِيهِمْ      خَبِراً فَتَصَدُّقَهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفَسِ<sup>(١)</sup>  
 أَوْ دَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا      وَنَجَا - حِذَارَ حَبَائِهِ - الْمُتَلَمَّسُ  
 أَتَقِيَ الصَّحِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِنَّمَا      يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاءِ الذَّقْرِسِ<sup>(٢)</sup>

وأما طرفة فوصل إلى البحرين ، فلما قرأ العامل صحيفته ، وسأله عن المتلمس فأخبره بفراره ، عفا عنه لصدقه ورعايته لطابع الملك حيث لم يفكه .

وقيل : إنه سَجَّهَ ، وبعث إلى عمرو بن هند ، وقال له : ما كنت لأقتل طرفة ، وأعادي قبيلته ، فإذا أردت قتله ، فابعث إليه مَنْ يقتله . ففعل وخبر في قتله ؛ فاخار أن يستقى الخمر ، ويُفصدَ أ كحلَه<sup>(٣)</sup> ؛ ففعل به ذلك حتى مات نزفاً ، ودفن بهجر . وقيل في قتله غير ذلك .

وقال البحتري يصدق ما تقدم :

ولقد سكنت إلى الصدود من النَّوَى

والشَّرَى أَرَى عِنْدَ طَعْمِ الْحَنْظَلِ<sup>(٤)</sup>

وكذاك طرفة حين أوجس ضربةً في الرأس هان عاياه فصد الأ كحل

وقال ، وهو في السجن يخاطب قومه :

أسلنى قومي ولم يفضبوا لسوءةٍ حأت بهم فادحه<sup>(٥)</sup>

كلّ خليلٍ كنتُ خالائه لا ترك الله له واضحه

كلّهم أروغٌ من ثعلبٍ ما أشبه اللئيلة بالبارحة ا

(١) الشعر والشعراء ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) النقرس : داء معروف في الرجلين ، وفسره في اللسان ٨ : ١٢٧ بالدهاية .

(٣) الأكل : عرق في اليد ، ويسمى عرق الحياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدم الثمين ٥٤ .

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطِكم بالطَّوعِ مالي ولا عِرضي<sup>(١)</sup>  
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حنأ نيكِ بعضُ الشُّرَّاهونُ من بعضِ

وقتل وهو ابن عشرين سنة ، والعرب تقول : أشعر الناس ابنُ العشرين  
وتعنيه ، إلا أنَّ أبا العباس أشد لأخته تربيته :

عَدَدًا نَالَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فلما توفى واستوى سيِّداً ضَخْمًا<sup>(٢)</sup>  
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ ، لا وِلْدًا وَلا قَحْمًا<sup>(٣)</sup>

وهلك المتلمس في الجاهلية ببُصرى.

\* \* \*

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لِي وَالِ غَادَرْتُهُ بَعْدَ يَدِي سَادِمًا نَادِمًا يَمَضُ الْيَدَيْنِ  
سَكَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَفَنَاهُ لُبَّهُ ، فَاصْطَلَى لَطَى حَسْرَتَيْنِ  
جَادَ بِالْعَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ عَيْنُهُ فَانْتَى بِلاَ عَيْنَيْنِ  
خَفَضَ الْحُزْنَ يَامَعْتَى فَا يُجِدُ دِي طِلَابُ الْآتَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ  
وَكَئِنْ نَجَلَّ مَا عَرَكَ كَمَا لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْوِ الْحُسَيْنِ  
فَقَدِرَ اعْتَصَمَتْ مِنْهُ فِهْمًا وَحِزْمًا وَاللَّيْبُ الْأَرِيبُ يَبْنِي ذِينَ  
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَيْدَ الطَّبَّاءِ لَيْسَ بِهَيْنِ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٨ . وروايته : « فلما توفاهما » :

(٣) القم : الرجل التناهى سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْبِجُ الْفَسْحَ وَ لَوْ كَانَ مُخَدَّقًا بِاللَّجِينِ  
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِ يدَ و لَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفِي حُنِينِ

\*\*\*

قوله : «غادرته» ، أى تركته . يعضّ اليدين : تندمًا . سادماً : متغيراً ،  
والسادم : المتغير العقل من النوم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،  
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا مجيئاً ، من قولهم :  
بغير مسدّم ، إذا منع من الضراب ، فكان الحزين منع من الذهاب والجيء ، فيقول :  
تركته يعضّ يديه تندمًا وتأثماً . اللظى : لهب النار ، وقد لظت النار : علأ لهبها ؛  
فيريد أن الشيخ أخذ ما له والفتى عقله ، فاحترق بنار فجعتين جاد : سمح .  
العين : الذهب . هواه : تعشقه وميله : اثنى . رجع . بلا عينين ، أى بغير مال  
ولا بصر . خفّض : سكن . معنى : معذب . يجدى : ينفع ، والعين ها هنا :  
الشخص .

\*\*\*

[ أصل المثل : طلب أترأ بعد عين ]

وقولهم : طلب أترأ بعد عين ، كأن رجلاً تمكّن من عدوّه أو من صيد  
ليرميه ، فتراخى عنه حتى فاته ، ثم شدّ فى طلبه بعد القوت ؛ وأوّل من قال ذلك  
مالك بن عمرو العامرى ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكاً بسبب  
قتيل كان له فى عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتلُ أحدكما ، فجعل كلّ  
واحد منهما يقول : اقتلني مسكناً أخى ، فقتل سماكاً وخطى مالكاً ، فقال سماك  
حين ظنّ أنه مقتول :

وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة  
برأس سبيل على مرقب ويوما على طرقي واردة  
أأم سماك فلا تجزعي فلموت ما تلد الوالدة

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا . ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم  
يعني بهذا البيت :

\* وأقسم لو قتلوا مالكا \*

فسمعت بذلك أم سماك ، فقالت : يا مالك ، قبح الله الحياة بعد سماك ! اخرج  
في طلب نأر أخيك ، فخرج فلقى قاتل أخيه في ناس من قومه ، فقال : من أحسن  
لي الجبل الأحمر ! فمرفوه ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكف عنه ، فقال :  
لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

قوله : « جل » ، أي عظم . عراقك : قصدك . رزء الحسين : المصاب بقتله حين  
قتل بكر بلاء .

[ رزء الحسين \* ]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا  
على بيعتك . وطولب بالمدينة أن يبيع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم  
ابن عقيل إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فمرفني ألحق بك .  
فخرج من مكة للنصف من رمضان ، وقدم [ الكوفة ] لخمس خلون

(١) جبهة الأمثال ٢ : ٣٨٩ ، ٣٩٥ ، وأورد في معنى الأثر قول حبيب :

قالوا أتبكي على رسم قتل لهم من فاته العين هدى شوقه الأثر

(\*) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبري حوادث سنو ٦٠ ، ٦١ .

من شوال، وأميرها النعمان بن بشير، فدخل مستتراً، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً. فكتبه<sup>(١)</sup> بذلك. فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له: يا بن عمّ، أهل العراق أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فقال له: يا بن عمّ، كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة عليّ، فقال له: قد جرت بهم، وهم أصحاب أبيك وأخيك، وقتلتك غداً مع أميرهم، إذا بلغ ابن زياد خبرك استفرّجهم، فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك عن عدوك، فإن أبيت إلا الخروج فلا تخرجنّ بنسائك وولدك معك، فأبى لخائف أن تُقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه. فردّ عليه: لأن أُقتل بموضع كذا<sup>(٢)</sup>، أحبّ إلىّ من أن أستحلّ بمكة.

وأتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبید الله بن زياد بتوليته الكوفة. فخرج مسرعاً، فدخلها في حشمه وهو ملثم، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعل عبید الله بن زياد يسلم على الناس، والناس يقولون: وعليك السلام يا بن رسول الله، قدمت خير مقدم، حتى انتهى إلى القصر.

فحسر اللثام، ففتح له النعمان الباب، وتنادى الناس: ابن مَرْجَانة، فخصبوه بالخصباء، فقاتهم. ووضع الرّصد في طلب مُسلم، فصاح مسلم: يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً. فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد، فلم يمسه النساء ومعه مائة رجل. فلما رأى تفرّقهم سار نحو أبواب كِنْدَةَ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة، فخرج وليس معه أحد، فبقي حائراً لا يدرى أين يتوجّه، فنزل من على فرسه، ودخل أحد أزقة الكوفة، فأنهى إلى باب مولاة ل محمد بن الأشعث، فاستسقاها فسقته، وأعلمها حاله،

(١) أي كاتب الحسين.

(٢) تاريخ الطبري «فقال له حسين: إن أسعير الله وأنظر ما يكون».

خرقت له ، فأوته وأعدت محمد بن الأشعث بمكانه ، فشى إلى ابن زياد ، فأعلمه ، فوجه معه سبعين رجلاً ، فافتخموا عليه ، فقاتلهم مسلم ، وأمنه محمد بن لأشعث ، ووجهه إلى ابن زياد فضرب عنقه ، وبعث برأسه إلى يزيد بن معاوية ، فصلب جثته .

وانتهى الأمر إلى الحسين ، وقد بلغ القادسية ، فهم بالرجوع ، فقال له إخوة مسلم : لا ترجع أو تقتل ، أو نأخذ بثأرنا ، فقال الحسين : لا خير في العيش بعدكم ، فسار حتى لقي خيلاً لابن زياد ، وعليها عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فعدل إلى كربلاء ، وهو في نحو خمسمائة فارس ، فلما كثرت المساكر أيقن أنه لا محيص له ، فقال : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ، ثم هم يقاتلوننا ! ثم خطب قومه فقال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحد ، أو بقي عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحق بها وبالبقاء ، غير أن الله خلقها للفناء ، فجددوها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهرة ، والدار قلع ، والمنزل تلعمة<sup>(١)</sup> ؛ فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه . وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ؛ وتولى قتله سينان بن أنس النخعي ، واحتز رأسه ، وانطلق به مسرعاً إلى ابن زياد ، وهو يقول :

أوقر زكابي فضةً وذهباً إني قتلت الملك المحجّباً  
\* قتلتُ خير الناس أمّا وأباً \*<sup>(٢)</sup>

وبعث معه الرأس إلى يزيد بن معاوية ، وعنده أبو برة ، فجعل ينكت بالفضيب على فيه ، وهو يقول :

نفلق هاماً من رجالٍ أعزّة علينا ، وهم كانوا أعق وأظلماً<sup>(٣)</sup>

(١) يقال : هو على قلعة ، أي على رحلة ، والقلعة : مجرى الماء من أعلى بطون الأرض والازول عليه مخوف .

(٢) بده في الطبرى :

\* وخيرهم إذ ينسبون نسيا \*

(٣) حصين بن الحمام الرمي ، من المفضلية ١٢

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمُّه .

وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وقتل معه سبعة وثمانون ، منهم عليُّ ابنه الأكبر ، ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، ومن إخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو عليٍّ ، ومن بنى عمه جعفر ومحمَّد وعون أبناء عبد الله بن جعفر . ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ، ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم ، وقتلواهم من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين .

\* \* \*

قوله : « اعتضت » : اقتلعت من العوض . يبنى ذين : يطلب هذين . للظباء : الغزلان . يلمج : يدخل . محذوقاً باللجين ، أى محذوقاً بالفضة ، والصائد يفرق حول الفخ حبَّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصَّل إلى ما نُصِب له فيقع ، فقال : ما كلُّ طائر يُخدع ، ولو حُلِّق له الفخ بحبِّ اللجين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : « ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد » ، من قول الصابي :

يا قمرأً كأنخشف في نظرتِه      وكالفضيب اللدن في نُصرتِه  
خِلتُكَ صيداً كان في قُبعتِي      ففرتُ من صيدِي في قُبعتِه

والسابق له كعب زهير بن في قوله :

طافَ الرُّماةَ بصيدٍ راعهم فإذا      بعضُ الرُّماةِ بنبلِ الصيدِ مقتولٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

(١) لم يرد هنا البيت في ديوانه ، وأورده الميمى في ملحون الديوان ٢٥٩ ، ١٤٤

عن الشريفي .



## [ أصل المثل : رجع بخني حنين ]

وَحُفَا حُنَيْنٍ ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْنٍ ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًّا ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعليه حُفَانٌ ، فقال : يا عم إني من ولدهاشم ، فَأَنعمَ النَّظَرُ فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شمائل هاشم ، فأرجع خائباً خاسراً .

وقيل : كان رجلاً مغنياً ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليُطربهم في نزهة ، فخرج جوابه إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وتركوها عليه خُفِيًّا ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجّع حُنَيْنٌ بخُفِيِّه .

وقيل : إنه كان صانعاً ، فساومه أعرابيٌّ بخُفَيْنٍ ، وما كسه حتى أخرجته . فلما ارتحل الأعرابيُّ ، أخذ حنينٌ إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وأتى الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرَّ الأعرابيُّ بالخُفِّ قال : ما أشبه هذه بخُفِّ حُنَيْنٍ ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندِمَ على ترك الأولى ، فأناخ راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمّد حنينٌ إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومه دُخْفَيْنٍ ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُفِّي حُنَيْنٍ فصار مثلاً .

وقيل : كان حُنَيْنٌ لِمَاً حقيراً فَأُخِذَ وَصَلِبَ ، فجاءته أمه وعليه حُفَانٌ فانزعتهما ورجعت ، فقيل : رجعت بخُفِّي حُنَيْنٍ ، أي رضيت منه بذلك .



تَبَصَّرَ وَلَا تَسْمُ كُلَّ بَرْقٍ رَبِّ بَرَقَ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ  
 وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذَلِّ وَشَيْنِ  
 فَبَلَاءِ الْفَتَى اتَّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذْرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنِ  
 قال الراوى : فَمَزَّقَتْ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أَبْلِ أَعْدَلَ  
 أُمَ عَذَرَ .

\* \* \*

قوله « تبصر » : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع  
 الرعد والبرق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،  
 وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صعق . غرام : عذاب الحب . شين :  
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل المشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى  
 عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك » ؛ وقد تقدم : من كثرت  
 لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :  
 وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة

وطول الهوى رين على القلب رائن  
 فكن دافئاً للشر بالخير تسترح من الشر إن الخير للشر دافن  
 وقال آخر :

لماذا أنت لم تمص الهوى قاذك الهوى

إلى كل ما فيه عليك مقال

وقال المتنبي :

عريزٌ أسيٌّ من داوّه الأعين النجلى  
عناء به مات المحبون من قبل<sup>(١)</sup>  
فمن شاء فليُنظر إلى فَمَنظري  
نذيرٌ إلى من ظن أن الهوى سهلٌ  
وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ  
إذا نزلت في قلبه رحلَ العقلِ

وقال ابن زيدون :

مَنْ يسألُ الناسَ عن حالِ فشاهدُه  
محضُ العيانِ الذي يُفنى عن الخبرِ<sup>(٢)</sup>  
أما الضئى فجنته نظرة عننٌ  
كانها والردي جاء على قدرِ  
فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفك لى  
إن الحوار لفهمٌ — ومٌ من الحوارِ

وقال العباس بن الأحنف :

الحبُّ أوّلُ ما يكونُ لجاجَةً  
تأتى به وتسوقهُ الأقدارُ<sup>(٣)</sup>  
حتى إذا اقتحم الفتى ليجَّ الهوى  
جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كبارُ

فهذا كله يبيّن بيت الحريرى .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذّر مذر : قطعاً متفرقة في كلّ جهة .  
وأصل الشذّر قطع الذهب ، ومذّر اتباع لها .  
لم أبّل : أى لم أهال . عدل : لام . عذر : قبيل العذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٥١ .

(٣) ديوانه ٩٩٦ .



فهرس المقامات

صفحة	
١٢ - ٤٦	صدر المقامات
٤٨ - ٧٤	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواعظ ثم كشف حاله بعد ذلك
٧٦ - ١٢٧	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائعة في الشعر .
١٣١ - ١٥٧	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعرا في مدح الدينار وذمّه .
١٥٨ - ١٨٦	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاوره أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٩ - ٢١٩	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القري ومجاوبته له
٢٢٤ - ٢٦٨	المقامة السادسة ، وتعرف بالمراغية ، وتتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجزة ، وكلمات غير معجزة
٢٧٢ - ٣٠٧	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقعيدية ، تتضمن تعامى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٣٠٨ - ٣٣٠	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمعرية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد وابنة في الميل والإبرة
٣٣٣ - ٣٦٥	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرانية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد لامرأته ، وقيامه ببيع أثاثها ومتاعها .
٣٧٥ - ٤٤٤	المقامة العاشرة ، وتعرف الرحبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه

فهرس الموضوعات (٥)

صفحة	
٦١ - ٣	مقدمة الشارح
٣٤ - ٢٢	بديع الزمان الهمذاني
٢٥ - ٢٤	ذكر همذان
٢٨ - ٢٦	السبب في إنشاء الحريري للقمامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدى بن الرزاع
٣٦ - ٣٥	القديم والحديث في الأدب
٤٠ - ٣٦	القول في الحمام
٤٢ - ٤١	من أقوالهم في الحقد ذمًا وحمداً
٤٥ - ٤٤	مما ورد من الحكم على السنة البهائم وغيرها
٥١ - ٥٠	مدينة صنماء
٥٧، ٥٦	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر
٦٤ - ٦٣	من لطائف التجنيس
٦٨ - ٦٦	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧١ - ٧٠	أبونواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

(٥) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الشرح .

صفحة	شعار السكديّة
٧٨ - ٧٩	مما قيل في اللّحي من الشعر
٨٤ - ٨٩	البحترىّ وبعض أخباره وشعره
٩٠ - ٩٦	وصية أبي تمام للبحترىّ
٩٧	ذكر النرجس ومآقال الشعراء في تشبيه الميون به
١٠٣ - ١١٠	ذكر الوأواء الدمشقيّ وبعض شعره
١١٠ - ١١٤	من قولهم في الامتحان
١١٦	يديهة السّلامىّ
١١٧ ، ١١٨	من نوادر صاعد بن الحسن الربعىّ
١٢٢ ، ٢٢٣	مما قيل في البديهة الحاضرة
١١٨ - ١٢١	نقد شعر الحريرىّ
١٢٣ - ١٢٥	من أقوالهم في الفراق
١٢٥ ، ١٢٦	فصل في الحسد وما قيل فيه
١٣٥ - ١٣٨	قصة المثل : أنجز حرّاً ما وعد
١٤٣ - ١٤٤	مما قيل في وصف الدينار من الشعر
١٤٤	فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه
١٤٥ - ١٤٧	فصل في مدح الشيء وذمّه في وقت واحد
١٥٤ - ١٥٦	مما قيل في سواد الليل
١٦٠ - ١٦٢	مذاهب الشعراء في العفو أو الاتصاف
١٧٠ - ١٧٢	مما ورد في الصبح من الشعر
١٧٣	نبذ مما قيل في الحمام شعراً ونثراً
١٧٧ - ١٨٠	قولهم : حديث خرافة
١٨٦ - ١٨٨	

( ٢٩ - مآلامات الحريرىّ ١ )

## صحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩٣ - ١٩١	مما ورد في وصف الهلال من الشعر
٢٠٥ - ٢٠٣	قصة موسى عليه السلام قبل بيعته
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٨ - ٢٠٧	مما قيل في القرى والأضياف
٢١١ - ٢٠٩	نبد وحكايات في البؤس والحرمان
٢١٣ - ٢١١	ذكر مدينة فيد
٢٢٣ - ٢١٩	ذكر الكميت في بعض أخباره وشعره
٢٣٦ - ٢٣٢	ذكر قطري بن النجاء
٢٤٠ ، ٢٣٩	الخطيئة وسميد بن القاص
٢٥١ - ٢٤١	فصل في الدواة والقلم والمداد
٢٦٣ ، ٢٦٢	الضباع وما قيل فيها
٢٦٥ - ٢٦٣	نبد مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٧ - ٢٦٥	نبد وأقوال في ذم الزمان
٢٨٩ - ٢٨٦	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٩٢ - ٢٨٩	ذكر إياس القاضي وبعض نوادره
٣٠٠ - ٢٩٦	ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٦ - ٣٠٣	استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائعة
٣٠٨	ذكر معرفة النعمان
٣١٥ ، ٣١٤	القطا
٣١٨ ، ٣٧٦	مما قيل في رفو الثياب من الشعر



صفحة	
٣٢١ - ٣١٨	مما قالت الشعراء في الأطوار البالية
٣٣٩ - ٣٣٥	مما ورد من الشعر في السواد والبياض
٣٣٤	ذكر فرغانة
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر غانة
٣٤٥ - ٣٣٩	باب في الخض على السفر وترك العجز
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر الإسكندرية
٣٥٤ ، ٣٥٣	أصل المثل : لا عطر بعد عروس
٣٧١ - ٣٦٨	ذكر الفرزدق وبعض أخباره
٣٧٣ - ٣٧١	ذكر خبـر الكسعى وقوسه
٣٨٣ - ٣٧٦	نبذ وحكايات مما ورد في الحسن والجمال
٣٨٨ - ٣٨٤	فصل في ذكر بعض أخبار الولاية
٣٩٣ - ٣٨٨	ذكر السليـك بن الساسكة
٣٩٥ - ٣٩٤	إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره
٦١٨ - ٤٠٩	مما قيل في أنواع الحسن والجمال أيضا
٤٠٩ - ٣٩٨	ذكر المذراء الأنحاء
٤٢٠ - ٤١٩	من أنواع الخلف
٤٢٧ - ٤٢٥	ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية
٤٢٩ - ٤٢٧	طائفة من شعر النسب
٤٣٢ - ٤٣١	مما قيل في حلق الشعر
٤٣٧ - ٤٣٣	ذكر المتلمس وصحيفته
٤٣٩ - ٤٣٨	أصل المثل : طلب أترأ بعد عين
٤٤٢ - ٤٣٩	رزء الحسين بن على رضي الله عنه
- ٤٤٣	أصل المثل : رجع مخفى حنين



## استدراك وتعليق \*

صفحة	سطر	
٦	٢٠	أبو الحجاج الأندلسي خطأ ، وصوابه : « الأندلسي » ، منسوب إلى أندلس ، مدينة من كورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض المعطار ٣١ ، وبقية الملتبس للضيبي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة الموحدين بالمغرب ، بويغ بالخلافة سنة ٥٩٥ وتوفي في سنة ٦١٠ ، وابنه يوسف ولي عهده . وانظر المعجب في أحوال المغرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن اللبانة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حفص بن عمر السلمي قاضي قرطبة . من أهل أغمات ، وولي أيضاً فضاء فاس وتلماس وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ . وانظر نفع الطيب ١ : ٥٧٣ وصلة الصلة لابن الزبير رقم ٣٠ ، والتكملة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمد  
مكي عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :  
 فاحذر هدايا الناس تأمن من المن  
 بها أو قول واش يشي
- ص ٦٣ ١٧ الخبر والأبيات في زهر الآداب ٧٧ ، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ ( حاشية ٤ ) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي  
 سنة ٦٠٤ ، وله تراجم أخرى في التكملة لابن  
 أبار برقم ٢١٤٧ والعصون الياضعة ١٣٥ ، وألف  
 باء للبلوى ١ : ٢٣ ، ٣٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٨٩ .
- ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد ، خطأ والصواب أن اسمه  
 أبو حفص بن برد ، والبيتان في الذخيرة ق ١  
 ج ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، وله ترجمة في جذوة المقتبس  
 للحميدي ١٩٢ والذخيرة لابن بسام ق ١ ج ٢ :  
 ١٨ - ٥٢ ، ومطمح الأنفس ٢٧ ، ٢٨ .
- ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض ، وهو أحمد بن محمد الأنصاري  
 الإشبيلي ، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية  
 . ٧٠٦
- ١٢٨ ٢١ الحلواني القيرواني ، هو عبد الكريم بن فضال  
 الحلواني القيرواني ، وله ترجمة في المطرب  
 ٥٩ ، ٧٥ ، والذخيرة لابن بسام ٤ : ٢١٩ ،  
 والرايات لابن سعيد ١٠٧
- ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجد

هو موسى بن عمران المراتلي	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبي عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفعل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبي بكر بن بقي ، وهاهذه النسبة في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨ ح
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلمة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازي في كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « الليكي » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٣
الخلواني ، هو عبد الكريم بن فضال القيرواني ، والأبيات في الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات في قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الغفارة في الاصطلاح الأندلسي ضرب من العبادة أو الطيلسان .	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

- كذا في جميع الأصوال بنسبة هذا البيت ، ٦ ٣٤٢  
 إذا لم أجد في بلدة ما أريده  
 فعندى لأخرى عزمة وركاب  
 إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس  
 من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨  
 يكتب هكذا : مما قيل في أنواع الحسن والجمال ٩ (المنوان) ٣٩٨  
 أيضاً .

المسرح  
غفر الله له ولوالديه

مشكاة

# مَقَامَاتُ الْحَزِينِ

لأبي العباس أحمد بن عبد المومن القيسري الشافعي

تمت  
محمد أبو الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية  
مستطاب - بيروت

الجزء الثاني

المسرح  
غفر الله له ولوالديه

كتبة آداب بنين

# شرح مقامات الحريري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



الجزء الثاني

جامعة الكويت  
مكتبة الكويت  
قسم التوثيق والبحوث  
رقم التسجيل: ١٢٦٧٣٢  
التاريخ: ١١/٦/٢٠٠٨

المكتبة العصرية  
مكتبة



جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب: مبنى العجزة للطباعة والنشر

الدار: مبنى العجزة للطباعة والنشر

بكرت - ص.ب ٨٣٥٥ - تليكس ٢٠٤٢٧٤ SCS  
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تليكس ٢٩١٩٨٤ LE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الحادية عشرة وهي الساوية

حدّث الحارث بن همام ، قال : آنستُ مِنْ قَلْبِي الْقِسَاوَةَ ،  
حِينَ حَلَلْتُ سَاوَةَ ، فَأَخَذْتُ بِالْخَبْرِ الْمَأُورِ ، فِي مَدَاوَاهَا  
بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ .

فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ ، وَكَيْفَاتِ الرُّفَاتِ ، رَأَيْتُ  
جَمَاعًا عَلَى قَبْرِ يُحْفَرُ ، وَبِحُجُورِ يُقْبَرُ ، فَاَنْحَزْتُ إِلَيْهِمْ مُتَّفَكِّرًا فِي  
الْمَالِ ، مُتَذَكِّرًا مِنْ دَرَجِ مِنَ الْآلِ .

فَلَمَّا أَحْدَا لَمَّيْتِ ، وَفَاتِ قَوْلُ لَيْتِ ، أَشْرَفَ شَيْخٌ  
مِنْ رَبَاوَةِ ، مُتَخَصِّرًا بِهَرَاوَةِ ، وَقَدْ لَفَعَ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ ، وَنَكَرَ  
شَخْصَةً لِدَهَائِهِ .

\*\*\*

الحادية عشرة ، تبني على الفتح كبناء أحد عشر . آنست : أدركت  
وأحسست .

القِسَاوَةُ : غِلَظُ الْقَلْبِ . وَقَلْبٌ قَاسٍ وَقَاسِيٌّ ، أَيْ صَلْبٌ ، وَقُلُوبٌ قَاسِيَةٌ  
وَقَاسِيَةٌ ؛ وَهِيَ عَنِ الْكَسَائِيِّ وَالْفَرَاءِ لَفْتَانٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

أبو عبيدة : القاسية مأخوذة من القسوة ، والقسيّة التي ليست خالصة  
الإيمان ، كالدرهم القسيّ وهو الذي خالطه غش من نحاس أو غيره ، وقد قسا القلبُ  
يقسُو قِسَاوَةً وَقَسَاءً : صَلْبٌ .

ساوة : بلد بينه وبين الرمي اثنان وعشرون فرسخاً ، وهى فى الطريق ما بين همدان والرمى .

\*\*\*

[ نبذ من الأقوال الحكيمة فى المواعظ ]

الخبير المأثور ، أى المحدث به ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «عُودُوا الرضى ، واحضروا المقابر ، فإنها تزهد فى الدنيا ، وتذكر الآخرة» .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كنتُ نهيئكم عن زيارة القبور ، ثم بدأ لي فزوروها ، فإنها ترقق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة» .

وسأل رجل عائشة رضى الله عنها ، فقال : يا أم المؤمنين ، إن لي داء فهل عندك دواؤه ؟ قالت : وما دأؤك ؟ قال : القسوة ، قالت : بئس الداء دأؤك . عُد الرضى ، واشهد الجنائز ، وتوقع الموت .

وقيل لعللى رضى الله عنه : ما شأنك جاورت المقبرة ! قال : إني أجدهم خيراً جيران صدق ، يكفون الألسنة ، ويذكرون الآخرة .

وكانت عجوز فى عبد القيس متعبدة ، فإذا جاء الليل تمخّمت ، ثم قامت إلى الحراب ، فإذا جاء النهار خرجت إلى المقبرة ؛ فعوتبت فى إتيان القبور ، فقالت : إن القلب القاسى إذا جفا لم يلبثه إلا رسوم البلى ، وإني لآتي القبور ؛ فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفّرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيّرة ، وإلى تلك الأركان الدسمة .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ؛ فلما نظر إلى القوم بكى ، ثم أقبل على فقال : يا ميمون ، هذه قبور آبائى بنى أمية ،

كانهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم؛ أما تراهم صرعى قد خلت من قبليهم المثلثات، واستحكّم فيهم البلي، وأصابته الموم في أبدانهم مقيلاً، ثم بكى وقال: والله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله.

استنشد المتوكل أبا الحسن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين، فقال: إني لتليل الرواية في الشعر، فقال: لا بد، فأنشده:

باتوا على قلال الأجيال تحرسهم  
غلب الرجال فلم تنفعهم القل<sup>(١)</sup>  
واستنزوا بعد عزٍ عن معادهم  
وأودعوا حفراً، يابئس ما نزلوا!  
ناداهم صارخ من بعد ما دُفِنوا:  
أين الأسرّة والتيجان والحلل؟  
أين الوجوه التي كانت منعمّة  
من دونها تُضرب الأستار والكلكل!  
فأفصح القبر عنهم حين سبل بهم<sup>(٢)</sup>:  
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل  
قد طالما أكلوا دهنًا وما شربوا  
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال عمر: لو أنشد شعراً في أو صاف آياته وبنى عمه ملوك بني أمية وانحطاطهم من عزّ المملكة إلى ذل القبرة، لم يكن إلا هذا الشعر.

أبو الحسن اتقوى كان قد سمي به إلى المتوكل، وقيل له إن في بيته سلاحاً وكتباً وغير ذلك، فوجه إليه بعمدة من الأتراك، فجموا عليه على غفلة ممن في داره، فوجدوه في بيت مغلق عليه وحده، وعليه من شعير، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه منحة صوف متوجهاً إلى ربه، يترنم بالقرآن، فمثل بين يدي المتوكل على حاله، والمتوكل يشرب وفي يده كأس،

(١) المَعْدَى ٤ : ٩٤

(٢) في الأصول : • فأصبح • ، ولأصح ما أتت من المعوى

فلما رآه عظمه وأجلسه إلى جنبه . وعلم أنه لا يوجد عنده شيء مما قيل ، فتناوله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خامر لحي ولا دمي قط ، فأعفتني منه ، فأعفاه ، ثم قال : أنشدني شعراً أستحسنه ، فأنشده الأبيات المتقدمة ، فأشفق من حضر عليه من المتوكل . فوالله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً ، وبكى من حضر ، وقال : يا أبا الحسن ، أعليك دين ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فدفعت إليه ، وردُّ إلى منزله مكرماً ، وقال له : ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب ! قال : وما يقولون يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعته على بنيه ! فأمر له بمائة ألف درهم ، وإنما أراد طاعة الله على بنيه فعرّض .

وقال سابق البربري<sup>(١)</sup> في المعاريض :

تعاون على الخيراتِ تظفرو ولا تكنُ      على الإثم والعدوان تَمَنِّ يعاونُ  
وداهنُ إذا ما خفت يوماً مسلطاً      عليك ، ولا يَحْتالُ مَنْ لا يداهنُ  
ولا تك ذا لونين بيدي بشاشةٍ      وفي صدره صبٌّ من الغلِّ كامنُ<sup>(٢)</sup>

رجعت إلى عرض القامة .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس إلى قبر ، وكنت أذنى القوم منه ، فبكى وبكىنا ، فقال : ما يبكيكم ؟ قلنا : بكائك ، قال : هذا قبر أمي آمنة ، استأذنتُ ربي في زيارتها ، فأذن لي ، فاستأذنته في أن أستغفر لها ، فأبى عليّ ، فأدركني ما يدرك الولد من الرقة .

وكان عثمان إذا وقف على قبرِ بكى حتى يبلى لحيته ، فسئل عن ذلك ، فقيل

(١) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله ، صاحب الأشعار الحسنة في الزهد ، والبربري لقبه .  
وليس منسوباً إلى البربر . خزانه : ٤ : ١٦٥ .  
(٢) الصب بالفتح : العداوة والنبط .

له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكي إذا وقفت على قبر ! فقال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » .

والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للتمرور ، ولا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت .

وكان رجل يشهد الجنائز ، فإذا أمسى وقف على المقابر ، فقال : آانس الله وحشتكم ، ورحم الله غربتكم ، وتجاوز الله عن سيئاتكم ، وقبيل الله حسناتكم ؛ لا يزيد على هذا شيئاً . قال : فأمسيت ليلة ولم أدع ، فبينما أنا نائم إذا خلق كثير قد جاءوني ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل المقابر ، قلت : ما حاجتكم ؟ قالوا : إنك كنت عودتنا هديةً عند انصرافك إلى أهلك ، قلت : وما هي ؟ قالوا : الدعوات التي كنت تدعو ، قلت : فإني أعود لذلك ؛ فاتركتها بعد ذلك .

قوله : محلة الأموات ، هي المقابر التي يحلون بها . كفات : قبور وأوعية وكفت الشيء : ضمته وقبضته ، وكفات الشيء : ماضمه وستره ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نجعل الأرض كفاتاً ﴾ أحياء وأمواتاً<sup>(١)</sup> قيل : كفات الأحياء بيوتهم ، وكفات الأموات قبورهم . والرفات : العظام البالية ، وقال ابن المعتز في مقبرة :

وسكان دارٍ لا تراورَ بينهم      على قرب بعضٍ في التجاورِ من بعضٍ<sup>(٢)</sup>  
كانَّ خواتماً من الطَّينِ فوقهم      فليس لها حتى القيامة من فضٍّ

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

انظر لنفسك يا مسكين في مهلٍ      ما دام ينفعك التكبير والنظرُ

(١) سورة المرسلات ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٣٩ .

قف بالمقابر وانظر إن وقفتَ بها      لله درك ماذا تشترُّ الحنرُ !  
ففيهمُ لك يا مفرور موعظةٌ      وفيهمُ لك يا مغترّ معتبرُ !

وقال مالك بن دينار : مررت بالمقابر ، فأنشدت أقول :

أتيتُ القبور فناديتُها      فأين المعظمُ والمُهَنَمَرُ؟  
وأين المدلُّ بسطانهِ      وأين المزكى إذا ما افتخرُ؟  
فَنُوديتُ مِنْ يَينهمُ : لا أرى      شخوصاً لهم ولا من أُمَرُ!  
تفانوا جميعاً فلا نخبرُ      وماتوا جميعاً ومات الخبرُ  
فيا سائلي عن أناسٍ مَضُوا      أما لك فيما ترى مُعْتَبَرُ !  
تروح وتغدو بناتُ الثرى      وتمحى محاسنُ تلك الصُورُ!

ومما وجد على قبر مكتوباً :

تُناجيكُ أجداثٌ وهنَّ سكوتُ      وسكَّانُها تحتُ الترابِ خفوتُ  
أيا جامعَ الدنيا لغيرِ بلاغَةٍ      لمن تجمَعُ الدنيا وأنتَ تموتُ؟

ومما وجد على قبر مكتوباً :

إن الحبيبَ من الأحبابِ مختلسُ      لا يَمنعُ الموتَ بوابُ ولا حرسُ  
فكيف تفرحُ بالدُّنيا ولذَّيها      يا مَنْ يمدُّ عليه اللفظُ والنفسُ؟  
لا يرحمُ الموتُ ذا جاهٍ لعزته      ولا الذى كان منه العلمُ يُقتبسُ  
قد كان قَصْرُكَ معموراً له شرفُ      فقَبْرُكَ اليومُ فى الأجداثِ مُندرسُ

ووجد على قبر مكتوباً :

وقفت على الأحبة حين صُفَّتْ      قبورهمُ كأفراسِ الرهَلِ

فلما أن بكيتُ وفاضَ دمعِي رأت عيناى بَيْتَهُمْ مَكَانِي

قال أعرابيٌّ: مَنْ خاف الموتَ بادر الفوتَ ، ومن لم يقمِ النفسَ عن الشهواتِ بادرت به إلى الهلكاتِ ، والجنة والنارَ أمامك .

مرض أعرابيٌّ ثقيلٌ له : إنك تموت ، قال : وإذا مت فإلى أين أذهب ؟ قالوا : إلى الله ، قال : فما كراحتى أن أذهب إلى مَنْ لم أر الخيرَ إلاَّ منه !

وقال أعرابيٌّ : ما بقاء عمر تقطعه الساعات ، وسلامة بدنٍ معرضٍ للآفات ! ولقد عجبت للمؤمن كيف يسكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله ، وأظلم له نهاره !

وقال آخر : مَنْ كانت مطيئته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يسرِ ، وبلغنا به وإن لم يبلغ .

آخر : تصرف الليل والنهار ، لا تبقى معه الأعمار ، ولا لأحدٍ فيه الخيار . قوله : مجنوز ، أى ميّت ؛ وحكى ابن سيده قول بعضهم : جنزت الميت إذا سترته بالكفن . وقال الحسن - لما أنذر بمجنازة النوار امرأة الفرزدق - للمنذر بها : إذا جنزتموها فأذنوني بالمجنازة ، والمجنازة من جنزت وهي بالفتح الميت ، وبالكسر النعش ، وقيل معناها واحد ، وهو الميت ، والمختار الكسر . يُقَبَّرُ : يدفن . انحزت : ملت . المائل : المرجع . مذكراً : متذكراً . درج : هلك . الآل : الأهل . ألدوا : دفنوا وألقوه في اللحد ، وهو حفير في جانب القبر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المقبرة يقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » .

وكان على رضى الله عنه إذا دخلها يقول : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمنازل المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات . اللهم اغفر لنا ولم ، واعفُ



عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذي جعل الأرض كنفاتاً ، أحياء وأمواتاً ،  
منها خلقنا ، وإليها معادنا ، وعليها محشرنا ، طوبى لمن ذكر المعاد ، وقنع  
بالكفاف ورضى عن الله .

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا دخل قال : اللهم رب الأجساد البالية ،  
والعظام النخرة ، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أدخل عليها روحاً  
منك وسلاماً منا .

قوله : « أشرف » : أى طلع . والرباوة<sup>(١)</sup> : الكدبية . متخصّر : أى جعلها  
مما يلي خصره . هراوة : عصا . لقع : غطى . نكّر : غير هيئته . لدهائه : لكرهه .

\* \* \*

فقال : لِمِثْلِ هَذَا فليعمل العالمون ، فاذكروا أيها الغافلون ،  
وشمروا أيها المتقصرون ، وأحسنوا النظر أيها المتبصرون .  
مالكم لا يحزنكم دفن الأتراب ، ولا يهولكم هيل التراب ،  
ولا تغبئون بنوازل الأحداث ، ولا تستمدون أنزول الأجداث ،  
ولا تستعبرون لعين تدمع ، ولا تغتبرون بنهى يسمع ، ولا  
ترتاعون لإلف يفقد ، ولا تتعاون لراحة تعقد ،  
يشيع أهدكم نغم المنيب ، وقلبه تلقاء لبنت ، ويشهد  
مؤازاة نسيبه ، وفكره في استخلاص نصيبه ، ويخلى بين  
ودوده ودوده ، ثم مخلو بزمه ره وعوده .

\* \* \*

(١) الرباوة ، مثلثة الراء . والكديبة ، بالضم : الأرض الغليظة .

ويقال : قصر فهو مقصر ، إذا ترك الشيء وهو قادر عليه وشمر : اجتهد .  
 والمتبصر : الناظر في الشيء على وجه التتعمق ، فقد يصيب وقد يخطئ ،  
 ولذلك قالوا : أحسنوا النظر . الأتراب : الأصحاب المتقاربون في الموالد ، كأنهم  
 قُطعوا من تربة واحدة ، وأكثر ما يقع للنساء ، وإذا مات للإنسان صاحبٌ  
 على سِنِّه كان أوقع لحزنه ، فلذا نَبَّه بالتراب ، قال الألبيري<sup>(١)</sup> :

فإن الردى غلّ أهل التقى فلم يبق إلا الفشوم العتيد  
 وأودى بكلّ خليل ودودٍ فأين ، ولا أين ، خلّ ودوداً !  
 وكم من أخی ثقةٍ قد لحدتُ فله ما غيبتَه اللجود  
 وأنكأني الأنس نكل اللداتِ فصرت كَأني غريب وحيد  
 وكم من شقيّ يُورى الترابِ وكم من سعيدٍ يُورى الصّعيد !

قوله : «يهولكم» ، أي يفزعكم ، والهيل : الصب الكثير من أعلى إلى  
 أسفل ، في مثل كدس الرمل ، وعند صبّ التراب على الميت تطير القلوب  
 إشفاقاً ، وتسيل العيون رحمة ، قال أبو العتاهية :

بكيّتك يا أختي بدمع عيني فلم يُغنِ البكاء عليك شيئاً<sup>(٢)</sup>  
 كفي حزناً بدفك ممّ أني نفضتُ تراب قبرك من بدياً  
 وكانت في حياتك لي عظامٌ وأنت اليوم أوعظُ منك حياً

أبو علي الرازي : مررت بصبيان في طريق الشام يلعبون بالتراب ، وقد  
 ارتقع الفبار ، فقلت : مهلاً ، قد غبّرتم ، فقال صبي منهم : يا شيخ : أين تفر

(١) الكامل للمبرد ٣ : ١١ ، وذكر قبل هذه الأبيات :

طوّنتك خطوبٌ دهرِكَ بعد نُشْرِ كذاك خطوبُه نُشراً وطياً  
 فلو نشرت فواك لي المنايا شكوت إليك ما صنعت إلثياً

إذا هيل عليك الترابُ في القبر؟ فُعِشِي علىّ ، فأفقت والصبيّ قاعد عند رأسي مع الصبيان سيكون ، فقلت له : أعندك حيلة في الفرار من التراب؟ قال : أنا لا أعلم ، ولكن سل غيري ، فقلت : وَمَنْ غيرُك؟ قال : عقلك . تعبتون : تبالون وتمتمون . والنوازل : جمع نازلة ، وهي المصيبة . الأحداث : ما يحدث على الإنسان من الخير والشر . والأجداث ، بالجيم : القبور ، واحدها جدّث وجدّاف . تستعبرون : تبكون . تعتبرون : تتعظون وتروّنه عبرة . والنّعى : ذكر موت الإنسان ، وكانت العرب إذا مات منها سيّد ركب رجلاً فرسه ، ومشى في الأحياء . فيقول : نعاء فلاناً ، والناعى : الخبر بموت الرجل ، وقد نعاه نعيماً . ترتاعون : تخافون . إلف : صاحب ، وهو في الأصل مصدر ألفت الشيء إلفاً ، فسُمّي به ، ويقال في معناه : أليف . تلتاعون : تحترقون من الحزن ، والألوعة : حرقة من الهمّ . المناحة : اجتماع النساء للبكاء على الميت . تجمع وتؤلف . وقلبه تلقاء البيت ، أى قلبه مستقبل لبنت الميت ، يفكر فيما ترك ليرثه . مؤاراة : دفن ، وقد واره ، إذا ستره . استخلاص : تحصيل . ودوده الأول : محبوبه الذى يودّه ، ودوده الثانى : جمع دودة ، والوار للعطف .

وقال سابق البربرى في معنى ما تقدم :

نلهو ونأمل أياماً تُعَدّ لنا	سريعة المرّ تطوينا ونطويها
كم من عزيز سَلَنِي بعد عِزِّته	ذلاً ، وضاحكة يوماً سَبَّكِها
وللحتوف تربي كلُّ مرضعة	وللحساب برى الأرواح بأريها
لا تبرح النفس ننعى وهى سالمة	حتى يقوم بنادى القوم ناعياً
ولن تزال طوال الدهر ظاعنة	حتى تقيم بوادٍ غير واديهـا
أموالنا لذوى الميراث نجممها	ودورنا لخراب الدهر نذنيها

وقال آخر :

اعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ واعلم بأنك بعد الموت مبعوثٌ  
واعلم بأنك ما قدمت من عملٍ يُحصى عليك، وما خلفت موروثٌ  
وقال الحسن : ابن آدم ! أنت أسير الدنيا ، رضيت من لذاتها بما ينقضى ،  
ومن نعيمها بما يمضي ، ومن مُلكها بما ينفد ، تجمع لنفسك الأوزار ، ولأهلك  
الأموال ، فإذا متَّ حملت أوزارك إلى قبرك ، وتركت أموالك لأهلك . أخذه  
أبو العتاهية فقال :

أبقيت مالك ميراناً لو ارثه      ياليت شعري ما بقى لك المال<sup>(١)</sup>  
القوم بعدك في حال تسرُّهم      فكيف بعدهم دارت بك الحال !  
ملؤا البكاء فما يبكيك من أحدٍ      واستحکم القيل في الميراث والقَالُ  
وقال ابن عبد ربه :

أيا مَنْ عنده أملٌ طويلٌ      يؤدِّيه إلى أجلٍ قصيرٍ  
أتفرحُ والنيّة كلُّ يومٍ      تُريك مكان قبرك في القُبورِ  
هي الدنيا فإن سرّتك يوماً      فإن الحزن عاقبة السُرورِ  
ستسلب كلَّ ما جمعتَ فيها      كعارية تُردُّ إلى المِـــيرِ  
وقال جبلة بن الحويرث<sup>(١)</sup> :

يا قلبُ إنك في الأحياء مفروزٌ      فاذكروهل ينفعنك اليوم تذكيرٌ<sup>(٢)</sup>  
تريد أمراً ولا تدري : أعاجله      خيرٌ لنفسك أم مافيه تأخيرٌ !  
فاستقدر لله خيراً وارضين به      فبينما العسر إذ دارت مياسيرٌ

(١) الأبيات في المرين ٥٧ ودرة النواص ٢٣ ونزهة الألباء ٢٨ ، وهي في اللسان  
دهر ، قال : « قال ابن بري : هي لعثير بن زيد المذري . وقيل : لحريث بن جبلة المذري »  
(٢) يومه و المرين :

قد بختَ بالحبِّ ما تخفيه من أحدٍ      جئى جرت بك أطلاقاً محاضيرٌ

وبينا المرء في الأحياء مُغْتَبِطًا      إذ صار في الرمس تغفوه الأعاصيرُ  
 يبكي الغريب عليه ليس يعرفه      وذو قرابته في الحى مَسْرُورُ  
 حتى كان لم يكن إلا تذكره      والدَّهرُ أَيْتَمًا حين دَهَارِبرُ  
 وذلك آخر عهدٍ من أخيك إذا      بالموت ضَمَّنَه اللَّحْدَ الخَنَاسِيرُ (١)

\* \* \*

طالما أُسَيْتُمْ عَلَى انْتِلَامِ الْحَبَةِ ، وَتَنَاسَيْتُمْ احْتِرَامَ الْأَحْيَةِ ،  
 وَاسْتَكَنْتُمْ لاعتراضِ الْمُسْرَةِ ، وَاسْتَهَيْتُمْ باقراضِ الْأَسْرَةِ ،  
 وَضَحِكْتُمْ عِنْدَ الدَّفْنِ ، وَلَا ضَحِكْتُمْ سَاعَةَ الزَّفَنِ ، وَتَبَخَّرْتُمْ  
 خَلْفَ الْجَنَائِزِ ، وَلَا تَبَخَّرْتُمْ يَوْمَ قَبْضِ الْجَوَائِزِ ، وَأَعْرَضْتُمْ  
 عَنِ تَعْدِيدِ النِّوَادِبِ ، إِلَى إِعْدَادِ الْمَادِبِ ، وَعَنْ تَحْرِقِ الثَّوَالِكِ ؛  
 إِلَى التَّنَاقُ فِي الْمَأْكَلِ ، لَا تَبَالُونَ بِمَنْ هُوَ بِالْ ، وَلَا تُخْطِرُونَ  
 ذَكَرَ الْمَوْتَ بِيَالِ ، حَتَّى كَانَتْكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ مِنَ الْحَمَامِ بِزِمَامِ ،  
 أَوْ حَصَلْتُمْ مِنَ الزَّمَانِ عَلَى أَمَانِ ، أَوْ وَثِقْتُمْ بِسَلَامَةِ الذَّاتِ ،  
 أَوْ تَحَقَّقْتُمْ مُسَالِمَةَ هَادِمِ اللِّذَاتِ ؛ كَلَّا سَاءَ مَا تَوَهَّمُونَ ، ثُمَّ  
 كَلَّا سَرَفَ تَعْلَمُونَ !

• • •

قوله: «أسيتم» ، أى حزتم . انتلام : انكسار ونقصان . احترام : هلاك ،  
 يقول : إذا انتقص لكم من المال أدنى شيء حزتم عليه ، ولا تحزنون على نقص  
 أحبابكم .

(١) في الأصول : «المياسير» ، تحريف ، صوابه من المعمرين قال : الخناسير ،  
 جمع الخنسير - ويقال : الخناسرة - والخناسير : هم الذين يثيغون الميت .

أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من أصبح حزينا على الدنيا ، أصبح ساخطا على الله .

قوله : «استكنتم» ، ذلتم ، واستكان ، استعمل من لفظ الكين ، وهو لحم باطن الفرج . اعتراض العسرة : ظهور الفقر . انقراض الأسرة : موت القرابة الزفن : الرقص .

ضحكتكم عند الدفن ، جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة ، والرفث في الصيام ، والضحك في الجنائز . ورأى ابن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك في جنازة ، فقال : تضحك وأنت في جنازة ! والله لا أكلمك أبداً .

ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك في جنازة مستغرباً ، فقال : أتضحك ولعلك قد أخذت أ كفانك من القصار ! وفي الحديث « كثرة الضحك تميم القلب وتذهب بهاء المؤمن » .

قوله : «تبخرتم» ، أى تعظمت وأظهرتم الإعجاب في مشيكم . الجوائز : العائلات وهم يظهرون في أحسن الثياب عند الملوك ليكثر لهم العطاء .

أعرضتم : تحييم ، وهو من العرض ، كأنك إذا لقيت من تكره استقبلته بعرضك ، أى بجانبك . النوادب : النوائج اللواتي يندبن الميت أى يبكينه ، فيقول : أعرضتم عن الباقيات حين عددن خصال الميت الحمودة ، ولم تفكر في تلك الحال . إعداد ، أى استعداد . المآدب : المطاعم للأعراس . تمحرق : توجع . الثواكل : الفاقدات لأحبائهن . التأنق : التحسين ، وقد تأنق في الشيء ، إذا احتفل فيه فأعجب به كل من رآه . بال : دارس متغير ، يريد الميت . ببال : بفكر وخطر . الحام : الموت ، وأصله القدر . وهو من حم ، أى قدر ، وذات الشيء نفسه وحقيقته . مسالة : متاركة ومصالحة .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا ذكر هادم اللذات ، قالوا : وما هادم اللذات ؟ قال : الموت » (١) .

وقال الألبيري في معنى ما تقدم :

كم آمنٍ للمنون لاهٍ	عن الرّدَى بات مطمئناً
صَبَّحَهُ وَافِدُ النَّايَا	فعاين الموت حين عَمَّا
حتى إذا ما قضى بَكَاهُ	حميمه معولاً مُرِنَا
واروه في لحده وسنوا	عليه قيد التراب سَنَا
وانتهبوا ماله وشنوا الـ	سفارات فيما حَوَاهُ سَنَا
مثل هذا فكن معداً	ما قد أعدّ الهداة مِنَا
وارتقب الموت فهو حَتَمٌ	يحترم الطفل والمسِنَا

قوله : كلا ، زجر ، أى ليس الأمر كما ظننتم .

\* \* \*

ثم أنشد :

أيا من يدعى الفهم	إلى كم يا أخا الوهم
تعبى الذنب والذم	وتخطى الخطأ الجم

أما بان لك العيب ! أما أنذرك الشيب !

وما في نصحه ريب ولا سمك قد صم

أما نادى بك الموت أما أنسمك الصوت !

أما تتخشى من القوت فتحتسأط وتهتم

(١) نقله في الجامع الصغير ١ : ٩٠ .

فَكَمْ تَسْدُرُ فِي السَّهْوِ      وَتَخْتَالُ مِنَ الزَّهْوِ  
وَتَنْصَبُ إِلَى اللَّهِوِ      كَأَنَّ الْمَوْتَ مَاعَمَّ

\* \* \*

قوله :

أيا من يدعى الفهم إلى كم يا أبا الوهم  
يسمى هذا من أنواع الشعر المستط ، أى المفصل ، مأخوذ من السّط وهو  
سلك الجواهر المفصل بالزمرود والذهب وغير ذلك . الوهم : الغلط . الجم : الكثير ،  
وعلى قوله : « ومخطيء الخطأ الجم » ، ذكر الحريري في الدرّة<sup>(١)</sup> أن قول الخواص :  
« أخطأ لمن يأتي بالذنب متممداً تحريف للفظ والمعنى ، ولا يقال : أخطأ إلا لمن  
لم يتعمد الفعل ولمن اجتهد » ، فلم يوافق الصواب لقوله صلى الله عليه وسلم :  
« إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وإنما أوجب له الأجر على اجتهداه في إصابة  
الحق الذي هو نوع من أنواع العبادة ، لاعتن الخطأ الذي يكفي صاحبه أن يُعذّر فيه  
ويرفع مآثمه عنه ، و[اسم] الفاعل من هذا النوع : مخطيء ، والاسم الخطأ ، قال الله  
تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾<sup>(٢)</sup> ، وأما التعمد ، فيقال فيه : خطيء  
فهو خاطيء ، والمصدر الخطيء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيراً ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
والاسم منه الخطيئة ، ويقع على الصغيرة ، قال الله تعالى : ﴿ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ  
الدين ﴾<sup>(٤)</sup> ، إخباراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وعلى الكبيرة كقوله تعالى  
﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خِطِيئَتُهُ ... ﴾<sup>(٥)</sup> الآية : قال أبو محمد الحريري : ولي في تضمين هاتين  
اللفظتين وتخصيص معنيهما المتنافيين :

لا تخطون إلى خطيء ولا خطيء من بدم الشيب في فود بك قدو خطًا  
فأى عنر لمن شابت مفارقه إذا جرى في ميادين الهوى وخطًا  
وهذه التفرقة منه مستحسنة ، وكذا يقع في أكثر كلامهم ، وأما على

(١) درة الخواص ٦٩ (٢) سورة النساء ٩٢ (٣) سورة الإسراء ٣١

(٤) سورة الشعراء ٨٢ (٥) سورة البقرة ٨١

(٦) - شرح مقامات الحريري (٢) .



القطع فلا ، لأنه قد حكى الزجاج وقطرب وابن دريد في الجمهرة أن العرب تقول:  
 خَطِئْتُ الشيءَ أخطؤه خطأً، وخطئني وأخطأته خطأً في معنى واحد ، قال :  
 والنَّاسُ يلحونَ الأميرَ إذا هُمُو خَطِئُوا الصوابَ ولا يلام المرشدُ  
 أما : حرف استفتاح وإخبار . بان : ظهر . أما أنذرك الشيب ،  
 سيأتي مستوفياً .

وقال في الشيب الفقيه الزاهد أبو عمران رحمه الله :

ذهب الشَّبَابُ بجهله وبعاره	وأتى المشيبُ بجمله ووقاره
شَتَّانَ بين مبعده من ربه	بغروره ومبشر بجواره
مازلت أمرحُ بالشباب جهالةً	كالطرف يمرحُ معجباً بعذاره
وسحبت أنواب البطالة لاهياً	وجررتُ من بطرِ فضول إزاره
حتى تقلص ظله فتكشفتُ	عوراته أوبدا قبيح عواره
لم أحظ منه بطائل غير الأسي	وتندم متى على أوزاره
والآن قدخطَّ المشيب بمفرقي	بمواظٍ والحق في تذكاره
والنفس تركب غيتها لترعوي	عنه ولا تُصغى إلى إنذاره
لمنى على عمرٍ يمرّ مضياً	محصى على بليته ونهاره

كان شاباً في بني إسرائيل عبدَ الله عشرين سنة ، وعصاه عشرين سنة ،  
 فنظر يوماً في المرأة ، فرأى الشيب في لحيته ، فساءه ذلك فقال : إلهي أظمتك  
 عشرين سنة ، وعصيتك عشرين سنة ، فإن رجعتُ إليك أتقبلني ؟ فسمع صوتاً  
 من زاوية البيت : أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ؛  
 فإن رجعت إلينا قبلناك .

قال ابن وضاح : إذا باغ الرجل أربعين سنة ولم يقب ، مسح إبليس على وجهه ،  
 وقال : بأبي وجه لا يفلح أبدا ! وأنشدوا :

وإذا مضى للمرء من أعوامه  
ركدت عليه الخزيات وقلن قد  
وإذا رأى إبليس غرة وجهه  
حيا وقال : فديت من لم يفلح  
أرضيتنا فأقم لذا لا تبرح  
نخسون وهو إلى التقي لم ينجح

وقال آخر :

تلاحظني المنية من قريب  
وتنشر لي كتابا فيه طي  
كتاب في معانيه غموض  
أزال الله يا صاحي شبابي  
وبدلت العكاسل من نشاطي  
كذلك الشمس يعلوها اصفرار  
وتلحظني ملاحظة الرقيب  
بخط الدهر أسطره مشبي  
تلوح لكل أبواب منيب  
فموضت البغيض من الحبيب  
ومن حسن النضارة بالشحوب  
إذا جنحت ومالت للغروب

وهذا القدر كافٍ هنا في ذكر الشيب .

\*\*\*

وقوله : « ريب » ، شك . أما أسمعك الصوت ، الصوت هنا : النياحة على  
الميت . والقوت : بُعد الشيء . الاحتياط ، من الحوطة ، وهي الوقاية . تسدر :  
تتبخر . تختال : تتكبر . الزهو : الكبر . عم : شمل .

ولأبي العتاهية في معناه :

حتى متى ذواتي في تيهه  
بتيه أهل التيه من جهلم  
من طلب العز ليبقى به  
لم يعتصم بالله من خلقه  
أصلحه الله وعافاه  
وهم يموتون وإن تاهوا  
فإن عز المرء تقواه  
من ليس يرجوه ويخشاه

ولمحمد بن حازم :

فيا شامحاً أقصرَ عنانك مقصراً      فإن مطايا الدهر تكبو وتعضرُ  
ستقرعُ سنناً أو تعض ندامةً      يدبك إذا خان الزمان وتبصرُ  
ويلقاك رُشدٌ بعد غيبك واعظٌ      ولكنّه بلفاك والأمر مدبرُ

\* \* \*

وَحَتَّامٌ تَجَافِيكَ      وإبطاءٌ تَلَافِيكَ  
طَبَاعاً جَمَعْتَ فِيكَ      عُيُوباً شَمَلَهَا انْضَمُّ

إِذَا أَسْخَطْتَ مَوْلَاكَ      فَمَا تَقَلَّقُ مِنْ ذَلِكَ  
وَإِنْ أَحْفَقَ مَسْعَاكَ      تَلَطَّيْتُ مِنْ أَلْهَمِ

وَإِنْ لَاحَ لَكَ النَّقْشُ      مِنَ الْأَصْفَرِ تَهْتَشُ  
وَإِنْ مَرَّ بِكَ النُّعْشُ      تَدَأَمْتُ وَلَا غَمَّ

تُعَاصِي النَّاصِحِ الْبَرِّ      وَتَتَعَاصُ وَتَزُورُ  
وَتَنْقَادُ لِمَنْ غَرُّ      وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمَّ

\* \* \*

قوله : «تجافيك» ، أى تباعدك من فعل الخير . إبطاء : تأخر . تلافيك : تداركك . طباعاً : أخلاقاً ؛ يريد أن أخلاقك قد جمعت فيك عيوباً انضم عليك شملها . أخفق : خاب . مسعاك : طلبك ومشيك فى اكتساب الرزق . تلطيت : احترقت واشتعلت ، وهو تفتلت ، من اللطى . الأصفر : الدينار ، وقشه الكتاب

الذى فيه . تهتس : تحفّ وتهتزّ طرباً . تغامت : أظهرت الغم . ولا غمّ ، أى ليس عندك غمّ على الحقيقة .

كان أبو الدرداء رضى الله عنه إذا رأى جنازة قال : اغدى فإننا راحمون ، أو روى فإننا غادون .

أبو عمرو بن العلاء قال : جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه :

\* ودّع أمانةَ حانَ منكَ رحيلُ\* (١)

ثم طاعت جنازة فأمسك ، وقال شيبني هذه الجنازة ، قلت : فلم تُسأبِ الناسَ ؟ قال : ييدوننى ، ثم لا أعفو ، وأعتدى ولا أبتدى . ثم أنشأ يقول :

تروّعنا الجنائزَ مقبلاتٍ ونلّهو حين تذهب مدبراتٍ (٢)  
كروعةٍ هجمة لمغار ذئبٍ فلما غاب عادت راتعاتٍ

وقال آخر :

وتعدُّ كثرة من يموت تعجّباً عما قريبٍ سوف تدخلُ في العددِ  
وأراك تحملهم ولست تردّهم وكأنتى بك قد دُملت ولا تُردّ

قوله : «تعاصى الناصح البرّ» ، أى تعاصى من ينصحك ويبرّك . تعاص : تعصّب ، وهو «تفتعل» من المصيان ، على القلب . تزور : تنقبض . غرّ : خدع . مان : كذب ، ونمّ : مشى بالنميمة .

\* \* \*

وتسعى في هوى النفسِ وتحتالُ على الفلّسِ  
وتنسى ظلمة الرّمسِ ولا تذكُرُ ما تمّ

(١) ديوانه ١٧٢ ، وبقيته :

\* إن الوداع إلى الحبيب قليل\*

(٢) ديوانه ٨٧ .

وَلَوْ لَاحَظَكَ الْحَظُّ      لِمَا طَاحَ بِكَ الْأَخْظُ  
 وَلَا كُنْتَ إِذَا الْوَهْظُ      جَلَا الْأَحْزَانَ تَنْقَمُ  
 سَتُذْرِي الدَّمَ لَا الدَّمْعَ      إِذَا عَايَنْتَ ذَا جَمْعٍ  
 يَبْقَى فِي عَرَصَةِ الْجَمْعِ      وَلَا خَالَ وَلَا عَمَّ  
 كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطُّ      إِلَى اللَّحْدِ وَتَنْقَطُّ  
 وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ      إِلَى أَضْيَاقٍ مِنْ سَمِّ

\* \* \*

الرَّمْسُ : القبر . لَاحَظَكَ الحَطُّ : نظرك السعد . طَاحَ بِكَ : أذهبك  
 وأهلكك ، وَاللَّحْظُ : النظر بِمَوْخَرِ العَيْنِ ، وَقَدْ لَحَظَهُ لَحْظًا وَلَا حَظَّهُ مَلاحِظَةً ،  
 وَكُلَّهُ مِنَ اللِّحَازِ ، وَهُوَ طَرَفُ العَيْنِ تَمَّا يَلِي الصُّدْغَ . وَجَلَا : كَشَفَ . تُذْرِي :  
 تَصِبُّ وَتُرْسَلُ مَتَفَرِّقًا .

أَنَسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْكُوا  
 فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فْتَبَاكُوا ، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي  
 وَجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جِدَاوِلٌ ، حَتَّى تَنْقَطَعَ الدَّمُوعُ فَتَسِيلُ الدَّمَاءُ ، فَلَوْ أَنَّ السَّفِينَ  
 أُجْرِيَتْ فِي دُمُوعِهِمْ لَجُرَّتْ » .

لِاجْتِمَاعِ ، أَيْ لِاقْبِيلٍ وَلَا عَشِيرٍ يَحْمِيكَ وَلَا يَمْنَعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . يَبْقَى : يَمْنَعُ .  
 عَرَصَةُ الْجَمْعِ : مَوْضِعُ اجْتِمَاعِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ . تَنْحَطُّ : تَنْزِلُ . اللَّحْدُ : حَفِيرٌ فِي  
 جَانِبِ الْقَبْرِ . وَتَنْقَطُّ : تَنْضَمُّ وَتَنْقَبِضُ ، يُقَالُ : غَطَطْتَهُ فِي الْمَاءِ إِذَا أُغْرِقْتَهُ فِيهِ  
 وَغَسَّطَهُ . أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ : تَرَكَكَ قَوْمَكَ . سَمِّ : عَيْنِ الْإِبْرَةِ ، يَرِيدُ ضَيْقَ الْقَبْرِ

على الميت . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضفطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ » .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فساءنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله ، التمع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه ، قلنا : يا رسول الله ، رأينا منك شأنًا فمِمَّ ذلك؟ قال : ذكرت ضفطة بنتى وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ، ولقد ضفطت ضفطة سمع صوتها ما بين الخاقين .

\* \* \*

هُنَاكَ الْجِسْمُ مَمْدُودٌ      لَيْسَتْ أُمَّ كَلَّةٌ الدُّودُ  
إِلَى أَنْ يَنْخَرَّ الْعُودُ      وَيُمْسِي الْعَظْمُ قَدْ رَمَ

وَمِنْ بَعْدُ فَلَا بُدَّ      مِنْ الْعَرَضِ إِذَا اعْتَدَّ  
صِرَاطُ جِسْرِهِ مَدَّ      عَلَى النَّارِ لِمَنْ قَدْ أَمَّ

فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلَّ      وَمِنْ ذِي عِزٍّ ذَلَّ  
وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلَّ      وَقَالَ الْخَطْبُ قَدْ طَمَّ

فَبَادِرْ أَيُّهَا الْمُرُّ      لِمَا يَخْلُو بِهِ الْعَرُّ  
فَقَدْ كَادَ يَهِيَ الْعُرُّ      وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمِّ

\* \* \*

قوله : « يَنْخَرَّ » ، أى يبلى ، والعود : تابوت الميت . رم : بلى : قال

الفنجدية: إلى أن ينخر العود ، أى إلى أن يبلى الجسم الناعم الذى هو مثل القضيب ، وقال الألبيري :

كأنى بنفسي وهى فى السِّكراتِ      تعالجُ أنْ تَرُقَى إلى اللّهواتِ (١)  
 وقد رمّ رحلى واستقلتُ ركائبي      وقد آذنتني بالرحيلِ حُداتي  
 إلى منزلٍ فيه عذابٌ ورحمةٌ      وكم فيه من زجرٍ لنا وعِظَاتِ  
 ومن أعينٍ سالتْ على وجناتها      ومن أوجهٍ فى التُّربِ مُنمِقراتِ  
 ومن وادٍ فيه على ما يسره      ومن وادٍ فيه على الحسراتِ

قوله : «اعتدّ» أى استعدّ ، روى أبو بكر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يُحْمَلُ الناسُ يومَ القيامةِ على الصِّراطِ فيتقاع بهم جنّبتنا الصِّراطِ تقادعُ الفراشِ فى النارِ ، فينجى اللهُ برحمته مَنْ يشاء . » التقادع : التّهافت ، كأنّ كل واحد منهم يقدعُ صاحبه كى يسبقه . والجسر : بناء على النار يُجاز عليه من جهة إلى أخرى . وأمّ : قصد . مُرشد : هادٍ . ضلّ : تحيّر . الخطب : الأمر الشديد . طمّ : عظم . العُمر : الجاهل بالأمور . والذى يحلو به المرّ : هو التوبة والأعمال الصالحة التى يصلح بها ما فسد . يهسى : يضعف . أقلت عن ذمّ ، أى رجعت عن أمر مذموم ، وقال ابن عبد ربه :

بادِرْ إلى التوبة الخلصاء مجهداً      واثبوتُ ونحك لم يدُدْ إليك بدّاً (٢)  
 وارقب من الله وعداً ليس يُخلفه      لا بدّ لله من إنجاز ما وعداً

\* \* \*

وَلَا تَرْكَنْ إِلَى الدَّهْرِ      وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرَّ  
 فَتُلْفَى كَمَنْ اغْتَرَّ      بِأَفْعَى تَنْفُتُ التَّمِّ

وَحَفْضٌ مِنْ تَرَاقِيكَ      فَإِنَّ الْمَوْتَ لِأَقِيكَ  
 وَسَارٍ فِي تَرَاقِيكَ      وَمَا يَنْكَلُ إِنْ هَمَّ  
 وَجَانِبَ صَعَرَ الْخَدِّ      إِذَا سَاعَدَكَ الْجَدُّ  
 وَزَمَّ اللَّفْظَ إِنْ نَدَّ      فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمَّ  
 وَنَفْسٌ عَنْ أَخِي الْبَثِّ      وَصَدَقَهُ إِذَا نَثَّ  
 وَرَمَّ الْعَمَلَ الرَّثِّ      فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمَّ

\* \* \*

قوله: «لا تركن»: تقول: ركنت إلى فلان، إذا اتخذته ركناً تلجأ إليه،  
 تلتفى: توجد. اغتر: انخدع. تنفث: تبصق عند لدغها. حفّض: سکن. تراقيك  
 ارتفاعك وتكبرك. سار: ماش. والتراقى: العظمان الموءجان على الصدر.  
 ينكل: يضعف وينقطع. إن هم: إن أراذك وهم بك، وفي معنى هذا قول  
 أبي نواس - قال غانم الوراق: دخلت عليه قبل وفاته بيوم فقال لي: أملك  
 ألواحك؟ قلت: نعم، قال: اكتب:

دبّ في السقام سُفلاً وَعُلُواً      وأراني أموتُ عُضُواً فَعُضُوا  
 ليس تمضي من لحظةٍ لي إلاَّ      نهضتني بمرّها بي جُرُواً  
 ذهبت جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي      وتذكرتُ طاعةَ اللهِ نِضُواً  
 قد أسأنا كلَّ الإِسَاءَةِ فَالَّا      همّ صفحاً عينا وغفراً وَعَفُواً

قوله: «نفس»، أي وسّع نفسه، كأنه خنق فضاقت نفسه، فأمر بحمله. أخي  
 البث: صاحب الحزن. نث: نطق وكشف له سره. رم: أصلح، وقد رمت  
 الشيء رمًا أصلحته. الرث: الخلق.



وَرِشٌ مِّن رِّيشِهِ أَنْحَصَ ۖ      بِمَا عَمَّ وَمَا حَصَّ  
وَلَا تَأْسَ عَلَى النَّقْصِ ۖ      وَلَا تَحْرِصْ عَلَى اللَّامِ

وَعَادِ الْخُلُقَ الرَّذْلُ ۖ      وَعَوِّذْ كَفَّكَ الْبِذْلُ  
وَلَا تَسْتَمِعِ الْعَذْلَ ۖ      وَنَزِّهْهَا عَنِ الضَّمِّ

وَزَوِّدْ نَفْسَكَ الْخَيْرَ ۖ      وَدَعْ مَا يُعَقِبُ الضَّيْرَ  
وَهَيِّئْ مَرَكَبَ السَّيْرِ ۖ      وَخَفْ مِنْ لُجَّةِ الْيَمِّ

بِذَا أُوصِيَتْ يَا صَاحِبَ ۖ      وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ يَبَاحُ  
فَطُوبَى لِفَتَى رَاحِ ۖ      بَادِئِ بَادِئِ يَأْتَمُّ

\* \* \*

رش: اجعل له ريشا. انحص: نتف ريشه، تقول: رشت الرجل، أى أعنته وأغنيته. بما عمّ وماخص، أى بما كثر من العطية وقل. تأس: تحزن: على النقص، أى على النقصان فى الصدقة والمعروف، ولا تكن أيضاً حريصاً على جمعه ومنعه فمن احتاج إليه، واللهم: جمع المال، ولدت الشيء لك. الرذل: الردىء، يريد: عاد أخلاق البخل، أو الخلق السوء.

عائشه رضى الله عنها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مامن مسيء إلا وله توبة، إلا صاحب سوء الخلق لأنه لا يتوب من ذنب إلا عاد فى شر منه». والبذل: العطاء، وبذلت الشيء بذلا، أى أبحته عن طيب نفس. والعذل: اللوم، أى.

من لامك على العطاء لاتسمعه وأعط ، وأحسن ما قيل ورد العذل على كثرته  
قول زهير :

وأبيضَ فياضٍ نداه عمامةً      على مُتَتَفِيهِ ما تُعَبِّبُ فواضله<sup>(١)</sup>  
بكرت إليه غدوةً فرأيتُه<sup>(٢)</sup>      قعوداً إليه بالصريم عواذله<sup>(٣)</sup>  
يفدّيته طوراً ، وطورا يلمنه      وأعياناً فما يدرين أين محتاتله<sup>(٤)</sup>  
فأقصرن فيه عن كريم مرزاً  
صبورٍ على الأمر الذي هو فاعله<sup>(٥)</sup>

قوله « نَزَّهَهَا » ، أى باعدها . عن الضم ، أى عن ضم الأصابع على مافى الكف ،  
يقول : ابسطْ كَفَّكَ بالعطية ولا تقبضها على مافيا شحاً ، قال ابن عبد ربّه :  
يا قابضَ الكفِّ لا زالت مقبضة      فما أناملها للناس أرزاق<sup>(٦)</sup>  
وغب إذا شئت حق لا ترى أبداً      فما لتقدك فى الأحشاء إحراق<sup>(٧)</sup>  
كانه قلب بيت ابن دُرَيْدٍ فى رجل من أهل البصرة<sup>(٨)</sup> :  
يا مَنْ يقبل كَفَّ كلِّ مخرق<sup>(٩)</sup>      هذا إن يحيى ليس بالمخرقِ  
قبل أنامله فلن أناملا      لكنهنّ مفاتح الأرزاقِ

(١) ديوانه ١٣٩ ، من قصيدة بمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر ، وفى الديوان « بداه عمامة » ، وقال فى شرحه : « يقول : تخطر يده بالإعطاء كما تخطر العمامة » ، وفواصله : عطاياها ؛ لأنها تفضل كل عطاء .

(٢) الديوان : « فوجدته » .

(٣) الصريم : جمع صريمة ؛ وهى القطعة من الرمل تنقطع من معطاه .

(٤) قال فى شرح الديوان : « أى لا يدرى أين الأمر الذى يختلفه فيه ، أى كيف يخدمه » .

(٥) أعرضن : وابن . ومرزأ : بصاب منه الحبر وبرزأ ماله ، وفى الديوان : « جوع على الأمر » ، أى ماض عليه بجمع الرأى .

(٦) المقدم ٢ : ٣٥١

(٧) الديوان : « إفلاق »

(٨) ديوانه ٨٧ .

(٩) الديوان : « مخرق » .

أخذه ابن دُرَيْدٍ من إبراهيم بن العباس الصوليّ يمدح الفضل بن سهل<sup>(١)</sup> :

لفضل بن سهل يدٌ      تقاصرَ عنها المثلُ  
فبَسَطَها للغنى      وسَطَوُها للأجلِ  
وباطنها للنسدى      وظاهرها للقبَلِ

وسرقه ابن الرومي فقال :

أصبحتُ بين خصاصة ومذلةٍ      والحرُّ بينهما يموتُ ذليلاً  
فامدُدْ إلى يدِّها تعودَ بطنُها      بذلِ النوالِ وظهرُها التَّقبيلَ

وقال ابن عبد ربه :

وما خُلِقَت كفاه إلا لأربعٍ      عقائل لم يعقل لمن نواني  
لتقبيل أفواهٍ، وإعطاء نائلٍ،      وتقليب هندیٍّ وحَبْسِ عنانٍ

قوله : «ودع ما يقب الضير» ، أى دع عنك شيئاً يجيئك فى أثره ضرر .  
للركب هنا : السفينة . واليم : البحر . واللجة : معظم الماء ، وجعل الميت كالمسافر ،  
وضرب له البحر مثلاً لكثرة ما يرى من الأهوال ، فأمره بالاستعداد لذلك .  
يا صاح : يا صاحب . بُجْتُ . نطقْتُ ، يريد أن كل ما قدّم من الوصية إنما هو على  
وجه النصح ، كما وصّى هو بها قبل ذلك ، وأراد بقوله : «صاح» كل من يسمع وصيته ،  
لا صاحباً معيناً . طوبى : شجرة فى الجنة ، وهى ، عندهم «فُغَلَى» من الطيب . يأتّم :  
يقْتَدَى بها فى الظاهر ، يريد أنه من اقتدى بهذه الوصية فطوبى له ، وهو يريد : من  
حصل آداب المقامات كلها رأس .

\*\*\*

(١) ديوانه ١٣٦ (صن مجموعة الطرائف الأدبية) .

ثُمَّ حَسَرَ رُذْنَهُ عَنِ سَاعِدِ شَدِيدِ الْأَسْرِ ، قَدْ شَدَّ عَلَيْهِ جَبَائِرَ  
الْمَكْرِ لَا الْكَسْرَ ، مُتَّعِرًا لِاسْتِمَاحَةِ ، فِي مَعْرَضِ الْوَقَاحَةِ ،  
فَاخْتَلَبَ بِهِ أَوْلِيكَ الْأَمَلَاءُ ، حَتَّى أَتْرَعَ كَتْمَهُ وَمَلَأَ ؛ ثُمَّ انْحَدَرَ  
مِنَ الرَّبُوبَةِ ، جَذَلًا بِالْحُبُوبَةِ .

قال الراوي : فَجَاذِبْتُهُ مِنْ وِرَائِهِ ، حَاشِيَةً رِدَائِهِ ، فَانْتَفَتَ  
إِلَى مُسْتَسْلِمًا ، وَوَجَّهْتِي مُسَلِّمًا ، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو زَيْدٍ بِمَيْنِهِ  
وَمَيْنِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ :

إِلَى كَمِّ يَا أَبَا زَيْدٍ أَفَأَيْنِكَ فِي الْكَيْدِ  
لِيَنْحَاشَ لَكَ الصَّيْدُ وَلَا تَعْبَأَ بِمَنْ ذَمَّ

\* \* \*

قوله : « حسر » ، أى كشف . رذنه : كتمه . الأسر : الخليقة ، ومنه  
قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ (١) ، أى خلقتهم ، وهو من الإسار ، وهو  
القيد الذى يشد به الأسير ، فشرك الجلد هو الإسار - ويراد به فى الخليقة العصب -  
الذى يشتد بها الجسد وتلتئم بها الأعضاء ، وإليها حُكِمَ حركة البدن من القيام  
والعود ، فسبحان الذى أنشأ الخليقة كيف شاء ! الاستماعة : الطلب ، استفعالة ،  
من مَاحَ الرجلَ يميحه إذا أعطاه ، وأصل ذلك من المائح ، وهو النازل فى قعر  
البئر ليغرف ماءها ويفترقه على دلاء المستقين ، وقد ماح البئرَ مِيحًا . الوقاحة :  
ترك الحياء وصلابة الوجه ، من الحافر الوقاح وهو الصلَب . ومعرضها : موضع  
عرضها ونشرها ، وإن كسرت الميم وفتحت الراء فهو ثوب الوقاحة ، لبسه لأنَّ  
المعرض الثوب الذى تُعرض فيه الجارية للبيع ، والوقاحة : إظهار ذراعه صحيحًا

مشدوداً عليه بخرق، ليوهم من رآه أنه مكسور. اختلب: خدع، واحتلب بالحاء: حلب ما عندهم كما تحلب الشاة. الملا: الجماعة. أترع: ملا. انحدر: هبط، والرَبْوَة، لغة في الرهاوة التي تقدمت. جذلاً: مسروراً. الحبوة: العطية. جاذبته: نازعته. مئنه: كذبه. أفانينك: أنواع كذبك وحيلك. ينحاش: ينفضم ويجتمع، وحُشت الصيد أحوشه، إذا جئته من حوالبه لتصرفه إلى الجبال. لا تعباً، أى لا تبالي، من عبأت اللحم للجهل، والحيل للحزب إذا أعدته، وإذا لم يبال بالشيء لم يستعد له.

\*\*\*

فأجاب من غير استخياء، ولا ارتياء، وقال:

تبصّر ودع اللوم      وقل لي هل ترى اليوم  
قوى لا يقمّر القوم      متى مادسته تم

فقلت له: بعداً لك يا شيخ النار، وزاملة العار، فما مثلك في طلاوة علاينك، وخبت نيتك، إلا مثل روث مفضض، أو كيف مبيض.

ثم تفرقتا، فانطلقت ذات اليمين، وانطلقت ذات الشمال، وناوحت مهب الجنوب، وناوحت مهب الشمال.

\*\*\*

ارتياء: إبطاء، وهو «افتعال» من رؤية القلب، التي معناها التدبر والتفكير، وأصل بابه همزة، فنقلها لسان همزة اللام؛ يقول: أجب من غير فكرة.

يقمر: يغلب، وتقول: قامرتُ الرجلَ قماراً قمرته أقره، أى غلبته . دَسْتَه ، أى حيلته ، والدَسْتُ: الذى يكون لك فيه الغلب فى الشطرنج ، تقول: الدَسْتُ لى ، والدَسْتُ علىّ . ومن ألفاظ عامّة للمشرق أن يقول الرجل لصاحبه : هلمّ نأخذ دسّاً. تمّ: كمل . قوله: «زاملة»، أى حاملة ، والزاملة: الدابة يحمل عليها. طُلاوة علانيتك ، أى حسن ظاهرك . خبث تيتك : فساد باطنك ، وفى معنى هذا قال لقمان لابنه : احذر واحدة - وهى أهلٌ للاحذرِ : إِيّاك أن ترى أنك تحشى الله وقلبك فاجر ؛ يحذّره من الرياء ، وفى الحديث: « من أصاح سريرته أصلح الله علانيته » .

وقيل لرجلٍ مُراءٍ : ما أحسن صلاتك ! قال : ومع هذا فإنى صائم !

قال الشاعر :

وإذا أظهرت شيئاً حسناً      فليكن أحسن منه ما يسرّ  
فُسِرَ الخير موسومٌ به      ومُسِرَ الشرّ موسومٌ بشرّ

وقال محمود الوراق لابن أخيه :

تصوم كى يقال له أمينٌ      وما معنى التصوف والأمانة  
ولم يُردِ الإله به ولكن      أراد به الطريقَ إلى الخيانة

وقال فيه أيضاً :

شمر ثيابك واستعدّ لقائلٍ      واحكك جبينك للقضاة بشومٍ  
وعليك بالفتوى فاجلس عنده      حتى تصيب وديمةً ليقيمٍ

وقال الأبيص الأبيرى :

أهلَ الرياء لبستمُ ناموسكم      كالدُّب يُصبح فى الظلام العاتمُ

فلكتم الدنيا بمذهب مالكٍ      وقستمُ الأموالَ لابنِ القاسمِ  
وركبتُمُ شُهَبَ البغالِ بأشهبِ      وبأصبعِ صبغت لكم في العالمِ

وقال آخر :

لا شيءٍ أخسرَ صفقةً من عالمٍ      لعبت به الدنيا مع الجهالِ  
فنداً يفرق دينه أيدى سباً      ويديله حرصاً لجمع المالِ  
لاخير في كسبِ الحرامِ وقلماً      يُرجى الخلاص لكاسبٍ لحلالِ  
نغذ انكفاف ولا تكن ذا فضلةٍ      فالفضل تُسألُ عنه أىَّ سؤالِ

قوله: «مفضض» ، مطلى بالفضة. والكنيف: المستراح. ذات: جهة وناحية.  
ناوخت : قابلت . مهب : ناحية هبوبها . الجنوب : الريح القبليّة . والشمال  
[ مقابل ] الجنوبية .

## المقامة الثانية عشرة وهي الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال : شَخَّصْتُ مِنْ الْعِرَاقِ إِلَى الْغُوطَةِ ،  
وَأَنَا ذُو جُرْدٍ مَرْبُوطَةٍ ، وَجِدَّةٍ مَعْبُوطَةٍ ، يُلْهِبُنِي خُلُوعُ الدَّرْعِ ،  
وَيَزِدُّهُنِي حُمُولُ الضَّرْعِ . فَلَمَّا بَلَغْتُهَا بَعْدَ شِقِّ النَّفْسِ ،  
وَإِنْضَاءِ الْعَنْسِ ، أَلْفَيْتُهَا كَمَا تَصِفُ الْأَسْنُ ، وَفِيهَا مَا نَشْتَهِي  
الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، فَشَكَرْتُ يَدَ النَّوَى ، وَجَرَيْتُ طَلَقًا مَعَ  
الْهَوَى ، وَطَفِقْتُ أَفْضُ فِيهَا حُثُومَ الشَّهَوَاتِ ، وَأَجْتَنِي قُطُوفَ  
اللَّذَاتِ ، إِلَى أَنْ شَرَعَ سَفَرٌ فِي الْإِعْرَاقِ ، وَقَدِ اشْفَقْتُ مِنْ  
الْإِعْرَاقِ ، فَمَادَنِي عَيْدٌ مِنْ تَذْكَارِ الْوَطَنِ ، وَالْحَنِينِ إِلَى الْعَطَنِ ،  
فَقَوَّضْتُ خِيَامَ الْغَيْبَةِ ، وَأَسْرَجْتُ جَوَادَ الْأَوْبَةِ .

\*\*\*

[ غوطة دمشق ]

شَخَّصْتُ ، أَي خَرَجْتُ . الْغُوطَةُ : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ خَصِيبٌ بِخَارِجِ دِمَشْقٍ ، قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامَ فَمَلِكُمْ بِمَدِينَةِ يَقَالُ لَهَا  
دِمَشْقُ ، هِيَ خَيْرُ مَدَائِنِ الشَّامِ وَفَسْطَاطُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَرْضِ مِنْهَا يَقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ » .  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَحْسَنُ أَنْهَارِ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ أَنْهَارُ : الْغُوطَةُ ، وَسَمَرْقَنْدُ ، وَنَهْرُ الْأُبُلَّةِ ،  
وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَحَشُوشِهَا ثَلَاثَةٌ : عُمَّانُ ، وَأُرْدُبَيْلُ ، وَهَيْتُ .

( ٣ - شرح مقامات الحريري ج ٢ )



وسُمِّيت دمشق باسم صاحبها الذي بناها ، وهي إرم ذات العماد .  
وقال اليمقوبي : مدينة دمشق جليلة المقدار قديمة ، وهي مدينة الشام في  
الجاهلية والإسلام ، وليس لها نظير في جميع بلاد الشام في أنهارها وبساتينها ،  
ومبانيها وكثرة عمارتها . وافتُتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
سنة أربع عشرة .

وقال شيخنا ابن جبير<sup>(١)</sup> : مدينة دمشق هي جنة الشرق ، ومطلع حسنة  
المونق ،<sup>(٢)</sup> وعروس المدن<sup>(٣)</sup> . قد تحلّت بأزاهير الرياحين ، وتجلّت في حُلّ سندسية  
من البساتين ، وحلّت من موضع<sup>(٤)</sup> الحسن بمكان مكين ، وتجلّت<sup>(٥)</sup> في منصتها  
بأجل تزيين ، وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمة منها إلى ربوة ذات قرار  
ومعين . ظلٌّ ظليل ، وماء سلسبيل ، ينساب انسياب الأراقم بكل سبيل ، ورياض  
تُحيي النفوس<sup>(٥)</sup> بنسيمها العليل ، تبرز<sup>(٦)</sup> لناظرها بمجتلّى صقيل ، وتناديهم : ألا  
هلمّوا إلى معرّس للحسن ومقبل ، وقد سئمت أرضها كثرة المياه حتى اشتاقت  
إلى الظمأ ، فتكاد تناديك بها الصمّ الصّلاب : « اركض برجلك هذا مُغتسلّ بارد  
وشراب<sup>(٧)</sup> . قد أهدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر ، واكتنفتها اكتناف  
الأكام للزهر ، وامتدّت بشرقيتها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، فشكل موقع  
لحظته بجهاتها الأربع ، نضرتُه اليانعة قيد النظر ، ولقد صدق القائلون عنها :

(١) رحلة ابن جبير ٢٤٠ .

(٢ - ٣) ابن جبير : « وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها ، وعروس المدن التي  
جتليناها » .

(٣) ب : « وضع » ، ابن جبير : « موضوع » .

(٤) ابن جبير : « وتزينت » .

(٥) ب وابن جبير : « يحيي النفوس نسيمها » .

(٦) ابن جبير : « تبرز » .

(٧) سورة ص ٤٢ .

إن كانت الجنة في الأرض ندمشق لاشك منها ، وإن كانت في السماء فهي  
بمحيث مُسامتها وتحاذيها .

وقال فيها البحري :

إذا أردت ملأت الطرف من بلدٍ مستحسن ، وزمان يُشبهُ البلاداً<sup>(١)</sup>

يُمسي السحاب على أجبالها فرقاً

ويُصبحُ النَّبتُ في صحرائها بدداً

فلست تُبصر إلاً واكفاً خضلاً أو يانعاً خضراً ، أو طائراً غرداً

كأنما القَيْظُ ولَّى بعد وفدته<sup>(٢)</sup> أو الربيع دنا من بعد ما بعُدَا

\*\*\*

قوله : « جرد » ، أي خيل قصيرة شعر الجسد . جِدَّةٌ : غنى . مغبوطة :  
محسودة ، أراد مغبوطاً عليها مالكمها ، قلب . يُلهميني : يدعوني إلى اللهو .  
خُلُوّ الذرع : فراغ البال والصدر من الهم ، يزدهيني : يحماني على الزهو . حُفُولُ  
الضرع : كثرة المال ، والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدي للمرأة ، وحُفوله :  
امتلاؤه باللبن . شق : مشقة . إنصاء : إهزال . والمدنس : الناقة القوية . ألفتيتها :  
وجدتها النوى : البعد والانتقال من بلدٍ إلى بلد ، وأراد أنه شكر سفره .  
ويد النوى : النعمة التي أنعم بها عليه ، بأن أوصله إلى القوطة . الهوى : ما تهواه  
النفس وتشتهيه . طفقت : أخذت . أفص : أ كسر . ختوم : ربوط ؛ يريد  
أن شهوته التي كانت قد شدت وربطت أخذت يكسر ختومها ويسرحها في  
المآكل والمشارب واللذات . أجتني : أجمع . جناة قطوف : ما يجني من الثمار ،  
وجعله للذات أتساعاً . شرع : أخذ وابتدأ ، من شرعت الدابة في الماء ، إذا

(١) ديوانه ٧١٠ ، ، وقوله :

أما دمشقُ فقد أبدأت محاسنها وقد وقي لك مطربها بما وعدا

(٢) الديوان : « حيثته » .

دخلته لتشربَ سَفَر : مسافرون ، الإعراق : المشى إلى العراق . أشفت : خفت  
الإغراق : الفقر من أجل الزاد ولما كل ، وكأنه غرق في ذلك ، فهو يرجع إلى  
الغرق والإغراق : المبالغة في الشيء ، يقال : أغرق الرجل في القول والرمي  
بالقوس ، إذا بالغ فيهما .

عادنى : زارنى . عيد : شوق ، وكل ما تذكرته واشتقت إليه فهو عيد ،  
كأنه عاد إلى قلبه بعد نسيانه ، ونقل لفظ الشاعر :

عاد قلبي من الطويلةِ عيدُ واعتراى من حُبها تشهيدُ<sup>(١)</sup>

ابن الأنبارى ، العيد هنا : الوقت الذى يعود فيه الحزن والشوق ، وقال  
تأبط شراً :

يا عيد مالك من شوق وإبراقٍ ومَرّ طيفٍ على الأهوال طراقٍ<sup>(٢)</sup>

العيد : ما يعتاد من الحزن والشوق ، ومعنى « يالك من شوق » : ما أعظمك  
من شوق . الحنين : الشوق . المَطْن : مبارك الإبل حول الماء ، وأراد به بلده .  
قوّضت : هدمت . خيام : بيوت . الأوبة : الرجوع ، وأراد قطعت أسباب  
الإقامة .

\* \* \*

وَلَمَّا تَأَهَّبَتِ الرَّفَاقُ ، وَاسْتَتَبَّ الاتِّفَاقُ ، أَلْحَنَّا مِنَ الْمَسِيرِ ،  
دُونَ اسْتِصْحَابِ الْخَفِيرِ ، فَرُدْنَاهُ مِنْ كَلِّ قَبِيلَةٍ ، وَأَعْمَلْنَا فِي تَحْصِيلِهِ  
أَلْفَ حَيْلَةٍ ، فَأَعْوَزَ وَجِدَانُهُ فِي الْأَحْيَاءِ ، حَتَّى خَلْنَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ

(١) صدرت في اللسان - عود ، من غير نسبة ، قال : أراد بالطويلة روضة الصمان ،  
تسكون ثلاثة أبيال في مثلها .

(٢) مطلع قصيدته الفضلية ، وإبراق ، مصدر آرقه بورقه ، من الأرق ، والطراق : الذى  
يطلق ليلاً .

الأحياء ، فَحَارَتْ لِعَوَزِهِ عَزُومُ السَّيَّارَةِ ، وَانْتَدَوْا بِبَابِ جَيْرُونَ  
لِلْاِسْتِخَارَةِ ؛ فَمَا زَالُوا بَيْنَ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَشَزْرٍ وَسَحْلٍ ، إِلَى أَنْ نَفِدَ  
التَّنَاجِي ، وَقَنَطَ الرَّاجِي .

وَكَانَ حَدِيثُهُمْ شَخْصٌ مِبْسَمُهُ مِبْسَمُ الشُّبَّانِ ، وَلِبُؤْسُهُ لِبُؤْسُ  
الرُّهْبَانِ ، وَبِيَدِهِ سُبْحَةُ النَّسْوَانِ ، وَفِي عَيْنَيْهِ تَرْجَمَةُ النَّسْوَانِ ، وَقَدْ  
قَيَّدَ لِحَظَهُ بِالْجُمُعِ ، وَأَرْهَفَ أُذُنَهُ لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ . فَلَمَّا أَنَّى  
انْكِفَاؤُهُمْ ، وَقَدْ بَرِحَ لَهُ خَفَاؤُهُمْ ، قَالَ لَهُمْ : يَا قَوْمَ لِيُفْرِخْ كَرَّ بَيْكُمْ ،  
وَلِيَأْمَنَ سِرُّ بَيْكُمْ ، فَسَاخَفُوكُمْ بِمَا يَسْرُو رَوْعَكُمْ ، وَيَبْدُو  
طَوْعَكُمْ .

\* \* \*

استنقب : تهيأ وأقام . أُلْحَنَّا : خفنا . الخفير : الحجير ، وهو الذي تمشي الرفاق في  
ذمته ، وتسميه العامة الفقير . رُدْنَاهُ : طلبناه . أعوز : عدم . الأحياء الأول :  
القبائل ، والثاني ضد الموتى . حالت : تغيرت . لعوزيه : لفقده . عزوم : جمع  
عزم ، وهو الجِدَّة . السَّيَّارَةُ : الرقعة ، وهي فَعَالَةٌ من السير . انتدوا :  
اجتمعوا .

\* \* \*

## [ باب جيرون ]

باب جيرون ، من أبواب جامع دمشق ، وجيرون هذا هو جيرون بن سعد بن عاد ، وهو الذي بنى دمشق ، ونقل إليها الرخام ، وسماها إرم ، وعلى هذا نقلة الأخبار ؛ وأن إرم ذات العاد هي دمشق ، يقال : إنه كان فيها أربعمائة ألف عمود . وقد تقدم أيضاً أن دمشق سميت باسم بانيها ، وهو دماشق بن عمرو بن كنعان ، وقيل : بانيها دمشق بن عامر بن كعمك بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال اليعقوبي<sup>(١)</sup> : جامع دمشق ليس في الإسلام أحسن منه ، بناه الوليد ابن عبد الملك في خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين ، مفروش بالرخام الأبيض الحتم بالأزرق ، وسقفه لاخشب فيه ، مذهب كاه ، ومناؤه ثلاث : واحدة في مؤخر المسجد ، مذهب كلها من أعلاها إلى أسفلها .

وذكر شيخنا ابن جبير في وصف هذا الجامع ووصف دمشق غرائب لا يتسع لها هذا الكتاب ، فلنم هنا ببعض ما وصف في هذا الجامع ؛ لنفي بشرطنا . قال<sup>(٢)</sup> : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً وإتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال ترميق وتزيين<sup>(٣)</sup> ، ومن عجيب شأنه أنه لا يلم به نسج المنكبوت<sup>(٤)</sup> ، ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف ، انتدب لبنائه الوليد<sup>(٥)</sup> ، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بأشخاص أثنى عشر ألف صانع من بلاده ، وتقدم إليه بالوعيد في ذلك إن توقف [ عنه ]<sup>(٦)</sup> ، فامثل أمره منذ عنك ،

(١) اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، صاحب كتاب البلدان والتاريخ المعروف باسمه .

(٢) رحلة ابن جبير ٢٤٠ - ٢٥١ ، بتصرف .

(٣) بعدها في ابن جبير : « وشهرته المتعارفة في ذلك تفتي عن استعراق الوصف فيه » .

(٤) ابن جبير : « لا تنسج به المنكبوت » .

(٥) ابن جبير : « الوليد بن عبد الملك » .

(٦) تسكلة من ج وابن جبير .

وشرع في بنائه ، وبلغت الغاية في التأنيق فيه ، وأنزلت جدره كلها بمقصود الذهب المعروفة بالفُسَيْفِيسَاء ، وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة ، قدمثلت أشجاراً ، وقرعت أغصاناً منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف ، فجاء يُفَشِي العيون وهيضاً وبصيصاً .<sup>(١)</sup> وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار<sup>(٢)</sup> .

وكان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه صالح التصارى لما دخلها ، بأن أخذ نصف الكنيسة الشرقى ، فصيره مسجداً ، وبقى النصف الغربى<sup>(٣)</sup> للنصارى . فأخذه الوليد ، وأدخله في الجامع بعد أن رغب إليهم أن يعوّضهم عنه ، فأبوا ، فأخذه قهراً . وكانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يُجَنّ ، فبادر الوليد ، وقال : أنا أول من يُجَنّ في الله ، وبدأ الهدم بيده ، فبادر المسلمون ، فأكلوا هدمها . ثم أرضاهم عمر بن عبدالعزيز في خلافته عن الكنيسة بمال عظيم .

وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق : ذرعه مائتاخطوة<sup>(٤)</sup> ، وهما<sup>(٥)</sup> ثلثمائة ذراع ، وذرعه في السعة من القبلة إلى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة ، وهى مائتا ذراع ، وتكسيه بالمرجع الغربى أربعة وعشرون مرجعاً ، وهو تكسير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ غير أن طوله من القبلة إلى الشمال ، وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث، مستطيلة من المشرق إلى المغرب ، سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة ، وقامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً ، منها ثمانية أرجل تتخللها

(١-١) ابن جبير : « وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن الملبى الأسدى في جزء وصفه في ذكر بنائه - مائة صندوق ، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار ؛ فكان مبلغ الجميع إحدى عشر ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار - والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه في أيدي النصارى وأدخلها فيه ؛ لأنه كان قسمين : قسما للمسلمين وهو الشرقى ، وقسما للنصارى وهو الغربى لأن أبا عبيدة . . .

(٢) ب ، ج : « النصف المصارع عليه . »

(٣) قال ابن جبير : الخطوة : ذراع ونصف .

(٤) ط : « هى » ، وما أثبتته من ب وابن جبير .

واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصخرة ، وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم ، مرصعة بفصوص من الرخام ملونة ، قد نظمت خواتيم ، وصورت محاريب وأشكالاً غريبة قائمة في البلاط الأوسط ، دور كل رجل منها اثنتان وسبعون شبرا ، ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته ، سفته عشر خطأ ، وعدد قوائمه سبع وأربعون ، منها أربع عشرة رجلا ، والباقي سوار ، وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص . وأعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب ، وهي سامية في الهواء ، عظيمة الاستدارة ، وقد استقل بها هيكل عظيم ، هو عماد لها يتصل من الحراب إلى الصحن والقبة ، قد أغصت بالهواء ، فإذا استقبلتها رأيت مرأى هائلا ، ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء ، كأنها معلقة في الجو ، وعدد شمسياتها الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون ، فإذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انمكس الشعاع إلى كل لون منها ، واتصل ذلك بالجدار القبلى ، ويتصل بالأبصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها ، ومحاربه من أعجب المحاريب الإسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهابا كله ، وقد قامت في وسطه محاريب صفار متصلة بجداره ، تحفها سويريات مفقولات فتل الأسورة ، فإنها مخروطية ، بعضها أحمر ، كأنها مرجان لم ير شيئا أجمل منها .

وفيها ثلاث مقاصير : مقصورة معاوية ، وهي أول مقصورة وضعت في الإسلام ، طولها أربعة وأربعون شبرا ، وعرضها نصف الطول . ويليهما بحمة الغرب المقصورة التي أحدثت عند زيادة الكنييسة فيه ، وهي أكبر<sup>(١)</sup> . والثالثة بالجانب الغربى ، يجتمع الحنفية فيها للتدريس .

وله أربعة أبواب : باب قبلى يعرف بباب الزيادة ، وباب شمالى يعرف بباب الناظرين ، وباب غربى يعرف بباب البريد ، وباب شرقي يعرف بباب جيرون ، وهو أعظمها .

(١) ابن جبير : « مقصورات » .

وله وللغربي دهاليز متسمة يفضى كل دهليز منها إلى باب عظيم كانت كلها  
مداخل للكنيسة، فبقيت على حالها .

ثم ذكر في الصحن عجائب من الأبنية والقباب والصوامع الثلاث و لمياه  
المدبرة فيه ما يطول وصفه واختصاره. قال : وهذا الصحن من أجمل المناظر  
وأحسنها، وفيه مجتمع أهل البلد ومتفرجهم ومنتزههم، كل عشية تراهم فيه ذاهبين  
وراجعين من باب جيرون إلى باب البريد ، لا يزالون على هذه الحالة إلى انقضاء  
صلاة العشاء الأخيرة، منهم من يتحدث مع صاحبه ، ومنهم من يقرأ . فهذا دأبهم  
أبدأ بالعشي والغداة<sup>(١)</sup> ، وأكثر الاحتفال بالعشي ، [ فيختل لمبصر ذلك أنها  
ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم ،  
لا يزالون على ذلك كل يوم ]<sup>(٢)</sup> ، وأهل البطالة يسمونهم الخرائين .

وللجامع أربع سقايات في كل جهة سقاية . وأعظمها سقاية باب جيرون .  
وذكر أن حول باب جيرون من الأبنية الغربية ما يطول وصفه ، وذكر  
باب جيرون فقال : يخرج من دهليزه إلى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب  
مقوَّسة ، لها ستة أعمدة في جهة اليسار، منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضى  
الله عنه ، قبل أن يُنقل إلى القاهرة ، وبإزائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز  
رضى الله عنه ، وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها إلى الدهليز، وهي  
كالخنادق العظيم تتصل إلى باب عظيم الارتفاع ينحصر<sup>(٣)</sup> الطرف دونه سموًا ،  
قد حفته أعمدة كالجدوع طولاً ، وكالأطواد ضخامة ، وبجانب الدهليز أعمدة  
قامت عليها شوارع مستديرة ، فيها حوانيت المطَّارين وغيرهم ، وعليها شوارع  
مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام مشرفة على الدهاليز، وفوقها سطح بيت  
فيه سُكَّان الحجر والبيوت ، وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من  
الرخام ، عليه قبة تعلها أعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض أبواب صُفْر يزعج

(١) ابن جبير : « ول بعضهم بالغداة مثل ذلك » .

(٢) تكملة من ابن جبير .

(٣) كذا في ابن جبير ، وفي ط ، ب : « بتحير » .



الماء بقوة ، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة ، وحوله أنايب صغار ترمى الماء علواً<sup>(١)</sup> ، فيخرج منها كقضبان اللجين ، فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ، ومنظرها أبداع من أن يوصف ، وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه غرفة ، بها هيئة طاقٍ كبير مستدير ، فيه طيقان من صفر وقد فتحت أبواباً صفراً على عدد ساعات النهار ، ودبرت تديراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار ، تسقط صنجتان من صُفْر من فئٍ بازيين من صُفْر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين ، فتبهر البازيين يمدان أعناقهما للصنجتين إلى الطاستين ، ويقذفانها بسرعة ، بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً ، فعند وقوعهما يُسمع لهما دوى ، فيعودان من الأتقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة ، ويتعلق الباب تلك الساعة بلوحٍ أصفر ، فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات ، فتعلق الأبواب كلها ، ثم تعود إلى حالاتها الأولى . وإما بالليل تدبير آخر ، وذلك أن في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرومة ، في كل دائرة زجاجة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ، فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح ، وأفاض على الدائرة شعاعاً ، فلاحت دائرة محمرة ، ثم ينتقل إلى الأخرى ، حتى تنقضي ساعات الليل ، وقد وكل بها من يدير شأنها ، فيعيد فتح الأبواب ، ويسرح الصنج إلى موضعه وهي التي تسمى الميقات .

ثم ذكر في باب جيرون ، وفي الجامع وفي خارج البلد عجائب ليست من شرطنا ، وإنما ذكرنا منها مادعت إليه الحاجة من ذكر باب جيرون .

\* \* \*

قوله: «الاستخارة» أي طلب الخيرة، واستخرت الله: سألته أن يهب لي الخيرة. شزر: عقد. سحل: حل، وشزرت الحبل شزراً شددت قتله، وسحات النسج سحلاً أفردت سداه ولم تنقله. نفذ: تم وفرغ. التناجى: التحدث سراً. قنط: يئس

(١) ب • إلى عط • .

الراجي : الطامع . حذتهم : قريبا منهم ، تقول : داري حذوه وحذوته .  
 وحذته ، أى حذاه . ميسمه : علامته ، وأصل الميسم الموسم ، لأنه من وسمت  
 الشيء ، فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها . كبوسه : ثيابه . الزهبان :  
 العباد . والترهب : ترك النساء . سُبحة : خيط ينظم فيه خرز يمد به التسبيح ،  
 وكانت لأبي هريرة رضى الله عنه سُبحة من النوى المجزّع ، وهو الذى حُكَّ  
 حتى اختلف لونه . وفرغ من سبحته ، أى من صلاته وما يتبعها من الذكر .  
 ترجمة : علامة . اللشوان : السكران . قيد لحظه : ربط نظره ، أى شخص  
 فيهم . أرهف : أهدأ . آن : حان وقرب ، ويروى « ناء » مقلوب « آن » . انكفاؤهم :  
 انقلابهم ورجوعهم . برّح : انكشف . خفاؤهم : سرّهم .

لئيفرخ كركبكم : ليزول ويسكن ، ومثّل العرب : أفرخ روعك ، ومعناه :  
 انجلي وانكشف كما ينكشف مافي البيضة إذا انشق عن الفرخ . وقيل : معنى  
 أفرخ ، ذهب .

وقال الفارسي في التذكرة : معنى أفرخ روعك : صار له فرخ ، وإذا أفرخ  
 الطائر طار ، لأنه فارق الحضن ، وهذا قول حسن .

وقال عروة بن مضر م : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بجمع قبل أن يصلى  
 الصبح ، فقلت : يا رسول الله ، طويت الجبلين ، ولقيت شدة ، فقال : « أفرخ  
 روعك ، من أدرك إفاضتنا هذه فقد أدرك الحج » ، وقال الأخطل يصف الثور  
 والكلاب :

حتى إذا ما الثور أفرخ روعه      وأفاق أقبل نحوها بتذمر<sup>(١)</sup>  
 أضما وهز لمن روتقى رأسه<sup>(٢)</sup>      إذ قد أتيج لمن موت أحر

(١) ديوانه ٢٣١ .

(٢) الديوان : « رمى رأسه » .

فَقَوْلُهُ: « أَفَاقٍ » بَعْدَ « أَفْرَخَ رَوْعَهُ » بَدَلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ ذَهَبَ فَرْعُهُ وَزَالَ .  
 وَيَتَذَمَّرُ ، يَحْضُ نَفْسَهُ عَلَى الْإِقْدَامِ ، يُقَالُ: ذَمَرْتَهُ إِذَا حَضَضْتَهُ . وَأَضْمًا ، أَيْ غَضْبَانًا ،  
 وَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ مَذْكَورٌ فِي الْقَامَةِ بَعْدَ هَذِهِ . قَوْلُهُ : « كَرَبِكُمْ » أَيْ هَمِكُمْ .  
 سَرَبِكُمْ ، أَيْ جَمْعَكُمْ ، أَيْ تَأْمَنُوا فِي نَفُوسِكُمْ . سَأَخْبِرُكُمْ : سَأَجِيرُكُمْ . يَسْرُؤُ :  
 يَكْشِفُ وَيُزِيلُ . رَوْعَكُمْ : فَرْعَكُمْ . يَبْدُو : يَظْهَرُ . طَوْعَكُمْ : مَتَقَادًا لَكُمْ ، وَأَرَادَ  
 سَأَجِيرُكُمْ بِشَيْءٍ يَزِيلُ عَنْكُمْ الْفَرْعَ ، وَيَكُونُ مَتَقَادًا لَكُمْ ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ  
 الْكَلِمَاتُ الَّتِي بَاتَى بِهَا .

\* \* \*

قَالَ الرَّائِي : فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا مِنْهُ طِمَعُ الْخُفَارَةِ ، وَأَسْنَيْنَا لَهُ الْجِمَاعَةَ  
 عَنِ السَّفَارَةِ ، فَرَعَمَ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ لَقْنَهَا فِي الْمَنَامِ ، لِيَجْتَرِسَ بِهَا مَنْ  
 كَيْدِ الْإِنَامِ ، فَجَعَلَ بَعْضُنَا يُومِضُ إِلَى بَعْضٍ ، وَيُقَلِّبُ طَرَفَيْهِ  
 بَيْنَ لِحْظٍ وَغَضٍّ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّا اسْتَضَعَفْنَا الْخَبَرَ ، وَاسْتَشَعَرْنَا الْخَوَرَ ،  
 فَقَالَ : مَا بِالْكُمِّ اتَّخَذْتُمْ جِدِّي عَبْنًا ؛ وَجَعَلْتُمْ تَبْرِي خَبْنًا ! وَأَطَالَ مَا  
 وَاللَّهِ جُبْتُ مَخَافِ الْأَقْطَارِ ، وَوَلَجْتُ مَقَاحِمَ الْأَخْطَارِ ، فَغَنَيْتُ  
 بِهَا عَنْ مُصَاحَبَةِ خَفِيرٍ ، وَاسْتِصْحَابِ جَفِيرٍ . ثُمَّ لَأَى سَائِنِي  
 مَارًا بِكُمْ ، وَأَسْتَسِيلُ الْخُدْرَ الَّذِي نَابَكُمْ ، بَانَ أَوْافِكُمْ فِي  
 الْبَدَاوَةِ ، وَأَرَأَفِكُمْ فِي السَّمَاءِ ، فَإِنْ صَدَقْتُمْ وَعَدَيْتُمْ ، فَأَجِدُوا  
 سَعْدِي ، وَأَسْعِدُوا جَدِّي . وَإِنْ كَذَبْتُمْ فِيمِي ، فَمَزُقُوا أَدْمِي ،  
 وَأَرِيقُوا دَمِي .

قال الحارث بن همام : فَأَلْهَمْنَا تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ ، وَتَحْقِيقَ مَا رَوَاهُ ،  
فَنَزَعْنَا عَنْ مَجَادِلَتِهِ ، وَاسْتَهَمْنَا عَلَى مُعَادَلَتِهِ ، وَفَصَمْنَا بِقَوْلِهِ عُرَى  
الرِّبَاثِ ، وَالنَّيْنَا اتِّقَاءَ الْعَابِثِ وَالْعَائِثِ .

\* \* \*

استطلعنا منه طِلم الخفارة ، أى استخبرناه عن خبر الإجارة ، قال ابن  
الأبارى : معنى السَّفارة فى كلامهم الإصلاح ، والسفير : المصلح .

قال الشاعر :

وما أدعُ السَّفارةَ بين قَوْمِي      وما أمشيَ بِفَشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

وأسنينا له الإجمالة عن السَّفارة ، أى كثرنا له العطاء ليدلنا على الخير ،  
وأن يكون رسولا بيننا وبينه . ويمكن أن تكون السَّفارة فِعالةً ، من لفظ السَّفير ،  
فيكون اسماً للإجرفة كاللِّجارة والخياطة . لُقِّبها : حفظها . ليحترس ، ليمتنع .  
يَوْمض : يشير . لَحَظَ : نظرَ بطرف عينيه . غَضَّ : كسرَ النظر ؛ أى جمَلوا  
يتغامزون عليه استضعافاً لخبره . استشعرنا الخَوْرَ ، أى ظهر علينا الفزع والضعف  
من كلامه . العَبَثُ : اللعب . تَبَرَّى : ذهبى ، والتَبَرُّ : كل ما لم يصنع من الجواهر  
من نُحاسٍ وغيره . حَبْتًا : فاسداً . جُبْتُ : قطعت . مخاوف : مواضع الخوف .  
الأقطار : نواحي الأرض . وَلَجْتُ : دخلت . مقاحم : مهالك ، والأهْضمة الأمر  
العظيم لا يركبه أحد لهو له . الأخطار : جمع خطر ، وهو الفرر . جَنِير : جُمبة  
السَّام . رابكم : شكَّكم ، أسْتَسِيلَ : أزيل . الحذر : الخوف . نابكم :  
قصدكم . أواقكم : أساعدكم وأمشى معكم مصاحباً لكم . أرافكم : أسافر

معكم ، والرفيق: الصاحب في السفر. السماوة : مفازة بين الشام والعراق، وسماوة كل شيء شخصه ، وبذلك سُميت السماوة لأنها منازل ثمود، وفيها إلى الآن أشخاص منازلهم وآثارهم. أجدّوه : ردوه ذاجدّ ، وهو السعد والحظّ ، والمعنى أنه يقول : إن كان سعدى قليلاً فأجدّوه ، أي كثروا حظّه بعطيّكم حتى يعود صاحبه كثير السعد ، وكذلك يقدر : أسعدوا جدّي ، فيريد : إن صدقتكم وعدى ، وسلمتم ، فهبوا لي من أموالكم ما يتقوى به سعادى الضعيف ، ويكثر حظّي القليل . ويقال أيضاً : أجدّ الشيء إذا صيره جديداً . مزقوا : قظّموا . أدّى جلدى . أرىقوا : صُبّوا .

ألمنا ، أى ألقى في قلوبنا . نزعنا : أقلعنا . مجادلته : مخالفته . استهمنا : ضربنا السهام وتخططنا على من يركب معه رفيقاً . ومعادلته : الركوب معه في الحمل ، وهو أن يركب هذا في الأيمن ، وهذا في الأيسر ، مأخوذة من العدل .

ونذكر هنا حكاية مضحكة تزيد المعادلة بياناً ، كان المعتصم يأنس بعلّى ابن الجنيد الإسكافي ، وكان عجيب الصورة والحديث ، فقال المعتصم لابن حماد : اذهب إلى ابن الجنيد ، وقل له : يتهبأ ليزاملني ، فأتاه فقل له : تهبأ لزمالة أمير المؤمنين ، فإن زمالة الخلفاء كبيرة ، فقال : كيف أتهبأ لها ؟ أصيب رأساً غير رأسى ! أشتري لحية غير لحيتى ! قال ابن حماد : شروطها الامتناع عن الحديث والمذاكرة والمنادمة ، وألاً تبصق ولا تسعل ولا تمنخط ولا تتنحج ، وأن تتقدّم في الركوب إشفافاً عليه من الميل ، وأن يتقدّمك في النزول ، فنتى لم يفعل هذا المعادل كان ومثقلة الرصاص التي تُمدل بها القبة واحداً ، فقال لابن حماد : اذهب قل له ما يزمالك إلا من أمّه زانية . فرجع إلى المعتصم وأعلمه ، فضحك وقال : علّى به ، فلما جاء قال : يا علّى ، أبعث إليك أن تزماني فلا تفعل ! فقال له : إن رسولك هذا الأرهن جاءني بشروط حسان السامى وخلويه الحاكى ،

فقال: لا تبصق ولا تعطس، وجعل يقرقع بصاداته، وهذا لا أقدر عليه؛ فإن رضيت أن أراملك، فإذا جاءني الفساء والضراط فسوت وضرت، وإلا فليس بيني وبينك عمل. فضحك المعتصم حتى فخص برجليه، وقال: نعم زاملني على هذه الشروط، فسار ساعة فلما توسط البر، قال: يا أمير المؤمنين، قد حضر ذلك المتسامح، قال: ذلك إليك، قال: يحضر ابن حماد، فحضر، فناوله كفه، وقال أجد في كفي ديب شيء، فانظر ماهو، فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف، فقال: ما أرى شيئاً، ولكني أعلم أن في جوف ثيابك كنيفاً، والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب، وابن الجنيد يفسو فساء متصلاً، ويقول لابن حماد: قلت: لي: لا تسعل أو لا تمخط، فخرت عليك، ثم قال: قد نصبت القدر، وأريد أخرى، فأخرج المعتصم رأسه من العارية حين كثر عليه الضحك، وصاح: وبلك يا غلام، الأرض: الساعة أموت!

قوله: «فصمنا»، أي قطعنا وحللنا والأرا: عيون من شريط أو غيره يُشد بها فم الخرج أو البدل، واحداها عروة. والرباث: العلق، واحداها ربيثة، وهو ما يثبت الإنسان ويحبسه عن أمر يريده، وقد ربتك عن الأمر ربثاً، وتربتك أنا تربثاً، إذا تثبقت. ألعينا: أطرحنا. اتقاء: خوف. العابث: الذي يعبث بأموالهم من أهل الشر فيفسدها، والعاث: المفسد، ويقال: عاثت بفتح الباء عيثاً: خلط. وبكسرها عيثاً: لعب واستخف، وعاث عيثاً: أفسد.



«وَلَمَّا عَكِمَتِ الرَّحَالُ، وَأَزِفَ التَّرْحَالُ، اسْتَنْزَلْنَا كَلِمَاتِهِ  
الرَّافِيَةَ، لِنَجْمَلَهَا الْوَاقِيَةَ الْبَاقِيَةَ، فَقَالَ: لِيَقْرَأْ كُلُّكُمْ أُمَّ»

القرآن، كَلَّمَا أَظَلَّ الْمَلَوَانَ . ثُمَّ لِيُقَلِّ بِلِسَانٍ خَاضِعٍ ، وَصَوْتٍ خَاشِعٍ : اللَّهُمَّ يَا مُجِيبَ الرَّفَاتِ ، وَيَا دَافِعَ الْآفَاتِ ، وَيَا وَاقِيَ الْمَخَافَاتِ ، وَيَا كَرِيمَ الْمَكْفَاةِ ، وَيَا مَوْتِلَ الْعُقَاةِ ، وَيَا وَليَّ التَّعْفُوِّ وَالْمَعَاوَةِ ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أَنْبِيَائِكَ ، وَمُبَلِّغِ أَنْبِيَائِكَ ، وَعَلَى مَصَاحِبِ أَسْرَتِهِ ، وَمَفَاتِيحِ نَصْرَتِهِ ، وَأَعِزِّي مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَنَزَوَاتِ السَّلَاطِينِ ، وَإِعْنَاتِ الْبَاغِينِ ، وَمَعَانَاةِ الطَّاعِينِ ، وَعُدْوَانَ الْمَعَادِينِ ، وَعَلَبِ الْغَالِبِينَ ، وَسَلَبِ السَّالِبِينَ ، وَحِيلِ الْمُحْتَالِينَ ، وَغِيَلِ الْمُفْتَالِينَ ، وَأَجِرْنِي اللَّهُمَّ مِنْ جَوْرِ الْمَجَاوِرِينَ ، <sup>(١)</sup> وَمُجَاوِرَةِ الْجَائِرِينَ <sup>(٢)</sup> ، وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِينَ ، وَكُفِّ عَنِّي أَكْفَ الضَّالِّينِ ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ .

\*\*\*

عُكِمَتِ الرَّحَالُ ، أَيْ شَدَّتِ الْأَحْمَالُ بِالْعِكَامِ ، وَالْعِكَامُ مَا يَشُدُّ بِهِ فَمِ الْعِكَامِ وَهُوَ الْعِدْلُ . وَقِيلَ : إِنَّ أَصْلَ الْعِكَامِ كِمَاةٌ تَرْبُطُ عَلَى فَمِ الْبَعِيرِ ، وَمِثْلُهُ اللَّجَامُ ، يُسْتَعَارُ لِمَا يَشُدُّ بِهِ الْمَتَاعُ ، وَيُقَالُ : عَكِمْتُ الْمَتَاعَ عِكْمًا شَدَّدْتَهُ فِي الْعِكَامِ ، أَوْ شَدَّدْتَهُ بِالْعِكَامِ ، وَعَكِمْتُ الْبَعِيرَ شَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ الْعِكَامَ . أَوْ رَبَطْتُ الْعِكَامَ عَلَى فَمِهِ ، وَأَعَكَمْتُكَ أَعَكَمْتُكَ . أَرْفُ : دَنَا وَقُرْبُ . اسْتَنْزَلْنَا : طَلَبْنَا مِنْهُ أَنْزَالَهَا ، أَيْ تَلَطَّفْنَا بِهِ لِيَذْكُرَهَا . الرَّاقِيَةُ : الرَّفِيعَةُ ، مِنْ رَقِيَ فِي الدَّرَجَةِ ، أَوْ الْمَوْذُودَةُ لَنَا ، مِنْ رَقَيْتَ الْمَرِيضَ ، وَهُوَ أَشْبَهَ لِمَوَاقِفِهَا الْمَعْنَى الرَّاقِيَةُ ، وَهِيَ السَّكَافِيَةُ ، لِمَا يَخَافُ مِنَ الشَّرِّ . أَظَلُّ الْأَمْرُ :

(١ - ١) ساقط من نسخة القامات المخطوطة .

قرب ودنا وكأنه ألقي عليك ظله . المألوان : الليل والنهار ، والخاضع : الدليل ،  
 وخضع خضوعاً : أقر بالذل . والخاشع : المتواضع ، وخشع خشوعاً : خفض  
 صوته ، ورمى ببصره إلى الأرض ، والخضوع قريب منه ، إلا أن أكثر  
 ما يستعمل الخشوع في الصّوت والخضوع في الأعناق . الرّفات : العظام البالية .  
 الآفات : المضرات . المكافأة : المجازاة . موئل : ملجأ . العفاة : جمع عافٍ ،  
 وهو سائل العفو وليّ العفو : صاحب المغفرة . والمعافاة . المباعدة من الضّرر ،  
 وقد عافاه ممّا يكره وأعفاه . أنبائك : أخبارك ، والنبأ الخبر . أمرته : رهطه ،  
 وأراد بالمصاييح المهاجرين ، وبالفتايح الأنصار . أعذني : أجرني . التزغات :  
 الإفساد ، نزع الشيطان بين القوم ، أي أفسد ذات بينهم . والشيطان : البعيد  
 من الخير ، من قولهم : دار شطون ، أي بعيدة ، ونوى شطون .

قال النابغة :

\* نأت بسماذ عنك نوى شطون<sup>(١)</sup> \*

وقال نابغة بنى شيبان :

فأضحت بعد ما وصلت بدار شطون لا تُعاد ولا تعود<sup>(٢)</sup>

نزوات : وثوب ، وقد نزا نزواً ونزواً ، إذا وثب ، ونزا على الشيء ،  
 ارتفع . إعنات : مشقة . الباعين : المتعدين ، وقد بنى عليه بغيّاً : تعدى عليه .  
 معاناة : معالجة ومقاساة . الطاعين : السرفين في الظلم والمعاصي ، والعادين :  
 لتجاوزين الحد في الظلم . غييل : جمع غيلة ، وهي الهلاك . والمقتال : المهلك .  
 أجرني : أمّني . سطوة : بطش وتهديد . الضائمين : المذلين .

\*\*\*

(١) اللسان - شطن ، وعجزه :

\* فبانة ، والنواد بها رهين \*

(٢) ديوانه ٣٤ .

(٤ - شرح منامات الحريري ج ٢)



اللَّهُمَّ حُطِنِي فِي تُرْبَتِي ، وَغُرْبَتِي وَغَيْبَتِي ، وَأُزْبَتِي وَنَجْمَتِي ،  
 وَرَجْمَتِي ، وَتَصَرُّفِي وَمُنْصَرَفِي ، وَتَقْلَبِي وَمُنْقَلَبِي . وَاحْفَظْنِي فِي  
 نَفْسِي ، وَنَفَائِسِي ، وَعِرْضِي وَعَرَضِي ، وَعَدَدِي وَعُدَدِي ،  
 وَمَسْكَنِي وَمَسْكَنِي ، وَحَوْلِي وَحَالِي ، وَمَالِي وَمَالِي ، وَلَا  
 تُلْحِقْ بِي تَغْيِيرًا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مُغْيِرًا ، وَاجْعَلْ لِي مِنْكَ  
 سُلْطَانًا نَصِيرًا . اللَّهُمَّ اخْرُسْنِي بَيْنِكَ وَعَوْنِكَ ، وَاخْصُصْنِي  
 بِأَمْنِكَ وَمَنْكَ ، وَتَوَلَّيْنِي بِاخْتِيَارِكَ وَخَيْرِكَ . وَلَا تَكِلْنِي إِلَى  
 كَلَاءَةٍ غَيْرِكَ ، وَهَبْ لِي عَافِيَةً غَيْرَ عَافِيَةٍ ، وَارْزُقْنِي رِفَافِيَةً غَيْرَ  
 وَاهِيَةٍ . وَارْزُقْنِي نَخَاشِي اللَّوَاهِ ، وَارْزُقْنِي بِغَوَاشِي الْآلَاءِ ، وَلَا  
 تُظْفِرْ بِي الْأَعْدَاءِ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

\* \* \*

قوله : « اللهم حطني في تربتي » ، أي احفظني في بلدتي . أوتيتي : رجعتي .  
 نجمتي : سفرى في طلب الرزق . نفائسى : كرائم مالى . عرضى : نفسى .  
 وعرضى : مالى . عددي : أهلى . عددي : آلتى ، وما أستعده . سكنى :  
 أهلى . حولى : قوتى . حالى : بالى . مالى : مرجعى . منك : إحسانك .  
 توليتى : كن لى وليًا . تكلىنى : تُخَوِّجُنِي . كلاءة : حفظ وحراسة . وعافية :  
 عيش سالم من الآفات .

قال أبو الدرداء رضى الله عنه : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء  
 وما أعد الله لصاحبه من الثواب إذا صبر، وذَكَرَ العافية وما أعد الله لصاحبها من  
 الثواب إذا شكر ، فقلت : يا رسول الله ، أعافى فأشكر ، أحب إلى من أن

أُتْبِلَى فَنَصْبِر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَحْبٌ مَعَكَ الْعَافِيَةُ . غير  
عافية ، أى غير دراسة . رفاهية : غنى متسع . واهية : ناقصة ضعيفة . مخاشى :  
ما يُخْشَى ويخاف . اللأواء : الشدة . الكفنى : استترنى . غواشى : أى ما يتغشى  
به ، أى يتغطى . الآلاء : النعم .

\* \* \*

ثُمَّ أَطْرَقَ لَا يُدِيرُ لِحْظًا ، وَلَا يُحِيرُ لَفْظًا ، حَتَّى قُلْنَا : قَدْ  
أَبْلَسْتُهُ خَشِيَةً ، أَوْ أَخْرَسْتُهُ غَشِيَةً . ثُمَّ أَقْنَعُ رَأْسَهُ ، وَصَمَدَ  
أَنْفَاسَهُ وَقَالَ :

أَقْسِمُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْأُبْرَاجِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْفِجَاجِ ، وَالْمَاءِ  
النَّجَّاجِ ، وَالسَّرَّاجِ الْوَهَّاجِ ، وَالْبَحْرِ الْفَجَّاجِ ، وَالْهَوَاءِ وَالْعَجَّاجِ ،  
لِئِنَّهَا لِيَمَنَ أَيْمَنَ الْعُودِ ، وَأَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ لَبِيسِ الْخُودِ ، مَنْ دَرَسَهَا  
عِنْدَ ابْتِسَامِ الْفَلَقِ ، لَمْ يُشْفِقْ مِنْ خَطْبِ إِلَى الشَّفَقِ ، وَمَنْ نَاجَى  
بِهَا طَلِيعةَ النَّسَقِ ، أَمِنَ لَيْلَتَهُ مِنَ السَّرَقِ .

قال : فتلقناها حتى اتقناها ، وتدارسناها ، لكيلا لانسأها .

\* \* \*

أَطْرَقَ ، أى نظر إلى الأرض ساكنًا ، وقد فسر قوله « أطرق » بقوله :  
« لا يدبر لحظًا ، ولا يُجِيرُ لَفْظًا » ، فيدير لحظًا يُجِيلُ نظرَه في الجهات الأربع ،  
ويجير لفظًا : يرد كلامًا ، والغشية : أن يُغشى على عقله . أقنع : رفع . صمد :  
جعلها تصمد ، أى ترتفع . الأبراج ، أى منازل القمر . الفجاج ، أى المسالك ،  
واحدها : فجع ، والفج الطريق الواسع في الجبل ، وقيل : هو المتسع بين مرتفعين ،

وقيل : هو الفتح بين الشينين : النَّجَّاج : السَّيَال الكثير الصب . السراج : الشمس . الوهاج : الوفاد المتلألئ ، وهو من وهج النار ، وهو اتقادها وحرها ، النَّجَّاج : المصوت لاضطراب أمواجه . الهواء : ما بين السماء والأرض . والعجاج : الغبار . والمعوذ : الرُّقَى . أغنى : أجزأ وأكفى ، والغنى الكفاية ، وأغنى فلان معنى فلان ، أى كفاه الحضور وقام مقامه . والحوذ ، بالحاء المهملة الدَّرْع ، وينقط الحاء بيض السلاح . ابتسام الفلق : ظهور النجر . يشفق : يخاف . خطب : أمر شديد . الشفق : الحمرة بعد غروب الشمس . ناجى : تكلم بها مرأ . طليعة الفسق ، أول طلوع الظلام . تلقاها ، أى فهمناها . أتقناها : أحكمتناها . تدارسناها ، الدَّرَس فى كلامهم الرِّياضة والتذليل ، وطريق مدرّوس : كثر مشى الناس فيه ، فذلّوه وأثروا فيه ، فعنى دَرَس القرآن أو الدعاء ، ذلّل لسانه وراضه .

### [ ضروب من الأدعية المأثورة ]

ونصل هذا الدعاء الذى ذكر أنه مستجاب وصدق إذا صحب الدعاء به الإخلاص ، والتضرّع بأدعية يُنتفع بها إن شاء الله تعالى .  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً قال : « اللهم أنت صاحبُ فى السفر ، والخليفة فى الحضر . اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر ، وكآبة النقاب ، ومن الحوز<sup>(١)</sup> بعد الكوز ، ومن سوء المنظر فى الأهل والمال والولد » .

وقالت أم سلمة رضى الله عنها : من خرج فى طاعة الله تعالى فقال : اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا رياء ، ولا سمعة ، ولكنى خرجت ابتغاء

(١) فى اللسان : الحوز : الرجوع ؛ يقال : حار بعدما كار ، والحوز : نقصان بعد الزيادة ، لأنه رجوع من حال إلى حال ؛ وفى الحديث : « نعوذ بالله من الحوز بعد الكوز » معناه من نقصان بعد الزيادة . وقيل : معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وأصله من نقض العمامة بعد لبها ، مأخوذ من كوز العمامة إذا انتقض لبها ، وبعضه بقرب من بعض .

مرضاتك ، واتقاء سَخَطِكَ ، فأسألك بمحبتك على جميع خَلْقِكَ أن ترزقني من  
الخير أكثر مما أرجو ، وتَصْرِفَ عَنِّي مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ ... استجيب  
له بإذن الله تعالى .

وقالوا : كلمات الفرج عند الكرب : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، وسبطان  
الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري : إذا كثرتُ هومك فأكثر من قول :  
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإذا درت عليك النعم فأكثر من  
الحمد لله العالمين ، وإذا أبطأ عليك الرزق فأكثر من الاستغفار .

ومن قال في ليل أو نهار : اللهم ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت  
رب العرش العظيم ماشاء الله كان ، وما لم يشألم يكن ، أعلم أن الله على كل شيء  
قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي  
ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. إن ربّي على صراط مستقيم... لم يضره شيء .  
ومن قال : بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو  
السميع العليم ، ليلاً أو نهاراً أمن مما يخاف .

ومن قال : سبحان الله وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات  
بعد صلاة الصبح أمن من كلّ غمّ وجذام وبرص وفالج .

ومن قال : باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ، ماشاء الله كل نعمة من الله ،  
ماشاء الله الخير كلّهُ بيد الله ، ماشاء الله لا يضرّ السوء إلا الله ، من قالها إذا  
أصبح أمن من الحرق والفرق .

ومن دخل على سلطان يخاف سطوته فقال : الله أعزّ وأكبر مما أخاف وأحذر ،  
اللهم رب السموات السبع وربّ العرش العظيم ، كن لي جاراً من عبدك فلان ،  
وجوره وأشياعه وأتباعه . تبارك اسمك وجلّ ثناؤك ، وعزّ جارك ، ولا إله  
غيرك ثلاث مرّات أمن من شره .

وقال المنصور للربيع: علىّ بجعفر، قتاني الله إن لم أقتله! فلما مثل بين يديه حرّك شفتيه، ثم قرب وسلم فقال: لاسلم الله عليك يا عدو الله، تعمل علىّ الفوائل في مُلكي قتلتني الله إن لم أقتلك! فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فففر، عليهم السلام، وأنت على أئرمهم، وأحقّ من تأسى بهم. فنكس المنصور رأسه ملياً ثم رفع رأسه، وقال: إلىّ أبا عبد الله، فأنت القريب القرابة، وأنت ذو الرحم الواشحة. والسلام الناحية، القليل الغائلة. ثم صالحه بيمينه، وعانقه بشماله، وأجلسه معه على فراشه، وأقبل يسأله ويحادثه، ثم قال: عجلوا لأبي عبد الله إذنه وجائزته وكسوته. فلما خرج أمسكه الربيع وقال له: رأيتك قد حرّكت شفتيك فابجلى الأمر، وأنا خادم السلطان، ولا غنى لي عنه، فعلمني إياه، فقال: نعم، قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بحفظك الذي لا يرام، لا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمتها علىّ قلّ عندها شكري فلم تحرمني، وكم من بليّة ابتليت بها قلّ عندها صبري فلم تحذلني. اللهم بك أدرا في نحره، وأعوذ بك من شره.

ومن قال إذا سمع المؤذن: رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، غفرت له ذنوبه.

ومن دعاء الأعراب: قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما من قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم.

وقال: غيّلان إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب.

وقال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً بفلاة من الأرض يقول: اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي لأؤم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي سعة رحمتك أمجز، إلهي كم تتحبّب إلىّ برحمتك وأنت غنيّ عني، وكم أتبعض إليك بذنوبي وأنت

فقد إليك : يا من إذا وعد وقي ، وإذا أوعد عفا ، أدخل عظيم جرئى فى عظيم عفوك ، يا أرحم الراحمين .

قال : وسمعتُ آخر يقول فى دعائه : اللهم إني أسألك عمل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنتعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت ، وخوفا بما أوعدت . اللهم أعذني من سطواتك ، وأجرني من نقماتك .

قال : ودعتُ أعرابية لابن لها خرج مسافرا ، فقالت : كان الله صاحبك فى السفر ، وخليفتك فى أهلك ، وأنجح طابعتك ، امش مصاحبا مكلوا ، لا أشمت الله بك عدوا ، ولا أرى فيك لحبك سوا .

وهذا الباب كثير ، وإنما ذكرنا من الأدعية ما جرب واستحسن ، والله يرفع بها آمين . قال أعرابي يصف دعوة :

وسارية لم تسر فى الليل تبتنى	محلأ ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ	لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط	بأوراقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لوفدها	إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا وفدت لم يرد الله وفدها	على أهلها ، والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنني	أرى بجميل الظن ما الله صانع

\* \* \*

ثم سرنا نُرْجِي الحُمُولَاتِ ، بالدُعوتِ ، لا بالحدأة ، وَنَحْمِي الحُمُولَاتِ ، بالكلماتِ لا بالكُمَاة ، وَصَاحِبُنَا يَتَمَهَدُنَا بِالْعَشِيِّ وَالْمَدَاةِ ، وَلَا يَسْتَنْجِزُ مِنَّا الْعِدَاتِ ، حتى إذا حِينَا أَطْلَالَ عَانة ، قَالَ

لَنَا : الإِعَانَةُ الإِعَانَةٌ ، فَأَحْضَرْنَاهُ الْمَعْلُومَ وَالْمَكْتُومَ ، وَأَرَيْنَاهُ الْمَعْمُومَ وَالْمَحْتُومَ ، وَقُلْنَا لَهُ : أَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، فَمَا تَجِدُ فِينَا غَيْرَ رَاضٍ ، فَمَا اسْتَخَفَّهُ سِوَى الْخَفِّ وَالْهَيْنِ ، وَلَا حَلِيَّ بِعَيْنِهِ غَيْرُ الْحَلِيِّ وَالْمَعِينِ . فَاحْتَمَلَ مِنْهُمَا وَقْرَهُ ، وَنَاءَ بِمَا يَسُدُّ قَفْرَهُ ، ثُمَّ خَالَسْنَا مُحَاسِنَةَ الطَّرَارِ ، وَانْصَلَتْ مِنَّا انْصِلَاتَ الْفُرَارِ ، فَأَوْحَشْنَا قِرَاقَهُ ، وَأَذْهَشْنَا امْتِرَاقَهُ ، وَلَمْ نَزَلْ نَنْشُدُهُ بِكُلِّ نَادٍ ، وَنَسْتَخْبِرُ عَنْهُ كُلِّ مُغْوٍ وَهَادٍ ، إِلَى أَنْ قِيلَ : إِنَّهُ مُذْ دَخَلَ عَانَةَ ، مَا زَايِلَ الْحَانَةَ .

\*\*\*

قوله : « نزجى » ، أى نسوق . الحمولات ، بفتح الحاء : الإبل ، وبضمها الأحمال . الحداة : خدمة الإبل ، بمنزلة المكارين للدواب . نحمى : نمنع . الكفاة : الشجمان . يتعهدنا : يتفقدنا . يستنجز : يطلب إحضار ما وعد به . عانة ، بعين غير منقوطة : قرية بالجزيرة كثيرة الأعناب .

وقال امرؤ القيس :

\* مِنْ سَخْرِ عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبَامِ\*<sup>(١)</sup>

وأطلها : آثارها ، يريد أنه لما أشرف على عانة ، قال لهم : أعطوني ما أستعين به . المعلوم : الظاهر . والمكْتُوم : المستور . والمعْمُوم : المجهول فى عِمْ ، قال يعقوب : العِمْ : نَمَطٌ يجعل فيه المرأة ذخيرتها ، أو يكون المعْمُوم

(١) ديوانه ١١٥ ، وصدره

\* أَنْفٌ كُلُّونَ دَمِ الْفَزَالِ مَعْتَقٌ \*

المشدود بالمعكام ، وقد تقدم آنفا . والمختوم : المطبوع عليه ، يريد : أربناه  
أنواع أموالنا . استخف : استحققر . الخف : الخفيف . الهين : الهين . حلي :  
حسن . الحلي : ما يتحلى به النساء . والمين : الذهب والفضة ، يريد أنه  
استحققر الخفيف القدر الهين القيمة ، مثل الإمتاع ، وشبهها فتركها ، وأعجبه  
الحلي والذهب فحملها ، أو يكون ميني « استخف » وجده خفيفاً ، والخف  
والهين ، يريد الخفيف عليه حمله ، الهين عليه ثقله ؛ يريد الذهب والجوهر ، ويكون  
قوله « حلي بعينه » وما بعده مفسراً ومؤكداً لاستخف وما بعده ، وهذا أشبه  
من الأول .

وقره : جملة . ناء : نهض بثقل . خالسننا : سارقنا وتسلى عننا . الطرار :  
الذي يشق الجيوب ويستخرج ما فيها ، والطار : القطع ، وقد طر طراً ، وطرة  
الشعر منه ، لأنها مقطوعة من جلته ، مفصولة عنه . والمنهن : الذي يخطف من  
يدك الشيء بسرعة . انصت : انسل ولم يشعر به . والانصتات : سقوط السيف  
من الغمد . والفرار : هو الزأوق ، ويسمى الزئبق ، سمى فراراً لأنه سريع السيلان  
لا يستقر في موضع ، والفرار من كثر فراره . أوحشنا : أذهب أنسنا .  
أدهشنا : حيرنا . امتراقه : خروجه مسرعاً ، ومرق السهم : خوج من القوس ،  
ومن الرمية . نشده : نطلبه . مغوٍ وهادٍ : مضل ومرشد . الحانة : بغير نقط :  
بيت الخمار أو حانوته ، والحان والحانة هي الدسكرة التي ذكر ، وقال  
ابن شهيد فيه :

يا رب حانٍ قد أدرت بديره      سخر الصببا من جت بصفو حوره<sup>(١)</sup>  
في فتية جعلوا الزقاق تكاءهم      متصارعين تحشما لكثيره  
يهدى إلينا الراح كل معصفر<sup>(٢)</sup>      كالخشف خقره التماح خفيره

(١) ديوانه ١١٥ .

(٢) الديوان : إلينا الراح كل معصفر



وَالِي عَلَى بَطْرَفِهِ وَبِكَفِّهِ فَأَمَالَ مِنْ رَأْسِي لَعَبٌ كَبِيرُهُ  
وَتَرْتَمِ النَّاقُوسُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ فَفَتَحْتُ مِنْ عَيْنِي لِرَجْعِ هَدِيرِهِ

زابل : فارق .

\* \* \*

فَأَغْرَانِي خُبْتُ هَذَا الْقَوْلَ بِسَبْكِهِ ، وَالْإِنْسِلَالِ فِيمَا لَسْتُ  
مِنْ سِلْكِهِ ، فَأَذَلَّتْ إِلَى الدَّسْكَرَةِ ، فِي هَيْئَةٍ مُنْكَرَةٍ ، فَإِذَا  
الشَّيْخُ فِي حُلَّةٍ مُمَصَّرَةٍ ، بَيْنَ دِنَانٍ وَمِعْصَرَةٍ ، وَحَوْلَهُ سُقَاةٌ تَهْرُ ،  
وَشُمُوعٌ تَزْهَرُ ، وَأَسْوَاعٌ وَعَبْهَرٌ ، وَمِزْمَارٌ وَمِزْهَرٌ ، وَهُوَ تَارَةٌ يَسْتَبْدِلُ  
الدَّنَانَ ، وَطَوْرًا يَسْتَنْطِقُ الْمِيدَانَ ، وَدَفْعَةً يَسْتَنْشِقُ الرِّيحَانَ ،  
وَأُخْرَى يُغَازِلُ الْغَزْلَانَ . فَلَمَّا عَثَرْتُ عَلَى لَبْسِهِ ، وَتَفَاوَتْ بَيْنَ  
يَوْمِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَوْلَى لَكَ يَا مَلْمُونَ ، أَنْ تُسَبِّتَ يَوْمَ  
جَيْرُونَ أَفْضَحِكَ مُسْتَفْرِبًا ثُمَّ أَنْشُدَ مُطْرِبًا :

\* \* \*

أَغْرَانِي : حَثْنِي . سَبْكِهِ : تَجْرِيهِ . الْإِنْسِلَالُ : الدَّخُولُ . سِلْكِهِ :  
شَكْلُهُ ، وَأَنْسَلَكْتُ حَبَّةَ اللُّؤْلُؤِ : جَرْتُ فِي السَّلَكِ ، وَهُوَ خَيْطُ النِّظَامِ . أَذَلَّتْ :  
مَشِيَتْ بِاللَّيْلِ . الدَّسْكَرَةُ ، بِنَاءٌ كَالْقَصْرِ حَوْلَهُ بِيوتٌ يَسْكُنُهَا الخَمَارُ وَالْحَشَمُ ،  
قَالَ الْجَعْدِيُّ :

وَدَسْكَرَةٍ صَوْتُ أَبْوَابِهَا كَصَوْتِ المَوَاتِحِ بِالحَوَابِ (١)

(١) ديوانه ١٤ . الدسكرة : من بيوت الأعاجم يكون فيها العنراب والملاهي .

سبقتُ صياح فرارٍ مجها ، صوت نواقيسٍ لم تضرَب  
 برنةٍ ذى عتبٍ شارفٍ وصهباءٍ كالمسك لم تقطب  
 المواتح : البكرات، والحوأب : اسم ماء الفراريج : الديوك عتب : أوتار .  
 وشارف : اسم العود ، شبهه بالشارف من الإبل ، لأنها أغن صوتاً وأطربه ،  
 قال متمم :

إذا شارف منهن قامت فرجعت حينئذ فأبكي شجوها البرك أجمعاً<sup>(١)</sup>  
 ممصرة : مصبوغة بالمصرة ، وهي العصفرة قبل أن يوضع فيه الخل ، فلونها  
 أصفر ، فإذا وُضع فيها الخل احمر ما يصنع به وسمي معصراً . والحلة : ثوبان :  
 إزار ورداء ، وسميت حلة ، لأنها تجل على لابسها كما يجل الرجل على الأرض .  
 دنان : جمع دن ، وهو نوع من الخوابي طويل الأسفل ضيقه ، ويسمى الراقود .  
 وهذه الحالة التي وجد عليها الحريري السروجي بعد ذلك الترهب الذي كان عليه  
 في أول المقامة لها نظائر لرجال مشاهير بالعلم والفصل .

\* \* \*

[ وصف بعض مجالس الشراب ]

حكى الثعالبي في بقيته<sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر القاضى التنوخى فقال : هو أبو القاسم  
 على بن محمد بن داود بن فهم ، من أعيان أهل العلم والأدب ، وأفراد ذوى الكرم  
 وحسن الشيم ، وكان كما قرأت في فصل للصاحب : إن أردت فإني سُبجة  
 ناسك ، أو أحببت فإني تفاحة فاتك ، أو اقترحت فإني مدرعة راهب ، أو اخترت  
 فإني نخبة شارب .

وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وكان المهلبى وغيره من  
 وزراء العراق يميلون إليه جداً ، ويعُدونه ريحانة الندماء ، وتاريخ الظرفاء ،  
 يعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه ، وتحسن

(١) المفضليات ٢٧٠ . البرك : الألف من الإبل .

(٢) البتية ٢ : ٣٠٩ .

أخباره ، وتسير أشعاره ؛ ناظمةً حاشيتي البرّ والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب .  
 وكان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبيّ ، ويمتدعون إليه في الأسبوع  
 ليلتين ، على أطراح الحشمة والتبسّط في القصف والخلاعة ، منهم ابن قريصة  
 وابن معروف والقاضي التنوخي <sup>(١)</sup> وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية  
 طويلُها ، وكذلك كان المهلبيّ ، وإذا تكمل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذّ  
 السماع ، وأخذ الطرب فيهم مأخذه . وهبوا ثوب الوقار للمقار ، وتقلّبوا في أعطاف  
 العيش ، بين الخِفة والطيش ، ووضع بين يدي كل واحد منهم طست من  
 ذهب من ألف مثال مملوء شرابا ، فيغمس فيه لحيته ، بل ينقعها حتى تشرب  
 أكثره ، ويرش بعضهم بعضاً ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم مصبغات الثياب ،  
 ومخائق البرم ، ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر ، وفيهم يقول السريّ :

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا في مخائق البرم <sup>(٢)</sup>

وإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في الترهّب والتوقّر والتحفّظ وأبهة القضاة  
 وحشمة المشايخ الكبراء .

وقال في ابن معروف <sup>(٣)</sup> : كان كما قرأته في فصل للصاحب : شجرة فضل  
 عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرها عقل ، وعروقها شرف ؛ تسقيها سماء  
 الحرّية ، وتفذوها أرض المروّة ، وفيه يقول الصابيّ :

(١) في الأصول : « الأندرجي » ، وما أدبته من اليتيمة .

(٢) البرم : نوع من الثياب ، ويعدّه في اليتيمة والديوان ٢ : ٣١٠ .

وصاحب يخلط الجون لنا بشيمة حلوة من الشيم  
 تخضب بالراح شيبه عبثاً أنامل مثل حمة العنم  
 حتى نخال العيون شيبته شيبة عثمان ضرت بدم

(٣) هو عبيد الله بن أحمد بن معروف ، ترجم له في اليتيمة ٣ : ٩٤ - ٩٦ .

أقسمت بالله ما يرجى لمعروفٍ في الحادثات سوى القاضى ابن معروفٍ  
ومن شعر ابن معروف :

لو كنت تدري ما الذى صنع الهوى والشوق في الجسم التحيل البالي<sup>(١)</sup>  
لهجرت هجرى واجتنبت تجنبي ووصلت من بعد النعيم وصالي

وقال القاضى التنوخى في غلام جسيم :

له في كل عضوٍ دِعْصُ رَمَلٍ ثقيل الجسم ذو روحٍ خفيفٍ<sup>(٢)</sup>  
أعشق لا عشقت أخاً نحولٍ كأتى لست ذا الخلق الطريف  
إذا لمسته كفى لم تلامس سوى جلدٍ على عظمٍ ضعيفٍ

شرب<sup>(٣)</sup> المأمون وعبد الله بن طاهر ، ويحيى بن أكرم القاضى ، فتمامل<sup>(٤)</sup>  
المأمون وابن طاهر على سُكْرِ يحيى فغمزوا به الساقى ، فأسكره ، وكان بين  
أيديهم رِزْمٌ من ورد وريحان ، فأمر المأمون ، فشق له قبرٌ في الرِّزْمِ وصُبُّ  
فيه . وعمل بيتى شعر ، ودعا قئنة فجلست عند رأسه ، وغنت بهما وهما :

ناديته وهو حى لا حرأك به مكفنٌ في ثيابٍ من رياحين  
فقلت : قم ، قال : رجلى لا تطاوعنى فقلت : خذ ، قال : كفى لاتواتينى

فانتبه يحيى لربة العود فقال :

يا سيدي وأمير الناس كلمهمُ قد تجار في حكمه من كان يسقيني  
إني غفلتُ عن الساقى فصيرني كما ترانى سليبَ العقل والدين  
لا أستطيع نهوضاً قد وهى قدمي ولا أجيّب لداغ حين يدعوني

(١) البيهية ٣ : ٩٦ .

(٢) البيهية ٢ : ٣١٨ .

(٣) الخبر في المقد ٦ : ٣٥٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ٩٣ .

(٤) كذا في الأصول ونهاية الأرب ، وو المقد : فتناظر .

(٥) في الأصول : ٥ ردم ، ، وصوابه من المقد . والرزم : جمع رزمة ، بالكسر ،

عن بها الطافات .

فانظر لنفسك في قاضٍ يكون لكم إني غدوتُ دفيناً في الترياحين

\* \* \*

والحالة التي وصف بها أبو زيد خلعتِ الأمينَ عن الملك، ونقلته إلى المأمون . قال الربيع : قعد الأمين يوماً للناس وعليه طيلسان أزرق ، وتحته لبُند أبيض ، فوقه على ثمانمائة قصّة ، فلقد أصاب فما أخطأ ، وأسرع فما أبطأ ، ثم قال : ياربيعُ أتراني لا أحسن التدبير والسياسة ، ولكنني وجدتُ شمْمَ الآس ، وشرب الكاس ، والاستلقاء من غير نعاس ، أشهى إليّ . وكذلك خلعت قبله الوليد بن يزيد ، وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والأمراء ، ممن آتت راحة النفس على تعب السياسة .

قوله : « تبهر » ، أي تسقيه بالبحار ، وهو شبه الإبريق ، وقيل : تبهر ، تغلب العقول بحسنها ، يقال : بهر بهراً ، إذا غلبه ، وبهر القمر السماء : ملأها بنوره . تزهو : تضيء . شموع : مصابيح الشمع . آس : ريحان . عبهر : نرجس ، وقيل : ياسمين ، قال عليّ رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شموا الترجس ولو في اليوم مرة واحدة ، ولو في الشهر مرة واحدة ، ولو في الدهر مرة واحدة ، فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص ، لا يقلمها إلا شم الترجس » .

وقال عليّ رضي الله عنه : حبأني النبي صلى الله عليه وسلم بالورد ، وقال : « أما إنه سيد ريحان الجنة بعد الآس » .

وقال أردشير بن بابك : الورد دُرٌّ أبيض ، وياقوت أحمر ، على كراسي زبرجد أخضر ، بوسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الخمر ، ونفحات العطر .

[ مما قيل من الشعر في وصف الأزهار ]

ونذكر هنا طرفاً من المنظوم في الأزهار يليق الموضع بحول الله تعالى ،  
قال محمد بن عبد الله بن طاهر ملماً بقول أردشير :

كأنهن يواقيتُ يُطيفُ بها  
فاشرب على منظرٍ مستظرفٍ حَسَنٍ  
زمرّد وسطه شذر من الذهب  
من خرةٍ مُزجتُ كالجرى اللهبِ

وللمعتمد بن عباد :

كأنما يسميُننا الغضُّ  
والطرُق الحمرة في جوانبه  
كواكبٌ في السماء تبييضُ<sup>(١)</sup>  
كنهدٍ عذراءٍ مَسَّه عَضُّ

ولأبي الفضل الميكالي :

وما ضمَّ شملَ الأنسِ يوماً كترجسٍ  
فأحداقه أحقادٌ تبرِّ وساقه  
يقوم بعذر اللهو عن خالِعِ العُذُرِ  
كقامة ساقٍ في غلالله الخضرِ

ولمضد الدولة :

يا طيبَ رائحةٍ من نفحة الخيرِ  
كأنما رشّ بالماورد واعتبقتُ  
إذا تمزق جِلْبَابُ الدِيَاخِيرِ  
به دواخن نَدَّ عند تبخيرِ  
حمرٌ وصفرٌ وبيضٌ من زنايرِ  
كان أوراقه في القدّ أجنحةٌ

ولمليّ بن بسام :

أما ترى الوردَ يدعو للورود على  
مداهنٍ من يواقيتِ مركبةٍ  
حمراء صافيةٍ في لونها صَهَبُ<sup>(٢)</sup>  
على الزبرجدِ في أفواها ذهبُ

وقال آخر :

نرجسة عينها محبرةٌ  
لم تكتحل قطّ آفة النمضِ

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٧ ، وانظر ديوان الماتى ٢ : ٢٣

(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٨٩ ، ونسبها إلى ابن طاهر ، وفيه : « إلى خر ممتقة »

باكرها الطلّ فهي باهتة تنظر فعل السماء في الأرض  
وللاسمد بن بليط :

بنفسجٍ باتت أ كف الصبا تنثره في زرقه لا تُحدّث  
كانما قُطّ بمنشوره رءوس أفلام من اللآلئ وردّ

وقال آخر في نور الباقلا :

نوّارة الباقلا إذ لاراق منظرها تحكي الفراشة تنقيطاً وتريشاً  
كانما هي ما حول الذبالة إذ مدّت جناحاً مكان الكفّ مرقوشاً  
والباب كثير .

\* \* \*

قوله : « مزهر » عود الفناء . يستبزل : يستسقى منها شراباً ، والمبزل الثقب  
في جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية ، ويبقى المكر في قعرها ، قال الأخطل :

لما أتوها بمصباح ومبزلٍ لهم سارت إليهم سثور الأبلج الضاري<sup>(١)</sup>  
تدمى إذا طعنوا فيها بجائفة وفي الزجاج عتيق غير مسطار<sup>(٢)</sup>

أراد أن الخمر خرجت خروج الدم من الأبلج ، وهو عرق .

وقال ابن حصين :

حجبت عنها الدن فاستعبرت جرياً كما قوس لإحليل

(١) ديوانه ١١٨ ، وشارت : سمت لإيهم والضاري : العرق الذي بدأ منه الدم ، والأبجل :  
عرق يكون في الدواب ، وفي الناس يسمى الأكل .

(٢) الجائفة : الطعنة التي تصل إلى الجوف . والعتيق الخالص . والسطار : الحديث .

كأنها في الكأس منصبةً خيط من الفضة مفتولٌ  
وقال آخر في قمع الشراب :

ولما رأى الناس فضل اللدائم وخافوا على جرمتها أن يسبلاً  
تواخوا إلى شربها بينهم سبيلَ حفاظ فكنت السبلاً

قوله: « يستنطق » ، يأمر بضرها ليُسمع صوتها يستنشق: بِشَمِّ . يغازل :  
يلعب . عَثَرَتْ : اطَّلمت ، وأعثرت في معناه . لَبَسَه : تخليطه . تفاوت :  
تباعد . أولى لك : كلمة تهديد معناها : قد وابتك الشرَّ فاحذر . وللمعون :  
الطُرد ، ولعنه الله : طرده ، والاستغراب : الضحك الكثير .  
ومما يوافق شعره وحاله قول البيهقي (١) :

غادني بالصَّبُوح قبل الصَّبَاحِ واجر في حلبة الصِّبَا والمِراجِ (٢)  
عاصنيتها كالجلندار إذا ما كَلَّتْ من حبايها بالأفاحِ  
في اختصاصِ التفاحِ بالطيبِ والخُمْرةِ لآ في كثافةِ التفاحِ  
خَدَمَتْها الأجسامِ بالطبعِ لَمَّا شاهدتْ قُرْبَها من الأرواحِ  
فتدارك بها حُشاشةِ نفسى أو فحرَّك بها سكونَ ارتياحى  
بين وردين من بَنَانٍ وخذِرٍ وشرابين من رُضابِ وراجِ  
ونشيدِ مُسْتَنْبِطٍ من حديثٍ وغناءِ يُغْفِي عن الإفتراحِ  
فألَدَ الحياةَ ما خالطَ للعَا قَلُّ فيها فسادَه بصلاحِ  
وله أيضا في مثله :

زَمَنُ الوردِ أشرفُ الأزمانِ وَأَوَانُ الربيعِ خيرُ أوانِ (٣)

(١) هو عبد الواحد بن نصر ، المعروف بأبي الفرج البيهقي ، وذكره وشعره في البيهقي

٢٠٠ : ٢٣٤ .

(٢) البيهقي ١ : ٢٢٦ .

(٣) البيهقي ١ : ٢٢٨ .

(٥) - شرح مقامات الحريري ج ٢ )



أشرفُ الزهرِ زارَ في أشرفِ الدهرِ فصلٍ فيه أشرفُ الإخوانِ  
وأدرها عذراءُ وانتهز الـ إمكان من قبل عائقِ الإمكانِ  
في كئوسِ كأنها زهرُ الخشخاشِ ضمت شقائق النعمانِ  
واختدعها<sup>(١)</sup> عند الزوالِ بألفاظِ المثنائِ ومطرباتِ الأغانيِ

وقال [ابن] <sup>(٢)</sup> وكيع في الخشخاش :

وخشخاشٍ كأننا منه نفرى قميص زبرجدٍ عن جسمٍ دُرِّ<sup>(١)</sup>  
كأفداحٍ من البلورِ صيتُ بأغشيةٍ من الديباجِ خضرِ  
وقال آخر في شقائق النعمان :

كأنَّ الشقائقِ إذ برزت غلالةٌ دُرٌّ وثوباً أحمرُّ  
قصاعٍ من الحجرِ مشبوبةٌ بأوساطها لُعمٌ من مجمرِ

\* \* \*

لَزِمْتُ السَّفَارَ وَجِبْتُ الْقَفَارَ  
وَعَفْتُ النَّفَارَ لِأَجْنِي الْفَرَحِ  
وَحُضْتُ السُّيُولَ وَرَضْتُ الْخِيُولَ  
لَجَرِّ ذِيُولِ الصَّبِّبِ وَأَلْمَرِّحِ  
وَمِطْتُ الْوَقَارَ وَبِئْتُ الْعَقَارَ  
لِحَسْوِ الْعُقَارِ وَرَشْفِ الْقَدَحِ

(١) كذا في ا ، ب ، وهو يوافق ما في البيهية ، وفي ط : « اجترعها » . وفي اللسان :  
يزاله الحجر وغيرها بزلا : ثقب لئانها ، واسم ذلك البزال .  
(٢) تكلمه من ا ونهاية الأرب ١١ : ٢٦ .

وَلَوْلَا الطَّمَّاحُ إِلَى شُرْبِ رَاحٍ  
لَمَا كَانَ بَاحٌ فِى الْمُلْحِ

\*\*\*

قوله: «السفار»: مصدر سافرت. جُئِبْتُ: قطعت. عَفْتُ: كرهت. خضت: جزت ومشيت فيها. رُمِضْتُ: ذَلَّتْ ور كبت. المَرَّحُ: النشاط والمعجب. مِطَّتْ: نَحَّيْتُ وأزلت، ويقال: ماط وأماط: باعد، وأيضا باعد غيره، والأصمعي يقول: ماط هو، وأماط غيره. التَمَّارُ: المال الثابت الذى لا يُنقل. حَسَوُ: شرب. التَّمَّارُ: الخمر. رَشَفَ: مَصَّ. الطَّمَّاحُ: ارتفاع النظر. باح: تكلم. والمُلْحُ: الكلام الخلو، يريد أنه فعل ما ذكر ليرتاح ويشرب الخمر.

\*\*\*

[ مما ورد فى الخمر وللشرب من للشعر والحكايات ]

ذكر أبو محمد الحريرى فى هذا الموضع من المقامات أوصاف الخمر وفضلها ومنافعها، وذهابها بالهموم والأسقام، وذكر أنها من أفضل الأشياء وأن بيع أشرف الأعلاق فيها سداد، وأن ترك الإصغاء فيها إلى التمدل رشاد؛ وأن كمال لذتها مع السقاة الحسان، والتطريب بأنواع الغناء والألحان، إلى غير ذلك مما أشار إليه، وتبته عليه، وأنا أسوق هنا فى وصف الخمر فصلا من كلام الحكماء والأدباء وسائر الأفاضل من الملوك ومهرة الشراء، جريا معه فى أغراضه، حسبما فملناه فى العاشرة فى أوصاف العلمان، وفى الحادية عشرة فى فضائل أهل الأديان، وأكثر اعتمادى فى هذا الفصل على اختيارات انتقيتها من كتاب قطب السرور<sup>(١)</sup>، وصحمت إليها ما يلائمها من غيره، وهو فصل بديع فى بابيه.

ذكر مؤلفه فى منافع الخمر وفضائلها قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ مِّمْرَاتِ الدَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى فى الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ

(١) قطب السرور لأحمد بن القاسم المعروف بالنديم، ذكره صاحب كشف الظنون، وقال: كان حيا فى السنة ٣٤٠.

من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين \*  
 وأنهار من عسل مُصَفَّى ﴿١﴾ فلم يذكر الماء واللبن إلا بالسلامة من التغير، والعسل  
 إلا بأنه مُصَفَّى، وجعل الخمر لذة للشاربين، فسكان هذا من التفضيل. وقال  
 تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ \* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ \*  
 لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَّفُونَ﴾ (٢)، فنفي عنها عيوب خمر الدنيا، وهي ذهاب  
 العقل بالسكر والصداع بالتأمر وذهاب المال، كما قال تعالى في فاكهتها: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ  
 وَلَا تَمْنُوعَةَ﴾ (٣)، فنفي عنها عيوب فاكهة الدنيا التي تأتي في وقت وتقطع في آخر  
 وتمنع إلا بالثمن، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (٤).

وأما ما ذكره تعالى من أن فيها منافع للناس، فإن منافعها لا تحصى كثرة،  
 فن منافعها ما يصيب الناس من أمانها، ولو لم تنصر الأعناب لبارت على أهلها.  
 ومنها صلاح الجسم لأنها تروق الدم وتفتق اللسان، وتزيد في الهمة، وتهون  
 الرزية، وتمتد في الأمانة، قال جالينوس: الخمر تدرّ الدم وتصفى اللون،  
 وتقوى المنة، وتبمّث النشاط. وقال أفلاطون: إنما كان النبيذ يثمر السرور،  
 ويولد الضحك، ويطيب للنفس لشبهه بالدم، وأنه يفعل في الجسد إذا اعتدل  
 فعله، لأنه أحرّ حارّ رطب والدم أحرّ حارّ رطب، فإذا صحّ جوهره، وثمت  
 أجزاءه ولدّ في النفس السرور والضحك والنشاط.

الحارث بن كلثة. طبيب العرب: الطلاء (٥) مضاحجة للبدن ومطيبة للنفس،  
 تفتح له للعروق أفواهاها، كما تفتح الذراخ أفواهاها للطعام.

(١) سورة محمد ١٥، ١٦.

(٢) سورة الواقعة ١٨، ١٩.

(٣) سورة الواقعة ٣٢، ٣٣.

(٤) سورة الإنسان ١٧.

(٥) الطلاء، من أسماء الخمر.

بعث قيصر إلى قس بن ساعدة ، فسأله : أى الأشربة أفضل ؟ فقال :  
 ما صفا في العين ، ولد على الذوق ، وطابت رائحته في الأنف من شراب الكرم ، قال :  
 ما تقول في مطبوخه ؟ قال : مرعى ولا كاسمدان ، قال : فما تقول في نبيذ  
 الزبيب ؟ قال : مَيِّتٌ أَحْيَى ، وفيه بعض المنفعة <sup>(٢)</sup> ، وما يكاد يخيامن مات مرة ، قال :  
 ما تقول في نبيذ العسل ؟ قال : نِعَمَ شراب للشيخ للإبردة <sup>(٣)</sup> والمعدة الفاسدة <sup>(٤)</sup> .  
 قال : فنبيذ التمر ؟ قال : أوساخ تدعو إليها ضرورات تدم عاقبتها في الأبدان ،  
 قال : فما الذى يذهب بالهموم عند الشراب ؟ قال : جوهر فيه لا تبهانه عقول  
 العباد ، قال : فما أصلح أوقات الشراب ؟ قال : أوّل النهار ، ألا ترى أن الدواء  
 يبيكر به ، والمسافر يُدبج لحاجته ! لأنّ العقول أول النهار أذكي والظن أصح ،  
 قال : فمن أى شيء يكون الخمار ؟ قال : من ضعف قوة الجوارح عن جذب  
 ما يصعد إلى الدماغ من البخار حتى يشبهه الهواء قليلا قليلا ، قال : فالصرف أفضل  
 أم المزوج ؟ قال : الصّرف سلطان جائر ، والمزوج سلطان عادل ، والعاذل  
 مصاح ، والجائر مفسد ، قال : أفنشر به أنت ؟ قال : نعم ، ولا أبلغ ما يغيّر عقلى ،  
 قال : ولم ؟ قال : أصونه لسؤال مثلك <sup>(١)</sup> .

أمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شريعة من الكوفة ، فلما قدم عليه ، قال :  
 يا بن شريعة ، والله ما أرسلت إليك ، أسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه ،  
 قال : يا أمير المؤمنين لو سألتني عنهما لوجدتني حارًا ، قال : أرسلت إليك  
 أسألك عن القهوة ، قال : دهقانها الحكيم وطبيبها الرقيق العليم ، فاسأل عما  
 بدا لك ، قال : فأخبرني عن الماء ، قال : لا بد لي منه والكلب والحمار شركائي فيه ،  
 قال : فماتقول في اللبن ، قال : مارأيت به إلا استحبيبت من أمي لطول ما أرضعتني إياه ،

(١) ط : « أحيا » ، وصوابه من « والمقد » .

(٢) المقدم : « اللتمة » .

(٣) الإبردة ، بكسر الهمزة والراء : علة من غلبة البرد والرطوبة .

(٤) إلى هنا ما أورده في المقدم ٦ : ٣٣٦ .

قال: فالسويق؟ قال: شراب الحرور والمجلان والسافر، قال: فنبيد التمر؟ قال: سريع الامتلاء، سريع الانفشاش، قال: فما تقول في نبيد الزبيب؟ قال: حومة حاموا بها على الشراب، فلم يصيبوه، قال: فما تقول في الخمر؟ قال: تلك صديقة رُوحى، جلت عن المثل، تلك التي تزيد النفس إشراقاً، قال: فأنت يا ابن شراعة صديقي، اجلس، أي الطعام أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم، غير أن أنفمه أدمه وأشهاه أمرؤه، قال: فأى المجالس أحب إليك أن يكون شربنا فيه؟ قال: ما لم تخف الشمس أن تحرقه، أو السماء أن تفرقه، ولا تشرب إلا على وجه السماء، فوالله يا أمير المؤمنين ما نادى الناس أصبح من وجهها، قال: فابز بنا. فلم يُرَ بعد ذلك يشرب إلا تحت السماء<sup>(١)</sup>.

كان أبو السائب فقيهاً ورعاً ظريفاً فسأله بعض المجان، قال: يا أبا السائب ما تقول في نبيد الجوز<sup>(٢)</sup>؟ قال: اشربه حتى تجر. قال: فنبيد الدن، قال: اشربه حتى تجن، قال: فالداذي<sup>(٣)</sup>؟ قال: أحلى من العسل الماذي، قال: فنبيد الزبيب والعسل؟ فرفع يديه، وقال: العظمة لله، قال: فما تقول في الخمر؟ قال: لا أشربها قال: ولم؟ قال: أخاف ألا أودى شكرها فتززع منى.

قيل لأبي نواس: صف لنا الأشرية، قال: أما الماء فيعظم خطرُه بقدر تعززه، وأما السويق فبلغة للمجلان، وروى الظمان، وأما العسل فنبيل المنظر، سخيف الخبر، وأما الخمر فهي شقيقة الرُوح وصديقة النفس ما ارتضعت ممزوجة، وصرفها غير مأمون على نَهك البدن وعزس السقم المؤدى إلى اللطب.

قالت الهند: إن للشراب مبارك، يزيد في النِّم بحرارته، ويكسر الباقم

(١) الخبر في نهاية الأرب ٤ : ٩٣ ، والعقد ٦ : ٣٣٦ .

(٢) الجوز ٣٠ جم جرة ، وهي الإناء من الخرف .

(٣) الداذي : شراب معروف بكثرة إسكاره ، وفي العقد : أحسن من النساء .

بجدته ، وبشهى الطعام بلطافته ، وأما السكر فحترّم في كلِّ ملة ، وسبيل من سبيل الضلالة ، واسم من أسماء الوسوسة ، قبيح الأفعال ، مذموم الأحوال .

وقالت الحكماء : من فضائل الشراب ؛ أن كل مشروب وإن راق وصفه وحلا وعذب ، فأوله طيب ، ثم يعود في نقصان حتى يعود مكروها إلا الشراب ، فإنك كلما ازددت منه ازددت فيه رغبة وحبا ، وكان أوسطه إليك أعجب ، وآخره أطرب ، حتى إذا سرا في العروق برقته ، وعمّ البدن بلطافته ، ودبّ في الأعضاء والمفاصل ديب اللؤلؤ في نقا الرمل ، وخادع عقلك فامتلات بهجة وسرورا ، وعدت ملكا محبوبا ، تضرب في الخلافة بأوفر سهم ، ثم أسلك إلى النوم الذى هو حياتك وصحتك ، فاجتذبت النفس ما شاكلها من لطيفه ، وأخذ كل عضو قوته من كثيفه ، ثم لا يزال الهواء يخرج بالأنفاس متصفاً ببخاره ، ويجذب ما تحت الدماغ من أسقاره ، فحينئذ تهب بجذال ونشاط ، كأنما أنشطت من رباط ، وذلك تقدير العزيز العليم .

وقالوا : الشراب مصباح الظلام ، وشفاء الأسقام ، وإذا تمتنى في عظامك جملك خالى الذرع ؛ فسيح الباع ، رضى البال ، قليل الاشتغال ، رحب الهمة ، واسع النعمة ، فهو أخو الصبوة ، وقسيم الشهوة ، ولو لم يكن من مننه عليك إلا أنه إذا مزجته بروحك ، وخلطته بدمك ، بنض إليك الحرص ونصبه ، والشرة وتعبه ، وحجب إليك المروءة والسماح ، وحسن الكفاية والمزاح .

وقالوا : الشراب يلذ لك في السفر كليلته في الحضر ، وبطيب استعماله في الصحو ، كما يطيب في المطر ؛ فهو أصل الآذات الذى عليه تنفرع ، وعنصرها الذى عنه تنبع ، وبه تتصل ، وإليه ترجع ، يردّ الشيوخ في طبع الشبان ، ويدعو الشبان إلى نشاط النشوان ، وقال أبو نواس في ذلك :

ما العيش إلا في جنون الصبّا فإن تولى فجنون المدام  
 راح إذا ما الشيخ وآلى بها خمسا تردى برداء السلام  
 فله در من استنبطه ودل عليه ، وسقيا لمن بحث عنه واهتدى إليه ، ماذا  
 أثار وأى شيء أظهر !

قالوا: ومدار قوامه على اثني عشر شيئاً: المواد الثلاث ، والقوى الأربع ،  
 والحواس الخمس . فالثلاث : هي نسيم الهواء ، وعذوبة الماء ، ومألوف الأهواء .  
 والأربع هي القوة الجاذبة التي تطيب الطعام وتبرده ، والماسكة التي تمسكه وتجذبه ،  
 والهاضمة التي تهديه وتنضجه ، والدافعة التي تدفع إلى كل عضو سهمه من  
 جوهره ، فتخرج عنه ثقله ، والحواس الخمس : البصر والسمع والشم والذوق  
 واللمس . وكل شيء من ذلك تدخله الزيادة والنقص فلا يستغنى عما يقويه في  
 حال ضعفه ، وبصفتيه من أوساخه ، فلم يجد أهل التجارب الماضون لذلك سبباً أمين  
 أثرا ، ولا أخف محملا ، ولا أطف ديبا في الأبدان من ماء الكرم ، فاستعملوه  
 لذلك استعمالا دائما ، فهو ريحانة النفس وترياقها ، فيشرب في كل حين ، وينفع كل حاسة ،  
 وتمجيد عنه النوازل والأحزان ، وحقّ للنفس<sup>(١)</sup> أن تألفه ، وللطبيعة أن تلائمه ؛ إذ كان  
 حبيبها وشقيق روحها ، فتراه يحدث في النفس الشجاعة والتكريم والأناة والتحمل .  
 ومن علامات الكريم إذا أخذ فيه الشراب الاستحياء والتودد واللهمو  
 والسرور والبذل لما في يديه ، وكسوة جليسه من أنفاس ثيابه ، وإذا بلغ المدى  
 في شربها توسد يساره ، ونام حميدا كريما .

ومن علامات اللئيم الماراة والسقمة ، وقتل الشارب والقلقت إلى العريضة  
 وشدة الغضب ، وربما بكى وعوى عواء الذئب ، ونبح نباح الكلاب ، فشرّب  
 الماء محرّم مع مثل هذا ، فكيف الشراب !

(١) ط : « النفس » ، وما أثبتته من ا ، ب .

ومن فضائله أنه يلائم الطبائع المعتادة في كل زمان من فصول السنة ، يشربه المحرور ممزوجاً فيبرده ، والمقرور صِرْفاً فيسخِّنه ، واليابس معتدلاً فيرطِّبه ، والمرطوب صِرْفاً فيجفِّفه ، فمن شربه في الصيف فيستحب له أن يشربه على خضرة الجنان وتحت للظلال ، وعلى المياه وعلى الورد والياسمين والبنفسج والآس والسفرجل والتفاح . وإن كان في الشتاء ، فبخلاف ذلك ، من الجلوس في الأكنان واستعمال الكوانين ، ولبس الأحمر والممشق<sup>(١)</sup> وشم فتيت المسك والعنبر وللرزنجوش<sup>(٢)</sup> .

وأما الربيع والخريف فبين ذلك ، لأخذها من رطوبة الشتاء وحرارة الصيف . وإذا اجتمع مع الشراب نغم وألحان على صنوف الملاهي والعيدان ، تعاوننا على إذهاب الغموم والأحزان ، فله دَرٌّ من استنبطه ، ماذا أثار وعلى أي شيء دلّ ! ولولم يكن الشراب أغلب شيء على العقول ، وأقربه للقلوب ، وألطف محلا في النفوس ، وأشدّ ملائمة للأجسام ، وأجمه لمحمود الخلال حتى لا تقاربه لذة ، ولا تساويه شهوة ، ولا تعدله خصلة من خصال المسرات - لما سجلت الأشراف وذوى العقول أنفسهم على معاقرة ، لا يردّهم ما ينالهم فيه عن معاودته ، من شنيع الأثوال ولوم العذال ، فيما أنفقوا عليه من الذخائر ، وبدلوا من الأموال .

كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله في الشراب ، فباع ضيعته ، فلما تمّ البيع قال له المشتري : تأتيني بالمشي ، أدفع لك المال ، وأشاهدك ، فقال : لو كنت ممن يرى بالمشي ما بعت للضيعة .

قال محمود بن الحسن الكاتب : بعت داري فأصابني مثل هذا ، فقلت :

(١) الممشق : المصبوغ ، وفي في « الممثل » ، وما أمثله من ا ، ب .  
(٢) الرزنجوش - ويقال المردقوش ، معرب « مردكوش » : الزعفران .



أَتَلَفْتُ مَالِي فِي الْمُقَارِ وَخَرَجْتُ فِيهَا عَنْ وَقَارِي (١)  
 حَتَّى إِذَا كَتَبَ الْكِتَابُ بَ وَجَاءَنِي رَسُولُ التِّجَارِ  
 قَالُوا : الشَّهَادَةُ بِالْعَشِيِّ وَنَحْنُ فِي صَدْرِ النَّهَارِ  
 فَأَجِبْتَهُمْ رُدُّوا الْكِتَابَ بَ وَلَا تُعَنَّوْا بِانْتِظَارِي  
 لَوْ كُنْتُ أَظْهَرُ بِالْعَشِيِّ لَمَا سَمَحْتُ بِبَيْعِ دَارِي

وقال ابن الرومي :

أَنَا أَهْوَى ذَاتَ الْخَمَارِ عَلَى الْجَيْبِ وَذَاتِ الْوِشَاحِ وَالذَّمُّ لِمُجَبِّينِ (٢)  
 وَأَرَى فِي النَّبِيذِ رَأْيَ صَوَابٍ لِشِيُوخِ الْعِرَاقِ وَالْكُوفِيِّينِ  
 وَإِذَا مَا الْغِنَاءِ خَاضَ ذُو الْأَنْبَابِ فِيهِ اعْتَصَمَتْ بِالْحَرَمِيِّينِ  
 كُلَّمَا جَاءَتِ الرَّخَائِصُ فِيهِ (٣) كَانَ أَخَذِي لَهُ بِكَلِمَاتِ الْيَسِيدِينَ

وقال العَطْوِيُّ :

جَارَةٌ لِي أَجَارَهَا الْحَسَنُ مِنْ كُلِّ غَائِبٍ (٤)  
 فَهِيَ بَيْنَ النِّسَاءِ كَالْبَدْرِ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ  
 سَأَلْتَنِي هَلِ النَّبِيذُ حَلَالٌ لِشَارِبٍ ؟  
 قَالَتْ : إِي وَالَّذِي يُرِي نِيكَ دُونَ الرِّقَابِ  
 فَاشْرَبِيهِ فَإِنَّ فِيهِ لِإِحْدَى الْعَجَائِبِ  
 يُنْبِتُ الْوَرْدَ فِي رِيَا ضِ خُدُودِ الْكَوَاعِبِ

(١) ط : « عقاري » ، تصحيف .

(٢) الدمليج : المعصد .

(٣) الرخصة : ترخيص الله للعبد فيما يخففه عليه .

(٤) ١ : « غائب » .

ولبعض المتقدمين :

من ذا يحترم ماء المزن خالطه  
إني لأكره تشديد الرواة لنا  
في جوف خابية ماء العناقيد<sup>(١)</sup>  
فيها ويمعيني قول ابن مسعود

وقال ابن الرومي :

أحلّ العراق النبيذ وشربه  
وقال الحجازي الشرايان واحد  
وقال: الحرامان المدامة والشكر<sup>(٢)</sup>  
فحلت لنا بين اختلافهما الخمر<sup>(٣)</sup>  
سأخذ من قوليهما طرفيهما  
وأشربها حلاً وللاوزر اوزر<sup>(٤)</sup>

خرج<sup>(٥)</sup> الحسن بن هانيء ، ومعه مُطيط صاحبه ، حتى أتيا دَيْرَ  
خَمَارٍ ، فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نتماجن على هذا<sup>(٦)</sup> الخَمَارِ ، فدخلا فسَلَمَا ،  
فردّ عليهما السلام ، فقال له الحسن : أعندك خمر عتيقة [ياخار]<sup>(٧)</sup>

قال : عندي منها أجناس ، فأى جنس تريد؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :

حُجِيتْ خَيْفَةً وَصِيَدَتْ نَجَاءتْ  
وَكَانَ الْأَكْفُ تَصْبِغُ مِنْ ضَوْءِ  
كَجِلَاءِ الْعُرُوسِ بَعْدَ الصَّيَانِ  
سَنَاهَا بِالرُّؤْسِ وَالرُّعْفَانِ

فلا له الخمار قدحاً من خمرة صفراء ، كأنها ذهب محلول ، فشربه

(١) العقد ٦ : ٣٦٨ ، الأثرية ٤٩ .

(٢) مختارات البارودي ٣ : ٦٨ العراق : يعني به الإمام أبانخيفة . والنبيذ : ما يذ من  
عصير ونحوه .

(٣) الحجازي : المنسوب إلى الحجاز ، ويعني بذلك الإمامين مالكا والشافعي .

(٤) مختارات البارودي . « وأشربها لأقرن »

(٥) الخمر والشعر في نهاية الأرب ٤ : ٩٨ ، ٩٩ .

(٦) نهاية الأرب : نمزح بهذا الخمار .

(٧) من نهاية الأرب .

الحسن ، وقال : أحسن من هذا أريد ، فقال له الخمار : من أي جنس تريد؟ قال :  
التي يقول فيها الشاعر :

رَقَّقْتَهَا أَيْدِي الْهَوَاجِرِ حَتَّى صَبَّرْتُ جَسَمَهَا كَجِسْمِ الْهَوَاءِ  
فِيهِ كَالنُّورِ فِي الْإِنَاءِ وَكَالنَّارِ إِذَا مَا تَصِيرُ فِي الْأَحْشَاءِ

فلاؤه الخمار قدحاً من خمرة كأنها العقيق ، فشربه ، وقال : أرفع من  
هذا أريد ، قال : أي نوع تريد؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :

فَإِذَا حَسَا مِنْهَا الْوَضِيعُ ثَلَاثَةً سَمِحَ الْوَضِيعُ كَفَعَلِ ذِي الْقَدْرِ  
فِي لَوْنِ مَاءِ الْمِزْنِ (١) إِلَّا أَنَّهُا بَيْنَ الضُّلُوعِ كَوَاقِدِ الْجَمْرِ

فلاؤه الخمار قدحاً من خمرة بيضاء ، كأنها ماء المزن ، فشرب الحسن ،  
وقال للخمار : أتعرفني؟ قال : إى والله ياسيدي ، أنا أعرفُ للناس بك ،  
قال : فمن أنا؟ قال : أنت الذى يَشْكُرُ (٢) من غير وزن ، فضحك  
الحسن ، وقال لطيط : ادفع إليه ما معك من التَّفَقَّة ، فأعطاه مائة درهم  
وانصرف (١) .

وقال أبو عثمان الناجم : دخأت على أبي العباس عبد الله بن المعتز ، وهو  
مخمور طيب النفس ، فقال : يا أبا عثمان ، أنشدني ما شئت حتى أعارضك  
بأحسن منه أو مثله ، فأنشدته لأبي نواس :

وَدَاشِقُ دَنْفٍ نَبَّهْتَهُ سَحَرًا قِصَامَ لِلرَّاحِ وَالْتِدْكَارِ مِصْطَبِحًا  
وَدَارَتْ الْخَمْرُ مِنْ صَهْبَاءِ صَافِيَةٍ فَمَا احْتَسَى قَدْحًا حَتَّى بَكَى فَرَحًا

(١) نهاية الأرب : « ماء الفيث » .

(٢) كذا في نهاية الأرب . وفي الأصول : « سكر » .

ففكر ساعة ، وضحك وقال :

وقهوة كشمعاع الشمس صافية مثل الشراب ترى في قعره شبحا  
إذا تماطيتها لم تذر من لطف راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا

وقالوا: مادرا ربيع الخبز والشمور بأدفا من الشراب للمصرور والمقرور<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: كنت في منزله لي، وإذا شيخ منبج على علوة معه صبي في يوم بارد، فكنت أسمع الصبي يقول للشيخ: أعطني فروتي، فيناوله شيئا لا أتبينه، فبعثت غلامي ينظر إليه. فإذا عدد الشيخ قنينة، كلما طلب الصبي فروته سقاه قدحا.

قال: وأنشدوا للهدد الأصباني:

إننا أناسٌ حسنٌ ديننا لبيعنا الآجل بالعاجل  
إذا شربنا خمسة خمسة فقد لبسنا الفرو من داخل

وقال عمرو الضباني:

أعددت لليل إذا الليل بردٌ خائبتين من طلاء قد ركد  
\* فتطرد الهم وتكفيك العرد \*

وقال آخر:

إذا هبت الأرواح فاجعل دثارها إذا التحف الأنوام دكن المطارف  
ثلاثة أرتال شرابا معتقا تكن آمنة منها ولست بخائف  
فإن دثار المرء من تحت جلده أخف وأذنى من دثار الملاحف

(١) المصرور، من الصر، بالكسر، وهو شدة البرد والمقرور، من القر، بالضم وهو البرد أيضا.

قال الجاحظ : جَاسَتْ عَجُوزٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى فَتِيانٍ يَشْرَبُونَ ، فَسَقَوْهَا قَدْحًا فَطَابَتْ نَفْسُهَا ، ثُمَّ سَقَوْهَا آخَرَ فَاحْمَرَّتْ وَجْهَهَا وَضَحَكَتْ ، ثُمَّ سَقَوْهَا قَدْحًا ثَالِثًا ، فَقَالَتْ : خَبِرُونِي عَنْ نِسَائِكُمْ بِالْعِرَاقِ ، أَيُشْرَبُ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : زَيْنَ وَرَبَّ السَّكَمَةِ ، وَاللَّهِ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ مَنْ أَبُوهُ <sup>(١)</sup> .

وَسُقِيَ أَعْرَابِيٌّ قَدْحًا مِنْ شَرَابٍ ، وَلَمْ يَكُن يَعْرِفُهُ ، فَخَرَكْتَهُ الْأَرِيحِيَّةُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هِيَ ! غَيْرَ أَنِّي أَرَاكُمْ مُتَحَبِّبِينَ إِلَيَّ وَأَرَانِي أَسْرَبُ بِكُمْ ، وَمَا وَهَبَ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا .

وَمَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِقَوْمٍ يَشْرَبُونَ ، فَدَعَاوَهُ ، فَانزَلَ وَعَقَلَ بَعِيرَهُ . وَشَرِبَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابَ ، قَامَ إِلَى بَعِيرِهِ فَفَتَحَهُ ، وَشَوَى لَهْمٌ مِنْ كَبِدِهِ وَسَنَامِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَقَعْنِي :

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَالٌ      وَاسْقِيَانِي ، عَلَّلًا بَعْدَ نَهْلِ  
بَادِرًا بِاللَّهِ يَوْمًا صَالِحًا      وَدَعَانِي مِنْ عِتَابٍ وَعَدَلٌ  
وَأَنْشَلَا مَا اغْتَبَّرَ مِنْ قَدَرَيْنِ كَمَا      وَاسْقِيَانِي أَبْعَدَ اللَّهُ الْجَلَّ

وَقَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ : سَقَيْتُ أَعْرَابِيًّا نَبِيذًا ، فَقَالَ : مَا عَلَى هَذَا شَيْءٌ ، يُطَيِّبُ النَّفْسَ ، وَيَطْرُدُ الْحُزْنَ ، وَيَمْنِي الْخَيْرَ ، وَيَعْدِلُ الْغَنَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا خَذَهَا كَمَا الزَّعْفَرَانِ      رَمَتْهَا بِالتَّحْوِيلِ يَدُ الزَّمَانِ  
تَصَوَّغَ إِذَا عَلَاهَا الْمَاءُ طَوْنًا      مِنْ الْيَاقُوتِ فُضِّلَ بِالْجَمَانِ  
وَتَتْرَكَ مَنْ أَرَادَ الشَّرْبَ مِنْهَا      صَحِيحَ الْجِسْمِ مُذْكَرِ السَّانِ  
كَأَنَّ الشَّمْسَ طَالِمَةً بِكَفِّي      إِذَا أَخَذْتَ زَجَاجَتَهَا بِنَانِ

وَمَرَّ الْفَرَزْدَقُ بِالْحَكَمِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ؛ فَاسْتَسْقَاهُ مَاءً ، فَقَالَ : هَلَّا

(١) حلبة السكيت ١٢

لبناً يا أبا فراس؟ قال : ذلك إليك ، فملاً له عَساً من خمر ، وأمر فحلبت عليه  
لقحة ، فصعدت الرغوة فوق الشراب ، وأناه به ، فشربه حتى صكَّ بالعَسَ جبهته ،  
وانتمخت أوداجُه ، واحمّرت عيناه ، فمسح سبأله ، وقال : جزاك الله خيراً ،  
فإنك ما زلت تُخفي الصدقات ونعمها هي !

ودخل الأخطل على عبد الملك ، فقال : ليت شعري ، ما يعجبك من إدمان  
الخمر ، وأولها التلطيب والسكرانة ، وآخرها السكر والسفاهة ! فقال : ولكن  
بينهما حالة ما يسرني بها ملكك ، هذا نظم الشاعر ، فقال :

إن يكن أول المدام كريهاً      ويكن آخر المدام صداعاً  
فلها بين ذا وذاك هناةٌ      وضمنها بالسرور أن يُستطاعاً

وأُشد ابن قتيبة لأبي محجن النقي :

إذ متُّ فادفني إلى جنب كريمةٍ      تروى عظامي بمد موتي عروقها<sup>(١)</sup>  
ولا تدفني بالفلاة فإنني      أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

قال : فأخبرني من رأى قبره بإرمينية ، أنه بين شجرات الكروم ، والفتيان  
يشربون عندها ، وينشدون شعره ، وإذا جاء قدحه صبَّوه على قبره .

ومنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل الشام شرب الخمر . فقال شاعرهم :

ألم تر أن الدهرَ يمسُّ بالفتى      ولا يملك الإنسانُ صرْفَ المقاديرِ  
صبرتُ ولم أجزعُ وقدمات إخوتي      وما أنا عن شُرْبِ الدِّمَامِ بصائرِ  
رماها أمير المؤمنين بحمفها      فخلأها بيبكون حول المعاصرِ

ورأى ذؤيب التلسي خمرأهراقها السلطان ، فقال :

يا تقوى لِمَا أتى السلطانُ      لا يكن للذي أهانوا هوانُ

(١) نهاية الأرب ٤ : ٩١ ، واللمعة ٦ : ٣٥٠ والأشربة ٢٤ .

سكبوا في التراب من حَبِّ الكُرْوِ      مِ عَقَاراً كَأَنَّهَا الزَّعْفَرَانُ  
 سَكَبَتْ فِي مَكَانٍ نَحْسٍ لَقَدْ صَا      دَفَّ سَعْدَ السَّعُودِ ذَاكَ الْمَكَانُ  
 كَيْفَ صَبْرِي عَنْ بَعْضِ نَفْسِي وَهَلْ يَصُ      بَرَّ عَنْ بَعْضِ نَفْسِهِ لِإِنْسَانٍ !

ولما أنهمك الوائد بن يزيد في الشراب والتبذل مع القدماء ، اجتمع وجوه  
 بني أمية ، فلاموه وعنفوه ، فقال لهم اسمعوا ما عندي :

أَشْهَدُ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ وَالْعَابِدِينَ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
 أَنِّي أَشْتَهِي السَّمْعَ وَشَرِبَ الرِّيحَ وَاللَّعْضَ فِي الْخُدُودِ الْمَلَّاحِ  
 وَالنَّدِيمِ الْكَرِيمِ وَالْخَادِمِ الْفَنَاءِ      رِيَهُ يَسْعَى عَلَى الْأَقْدَاحِ  
 وَظَرِيفِ الْحَدِيثِ وَالكَاعِبِ لِلطَّفْلِ تَرْجِيحَ فِي مُسَوِّطِ الْوِشَاحِ

انصبروا ، فيئسوا منه ، فدبروا في إفساد دولته .

ودخل على المأمون عمرو بن مسعدة ورجل من الفقهاء ، وبين يديه جام  
 زجاج فيه رطل شراب ، فمدَّ به يده المأمون إلى الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ،  
 والله ما شربتها ناشئاً فلا تسقنيها شيخاً ، فردَّ يده إلى عمرو ، فأخذها منه ، وقال :  
 الله الله يا أمير المؤمنين ، إني آليتُ في الكعبة ألا أشربها ؛ ففكر طويلاً  
 والكأس في يد عمرو ، ثم قال :

رُدًّا عَلَى الْكَأْسِ إِنْسِكَا      لَا تَعْلَمَانِ الْكَأْسُ مَا تُجَدِّي  
 لَوْ دُوقْتَا مَا ذُقْتُ مَا مَزَجْتُ      إِلَّا بِدَمْعِكَ مِنَ الْوَجْدِ  
 مَا مِثْلُ نَمَاهَا إِذَا اشْتَمَلَتْ      إِلَّا اشْتَمَالَ فَمَهْ عَلَى خَدِّ  
 خَوْفِي مَا نِيَّ اللَّهُ رَبُّ كُنَّا      وَكَخَيْفَتِيهِ رَجَاؤُهُ عِنْدِي  
 إِنْ كُنَّا لَا نَشْرَبَانِ مَعِي      خَوْفِ الْعِقَابِ شَرِبْتُمَا وَحْدِي

وقال الحسن بن هاني وهو الإمام في الخمريات :

ساع بكأسٍ إلى ناسٍ على طربِ      كلاهما عجبٌ في منظرٍ عجبٍ (١)  
 قامت ترينى ، وأمر الليل مجتمعٌ      صبحاً تولد بين الماء والعنب  
 كأن صفري وكبرى من فواتعها      حصباء درٍ على أرض من الذهب  
 وله أيضاً :

قال ابْنِي المصباح قلت له اتشد      حسبي وحسبك ضوءها مصباحاً (٢)  
 فسكبتُ منها في الزُّجاجة شربةً      كانت له حتى الصُّباح صباحاً  
 مِنْ قهوة جاءتك قبل مزاجها      عطلاً فأبسها المزاج وشاحاً  
 شقَّ البُرال (٣) فؤادها فكأنها      أهدتُ إليك بريهما تفاحاً  
 فأنتك في صور تداولها البلي      فأزالهن وأثبت الأرواحاً

وقال ابن المعتز :

ونارٍ قد حنناها سراعاً بسُخْرَةٍ      متى ما يُرَقُّ ماء عليها توقدٍ (٤)  
 يجول حباب الماء في جنباتها      كما جال دمعٌ فوق خذ مورِدٍ

وقال ابن وكيع :

وصفراء من ماء الكروم كأنها      فراق عدوٍّ أو لقاء صديقٍ (٥)  
 كأن الحباب المستدير بطوقها      كواعب درٍ في سماء عقيق  
 الطوق : حاشية الكأس .

وقال ابن المعتز في الحباب وتشبيهه له أحسن من تشبيهه بجميعة :

- (١) ديوانه ٢٤٣  
 (٢) ديوانه ٢٥١ .  
 (٣) بزل الخمر : ثقب إناءها ، وذلك الموضع اسمه البزال .  
 (٤) ديوانه ٢ : ٣٧ .  
 (٥) يتيمة النهر ١ : ٣٣٩ .

(٦) - شرح مقامات الحريري ج ٢



أَسْقَى مَخْدَرَةَ الدِّنَا نِ سُلَافِ خَمْرِ قَرَقَمًا<sup>(١)</sup>  
رَاحًا تَحَالِ حَبَابِهَا دُرًّا يَجُولُ مَجْوُفًا

وقال الحسن :

بنت عشر لم تعاین غیر نارِ الشمسِ نارًا<sup>(٢)</sup>  
ثم سَحَّتْ فَأَدَارَتْ فَوْقَهَا طَوْقًا فَدَارَا  
كَاقْتِرَانِ الدَّرِّ بِالدَّرِّ صَفَارًا وَكِبَارًا  
فَإِذَا مَا اعْتَرَضْتَهُ السَّمِينُ مِنْ حَيْثُ اسْتَدَارَا  
خَلَّتَهُ فِي جَنَبَاتِ الْكَأْسِ وَأَوَاتٍ صَفَارَا

وله أيضًا في مثل ذلك :

وَالكَأْسُ أَهْوَاهَا وَإِنْ رُزِئَتْ بَلِغَ الْمَعَاشِ وَقَلَّتْ فَضْلِي<sup>(٣)</sup>  
ذَخِرَتْ لِأَدَمَ قَبْلَ خَلْقَتِهِ فَتَقَدَّمَتْهُ بِمَخْطُوعَةِ الْقَبْلِ  
فَأَتَاكَ شَيْءٌ لَا تَلَامِسُهُ إِلَّا بِحَسَنِ غَرِيْزَةِ الْعَقْلِ  
فَإِذَا عَلَاهَا الْمَاءُ أَلْبَسَهَا نَمَشًا كَمَثَلِ خَلَاخِلِ الْحَجْلِ  
حَتَّى إِذَا سَكَنْتَ جَوَانِحُهَا كَتَبْتَ بِمَثَلِ أَكَارِعِ النَّمْلِ  
خَطِينَ<sup>(٤)</sup> مِنْ شَتَى وَمَجْتَمَعِ عَقْلٍ مِنَ الْإِعْجَامِ وَالشَّكْلِ

وقال ابن المعتز :

كَانَ فِي كَأْسِهَا وَالْمَلَاءُ يَقْرَعُهَا أَكَارِعُ النَّمْلِ أَوْ نَقَشِ الْخَوَاتِيمِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٢ : ٨٧

(٢) هو الحسن بن هاني ، ديوانه ٢٧٤

(٣) ديوانه ٣١١ ، وفيه : « والراح أهواها » .

(٤) الديوان : « سطرين » .

(٥) ديوانه ٢ : ٦٢

وقال حبيب :

صُعِبَتْ وِراضُ الْمَرْجُ سَيِّئُ خَلْقِهَا	فَدَمَلَتْ مِنْ حُسْنِ خَلْقِ الْمَاءِ (١)
خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بِالْمَقُولِ حَبَابِهَا	كَتْلَاعِبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ
وَضَعِيفَةٌ ، فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً	قَتَاتٌ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ
وَكَانَ بَهْجَتِهَا وَبَهْجَةَ كَأْسِهَا	نَارٌ وَنُورٌ قُبْدًا بُوَعَاءِ
أَوْ دُرَّةٌ بِيضَاءِ بَكَرٍ أَطْبَقَتْ	حَبْلًا عَلَى يَاقوتَةٍ حَمْرَاءِ

وقال ابن لبّال :

وَمَدَامَةٌ لِبَسْتِ غِلَالَةِ نَرْجِسٍ	وَتَنَفَسَتْ فِي الْكَأْسِ أَى تَنَفَسِ
بَاكِرْتِهَا وَالْوَرْدُ يَوْقِظُهُ النَّدَى	وَتَبَلَّ خَدَيْهِ عَيُونُ النَّرْجِسِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ غَمَامَةٍ	لِبَسْتِ مِنَ الْكَافُورِ أَحْسَنَ مَلْبَسِ
نَبْهَتِهَا بِيَدِ الْمَزَاجِ فَأَصْبَحَتْ	تَرْنُوًا إِلَى بَاعِينَ لَمْ تَنْفَسِ
وَتَوَرَّدَتْ حَتَّى تَوْقَدَ كَأْسِهَا	حَسْبَتْهَا فِي السِّكِّفِ جَدْوَةٌ مَقْبَسِ

\* \* \*

وَلَا كَانَ سَاقِ	دَهَائِي الرَّفَاقِ
لَأَرْضِ الْعِرَاقِ	بِحَمْلِ السَّبِيحِ

فَلَا تَغْضَبِينَ	وَلَا تَعْجَبِينَ
وَلَا تَعْتَبِينَ	فَعُذْرِي وَصَحِّحِ

(١) ديوانه ٣٨

وَلَا تَعْجَبِينَ لِشَيْخِ ابْنِ  
مَعْنَى أَغْنَى وَدَنْ طَفَعِ

فَإِنَّ الْمَدَامَ تُقَوِّي الْعِظَامَ  
وَتَشْفِي السَّقَامَ وَتَنْفِي التَّرْحَ

\*\*\*

قوله : « دَهَانِي » ، أي تشيطني ومكري . الشَيْخُ : جمع سبحة ، وقد تقدّمت .  
تَصْنَعِينَ : ترفعن صوتك بالصياح . تَعْتَبِينَ : تلومن . وضح : ظهر . ابْنُ : أقام .  
مَعْنَى : منزل : أغنَى : كثير الأشجار ، فإذا هبَّتِ الرِّيحُ فيها سمعت لها غُنَّةً ،  
ومن هذا قولهم : رَوْضَةٌ غَنَاءٌ ، لأن صوت الرِّيحِ يخرج من بين أشجارها ،  
وعشبا أغنَى .

وَمَنْ فَسَّرَهَا بِأَنَّ الذَّبَابَ يَعْنِي فِيهَا ، فَهُوَ صَحِيحٌ فِي الْمَعْنَى فَاسِدٌ فِي التَّصْرِيفِ ،  
لأنَّ يَعْنِي أَصْلُهُ ( غ ن ي ) وَأَغْنَى أَصْلُهُ ( غ ن ن ) فَيُرِيدُ بِالْمَعْنَى الْأَعْنَ مَنْزِلًا  
كثِيرَ الْأَشْجَارِ .

وفسره بعضهم كثير الأهل ، والأوّل أولى .

طَفَعِ : امتلا خجراً ، المدَامُ : الخمر . وقوله : « تُقَوِّي الْعِظَامَ ، وَتَشْفِي السَّقَامَ »  
قد تجاوز هنا قوم حتى جعلوها من العاهات ؛ قال الأقيشير — ويروى  
لأبي نواس :

وَمَقَمَدِ قَوْمٍ قَدِ مَشَى مِنْ شَرِّ ابْنِ وَأَعْمَى سَقِينَاهُ ثَلَاثًا فَأَبْصَرَ

كُنَيْتِ كَأَنَّ العنبرَ الوردَ رِيحِهَا إِذَا شَمِمَهَا الحَانِي من الدَّنِ كَبْرًا  
توقَّدُ في أَيْدِي السَّقَاةِ كَثُوسِهَا إِذَا مَا رَأَاهَا صَائِمُ القَوْمِ أَفْطَرَا  
وقال آخر :

أبا هاشمٍ هل لي سبيل إلى التي أرى شربةً منها قواماً لأحدبٍ  
قوله : « وتنفي الترح » ، أي تزيل الحزن .

وقال الحسن بن هانيء في أن الخمر تزيل الحزن والهَمّ :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراءٌ وداوني بالتي منها بي الداءُ (١)  
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجرٌ مسته سراءُ  
قامت بإريقها والليل معتكرٌ فظل من وجهها في البيت لألاءُ  
وأرسلت من فم الإبريق صافيةً كأنما أخذها بالعقل إغفاءُ  
رقت عن الماء حتى لا يلامها لطافة وجفاً عن شكلها الماءُ  
فلو مزجت بها نوراً للازجها حتى تولد أنوارٌ وأضواءُ  
وقال البحرى :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخلدودِ وزهرة الصهباءِ (٢)  
من قهوة تنسى الموم وتبعث الشوق الذي قد ظل في الأحشاءِ  
يخفي الزجاجة لونها ، فكأنها في الكأس قائمة بغير إناءِ

وقال حبيب :

بمدامة يقدو النقي لكتوسها حولاً على الدراء والضراء (٣)

(١) ديوانه ٢٣٤ ، وروايته « وداوني بالتي كانت هي الداء »

(٢) ديوانه ٦

(٣) ديوانه ٣ .

راح إذا ما الراح كُنَّ مطيها كانت مطايا الشوق في الأحشاء  
عنيّة ذهبيّة سبكت لها ذهب العاني صاعّة الثمراء

\* \* \*

وَأَصْنَى السُّرُوزِ إِذَا مَا الْوَقُورِ

أَمَاطَ سُبُورِ أَوْ حَيَا وَأَطْرَحَ

وَأَخْلَى الْغَرَامِ إِذَا الْمُسْتَهَامِ

أَزَالَ اِكْتِيَامِ أَوْ هَوَى وَافْتَضَحَ

فَمَجَّ بِهَوَاكَ وَبَرَّدَ حَشَاكَ

فَزَنَدُ أَسَاكَ بِهٍ قَدْ قَدَحَ

وَدَاوِ الْكَلُومِ وَسَلِّ الْهَمُومِ

بِيْنَتِ الْكُرُومِ مِ الْتِي تُفْتَرِحُ

وَخُصَّ الْعَبُوقِ بِسَاقِ يَسُوقِ

بَلَاءِ الْمَشُوقِ إِذَا مَا طَمَحَ

° ° °

قوله : «أماط» ، أى أزال . أطرح : رمى بها ، وهذا منتزع من قول عليّ

ابن الخليل :

لَا تَكْمَلُ اللَّذَاتُ إِلَّا بِالْقِيَانِ وَبِالْمَجْهُورِ

هَتَكَ السُّتُورَ فَإِنَّمَا أَلْـلَّذَاتُ فِي هَتَكَ السُّتُورِ

فدع العواذل لا يقفن عليك من دون الصدور  
واعلم بأنك راجع حقا إلى رب غفور

قوله: «الغرام»، شدة الحب . المستهام: الذي حله الحب على أن يهيم، أي يذهب ولا يدري أين يتوجه . افتضح: اشتهر، يقول: أصنى ما يكون السرور إذا أزال الوقور ثياب الحياء وأطرحها عنه، وأحلى ما يكون العشق إذا أزال العاشق الكتم وشهر نفسه به، ومن هذا قول أبي نواس:

ألا فاستقنى سخراً وقل لي هي الخمر  
ولا تسقني ريرا إذا أمكن الجهر<sup>(١)</sup>  
ويج باسم من تهوى ودعني من الكنى  
فلا خير في اللذات من دونها ستر

قوله: «زند أساك»، الزند: الذي يقدح به النار، والأسى: الحزن، يقول: برّد قلبك بذكر من تهوى، فإنك إن رمت كتفه قدح به زند حزنك .

ونحو هذا ما يحكى أن أبا الفضل الدارمي، كان له هوى بفلان، فإذا رآه أنكر حبه، والفلان يعرف شدة وجده به، فدمعت يوماً عينا أبي الفضل، فقال له الفلان: دمعك شاهد عليك، فقال:

وهبني قد أنكرت حبك جملة  
فمن أين لي في الحب جرح شهادة  
وآليت أني لا أروم محطها  
سقامي أملاها، ودعني خطها!

(١) ديوانه ٢٧٣، بعده هناك:

فميش الفتى في سكرة بعد سكرة  
وما الذن إلا أن تراني صاحبيا  
فإن طال هذا عنده قصر الدهر  
وما الغم إلا أن يتقمعني الشكر

وقال المتنبي :

وكاتم الحب يوم البين منهنك وصاحب الدمع لا تخفى سر امره<sup>(١)</sup>

والشعر في هذا كثير ، وكله تبع لقول العباس بن الأحنف :

لا جزي الله دمع عيني خيرا وجزي الله كل خير لساني<sup>(٢)</sup>  
نم دمي فليس يكتم شيئا ورأيت اللسان ذا كتمان  
كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

أما الاشتهار الذي ذكر فيما يأخذ به أهل التماجن ومن لا بال له ، وأما أهل المروءات والتصاؤون ، ففايتهم إعلام المحبوب بشأنهم ، وكتمه عن الناس ، وذلك شديد ، ولا يقوم به إلا من كمل عقله ، وأما أن يكتمه عن محبوبه كحكاية أبي الفضل ، فأشد أحوال هذا الباب أن يكون لمحبوبك أصحاب يألفهم ويألفونه ، فيعلمون بشأنك كما فعل أبو الأصبع بن رشيد المرتكبي ، أنشدنيه الفقيه أبو الحسن بن زرقون :

أبا قاسم إن قسمت الهوى كئوسا حظي أوفى الكئوس  
وبين جفونك يا قاتلي وبين فؤادي حرب البسوس  
وبين الجوانح نار الجوى كما قد سمعت بنار الجوس  
أسارقك اللحظ في خفية كما يتناول قيد الشمس  
فهما بدوت ومهما رنوت فشفل العيون وشفل النفوس  
مررت به بين أصحابه فخذوا للحاظ وهزوا الرؤوس  
وهذا على خطرة فذة فكيف لو أني نويت الجلوس

(١) ديوانه ٢ : ١١٥

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، نهاية الأرب ٨ : ١٢٤ .

قوله: « داو الكلوم » ، يريد جراح قلبه من أنسكاد الدهر ، ولذلك اتبعه .  
 بـ « سلّ الموموم » ، لأنه في معنى « داو الكلوم » ، وهذا كقول العطويّ :  
 أعجبتن أن أناخ بي الدهر فخاصمته إلى الأقداح  
 لا تذاذ الموموم أنشـبن أظفا رّا حداداً بشرب ماء قراح  
 أحمد الله صارت الكأس تأسو دون إخواني الثقات جراحی  
 قوله : « تقترح » تتمي . الغبوق : شرب العشيّ ، والسوق : الحبّ .  
 وطمح : ارتفع بالنظر ، يقول : خُصّ شرابك بالعشيّ مع غلام حسنٍ يسقيك  
 وبيت معك على شرابك ، ويكون لإفراط حسنه ، يجلب عذاب العاشق  
 إذا نظره .

ومما قيل في السقاة ووصف الخمر من الشعر المستحسن قول أبي نواس :  
 إذا عَبَّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوه كبا<sup>(١)</sup>  
 ترى حينما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغرباً  
 يدور<sup>(٢)</sup> بها ساق أغن ترى له على مُستدار الخلة صدفا معقرباً  
 سقاني ومثاني بعينه منية فكانت إلى نفسي ألدّ وأعجباً  
 وقال ابن الرومي فأحسن :

ومفهف كملت محاسنه حتى تجاوز مُنيّة النفسِ  
 تصبو الكئوس إلى مراشفه وتضج في يده من الحبسِ  
 أبصرته والكأس بين قم منه وبين أناملِ خمسِ  
 فسكاتها وكان شاربها قر يقبل عارض الشمسِ

(١) ديوانه ٢٤٤

(٢) الديوان : « يدور » .



وقال ابن المعتز :

ظبيٌ مُخْلِى من الأحزان أودعني      ما يعلم الله من حُزْنٍ ومن قَلْقٍ (١)  
كأنه وكأن الكأس في يده      هلال أوّل شهر غاب في شَفَقٍ (٢)

وقال أيضاً :

ياحسن أحمد غادياً أمسٍ      بدمامة صفراء كالورس (٣)  
وكان كفيه تقسم في      أقداحنا قطعاً من الشمسِ  
ولأبي طالب الرّقاء في معنى آخر :  
لها في كفت شاربها شعاعٌ      تطرف منه مبيضُ البنانِ

ولأبي بكر الخالدي :

تومي إليك بأطراف مطرقة      فيها خضابان للعنّاب والعب  
فهذا في انتقال مُخْرِتها لأصابع حابسها ، فإذا انتقلت لحدّ شاربها حدث للشعراء  
في ذلك معنى بديع من صنع البديع يستعمل المطابقة ، وهو الوصف بالغروب والطلوع ،  
وقال في ذلك الطليق المرواني :

أصبحتُ شمساً وفوه مغرباً      ويدُ الساقِ المحيّي مَشْرِقاً  
فإذا ما غربت في فمه      أطلعت في الخلد منه شَفَقاً

ولأبي مطروح بن فتوح :

صهبا تغرب إن بدت من كفه      في فيه ثم تلوح في وجناتِهِ  
وقال غيره :

بدرٌ بدا يشرب شمساً بدت      وجدّها في الحسن من جدّه  
تغرب في فيه ولكنها      من بعد ذا تطلع في خدّه

(١) ديوانه ٢ : ٥٥ .

(٢) ديوانه ١٨

(٣) الديوان : « هلال تمّ ونجم غاب في شفقٍ » .

وقال آخر :

أقول والكأس على فيه وقد صوبها كالكوكب الصائب  
ذا كوكب يغرب في كوكبٍ وَيَبِي عَلَى الطَّالِعِ وَالغَارِبِ !

\* \* \*

رجعنا إلى ذكر السقاة - قال ابن المعتز :

تدور علينا الكأس من كف شادنٍ له لحظ عين يشتكى السقم مدنف<sup>(١)</sup>  
كأن سلاف النحر من ماء خَدِهِ وَعَنقُودِهَا من شعره الجمد يُقَطِّفُ  
وقال أبو بكر الخالدي :

أهلاً بشمس مُدامٍ من يَدَي قَرِيهِ تَكامل الحسَنُ فيه فهو تَيَّاهُ  
كأن حمرتها إذ قام يمزجها من خَدِهِ اعْتَصِرَتْ أو من ثناياهُ  
في وجه فلٍ ورِيحانٍ تراح له مِنَّا قلوبٌ وأبصارٌ وتَهَوَّاهُ  
الزَّرجس الفض عيناها وطُرَّتُهُ بنفسج ، وجنى الورد خَدَاهُ

ولابن الزقاق :

وساقٍ يحثُّ الكأسَ وهي كأنما تَلالُأ منها مثل ضوءِ جبينِهِ<sup>(٢)</sup>  
سقاني بها صرف الحُمَيَّا عَشِيَّةً وَثِي بأخرى من رحيق جفونِهِ  
هضم الحشا ذو وَجَنَةٍ عِنْدَ مِيَّةٍ تريك قطاف الورد في غير حِينِهِ  
فأشرب من يميناه ما فوق خَدِهِ وَأَلْتَمُ من خَدَيْهِ ما في يَمِينِهِ

وقال الخوارزمي :

وصفراء كالدينار بنتُ ثلاثةِ شَمالٍ وأنهارٍ ودهرٍ محزَمٍ<sup>(٣)</sup>  
مَسْرَةٌ محزونٍ وعذرٍ مُعَرِّبٍ وَكَنْزٍ مجوسِيٍّ وفتنة مسلمٍ  
بدور بها ظبي تدور عُيوننا على عينه من شرط يحيى بن أكرم

(٢) ديوانه ٢٧٤

(١) ديوانه ٢ : ٥٤

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ١٣

وقال ابن المعتز :

وندامى فى شباب وشيب  
بين أقداحهم حديث نصير  
وغناء يستعمل الرّاح بالرا  
وكان السقاة بين الندامى  
أتلقت ما لهم نفوس كرام<sup>(١)</sup>  
وهو سحر وما سواه كلام  
ح كما تاح فى الفصون الحمام  
ألفت بين الشطور قيام

\* \* \*

وشاد يشيد بصوت تميد  
جبال الحديد له إن صدح  
وعاص النصيح الذى لا يبيع  
وصال المليح إذا ما سمع  
وجل فى المحال ولو بالمحال  
ودغ ما يقال وخذ ما صلح  
وفارق أباك إذا ما أباك  
ومد الشباك وصد من سنع  
وصاف الخليل وناف البخيل  
وأول الجميل ووال المنح  
ولذ بالمتاب أمام الذهاب  
فمن دق باب كريم فتح

\* \* \*

(١) ديوانه ١٨

قوله : « شادٍ » ، أى مغنٍ . يُشيد : يتقن غناءه ويحكه . تميل : تصح : رفع صوته بالغناء ، والصداح : الصوت الشديد ، يقول : وأحضر الخمر مغنياً تميل الجبال لحسن غنائه ، وهذا مثل ما حكى النجم ، قال : حكى لى أن إبراهيم بن المهدي ، كان أحسن الناس غناءً ببرهان ، وذلك أنى كنتُ أراه فى مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يُغنى الغنون ، فإذا ابتداء هو لم يبق أحدٌ من الغلمان والمتصرفين وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار ، إلا وقد ترك ما فى يده ، وصار بأقرب موضع يمكنه أن يسمعه ، فلا يزال مصفياً إليه ، لاهياً عما كان فيه ما دام يغنى ، فإذا أمسك وغنى غيره رجعوا إلى أشغالهم ، ولا برهان أقوى من شهادة الفطرة ، واتفاق الطبائع على الميل إليه مع اختلافها فى غير ذلك .

وقال منصور بن المهدي : غنى أخى إبراهيم الأمين يوماً فقال :

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ وأخرى تداويتُ منهاها  
لكى يعلم الناس أنى امرؤ أتيت الفتوة من بابها

وكان الأمين مشرفاً على حمر الوحش ، وهو خمور ، وكان من عادته ألا يشرب وهو خمور ، فاستوى جالساً وطرب ، وقال : أحسنت والله يا عم ، وأحييت لى طرباً . وغنى بومئذ على أشد طبقة ينتهى إليها ، وما سمعت مثله قط ، وقد رأيت منه شيئاً عجيباً ، لو حدثتُ به ما صدقته ، كان إذا ابتداء يغنى أصغت الوحش ، ومدت أعناقها ، ولم تزل تدنو منه ، حتى تضع رءوسها على الذئبان الذى كنا عليه ، فإذا سكت نفر عناً ، حتى تنتهى إلى أبعاد غاية يمكنها التباعد فيها عناً ، وجعل الأمين يعجب من ذلك .

قوله : « يبيح » ، أى يجعله له مباحاً ، يقول : اعص من بعد ذلك فى وصل المليلح متى سمح بوصله .

وكان أعرابي قد طال تمسّقه لجارية ، فقيل له : ما كنت صانعا لو ظفرتَ بها ، ولا يرا كما غير الله ؟ قال : إذاً والله لا أجعله أهون الناظرين ، لكنني كنتُ أفعل بها ما كنتُ أفعله بمحضرة أهلها ، شكوى وحديث عذب ، وإعراض عما يسخط الربّ ، ويقطع الحبّ ، فإن تَلَقَّ وصال المليح ، إذا سمح بمثل هذا فعصيان النصيح واجب ، وأكثر الناس يرى أن الظفر بالمعشوق يُسقط نصف عشقه ، وأن النكاح يُفسد الحب :

وقال المأمون :

ما الحبُّ إلا قُبلةٌ      وغز كفتَ وَعَضُدُ  
وكتبَ فيها رُقى      أنفذُ من نَفَثِ العَفَدِ  
مَنْ لم يكن ذا حِبِّه      فإنما يبغى الولدُ  
ما الحبُّ إلا هكذا      إن نُكِّحَ الحبَّ فَسَدَ

وقال حبيب في تقيضه وأجاد :

وقالت نكاحُ الحبِّ يفسد شكله      وكم نكحوا حبًّا وليس بفسادٍ (١)  
وقالت أمّ الضحّاك المحاربيّة :

شفاء الحب تقبيل وَصَمُّ      وجرّ بالبطون على البَطونِ  
ورَهْرَهْرُ تَهْمَلُ العِينانِ منه      وأخذُ بالمناكبِ والقُرُونِ

وقال الحسن :

إذا هجع النيام نخلٌ عنى      وعمن كان يصلح للدبيب (٢)

(١) ديوانه ١٣

(٢) ديوانه ٢٥

فإني عالم فطنٌ أريبٌ ولم يخبرك مثلُ فتى أريبٍ  
ألدُّ الفعل تأخذه سروراً بمنح الحب أو منع الرقيبِ  
وبعد هذا ما يقبح ذكره ، وشعر الحسن يكثر في هذا الباب .

وقال ابن الأبار رحمه الله - وذكر أنه فعل بمحبوبه وبرقيقه :

فوثبنا على الغزال وثوباً وديننا على الرقيب ديناً  
فهل أبصرت أو سمعت بصبٍ ناك محبوبه وناك الرقيباً

وقال ابن بسام : لقد ظرّف ابن الأبار ، واستهتر ما شاء وقدر ، وأظنه  
لو قدر على أبلّيس الذي تولى له هذا المذهب لدبّ عليه .

وابن المعتز كنى ولم يصرح ، فقال :

فكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر<sup>(١)</sup>  
أين ما قدّمناه لابن الأبار من قول الآخر في ضده :

ومنعمٍ غض النطافِ عذبٌ لأمّاه للارتشافِ  
فوردتُ جنّة نجره ونعيمها دون اقتطافِ  
وعصيتُ سلطان الهوى وأطعت سلطان العتافِ

وقال ابن الأبار أيضاً :

ومعرض بالنصن في حركاته تسألُ القلوب العفوَ من لحظاته  
عاطيته كأساً كأنّ سُلّافها من ريقه الممسول أو وجنّاته  
وأطعتُ سلطان العفاف تكرماً والمرء مجبول على عاداته

(١) ديوانه ١ : ٣٨

وقال الشريف الرضى فأحسن :  
 بِنَا ضَجِيعِينَ فِي ثَوْبِي هَوَى وَتَقَى  
 وَبَات بَارِقِ ذَاكَ الشَّرِّ يُوَضِّحُ لِي  
 وَبَاتت الرِّيحُ كَالغَيْرِي تَجَاذِبُنَا  
 وَأَكْتَم الصَّبْحُ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ  
 قَعَمْتُ أَنْفَضُ بُرْدًا مَا تَعَلَّقَهُ

وقال ابن فرج الجياني :

وَطَائِعَةُ الْوَصَالِ صَدَدَتْ عَنْهَا  
 بَدَتْ بِاللَّيْلِ سَافِرَةٌ فَبَاتت  
 وَمَا مِنْ لِحْظَةٍ إِلَّا فِيهَا  
 فَلَسَكْتُ الْهُوَى جَمَحَاتِ شَوْقِي  
 كَذَاكَ الرَّوْضُ مَا فِيهِ لِمَثَلِي  
 وَلَسْتُ مِنَ السَّوَامِ مَهْمَلَاتِ

وقال أيضا فأحسن :

بِأَيِّهَا أَنَا فِي الشُّكْرِ بَادِي  
 سَرَى لِي فَارْزَدَهِي أَمْلِي، وَلَكِنْ  
 وَمَا فِي النَّوْمِ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ

يَلْفَنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرَقِي إِلَى قَدَمِ-<sup>(١)</sup>  
 مَوَاقِعِ اللَّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلْمِ-  
 عَلَى السَّكْتِيبِ فَضُولِ الرِّيطِ وَاللَّعْمِ  
 حَتَّى تَسْكُمَ عَصْفُورٌ عَلَى عِلْمِ-  
 غَيْرِ العَفَافِ وَرَاءِ العَيْبِ وَالكَرَمِ-

وَمَا الشَّيْطَانُ فِيهَا بِالْمُطَاعِ  
 دَيَّاجِي اللَّيْلِ سَافِرَةَ القِنَاعِ  
 إِلَى قَتَنِ القُلُوبِ لَنَا دَوَاعِ  
 لِأَجْرِي فِي العَفَافِ عَلَى طِبَاعِي  
 سَوَى نَظَرٍ وَشَمِّ مِنْ مَتَاعِ  
 فَاتَّخِذِ الرِّيَاضَ مِنَ المَرَاعِي

أَشْكُرُ الطَّيْفَ أَمْ شُكْرُ الرُّقَادِ  
 عَفَفْتُ فَلَمْ أَنْلِ مِنْهُ مَرَادِي  
 جَرَيْتُ مِنَ العَفَافِ عَلَى اعْتِيَادِي  
 كَأَنَّهُ لَمَّا عَفَّ فِي اليَقِظَةِ جَرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي النَّوْمِ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :  
 يَرُدُّ يَدَا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ  
 وَيَعْمَى الْهُوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ

وهذا أملك شهوة من التهامي ، وإن كان قد أحسن حيث يقول :

أتى لأصرفُ طرفي عن محاسنِها      تكرما وأكف الكف عن لعم<sup>(١)</sup>  
ولا أهم ولى نفسٍ تنازعني      أستغفر الله إلا ساعة الحلمِ

وقال ابن طباطبا :

بِقَظَاتِهِ وَمَنَامُهُ شَرَعَ      كلُّ بَكلٍ مِنْهُ مُشْتَبِهٌ  
إِنْ هَمَّ فِي حُلْمٍ بِفَاحِشَةٍ      زَجَرْتُهُ عَقَّتُهُ فَيَنْتَبِهُ

أخذه السرى<sup>(٢)</sup> ، فكتب إلى صديق له ، وكان اتهمه بسلام بعنه إليه :

أَبَا بَكْرٍ أَسَأْتَ الظَّنَّ فِيمَنْ      سَجِيئَتُهُ التَّمَنُّعُ وَالْخِلَافُ  
وَحَفَّتْ عَلَيْهِ فِي الْخَلَوَاتِ مَنَى      وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا حَالٌ تُخَافُ  
جَفَوْتُ مِنَ الصَّبَا مَا لَيْسَ يُجَفَى      وَعَفْتُ مِنَ الهَوَى مَا لَا يِعَافُ  
فَلَوْ أَنِّي هَمَمْتُ بِقَبِيحِ فَعَلٍ      لَدَى الإِغْفَاءِ أُبْقِظُنِي التَّمَنُّافُ

قوله : « جُل » ، تصرف . المِحَال : المكر . لُد : تعلق وتستر . المِحَال : للباطل ، وما لا يمكن ثبوته . ودع ما يقال ، أى لا تلتفت إلى من ينقصك باتباع لذاتك ، وخذ ما يوافقك ويصلح بك .

وهذا رأى من اشتهر بالجون كالأحسن في قوله :

دَعَّ عَنْكَ مَا جَدَّوَا بِهِ وَتَبَطَّلِ      وَإِذَا لَقِيتِ أَخَا الحَقِيقَةِ فَاهْزِلِ<sup>(٣)</sup>  
لَا تَرَكِبِي مِنَ الذَّنُوبِ خَسِيئَتِهَا      وَأَعْمَدِي إِذَا قَارَبْتَهَا لِلْأَنْبِلِ  
وَخَطِيئَتُهُ تَفَلُّو عَلَى مُسْتَأْهِمِهَا      بِأَتْيِكَ آخِرَهَا بِطَعْمِ الأَوَّلِ

(١) هو السرى الرفاء ديوانه ٢ .

(٢) ديوانه ١٨٣ .

(٣) - شرح مقامات الحريري ج ٢



حَلَّتْ لَأَحْرَجَ عَلَى حَرَامِهَا      وَلرَبَّمَا حَلَّتْ غَيْرِ مُحَلِّ

وقال ابن وكيع:

لَا تَهْبَانِ مِنَ الرَّشِيدِ كَلَامُهُ      وَإِذَا دَعَاكَ أَخُو الْعَوَابَةِ فَأَقْبِلْ (١)

وَدَعِ التَّرَهُّبَ وَالتَّجَمُّلَ لِلوَرَى      فَالْعَيْشُ لَيْسَ بِطِيبٍ لِلْمُتَجَمِّلِ

وقال أيضاً:

فَارَقْتُ بِمَدِّكَ عَيْتِي وَوَقَارِي      وَخَلَعْتُ فِي طَرِيقِ الْمَجُونِ عِذَارِي (٢)

لَا تَأْمُرْنِي بِالتَّسْتَرِّ فِي الْهَوَى      فَالْعَيْشُ أَجْمَعُ فِي رُكُوبِ الْعَارِ

لَا تَكْثُرَنَّ عَلَيَّ إِنْ أَخَا الْحِجَابَا      بَرِّمُ يَقْرَبُ الصَّاحِبَ الْمَسْكِنَارِ

قوله: «أباك»، أي تمتع منك. سنفح: تيسر، يقال: سنفح الشيء سنفوحاً، إذا تيسر. صاف الخليل، أي أخلص الود لصاحب. ناف: باعد. أول الجليل: ألصق المعروف بمن يستحقه، وقد أولاني فلان المعروف: ألصقته بي، وجعله بينه وبينى. وقيل معنى «أولاني» مَلَكَني، من قولهم: هذا ولي المرأة، أي مالك أمرها. وقيل: معناه عضدني به وقواني، من قولهم: بنو فلان ولاية على بني فلان، أي يُعِينُونهم ويعضدونهم، وقيل: أولاني: أنعم على، من الألاء، وهي التعم، واحدها إلى وألى، والأصل ولي وولى، أبدل من الواو المكسورة همزة، على حد «إسناد»، وأبدل من الواو المفتوحة همزة على حد أحد وامرأة أناة. والمنةح: تابع العطايا. أمام الذهاب: قدام الموت، يقول: إذا شخت وأيتنت الموت، فاضرب باب التوبة، فإنه يُفْتَحُ لك إذ كلَّ كريم بأه يفتح.

(٢) البيهقي ١: ٣٣٤.

(١) البيهقي ١: ٣٤٢.

(٣) البيهقي: «الهداير».

ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المصلّى يقرع بابَ الملك، حوائه من يداوم قرع الباب يوشك أن يفتح له»، والله تعالى أكرم الكرماء، وبابه باب التوبة. وقال الألبيري:

فلازم قرعَ باب التوب دأباً فإن لزومه سبب الدخول<sup>(١)</sup>

\*\*\*

فقلتُ له: بَخِ بَخِ لِرِوَايَتِكَ، وَأُفِّ وَتُفِّ لِعَوَايَتِكَ،  
فبِاللَّهِ مِنْ أَىِّ الْأَعْيَاصِ عَيْمُكَ، فَقَدْ أَفْضَلَنِي عَوِيصُكَ؟ فَقَالَ:  
بِمَا أَحِبُّ أَنْ أَفْصِحَ عَنِّي، وَلَكِنْ سَأَكُنِّي ..

أَنَا أَطْرُوفَةُ الزَّيْمَا نِ وَأَعْجُوبَةُ الْأَمَمِ  
وَأَنَا الْحَوْلُ الَّذِي اخْتَالَ فِي الْعَرَبِ وَالْمَجَمِّ  
غَيْرَ أَنِّي ابْنُ حَاجَةٍ هَاضِمَةُ الدَّهْرِ فَاهْتَضَمَ  
وَأَبُو صَبِيحَةٍ بَدَوَا مِثْلَ لَحْمٍ عَلَى وَصَمِّ  
وَأَخُو الْعَيْلَةِ الْمُعِيلِ إِذَا اخْتَالَ كَمْ يَلِمُ

\*\*\*

قوله: «بَخِ بَخِ»، أى عجب عجب وتثقل وتخفف، وهى كلمة تقال عند الإعجاب بالشيء.

أُفِّ وَتُفِّ، الأسمى: الأفّ وَسَخِ الآذان، والأثف: وسخ الأظفار، ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضيعر منه.

(١) ديوانه ١٤.

وقال غيره: الأف: القلّة، مأخوذ من الأفّ وهو القلّة ثم نُسِقَ الثّف عليه، ومعناه كعناه، ويقال: لمن يُدعى عليه بالخبيّة: أف وتُفّلك. وقال ابن الأنباري: إذا أفردت أفّ، ففيها عشرة أوجه: ففتح الفاء، وكسرها وضمها على قياس مُدّ؛ وثلاثتها بالتثنية على قياس وئيل، فنصبه على الدعاء، ورفعها بالابتداء، وخفضه على التشبيه بالأصوات كمه وصمه، وأفّ كقَد، وأُفّي بضم همزة منصوب على الدعاء، وأُفّي بإضافته إلى نفسه، وأفّ بضم همزة وسكون الفاء تشبيهاً بالأدوات، نحو: هل وبلى.

غوايتك: ضلالتك. الأعياص: الأصول، والعيص: بيت الأسد، يريد: من أي القبائل والبلاد. أعضني: صُعبَ عليّ. عَوِيصك: صُعبَ أمرُك ومشكله. أفصح: أبين. أكنى: أوزى، أي أدلّ على نفسي بكلامٍ خفيّ. أطروفة: غريبة. الحول: الكثير الحيلة. هاضه: كسره. اهتضم: ظلم ونقص. الوضم: خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم. والعيلة: الفقر، وعال الرجل يعيل عيلة، إذا افتقر، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾.

وقال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه      وما يدري الغني متى يعيلُ  
والمعيل: الكثير العيال، وقد أعالُ يعيل.

• • •

[ مما قيل في الخضاب ]

قوله: «الريب»، أي لريبة. مسودوجه الشيب، تبه به على قوله في أول اللقمة: «ميسمه ميسم الشبان» يريد أنه خَصَبَ شيبه وتشبه بالفتيان، والخضاب مباح والتدليس مكروه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «غيروا هذا الشيب».

وكان أبو بكر رضى الله عنه يحنض بالحناء والكتم ، وجاء النهى عن الخضاب بالسواد . وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يكون في آخر الزمان قوم يحنضون بهذا السواد كحواصل الحمام ، لا يربحون رأحة الجنة » .

ومن كلام المولدين : الخضاب تذكرة الشباب .  
الخضاب أحد الشبايين .

وقال مالك بن أسماء بن خارجة لجاريه له : قومي اخضبي رأسي وحيثي ،  
فقلت : دعني ، فقد عييت مما أرقمك ، فقال :

عَيَّرْتَنِي خَلْقًا أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ      وهل رأيتِ جديداً لم يَعدْ خَلَقًا !

وقال آخر :

أليس عندك شكراً لتي جعلت

ما ابيضت من قادمات الرأس كاللحم .

وجدت منك ما قد كان أخلقه      طول الزمان وصرف الدهر والقدم .

وقال آخر :

وقائلة تقول وقد رأيتني      ترقع عارضاتي من القبير

عليك الخضب علك أن تداني      لى بيض ترى منهن حور

فقلت لها : المشيب نذير عمري      ولست مسوداً وجه النذير

وقال عبدان الأصهباني :

في مشيبي شماتة إمداني      وهو ناعٍ منغص حياتي

ويعيبُ الخِضَابَ قومٌ وفيهِ  
لا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ مِنِّي  
لِي أَنَسِي إِلَى حُضُورِ وَقَاتِي  
مَا تَطَلَّبْتُ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ  
مَا تَرِينِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَاتِي  
سِرَّهُ أَنْ يَرَى وَجُوهَ التَّمَاعَةِ !  
هُوَ نَاعٍ إِلَى نَفْسِي وَمَنْ ذَا

وقال آخر :

بكرت تحسُنُ لِي -وَادَ خِضَابِي  
وإِذَا أُدِيمُ الْوَجْهَ أَخْلَقَهُ الْبَلِيَّ  
لَوْ كَانَ ذَلِكَ يَعِيدُنِي لَشَبَابِي  
لَمْ يُنْتَفِعْ فِيهِ بِحَسْنِ خِضَابِ  
وَخِلَافٍ مَا يَرْضِيكَ فِي الْأَثْوَابِ !  
مَاذَا الَّذِي يَبْدِي عَلَيْكَ خِضَابَهُ

وقال ابن عبدربه :

إِذَا فَصَلَ الْخِضَابَ بِكِي عَلَيْهِ  
كَأَنَّ حَامَةً بِيضَاءَ ظَلَّتْ  
وَيَفْرَحُ كُلَّمَا وَصَلَ الْخِضَابَا  
تَقَاتِلُ فِي مَفَارِقِهِ غُرَابَا

وقال ابن الرومي :

يَأْتِيهَا الرَّجُلُ الْمَسْوَدَ شَعْرَهُ  
أَقْصَرُ فَلَوْ سَوَدَتْ كُلَّ حَامَةٍ  
كَيْمَا يَعِدُّ بِهِ مِنَ الشَّبَابِ  
بِيضَاءَ مَا عَدَّتْ مِنَ الْفَرِيَانِ

وأملح منه قول الآخر :

قَالَتْ خَضِبْتِ الشَّيْبَ ثُمَّ أُنَيْتِنَا  
فَأَجَبْتُنَا لَمْ أَخْضِبْ لَكَ إِنَّمَا  
تَبَغَيْ لِدِينَا بِالْخِضَابِ وَدَادَا  
شَيْبِي صَبَغْتُ عَلَى الشَّبَابِ حِدَادَا

وما أحسن ما قال ابن هانيء الأنداسي :

بَنِمُ فَلَوْلَا أَنْ أُغَيِّرَ لِمَتِي  
عَبْتَا وَأَلْقَاكُمْ عَلَيَّ غَضَابَا<sup>(١)</sup>

لخضبتُ شيباني مفارق لمتي<sup>(١)</sup> ومحوتُ محو النَّفسِ مِنْهُ كِتَابًا<sup>(٢)</sup>  
 وخضبتُ مبيض<sup>(٣)</sup> الحدادِ عليكمُ لو أنني أجدُ البياضَ خضابًا  
 وإذا أردتَ على المشيبِ وفادةً فاجعل مطيِّكِ دونَه الأحقابًا  
 فلتأخذنَّ من الزَّمانِ حامةً ولتدفعنَّ إلى الزَّمانِ غرابًا

\*\*\*

قال الرَّاوِي : فَعَرَفْتُ حَيْثُذِ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ ذُو الرِّيبِ وَالغَيْبِ ،  
 وَمُسَوِّدَ وَجْهِ الشَّيْبِ ، وَسَاءَ نِي عَظْمُ تَمَرُّدِهِ ، وَقُبْحُ تَوَرُّدِهِ ، فَقُلْتُ  
 لَهُ بِلِسَانِ الْأَنفَةِ ، وَإِذْلالِ الْمَعْرِفَةِ : أَلَمْ يَأْنِ لَكَ يَا شَيْخَنَا أَنْ تُفْلِحَ  
 عَنِ الْخُلْنَا ! فَتَضَجَّرَ وَزَمَجَّرَ ، وَتَنكَرَّ وَفَكَرَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهَا لَيْلَةٌ  
 مِرَاحٍ لَا تِلَاحٍ ، وَنَهْزَةٌ شُرْبِ رَاحٍ لَا كِفَاحٍ . فَعَدَّ عَمَّا بَدَأَ ،  
 إِلَى أَنْ تَتَلَقَى غَدَا ، فَفَارَقْتَهُ فَرَقًا مِنْ عَرَبَدَتِهِ ، لَا تَعْلَقًا بِعِدَّتِهِ ،  
 وَبِتُّ لَيْلَتِي لِابْسَا حِدَادِ النَّدَمِ ، عَلَى تَقْلِي خُطَا الْقَدَمِ ، إِلَى ابْنَةِ  
 الْكِرْمِ لِالْكِرْمِ ، وَعَاهَدتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَلَّا أَحْضُرَ بَعْدَهَا  
 حَانَةَ تَبَّازٍ ، وَلَوْ أُعْطِيتُ مُلْكَ بَغْدَادِ ، وَأَلَّا أَشْهَدَ مِعْصَرَةَ الشَّرَابِ ،  
 وَلَوْ رُدَّ عَلَيَّ عَصْرُ الشَّبَابِ .

ثُمَّ إِنَّا رَحَلْنَا الْعَيْسَ ، وَقَتَّ التَّعْلِيسِ ، وَخَلَيْنَا بَيْنَ  
 الشَّيْخَيْنِ وَإِبْلِيسَ .

\*\*\*

(٢) الديوان : « شبابا » .

(١) الديوان : « في عذارى كاهبا »

(٣) الديوان : « مسود » .

قوله : « تمرده » ، تشيطنه ، وتمرد إذا كثر شره ، والمريد : الخبيث الذى لا يطاق مكره تورده : إنيانه بما لا يحل ، وأصل التورّد قصد الماء الأنفه : الغضب .  
 بأن : يحين ويقرب . الخنأ : الفساد . تضجّر . اشتد غضبه . زجر : تكلم بما لا يفهم . تنكّر : تغيّر على ، ونكّر نفسه كأنه لا يعرفنى . مراح : طرب ونشاط . تلاح : مشاةمة . نهزة : فرصة وغنيمة . كفاح : قتال . قعد : اصرف واترك . فرقا : فرعا . عز بدته : شره وشغبه . الحداد : ثياب الحزن . الخطأ : جمع خَطوة ، وهى ما بين القدمين . ثبأذ : خأر . عَصْر : زمان . رحلنا العيس : جعلنا على الإبل رحالها . التقلّيس : الخروج فى العأس ، وهى الظلمة التى بين طلوع الفجر والشمس .

وأظن أنه بنى هذه المقامة على حكاية لأبى دلامة ، حكى الأصهباني<sup>(١)</sup> أن موسى بن داود الهاشمي<sup>(٢)</sup> عزم على الحج ، فقال لأبى دلامة : اخجُجْ معى ولك عشرة آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعها إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ، وجعل ينفقها هنالك فى شرب الخمر ، فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فَوَتْ الحج ، وخرج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة خارج من قرية إلى أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده ، وطرح فى محمل بين يديه ، فلما سار غير بعيد أقبل على موسى ونادى :

يأيها الناس قولوا أجمعون معاً : صلى الإله على موسى بن داود  
 كأن ديباجتى خديه من ذهبٍ إذا بدالك فى أثوابه السود  
 لى أعوذ بداوِدٍ وأعظمه من أن أكلف حجاً يابنَ داودِ  
 خُبرت أن طريق الحج معطشةٌ من الشراب وما شربى بتصرٍ يدِ<sup>(٣)</sup>  
 والله ما فى من أجرٍ فتطلبه ولا الثناء على دىنى بمحمودِ

(١) الأغاني ١٠ : ٢٤٦ .

(٢) هو ابن عم أبى العباس السفاح ، وكان والياً على المدينة .

(٣) صرد شربه : قطعه .

فقال موسى : ألقوه عن الحمل ، لعنه الله ، فألقى وعاد إلى موضعه بالسواد حتى أنفق المال .

وقال آخر :

ألم ترني وبشاراً حَجَجْنَا      وكان الحج من خير التجارة  
خرجنا طالبين سفرٍ بعيدٍ      فمال بنا الطريق إلى زُرارة  
فآب الناس قد حجوا وبرؤوا      وأبنا موقرين من الخسارة

وقال أبو نواس في الحج :

وقائل : هل تريد الحج قلت له :      نعم ، إذا فَنَيْتَ لَدَاتُ بِنْدَاذِ  
وكيف بالحج لي مادمتُ مِنْهُ مَسَاً      في بَيْتِ قَوَادَةِ أَوْ بَيْتِ نَبَاذِ !

قوله : « وخليفتنا بين الشيخين أبي زيد وإبليس » من قول الحسن :

بت وإبليس إلى الصبح في كل الذي يؤتمنى خصمي

وانظر هذا في الثامنة والأربعين ، والله أعلم .



## المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية

حدّث الحارث بن همام ، قال : ندوتُ بضواحي الزوراء ،  
مع مشيخةٍ من الشُّعراء ، لا يملقُ لهمُ مبارٍ بفبارٍ ، ولا يجرى معهمُ  
مبارٍ في مضمارٍ ، فألفضنا في حديثٍ يفضحُ الأزهارَ ، إلى أن نصفنا  
النَّهارَ . فلما غاضَ دَرُّ الأفكارِ ، وصبّتِ النفوسُ إلى الأوكارِ ،  
لمخناً عجوزاً تُقبلي من البُعدِ ، وتحضِرُ إحصارَ الجُرْدِ ،  
وقد استملت صبيةً أنحفَ من المغازلِ ، وأضعفَ من  
الجوازلِ ، فما كذّبت إذ رأتنا ، أن عرّتنا ، حتّى إذا  
ما حضرتنا قالت :

\*\*\*

ندوتُ ، أي خرجت ، ويقال : ندتِ الإبل تندّ وإذا خرجت من المشرب  
ترعى فيما قرب منه ، وهو الذي قصد ، لأنه أراد أنه خرج مع أصحابه خارج  
البلد يستريحون ثم يرجعون . والضواحي : المواضع البارزة للشمس .

\*\*\*

[ الزوراء ]

والزوراء ، هي في الجانب الشرقي من بغداد ، وسميت زوراء لازورار قبلتها ،  
أي لانحرافها . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سمعتُ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : « تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك

بني العباس ، وهى الزوراء يكون فيها حرب مُفِظَةٌ تُسَبَّى فيها النساء ،  
وتُدْبَح فيها الرجال كما يُذبح الغنم .» .

والزوراء هى بغداد ، ويقال لها الزوراء ، ومدينة السلام ، ومدينة المنصور ،  
وبغداد وبغداد وبغدان وبغدان وبغدام وبغدام وبغداد - عن الفراء .

وبعضهم يقول : تفسيره بستان رجل ، فَبَغَّ بستان ، ودَاد رجل . وقيل :  
بَغَّ صنم ، وداد عطيةً وإنما اختلفت العرب فى لفظها إذ لم تكن من كلامها ،  
ولا اشتقاق لها من لغتها ، وأشهر لغاتها بغداد ، بدالين وبغدان ، بالنون . وكان  
الأصمعيّ رحمه الله لا يقول ببغداد ، وإنما يقول مدينة السلام ، لأنَّ بَغَّ عندهم اسم  
صنم ، وداد عطيةً بالفارسية فكأنها عطية الصنم . وبنائها المنصور ، وبعث  
رجالا يطلبون له موضعاً يبني فيه مدينة ، فطلبوا فلم يجدوا ، حتى جاء ينزل  
فنزل على البرّة الذى فى الصّراة ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتيه الميرة من  
الفرات ودجلة والصّراة ، فوجه حينئذ الصنّاع من الشام والموصل والكوفة  
وواسط والبصرة ، فابتدئت سنة خمس وأربعين ومائة .

وقال محمد بن أبى سهل : لما أراد المنصور بناء بغداد ، أمرنى أن آخذ  
الطالع ، فأخذنا طالعها ، فكان المشتري ، فأخبرته بما تدلّ عليه النجوم من  
طول بنائها وكثرة عمارتها ، ثم قلت : وخلةٌ أخرى يا أمير المؤمنين ، نجدها على  
ما تدلّ عليه النجوم... لا يموت فيها خليفة ، فرأيته يتبسّم ، وقال : الحمد لله ، ذلك  
فضل الله يؤتاه من يشاء .

وقيل لرجل : كيف رأيت بغداد؟ فقال : الأرض كلها بادية وبغداد  
حاضرتها .

ابن جبير<sup>(١)</sup> : بغداد هى المدينة العميقة ، ولم تزل حاضرة الخلافة العباسية

(١) رحلة ابن جبير ١١٦ ، مع تصرف واختصار .

وقد ذهب رسمها<sup>(١)</sup> ووسمها ، وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل إخماء  
المواد عليها ، والتفتت أعين النوايب إليها كالظلال الدارس ، والأثر الطامس ،  
أو تمثال<sup>(٢)</sup> الخيال الشاخص ، فلا حسن فيها يستوقف البصر ، ويستدنى من  
المستوفز الغفلة والنظر ، لإدجلتها التي بين الشرقية والغربية منها كالمراة المجلوة  
بين صفحتين ، أو العقد<sup>(٣)</sup> المنتظم بلبتين ، فهي تردها فلا تظما ، وتطلع [منها]<sup>(٤)</sup>  
في مراة صقيلة فلا تصدأ . والهواء المنتظم يتولد بين هوائها ومائها ، فهي معروفة  
بفتن الهوى ، إلا أن يهيم الله منها . وكنا سمعنا أن هواء بغداد يُنبت  
السرو في النفس ، ويبعث دائماً على الانبساط والأنس ، فلا تكاد تجد فيها  
إلا جلدان ظرباً ، وإن كان نازح الدار مقرباً ، حتى حلت بقرية وزيران ،  
وهي على مرحلة منها ، فلما نفحنا نوافح هوائها ، ونعمنا الغلة ببرد مائها ، أحسنا  
من أنفسنا على حال وحشة الانفراد دواعى من الإطراب ، واستشعرنا بواعث  
فرح كأنه فرح الغائب بالإياب ، وهفت بنا محركات من الأنس ذكرتنا معاهد  
الأحباب في عصر الشباب ، هذا للغريب النازح الوطن ، فكيف الوافد فيها  
على أهل وسكن !

سقى الله باب الطاق صوب غمامة ورد إلى الأوطان كل غريب

وبغداد جانبان : شرقي وغربي ودجلة بينهما . فأما الجانب الغربي فقد عمه  
الخراب ، واستولى عليه ، وهو كان المعمور أولاً ، ولكنه مع خرابه يحتوي  
على سبع عشرة محله ، كل واحدة منها مدينة مستقلة ، لها الحمامان والثلاثة ، وصلاة

- (١) ابن جبير « ولم يبق إلا شهير رسمها » .  
(٢) ط : « المنال » وما أثبتته من ابن جبير .  
(٣) ط : « والعقد » وما أثبتته من ابن جبير .  
(٤) من ابن جبير .

الجمعة في ثمان منها ، وأكبرها القرية ، وهي على شطّ دجلة ومقرّبة من الجسر ، ثم الكرخ ، وهي مدينة مشهورة ، ثم محلة باب البصرة ، وهي مدينة بها جامع المنصور ، وهو كبير عميق البنيان ، ثم الشارع وهي مدينة ، وهذه الأربع أكبر المحلات ، والوسيلة بين دجلة وبين نهر يتفرّع من الفرات ، وينصب في دجلة ، يجيء فيها جميع المداين التي يسبقها الفرات . وعلى بابها نهر آخر منه ينصب في دجلة .

ومنها العتّابية ، وهي مدينة يصنع فيها الثياب العتّابية ، وهي حرير وقطن مختلفات الألوان ، وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها ، وأمّا الشرقية فهي محدثة وهي حفيلة الأسوار ، عظيمة الترتيب ، تشمل من الخلق على بشر كثير لا يحصيهم ، إلا الذي أحصى كل شيء عدداً ، وبالشرقيّ محلة الرضاة ، وسها كان باب الطاق المشهور على الشطّ ، وبازائها محلة كبيرة تعرف بقبر أبي حنيفة رحمه الله ، فيها قبة سامية في الهواء بيضاء ، فيها قبر الإمام أبي حنيفة ، وبالقرب منها قبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وحمامات بغداد لا تحصى ، أخبرني بمض أسيّاخها ، أن فيها اليوم أنفي حمام ، وأكثرها مطايّة بالقار ، مسطحة به ، فيخيل للناظر فيها أنها رخام أسود صقيل ، وأكثر حمامات هذه الجهة على هذه الصفة ، لكثرة القار عندهم ، وشأنه عجيب ، لأنه منبتع عين بين البصرة والكوفة ، يصير القار في جوانبها كالصلصال ، فيجرف ويحلب ، وقد انعقد فسبحان خالقه !

وبغداد من المدارس نحو الثلاثين ، ما منها مدرسة إلا كالتصغر العظيم ، وأعظمها النظامية . وبساتين بغداد وحدائقها بالقرب ، ومنها تجلب الفواكه للشرقية ، والمادة أبدأ أن يكون بين الشرقية والغربية جسران لجواز الناس ، ومع ذلك فمن يعبر بينهما من الناس في الزوارق لا يحصى ، وذلك لكثرة الناس ،

(١) القرية ذكرها ياقوت ، وقال : محله بغداد .

وزوارقها لا تحصى ، والناس ليلاً ونهاراً من معاينة العبور فيها في نزهة متصلة  
رجالاً ونساء .

وبالجملة فشان هذه البلدة أعظم من أن يُوصف ، وأين هي اليوم مما كانت  
عليه ! هي اليوم داخلة تحت قول حبيب :

\* لا أنتِ أنتِ ولا الديارُ ديارٌ (١) \*

ثم ذكر ابن جبير أهلها فذمهم بكلّ عيب ؛ من الكبرياء وبيع الربا ، ثم  
استثنى فقهاءها ووعاظها .

\* \* \*

[ وصف الشعراء ]

قوله : « مع مشيخه من الشعراء » ، قال الخليل في مدح الشعراء : هم أمراء  
الكلام بصرفونه أني شاءوا وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى ،  
وتقييده ومدّة مقصوره وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته .

وسئل غيرهم عنهم ، فقال : ما ظنك بقومٍ الاقتصاد محمود إلا منهم ،  
والكذب مذموم إلا بينهم !

وقال آخر : إياكم والشاعر ، فإنه يطلب على الكذب مشوبة ، ويقرع جليسه  
بأذني كله .

وقال بعض الظرفاء يذمهم :

الكلبُ والشاعر في رتبةٍ	بالتيت أني لم أكن شاعراً !
هل هو إلا باسطٌ كفه	يستمطر الواردَ والصادراً
والله لولا حُرقاتُ الهوى	ما كنتُ إلا رجلاً تاجراً

وقال ابن الرومي :

يقولونَ ما لا يفعلونَ مستبّةً من الله مسبوبٌ بها الشعراء

(١) ديوانه ١٤٤ ، وبقيّة :

\* حَفَّ الْهَوَى وَتَوَنَّتِ الْأُوطَارُ \*

وقال أيضاً :

للناس فيما يكلفون مغارمٌ عند الكرام لها قضاء ذمام -  
ومغارم الشعراء في أشعارهم إنفاق أعمارٍ وهجرٌ منام  
وجفاء لذاتٍ ، وهجر مكاسبٍ لوخولفت حُرست من الإعدام  
ونشأغلٌ عن ذكر ربِّ لم يزل حسن الصنائع ، سابغ الإنعام

قوله : « مبار » ، أى معارض . مضمار : طلق . ممار : مجادل . أفضنا :  
اندهمنا . يفضح : يكشف عيوبها . شبه الجماعات في الآداب بالخليل الجباد  
في الطلق لا يلحق غيرها من يجارها ، وجمل حديثهم بحسن تفننه يفضح  
الأزهار متى قرن بها .

\* \* \*

[ مجلس للشعراء ]

ونجعل تفسيراً لهذا المجلس الموصوف بآجماع الشعراء ما حدث به دِعْبِل<sup>(١)</sup>  
أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشَّيْص وأبو نُوَاس ، وهؤلاء مشيخة شعراء  
عصرهم ، فقال لهم أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد اشتهر بآجماعنا فيه ، ولهذا اليوم  
ما بعده فلياتٍ كلُّ امرئٍ منكم بأحسن ما قال فلينشده ، فأنشد أبو الشَّيْص :

وَقَفَّ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدِّمٌ  
أجدُ اللامة في هواكٍ لذيدةٌ حُبًّا لذكرِكِ فليلمني اللومُ  
أشبهتِ أعدائي ، فصرت أحبُّهم إذ كان حظي منك حظي منهم  
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً ما من يهونُ عليكِ من بكرمِ

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر ، حتى ما كاد ينقضى عجمه .

(١) المقدم ٥ : ٣٧٣ .

ثم أنشد مسلم أبياتاً منها :

فأقسم أنسى الداعيات إلى الصبا      فقد فحّتها العين والستر واقم<sup>(١)</sup>  
فقطت بأيديها ثمارَ نخورِها      كأيدي الأَسارى أقتلتها الجوامعُ

قال دعبل : فقال لي أبو نواس : هات أبا عليّ وكأني بك قد جئت بأمّ  
القلادة .. لاتعجبى يا سلم ، فأشدته :

أين الشبابُ وأيةَ سلكا      أم أين يُطلب؛ ضلّ أم هلكا<sup>(٢)</sup>  
لاتعجبى يا سلمَ من رجلٍ      ضحك المشيبُ برأسه فبكي  
ياليت شعري كيف صبركَا      يا صاحبيّ إذا دمي سفكا<sup>(٣)</sup>  
لا تطلبنا بظلامتي أحداً      قلبي وطزني في دمي اشتراكا  
ثم سأله أن ينشدنا فأنشد :

لاتبكِ ليلى ولا تركني إلى هندٍ

واشرب على الورد من حمراء كالورد<sup>(٤)</sup>

كأساً إذا انحدرت في حلقِ شاربها      وجدت مُحمرتها في العين والحدّ  
فاختر ياقوتةً ، والكأس لؤلؤة      في كفّ جارية ممشوقة القدّ

(١) ديوانه ٢٧٣ ، وفيه : « فاقست أنسى » .

(٢) ديوانه : ١١٧ .

(٣) بعده في الديوان .

يا سلم ما بالشيب منقصةً      لاسوقه يُبقي ولا ملكا  
قصر الغواية عن هوى قمرٍ      وجد السبيل إليه مُشتركا  
وغداً بأخرى عن تطلبها      صبا يُظلمن دونها الحسكا

تَسْتَيْكَ مِنْ عَيْنِهَا خَرًّا وَمِنْ يَدِهَا  
 خَرًّا ، فَالِكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ  
 لِي سَكْرَتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ  
 شَيْءٌ خُصِّصَتْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَدِي

فلما بلغ هذا البيت، قاموا فسجدوا له ، فقال: أفعلتموها! والله لا أكلكم  
 ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً اثم قال : تسمية في هجر الإخوان كثير ، وفي بعضها  
 استصلاح للفساد ، وعقوبة على المفوعة . ثم التفت إلينا وقال : أعلمتم أن حكيماً  
 عجب على حكيم ، فكتب المعتوبُ عليه إلى العاتب : يا أخي ، إن أيام العمر أقلُّ  
 من تحمل الهجر ، نظمَ ذلك الشاعر فقال :

العمرُ أقصرُ مدةً      من أن يحقَّ بالعتابِ  
 أو أن يكدرَ ماصفاً      منه بهجرٍ واجتنابِ

وقال ابن طاهر :

إلى كمَّ يكون الصدُّ في كلِّ ساعةٍ      ولم لا تملأين القطيعةَ والمجرا !  
 رويدك إنَّ الدهرَ فيه بقيةٌ      لتفريق ذاتِ البين فانتظري الدهرا

وقال آخر :

ولقد علمت فلا تكن متجنياً      أن الصدود هو الفراقُ الأوَّلُ  
 حسبُ الأحبة أن يفرَّقَ بينهم      ريبُ الزمان فإلنا نستعجل !

وقال القاضي عبد الوهاب :

لا تتمجّل قطيقتي فكفى      يوماً بهذا الدهر بيننا مقطع<sup>(١)</sup>  
 ( ٨ - شرح مقامات المري - ٢ )



عما قريب تجيء فرقتنا نمت لا ملتقى ولا جمع  
وأخذه الكل من جميل: (١)

ولعل أيام الحياة قليلة فلام يكثر عقبنا ويطول!

قوله: « نصفنا » ، أى بلقنا نصفه . غاض : جف . در الأفكار : كلامها ،  
والدر : اللبن ، استعارة لما يتولد من الذهن . صبت : مالت . الأوكار : البيوت  
هنا . لحنا : أبصرنا . تُخضِر : تجرى . الجرد : الخليل الفصيرة الشعر . استتلت :  
جملتهم تلواها يتبعونها . أنحف : أقل لحماً . الجوازل : فرائح الحمام ، واحدها  
جوزل . عزتنا : قصدتنا .

\*\*\*

حيًا لله المعارف ، وإن لم يكن معارف ؛ اعلّموا يا مآل  
الأميل ، ومآل الأراميل ، أنى من سرّوات القبائل ، وسرّيات  
العقائل ، لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ، ويسيرون القلب ،  
ويعطون الظهر ، ويؤلون اليد . فلما أزدى الدهر الأعضاد ، وفجع  
بالجوارح الأكباد ، وانقلب ظهراً لبطن ، نسا الناظر ، وجفا  
الحاجب ، وذهبت العين ، وفقدت الراحة ، وصلد الزند ،  
ووهنت اليمن ، وضاع اليسار ، وبانت المرافق ، ولم يبق لها  
ثنية ولا ناب ، فذ اغبر العيش الأخضر ، وازور المحبوب

(١) البيت لسعيد بن حميد ، من قصيدة له في زهر الآداب ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

الأصفر ؛ وأسودَّ يومي الأبيض ، وأبيضَ فودي الأسود ، حتى  
 رمي لنا المدوُّ الأزرقُ ، فصَبَّدا الموتُ الأحمر . وتلوي من  
 ترونَ عينه فراره ، وترجائه اصفراره ، فصدوى بُنية أحدهم  
 نردة ، وقصاري أمينته برودة . وكنت آليتُ ألاَّ أبدلَ الحرَّ  
 إلاَّ للحرِّ ، ولو أتيت من الضرِّ . وقد ناجتني القرونة ، بأن تُوجد  
 عندكم المونة ، وأذنتني فراصةً الخوباءِ ، بأنكم ينابيعُ الحباءِ ،  
 فنصر اللهُ أمراً أبرَّ قسَمي ، وصدقَ توسُّمي ، ونظرَ إليَّ بعينٍ يُقديها  
 اجود ، ويُقديها الجود .



للمعارف الأول : الوجوه ، واحدها معروف . قال الشاعر :

متلثمين على معارفينا شتى لمن حواشي المصعب

وإن لم يكن معارف ، أي وإن كنت لا أعرفهم . مأل : مرجع ، وقد  
 آل يؤل أولاً ومآلاً ، إذا رجع . والآمل : الراجي . وئمال : غياث وملجأ .  
 الأرامل : المساكين ، يعقوب : هن جماعة الرجال والنساء ، ويقال لهم : أرامل ، وإن  
 لم يكن فيهم نساء . ويقال : جاءت أرملة من رجال ونساء محتاجين ، ويقال للرجال  
 الضعفاء المحتاجين : أرملة ، وإن لم يكن فيهم نساء . وأرمل القوم : فني زادهم ، وواحد  
 الأرامل أرمَل وأرملة ، وإنما قيل للفاقة زوجها : أرملة ، لأنَّ أمرها يشول إلى  
 الضيعة والحاجة . سرّوات : سادات ، واحدها سرة ، والسري : السيد الكبير

ذو المروءة ، والنسرو : المروءة ، وقد سرى سراً وسراً وسراً : جمع السخا  
والفضل ، قال امرؤ القيس :

• وأما عليه سراًوة الفضل • (١)

وأشده يعقوب :

إن السرى هو السرى بنفسه وابن السرى إذا سرى أمرهما (٢)

قال نعلب : السرى في كلامهم : الرفيع ، مأخوذ من السراة ، وسراة  
كل شيء : أعلاه ، ومريات : سيدات . العقائل : كرائم النساء ، تريد أن أباهها  
وأما من السادات . البعل : الزوج ، وبعل الرجل بوعلة : تزوج . الصدر :  
مقدم المجلس . القلب : قلب العسكر ، والعسكر خمسة أقسام : مقدمة ، وساقة ،  
وميمنة ، وميسرة ، وقلب ، وهو محل الملوك ، أرادت أن قرابتها منهم . يمتطون :  
يهبون . الظاهر : الإبل بأوقارها ، وأمطاه : أعطاه دابة يركب مطاها ، أى ظهرها .  
يؤولون اليد : يهبون النعمة . أردى : أهلك . الأعضاء : جمع عَضُد وهو غليظ  
الذراع الذى بين المرفق والمنكب . فجع : أحزن ، وجاء بفعيعة ، وهى الرزية  
يتفجع عليها الجوارح : عوامل الجسد كاليد والرجل والعين ، تريد أن الدهر  
إذا أهلك أهلها فكأنه قطع جوارحها فتعطلت منفعتها . انقلب : تحول . ظهر  
البطن : كناية عن الخلف ، أى بعد أن كان مستقيماً انقلب . نبا : ارتفع ولم  
يستقر . الناظر : مَنْ ينظرُ عليها . الحاجب : من يحجبها ويسترها . والعين :  
الذهب . الراحة : الدعة والسكون . صلد : لم يورنارا ، وأرادت انقطاع الخير  
عنها . وهنت : استرخت . البمين : التوبة . بانث : ذهبت وبُذت . المرافق :

(١) ديوانه : ٢٣٨ ، صدره :

• فلما مقلدوها ومقلتها •

(٢) السان - سرى .

مَنْ كَانَ يَرْتَفِقُ بِحَيَاتِهِ وَمَنْعَمَتِهِ ، وَالْمَرِافِقُ : كُلٌّ مَا ارْتَفَقَتْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ .  
ثَنِيَّةٌ : صَغِيرَةٌ مِنَ الْإِبِلِ . وَنَابٌ : مَسْنَةٌ .

وهذا الكلام كله استعارة كما تقدم في الإبرة والمرود ، لكنه كنى هنا بالجوارح والأعضاء عنَّ كان يستعين به من القرابة على الدهر ، ومعاني الأعضاء بيّنة إلا الراحة ، فإنها بطن الكف : والزند : طرف عظم الساعد ، والثنية والناب صريحتان ، ونبا الناظر : لم ينم ، وجفا الحاجب : لم يرسل الجفن على العين فتنام ، كما قال بشار :

نَيْبَتْ عَيْنِي عَنِ التَّفْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جَفُونَهَا عَنْهَا قِصَارٌ<sup>(١)</sup>

وقال التهامي :

قَصُرَتْ جَفُونِي أَمْ تَبَاعَدَ بَيْنَهَا أَمْ صَوَّرْتَ عَيْنِي بِلَا أَشْفَارٍ<sup>(٢)</sup>

قوله : « أَعْبَرٌ » ، أى علته غبرة . والأخضر : الناعم . أزور : اقتبض . الأصفر ، هو الدينار . الفؤد : ناحية الرأس بين الأذن والجبهة ، وهذا من قول أعرابي ذكر مصيبته فقال : مصيبة والله تركت سود الرأس بيضاء ، وبيض الوجه سوداً ، وهونت المصائب بعدها .

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الْخُدَّانَ نَسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ تَمْدُنٍ لَهُ سُمُودًا  
فَرَدَّ شَعُوزَهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدًا

وقال التهامي :

تَسْوَدُ الشَّمْسُ مِمَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ الْعَذْرِ وَاللَّحْمِ

(١) المختار من شعر بشار ٨ (٢) ديوانه : ٣٠

وكانَ حالمًا في الحكمِ واحِدَةً لو احتكنا من الدنيا إلى حَكَمِ  
 قوله : « رنى » بكى وأشفق . العدو الأزرق : أراد الروم وهم أعداء  
 للعرب . والموت الأحمر : الشديد ، ومنه الحسنُ أحمر ، أى مَنْ أَحَبَّ الحُسْنَ  
 احتمل للشقة . وفي الحديث : كُنَّا إِذَا احْمَرَّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ، فلم يكن أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه ، فمناه اشتدَّ ، وقيل : معنى  
 الموت الأحمر : القتل ، وقد قال الأخطل :

\* أن قد أتيج لمن موتٌ أحمرٌ \* (١)

يريد قتل الثور الكلاب ، وتقدم في المقامة قبل هذه ، فلما فيه من الدم  
 سُمِّيَ أحمر ، وهو الأظهر من مقصد الحريرى ، لأنه علق غيره من الصفات  
 باللون مثل العدو الأزرق ، والروم زرق العيون ، فكذلك الموت الأحمر .

أبو عبيدة : الموت الأحمر أن يتغيرَ بصر الرجل من الهول ، فيرى الدنيا  
 في عينيه حمراء ورداء ، والموت الأغبر : هو الموت جوعاً ، لأنه يغيرُ في عينيه كلَّ  
 شئٍ ، والموت الأسود هو الموت في غُمة الماء ، والموت الأبيض هو موت العافية .  
 قال الخطابي : الموت الأبيض ، أى فجأة ، لأنه يأخذ الإنسان بيباض لونه .  
 قوله : « تَلَوِي » ، أى خَلَنِي وإلى جانبى . عينه : شخصه . فراره : معرفته ،  
 أى شخصه يعرفكم بحاله ، والعرب تقول : عينه فراره للشئ تعرفه إذا أبصرته ،  
 والقرّ في البهائم . كشف أسنانها حتى يعرف ما لها من السن . ووقع في المقامات  
 فراره بضم الفاء ، وكذا في نوادر أبي علي ، ووقع في النسخ العتاق من الأمثال  
 لأبي عبيد : فراره ، بكسر الفاء ، وأنشد أبو علي :

\* هو الحبيب عينه فراره \*

(١) ديوانه ٢٣١ ، صدره :

\* أضيماً وهزَّ لهنَّ رُحَى رأسه \*

وفسره فقال : نظرك إليه يُفنيك عن قره لتجبره ، وهما لفتان : فراره وفراره .

قوله : « ترجمانه » المتكلم عنه ، يريد أن صفره لونه مخبرك أنه جائع .  
 قصوى : غاية . بُنية : طلب . وقصارى أمنيته ، أى منتهى ما يتمناه وغايته .  
 بُردة : ثوب ، أى أقصى ما يُطلب ما يأكل وغاية ما يمتنى ما يلبس . آليت :  
 حلفت . أبذل الحرّ : أهين الخلد ، الحرّ : الكثير الروة : ناجتني : حدثني .  
 القرونة : النفس . المونة : ما يستعان به ، أذنتني : أعلمتني . فِراسة الحوباء :  
 فطنة للنفس . الينايع : جمع يَنْبوع ، وهو ما يخرج من الماء وينبع . الحباء :  
 العطاء . أبرّ . راعى وأكرم . توشى : نظرى وظنى . يُقذيهما : يجعل فيها  
 القذى ، والجود : الشح .

وقال بضمهم فى ذم التشكى إلى المخلوق :

لأشكى ضرى إلى النا      من وهم من أعلم  
 إن إلهاماً مسراً بالضر      جواداً ممنعم  
 أشكو الذى يرحمنى      إلى الذى لا يرحم

الكستجى ، قال : أملت حتى لم يبق فى منزلى إلا جارية ، فدخلت دار  
 المتوكل ، فلم أزل متفكراً ، فحضرني بيتان ، فأخذت قصبه ، وكتبت على  
 الحائط الذى كنت إلى جانبه :

الرزق مقسومٌ فأجِلْ فى القلب      يأتى بأسبابٍ ومن غير سبب  
 فاسترزقِ الله فى الله غنى      الله خير لك من أبٍ حذب

فركب المتوكل فى ذلك اليوم ، وجعل يطوف على الحجر ، ومعه الفتح  
 ابن خاقان ، حتى وقف على البيتين ، وقال : مَنْ كتب هذا ؟ وقرأها الفتح له ،

فاستحسهما ، وقال : مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَجْرَةِ ؟ قَقِيل : الْكَسْتَجِيّ ، فَقَالَ :  
أَغْفَلْنَا وَأَسَانَا إِلَيْهِ ، فَأَمْرِي بِيَدْرَتَيْنِ .

وقال محمد بن مخلد الكاتب : لَزِمْتُ أبا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاتِ .  
أَعْدُو وَأَرْوَحُ إِلَى بَابِهِ ، لَا أَحْظِي بِطَائِلٍ ، وَلَا أَصِلُ إِلَى تَصْرِيفٍ وَلَا نَائِلٍ ،  
حَتَّى كَرِهْتُ نَفْسِي ، فَرَأَيْتُ هَاتِفًا فِي الْمَنَامِ يَقُولُ لِي :

بِأَيْهَا الْمِكْتَرُ فِي الْمَطَالِبِ : أَهَجَرْتُ تَصَارِيفَ أُنَى الْكُوَاذِبِ  
إِذَا أُنَى وَقْتُ الْقَضَاءِ الْغَالِبِ بَادَرْتُ الْحَاجَةَ كَفِ الْمَطَالِبِ  
فَكَرَرْتُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَمْضِ لِي أُسْبُوعٌ حَتَّى تَقَلَّدَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْوِزَارَةَ ،  
فَقَلَّدَنِي كِتَابَتَهُ ، فَثَابَتَ حَالِي .

\* \* \*

قال الحارثُ بن همام : فِيمَنْ نَأَى لِي رِاعَةَ عِبَارَتِهَا ، وَمُلَحَّحَ اسْتِعَارَتِهَا ،  
وَقُلْنَا لَهَا : قَدَفْتَنَ كَلَامُكَ ، فَكَيْفَ إِحْلَامُكَ ! فَقَالَتْ : أَفَجَّرَ الصَّخْرَ ،  
وَلَا فَجَّرَ ، فَقُلْنَا : إِنْ جَعَلْتِنَا مِنْ رُؤَاتِكَ ، لَمْ نَبْخَلْ بِمَوَاسِنِكَ ،  
فَقَالَتْ : لِأَرِيَنَكُمْ أَوْلَا شِعَارِي ، ثُمَّ لِأَرُوِيَنَّكُمْ أَشْعَارِي .  
فَأَبْرَزَتْ رُدْنَ دِرْعِ دَرِيْسٍ ، وَبَرَزَتْ بِرِزَّةِ عَجُوزِ دَرْدَيْسٍ ،  
وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ اشْتِكَاءَ الْمَرِيضِ رَيْبَ الزَّمَانِ الْمُتَعَدِّيِ الْبَغِيضِ  
يَأْقُومُ إِنِّي مِنْ أَنَاسٍ غَنُؤًا دَهْرًا وَجَفْنُ الدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضُ  
فَخَارَهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ وَصِيَّتُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِيضُ

كانوا إذا ما نجمةٌ أعوزتُ في السنّةِ الشهباءِ روضاً أريضُ  
 تُشبُّ للسايرين نيرانهم وَيُطعمون الضيف لهما غريضُ  
 ما بات جارٌ لهم ساعياً ولا لرؤعٍ قال: حال الجريضُ

• • •

قوله « همتا » ، أى تحيرنا . البراعة : الفصاحة . عبارتها : سياق كلامها .  
 مُلح استعارتها ، يريد ما استعارته من تسمية الأشخاص بأسماء الأعضاء . إلحامك :  
 نسجك الشعر . يفجر الصخر ، أى يُخرج من الحجر الماء ، ومن البخيل العطاء .  
 مواساتك : صلتك ، وأصلها أن تجعل صاحبك أسوة نفسك . شعارى : ثوبى  
 اللاصق بجسمى ، سُمى شعاراً لأنه يلى شعر الجسد ، والظهار : الثوب الذى يظهر  
 للعيون ، والدثار : الثوب الذى بينهما . رُدُن : كم . درع : قميص . دريس . خلق  
 برزت : ظهرت . دَرْدَيْس : داهية . ريب : جور . غَنُوا : أقاموا . غَضِيض :  
 منكسر . صيتهم : ذكركم الحسن ، وهو من الصوت ، فلما كسرت الصاد أصيرُّ  
 على وزن الذكر ومعناه ، وانقلبت واوه ياء . مستفيض : متحدث به مشهور .  
 نُجْمَةٌ : مرعى . أعوزت : فقدت . الشهباء : التى أجذبت فلا مطر فيها ، ولا  
 عُشب . والرّوض : الموضع الكثير العشب . أريض : متسع . تشب : توقد .  
 للسايرين : للماشين بالليل : غريض : طرى . ساعياً : جائعاً . الرّوع : الفرع .  
 الجريض : الغصن بالريق عند الموت . حال : منع ، أى لا يقول جارهم حال الموت  
 دون الأمن .

• • •

[ أصل المثل : حال الجريض دون القريض ]

ووفد عبيد بن الأبرص على النعمان الأكبر ، وهو ابن الشقيقة وبانى



الخورنق ، فامتدحه فوصله وأكرمه ، وكان له يوم نعيم ويوم بؤس في السنة ، فورد عليه في يوم بؤسه ، فقال له : ما أخرجك ، شكلك أمك ! فقال : حضور أجلي ، وانقطاع أملی ؛ وكان من لقيته يوم بؤسه لم يخلصه من الموت شيء ، فاستنشه :

• أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ • (١)

فقال له : حال الجربض دون التريض ، فعزم عليه أن ينشد ، فأنشده :

أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَيْبِدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

ثم قال له : اختر ، إن شئت أخرجت نفسك من الأكل ، وإن شئت من الأجل ، وإن شئت من الوريد ، فقال عبيد :

خَيْرَتِي بَيْنَ سَحَابَاتٍ عَادَ فِرْدْتُ مِنْ بؤسِكَ شَرِّ الْمَرَادِ

وكان قتل النعمان لمبيد سبب قطعه يوم بؤسه ، فلم يفعله بعد (٢) .

• • •

فغِيضَتْ مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى	بِحَارَ جُودٍ لَمْ نَخْلَهَا تَفِيضَ
وَأودِعَتْ مِنْهُمْ بطونُ الثرى	أَسَدَ التَّحَامِي وَأَسَاةَ المَرِيضِ
فحملى بعد المطايا المطا	وموطنى بعد البقاع الحضيض
وأفرخى ما تأتلى تشتسكي	بؤسآله في كلِّ يومٍ وميض

(١) ديوانه : ١٠ وبقية :

• فَالْقَطَبِيَّاتُ فَالذُّنُوبُ •

(٢) ديوانه ٤٥ ، وبعده هناك :

عَمَّتْ لَهُ مَنِيَّةٌ نَكَدُ وِحَانَ مِنْهَا لَهُ وِرُودُ

إذا دَعَا القَانَتُ فِي لَيْلِهِ      مَوْلَاهُ نَادَوهُ بِدَمْعٍ يَفِيضُ  
 يَارَازِقَ النَّعَابِ فِي عَشِّهِ      وَجَابِرَ العَظْمِ السَّكِيرِ المِهْيُضُ  
 أَيْحَ لَنَا اللّهُمَّ مَنْ عَرَضُهُ      مِنْ دَنَسِ الدَّمِّ نَقِيٌّ رَحِيضُ  
 يَطْفِي نَارَ الجُوعِ عَنَّا وَلَوْ      بِمَذْقَةٍ مِنْ حَازِرٍ أَوْ مَخِيضُ  
 فَهَلْ فَتَى يَكشِفُ مَا نَابَهُمْ      وَيَنْعَمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ المَرِيضُ  
 فَو الَّذِي تَمَنُّو النِّوَاصِي لَهُ      يَوْمَ وَجُوهُ الجَمْعِ سَوْدٌ وَبِيضُ  
 لَوْلَاهُمْ لَمْ تَبْدُ لِي صَفْحَةٌ      وَلَا تَصَدَّيْتُ لِنَظْمِ القَرِيضُ

\* \* \*

قوله : « غِيضت » ، أى أذهبت . والصروف : الطواري تصريفك من  
 حالٍ إلى حال . لم أَخْلَهَا : لم أَحسبها . أودعت : ضمنت . الثرى : التراب .  
 التحامى : الحماية والمنعة ، وتحاميته : تباعدت منه وتمتمت عليه . أساة : أطباء :  
 المطايا : الإبل . المطا : الظهر . محملى : ما أحمل عليه أقالى . تقول : صرتُ  
 أحملُ على ظهري بعد أن كان محملى ظهور الإبل . اليفاع : الارتفاع من الأرض .  
 الحضيض : أسفل الجبل . ما تأتلى : تقصر . بؤساً : ضراً . وميض : لمعان .  
 القانت : العابد ، والقنوت . طول القيام : يفيض : يملأ العين حتى تفيض بالدمع .  
 النعاب : فرخ الغراب ، اختصه من الطير لأنهم يزعمون أنه يخرج من بيضته  
 أبيض الزغب ، فيراه الذكور فيستريب فيضرب أثنائه ، وينقرها حتى تقر طائفة  
 فيطير خلفها ويتركه ، فيقيض الله له ذباباً يطير حول عينيه ، فيفتح منقاره  
 ليشردّها ، فتدخل في حلقة ، فيتفدى بها حتى يسود ريشه ، فحينئذ يرجع إليها  
 أبواه ، فيكملان تربيته . ويارازق النعاب ، من دعاء داود عليه السلام . المبيض :

الذى انكسر بعد الجبر . أتخ : قدر . رحيض : مفسول . مذقة : جُرعة .  
 حازر . لبن حامض شديد الحموضة . والخبيض : اللبن يُمزج بالماء ، ويمزك ،  
 والمخض التعريك ليخرج زبده ، وإذا طال مكث الخبيض واشتدت حموضته  
 سمى حازراً . نابههم : نزل بهم . العريض : الواسع العرض . تعنو : تدل .  
 التواصي : شعر مقدم الرأس . صفحة : ناحية العنق . تصديت : تعرضت .  
 القريض : الشعر .

\*\*\*

قال الراوى : فوالله لقد صدّعت بأبياتها أعشار القلوب ،  
 واستخرجت خبايا الجيوب ، حتى ماحها من دينه الامتياع ، وارتاح  
 لرفدها من لم نخله . يرتاح . فلما افعو عم جيها تبراً ، وأولاهها كل  
 مناً برأ ، تولت يتلوها الأصاغر ، وفوها بالشكر فاغر ، فاشرابت  
 الجماعة بمد مرّها ، إلى سبرها ، لتبلو مواقع برّها . فكفلت لهم  
 باستنباط السرّ الرموز ، ونهضت أفقو أثر المعجوز ، حتى انتهيت  
 إلى سوق مغتصة بالانام ، مختصة بالزحام ، فانغمست في النمار ،  
 واملست من الصبيّة الأعمار ، ثم عاجت بخلو بال ، إلى مسجد  
 خال ، فأماطت الجلباب ، ونفضت النقاب ، وأنا ألمحها من خصاص  
 الباب ، وأرقب ما استبدى من العجّاب .

\*\*\*

قوله : « صدعت » : شقت : أعشار : قَطَع : خبايا : ما خبيء فيها من الدراهم .  
 ماحها : أعطها . دينه : عاداته . الامتياح : طلب المعروف ، يريد مشيخة الشعراء  
 الذين قد مرّ ذكرهم ، وعيش الشعراء إنما هو من الاستجداء والطلب ، ومعلوم  
 أنه من كانت عاداته أن يأخذ لا يعطي في الغالب شيئاً ، ولذلك قال : من لم نَخَلْهُ  
 يرتاح ، أى من لم نحسب أنه يهتزّ للمطاء ، وقد ارتاح ، إذا اهتزّ للكرم  
 والعطاء ولذلك قال حبيب :

لَمْ يَخْلِقِ الرَّحْمَنُ أَحْمَقَ لِحْيَةً      مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو النَّدَى مِنْ سَائِلٍ  
 وَقَالَ آخِرُ :

لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ لِلْفَتَى      وَلِلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ بَخِيلٍ  
 لِعَمْرُكَ مَا شِئْءٌ لَوْجَهَكَ قِيَمَةٌ      فَلَا تَلَقَ مَخْلُوقًا بِوَجْهِ ذَلِيلٍ  
 وَلَا تَسْأَلَنَّ مِنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً      فَلِلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَمُولٍ

وحدث عيسى بن عمر النحوي ، قال : قدمت من سفر ، فدخل عليّ  
 ذو الرّمة الشاعر ، فعرضت عليه أن أعطيّه شيئاً ، فقال : أنا وأنت تأخذ  
 ولا تُعطي .

ومدح أبو الشمقم مروان بن أبي حفصة فقال له : يا أبا الشمقم ، أنت  
 شاعر وأنا شاعر ، وغابتنا جميعاً السؤال .

وكان بشار يعطيه في كل سنة مائتي درهم ، فأتاه مرّة ، فقال : هلمّ الجزية  
 يا أبا معاذ ، فقال : وَيَبْحَكَ ! أجزية هي ؟ قال : هو ما تسمع ، فقال له بشار  
 يمازحه : أنت أفصح مني ؟ قال : لا ، قال : فأعلم ؟ قال : لا ، قال : فأشعر ؟ قال :  
 لا ، قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك ، قال : إن هجوتني هجوتك ،  
 قال أبو الشمقم : أو كذا هو ؟ اسمع :

إني إذا ما شاعرٌ هجائيٌّ أدخلت في إستم أمه علائقيَّة  
 بشار يا بشار . . . . . وأراد أن يقول : يا بن الزانية ، فأمسك بشار بضمه ،  
 وقال : أراد والله أن يشتمني . ثم دفع إليه مائتي درهم ، وقال : لا تسمعن منك  
 هذا الصبيان .

ولقيتُ بسجلماسة شاعرَها وعينها الحاج أمدحتر ، وكان له شعر رائق ،  
 فحدثت عنه أنه قصده يوماً فتي شاعر يستعديه بشعره ، فوقع الحاج تحت شعره :

نحنُ بزاةُ العاسِ لا نصادُ مَنْ كان ذا فهمٍ بنا بصنطادُ

ثم كتب له ، قطعة من شعره ، وقال له : اقصد بها فلانا فإنه يصطك  
 بما يرضيك ، فعمل المقصود بالشعر بنية الحاج ، فوصله بما أَرْضاه .

وعد أبو نواس أبا الطفيل الشاعر وعداً فألح عليه ، فقال :

وأخرسَ ولاجٍ وغادٍ ورائحٍ رجاءَ نوالٍ لو يمانُ مجودٍ

وإني وإياه كعربانَ يصطلي من الطلِّ ناراً غير ذاتٍ وقودٍ

زَوَيْتُ له وجهاً قَطُوباً عن الندى وألبسته من وعده بوعيدٍ

فإن كنت لاعن سوء فعلِكَ مُقلِماً فدونك فاستظهرْ بنعل حديدٍ

فمعدى مَطْلٍ لا يطير غرابُه مطير ولا يدعى له بوليِد

قوله : « افمومع » ، امتلاً ، وافموعلُ بنيت للمبالغة . تبرأ : ذهباً . أولاهها :  
 أعطاهها . البر : الإكرام . فاغر : منفتح . اشراأت : تطلمت ، وتقول :  
 اشراأت الرجل ، إذا مدَّ عنقه لينظر . سبرها : اختبارها . تبكؤ : تختبر ، يريد  
 أن الجماعة أرادت أن تعرف : هل أوقعت إكرامها فيمن يستحقه أم لا . كفلت  
 شممت . استنباط : استخراج . للرموز : الخفي . نهضت : تقدمت للشئ  
 أقفو : أتبع . منتممة : ممتلئة . انتمست : غابت ودخلت . الفهار : كثرة الخلق

وجماعتهم التي تفر الأَرْض ، أي تغطّيها ، وردّه ابن الأنباري وجعله من خطأ  
 العامة ، وقال : إنما تقول العرب دخل في حمار الناس ، بالخاء ، وهو جمعهم ،  
 إذا استتر بهم ، ومنه الحمار لتغطية الرأس ، ومنه الحمر . وقال يعقوب : هو كل  
 ما استتر به الإنسان من شجر أو غيره ، فإن كان من شجر خاصة فهو الضراء ،  
 وحكى بعضهم حماراً ، جملة من غمر الماء الشيء ، إذا غطاه . قوله : أمّلت :  
 انفلتت بسهولة ، والاملاس : أن يسقط الشيء من يدك ولا تشعر به . الأغمار :  
 الجهال . عاجت : مالت . بخلو بال ، أي خالية منفردة . أماطت : أزالت .  
 الجلباب : ثوب أوسع من الحمار يتجلبب به ، أي يلتف فيه ، والجلباب كالمحفة  
 للمرأة ، والرداء للرجل . نصّت : نحتت وجردت : النقب : ما ينفطى به الوجه .  
 المحيا : أنظرها . خصاص : فرج ، يريد به من شقوق الباب .



فلما انسرت أهبة الخفر ، ورأيت محيا أبي زيد قد سقر ،  
 فهمت بأن أجهم عليه ، على ما أجرى إليه ، فاسلنق اسلنقاء  
 للمتردين . ثم رفع عقيرة المتردين ، واندفع ينشد :

يا ليت شعري أدهري	أحاط علماً بقدري
وهل دري كنه غوري	في الخلدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بينه	بجيتي وبكري
وكم برزت بعرف	عليهم وبنكري
أصطاد قوماً بوعظ	وآخرين بشفر
وأستفز بخلي	عقلاً وعقلاً يحتر
وتارة أنا صخر	وتارة أخت صخر

ولو سَأَلْتُ سَبِيلًا      مَأْلُوفَةً طُولَ عَمْرِي  
 نَحَابٌ قَدَحِي وَقَدَحِي      وِدَامٌ عُسْرِي وَخُسْرِي  
 فَقُلْ لِمَنْ لَأَمٌ : هَذَا      عُدْرِي فِدُونِكَ عُدْرِي

• • •

انسرت : زالت ، ويروى : بفصل سرت عن إن ، ومعناه إن أزالته بالهمزة -  
 والمنفصل فعل المجوز ، والمتصل فعل الأهبة ، وهي العُدّة ؛ يريد لما أن أزالته  
 عنها هيئة لباسها التي استترت بها عنا كان الخفر وهو الحياء يمنعها أن تكشف  
 وجهها حتى نعرفها . محيا : وجه . سفر : انكشف . أهجم : آخذه على غفلة .  
 أعنفه : أفصح فعله . اسلنقى : صار على ظهره . المتمردين : الشياطين ومن لا يرحى  
 صلاحه . عقيرة : صوت . المفردين : المطربين بالغناء ، والعقيرة بمعنى معقورة ،  
 أي جارحة مقطوعة . كان رجل قطعت إحدى رجلتيه فرفعها ووضعها على  
 الأخرى ، ورفع صوته قفيل لكل من رفع صوته : قد رفع عقيرته .

قوله : « يا ليت شعري » معناه : ليت درأيتي وفطنتي ، ومعنى الشاعر في  
 كلامهم الفطن العالم ، وسُمي شاعراً ، لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره . وأجاز  
 القراء : ليت شعري أبالك ما صنع ، على معنى : ليتنى أعلم أبالك ما صنع ، وأنشد :  
 ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت يقولها المحزون

ومعناه ليتنى أعلم مسافراً .

وقال آخر :

حَمْرُ الشَّيْبِ بِإِعْتِي تَحْمِيرًا      وَحَدَا بِي إِلَى التَّبُورِ التَّبِيرًا  
 لَيْتَ شَعْرِي إِذَا التَّيَامَةَ قَامَتْ      وَدُعِي بِالحِسَابِ أَيْنَ المَصِيرَا

قال ثعلب : المصير منصوب بشِعْرِى ، أى ليتنى أعلم المصير أين هو ، والبعير منصوب بمحدا ، أى وحدا الشيب للبعير إلى القبور بى . كنه : حقيقة . غورى : آخر أمرى ، وأصل الغور : قعر الحرجة والمنخفض من الأرض . قمرت : غلبت وخدعت . مكرى : خداعى . أستفز : أستخف وأخدع ، واستفزه من كذا : أخرجه منه ، والخلل كناية عن الشر ، والنخر كناية عن الخير ، هذا على مذهب العرب . وكانت النخر أجل ما عندهم ، ويقولون : ما عنده خل ولا نخر ، أى ما عنده شر ولا خير ، وإذا فسدت النخر عندهم صارت خلا ، وقد قال فى ألغازه :

وما شىء إذا فسداً تحوّل غيّه رشداً

يريد أن النخر إذا فسدت ، صارت خلا ، فبعد أن كانت حراما رجعت حلالا ، وزال تأثيرها فى العقول .

صخر : هو ابن الشريد ، وأخته الخنساء ، فأراد أنه مرّة رجل ، ومرّة أخرى امرأة .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة لعنوا فى السماء : رجل خلقه الله ذكراً فتأنث ، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت ، تشبّه بالرجال . والذى يضل الأعمى ، ورجل حصور ؛ ولم يجعل الله حصوراً إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام .

وأما صخر ، فهو ابن عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح<sup>(١)</sup> ، من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان . وكان فى جماله أجل رجل فى العرب ، وسند ذكر لعة من أخبار صخر وأخته الخنساء فى المقامة الأربعين إن شاء الله تعالى .

(١) ابن : « رباح » .

(٩ - شرح مقامات الحريرى - ٢)



سلكت سبيلاً: دخلت طريقاً. مألوفة: مكروبة ملتزمة. قذحي: سهمي.  
 قذحي: ضربني بالزند. عسري: قسري. خسري: ضد رنجي، والخسر:  
 النقص، يريد: لو مشيت على طريقة واحدة أبدا لخسرت وخبث. دونك، أى خذ.

\*\*\*

قال الحارثُ بن همام: فلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِ، وَبَدِيَّةِ  
 إِمْرِهِ، وَتَمَا زَخْرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُدْرِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ  
 الْمُرِيدَ، لَا يَسْمَعُ التَّفْنِيدَ، وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يَرِيدُ. فَتَنَيْتُ إِلَى  
 أَصْحَابِي عِنَانِي، وَأَبْتَنَيْتُهُمْ مَا أَتْبَتَهُ عِيَانِي، فَوَجَّحُوا لَضِيْعَةَ  
 الْجَوَائِزِ، وَتَمَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ الْمَجَازِ.

\*\*\*

جلية: ظاهرة. بديعة: غريبة. إمره: دهائه وعجبه. زخرف: زين.  
 المرید: العارى من الخير إنما هو شر كله. التفتيد: اللوم، وفندت فعله، إذا  
 عبته. تئيت: عطفت، وتقول: جاء ثانياً عنانه، إذا بلغ مراده ولم يجهد نفسه.  
 أبنتهم: أخبرتهم. أثبتته: حققه. عيان: معاينتي. وجَّحوا: غضبوا. الجوائز:  
 العطايا. تماهدوا: تحالفوا. محرمة: منع وحرمان.

## المقامة الرابعة عشرة وهي المكيّة

حكى الحارث بن تمام ، قال : نهضتُ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، لِحَاجَةٍ  
 الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ التَّفْتَّ ، وَاسْتَبَحْتُ الطَّيْبَ  
 وَالرَّفْتَ ، صَادَفَ مُوسِمُ الخَيْفِ ، مَعْمَانُ الصَّيْفِ ، فَاسْتَظْهَرْتُ  
 لِلضَّرُورَةِ ؛ بِمَا يَبْقَى حَرَّ الظَّهْرِ ، فَبَيْنَا أَنَا تَحْتَ طِرَافِ ، مَعَ  
 رُفْقَةِ طِرَافِ ، وَقَدْ حَمَى وَطِيسُ الخُصْبَاءِ ، وَأَعشى الهَجِيرُ عَيْنَ  
 الحِزْبَاءِ ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا شَيْخٌ مُتَسَمِّعٌ ، يَتْلُوهُ فَنَّى مَرَعِ عٌ ،  
 فَسَلَّمَ الشَّيْخُ تَسْلِيمَ أَدِيبِ أَرِيبِ ، وَخَاوَرَ مَحَاوِرَةَ قَرِيبِ لِأَغْرِيبِ ،  
 فَأَعْجَبْنَا بِمَا نَتَرُ مِنْ سَمَطِهِ ؛ وَعَجَبْنَا مِنْ انبَسَاطِهِ قَبْلَ بَسْطِهِ ،  
 وَقُلْنَا لَهُ : مَا أَنْتَ أَوْ كَيْفَ وَاجَبْتَ وَمَا اسْتَأْذَنْتَ !

\*\*\*

نهضت ، أى تقدمت ، وسمي النهوض تقدماً لسرعة الحركة ، وسمي  
 المنصور بغداداً مدينة السلام ، لأن دجلة يقال لها وادى السلام ، ونهر السلام ،  
 وأضاف الحجة إلى الإسلام لأنها أحد أركانها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « بنى الإسلام على خمس » ، والحج أحدها . التفت : ما يلزم الحاج من ترك  
 الطيب وحلاق الشعر . والرفث : الفكاح . استبحت : استطلعت . الموسم :  
 الموضع الذى يجتمع فيه الناس من عيد أو سوق . الخيف : موضع بمكة .  
 معمان : شدة الحر . استظهرت : استهددت ، تقول : قد استظهر لشيء

بكذا إذا استمدّه له ، وقد تقدّم أنّنا للحسن :

\* فدونك فاستظمر بنعل حديد \* \*

بقي : يمنع . الظهيرة : حرّ نصف النهار ، فيقول : بسبب ضرورة الحرّ جعلت على نفسى سِتْرًا يمنع عنى حرّ الشمس . طِراف : قَبّة من جلد . ظراف : جمع ظريف ، وهو التّبيل المهبذب . حمى وطيس الحصباء : اشتدّ حرّ الجنادل لمن وطئها ، وأصل الوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه . أعشى : أعمى . المهجير : حرّ نصف النهار . الحزبايا : دويبة تستقبل الشمس وتدور معها ، وانظرها في المقامة السادسة والثلاثين ، وقال المعرى :

وهجيرة كالمَجْر موجُ سَرايها      كالبحر ليس لمائه من طُحُلبِ (١)  
أوفى بها الحزباء عودى منبر      للظُّهر إلا أنه لم يخطبِ  
فكانه رام الكلام ومسه      عى فأسعده لسانُ الجندُبِ  
وقال أيضاً في نحوه :

وساحرة الأقطار يجنى سرايها      فتصلب حزباء برياً على جذعِ (٢)

قوله : « هجم » أى دخل على غفلة . متسع : هَرِم متقارب الخطو . مترعرع : شاب متزايد ، وترعرع الغلام ، أى أخذ في الزيادة في طوله وخِلاته ، والترعرع : الشباب . أريب : عاقل . حاور : راجع الكلام . نثر من سمطه ، أبدي من كلامه ، وأصل السَّمَط خيط الجوهر . انبساطه : دالته ، وهذا للكلام أصله في البساط ، تقول : بسطته فانبسط ، فلا يكون الانبساط مطاوعاً إلا بعد الشروع في البسط ، يقول : فهذا الشيخ انبسط علينا قبل أن نبسطه ،

(١) سقط الزند ١١٣٢ .

(٢) سقط الزند ١٣٥١ .

أى دلّ علينا قبل أن نجعل له السبيل في ذلك . ومما يستحسن من المنظوم هنا قول ابن كناسة :

فِي انقباض وحشمة فإذا لاقيتُ أهل الوفاء والكرم<sup>(١)</sup>  
أرسلتُ نفسي على سجيّتها فقلت ما قلت غير محتم

قال إسحاق الموصلي : أنشدني ابن كُناسة هذين البيتين ، فقلت له :  
وددت أني سبقتك إليهما وينقص من عمري سنتان .  
ولجت : دخلت .

\* \* \*

فقال : أما أنا فمافٍ ، وطالبُ إسعافٍ ، وسِرُّ ضرّي غير  
خافٍ ، والنظرُ إلى شفيعٍ لي كافٍ ، وأما الانسياب ، الذي علق به  
الارتياب ، فما هو بمُجاب ، إذ ما على الكرماء من حجاب ،  
فسألناه : أنبي اهتدي إلينا ، وم استدلّ علينا ؟ فقال : إن  
لكرام نشرأتهم به نفحاته ، وترشيدٌ إلى روضه فوحاته ، فاستدلتُّ  
بتأرج عزفكم ، على تبلج عرفكم ، وبشرّني تضوُّع رندكم ،  
بحسن المنقلب من عندكم . فاستخبرناه حينئذ عن لبائته ، لتكفل  
بإعانتِه .

° ° °

عاف : طالب معروف . إسعاف : قضاء حاجتي . الشفيع : الطالب العزيز ،

(١) الأغاني ٤ : ٣٦ .

يقول : لست أحتاج إليكم مع ظهور سرّي لشفيح ، لأن نظركم إليّ يعني عن  
 عن الشفيح . كافٍ : معني عن غيره . الانسياب : الدخول بسهولة ، وقد تقدّم  
 أصله في الأولى . الارتياب : الشكّ والإنكار . عجاب : مبالغة في عجب .  
 أتى : كيف . نَشْرًا تَمِّمُ به نَفحاته : طيبا تفوح روائحه وأنفاسه . ترشد :  
 تدلّ وتهدي . فَوْحاته : روائحه العطرة . والعرف : الرائحة الطيبة ، وتأرجحها :  
 تحركها ، وتأرج الطيب : فاح . تبلّج : ظهور . عرفكم : معروفكم ؛ ولاحظ  
 الحريري في هذا قول للأعرجي :

يوم يقول الرسول قد أذنت فأت على غير رقبة فلج<sup>(١)</sup>  
 أقبلت أهوى إلى رحالم أهدي إليها بريحا الأريج

قالوا : ويستدل بالطيب على الملوكية في المواطن التي يكون الناس فيها غير  
 معروفين ؛ فن ذلك الحثام ومعرك الحرب ، ومثل هذا الوطن الذي ذكر  
 الحريري في الحج إذا حلّ ، قالوا : والطيب دليل لا يكذب ونمّام لا يفسد ،  
 وللطيب : غذاء الروح ، والنفحات الذكية : نشاط النفس ، فهو طابّ وطيب ،  
 وقال ابن البوّاب :

إذا أبصرتك العين من بُعد غاية فأوقعتُ شكا فيك أثبتك القلبُ  
 ولو أنّ ركبا يممّوك لقادم نسيّمك حتى يستدلّ بك الركب  
 وقال السري الموصلي :

حُلِيهُ ونساياه وعنبره كلّ ينم عليه أو يراقبه  
 فلست أدري إذا ما سار في أفق شائل الأفق أذكي أم جنابته

(١) الشعر والشعرا ٥٥٨ ، قال : « ويقال : إن الجعفر بن الزبير » .

وقال ابن سكرة :

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عِدَّةٍ      تحت الظلام ولم تحذر من العَسَسِ<sup>(١)</sup>  
تسترت بالدجى عمداً فما استترت      وناب إشراقها ليلاً عن القَبَسِ  
ولو طواها الدجى عني لأظهرها      برق اللثاتِ وعطر النعر والنَّسِ  
وأخذه المعتمد بن عباد فقال :

ثلاثة منعقاً من زيارتها      خوف الوشاة، وخوف الحاسد الخنقِ  
ضوء الجبين ووسواس الخلقِ وما      تحوي معاطفها من عنبر عبقِ  
هب الجبين بفضل الكمِّ تستره      والخلقُ تنزعه ، ما حيلة العرقِ !

\*\*\*

فقال : إن لي مارباً ، وفتاى مطلبنا ، فقلنا : كلاً الأرامينِ  
سيقتضى ، وكلاً كما سوف يرضى ، ولكن الكبر الكبر ، فقلنا :  
أجل ، ومن دحى السبع العُبر ، ثم وثب للمقال ، كالمُنشَطِ من  
العقال ، وأنشد :

إني امرؤٌ أبدعُ بي      بعدَ الوجى والتعبِ  
وشقتي شامةٌ      يقصُرُ عنها خبي  
وما مبي خردلةٌ      مطبوعةٌ من ذهبِ

(١) بنية الدهر ٢ : ٢٣

فحيلتي مُنْسَدَّةٌ وَحَيْرَتِي تَلْعَبُ بِي  
 إِنِ ارْتَحَلْتُ رَاجِلًا خِفْتُ دَوَاعِيَ الْعَطَبِ  
 وَإِنِ تَخَلَّفْتُ عَنِ الرُّفْقَةِ ضَاقَ مَذْهَبِي  
 فَزَفَرْتِي فِي صُعُدِ وَعَبْرَتِي فِي صَبَبِ  
 وَأَنْتُمْ مُنْتَجِعِ الرَّاجِلِ وَرَمَى الطَّلَبِ  
 لَكُمْ مِنْهُ مَهَلَةٌ وَلَا انْهِيَ السُّحْبِ  
 وَجَارِكُمْ فِي حَرَمِ وَوَفَّرَكُمْ فِي حَرَبِ  
 مَا لَازِمُ مُرْتَاعٍ بِكُمْ فَخَافَ نَابَ النُّوبِ

• • •

قوله : « مَارِبًا » ، أى حاجة . المرامين : المطلبين . الكُزْبُ الكُزْبُ ، أى قَدَّمُوا الأَكْبَرُ .

ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : أمرنى جبريل عليه السلام أن أقدم الأَكْبَرُ .

أجل : نعم . دحا : بسط . السبع الغبر : الأرضين . المنشط : المحلول . عقال : قيد البعير ، وعقدته بأشوطة ، أى عقدته عقدة تنحلُّ بجذبة أو يجذبتين ، وقولهم : بئر نشوط ، إذا كان دلوها يخرج بجذبة أو جذبتين ، وتسمى عامتنا عقدة الأنشوطه اللخ . أبداع بي : أى عطيت ناقتى ، يقال : أبداع بالرجل إذ كلت إبله أو عطيت . وفي الحديث : إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : احملنى فأبى أبداع بي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما عندى ما أحملك عليه ولكن اذهب إلى فلان فقل له يحملك » ، فاتاه فحمله

فرجع إليه فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ أَجْرٌ فَاعِلِهِ ». قوله : « الوجى » : وجع الحافر من الحفى . شُقَّتْ شاسعة : سَقَرْتى بهيدة . خَبَبِي : مِشِيَّتِي ، وخبب الفرس خَبَبًا ، وهو ضرب من العذوِ دون الإسراع . الخردل : حبّ معروف فى نهاية الصَّغَر . مطبوعة : مصنوعة . منسدّة : منغلقة . المطب : الهلاك . تخلّفت : تأخرت . مذهبي : طريقى . زفرتى فى صُمُد : نفسى فى ارتفاع . عبرتى فى صَبَب : دمعى فى انحدار . المنتجع : الموضع الخصب الذى يُنتجع للمرعى ، يقول : موضعكم خصب وأنتم كرام فن طلب منكم رزقه وجده . لهاكم : عطاياكم . منهلة : منصبة . لاذ : تسرّ ولجا . مرتاع : خائف . النَّوْب : جمع نائبة على غير قياس ، وهى الداهية ، وجعل لها نابا مجازا وجنس به ، وأصل الناب للسبع .

\* \* \*

ولا استدرّ أملٌ حباكم فما حى  
فانمطفوا فى قصيتى وأحسنوا منقلبي  
فلو بلوتم عيشيتى فى مطعمى ومشرى  
لساءكم ضرى الذى أسلمنى للسكر  
ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي  
وما حوت معرفتى من العلوم النخب  
لما اعترتكم شبهة فى أن دأى أدبى  
فليت أنى لم أكن أرضمت مندى الأدب



## فقد دهاني شؤمه وَعَقْنِي فِيهِ أَبِي

\* \* \*

استدّرّ: طلب الدرّ وهو اللين. آمل: راج. حياءكم: عطاءكم. انمطنوا: ميلا. منقلبي: مرجعي، يقول: عساكم أن تشفقوا عليّ وتميل قلوبكم بالرحمة إليّ حتى يحسن منقلبي من عنديكم. بلوتم: جربتم. أسلني: تركني. الكرب: الموم. خبرتم: اختبرتم. حسبي: شرفي. والحسب آباء أشراف بحسب أو أفعال كريمة. مذهبي: طريقي. خوت: جمعت. النخب المختارة. اعترتكم: قصدتكم. شبهة: شكٌ وحيرة. دهاني: أهلكني وضرتني. شؤمه: نحسة. عقني: قطعني وأساء إليّ بتعليمه، فهو يتطير بأدبه.

### [ حِرْفَةُ الْأَدَب ]

والتطير بالأدب مذهب قديم متداول، وقد أشار إليه ابن قتيبة في صدر أدبه:

وقال عمرو بن شبة: من أعجب العجب ثلاثة مقارنة لثلاثة: الحرفة للأدباء، وتباعد المال عن الظرفاء، وإقبال الدنيا على النواصي. وقيل للحسن البصري رحمه الله: لِمَ صارت الحرفة مقرونة مع العلم، والثروة مقرونة مع الجهل؟ فقال: ليس كما قلتم، ولكن طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم، طلبتم المال وهو قليل في أهل العلم وهم قليل، ولو نظرتم إلى من تحارف من أهل الجهل لوجدتمهم أكثر؛ وقال الحمدوني:

ما زددت من أدبي حرفاً أسرّ به إلاّ تزيّدت حرفاً تحته شومٌ  
كذا المقدم في حنق بصنعتي أني توجه فيها فهو محرومٌ

وقال أبو إسحاق الصّابي .

إذا جمعت بين امرأين صناعةً فأحببت أن تدري الذي هو أحذق  
فلا تتفقد منهما غير ما جرت به لهما الأرزاق حين تفرق  
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ وحيث يكون الفضل فالرزق ضيقٌ

أخذه عبد الملك بن وهبون ، فقال :

يمزّ على العلياء أنيّ خاملٌ وإن أبصرت مني خودَ شهابٍ  
وحيث ترى زند النّجابه وارياً فتمّ ترى زند السّعادة كأيّ

وقال أبو إسحاق الصّابي :

قد كنت أعجب من مالي وكثرته وكيف تغفل عنه حرقة الأدب<sup>(١)</sup>  
حتى اتنت وهي كالفصبي تلاحظني شزراً فلم تبق لي شيئاً من النّشب  
واستيقنت أنها كانت على غلطٍ فاستدركته وأفضت بي إلى الحرب  
الضّب والنون قد يبرّجى اجتماعهما وليس يبرّجى اجتماع المال والأدب

وقال علي بن بسام يرثي عبد الله بن المعتز ، على ما كان بينهما من العداوة :

لله درك من مئت بمضيمة ناهيك في العلم والآداب والحسب<sup>(٢)</sup>  
ما فيه « لو » ولا « ليت » فتقصه وإلما أدركته حرقة الأدب

(١) بقية الدهر ١ : ٢٤

(٢) غار القلوب ١٩٢

وكان ابن المعتز قام على المقندر ، فلما ظفر به أمر فرمى في صهريج فيه ماء في شدة البرد فمات . ومن عجائب الدنيا أن أباه المعتز لما خلع عن الملك أدخل حماماً ، وأغلق عليه فمات من حره .

وكما نفوا أن يجتمع المال والفهم في الغالب ، كذلك نفوا أن يجتمع النجابة في الولد والوالد في الغالب ، قال الشاعر .

إذا أطلع الدهر حُرّاً لبيباً فكُنْ في ابنه سيئ الاعتقادِ  
فلست ترى من نجيب نجيباً وهل تلد النار غير الرمادِ !  
ولما أوجع الفقر والحرمات القاضى عبد الوهاب (١) لأجل أدبه على ما شرطوا في الأدب ، تمي الكفاف ولزوم العلم إلى الممات ، فقال :

يالهف نفسي على شيئين لو جمعا عندى لكنت إذاً من أفضل البشر  
كفاف عيش كفانى ذلّ مسألةٍ وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى  
فلما فتح عليه باب الرزق مات ، على ما يأتي ذكره ، فسبحان من أنفذ حكمه في خلقه كيف شاء !

\* \* \*

فقلنا له : أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك ، وعطبت  
إقتك ، وسنمطيك ما يوصلك إلى بلديك ، فما مأزبة ولدك ؟  
فقال له : قم يا بنى كما قام أموك ، وفه بما في نفسك لا فض  
فوك . فهض نهوض البطل للبراز ، وأصلت لساننا كالمضب  
الجزاز ، وأنشأ يقول :

يا سادة في المعالي لهم مبانٍ مشيدة

(١) هو عبد الوهاب بن نصر بن أحمد الفقيه المالكي ، ذكره في المرقبة العليا ٤٠-٤٣ .

وَمَنْ إِذَا نَابَ خَطْبُ  
 وَمَنْ يَهُونَ عَلَيْهِمْ  
 أُرِيدُ مِنْكُمْ شَوَاءٌ  
 فَإِنْ غَلَا فِرْقَاؤُ  
 أَوْ لَمْ يَكُنْ ذَا وَلَا وَذَا  
 فَإِنْ تَمَذَّنَ طَرًّا  
 فَأَحْضِرُوا مَا نَسَى  
 وَرَوْجُوهُ فَنَفْسِي  
 وَالزَّادُ لَا بَدَّ مِنْهُ  
 وَأَنْتُمْ خَيْرُ رَهْطٍ  
 أَيْدِيكُمْ كُلَّ يَوْمٍ  
 وَرَأْحُكُمْ وَأَعْيَالُ  
 وَبُعَيْتِي فِي مَطَاوِي  
 وَفِي أَجْرٍ وَعُقْبَى  
 وَلِي نَتَائِجُ فِكْرٍ  
 قَامُوا بِدَفْعِ الْمَكِيدَةِ  
 بِذَلِكَ الْكِنُوزِ الْعَتِيدَةِ  
 وَجَزْدَقًا وَعَصِيدَةَ  
 بِهِ تُوَارَى الشَّهِيدَةَ  
 فَشَبَعَةٌ مِنْ تَرِيدَةِ  
 فَمَجْوَةٌ وَتَهْيِيدَةَ  
 وَلَوْ شِطَّى مِنْ قَدِيدَةِ  
 لَمَا يَرْوِجُ مُرِيدَةَ  
 لِرِحْلَةٍ لِي بِعِيدَةِ  
 تُدْعَوْنَ عِنْدَ الشَّدِيدَةِ  
 لَهَا أَيَادٍ جَدِيدَةَ  
 شَمَلِ الصَّلَاتِ الْمَفِيدَةَ  
 مَا تَرَفِدُونَ زَهِيدَةَ  
 تَنْفِيسِ كَرْبِي حَمِيدَةَ  
 يَفْضَحْنَ كُلَّ قَصِيدَةَ

\*\*\*

قوله : « صرحت » : بينت . فإفنتك : ففرك ، وتصريح أبياته بعطب ناقته  
 هو قوله ، « أبداع بي » المتقدم ، وفي معناه : أن أعرابية خرجت إلى الحج ، فلما  
 كانت ببعض الطريق عطبت ناقته ، فرفعت يديها إلى السماء وقالت :

بَارِبٌ أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَيْتِي إِلَى بَيْتِكَ ، فَلَا يَبْقَى وَلَا يَبْتَقَى ! قَوْلُهُ : « نَمَطِيكَ »  
 نَمَطِيكَ مَطِيَّةٌ . مَارَبَةٌ : حَاجَةٌ . فُهُ : تَكَلَّمَ . فَضَّ : كَسِرَ . نَهَضَ : تَقَدَّمَ .  
 أَصَلَّتْ : جَرَّدَ . الْعَضْبُ الْجِرَازُ : السَيْفُ الْقَاطِعُ . مَشِيدَةٌ : مَرْتَفَعَةٌ . نَابَ خَطْبٌ :  
 قَصَدَ أَمْرٌ شَدِيدٌ . وَالْمَسْكِيْدَةُ ، هِيَ السَّكِيْدُ ، وَكُلُّ مَا يَكَادُ بِهِ فَهَوُ مَكِيْدَةٌ .  
 وَقَامُوا بِدَفْعِهَا : اقْتَدَرُوا عَلَيْهَا ، يَقُولُ : إِذَا قَصِدُوا بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَكِيْدُوا بِهِ  
 اقْتَدَرُوا عَلَى دَفْعِ السَّكِيْدِ وَاسْتَفْتَوْا بَيْنَ يَدَيْ ضَرْمٍ . الْعَتِيْدَةُ : الْحَاضِرَةُ  
 الْمَذْخُورَةُ . رُقَاقٌ : خَبْزٌ رَقِيْقٌ . تَوَارَى : تَغَطَّى . الشَّهِيْدَةُ : الشَّاةُ الْمَشْوِيَّةُ ،  
 وَقَلَّمَا يُؤْكَلُ لِحْمُهَا إِلَّا بِالرُّقُوقِ ، وَرَبَّمَا سَمَّوْا الْمَرْيَسَةَ شَهِيْدَةً ، وَأَنْشَدُوا  
 فِي ذَلِكَ :

هَلَمُوا إِلَى مَنْ عُدَّتْ طَوْلَ لَيْلِهَا      بِأَضْيَقِ سَجْنٍ فِي الْجَحِيمِ تَسْعَرُ  
 وَقَدْ جَلَدُوهَا الْحَدَّ وَهِيَ بَرِيَّةٌ      فَسَيَرُوا إِلَى دَفْنِ الشَّهِيْدَةِ تُؤْجَرُوا

وَقِيلَ : الشَّهِيْدَةُ الدُّجَاجَةُ الْمَحْشُوءَةُ ، وَقِيلَ : السَّمَكَةُ الْمَحْشُوءَةُ . طَرًّا : جَمِيعًا .  
 عَجْوَةٌ : نَوْعٌ مِنَ التَّمْرِ الطَّيِّبِ . وَالنَّهِيْدَةُ : الزُّبْدَةُ ، وَالتَّمْرُ بِالزُّبْدِ شَيْءٌ يَلْدُ  
 عِنْدَهُمْ أَكْلَهُ . تَسَى : حَضَرَ . شَطَى : قَطَعَهُ . رَوَّجُوهُ : عَجَّلُوهُ . وَلَا بَدَّ مِنْهُ ،  
 أَيُّ قَدْ وَجِبَ عَلَيْكُمْ فَالْتَزِمُوهُ لِي ، تَقُولُ : لَا بَدَّ مِنْ كَذَا ، مَعْنَاهُ قَدْ أُلْزِمْتُمْ  
 نَفْسِي وَجَمَلْتُهُ وَاجِبًا عَلَيَّ ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : قَدْ أَبَدَّ الرَّجُلُ النُّومَ ، وَأَبَدَّ  
 الرَّمْحَ الْوَحْشَ ، إِذَا أُلْزِمْتَهُ الْخُتْفَ ، قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ :

فَأَبَدَنْ حُتُوْفَهْنَ فَهَارِبٌ      بِذَمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَمِّعٌ<sup>(١)</sup>

قَوْلُهُ : « أَيَادِي » : أَيُّ نَعَمٍ . رَاحِكُمْ : أَسْتَمْكُمْ . وَأَصْلَاتٌ شَمَلُ الصَّلَاتِ :  
 أَيُّ تُؤَلَّفُ وَتُصَلُّ مُتَفَرِّقَ الْعَطَايَا وَالنَّوَائِدِ . بَغِيْتِي : إِرَادَتِي . مَطَاوِي

(١) ديوان الهذليين ١ : ٩ الذمء : بقية الروح : متجمع : لاصق بالأرض قد صرم .

مأترفون . مطاوى الثوب: معاطفه وما يطوى منه. وترفدون: تعطون، وتقدير البيت: بفتى زهيدة أى قليلة فى مطاوى عطاياكم، أى ما طلبتكم قليل فى أثناء ما تهبون. قوله: «وفى أجر»: عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ طَعَامًا وَافَقَ بِهِ شَهْوَتَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ». وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «من أطعم أخاه خبزاً حتى يشبعه وسقاه ماء يرويه أبعده الله من النار سمع خنابق». تنفيس: تفرج وترويح، يقول: عاقبة تفرج هى لمن فرجه محمودة الأجر الذى فيها، والثناء بشعرى عليه، وعلى هذا رتب: «ولى نتائج فكر»: وهى أشعاره الحسان. يفضحن: يشهرن غيوبها، يقول: إذا أنشدت شعرى افتضحت قصائد الشعراء وتنقصت.

\*\*\*

قال الحارث بن همام: فلهما رأينا الشُّبْلَ يُشْبِهُ الأَسَدَ ، أَرْحَلْنَا  
الوالدِ وَزَوْدَنَا الوَلَدَ ، فقابلاً الصنْعَ بشكرٍ نشراً أرديته ، وأدياً به  
ديته . ولما عزمنا على الانطلاق ، وعقدنا للرحلة حُبُكَ النطاق ،  
قلت للشيخ : هل ضاهتْ عِدَّتُنَا عِدَّةَ يعقوب ، أو هل بقيت  
حاجةً فى نفسِ يعقوب ! فقال : حاشَ لله وَكَلَّا ، بلْ جَلَّ معروفكمُ  
وَجَلَّى ، فقلت له : فدنا كما دنناك ، وأفدنا كما أفدناك أينَ الثَّويرة ،  
فقدْ مَلَكتنا الخيرة !

\*\*\*

الشُّبْلُ : ولد الأسد. أرحلناه: أعطيناه راحلة يركبها. الصنع: الفعل الجليل.  
نشراً أرديته : ، استمارة لنشر الشكر. أدياً : أعطياً. ديته : ، حقه، يقول:  
جملاً شكرها حقاً لبرتنا ومكافأة لصلتنا ، وكان المال للوهوب قد استهلكه  
الآخذ له ، فإن شكر عليه فالشكر للواهب هو دية ماله المالك . وإنما أراد

قول النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ نَشَرَ مَعْرُوفًا فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ سَتَرَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

### [ من الأقوال حكيمة في الشكر ]

وفي حديث جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَعْطَى شَيْئًا فوجد فليجبر ، وَمَنْ لَمْ يجد فليُئْتِن به ، فَإِنْ أُنْتِي عليه فقد شكره ، وَإِنْ كَتَمَهُ فقد كفره » .

وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : « مَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ ، فَإِنْ لَمْ يجد أَحَدٌكُمْ فليدْعُ له حتى يعلم أنه قد كافأه » .  
وقالوا : إِذَا قَصَرَتْ يَدَاكَ عَنِ الْمَكَافَأَةِ فَلْيَطِّلْ لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ .

وما أحسن قول حبيب في نشر الشكر وذم ستره .

لنارُ نار الشوق في كبد الفتى	والبين يُوقِدُهُ هَوَى مَسْمُومٍ <sup>(١)</sup>
خيرٌ له من أن يخامر قلبه <sup>(٢)</sup>	وهواه معروف امرئ مكتومٌ
سرق الصنيفة فاستمرَّ مُلْعَنًا <sup>(٣)</sup>	يدعو عليه النَّائل المظالمُ
أَوْ قَنَعُ المعروف وهو كآته	قمرُ الدجى إلهي إِذَا لِلنِّيمِ
مُثْرٍ من المال الذى ملكتنى	أعناقهُ ومن الوفاء عديم <sup>(٤)</sup>
فأروحُ في بُرْدَيْنِ لم يسحبهما	قبل فتى وهما الغنى واللومُ

(١) ديوانه ٣٠٦ ، وفيه : « لنار »

(٢) الديوان : « صدره » .

(٣) الديوان : « بلعنة » .

(٤) مثر : دوماً .

ومن ملح الأعراب ؛ أن أعربياً لصاً أخذه الحجاج ، فضر به سبعمائة سوطه ، وهو يقول عند كل سوط : شكرا يارب ، ف قيل له : والله ما يمنع الحجاج من تركك إلا كثرة شكرك ، أما سمعت الله يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ <sup>(١)</sup> !  
فأنشأ الأعرابي يقول :

\* يارب لا شكر فلا تزديني أسأتُ في شكرك فاعفُ عني \*  
\* باعد ثواب الشاكرين مني \*  
\* \* \*

ومرّ بشار برجل قد رحمته بغلة فسقطه مكسورا ، وهو يقول : الحمد لله والشكر لله ، فقال : استزده يزدك من هذه النعم .  
وسياى نوع آخر من الشعر في الشكر بحول الله تعالى .

\* \* \*

قوله : « حُبُّكَ النِّطَاقُ » : النِّطَاقُ وَلِلنِّطَاقِ : ما يُشَدُّ على وسطك كالخزام .  
والحُبُّكُ : خيموط أو شَرَكٌ يُشَدُّ بها النِّطَاقُ ، وأراد أنهما تحزّما للارتحال ، ويقال :  
حبكت الشيء حَبْكا : شدّدته ، واحتبكت إزارى : شدّدته . والحبوك : المقتول ،  
وحبكته : شدّدت قتله ، والحُبُّكُ : الطرائق في السماء من أثر العَيم ، والحُبُّكُ أيضا :  
العكسير الذي يكون في الرمل والشعر والماء .

ضاهت : شابهت . عدتنا : ما وعدناك به من الرّاحة ، ولا بنك من الزاد .

\* \* \*

[ عرقوب المضروب به المثل ]

عرقوب : رجل <sup>(٢)</sup> من العماليق يضرب به المثل في إخلاف الوعد ، وقصته  
أنه أتاه أخ له يسأله شيئا ، فقال له : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها ، فلما  
أطلعت أتاه فقال له : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت أتاه ، فقال له : دعها حتى  
تصير زهوا <sup>(٣)</sup> ، فلما أزهت قال له : دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت قال له :

(١) - سورة إبراهيم ٧ (٢) - مجمع الأمثال ٢ : ٣١١

(٣) - الزهو : البسر الملون .

(١٠ - شرح مقامات الحريري - ٢)



دَعَمَهَا حَتَّى تَصِيرَ تَمَرًا ، فَلَمَّا أَتَمَرَتْ عَمِدَ إِلَيْهَا عَرْقُوبٌ مِنَ اللَّيْلِ فَجَدَّهَا ،  
وَلَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا .

وقيل : عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ويقول بنو سعد : هو ممتا .  
وقيل : هو من الأوس والخزرج ، قال علقمة :

وَقَدْ وَعَدْتِكِ مَوْعِدًا لَوْ وَفَّتْ بِهِ كَمَا وَعَدَ عَرْقُوبٌ أَخَاهُ بَيْتْرِبَ (١)  
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ (٢)

\* \* \*

وقال عبد الله بن عمر : خَلَفَ الْوَعْدُ ثَلَاثَ الْفَنَاقِ . وَحَاجَةٌ نَفْسٍ يَعْقُوبُ :  
خَشْيَةُ الْعَيْنِ عَلَى بَنِيهِ حِينَ أَمْرِهِمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَدْخُلُوا مِنْ  
بَابٍ وَاحِدٍ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَكَمَالِ الْخُلُقِ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
﴿ مَا كَانَ يُعْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ قَضَاهَا ﴾ (٣) ،  
وَأَرَادَ الْحَرِيرِيُّ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ لَمْ تَقْضِهَا ؟ فَقَالَ : حَاشَ اللَّهُ ، أَى  
مَعَاذَ اللَّهِ .

ابن الأنباري قولهم : حاشي فلانا ، معناه أستثنيه ، وأخرجه من المذكورين  
القرءاء : هو من حاشيت أحاشي ، ويقال : قام القوم حاشي عبد الله  
بالنصب والخفض ، وحاشي لعبد الله ، وحاش وحاشي ، وخفض ما بعدها  
بإضمار اللام لكثرة صحبتها حاشي ، كأنها ظاهرة ، أو تقول : أضيفت حاشي  
إلى عبد الله ، لأنه أشبه الاسم لما يأت معه فاعل .

كلاً : معناها الزجر ، أى ليس الأمر كما تظن . جُلَّ : عَظُمَ ، وَهُوَ مِنْ

(٢) ديوانه ٨ .

(١) ديوانه ١٣٣ .

(٣) سورة يوسف ٦٨ .

الجلل ، والجليل هو العظيم ويـكون في غير هذا الـسير وهو من الأضداد .  
جلى : سبق معروفكم كل معروف ، والمجلى من الخليل : السابق .

دنا : جازنا . أين الدويرة ؟ سأله أين تسكن من البلاد . ملكتنا :  
غلبتنا ، يقول : قد التبس علينا أمرك وتخبّرنا فيه .

\* \* \*

فَتَنَفَسَ تَنَفَسًا مِّنْ أَدَاكِرِ أَوْطَانِهِ ، وَأَنشَدَ وَالشَّهِيقُ  
يُلْعِمُ لِسَانَهُ :

سَرُوجِ دَارِي وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا  
وَقَدْ أَنَاخَ الْأَعَادِي بِهَا وَأَخْنَوْا عَلَيْهَا  
فَوَالَّتِي سِرْتُ أَبِي حَطَّ الذَّنُوبِ لَدَيْهَا  
مَارَاقَ طَرَفِي شَيْءٌ مِّدْ غَبْتُ عَنْ طَرَفِهَا

ثم غرّورقت عيناه بالدموع ، وأذنت مداميه بالهموع ،  
فكره أن يستوكيفها ، ولم يملك أن يكفكفها ، فقطع إنشاده  
المستحلى ، وأوجز في الوداع وولى .

\* \* \*

تنفس : ردّد النفس إلى الجوف بصوتٍ ورفعهُ إلى صدره ، والتنفّس :  
خذّ الشهيق ، وهو ردّ النفس إلى الجوف بصوت . يلثم : يولى ويعتل ، ويقال :  
سأله عن كذا فإلثم ، أى ما توقّف ولا تلبّث ولا أبطأ ، فإذا ذكرت للغريب  
بلدّه وهو على بعد منه تنفّس وتلثم . أناخ : أقام ونزل . أخنوا : أفسدوا

وأثروا على خرابها . والتي يبنى حطّ الذنوب إليها هي مكة . حطّ: إلقاء وإزالة .  
لديها : عندها ، أى إذا حجّ ودعا الله حطّ ذنوبه عنه .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .  
راق : أعجب . طرفيها : جهتيها . اغرورقت : امتلأت . أذنت : أعلت .  
المموع : السيلان . يستوكفها : يستدرّها ويمجرها . يكفكفها : يردّها .  
المستعلى : المستعذب . أوجز : اختصر .

\* \* \*

[ من أقوالهم فى الحنين إلى الأوطان ]

ومما ينتظم بهذا الموضوع من ذكر الأوطان والتشوق إليها قول رفاعة بن  
عاصم الفهسي ، وأنشدها البكري لامرأة من طيبي :

ألم تعلمي يادارَ بَدَجَاءِ أني إذا أخصبت أو كان جدبا جنابها<sup>(١)</sup>  
أحبّ بلاد الله ما بين منعجٍ إلى وسلى أن يصوب سجاها  
بلادٌ بها نيطت علىّ تمانى وأول أرض مسّ جلدى تراها

قال على بن عبد الكريم النصيبيني : أتاني ابن الرومي بقصيدته التي يمدح  
فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وقال لي : أنصفني وقل الحق : أيما أحسن ،  
قولي في الوطن :

ولى وطنٌ آليت ألا أبيعَه وألا أرى غيري له الدهر مالكا<sup>(٢)</sup>  
عهدت به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قومٍ أصبحوا في ضلالكا  
وحبب أوطان الرجال إليهم مآربُ قضاها الشباب هنالك  
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

(١) زهر الآداب ٦٨٢ ، اللالي ٢٧٢ ، السكامل ٢ : ٢٨٠ .

(٢) ديوان المعاني ١٨٩ زهر الآداب ٦٨٢ .

أوقول الأعرابي: أحب بلاد الله... الأبيات، قلت: بل قولك لأنه  
ذكر الوطن ومحبته، وأنت ذكرت حب الوطن والملة في ذلك.

وقال ابن الرومي يتشوق إلى بغداد:

بلدٌ صعبت به الشبيبة والصبا ولبستُ ثوب العيش وهو جديد<sup>(١)</sup>  
فإذا تمثل في الضمير رأيتُه وعليه أغصان الشباب تميد

أخذه من قول أعرابي يتشوق إلى بلده:

ذكرتُ بلادى فاستهلتُ مدايمي بشوق إلى عهد الصبا المتقادم  
حنفتُ إلى ربيع به اخضر شاربي وقطعتُ عني قبل عقد التمام

وقال إسحاق الموصلي:

أتبكي على بغدادٍ وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازددت عنها غداً بعداً  
لعمرك ما فارتتُ بغداد عن قلبي لو أنا وجدنا من فراق لها بدءاً  
كفى حزناً أن رحمت لم أستطع لها وداعاً ولم أحدث لساكنها عهداً  
وأنشدني شيخنا أبو بكر السلامي، وكان يزعم أنهما الأخي الحريري،  
وقد أحسن قائلهما كائناً من كان:

طيب الهواء ببغدادٍ يورقي شوقاً إليها وإن عاقت مقاديرُ  
فكيف أصبر عنها اليوم إذ جمعتُ طيب الهواءين: ممدود ومقصورُ

(١) ديوان الماتى ٢: ١٨٩، وزهر الآداب ٦٨٣.

## المقامة الخامسة عشرة وهي الفرضية

أخبر الحارث بن همام قال: أرقت ذات ليلة حالكة الجباب ،  
هامية الرباب ، ولا أرق صب طرد عن الباب ، ومني بصد  
الأجباب ، فلم تزل الأفكار يهجن همي ، ويجلن في الوسوس  
وهمي ، حتى تمنيت لمضض ماء انبت ، أن أرزق سميراً من  
الفضلاء ، ليقتصر طول ليلتي الليلاء ، فما انقضت منيتي ، ولا  
أغضت مقلتي ، حتى قرع الباب قارع ، له صوت خاشع ، فقلت  
في نفسي : لعل غرس التمني قد أنمر ، وليل الحظ قد أقر ،  
فهنئت إليه عجلان ، وقلت من الطارق الآن ! فقال : غريب  
أجنه الليل ، وغشيه السيل ، ويتنني الإيواء لاغير ، وإذا أسحر  
قدم السير .

\* \* \*

أرقت : سهرت ولم أنم ، وفي حديث زيد بن ثابت : شكوت إلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أرقاً أصابني ، فقال : « قل اللهم غارت النجوم ، وهدأت  
العيون ، وأنت حي قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حي يا قيوم ، أهدني  
ليلي ، وأنم عيني » . فقلتها فأذهب الله عني ما كنت أجده .

حالكه الجباب : سوداء الثوب . هامية الرباب : سائلة السحاب ؛ يريد

أن الليلة مظلمة ممطرة . صبّ : عاشق . طرّد : نفي . مُني : ابتلى . صدّ : هجر .  
الأفكار : أحاديث النفس . يهجن . يُحزّن . ويجلن : يصرفن ، والوساوس  
الفكر المقلقة . ونهي : بالي وخاطري ، وقال ابن شهيد في نحو هذه الليلة :

ولربّ ليلٍ للهموم تسدّلتُ      أستاره فمحا الضياء بستوره<sup>(١)</sup>  
كالبحر يضرب موجّه في موجّه<sup>(٢)</sup>      صببٌ قلبي العُبار وجهه عبوره  
طاولته من عزمتي بتصير<sup>(٣)</sup>      أثبتتُ همّي في قرارة كوره  
وبراحة من همّي ذو كرتة<sup>(٤)</sup>      عمدتُ تذاكرني بطبع ذكيره  
فردّ إذا انبعثت دياجي جُنجه      هولاً على خبطت في ديجوره  
حتى بدا عبد العزيز لناظري      أملئ ، فزقتُ الدجى عن نوره<sup>(٥)</sup>

وليلة الحريري ضدّ ليلة ابن رشيقي في قوله :

ومن حسنات الدهر عندي ليلة      من العمر لم تترك لأيامنا ذنباً<sup>(٦)</sup>  
خلونا بها نفي القدي عن عيوننا      بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكبنا  
وملنا تقبيل الحدود ولثمها      كميل جياع الطير تلتقط الحبا<sup>(٧)</sup>

قوله : « تمنيت » . ابن الأنباري : في معناه قدّرت وأحببت أن يصير إليّ ،  
وهو من المنى وهو القدر ، يقال : منى الله لك ما تحبه بمنية منياً ، أي قدره لك .  
لمضض ، أي الحرقرة . عاينت : شاهدت ، ويروى « عانيت » أي قاسيت . سميراً :

(١) ديوانه ١١٧ ، يمدح عبد العزيز بن المؤمن .

(٢) الديوان : « وجهه في وجهه » .

(٣) الديوان : « بمضمر » .

(٤) الديوان : « ذو ذكره » .

(٥) ط : « فزقت الرجا » ، والصواب من ب والديوان .

(٦) معجم الأدياء ٣ : ٧٢ ، والتنف ٨ .

(٧) التنف : « كمثل جنوح » .

صاحباً يُسمر معه . يقصر : يردّها قصيرةً بأنسه وحديثه . الليلاء : الشديدة الطويلة السواد ، ولابن الزقاق في مثل هذا السمير :

ربّ ليلٍ أتخفّت فيه بأنسي من سمير زفّ الحديث عروساً<sup>(١)</sup>  
فاجتينا مما يحدث زهراً واغتبنا من خلقه خندريسا  
وانثنى الليل بفضل الصبح حسناً والدرارى بفضلن فيه الشموسا  
ولئن كان لم يحل عن دجاه فله عاد فحمة آبنوسا

قوله : « أغمضت مقلتي » ، نامت عيني . قرع : ضرب . خاشع : ابن . أتمر : طلع ثمره . الحظ : البخت . أقر : صار فيه قر ، يقول : لعلّ بختي قد زال نحسه وأقبل سمده ، إذ وجدت ما تمنيت . نهضت : تقدمت . الطارق : الآتي بالليل . أجنه : ستره . غشيه : غطاه . الإبواء مصدر آويت الرجل ، إذا أنزلته على نفسك وضممته ، وتقول : أويته وآويت بمعنى واحد . أسحر : دخل في وقت السحر ، يريد أنه لا يطلب غير الميت وينصرف في السحر .

\* \* \*

قال : فلما دلّ شعاعه على شمسه ، ونمّ عنوانه بسير طرسه ، وعلمت أن مسامرتة غنم ، ومساهرته أعم ، ففتحت الباب بابتسام ، وقلت ادخلوها بسلام ، فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته ، وبلال القطر بردته ، فحياً بلسان غضب ، وبيان عذب ، ثم شكر على تلبية صوته ، واعتذر من الطروق في غير وقته ، فدانيته المصباح المتقد ، وتأمّلته تأمل للمتقد ، فألفيته شيخنا أبو زيد بلا

رَيْبٍ؛ وَلَا رَجْمٍ غَيْبٍ، فَأَخْلَلْتَهُ حَمْلًا مِّنْ أَظْفَرِنِي بِقُضْوَى الطَّلَبِ  
وَتَقَلْنِي مِّنْ وَقْدِ الْكُرْبِ، إِلَى رُوحِ الطَّرَبِ. ثُمَّ أَخَذَ يَشْكُو الْأَيْنَ  
وَأَخَذَتْ فِي كَيْفِ وَأَيْنَ، فَقَالَ: أَبْلَعْنِي رَيْقِي، فَقَدْ أَتَعْبَنِي طَرِيقِي،  
فَطَنَنْتَهُ مُسْتَبْطِنًا لِلسَّغْبِ، مَتَكَاسِلًا لِهَذَا السَّبَبِ، فَأَحْضَرْتَهُ مَا يُخَضِّرُ  
لِلضَيْفِ الْمَفَاجِي، فِي اللَّيْلِ الدَّاجِي.

\* \* \*

الشعاع : ما يدولك من الشمس إذا ظهرت كالخيال . نمّ : أفضى السرّ:  
والطّرس : الكتاب . العنوان : ما يكتب على ظهره ، يريد أن كلام الطارق  
دلّ على مراده . والمسامرة ، هي المساهرة . غُثم : غنيمة . نَعَم : نعمة . بسلام ،  
أى بسلامة وأمن . قوله : « صَعَدْتَهُ » ، الصَّعْدَةُ : الرمح الطويل ، وكنى به  
عن القامة . برُدته : ثوبه . عَضَب : قاطع . تلبية : قولى له : لَبَّيْكَ . الطروق :  
الجميء بالليل . دانيتّه : قربت منه . تأمّلتّه : نظرتّه . المنتقد : المحرب للدرهم ،  
أى نظرتّه بعين المباحثة ، أفقيته : وجدته . ريب : شك . رجم الغيب : رمى  
الظن . أَظْفَرَنِي : مَدَّ كُنْيِي . قُضْوَى : غاية ، وهى مؤنث الأقصى أى الأبعد .  
وَقْدِ الْكُرْبِ . حرقة الهموم : روح الطرب : راحة السرور . الأين : التعب  
كيف : سؤال عن حال . وأين : سؤال عن مكان ، أى سألتّه كيف حالك ،  
ومن أين جئت . أَبْلَعْنِي رَيْقِي ، أى لا تكثّر علىّ السؤال فيمجلى جوابك  
عن بلع رَيْقِي . السَّغْبِ : الجوع ، وقد سَغَبَ وسَغِبَ جاع . الدَّاجِي : المظلم .

\* \* \*

فَاتَقَبَضَ انْقِبَاضَ الْمُحْتَشِمِ، وَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْبَشِمِ، فَسَوَّتْ



ظَنَّا بامتناعه ، وأحفظني حُمُولُ طباعه ، حتى كدتُ أُغْلِظُ لَهُ في الكلامِ ، وألسمهُ بِحُمَّةِ اللامِ ، فتبيّن من لمحات ناظري ، ما خامرَ خاطري ، فقال : يا ضعيفَ الثِّقَةِ ، بأهلِ المِقَّةِ ، عَدُّ مَا أخطرتَهُ بِأَلَاكَ ، واستمعْ إلىَّ لا أبالكِ افقلت : هاتِ ، يا أختَ التُّرَّهاتِ ، فقال : اعلمِ أني بتُّ البارحةَ حايِفَ إفلاسِ ، ونجِّيَّ وَسَواسِ ، فلما قضى الليلُ نَحْبَهُ ، وَغَوَّرَ الصُّبْحُ شُهْبَهُ ، غَدَوْتُ وقتَ الإِشراقِ ، إلى بعضِ الأسواقِ ؛ مُتَّصِدًا يَأْ لِيصِيدُ يَسْنَعُ ، أَوْ حَرًّا يَسْمَعُ ، فلحظتُ بها تمرًا قد حَسَنَ تَصْفِيْفَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ مَصِيْفَهُ ، فجمعَ عَلَى التَّحْقِيقِ ، صفاءَ الرَّجِيْقِ ، وقنوءَ العَقِيقِ ، وقُبالاته لِبَأْ قَدْ بَرَزَ كالإِبْرِيْزِ الأَصْفَرِ ، واجلَى في اللَوْنِ المِزْعَفَرِ ، فهو يُثْنِي على طاهيه ، باسانِ تَنَاهِيهِ ، ويصوِّبُ رَأْيَ مُشْتَرِيهِ ، ولو نقدَ حَبَّةَ القَلْبِ فيه .

\* \* \*

المحتشم : المستحى هنا . أعرض : نحى وجهه ، وتحقيقه : ولى عرضه ، أى . جانبه . البِشْمُ : الكسِيلُ من الشَّبَعِ وقد بِشِمَ بِشْمًا : مرض من كثرة الأكل . سَوْتُ ظَنًّا : ساء ظننى ، وظنًّا للنصوب على التمييز فاعل في الدنيا ، من باب تنفعا شحما . أحفظنى : أغضبنى . حُمُولُ طباعه : تغيّر أخلاقه . حُمَّةُ اللامِ : سَمُ العتاب . ألسمه : أقرصه باسانى ، ولسمته العقرب : ضربته بإبرتها .

لمحات ناظري ، أى خطرات عيني . خامر خاطري . خالط فكري . المِقَّةُ : الحب . عَدُّ ، أى اصرفه عن نفسك . التُّرَّهاتِ : العجائب ، وأيضاً الأباطيل ،

وأصلها الطرق الصفار المتشعبة عن الطريق الأعظم . حليف إفلاس : ملازم فقر .  
نجي : محدث . ولما كانت الوسوس تشغل بال الإنسان وتجمله يتحدث وحده  
جعل نفسه محدثاً لها . قضى نجبه : تمّ وانقضى ، وقضى الرجل نجبه : مات .  
والنخب : النذر . وغور : غيب . شبهه : نجومه . والإشراق : ارتفاع الشمس  
وصفاؤها . الأسواق : جمع سوق ، وسميت سوقاً ، لأن الأشياء تساق إليها ،  
وتساق منها ، ولأن سوق الناس تكثر فيها . والشوق : جمع ساق ، والسوق  
بالتفتح : مصدر سقت ، وبالضم الاسم . متصدياً : متعزّضاً .

يسنح : يعرض من جهة اليمين ويزاد بياناً عند ذكر السائح والبارح .  
يسمح : يجود . لحظت : نظرت ، ولحظي : أضيق عيني ، أي أبصرت بضيق عيني .  
تصنيفه ، أي جعله صفاً واحداً ، ووصفت الشيء : جعلته صفاً واحداً مضموماً .  
المصيف : زمن الصيف . الرحيق : الخمر . قنوء : حمرة . العقيق : خرز أحمر .  
عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
«تختموا بنحواتيم العقيق فإنه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك» والآبأ : أول .  
مايجلب من اللبن وهو لم ينضج . برز : ظهر . الإبريز : الذهب الخالص .  
المزعفر : المصبوغ بالزعفران .

ويروى : «المصفر» ، وهو المصبوغ بالمصفر . وطاهيه : طابحة : تنماهيه .  
غايته وكاله ، يقول : هذا الآبأ بحسن صنمته وجودة طابحه كأنه يثنى للمشتري على  
طابحه وإن لم يكن له لسان ، فكاله في الحسن وجودته في الصنعة قام له مقام  
اللسان ، ويستى هذا الكلام بلسان الحال قال الشاعر :

ولسان نعمتك التي قلدتني بالشكر أبلغ من لسان بياني

وقال المنبي :

تُنشدُ أوثابنا مدائِحَهُ      بألسن ما لمنَ أفواه<sup>(١)</sup>  
 إذا مررنا على الأصمِّ بها      أغنته عن مسميه عَيْنَاهُ<sup>(٢)</sup>  
 أخذه من قول نصيب :

فماجوا فأننوا بالذي أنت أهله      ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقائب<sup>(٣)</sup>  
 وقال أبو العتاهية :

أيا عجباً كيف يعصي الإله أم كيف يحجده الجاحدُ !  
 وفي كلِّ شيء له آية تدلُّ على أنه واحدُ  
 والله في كلِّ تسكينةٍ وتحريكةٍ في الوري شاهدُ

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سل الأرض : مَنْ غرس أشجارك ،  
 وشقَّ أنهارك ، وجنّى ثمارك ؟ فإن لم تجبك حواراً ، أجابتك اعتباراً .

(١) ديوانه ٤ : ٢٦٥ وفي شرحه : « قال أبو الفتح : يخجل عليهم ثيابا تنشد مدائحهم فيه ، بألسن ما لمن أفواه تقعم لبدتها ، والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها ، فقد اجتمع فيها الحسن والقصة . قال العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ، ولم يرد الكثير فيه ، وكت أربأ بأبي الفتح عن مثل هذا القول ؛ ألم يسمع بقول نصيب :

فماجوا فأننوا بالذي أنت أهله      ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقائب

ولم يكن للحقائب قفصة ، وإنما أراد أنهم يرونها متلثة ، وكذلك أراد المنبي بألسن خامة وأوثابه ، فراها الناس عياناً ، فعملون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه ، وأشدت مدائحهم بالسنة لاتتحرك في أفواه ، لأنها لاتنطق في الحقيقة ، وإنما يستدل بها على جوده ؛ فكأنها أخبرت وطلقت .

(٢) الأصم : الذي لا يسمع ، والمسمعان : الأذنان .

(٣) البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وقوله هناك :

أقولُ لركبِ صَادِرِينَ لِقِيَّتِهِمْ      قفَا ذاتِ أوْشالٍ ومولَاكَ قاربُ  
 قفوا خبرونا عن سليمان إنني      لمعرفه من أهل ودان طالبُ

ومنه سؤال العرب للمنازل الخالية والديار الدارسة ، وقال شاعرهم :  
وأجهشتُ للتوباد حين رأيتُهُ      وكَبَّرَ للرحمن حين رَأَيْتُ (١)  
وأذريت دمع العين لما رأيتُهُ      ونادى بأعلى صوته فدعاني  
فقلت له أين الذين عهدتهم      حواليك في أمن وخصب زمان !  
فقال مضوا واستودعوني ديارهم      ومن ذا الذي يبقى على الحدّان! (٢)

التوباد (٢) : جبل بنى عامر ، وجوابه لهذا الشاعر بالمعنى ، فجعله لفظياً مجازاً ،  
وهذه الحالة الدالة التي سماها الجاحظ في أقسام البيان النُّصْبَة ، قال الجاحظ :  
جميع أصناف الدلالة على المعاني من لفظ أو غيره خمسة لا تنقص ولا تزيد ،  
أولها اللفظ ثم الإشارة ، ثم المقد ، ثم الخط ، ثم النُّصْبَة ، والمقد : أخذ العدد في  
الأصابع (٣) .

قوله : « نقد » أى أعطى نقداً ، وهو المال الحاضر . حبة القلب : سواده .

\* \* \*

فأسرنتى الشهوة بأشطانها ، وأسلمتني العيمة إلى سلطانها ،  
فبقيتُ أحيَر من صبِّ ، وأذهل من صبِّ ، لا وُجِدَ يُوصِلُنِي  
إِلَى نَيْلِ المُرَادِ ، وَلَذَّةِ الإِزْدِرَادِ ، وَلَا قَدَمَ يُطَاوِعُنِي عَلَى الذَّهَابِ ،  
مَعَ حُرْقَةِ الأَتِهَابِ ، لَكِن حَدَانِي القَرَمُ وَسَوْرَتُهُ ، وَالسَّغَبُ  
وَفُورَتُهُ ، عَلَى أَنْ أَنْتَجِعَ كُلَّ أَرْضِ ، وَأَقْتَنِعَ مِنَ الوِرْدِ بِبَرَضِ ،  
فَلَمْ أَزَلْ سَحَابَةَ ذَلِكَ النِّهَارِ ، أَذِلِّي دَلْوِي إِلَى الأَنْهَارِ ، وَهِيَ لَا تَرْجِعُ

(١) ياقوت ١ : ٢٢٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ط : الترباذ ، صواب في ا ، ب وياقوت . (٣) البيان والتبيين ١ : ٧٦

بِئْسَلَةٌ ، وَلَا تَجْلِبُ تَقَعُ غُصَّةً ، إِلَى أَنْ صَفَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ،  
وَصَفَّتِ النَّفْسُ مِنَ اللُّغُوبِ ، فَرُحْتُ بِكَبِدِ حَرَى ،  
وَأَنْثَيْتُ أَقْدَمُ رَجُلًا وَأَوْخَرُ أُخْرَى .

\* \* \*

أسرتى : ربطتني كالأسير . أسطانتها : حبأها . أسلمتني : تركتني . العنيفة :  
شهوة اللبث . وسلطانها : قدرتها وغلبتها ، يريد أن الشهوة إلى اللبث أقهرته حتى  
تركته مستسلماً لا يملك نفسه .

[ الضب وبعض طباعه ]

الضبّ : يشبه الجرذون ، وهو حِرْذُون الصَّحراء وإذا فارق جحره لم يهتد  
إليه فيتخيّر . فيجعل خجراً عند جحره واقفاً ليهتدى به ، فإذا أزاله الصائد  
تخيّر ، فجاء فأخذه ، وربما قتله بذلك الحجر ، قال الشاعر :

وإن الضب ذو دهي ومكرٍ      كما اليربوع والذئب اللعين<sup>(١)</sup>  
يرى مرداته من رأس ميلٍ      ويأمنُ سيلَ بارقة هتون<sup>(٢)</sup>  
ويُدخل عقرباً تحت الذنابي      رواغ الفهد من أسدٍ كمين

جعل الذئب لعيناً ، لأنّ مَنْ رآه صاح عليه . ومرداته : حجّره ، والمقرب  
يمدّه الضبّ للصائد إن أدخل يده في جحره ، وأخذ بذنبه ، لسمته المقرب ،  
وربما أكل المقارب وترك منها واحداً في باب جحره للصائد ، قال الشاعر :  
وأخدع من ضبٍ إذا جاء حارش      أعدله عند الذنابة عقرباً<sup>(٣)</sup>

والضبّ ، يوصف بالضلال وقالوا في بيت المتنبي :

لقد لعبَ البينُ المشتّ بها وبى      وزودني في السير مازوداً لضباً<sup>(٤)</sup>

(١) الحيوان ٦ : ٤٥ . (٢) المرداة : الصخرة التي يرمى بها .

(٣) الحيوان ٦ : ٥٣ ، الكامل ١ : ٢٧١ ، (استه) : الميداني ١ : ١٣٩ .

(٤) ديوانه ١ : ٦٠ .

أراد أنه زودني المضلال عن وطني ، الذي خرجت منه ، فما أوفق للعود  
إليه ، والاجتماع مع الحبيب .

وقال الواحدى يقول : جعل البين زادى زاد الضب ، والضب لا يتزود  
فى المفازة ، ومعناه : فارقت الحبيب من غير وداع ولا التقاء يكون لى زادا  
على البعد . ويقال أيضا : أخدع من ضب ، وذلك أنه يطعم الصائد فى  
نفسه ، فإذا حنق عليه خدع فى جحره ، ومنه أخذ معنى الخداع .

ويقال فيه : إنه أعق من ضب ، وذلك أنه يأكل أولاده ، ويكنى أبا الحسل  
ويسمى ولده الحسل . وأمثال العرب به كثيرة . ويزعمون أنه كان حكا فى الدواب  
فى الزمان ، الذى كانت فيه الحيوان تتكلم . وعنه يروون : فى بيته يؤتى  
الحكم ، يعنى نفسه . وفيه خواص ليست فى الحيوان ، تزعم العرب أنه لا يشرب  
الماء ، وإذا أخذ العطش صعد ربوة واستقبل الريح ، وأنه طويل العمر .  
ويقولون : إنه أحيامن ضب ، يريدون أن حياته لا تكاد تنقضى ، وأنه لا يستط  
له سن ، وأنه أطول الدواب دما ، وإذا ذبح يبقى زمانا ، وحينئذ يموت ، وأن  
له ذكرين ولأثناه فرجين .

\* \* \*

« أذهل من صب » : أى أشغل قلبا من عاشق ، ووساوس المشق أفضت  
ببعض العشاق إلى الجنون . ووجد : غنى ، وقد وجدت وجدا ، أى كثر مالى  
والازدرداد : كثرة الأكل ، وزردت للطعام وازدردته إذا ابتلته ،  
الانتهاب : اشتعال نار الجوع . حدانى : ساقى . القرم : شهوة اللحم ، وأراد  
به شهوة الأكل . سوزته : شدته . وفورة السب : غليان الجوع . أنتجع :  
أمشى فى طلب ما آكل . والورد : الحظ من الماء . والبرض : قليل الماء .  
سحابة ذلك النهار ، أى طوال ذلك النهار ، كما تقول : بياض يومى ، أى يومى  
كله ، أى لم يزل طول يومه يستجدى فلم يُمط شيئا . تقع غلة : إرواء عطش  
صفت : مالت . اللغوب : النشل . حرى : ماتمة . اثنتيت : رجعت .

## [ مقامة البديع الجماعية ]

أطال أبو محمد هذه المقامة حتى كادت تنقل على السامع ، وللبديع فيما يتعلق بمعناها مقامة بتراء فلوزيد في البديعية وقصر في الحريرية لاعتدلتنا .  
وها أنا أذكر البديعية هنا بجملتها ؛ لرشاقتهما وخففتها .

قال عيسى بن هشام : كنتُ <sup>(١)</sup> ببغداد عام الحجاة ، فدفعت إلى جماعة قد نظمهم <sup>(٢)</sup> سلك الأبريا ، وكلهم يطلب شيئاً ، وفيهم ذولنغ <sup>(٣)</sup> في لسانه وقلج في أسنانه <sup>(٤)</sup> ، فقال : ما خطبك ؟ فقلت : حالات لا يُفليح صاحبهما ، فقير كدّة الجوع ، وغريب ليس يمكنه الرجوع ، فقال <sup>(٥)</sup> ، أي الثلمتين تريد <sup>(٦)</sup> سدها؟ فقلت : الجوع ياسيدنى ، وقد بلغ منى <sup>(٧)</sup> مبلغه ، فقال : ماتقول في رغيف ، على خوان <sup>(٨)</sup> نظيف ، وتقل قطيف <sup>(٩)</sup> ، على لون لطيف <sup>(١٠)</sup> ، وخردل حرّيف <sup>(١١)</sup> ، إلى شواء صفيف <sup>(١٢)</sup> ، يقربه إليك من لا يماطلك <sup>(١٣)</sup> بوعده ، ولا يعذبك بصدّ . [ ثم يعلّك بعد ذلك بأقداح ذهبية ، من راح عنبئية ] <sup>(١٤)</sup> ، أذاك أحب إليك أم أوساط محشوة وأكواب مملوءة ، وأنتقال <sup>(١٥)</sup> معدّدة ، وفرش

- (١) . مقامات البديع ص ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) المقامات : « ضمهم » .  
(٣) اللاتع والثقة : أن يبدل بعض الحروف ببعض .  
(٤) الفلج : تباعد ما بين الأسنان .  
(٥) المقامات : « فقال الغلام » .  
(٦) المقامات : « تقدم سرها » . والثلمة : أصل الشق في الحائط ونحوه .  
(٧) المقامات : « مبلغا »  
(٨) الخوان : المائدة .  
(٩) المقامات : « وبقل » ، والقطيف : المقطوف .  
(١٠) المقامات : « إلى خل ثقيب » وأصل اللون : الدقل . وهو نوع من النخل .  
(١١) الجردل : حب شجر معروف . والحرريف : الذى له لذعة في اللسان .  
(١٢) الشواء : اللحم المشوى (١٣) المقامات : « من لا يماطلك » .  
(١٤) من المقامات . (١٥) الأنتقال : جمع نقل ، وهو ما ينقل من الحر .

منضدة، [وأنوار مجودة<sup>(١)</sup>] ومُطربٌ مُجيدٌ، له من الفزال عينٌ وجيدٌ، فإن لم ترد هذا ولا ذلك، فما تقول في لحم طيرى<sup>(٢)</sup>، وسمكٍ بحريٍّ، وباذنجانٍ مقلّى، وراحٍ نقيٍّ، وتفتحٍ جنّيٍّ، ومضطجعٍ وطىٍّ، على حذاءٍ نهرٍ جارٍ، وبركةٍ ذاتٍ ثرثارٍ .

قلت: أنا عبد الثلاثة، فقال: وأنا خادمها لو حضرت<sup>(٣)</sup>، قلت من أىّ الحجرات<sup>(٤)</sup> أنت؟ فقال:

من ربة الإسكندرية<sup>(٥)</sup> من نبعته فيهم زكية  
سَخَفَ الزَّمانُ وأهلهُ فركبتُ من سَخْفِ مَطِيَّةِ

\* \* \*

وبينا أنا أسمى وأقعد، وأهبطُ وأركد؛ إذ قابلني شيخٌ يتأوهُ آهةَ التَّكلانِ، وعيناهُ تهملانِ، فما شغلني ما أنا فيه من داءِ الذَّيبِ، والخلوى المذيَّبِ، عن تماطى مداخلته، والطَّمعِ في مخاتلته، فقلت له: يا هذا، إن لبسكائك سِرًّا، ووراءَ تمرُّك لشراً، فأطلِّعني على بُرحائك، واتخذني من نصحاءك، فإنك ستجد منى طبِّباً آسيكاً، أو عوناً مواسيكاً، فقال: والله ما تأوَّهِي من عيشٍ فاتٍ، ولا من دهرٍ افتاتٍ، بل لا تقراضِ العلمِ ودرُوسِهِ، وأقولِ أقمارِهِ وشموسِهِ، فقلت: وأىّ حادثةٍ نجمتَ، وقضيةٍ استعجمتَ

(١) من مقامات الهمذاني .

(٢) المقامات : « طرى »

(٣) المقامات : « لو كانت » (٤) المقامات : « الخرابات »

(٥) المقامات : « أنا من ذوى الإسكندرية »

( ١١ - شرح مقامات الحريري ٢ )



حَتَّى هَاجَتْ لَكَ الْأَسْفُ ، عَلَى فَقْدِ مَنْ سَلَفَ . فَأَبْرَزَ رَقْعَةً مِنْ  
كَلِمَةٍ ، وَأَقْسَمَ بِأَيِّهِ وَأُمِّهِ ، لَقَدْ أَنْزَلَهَا بِأَعْلَامِ الْمَدَارِسِ ؛ فَمَا امْتَازُوا  
عَنِ الْأَعْلَامِ الدَّوَارِسِ ، وَاسْتَنْطَقَ لَهَا أَحْبَارَ الْمُحَابِرِ ، فَخَرَسُوا وَلَا  
خَرَسَ سَكَّانَ الْمَقَابِرِ ، فَقَلْتُ : أَرَيْنَهَا فَلِدَلِّي أُغْنِي فِيهَا ، فَقَالَ :  
مَا أَبَدْتُ فِي الْمَرَامِ ؛ فَرَبَّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ . ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا ، فَإِذَا  
الْمَكْتُوبُ فِيهَا :

\* \* \*

قوله : « أسمى » ، أى أمشى مسرعاً . أهب وأركد : أتحرك وأسكن ،  
أراد أجرى وأقف ، وأصل الهبوب والركود للريح . يتأوه : يتوجع ويقول :  
آه ، وهو قول الحزين . آهة الثكلان : توجع الناقد لأحبابه . هملان :  
تسيلان ، وداء الذئب : هو الجوع ، والذئب أصبر السباع على الجوع وأعفها ،  
وإذا افترس شاة أكل منها شمعة وترك سائرها ولم يرجع إليها ، وعافه إن  
أُرِوَحَ<sup>(١)</sup> . الخوَى : خلوة الجوف من الطعام . المذيب : المذهب اللحم والقوى .  
التعاطى : تناول ما لا تحب . ومداخلته : معرفة سره . مخاتلته : مخادعته .  
تحرقك : توجعك . والبرحاء : الأشدة والمشقة . طبًا : حاذقًا . آسيا : طبيبًا .  
مواسيًا : معينًا ، والمواساة تكون بالنفس أو بالمال ، ويشاكل كلامه  
قول الشاعر :

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة      يواسيك أو يسليك أو يتوجع

افتات : ظلم وجاوز الحد . انقراض : انقطاع . دروسه : محوه . أفول :

(١) أروح : أصبحت له رائحة .

مَغِيبٌ ، وَكَتَبَ بِالْأَقَارِ وَالشَّمُوسِ عَنْ مَشَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ ، وَبِأَفْوَاهِهِمْ عَنْ هَلَاكِهِمْ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «مَوْتُ الْعَالَمِ مَصِيبَةٌ لَا تَجْبَرُ ، وَتُؤَلِّمَةُ لَا تَسُدُّ ، وَنَجْمٌ طَمَسَ ، وَمَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالَمٍ .» حَدِيثٌ نَازِلَةٌ وَأَمْرٌ حَدَّثَ . نَجَمَتْ : ظَهَرَتْ . قَضِيَّةٌ : قِصَّةٌ . اسْتَمَجَمَتْ : أَشْكَتْ . هَاجَتْ : حَرَكَتْ . الْأَسْفُ : الْحَزَنُ . سَلَفٌ : مَاتَ . وَذَهَبٌ . أَعْلَامٌ : مَشَاهِيرٌ ، وَأَصْلُهَا الْجِبَالُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَجَاهِيلِ الْأَرْضِ . الْمَدَارِسُ : جَمْعُ مَدْرَسَةٍ ، وَهِيَ الْحَاضِرُ الَّتِي يَدْرُسُ فِيهَا الْعِلْمُ . امْتَاذُوا : افْتَرَقُوا . وَالْأَعْلَامُ الدَّوَارِسُ : الْجِبَالُ الْمُقَرَّةُ الْخَالِيَةُ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْعِمْرَانِ . اسْتَنْطَقَ : اسْتَخْبَرَ ، وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَنْطَقُوا وَيَجِيبُوا عَنْهَا . أَحْبَابٌ : عُلَمَاءٌ . خَرَسُوا : سَكَتُوا . أَغْنَى : أَقْرَبَ وَأَنْفَعَ . الْمَرَامُ : الطَّلَبُ .

\* \* \*

[ أصل المثل : رُبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ]

رَبَّةٌ رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ <sup>(١)</sup> ، أَيْ قَدْ يَصِيبُ الْفَرَسُ مَنْ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالرَّمَايَةِ ، وَهُوَ مَثَلٌ ، قَالَه حَكِيمُ بْنُ عَبْدِ يَعُوْثِ الْمَنْقَرِيُّ ، وَكَانَ حَكِيمٌ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ ، فَأَقْسَمَ يَوْمًا لِيَعْتَرَنَ <sup>(٢)</sup> وَلَا بَدَّ ، فَنَخَرَجَ وَمَعَهُ قَوْسُهُ فَرَمَى وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَبَاتَ لَيْلَهُ بِأَسْوَأِ أَحْوَالٍ ، وَفَعَلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِقَوْمِهِ : مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ ، فَإِنِّي قَاتِلُ الْيَوْمِ نَفْسِي إِنْ لَمْ أُعْقِرِ الْيَوْمَ مَهَاةً ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبَتِ احْمَلْنِي مَعَكَ ، أُرْفِدْكَ ، فَقَالَ : وَمَا أَحْمَلُ مِنْ رَعِيشٍ ، هَلْ ، جَبَانَ فِشَلٌ ، فَاطْلُقْنَا إِنْ أَمَّا بِنَهْمَةٍ فَرَمَاهَا فَأَخْطَأَهَا ، ثُمَّ مَرَّتْ بِهِ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ مَطْمَعٌ : يَا أَبَتِ نَاوَلْنِي الْقَوْسَ ، فَضَبَّ أَبُوهُ وَهَمَّ أَنْ يَمْلُؤَهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ مَطْمَعٌ : أَحْمَدُ بِحَمْدِكَ ، فَإِنْ

(١) الفأخر ١٤٣ ، مجمع الأمثال ١ : ٢٩٩ .

(٢) الفأخر : « ليدجن » .

سهى سهمك ، فناوله القوس ، فرمى مطعم فلم يخطيء ، فقال عند ذلك حكيم : رب رمية من غير رام ، وقال :

رماها مطعم من غير علم      بمس القوس لم يخطيء صلاحاً  
وكان أبوه قد آلى عليها      فلم تبرر أليته مراً

\* \* \*

أيها العالم الفقيه الذي فا      قى ذكاه فما له من شبيه  
أفتنا في قضية حاد عنها      كل قاضٍ وحار كل فقيه  
رجل مات عن أخ مسلم حر      تقي من أمه وأبيه  
وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص      بلا تمويه  
فحوت فرضها وحاز أخوها      ما تبقى بالإرث دون أخيه  
فاشرفنا بالجواب عما سألنا      فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ، ولحت سرها ، قلت له : على الحبير  
سقطت ، وعند ابن بجدتها حطت ، إلا أني مضطرم الأحياء ،  
مضطرم إلى العشاء ؛ فأكرم مشواي ، ثم استمع فتواي ؛ فقال :  
لقد أنصفت في الاشتراط ؛ وتجاويت عن الاشتراط ؛ فصر معي  
إلى مربعي لنظفر بما تبغى ، وتقلب كما ينبغي . قال : فصاحبته  
إلى ذراه ، كما حكى الله . فأدخلني بيتاً أخرج من التابوت ، وأوهن  
من نيت المنكبوت ، إلا أنه جبر ضيق ربه ، بتوسعة ذرعه ،  
فحكمتني في القري ، ومطاب ما يشتري ؛ فقلت : أريد

أَزْهَى رَاكِبٍ عَلَى أَشْهَى مَرْكُوبٍ ، وَأَقْعَ صَاحِبٍ مَعَ  
أَضْرَ مَضْحُوبٍ .

\* \* \*

قوله : « فاق » ، أى فضل . ذكاء : حدة ذهن . حاد : مال .

قوله : « رجل مات عن أخ . . . » ، البيت .

فائدة ذكر الأخ ، إثبات النسب ، لأن الأجنبي لا يرث ، وفائدة ذكر  
المسلم أن أهل دينين لا يتوارثان ، وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر ،  
وأما التقى ، فما لقيت من أسيافنا من تبه عليه ، حتى حدثني به الفقيه  
أبو العباس اللبيني ، عرف بالحضار ، فقال فائدة لطيفة ، وهى التحرز من قاتل  
العقد ، لأنه لا يرث وليه ، فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ،  
ومع هذا لم يرث أخاه .

والخبير : العالم . تمويه : شك وكذب . حوت : حازت . الإرث : لغة فى  
الورث ، وهو بالهمز بدل من الواو . لمحت : أى نظرت ، واللحمة نظرة غير  
متمكئة . ابن بجدتها : عالم سرها ، ويقال : بجد فى المسكن إذا أقام به ، والقيم  
بالموضع عالم به . وقيل : أصله من قولهم : فلان من أهل التجد ، أى من أهل  
البادية ، وهم العلماء باللسان على ما وضع . حططت : نزلت ، والخبير : عالم  
الخبير ، وهذه أمثال للعالم بحقيقة الشيء . مضطرم : متقد . متواى : منزلى ،  
وأكرمت متواى الضيف ، إذا أحسنت نزلته ووطأت له . فتواى : ما أفتيك به .  
الاشتراط والشرط بمعنى . تجافيت : تباعدت . الاشتطاط : مجاوزة الحد .  
مربعى : منزلى . تنظفر : تفوز ، وأصله من الظفر ، كأنه إذا ظفر بشيء أنشب  
أظفاره فيه . تنقلب : ترجع . ذراه : منزله ، وكل ما كان من حائط وشبهه  
ذرى . أخرج : أضيق . أوهن : أضعف . جبر : أصلح . توسعة ذرعه :

سعة خلقه واحتماله . الفَرَى : طعام الضَّيف . مطايب : جمع طيب ، على غير قياس . أزهى : أعجب ، والزَّهو الكِبَر ، وكانوا يصفون التمرة على اللبأ عند بيعة ، فيريد بالراكب التمر وبالمرکوب اللبأ ؛ لأنهم يشقون التمرة ويفترقون بنصفها من القَدَح الذي فيه اللبأ . ويريد : بأنفع صاحب التمر ، وبأضرّ مصحوب اللبأ ، وهذا يوافق قول الأعرابي :

ألا ليت لي خبزاً<sup>(١)</sup> من التمر واللبأ وخيلاً من البرني فوسانها الزبد  
فأطلب فيما بينهنّ إشهادة بموت كريم لا يعده له لحد  
والبرني من أفضل التمر ، وقال محار الكلبى :

أكلت الضباب فاعفتها وإني لأهوى قديد النعم  
وركبت زبدًا على تمرّة فنع الطعام ونعم الأدم

والعرب تقول : على التمرة مثلها زبدًا ؛ وقيل في تفسيره بالعكس ، لأن الأطباء يقولون : إن التمر مضرّ سريع المغن ، يولد السدّاد ، ويقولون أيضا : إنه حارّ رطب ملين للبطن يولد المنى ، فيقابل ضرره نفعه ، وكفى لنا أنه قوتٌ يُكتفى معه بأدنى الطعام ، وفيه قوة زائدة ، وبالجملة فاللفظ مشكل ، وما وجدت من يحقّقه .

ويستملح من كلام الحريريّ أنه أراد بالراكب وبأنفع صاحب التمر ، لأنه قدّمه في التفسير حين قال : لملك تعنى ابنة نخيلة ، مع لبأ سخيلة ، وليس في الآيات المتقدمة شاهد على اللبأ ، لأن حكم الزبد للزوجة ، وتعلقه بالتمرّة غير حكم اللبأ ، فبالحرى يقرن اللبأ بالتمر إذا شقت ، وجمله أضرّ مصحوب لأنه لبن لم ينضج ، والنار تقطع بعض ضرره .

(١) ط : « خيرا » تصحيف ، صوابه من ا ، ب .

(٢) السداد : داء يسد الأنف ، ويمنع نسيم الريح .

وقال الفنجدي: "أزهى راكب التمر، أى أحسن منظراً وأكثر حمرة، وأشهى مركوب اللبأ، وجعل التمر راكباً واللبأ مركوباً، لأن التمر يُجْتَنَى من رموس النخل، فهو كالراكب، ولأن اللبأ يضع تمرات فوق اللبأ والرائب، ليزيد رغبة المشتري فيه. وجعل التمر أنفع صاحب، لا كقضاء العرب به عن جميع الطعومات، حتى يبقى أحدهم دهرًا لا يأكل إلا التمر، ولا يضره ذلك، وجعل اللبأ أضرّ مصحوب، لأنه يولد الصفراء."

وقالت عائشة رضی الله تعالى عنها: إنا كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم نمكث شهرًا لانستوقد نارًا؛ إن هو إلا الأسودان: الماء والتمر.

وقال صلى الله عليه وسلم: «بيت لا تمر فيه جياع أهله».

والعرب تستحسن أكل الزبد مع التمر، قال سفیان الثوري: ما رأيت أحسن من زبدة على إزادة.

وقال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر: أى اللقمة أطيب؟ قال: تمضوضة عليها مثلها زبدًا، والإزاد نوع من التمر، والتمضوض تمر أسود.

وقالوا: ما أكلنا تمرًا أحد من التمضوض، أى أشد حلاوة، وتأوه زائدة.

\*\*\*

فأنكر مائة طويلة، ثم قال: لعلك تمنى بذت نخيلة، مع إياها نخيلة، فقلت: إياها عنيت، ولأجلهما تمنيت، فهض نشيطًا، ثم ربض مُسْتَشِيطًا، وقال: اعلم أصلحك الله، أن الصدق نباهة، والكذب عاهة؛ فلا يحملتك الجوع الذى هو شعار الأنبياء، وحلية الأولياء

على أن تلحق بمن مانَ ، وتخلقَ بأخلقِ الذي يجانب الإيمان ،  
فقد تجوع الحرّة ولا تأكل بشديهما ، وتأبى الدنيّة ولو اضطرت  
إليها . ثم إنى لست لك بزبون ، ولا أغضي على صفقة مغبون ، وهأنا  
قد أنذرتك قبل أن ينهتك السّترُ ، وينعقد فيما بيننا الوترُ ، فلا تُبلغ  
تدبيرَ الإندار ، وحذارٍ من المكاذبة حذار .

\* \* \*

قوله : «سخيلة» ، السّخيلة : ولد الشاة ذكراً كان أو أنثى . تمنيت : تعبت .  
وقال أعرابي : أنا أشهى ثريدة دكّناء من الفلفل ، زقطاء من الحمص ،  
ذات جناحين من اللحم ، لها جناحان من الفواق ، فأضرب فيها كما يضرب وليّ  
السوء في مال اليتيم .

وقال رجل لأعرابي : ما يسرنى لو بت ضيفاً لك ، قال : لو بت ضيفاً لي  
أصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة .

قيل لأشعب : ما تقول في ثريدة مغمورة بالسمن ، مشقفة باللحم ؟ قال :  
فأضرب كم ؟ قالوا : تأكلها من غير ضرب . قال : هذا ما لا يكون ، ولكن  
لم أضرب أو أتقدم على بصيرة ؟

وقيل لمزبد - وقد أكل طعاماً كظاه<sup>(١)</sup> : قته ، فقال : وما فيه ! خبز نقي ،  
ولحم جدى طرى ، امرأته طالق لو وجدت قيتاً لأكلته .

قوله : «نهض» ، تقدّم للمشى . نشيطاً : أى خفيفاً ، وهى من الأنشوطه .  
ربض : نزل . مستشيطاً : شديد الغضب . نباهة : رفعة . عاهة : آفة وعيب .

(١) ط : « فكه » ، وما أثبتته من العقد ، والخبر فيه : قيل لزيد المديني ، وقد أكل  
طعاماً كظه : قى ، قال : أقى خبزاً نقياً ، ولحم جدى ! امرأته طالق ، لو وجدت قيتاً لأكلته .

شعار : علامة ، وشعار المؤمنين في الحرب « لا إله إلا الله » ، أى علامتهم ،  
والأنبياء عليهم السلام منزّهون عن شهوات الطعام .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نور الحكمة الجوع  
والتباعد من الله الشُّبُع ، والقُرْبَةُ إليه حبّ المساكين والدنوّ منهم . لا تشبعوا  
فتطفثوا نور الحكمة من قلوبكم ، ومنّ بات يصلى في خِفة من الطعام ،  
بات حور العين حوله حتى يصبح » .

أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت :  
ما أحوجك إلى الجلوس ؟ قال : الجوع ، فبكيت ، فقال : لا تبك ، فإن شدة  
القيام لا تصيب الجائع إذا ما احتسب .

قوله : « حلية » : صفة يتحلّون بها . وتتخلّق : تتطّيع . بجانب : يباعد .  
وأشار لقوله صلى الله عليه وسلم ، قيل : أيبكون المؤمن كذاباً ؟ قال : لا .

عمر رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ صريح الإيمان  
عبدٌ حتى يدع المزاح والكذب والمراء ، وإن كان محقاً » .

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : اتقوا الكذب ، فإن الكذب  
بجانب الإيمان .

\*\*\*

[ أصل المثل : تجوع الحرّة ولا تأكل نديها ]

قوله : « تجوع الحرّة ولا تأكل نديها » ، أى لا ترضع<sup>(١)</sup> لبنها بالأجرة ، ثم  
تأكلها ، وهو مثل يضرب للذى لا يمنعه من صيافته شدة فقره ، وهذا المثل  
للحارث بن سليل الأسدي ، وكان خطب إلى علقمة بن خصفة الطائيّ - وكان  
شيخاً - فقال علقمة لامرأته : اختبرى ما عند ابنتك<sup>(٢)</sup> ، فقالت : أى بنتية ، أى الرجال

(١) جهرة الأمثال ١ : ٢٦١

(٢) اسمها الزباء ، كما في الجهرة والميداني .



أحبُّ إليك؟ الكهل الجحجاح الواصل المتيح ، أم الفتى الوضاح ، الذهول الطمّاح؟  
 قالت : بل الفتى ، قالت : إن الفتى يُفريك ، وإن الشيخ يعيرك ، قالت : يا أمّاه إن  
 الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، يا أمّاه أخشى من الشيخ أن يدنّس ثيابي  
 ويبيّل شبابي ، ويُسَمِّتَ بي أترابي . فلم تزل أمّها بها حتى غلبتها على رأيها .  
 فتزوّجها الحارث ، ثم ارتحل بها إلى أهله ، وإنه لجالس ذات يوم بفناء مُقبته ،  
 وهي إلى جانبه إذ أقبل شباب من بنى أسد يمتلجون ، فتنفست الصعداء ثم  
 بكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفرّوخ ،  
 من كل حوقل فنيخ ؟ فقال : نكلك أمك ! تجوع الحرّة ولا تأكل بشديها ،  
 ثم قال : وأبيك لرُبّ غارة شهديها ، وسبّية أردقها ، وخمرة شربها ، فالحق  
 بأهلك ، فلا حاجة لي فيك .

قولها : « الجحجاح » : السيد السمح . والمتيح : الكثير المعروف ، ويُعيرك  
 يتزوّج عليك ، ويُعيرك : يميزك ، ويمتلجون : يتصارعون . والحوقل : اللين ،  
 والفنيخ : الضعيف الرّخو . وقول العامة : لا تأكل ثديها ، أى لا تأكل لحم الثدي  
 خطأ لا وجه له ، ويجوز على حذف مضاف تقديره أجرّ ثديها أو ثمنها ، أو  
 يكون على الحجاز ، كأنها إذا أكلت أجرهما فقد أكلتهما ، ونحوه قول الشاعر :

إذا صبّ ما في القعب فاعلم بأنّه دم الشّيوخ فاشرب من دم الشّيوخ أودعاً

يريد رجلاً أخذاً إبلاً في دية أبيه ، فيقول له : إذا شربت لبنها فسكّانك  
 تشرب دم أبيك .

قوله : « وتأبى الدّية ولو اضطرت إليها » : أى تتمتع من إتيان الفعل  
 الدنى ، ولو أُلجئت إليه . والزّبون : الذى يغلب فى المعاملات ، فعول بمعنى  
 مفعول ، لأنه بزىن أى يدفع عن استكمال حقه .

أغضى : أسدل جفني، أى لا أسكت لك على الخداع. أذرتك : نبهتك .  
 ينهتك : ينقطع . الوتر : العداوة ، وقيل : الفرد ، فيكون معنى : « ينمقد بيننا  
 الوتر » ، أى يرتبط . وترى بوترك ، أى شخصى بشخصك فى هذه المعاملة ،  
 أوعد المضاربة معك إن خدعتنى . تلغ : تترك . الإنذار : التحذير . حدّار ،  
 أى احذر وخف .

\* \* \*

قلْتُ : وَالَّذِي حَرَّمَ أَكْلَ الرِّبَا ، وَأَحَلَ أَكْلَ اللَّبَا ،  
 مَا فَهَتْ بُزور ، وَلَا دَلَّيْتُكَ بِغُرُورٍ ، وَمَسْتَخْبِرُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ،  
 وَتَحَمَّدُ بَدَلَ اللَّبَا وَالتَّمْرِ . فهِشَّ هَشَاشَةَ المَصْدُوقِ ، وَانْطَلَقَ  
 مُنْغِدًا إِلَى السُّوقِ ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ أَقْبَلَ بِهِمَا يَدْلُجُ ،  
 وَوَجْهَهُ مِنَ التَّمَبِّ يَكْمَلُحُ ، فَوَضَعَهُمَا لَدَيَّْ ، وَضَعَ المَمْتَنُّ عَلَى ،  
 وَقَالَ : اضْرِبِ الجَيْشَ بِالْجَيْشِ ، تَحْظَ بِإِدَّةِ العَيْشِ . فَحَسَرَتْ  
 عَنْ سَاعِدِ النَّهْمِ ، وَحَمَاتُ حَمَلَةِ الفَيْلِ المَلْتَمِمْ ، وَهُوَ يَلْحَظُنِي  
 كَمَا يَلْحَظُ الحَنْقِ ، وَيُوذُّ مِنَ العَيْظِ لَوْ اخْتَنَقَ ، حَتَّى إِذَا  
 هَلَقَمْتُ النُّوعَيْنِ ، وَغَادَرْتُهُمَا أَمْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، أَفْرَدْتُ حَيْرَةً فِي  
 إِظْلَالِ النَّبِيَّاتِ ، وَفِكْرَةٍ فِي جَوَابِ الْأَيَّاتِ ، فَأَلْبَثَ أَنْ قَامَ ،  
 وَأَحْضَرَ الدَّرَاةَ وَالْأَقْلَامَ ، وَقَالَ : قَدْ مَلَأَتِ الجُرَابَ ، فَأَمْلِ  
 الجُوبَ ، وَإِلَّا فَتَهَيَّأْ إِنْ نَزَكْتِ ، لِاعْتِرَافِ مَا أَكَلْتِ ،

فَقُلْتُ لَهُ : مَا عِنْدِي إِلَّا التَّحْقِيقُ ، فَكَتَبَ الْجَوَابَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ .

\* \* \*

الربا : البيع الفاسد .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل درهماً من ربا ، فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية<sup>(١)</sup> ، ومن نبت لحمه من الشححت فالنار أولى به » .

فُهِتْ : نطقت . زور : باطل . دَلَيْتِكَ : بفرور : ، يريد أنه لم يمرر به بل صدّقه . سننخبج : ستجرب . هس : اهتز . المصدوق : الذى أخبر بالصدق . مَفْذًا : مسرعاً ، وقد أَعْدَّ إِغْذَاذًا ، إذا أسرع . يدخ : يتناقل فى المشى ، ودلجت الدّابة بالحلل دُوحًا ، والسحاب بالماء . نهضت به ثقيلًا . يكلح : يعيش . الماتن : المتفضل . اضرب الجيشَ بالجيشِ ، أى اخلطهما عند أكلك لهما . تحظ : تسعد . حسرت عن ساعد ، أى شمرت عن ذراع . الزّهم : الكثير الشهوة والحرص على الأكل . الملتهم : المبتلع لما وجد . يلعظني : ينظرني بطرف عينه . الحنق : الغتاظ . وحنق حنقًا : اشتدّ غيظه . هلقمت : ابتلعت بسرعة . غادرتهما : تركتهما . أشرأ بعد عين ، أى بعد أن كان الطعام مريثًا ابتلعه فلم يبق غير أثره الإناء .

\* \* \*

(١) ساقط من ط .

## [ مشاهير أهل الزرد ]

ويليق بهذا الموضع أن نذكر فيه مشاهير من مغربات الزرد<sup>(١)</sup> ، قال الشاعر في أكل :

فتضرب خمس كفك في ثريدٍ      يلقم<sup>(٢)</sup> منك منكش الذهب  
 كأن دويبه في الخلق لما      يهيم صوت رعد أو سحاب  
 وقال آخر :

إذا غرد العصفور طار فؤاده      وليث حديد الناب عند الثرائد<sup>(٣)</sup>  
 وقال آخر :

لم تر عيني آكلًا مشمله<sup>(٤)</sup>      يضرب باليسرى معاً واليمين  
 تلعب بالقصمة أطرافه      لعب أخى الشطرنج بالشاهين

فن مشاهير أهل الزرد هلال بن أسمر<sup>(٥)</sup> المازني ، وهو من شعراء الدولة الأموية ، ذكر الأصبهاني أنه كان عظيم الخلق شديداً قوياً .

(١) الزرد : سرعة ابتلاع الطعام .

(٢) ب : « يأكل »

(٣) الثرائد : جمع ثريدة ، وهي ما يهشم من الخبز ويبل بقاء القدر

(٤) ب : « غيره » .

(٥) ط : « أسعد » تحريف ، صوابه من ا ، ب ؛ وهلال هذا ترجمة في الأغاني

٣ : ٥٢ - ٧٥ - ؛ قال أبو الفرج : « شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وأظنه قد

أهرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً ، عظيم الخلق أكلوا معدوداً في الأكلة » .

قال أبو عمرو بن العلاء : لم أكن أراه حياً ، بل رأيت ميتاً ، فما رأيت على سرير أطول منه .

قول هلال : جمعتُ مرّةً ، ومعى بعير لي ، فنحرتَه فأكلته إلا ما جعلته منه على ظهري ، ثم أردت جماع امرأتى ، فلم أقدر ، فقالت : كيف تصلُ إلىَّ وبيننا بعير<sup>(١)</sup> !

وحدث شيخ من بنى مازن ، قال : أتاني هلال ، فأكل جميع ما في بيتنا ، فبعثنا إلى الجيران نستقرض الخبز منهم ، فلما رأى اختلافنا ، قال : كأنكم أرسلتم إلى الجيران : «عندكم سويق<sup>(٢)</sup> ؟ فأتيته بجراب طويل فيه سويق وبرّنية<sup>(٣)</sup> فيها نبيذ ، فصبّ السويق كله ، وصب النبيذ ، وازدرد الكل<sup>(٤)</sup> .

ومر على رجل من بنى مازن بالبصرة ، ومعه زورق رطب<sup>(٥)</sup> ، قد ساقها من بُستانه ، فجلس على زورقٍ منها صغير ، منطىً ببارية<sup>(٦)</sup> فقال : آكل من رطبك ؟ قال : نعم ، قال : ما يكفيني ؟ قال : ما يكفيك ، فجلس على الزورق يأكل التمر إلى أن اكتفى ، فسَلت البارية فإذا الزورق مملوء نوى<sup>(٧)</sup> .

(١) الأغاني ٣ : ٦٨ ، في خبره عن المعتز بن سليمان ؛ قال المعتز في آخر الخبر : فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ قال : أربعة أيام .

(٢) السويق : دقيق الحطة .

(٣) البرنية : لبناء من خرف .

(٤) الخبر في الأغاني ٣ : ٦٩ ، وفيه : « صب السويق كله ، وصب عليه النبيذ حتى أتى

على السويق والنبيذ كله » .

(٥) الأغاني ، : « رطباً في زواريق » .

(٦) البارية : الحصير المنسوج ، وجمه البواري .

(٧) الخبر في الأغاني ٣ : ٦٩ .

وقال صدقة بن عبدالله<sup>(١)</sup> المازني : أولم<sup>(٢)</sup> على أبي لما تزوجت ، فعلمنا عشر جفان ثريداً من جزور ، فكان أول<sup>(٣)</sup> من جاءنا هلال ، فقدّمت إليه جفنة فأكلها ، ثم أخرى حتى أتى على عشر جفان ، ثم استسقى ، فأتى بقربة من نبيذ ، فوضع طرفها في شدقه ، فأفرغها في جوفه ، ثم خرج ، فاستأنفنا عمّل الطعام ، ومن أعجب ما أكله مائتا رغيف بمكوك<sup>(٤)</sup> بلّح .

وكانت شبعته تكفيه لخسة أيام . وكان لا يقاومه أحد في النجدة .

ومهم سليمان بن عبيد الملك ، ذكر المسعودي<sup>(٥)</sup> أن شبعه<sup>(٦)</sup> كانت كل يوم مائة رطل بالعراق ، وكان ربما أتاه الطبّاخون بسقافيد فيها الدجاج ، وعليه جبة الوشي ، فيحرصه على الطعام ، كان يدخل يده في كُمّه ثم يقبض على الدجاجة ، وهي حارة فيفصاها .

قال الأصمعيّ : ذكرت ذلك لارشيد ، فقال : قاتلك الله ! ما أعرفك بأخبارهم ! لقد كنت أرى الدّمّ في أكمام جبابه ، ولا أدرى ماسببه ، حتى حدثتني<sup>(٧)</sup> . وكساني منها جبة .

وخرج يوماً من الحمام وقد اشتد جوعه [ فاستمجل الطعام ولم يكن فرغ منه ]<sup>(٨)</sup> فأمر أن يقدمَ ما لحق من الشواء ، ولم يكن فرغ من الطعام شيء ، فقدم

(١) الأغاني : « صدقة بن عبيد المازني » .

(٢) أولم على أبي : عمل لي ولجبة ذواجي .

(٣) كذا في ب ، وهو يوافق ما في الأغاني ، وفي ط : « فأول من جاءنا » .

(٤) المكوك : مكبال يسع صاعاً ونصفاً ، والخبر في الأغاني ٣ : ٧٠ .

(٥) مروج الذهب ٣ : ١٨٥ .

(٦) الشبع من الطعام : ما يكفيك منه .

(٧) المسعودي : « عرضت على جباب بنى أمية ، فنظرت إلى جباب سليمان وإذا كل

جبة منها في كمها أثر كأنه أثر دهن ، فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحدث » .

(٨) تكملة من لسعودي .

إليه عشرون خروفا ، فأكل أجوافها مع أربعين رُقاقة ، ثم قدّم الطعام ، فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل (١) .

قال الشمردل وكيل عمرو بن العاص رضى الله عنه لما قدم (٢) سليمان الطائف ، دخل بستانيّ هو وعمر بن عبد العزيز ، وأيوب ابنه ، فجال في البستان ساعة ، ثم قال : ناهيك بما لكم هذا مالا ! ثم ألقى صدره على غصن شجرة ، وقال : ويلك يا شمردل ! عندك شيء تطعمني ؟ فقلت : بلى عندي جدى ، كانت تندو عليه بقرة وتروح [ عليه (٣) ] أخرى ، قال : عجّل به ويحك ! فأتيته به كأنه عسكة سمن ، فأكله وما دعا (٤) عمر ولا ابنه حتى إذا بقي الفخذ قال : هلمّ أبا حفص ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ، ثم قال : ويلك ! عندك شيء ؟ فقلت : سبع (٥) دجاجات هنديات كأنهن رطلان (٦) النعام ، قال : عجّل بهنّ ، فأتيته بهنّ ، فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها بفيه ، فلما فرغ منهنّ قال : ويلك ! عندك شيء ؟ فقلت : حريرة (٧) كأنها قرأضة ذهب ، فقال : عجّلها ، فأتيته بها ، فجعل يشربها شربا ، فلما فرغ تجشأ فكانما صاح في جبّ ، ثم قال : يا غلام أفرغت (٨) من غدائيّ ؟ قال : نعم : فقدّم إليه ثمانين قدرا ، فأكثر ما أكل من قدر ثلاث لقمات ، وأقل ما أكل لقمّة ، ثم مسح يده ، واستلقى على فراشه ، وأذن للناس ، وصفت الموائد ، فأكل معهم فما أنكرت من أكله شيئا .

(١) المسعودى ٣ : ١٨٥ .

(٢) الخبر في العقد ٦ : ٣٠١ .

(٣) من ب ، والعقد

(٤) ط : « ما دعا ابنه ولا عمر » ، والصواب ما أثبتته من ب والعقد

(٥) العقد « خمس دجاجات » .

(٦) الرطلان : جمع رطل ، وهو فرخ النعام .

(٧) الحريرة : دفيق بطيخ بلبن وسمن .

(٨) أى هل آذمت إعداده ؟ كأنه جعل ما التهمه من قبل مقدمة لعدائه .

وسبب وفاته أن نصرانياً أتى بزنبيل مملوء بيضا ، وآخر مملوء تيناً ، فقال :  
قَشِّرُوا، فجعل يأكل بيضة وتينة ، حتى أكل الزنبيلين ، ثم أتوه بقصمة مملوءة  
مُحًا بسكر ، فأكله فأنجم ، فمات .

ومنهم عمرو بن معد يكرب ، دخل على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ،  
قال : من أين أقبلت يا أبا نؤز ؟ قال : من عند سيد بنى مخزوم ، أعظمها  
هامة ، وأقلها ملامة ، وأفضلها حلماً ، وأقدمها سلماً ، قال : من هو ؟ قال :  
سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد ، قال : فأى شئ صنعت عنده ؟ قال : أتيت  
زائرأ فدخلت بقمب و فرس وثور ، فقال له عمر : وأبيك إن في هذا لشبعا ، قال : لى  
أولك ؟ قال : لى ولك ، قال : بلى ، فأتقول يا أمير المؤمنين ، إنى لآكل الجذع  
من الإبل ، أتقيه عظماً عظماً ، وأشرب الشن من اللبن رائباً أو صريفاً (١) .

\* \* \*

قوله : « أقردت » . سكت وخضعت . مالبث : ماتمهل . الجراب : وعاء  
الراد ، وأراد بطنه . أمل ، يقال : أملت عليه إذا أقيت عليه ما يكتب ، وأملت  
لغة ، وقيل : الأصل أملت ، فأبدل من اللام ياء . نكلت : انقطعت .

\* \* \*

قل لِمَنْ يَلْبِزُ الْمَسَائِلَ إِنِّي كَاشَفْتُ سِرَّهَا الَّذِي تَخْفِيهِ  
إِنَّ ذَا الْمِيَّتِ الَّذِي قَدَّمَ الشَّرَّ عَ أَخَا عَرْسِهِ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ  
وَجَلَّ زَوْجَ ابْتِهِ عَنْ رِضَاهُ مَحَامَةٍ لَهُ ، وَلَا غَرَوَ فِيهِ

(١) الشن : القربة ، والرائب : اللبن المخوض ، والصريف : اللبن ساعة يحلب .  
(١٢ - شرح مقامات الحريرى - ٢)



ثمَّ مات ابنته وقد عَلِقَتْ مِنْهُ فِجَاجَتُ بَابِنِ يَمْرُ ذَوِيهِ  
 فهو ابن ابنته بغيرِ مرأٍ وأخو عَزِيصِهِ بلا تَمْوِيهِ  
 وابن الابنِ الصَّرِيحُ أدنى إلى الجِدِّ وأولى يارثِهِ من أخيه  
 فلذا حينَ ماتَ أوجبَ للزَّوْجَةِ ثَمَنَ التَّرَاثِ تَسْتَوِيهِ  
 وحوى ابن ابنته الذي هو في الأصـ

لِ أَخُوها من أمِّها باقية  
 وتخلَّى الأخ الشقيق من الإزِّ ثِ وقلنا يكفيك أن تبكيه  
 هاك مِنِّي الفُتْيَا التي يَحْتَدِيها كلُّ قاضٍ يقضى وكلُّ فقيهٍ

\* \* \*

لاغزو: لاعجب . علقت : حملت . ذويه : قرابته ، وأضاف « ذوي » إلى  
 المضمَر ، وهي لغة قليلة ، ومنعها بعضهم ، وجوزها جماعة من أئمة اللغة .  
 وقال أبو عليّ الفارسيّ : اللهم صلّ على محمد وذويه ، تحلّوا « ذوي » على  
 الأصحاب .

الأزهريّ : سمعت غيرَ واحدٍ من العرب ، يقول : كُنا مع ذوي عمرو ،  
 يعني مع أصحاب عمرو ، وهو كثير في كلام قيس ومَن جاورهم .  
 وقال الحريريّ في الدرّة<sup>(١)</sup> : ويقولون : رأيت الأمير وذويه ، فيهمون فيه ،  
 لأنّ العرب لم تنطق بذي ، الذي بمعنى صاحب إلّا مضافاً إلى اسم جنس ، كقولك :  
 ذومال وذو نوال ، فأما إضافته إلى الأعلام أو إلى أسماء الصفات المشتقة من

(١) درة النواص ٨٥ .

الأفهام فلم تُسمع بحال ، ولهذا تحن من قال : صلى الله على محمد وذويه ، وكألم يقولوا : ذو<sup>(١)</sup> أبي ولا ذو أمي ، واقتصروا على إضافته إلى الجنس ، ولهذا لم يرفع السبجي لأنه ليس بمشتق [ من فعل ]<sup>(٢)</sup> ، فلا يقال : سررت برجل ذي مال أخوه ؛ وتصحيحه ذو مال أخوه<sup>(٣)</sup> ، لأن النكرة تختص بأن توصف بالجملة<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

قوله : « مرأء » جدال . تمويه : كذب . الصريح : الخالص . أدنى : أقرب .  
التراث : المال الموروث . حوى : حاز . تحلّى : خرج بلا شيء . هلك : خذ . يحنّذها :  
يقبمها ويعمل بها .

وتقريب هذا اللغزان تقول : رجل وابنه وامرأة وابنتها ، تزوج الرجل  
البنيت ، والابن الأم ، فمات الابن ، وقد حملت منه الأم ، فوضعت غلاماً ، فكان  
للرجل ابن ابنه ، ولزوجته أخاً لأم ، ثم مات الرجل وترك أخاً فورثت زوجته  
الثمن ، وأخوها من أمها الباقي ، لأنه ابن ابن الميت ، وهو يجب الأخ ، كما  
كان يحببه الابن لو كان حياً .

ومثله قول الآخر :

وقائلة أوّصِ الفداةَ فإنني أرى الموت قد حطتْ لـديك ركايبه  
فقلت وقد راع الفؤادَ مقالها وضاعت به خوف الحمام مذهبه  
لك الثمن إن حانت وفاتي فريضة وسائر ما يبقى فصنوك صاحبه

جوابه :

تعلم فإن العالم أكبر ملبس لمن شرّفت أخلاقه ومذهبه

(١) الدرّة : « كالم يقولوا : ذو عالم ولا ذو ظريف ؛ لم يقولوا : ذونهم ولا ذوأمبر ،  
وقصروا ذا على إضافته إلى الجنس » .  
(٢) من درة القواس .  
(٣) درة القواس : « أبوه » .  
(٤) درة القواس ٨٥ .

حليمة هذا أمها زوجة ابنه      فذلك والإناز جَمَّ عَجَابِيَه  
فإن ابنه صِنُوْهُ لزوجته وَمَنْ      يقرّ بعرف العلم تعلمو مراتبُه  
فيرانها تُعْنُ وللصُّنُوِ ما بَقِيَ      كذلك يقضى مَنْ تعالت مناقبُه

وللمتقدم للسؤال في هذه المسألة عبد الملك بن مروان ، وذلك أنه وقف به رجلٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا تزوجت امرأةً ، وزوجتُ ابني من أمها ، فامددا بنا بشيء نستعين به . فقال له : إن أخبرتني كيف يدعى ابنُ كلِّ واحدٍ منكما لابن صاحبه ، فأنا أرفدُك، وإلا فلا أعطيك شيئاً . فقال له الرجل : فسئل عن ذلك كاتبك وصاحب سرِّ طَبَّتِك ، فإن أجابك ، فاعطيه لي ، فادفعه إليهما ، وإلا فأنا أعذِر . فسألها فلم يعرفاً ذلك ، فابتدر رجلٌ من آخر الصفوف ، وقال له : أرأيت إن أخبرتك ، أتعطيني ما ذكرت للسائل؟ فقال له : نعم ، فقال ابن الأب عمّ ابن الابن وابن الابن خال ابن الأب ، فوصله .

فهذا أخفّ أمراً في الظاهر من التوارث الذي فرض الحيرى ، وأشكّل في المعنى .

\* \* \*

قال : فلما أثبتَ الجوابَ ، واستثبتُ منه الصَّوابَ ، قال لي : أهلكَ والليل ، فشمّرِ الذَّيْلَ ، وبادِرِ السَّيْلَ ، فقلت : إني بدارِ غُربة ، وفي إيوائى أفضلُ قُربة ، لاسيما وقد أغدَفَ جُنْحُ الظَّلَامِ ، وسَبَّحَ الرَّعْدُ في النِّمام ، فقال : اغرُبْ عافاك اللهُ إلى حيثِ شِيت ، ولا تطمَعُ في أن تبيت ، فقلت . ولمَ ذلك ، مع خُلُوِّ ذَرَاك ؟

قال : لِأَنِّي أُنَعِّمْتُ النَّظَرَ ، فِي التَّقَامِكِ مَا حَضَرَ ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ وَلَمْ تَدَّرْ ، فَرَأَيْتُكَ لَا تَنْظُرُ فِي مَصْلَحَتِكَ ، وَلَا تَرَاعِي حِفْظَ صِحَّتِكَ ، وَمَنْ أَمِنَ فِيهَا أَمَعَتْ ، وَتَبَطَّنَ مَا تَبَطَّنْتَ ، لَمْ يَكِدْ يُخْلَصُ مِنْ كِرْطَةِ مُدْنِفَةٍ ، أَوْ هَيْضَةٍ مُتْلِفَةٍ ، فَدَعْنِي بِاللَّهِ كِفَافًا ، وَاخْرُجْ عَنِّي مَا دُمْتُ مَعَايَ ، فَوَالَّذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ ، مَالِكٌ عِنْدِي مَبِيتٌ .

فَلَمَّا مَيِّمْتُ أَيْتَهُ ، وَبَلَوْتُ بِلَيْتِهِ ، خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِهِ بِالرَّغْمِ ، وَتَزْوُدِ النِّعَمِ ، تَجُودُنِي السَّمَاءِ ، وَتَخْبِطُ بِي الظُّلْمَاءِ ، وَتَنْبِجُنِي الكِلَابِ ، وَتَتَقَاذِفُ بِي الأَبْوَابِ ، حَتَّى سَاقِنِي إِلَيْكَ لُطْفُ القَضَاءِ ، فَشَكَرًا لِيده البِيضَاءِ !

\* \* \*

قوله : « أَفْبَتَّ » صحیح . استنبت ، أى وجده ثابتاً . أهلك والليل ، كلام للعرب ، كأنه قال : بادزْ أهلك قبل الليل ، وتحقيق المعنى في ذلك أنه عطف الليل على الأهل ، وجعلهما مبادرين ، ومعنى المبادرة مسابقتك الشيء ، كقولك : بادرت زيداً المنزل كأنى سابقته إليه ، وكان الليل والرجل المخاطب يتسابقان إلى أهل الرجل ، فأمره الأمر أن يسابق الليل إليهم ، ليكون عندهم قبل الليل . شمر الذيل ، أى ارفع ساقك ، واستعد للمشى . إيوائى : ضجى . قربة : ما يقرب به من أعمال البر . أعدف : أسبل وأرسل ، ومنه قول عنبرة :

إِنْ تُنْدِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخَذِ الْقَارِسِ الْمُتَلَمِّمِ<sup>(١)</sup>  
وَأِنَّمَا قِيلَ لِلْعَرَابِ عُذَافٌ لِسَبُوحِ رِيْشِهِ .

وقال رؤبة يخاطب أخاه: (٢)

\* نُبِّتَ مِنْ جَنَاحِكَ الْعُذَافِي \*  
\*

جُنْحُ الظَّلامِ : ميله، وجنح الليل جنوباً، وأجنح: مال، وهو من الجفاح  
وكان الطائر إذا عدل عن طريق طيرانه، فيرجع يطير إلى جهة جناحه، قيل له:  
جَنَحَ، ثم استعير في الليل وغيره، كما قيل: نكَّب عن طريقه، هي من النكب،  
كأنه قال: مال بمشيه إلى جهة منكبه.

سَبَّحَ : صوت . النمام : السحاب . اغْرُبَ : غب وابتعد . ذَرَاكَ : منزلتك .  
أُنِمْتَ : بالفت . تراعى : تحفظ . أمعن : كثر، وتقول : أمعن لي بحقي ؛  
اعترف به وأظهره ، مأخوذ من الماء الممين ، وهو الجاري الظاهر .

الفرء : المعين من الماعون ، أو مفعول من العيون .

تَبَطَّنَ : ملأ بطنه . كِفَاةٌ : امتلاء البطن . مَدَنَفَةٌ : ممرضة . هَيْضَةٌ : انطلاق  
البطن بالقيء والإسهال . كِفَافًا : مسألة ، أي كيف عنى شرك وخيرك . معافى :  
سألًا من الآفات .

(١) المعلقة - بشرح التبريزي ٢٥٦ ؛ قال: الإغذاف: لإرخاء القناع على الوجه . والطب :  
الحاذق . ورواه : « السلتيم » والستلم : الذي قد لبس الأمانة ؛ وهي الفرع .  
(٢) اللسان - عُذَف ، وروايته .

\* رُكِّبَ فِي جَنَاحِكَ الْعُذَافِي \*  
\*

وبعده :

\* مِنْ الْقُدَامِيِّ وَمِنْ الْخَوَافِي \*  
\*

أليته : يمينه . بلوت : خبرت وشاهدت . الرغم : الذل . تجودني : تمطرني .  
والسما : المطر هنا .

وتذكرت بهذه الحالة خروج السلاي من دار الشريف الرضى فى عشية  
مطريرة ، فأعطاه كساء استتر به ، فلما وصل إلى منزله كتب إليه بقصيدة :

منها : (١)

ودعتُ داركُ والسما تجودني      بيد الغمام فلا يكن بك ما بي (٢)  
ما كنت إلا جنّةً فارقتها      كرهاً فصُبَّ على سوط عذاب (٣)  
ورأيتُ غاليةً الطريق ومِسْكُهُ      طيباً معداً لى على الأبواب  
وحى كساؤك لا عدمت مُعِيرَهُ      دُرَاعتى وعمامتى وجبى ابى  
فوليت يا بحر الدماحة كسوتى      وولّى أخوك الفَيْثُ بلّ ثيابى  
فوصلت أشكر ذا وأشكو ذا وبال  
-عينين ما بهما من التَّسْكابِ-

وقال آخر فأحسن :

وغمامة نثرتُ دموعاً عندما      نثر النسيمُ جمانها تشبيكاً  
تهدى السقوف جمانها متفرقاً      وتمده عند السقوط سلوكاً

وقال ابن شهيد فأحسن :

ومرتجز ألقى بذى الأئمل كلكلاً      وخطّ بجرعاء الأبارقِ ما حطاً (٤)  
سعى فى قياد الرّيح يسمح للهباب

(١) من قصيدة ذكرها صاحب البيتية فى ٢ : ٣٨٢ - ٣٨٤ ، ومطلعها :

ما زال بي مهر الشيبية جامعاً      حتى حمت على المشيب الكبابى

(٢) البيتية : « فلا أرى بك ما بي » .

(٣) ط : « صوب حذابى » ، تصحيف .

(٤) ديوانه ١٢١ .

وما زال يروى التراب حتى كسا الرُّبا

درانك ، والغيطان من نسجه بسطاً

وعنت له ريح تساقط قطره كما نثرت حسناء عن جيدها سبطاً

قوله : « تحبظ » أى تجملنى أمشى فيها على غير هدى . تتقاذف : تتراعى

وتتطارح ، وجمل الأبواب يرميه بعضها على بعض ، لما كان يقرعها ولا تفتح له .

لطف القضاء ، أى رفق قدر الله وقضائه . يده البيضاء : نعمته الكريمة ،

وتقول : لفلان على يد بيضاء أى نعمة ، وجمعها أياد .

[ مما قيل فى شكر النعمة ]

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من

أهدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له استجيب له فيهم » .

قال عبد الله بن المبارك : أقبل نصر بن سيار : فقال : اللهم إني أهديت

إلى بسام نعمة فلم يعدلني بشكرها ، فأجعل موتهم قتلاً بالسيف . فبلغني أنه قتل منهم سبعون رجلاً .

وقال أبو نواس وأتى بمعنى بديع :

قد قلت للعباس ممتدراً من ضمف شكره وممتدراً<sup>(١)</sup>

أنت امرؤ جَلَّلتني نَمَما

أوهت قُوى شكرى فقد ضَمَمَما

فإليك بعد اليوم تقدمة لاقتك بالتصريح مكنتنا

لا تحمدننى إلى عارفة<sup>(٢)</sup> حتى أقومَ بشكر ماسلفنا

(١) ديوانه ٧١ .

(٢) الديوان : « لاتمدن » .

اعترضه الناشئ في معناه فقال :

إن أنت لم تحدثِ إليَّ يداً      حتى أقوم بشكر ما سلفاً  
لم أحظَّ منك بنائلٍ أبداً      ورجعت بالحرمان منصرفاً

وقال طريق :

طلبت ابتغاء الشُّكرِ فيما صنعت بي  
فقصرتُ مغلوباً وإني لشاكِرُ  
وقد كنت تعطيني الجزيلَ بدايةً      وإني لما استكثرتُ منك لحاقِرُ  
فأرجع مغبوطاً وترجع بالتي      لها أولٌ في المكرمات وآخرُ

وقال آخر :

رهمت يدي بالشكر في شكر برّه  
وما فوق شكرى للشكور مزِيدُ  
ولو أن شيئاً استطاع استعطته      ولكن ما لا استطاع شديد

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

فلو كان للشكر شخص يبينُ      إذا ما تأمله الناظرُ<sup>(١)</sup>  
لثقتُ له لك حتى تراه      فتعلم إني امرؤٌ شاكرُ

وهذا الباب من الشكر وإن وفينا حقه هنا يأتي متفرقاً في الكتاب .

\* \* \*

(١) ديوانه ١٨٤ ، عيون الأخبار ٣ : ١٦١ .



## [ البطنة وقولهم فيها ]

ولمَّا ذُكِرَ البِطْنَةُ وخطرها ، وأنها أوجبت عليه خروجه من منزل ضيفه على الحالة التي وصف ، أردنا أن نصلها بما يشاكلها .

وعما جاء في ذم البطنة من حديث عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يشتري غلاماً وضع بين يديه تمرأ ، فإن أكل كثيراً قال : رُدُّوه ، فإن كثرة الأكل من الشؤم .

وقيل للثَّسْتَرِي : الرجل يأكل في اليوم مرة ؟ قال : أكل الصديقين ، قيل : فمرتين ؟ قال : أكل المؤمنين . قيل : فثلاثاً ؟ قال : قل لأهلك يبئوا لك مقاماً .

ويصح أن يكون الرجل وصافاً لبطنه وفرجه ، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضی الله عنها يوم الحكين : أكلوا الطعام ، فوالله ما بطن قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عزيمة رجل بات بطيناً .

وقال بعض الحكماء : لكل شيء صدأ وصدأ القلوب شمع البطون .

عزم المعتصم يوماً على الاصطباح ، وأمر ندماءه أن يطبخ كل واحدٍ منهم قِدْرًا ، فدخل عليه غلام ابن أبي دواد ، فقال المعتصم : الساعة يأتي ابن أبي دواد ، فيقول : فلان الهاشمي ، وفلان القرشي والأنصاري ، فيةطمنا بمجوانجهم عماعزمتنا عليه ، وأنا أشهدكم أني لا أمضي له يومى هذا حاجة ، فلم يتم الكلام إلا والحاجب يستأذن به ، فقال لجلسائه : كيف ترون ؟ فقالوا : لا تأذن له ، فقال : سوأة لكم ! الحمى سنة أهون على من ذلك ، ودخل فاهو إلا أن سلم وجلس

وتكلم حتى ضحك المعتصم ، وسفر وجهه إليه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، لقد طبخ كل واحد من هؤلاء قِدْرًا ، وقد جعلناك حكمًا في طبخها ، قال : فليحضر كل واحد قدره وآكل ، ثم أحكم فيها . فوضعت بين يديه ، فأكل من أول قِدْرٍ أكلًا كثيرًا ، فقال المعتصم : هذا ظلم ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أراك أمعنت في هذا اللون ، وستحکم لصاحبه ، فقال : على أن آكل من القُدور كلها مثله ، قال : شأنك ، فأكل ثم قال : أمّا هذه فقد أجاد طبّاخها ، إذ قللَ خَلْمها وكثّرَ زيتها ، ثم أكل من كل قِدْرٍ كذلك ، ووصف القُدور كلها بصفات حسنة سرّ بها أصحابها ، ثم قدّم الطعام ، فأكل مع القوم كما أكلوا ، أنظفَ أكل وأحسنه ، وهو يحدّثهم بأخبار الأكلة في صدر الإسلام ، كما عايناه وعبد الله ابن زياد ، والحجاج وسليمان بن عبد الملك . وعن أكلة دهره مثل ميسرة التمار ، ودوزق النصاب ، وحاتم الكيال ، وإسحاق الحمّامي .

فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ، وقد أطربه حديثه : ألك حاجة يا أبا عبد الله ؟ قال : رجل من أهل بيتك ، وطئه الدهر ، وغير حاله ، قال : ومن هو ؟ قال : سليمان بن عبد الله ، قال : قدّر له ما يصلحه ، قال : خمسون ألفًا ، قال : قد أشذت ذلك له ، قال : ولي حاجة أخرى ، ثم ذكر ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شيء منها ، ثم قام خطيبًا ، فقال : عمرك الله يا أمير المؤمنين طويلًا فبعمرك<sup>(١)</sup> تَخْصِبُ جنّات رعيّتك ، ويلين عيشهم ، وتنفو أموالهم ، ولازلت ممعًا بالكرامة والسلامة ، مدفوعًا عنك حوادث الأيام وغيرها ، ثم انصرف . قال المعتصم : هذا والله يتزين الملك بمثله ، ويتهيج بقربه ، أمارأيتم كيف دخل ، وكيف تكلم ، وكيف أكل ، ثم انبسط في الكلام ، وكيف طاب به أكلنا ، ما يرّذ هذا عن حاجته إلا لثيم الأصل ، والله لو سألتني في مجلسي هذا ما قيمته

(٢) ب . د فلعمر ك .

عشرة آلاف ألف ما رددته عنها ، وأنا أعلم أنه يكسبني في الدنيا حداً ، وفي الآخرة ثواباً .

وفيه يقول أبو تمام :

لقد أنست مساوي كلِّ دهرٍ محاسنُ أحمد بن أبي ذؤادٍ<sup>(١)</sup>

وهذه الحكاية تنظم في حكايات أهل الزرد المتقدمين في المقامة ، وقد احتوت على رجال موصوفين بذلك ، ختمنا بها الباب .

\* \* \*

فقلتُ له : أَحِبِّ بِلِقَائِكَ الْمَتَّاحِ ، إِلَى قَلْبِي الْمُرْتَّاحِ ، مِمَّ  
أَخَذَ يَفْتَنُ فِي حِكَايَاتِهِ ، وَيُسْمِطُ مُضْحِكَاتِهِ بِمَكِّيَاتِهِ ، إِلَى أَنْ  
عَطَسَ أَنْفُ الصَّبَّاحِ ، وَهَتَفَ دَاعِي الْفَلَاحِ ، فَتَاهَبَ لِإِجَابَةِ  
الدَّاعِي ، ثُمَّ عَطَفَ إِلَى وَدَاعِي ، فَمَثَّقَهُ عَنِ الْإِنْبَعَاتِ ،  
وَقُلْتُ : الضِّيَافَةُ ثَلَاثُ ، فَشَادَ وَحَرَجَ ، ثُمَّ أَمَّ الْمَخْرَجَ ، وَأَنْشَدَ  
إِذْ عَرَجَ :

لَا تَزُرْ مَنْ تَحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ

غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ

فاجْتَلَاءَ الْهَلَالِ فِي الشَّهْرِ يَوْمٌ

ثُمَّ لَا تَنْظُرُ الْعُيُونَ إِلَيْهِ

قال الحارث بن عمَّام : فودَّعته بقلب دابي القرح ، ووددتُ

لَوْ أَنَّ لَيْلَتِي بِطَيْئَةِ الصَّبَّاحِ .

\* \* \*

قوله : « أَحْبَبَ » ، تَمَجَّبَ معناه : مَا أَحَبَّ لِقَاءَكَ إِلَى قَلْبِي . المتاح : المقَدَّرُ ، والمرتاح : المهْتَزَّ طَرَبًا . يَفْتَنُّ : يَفْتَوِّعُ . وَيَشْمِطُ : يَخْلَطُ . أَنْفَهُ : أَوَّلَهُ ، وَجَمَلُ لِلصَّبَاحِ أَنْفًا عَاطِسًا مَجَازًا لَمَّا كَانَ يَدْفَعُ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ . هَتَفَ : صَاحَ . دَاعَى الْفَلَاحَ ، هُوَ الْوُزْنُ . وَالْفَلَاحُ : الْبَقَاءُ . تَأَهَّبَ : اسْتَعَدَّ . عُمَّتَهُ : حَبَسَتْهُ . الْإِنْبِعَاتُ : النَّهْوُضُ .

وذكر أن الضيافة ثلاث : لأنه جاء في حديث أبي شريح الخزازي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . وجأزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاث ، ولا يحل له أن يتوسى عنده حتى يجرجه ، فما أنفق عليه بعد ثلاث فهو صدقة .

أبو عبيدة : جأزته يوم وليلة ، أى بَعِطَى الضيف بعد إكرامه ثلاثة أيام ما يجوز به يوماً وليلة ، يقال : أسفَّ بجائزة وجيزة ، وجوزة ، أى قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل .

ومن ملح باب الضيافة ، قال المبرد : أضاف رجلٌ رجلاً فأطال المقام حتى كرهه ، فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه ؟ فقالت له : ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه ، ففعل ، فقالت المرأة للضيف : بالذى يبارك لك فى غدوك غداً ، أيتنا أظلم ؟ فقال : والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهراً ما أعلم .

ونزل بصري على مدني ، وكان صديقاً له ، فألح عليه فى الجلوس ، فقال المدني لامرأته : إذا كان غداً فإنى أقول لضيفنا : كم ذراع يقفز فأقفز ، فإذا قفز فأغلقى الباب خلفه ، فلما كان من الغد ، قال له المدني : كم قفزك يا أبا فلان ؟ قال : جيد ، فعرض عليه أن يقفز معه ، فأجابته ، فوثب المدني من داره إلى خارج أذرعاً ، وقال للضيف : ثب أنت ، فوثب للضيف إلى داخل الدار

ذراعين، فقال له: وثبت أنا إلى خارج الدار أذرعاً، وأنت إلى داخلها ذراعين،  
فقال الضيف: ذراعان من الدار خير من أربع إلى « برآ » .

الأزهري: برآ مودة.

قوله: « ناشد » حَلَف . حَرَجَ: وكَدَّ يمينه، أى لا يقيم، والحرج: الإنم .

ابن الأنباري: تخرج فلان عن كذا، أى تدين وضيق على نفسه، والحرج  
عندهم الضيق. أم: قصد. عَرَجَ: التوى عن الباب منصرفاً. اجتلاء: نظو.  
القرح: الجرح، وأنشد الثعالبي في هذا المعنى، قال:

عليك بإقلال الزيارة إنهم إذا كثرت كانت إلى المهجر مسلكا  
فإني رأيت الغيث يسأم دائماً ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « زر غيباً تزدد حباً » .

نظمه الشاعر فقال:

إذا شئت أن تُقَلِّيَ فزر متواتراً وإن شئت أن تزدد حباً فزر غيباً  
وقالوا: قلة الزيارة أمان من الملالة .

وقالوا في ضده: ترك الزيارة سبب القطيعة .

وقال علي رضي الله عنه: الصبر من كرم الطبيعة، والمن مفسدة الصنيفة،  
وترك التماهد للصديق يكون داعية القطيعة .

وقال عبد الصمد بن المعتز في ضده هذا: وأن يحافظ على الصداقة بظهر  
الغيب، ويمدح إبراهيم بن الحسن:

بأمن فدت نفسه نسي وقد جعلت له وقاء لمن يخشى وأخشاه  
أبلغ أخاك وإن شطَّ للزَّار به إنني وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وإن تطرفي موصول برويته  
 وإن تباعد عن مشواي مشواهُ  
 الله يعلم أنني لست أذكره  
 وكيف يذكره من ليس بنسائه  
 لا شيء مما نرى إلا له شبهة  
 وما لكم آل إبراهيم أشباهه  
 عذراً فهل حسن لم يُنمِه حسن  
 وهل فتى عدلت جدواه جدواه

قال أبو العتاهية :

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل  
 إنياته فتلجج في هجرانه<sup>(١)</sup>  
 إن الصديق بلج في غشيانه  
 لصديقه فيلجج في عصيانه  
 حتى تراه بعد طول سروره  
 وكأنه متبرم بمكانه  
 وإذا تولى عن صيانته نفسه  
 رجل تنقص واستخف بشانه

وإفراط البر بالصاحب داع إلى كثرة الإخجال، ومانع من العودة بعد

الانفصال .

وكتب ابن عمار إلى ابن زريق ، وقد عتب عليه ، أن اجتاز ببلده ولم يلقه

هذه الأبيات :

لم يلو عنك عفاني سلوةً خطرت  
 ولا فؤادي ولا سمى ولا بصري  
 لكن عدتني عنكم خجلة عرّضت  
 كفاني العذر منها بيت معتذر  
 لو اختصرتم من الإحسان زرتكم  
 والعذب يهجر للإفراط في الخصر<sup>(٢)</sup>  
 ضمن ابن عمار هذا البيت أحسن تضمين ، وهو للمعري ، وما قيل في

(١) ديوانه ٣٣٧ ؛ وفيه : « حدث رجاء مولى صالح الشهرزوري ، قال : كان أبو العتاهية صديقا لصالح الشهرزوري ، وأتت الناس به ، فسأله أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له ، فقال له صالح : لست أكلمه في أشباه هذا ، ولكن حلني ماشئت في مالي : فانصرف عنه أبو العتاهية ، وأقام أياما لا يأتيه ، ثم كتب إليه : « أقلل زيارتك الصديق .. » الأبيات فلما قرأ الأبيات قال : سبحان الله ! أتهجرتي لمنى ليك شيئا ؛ تعلم أنني ما ابتدلت نفسي له ، ونفسي مودق ، ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تعذرنى . وذكر شعرا بعده .  
 (٢) سقط الزند ١٢٠ ، والمخسر : البرد .

المعجز عن الشكر أحسن منه ، والإقلال يمنع تلاقي الأحباب ، ويحطّ من همم  
ذوى الأحساب ، فإنه إذا لم يكن عندك ما تقدّم بين يدي ضيفك أو زارك  
تمنّيت إذا حلّ بك ألاّ تراه .

وقال حبيب :

وسَيَّانٍ عندي صادفوا لي مطمعا      أعاب به أو صادفوا لي مَقْتَلًا<sup>(١)</sup>

وقال ابن الجديّ :

وإني لصبٌّ بالتلاقي وإنما      يصد فؤادي عن معاذيرك العسر<sup>(٢)</sup>  
أذوب حياءً من زيارة صاحب      إذا لم يساعدنني على بَرِّهِ الوفورُ  
وفي المقامة التي تلي هذه فنّانٍ من الزيارة ، تقف عليه إن شاء الله تعالى .

\* \* \*

(١) ديوانه .

(٢) فلانة المقبان . . .

## المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية

حكى الحارثُ بن همام ، قال : شهدتُ صلاةَ المغربِ ،  
 في بعضِ مساجدِ المغربِ ، فلما أدَّيتها بفضْلِها ، وشفَعْتُها بنفْلِها ،  
 أخذَ طرْفِي رفقَةً قد انتبذُوا ناحِيَةً ، وامتازُوا صفوةَ صافيةً ،  
 وهم يتعاطونَ كأسَ المنافئةِ ، وَيَقْتَدِحُونَ زنادَ المباحَّةِ ،  
 فرغبتُ في مُحادثِهِمْ ، لكلمةٍ تستفادُ ، أو أدبٍ يُستزادُ ،  
 فسَمَّيتُ إليهمُ ، سَمِيَّ المتطفِّلِ عليهم .

\* \* \*

أدَّيتها : تَمَّتْهَا . شَفَعْتُهَا : زَوَّجْتُهَا ، يريدُ أَنَّهُ صَلَّى الفريضةَ ، ثم صَلَّى النافلةَ  
 بفضْلِها ، يريدُ أَنَّهُ صَلَّىهَا فِي الجَمَاعَةِ ، وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الفَدَى . انتبذُوا :  
 ائْتَرَدُوا ، وَصَارُوا إِلَى جِهَةِ وَزَاوِيَةِ مِنَ المَسْجِدِ . وامتازُوا : انفصلوا . صفوة :  
 خياراً . يتعاطونَ : يعطى بعضهم بعضاً . المنافئة : الحادثة . يقتدحون ، أى  
 يضرِبونها ويستخرجون نَارَهَا . الماحئة : المناظرة في العلم .

\* \* \*

[ التطفِّلُ وأصل اشتقاقه ]

للتطفِّل : الآنى إلى الطعام من غير أن يُدعى ، وهو الوارش <sup>(١)</sup> عند العرب .

(١) الوارش : الواغل .



وتطفّل: تشبه بطفيل العرائس، وهو طفيل بن دلال الدارمي، يسمّى طفيل بالأعراس، وطفيل العرائس، لكثرة دَوْرَانِه على حضورها، ومشاهدته لها، والأكل منها، من غير أن يدعى إليه، واسمه مشتق من الطفّل، وهو إقبال الليل على النهار.

أبو عمرو: الطفّل: الظلمة.

ابن الأعرابي: ويقال للطفيلي اللمموظ، والجمع اللماميظ<sup>(١)</sup>.

وطفيل من بنى عبد الله بن غطفان، كان يأتي الأعراس ولم يدع. ومسكنه بالكوفة، وكان يقول: ودِدْتُ أَنْ الكوفة بركة مُصهرَجة، فلا يخفى على فيها دخان، فَنُسب إليه كل من يتطفّل، نسبة مذهب لانسب، والتطفّل من أخلاق اللثام، وسجايا الأوغاد، ومنهى عنه في الشرع.

ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دُعِيَ فلم يُجب فقد عصى الله ورسوله، ومن دخل على غير دعوى دخل سارقاً وخرج مُغيراً».

عائشة رضى الله عنها: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من دخل على قوم لطعام لم يدع فأكل فاسقاً، وأكل حراماً».

\* \* \*

[ من أخبار الطفيليين ]

ونسوق هنا فصلاً للطفيليين، يكون في هذه المقامة بمنزلة فصل الأكلة في المقامة التي قبل هذه لأن حالتيهما متقاربة.

(١) في اللسان: اللممظ: الشهبان الحريس، ورجل لعمظة ولعموطة؛ وهو الفرس النهم.

فمن ذلك ما يحكى عن بشار الطفيلي أنه قال : رحلت يوماً إلى البصرة ، فلما دخلتها قيل لى : إن هنا عريفاً للطفليين يبرم ، ويكسوم ويرشدم إلى الأعمال ويقاسمهم . فسرت إليه فبرئى وكسأنى ، وأقت عنده ثلاثة أيام ، وله جماعة يصيرون إليه بالزلات<sup>(١)</sup> فيأخذ النصف ، ويهطيهم النصف ، فوجهنى مهمم فى اليوم الرابع ، فخصلت فى وليمة ، فأكلت وأزلت معى شيئاً كثيراً وجتته به ، فأخذ النصف ، وأعطانى النصف ، فبعث ما وقع لى بدراهم ، فلم أزل على هذه الحالة أياماً ، ثم دخات يوماً على عرس جليل ، فأكلت وخرجت بزلة حسنة ، فلقينى إنسان فاشتراها بدينار ، فأخذته وكتمته ، وكتمت أمرها . فدعا جماعة من الطفليين ، فقال : إن هذا البغدادى قد خان ، فظن أنى لا أعلم ما فعل ، فاصفهوه وعرفوه ما كتّمنا ، فأجلسونى شئت أم أبيت ، وما زالوا يصفعونى واحداً بعدواحد ، فيصفعنى الأول منهم ، ويشم يدى ، ويقول : أكل مضيرة<sup>(٢)</sup> ، ويصفعنى الآخر ويشم يدى ، ويقول : أكل كدا ، ويصفعنى الآخر ، حتى ذكروا كل شىء أكلته ، ما غلطوا بشىء منه ، ثم صفهنى شيخ منهم صفقة عظيمة ، وقال : باع الزلة بدينار ، وصفهنى آخر ، وقال : هات الدينار ، فدفعته إليه ، وجرّدنى الثياب التى أعطانيها ، وقال : اخرج يا خان فى غير حفظ الله . فخرجت إلى بغداد ، وحلفت ألا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب .

ونريد هنا أن نذكر بعض ما اشتهر من حكايات طفيلية البصرة ، إذ هم أحذق خلق الله فى باب التطفيل :

بعث المأمون<sup>(٣)</sup> فى طلب عشرة من زنادقة البهرة ، فجمّعوا فرآهم طفيلي ،

(١) قال فى القاموس : الزلة : اسم للمحمل من مائة صديقك أو فريقك ، عراقية أو عامية .

(٢) المضيرة : مرقة تطبخ باللبن .

(٣) الخبر فى العقد ٦ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

ففضى معهم ، فأدخلوا في سفينة ، فدخل معهم ، وجيء بالقيود ، فقيّد معهم ، فقال أحدهم : يا طفيلي إلى هنا ، فأقبل عليهم فقال : فديتكم ، أي شيء أنتم ؟ فقالوا له : بل أنت ، من أنت ؟ وهل أنت من أصحابنا ؟ قال : والله ما أعرفكم ، غير أنني طفيلي ، خرجت من منزلي ، فرأيت منظرًا جميلًا ، ونعمة ظاهرة ، فقلت : شيوخ وكهول وشبان ، ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع ، فدخلت وسطكم كأني أحدكم إلى هذا الزورق ، فرأيت قد فرش وهد ، ورأيت سفرًا<sup>(١)</sup> مملوءة فقلت : نزهة إلى بعض البساتين والتصور ، إن هذا اليوم يوم مبارك ، فزدت ابتهاجًا ، فجاء هذا الموكل بكم فقيّدكم ، فطارعتني فما الخبر ؟ فضحكوا وفرحوا به ، وقالوا له : قد حصلت في الإحصاء ، نحن مائتة على مذهب ماني ، القائل بالنور والظلمة ، نسير إلى المأمون ، فيسألنا عن مذهبنا ، ويدعونا إلى التوبة . ويظهر لنا صورة ماني ، ويأمرنا أن نتقل عليها ، ونبرأ منها ، فن فعل نجما ، وإلا قتل ، فإذا دعيت فأخبره باعتقادك ، وللطفيلي مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا بها . فكان ذلك . فلما دخلوا على المأمون ، دعاهم بأسمائهم وامتحنهم فأمر عليهم بالسيف ، وتأخر الطفيلي وقد استوعب العدة ، فسأل الموككين بهم ، فقالوا : وجدناه معهم ، فجننا به ، فقال له : ما خبرك ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، امرأته طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئًا ، إنما أنا رجل طفيلي ، ثم قص قصته معهم .

فضحك المأمون كثيرًا ، ثم أظهر الصورة ، فلعنها وبرئ منها ، ثم قال : اعطوها لي حتى أسلح عليها ، والله ما أدري ما ماني الأنصاني أم يهودي أم مسلم ؟ فقال المأمون : يؤدّب على فرط جهله وتفيله ومخاطرته بنفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين بمياتك ، إن كنت ولا بد عازما ، فاجعل الشياطين كلها على بطني ، فهو الذي حملني على هذا العرر . فماد إلى الضحك ، فاستوهبه منه إبراهيم

(١) السفر : جمع سفرة ، وهي في الأصل : طعام المسافر .

ابن المهدي بحديث في تطفيله يذكر في خبر إسحاق الموصلي ، فوجهه له ، وأجاز الطفيلي بمجازة سنّية .

كان إبراهيم بن المدبر عاملاً على البصرة ، وكان له سبعة ندماء لا يأنسُ بنيرهم ، وكلُّ واحد منهم منفرد بعلم من العلوم . وكان طفيلي يعرف بابن درّاج ، من أكل الناس أدباً ، وأخفهم رُوحاً وأشدّهم في كلِّ مليحة افتناناً . فاحتال ودخل في جملة الندماء ، فخرج إبراهيم ، فرآه فقال لحاجبه : قل لهذا الرجل ، ألك حاجة ؟ فسقط في يد الحاجب ، وعلم أن الحيلة تمت عليه ، وأنه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته إلا بقتله ، فرمى بجر رجليه ، فقال له : يقول لك الأستاذ : ألك حاجة ؟ فقال : قل له : لا ، فأدخله عليه ، فقال : فأى شيء أدخلك ! أأنت طفيلي ؟ فقل : نعم أصلحك الله ! فقال : إن الطفيليّ يحتمل على دخوله على الناس بمخصال ، منها أن يكون لاعباً للشطرنج أو بالنرد ، أو ضارباً بالعود ، أو بالطنبور ، فقل : أيّدك الله ، إن لما ذكرت في الطبقة العليا ، فقال لبعض الندماء : لاعبه بالشطرنج ، قال : أعزك الله ، فإن قُدرت <sup>(١)</sup> ؟ قال : أخرجناك ، قال : وإن قُمرت ، قال : أعطيناك ألف درهم ، فقال : أحضرها فإن في حضورها قوة للنفس ، فلعبا بالشطرنج ، فغاب الطفيلي ، ومدَّ يده لأخذ الدرهم ، فقال الحاجب : أعزك الله ، ذكر أنه في الطبقة العليا ، وإن فلانا غلامك يبابه ، فأحضر الغلام فقلبه ؛ فقالوا له : انصرف ، فقال : أحضروا النرد ، فوعب به فقلّب ، فقال الحاجب : لكن بوابنا فلان يقلبه ، فأحضر البواب فقلبه ، فقيل له : اخرج ، قال : فالعود ؟ فأعطى عوداً ، فضرب فأصاب ، وغنى فأطرب ، فقال الحاجب : ياسيدي إن في جوارنا شيخاً يعلم القيان ، هو أحسن منه ، فأحضر إليه ، فكان أطيّب منه ، فقيل له : اخرج ، فقال : فالطنبور ؟

(١) قُمرت بالياء المعجول : غلبت .

فَضْرَبَ ضَرْبًا لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، قَالَ الْحَاجِبُ : إِنْ فَلَانًا الْمُحْتَكِرَ أَطِيبُ مِنْهُ ، فَأَحْضَرَ فَكَانَ أَحَدَقَ مِنْهُ ، قَالَ ابْنُ الْمَدْبَرِ : قَدْ تَقَصَّيْنَا لِلْحَوْبِكْلِ جِهْدَ ، فَأَبَتْ حَرْفُتَكَ إِلَّا طَرَحَكَ ، قَالَ : يَا سَيِّدِي ، بَقِيَتْ مَعِيَ فَائِدَةٌ حَسَنَةٌ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَأْمُرُ أَنْ يَحْضُرَ قَوْسٌ بِنَدَقٍ مَعَ خَمْسِينَ بِنَدَقَةٍ مِنْ رِصَاصٍ ، وَيَقَامُ هَذَا الْحَاجِبُ فَأَرْمِيهِ فِي دُبُرِهِ ، فَإِنْ أَخْطَأَتْهُ بِوَاحِدَةٍ ، فَاضْرِبْ عُنُقِي ، فَضَجَّ الْحَاجِبُ . وَوَجَدَ ابْنَ الْمَدْبَرِ شِفَاءَ نَفْسِهِ فِي دَقْوَتِهِ ، فَأَمَرَ بِخَشْبَتَيْنِ ، وَشَدَّ الْحَاجِبَ فَوْقَهُمَا . وَأُعْطِيَ الْقَوْسَ ، فَرَمَاهُ بِخَمْسِينَ بِنَدَقَةٍ ، فَمَا أَخْطَأَ دُبُرَهُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا .

وَحُلَّ الْحَاجِبُ وَهُوَ يَتَأَوَّهُ لِمَا بِهِ ، قَالَ لَهُ الطَّفِيلِيُّ : يَا صَفْعَانُ ، هَلْ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ مِنْ يَحْسَنٍ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : يَا قَرْنَانُ إِذَا كَانَ الْبُرْجَاسُ (١) اسْتَقَى فَلَا يَحْسَنُ أَحْسَدَ مِثْلِكَ .

قَالَ : وَذَهَبَ الضَّحْكُ بِابْنِ الْمَدْبَرِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ ، ثُمَّ أُعْطَاهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَانصَرَفَ .

صَحِبَ طَفِيلِيٌّ رَجُلًا فِي سَفَرٍ ، فَلَمَّا نَزَلُوا بِبَعْضِ الْمَنَازِلِ ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : خُذْ دَرَاهِمًا وَأَمْشِرْ لَنَا لَحْمًا . قَالَ لَهُ الطَّفِيلِيُّ : قِمِ أَنْتَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَنَمِيبٌ ، فَاشْتَرِ أَنْتَ . فَمَضَى الرَّجُلُ ، فَاشْتَرَاهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : قِمِ فَاطْبِخْهُ ، قَالَ : لَا أَحْسِنُ ، فِقَامَ الرَّجُلُ ، فَطْبِخَهُ ، ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ لِلطَّفِيلِيِّ : قِمِ فَاتَرِدِ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَكِسْلَانُ ، فَتَزِدُ الرَّجُلُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : قِمِ فَاعْتَرِفْ ، قَالَ : أَخْشَى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَى ثِيَابِي ، فَغَرَفَ الرَّجُلُ حَتَّى ارْتَوَى التَّرِيدَ ، قَالَ لَهُ : قِمِ الْآنَ فَسَكِلْ ، قَالَ : نَعَمْ إِلَى مَتَى هَذَا الْخِلَافُ أَقْدَ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتَ مِنْ كَثْرَةِ خِلَافِكَ . وَتَقَدَّمَ فَأَكَلَ .

(١) البرجاس ، بالضم : غرض في البواء يوضع على رأس رمح .

وقال طفيل العرائس: ليس في الأرض أكرم من ثلاثة أعواد: عصا موسى عليه السلام، وخوان الطعام، ومنبر الخليفة.

ومن وصيته لأصحابه: إذا دخلتم عرساً، فلا تلتفتوا إلى الملامى، وتخيروا المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام، فليمض أحدكم ولا ينظر في عيون الناس، ليظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وأهل المرأة أنه من أهل الرجل، وإن كان البواب فظاً وقبحاً، فليبدأ به فليأمره ولينهمه من غير عنف، ولكن بين النصيحة والإدلال.

وقال بُنان الطفيلي: التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان.

وسئل بنان: هل تحفظ من كتاب الله تعالى شيئاً؟ قال: نعم، آية. قيل: وما هي؟ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾<sup>(١)</sup> قيل: أتحفظ شيئاً من الشعر؟ قال: بيتاً واحداً، قيل: ماهو؟ قال:

نزوركم لانكافئكم بمجوتكم  
إن الكريم إذا ما لم يزُرْ زاراً<sup>(٢)</sup>

ويعده:

يُقَرَّب الشوق داراً وهي نازحة  
من عالج الشوق لم يستبعد الداراً  
وقال أبو الورد المحاكمي في طفيلي:

طفيليُّ بؤم الخبز أتى  
ولا يروى من الأخبار إلا:  
يراه ولو يراه على يفاع  
«أجيب ولو دعيت إلى كراع»

(١) سورة الكهف ٦٢.

(٢) للمباس بن الأحنف، المقدم ٦: ٢٢١.

وقال طفيلي أيضاً :

نحن قومٌ إذا دعينا أجبتنا ومتى نفس يدعنا التطفيل<sup>(١)</sup>  
ونقلُ علماً دعينا فعبنا وأنانا فلم يجذنا الرسولُ

وأقبل طفيليُّ إلى طعام لم يدع إليه ، فقال صاحب الطعام : مَنْ دعاك ؟

فأشده :

دعوتُ نفسي حين لم تدعني فالجدُّ لي لالك في الدعوة<sup>(٢)</sup>  
وكان ذا أحسن من موعدٍ مُخلفه يدعو إلى الجفوة

ودخل طفيليُّ في صنيع رجل من القبط ، فقال له : مَنْ أرسل إليك؟ فأشأ

يقول :

أزورك لا أ كافيمك بجفوتكم إن الحب إذا ما لم يُزر زارا

قال : « زر زارا » ، ليس ندرى مَنْ هو ؟ اخرج من بيتي !

وقال آخر في طفيلي كوفي :

زرعنا فلما سلم الله زرعنا وأوفى عليه منجلٍ لحصاد<sup>(٣)</sup>  
بلينا بكوفي حليف جماعةٍ أضرت علينا من دبي وجراد<sup>(٤)</sup>

وحدث آدم الطويل ، قال : دخل حانوتي غريب يأكل شيئاً من الطعام  
فتمتدّم سائل ، قلت له : ما أكثر تردّدك إليّ ! فقال الغريب الذي في الحانوت :

لعله كما قال الشاعر :

(١) المقد ٦ : ٢١٤ .

(٢) عيون الأخبار ٣ : ٢٣٢ ، المقد ٦ : ٢١٢ .

(٣) عيون الأخبار ٣ : ٢٣١ ، المقد ٦ : ٢١٤ .

(٤) ط : د ربأ ، وما أثبتته من ب والمقد ، والدين : الجراد الصغير .

لو طبخت قدر بـطمورةٍ أوفى ذُرّاً قصرٍ بأعلى الثُّغورِ  
وكنت بالصين لوافيتهاً بعالم الغيب بما في القدرِ !

حكى المبرد قال : كان بالبصرة طفيليّ مشهور ، وكان ذا أدب وظرف ،  
مربّباً بسكة الدخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة ، فافتحم عليهم ، وأخذ مجلسه مع من  
دُعِيَ ، فأناكره صاحب المنزل فقالوا له : لو تأنيت أو صبرت يا هذا قبل الدخول  
حتى يؤذن لك ، كان أحسن لأدبك ، وأعظم لقدرك ، وأجل لمروءتك ؛ فقال :  
إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ، ووُضعت الموائد ليؤكل عليها ، والحشمة  
قطيعة ، واطراحها صلة .

وجاء في الآثار : صلّ مَنْ قطعك ، وأعطِ مَنْ منعك ، وأحسِنْ إلى مَنْ  
أساء إليك .

وأنشد :

كلّ يوم أدور في عرصة الداءِ رَأشُمُ الثُّمَارِ شَمَّ الذبابِ  
فإذا مارأيت آثار عرسٍ أو دخاناً أو دعوة الأصحابِ  
لم أعرج دون التفحم لا أرهب شتماً أو لكزة البوابِ  
مستهيناً بمن دَخَتْ عليه غير مستأذنٍ ولا هَيَّابِ  
ذاك أهنا من التكلف والغرمِ م وشتم التّجّال والقصابِ

كان بالبصرة طفيليّ يكنى أباسامة ، وكان إذا بلغه خبر وليمة ، لبس لبس  
القضاة ، وأخذ ابنيه معه ، عليهما القلائس الطّوال والطيايسة ، فيتقدم أحدهما  
فيدقّ الباب ، ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة ، ثم لا يلبث حتى يلحقه الآخر ،



فيقول : افتتح وبيك ! قد جاء أبو سلمة ، ويتلوها ، فإن لم يعرفهم البواب فتح لهم ، وإن عرفهم لم ياتمت إليهم ، ومع كل واحد منهما فهرٌ مدورٌ يسمونه كيسان ، فينتظرون من دُعَى ، فإذا جاء وفتح له طرحوا الفهر في المتبة ، حيث يدور الباب ، فلا يقدرّون على إغلاقه فيهمجون ويدخلون .

فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لُقمةً حارّةً من فالزوج ، وبلدها بشدّة حرارتها ، فتجمّمت أحشاؤه ، فمات على المائدة ، فقال عبد الصمد بن المعدل يرثيه :

أحزان نفسي عني غير منصرمة

وأدمى من جنون العين منسجمة

على صديقٍ ومولى لي فجمت به ما إن له في جميع الصالحين له

كم جفنةٍ مثل دور الحوض مترعة كرماء جاء بها طبأها رذمه

قد كللتها شحوم من قلبيتها ومن سنام جزورٍ عبطة سنمة

غيبت عنها فلم تعلم لها خبراً لهفي عليك وعولى يا أبا قلده

ولو تكون لها حياً لما بمدت يوماً عليك ولو في جامح حطمة

قد كنت أعلم أن الأكل يقتله

لكنني كنت أخشى ذلك من تخمة

إذا تعصم في شبليه ثم غدا فإن حوزة من يأتيه مصطامه

\*\*\*

وقالت لهم : أَتَقْبَلُونَ نَزِيلًا يَطْلُبُ جَنِّي الْأَسْمَارِ ، لَا جَنِّي الثَّمَارِ ، وَيَبْنِي مَلْحَ الْحَوَارِ ، لَا مَلْحَاءَ الْحَوَارِ ، فَحَلُّوا لِي الْحَبَا ، وَقَالُوا : مَرْحَبًا مَرْحَبًا ، فَلَمْ أَجْلِسْ إِلَّا لَمَحَةَ بَارِقِ خَاطِفٍ ، أَوْ مُنْبَعَةَ طَائِرٍ خَائِفٍ ، حَتَّى غَشِينَا جَوَابَ ، عَلَى عَاتِقِهِ جَرَابٌ ، فَحَيَّانَا بِالْكَلِمَتَيْنِ ، وَحَيَّا الْمَسْجِدَ بِالتَّسْلِيمَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَوْلَى الْأَبَابِ ، وَالْفَضْلِ الثَّلَابِ ، أَمَا تَعْمُونَ أَنَّ أَنْفَسَ الْقُرْبَاتِ ، تَنْفِيسُ الْكُرْبَاتِ ، وَأَمْنٌ أَسْبَابِ النَّجَاتِ ، مَوَاسَاةُ ذَوِي الْحَاجَاتِ . وَإِنِّي وَمَنْ أَحَلَّنِي سَاخَتَكُمْ ، وَأَتَّاحَ لِي اسْتِمَاخَتَكُمْ ، لَشَرِيدٍ مَحَلِّ قَاصٍ ، وَبَرِيدٍ صَبِيحَةِ خَمَاصٍ ، فَهَلْ فِي الْجَمَاعَةِ ، مَنْ يَفْتَأُ عَنَّا حُمَيَّا الْجَمَاعَةِ ؟ فَقَالُوا لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ حَضَرْتَ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فُضُلَاتُ الْعِشَاءِ ، فَإِنْ كُنْتَ بِهَا تَمْنُوعًا ، فَمَا تَحْدُ فِينَا مَنُوعًا ، فَقَالَ : إِنَّ أَخَا الشَّدَائِدِ ، لَيَقْنَعُ بِلُفَاطَاتِ الْمَوَائِدِ ، وَنِقَاضَاتِ الْمَزَاوِدِ . فَأَمَرَ كُلَّ مَنْهُمْ عِندَهُ ، أَنْ يُزَوِّدَهُ مَاعِنْدَهُ .

\* \* \*

قوله : « نَزِيلًا » أى ضيفًا . الأسمار : المذاكرة بالليل . وَجَنَّاها : مَا يُجْنَى من فوائدها . يبني : يطلب . مَلْحَ الْحَوَارِ : مَلِجُ الْكَلَامِ ، وَالْحَوَارِ : مَرَاجِعَةُ الْقَوْلِ . مَلْحَاءُ الْحَوَارِ : لَحْمُ سَنَامِ الْفَصِيلِ . الْحَبَا : جَمْعُ حَبْوَةٍ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَيْسَ لَهَا فِي الْبُؤَادِي حَيْطَانٌ تَسْتَنْدُ إِلَيْهَا فِي مَجْتَمَعِهِمْ ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقِيمُ

ركبته في جلوسه ، فيضع عليها أو يدير بهما ثوباً ، ويعقد عليهما يديه ،  
ويستريح إليهما ، ويقوم ذلك له مقام الاستناد ، فيقال لذلك المقعد : الخبوة ،  
فأراد أنهم حلوا له الحلباً إكراماً له . لحمة بارق : لمعة برق . خاطف : يخطف  
العين بسرعة فيمنعها النظر . نغبة : جرعة . غشينا : دخل علينا فجأة . جواب :  
قطاع للأرض بمشيه . العائق : ما بين المنسكب والمنق . جراب : وعاء للخبز .  
الكلمتين : سلام عليكم . التسليمتين : سلامه عند الدخول وسلامه من  
الركعتين . وتحية المسجد : أن يركع الداخل فيه ركعتين ، وقيل : التسليمتين ،  
تسليمة من صلاة المغرب وتسليمة من الركعتين اللتين بعدها . الألباب : الأذهان .  
اللباب : الخالص . أفس : أرفع . القرُّبات : ما يُتقرب به إلى الله عز وجل ،  
واحدها قرُبة . الكرُّبات : المهموم . تفرجها وإزالتها . أمتن : أقوى  
وأغلظ . التَّجاة : التخلص . مُواساة : جعلك لهم أسوة نفسك . ساحتكم :  
موضعكم . أتاح : قدَّر . استاحتكم : اجتداءكم والطلب منكم . شريد : منفر ،  
والشريد : الهارب . قاص : بعيد . بريد : رسول . خاص : جياع . يفتأ :  
يكسر . مُحياً الجماعة : حِدَّة الجوع . فضلات : بقايا . نُفَاطات : ما يُلفظ منها ،  
أى يُطرح . نُفَاضات : ما يُنفَض من بقية الزاد .

ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل ما يسقط  
من الخوان نقي عنه الفقر ، وعن ولده الحق » .  
والمزاود : أوعية الزاد .

\* \* \*

فَأَعْجَبَهُ الصَّنْعُ ، وَشَكَرَ عَلَيْهِ ، وَجَلَسَ يَرْتَبُّ مَا يُحْمَلُ  
إِلَيْهِ ، وَثَبَّنَا نَحْنُ إِلَى اسْتِثَارَةِ مَلْحِ الْأَدَبِ وَعُيُونِهِ ، وَاسْتِنْبَاطِ  
مَعِينِهِ مِنْ عُيُونِهِ ، إِلَى أَنْ جُلْنَا فَمَا لَا يَسْتَعِيلُ بِالْإِنْعَاسِ ، كَقَوْلِكَ :

سَاكِبِ كَاسٍ . فِتْدَاعِينَا إِلَى أَنْ نَسْتَتِجَ لَهُ الْأَفْكَارَ ، وَنَفْتَرِعَ مِنْهُ  
الْأَبْكَارَ ، عَلَيَّ أَنْ يَنْظُمَ الْبَادِيُّ ثَلَاثَ جَمَانَاتٍ فِي عِقْدِهِ ، ثُمَّ  
تَتَدْرَجُ الزِّيَادَاتُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَيَرْبَعُ ذُو مِيمَتِهِ فِي نَظْمِهِ ، وَيَسْبِغُ  
صَاحِبُ مِيسْرَتِهِ عَلَى رَغْمِهِ .

قال الراوى : وكنا قد انتظمتنا عددة كأصابع الكف ، وتأنفتنا  
ألفة أصحاب الكف .

\* \* \*

الصنع : الجليل . وقوله : « وجلس يرقب » ، وقال قيل هذا : « فلم أجلس  
إلا لمحة بارق » ، وقال في الثامنة والعشرين ، « وجلس حتى ختم نظم المتأذين »  
وأكثر ما صرف الجلوس في مقاماته من قيام .

وقال في الدرّة<sup>(١)</sup> : « يقولون للقائم : اجلس ، والاختيار على ما حكاها الخليل ،  
أن يقال إن كان قائماً : اقم ، ولمن كان نائماً أو ساجداً : اجلس . وعلل  
بعضهم هذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو إلى سفلى ، ولهذا قيل  
لمن أصيب برجله : مُقَمِّدٌ ، وإن الجلوس من سفلى إلى علو ، ومنه قول عمر بن  
عبد العزيز رضى الله عنه :

قُلْ لِلْفِرْزَدِقِ وَالسَّفَاهَةِ كَاشِمِهَا      إِنْ كُنْتَ تَارِكٌ مَا أَمْرَتِكَ فَاجْلِسْ  
أَيُّ اقْصِدْ نَجْدًا .

وكان عمر والياً على المدينة فقال للفرزدق : إن كنت تلزم العفاف ، وإلا  
طُخِرَ إِلَى نَجْدٍ .

(١) درة النور ٨٨ .

وحكى أبو عبد الله بن خالويه : قال دخلتُ على سيف الدولة بن سَهمان يوماً ، فلما مَثَلتُ بين يديه قال : أقعد ، ولم يقل : اجلس ، فتبينت بذلك اعتقاله بأهداب الأدب وإطلاعه على أسرار كلام العرب .

والذى نظر هو الوجه ، ولهذا جملة على الاختيار ، ولم يجعله من اللحن ، إلا أنه تقرب للمعنيين ، يجوز أن يكون قد استعمل جلس في اللقائات ، من القيام .

\* \* \*

يرقب : ينظر ويحرس ثبنا : رجمننا . استنارة : استخراج . مُلح : ما يتلح به من الكلام . عيونته : محتارته . استنباط : استخراج . معينه : ماؤه الصافي . عيونته : جمع عين الماء . وكنى بالأمين والتمين عن الكلام والقلوب . جُلنا : تصرفنا . يستحيل . يتغير . الانعكاس : قراءة اللفظة من آخرها . ساكب : صاب . تداعينا : دعا بعضنا بعضاً . نستنتج : نستدعي منها النتاج وهو الولد . الأفكار : جمع فكر ، وجعل ما يديه الفكر من الكلام تاجاً له . نفتح : نفتض . مجانات : جمع مجانة ، وهي حبة تعمل من فضة كالدرّة ، تدرج : تمشى . يربّع : يصنع أربع جهانات . ذو ، بمعنى صاحب . يسبع : يصنع سبعمائة . رَغمه : إكراهه وإذلاله . انتظمتنا : اجتمعنا . تألفنا : تصاحبنا وانضم بعضنا إلى بعض ، ومنه ألفت الكتاب . والألفة : الصحبة والاجتماع . والكهف : الغار . وأصحابه قصتهم معروفة .

\* \* \*

### [ قصة أصحاب الكهف ]

قال ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ مَا يَقُولُكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾<sup>(١)</sup> : أنا من أولئك القليل ، وهم مكسلبينا ويمليخنا ، وهو المبعوث بالورق إلى المدينة ، ومرطونس

(١) سورة الكهف ٢٢ .

وسارينوس وبوانس وكفشطيوس وقطينوسيوسوس، وهو الراعى، والسكب  
اسمه قطنير وهو أنردون الكروى وفوق القاطى .

وقال أبو شبل: بلغنى أن من كتب هذه الأسماء فى شيء ووضعها فى  
الحريق سكن الحريق .

وذكر الطبرى<sup>(١)</sup> أنهم كانوا فى أيام الطوائف على دين عيسى ابن مريم ،  
وكانوا فى حكم ملك للروم يُسمى دقيانوس يهد الأصباء ، فبلقه عن الفتية  
مخالفتهم لدينه ، فطلبهم فهربوا منه ، فاجتازوا براءى غم ، فأتبهم بكلبه ،  
فعلوه دينهم ، وصاروا إلى ربهم ، فأوام الليل إلى كهف ، فقالوا : نبيت هنا الليلة  
ثم نصبح فترى رأينا ، فضرب الله على آذانهم فناموا ، وتبهم الملك فوجدهم فى  
الكهف ، فلم يُطق أحد منهم دخوله ، فبنى عليهم باب الكهف ، ففتحه الرعاء  
بطول الزمان ، فأقاموا فيه ما ذكر الله تعالى ، ثم أحيام الله تعالى بعد ثمانمائة  
وتسع ، فشكوا : هل ناموا يوماً واحداً أو بعضه ؟ ثم مسهم الجوع ، فبعثوا أحدهم  
بورق يشتري لهم طعاماً ، ووصوه أن يحترق حتى لا يشعر بهم أحد ، فبدل  
عليهم فيجتمؤا إلى الملك الذى فرّوا منه أمس فيما ظنوا ، فيرجهم أو يرجعوا  
إلى دينه ، فلما أتى باب المدينة ، أنكر أن تكون هى التى خرج منها أمس  
فى ظنه لأنها تغيرت بمرور زمان بعد زمان عليها ، فأنكر أهلها . ثم أخرج  
الدرهم ليشتري طعاماً ، فقال له البائع : من أين لك هذه الدراهم ؟ وأمسكه ، فقال :  
خرجت أمس مع أصحاب لى فارّين من هذا الملك ودينه ، فبتنا فى كهف ،  
وأصبحنا اليوم ، فأرسلونى لأشترى لهم طعاماً ، فاستر علينا ، فحمله الرجل إلى  
ملك المدينة يسمع منه ، وكان ملكاً صالحاً ، نقص عليه القصة ، فركب الملك فى  
جملة من الناس ليطلعوا على أمرهم ، فدخل على أصحابه ، فوجدهم قد عادوا إلى  
نومهم ، فضرب الله على أذنه معهم ، فدخل الناس فوجدوا أجساماً لا يفكرون

منها شيئاً ، وكانهم مستيقظون يكلمونهم ، غير أنها بغير أرواح ، قال لهم الملك :  
هذه آية الله إليكم ، فبنوا عليهم مسجداً يصلون فيه .

\* \* \*

فابتَدَرَ لِعِظَمِ مِحْنَتِي ، صَاحِبُ مَيْمَتِي ، وَقَالَ : لِمُؤَاخَمَلٍ .  
وَقَالَ مِيَامِنُهُ : كَبُرَ رَجَاءُ أَجْرِ رَبِّكَ . وَقَالَ الَّذِي يَلِيهِ :  
مَنْ يَرْبُّ إِذَا بَرَّ يَنْمُ . وَقَالَ الْآخِرُ : سَكَتَ كُلٌّ مَنْ نَمَّ  
لَكَ تَكْسٍ .

وَأَفْضَتِ النَّوْبَةَ إِلَيَّ ، وَقَدْ تَمَّيَّنَ نَظْمُ السَّمَطِ السُّبَاعِيَّ عَلَيَّ .  
فَلَمْ يَزَلْ فِكْرِي يَصُوعُ وَيَكْسِرُ ، وَيُثْرِي وَيُغْسِرُ ، وَفِي  
ضِمْنِ ذَلِكَ أَسْتَطْعِمُ ، فَلَا أَجِدُ مَنْ يُطْعِمُ ، إِلَى أَنْ رَكَدَ النَّسِيمُ ،  
وَحَصَّحَصَّ التَّسْلِيمُ ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : لَوْ حَضَرَ السَّرُوجِيُّ هَذَا  
الْمَقَامَ ، لَشَفَى الدَّاءَ الْعُقَامَ ، فَقَالُوا : لَوْ نَزَاتِ هَذِهِ بِيَايَسَ ، لِأَمْسَكَ  
عَلَى يَاسٍ . وَجَمَلْنَا نُفَيْضُ فِي اسْتِصْمَابِهَا ، وَاسْتِغْلَاقِ بَابِهَا ،  
وَذَلِكَ الزَّوْرُ الْمُتَرِي يَلْحَظُنَا لِحَظَ الْمَزْدَرِيِّ ، وَيُوَلِّفُ الدَّرَرَ  
وَنَحْنُ لَا نَدْرِي .

\* \* \*

قوله : « اعظم محنتي » اعظم بليتي .

\* \* \*

لَمْ : من اللوم . مَلَّ : من الملل . كَبَّرَهُ : عَظَّمَ السَّكْبِيرَ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

يَرْبُوبٌ : بِصَالِحٍ . بَرٌّ : أَكْرَمٌ . يَنْمُو : يَزِيدُ خَيْرُهُ ، وَتَرْتَفِعُ مَنْزِلَتُهُ . وَنَمَى الشَّيْءُ يَنْمُو نَمَاءً ، وَنَمَوًا وَنَمِيًّا : زَادَ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : نَمَيْتُ حَدِيثَ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ أَنْمِيَهُ ، إِذَا بَلَغْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ وَطَلَبِ الْخَيْرِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « قَالِ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا » أَي أَبْلَغْ خَيْرًا ، أَوْ رَفَعَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ رَفَعْتَهُ فَقَدْ نَمَيْتَهُ . وَرَوَايَةُ ابْنِ ظَفَرٍ : « مَنْ يَرْبُ إِذَا بَرَّ يَنْمِي » ، أَي إِذَا كَانَ الْبَرُّ مِنَ النَّاسِ يَمْشِي بِالنَّمِيْمَةِ فَمَنْ يَرْبُ فَعَمَلًا جَمِيلًا وَبِصَالِحِهِ .

تَكْسِي : تَسْكُنُ كَيْسًا ، وَالكَئِيسُ : النَّاقِدُ فِي أُمُورِهِ ، وَقِيلَ الْعَاقِلُ . أَفْضَتْ : وَصَلَتْ . النَّوْبَةُ : الدَّوْلَةُ . السَّمْطُ : الْخَيْطُ يُعْقَدُ فِيهِ اللُّؤْلُؤُ . يَصُوغُ : يَصْنَعُ . يُبْثِرُ وَيَبْسُرُ ، أَي يَسْتَفْنِي وَيَفْتَقِرُ ، أَي يَكْثُرُ الْكَلَامُ مَرَّةً وَيَقَلُّ أُخْرَى .

وَفِي ضَمْنِ ذَلِكَ ، أَي فِي أَثْنَائِهِ وَفِي مَدَّتِهِ . اسْتَطْعِمَ : أَطْلَبُ طَعَامًا ، هَذَا أَصْلُهُ ، وَتَقُولُ : أَطْعَمْتُ الْفَارِيَّ إِذَا وَقَفَ فَمَتَحْتَ عَلَيْهِ وَأَفْتَيْتَهُ . وَاسْتَطْعِمَ هُوَ ، إِذَا اسْتَدْعَى ذَلِكَ . عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ : إِذَا اسْتَطْعِمَ الْإِمَامَ فَأَطْعَمَهُ ، أَي إِذَا أُرْتَبِحَ عَلَيْهِ فَافْتَحُوا لَهُ .

رَكَدَ النَّسِيمُ : سَكَمَتِ الرِّيحُ ، يَعْنِي كَلَامُهُ . حَصَّحَصَّ : تَبَيَّنَ . التَّسْلِيمُ : الْإِقْتِيَادُ ، أَي انْقَدْتَ لِلْمَعْجَزِ عَنِ الْإِنْيَانِ بِهَا .

النِّقَامُ : الْمَوْقِفُ . الْمُعَامَ : الشَّدِيدُ الَّذِي لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، بِمَنْزِلَةِ الرَّحِيمِ ( ١٤ - شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ - ٢ )



العقيم ، التي لا تؤثر فيها النظفة فلا تلد .  
إياس ، تقدّم ذكره . وإياس : ضدّ الطمع .

ولما ذكر هنا إياساً وإياساً ، نذكر فصلاً ذكره في الدرة على اللفظين ، قال : <sup>(١)</sup> ويقولون : أشرف فلان على الإياس من طلبه ، فيهمون <sup>(٢)</sup> كما وهم أبو سعيد السكري ، وكان من جلة النحويين ، وأعلام العلماء المذكورين ، فقال : إن إياساً سُمّيَ بالمصدر ، من أيس ، وليس كذلك - <sup>(٣)</sup> وإنما إياس عند المحققين مصدر آسيتُهُ ، أي أعطيته ، والمصدر منه الأوس ، ومنه المواساة ، فكأنهم سمّوا إياساً بمعنى تسميتهم عطاء <sup>(٤)</sup> . ووجه الكلام أن يقال : أشرف على الإياس ، لأن أصل الفعل منه يئس على فعل ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ يئسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يئسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ <sup>(٥)</sup> فأما أيس بتقديم الهزة فقلوب من يئس واستدلّ شيخنا أبو القاسم بن الفضل <sup>(٥)</sup> النحوي على صحة ذلك بأن لفظة يئس ، تساوى لفظة اليأس ، الذي هو الأصل في نظم الصيغة ، فتكون الياء مبدوءاً بها والهزة مثنيّ بها بخلاف تنزلهما في أيس ، فلهذا حكم على أيس أنها مقلوبة من يئس ، والمقلوب لا يتصرّف تصرّف الأصل ولا يكون له مصدر .

نفيض : نندفع بالكلام . المعترى : القاصد . ياحظنا : ينظرنا بطرف عينه .  
استحقراراً منه لنا . المزدري : المحتقر . يؤلف : يجمع . الدرر : جواهر الكلام .

\* \* \*

(١) درة القواس ١١٦ .

(٢) الدرة : فيوهمون .

(٣ - ٣) ساقط من درة القواس .

(٤) سدورة المنتجة ١٣ .

(٥) الدرة : « أبو القاسم الفضل بن محمد النحوي » .

فَمَنَا عِثْرٌ عَلَى افْتِضَاحِنَا ، وَنُضُوبٍ ضَحَضَاحِنَا ، قَالَ : يَا قَوْمِ ، إِنَّ  
 مِنَ الْعِنَاءِ الْعَظِيمِ ، اسْتِيلَادَ الْعَقِيمِ ، وَالِاسْتِشْفَاءَ بِالسَّقِيمِ ، وَفَوْقَ كُلِّ  
 ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : سَأُنُوبُ مَنَابِكَ ، وَأَكْفِيكَ  
 مَا نَابَكَ ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْثُرَ ، وَلَا تَنْثُرَ ، فَقُلْ مَخَاطِبًا لِمَنْ ذَمَّ الْبُخْلَ ،  
 وَأَكْثَرَ الْعَذَلِ : لُدُّ بِسَكَلٍ مُؤَمَّلٍ ، إِذَا لَمْ يَمَلِكْ وَمَلَأَ بَدَلَ . وَإِنْ أَحْبَبْتَ  
 أَنْ تَنْظِمَ ، فَقُلْ لِلَّذِي تُعْظَمُ :

أَسْ أَرْمَلًا إِذَا عَرَا      وَازِعَ إِذَا الْمَرْءُ أَسَا  
 أَسْنِدًا أَخَا نِبَاهَةَ      أَبْنُ إِخَاءِ دَنَسَا  
 أَسْلُ جَنَابَ غَاشِمٍ      مَشَاغِبِ إِنْ جَلَسَا  
 أَسْرٍ إِذَا هَبَّ مَرَا      وَارْمِ بِهِ إِذَا رَمَسَا  
 أَسْكُنْ تَقَوَّ قَعَسَى      يُسْعِفُ وَقْتُ نَكَسَا

\* \* \*

عِثْرٌ : اطلع . افْتِضَاحِنَا : اشتهارنا بالهجز . نُضُوبٍ ضَحَضَاحِنَا : جنوف  
 هائنا القليل . الاسْتِيلَادُ : طلب الولد ، يقول : إنَّ من تعب النفس طلب فائدة  
 من ذهن كليلى وقريحة جامدة . نَابَكَ : نزل بك . تَنْثُرُ : تقول نثراً . لُدُّ : استعتر  
 به والجأ إليه . مؤمَّلٌ : مر جوء لفعل الخير . لم : جمع للمال . بَدَلَ : تكرم على  
 غيره ، وهذا اللفظ من المعكوس فى النثر بديع ، فما ظنك بهذا النظم الرفيع الذى  
 أُرْدِفُهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَشْرَفِ حَسَنَاتِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ !

قوله : « أس » أعط ، والأوئس : العطية . أرملا : فقيراً أفنى زاده . عرا :

قصد . ارفع : احفظ الصحبة . أسا : أتى بسوء ، وأصله الهمز أساء فسُهل الهمزة ، يقول : إن قَصَدَكَ فقير فصِلْه ، وإن أخطأ عليك صاحبٌ فلا تقطعه ، و ارفع حقّ الصحبة ، ويقال : المرء بالهمز ، والمر بلا همز ، وبترك الهمز يستقيم الانعكاس في بيت الحريري ، ويقال : المرة ، قال دعبيل :

واخفظ عشيرتك الأذنين إنَّ أَمَّهُمْ      حقاً يفرق بين الزوج والبرّة<sup>(١)</sup>

وهذا البيت الذي فسرناه وما بعده من الأبيات تقرؤه إن شئت من أوله ، وإن شئت من آخره . وجعل هذا النمط في عكس الحروف توطئة لما يذكر في المقامة بعد هذا في الرسالة النهقرية ، من عكس ألفاظها ، من أولها إلى آخرها إلا أن ذلك العكس بالألفاظ وهذا بالحروف ، وكلاهما غاية في بابه ، وإنما يذكر الأدباء هذا استملاحاً في كلامهم ، وامتحاناً لخواطرم .

\* \* \*

[ مثل من التصحيف وقلب الكلام ]

وتريد أن تذكر هنا فصلاً مما يوافقه أو يقاربه على ما شرطناه ؛ فمن ذلك أن بعض الأدباء اتهم صاحباً له بسعاية في جانبه فكتب إليه في المجلس : ساءك نم ، فنظره الذي وشى به ، فكتب إليه : صحفه وقلب ، فهو والله مانطق به على لسانك ، من بغيك وعدوانك ، وهو مقلوب مصحف : منك أتيت ، فتضاحك وتصافيا .

وكتب بعضهم إلى خازن السلطان :

قد أُقبِلَ الشهرُ وإقبالُهُ      يأتي بما أجرى ترْتِيْبُهُ

(١) ديوانه ص ٤٧ .

فوجه البرّ ومقلوبه يجزبك عن برّك مقلوبه

وكتب بعض الظرفاء إلى صاحب له وهو مقلوب مصحّف : ظي سراب  
خشن . فإذا قرأته على الولاء من آخره بعد القلب والتصحيف جاء منه : حشن  
شراب طيب .

ومن أنواع المعميات التصحيف ، ومثاله : أن إبراهيم بن المهدي كتب إلى  
إسحاق الموصلي : لا يرتج مثل الأسنة ، فكتب إليه إسحاق . لا يرث جميل  
إلا بثينة .

وقال أبو الجهم بن الأنباري للحسن بن وهب : مات تصحيف : كلني بيمينك  
فبعني بحبتين ، فقال : كل شيء منك في عيني حسن .

وغاب صديق عن صديق له ، فلما لقيه قال له : عنّ تبي ، فجابه : زرنا  
يرذاذ حبا ، فالأول قال : غبت عني ، والثاني قال : زرغبا تزداد حبا .

وذكر في بعض مجالس الأدب التصحيف ، فقال فتى شاب : أنا ابن بجدته ،  
فقال بعضهم : مات تصحيف : نصحت فحشى ، فقال : تصحيف حسن ، فاستغرب  
إسراعه ، فاتهمه شاعر من بلنسية ، فقال : مات تصحيف بلنسية ؟ فأطرق ساعة ،  
ثم قال : أربعة أشهر ، فقال له البلنسي : صدق ظني إنك تنحل ما تقول ويحك !  
والفتى يضحك ، فقال له : اشهر ، فإنك شاعر ، فقال : وأى نسبة بين أربعة  
أشهر وبلنسية ؟ فقام وهو يقول : هو ذاك ؛ ثم تنبه بعد انصراف الفتى بعض من  
حضر ، فنظر فإذا أربعة أشهر ثلث سنة ، وهو تصحيف بلنسية ، فحجل المنازع ،  
ومضى إلى دار الفتى معذراً .

كتب بعض وزراء ابن عباد إليه يتسخط الإخوان هذا البيت :

وإذا صفا لك من زمانك واحد فمؤ المراد ، وأين ذلك الواحد !

فوقع في الكتاب: وأين ذلك الواحد؟ صحّف تعرف: فلما قرأه الوزير طار سروراً، ومثل بالبساط فلثمه بين يديه، وإنما صحّف، وأين، فجاء منه: وأنت، فردّ عليه من كلامه أبلغ جواب.

ومن ملح ابن عباد في التصحيف، أنه خرج في جملة وزرائه الأدياء، فاجتازوا بإشبيلية بالموضع الذي يباع فيه الجير والجبس، فلقى هناك جارية من أحسن الناس وأقلمهم حياء. فأقبل ابن عباد على ابن عمار، وقال: يا ابن عمار الجيارين، فقال ابن عمار: يا مولاي والجباسين، فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرف كل واحد منهما صاحبه بما ذكر، فبحثوا عن مرادهما، فلم يعرفوه، فسألوا: ابن عمار، فقال له ابن عباد: لا تبعها منهم إلا غالية. ثم إن ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية، وعابها بقلة الحياء، فصحّف «الجيارين»، فجاء منه «الحيازين» وصحّفت أنا «الجباسين»، فجاء منه «الخناسين»، فاستغربوا حضور أذهانهما وحسن كتابتهما.

أين هذه الأذهان من رجل مغفل، كان له ابن يُسمى حسناً مسافراً، فاستفتح المصحف يتفأل له في القدوم، فخرج له «وَحُسْن مآب»، فترك التيامن بهذا اللفظ لمآب الفتى سالماً، وقال: تصحيف «حسن مآب»: «حسن مات»، فاستدعى أم الفتى وخدمه، ونعاه لمن فاقن مناحة، وجاء الجيران والقرابة يتظلمون حادتهم، فهو يخبرهم بما تصحّف له، والفتى داخل قد أقبل في أعبط حال وأسرّها، فاستحرق وصار مثلاً.

\* \* \*

قوله: «أسند» أضفه إليك وقرّبه منك. نباهة: رفعة. أبين: باعد. دنس: عيب. يقول: صاحب من يشركك بذكره الجليل، وباعد من يدنس عرضك وتعا به.

\* \* \*

[ من أقوالهم في اختيار الصديق ]

وقد قيل : الصاحب رُقْمَةٌ في الثوب ، فليَنظُرِ الإنسان ما يرقِّعُ  
به ثوبه .

قال ابن رشيقي :

اصحب ذوى القَدْرِ واستعد بهم      وعدَّ عن كلِّ ساقط سَفِله<sup>(١)</sup>  
فصاحبُ المرءِ شاهدٌ ثِقَةٌ      يقضى به غائباً عليه ولَهْ  
ورُقْمَةٌ الثوبِ حينَ تَلْبَسُه      شهرته أو تكون مشتكله

وفي الحديث : « الأنفسُ أجنادٌ مجتَدَةٌ ، وإنها لتشامُ في الهوى كما تشامُ الخيلُ  
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

ونظم هذا الحديث أبو نواس فقال :

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مُجْتَدَةٌ      لله في الأرضِ بالأهواءِ تعترفُ<sup>(٢)</sup>  
فما تعارف منها فهو مؤتلفٌ      وما تناكر منها فهو مختلفٌ

وقال طرفه - أو عدى بن زيد :

إذا كنت في قومِ فصاحبِ خيارهم

ولا تصحبِ الأردى فتدَى مع الردى<sup>(٣)</sup>

عن المرءِ لا تسألِ وسل عن قرينه

فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ مقتدى

(١) نقله في التتبع ٦٠ .

(٢) ديوانه ٤٠٨ .

(٣) البيت الثاني في ملحق ديوان طرفه ٨٢١ .

وقال أبو المتاهية :

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين فامرء منسوب إلى القرين

وقال الخالدي :

وإذا أردت ترى فضيلة صاحب  
فامرء مطوي على علاته  
فانظر بعين البحث من ندمانه  
طى الكتاب وصحبه عنوانه

ومما يروى لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا السوء وإياك وإياه  
فكم من جاهل أودى حليماً حين آخاه  
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه  
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه  
وفي المئين غنى للمئين أن تنطق أفواه  
وللقب على القلب دليل حين يلقاه

وقال ابن رشيقي :

اختر لنفسك من تما دى كاختيارك من تصادق<sup>(١)</sup>  
إن العدو أخو الصديق وإن تحالفت الطرائق

قوله : « اسل جناب غاشم » يريد جانب منزل ظالم ، ولا تقرب به . وسلوت

يقعدى بمن وبنفسه ، تقول : سلوت عنه ، وسلوته وسليته .

(١) نقله في التنف ٥٤ .

وقال الأسود بن يعفر :

فأقسمت لا أشربه حتى يملئني بشيء ولا أسليه حتى يفارقا

قوله : « مُشَاغِبٌ » مسارع للشرُّ . هب : تحرك . مرأ : جدال ، ومعنى « اسر » اكشف وأزل ، يقول : إذا تعلق بك وهب عليك جدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالناصحة ، وبعده المرأ . وتقول : سرّيت الثوب عني ، وسرّيته ، إذا كشفته ، قال ابن هزّمة :

\* سرى ثوبه عني السرى المتخايل \* (١)

ومنه سرّى عن الرجل أى كشف عنه ما كان يجده من النعم والغضب ، وقد يكون معنى « اسر » باعد وفارق من الشرى ، وهو سير الليل ، فيقول : فارق موضع الجدال وبعده . رسا : ثبت ، أى إذا سكن الخلاف بين القوم فارم أنت به واتركه ، ويروى : « اسر » بالضم ، أى كن سرّياً ، أى سيداً ذا مروءة ، إذا هاج الجدال بين القوم فباعده .

وقال سابق البربرى :

لا تنفعن لجوجاً حين تزجره إن اللجوج له فى المال إغراه  
وأغض فى حسن عفوٍ عن نواذره فالحرّ فيه عن الآفات إغضاه

\* \* \*

[ ذكر المرأ والجدال وما يتولد منهما ]

والمرأ مدافعة الحق وترك الانقياد، لما ظهر منه، وقد يستعمل بمعنى الجدال، فمن جادل ليظهر باطلاً مجداله محظور .

(١) ديوانه ١٦٦ وبقيته

\* وآذن بالبين الخليط المزابل \*



وفي الحديث : « من ترك الجدال مُحِقًا بنى الله له بيتًا في الجنة » .  
وقال ميمون بن مهران : لا تمارِ مَنْ هو أعلم منك إنه يحتزن عنك علمه .  
ولم تضره شيئًا .

وقال لقمان لابنه : مَنْ لا يملك لسانه يندم ، وَمَنْ يكثرِ المراءِ يُشتم ،  
ومن يدخل مداخل السوء يتهم . يا بنى لا تمار العلماء فيمقتوك .

وقال مالك بن أنس رضى الله عنه : للمراء يقسى القلوب ويورث الضغائن .  
وقال بلال بن مِهْدَمَة : إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا معجبًا بنفسه فقد  
تمت خسارته .

واسع بن كدام يخاطب ابنه :

إني منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أبي ، عليك شفيق<sup>(١)</sup>  
أما المزاحمة والمراء فدعهما خلقتان لا أرضاهما لصديق  
إني بلوتهما فلم أخترهما لجاور جارٍ ولا لرفيق

قوله : « اسكن » الزم السكون والوقار . تقوى : أراد تقوى . يسعف :  
يساعد ويوافق . نكس : قصر بك ، يقول : لا تبادر إلى الجدال ، والزم  
السكون ، حتى يتقوى نظرك ، ويظهر لك صوابك ، فمسي يوافقك على الإصابة  
يحسن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب ، لو التزمت الجدال .

ومن أعاجيب ابن الرومي قوله في ذم الجدال :

لأولى الجدال إذا غدوا لجدالهم حجج تضل عن الهدى وتجوؤ  
وهن كآنية الزجاج تصادمت فهوت وكل مكاسر مكسور  
فالقاتل المقتول ثم لو هنيهة ولضعفه ، والآمر المأسور

(١) حساسة البحرى ٥٣ ، عيون الأخبار ١ : ٣١٨ .

وقال من شعر يمازح صديقاً له :

لكن في الشيخ غريزية      يخاصمُ الله بها في القدرِ  
ما كان لِمَ كان وما لم يكن      لم يكنُ فهو كَيْلُ البَشَرِ

\* \* \*

قال : فلما مسحنا بأياته ، وحسرتنا ببعد غاياته ، مدحناه  
حتى استعفى ، ومنحناه إلى أن استكفى .

ثم شمر ثيابه ، وازدقر جرابه ، ونهض ينشد :

لله درُّ عصاة      صدق المقال      مقاولاً  
فاقوا الأنام      فضائلاً      وفواضلاً  
حاوَرْتَهُمْ فوجدتُ سخةً      بأن لديهم      باقلاً  
وحللتُ فيهم سائلاً      فلقيتُ جوداً      سائلاً  
أقسمتُ ، لو كان الكرا      م حياً ، لكانوا      وابلاً

\* \* \*

قوله : « مسحنا » تركنا مسحورين . بأياته . بمجائبه ، يقول : إن فلاناً  
آية من الآيات ، أى عجب من العجائب . حسرتنا : قطعنا وأكلنا . والفاية :  
الطلق ، يريد أنا كلنا في الفايات التي جرى فيها لبعدها ؛ ويريد اتساعه في  
الكلام

استعفى : قال : عافوني منه . منحناه : أعطينا . استكفى : قال : يكفيني .

ازدفر : حمله على ظهره ، والزفر الحِملُ على الظهر . جرابه : وعاء خبزته . عصاية : جماعة . صدق المقال ، أى صادقين فى قولهم ، وصدق جمع صدوق ، وعدل عن صدوق على جهة المبالغة فى صدقه . مقاولا : ملوكا . فاقوا : فضلوا ، وزادوا عليهم . فضائلا : جمع فضيلة ، وهى ما تفضل به غيرك من الأفعال الحمودة . مأثورة : متحدث بها .

فواضلا : عطايا وأيادى ، الواحدة فضيلة ، وفواضل المال : ما يأتىك من مرافقتك وعكسه .

ومن كلام العرب : إذا عزب المال قلت فواضله ، أى قل انتفاع ربه للإبل بلبنها إذا بمدت ، قال الشاعر :

سأبفك مالا بالمدينة إننى أرى عازبَ الأموال قلت فواضله  
قوله : « حاورتهم » خاطبتهم .

\* \* \*

[ ذكر سحبان وائل ]

سحبان فصيح العرب ، وهو سحبان بن زفر بن إياس بن عبد شمس الوائلى من وائل باهلة ، وكان من فصحاء العرب وبلغائها ، وبه يضرب المثل فى البيان والفصاحة ، فيقال : أفصح من سحبان .

ودخل عند معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلما رأوه خرجوا لهمهم بقصورهم عنه ، فقال :

لقد علم الحىّ اليمانون أننى إذا قلت أما بعد أنى خطيبها<sup>(١)</sup>

(١) البيت من شواهد الرضى فى الكافية ، وهو مع ترجمة سحبان فى خزنة الأدب لابن دى ٤ : ٣٤٦ - ٣٤٨ ، قال : وروى صدره :

\* وقد علمت قيس عيلان أننى \*

فقال له معاوية: اخطب، فقال: انظروا لى عصاً، فقالوا: وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه! فأخذها في يده، فتكلم من الظهر إلى أن كادت صلاة العصر تفوت، ماتنحنيح ولا سعل، ولا توقف ولا ابتداء في معني، فخرج منه وقد بقيت عليه فيه بقيمة، ولا مال عن الجنس الذي يخاطب فيه، فقال معاوية: الصلاة! فقال: الصلاة أمامك، ألسنا في تحميد وتمجيد، وعظة وتنبيه، ووعد ووعيد! فقال له معاوية: أنت أخطب العرب، فقال: العرب وحدها! بل أخطب الإنس والجن، فقال له معاوية: كذلك أنت.

وهو أوّل من قال: أما بعد، وأوّل من آمن بالبعث من الجاهليّة، وأوّل من توكأ على عصا، وعمر مائة وثمانين سنة، وهو القائل يمدح طلحة بن عبيد الله، وهو طلحة الطلحات الخزاعي فقال فيه:

يا طالح أكرم من مشى حسباً وأعظامم لتألد<sup>(١)</sup>  
منك المطايا فاعطني وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة: احتكم، فقال: برذونك الورد، وفعمرك بزرنج<sup>(٢)</sup>، وغلأمك الخباز<sup>(٣)</sup>، وعشرة آلاف درهم، فقال له: أف أف لك! لم تسألني على قدري، إنما سألتني على قدرك وقدر باهلة، والله لو سألتني كل قصر لي وعبد وداية لأعطيتك.

\* \* \*

(١) الخزانة ٤: ٨٤٣، الميداني ١: ٢٤٨.

(٢) ط: « بدرنج » تحريف، صوابه من الخزانة وجمع الأمثال. وذكره ياقوت في أبيات لعبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير:

ملكٌ يُطعم الطعام ويُستقى  
لبن البُخْتِ في عِساسِ الخَلنجِ  
جَلَب الخَيْلِ من تِهامةٍ حَتَّى  
بَلَغَتْ خَيْلُه قِصُورَ زَرَنجِ

(٣) ط: « الخباز »، وصوابه من ب والخزانة وجمع الأمثال.

## [ ذكر باقل ]

قوله: « باقلا » ، هو من إباد ، قيل من بنى مازن . وقال حميد الأرقط في وصف ضيف أكثر من الطعام :

أَتَانَا وَمَا دَانَاهُ سَجْبَانُ وَائِلٌ      بِيَانَا وَعِلْمًا بِالذِي هُوَ قَائِلٌ (١)  
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ      مِنَ الْعِيَةِ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلٍ (٢)

والعرب تقول : إنّه لأعيا من باقل ، ومن عيّه أنه اشترى ظيباً ، ثمّله على عنقه ، فسئل عن ثمنه ، فحلّ عنه يديه وفتح أصابعه ، وأشار بها - وأخرج سانه - يريد أنه بأحد عشر درهماً ، ولم يلبّهم أن يخبر عن سومه بلسانه - ونسأ غير باقل بفعله قال :

يَلُومُونَ فِي عِيِّهِ بِأَقْلًا      كَانِ الْحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ (٣)  
فَلَا تَكْتَرُوا الْعَتَبَ فِي عِيِّهِ      فَلَا عَمَى أَجْمَلُ بِالْأُمُوقِ  
خُرُوجِ اللِّسَانِ وَفَتْحِ البِنَانِ      أَخْفَتَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَنْطِقِ

الأموق : الأحمق . قوله : « حلت » نزلت . سائلا : طالبا معروفاً .  
جوداً : كرماً . سائلا : جارياً . حياً : مطراً كثيراً .

والوابل : أشدّ المطر ، يريد أنهم كانوا يزيدون عليهم في الفضل .

\* \* \*

(١) الميداني ٢ : ٤٣ .

(٢) بمذه في الميداني :

يقول وقد ألقى المرابي للقرى  
يدلّل كنفاه ويخدر حلقه  
فقلت لعمرى ما لهذا طرفتنا  
فكل ودع الإرجاف ما أنت آكل

(٣) بقية الدهر ٢ : ٢٤٢ .

ثُمَّ خَطَا قَيْدَ رُمَحَيْنِ ، وَعَادَ مُسْتَعِيدًا مِنَ الْحَيْنِ ، وَقَالَ :  
 بَاعَزَّ مِنْ عَدِمِ الْآلِ ، وَكَنَزَ مِنْ سُلْبِ الْمَالِ ، إِنَّ الْفَاسِقَ  
 قَدْ وَقَبَ ، وَوَجَهَ الْمَحْجَّةَ قَدْ انْتَقَبَ ، وَيَبِينِي وَبَيْنَ كِنْيٍ لَيْلٍ  
 دَامِسٍ ، وَطَرِيقُ طَامِسٍ ، فَهَلْ مِنْ مِصْبَاحٍ يُؤْمِنُنِي الْعِثَارُ  
 وَيُبَيِّنُنِي لَى الْآثَارِ ؟

\* \* \*

خطا : مشى ونقل خطاه . قيد : قَدَّر . مستعيداً : مستجيراً . الحين :  
 الموت . عدم الآل : فقد الأهل ، يقول : أتم عز لمن فقد أهله ، وكنز لمن  
 أخذ ماله . الفاسق : القمور .

عائشة رضی الله عنها قالت : نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمور ، فقال :  
 « يا عائشة استعيزي بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الفاسق إذا وقب » ، يعني  
 حين شره إذا كسف . ووقب القمور : يقبُ ووقوبا : دخل في الظلام الذي يكسفه ،  
 وكل ما غاب فقد وقب . المحجة : الطريق . انتقب : استتر ، وجعل من الظلام  
 نقاباً . وكني : منزلي . دامس : مظلم . طامس : دارس ؛ لأن الظلام لما غطاء  
 كأنه محاه . الآثار : الطرق التي أثر فيها المشي .

\* \* \*

[ وصف الشمع ]

قال الصابي في شمعة ، وذكر هذا المعنى :

وليلة من محاق الشهر مُدْجِنَةٌ لا النجم يهدي الشرى فيها ولا القمر<sup>(١)</sup>

(١) بثيمة الدهر ٢ : ٢٤٢ .

كَلَّفَتْ نَفْسِي بِهَا الإِدْلَاجَ مَمْتَطِيًّا      عَزْمًا، هُوَ الصَّارِمُ لِلصَّمَامَةِ الذَّاكِرُ  
إِلَى حَبِيبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ      مَا حَلَمًا قَبْلَهُ سَمِعَ وَلَا بَصَرَ  
وَلَا دَلِيلَ سِوَى هَيْفَاءِ مَخْطَفَةٍ<sup>(١)</sup>      تَهْدِي الرَّكَّابَ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مَعْتَكُرُ  
غَضَنَ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيذِ أَمْرِي فِي      أَعْلَاهُ يَا قُوْتَةَ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ  
تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمَرْبُوبُ فَإِنْ      لَاحَ الصَّبَاحُ طَوْتَهَا دُونَهَا الْجُدْرُ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر في مثله :

لَنَا شَمْعَةٌ نَيْطَتْ ذَرَاهَا بِشَعْلَةٍ      كَحَقَّةٍ تَبْرٍ عَلَّقَتْ بِلَسَانِهَا  
إِذَا عَثَرَ السَّارِي بِذَيْلٍ مِنَ الدُّجَا      نَحَرْنَا لَهُ قَلْبَ الدَّجَى بِسَفَانِهَا  
تَفُكُّ قِيُودَ اللَّيْلِ عَنِ كُلِّ زَائِرٍ      فَتَجْرِي بِهَا الرُّجْلَانُ مَلءَ عِفَانِهَا  
إِذَا مَا أَحْسَتُ بِالصَّبَاحِ تَمَارَضْتُ      كَنَرَجَسَةٍ قَدْ أُذْبِتْ بِمَكَائِهَا  
تَمُوتُ إِذَا مَا قَبِلْتُ خَدًّا حَائِطٍ      فَتَثْبِتُ خَلَا فَوْقَهُ مِنْ دُخَانِهَا  
كَانَ الْجِرَادُ امْتَصَّ جَوْهَرُ رُوحِهَا      وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهَا سِوِيْدَا جِنَانِهَا

وقال الذمري :

وَلَمَّا دَجَا اللَّيْلُ مَزَقْتَهُ      بَرُوحٌ يَنْجِفُ جِنَانِهَا  
بِشَمْعٍ أَعْيَرَ قَدُودَ الرَّمَاحِ      يَحَاكِي ذَرَاهَا وَأَلْوَانِهَا  
غَضُوبٌ مِنَ التَّبْرِ قَدْ رَكَّبَتْ      لَهْيَبًا يَزْبِي أُنْفَانِهَا  
فِيَا حَسَنَ أَرْوَاحِهَا فِي الدَّجَى      وَقَدْ أَكَلَتْ فِيهِ أَبْدَانِهَا

\* \* \*

(١) المخطفة : الضامرة البطن

(٢) اليقظة : « دونك المنذر » .

قَالَ : فَلَمَّا جِئْتُ بِالْمَلْتَمَسِ ، وَجَلَى الْوُجُوهَ صَوْنُ الْقَبْسِ ،  
رَأَيْتُ صَاحِبَ صَيْدِنَا ، هُوَ أَبُو زَيْدِنَا .

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : هَذَا الَّذِي أَشْرْتُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا نَطَقَ أَصَابَ ،  
وَإِنْ اسْتَمَطَرَ صَابَ .

فَاتْلَمَعُوا نَحْوَهُ الْأَعْنَاقَ ، وَأَحْدَقُوا بِهِ الْأَحْدَاقَ ، وَسَأَلُوهُ  
أَنْ يُسَامِرَهُمْ لَيْلَتُهُ ، عَلَى أَنْ يَجْبُرُوا عَيْلَتَهُ . فَقَالَ : حُبًّا لِمَا أَحْبَبْتُمْ ،  
وَرُحْبًا بِكُمْ إِذْ رَحَبْتُمْ ، غَيْرَ أَنِّي قَصَدْتُكُمْ وَأَطْفَالِي يَتَضَوَّرُونَ  
مِنَ الْجُوعِ ، وَيَدْعُونَ لِي بِوَشِكِ الرَّجُوعِ ، وَإِنْ اسْتَرَأْتُونِي  
خَامَرَهُمُ الطَّيْشُ ، وَلَمْ يَصْفُ لَهُمُ الْعَيْشُ ، فَدَعُونِي لِأَذْهَبَ  
فَأُسَدَّ نَحْمَصَتَهُمْ ، وَأَسْبِغَ غُصَّتَهُمْ ، ثُمَّ أَنْقَلِبَ إِلَيْكُمْ عَلَى الْأَثْرِ ،  
مُتَأَهِّبًا لِلْسَمْرِ إِلَى السَّحْرِ .

فَقُلْنَا لِأَحَدِ الْغِلْمَةِ : اتَّبِعْهُ إِلَى فِتْنَتِهِ ، لَيْسَ كُونَ أَسْرَعَ لَفَيْتَتِهِ ،  
فَانْطَلِقْ مَعَهُ مُضْطَبِنًا جِرَابَهُ ، وَمُحْتَجِحًا إِيَابَهُ .

\* \* \*

قوله : « الملتمس » ، أى المطلوب وهو المصباح ، والقبس ضوءه . جلا :  
كشف . صاحب صيدنا ، أى الذى اصطاد أموالنا . استمطر : سُئِلَ المطر .  
صَاب : وَقَعَ وقعا شديدا ، وكنى بالمطر الصَّوْبَ عن العلم الكثير . اتلمعوا :  
مدوا ، وأتلع الرجل : نصبَ عنقه ومدَّها ، وتناول لينظر شيئا . أحدقوا :  
( ١٥ - شرح مقامات الحريري ج ٢ )



حلّقوا وأحاطوا ، والأحداق : سواد العين الأعظم : عيلته : قومه  
 يتضوّرون : يَصِيحون . ابن الأنباري : وقولهم : تركته يتضوّر ، معناه  
 يظهر الضرّ الذي وقع به بالتقلل والاضطراب والصياح ، فيتضوّر ، يتفعل من  
 الضّور ، والضّور بمعنى الضّير ، ويقال : ضرّني يضرّني ضرّاً ، وضارّني يضرّني  
 ويضوّرنني ضيراً وضوراً بمعنى . وشك : سرعة . استراثوني : استبطوني .  
 خامرم : خالطهم . الطيش : الخفة وذهاب العقل من الجوع . أسدّ  
 محصتهم : أزيل جوعهم . والغصة : ما يُخنق به وإساعتها : تسهيلها حتى تتبلع .  
 انقلب على الأثر ، أى في الحين وفي الطريق الذي أمضى فيه . أرجع : أمشى  
 على أثرى فيه مسرعاً ، قبل أن يمشى غيرى فيغيّره ، فهذا معنى أقلب على  
 الأثر . متأبياً : مستعدّاً . فيئته : رجوعه . مضطبنا : حاملاً على ضيّبه<sup>(١)</sup>  
 وهو خصّره . محنحنا : معجلاً . إياه : رجوعه .

\* \* \*

فأبطأ ببطأً جاوز حدّه ، ثمّ عاد الغلامُ وحده ، فقلنا له :  
 ما عندك من الحديث ، عن الحديث ؟

فقال : أخذني في طرُقٍ مُثمّبة ، وسُبلٍ مُتشمّبة ، حتّى  
 أفضيننا إلى دويرة خربة ، فقال : ها هنا مناخي ، ووكرُ  
 أفرأخي . ثمّ استفتح بابهُ ، واختلج مني جرابهُ ، وقال :  
 لعمري ، لقد خففت عني ، واستوجبت الحسنى مني ،  
 فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ، ومغارس المصالح ،  
 وأنشد :

(١) : « ط طينة » تحريف

إِذَا مَا حَوَيْتَ جَنَى نَخْلَةٍ فَلَا تَقْرَبْنَهَا إِلَى قَابِلٍ  
وَأَمَّا سَقَطَتْ عَلَى بَيْدَرٍ فَحَوْصِلٍ مِنَ السُّبُلِ الْحَاصِلِ  
وَلَا تَلْبَثَنَّ إِذَا مَا لَقِطْتَ فَتَنْشَبَ فِي كِفَّةِ الْحَابِلِ  
وَلَا تُوْغِلَنَّ إِذَا مَا سَبَحْتَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ  
وَخَاطِبُ بَهَاتٍ وَجَاوِبُ بِسُوفٍ وَبِعَ آجِلًا مِنْكَ بِالْعَاجِلِ  
وَلَا تُكْثِرَنَّ عَلَى صَاحِبٍ فَمَا مُلَّ قَطُّ سِوَى الْوَاصِلِ

\* \* \*

الخبث ، قال أبو الهيثم : الخبيث : الذكر من الشياطين وجمعه خُبث .  
أبو عبيدة : الخبيث : ذو الخبث في تفسيره . متشعبة : متفرقة ، وتشعب  
الطريق : خرجت منه شعب إلى كل جهة ، أى طرق آخر ، فأراد أنه خلط عليه  
بحيث لا يهتدى إلى منزله ، فكان يخرج من طريق إلى طريق . أفضينا :  
وصلنا ، وهو من الفضاء . مناخى : منزلى ، وأصله موضع إناخة البعير .  
وكر أفرأحى : عش أولادى . استفتح : ضرب وقال : افتحوا الباب .  
اختلج : أخذ بسرعة . جرابه : وعاء زاده . الحسنى : الفعل الحسن .  
هاك : خذ النفائس : الذخائر : الرقاع . مغارس : مواضع يُنرس فيها .  
المصالح : جمع مصلحة ، مفصلة من الصلاح . حويت : جمعت وحزت .  
جنى نخلة : هو التمر . بئدر : أندر الزرع ، يسمى بالشأم أندر ، وبالعراق  
بئدر . حوصيل : اجعل في حوصلتك وهى للظائر فى الأصل . كفة :  
شبكة . الحابل : الصائد . توغلن : تكثرن الدخول . سبحت :

حمت . الساحل : ما ولي الماء من الأرض ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، لأن الماء  
سحله أى قشره وأخذ عشبه ، كما تُسَخَّل الحديد بالبرد ، أى تبرد بالبرد ،  
والسَحالة : ماستط من المسحول .

وخاطب بهات : عكس قول الصاحب ، وقد أهدى إليه العميرى<sup>(١)</sup> قاضى  
قزوين هدية وكتب معها :

العميرى عبد كافي الكفاة ومن اعتد في وجوه القضاة<sup>(٢)</sup>  
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعومات من حسنات مترعات  
فوقع تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات  
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ، ليس مذهبي قول هات

قوله : « آجلا » ضد عاجل . وقوله : « ولا تكثرن على صاحب » ،  
أى لا تكثرن من الزيارة وأقلها خشية الملل . وروى قدامة بن جعفر أن  
رجلاً كتب إلى آخر : إن رأيت أن تحدد<sup>(٣)</sup> لى موعدا لزيارتك أتوقته  
إلى وقت رؤيتك فيؤنسنى إلى حين ، فافعل .

فأجابه الآخر : أخاف أن أعدك وعداً يعرض دون الوفاء به مالا أملك  
دفعه ، فتسكون الحسرة أعظم من الفرقة .

فأجابه : إنما أمرت بموعده ، وأكون جدلاً بانتظارك ، فإن عاق عائق عن  
إنجاز وعدك ، كنت قد ربحت السرور لما أحبه ، وأصبت أجرى على الحسرة  
بما حرمته .

(١) بتيمة الدهر ٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « العميرى » ، وما أثبتته من ب ، ج والبييمة .

(٣) ط : « تحدد » ، بالجيم .

[ نبذ مما قيل في الزائر ]

ولبعضهم :

أني زائراً من غير وعدٍ وقال لي أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومما جاء في قصر الزيارة قول أبي الشيص :

ياحبّذا الزور الذي زارا كأنه مقبِسٌ ناراً  
نفسى فداء لك من زائر ما حلّ حتى قيل قد ساراً  
مرّ بباب الدار فاجتازها ياليتُهُ لو دخل الداراً !

وأشده الحاتمي والوكيمي لحظته :

يأبى من زارني مكتئباً خائفاً من كل حس جزعاً  
حذراً دلّ عليه نوره كيف يُخفي الليل بدرأ طلماً  
رصد الخلوّة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجماً  
كابد الأهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعاً

وقال العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أتم فقرنا وداعهم بالسؤال<sup>(١)</sup>  
ما أناخوا حتى ارتحلنا فما نـفـرق بين النزول والتّرحال

وقال محمد بن أمية السكّاب :

يا فراقاً أتى بعقب فراقٍ وانفاقاً جرى بغير اتفاق  
حين حطت ركابهم لتلاقٍ زمت العيس منهم لانطلاق

(١) ديوانه ٢٣١ ، والرواية فيه :

ما أمخنا حتى ارتحلنا فما نـفـرق بين الناخ والإرتحال  
سألونا عن حالنا إذ قدمنا فقرنا وداعهم بالسؤال

إن نفسي بالشّام إذ أنت فيها ليس نفسي نفسي التي بالعراق  
أشتهى أن ترى نوادي فتدري كيف وجدى بهم وكيف احتراقي

[ طيف الخيال ]

ومن الزوّار طيف الخيال ، وهو في الشعر الجاهليّ والمولّد كثير ، وسندك  
منه شيئاً يُستحسن إن شاء الله تعالى ، قال قيس بن الخطيم <sup>(١)</sup> .

إني مرّيت وكنت غير مرّوبٍ ومقرّبُ الأحلام غير قريب <sup>(٢)</sup>  
ما تمنى بقلبي فقد تؤنّبه في النّوم غير <sup>(٣)</sup> مصرّد محسوب <sup>(٤)</sup>  
وقال أبو النّرج الكاتب :

خيالك كان أعرف بالقرام وأرأف بالمحبّ المستهام  
فلو بسطيع حين حضرت نومي لكان يزور في غير المنام  
وقال المرتضى <sup>(٥)</sup> :

وزور زارني والليل داج- فطلّني بباطلٍ ذاك حيناً <sup>(٦)</sup>  
يريني أنه ثانٍ وسادي مضاجعةً ، وزور ما يُربنا  
نعمتُ بباطل ، ويودّ قلبي وداداً ، لو يكون لنا يقيناً  
وقال أيضاً :

وزور تحطّي جنوب الملاّ فناديت : أهلاً بذا الزائر <sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه ١٥ ، ١٦ .

(٢) غير مرّوب : غير مبعدة ، وفي ط : « شربت .. شراب » ، تصحيف .

(٣) مصرّد : مقل .

(٤) بعده في الديوان :

كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب

(٥) في الأصول : « الرضى » ، وهو خطأ ، والأبيات في طيف الخيال للمرتضى ١٥٣ .

وهي أيضاً في ديوانه المرتضى ٣ : ٣٠٣ .

(٦) الديوان : « وقد ملاّ الكرى منا العيونا » .

(٧) طيف الخيال : ٢٤٣ منسوبة إلى المرتضى .

أَتَانِي هَدَوْ وَعَيْنَ الرَّقِيبِ مَطْرُوفَةٌ بِالكَرَى الْغَامِرِ  
وَأَحْيَبُ بِهِ يُسْعِفُ الْمَاجِمِينَ وَتَحْرَمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ  
وَعَهْدِي بِتَمُوبِهِ عَيْنَ الْحَبِّ تَمَّ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ  
فَلَمَّا التَقِينَا بَرِغَمِ الرَّفَا دَمُوهَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

قال الرضي: قلت هذه الأبيات سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، وتداول أهل الأدب إنشادها ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا أنه مخترع لم يسمع ، فلما تصفحت ديوان شعر أبي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وجدت بخطه في الجزء الثاني من شعره :

إِن طَيْفَ الْخِلْيَالِ زَارَ طَرُوقًا وَالْمَطَايَا بَيْنَ الْقَنَانِ وَشَعْبِ (١)  
زَارَنِي وَاصِلًا عَلَى غَيْرِ وَعَدِي وَانْتَهَى هَاجِرًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ  
كَانَ قَلْبِي إِلَيْهِ رَائِدًا عَيْنِي فَعَلَى الْعَيْنِ مِقْسَةً لِلْقَلْبِ  
كَانَ عِنْدِي أَنَّ الْغُرُورَ لِيَطْرُقِي فَإِذَا ذَلِكَ الْغُرُورُ لِقَلْبِي

فلا أدري : هل قصد نظمها حتى لا يخلّي شعره من هذا المعنى ، أو أنسى سماعه مني ، وقذف به خاطره ، وكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك ، فيتواردون في بعض المعاني المسبوق إليها ، وقد كانوا سمعوها فأنسوها ؛ والخواطر مشتركة ، والمعاني معترضة لكل خاطر ، وكيفما جرى الأمر فالمنصر واحد .

\* \* \*

ثم قال : اخْزَنَهَا فِي تَأْمُورِكَ ، وَاقْتَدِرْ بِهَا فِي أُمُورِكَ ،

(١) ديوان الرضي س ١ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، طيف الخيال ٩٣ ، ٢٦٥ بنسبتها إليه والقنان وشعب : موضعان ، وفي ط « القنان » ، تحريف ؛ وبمده هناك :

فَوْقَ أَكْوَارِهِنَّ أَنْضَاءُ شَوْقٍ طَرَقُوا بِالْغَرَامِ دُونَ الرَّكْبِ  
كَلِمًا أَنْتَ الْمَطَى مِنَ الْإِعْيَاءِ أَنَا مِنَ الْجَوَى وَالكَرْبِ

وَبَادِرٍ إِلَى صَحْبِكَ ، فِي كَلَاءَةِ رَبِّكَ ، فَإِذَا بَلَغْتَ نَمَّ ، فَأَبْلَغَهُمْ  
تَعَبِيَّ ، وَاتْلُ عَلَيْهِمْ وَصِيَّتِي ، وَقُلْ لَهُمْ عَنِّي : إِنَّ السَّهْرَ فِي الْخُرَافَاتِ ،  
لَمِنْ أَعْظَمِ الْآفَاتِ ، وَلَسْتُ أَلْفِي احْتِرَاسِي ، وَلَا أَجْلُبُ الْهُوسَ  
إِلَى رَاسِي .

قال الراوي : فلما وقفنا على فحوى شعره ، واطَّلنا  
على نُكْرِهِ وَمَنْكْرِهِ ، تَلَاوَمْنَا عَلَى تَرْكِهِ ، وَالْإِغْتِرَارِ  
بِإِفْسِكِهِ .

ثم تَفَرَّقْنَا بِوُجُوهِ بَاسِرَةٍ ، وَصَفَقَةَ خَاسِرَةٍ .

\* \* \*

قوله : « اخزُنْهَا فِي تَامُورِكَ » ، أَي اجْعَلْهَا فِي قَلْبِكَ ، وَالتَّامُورُ : حِجَابُ  
الْقَلْبِ ، وَقِيلَ : دَمُ الْقَلْبِ . كَلَاءَةٌ : حِفْظٌ وَكَلَاءَةٌ : يَكْلُوهُ : حِفْظُهُ .

الْخُرَافَاتُ : أَحَادِيثُ الْهَوِّ وَالْأَبَاطِيلِ ، قَالَ الْغَلِيلِيُّ : الْخُرَافَةُ الْحَدِيثُ  
الْمُسْتَمْلِحُ فِي الْكُذْبِ . أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَ خُرَافَةً رَجُلًا صَالِحًا سَبَقَتْهُ الْجَنَّةُ ،  
فَرَأَى مِنْهُمْ عَجَائِبَ فَخَدَّثَ بِهَا ، فَيُقَالُ فِي كُلِّ حَدِيثٍ يُسْتَفْرَبُ : كَأَنَّهُ  
حَدِيثُ خُرَافَةٍ .

أَلْفِي : أَتْرَكَ . احْتِرَاسِي : تَحْفَظِي . الْهُوسُ : يَيْسُ الرَّأْسِ ، يَتَوَلَّدُ مِنْ  
كَثْرَةِ السَّهْرِ . فَخْوِي : مَعْنَى . نُكْرِهِ : مَنْكْرِهِ وَدِهَانِهِ . تَلَاوَمْنَا : لَامَ  
بِمَعْنَى بَعْضًا . الْإِغْتِرَارُ : الْإِنْتِدَاعُ . إِفْسِكِهِ : كَذْبِهِ . بَاسِرَةٌ : عَابِسَةٌ ، وَبَسْرُ  
وَجْهِهِ بِسُورًا : عَابَسَهُ . وَصَفَقَةُ خَاسِرَةٌ ، أَي تِجَارَةٌ وَمُبَايَعَةٌ نَاقِصَةٌ .

\* \* \*

## المقامة السابعة عشرة القهرية

حدث الحارث بن همام قال : لحظتُ في بعض مطارِحِ البينِ ،  
ومطامِحِ العينِ ، فتيةً عليهم سِيما الحِجَابِ ، وطلاوةً نجومِ الدَجَى .  
وهم في مِمارةٍ مُشدِّدةِ الهُبُوبِ ، ومباراةٍ مُشتتةِ الألهُوبِ ، فهزَّني  
لِقصدِهم هَوَى المحاضرَةِ ، واستِجلاءِ جَنَى المناظرَةِ .

فلما التَّحَقَّتْ بِرَهْطِهِمْ ، وَاِنْتَظَمْتُ فِي سِمَطِهِمْ ، قالوا : أَأَنْتِ  
مِنْ يُبَلَى فِي الْهَيْجَاءِ ، وَيُلْقِي دَلْوَهُ فِي الدَّلَاءِ ؟ فقلتُ : بل أَنَا  
مِنْ نَظَارَةِ الحُزْبِ ، لا مِنْ أبنَاءِ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ . فأضربُوا عَن  
حِجَابِي ، وَأفاضوا فِي التَّحَاجِي .

\* \* \*

لحظتُ : نظرتُ . مطارِحُ : جمع مطرَح ، وهو الموضع تطرح فيه نفسك ،  
أى ترميها فيه . البينُ : الفراق ، فيريد بمطارِحِ البينِ البلاد التي طرحه فيها  
البين ورماه إليها . ومطامِحِ العينِ : المواضع الحسان التي تطمَح فيها العين بالنظرِ ،  
أى ترتفع إليها . سِيما الحِجَابِ : علامة العقل ، والسِّيما من وَسِمَتُ الشيءِ ونَسَمًا إذا  
علنته ، وأصله «وَسَمَى» ، فحوَّلت الواو من موضع الغاء إلى العين . فصار سِيومِي ،  
فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . طلاوة : حسن . الدَجَا : الظلمة . المِمارةُ :  
الخصام . مُشدِّدةُ : كبيرة الحركة . والشَّدَّةُ : الجري . الهبوبُ : مجيء الريح :  
مباراةُ : معارضة . مُشتتةُ : ممتدة متجاوزة الحد . الألهُوبُ : الجري الشديد ،



فأراد أن حركة الكلام بينهم في المناظرة شديدة . والمخاضرة : مجالسة العلماء .  
مناظرة : سؤال العالم لتعلم حسن نظره وقدر معرفته . جناها : فوائدها . رهطهم :  
جماعتهم . انتظمتُ في سَمَطهم ، أى جلست بينهم . يبلى في الهيجاء : يقاتل في  
الحروب . النظارة . القوم يقعدون في موضع مرتفع من الأرض ينظرون منه  
القتال ولا يشهدونه ، فأراد أننى ممن يحضر معكم للاستماع ، لا للمناظرة .  
الحجاج : مصدر حاجه ، تقول : حاجت فلانا إذا أوردت عليه الحجة وأوردها  
عليك ، فإن غليته قات : حججته . أفاضوا في الأحاجي : اندفعوا في الأناز .

\* \* \*

وكان في محبوبحة حلقيتهم ، وإكليل رُفقتهم ، شَيْخٌ قد  
بَرَّتْهُ لِلْمُؤْمومِ ، وَلَوْحَتُهُ السُّمومُ ، حَتَّى عَادَ أَنْمَحَلٍ مِنْ قَلَمٍ ،  
وَأَفْخَلَ مِنْ جَلَمٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُبْدِي الْمُعْجَابَ ، إِذَا أَجَابَ ،  
وَيُنْسِي سَحْبَانَ ، كَلِمًا أَبَانَ . فَأَعْجِبْتُ بِمَا أُوتِيَ مِنْ  
الإِصَابَةِ ، وَالتَّهْبِيرِ عَلَى تِلْكَ العِصَابَةِ ، وَمَا زَالَ يَفْضَحُ  
كُلَّ مَعَمَى ، وَيُضْمِي فِي كُلِّ مَرَمَى ، إِلَى أَنْ خَلَّتِ الجِعَابُ ،  
وَنَفِدَ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ .

فلمأراى إنفاض القوم ، واضطرارهم إلى الصوم ، عَرَّضَ بِالْمَطَارَحَةِ ،  
وَاسْتَأْذَنَ فِي الْمَقَامِحَةِ .

فقالوا له : حَبِّدْنَا ، وَمَنْ لَنَا بِذَا !

\* \* \*

بُحْبُوحَةٌ : وسط . إكليل : دائرة ، وأصلها عصابة مكحلة بالدر والياقوت ،

تعتمد على رموس الملوک . رفقهم : جماعتهم . برته : أذهبت لحمه . لوَحَّته ::  
خَيْرته وأضمرت جسمه . السَّموم : الريح الحارّة . أقفل : أيس .

جلم : مقصّ ، وأكثر ما يستعمل مثنيّ ، فيقال : جلمان ، والعجب من  
أبي محمد يقول في الدرّة : (١) ويقولون : قرضت (٢) بالمقراض ، وقصّصت (٣)  
بالمقصّ (٤) فيهمون ، كما وهم بعض المحدثين حين قال في صفة مزنون (٥) بالقيادة ،  
وإن كان قد أبدع في الإجابة :

إذا حبيبٌ صدّ عن إلفيه تيمّاً وأعيّاً كلّ رَواضٍ (٦)  
ألف فيما بين شخصيهما كأنّه مسامٌ مقراضٍ

قال : والصواب أن يقال ، مقراضان ومقصّان وجمالان ، لأهما (٧) اثنتان .

فما منعه غيره أباحه هنا لنفسه ، فقال : أقفل من جلم ، ولا تقول كما قال :  
إنّه وهم ، بل تقول : إنها لغة قليلة .

قال يعقوب : والجلم الذي يُجرّ به ، وقال رجل من الأزد في مفرد مقراض :

(١) درة القوس ١١٥ .

(٢) الدرّة : قرضته .

(٣) الدرّة : « قصصته »

(٤) الدرّة : « فيهمون » .

(٥) مزنون ، أى متهم .

(٦) قبله في الدرّة :

القوّ ابن إسحاقٍ تلاقى فتىً ليس امرؤٌ عنه بمعتاضٍ

(٧) بعمده في الدرّة : ونظير هذا الوهم قولهم للاتنين زوج ، وهو خطأ ، لأن الزوج في  
كلام العرب هو الفرد المزوج لصاحبه . فأما الاثنان المصطحبان فيقال لها : زوجان ، كما  
قالوا : عندي زوجان من النعال ، أى نعلان .

فعليك ما اسطمت الظهور بعتى وعلى أن ألتاك بالمقراض  
وقال الراجز في مفرد الجلم :

\* وجلم كرشة الوقواق \*

والوقواق : الخطاف ، والجسم للنحيل يشبه بالقلم والجلم ، وقاب الشاعر  
التشبيه والنز بالقلم ، فقال :

ضئيل الرثواء كثير الفناء من البحر في المنصب الأخصر  
كمثل أخى العشي في شخصه وفي لونه من بنى الأصفر  
وقال ابن أبي نباتة في جلم :

ومعتقن ما اتهمها بعشي وإن وصفا بضم واعتناق  
لعمر وأبيك ما اجتماع المعنى سوى معنى القطيمة والفراق

وتقدم في الثانية من أبيات المعاني فيه :

ارعت مراتع مدرها على وهن<sup>(١)</sup> صنوين إن أفردا لم يرعيا أبدا

أبان : بين . التبريز : الظهور والخروج قبلهم .

العصابة : الجماعة . يفضح : يشهر عيبه . معنى : مستور . بصمى : بصيب

للقتل .

خلت الجباب : أى أفرغ الكلام ، وألجمية : وعاء السهام ، فكنتى بها عن

(١) حاشية ط : الذى تقدم « على : عجل » .

القلوب ، وبالسهام عن الكلام الذي يصدر عنها .

الإفناض : فناء الزاد ، وقد أنقض القوم ، وأراد فنادما عندهم من العلم .  
الصوم : الشكوت والإمساك عن الكلام .

المطارحة ، أصلها في الفناء ، وهو ما يأخذه المتعلم عن المعلم وعرض بها ، أى ذكرها . المفاتحة : استفتاح الكلام .

\* \* \*

فقال : أُنْعَرِقُونَ رِسَالَةَ أَرْضُهَا سَمَاوُهَا ، وَصُبْعُهَا مَسَاوُهَا ،  
نُسِجَتْ عَلَى مَنَوَاتَيْنِ ، وَتَجَلَّتْ فِي لَوْنَيْنِ ، وَصَلَّتْ إِلَى جِهَتَيْنِ ، وَبَدَتْ  
ذَاتَ وَجْهَيْنِ ، إِنْ بَزَعْتَ مِنْ مَشْرِقِهَا ، فَنَاهِيكَ بِرِوْتَقِهَا ، وَإِنْ طَلَمْتَ  
مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَيَا لِعَجَبِهَا !

قال : فكان القوم رمؤوا بالصمات ، أو حقت عليهم كلمة  
الإنصات . فما نبس منهم إنسان ، ولا فاه لأحدم لسان ، فحين  
رآهم بكما كالأنعام ، وصموتا كالأصنام ، قال لهم : قد أجلتكم  
أجل المدّة ، وأرخت لكم طول المدّة ، ثم هاهنا تجمع الشمل ،  
وموقف الفصل ، فإن سمحت خواطركم مدحنا ، وإن صلدت  
زنادكم قدحنا ، فقوالوا له : والله مالنا في لجة هذا البحر  
مسيح ، ولا في ساحله مسرح ، فأرخ أفكارنا من الكد ،

وَهَنِيَّ الْمَطِيَّةَ بِالنَّقْدِ ، وَاتَّخِذْنَا إِخْوَانًا ، يَثْبُونُ إِذَا وَتَبْتَ ، وَيُثْبُونُ  
مَتَى اسْتَبْتِ .

فَأَطْرَقَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : سَمَّيَا لَكُمْ وَطَاعَةً ، فَاسْتَمْلُوا مِنِّي ،  
وَانْقَلُوا عَنِّي ...

\* \* \*

أرضها سماؤها : يريد أعلاها أسفلها . صبحها مساؤها : أولها آخرها .  
المنوال : خشبة الحائك ، أراد أنها نسجت من الطرفين ، لأنك تبتدئها بالقراءة  
إن شئت من أولها ، وإن شئت من آخرها .

بَرَّغْتَ : طلعت . نَاهِيكَ : كافيك .

رَوْقَهَا : حسنها ، والرَّوْفُقُ : صفاء الوجه وحسنه ونعمته .

الصَّمَاتُ : السكوت ، والإنصات مثله . نَبَسَ : تكلم . الأنعام : المواشي .

أَجَلَّتْكُمْ : أخرتكم والبدّة هنا : عدة الموت ، لأنها أطول العدد ، ألا  
ترى أنه أرخى لهم طول المدة ؛ والطَّوِيلُ : الحبل . والشَّمْلُ : الاجتماع . الفَصْلُ :  
القضاء ، يقول : قد طوّلت لكم الأمد لتستخبروا هذه الرسالة ، وفي هذا الموضع  
يكون اجتماعنا ويفصل فيه بين العارف وضده .

خَوَاطِرِكُمْ : أذهانكم . صَلَدَتْ : شجّت . قدحنا : ضربنا زند النار ، يقول :  
إن عرفتموها مدحناكم وإن جهلتموها عرّفناها لكم ، وجعل صلود الزند كناية  
عن جمود القرائح .

لُجَّةٌ : معظم الماء . مَسْبُوحٌ : موضع يُسْبَحُ فيه ، أي يعم . مَسْرَحٌ : موضع

يُسرح فيه ، أى يُمشى ويتصرف . الكد . الجهد والكدب . هنىء : طيب .  
النقد : حضور المال . يثبون : يقومون لقيامك . يُثيبون : يهبون الثواب .  
استنبت : طلبت الثواب . استملوا : اكتبوا .

\* \* \*

الإِنْسَانُ صَنِيمَةٌ الإِحْسَانِ ، وَرَبُّهُ الْجَمِيلُ فِعْلُ النَّذْبِ ، وَشِيمَةٌ  
الْحُرِّ ذَخِيرَةُ الْحَمْدِ ، وَكَسْبُ الشُّكْرِ اسْتِمَارُ السَّعَادَةِ ، وَعُنْوَانُ  
الْكَرِيمِ تَبَاشِيرُ الْبَشْرِ ، وَاسْتِمَالُ الْمُدَارَاةِ يُوجِبُ الْمَصَافَاةَ ، وَعَقْدُ  
الْحَبَّةِ يَقْتَضِي النُّصْحَ ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ حِلْيَةُ اللِّسَانِ ، وَفَصَاحَةُ  
النُّطْقِ سِحْرُ الْأَلْبَابِ ، وَشَرَكُ الْهَوَى آفَةُ النُّفُوسِ ، وَمَلَلُ الْخُلَاقِ  
شَيْنُ الْخُلَاقِ ، وَسُوءُ الطَّمَعِ يَبْأِينُ الْوَرَعَ ، وَالزِّرَامُ الْحَزَامَةُ زِمَامُ  
السَّلَامَةِ ، وَتَطَلُّبُ الْمَثَالِبِ ، شَرُّ الْمَعَايِبِ ، وَتَتَبُّعُ الْعَثَرَاتِ ،  
يُدْحِضُ الْمُودَاتِ ، وَخُلُوصُ النِّيَّةِ ، خُلَاصَةُ الْعَطِيَّةِ . وَتَهْنِئَةُ النَّوَالِ مَمْنُ  
السُّؤَالِ ، وَتَكَالُفُ الْكَالِفِ ، يُسَهِّلُ الْخَلْفَ ، وَتَيْقِنُ الْمَعُونَةَ يُسَنِّي  
الْمَثُونَةَ ، وَفَصْلُ الصَّدْرِ ، سَعَةُ الصَّدْرِ ، وَزِينَةُ الرُّعَاةِ ، مَقْتُ الشُّعَاةِ ،  
وَجَزَاءُ الْمَدَائِحِ ، بِثُ الْمَنَاسِحِ ، وَمَهْرُ الْوَسَائِلِ ، تَشْفِيعُ الْمَسَائِلِ ،  
وَمَجْلَبَةُ الْغَوَايَةِ ، اسْتِفْرَاقُ الْغَايَةِ ، وَتَجَاوُزُ الْحَدِّ يُكَلِّهُ الْحَدَّ .

\* \* \*

صنيمية: ما يصطنعه الإنسان لغيره من الخير، يريد أن الإنسان أهل الإحسان،  
وإن عكست قلت: الإحسان صنيمية الإنسان، أى إصلاح الإحسان وتعميمه

من صنع مَنْ يوصف بالإنسانية وقد تقدم :

\* وما فيهم مَنْ يربّ الصنيع \*

وقال أعرابي لعبد الملك بن مروان :

ربّ الذي يأتي من الخير إنه إذا فعل المعروف زاد وتّمّا

وليس كبان حين تمّ بناؤه تدبّعه بالتقص حتى تهدّما

فغنى يربّ ، هو قوله : زاد وتّمّا .

الندب : السّيد الخفيف : شيمة : طبيعة . الذخيرة : الشيء الرفيع من مالٍ  
أو غيره ، والادخار كالاقتناء . استثمار : تناول الثمر : عنوان : دليل : تبشير :  
أوائل ، وتبشير الصبح : طرائق ضوئه في الليل ؛ ويقال للطواق التي تراها على وجه  
الأرض من آثار الرياح : التبشائر . البشر : طلاقة الوجه . المداراة : خداع  
القلب بلطف الكلام ، ومداراة الناس : معاملتهم بما يحبون . المصافاة : إخلاص  
الصحبة . عقدها : ربطها . يقتضى : يتضمّن . حلية : زينة . الألباب : العقول .  
الهوى : ما يهواه الإنسان ويميل إليه . آفة : داء . الخلائق : الناس . شين :  
عيب . الخلائق : الطبايع ، يقول : الملل في الناس يعيب أخلاقهم . سوء الطمع :  
كثرة الحرص . تباين : تباعد . الورع : الكف عمّا فيه إثم ، وقد ورّع الرجل  
ورّع ورعاً ورعة ؛ إذا كفّ عمّا لا يحلّ ، والورع بفتح الراء : الجبان ، وقد  
ورّع وورّع ، وقال عروة بن أذينة في ذمّ الطمع :

لقد علمت وخيرُ التول أصدقه بأن رزقي وإن لم آتِ بأتيني

أسعى له فيعينني تطلبه وإن قدمت أتاني لا يعنيني

لاخير في طمع يذني إلى طبع وعقة من قوام العيش تكفيني

وأُشَدَّ الحَرِيرَى البَيْتَ الأوَّلَ في الدرة :

تقد علمت وما الإسراف من خُلُقِي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

قال : فيروى أكثرهم « الإسراف » بالسین المهملة ، وروى بعضهم بالشين للمجبة<sup>(١)</sup> ، ليكون معناه التطلع إلى الشيء والاستشراف إليه .

\* \* \*

[ عروة بن أذنيه وهشام بن عبد الملك ]

قال : ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين ، وإغلاق الأمل بالخالق دون المخلوقين ، فخليته بها تحلية لماطله ، ومنبهة على صدق قائله ؛ وهو ما رويته من هذه طرق : أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخل عليه عروة قال له ألسنت القائل :

تقد علمت وخير القول أصدقه ... الأبيات

وأراك قد جئتَ تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له :  
تقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالفت في الوعظ ، وأذكرت ما أنسانيه الدهر .  
وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، ثم نصتها نحو الحجاز .

فمكث هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان من الليل تعار<sup>(٢)</sup> على فراشه ، فذكره فقال : رجل من قریش قال حكمة ، ووفد إلى اليوم ، فخبثته ورددته عن حاجته ! وهو مع هذا شاعر ، لا آمن ما يقول . فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر

(١) البيت في اللسان - شرف

(٢) التعار : التقلب على الفراش في النوم .

(١٦ - شرح مقابلات الحريري - ج ٢)



بانصرافه ، قال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولاه له ، فأعطاه النبي دينار ، وقال : الحق بهذا ، أين أدركته فأعطه إياها .

قال : فلم يدركه إلا وقد دخل بيته ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت !

\* \* \*

قوله : «اللزامة» : جودة الرأي ، والحازم : الجامع لرأيه ، المحكم لأمره وأصل الحزم الجمع والشد . ومنه الحزمة ، وحزمت المتاع جمعته وشدته ، ومنه الحزام لأنه يُشد به ، وقد حَزُم الرجل : صار حازماً .

الزَمَام : مَقْوَد البعير .

المثالب : المساوى ، وثلبه : ذكره بسوء . التطلب : البحث ، يريد أن البحث عن عيوب الناس من أكبر العيوب ، قال رجل للمستورد الخارجي : أريد غلاماً عتياباً ، قال : التمسه بفضل معايب فيه .

وكان يقول : أول ما يدلّ على عائب الناس معرفته بالعيوب .

معاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدّت تفسدهم .

أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها : مرّ المسيح صلوات الله عليه بقوم من اليهود ، فقالوا له شرّاً ، فقال خيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : كلٌّ ينفق مما عنده .

وكتب الشافعيّ رضي الله عنه لصديق له :

لئن ساءنى أن نلتينى بمساءة لقد مررتنى أنى خطرت بيبالك<sup>(١)</sup>  
 وأنى الشافعى رضى الله عنه مسجداً ، فصادف قوماً يفتابونه ، فسد الباب  
 وقال :

هنيئاً مريئاً غيرَ داءِ مخاصمٍ لمرّةٍ من أعرافنا ما استحكمت<sup>(٢)</sup>  
 وقال الشاعر :

ثالبى عمرو وثنالبتة فأنتم المثلوب والثالب  
 قلت له خيراً وقال الخنى كل على صاحبه كاذب

قوله : « العثرات » ، السقطات . يدحض : يبطل ، يريد أن البحث عن  
 عيوب الصاحب يبطل مودته .

أبو بردة الأسلمى رضى الله عنه : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ، لا تدموا الناس ولا  
 تميروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يلتمس عورة أخيه تتبع الله عورته ،  
 ومن تتبع الله عورته يفضحه في بطن بيته .

وقال سابق البربرى :

إذا ما كنت طالب كل ذنبٍ ولم تحمّل أخاك عن المتاب  
 تباعد من تباعد بعد قربٍ وصار بك الزمان إلى اجتناب

وقال عبدالله بن جعفر : عليك بصحبة من إن صحبته زانك ، وإن غبت عنه  
 صانك ، وإن احتجت إليه مانك ، وإن رأى منك خلة سداها ، أو حسنة عداها .

(١) البيت من أبيات لابن الدمينه ، ديوانه ١٧ .

(٢) من تائيه كثير ، أمالى القالى ٢ : ١٠٧ - ١١٠ .

وقال الحسن بن وهب: من حَقَّقَ المودَّةَ أخذ عفو الإخوان، والإغضاء  
عن تقصير إن كان .

وقيل: خيرُ الإخوان مَنْ إذا نسيتَ ذنبك لم يقرعك به، ومعرفة عندك  
لم يمنَّ عليك به .

وقال الشاعر:

إذا شئت أن تدعني كريماً مهذباً      سنياً سرّباً ماجداً فطناً حُرّاً  
إذا ما بدت من صاحب لك زلةً      فكُنْ أنتَ مُختالاً لزاتهِ عُدراً

قوله: « خلوص النية »، صفاؤها، أى من أخلص لك النية؛ فكأنه قد  
أعطاك خالص ماله، والخلاصة: ما خُصَّ من الشيء وصفاً .

النوال : العطاء . الكُلف : المشقات . بسئى : يستهل . المؤنة :  
خدمة الضيف وما ينفق عليه ، يقول : من يتقاع أن الله يُعينه على البرِّ أو  
ما ينويه من الحقوق ، سهل عليه تكلف المؤن ؛ وهو من قول النبي صلى الله  
عليه وسلم : « إنَّ الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس  
عليه . فإن لم يقم بذلك النعمة عرَّض النعمة للزوال » .

وأما معكوس ما قبله ، وهو تيقن الخلف يسهل الكلف ، فمن قوله  
صلى الله عليه وسلم « من أيقن بالخلف جاد بالظمية » .

قال محمود الوراق :

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مَبْتَدَأًا      وَابْتِخَلَ مِنْ سَوْءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللَّهِ

قالوا: للمعروف ثلاث خصال : تعجيله وتيسيره وستره ، فن أخلّ بواحدة منها ، فقد بحسّ المعروف حقّه ، وسقط منه الشكر .

قوله : « الفضل » ، هو الزيادة على قدر الحاجة . الصّدر : هو المتقدم في الأمور ، مثل الوالى وسيد القوم ، يقول : مَنْ يتصدّر لأُمور الناس ، ففضله وشرفه سمة خلقه .

الرّعاة : الولاة . مقت الثّماعة : بغض العمال الذين يجمعون الزكاة . والشّاعة أيضاً المشاءون بالتميمة للملوك ، فيقول : زين الملوك بغض العمال الذين جرت العادة في قديم الزمان وحديثه بظلمهم الناس ، فإذا أبنضوم بمحتوا على أعمالهم الفاسدة ، نخافوهم فعدلوا ، وأما بغض المشائين التّميمة للملوك فواجب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله المثلب » . قيل : ومَنْ المثلب يارسول الله ؟ قال : « الذى يسمّى بصاحبه إلى سلطان ، فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه » .

قوله : « بثّ » ، أى نشر . المنايح : العطايا ، يقول : جزاء المدح بئذ المال ، وأصل المنايح بذل فوائد الأموال لا الأموال .

مهر : حقّ ، الوسائل : القرب ، والوسيلة ما تجعله سبباً بينك وبين مَنْ تريد الوصول إليه مثل الشفيع والهدية فى قضاء حاجتك .

المسائل : جمع مسألة ، وهى هنا سؤال المحتاج . والجلبة : مَقَملة من الجلب ، والمعنى : حق الوسيلة قضاء الحاجة . النّواية : الضلالة . استفراق : تجاوز الحدّ ، والحدّ : الأوّل الفصل بين الشئين ، وأصله المنع ، والحدّ الآخر حدّ السيف وشبهه . بكلّ : يضعف .

\* \* \*

وتعدّى الأدب ، مُحِبَطُ القرب ، وتناسى الحقوق ، ينفشى

المُتَّقُونَ، وَتَحَاثَى الرَّيْبَ يَرْفَعُ الرَّتَبَ، وَارْتِفَاعُ الْأَخْطَارِ بِاقْتِحَامِ  
 الْأَخْطَارِ، وَتَنَوُّهُ الْأَقْدَارَ بِمَوَاتَاةِ الْأَقْدَارِ، وَشَرَفُ الْأَعْمَالِ فِي  
 تَقْصِيرِ الْأَمَالِ، وَإِطَالَةُ الْفِكْرَةِ تَنْقِيحُ الْحِكْمَةِ، وَرَأْسُ الرِّيَاسَةِ  
 تُهْدَبُ السِّيَاسَةُ، وَمَعَ اللَّجَاجَةِ تُنَلِّغِي الْحَاجَةَ، وَعِنْدَ الْأَوْجَالِ  
 تَتَفَاوَضُ الرِّجَالُ، وَبِتَفَاوُضِ الْهَمَمِ تَتَفَاوَتُ الْقِيَمُ، وَبِزَيْدِ السَّفِيرِ  
 يَهِنُ التَّدْبِيرُ، وَبِحَلَلِ الْأَحْوَالِ تَتَبَيَّنُ الْأَهْوَالُ، وَبِمُوجِبِ الصَّبْرِ  
 ثَمَرَةُ النَّصْرِ، وَاسْتِحْقَاقُ الْإِحْمَادِ بِحَسَبِ الْجَهْدِادِ، وَوُجُوبُ  
 الْمَلَاظَمَةِ، كِفَاءُ الْمُحَافَظَةِ، وَصَفَاءُ الْمُوَالِي بِتَعَمُّدِ الْمُوَالِي، وَتَحَلِّي  
 الْمَرْوَاتِ يَحْفَظُ الْأَمَانَاتِ، وَاخْتِبَارُ الْإِخْوَانِ بِتَخْفِيفِ  
 الْأَحْزَانِ، وَدَفْعُ الْأَعْدَاءِ بِكَفِّ الْأَوْدَاءِ، وَامْتِحَانُ الْعُقَلَاءِ  
 بِمُقَارَنَةِ الْجَهْلَاءِ، وَتَبْصُرُ الْعَوَاقِبِ يَوْمِنُ الْمَعَاطِبِ، وَاتَّقَاءُ  
 الشُّعْمَةِ يَنْشُرُ الشُّعْمَةَ، وَقُبْحُ الْجَفَاءِ يَنَافِي الْوَفَاءِ، وَجَوْهَرُ  
 الْأَحْرَارِ عِنْدَ الْأَسْرَارِ.

\* \* \*

تعدى : تجاوز . يحبط : يفسد .

ينشئ العقوق : يظهر المقاطعة . تحاثنى : ترك واعتزال .

الرَّيْبُ : التَّهْمُ . الرَّتَبُ : الْمَنَازِلُ الرَّفِيعَةُ ، قَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : ثَلَاثَةٌ

لَا غُزْبَةَ مَعَهُنَّ : مَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ، وَحَسَنُ الْأَدَبِ ، وَكَفُّ الْأَذَى .

ونظمها الشاعر فقال :

يزين الغريبَ إذا ما اغتربَ ثلاثٌ، فمننَّ حسنَ الأدبِ  
وثانية حسنُ أخلاقه وثالثهنَّ اجتِنابَ الرِّيبِ

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لدهقان بعض ملوك المعجم : بم ينبئُ الرجل عندكم ؟ قال : بترك الكذب ، فإنه لا يشرفُ إلا من وثق بقوله . وبقيامه بأهله ، فإنه لا ينبئُ من يحتاج أهله إلى غيره ، وبمجانبة الرِّيب فإنه لا يعز من لا يأمن أن يصادف على سوءة . وبالقيام بمحاجات الناس ، فإنه من رُجِيَ الفرج لديه كثرت غاشيته .

قوله : « ارتفاع الأخطار » أي شرف الأقدار والقيَم . اقتحام : دخول شديد ، يقال : فلان يقتحم في الأمور ، أي يدخل فيها بغير تدبُّت ولا روية ، وتحمَّت الناقة ، إذ اندت فلم يسكها راكبها ، ومنه قُحمة العرب ، سُمِّيت قُحمة ، لأنهم إذا أُجذبوا تركوا البادية ودخلوا الريف .

الأخطار : جمع خَطَر ، وهو القَرَر .

تنوّه : ترفع . مواتاة : موافقة . الأقدار : الأول جمع قَدَر الإنسان ، أي منزلته ، والأقدار الثاني : جمع قَدَر الله تعالى .

وقال الشاعر :

الجِدُّ أنهضُ بالفتى من عقله فانهض بجدِّه في الحوادث أو ذرِ  
ما أقربَ الأشياء حين يسوقها قدراً وأبدها إذا لم تقدِّر

تصوير الآمال : تقليل الرجاء وكفّه ، ومن قَلل الطامع شرف عمله .

الفكرة : التدبير . تنقيح : تخليص ، وأصله أن تشذب القعد من العمود أو القصب حتى يستوى موضعها مع القصب .

قال الشاعر :

وطارت بصلب قوضت عند بيتها له أبْن ما قوضت وكوب<sup>(١)</sup>

صلب : عمود البيت ؛ جذبته المرأة لتضربه به فهدم بيتها .

تهذب : تخلص : والمهذب : المخلص من العيوب . والسياسة : حسن الإدارة .  
واللحاجة : ركوب الرأس في الباطل . تُتَلَى : توجد ويروى : «تلقى» و«تلقى» ،  
ومعناها تُترك وتطرح . والحاجة : ما يُحتاج إليه ، فإن عكست رجعت الحاجة  
الفقر ، يريد : إذا لججت في شيء أدركت حاجتك ، وعلى «تلقى» إذا وقعت لجة  
في حاجتك تركت ، وعلى العكس : مَنْ افقر ليج في السؤال حتى يعطى .  
الأوجال : جمع وجَل ، وهو الفزع ، وللعنى ، أن تفاضل الرجال في  
الصبر عند النوازل .

سلمان رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس شيء خيراً  
من ألف مثله إلا الإنسان » .

وقال الشاعر :

ولم أرَ أمثالَ الرجال تسارعُوا إلى الخير حتى عدَّ ألفٌ بواحدٍ

وفي عكسه يقول : الأمور المخوفة تصغر على العظيم وتمظم على الصغير ، فعلى  
قدر ما يفضل الرجل صاحبه في عزمه وإقدامه تزايد الأوجال وتنتقص .

وقد قال المتنبي :

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم<sup>(٢)</sup>

(١) الأبنة : المقعدة في العمود ، وجمعها أبْن .

(٢) ديوانه ٣ : ٣٧٨ ، ٣٨٩ .

وتعظمُ في عين الصغير صغارها وتصغرُ في عين العظيم العظامُ

الهمم : جمع همة . تتفاوت : تتباعد ما بينها . القيم : المنازل . السفير : الرسول : يهين : يضعف ، والمعنى أن السفير إذا تعدى فزاد في الحديث ضعف التدبير ، ولو عكست لقات : إن تدبير المرسل إذا اختلَّ ضعف السفير ، وإن كان حازماً ، وعلى هذا أنشدوا :

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلًا فأرسلَ حكيمًا ولا توصِه<sup>(١)</sup>  
 وإن ناصحَ منك يوماً دنًا فلا تنأ عنه ولا تُقصِه  
 وإن باب أمرٍ عليك التوى فشاوِرْ لبيبًا ولا تعصِه  
 وذو الحق لا تنقص حقه فإن القطيعة في تقصِه  
 ولا تحرصنْ فربَّ امرئٍ حريصٍ مضاع على حِرصِه

قوله : « خلل » ، فساد . والإحجاد : أن تجرد الرجل محمودا .

والاجتهاد : بلوغ الجهد ، وهو أقصى الطاقة ، والمعنى : أن الرجل يستحق أن يكون محموداً بحسب ما بذل من اجتهاده وطاقته ؛ ولو عكست قلت : الاجتهاد واجبٌ عليك فما كلفته بحسب إحماذك من كلفك .

الملاحظة : النظر بمؤخر العين .

المحافظة : التحرز ، والمعنى : إنك إذا أوجبت ملاحظة حال المحافظ لك ، ففعلك ذلك كفاء محافظته ، وإن عكست قلت إن المحافظ لك إذا صفت محافظته فهي كفاء ملاحظتك .

الموالى : الذى يُوالى الخير ، والكرم ، أى يفعل المرة بعد المرة . تتمد :

(١) البيت الأول في الأغاني ١٦ : ٨٤ ( سامى ) من غير نسبة .



تَفَقَّدَ . المَوَالِي : بنو العمِّ ، وقيل : الموالى مَنْ والاك بمتق أو بحاف أو بصحبة ، فكلُّ واحد منهما مولى للآخر ، والموالى بالضم الفاعل ، والمعنى : إذا تعاهدت مَنْ والاك بما أوجبه ولاؤه من رعايته ، صفت مودته لك ، وإن عكست قلت : إن الموالى يتعهدون من والام .

والصحيح في هذا الموضع أن للموالى الذى يولىك وُدّه ، والموالى : العبيد والأتباع .

وسأنى الأستاذ المرقى الحاج ابن السقاط في هذا الموضع ، فأجبت بما تقدم ، فقال لى : معنى هذا الموضع غائب عن لا يعرف سيرة أهل المشرق ، وذلك أن الرجل الشريف حين يصبح عندهم يأمر مواليه أن يقصدوا نظراء من الأشراف والأعيان ، فيأتون باب الشريف ، فيستأذنون عليه ، ويدخلون إليه ويقولون له : بنعم مولانا صباحك ، ثم يسألونه عن حاله وعمّا حدث عنده ، ثم يفعلون كذلك بجميع أصحاب مولاى ، وكذلك يفعل موالى ذلك المقصود في قصد نظراء مولاى ، فتنضبط بذلك عندهم الرعايات بين الأصدقاء والأقارب ، وتزايّد المودات بين الأولياء والأجانب . فعلى هذا المعنى يقول في تعهد الموالى ، وهو حسن إن شاء الله تعالى .

قوله : « تحلّى » ، أى تزين . والمروءات ، تقدمت . وتخفيف الأحران : تهوين الطوارى والنوازل . الأوداء : الأحاب ، يريد أنهم يكفون الأعداء ، ورواية ابن ظفر « دفع العداء » ، وأنكر « الأعداء » ، وقال : العداء بالفتح والمد : الظلم .

امتحان : اختبار ، يقول : إنما يتبين لك الماقل بمقارنته وبمصاحبته للجاهل ، لأنه لا يوافق ، وإن عكست قلت : الجاهل إذا صحب الماقل تبعه وانتقى جهله .

وقالوا : إذا أردت أن تفهم عالماً فأحضره جاهلاً .

وقال الشاعر :

عَدَوَى البليد إلى الجليد سريعةً والجمرُ يوضعُ في الرماد فيخمدُ

وقال صلى الله عليه وسلم : « ويل لعالمٍ أمرٍ من جاهله » .

وجاء كيسان إلى الخليل يسأله ، فسكّر ليحييه فلما استفتح الكلام ، قال

له : لا أدرى ما تقول ! فقال الخليل (١) :

لو كنت تعلم ما أقولُ عَذَرْتَنِي أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عَذَلْتُكَ

لكن جهاتٍ مقاتلي فعذلتني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكَ

تبهر العواقب : إمعان النظر في عاقبة الأمور . والمعاطب : المهالك ،

يريد من نظر في عاقبة أمره أمن ما يحذر .

الشدة : الفعل القبيح ينشر ذكره . السمعة : الذكر الجميل يُسمع عنك ،

أو القبيح فينشر في الناس .

الجفاء : سوء الأدب ، ونقل الكلام . وينافى : يباعد . الوفاء : ضد

الفساد .

\*\*\*

ثم قال : هذه ماثناً لفظة ، محتوى على أدبٍ وعِظَةٍ ،

فمن ساقها هذا المساق ، فلا مراء ولا شقاق ، ومن رام

عكس قالبها ، وأن يردّها على عقبها ، فليقل : الأمرارُ

(١) الخبر والشمر في ابن خالكان ١: ١٧٣ بهذه الرواية : « وكان له - أي لل خليل -

ولد متخلف ، فدخل على أبيه يوماً ، فوجده يقطع بيت شعر بأوزان العروض ، فخرج إلى

الناس وقال : إن أبي قد جن ، فدخلوا عليه ، وأخبروه بما قال ابنه ، فقال مخاطباً له ...

وذكر البيهقي .

عند الأحرارِ ، وَجَزْهَرُ الْوَفَاءِ ، يُنَافِي الْجَفَاءَ ، وَتُبِيعُ الشُّعْمَةَ  
يَنْشُرُ الشُّعْمَةَ ، ثُمَّ عَلَى هَذَا الْمَسْعَبِ فَلَيْسَ سَعْبُهَا ، وَلَا يَرْهَبُهَا ،  
حَتَّى تَكُونَ خَائِمَةٌ فِقْرَهَا ، وَآخِرَةٌ دُرِّهَا . وَرَبُّ الْإِحْسَانِ  
صَنِيمَةُ الْإِنْسَانِ .

\* \* \*

تحتوى : تشتغل . عظة : موعظة .

المراء والشقاق ، معناهما الخلاف ، والمكس ردّ أول الكلام على آخره ،  
وهو الردّ على العقب كما ذكره ، وهو معنى التمهرة الذى تسمى به المقامة ،  
ولذلك لم ينسبها إلى بلد . وللمهرة : رجوع الرجل عنك ، كما جاء عليك ، وذلك  
أن يرجع إلى خلف ، وهو يستقبلك بوجهه ، وهو الردّ على العقب ، وذلك  
أن الرجل إذا توجه مقبلاً إليك ، فإنما يقدّم فى مشيه إليك صدوراً قدميه ،  
فإذا تمهقر قدم فى مشيه عقبه ، وأصل التمهقر : الحجر المدرج ، فإذا ضربته  
تدحرج فى جريه ، حتى يستقر ، فإذا أردت أن يرجع إلى الموضع الذى جاء  
منه ضربته فتدحرج راجعاً إلى جهة موضعه ، فشبه رجوع الرجل على ما وصفناه ،  
وكذلك هذه الرسالة رجوع آخرها إلى أولها ، مشبه بذلك .

ولذلك شبه الأعرابي فرسه فى اجتماعه بالحجر<sup>(١)</sup> فقال : محبوبك مهملج<sup>(٢)</sup>

كما تمهقر الأدهج

والمسعب : الطريق الذى تجرّ فيه الشيء .

(١) الحجر : الأثني من الخيل

(٢) المهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة

يرهبها : يخفها ، أى لا يخرج الألفاظ عن طريقها فتختل ، وذلك أن هذه الرسالة مركبة كلها من مبتدأ وخبر ، فإن وقعت فيها على مبتدأ فى أولها أو آخرها أو وسطها ، فأقرأه مع ما بعده تجده مستقيا ، وأقرأه مع ما قبله تجده كذلك ، فإن وقعت على خبر مبتدأ فلا يستقيم مع ما بعده ، وهو مع ما قبله أبعده ، فأراد بقوله « لا يرهبها » لا يبتدىء لفظه بغير مبتدأ فتتداعى مبانها ، وتبطل معانيها ، ففهمه .

والفقر فى غير الموزون مثل القوافى فى الموزون ، والفقر مشتقة من فقار الظهر ، لأنها تنقطع على قافيتين أو ثلاثة ، وهذا هو الفرق بين الفقر والأسجاع إذ الأسجاع كلها ترجع إلى قافية واحدة من سجع الحمام وهو لا يختلف ، ولهذا قال المرمى فى الغراب :

أتى وهو طيار الجناح وإن مشى أشاع بما أعيأ سطيجا من السجع<sup>(١)</sup>  
وسطيج : كاهن ، وكلامه أسجاع .

\*\*\*

قال الراوى : فلما صدع برسائته الفريدة ، وأملوحتيه  
للأفيدة ، علمنا كيف يتفاضل الإنشاء ، وأن الفضل بيد الله  
مؤوته من يشاء . ثم اعتلق كل منا بذيله ، وفلذ

(١) سقط الزند ١٣٣٧ ، قال فى شرحه : أتى : الضمير فيه يرجع إلى « موف » ، والمراد به الحمام الأورق ، وهو طيار الجناح ، والبيت قبله :

وشككين ما بين الأنافى واحد  
وأخر موف من أرك على فرع

لَهُ فِلْدَةٌ مِنْ نَيْلِهِ ، فَأَبَى قَبُولَ فِلْدَتِي ، وَقَالَ : لَسْتُ  
أَرْزَأُ تَلَامِيذَتِي .

فقلتُ له : كُنْ أَبَا زَيْدٍ ، عَلَى شُحُوبِ مَسْحَتِكَ ، وَنُضُوبِ  
مَاءِ وَجَنَّتِكَ ، فَقَالَ : أَنَا هُوَ عَلَى نُحُولِي وَقُحُولِي ، وَقَشْفِ  
مُحُولِي ، فَأَخَذْتُ بِنِي تَثْرِيهِ ، عَلَى تَشْرِيْقِهِ وَتَفْرِيْبِهِ .

\* \* \*

صدع : كشف وشق .

للأفريدة : التي لا مثل لها .

أملوحته ، يريد بها الرسالة ، والأملوحة : الكلام المليح ، يجب له  
السامع .

والإنشاء : الكتابة

فَلْدٌ : قطع فلذة : قطعة ، وأصلها قطعة من كبد البعير .

قال الشاعر :

تسكفيه حُرَّةٌ فَلْدٌ إِنْ أَلِمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شَرِبَهُ الْفُغْمَرُ (١)  
نيله : عطائه . أرزأ : أقص .

والتلميذ : هنا متعلم العلم ، ولذلك أجي أن يأخذ منه شيئاً ، وهو في كل  
مقامة إذا تعرض للكذبية يفرده بالأخذ منه ، أو يبتدىء التقدير منه ، وذلك أن

(١) البيت لأعشى باهلة ، من قصيدته في رثاء المنتشر ؛ ذكرها البرد في الكامل  
٦٤ - ٦٦ ، ورواية البيت هناك « تسكفيه فلذة كبد » ، والنمر : قح صغير لا يروى .

الجماعة في هذه المقامة اشتروطوا مناظرته ، وابن همام شَرَطَ أَنَّهُ من نظارة الحرب ،  
 أى إِنَّمَا جلس لينظر ويتعلم ، فلماذا أخذ منهم وتركه ، وزاده فائدة التنبيه على  
 أنه أبو زيد ، ولذلك قال له : كن أبو زيد ، وكن أئى به بلفظ الأمر ، ومعناه  
 الدعاء ، وفي الحديث : « كن أبا ذر » و « كن أبا خيثمة » ، وذلك أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم رأى شخصاً من بعيد ، فرجا أن يكون أبا ذرّ النخاري ،  
 فقال : « كن أبا ذرّ » أى جعلك الله أبا ذرّ ، فكان مارجاه النبي صلى الله  
 عليه وسلم ، وكذلك كان اللفظ هنا ، كأن ابن همام لما أعجب بفصاحة صاحب  
 الرسالة تمني أن يكون أبا زيد ، لما عهد من فصاحته فقال : كن أبو زيد ، أى  
 جعلك الله أبا زيد الذى عهدتُ منه الفصاحة ، متى رأيتُه ، فصدق منه أُمْنِيَّتُهُ  
 فقال : أنا هو الذى تمنت .

والدعاء بلفظ الأمر كثير في كلامهم كقوله :

\* ألا أنعم صباحاً إيتها الطلل البالى \* (١)

وقول الآخر :

\* ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم \*

أى سلمك الله من رُبْع ، وجعل صباحك ناعماً .

الفنجديهى : كن أبو زيد ، أى أنت أبو زيد ، ومنه : ﴿ كنتم خير أمة  
 أخرجت للناس ﴾ أى أنتم خير أمة .

شعوب : تغير : سخنتك : جلدة وجهك وهيتك . نضوب : جفوف .  
 والوجنة : العظم الشاخص تحت العين . فحولى : بُنسى . قشَف : تغير هيتته

(١) لامرى القيس ديوانه ... ، وبقية :

\* وهل يعمّن مَنْ كَانَ فى العَصْرِ انطالى \*

بترك النظافة . محول : جنوف جسى .

تثريبه : لومه وتعميب فعله ، والتثريب بالدنب المؤاخذة به ، وأصله  
الاختلاط والإفساد ، وإنما يقول : لا تثريب عليك ، من قدر فعما .

\*\*\*

فَحَوَّلَنِي وَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ أَنْشَدَ مِنْ قَلْبِهِ مُوجِعًا :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ عَضْبَةً لِيُرْوَعَنِي وَأَحَدًا غَرْبَةً  
وَاسْتَلَّ مِنْ جَفْنِي كَرَاهًا مُرَاعِمًا ، وَأَسْأَلَ غَرْبَةً  
وَأَجَالَنِي فِي الْأَفْقِ أَطْرَافِي شَرْقَةً وَأَجُوبُ غَرْبَةً  
فِي كُلِّ جَوٍّ طَلَعَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَةً  
وَكَذَا الْمَرْبُ شَخْصُهُ مُتَغَرَّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبَةً

ثُمَّ وَلَّى يَجْرُ عِظْفَيْهِ ، وَيَخْطُرُ بِيَدَيْهِ ، وَنَحْنُ مُتَلَفَتِينَ  
إِلَيْهِ ، وَمُهَاتِرِينَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَمْ نَلْبَثْ أَنْ حَلَلْنَا الْحُبَابَ ، وَتَفَرَّقْنَا  
أَيْدِي سَبَا .

\*\*\*

حولتي : قال لاحول ولا قوة إلا بالله . استرجع : قال إنا لله وإنا إليه  
راجعون .

عضبه : أى سيفه القاطع . ليروعني : ليفزعني .  
غربة : حده . استل : أزال . كراه : نومه .

مراعى : مذللاً .

غربه : مجرى دمه ، والغرب فيض الدمع .

أجالي : صرفنى ومثنانى .

الأفق : نواحي الأرض . أطوى : أقطع . أجوب : أخترق .

جوى : ناحية . غربية ، فعدة ، من الغروب مثل طلعة ، من الطلوع .

المغرب : المبعد . المتغرب : الملازم للغربة .

نواه : سفرته . غربه : بعیده .

\*\*\*

[ بما قيل فى السفر والاعتراب ]

ومن أحسن ما قيل فى تبديد السفر قول حبيب<sup>(١)</sup> :

سَلِيْ هلِ عَمْرُتُ الْفَقْرَ وَهُوَ سَبَّاسِبٌ      وَغَادَرْتُ رَبْعِيْ مِنْ رِكَابِيْ سَبَّاسِبًا<sup>(٢)</sup>  
وَعَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِيقِيْ      وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَسَارِبَا  
خَطْرُوبٌ إِذَا لَاقَيْتَهُنَّ رَدَدَتْنِيْ      جَرِيْمًا كَأَنِّيْ قَدْ لَقِيتُ الْكُتَاتِبَا  
وله أيضاً :

ما لليومِ أوّلُ توديعيْ ولا الثاني      البينُ أكبرُ منْ شوقِيْ وأحزاني<sup>(٣)</sup>  
دعِ الفراقَ فإنَّ الدهرَ ساعده      فصارَ أملكُ منْ رُوحِيْ لجناني  
خليفةَ الخضرِ منْ يربعُ على وطن<sup>(٤)</sup>      فى بلدةِ فظهورِ العيسِ أوطاني  
فى الشامِ أهلى وبغدادِ الهوى وأنا      بالرَّقْمَتَيْنِ وبالفسطاطِ إخواني

(١) ط : « ابن حبيب » ، والصواب ما أثبتته من ا

(٢) ديوانه ١٧ .

(٣) ديوانه ١٧ .

(٤) يربع : يقف .

( ١٧ - شرح مقامات الحريرى - ج ٢ )



وما أظنّ النوى ترضى بما صنعت  
وقال الحلواني :

يا نفسِ وَبِحَاكِ ، في التغرب ذلّةٌ  
وإذا نزلت بدار قوم دارهم  
فتجرّعى كأسى هوى وهوانِ  
وقال ابن شرف :<sup>(٢)</sup>

إن ترمك الغربة في معشر  
فدارهم ما دمت في دارهم  
قد جيل الناس على بُغضهم<sup>(٣)</sup>  
وأرضهم مادمت في أرضهم  
وقال البستي :

لا يعدم المرء كئيباً يستكن به  
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ  
وَشَبَعَةٌ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَحْبَابِهِ  
وَالسَّابِقُ لِهَذَا الْمَعْنَى زَهِيرٌ فِي قَوْلِهِ :

وَمَنْ يَتَقَرَّبُ بِحَسَبِ عَدُوِّهِ  
وَمَنْ لَا يَكْرَهُ نَفْسَهُ لَا يَكْرَهُ<sup>(٤)</sup>  
وفي قوله :

فقرى في بلادك إن قومًا  
يقال : جاء يجرّ عطفه ، إذا جاء رخي البال متبخترًا ، وإنما ينظر في عطفه  
إذا كان مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ .

(١) الديوان : « حتى تشافه بي » .

(٢) نقله في التنف ١٠٣

(٣) التنف : « قد جيل الطبع »

(٤) ديوانه ٣٢ .

(٥) ديوانه ١٩٢ ، وفيه : « فعل في ديارك » .

وثاني عِظْفَيْهِ ، بمعنى متكبر ، والمِطْفَانُ : جانبَا الثوب ، والمِطَافُ الرِّداءُ ،  
والجمع عُطْفٌ .

ويقال : جاء يجرّ رجليه ، إذا جاء مثقلا لا يقدر أن يحمل رجليه .  
يخطر ببديه : يجرّ كهما عند المشي .

متهافت : متساقط من الندم على فراقه .

أيدى سبا ، يريد في كلّ طريق وجهة .

\* \* \*

### [ ذكر سبا وسدّ مأرب ]

وسبا هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سدّ مأرب الذين مزقهم الله كلّ  
مزق . وُسِّمَى سبا لأنه أوّل مَنْ سَبَى السَّبْيَ ، وقيل : سبا اسم أمهم ، ومأرب  
اسم بلدهم .

وكانت سبا من أحسن بلاد الله تعالى وأخصبها ، وأكثرها شجرا  
وماء ، وقد ذكر الله تعالى أنها كانت جنّتين عن يمين وشمال ، وكانت مسيرة  
شهر في شهر للمجدّد الركب ، يسير في جنان من أولها إلى آخرها ، لا تواجهه  
الشمس ، ولا يفارقه الظلّ ، مع تدفق الماء ، وصفاء الهواء ، واتّساع الفضاء ،  
فكثروا ما شاء الله ، لا يماندهم ملكٌ إلا قصموه .

وكانت في بدء الزمان تركبها السيول ، فجمع ملكٌ حمير أهل مملكته ، فشاورهم  
في دفع السَّيْلِ ، فأجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤدّيه إلى البحر ، فخذ أهل  
مملكته حتى صرف الماء ، واتخذ سدّاً في موضع جرّيان الماء من الجبال ، وورصفه  
بالحجارة والحديد ، وجعل فيه مجارى للماء في استدارة الذراع ، يخرقون منها مقداراً

صلوماً من الماء وشرباً مقسوماً للأرض ، فإذا جاء السيل تصرف في الجارى إلى جناتهم ومزروعاتهم ، بتقدير يعتمهم فعمه .

وقيل : صنعه اتمان بن عاد ، وجعله فرسخاً في فرسخ ؛ وذكر الأعشى في شعره أن حيراً ابنته ، فقال :

رُخَامٌ بَنَتْهُ لِمِمْ حَيْرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمْ<sup>(١)</sup>  
وَأَرَوَى الزَّرُوعَ وَأَعْنَابَهُمْ عَلَى سَمَةِ مَاؤُهُمْ قَدْ قَسِمَ<sup>(٢)</sup>  
فَعَاشُوا بِذَلِكَ فِي غَبْطَةٍ خَافَ بِهِمْ جَارِفٌ مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup>

فلما كفروا بأنعم الله ، ورأوا أن ملكهم لا يبديه شيء ، وعبدوا للشمس ، بعث الله على سدّهم فارة نفرقتهم ، وأرسل عليهم السيل ، وأباد الله خضراءهم .

ولما انتهى الملك في ولد سبأ إلى عمرو بن عامر مزيقياء - وسمى بذلك لأنه كان يمزق في كل ليلة حلة كبراً من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره . وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه مزق الأزدي في البلاد - وكان أخوه عمران كاهناً ، فأتته كاهنة تدعى طريفة فأخبرته بدنو فساد السدّ وفيض السيل ، وأنذرته ، فقال لها : وما آية ذلك ؟ فقالت : إذا رأيت جُرْذاً يُكْثِرُ بِيَدَيْهِ الْحَفْرَ ، وَيَقْلِبُ بَرَجْلِيهِ الصَّخْرَ ؛ فاعلم أنه قد اقترب الأمر . فقال : وما الأمر ؟ فقالت : وعدّ

(١) ديوانه ٤٣ ، ولم يرم : لم يذهب

(٢) في الديوان : : « ... وأعناؤها ... إذ قسم » .

(٣) في الديوان : « جاربههم جارف منهزم » ، قال والمنهزم : الذى له صوت .

من الله ، ينزل يا عمرو ، فلتكثر الشكر .

فراى عمرو يوماً فى السد جُرذاً يقبل صخرة ، ما يقبلها خمسون رجلاً ،  
فرجع وهو يقول :

أبصرتُ أمراً هاج لى بَرَحِ السَّقَمِ  
مِنْ جُرَذٍ كَفَجَلِ خَنْزِيرِ أَجَمِ  
لَهُ مَخَالِبٌ وَأَنْيَابٌ قَضَمِ

أى معرّجة . فأجمع على الخروج منها ، وأعمل الحيلة فى بيع ماله ، والآ  
بنكر الناس عليه ، فقال لابنه : إنى صانع طاماماً ، وداع إلية أهل مأرب ، فارهد  
على ما أقول لك من الحديث ، ففعل ابنه ذلك وردّ عليه بأقبح ردّ ، فصاح  
عمرو : واذّلاه ايجيبنى صبيّ الخلف ألا يقيم ببلد ضيمّ فيه ، فجعل يبيع  
أمواله<sup>(١)</sup> .

وبعضهم يقول لبعض : اغتتموا غضبة عمرو ، واشتروا منه قبل أن يرضى ،  
فلما اجتمعت له أمواله ، أخبرهم بشأن السيل ، فأجمعوا على الجلاء ، فقال لهم عمران  
أخوه : إنى أصف لكم بلدانا ، فاختراروا أيتها شتم ... فمن كان منكم ذا هم  
بميد ، وجل غير شرود ، فليحلق بالشعب من كرود ، فاحق به همدان .

(١) فى معجم البلدان - مأرب : « وكان فيهم امرأة كاهنة تسمى طريفة ، فأقبلت يوماً  
حتى وقتت على عمران بن عامر وهو فى نادى قومه ، فقالت : « والظلمة والضياء ، والأرض  
والسما ، ليقلبن إليكم الماء ، كالبحر إذا طما ، فيدع أرضكم خلا ، تسنى عليها الصبا . فقال لها  
عمران : ومتى يكون ذلك يا طريفة؟ فقالت : بعد ست عدد ، يقطع فيها الوالد الولد ، فأيتكم السيل ،  
بفيض هيل . وخطب جليل ، وأمر ثقيل ، فيخرب الديار ، ويهطل المشار ، ويطيب العرار ،  
فقال لها : لقد فجعنا بأموالنا يا طريفة ، فيبنى مقاتلك ، قالت : أنا كم أمر عظيم ، بسيل لطيم ،  
وخطب جسيم ، فاحرسوا السد ، لتلا يمتد ، وإن كان لابد ، من الأمر المد ، انطلقوا إلى  
رأس الوادى ، فسترون الجرذ العادى ، يجر كل صخرة صيخاد ، بأنياب حداد ، وأظافر  
شداد ... فانطلق . »

ثم قال : وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا سِيَّاسَةٍ وَصَبْرٍ ، عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَلْيَلْحَقْ .  
بِهَطْنٍ مُرًّا ؛ فَلْيَلْحَقْ بِهِ خُرَاعَةَ .

ثم قال : وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِخَاتِ فِي الوَحْلِ ، المَطْعَمَاتِ فِي المَحَلِّ ،  
فَلْيَلْحَقْ بِبَثْرَبِ ذَاتِ النُّخْلِ . فَنَزَلْهَا الأَوْسَ وَالخُرْجَ .

ثم قال : وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الخَمْرَ والخَمِيرَ ، والأَمْرَ والقَامِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ  
بِبُصْرَى وَسَدِيرَ ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَنَزَلْهَا غَسَّانَ .

ثم قال : وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ المُرَّاقَ ، وَالخَلِيلَ العَتَاقَ ، وَالذَّهَبَ  
وَالأَوْرَاقَ ، فَلْيَلْحَقْ بِالعِرَاقِ ، فَلْيَلْحَقْ بِهَا مالِكِ بْنِ فِهْمِ بْنِ الأَزْدِ .

وَتَخَلَّفَ مالِكُ بْنُ اليَمَانِ فِي قَوْمِهِ ، حَتَّى أَخْرَجَهُمُ السَّبِيلَ فَنَزَلُوا نَجْرَانَ ،  
وَانْتَسَبُوا إِلَى مَذْحِجٍ .

وَدَخَلَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مَعْدَةَ ، فَأَخْرَجَتْهُمْ مَعْدَةَ بَعْدَ حُرُوبٍ ، فَنَزَلُوا بِجِبَالِ  
السَّرَاةِ عَلَى تَخُومِ الشَّامِ .

فَلَمَّا تَفَرَّقَتْ فِي البِلَادِ هَذَا التَّفَرُّقَ ، ضَرَبَتْ العَرَبُ بِهِمُ المَثَلَ ، فَقَالُوا : ذَهَبُوا  
أَيْدِي سِبَاً وَأَيْدِي سِبَاً ، أَيْ مَتَفَرِّقِينَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ .

وَقِيلَ فِيهِمْ : لِمَنَّهُمْ كَانُوا مَجْتَمِعِينَ بَدَأَ وَاحِدَةً ، فَلَمَّا مَرَّقَهُمُ اللهُ وَفَرَّقَهُمْ ،  
صَارَتْ يَدُهُمُ أَيْدِيَ مَتَفَرِّقَةٍ ، وَأَخَذَ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حِدَةٍ . أَوْ يَرِيدُ بِهِ  
اللَّعْنَةُ ، فَالْمَعْنَى : تَفَرَّقْنَا كَمَا تَفَرَّقَتْ نَعْمُ أَهْلِ سِبَاً .

الزَّجَاجُ : سِبَاً مَدِينَةٌ تُعْرَفُ بِمَآرِبٍ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنْ صَنْعَاءَ .

الجَوْهَرِيُّ : سِبَاً اسْمُ رَجُلٍ سُمِّيَتْ بِهِ البَلَدَةُ .

وذكر في الدرّة أن لفظة التفرّق تستعمل في الأشخاص والأجسام ،  
 نحو تفرّق القوم ، وإنّ الافتراق يقال في الأهواء والآراء ، كما قال النبي صلى  
 الله عليه وسلم : « تفرّق أمتي على كذا وكذا فرقة » ، فإذا قيل : إنّ لزيد ثلاثة  
 إخوة متفرّقين ، فالعنى أن كل واحد منهم ببقعة . وإن قيل متفرّقين  
 فالعنى أن أحدهم لأبيه وأمه ، والآخر لأبيه ، والثالث لأمه ؛ وكذلك يقال :  
 قرّق بالتشديد فيما كان من قبل الجمع ، وقرّق بالتخفيف ، فيما يراد به التمييز  
 كقوله : فرق بين الحق والباطل ، والحالى والماعطى .

## المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسجارية

حكى الحارث بن همام قال : قفلت ذات مرة من الشام ،  
أنحو مدينة السلام ، في ركب من بنى أمير ، ورفقة أولي خير  
ومير ، ومعنا أبو زيد السروجي : عُقْلَةُ العجلان ، وسلوة الثكلان ،  
وأعجوبة الزمان ، والمشار إليه بالبنان في البيان .

فصادف نزولنا سنجار ، أن أولم بها أحد التجار ، فدحا  
إلى مادُتِه الجفلى ، من أهل الحضارة والفلا ، حتى سرت دعوته  
إلى القافلة ، وجمع فيها بين الفريضة والنافلة .

\* \* \*

قفلت : رجعت من السفر .

\* \* \*

[ ذكر الشام ]

الشام ، ويقال له : شام وشام ، ويذكر ويؤنث ، وينسب إليه شامى وشام ،  
على فعال . ويحكى عن سيبويه شامى ، وإثبات الألف في النسب يدل على إثباتها  
في أصل البناء .

وقيل : أُلْفُ يمان وشام عوض من ياء للتسب ، قال طرفة :

• شامية تروى الوجوه بليل •

وقال في الدرّة<sup>(١)</sup> المنسوب إليه على ثلاثة أوجه : شامى وهو القياس ،  
وشام بيا ، مخففة كالمفص ، وشامى وهو شاذ لأنه يصير بمنزلة المنسوب إلى  
المنسوب ، وكذلك جوزت الثلاثة في المنسوب إلى اليمن .

وعلى الشاذ منها قول العربى<sup>(٢)</sup> :

إنى أتيت لى يمانية إحدى بنى الحارث من مذحج

ولم يجز الحريرى تأنيث الشام وقال : لفظه مذكر .

وقال ابن الأنبارى - وذكر الشام والحجاز وغيرهما : فمن أنت من ذلك شيئاً  
فإنما يذهب به إلى معنى المدينة .

وقالوا : الشام صفوة بلاد الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة ومماذ : « عايكم بالشام فإن  
الله قد تكفل بالشام وأهله » .

وسميت شاماً لأنها عن شامة الكعبة .

ابن الأنبارى : يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشوى وهى اليسرى .  
وقال قوم : أصله فى الكعبة ، لأن بابها يستقبل المطلع ، فمن قابل طلوع  
الشمس كانت الكعبة عن يمينه فى شق الجنوب ، والشام عن يده الشوى فى  
شق الشمال .

أبو القاسم الزجاجى : قال : جماعة من أهل اللغة : يجوز ألا يهمز ، فيقال :  
شام جمع شامة ، سميت بذلك لكثرة قراها ، وتداين بعضها من بعض ، شبت  
بالشامات .

(١) درة الفوارس ٩٠

(٢) فى الأصول : « عمر بن أبى ربيعة » وهو خطأ ، والبيت للمرجى فى ديوانه ١٩ ،

والأغانى ١ : ١٠٨ .



وقال الشرقي سميت بسام بن نوح ، لأنه أوّل مَنْ بناها ، فغيّر اللفظ المعجمي فجعل السين شينا .

وقسمت الشام خمسة أقسام : الشام الأولى ، وأوّل حدّها من طريق مصر أمّج ، ثم غزّة ثم الرملة ، ومدينته العظمى فلسطين وعسقلان ، وفلسطين هي الشام الأولى ، وسها بيت المقدس .

الشام الثانية الأردن ، ومدينته العظمى طابريّة ، وهي بشاطيء البحيرة ، واليرموك بين فلسطين والأردن .

والشام الثالثة العوطة ، ومدينتها العظمى دمشق ، ومن سواحلها طرابلس الشام .

الرابعة : أرض حصص الشام .

الخامسة : قنسرين ، ومدينته العظمى حلب ، وهي من قنسرين على أربعة فراسخ . وساحلها أنطاكية ، مدينة عظيمة على شاطيء البحر داخلها المزارع والبساتين والأنهار .

\* \* \*

قوله : « أنحو » أي أقصد . الركب : اسم لمن يركب الإبل ، كذا قال الخليل .

وقال يعقوب : الركب : جمع راكب ، وهم أصحاب الإبل خاصّة ، ولا يكون الركب إلا أصحاب الإبل ، وراكب الفرس فارس ، وراكب البغل بغال ، وراكب الحمار حمار ، وراكب الفيل قيّال ، والجمع خيّالة وبغالة وحمارة وقيّالة ، وتبعه ابن قتيبة في هذا ، وخطأهما جميعاً ابن السّيد وغيره واحتجوا بقول امرئ القيس :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحمّرت الأرض واليوم قرّة<sup>(١)</sup>

فقوله : « ركبوا الخيل » ، يدلّ على أنه يقال لمن ركب الفرس : راكب . وما ذكره يعقوب هو الصحيح ، لأنّ العرب إذا أفردت لفظ راكب أو ركب لم يقع في كلامها إلاّ على أصحاب الإبل مطلقاً ، فإذا أرادت أن توقمه على أصحاب الخيل قيّدته بذكر الخيل ، فقالوا : ركبت الفرس ، وراكب الفرس ، فيذكرون الفرس ، وعلى هذا أتى :

\* إذا ركبوا الخيل واستلأموا \*

نخّيت هذه التفرقة على ابن السّيد ، على حظّه الوافر من اللغة .

وقال الحريري في الدرّة<sup>(٢)</sup> : الراكب هو راكب البعير خاصّة ، وجمعه رُكبان ، فأما الركب والأركوب ، فقد جوز الخليل أن يطلق اسمها على راكبي كلّ دابة إلاّ أن الأركوب أكثر من الرّكب عدة وأكثر جماعة .

\*\*\*

[ بنو نـمير ]

وبنو نمير قبيلة من بني صعصعة ، إحدى جمرات العرب ، وأشرف بيوت قيس عيلان ، وجمرات العرب ثلاثة ، سموا بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم ، والتجمير في كلامهم التجميع ؛ وهم بنو نمير ، وبنو الحارث ابن كعب ، وبنو ضبّة بن أدّ ، فطفت جمرتان وهم بنو ضبّة لحاققتها الرّباب ، وبنو الحارث لحالقتها مذحج ، وبقيت نمير لم تحالف ، فهي على كثرتها ومنعتها ، قال شاعرهم :

(١) ديوانه ١٥٤

(٢) درة النّوأس ٥٠

نَمَيْرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَنْزَلْ فِي الْحَرْبِ تَنْتَهَبُ النَّهَابَا

وكان الرجل منهم إذا قيل له : تمن أنت ؟ قال : نميري كما ترى ، إيدلآ  
بنسبته ، وافتخاراً بمقته ، حتى قال جرير في الراعي :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّاكَ مِنْ نَمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلْفَتَ وَلَا كِلَابًا<sup>(١)</sup>

فصار إذا قيل له : تمن أنت ؟ قال : عامري .

ومرت امرأة بهم ، فأحدوا النظر إليها ، فقال أحدهم : والله إنها لرسعاء ،  
فقلت : يا بني نمير ، والله ما امتثاتم في واحدة من اثنتين ؛ لاقول الله عز وجل :  
{ قل للمؤمنين يفوضوا من أبصارهم }<sup>(٢)</sup> ، ولا قول جرير :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّاكَ مِنْ نَمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلْفَتَ وَلَا كِلَابًا

قوله : « أولى خير » ، أي ذوى غنى . مير : صلة وصدقة . عقلة المجلان :

حابس المستعجل .

سلوة الشكلان : مذهب حزن الحزين ، يقول : إذا رآه من هو في شغل

ممجّل حبسه ، أو حزين أزال حزنه .

البنان : الأصابع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء فطنة

أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله » .

\* \* \*

(١) ديوانه ٧٥

(٢) سورة النور ٣٠

## [ سنجار ]

سنجار : بلد بينه وبين قرقيسيا تيف وثلاثون فرسخاً ، وقرقيسيا على الفرات ، وهي كورة من كور ديار ربيعة ، وفي سنجار فوّهة نهر الخابور ، فيمرّ حتى يصبّ في الفرات ، وهي على أميال من نصيبين ، وعن يمين طريق الموصل .

\* \* \*

قوله : « أولم » ، أي صنع وليمة ، والولية : طعام العرس . والمأدبة : طعام يدعى إليه الناس .

والجنلى : الناس أجمع .

والحاضرة : ضدّ البداوة ، يفتح أوّها ويكسر . للفلا : القفر ، وأراد دعا أهل الحاضرة والبادية . سرت : وصلت .

القافلة : الرفقة الراجعة من سفرها ، قال الأزهرى : سُميت قافلة تفاعلاً بقولها عن سفرها الذي ابتدأت .

وظنّ ابن قتيبة أن عوامّ الناس يملطون في تسميتهم للناهضين في ابتداء الأسفار قافلة ؛ إلا منصرفه إلى وطنها وهذا غلط ، وما زالت العرب تسمى للناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاعلاً ، بأنّ يُيسّر الله لها القبول وهو شائع عند فصحاءهم إلى اليوم .

وأراد بالفريضة ، أعيان التجار الذين حضورهم كالفرض ، وبالنافلة : المُكاريين والأنباع ، أو يريد بالفريضة منّ لا بدّ له أن يدعو للحضور ، مثل القرابة والوجوه والأصحاب ، والنافلة لقيف الناس ، وأراد أنه حل لعرضه منّ يحبّ ومن لا يحبّ ، والماء من « فيها » ضمير الدعوة ، ويروى « فيها » بالميم .

\* \* \*

### [ ذكر الحاضرة والبادية ]

وأما ذكر الحاضرة والبادية ، فقد أتينا في ذلك بفصل أدبي مستحسن ،  
ولسنا محتاج إلى إقامة دليل شاهد على فضل الحاضرة ، لأنها محلّ الجميات  
والجماعات ، وإليها تجلب الخيرات ، وبها تستمدّ البركات ، ومنهم العلماء  
والفضلاء ، والملوك ، إلى ما يطول تمداده ، ومن أراد الله به خيراً نقله من البادية  
إلى الحاضرة ، وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله :  
{ وقد أحسنَ بي إذ أخرجتني من السجن وجاء بكم من البدو }<sup>(١)</sup> ، وهذا فيه  
فضل للحاضرة لا يُدفع إذ قرن الخروج من السجن بالجيء من البدو ، وعده  
من إحسان الله سبحانه وتعالى .

وقف أعرابي على دِعْبِل وهو ينشد :

إذا القوس أوترها أيّده رمى فأصاب الكلا والذري

فقال له : ما عنيت ؟ فقال دعبل : القوس قوس قزح ، أمطرت الأرض  
بها ، فأعشبت فرماها المال ، فسميت كلاه وأسفمه ، قال الأعرابي : لله دركم  
يا حاضرة الإنسك لتسيرون معنا فتساوون ، ولتنسكبون عنا فتفتوتون .

وفي ضدّ هذا المعنى قال شبيب بن شبة : كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة ،  
فبعتني المنصور أقوم في المناهل ، وأنسكلم بدمّ البادية ، وأوبخهم بما يردّهم ،  
فلم أرد ماء إلا تسكّمت عايه بما يحضرنى ، فلا أجدهن ينطق ، حتى قتت على  
ما لبني تميم ، فلما انقضى كلامي ، قام رجل منهم فقال : الحمد لله أفضل ما حدثه ،  
وحده الحامدون قبلك أو بعدك ، وصلى الله على سيدنا محمداً أفضل صلاة وأتمها

(١) سورة يوسف ١٠٠

وأخصها وأعمها . ثم إنى قد سمعت ما قلت فى مدح الحضرة وأهلها ، وذمّ  
البادية وأهلها ، ومهما كان فىنا أهل البادية من سوء ، فليس فىنا نخب الثور ،  
ولا شهادة الزور ، ولا نَبْش القبور ولا نَيْك الذكور .  
قال : فأفحمني والله حتى تمنيت أنى لم أخرج لذلك الوجه .

وقال القطامى :

فمن تكن الحضرة أعجبهه فأنى رجال بادية تراناً

قال ابن رشيق : ومن أملح ما سمعه الناس فى تفضيل البادية على الحضرة  
من حلاوة وطلاوة وصحة معنى ، وقرب مأخذ ، مأخوذ من قول أبى الطيب :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ مُحَرَّ الْحَلَى وَالطَّايَا وَالْجَلَايِبِ (١)

ثم قال :

ما أوجهُ الحَضْرَةِ المستحسناتِ به كأوجهِ البَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ (٢)

حُسْنُ الحِضْرَةِ مجلوبٌ بتطريةٍ وفى البداوةِ حُسْنٌ غيرُ مجلوبٍ (٣)

أفدى ظبياء فلاةٍ ما عرفن بها

مَضَعُ السِّكِّامِ - ولا صَبَغَ الحِوَاجِبِ

ولا بَرَزْنَ مِنَ الحِمَامِ ماثلةً أوراكنُ صقيلاتُ المراقيبِ (٤)

(١) ديوانه ١ : ١٢٩ : والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية . وأعراب : جمع عرب ، أو اسم جنس . والجلايب : الملاحف .

(٢) الرعايب : جمع رعبوبة ، وهى المرأة المتلكة البيضاء .

(٣) بومه فى الديوان :

أين المميزُ من الآرامِ ناظرةٍ وغير ناظرةٍ فى الحسنِ الطيبِ

(٤) المراقيب : جمع عرقوب ؛ وهو ما يكون عند السكب ؛ يريد أن حسنه بغير تطرية  
ولانصنع ولادخول حمام .

ومِنْ هَوِي كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مَحْضَبَةٌ  
 تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبي غـــــــيرَ مَحْضُوبٍ  
 فَلَمْ تَفْضَلِ الْبَادِيَةَ إِلَّا بِهَذَا ، لَكَانَ فِيهِ مَقْنَعٌ .

\* \* \*

فَلَمَّا أَجَبْنَا مُنَادِيَهُ ، وَحَلَلْنَا نَادِيَهُ ، أَخْضَرَ مَنْ أَطْعَمَهُ الْيَدِ  
 وَالْيَدَيْنِ ، مَا حَلَلْنَا فِي الْقَمْرِ وَحَلَى فِي الْعَيْنِ . ثُمَّ قَدَّمَ جَامًا ، كَأَنَّمَا مُجِدِّ  
 مِنْ الْهَوَاءِ ، أَوْ مَجْمَعٍ مِنَ الْهَبَاءِ ، أَوْ صَيْغٍ مِنْ نُورِ الْفَضَاءِ ، أَوْ قَشِيرٍ  
 مِنَ الدَّرَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَقَدْ أُودِعَ لِفَائِفِ النَّعِيمِ ، وَصُمِّغَ بِالطَّيْبِ  
 الْعَمِيمِ ، وَسِيقَ إِلَيْهِ شَرِبٌ مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَسَفَّرَ عَنْ مَرَأَى وَسِيمٍ ،  
 وَأَرْجَ نَسِيمٍ .

فَلَمَّا اضْطَرَمَّتْ بِمَحْضَرِهِ الشَّهَوَاتُ ، وَقَرِمَتْ إِلَى تَحْبِيرِهِ اللَّهَوَاتُ ،  
 وَشَارَفَ أَنْ تُشَنَّ عَلَى سِرْبِهِ الْفَارَاتُ ، وَيُنَادَى عِنْدَ نَهْبِهِ بِاللَّشَارَاتُ ،  
 نَشَرَ أَبُو زَيْدٍ كَأَلْمَجْنُونِ ، وَتَبَاعَدَ عَنْهُ تَبَاعُدَ الضَّبِّ مِنَ النَّوْنِ ،  
 فَرَاوَدَنَاهُ عَلَى أَنْ يَعُودَ ، وَأَلَّاَّ يَكُونَ كَقُدَّارٍ فِي تَمُودٍ .

\* \* \*

قوله : « ناديه » أي مجلسه . وطعام اليد : للتريد ونحوه . وطعام اليدبن :  
 الدجاج الصالح والشواء ونحو ذلك ، وكانت وليمة في الأنصار ، فحضرها  
 حسان بن ثابت ، وقد كُفَّ بعصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فلما وضع الطعام ،

جى . بالثريد ، قال حسان لابنه : يا بنى ، أ طعام يد أم طعام يدين ؟ قال : بل طعام يد . فأكل ، ثم جىء بالشواء ، فقال مثل ذلك ، فقال : بل طعام يدين . فأملك .

حلا : طاب ، حَلِي : حَسُن ، وحلا في القم ، من الحلاوة ، وحَلِي في العين من الحلي المتزين به .

وفي الدرّة<sup>(١)</sup> : للعرب تقول : حلا في فئ ، وحَلِي في عيني ، وليس الثاني من نوع الأول ، وهو من الحلي الملبوس ، فكأن المعنى : حَسُن في عيني كحسن الحلي الملبوس ، وهو من ذوات الياء ، والأول من ذوات الواو ، إلا أن المصدر فيها جميعاً الحلاوة ، والاسم حُلولا حال ؛ لأن الحلي ضد الماطل ، وهو الذي عليه الحلي .

والجام : إناء من زجاج . بُجَّد : عقد وصنع جامدا .

والهباء : غبار الشمس ، وهو ما تراه يدخل عليك مع الشمس من شق باب أو كوة حائط .

صِيغ : صُيغ . نور الفضاء ، يعنى الشمس ، والفضاء : الأرض الواسعة ، وفي الفضاء يتسع ضوء الشمس فيبيض نورها .

أودع : ضَمِن وجعل فيه . لفائف النعيم : مالف من الحلوى وطوى بمضه على بعض .

الفندجيهي : لفائف النعيم اللوزينج والقطائف .

ضَمخ : لَطخ . العميم : الكثير . شرب : ماء . وتسيم : أرفع شرابات أهل الجنة . سَمَر : كشف .

(١) درة القوام ١٠٣ .

(١٨ - شرح مقامات الحريري - ج ٢)



سراى وسيم : منظر حسن . أريج نسيم : طيب الرائحة ، والنسيم : الريح  
الائينة المهبوب ؛ يريد : لما أحضر الجلام ، ساقوا معه ماء عذبا لنسل اليد ، ثم  
كشّف لهم عن الجلام ، فأوا منظرأ من الحلواء اللوثة ، ورائحة عطرة من  
الأفاويه .

وقال فى مثل ذلك عبد السلام بن الحسين المأمونى<sup>(١)</sup> :

خبيصة فى الجلام قد قدمت مدفونة فى اللوز والسكر  
ياكل من أيا كلها خمسة بكفه فيها ولم يشمر  
قوله : « اضطربت » أى اشتعلت . قرمت ، أى اشتهدت .

اللوات : جمع لمة وهى أقصى النعم . شارف : قارب وأشرف عليه .  
نشن : تفرقت . سريه : جماعته ، ويريد به ما فيه من الحلواء ، والسكر :  
بالسكر : جماعه النساء ، وبالفتح : الإبل فى الرعى . الغارات ، يريد الأيدي  
التي تُغير على الطعام . نهبه : انتهابه بالأيدي وأكل ما فيه . بالثارات : كلمة  
ينادى بها العرب إذا ظفروا بأعدائهم الذين لهم عندهم دم . والثار : الطلب  
بالدم ، وثار بالقتيل : قتل قاتله .

وقال حسان بن ثابت :

لتسمعن وشيكا فى دياركم الله أكبر يا ثاراتِ عَمَانَا<sup>(٢)</sup>

فالثارات ها جمع ثار ، وهو المطلوب بالدم ، قال :

وكيف تجلّد الأتوام عنه ولم يقتل به الثار المنيم

قال أبو على : الثار : القتل ، مسمى بالمصدر ، كرجل عدل ، لذلك جمع

(١) عبد السلام بن الحسين المأمونى ، من أولاد المأمون الخليفة العباسى ، ذكره الثعالبي  
وأورد طائفة من شعره فى البيئمة ٤ : ١٤٩ - ١٧٩  
(٢) ديوانه ٤١٠ .

بالتاء ، وتفسير أبي عليّ عكس ما تقدم ، وإذا كان منقولاً من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول وئارات عثمان محتملة للتفسيرين ، فتقديره على قول أبي عليّ : يامطلوبات عثمان ، وعلى القول الآخر : ياطالبات عثمان هذا أو انكم بالجدّ ، وتفسير : بالئارات في المقامة يستقيم على المعنيين ، فعلى الأول معناه : يا مطلوبات الجياع ، قد تمسكنا منك ، وعلى الثاني معناه : ياطالبين الأكل ؛ قد تمسكتم من الماء كقول .

وقوله : «نشر» ، أى وثب . وتقدّم في الضبّ أنّه لا يرد الماء ، وأن مسكنه الصحراء .

والنون : الحوت ، وهو لا يفارق الماء ، وهما لا يجتمعان ، وقد تقدم للصابي :

• الضبُّ والنون لا يرجى التقاؤما •

وقال الآخر :

فلو أنهم جاءوا بشيء منـارب  
 نقلت هو الشكْلُ للوافق للشكْلِ<sup>(١)</sup>  
 ولكنهم جاءوا بجيتان لجةٍ قوامِسٍ ، والمكفى فيناً بأنا الحِمل  
 فضرب بتباعدهما المثل .

راودناه : أردناه على الفعل ، تقول : راودته على كذا ، إذا أردته على فعله . يعود : يرجع . ثمود : أمة صالح عليه الصلاة والسلام .

وقدار : هو عاقر الناقة ، يضرب به المثل في الشؤم ، فيقال : أشأم من قُدار ، ومن أحمير عاد .

\*\*\*

(١) الحيوان ٤ : ٥٢٩ ، ونسبها إلى الحكيت .

## [ قصة ثمود ]

وتقريب قصته ، أن ثمود كانت تبني في طول أعمارها ، فاتخذوا من الجبال بيوتاً فرحين ، وبيوتهم إلى وقتنا هذا باقية منحوتة في الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم ، ورممهم وآثارهم فيها بادية ، فلما بُعث فيهم صالح ، قال له زميمهم : إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ، ذات عرف ، فأبى الصخرة فتمخضت كالحامل ، وانشقت عن الناقة . ثم تلاها سقياً<sup>(١)</sup> ، فأمن كثير منهم ، وكان شربها<sup>(٢)</sup> يوماً وشربهم يوماً ، فإذا كان يوم شربها حلبوها ، ثم وامن لبنها كل إناء ووعاء ، فلما امتنعت إبلهم من الماء يوم شربها استنقلوها ، وكان فيهم امرأتان : عنيزة وصدقة ، فبذلتا أنفسهما لقُدار على أن يعقر الناقة ، وهو قُدار بن قديرة ، وهي أمه وسالف أبوه ، وكان قُدار أزرق اسر قصيراً ، وكان له صديق اسمه مصدع بن مخرج ، معاون له على ما كان به من الفساد في الأرض ، وكانا في تسعة من أهل الفساد ، فضرب قُدار عرقوبها بسيفه ، وضرب مصدع العرقوب الآخر ، واستهوا لهما ، فخرجت ثمود تعتذر إلى صالح ، وتزعم أنها لا ذنب لها . فقال : انظروا ، هل تدركون فصيلها ، فبسي أن يرفع عنكم العذاب ! فالتسوه ، فصعد إلى جبل يقال له : القارة ، وطال الجبل به في السماء ، حتى ماتتاه الطير ، وبكى . ثم استقبلهم ، ورغا ثلاثاً ، فقال صالح : تمتموا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب ، وآية ذلك أن تصبح وجوهكم في الأول مصفرة ، وفي الثاني حمرة ، وفي الثالث مسودة . فلما رأوا صدقه أول يوم أرادوا قتله ، فنع منهم . فلما رأوا صدقه في اليوم الثالث تحفظوا وتكفئوا وبكوا وضجوا ، وجملوا

(١) السبق : ولد الناقة .

(٢) الشرب : النصب من الماء .

ينظرون من أين يأتيهم العذاب . فصبتهم في اليوم الرابع صيحة من السماء ، قطعت قلوبهم في صدورهم ، فأصيبوا في ديارهم جاثمين ، فعقروها يوم الأربعاء ، وأصيبوا يوم الأحد ، وإنما أصيبوا والمذنب بعضهم ، لأنهم رضوا فعله ، والتبىة أبلغ من العمل - وبلادهم بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشى .  
ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقريتهم ، ونهى الناس عن دخولها ، وأرام حراتقى الأنصيل -

ولما رأى صالح أنها دار سخط ، ارتحل بمنّ معه إلى مكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا ، فقبورهم في غرى البيت ، بين دار الندوة والحجر .

وقال حباب بن عمرو :

كانت ثمود ذوى عزٍّ ومكرمة  
ما إن يضام لهم في الناس من جارٍ  
فأهلكوا ناقةً كانت لربهم  
قد أنذروها فكانوا غير أبرارٍ

\*\*\*

فقال : والذى ينشئ الأموات من الرّجاء ، لا عدت دُونَ رَفْعِ  
الجمامِ ، فلم نجد بُدًّا مِنْ تَأْلُفِهِ ، وإِبرازِ حَلْفِهِ ، فأشَلْنَاهُ والمعقولُ  
مَعَهُ سَائِلَةٌ ، وَالذُّمُوعُ سَائِلَةٌ . فلما فاءَ إِلَى مَجْتَمِعِهِ ، وَخَلَصَ مِنْ مَأْتَمِهِ ،  
سَأَلْنَاهُ لِمَ قامَ ، ولأى مَعْنَى اسْتَرْفَعَ الجمامُ ؟ فقال : إنَّ الزُّجَّاجَ نَمَامٌ ،  
وَإِنِّي آليتُ مُنْذُ أعوامٍ ، ألا يَضُمَّنِي وَنَمُومًا مَقَامٌ .

فقلنا : وما سَبَبُ يَمِينِكَ الصَّرِي ، وَأَلَيْتِكَ الحَرِي ؟

\*\*\*

قوله : « يُنشر » ، أى يُبجى الموتى و يقيمهم ، فيُنشرون في الأرض .  
والرجام : القبور ، واحدا رجما . تألفه : ضمه وترك خلافه . إِبْرَارِ حَلْفَه :  
سراعاة قَسَمِه .

أشلهاه : رفعناه . شائلة : مرتفعة .

فاء : رجع . تجشمه : موضعه ، وأصله للطائر .

الصَّرَى : العزيمة ، ويقال : أصررت على الشيء ، عزمت عليه ، وهو منى  
صَرَى و صِرَى وأَطْرَى أى عزيمة وجِدَة .

وضلت ناقة أبي السمال ، فقال : والله لئن لم يردّها الله علىّ لأصلىّ أبداً ،  
فذهب في ابتنائها ، فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة ، فقال : علم الله أنها  
كانت منى صرّى فردّها علىّ .

وقال حبيب :

لما رآهم بآبِكُ دون المنى هَجَرَ العَوَايَةَ بعد مُطولٍ وصالٍ<sup>(١)</sup>  
تخذ الفِرارَ أخاً وأيقن أنه صرّى عزمٍ من أبى السّمالِ

يقول : لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما تمناه فيهم لا يدركه ، فهجر  
الضلالة ، وانهمزم ، إذ أيقن أن طالبه مَصْرُثٌ على طلبه .

الحرّى : الوكيدة الشديدة ، والسكبد الحرّى : اليابسة العاطشة .

وناظر الحريرى<sup>٢</sup> بهذه المقامة مقامة المضيرية<sup>(٣)</sup> في البديعية ، ومن هنا إلى  
أولها مبنى على تلك .

\*\*\*

(١) ديوانه ٢٦١ .

(٢) ط : « الطيرة » تحريف .

## [ المقامة المضيرة للبديع الهمداني ]

قال البديع : حدثنا عيسى بن هشام قال :

كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الإسكندري ، رجل الفصاحة ، يدهوها فتجيبه ، والبلاغة ، بأسرها فتطيعه . وحضرنا معه دعوة بعض التجار ، قدم مضيرة<sup>(١)</sup> نثني على الحضارة<sup>(٢)</sup> ، وترجرج في النضارة<sup>(٣)</sup> ، وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامة ، في قصعة يكل<sup>(٤)</sup> عنها الطرف ، ويموج فيها الطرف .

فلما أخذت من الخوان مكانها<sup>(٥)</sup> ، ومن القلوب أوطانها ، قام أبو الفتح يلعنها وصاحبها ، ويمقتها وآكلها ، ويثبها وطابحها ، وظنناها يمزح ، فإذا الأمر بالصد ، وإذا المزاح عين الجِد ، وتنحى عن الخوان ، وترك مساعدة الإخوان ، فرفعناها فارتفعت معها القلوب ، وسافرت خلفها العيون ، وتحلبت لها الأفواه ، [ وتلمظت لها الشفاه ] وانتقدت لها الأكباد ، [ ومضى في إثرها النواد ]<sup>(٦)</sup> ،

لكنا سألناه عن أمرها ، وساعدناه على هجرها

ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها ، كما يذكر الآن السروجي .

ومقامة<sup>(٧)</sup> المضيرة طويلة مضحكة . . .

\* \* \*

(١) المقامات : « تقدمت إلينا مضيره » ، والمضيرة : نوع من الطعام ، يتخذ من اللحم والبن الحامض ؛ وربما أضيف إليه الحليب ، ثم يوضع عليه التوابل والأبزار .

(٢) أى تدل على أن أهل الحضرة أقدر على صنعها من البدو .

(٣) ترجرج : تموج وتمحرك . والنضارة : القصعة .

(٤) المقامات : « بزل » . والطرف : العين .

(٥) الخوان : الذي يوضع عليه الطعام .

(٦) تسكلمة من مقامات البديع .

(٧) مقامات البديع ١٢١-١٤٣ .

فقال: إنه كان لي جارٌ لسانه يُتترَّب، وَقَلْبُهُ عَقْرَبٌ، وَلَفْظُهُ شَهْدٌ  
يَنْقَعُ، وَخَبْوَةٌ سَمٌ مُنْقَعٌ، فَلَمْتُ لِمَجَاوِرَتِهِ، إِلَى مُجَاوِرَتِهِ، وَانْتَرَزْتُ  
بِمَكَاشِرَتِهِ، فِي مُعَاشِرَتِهِ، وَاسْتَهْوَتْني خُضْرَةُ دِمْنَتِهِ، لِمُنَادِمَتِهِ،  
وَاعْتَرَزْتَنِي خُدْعَةُ سِمْتِهِ، بِمُنَاسِمَتِهِ. فَارْجَيْتُهُ وَعِنْدِي أَنَّهُ جَارٌ مُكَاسِرٌ،  
فَبَانَ أَنَّهُ عَقَابٌ كَاسِرٌ، وَأَنْسَيْتُهُ عَلَى أَنَّهُ حِبٌّ مُؤَانِسٌ، فَظَهَرَ أَنَّهُ  
حُبَابٌ مُؤَالِسٌ، وَأَوْمَأَ لِحُتِّهِ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَ تَقْدِهِ، مِمَّنْ  
يُفْرَحُ بِفِقْدِهِ، وَعَاقَرْتُهُ وَلَمْ أُدْرِ أَنَّهُ بَعْدَ فَرِّهِ، مِمَّنْ يُطْرَبُ  
لِمَفْرِّهِ.

\*\*\*

قوله: « جار لسانه يتترَّب »، معناه يُتودد إليه بلسانه، ويكتم العداوة  
في قلبه، وهذا ما يذكر بعده.

[ نبذ من الأقوال الحكيمة في الجار ]

أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أشرط الساعة سوء الجوار ».   
تعوذوا بالله من ثلاث، هن العوافر: إمام السوء، إن أحسنتم لم يشكر،   
وإن أسأت لم يفر، ومن جار السوء إن رأى حسناً ستره، وإن رأى قبيحاً   
أذاعه، ومن امرأة السوء، التي إن غبت عنها خاتك، وإن دخلت عليها   
لسنتك ».

قال بعض الفضلاء: الجار السوء يفتني السر، ويهتك السر.

وقيل لأهل البحرين: إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله، فحافظوا

على ثلاث خصال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحُسن الجوار ، فإن أذى  
الجار يمحوا الحسنات ، كما تمحو الشمس الجليد عن الصفاة .

\* \* \*

قوله : « ينقع » ، أى يرزى للعطش . ومُنَمَّع ، أى أديم حبسه ، وأنقع سَمَّ  
الحية : ثبت ودام . خَبَّوْهُ : باطنه ، وما خبأه من الشر .

محاورته : محادثته . بمكاشرته : مضاحكته : معاشرته : مصاحبته .

استهوتنى : ذهبت بى . خُضْرَةٌ دِمْنَتُهُ : حُسن ظاهره ، وتقدمت خضراء

الدمن .

أغرنتى : حرصتني وأصقتني به . سَمَّتَهُ : علامته . مُنَاسَمَتُهُ : مصاحبته ،  
وقرب نسمتى من نسمة ، أى شخصى من شخصه .

مازجته : خالطته . مكاسر : قريب الدار ، وكِسر البيت : جانبه .  
واللُمُقَاب الكاسر : التى تضم جناحيها ، وتهوى على فريستها ، فضمّ الجناح  
هو كسره .

وآنسته : أبهرته . حَبَّ : حبيب ، وكان زيد بن حارثة يسى حَبَّ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى حبيبه .

وَصَحَّ : تبين . حُبَاب : حية . موالس : مخادع خائن فى صحبته .

مالحته : واكلته ، أى أكلت معه الملح ، وأصل المالحة الرضاع كأنه حين  
نادمه راضعه الكأس ، وملحت المرأة الصبي : أرضعته .

نَقَدَهُ : تجربته . عاقدته : عاهدته ، وعقدت يدي على يده .

فَرَّه : اختباره وكشف سره ، يريد أن هذا الصاحب كان يظهر مودته ،  
ويسرّ عداوته .

\* \* \*



## [ مما قيل في المودة والإخاء ]

وقال الشاعر؛ وهو المغيرة بن حبياء<sup>(١)</sup>:

أخوك الذي لا ينقضُ النأيُ عهدَه      ولا عندَ صرفِ الدهرِ يزورُ جانبَه  
وليس الذي يلقاك بالبشرِ والرضا      وإن غبت عنه لسمعتك عقاربُه

قال: وأنشد آخر:

على لإخواني رقيبٌ من الصفا      تبيد الليالي وهو ليس يبديد<sup>(٢)</sup>  
وإني لأستعجبُ أخى أن أبره      قريباً وأن أجفوه وهو بهيد

وقال ابن المعتز:

لم يبق مما فاتني كسيه      إلا قتي يئلم لي قلبه<sup>(٣)</sup>  
ينأى فلا يذهب نأيه      عني ولا يفسده قربه  
يكون حسبي من جميع الوري      في كل حال وأنا حسبه

وقال بشار وزاد معنى:

تودّ عدوى ثم تزعم أنني      صديقتك، إن الرأي منك لتأزب<sup>(٤)</sup>  
وليس أخى من ودني رأى عينه  
ولكن أخى من ودني وهو غائب

\* \* \*

(١) ط: «شمة»، وهو خطأ، والبيتان من أربعة أبيات في أمالي القالي ٢: ٢٣٠.

(٢) اللآلي ٢٧٢ من غير عزو.

(٣) اللآلي ٢٧٢.

(٤) أمالي القالي ١: ٨٣.

وَكَانَتْ عِنْدِي جَارِيَةٌ ، لَا يُوجَدُ لَهَا فِي الْجَمَالِ مُجَارِيَةٌ ،  
 إِنْ سَفَرَتْ خَجِلَ النَّيْرَانِ ، وَصَلِيَتْ الْقُلُوبُ بِالنَّيْرَانِ ، وَإِنْ  
 بَسَمَتْ أَزْرَتْ بِالْجَمَانِ ، وَيَبِيحُ الْمَرْجَانُ بِالْمَجَانِ ، وَإِنْ رَنَتْ  
 هَيْجَتِ الْبِلَابِلَ ، وَحَقَّقَتْ سِحْرَ بَابِلَ ، وَإِنْ نَطَقَتْ عَقَلَتْ لُبَّ  
 الْعَاقِلِ ؛ وَاسْتَنْزَلَتْ الْعَصَمَ مِنَ الْعَاقِلِ ، وَإِنْ قَرَأَتْ شَفَتِ الْمَفْتُودَ ،  
 وَأَحْيَتِ الْمَوْوَدَ ، وَخَلَّتْهَا أُوتَيْتُ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ . وَإِنْ  
 غَنَّتْ ظِلَّ مَقْبَدُ لَهَا عَبْدًا ، وَقِيلَ سَحَقًا لِإِسْحَاقَ وَبُئْمَدَا ، وَإِنْ  
 زَمَرَتْ أَضْحَى زُنَامَ عِنْدَهَا زَيْمًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ لِجِيلِهِ زَعِيمًا ،  
 وَبِالْإِطْرَابِ زَعِيمًا ، وَإِنْ رَقَصَتْ أَمَالَتِ الْعَمَائِمَ عَنِ الرَّمُوسِ ،  
 وَأَنْسَتِكَ رَقِصَ الْحَبِيبِ فِي الْكُثُوسِ ، فَكُنْتُ أزدري مَعَهَا  
 حُمُرَ النَّعَمِ ، وَأَحْلَى بِتَمْلِيهَا جَيْدَ النَّعَمِ ، وَأَحْجُبُ مَرَاها عَنِ  
 الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَأذُودُ ذَكَرَها عَنِ شَرَائِعِ السَّمَرِ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ  
 أَلِيحٌ ، مِنْ أَنْ تَسْرِي بِرِيَاها رِيحٌ ، أَوْ يَكْفُنَ بِها سَطِيحٌ ، أَوْ  
 يَمَّ عَلَيْها بَرَقٌ مُلِيحٌ .

\*\*\*

قوله : « مجارية » ، مبارية معارضة ، وفلان يبارى الريح جوداً ، كأنه  
 يمارضها بفعله ، فإذا هبت في زمن الشقاء والجهد ، ففرت المحتاجين تتبع آثار  
 فسادها بماله وهباته فأصلحها .

سفرت : كَشَفَتْ وجهها . خَجِلَ : استَحْيَا . النَّيْرَانُ : الشمس والقمر .

صَلَّيتُ : أحرقت ، يقول : إذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع  
حسنها ، واخترقت القلوب بنيران حبها .

\*\*\*

### [ مما قيل في جمال المرأة ]

ونسوق هنا جملة من الشعر المستحسن في أوصاف النساء :

قال الشاعر :

لما تبَدَّتْ من الأستار قلتُ لها

سبحان سبحان ربِّي خالقِ الصُّورِ

ما كنتُ أحسبُ شمساً غيرَ واحدة

حتى رأيتُ لها أختاً من البَشْرِ

كأنها هي إلا إن يفَضَّلها حسنُ الدلالِ وطرفِ فاترِ النظرِ

وقال أعرابي :

وتكفيك فقدَ البدرِ إن مُقَدِّ البدرِ

ووالله ما مِن ريقها حسبك الخمرُ

جميلاً ، وهل في مثلها يحسنُ الصبرُ

لكان للمسِّ الذرِّ في جلدِها أثرُ

إذا حُجِّبتْ لم بكفِّكَ البدرُ فقدَها

وحسبك من خمرِ تقوتك ريقها

وما للصبرِ عنها إن صبرتْ وجَدته

ولو أن جلدَ الذرِّ لامسَ جلدَها

وقال العباس بن الأحنف :

خَوَدٌ تكملُ في أعطافها اللينُ<sup>(١)</sup>

تأهتْ علينا بأنْ تَمَّتْ محاسنها

(١) ديوانه ٢٨٠ .

تَمَّتْ بِأَيَّانَنَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ نَهَاهَا وَجْهَهَا الْحَسَنُ  
 مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي مِنْ مَحَاسِنِهَا  
 أَغْرَتُ بِي الشُّوقُ حَتَّى شَفِنِي الشَّجَنُ

وقال بشار:

دَرَّةٌ حَيْثَمَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِثْمٌ مِنْ حَيْثُمَا شَمَّ فَاحَا  
 وَجَنَاتٌ قَالَ الْإِلَهَ لَهَا كَوْنِي فَكَانَتْ رَوْحًا رَوْحًا وَرَاحًا

وله أيضاً:

كَانَهَا يَوْمَ رَاحَتْ فِي مَحَاسِنِهَا قَارَنَجٌ أَسْفَلُهَا وَاهْتَزَّ أَعْلَاهَا  
 حَوْرَاءُ جَاءَتْ مِنَ الْفَرْدُوسِ مَقْبَلَةً فَالشَّمْسُ طَلَعَتْهَا وَالْمَسْكُ رِيَاهَا  
 رَاحَتْ وَلَمْ تَعْطِهِ بُرءًا لِمَلَّتِهِ عَنْهَا وَلَوْ سَأَلْتَهُ النَّفْسُ أَعْطَاهَا  
 مِنَ اللِّوَاتِي أَكْتَسَتْ بُرءًا فَشَقَّ لَهَا مِنْ حَسَنِ الْحَسَنِ بُرءًا لِأَفْرَدَاهَا

وقال السّلامى:

وَفِيهِنَّ سَكْرَى الْأَحْظِ سَكْرَى مِنَ اللَّصْبَا  
 يُعَاتِبُ حَلْوُ الْفِظِّ حُلْوُ الشَّمَائِلِ (١)  
 أَدَارَتْ عَلَيْنَا مِنْ سُلَافٍ خَدُودَهَا (٢)  
 كَوْوَسًا وَعَنْتَنَا بِصَوْتِ الْخَلَاخِلِ

(١) البنية ٢ : ٣٧١

(٢) البنية : ٥ حديثها .

وقال أيضاً :

لبيكَ لبيكَ داعيَ القهوفِ من كُتُبِ      إلى معاطفِ كالأغصانِ من كُتُبِ  
 إن السَّوَالفِ كالسَّوسانِ في صُمُودِ      إن الغدائرَ كالخلخالِ في صَبَبِ  
 إلى حدودِ بناتِ الرومِ قد برزتْ      من حجبها وأدارتْ أعينَ العربِ  
 من كلِّ سافرةٍ عن مشرقِ خجلا      فيه طرازانِ من ماءٍ ومن لبِ  
 واستضحكتْ بين لآلٍ أو حمى بَرْدِ  
 يكادُ يَقَطُرُ من مائِيَةِ الشَّنْبِ  
 تحدُّو بها فتيّةً صيفتْ وجوهمُ  
 من الرِّضَا وعواليهمُ من النُّصْبِ

وللأُمير تميمِ بنِ المعزِ :

فلواتها شِيبَةٌ خَدَّيْها مَعْتَقَةٌ      صِرْفًا كانَ سناها ضوءَ مِقْبَاسِ<sup>(١)</sup>  
 قَبيلَتِها وَقالتْ وهى ضاحِكَةٌ

فكيف تُهْدِي خُدُودَ النَّاسِ لِلنَّاسِ<sup>(٢)</sup>

قلت اشربني فهي دَمْعِي، وحرمتها دَمِي، وطابخها في الكاسِ أنفاسِي  
 قالت فإن كنت من حُجبي بكيت دَمًا      فأستغنيا على العيينِ والرَّأسِ  
 باليلةٍ بات فيها البدرُ مُعْتَقِي

وباتت الشمس فيها بعض جَلاسِي  
 وبثَّ مستغنيا بالثغرِ عن قَدَحِ      وبأخلدودِ عن التَّفاحِ والآسِ

(١) ديوانه ٢٤٩ ، وفيه : « مشمعة » ، والمقباس والتبيس : الشعلة من النار .

(٢) الديوان : « وكيف نسقي »

وقال أيضاً :

قالت وقد نالها للبين أوجفهُ  
اجعل يدك على قلبي قد رضفتُ  
واعطف على المطايا ساعة فمسي  
كأنني يوم زلت حسرةً وأسى  
واللين صعبٌ على الأحباب موقمه<sup>(١)</sup>  
قـواه عن حمل ما تحويه أضلمه<sup>(٢)</sup>  
من شتٍ شمل الهوى بالوصلٍ يجمعه  
غريق بحر برى الشاطى ويمتعه

وقال التهامي :

أهدى لنا طيقها نجداً وساكنه  
فبات يجلو أنامن وجهها قرأ  
وراعها حرّ أنفاسي فقلت لها :  
وزاد درّ الثنايا درّ أدمعها  
ولو قدرت وثوب الليل منخرقُ  
بيضاء يسحب ليلاً حسنه أبدأ  
لو لم يكن أنحوانا نقرُ ميسمها  
ولبعض أصحابنا :

حتى اقتنصنا ظيباء البدو في الحضر<sup>(٣)</sup>  
من البراقع لولا كلفة القمرِ  
هواى نار وأنفاسي من الشررِ  
فالتفّ منتظماً منه بمنتثرِ  
بالصبح رقّعته منهن بالشعرِ  
في الطول منه وحسن الليل في القصرِ  
ما كان يزداد طيباً ساعة السحرِ

شدهتُ فلا أدري بأى صفاتها  
وأى لآلها أشدُّ نفاسة :  
فالشمس سرآها ، وللغصن قدّها ،  
تقيد ألباب الورى ونقودها  
أمنطقها أم ثفرها أم عقودها  
وللمسك رباها ، وللريم جيدها

وقال الحسن :

(١) ديوانه : ٢٦٠ ، وفيه : « وقال وقد ودعه بطن أهله لسفره » ، وقال صاحب البيتية : « وه مما يتفق به » .  
(٢) الديوان : « ما فيه أضلمه » .  
(٣) ديوانه ٤١ و٤٠ ط : « أهدى لنا طيقها » ، وصوابه من الديوان .

وذات خديّ مورّدٌ      فتاة التجرد<sup>(١)</sup>  
 تأمل العين منها      محاسناً ليس تنفذ  
 فبعضها في انتهاء      وبعضها يتولد  
 فالحسن في كلّ جزء      منها معادٌ مردّد  
 وكلّما عدت فيها      تكون في العودِ أحمد

\*\*\*

قوله: «أزرت بالجان»، أي قصرت بحبّ الفضة.

المرجان: اللؤلؤ الصغار.

والجان: شيء لا تمن له، وخذ هذا مجازاً، أي باطلا؛ أراد أنها إذا ضحكت  
 فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف. وأخذه من قول أبي تمام:

وقهوة كوكبها بزهرٌ      يسطعُ منها السكُّ والعنبر<sup>(٢)</sup>  
 ورديةٌ يحشُّها شادنٌ      كأنها من خده تُعصرُ  
 مهنيف لم يبتسم ضاحكاً      مذ كان إلا كسدّ الجوهر

وقال آخر وذكر الجان:

عثمان يعلم أن اللدح ذو ثمنٍ      لكنه يشتهي مدحاً بمجانٍ  
 والناس أكيس من أن يدحوا رجلاً      حتى يروا عنده آثاراً إحسانٍ

رنت: نظرت. البلابل: وساوس الموم. والسّخر، ينسب إلى بابل

وقال السّلامى في هذا المعنى:

(١) ديوانه ٣٧١ .

(٢) ديوانه ٤٤١ .

أَكْحِيلَةَ الْأَجْفَانِ بِالسَّحْرِ الَّذِي      لَوْلَاهُ مَادَرْتِ اللَّبْلَابِلُ بَابِلَ  
 قَدْ كَانَ قَلْبِي غَافِلًا نَحْمًا بِهِ      أَوْدَى وَقَلْبُ أَخِي السَّلَامَةُ غَافِلًا  
 حَتَّى دَهَانِي مِنْكَ صَدْرٌ رَامِحٌ      ذَرَبَ سِنَانَاهُ وَطَرَفٌ قَاتِلٌ  
 مَا عَقَدَكَ الْمَهْنَا بِمَيْدِكَ دَرَّةٌ      لَكِنْ فِرْدَوْسٌ فِي حِمَامٍ جَائِلٌ

وللامير تميم بن المنذر:

وَلَيْلَةٌ بَثُّهَا عَلَى طَرَبٍ      آخِرَهَا مَشْبِيَةٌ لِأَوْلَاهَا (١)  
 أَقْبَلَ الْبَرْقَ مِنْ ثَنِيْنِيهَا      وَأَثَمَ الشَّمْسَ مِنْ مَحْيَاهَا  
 سَفْتَنِي الرِّاحَ وَهِيَ خَدَاهَا      بِأَكْوَسِ السَّحْرِ وَهِيَ عَيْنَاهَا  
 إِذَا أَرَادَتْ مَزَاجَهَا جَمَلَتْ      بِأَخْرِ الْحِظِّ مِنْ فِيهَا  
 فَيَا لَهَا قَهْوَةٌ مَعْتَقَةٌ      وَبِأَخْرِ الْخُلُودِ مَا وَاهَا  
 حَبَابُهَا الثَّمَرُ حِينَ تَمْرُجُ لِي      وَتُقَلِّمُ اللَّئِمَّ حِينَ أُسْتَقَاهَا

\* \* \*

[ ذكر بابل ]

وبابل مدينة كان ينزلها ملوك المعجم ، وهي دار نمرود بن كنعان ، وكانت بابل ، من استمظامها واستبشاع أمرها ، لا تكاد تحصل . وأسسها نمرود ، وكانت مدينة ضاحكة للنظر ، زاوية البناء ، واسعة للفناء ، جمعت إلى حسن للنظر رصافة البنيان وبهاء الأنصب ، فكانت سهلة بطعاء مربعة ، في كل تربع حيطان عظيمان ، وسورها لا يكاد سامعٌ يخبره بصدقه ، كان عرضه خمسين

(١) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه .

(١٩ - شرح مقامات الحريري - ج ٢)



ذراعاً ، في ارتفاع مائتي ذراع ، في دور أربعة وستين ميلاً ، وحواله خندق يجري فيه الفرات ، وفيها مائة باب نحاس .

وهي أقدم بناء بُني بعد الطوفان ، ونسب السحر لها لأن بها هاروت وماروت معلمَي السحر ، فكانا يمجبان من بنى آدم حيث يعصون الله تعالى على إنعامه عليهم ، فابتلاهما الله تعالى فسَلط عليهما الشهوة الآدمية ، وحرّم عليهما القتل والزنا والخمر ؛ وأنزلهما إلى الأرض للحُكْم بين أهلها ، فجاءتهما الزهرة في خصام ، فوقعت في قلوبهما ، فشكا كل واحدٍ منهما لصاحبه ما يجده من حُبّها ، فأرسل إليها فراوداها فأبت حتى يعلمها الاسم الذي يرجعان به إلى السماء ، فأبيا عليها ، قالت لهما : فاشربا الخمر ، فشرباها فسيكرا وعلماها الاسم ، وواقعاها ، ثم خرجا فوجدا رجلاً ، فظننا أنه ظهر على أمرهما قتلاه ، وتكلمت الزهرة بالاسم الذي يرجعان به إلى السماء فرفعت ومسخت كوكباً وخبراً بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما بعدان ببابل ، ويعلمان السحر .

وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقالت : يا أمّ المؤمنين ، قالت لي امرأة : هل لك أن أعلمك شيئاً يصرف وجهَ زوجك إليك أفانت جيسين ، فركبتُ واحداً ، وركبت الآخر ، وسرنا ماشاء الله ، فقالت : أتدريين أنك ببابل ؟ ودخلت على رجلين ، فقالا لي : بولي على ذلك الرماد ، فذهبت ولم أبل ، ورجعت . فقالا لي : ما رأيت ؟ قلت : ما رأيت شيئاً ، قالا : أنت على رأس أمرك ، فرجعت فشددت وُبلت ؛ فخرج مثل الفارس القنع ، فصعد في السماء ، فقالا لي : ما رأيت ؟ فأخبرتهما ، فقالا لي : ذلك إيمانك فارّك ، فخرجت إلى المرأة ، فقلت لها : والله ما علماني شيئاً ، ولا قال لي كيف أصنع ، فقالت : فما رأيت ؟ قلت : كذا وكذا ، فقالت : أنت أسحر العرب ، اعلمية ،

قطعت جداول ، فإذا زرع يهتز ، فقلت : أفرّك فإذا هو قدّ يبس ، فأخذته  
وفركته ، وقالت : خذبه ، واجعله سويقاً واسقيه زوجك ، فلم أفضل شيئاً من  
ذلك . وانتهى الأمر إلى هذا فهل لي من توبة ؟

ورأت رجلاً من خزاعة فقالت : يا أمّ المؤمنين ، هذا أشبه الناس بها روت  
وماروت . روى هذا الحديث بإسناد له ابن قتيبة .

\* \* \*

قوله : « عقلت لبّ العاقل » ، اللبّ : العقل ، وعقلته : شدته بعقل ، وهو  
قيد البعير .

والنمص : الوعول ، والأعصم : التيس الجبلي الذي في يديه بياض ،  
والممصم : موضع الخللخال .

الخاليل : الأعصم الوعل ، وعصمته : بياض في رجليه .

والعاقل : قرون الجبال ، وأراد أن كلامها لهذوبته يطلب أهل العقول حتى  
نعدّاهم إلى الوحش ، أو يريد بالمصم من له عزمة وهمّة من الرجال ، فإذا  
سمعها تذلل لها .

وأخذ هذا من قول أبي بكر بن دريد<sup>(١)</sup> :

لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لَا نَحَطَّ لَهَا طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذَّرَا<sup>(٢)</sup>  
أَوْ صَابَتِ الْقَانَتِ فِي مَخْلُوقِ مُسْتَصْعَبِ الْمَسَلِكِ وَغَرِّ الْمَرْتَقَى<sup>(٣)</sup>

(١) المقصورة ١٢٥ (نشرة المطار)

(٢) ط : « باحت » ، وصوابه من المقصورة . وناجت : سارت والأعصم : الوعل  
الذي في يديه بياض . والشماريخ : جمع شمراخ ؛ وهو رأس الجبل . والترا : جمع ذروة .

(٣) صابت : وافقت ووجدت . والقانت : المطيع . والمخلوق : الأملس .  
ومستصعب : صعب . . . والمسلك : الموضع الذي يسلك فيه .

ألماءُ عن تَسْبِيحِهِ وَدِينِهِ تَأْنِيسَهَا<sup>(١)</sup> حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا<sup>(٢)</sup>  
 والسابق إلى هذا المعنى اللبابة بقوله :  
 لو أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبَدَ إِلَهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ<sup>(٣)</sup>  
 لَرَنَا رُؤَيْتَهَا وَحُسْنَ حَدِيثِهَا وَخَالَهُ رَعْدًا وَإِنْ لَمْ يُرْشَدِ  
 والمفتود : الذي يشتكى نؤاده . والموود : المدفون حيا ، وانظره في  
 الخلماسة والثلاثين .

وَأَرَادَ أَنْ حَسَّنَ صَوْتَهَا بِالْقُرْآنِ يَشْفِي مِنْ مَرَضِ الْفَوَادِ ، وَيُجِى الْمَوْتَى .  
 والعرب تزعم في شعرها أن إفراط الحُسن يُجِى الموتى .  
 قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيِّتًا إِلَى نَحْرِهَا قَامَ وَلَمْ يُخْتَمَلْ إِلَى قَابِرٍ<sup>(٤)</sup>  
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَارَأُوا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ<sup>(٥)</sup>  
 وقال توبة بن الحُمَيْر :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَفَوْقِي تَرْبَةً وَصَفَائِحُ<sup>(٦)</sup>  
 لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَىهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ<sup>(٧)</sup>

(١) ط : « تأنيثها » ، تحريف . والتأنيث : الأناث وحسن الحديث .  
 (٢) صبا : فعل أفعال الصبيان .  
 (٣) ديوانه ٣١ . الراهب : الخائف من الله . والسرورة في الجاهلية : التي لم  
 يتزوج ، وفي الإسلام : التي لم ينجح .  
 (٤) ديوانه ١٣٩ ، ١٤١ . والنحر : أعلى الصدر .  
 (٥) نشر الله الموتى : أحيامهم وبيتهم .  
 (٦) ديوان الخلماسة - بشرح الرزوقي ١٣١١ .  
 والصفائح : الحجارة الراس يفضى بها القبر .  
 (٧) زقا : صاح . والصدى : ما يجيبك من الجبال وغيرها إذا صحت ؛ وكانت العرب  
 تزعم أن عظام الموتى تصير هاما وأصداء ، وبمده في الخلماسة :

وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَا لَهُ أَلَّا كُلَّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ

قوله : «مزامير» ، الزمار : الصوت نفسه ، والجمع مزامير . وقيل : صوابه  
 زمّار ، ولا يقال زامر ، ويقال للآتى : زامرة ولا يقال : زمّارة ، والآلة التى يزمر  
 بها الزّامرة .

وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتاً ، وإذا قرأ الزّبور  
 رقت لصوته الوحوش ، وحنّت حتى تؤخذ بأعناقها وهى مصغية له ، وما صنعت  
 «الشياطين المزامير والبرابط إلا على صوته .

ومعبد ، أطبع المغنّين المتقدّمين ، وإسحاق الموصلى أطبع المتأخرين ، وفى  
 معبد يقول حبيب :

محاسنُ أوصافِ المغنّينِ بجمّةٍ      وما قصّباتُ السّبِقِ إلا لِمّةٍ بَدِ

\* \* \*

[ أخبار معبد ]

وهو معبد<sup>(٢)</sup> بن وهب ، وقيل ابن قطن<sup>(٣)</sup> وأبوه أسود ، وكان هو  
 خِلاسيّاً مديد القامة ، أحول .

غنى فى أول الدولة الأموية ، وتوفى أيام الوليد بن يزيد .

وكان<sup>(٤)</sup> علم جارية اسمها ظبية فاشتراها رجل من الأهواز ، وذهبت به إلى  
 كلّ مذهب ، فأتت وأخذت جواربه أكثر غنائها ، فكان من أجلها يفضل  
 معبداً على نظرائه ، ويظهر التعصّب له ، فسمع به معبد ، فخرج إليه حتى أتى  
 للبصرة ، فصادف الرّجل خارجاً إلى الأهواز فى سفينة ، فسأله الدخول معه ،

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) أخبار معبد فى الأغاني ١ : ٣٦ - ٦٠ .

(٣) الأغاني « قطن ، مولى ابن قطر » .

(٤) الخبر فى الأغاني ١ : ٤٨ ، ٤٩ ، باختصار وتصرف .

قَامَ الْمَلِاحُ أَنْ يُجْلِسَهُ فِي مَوْخِرِ السَّفِينَةِ ، وَأَعْمَدَ حَتَّى بَلَغَ إِلَى فَمِ نَهْرِ الْأَبْلَةِ ،  
فَهَفَدُوا وَشَرَبُوا ، وَأَمَرَ جَوَارِيَهُ فَتَيْنِ ، فَفَتَتْ إِحْدَاهُنَّ لِلنَّابِئَةِ (١) :

• بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَنْجَدَمَا •

وَمَعْبَدٌ سَاكِتٌ فِي ثِيَابِ السَّفَرِ ، حَتَّى سَكَتَتْ ، فَصَاحَ : يَا جَارِيَةَ ، غَنَاؤُكَ  
لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ ، فَغَضِبَ مَوْلَاهَا ، وَقَالَ : وَمَا أَنْتَ وَالْفَنَاءُ ! ثُمَّ غَنَّتِ النَّابِئَةُ  
بِشِعْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ :

بَابِنَةُ الْأُرْدِيِّ قَلْبِي كَثِيبٌ      مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يُنِيبُ (٢)  
وَلَقَدْ قَالُوا قَلْتُ دَعْوِي      إِنْ مَنْ تَنْهَوْنَ عَنْهُ حَبِيبٌ  
إِنَّمَا أَنْفِي عِظَامِي وَجَسْمِي      حُبُّهَا ، وَالْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبٌ (٣)

فَصَاحَ مَعْبَدٌ : يَا جَارِيَةَ ، قَدْ أَخْلَلْتِ بِهَذَا الصَّوْتِ إِخْلَالًا شَدِيدًا ! فَاذْدَادِ  
غَضَبًا مَوْلَاهَا ، وَقَالَ : وَيْلَكَ ! أَمَا تَكْفَى عَنْ هَذَا الْفُضُولِ ! ثُمَّ غَنَّتِ أُخْرَى  
لَكَثِيرٌ قَالَتْ :

خَلِيلِي عَوْجًا سَلَّمَا سَاعَةً مَعِي      عَلَى الرَّبِيعِ تَقْضِي حَاجَةَ وَنُودَعِ (٤)

(١) الْأَغَانِي وَعِنْدَهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ

بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَنْصَرَمَا      وَاحْتَلَّتِ النَّوْرَ وَالْأَجْرَاعَ مِنْ إِضْمَا  
إِحْدَى بَيْتِي وَمَا هَامَ الْفُقُودَ بِهَا      إِلَّا السَّفَاهَ وَإِلَّا ذُكْرَةَ حَمَلَا

وَالْبَيْتَانِ فِي دِيُونِ النَّابِئَةِ ٦٥

(٢) الْأَغَانِي ١ : ٥٠

(٣) فِي الْأَغَانِي : « إِنَّمَا أَبِي عِظَامِي » ، وَبَعْدَهُ هُنَاكَ :

أَيُّهَا الْعَائِبُ عِنْدِي هَوَاهَا      أَنْتَ تَفْتَدِي مِنْ أَرَاكَ تَعِيبُ

(٤) الْأَغَانِي ١ : ٥٠ وَنَسَبَهُ إِلَى كَثِيرٍ ، وَفِيهِ : « عَوْجًا مَنَكَا » . وَبَعْدَهُ هُنَاكَ :

وَلَا تَعْجَلَانِي أَنْ أَلِيمَ بِدِمْنَةٍ      لَهْوَةَ لَاحَتْ لِي بِبِيدَاءِ بَلْقَمِ

وقولا لقلبٍ قدّ سلا: راجع الهوى وللمين أذرى من دموعك أودعي  
فلا عيش إلا مثل عيش مصى لنا مصيفا أقمنا فيه من بعد مزيج

فقال معبد . ما قومتم صوتاً واحداً ، فقال له الرجل : والله ما أراك تدع  
هذا الفضول بوجه ولا حيلة ، وأقسمت بالله لئن عاودته لأخرجنك من السفينة .  
فاندفع معبد بنقى الصوت الأزل ، فصاح الجوارى : أحسنت والله يارجل !  
فأعده ، قال : لا ولا كرامة ، ثم غنى الثاني ، فقلن لسيدهن : هذا والله أحسن  
الناس غناء ، فأسأله أن يعيد لملنا أن نأخذه ، ثم غنى الثالث فززل عليهم  
للسفينة ، فوثب الرجل وقبل رأسه ، وقال : أخطأنا عليك ، فأسألك أن تنزل  
إليّ ، فأبى فلم يزل به حتى نزل ، وقال له : من أين أخذ جواريك هذا الغناء ؟  
قال : من جارية أخذت عن أبي عباد معبد ، ثم استأثر الله بها ، وكانت ممتى  
محلّ الروح من الجسد ، لذلك أفضل معبداً على جميع الممتين ، فقال له معبد :  
وإنا لك لأنت هو أفتعرفنى ؟ قال : لا ، فصكّ معبد بيده صلته ، وقال : فأنا  
والله معبد ، وإليك قدمت من الحجاز ، ولتصدك بالأهواز دخلت السفينة ، والله  
لا قصرتُ في جواريك [هؤلاء] <sup>(١)</sup> حتى أجعلنّ خلفنا من الماضية . فأكبّ  
الرجل والجوارى على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون : « كتممتنا نفسك ، حتى  
أسأنا عشترتك ، وأنت تَمِنّ نعمتى من الله أن نلقاه .

ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها ، فأقام عنده سنة حتى أخذ  
عنه جواريه ثم انصرف إلى الحجاز .

قال ابن السكبي : قدم ابنُ مريح والغريص المدينة ، وكانا في صبحة الغناء  
من الحدّاق ، يقرّضان لمروف أهلها ، قلماً شارفاً تقدماً ثقلهما ، ليرتاده

(١) تكلمة من الأغاني .

منزلاً ، حتى إذا هما بمنسلة تنسل فيها الثياب قرب المدينة ، إذا هما بعلام  
ملتحفٍ بإزارٍ و طرفه على رأسه ، وييده حباله يصيد بها الطير ، وهو يتغنى :

القصر فالنخل فالجتماع بينهما أُنهي إلى القلب من أبواب جَيرون<sup>(١)</sup>  
فإذا الغلام معبد فلما سماه مالا إليه ، واستعاداه ، فأعاد الصوت ، فسمعا  
شيتاً لم بسمعا مثله قط ، فقال أحدهما لصاحبه : هل سمعت كاليوم قط ؟ قال :  
لا والله ، فما رأيتك ؟ قال ابن سريج : هذا غناء غلام يصيد الطير ، فكيف  
يمن في المدينة ، أما أنا فشككت ولدي إن لم أرجع ، فرجع ولم يدخلها<sup>(٢)</sup> .

وروى إسحاق أن معبداً سافر إلى مكة ، فسمع ببطن مرّ غناء ، فقصده  
الموضع ، وإذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه  
درّاعة مصبوغة بزعفران ، وهو يتغنى :

حَنّ قلبى من بعد ما قد أنابا ودعا الممّ شجوه فأجابا<sup>(٣)</sup>  
ذاك من منزلٍ لسلى خلاه لابس من خلّائه جلبابا<sup>(٤)</sup>  
مُجّت فيه وقتل لتركب عوجوا طمعاً أن يردّ ربيعَ جوابا  
فاستنار المنسى من لوعة الحب وأبدى المومم والأوصابا

(١) الأغاني ١ : ١١ ، وفي ط : « فالنخل فالأبواب » ، وما أنيته من الأغاني ،  
وأبواب جَيرون بدمشق ، وبعده في الأغاني :

إلى البَلّاطِ فما حازت قرائنه دورٌ نَزَحْنَ عن النعشاء والمونِ  
قدّ يكتمُ الناس أسراراً فأعلمها ولا يتألون حتى الموت مكنونى

والأبيات من أصوات الأغاني ، وهي لأبي قطيفة .

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) الشعر لعمرو بن أبي ربيعة ، والأغاني ١ : ٤٧ .

(٤) الأغاني « مكتس من صفائه » .

هَرَعَ مَعْبِدَ بِمِصَاهِ وَغَنَى :

مَنَّعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَقَمَهَا      حَدَقَّ تَقَلُّبَهَا لِلنِّسَاءِ مِرَاضُ<sup>(١)</sup>  
وَكَانَ أَفْتَدَةَ الرِّجَالِ إِذْ رَأَوْا      حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أُغْرَاضُ

قال الرجل له: أنت معبد؟ قال نعم، وقال له معبد: بالله أنت ابن سُريج! قال: نعم، ووالله لو عرفتُك ما غنيت بين يديك.

قال معبد: فلما قدمت مكة، قيل لي: إن ابن صفوان قد جعل بين اللغتين جائزة، فأتيت بابه، فطلبت الدخول، فقال لي آذنه: قد أمرني أن ألا آذن لأحد عليه، قلت: فدعني أدنو من الباب، فأغني صوتاً، قال: أما هذا فنعم، فدنوت من الباب، ففتيت، فقالوا: معبد، ففتحوالي وأخذت الجائزة.

\* \* \*

[ ذكر إسحاق الموصلي ]

وأما إسحاق فذكره صاحب الأغاني<sup>(٢)</sup>، وقال: كان محلّ إسحاق من العلم والأدب والرواية، وتقدّمه في الشعر وسائر الحاسن أشهر من أن يوصف. وأما الغناء فكان أصغر علومه، وأدنى ما وُسم به وإن كان الغالب عليه؛ وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائفها، وميّزها تمييزاً لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده، من تدقيق الجارمى، وتمييز الأصناف التي جعلوها صنفًا واحداً، وهي في نفسها كذلك، ولكنها تفرق عند متيقظ مثله، وأين مثله!

(١) الأغاني ١ : ٤٨ ، والشعر لفرزدق ، ديوانه ٤٨٨ .

(٢) أخبار إسحاق الموصلي في الأغاني ٥ : ٢٦٨ - ٤٣٣ .



وروى عنه أنه <sup>(١)</sup> قال : بقيتُ دهرًا أغلُسُ إلى هشام <sup>(٢)</sup> أسمع الحديث .  
 وإلى الكسائي أقرأ عليه جزءًا من القرآن ، وإلى الفراء وابن <sup>(٣)</sup> غزالة أسمع  
 اللغة ، ثم آتى منصور ززل ، فيطرحني طريقتين أو ثلاثًا ، ثم آتى عاتكة  
 بنت شهدة ، فأخذ منها صوتًا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعي وأبا عبيدة ، فأستفيد  
 منهما وأناشدهما ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه بما صنعتُ ، وأتفدى معه ، فإذا  
 كان العشي رحى إلى الرشيد .

وروى الحديث ، ولقي أهله ، مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة  
 وغيرهما . وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب ، لامع المغنين ،  
 فإذا أراد للفناء غناءً ، فأجابه إلى ذلك .

وقال المأمون : لولا ما سبق لإسحاق على أسنة للناس من الشهرة بالفناء ،  
 لوليت القضاة بمحضرتي ، فإنه أولى به ، وأصدق وأعم ، وأكثر دينًا وأمانة  
 من هؤلاء القضاة . وكان أجود الناس بالمال وأبخلمهم بالفناء . وأعطى لمنصور  
 ززل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم <sup>(٤)</sup> .

وأهدى له ابن الأعرابي <sup>(٥)</sup> نسخة من النوادر بخطه ، فرّ يومًا على  
 المدائني ، فقال : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال : أمرت على رجل كما قال  
 للشاعر :

نحمل أشباحنا إلى ملكٍ      نأخذ من ماله ومن أدبه <sup>(٦)</sup>

(١) الأغاني ٥ : ٢٧١ .

(٢) الأغاني : « هشيم » .

(٣) في حواشي الأغاني عن شرح القاموس : « وعبدالواحد بن أحمد بن فضال ، مفرى » .

(٤) الأغاني ٥ : ٢٧٤ .

(٥) الأغاني ٥ « أبو عبد الله بن الأعرابي » .

(٦) قال صاحب الأغاني « والبيت لأبي تمام الطائي » .

فقال : ومن هو ؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم .  
ومات وهو أشعر أهل زمانه ، وقال رأيت جريراً في منامى ينشد شعراً ،  
فلما فرغ أخذ كُتْبة شعر فألقاها في في ، فابتلتها ، فتأولت ذلك أنه ورثني  
الشعر .

ومرّ به شيخ وهو في الحديث ، فقال لجلسائه : هذا أشبه الناس بجرير  
الذي رأيت ، فسئل الشيخ ، فإذا هو مُحارة بن عقيل بن بلال بن جرير .  
ومن شعره يفتخر<sup>(١)</sup> :

إذا كانت الأحرار أصلي ومَنْصِي  
وقام بنصري خازمّ وابن خازم  
عطست بأفٍ شامخٍ وتناولت  
يدايَ اللّثا قاعداً غير قائم

وسمها الأسمى فاستعسبها ، وأحجب بهما وفضلها .  
ودخل على مروان بن أبي حفصة وهو يتعدّث مع أبيه فأنشده :  
إذا مضر الجراء كانت أرومتي وقام بنصري خازم وابن خازم<sup>(٢)</sup>  
عطست بأفٍ ... البيت .

فجعل إبراهيم يحدث مروان ، وهو ساه عنه ، فقال : مالك لا تجيبني  
فقال : إنك ما تدري ما أقرغ ابنك في أذني .

(١) في الأغاني ٥ : ٢٧٨ : « أن الأسمى أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لمزينة بن  
خازم ، وذكر البيتين .  
(٢) الأغاني ٥ : ٢٦٩

حوجه إليه<sup>(١)</sup> أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متسكناً      وَاَنْعَمَ نِعْمَتَ بطول الألو والطرب  
فحمة الكأس بين الناس واجبةً      كحرمه الود والأرحام والأدب

فأجابه إسحاق اللوصلي :

اذكر أبا جعفرٍ حقاً أمتٌ بهِ      أنى وإياك مشفوقان بالأدب  
وأنا قد رَضَعْنَا الكأسَ دِرَّتِها      والكأس حرمتها أولى من الذئب

وجلس<sup>(٢)</sup> عند إبراهيم بن مُصعب للشرب ، فسقى الغلمان من حضر ،  
وجاء غلام قبيح الوجه بقدرح إلى إسحاق ، فلم يأخذ منه ، فقال له إبراهيم :  
لم لا تشرب ؟ فقال :

أصبَحَ نديمك أقداحا نلسلسِها      من الشمول<sup>(٣)</sup> وأتبفها بأفداج  
من كَفَّ ريمٍ مليح الوجه ريقته      بعد المجوع كسك أو كتفاج  
لا أشرب الراح إلا من يدى رشا      تقبيل راحته تُفنى<sup>(٤)</sup> عن الراج  
فدعا له بوصيفة تامّة الحسن ، فى زى غلام ، عليها أقبية<sup>(٥)</sup> ومنطقة ، فسقته  
حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها إليه بكل ما معها إلى داره .

ومن طرف إسحاق ، أن كلثوما التتابي كان من العلم وغزارة الأدب

(١) الأغاني ٥ : ٣٠١

(٢) الأغاني ٥ : ٣٣٠ .

(٣) الشمول : الخمر .

(٤) الأغاني . « أشهى من الراح » .

(٥) الأقبية : جمع قباء ، بالفتح ؛ وهو ثوب بليس فوق الثياب . وقيل : ثوب بليس

حقوق القميص ويتمنطق به .

وكثرة الحفظ والترسل والنظم على ما لم يكن عليه أحد ، فحضر مجلس اللأمون ، فوضع بين يديه ألف دينار ، وغمز إسحاق بالعبث به ، فأقبل إسحاق يمارضه في كل باب ويزيد عليه ، وهو لا يعرف إسحاق ، فقال : أياذن أمير المؤمنين في نسبة هذا الرجل ، والسؤال عن اسمه ؟ فقال : أفضل ، فقال له العتابي : ما اسمك ومن أنت ؟ فقال : أنا من الناس ، واسمى كل بصل ، فقال له العتابي : أما النسبة فمعرفة ، وأما الاسم فنسكور ، فقال له إسحاق : ما أقل إنصافك ، أو ما كنتوم من الأسماء ! قال بصل أطيب من الثوم ! فقال له العتابي : قاتلك الله ، ما أملحك ! ما رأيت كالرجل حلاوة ، أياذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني ، وقد والله غلبنى ؟ فقال له اللأمون : بل ذلك موفور عليك ، وأمر له بمثله . فانصرف إسحاق إلى منزله ، ونادمه العتابي بقية يومه .

وكانت هُشيمة الختمارة تجيد الشراب ، فلما ماتت قال يرثيها :

أضعت هشيمة في القُبورِ مقيمةً      وختل منازلُ من الفتيانِ<sup>(١)</sup>  
 كانت إذا هجر الحبيبَ محبِّه<sup>(٢)</sup>      دبت له في السرِّ والإعلان  
 حتى بلين لما تريد قيادَه      ويصيرُ سيئُه إلى الإحسان

وهو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان ، أصله فارسي ، وترك ماهان إبراهيم صغيراً ، فنشأ في بني نعيم .  
 وهذا الذي ذكرنا نبذة من أدبه .

وأما محاسنه في الفناء فلا يأتي عليها الخصر ، قال الواثق : ما غناني إسحاق قط إلا ظننت أن قد زيد في ملكي ؛ وإن إسحاق نعمة من نعم الملك ،

(١) الأغاني ٥ : ٤١٠ .

(٢) الأغاني : « إذا هجر الحبيب جبينه » .

التي لم يحظ أحد بمثلها ؛ ولو أن له العمر والنشاط بما يشتري لاشتريتهما بشرط ملكي .

وحدث حماد ابنه قال <sup>(١)</sup> : حدثني أبي قال : غدوت يوماً وأنا ضَجِيرٌ من من ملازمة دار الخليفة . فركبت بكرة عازماً أن أطوف في الصحراء ، وأتفرج ، وقلت لملائي : إن جاء رسول الخليفة فعرفوه أني ركبت في مهم <sup>(٢)</sup> ، ومضيت ، وطلت ما بدالي ، وغدوت ، وعدت ، وقد حَمِيَ النهار ، فوقفت في ظل جناح شارع <sup>(٣)</sup> لأستريح ، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً ، عليه جارية تحتها منديل ديبق <sup>(٤)</sup> ، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه ، فرأيت لها شمائل ظريفة وطرفاً فاتراً ، فحدثت <sup>(٥)</sup> أنها مغنية ، فدخلت الدار التي كنت عليها واقفاً ، فملقها قلبي علوقاً شديداً لم أستطع معه برحاً . وأقبل رجلان شابان ، لهما هيبة تدل على قدرهما ، وهما راكبان ، فأذن لهما فحملني حب الجارية وحسن حالهما أن توسلت بهما ، فدخلت معهما ، فظننا أن صاحب الدار دعاني ، وظن هو أني معهما ، فجلسنا ، وأنى بالطعام فأكلنا ، وجرى بالشراب ، فخرجت الجارية ، وفي يدها عود ، فرأيت جارية حسناء ، فغنت غناء صالحاً ، فعمكن ما في قلبي منها ، وشربنا . ثم قمت للبول ، فسألها صاحب المنزل عني ، فأنكراني ، فقال : هذا طفيلي ، ولكنه ظريف ، فأجلوا عشرته ، فجلت وجلست فغنت في الحن لي :

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِيَا أُمُّ شَادِنِ أَمَامِ الْمُطَابَا تَشْرِبُ <sup>(٦)</sup> وَتَسْعُ

(١) الأغاني ٥ : ٤٣٢

(٢) الأغاني : « في بعض مهماتي ، وأنكم لا تعرفون أين توجهت » .

(٣) الأغاني : « فوقفت في الشارع المرفوف بالخرم » والمخرم : عملة ببغداد :

(٤) ديبق منسوب إلى ديبق ، وهي بلدة كانت بين القرماتيين من أعمال مصر ، ولد

خرت الآن .

(٥) الأغاني : فخرت عليها أنها مغنية ، وخرست ، أي خنت وظننت .

(٦) ط : « تستريح » ، والأجود ما أثبتته من الأغاني .

من المؤلفات الرمل أدماه حرّة شعاع الضعى في وجهها يتوضّع  
عَادَتَه أداء صالحًا . ثم غنّت أصواتًا فيها من صنعتي :

للاطلول الدوارسُ فآرَقْتَهَا الأوانِسُ  
أوحشتُ بعد أنيسها فهى قَفَرْتُ بسأبِسُ

فكان أمرها فيه أصلح من الأوّل ، ثم غنّت من صنعتي في شعري (١) :

قل لمن صدّ عاتبًا ونأى عنك جانبًا  
قد بلغت الذى أردت وإن كنت لاعبًا

واعترفنا بما ادّعييت وإن كنت كاذبًا (٢)

فكان أصلح مما غنّته ، فاستمدته منها لأصححه . فأقبل على أحد الرجلين ،  
فقال : ما رأيتُ طفيلًا أصنق وجهًا منك ، لم ترّضَ بالتطفيل حتى اقترحت ا  
وهذا تصديق المثل ، « طفيل وقد يقترح » ، فلم أجبه (٣) . وكفّه صاحبه عنى ، فلم يبقَ ،  
ثم قاموا للصلاة فأخذتُ عود الجارية ، وأصلحته إصلاحًا محكمًا . وعدت  
إلى موضعي ، فصلّيت ، ثم عادوا ، فعاد ذلك الرجل في عزّ بدّته علىّ ، وأنا  
صامت ، فأخذت الجارية عودها ، وجسّته ، فقالت : مَنْ جسّ عودى؟ فقالوا :  
ما جسّه أحد ، فقالت : والله لقد جسّه حاذق متقدم ، وشدّ طبقة ، قلتُ لها :  
أنا أصلحته ، فقالت : بالله عليك خذه ، واضرب به ، فأخذته منها وضربتُ  
مبدأ طريق عجيب صنّف ، فيه نقرات محكّمة (٤) ، فسايتني منهم أحد إلا وثب ،  
وجلس بين يدي ، وقالوا : بالله يا سيدي ، تُنقى؟ قلتُ : نعم ، وأعرّفكم بنفسى

- (١) الأغاني : « ثم غنّت أصواتًا من القديم والحديث ، وغنّت في أثنائها من صنعتي » .  
(٢) لم يرد هذا البيت في رواية الأغاني .  
(٣) الأغاني : « فأطرت ولم أجبه » .  
(٤) الأغاني : « محرّكة » .

أنا إسحاق الموصلي ، والله إني لأتبه على الخليفة وأنتم تمشونني منذ اليوم لأنني تملأيتُ معكم بسبب هذه الجارية ! والله لانطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم ، أو نخرَجوا هذا المرَبد الفث ، ونهضتُ لأخرج . فتعلقوا بي وتملقتُ الجارية بي ، فقلت : والله لا أجلس إلا أن يخرج ؛ فقال له صاحبه : من شبه هذا حذرت عليك ، فأخرجوه ، فنذيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ؛ فطرب صاحبُ البيت طرباً شديداً ، وقال لي : هل لك في أمرٍ أعرضه عليك ؟ فقلت : ما هو ؟ فقال : تقيم عندي شهرأ ، والجارية مع ما عليها لك ، فقلت : أفعل ، فأقتُ عنده ثلاثين يوماً لا يعرف أحدٌ أين أنا ، والمأمونُ يطلبني .

فجئتُ بذلك منزلي بعد شهر ، وركبتُ إلى المأمون ، فقال لي : يا إسحاق ، ويحك ! أين تسكون ؟ فمررتُه الخبر فقال : عليّ بالرجل الساعة ، فمررتهم موضعه فأحضره ، وقال : أنت رجل ذو مروءة وسييلك أن تُماون عليها ، فأمر له بمائة ألف درهم ، ونهاه ألاّ يعاشر ذلك المرَبد اللذّل ، وأمر لي بخمسين ألفاً ، وقال : أحضِر لي الجارية ، فأحضرتها فمنته ، فقال : قد جعلتُ لها نوبةً في كلِّ يومٍ ثلاثاء ؛ تنقّي مع الجوارى ، وأمر لها بخمسين ألف درهم . فربحتُ والله تلك<sup>(٢)</sup> الرّكبة وأرْبِحتُ .

وتشبه هذه الحكاية حكاية إبراهيم<sup>(٣)</sup> بن المهدي ، إذ شفع للمأمون في طفليّ قد قدّمنا ذكره ، فقال إبراهيم : يا أمد المؤمنين ، هب لي ذنوبه ، وأحدثك حدثاً عجيباً في التّطفيل من نفسي ، قال : قل ، فقلت ؛ خرجت يوماً

(١) الأغاني « أحضرنى »

(٢) الأغاني : « بلك » .

(٣) الخبر في القدر ٦ : ٢٠٨ - ٢١٠

فررت في سلك بغداد ، فشتمت راحة أزار من جناح دار ، وقدور قد  
فاح ققارها . فسألت خياطاً : عن ربّ الدار ، فقال رجل من التجار اسمه فلان .  
فخرجت من شباك في الجناح كفت وممصم ، ما رأيت مثلها قط ، فذهب عتلى  
وبهت ، وإذا رجلان نبيلان ، فقال الخياط : هذان نديماه ، وهما فلان وفلان ،  
فحركت دابتي ، ودخلت بينهما ، وقلت : قد استبطأ كما أبو فلان ، فأتيننا الباب ،  
فدخلنا ، فلم يشك صاحب الدار أنني منهما ، فرحب بي ، وأجاسني في أجل  
موضع ، فأتيننا بالألوان ، فكان طعمها أطيب من رائحتها ، قلت في نفسي :  
أكلت الألوان وبقى الكف . ثم سرنا إلى مجالس المنادمة ، فإذا أنبل مجلس ،  
وصاحب الدار مقبل بالألف والحديث على لما ظن أني منهما ، فخرجت جارية  
تفتق كأنها خوط بان ، فسلمت وجلست ، وأخذت بالعود وجسته ، فتبينت  
الحذق في جستها ، وغنت هذا الصوت :

تومها طرفي فأصبح خدها وفيه مكان الوهم من نظري أثر  
وصاحها كفي فألم كفيها فن لمس كفي في أنا ملها عتري  
ومر بفكري شخصها فجرحتة ولم أر شخصاً قط يجرحه الفكر

فهيجت بلابلي ، وطربت ، ثم غنت :

أشرت إليها هل علمت (١) مودتي فردت بطرف العين لاني على العهد  
فحدت عن الإظهار عمداً لسرها وحادت عن الإظهار أبيضاً على عهد

فصعت : السلاح ! وجاءني ما لم أملك معه نفسي ، ثم غنت :

أليس عجيباً أن بيتاً بفضتي وإياك لا نخلو ولا نكلم

(١) الطه : « صرفت »

( ٢٠ - شرح مقامات الحريري ج ٢ )



سوى أعين تشكو الهوى ينجفونها وترجع أحشاء على النار تضرم  
 إشارة أفواهٍ وغمز حواجبٍ وتكدير أجفانٍ وقلبٍ معيم<sup>(١)</sup>  
 فحسنتها على حدقها، قلت: باجارية بقى عليك شيء، ففضبت ورمت بالعود،  
 وقالت: متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء ا فندمت ورأيت تغير القوم،  
 فدعوت بالعود وغنيت:

ما للنازل لا يجنب حزيماً أصمتمن أم بعد اللدى قبلينا  
 راحوا العشيّة روضةً مذكورةً إن متن منّا أو بقين بقينا<sup>(٢)</sup>  
 فأقبلت على رجلىّ تقبلهما، وتقول: المذرة والله ياسيدي من تغير مثلك،  
 وقام مولاها وصاحبها، وصنموا مثلها، وشربوا بالطاسات طرباً، ثم غنيت:

أفي الحق أن أمسى<sup>(٣)</sup> ولا تذكريني  
 وقد سحمت<sup>(٤)</sup> عيناى من ذكرك الدما<sup>(٥)</sup>

إلى الله أشكو مخلمها وسماحتي لها غسل منى وتبذل علقما<sup>(٦)</sup>

فجاء والله من طرب القوم ما حسبت له أن يخرجوا من عقولهم، فأمسكت  
 حتى إذا هدا القوم اندفعت أغنى:

(١) المقدم: « وكف تسلّم » وما أنبته من أ، ب

(٢) المقدم: « أوحين حيننا » .

(٣) ط: « هل عمى »

(٤) المقدم: « ود سحمت عيناى »

(٥) بعده في المقدم:

فدنى مصاب للقلب أنتِ فقلته ولا تتركه ذاهل العقل مغرماً

(٦) بعده في المقدم:

إلى الله أشكو أنّها مادريّة وأناى لما بالودّ ما عشت مكرماً

هذا محبك مطوى على كبده صب<sup>(١)</sup> مدامه تجرى على جسده  
له يدٌ تسأل الرحمن راحته بما به ويدٌ أخرى على كبده  
يا من رأى كلفا مستهدفا أسفا كانت منيته في طرفه ويده<sup>(٢)</sup>

فصاحت الجارية : السلاح ا هذا والله الفناء يا مولاي . وسكروا ، وأمر  
صاحب الدار غلامه بحفظهم إلى منازلهم ، وبقيت أشرب معه - وكان جيد  
الشراب - فقال : يا سيدي ذهب والله ما خلا من أيام باطلا إذ كنت لأعرفك ،  
غن أنت ؟ فأخبرته ، فقبل رأسي ، وقال : وأنا أعجب من هذا الأدب ، وأنا منذ اليوم  
مع الخلافة . ثم سألتني عن قصتي فأخبرته خبر الطعام والمعصم ، فأحضر جواربه  
[ولا أشعر]<sup>(٣)</sup> . ثم قال : ما بقي غير أبي وأختي ، ولأنزلتني إليك . فمجبت  
من كرمه ، وسعة صدره ، فقات : ابدأ بالأخت ، ففعل ، فلما رأيت مصمها ، قلت :  
هي هي . فأرسل إلى عشرة مشايخ وأحضر بذرتين ، وقال : أشهدكم أني قد  
زوجت أختي فلانة من إبراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم .  
فدفعت إليه البذرة الواحدة ، وفترقت الأخرى على المشايخ ، وانصرفوا ،  
وقال : يا سيدي أمم ذلك بمض اللبيوت ، فأحشمني<sup>(٤)</sup> ، قلت : بل أحملها لي منزلي  
في عمارية ، فوحقك يا أمير المؤمنين ، لقد حمل إلي من الجهاز ما ضاق عنه  
بعض دوري .

فتمجّب المأمون من كرمه ، وأمر بإحضاره فصار من خواصه .

• • •

قوله : « سحقتا » أي بعداً .

• • •

(٢) لم يرد هذا البيت في المقد .

(٤) أحشمه : أخجله .

(١) العقد : جرى مدامة .

(٣) من العقد

## [ ذكر زمام الزامر ]

وزمام الزامر هو الذي أحدث الذام ، وهو الزمار الذي تدعوه عامته  
بالمغرب الزلامي ، فصحفه يبدال نونه لاما ، وإنما هو زمامي ، وقال فيه الشاعر :

إن في ناي زمام شغلا يشغل العاقل عن ناي زمام-

قال القاسم بن زرزور الزامر : حدثني زمام الزامر ، قال : لما اعتل-  
للمعتم صلته التي مات منها ، قال : هيتوا لي الزلال حتى أركبه ، فمئى له فركب ،  
وأتى فيمن معه ، فتر بدجلة بإزاء منازلهم ، فقال : يا زمام ، قلت : لبيك يا أمير-  
للمؤمنين اقل : ازمر :

يا منزلاً لم تبيل أطلالة حاشا لأطلاك أن تبلى  
الميش أولى ما بكاه الفتى لابتد للمحزون أن يسلى  
لم أبك أطلاك لكنى بكيت عيشي فيك إذ ولى

قال : فزمرت ومازلت أردده ، وهو ينتحب وييسكى إلى أن خرج ، ثم  
توفى بعد خمسة أيام .

وزمام سار المثل بضره زمرة وإتقان صنفته .

وكان الواثق مولماً بزمرة بعد أبيه المعتم ، حدث حسين بن الضحاك قال (١) :  
دخلت على الواثق ، فقال : قل الساعة أبياتاً ملاحاً حتى أهب لك شيئاً مليحاً ،  
قلت : في أى معنى ؟ قال : فما شئت بما ترى بين يديك ، فالتفت فإذا بساط  
قد تنقعت أنواره ، وأشرق في نور الصبح ، فنبجلت وأرتج على ، فقال

(١) الأغاني : ٧ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

الواثق : ألسنت ترى نور صباح ، ونور أفاق ! ففتح لي ، قلت :

ألسنت ترى الصُّبْحَ قد أسفرا      ومنسكبَ اللَيْثِ قد أمطرا<sup>(١)</sup>  
 وأسفرت الأرض عن حلةٍ      تُضاحك بالأصفر الأحمرا<sup>(٢)</sup>  
 وتعمل كأسين في فتيةٍ      تطارد بالأصفر الأكبرا  
 يحثُّ كنوسهمُ مخطفٌ      تجاذبُ أردافه المئزرا<sup>(٣)</sup>  
 فكلُّ ينافس في بره      ليفعل في ذاته المنكرا

فضحك ، وقال : تستعمل ماقلت يا حسين إلا للفسق فلا ولا كرامة .  
 ثم قال : قوموا بنا إلى حانة الشط . فقام إليها ، وشرب وطرب ، وماترك أحداً  
 من المئذنين والجلساء إلا أمر له بصلة . وكان من الأيام التي سارت أخبارها في  
 الآفاق ، فلما كان من الغد غدوت عليه ، فقال : أنشدني ماقلت في يومنا  
 الماضي ، فأنشدته :

ياحانة الشطِّ قد أكرمت مثنوانا      عودي بيوم سرور كالذي كانا  
 لا تُفقدنا دعاياتِ الأمير ولا      طيب البطالة إصراراً وإعلانا  
 وهاج زمر زُناهم بين ذاك لنا      شجوراً فأهدى لنا رَوْحاً ورَبَّحاناً

(١) الأغاني : ٥ وبكر .

(٢) بده في الأغاني :

ووافقك نَيْسَانُ في ورده      وحثك في الشرب كي تَنَكِّرا .

(٣) بده في الأغاني :

ترجل بالباب حتى إذا      أدار غداًره وفرّا  
 وفضض في الجُلُتار البها      ر والآبنوسة والعيَّتورا  
 ظلماً تمازج ما شذرت      مقاريض أطرافه شذرا

وَسَأَلْتُ الرَّطْلَ عَمْرًا وَنَمَّهَمَّ بِهِ لَلْشَقِيَا فَالْحَقُّ أَحْرَانَا بِأَوْلَانَا  
لَا زَلَّتْ آهْلَةُ الْأَوْطَانِ حَامِرَةً بِأَكْرَمِ النَّاسِ أَعْرَافًا وَأَغْصَانَا  
ذَكَرْنَا هَذِهِ الْحِكَايَةَ لِنُظَرِّفَهَا ، وَلِمَا وَقَعَ لِرِزَامٍ مِنَ الذِّكْرِ فِي شِعْرِ حَسَنِ .

\* \* \*

قوله: «زنيبا» ، أى دعيا في الزمر . قال ابن الأعرابي : الزنيم ابن الزانية .  
أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل  
الجنة ولد الزنا ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كانت للعباد فيما مضى إذا عبد الله  
أحدكم أربعين سنة يستى نوره بين يديه ، فعبد الله عابد أربعين سنة وأربعين ،  
فلم يسع له نور ، فابتهل إلى الله تعالى فقال : عبدتك أربعين وأربعين ، ولم  
يسع لى نور ؛ فأرى فى منامه أنه لنير رِشدة ، فقال : يارب إن كان أبواى  
أكلًا مُحَاضًا أضرس أنا : فسمى نوره بين يديه .

قوله : «جيله» ، أى أهل عصره .

الزهيم الأول السيد ، والثانى الضامن ، أراد أنه يضمن لمن سمىه أن يطربه  
وقال أبو النفضل الدارمي في زامر أسود :

وحالك اللون كاللؤلؤ البهيم له فضائل مشرقات الحس كالنلق  
تخال مجلسنا وجهها به حسنا إذ صار فيه كخال معجب لبق  
تراه يحفظ ما يوحى إليه به وسره أبدا يهوى بمنخرق

يحدو بأنفاسه الأوتار مجتهداً      قدستقيم به الألحان في الطرُقِ  
أهدى الشبابُ إليه حسنَ بهجته      فناسب المسك في لونِ وفي عَبَقِ

الحبب : الفقايع تلو الماء والحمر . أزدرى : أحتمر . النَّمَم : الإبل وأكرمها  
الحمر . أحلى : أزين . بتَمَلَّها : بطول حياتها ومدتها ، والملاوة : المدة ، ومنه  
قوله تعالى : ﴿ وأملي لهم ﴾ . مرآها : رؤيتها . أذود : أذفع . شرائع : طرق .  
السمَر : الحديث بالليل . أليح : أشفق ، تسيرى : تسير ليلاً . ربَّأها : راعها  
الطليبة . يكهن : يشعر ويحسن ، وتكهن الرجل : يتحدث عن الغيب .

\* \* \*

[ ذكر سطيح ]

وسطيح الفسائي أكهن الناس ، وأنذر بسيل العريم ، فكان بدرج  
جسده كما بدرج الثوب ، خلا ججمة رأسه ، وإذا مستت باليد أثرت فيه  
للين عظمها .

ومن كنهاته أنه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج  
إيوان كسرى ، فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، فأعظم ذلك أهل المملكة ،  
وكتب إلى كسرى صاحب الشام أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة .

وكتب إليه صاحب اليمن أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة .

وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية .

وكتب إليه صاحب فارس أن بيوت النار خذت تلك الليلة ، ولم تحدث

قبل ذلك بألف سنة<sup>(١)</sup> .

فلما تواترت عليه الكتب ، أظهر سريره ، وبرز إلى أهل مملكته ، فأخبرهم

(١) الفائق : ألف عام

الخبر ، قال المؤبذان : أيها الملك إنى رأيت تلك الـهيلة رؤيا هالتي ، رأيت إبلا صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا .

قال : فإعذرك في تأويلها ؟ قال : ما عندي شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجه إليك رجلاً من علماءهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان . فبعث إليه ، فوجه عبد المسيح بن بـُقيلة الغسائي ، فأخبره كسرى بالخبر فقال : أيها الملك ، ما عندي فيها شيء ، ولكن جهّزني إلى الشام إلى خالي سطيح . فجهّزه ، فلما قدم عليه برّجده قد احتضّر ، فناداه فلم يجبه ، فقال (٢) :

أصمّ أم يسمعُ غطريفُ اليمينُ رسولُ قبيلِ المُعجمِ يهويُّ للوثنِ (٣)  
يا فاصلَ الخُلطةِ أعييتُ مَنْ وَمَنْ أتاكُ شيخُ الحَيِّ من آلِ سننِ  
• أبيضُ فضفاضُ الرداءِ والرّسنِ • (٤)

فرفع إليه سطيح رأسه ، وقال : عبد المسيح ، على جهلٍ مُشبح ، أقبل إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وحمود النيران ، ورؤيا المؤبذان ؛ رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، حتى اقتحمت الواد ، وانتشرت في البلاد . عهد المسيح ، إذا ظهرت للتلاوة ، وغاض وادى السماوة ، وظهر صاحب المرآوة ، فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملاكات ، بمدد ما سقط من الشرفات ، وكل ما هو آت آت ، ثم قال (٥) :

- (١) ط : « نغلة » صوابه من ا ، ب والطبرى .  
(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ١٦٧ والفائق ١ : ٤٦١ ؛ والرجز هناك لأول وأكل .  
(٣) الطبرى : « يسرى لوثن » .  
(٤) الطبرى : « والبدن » .  
(٥) تاريخ الطبرى ٢ : ١٦٨ ، وأول الشعر هناك :

شمر فإنك ماضى الهمِّ شميرُ لا يفزعناك تفريق وتغييرُ

ان كان ملك بنى ساسان أفرطهم      فإن ذا الدهر طوراً دهايرُ  
 منهم بنو الصريح بهرام وإخوته      والهرمزان وسابور وسابورُ  
 غرباً أصبحوا منهم بمنزلةٍ      تهاب صوائهم الأسد اليهاصيدُ  
 حتموا المطى وجدوا في رحيلهم      فما يقوم لهم سرج ولا كورُ  
 والناس أبناء علاتٍ فن علموا      أن قد أقل ، فمفقور ومهجورُ  
 والخير والشر مقرونان في قرنٍ      والخير متبع والشر محذور

فأتى كسرى فأخبره ، ففته ذلك ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر  
 ملكاً ، يدور الزمان ؛ فملكوا كلهم في أربعين سنة .  
 قوله : «نيم» : من النيمة . مليح : كثير للظهور .

\*\*\*

فاتفق لوشك الحظ المبخوس ، ونكد الطالع المنعوس ،  
 أن أنطقني بوصفها محياً المدام ، عند الجار النمام . ثم تاب  
 الفهم ، بعد أن صرد السهم ، فأحسنت الخبال والوبال ؛ وصيعة  
 ما أودع ذلك الغربال ، بيد أنى عاهدته ، على عكم ما لفظته ،  
 وأن يحفظ السر ولو أحفظته ؛ فزعم أنه يخزن الأسرار ،  
 كما يخزن اللثيم الدينار ، وأنه لا يهتك الأستار ، ولو عرض  
 لأن يلج النار .

\*\*\*

الحظ : البخت والنصيب . ووشك : سرعة زواله المبخوس : المنعوس .  
 نكد : مشقة . الطالع : نجم الإنسان ، والطالع يقابله التساقط . محياً : حدة



ثاب : رجح . صرِد : خرج من قوسه ، وأراد بالسهم اللفظ الذي سمع منه جاره .  
 الخبال : الفساد . الوبال : الثقل ، وهو وبال عليه أى ثقيل في العاقبة ، وطعام  
 وييل : ثقيل مقخم ، ومنه استوبلت المدينة إذا لم توافق جسمك وان أحيدتها .  
 أودع : جعل فيه . والغربال ، معلوم ، يشبه به التمام حيث لا يمسك ما جعل  
 فيه ؛ قال الخطيئة بهجو أمه :

تَدَحَّى فَاجْلِسِي مِنِّي بِمِيْدَا أَرَا حَ اللهُ مِنْكَ الْعَالِيْمَا (١)  
 أَعْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتِ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِيْنَا  
 كانون : أبرد أيام الشتاء ، ويريد أنها باردة لحديث .

قال كعب بن زهير رضي الله عنه :

وَلَا تَمْسُكِ بِالْمَهْدِ الَّذِي رَزَمْتِ إِلَّا كَمَا يَمْسُكُ الْمَاءُ لِلْفَرَابِيلِ (٢)  
 وقال في الحماسة :

وَلَا أَكْتُمِ الْأَسْرَارَ لَكِنِ أَنْتُمْ وَلَا أَدْعِ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي (٣)  
 وَإِنْ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً تَقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ  
 وقال آخر :

أَمْزَزَ عَلَى بَأْخِلَاقٍ وَوَسَمَتْ بِهَا عِنْدَ السَّبْرِيَّةِ يَا فَالْوُذَجِ الشُّوقِ  
 تَضِيْقُ بِالسَّرْدِ رَعَا إِنْ خُصِمَتْ بِهِ حَتَّى يَرَى دَائِمًا كَالنَّفْعِ فِي الْبُوقِ  
 وقال في ضده :

وَمُسْتَخْبِرٌ عَنِ سِرِّ رِيَاءٍ رَدَدْتَهُ بَعِيَاءٍ مِنْ رِيَاءٍ بِفِرِّ يَقِينِ

(١) ديوانه ٢٧٧ ( طبعة الحلبي ) .

(٢) ديوانه ٨ .

(٣) ديوان الحماسة . ١٨٥ ، والبيتان لسحيم المقضي .

وقال انتصحنى إني لك ناصح  
وقال قيس بن الخطيم<sup>(١)</sup> :

إذا جاوز الإننين سِرًّا فإنه  
يكونُ له عندى إذا ما ضمته

وقال العباس بن الأحنف<sup>(٥)</sup> :

تعتيت<sup>(٦)</sup> تطلب ما أستحقُّ به المجر منك ولا تقديرُ  
وماذا يضرك من شهرتى إذا كان سرُّك لا يشهرُ  
أمرى تخاف انتشار الحديث وحطى من صوته أوفرُ  
ولو لم أصنه لُبِّيًّا عليك<sup>(٧)</sup> نظرتُ لِنَفْسِي كما تنظرُ

قوله : « بيد » بمعنى غير . عكم : ربط . أحفظته : أغضبته . يهتك : يخرق

\* \* \*

فأ إن غبرَ عَلَى ذلك الزمان ، إلا يوم أو يومان ، حتى بدا  
إلى أميرِ تلكِ المدرة ، ووالها ذى المقدره ، أن يقصِدَ باب  
قيله ، مُجدِّداً عَرَضَ خَيْلِهِ ، وَمُسْتَمْطِراً عَارِضَ نَيْلِهِ ، وَارْتَادَ  
أن تصحبه تحفة تلامم هواه ، ليقدّمها بين يدي نجواه ،

(١) ديوانه ص ١٠٥

(٢) الديوان : « بنشر »

(٣) بعده فى الديوان :

وإن ضيع الإخوان سرّاً فإننى  
كقوم لأسرار العشير أمين

(٤) الديوان : « مقر » .

(٥) ديوانه ١٤٦ .

(٦) الديوان : « تعتيت » .

(٧) الديوان : « ولو يكن لى بقيا » .

وَجَعَلَ يَبْذُلُ الْجَمَائِلَ لِرَوَّادِهِ ، وَيُسْتَنَى لِمَنْ يُظْفِرُهُ  
بِعْرَادِهِ ، فَاسْفٌ ذَلِكَ الْجَارُ الْخِتَارُ إِلَى بَدْوِهِ ، وَعَعَى فِي أَدْرَاعِ  
الْعَارِ عَذْلَ عَدْوِهِ ، فَأَنَّى الْوَالِيَّ نَاشِرًا أَذْنِيهِ ، وَأَبْنَتَهُ  
مَا كُنْتُ أُسْرَرْتُهُ إِلَيْهِ ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْسِيَابُ صَاغِيَتِهِ إِلَيَّ ،  
وَأَنْثِيَالٌ حَفَدَتِهِ عَلَيَّ ، يَسُومُنِي لِإِيثارِهِ بِالدَّرَةِ الْيَتِيمَةِ ، عَلَى أَنْ  
أَتَحَكَّمَ عَلَيْهِ فِي الْقِنِيمَةِ ، فَمَغَشِيَنِي مِنَ الْهَمِّ ، مَا غَشِيَ قَرَعُونَ وَجُنُودَهُ  
مِنَ الْيَمِّ .

\* \* \*

غَبَرٌ : مَغَى . الدَّرَةُ : اللَّهْلَةُ . قَيْلُهُ : مَلِكُهُ الْأَعْظَمُ .  
مَجْدًا عَرَضَ خَيْلُهُ ، أَيْ لِيَعْرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ . وَاللَّيْلُ ،  
أَيْ الْعَطَاءُ . ارْتَادَ : طَلَبَ . تَحْفَةٌ : هَدِيَّةٌ . تَلَأَمَ ، تَوَافَقَ . هَوَاهُ : إِرَادَتُهُ .  
نَجْوَاهُ . حَدِيثُهُ مَعَ الْمَلِكِ .

وَالْجُنُودُ : حَقٌّ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَاجَةٍ ، وَالْجَمَالَةُ بِمَعْنَاهُ ، وَالْجَمَائِلُ جَمْعُهَا . يُسْتَنَى : يَتَّبَعُ  
وَأَصْلُ الرَّوَّادِ طُلَّابُ الْمَرْعَى ، وَاحِدُهُم رَائِدٌ ، وَأَصْلُ الْوَسَائِلِ ، أَسْبَابُ الْوَدِّ .  
أَسْفٌ : انْحَطَّ وَدَنَا ، وَأَسْفَ الطَّائِرُ : تَدَلَّى نَحْوَ الْأَرْضِ لَشَيْءٍ يَأْخُذُهُ ،  
وَأَسْفَ الرَّجُلُ : طَلَبَ مَذَاقَ الْأُمُورِ .

وَالْجَارُ الْخِتَارُ : الْخِلْدَاعُ بَدْوُهُ : عَطَاؤُهُ . أَدْرَاعُهُ : لِبْسُهُ الْمَرْعَى . نَاشِرًا أَذْنِيهِ ،  
أَيْ طَامِعًا ، وَهُوَ مَثَلٌ . أَبْنَتُهُ : قَالَ لَهُ سِرًّا .

قَوْلُهُ : «رَاعَنِي» أَيْ أَفْرَعَنِي .

انْسِيَابٌ : دَخُولٌ . صَاغِيَتُهُ : حَاشِيَتُهُ . وَمَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ .

أَنْثِيَالٌ : أَنْصَابٌ . حَفَدَتُهُ : أَنْبَاعُهُ

يسومى : يعرض على ، إيثاره : تفضيله على نفسه .

الدرّة اليتيمة : الجوهرة النفيسة، وبهذا سُمّي الثمالي كتابه الدرّة اليتيمة ، أى للدرّة المنفردة التي لا مثل لها . واليتيمة درّة مشهورة فى البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة ، استخرجها من البحر كلب جاء ليبلغ ، فعمّلت تجارتها بفمه ، ففضها فى البرّ ، فهى من عجائب الدّنيا .

ومن عجائبها الحافر ، وهو حجر لا قوت ، شبه حافر الفرس الصّقه أمير المؤمنين بمصحف عمان .

والغريبة الثالثة : فرس ذهب لم يصنعه صانع ، إنما وجد فى ممدن الذهب وهو عند ملك الحبشة بغانة .

والذى غشى فرعون وجنوده من اليمّ ، هو الفرق . واليمّ : البحر الذى ذهب نفوسهم فيه .

[ تكملة قصة موسى ]

ولا بد أن نلمّ بنبذة من خبره ، نكمل بها القصة حسب ما شرطنا ؛ وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام ، لما خرج فاراً من فرعون حسب ما قدمناه فى الخلمسة ، توجه إلى مدين ، فبأنها كالأجائماً فقيراً ، فوجد الناس يسقون كما نص الله تعالى : ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى يحبسان غنمهما ، فأخبرتاه بأنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء ، وأن لهما أباً شيخاً كبيراً ، فرجهمما واقتمتع للصخرة عن البئر - وكان لا يرفها إلا نفر - فلاً وسقى لهما ، ثم تولى إلى ظلّ شجرة مشرفة فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ قَبِيرٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال هذا موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمثاله من شدة الجوع لفعل - أراد خضرة البقل الذى أكل فى طريقه - فرجعت الجارحان بسرعة إلى أبيهما ، فأنكر مجيئهما قبل الوقت الذى جرّت المادة بمجئهما

(١) سورة القصص ٢٣

(٢) سورة القصص ٢٤

فيه ، فأخبرناه خبر موسى ، فأرسل إلى إحداهما فأتته وهي تستحي منه ، فقالت : ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجرًا ما سقيت لنا﴾ <sup>(١)</sup> . فمشى معها ، وهي بين يديه فضرب الريح ثوبها ، فنظر إلى عجزيتها فقال لها : امشي خلفي ، ودلييني على الطريق ، فلما أتى الشيخ سأله عن شأنه ، فقص عليه قصته فقال : ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> . فقالت التي دعتها : ﴿يَا بَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ <sup>(٣)</sup> . فقال لها الشيخ : أما اللقوة فقد خبزته بقلع الصخرة ، فما يدريك أمانته ؟ قالت له : إني مشيت أمامه فلم يجب أن يخونني وردني خلفه . فقال له : ﴿إني أريدُ أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ..﴾ <sup>(٤)</sup> إلى آخر القصة .

فلما قضى أجله ، وسار بأهله ، وكان في شقاء ، رفعت له نار فيما رأى فكانت من نور الله تعالى ، فقال لأهله : ﴿امْكُثُوا لِي أَنَسْتُ نَارًا...﴾ <sup>(٥)</sup> الآية ، ومعنى تصطلون ، أي من البرد فكان عند إتيانه لما ما أخبر الله تعالى من أنه ﴿نُودِيَ أَنَّ بورك من في النار ومن حوَّ لها وسبحان الله رب العالمين﴾ <sup>(٦)</sup> . ثم قال له : ﴿وما نلك بيمينك يا موسى \* قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ أي أضرب بها ورق الشجر للغم ﴿ولى فيها مآرب﴾ <sup>(٧)</sup> أخرى ؛ من حمل الزاد عليها والسقاء وغير ذلك ، فقال له ﴿أقمها يا موسى \* فألقاها فإذا هي حية﴾ <sup>(٨)</sup> تسمى ﴿ . فلما رآها تهتز كأنها جان فوَّى مدبراً أو لم يعقب﴾ <sup>(٩)</sup>

(٢) سورة القصص ٢٥

(١) سورة القصص ٢٥

(٤) سورة القصص ٢٧

(٣) سورة القصص ٢٦

(٦) سورة النمل ٨

(٥) سورة القصص ٢٩

(٨) سورة طه ٢٠

(٧) سورة طه ١٧ ، ١٨ .

(٩) سورة القصص ٣١ .

تأى لم ينظر فردوى : ﴿ لا تخف إنك من الأمنين .. ﴾<sup>(١)</sup> الآيات .  
 فسأل الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون رداً ، أى عوناً لكونه كان أفصح  
 منه لساناً للجمرة التي كانت أحرقت لسانه في صغره ، فنقل لسانه فقال تعالى :  
 ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فأقبل موسى إلى أهله فصار بهم إلى مصر ، فدخلها ليلاً ، فنزل ضيقاً بأمه  
 وأخيه ، وهم لا يعرفونه ، وهارون غائب ، فنزل بجانب الدار ، وجاء هارون فسأل  
 عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ، فدعاه وأكل معه ، ثم سأله : من هو ؟ فقال : أنا  
 موسى ، فقام كل واحد منهما لصاحبه واعتنقه .

فقال له موسى : يا هارون ، إن الله قد أرسلني وإياك إلى فرعون ، فانطلق  
 معي ، فقال : سمماً وطاعة ، فصاحت أمهما ، وقالت : نشدتكما الله تعالى ألا تذهبا  
 إليه فيقتلكما فسكناهما ثم انطلقا إليه ليلاً في قول السديّ وضرباً الباب ، فكلمهما  
 البواب ، فقالا له : ﴿ إنا رسول رب العالمين ﴾<sup>(٣)</sup> ، ففزع البواب ، فأتى فرعون فأخبره  
 أن مجنونين بالباب يزعمان كذا ، فقال : أدخلهما .

وأما ابن إسحاق فحدث أنهما وقفا على باب فرعون ، يلتمسان الإذن ، يصدوان  
 ويروحان سنتين ، وفرعون لا يعرف بهما حتى دخل مله له ، فقال له : أيها الملك ،  
 إن على الباب رجلاً يزعم أن له إلهاً غيرك ، فقال : أدخلوه ، فدخلا وييد موسى  
 عصاه ، فلما وقفا عرفه فرعون ، فقالا : إنا رسول رب العالمين ، فجابه بقوله  
 ﴿ أَلَمْ تَرُبُّكَ فِينَا وَلِيداً .. ﴾<sup>(٤)</sup> الآيات ، ثم ذكره أيادي به قبله .

فقال له موسى : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهُ عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أى

(١) سورة القصص ٣١

(٢) سورة القصص ٣٥ .

(٣) سورة الشعراء ١٨

(٤) سورة الشعراء ١٨ - ٢٢

اتخذتهم عبيدا ، تقتل من شئت وتسترق من شئت . فقال له ﴿وَمَارَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> فأراه الآية الكبرى في العصا ، أن ألقاها فإذا هي تمعان مابين ، ملأت ما بين السماطين فاتحة فآها ، قد صار منحجتها على ظهرها ، فارفض الناس ، ومال فرعون عن سريره ، فناشد موسى ربه ، فأدخل يده في جيبه ، فأخرجها بيضاء كالثلج ، ثم ردها ، فمادت هيبتها ، ثم وضع يده على الحية فصارت عصا كما كانت أول مرة ، وأخذ فرعون بطنه - وكان فيما يزعم يمكث الخمس والست ولا يلتبس الخلاء - وكان ذلك مما زين له أنه ليس له شبيه في الناس - فقال للته : إن هذا لسحر عظيم ، فجمع السحرة ، ووعدهم ليوم العيد ، وأن يحشر الناس ضحى ، يحضرون أسرم مع موسى ، فاجتمعوا ذلك اليوم ، فصف خمسة عشر ألف ساحر ، كل ساحر له نوع من السحر ، فخرج موسى يتوكأ على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون في مجلسه مشرف على وجوه أهل مملكته فقال لهم موسى : ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ ..﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

قال بعضهم لبعض : أهكذا يقول ساحرا يخبروه في أن يلقي أو يلقوا ؟ فقال : بل ألقوا ، فخيّلوا بحالهم وعصيتهم أشياء حير وإبها العقول ، من حيات قدملات الوادي ، يركب بعضها بعضاً ، ونيران تحرق في ظاهرها ما مرت به وظلم متكافة ، كما وصف الله تعالى ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> ، ففرغ موسى وأخوه لهول ما رأيا وذلك قوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ..﴾<sup>(٤)</sup> الآيات . فألقى موسى عصاه ، فجعلت تلقف كل ما خيلوا به ، وكانوا جلبوا آلاتهم في السفن في النيل ، فابتلعت السفن ، وأقبلت فاتحة فآها ،

(١) سورة الشعراء ٢٣ .

(٢) سورة طه ٦١ .

(٣) سورة الأعراف ١١٦ .

(٤) سورة طه ٦٨ .

على كفة فرعون بن فيها ، ففروا وتمتعوا بموسى يستنقذون به. فأخذها موسى ،  
 فإذا هي عصا في يده كما كانت ، فوق السحرة سُجداً قائلين : ﴿ آمنا برب هَارُونَ  
 وموسى ﴾ <sup>(١)</sup> لما تبينوا أن أمر العصا لم ي ، ليس من تخاييلهم ، فقال لهم فرعون :  
 ﴿ آمَنتمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ... ﴾ <sup>(٢)</sup> الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ  
 وَأَبْقَى ﴾ ، أى لاسلطان لك إلا فى الدنيا ولا سلطان لك بعدها ، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا  
 أَفَرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقتلهم فكانوا أول النهار سحرة  
 وآخره شهداء .

ثم أمر الله تعالى نبيه موسى أن يخرج بينى إسرائيل فقال : ﴿ اسْرِعْ  
 بِمِجَادِي كَيْلًا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

فأمرهم أن يستمروا الحلى من القبط ، فخرجوا ليلا ، وأتى الله على القبط  
 النوم ، حتى طلعت الشمس ، وكان موسى على ساقه بنى إسرائيل وهارون على  
 المقدمة ، وعدد بنى إسرائيل ستمائة ألف وعشرون ألف مقاتل ، لا يعدون ابن  
 العشرة لصفه ، ولا ابن الستين لكبره . وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان  
 وهم فى ألف ألف وسبعمائة ألف ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَأرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي  
 الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> . فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمَانِ ، قَالُوا : يَا مُوسَى أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ  
 أَنْ تَأْتِيَنَا بِالْبَدْحِ وَمَنْ بَعْدَمَا جِئْنَا الْيَوْمَ يَدْرِكُنَا فِرْعَوْنُ فَيَقْتُلُنَا ! فَقَالَ : ﴿ كَلَّا  
 إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

فأتى موسى البحر ، وكنناه أبا خالد ، فضربه بمصاه ، فانفلق فكان ﴿ كل فرقى  
 كالطود العظيم ﴾ <sup>(٧)</sup> ، والطود : الجبل ، فصارت للبحر اثنا عشر طريقا فدخل كل  
 سبب طريقه ، وكل سبب يقول : قتل أصحابنا ففتح الله بينهم فطاطر ، فنظر آخرهم إلى

(٢) سورة الأعراف ١٢٦ .

(٤) سورة الشعراء ٣٥

(٦) سورة الشعراء ٦٣

(٢٠ - شرح مقامات الحريري ج ٢)

(١) سورة طه ٧٠ - ٧٣

(٣) سورة الدخان ٤٣

(٥) سورة الشعراء ٦٢







ثم أمر بإحضارهما فأحضرتنا ، فرأيت جاريّتين ما رأيت مثلهما قطّ ،  
قلت لإحداهما: ما عندك من العلم؟ قالت: ما أمر الله في كتابه، ثم ما ينظر الناس  
فيه من الأخبار والأشعار . فسألتهما عن حروف القرآن، فأجابتني كأنها تقرأ  
القرآن من كتاب، ثم سألتها عن الأخبار والأشعار والنحو والعروض، فاقصرت  
في جوابي في كلّ فنّ أخذت فيه ، فقلت لها: فأنشدينا شيئاً ، فأشدت:

ياغيثَ العبادِ في كلِّ محلٍ ما يريد العباد إلا رِضاً كما  
لا ومن شرف الإمام وأعلى ما أطاع الإله عبداً عصا كما

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما رأيت امرأة في مسك<sup>(١)</sup> رجل مثلها .

وخبّرت الأخرى، فوجدتها دونها، فأمر أن تُصنّع<sup>(٢)</sup> تلك الجارية لتعمل  
إليه في تلك الليلة ثم قال: يا عبد الملك، أنا ضحجر، وأحب أن تُسميني حديثاً  
مما شهدت من أعاجيب الزمان أفرّج به ، فقلت: يا أمير المؤمنين، كان لي  
صاحب في بدو بني فلان، وكنت أغشاه ، وأحدثت إليه ، وقد أتت عليه  
ست وتسعون سنة ، وهو أصحّ النفوس ذهنًا وأقوام بدنا ، فنبت عنه ، ثم  
أتيته فوجدته ناحس البدن ، كاسف البال، فسألته: ما سبب تغيّره؟ فقال: تصدّت  
بعض القرابة ، فألّيت عندهم جارية ؛ قد طلّت بالورس بدنها ، وفي عنقها  
طبل تنشد عليه :

محاسنها سهامٌ للمنايا مريشةً بأنواع الخطوبِ  
ترى ريب المنون بين سهما يُصيب بنصله مهِجَ القلوبِ  
قلت :

ففي شفّتي في موضع العليل ترمى كما قد أجمت الطبل في جيدك الحسن

(١) المسك ، بالفتح : الجلد .

(٢) صنفت الجارية ، بالبناء للمجهول : أحسن إليها حتى سميت .

هيبنيَ عوداً يابسا تحت شِقَّةٍ يمتع فيما بين نحرِكَ والذَّقَنِ

فلما سمعت الشعر ، رمت بالطلب في وجهي ، ودخلت الخيمه ، فوفقت حتى  
حَمَيْتَ الشمس على مفرق رأسي ، فلم تخرج ، فانصرفت بريح القاب ، فهذا  
التغَيَّرُ من عشقي لها .

فضحك الرشيد حتى استلقي ، ثم قال : ويلاك يا عبد الملك ابنُ ست وتسمين  
يعشقا . فقلت له : قد كان هذا ، فقال : يا عباس ، أعطِ عبد الملك مائة ألف درهم ،  
ورُدّه إلى مدينة السلام .

فانصرفت ، ثم أتاني الخادم ، فقال : أنارسولٌ بنفك - يعني الجارية - تقول لك :  
إن أمير المؤمنين أمر لها بمال وهذا نصيبك ، فدفع لي ألف دينار ، فلم تزل  
تواصلني بالبرِّ الواصل ، حتى كانت فتنة محمد ، وانقطع خبرها عني ، وأمر لي  
الفضل بمشرة آلاف درهم .

وحدث علي بن الجهم ، قال : لما أفضت<sup>(١)</sup> للخلافة إلى المتوكل ، أهدى  
إليه الناس على أقدارهم ، فأهدى إليه ابن طاهر جاريةً أديبة ، تسمى محبوبه .  
تقول الشعر ، وتلاخنه ، وتحمينُ من كلِّ علم أحسنه ، فعلت من قلب المتوكل  
محلاً جليلاً ، فدخلت يوماً للمنادمة ، فخرج وهو يضحك . فقال : يا علي ، دخلت  
فرأيت محبوبه قد كتبت على خدِّها بالمسك « جعفر » ، فما رأيت أحسن منه ،  
فقل فيه شيئاً ، فسبقتني محبوبه ، فقالت وأخذت عودها ، وغنت :

وكتابةً بالمسكِ في اللغدِ جعفرأ  
بنفسى مخط المسك من حيث أثمرأ

(١) الخبر في الأغاني ١٩ : ١٣٣ ، ١٣٤ (سأسي) والمحسن والأضداد ٢٥١ ،

لئن أوتيت سُلطاناً من الملوك خديها      لقد أودعت قلبى لمن ألوهد أبظراً  
 فيأمن منيها في السريرة جعفر      سقى الله من سقى ثيابك جعفر  
 وبأمن لمالك يظلم بملكه      مطيعاً له فيما أسرت وأجبراً  
 وبأمن لعن من رأى مثل جعفر      سقى الله صوب السكرات جعفر

قال : فتقلت خواطري ، حتى كأنني ما أحسن حرماً من الشعر ، قلت  
 للعلم كل : أوقاني ، فقد والله عرت ذهي عني ، فلم يزل يمتحنني به ما تعلقه ان شعره  
 ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة ، فقال : يا على ، اعلمت اني عاصبت  
 محبوباً ، وأمرتها بلزوم مقصورتها ، ومكنت أهل التصير من كلامها ، فقلت :  
 يا سيدي ، ان عاصبتك اليوم ، فصالحها غداً ، فدخلت عليه من القدر ، فقال :  
 ويحك يا على ، رأيت البارحة في النوم كأنني صلحت محبوباً ، فقلت جاريتك :  
 شاطر ، يا سيدي ، لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة ، فقال : نعم حتى ننظر  
 ما هي ، فقام حافياً ، حتى قربنا من مقصورتها ، فإذا هي تقني ، وتقول :  
 أدور في التصير لا أرى أحداً أشكر الله ولا يكفني (١)  
 كأنني قبيد أبيت مصيبةً ، لست لها تسويةً ، فخلعت رايقة  
 فبينما شفيقت من ليل الله ، ملك من قد وادى في البكرة ، ومنا العلي  
 بحق إذ له لها الفاسح عاصبتك شاطراً إلى ، ولست تتزمنة فصار حيتي (٢) ،  
 فصقني أتوكل طرباً ، فلما سمعته خرجت تقبل رجليه ، وتبرغ خديها  
 في التراب حتى أخذ بيدها واضيقضها . أخرجنا غداً في شاطراً ليلنا

(١) الحسن والأضداد بكر أرى أحد  
 (٢) الحسن والأضداد : « ففارقي »



استحدثها بمخل بن الأسكرقة البغري جازيا أنكره القريه التي ولد فيها  
 وهو بن علي بن السلام بن خالد: وكنت لهم من أجدادهم تيم لهم أبي تميم وتتم  
 بخبره عليه غلبي من بغداد زمانه ثم فارق الغناء في فرع الجلاسه ووسدت  
 بالسيار ثم بأمرها ففتحت عرقه: وراست الفداء له وسأل رثاءه فليس له إلا  
 وبدا له تطلق وتهدمه المملوك المجرمي له تبرق له تاليفه لقاله طرفة: فله  
 يبدو كجهاشيق الرداء ودونه صعب الزرى متمتع أركانه  
 وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظرا إليه وصده أشجانه (٢)  
 فانار ما أحتمت عليه هطومه والساء ما سمحت به أحفانه (٣)  
 قال: فأحسنت ما شئت به وطرب تيمهم من حفر من ثم غنيت من

تليدك حقا قاتلا دولة مختلج فيه أو الكفلا محفل وحقه أو الوفاء

شئني الله عطفنيه، وأنتا شخصه بالعلم للبريد شدت ليليدا ما زلوا

وقال له في يوم سار إذا لم يسله بة ليله: علمني من علمي في ذلك اليوم  
 طرب تميم ومن حضر طربا شديدا، ثم غنت:   
 ؟ به نأ ربه، أكا فاعه د ق حله تسلسا ر ليه رة: تالفة د ق حله  
 استودع الله في بغداد قرا بالكرخ من فلك الأزرار مطلمة  
 فأرط تميم في الطرب جدا، ثم قال لها: تيمى ما شئت، فلك منك، وقالت:  
 أتمى عافية الأمير وسعادته، قال: لا بد والله، قالت: على الرفاء أتمى أيها  
 الأمير، قال: نعم فقالت: أتمى أن أغنى هذه النوبة ببغداد. فتغير وجه تميم،  
 وتكدر المجلس، وقتنا. فلحقني بعض خدمه، فردني. فلها وقت بين يديه،  
 قال لي: ويحك أ رأيت ما امتعنا به، ولا بد من الوفاء: وما أتى في هذا

٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٢. (١) الخبر في محاسن الأضداد ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) المحاسن والأضداد: د ميجان: د فيه من فقه رة قير كورة: د ق ميايا (١)  
 (٣) المحاسن والأضداد: د سحت به أحفانه. د الفداء ومع: د ق حله



بغيرك ، فتأهب لنحملها إلى بغداد ، فإذا غدت هناك ، فاصرفها ، قلت :  
سماً وطاعة ، فأصحبها جارية سوداء تخدمها وتعاد لها ، وأمر لي بناق وبعمل  
عليه هودج ، فأدخلت فيه ، وسرنا مع القافلة إلى مكة ، فقضينا حجنا .  
ثم لما وردنا القادسية ، أتتني السوداء ، فقالت لي : تقول لك سيدتي : أين نحن ؟  
قلت : نحن نزول بالقادسية ، فأخبرتها ، فسمعت صوتها قد ارتفع بالثناء :

لَمَّا نَزَلْنَا الْقَادِسِيَّةَ حَيْثُ مَجْتَمِعُ الرَّفَاقِ (١)  
وَسَمِعْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا زِ نَسِيمِ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ  
أَبَقْتُ لِي وَلَمْ أَنْ أَحْسَبْ بِمَجْمَعِ شَمْلِ وَأَتْفَاقِ  
وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَجِ اللَّقَا . كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة : أعيدى أعيدى ، بالله ! فاصبح لها كلمة .  
فلما نزلنا لليامرية (١) على خمسة أميال من بغداد في بساتين متصلة ببيت  
الناس بها ، ثم بيكرتون ببغداد . فلما قرب الصباح إذا بالسوداء قد أتتني  
مذعورة ، قالت : إن سيدتي ليست محاضرة ، ووالله لا أدري أين هي ؟  
فطلبتها فلم أجدها ، ولا وجدت لما ببغداد خيراً ، فقضيت حوائجي ببغداد ،  
وانصرفت إلى تميم ، فأخبرته خبرها ، فلم يزل واجهاً عليها .  
وأخبار اللقيان كثيرة فلنقتصر على هذا اللقدر .

\* \* \*

[ نبذ من أقوال الحكماء في الوشاة وبعض حكاياتهم ]

ومما جاء في الواشي ، ما حكى أن رجلاً وثى رجل إلى بلال بن

(١) اليامرية : قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان ، وفيها ب  
« الناصرة » ، وهو خطأ .

أبي بردة، فقال للسامى : انصرف ، حتى أ كشف حمأ كرت ، فمأ كشف عن  
 السامى ، إذا هو لغير رِشدة ، قال : نبأنا أبو عمرو - وما كذبت ولا كذبت -  
 حدثنى أبى عن جدتى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « السامى  
 لغير رِشدة » .

وذُكر السعاة عند المأمون ، فقال : لو لم يكن من غيرهم إلا أنهم أصدق ما يكونون  
 أبغض ما يكونون عند الله .

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شر من النميمة ، لأن النميمة دالة ، والقبول  
 إجازة ، وليس من دَل على شيء كمن قبله وأجازه ، وقد جعل الله السامع شريك  
 القائل ، فقال : « سماعون للكذب » .

وقال للشاعر :

لمعرك ماسب الأميرِ عدوهُ      ولكنم ماسب الأميرِ المبلغُ

ووشى واشٍ بعبد الله بن همام السلولى إلى زياد ، فقال له : إنه هجاك ، فقال :  
 أجمع بينكما ، قال : نعم ؛ فبعث إلى ابن همام ، وأدخل الرجل بيتك ، فقال زياد : يا ابن  
 همام ، بلغنى أنك هجوتنى ، فقال : كلاً ، أصلحك الله ما فعلت ، ولأنت لذلك  
 بأهل ، فأخرج الرجل ، وقال : إن هذا أخبرنى ، فأطرق ابن همام هنيئة ، ثم أقبل  
 على الرجل فقال :

وأنت امرؤٌ إما ائتمنتك خالياً      ففخت ، وإما قلت قولاً بلا علم  
 فأنت من الأمر الذى كان بيننا      بمنزلة بين الخبيثات والإثم  
 فأعجب زياد بجوابه ، وأقصى اللواشى ولم يقبل منه .

قال الشاعر :

لا تقبلن نميمةً من قائل      ونحفظن من الذى أنباكم



من الناس الذي أنسب الكعبة بحكمة أرحم سيد ربك فعمدنا قبة حكاكها  
 علي بن أبي طالب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى قال:  
 يا رب إني حيث ذهبت لا أنصر ولا أخذل، فأوحى الله إليه: إن حتى عندك  
 غمًا، قال: يا رب دلتني عليه، قال: يا موسى، أبفض الفزاز، فكيف أعيرنا  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أفضحك إلى المشاة من بالهنية»

المفروق بين الأحمية، والمتمسكون بين البراءة العيب.  
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة يؤذون أهل النار على قلوبهم  
 من الأذى»، وذكر رجلا يأكل لحوم النجاس برؤوسه بالهنية: قال رسول الله

\* \* \*

فما هدت الله تعالى فذلك العهد، ما لا يحاطل غمًا من بعد،  
 والنجاح مضمون من بهن الطبايع القديمة، ويوجب يفضي المثل في  
 اللينة لا يقلب قري عليه منيل علي، والندك الشب لم تتلا إليه يسبح  
 فلا تمدوني بي بعد ما قدر شرجته، على أن جرمتم في إقطاف القطار  
 فقد بان عذري في صبيعي وإني سارتق فنتي من تدياني وطال في  
 على أن ما زودتكم من فكاها، ألي من الخلو الذي أكل طرف

قال في... استغنى عن... ما...

•••

منه... روحه... روحه...

بداية...

أما... من... من...

[ من أقوالهم في النخبة ] : شعرا طبع

(١) قوله: «والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة» قال السري (١) في مناقب  
 بالزجاج من التيم: يستلزمه تخا...  
 رأبك تبدي (٢) للصدوق نوافذا...  
 وتكشف أسرار الأخلاء مازحا...  
 يحفظ ما بيني وبينك صائنا...  
 وأماك بالبشر الجليل مداهنا...  
 فما أنت بما استودعته من رجا...  
 لحي الله امرأ أعطاك...  
 فإني كنت أظنك...  
 وقال السري:

تأكل استودع الله...  
 وهو السري...  
 وقد كان صدرك للأسرار جندلة...  
 من بيت ما استودعت جوهره...  
 رقيقة استكشف العين ما فيها...  
 رقيقة استكشف العين ما فيها...  
 رقيقة استكشف العين ما فيها...

على هذا...  
 (١) هو السري الرفاء، ديوانه ٢٦٧، يوفيه: وقال صاحب صديقه أمير إليه حديثه...  
 (٢) الديوان: تسمى...  
 (٣) الديوان: من بيت ما استودعت جوهره...  
 (٤) الديوان: رقيقة استكشف العين ما فيها...  
 (٥) الديوان: رقيقة استكشف العين ما فيها...

(٦) ديوانه ٢٧٧  
 (٧) ديوانه: «طبا...»  
 (٨) الديوان: «نصار...»



وله أيضاً :

فنانى عنك ما استشعرت سرّاً      خلالُ فيك لستُ لها براض<sup>(١)</sup>  
 وإنك كلما استودعت سرّاً      أتمّ من التّسليم كلّ الرّاضِ  
 قوله : «وبه جرى<sup>(٢)</sup> المثل في التّهمة» ، يقال : أتمّ من الرّجاجة على ما فيها ،  
 لأنّه جوهر لا يكتم ما فيه .

[ نفث من أفعال البلغاء في وصف الذهب والزجاج ]

قال الأصبهانيّ : «ما زال البلغاء يتعاطون وصف هذا الجوهري<sup>(٣)</sup> ، فعبّروا  
 عن مدحه وذمّه ، فأما ذمه فإن إبراهيم بن سيار النّظام أخرجه في كلمتين بأوجز  
 لفظ ، وأتمّ معنى ، فقال : سريعُ الكسر ، بطيءُ الجبر .

وقال في الذهب : الذهب لثيم ، لأنّ الشكل يصير إلى شكاه ، وهو عند  
 اللّثام أكثر منه عند الكرام .

وأما سهل بن هارون ، فكان يوماً بمجلس أحد الملوك ، وشدّاد الحرّبيّ  
 يمدّد خصال الذهب ، فقال : هو أبقى الجواهر على الدّفن ، وأصبرها على الماء ،  
 وأقلّم اتصافاً في النار ، وهو أوزن من كلّ ذي وزن ، إذا كان في مقدار شخصه ،  
 ولو وضعت على ظهر الزّئبق في إنائه قهراطاً من ذهب ، لرسب حتى يضرب  
 قعر الإناء ، وسائر الجواهر تطفو فوقه ؛ ولو كان الجوهريّ ذا وزن ثقيل ، ورجح  
 عظيم ولا تشدّ الأسنان المتقلّبة بغيره ، ولا يُوضع في مكان الأنوف المصطلّة  
 سواء ، وميّله أجود الأميال ، والهند تُبمّزه في العين بلا كحل لصلاح طبعه ،  
 وعليه مدار التّبايع مذ كان التّبايع ، وهو ثمن لكلّ شيء ، وهو الزّرواب<sup>(٤)</sup>  
 والجمّاتج التي تكون في سقف الملوك ، والطبخ في قُدوره أغذى وأمرأ .

(٢) ١ : د وبه يضرب المثل .

(٤) الرّباب : الذهب الخالص .

(١) ديوانه ١٥٧ .

(٣) أي الزجاج

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الكبريت الأحمر، قال: هو الذهب؛ فأدرك سهل بن هرون من الغيرة والحسد مادعاه إلى ممارسته، قال يذمّ للذهب، ويفضل الزجاج: الذهب مخلوق والزجاج مصنوع، وإن فضله الذهب بالصلابة فضله للزجاج بالصفاء، والزجاج أبقى على الدفن، والزجاج نور علوي، والذهب متاع سيّال، ولم تتخذ للناس آنية للشراب<sup>(١)</sup> أجمع لما يريدون من الشراب منه، والشراب فيها أحسن منه في كلِّ معدن، ولا يفقد معه وجهه القديم، ولا ينتقل اليد، ولا يرتفع في السوم.

وكان سليمان إذا شرب في إناء كلعت في وجهه مرّدة الجنّ، فعلمه الله تعالى صنعة القوارير، فحسم عن نفسه تلك الجراءة. ومن كرع فيه فكأنما كرع في إناء من ماء وهواء ونور، وقد تقدح النار من كسر قنينة الزجاج إذا كان فيها ماء لأنّ طبع الزجاج والماء، والهواء والشمس واحد، وليس فيما يدور الفلك عليه أقبّل لسكر صنيغ منه وأجدر ألا يفارقه؛ حتى كان ذلك الصنيغ جوهرية فيه. ومتى سقط عليه ضياء أنفذه إلى الجانب الآخر، وأعاره لونه، فإن كان الجلام ذا لونين، أراك الوثي أحسن من وثي صنمء، ومن ديباج تستر وإذا وقع شمع المصباح على جوهر الزجاج صار المصباح والتفديل مصباحاً واحداً، وردّ الضياء كل واحد منهما على صاحبه. واعتبروا ذلك بالشعاع الذي يسقط على المرأة على وجه الماء، أو على الزجاج، ثم انظروا كيف يتضاعف نوره، وإن كان سقوطه على عين إنسان أعماه وربما أمماه، قال الله تعالى: ﴿الله نور السّوات والأرضِ مثلُ نوره كشكاةٍ فيها مصباحُ المصباحُ في زجاجةٍ الزجاجة كأنها كوكب دري﴾<sup>(٢)</sup>، والزيت في الزجاج نور على نور. قال الله تعالى: ﴿إذ صرّح عمرد من قوارير﴾<sup>(٣)</sup>.

(٢) سورة النور ٢٥ .

(١) ط، ب: «الشراب» .

(٣) سورة النمل ٤٤ .

٤ : وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله الذي أنزل من السماء ماء فجعلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

٥ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخادى بوزنه ذنبا أنليس يزنق به الوار يزنقه

٦ : قالوا لا ندعك حتى نعلم ما أنت عليه يا رسول الله فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

٧ : والحرم الذي غلب كغياض ريشه وإبان سقطه فليكن أظفرك بالويمان وروحه بالسرعة يان

٨ : بيوت الشام، وإبطانه عن بيوت الكرام فهو من مصائد الشيطان، ولذلك

٩ : قالوا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله الذي أنزل من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

لما أنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

فلم يبق في الخلق أحدا إلا يحير من ذلك وتعب من بلائهم وحسن يديهم

وأما قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله الذي أنزل من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

فإنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس يا أهل البيت ولينزلكم من السماء ماء مطهرا

قوله «القطائف» هي ما يجني من الثمار، يريد بها الحلوى التي حرّمهم أكلها

والرقيق: السد والإغلاق وهو ضد الفتق، ويقال: هو الفائق الرائق، أي هو

مالك الأمر، فهو يفتح وينلق ويصيق ويوسع ورتق: ضم وجمع، وامرأة رتقاء:

لا يصل إليها الرجال. وقوله تعالى: ﴿أولئك يرادون أن يكونوا كأنهم شياطين

والأرض كانتا رتقا ففتقناها﴾ أي كانتا سماء واحدة، وأرضا واحدة،

فجعلت كل واحدة سبع، وقيل: كانتا معا ففتقناها بالهواء الذي بينهما

وقيل: فشق السماء بالمطر، والأرض بالنبات، فقال: ساعد ما خرج به

قوله: «الطيد»، المال القديم، والطريف: المكثوب فكاهة تملح

١٠ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخادى بوزنه ذنبا أنليس يزنق به الوار يزنقه

١١ : قالوا لا ندعك حتى نعلم ما أنت عليه يا رسول الله فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

١٢ : والحرم الذي غلب كغياض ريشه وإبان سقطه فليكن أظفرك بالويمان وروحه بالسرعة يان

١٣ : بيوت الشام، وإبطانه عن بيوت الكرام فهو من مصائد الشيطان، ولذلك

١٤ : قالوا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله الذي أنزل من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها

(١) سورة الإسراء ..

- (١) سورة الإسراء ..
- (٢) سورة الأعيان فجهب (٢)
- (٣) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله الذي أنزل من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب كغياض تجري في واديها (٦)



قال الجارث بن عجم: فقلنا اعتدازنا، وقيلنا هذا له: وقيل له:  
 فمكة وقيلت التهمة من خيبة المشرك، وقد قيل في الشعر: جعلت الحظبة  
 ما التفتت به ثم سألناه عمل الخد في الجوارح والفتكات، إن وتقلله اللطائف  
 بعد أن رآش له نبل السعاية، وجدام حبل الرهاية، فقال: الخد في  
 في الاستحذاء والاستكانة، والاستشفاع إلى بدوى الكاهن.



عذاره: شعر خده، شبه بالشوكة التي تقع على خد الفرس. وقد عذرت  
 الفرس عذرا، وعذرت له الفرس بمعنى الرحمة، وعذرت العظام عذرت العذارا،  
 وأنشد ابن رشيقي في المعنواها: فلا ساءة في، وإنما: قاله سكاك في معنواها

وأسمرا اللوين عسجوني \* بكاء يستطر الجهاما<sup>(١)</sup>  
 وحيا حياق جعل الميدان ذورا كالأمر فلا يعرف الأبحام  
 د شها وكسوا الزواجر، إذ ركبوا ركبا كمنى القشامه من أرباب  
 تحليبا وظنوا أن العلق تلوون عيشة الأروع بعين القوم الفركام لا مع  
 تمام الأمل وما دبري لونه ريت أن أريت في ظلمي القنابا  
 وهل ترى عارضاه إلا جازلا فقلت حساما  
 في اللذات في عومها، شفاها التي شفاها ليا كالا في عملها في حيلة  
 في قولها: وقدما وقدنت، أي قليلا أمرضت وأوجعت له ليه: في شفاها

حالة الخطيب: من أم الجليل بنت حرب أمه هياوت وأمه أم أبي الهيثم  
 وكانت تمشي بالميمية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين البكرين، وقيل بين  
 زوجها وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل ذلك للناسي بالميمية، لأن الخطيب

يبيع النار، والميمية سبع الشري، وقيل: سميت حال الخطيب لأنها كانت تروح  
 الشوك للنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه، وكانت عبوراء بولج أحول ما

(١) نقله في التنبؤ (١) د، وشال لها أن الخطيب لهم في حياق حياق: تحليبا.



والفتات : التمام بالكذب والتميمة ، وقت بقت فتاً : مشى بالتميمة ، ونمّ  
 يتمّ نماً : ضيع الأحاديث ولم يحفظها ، وقيل : التميمة من قواهم : جلود نمت إذا  
 لم تمسك الماء . والفتات أيضاً : المتسمع على من ليس بشعر به ، وهو الفتات ،  
 والفتام والعتاسُ والهمّام والتمّاز والمهيم ، والمورث والمئاس ، وقدمأس يمأس .  
 دخله : خاصته العالم بداخل أمره . الفتات : المسبّدة برأيه المتسوّر على  
 ما لا ينبغي له .

راش : جعل لها ريشاً .

السماية : المشى بالتميمة . جَذَم : قطع . الرعاية : حفظ الصدافة . الاستغذاء :  
 الخضوع . والاستكانة : الذلّ . ذوو المكاة : أهل الجاه .

• • •

وكنْتُ حَرَجْتُ عَلَى نَفْسِي ، أَلَا يَسْتَرْجِعُهُ أَنْسِي ، أَوْ يَرْجِعَ  
 إِلَى أَمْسِي ؛ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنِي سِوَى الرَّدِّ ، وَالإِضْرَارِ عَلَى الصَّدِّ ،  
 وَهُوَ لَا يَكْتَسِبُ مِنَ النَّجْهِ ، وَلَا يَتَّبِعُ مِنَ وَقَاحَةِ الْوَجْهِ ، بَلْ يُلِيطُ  
 بِالْوَسَائِلِ ، وَيُلِجُ فِي الْمَسَائِلِ ؛ فَمَا أَنْقَدَنِي مِنْ إِبْرَامِهِ ، وَلَا أَبْعَدَ  
 عَلَيْهِ نَيْلَ مَرَامِهِ ؛ إِلَّا آيَاتُ نَفَثَ بِهَا الصَّدْرُ التَّمَوْتُورُ ، وَالخَاطِرُ  
 الْمَبْتُورُ ؛ فَإِنَّمَا كَانَتْ مَدْحَرَةً لِشَيْطَانِهِ ، وَمَسْجَنَةً لَهُ فِي أَوْطَانِهِ .  
 وَعِنْدَ انْتِشَارِهَا بَتَّ طَلَاقَ الْخُبُورِ ، وَدَقَّ بِالْوَيْلِ وَالْتِمُورِ ، وَيَسَّ  
 مِنْ كَشْرِ وَصْلِي التَّمَبُورِ ؛ كَمَا يَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ .

• • •

حَرَجْتُ : أُنْمِتْ وَضَيِّقَتْ عَلَيْهَا يَمِينُ أَكِيدِهِ . الإِضْرَارُ : الْعَزِيمَةُ . وَالصَّدُّ :  
 الْإِمْرَاضُ مِنْهُ . يَكْتَسِبُ : يَهْتَمُّ . النَّجْهُ : الْجَفَاءُ وَتَغْلِيظُ الْكَلَامِ . يَتَّبِعُ :  
 يَرْجِعُ . يُلِيطُ : يَكْتَرُ الزُّومَ بِهَا . وَيُقَالُ : أَلِطَ بِالشَّيْءِ ، إِذَا لَزَمَهُ .

إيرامه : نَقَلَهُ . نَفَثَ : نَطَقَ وَتَكَلَّمَ . المَوْتور : المَظْلوم . المَبْتور : المَقْطوع  
 بالهم . مَذْحِرَةٌ : مَدْفَعَةٌ وَمَبْعُدَةٌ ، وَدَحْرَتُ الشَّيْءِ دَحْوَرًا وَدَحْرًا : أَمَدَتْهُ وَدَحْرًا  
 هُوَ : بَعُدَ . بَتَّ : قَطَعَ وَأَمَضَى ، وَجَعَلَهُ بَتًّا وَهُوَ مَا لَا رَجْمَةَ لَهُ فِيهِ .  
 الحُبُور : السَّرور ، وَحَبْرَتُهُ حَبْرَتُهُ : سَرَرَتْهُ . الثَّبُور : المَهْلَاكُ ، وَثَبَرَ اللهُ المَدْو  
 ثَبُورًا : أَهْلَكَ . يَسُّ : قَطَعَ رَجَاءَهُ . نَشَرَ : أَحْيَا . المَقْبُور : المَدْفُون . الكَفَّار :  
 المَدْفُون للموتى .

• • •

فَنَاشِدْنَاهُ أَنْ يُنْشِدَنَا إِيَّاهَا ، وَيُنْشِقَنَا رِيَّاهَا ، فَقَالَ : أَجَلَ ،  
 خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ، ثُمَّ أَنْشَدَ لَا يَزُوِيهِ خَجَلٌ ، وَلَا يَشْنِيهِ وَجَلٌ :  
 وَنَدِيمٍ مَحَضَّتْهُ صِدْقٌ وَدَى إِذْ تَوَهَّمْتَهُ صَدِيقًا حَمِيمًا  
 ثُمَّ أَوْلَيْتَهُ قَطِيعَةً قَالَ حِينَ أَلْفَيْتَهُ صَدِيقًا حَمِيمًا  
 خَلَّتْهُ قَبْلَ أَنْ يَجْرَبَ الْإِنْفَاءَ ذَا ذِمَامٍ فَبَانَ جِلْفًا ذَمِيمًا  
 وَتَخَيَّرْتَهُ كَلِيمًا فَأَمْسَى مِنْهُ قَلْبِي بِمَا جَنَاهُ كَلِيمًا

ناشدناه : سألناه وجعلناه . يُنْشِقْنَا رِيَّاهَا : يشمئنا رائحتها . أجل ، حرف  
 جواب بمعنى نعم .

خلق الإنسان من عجل : قال أبو علي : هو على القلب ، معناه : خلق العجل من  
 الإنسان ، قال الزجاج : وبدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾<sup>(١)</sup>  
 ومثله : ﴿ وَقَدْ بَلَغَى الْكِبَرَ ﴾<sup>(٢)</sup> أى بلغت الكبر ، ومثله : ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ  
 الْأَرْضِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(٢) سورة آل عمران آية ٤٠

(١) سورة الإسراء آية ١١

(٣) سورة الكهف آية ٤٥ .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ج ٢)



عن انتقال الشالج والمغلا : رعتها . ولما رعتها : شفتها . بلقن : فمها  
 في رعتها : أي رعتها إذا رعتها غصبت اللبنة عما يلبسها (١) : فحنته . وبها  
 أي العوية بالانجاء كما هو في قوله تعالى : رعتها ولما : شفتها . بلقن : رعتها  
 ولما وقال القهستاني (٢) : رعتها : شفتها . بلقن : فمها . رعتها : رعتها  
 : رعتها . رعتها : كل ما نلت من الماء شفتها . الجيا : الجيا : شفتها . رعتها : رعتها  
 أي بطنت بالسياع بالذدن وهو الطين بالطين ، والذدن : القصر . وقال ابن مقبل (٣)  
 وابتنأت . وقع بالحاجن بالمهربية الذفن \*

في أي ابتذلت المهل في رقع الحاخين ، ومن جعل الوجول الطين ، فلا قلب  
 فيه ، وأراد : لم يصر واعن الآيات لمعلمهم في طلبها .  
 : أي يبقضه . جيل : حياء ، وقد تجمل بوا استعجبه . يثنيه :  
 يرثونه . وجلت خوفه : رعتها رعتها رعتها  
 لم يحضه أي أي أخلصته أتومهم : حسبهم . والحجم : الخاص من الإخوان ،  
 والحجم الثاني : اللسان الحار الساخن .  
 والصديد : الدم الخامل بالفتح . أوليته : ألقنت به . الأظيمة : الجعد .  
 قال البيهقي : قاله : صلحها . دثام : عهد . يثني : يثني . جدها : جدها .  
 ذمها . مذموما . كلما الأول مكلمها ، والثاني مجروحها .  
 سفة : راجع . لبتان : لبتان . لبتان : لبتان . لبتان : لبتان .

[ نبت مما قيل في غدر الإخوان وقلة الوفاة رعتها بارج  
 في رعتها : أي رعتها إذا رعتها غصبت اللبنة عما يلبسها (١) : فحنته . وبها  
 أي العوية بالانجاء كما هو في قوله تعالى : رعتها ولما : شفتها . بلقن : رعتها  
 ولما وقال القهستاني (٢) : رعتها : شفتها . بلقن : فمها . رعتها : رعتها  
 : رعتها . رعتها : كل ما نلت من الماء شفتها . الجيا : الجيا : شفتها . رعتها : رعتها  
 أي بطنت بالسياع بالذدن وهو الطين بالطين ، والذدن : القصر . وقال ابن مقبل (٣)  
 وابتنأت . وقع بالحاجن بالمهربية الذفن \*

(١) ديوانه ٣٠٣ ، صدره :  
 ٥٠ : رعتها إذا رعتها غصبت اللبنة عما يلبسها (١) : فحنته . وبها  
 \* وذكر السيرة عن كتمان وابتنأت (٢) : فحنته . وبها  
 (٣) ديوانه ٣٠٣ ، صدره : (٦٦)

تخدم الزمان ولا يتفليحون سوف يمنه أما يليق بهذا اللوحين! شيا لا تنقل  
 لا تنقل سفيان الثوري رحمه الله تعالى لصديق له: هل يفتك لحيج تكركه  
 بمن لا تعرف؟ قال: لا، قال: فأقل بمن تعرف.

(١) الجاحظ: قري على باب شيخ من أهل الري: حزي الله من لا يعرفنا  
 ولا يعرفه خيراً، وكأنه لم يبق من ثقته. وقال امرؤ القيس بن حجرية قال  
 إذا قلت هذا صاحب قد رضيت به  
 كذلك جدى، ما أصاحب صاحباً  
 وقال النابغة:

(٢) وإستعجبني بأخا لا تلتبه  
 ولما احرف ابن الزيات عن إبراهيم بن العباس الضولي، تحاماه الناس أن  
 يلقوه، وكان الجارث بن سنجر صديقاً له، فحجوه من ذلك، فكتب إليه:  
 تنبر لي فيمن تنبر جارث  
 أحارث إن أشركت فيك قطالما  
 وكتب لابن الزيات:

أخي بيني وبين الذهب صاحب أبقا غلباً  
 صديقي ما استقام فإن  
 وثبت على الزمان به  
 ولو عاد الزمان لنا  
 وكتب إليه أيضاً:

وكنتم أخى ياخاء الزمان  
 (١) ديوانه ٦٩  
 (٢) ديوانه ١٨٢  
 (٣) ديوانه ١٦٦  
 (٤) ديوانه ١٥٥  
 (٥) ديوانه ١٦٦

وكنْتُ إليك أَلومَ الزَّمانِ      فأصبحتُ فيكَ أَلومَ الزَّمانِ  
وكنْتُ أَعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ      فأصبحتُ أطلبُ مِنْكَ الأمانا

وقال أبو فراس :

أقلبُ طرفي لا أرى غيرَ صاحبِ      يعيلُ مع النِّعماءِ حيثَ تَمِيلُ<sup>(١)</sup>  
ومِرِّئاً نأزى أنَ التَّارِكِ محسنِ      وأنَ خَليلاً لا يضرُّ خَليلاً  
تَصَفَّحتُ أحوالَ الرِّجالِ فلمَ يَكُنْ      إلى غيرِ شاكٍ في الزَّمانِ وُصُولُ  
أَكَلْ خَليلاً هَكَذا غيرَ مُنصفِ      وكلَ زمانٍ بالكَرامِ بِمُخيلِ!

وله أيضاً .

إذا اخللَ لم يهجرُك إلا مِلاةً      فليس له إلا الفِراقَ عَقابِ<sup>(٢)</sup>  
إذا لم أجد في بلدٍ ما أريدُه      فنصدى لأخرى عزمَةً وركابُ  
بمن يثق الإنسانُ فيما ينوبُه      ومِنَ أينَ للحرةِ الكَرِيمِ صِحابِ!  
وقد صارَ هذا الناسِ إلا أقلُّهم      ذئابا على أجسادهنَّ نِيابُ

وقال الخباز للبلوي :

ألا إنَّ إخواني الذين مهدتُّهم      أفاهى رمالٍ لا تقصرُ في السَّحْرِ  
ظلمتُ بهم خيراً فلما بلوتهم      نزلت بوادٍ منهمُ غيرَ ذِي زَرَعِ

ولابن هارون القرطبي :

ذهب الوفاء فلا وفاءَ يرنجى      تلقى الصديق من الوفا عُرْياناً  
يعطيك ودّاً صادقاً بلسانه      ورُجْمَنَ تحت ضلوعه ألواناً

(١) ديوانه ٣٤ . (٢) ديوانه ٣٨

وقال المعري :

فظنّ بسائر الإخوان شرّاً      ولا تأمن على سيرة فؤادا<sup>(١)</sup>  
 فلو خبّرتهم الجواز خُبيري      لما طلعت بخافة أن تُكادَا  
 تجنبت الأنام فلا أواخي      وغبت عن الأنام فلا أعادي<sup>(٢)</sup>  
 ولما أن تجتمني مُرادِي      جريت مع الزمان كما أرادا  
 وهونت الخُطوبَ علىّ حتى      كأني صرّت أمنيها ودادا

وله أيضاً :

والخلّ كلاء يدي لي ضمائرَه      مع الصفاء ويخفيها مع الكدر  
 وكتب المعتصم<sup>(٣)</sup> صاحب المزية إلى ابن عمار :

وزهدني في الناس معرفتي بهم      وطول اختياري صاحباً بعد صاحب  
 فلم تُزني الأيام خيلاً كسرتني      مبادئه إلا ساءني في العواقب  
 ولا قلت أرجوه لدفع ملّة      من الدهر إلا كان إحدى المصابد  
 وقال البحتري :

أما للعداة فقد أروك نفوسهم      فاقصد بسوء ظنونك الإخوانا  
 وقال أيضاً<sup>(٤)</sup> :

أما المدوّ قَيّدي      ما عنده ويكشف  
 لكن تروقّ وحاذر      من الصديق الملائف  
 وقال منصور بن إسماعيل التميمي الفقيه: قال ابن رشيقي :

لو قيل لي خذ أماناً      من حادثات الزمان<sup>(٥)</sup>

(١) سقط الزند ٥٥٩ (٢) سقط الزند ٥ وزدت على المدوّفا أعادي ٥ .

(٣) هو المعتصم بن حادح ، والأبيات في تمام التون ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) ملحق ديوانه ٢٦٠٩ عن العريشي (٥) نقله في التنف ٨١

لما أخذت أماناً إلا من الإخوان ما أماناً

(١) وهذا الباب لا يوصى بكثرة  
لأنه من كثرة ما لا يفيء

لأنه من كثرة ما لا يفيء

والتفكير في أخطاكم مملوحليماً

ففيئته لعينيهما كأنه يوجيها

(٢) وتواذيتكم والمواليداه تستعجلى

تعدله لمبني له مواليداه استعجلى

والموت لميت أن يصب لستينما

فألقى أن يصب من الإنا أمروما

لما من لسمعه التي أعجز الرا

في سلماً وبات مني سلمياً

وهذا نهجه غداة افترقنا

مستقيماً والجسم مني مستقيماً

لم يكن رأئماً خصيماً ولكن

كان بالشر رأئماً لي خصيماً

قلت لئما بلوته : لنته كما

ن عدماً ولم يكن لي ندماً

بعض الصبح حين نهم إلى قلا

بي لأن الصبح يلفي نومك

ودغاني إلى هوى الليل إذ كا

ن تبواد الذي رقيباً أكتوما

وكفى من بشي ولو فاه بالصّد

ق أناماً فيما أتلما ولو ما

قوله : «تظنيت» أي حسبته ، وأبدل من إحدى نوني ياء

لعينياً : رجماً : شيطاناً مبهداً مرجوماً بالانجوم ، وقيل : الرجيم : الرجوم أي  
المشغوم المسبوب من قوله سبحانه وتعالى : (لئن لم تنته لأرجنكم) ، أي لأسببكم .

وقيل : الرجيم المألون ، وهو من تألم أهل التفسير فنهى القهين والرجيم واحد .  
تراءيته : ظننته ، من تراءى أي التقى ، وتراءى الرجل الظنور وهو يريد أن يهجم .  
جلى : كشف ، سلكه ، نهر به ، مريداً أو كثر الشمر ، خبيثاً لئما : وضع

للقدر خبيث الممة  
توسمت : ظننته ، وتوسمت عليه الظنور ، أي رأيت فيه خبيثته ، أي علاجه .  
(١) سورة مريم ٤٦ .  
(٢) سخطاً راقاً (٥) ربحي سخطاً راقاً ٢٠٢٢ ما يروح رصمه (١)





وقال ابن المعتز :

لا تلق إلا بليلٍ مَنْ توأمهُ  
كم عاشقٍ وظلام الليل بستره  
فالشَّمسُ نَمَامَةٌ والليلُ قَوَادٌ<sup>(١)</sup>  
لأقِّ الأُحبة والواشون رُقَادُ  
وقال المتنبى وأجاد :

كم زورةٍ لكفى الأعراب خافيةٍ  
أذمى وقد ردوا من زورة الذيب<sup>(٢)</sup>  
أزورم وسواد الليل يشفع لي  
وأثنى وبياض الصبح يُغري بي  
وهذا البيت أميراً شعره على كثرة الجتيد فيه . والبديع فيه أنه قابل الشطر  
الأول بالثاني حرفاً بحرف ، قابل « أزورم » بقوله : « أثنى » ، و« سواد الليل »  
ببياض الصبح ، « ويشفع لي » بـ « يُغري بي » .

وحكى ابن جني . قال : حدثني المتنبى وقت القراءة قال لي ابن حنابلة  
وزير كافوز : أعلنت أني أحضرت كتبتي كلها ، وجماعة من أهل الأدب  
يطلبون من أين أخذت هذا اللفظ ، فلم يظفروا به ا وكان أكثر من  
رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إنني عثرت على للوضع الذي أخذ منه ، فوجدته لابن المعتز  
مصراعاً بلفظ [ لِين ] صغير [ جداً ] جرى فيه معنى بيت المتنبى كله على جزالة لفظه  
وحسن تقسيمه وهو :

• فالشَّمسُ نَمَامَةٌ والليلُ قَوَادٌ •

قال : النعالي إما أن يكون ألم به فحسنته وزينه ، فصار أولى به ، أو عثر  
على الوضع الذي عثر عليه ابن المعتز فأرني عليه في جودة أخذه ، وإلا أن يكون  
قد افترع المعنى وابتدعه ، فله دره وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه<sup>(٣)</sup>  
قال : وبعض أهل المصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقل إلا بإنشاد  
بينين قبله وهو :

(٢) ديوانه ١ : ١٦١

(١) ديوانه ١ : ٧٧

(٣) بديعة الدهر ١ : ١١٥ .

عذيري من الأيام مدت صروفها  
وأبدت براسي طالعات أرى بها  
فذاك سواد الخط ينهي عن الهوى  
وقال ابن رشيقي :

أيتها الليل طِرْ بغير جَمَاحِ  
كيف لا أبفضُ الصَّبَاحِ وفيه  
ليس للمين راحة في الصَّبَاحِ (١)  
بان عنى أولو الوجوه للصَّبَاحِ.  
وقال المعنبي :

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ  
وقاك أذى الأعداء تسرى إليهم  
تخبر أن المانوية تكذب (٢)  
وزارك فيه ذو الدلال المحجب  
المانوية هم للثنوية ، وهم الذين يقولون : إن الخير كله من النور ، والشر  
كله من الظلام ، فكذبهم بأن وجد الخير في الظلام حيث ستره من أعدائه ،  
ووقاه شرهم ، وكان عوناً على زيارة حبه ، ووجد الضد في النور ، وهذا كله يجري  
في نمط بيت الحريري .

\* \* \*

قال : فلما سمع رب البيت قريضةً وسجعةً ، واستملىح تقريظهُ  
وسبغةً ، بوأه مهَادَ كرامته ، وصدره على تكريمته . ثم استخضر  
عشرَ صحافٍ من الغرب ، فيها حلواءُ القندِ والضربِ ؛ وقال له :  
لا يستوى أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنةِ ، ولا يسعُ أن يُجعلَ  
البريُّ كذبي الظنَّةِ ، وهذه الآنية تنزلُ منزلةَ الأبرار ،

(١) تزيين الأسواق ٢٠١ ، ديوان الصباية ١٠٩ ونقله في التنف ٢٢ .

(٢) ١ : ١٧٨ ، ١٧٩



على كبرون الأبرار، وقالوا فيها الإبهام ولا تتلحق كهودا بفادنا  
 روعا، فسميه روج ربا أليس \* له رعا يتلعله رعا بداء  
 وسموه لود وبقربضه لى ليعرله وتقدم الصع ان روعا لعلنا عامه شالفة

تقرظه وسبمه: المدح والذم، ويقال: سبمه بسبمه، إذا رجع بفتح العين  
 هو لم يسهمت الثريب إذا ربهته، وقيل: معنى سبمت قلت، له قولاً غم و فؤع  
 منه، ويقال: سبمت الوحش: ذهرتها، والأسد أفزعته <sup>بفتح العين</sup> غضبا كما سبعا  
 بواه: أنزله، فهناد: فراش. صدره: قدمه وأجاسه في صدره وفظلا لثمة،

التي كرمته الرضاة وامل الجليل الضيف المكرم عليه وود يظن عموا على سليمان  
 رضى الله عنهم لآلى الودعة وفضلنا هذا بأهل البيت قاله كرمته رطل الله  
 شلى بالله علمه ووسم بقولك ان باحن لم يرد وفضلنا على خلى قلعنا بؤم وناهم  
 والذم وبقاى ما كرامك له وفضلنا بالآ لا غفر الله تعالى له كرمته وفضلنا به  
 روعا قوله انه استجيبنى كرمته ربا مضارها بالقراب زروع من المشبه كرمته  
 القند: عصارة قصب السكر. والضرب: العسل الأبيض روعا بطاى لثمة

الظفة: الثمة، أراد بالبرى آية القراب، وبالتمم جام الزجاج.  
 حلقف والأخبار: الأحبار. صون: حفظ. عوفا: تلصق بهل. لطف: راحة

تخضعوا: قوم هود، وكانوا من الأسماعيليين، هود وهو مؤمن، وتين قوم مبروم  
 كانوا في أمة أجدان كالبرية والتمم، وفضلنا خرج من نوح عيرنا، وإن كانت جسيمة  
 الأدبية والقرابة تجمعهم، وكذلك الزجاج والقراب مجتمعان في الآنية والوعاء،  
 ويختلفان في الاحتواء على ما فيهما من الإخفاء والإظهار.  
 \* \* \*

[ ذكر هود عليه السلام وقومه ]

٦٦٥ سفنارة حلقه ٦٠١ قوايسما نالوه ١٠٢٢ وقايسه كرا توية (١)  
 وهو هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وعاد هو ابن عوص

ابن ابي عمير بن مسام بن زهير وكانوا اهل اوثان ثلاثة يصدونها من يدون الله ، في كانوا  
 ثلاث عشيرة قبيلة باليمن ، فمد عليهم هود الى عبادة الله تعالى ، في كذبوه وخصوه ،  
 وكانوا جملة اربعة اقوياء ، طول الرجل منهم مائة ذراع ، وطول اقصرهم ستون  
 ذراعا ، قال الله تعالى : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَيْنَظَةً ﴾ (١) . اجد عظام وطولا وقوة  
 وشدة ، وعظم هود عليه الصلاة والسلام ، وقال لهم : ﴿ ائمنون بكل رب اعاب  
 تعينون ﴾ (٢) الآية ، فكان جوابهم ان قالوا : ﴿ من هو اسد منا قوة ﴾ (٣) ، وقالوا :  
 ﴿ سوا علينا وعضت ام لم تكن من الواعظين ﴾ (٤) ، وقالوا : ﴿ يا هود ما جئنا بيننا  
 وما نؤمن بربك الا كفينا عن قولك وما نحن لك بؤمنين . . . ﴾ (٥) الايات ،  
 واستكبروا ولم يؤمنوا ، فخبس عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا .

٤٠ . كانوا قد اذوا وقد استسقوا لهم ، فبمنوا قبيل بن عير ، ونعيم ابن هزال ،  
 ومرد بن سعد ، وكنتيتة ابو سعد ، وجهم بن الحبيرى ، ولقمان بن عاد ، ومع  
 كل رجل منهم رهط من قومه ، فلما قربوا من مكة تروا على معاوية بن بكر  
 القرظى ، وكانوا اخوالا لله وعظماء له ، فاينهم وان اكرمهم الله كما يشربون الخمر  
 وضيقت قلوبهم ، فقال لهم : انظر اذبان . فلما راى معاوية طول مقامهم اكلدهم ، واكلدهم  
 بشتم قومهم للبلاد الذى نزل بهم سبق عليه ذلك ، وقال : ملك اصهارى واخوالى ،  
 والله ما اذرى ما اضع بهم ، وانى استعجبى ان امر بالخروج من عندى فيظنون  
 انه هناك بنى مقامهم عندى ، فقال شعرا غوا غطاء للجراذيم هتافا به ، وهو  
 الا يا قيل ويحك قوم مهيم . لعل الله يصيبنا ضامما وجملة

فاسى وفتارهن معاوية ان جادا تمسقا امسوا ولا يربون من بلاد كرامه  
 لا وراى الوخس ثمانيتهم جبارا ومنه فلا الحصى لهدايتهم سياتهم  
 نه همدن عهده بانواع . ﴿ قوله لفر يا خنا اجهه انهم ﴾ : قاله الله االة

(١) سورة الاعراف آية ٦٩ . (٢) سورة الشعراء ٢٨ .  
 (٣) سورة فصلت ٦٥ .  
 (٤) سورة الشعراء ١٤٢-١٤٣ .  
 (٥) الطبرى « لقيم » .  
 (٦) سورة هود ٥١ .



وَأَنْتُمْ هَاهُنَا فِيمَ اشْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّامَّامًا  
فَقَبِّحْ وَفَدِّمْ مَنْ وَفَدِّ قَوْمٌ وَلَا تُقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا  
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا بَعَثَكُمْ قَوْمَكُمْ لِمَا نَزَلَ بِهِمْ ، فَادْخُلُوا الْحَرَمَ .  
فَاسْتَسْقُوا ، فَقَالَ مَرْثَدُ بْنُ سَعْدٍ : وَاللَّهِ لَا تَسْقُونَ حَتَّى تَطِيعُوا نَبِيَّكُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَهْلَةٌ :

أَبَا سَعْدٍ وَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ ذِي كَرَمٍ وَإِنَّكَ مِنْ نَمُودٍ  
أَتَأْمُرُنَا لِنَتْرِكَ دِينَ رِفْدٍ<sup>(١)</sup> وَزَمَلِ آلِ صُدَيْ وَالْوَفُودِ<sup>(١)</sup>  
وَنَتْرِكَ دِينَ آبَاءِ كَرَامٍ ذِي رَأْيٍ وَنَتَّبِعَ دِينَ هُودَا  
فَإِنَّا لَأَنْطَيْتُكَ مَا بَقِينَا وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تَرِيدُ

ثم قال لما وية : امسك مَرثدًا عنا ، لا يدخلن مكة معنا وهو على دين هود .  
فدخلوا مكة ، وخرج مَرثد ، فأدركهم قبل أن يدعوا ، فقال : اللهم لا تدخلني  
في شيء مما يدعوك به وقد عاد .

وقيل : قال : اللهم إن كان هود صادقاً فاسقنا ، فقد هلكنا ، فأنشأ الله  
سحائب ثلاثاً : بيضاء ، وحمراء ، وسوداء ، ونودي من السحائب : يا قويل ،  
اختر لنفسك وقومك ، قال : لقد اخترت السحابة السوداء ، لأنها أكثر السحائب  
ماء . فنودي : اخترت رمادا رمداً<sup>(١)</sup> ، لا يبقى من عادٍ أحداً ، فساق الله سبحانه  
وتعالى السحابة السوداء إلى عاد ، فاستبشروا ، وقالوا : هذا عارضٌ ممطرنا ، فسخرت  
عليهم سبع ليالٍ ريحٌ صرصر ، فلم تدع منهم أحداً إلا هلك .

ولما خرجت الريح عليهم ، قال سبعة منهم : تعالوا نقف على شفير الوادي  
فتردّها ، فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترميه حتى بدق عنقه ، فتركتهم كما  
قال الله تعالى : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . واعتزل هود ومن معه من

(١) الطبرى : « والعبود »

(٢) ط : « ومدداً » وصوابه من تاريخ الطبرى (٣) سورة الحاقة آية ٧

المؤمنين في حظيرة، ما يصيبهم منها إلا نسيم يُلينُ البشرة، وتلذذ الأنف، وإنها لتمرّ من عاد بالظعن بين السماء والأرض.

ورجع وقد عاد، فنزلوا على معاوية، فأتامه راكب على ناقه في الليلة الثالثة من مصابهم، فأخبرهم الخبر، قالوا: وأين فارقت هود؟ قال: بساحل البحر، وخُبروا حين دعوا بمكة لأنفسهم، قال لقمان: يا رب أعطني عمراً، فعمره الله عمر سبعة أسير، يأخذ الفرح إذا خرج من بيضته فيفدّبه حتى يموت، ثم يأخذ آخر حتى يبقى السابع، فقال له ابن أخيه: ما بقي من عمرك؟ قال: عمر هذا النسر، وهو لبدو لبدو بلسانهم - الدهر. فلما لم يستطع لبد النهوض مع النسر، أيقن لقمان بالموت، فمات جميعاً.

واختار قبل أن يصيبه ما أصاب قومه، فاقطعته الريح فقتلته.

وقال مرتد: يا رب أعطني براً وصدقاً وعمر هود، فمترّ مائة وخمسين سنة<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثنواه، ليحكّم فيها بما يهواه .  
فأقبل علينا أبو زيد، وقال: اقرأوا سورة الفتح،  
وأبشروا باندمال القرّح؛ فقد جبر الله مُكلكم، ووسّنى  
أكلكم، وجمّع في ظلّ الحلواء شملكم، وعسى أن تكررُوا شيئاً  
وهو خير لكم.

ولما هم بالانصراف، مال إلى استهزاء الصحاف، فقال:  
للأدب: إن من دلائل الظرف، سماحة المهدي بالظرف، فقال:

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١: ٢١٩ - ٢٢٢ - أبسط وأطول:

كلامها لثمة أو الفلام ، فالحذيف الكلام منه ، وإنهضن بسلام في فونثيلة  
 في الجواب ، وشكر شكر الز وحق الصدق الخ من ملنا له من ...  
 قاله في قوله زاد بيان ...

... لا يورثه ، لا يستور له ...  
 ... على أنفسكم ...  
 ... كمن من يد لا تستقل بشكرها ...  
 ... الأدب : ...

... الكلام ، وقالوا : الطرف في اللسان ، واحتجوا بقول عمر رضي الله عنه أنه إذا  
 كان الرجل لظرفاً لم يقطع ، أي إذا كان بليماً أخرج عن نفسه ما يقطع عنه  
 اللد ، طال الكسامة راح الله تعالى ، وفي الوجه ، يقال لسان ظرفاً وهو وجه ظريف  
 غيره : الظرف الحسن الوجه المهيبة ...  
 ... تقدم . وثب : بالغ وعجل جوابه . الروض : موضع المشب والأوا ...

... نسألكم ...  
 ... هنت أذرى أشكرو ذلك التمام أم أشكرو ، وأتأسى فعلته أتى  
 : ... (١)

فَقَلْبًا أَمْ أَوْفًا كَرِهَ فِئْتَهُ، وَإِنْ كَانَ الْمَلْفُ الْجُرِيْعَةً، وَأَمْرًا مِنَ الْعَمَلِيَّةِ الْفَعْلِيَّةِ  
 عَيْلَةً، أَنْهَلَكَ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهَا، وَنَسِيْبَةً أَمْ حَاوِيَةً فِي هَذِهِ الْعَيْلِيَّةِ، وَأَوْفَدَنَ حَظْرَهُ  
 بِيَالِي، أَنْ أَرْجِعَ إِلَى أَشْبَالِي، وَأَقْنَعُ أَبَا تَسْتَنِي لِي، وَالْأَنْتَبُ نَفْسِي  
 وَلَا أَنْجَالِي، وَأَنَا أَوْدَعُكُمْ وَدَاعُكُمْ مَحَافِظُ، وَأَسْتُوْدِعُكُمْ خَيْرَ حَافِظٍ.  
 ثُمَّ اسْتَوْرَى إِلَى رَأْسِهَا، وَاجْتَلَسَ بِجَدِّهَا فِي رِجْلِهَا وَرَأْوَاهُ، وَلَا يَرِيهَا  
 إِلَى زَاوِرَتِهِ .

فَقَادَرْنَا بَعْدَ أَنْ وَخَدَتْ عَدْسُهُ، وَزَايَلْنَا أَنْسُهُ، كَدَسَتْ  
 غَابَ هُنَّ صَدْرُهُ، أَوْ لَيْلِ أَفَلٍ بَدْرُهُ .

\* \* \*

حواؤه : موضعه ، والجِواء : أخبية قريب بعضها من بعض . ويفضّ :  
 يفرق . وأسلف الجريمة : قدم الذنب . نئم : زين ، والنممة : للنقش . غيمه :  
 سحابة . انهلت : سالت . الديمة : العطية هنا ، وانظر معنى هذا الشك الطارئ  
 عليه في السابعة والمشرين في قوله :

\* يا أخى الحامل ضَيِّبِي \*

محافظ : راعٍ للوode . أستودعكم : أترككم وديعة في يده . خير حافظ :  
 هو الله سبحانه وتعالى بشير لقوله تعالى : ﴿ فَاِنَّ خَيْرَ حَافِظًا ﴾ (٢) . استوى عليها ،  
 أى ركبها ، وقال في الدرة (٢) : الراحلة تقع على الجمل والناقة ، والماء فيها للمبالغة .  
 كالتى فى داهية وراوية ، وسميت راحلة لأنها تُرْحَل ، أى يشد عليها الرَّحْل ،  
 فهى فاعلة بمعنى مفعولة ، كما جاء فى التنزيل : ﴿ عَيْشَةَ رَاضِيَةً ﴾ (٣) ، بمعنى مرضية ،

(١) ٦٣ ق ٤٤٠ - (١)

(٢) ٣٠ ق ٤٤٠ - (٢)

(١) سورة يونس ق ٤٤٠ - (٢) درة العواس ٢٨١ (المطبعة الخيرية) - (٣) (٦)

(٤) ١٥ ق ٤٤٠ - (٥)

(٣) سورة الحاقة ٢١

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، أى لا معصوم، و﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(٢)</sup> أى مدفوق، و﴿حَرَمًا آمِنًا﴾<sup>(٣)</sup> أى مأموناً، كما جاء مفمول بمعنى فاعل فى قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مُسْتَوْرًا﴾<sup>(٤)</sup> أى ساتراً، ﴿وَكَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾<sup>(٥)</sup>، أى آتياً.

فى حافرته: فى الطريق الذى جاء منه. لاويًا: عاطفًا. زافرته: قرابته. وخذت: أسرع. عنسه: ناقته الصلبة، ومنه عنست المرأة، إذا طال مكثها. لا تزوج. زابلنا: فارقنا. دست: مجلس. صدره: أعيانه. أفل: غاب.

(١) سورة هود ٤٣

(٢) سورة القصص ٥٧

(٥) سورة مريم ٥١

(٢) سورة الطلاق ٦

(٤) سورة الإسراء ٤٥

## المقامة التاسعة عشرة وهي النصيبية

روى الحارث بن همام ، قال : أمحل العَراقُ ذاتَ المَويمِ ،  
لإخلافِ أنواءِ النَيمِ ، وتهدت الرَكبَانُ بريفِ نصيبين ، وبُلَهنيةِ  
أهلِهَا المَحصينِ .

\* \* \*  
أهل : أجدب ، أى لم ينزل فيه مطر . لإخلاف الأنواء ، يريد النجوم التى من  
عادتها أن تطلع بالمطر ، وأخلفت : لم يجرى بمطر . الركبان : أهل الأسفار . ريف : خصب .  
\* \* \*

### [ ذكر مدينة نصيبين ]

نصيبين مدينة ديار ربيعة العظمى ، وهى مطلة على جبل الجودي الذى  
استوت سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عليه ، وهو جبل عال مستطيل .  
أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زُوبَت لى  
الأرض ، فرأيت مدينة أعجبتنى ، قلت : يا جبريل ، أى مدينة هذه ؟ قال :  
نصيبين ، قلت : اللهم عجل فتحها » .

قال اليعقوبى : هى مدينة عظيمة كثير الأنهار والجنات والبساتين ، ولها نهر  
عظيم يقال له الهرماس ، عليه قناطر حجارة قديمة رومية ، وأهلها قوم من ربيعة  
من بني تغلب ، أنقتهما غم بن عياض فى خلافة عمر رضى الله عنهما سنة  
ثمان عشرة .

قال شيخنا ابن جبير<sup>(١)</sup> : مدينة نصيبين شهيرة المتأقّة وللقدم ، ظاهرها شباب ،  
وباطنها هَرم ، جميلة المنظر ، متوسطة بين الكبر والصغر ، أمامها وخلفها بسيط  
أخضر مدّ البصر ، قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه ، وتطرّد فى نواحيه ،

(١) رحلة ابن جبير ٢١٧ .



وتحفّ بها من يمين وشمال بساتين ملتفة الأشجار ، وإنعة الثمار . وينساب بين يديها نهر قد انمطف عليها انمطاف السّوار ، والحدائق تننظم حافتيه ، وتفيّ ظلّالها الوارفة عليه ، فرحم الله أبانواس حيث يقول :

طابت نصيبين لي يوماً فطبتُ لها كَيْتَ حظي من الدنيا نصيبين<sup>١</sup>

نفارجهارياض الشائل ، أندلسي الخائل ، برق نصارة وغبارة ، ويأتلق عليه رونق الحضارة . وداخلها شعث البادية بادية<sup>٢</sup> عليه ، فلا مطمح للبصر إليه ، لا تجمد العين فيه فسحة مجال ، ولا مسحة جمال . وهذا النهر ينساب<sup>(١)</sup> إليها من عين مميعة ، مندبعا بجبل قريب منها ، تنقسم منها مذائب تخترق بسائطها وعمارها ، ويتخلل البلاد منها جزء يفترق على شوارعها ، ويلج في بعض ذيارها ، ويتخرق جامعها<sup>(٢)</sup> منه ميزاب ينصب في صهر يجين ، أحدهما وسط الصحن ، والآخر عند الباب الشرق ، ويفضي إلى سقايتين حول الجامع . وعلى الأثر جسر معقود من صمّ الحجارة ، متّصل بباب المدينة القبلي ، وفيها مدرستان ومارستان واحد .

\* \* \*

قوله : وبلهنية أهلها الخصين ، البلهنية : رخاء العيش .

[ ذكر أشعار مستحسنة في أوصاف الرياض ]

وزيد أن نصل ما ذكره من خصب نصيبين بأشعار مستحسنة في أوصاف

للرياض تقع كالصفة لها ، قال إبراهيم بن العباس الكاتب :

تأملن سماء أظلت علك فيها مصابيحها تزهر<sup>(٣)</sup>

وأرضا تقابلها بالتمرو س والرج بينهما جعفر<sup>(٤)</sup>

ومسحب نور غداة الربيع أنفاسه المسك والعنبر

(١) ابن جبير : « يتسرب » .

(٢) ابن جبير : « ويصل إلى جامعها المكرم منه سرب يفترق صحنه » .

(٣) ديوانه ١٣٣ (٤) الديوان : « شمسهما جعفر »

خلال شقائه أصفر  
والماء مطردٌ بينها  
ولنّاطقاتٍ بأكنافه  
يشارفه البرّ من جانب<sup>(١)</sup>  
مجال وحوش ومرسى سفين  
وياحسن دنيا وياهمّلك  
إمامٌ به أمرَ الأمرِ  
وأضعافُ أصفره أحرّ  
يضيق بأذيه المصدر  
دواعي اشتياقٍ ومستمبرٌ  
ومن جانب بحره الأخضر  
فياغذب لهو ويامنظر<sup>(٢)</sup>  
يسوسهم الملك الأكبر  
نَ بالعرفِ واستنكير المنكر

وأشد السيراني :

ومجلس فتيانٍ إلى جنب حافة  
تناصي<sup>(٣)</sup> ميادينهale أحذقت به  
وحفّ بربحانٍ وكرّم معرّش  
ووردٍ وتسرين وآسٍ وسوسن  
تزخرفُ بالتّوار حتى كأنما  
وقال كشاجم :

وروضة صنف التّوار جوهره  
كان ما مجتنيه من زخارفها  
ما انفك للعين فيها أعين ذرف  
حسّتي كأنّ أغانين النبات بها  
فيها فاشتت من حُسنٍ ومن طيب  
أخلاق مستحسن الأخلاق محبوب  
تبكي بدمع من الأنواء مسكوب  
على الميادين ألوانُ اليعاسيب

(١) الديوان : « يساوقه » .

(٢) رواية الديوان :

مجال وحوش ومرقى أنيس  
(٣) ط « تناضي » تحريف

كان غُدْرَانِهَا بِالرَّوْضِ مَحْدَقَةً  
وتتميم بن المعتز<sup>(١)</sup> :  
تجيب ثوبٍ من اللوثى منصوبٍ

وقاذفة بالماء في وسطِ بركةٍ  
إذا أقدفت بالماء سلفه مُنْصَلًا<sup>(٢)</sup>  
قد التفتت لحفان للظلِّ سَجَسَجًا<sup>(٣)</sup>  
وعاد عليها ذلك النصل هو دَجَا  
تحاول إدراك النجوم بقذفها  
لدى روضةٍ جادلتها بربوعها  
على نرجس غَضِنٍ يلاحظ سوسنا  
كان غُصُونُ الْأَصْحَوَانِ زَمْرَدَ  
ونوار نَسْرِينٍ كَانَ نَسِيمِهِ  
فخرتها بين الرياض ودَبَجَا  
وَأَسْرِي عِيٍّ يَنْغِي بِنَفْسَجَا  
تعمم بالكافور ثم تتوججا  
من المسك في جو السماء تَارَجَا

قال أبو البختري<sup>(٤)</sup> : تعرضت لأبي فحمة<sup>(٥)</sup> - وكان مجنونا ببغداد - له  
بديهة حسنة ، قلت له : كيف أنت يا أبا فحمة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ منك على شفا جُرْفٍ متعرِّضًا لموارد التَّنْفِ  
وأراك نحوى غير ملتفتٍ متحرِّفًا عن غير منحرَفِ  
يا مَنْ أطال بهجره كَلَنِي أسنى عليك أشدُّ من كَلَنِي  
فأخرجت قبضة نرجس من كمي ، فأخذها وشتمها مليا ، وأنشأ يقول :  
لما تزوجت الجنوب بهاطلٍ حوْنٍ هتونٍ زبرج دَلَّاحِ  
أضحى يلحقها بوسمى الصَّبَا فاستثقات حملا بنير نكاحِ  
حتى إذا حان الخاض تفجرتُ فأتت بولْدَانٍ بلا أرواحِ  
حاك الربيع لها ثيابا وشيْتُ بيد التندى وأنامل الأزواحِ

(١) ديوانه ٨٨

(٢) الديوان « وحفا » ، والسجسج : الذى ليس فيه حرمؤ ذولاقر .

(٣) الديوان : « رده منصلا » ، والمنصل : السيف

(٤) الخبيرى المقدم ٦ ، ١٧٠ ، وفي الأصول : « البختري » وصوابه مانى المقدم .

(٥) كذا فى المقدم ، وفي الأصول « فحمة » بالقاف

من أصغرٍ في أزهرٍ قد زانهُ تَجَرَّ على وَرَقٍ من الأوضاح  
رُكْبَنٍ في عقد الزَّبْرِجد فاغتدى نحو للنسراة ناظراً بملاح

• • •

[ فصل في ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين ]

ويتصل بهذه الحكاية فصلٌ في ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين ،  
فإن أبا محمد قد ذكر في هذه المقامة المصابين ، وذكر المجانين في غيرها ، لثلاث محلّ  
بما شرطنا . قال بعض الأدباء <sup>(١)</sup> : كان رجلٌ من أهل الأدب ، قد ذهب عقله  
بالحبة ، [ وخلق دابة تدور معه ، فاستوقفته ] <sup>(٢)</sup> وقلت له : يا أبا فلان ، ما حالك ،  
وأي النعمة؟ قال : تغير قلبي بالحب ، فتغيرت النعمة ، ثم بكى وأنشأ يقول :

أرى العجمل شيئاً لست أحسنه      وكيف أخفى الهوى والدمع يملئه  
أم كيف صبر محبٍ قلبه دَيفٌ      الشوق يُنعله والهجرُ يحزنه  
وإنه حين لا وصلٌ يساعفه      يهوى السلوة ، ولكن ليس يمكفئه  
وكيف ينسى الهوى من أنت فتنته      وفترة العظ من عينيك تفتنه

قلت : أحسنت والله ، قال : قف قليلا ، فوالله لأطرحن في أذنيك أدباً  
أقل من الرصاص ، وأخف على الفؤاد من ريش النعام <sup>(٣)</sup> ، فأنشد :

لحبت نار على قلبي مضرمةٌ      لم تبلغ للنار منها عشرَ مشارٍ  
الماء يبيع منها في محاجرنا      بالرجال لساء فاض من نارٍ  
وأنشد أيضا :

أعاد للصدود فأحيا للقليل      وأبدى الجفاء فصبراً جميلاً

(١) المقدم ٦ : ١٧١ ، ونسب الخبر إلى أبي بكر الوراق

(٢) من المقدم

(٣) المقدم « الحواصل » .

وأحسب نفسي على ما ترمى ستلقى من المهجر غماً طويلاً  
وأحسب قلبي على ما بدا سيذهب مني قليلاً قليلاً  
قال الحسن بن هاني<sup>١</sup> : رأيت مانيا الموسوس فأنشدني :

شعر حتى أتاك من لفظ ميتٍ صار بين الحياة والموت وفقاً<sup>(١)</sup>  
قد برت جسمة الحوادث حتى كاد عن أعين البرية يخفى  
لوتأملتني لتبصر شخصي لم تبين من الحاسن حزفاً

ثم أتيت جعفر بن الموسوس ، وهو شيخ كبير من بني هاشم ، عليه  
قطيفة ، وفي عنقه غل من ذهب ، فقال : من أين جئت يا حسن ؟ فقلت : من  
بيت مانويه : فقال : في حر أم مانويه اوقال لي اكتب :

ماغرّد الديك ليلاً في تنبيهه إلا حننتُ إليك الديرَ نجوموداً<sup>(٢)</sup>  
ولا هدت كل عين لدرأقدها بنومة في لديد العيش مهوردا  
إلا امتطيت الدجى شوقاً إليك ولو أصبحت في حلق الأقياد مصفودا  
أسمى مخاطرة بالنفس يا أملى واللبل مدّرع أنوابه الشودا  
فلم ترق ولم ترث لذي دنف زودته حرقات القلب تزويدا  
هيات لا غدر في جن ولا بشر من الخلائق إلا فيك موجودا

ثم قال لي : خرق رقعة مانوية ، فخرقها ، ثم مضيت فلقيت عرددا المصاب ،  
وحوله الصبيان ، وهو يلطم وجهه ، ويقول : يا أيها الناس ، الفراق مرّ  
المذاق ، فقلت : أبا محمد ، من أين أقبلت ؟ فقال شيعت الحاج إذ كان لي فيهم  
سكن<sup>(٣)</sup> ، وقلت في ذلك :

(٢) المقدم ٦ : ١٧١

(١) المقدم ٦ : ١٧٠

(٣) سكن ، أي أهل دار.

مُ ارحلوا يومَ الخميسِ فُديَّةً      وودعتهم نكاً استقلوا وودَّعوا  
 فلما تولوا وآت النفس منهمُ      فقلت: ارجعي قالت: إلى أين أرجع؟  
 إلى جسدٍ ما فيه لحمٌ ولادمٌ      وما هو إلا أعظمُ تقفَعُ  
 وعينان قد أعماههما الحزن والبُكا      وأذن عصت عذالما ليس تسمعُ

وجعيفران من مجانين الكوفة ، أعطاه رجل درهما ، وقال له : قل شعرا  
 على قافية الجيم ، فقال بديها :

عادني اللهم فاعتلج كلُّ همٍّ إلى فرجٍ (١)  
 سلَّ عنك الموم بالكاس والراح تنفرج

وهو القائل :

ما جعفرٌ لأبيه ولا له بشبيه (٢)  
 أضحي لقوم كثير فكأهم بدعيه  
 هذا يقول بُدِّي وذا يخاصم فيه  
 والأُمُ تضحك منهم لعلها بأبيسه

وقال ماني :

من الظباء ظباء عثم السحُبُ      وحُلِيمَا الدُرِّ والياقوت والذهب (٣)  
 يا حسن ما سرقت عيني وما انتهبتُ      والمين تسرق أحيانا ، وتنهبُ  
 إذا يدُّ سرقت فالحدَّ يقطعها      والحصد في سرِّقِ العين لا يجبُ

(١) المقدم ٦ : ١٦٥

(٢) المقدم ٦ : ١٦٥

(٣) المقدم ٦ : ١٦٩

وله أيضاً :

له وجفات في بياض وحرمة غافاتها بياض<sup>(١)</sup> وأوساطها حمر<sup>(٢)</sup>  
 رفاق يجول الماء فيها كأنها زجاج أجيت في جوانبها الحمر<sup>(٣)</sup>  
 وأشعار الحجانين في هذا الباب أكثر من أن نحصى.

\* \* \*

فأقدمت مَهْرِيًّا ، وَاَعْتَقَلْتُ مَمَّهْرِيًّا ، وَسِرْتُ تَلْفِظُنِي أَرْضٌ إِلَى  
 أَرْضٍ ، وَيَجْدُبُنِي زَفْعٌ مِنْ خَفْضٍ ، حَتَّى بَلَغْتَهَا نَقْضًا عَلَى نِقْضٍ .  
 فَلَمَّا أُنْخْتُ بِمَنْزَاهَا الْخَصِيبِ ، وَضَرَبْتُ فِي مَرْوَاهَا بِنَصِيبِ ، نَوَيْتُ  
 أَنْ أَلْتِي بِهَا جِرَانِي ، وَأَتَّخِذَ أَهْلَهَا جِيرَانِي ، إِلَى أَنْ تَحْيَا السَّنَةَ الْجَمَادُ ،  
 وَتَتَمَهَّدَ أَرْضَ قَوْمِي الْمَهَادِ ، فَوَاقِهِ مَا تَمَضَّمْتِ مُقَلَّتِي بِنَوْمِهَا ،  
 وَلَا تَمَخَّضْتِ لَيْلَتِي عَنْ يَوْمِهَا ، دُونَ أَنْ أَلْفَيْتُ أَبَا زَيْدِ السَّرُوجِيِّ  
 يَجُولُ فِي أَرْجَاءِ نَصِيبِينَ ، وَيَخْبِطُ بِهَا خَبْطَ الْمَصَابِينِ وَالْمُصِيبِينَ ،  
 وَهُوَ يَنْتَرُ مِنْ فِيهِ الدَّرَرُ ، وَيَحْتَلِبُ بِكَفَيْهِ الدَّرَرَ . فَوَجَدْتُهَا  
 جِهَادِي قَدْ حَازَ مَنَّمَا ، وَقَدَحِي الْقَدْ قَدْ صَارَ تَوْءَمَا ، وَلَمْ أَزَلْ أَتْبِعُ  
 ظِلَّهُ أَيَّمَا أَنْبَعَثَ ، وَالْتَقِطُ لَفْظُهُ كَلِمًا نَفَثَ ، إِلَى أَنْ عَرَاهُ مَرَضُ  
 امْتَدَّ مَدَاهُ ، وَعَرَقَتْهُ مَدَاهُ ، حَتَّى كَادَ يَسْلُبُهُ الْمَعْيَا ، وَيُسْلِمُهُ إِلَى  
 أَبِي يَحْيَى .

\* \* \*

قوله : « أقدمت مَهْرِيًّا » ، أي ركبت بهيرامنسوبا إلى مَهْرَةَ ، قبيلة من قضاة ،  
 بليلهم أنجب الإبل ، زعموا أنه كان يلقحها الوحش ، وهي إبل متوحشة

صفار بيض ، تكون بين عُمان والشَّحْر ، وتزعم العرب انها لابل الجن لسرعتها ،  
فبقيت أنسأها في بنى مَهْرَة . قال أبو عبيدة : للهرية من الإبل تسير أربعمائة  
ميل كل يوم ، ثم نسبت العرب إلى مَهْرَة كل بدير نجيب .

اعتقلت : حبست ، والاعتقال : أن تحبس الرَّمح بين ركابك وسائك .  
تلفظني : ترميني . رفع : مرتفع : خفض : منخفض . يجذبني : يسوقني لنفسه .  
نفضاً على نفض : هزبل على هزبل ؛ وأخذ هذا اللفظ من قول أبي الشيص  
يصف شدة السر :

أَكَلَّ الوجيفُ لحومهم ولحومها      فأتوك أُنقاضاً على أُنقاضٍ  
ولقد أتتك على الزمان سوا خطأ      فرجعنَ عنك وهنَّ عنه رَوَاضِي

وقال حبيب في معناه :

وركب يساقون الرِّكاب زجاجة      من السَّير لم تقصد لها كَفُّ قاطبٍ<sup>(١)</sup>  
وقدأكلوا منها النوارب بالسرى      وصارت لها أشباحهم كالنوارب

ولحبيب أيضاً :

وركب كأمثال الأسنَّة عرسوا      على مثلها والليلُ تسطو كواكبُه<sup>(٢)</sup>  
على كلِّ روادٍ المِلاط تهدمت      عريكته للعلياء وانضمَّ جانبُه<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٤١ ، والقاطب : مازج الماء .

(٢) ديوانه ٤٤ ، وفيه : « غياحه » وبمده هناك

لأمير عليهم أن تيمَّ صدوره وليس عليهم أن تيمَّ عواقبه

(٣) رواد : يذهب ويحيى ، والملاط : رأس الكتف . عريكته : سنامه .



رعته للفياني بعدما كان حقةً رعاها ، وماء المزن ينهل ساكبه<sup>(١)</sup>

فكم جزم وادِجِبْ ذِرْوَةَ غَارِبٍ وبالأمس كانت أتمكته مذائبه<sup>(٢)</sup>

قوله : « أنخت » بركت . معناها : موضع سكنها . نويت : قصدت . جرائى صدرى ، والجريان : باطن عنق البعير ، يقول : لما أخذ نصيباً في مرعاها ، أضمر أن يقيم بها رينما يأتي أرضه المطر . الجباد : التي لا مطر فيها . تتمهد : تتفقد وتزور . المهاد . كثرة المطر .

وتمخضت المعنى بالنوم ، إذا خالطها ودب فيها ، وتمخضت المرأة : أضرب بها وجع الولادة ، وتقول : تمخضت المرأة عن زوجها إذا حملت بالولد عنه ، وتمخضت بولدها إذا تحركت به ودنت ولادتها ، وإذا استمر هذا المعنى ليلة صار تمخضها عن اليوم للسابق لها ، كأن اليوم أتى في الليلة ما كان فيه من الحيوان فتحركت به ؛ فيريد أنه لم ينقض يومى الذى وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل في ليلتي ، ولأجل هذا قال قبل هذا : تمخضت معاتى بنومها ، أراد أنه لقيه قبل الليلة التي ينام فيها ، ولو قال : تمخضت بيومها للزم أن يكون اليوم الذى يأتي بعدها ، كأنها كانت تحمله فتلده إذا طلع صبحه من حيث أنه متصل بها ، ولو جعلت « عن » بمعنى الباء لاقاب إلى هذا للمعنى ، وإتماد الكلام على صحة المعنى الأول ، وأصله التمشخض بالتحريك ، ومنه : مخضت الابن مخضاً ، حركته لإخراج زبده ، ومخضت المرأة وتمخضت : تحرك ولدها ليخرج ، ثم يستمر ذلك للأيام وغيرها ، فأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان في النعمان :

أجدك هل رأيت أبا قبيسٍ أطال بقاءه النعم للتركام

(١) الديوان : « وماء الروض » .

(٢) الجذع : منطف الوادى . جب : قطع . أتمكته : أسمنته . المناب : مسابيل الماء .

تمخضت المنون له بيوم. أتى ، ولكلّ حاملته تمامُ  
 للنعم الركام : الإبل الكثيرة ، وصُفّر قابوس ، تصغير الترخيم ، وجعل  
 المنية حاملا باليوم الذي هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة ،  
 وقال حبيب في معناه :

حتى إذا مخض الله السنين لها مخض الحليبة كانت زُبْدَةَ الحُتْبِ (١)

فهذه استعارة من مخض اللبن ، أراد أن السنين تحركت لهذه البلدة، أي  
 كانت تمرّ عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزُبْدَة في حسنها ولذتها  
 فأكلوها باستباحة من فيها .

قوله : « ألفت » ، أي وجدت . يحول : يتصرف . أرجاء : نواحي .  
 يخبط : يسأل الناس ، وأصل الخبط نفض ورق الشجر ، يُنفض للإبل فيخزن  
 ثم يدق لها في زمن الشتاء ، ويبلّ بالماء فتعلمه ، ثم يستمار الخبط المعروف ، وقال  
 زهير بن أبي سلمى :

وليس مانع ذى قربى وذى نسب يوماً ولا مُنْذِراً من خابطٍ ورَقاً (٢)

يقال : خبطت الرجل ، أي سألته ، وخبط الرجل بالأمر : لم يهتد لصوابه ،  
 والبعير : ضرب بيده الأرض ، والشئ : ضربته ، والدابة الأرض : شدت  
 وطأها ، والشيطان الإنسان : صرعه .

قوله : « المصابين » أي الجانين . والمصيبين : الواجدين لما يطلبون ،  
 والمصيب أيضاً ضد الخطيء ، والمفعول مُصاب ، فيريد أنه يحول في نواحيها  
 مسرعاً كالخنون ، أو كالتيقن بوجود حاجته .

(١) ديوانه ٨ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

الدَّرَر : الجواهر ، والدَّرَر : اللبان ، أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به  
 للمطايا . قِدْحِي اللَّغْدُ ، أى سهمى المنفرد . توعدما : زوجا ، وأراد أنه كان منفردا  
 فصار بأبى زيد زوجا . انبعث : نهض وتوجه . نفث : نطق . عراه : قصده .  
 امتدَّ مداه ، أى طالت مدته . عرفته : أخذت لجه . مُدَاه : سكاكينه . بَسَلَهُ :  
 يتركه ، وأبو يحيى : كنية الموت ، وقد تقدم في المقامة قبل سهام أبى يحيى  
 مسددة نحوى .

[ ذكر ثواب المرضى ]

أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من  
 مات مريضاً مات شهيداً ، ووُتِيَ من فتحة القبر ، وغُدِي وَرَبِحَ عليه برزقه  
 من الجنة » .

وقال : « مرضى يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الصداق والحتى يصيب الإنسان وإن ذنوبه  
 مثل أحد فما يفارقه حتى لا يدمع من ذنوبه وزن خردلة » .

أنس رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المريض  
 إذا برى وصح من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء في صفاء لونها » .

فَوَجَدَتْ لِفَرْتٍ لُقْيَاهُ ، وَانْقِطَاعِ سُقْيَاهُ ، مَا يَجِدُهُ الْمُبْعَدُ عَنْ  
 مَرَامِهِ ، وَالْمُرْضَعُ عِنْدَ فِطَامِهِ ، ثُمَّ أَرْجِفَ بَأَن رَهْنَهُ قَدْ غَلِقَ ،  
 وَخَلَبَ الْحَامِ بِهِ قَدْ غَلِقَ ، فَغَلِقَ صَحْبُهُ لِإِرْجَافِ الْمَرْجِفِينَ ،  
 وَانْثَلَوْا إِلَى مَقْتَرِهِ مُوجِفِينَ :

حَيَارَى يَمِيدُ بِهِمْ شَجُومٌ      كَانَهُمْ ارْتَضَعُوا الْخَنْدَرِيسَا  
 أَسَالُوا الْأَمْزُوبَ وَعَطَّوْا الْجِيُوبَ      وَصَكَّوْا الْخُدُودَ وَشَجَّوْا الرِّهَوسَا  
 يَوَدُّونَ لَوْ سَالَتَهُ الْمُنُونُ      وَغَالَتِ نَفَاسَهُمْ وَالنَّفُوسَا

• • •

قوله: «سقياء»، أى فوائدہ التي كان يسقيه بها . مرامه : حاجته . فطامه :  
 قطعه عن الرضاع . أرجف : تحدث، والإرجاف : خوض الناس في اللقنة وحدث بها .  
 وغلق : كَفَّ، وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن لمن يمسك رهنه : إن لم أنك  
 إلى كذا فالرهن لك فإن أتاه بالدين بعد الأمد قال له : قد غلقت الرهن .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : « لا يفتق الرهن ، له غنمه وعليه غرّمه » .

الخلب : خضر الطائر الصائد . الحمام : المنون . ائثالوا . انصبوا واندفوا .  
 عقوته : موضعه وأصلها فناء الدار .

موجفين : مسرعين . حيارى : جمع حيزان ، والحيرة : التردد في الأمر  
 وعدم التهدي له ، قال الواثق :

لايك الشقم ولكن كان بي      وبنفسى وبأى وأبى<sup>(١)</sup>

فيل لى إنك صدّعت فإ      خالطت سمى حتى ديري<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

أنا مذ خبرت بالملية والله      عليل<sup>(٣)</sup>

ليت حماك بجسمى      ولك للسر الطويل

(١) المقدم ٢ : ٤٥٣ .

(٢) المقدم : « خالطت سمى حتى ديري » .

(٣) ديوان المعاني .

يميد : يميل . شجوم : حزنهم . الخندريس : الحجر . أسالوا الغروب :  
 أجروا الدموع ، والقربة : الفليضة من الدمع ، والجمع غروب : عطّوا : شقوا .  
 صكوا : لطموا : شجوا : جرحوا . بودون : يهتزون . سالتة : تركته وصالحته ،  
 وأصله الصلح . المنون : النية . غالت : أهلكت . نفائسهم : كرائم أموالهم .

### [ من أقوالهم في عيادة المريض ]

ونذكر هنا من الشعر ما يوافق هذا الموضع :

دخل أبو دَهان القيسي يوما على بعض الأمرء يعود ، فأنشده :  
 بأنفسنا لا بالطوارف والتلذذ نَقِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ السَّقَمِ أَوْ تَبْدِي (١)  
 بنا معشرَ المَوادِ ما بَكَ مِنْ أَدَى فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فِي وَحْدِي  
 ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعود ، فقال :

الله يدفعُ عن نفس الإمام لنا وَكُنَّا لِلْمَنَايَا دُونَهُ غَرَضُ (٢)  
 فليت أن الذي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ بِالْمَائِدِينَ جَمِيعًا لِأَبِي الْمَرَضِ  
 ففي الإمام لنا من غيره عِوَضٌ وليس في غيره مِنْهُ لَنَا عِوَضُ  
 وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

أعزُّ عَـ بَـ أَنْ أَرَاكَ عَلِيًّا أَوْ أَنْ يَكُونَ لَكَ السَّقَامُ نَزِيلًا (٣)  
 لوددتُ أَنِي مَالِكٌ إِسْلَامَتِي فَأَعِيرُهَا لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا  
 ففكرونَ تَبَقِي سَالِمًا لِسِلَامَتِي وَأَكُونَ مِمَّا قَدِ عَرَاكَ بِدِيلًا  
 هذا أخ لك يشتكى ما تشكى وكذا الخليل إذا أحبَّ خليلًا  
 هذا الشعر على فتوره شرف بمنصب قائله .

وكان المعتصم أميًا لأن أباه هارون الرشيد ندبه في صحفه لتعلم فسمعه

(١) المقد ٢ : ٤٥١ وما لا يحترى ، ديوانه ٨٥٦

(٢) المقد ٢ : ٤٥٢ :

(٣) المقد ٢ : ٤٤٩ .

يوما يقول- وقد مرّت به جنازة : ليقنّى مكانك ولا أرى هذا البلاء ، فقال له : لا أندبك إلى شيء تتمنى الموت من أجله ؛ فلماذا لم يكن له علم بالأدب كأخويه الأمين والمأمون .

ولأبي العباس المبرد :

يا عليلُ أفديك من ألم اللّيلة هل لي إلى اللقاء سبيلُ (١)  
إنّ يحلّ دونك الحجاب فما يُخبّج عني وبك اللّغنى والنّحول (٢)

ولأبي تمام في مالك بن طوق :

ألْبَسَكَ اللهُ مِنْهُ عَافِيَةً فِي نَوْمِكَ الْمَعْتَرَى وَفِي أَرْكَكَ (٣)  
يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقَامَ كَمَا أُخْرِجَ ذِمُّ الْفَعَالِ مِنْ خُلُقِكَ

ولابن عبد ربه :

يَا مَنْ عَلَيهِ حِجَابٌ مِنْ جَلَالَتِهِ وَإِنْ بَدَا لَكَ يَوْمًا غَيْرٌ مَحْجُوبٌ (٤)  
مَا أَنْتَ وَحْدَكَ مَكْسُورًا ثِيَابَ ضَيْئِي بَلْ كُنَّا لَكَ مِنْ مُضَيِّئِي وَمَشْجُوبِي  
أَلْقَى عَلَيْكَ يَدًا لِلضَّرِّ كَاشِفَةً كَشَفَ ضُرِّيَّيَ اللهُ أَيُّوبَ

\* \* \*

قال الراوى : وَكُنْتُ فِي مَنِّ النَّفِّ بِأَصْحَابِهِ ، وَأَعْدْتُ إِلَى بَابِهِ ، فَلَمْ  
انتهينا إلى فنائه ، وتصديتنا لاستنشاء أنبائه ، برز إلينا فتاه ، مفترّة  
شفتاه ، فاستطاعنا طلع الشيع في شكاته ، وَكُنْهُ قُوَى حَرَكَاتِهِ ،

(١) المقد ٢ : ٤٥١ .

(٢) ديوانه ٢١١ المقد ٢ : ٤٥٢ ، وقبله فيهما :

كَمْ لَوْعَةٍ لِلنَّدَى وَكَمْ قَلْبِي لِلْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ فِي قَلْبِكَ

(٣) المقد ٢ : ٤٥٤ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

فقال : قد كان في قبضة المرضة ، وَعَزَّكَ الوَعْكَ ، إلى أن شَفَّه الدَّفْ .  
 واستشفَّه التَّلَف ، ثمَّ منَّ الله تعالى بتقوية دَمَائِهِ ، فأفاقَ مِنْ إغمائه .  
 فارجعوا أدراجكم ، وانضُّوا انزعاجكم ، فكانَ قد غَدَا وَرَاح ،  
 وساقاكم الرِّاح . فأعظمتنا بُشْرَاه ، وأفترحنَا أن نراه ، فدخل مؤذنا  
 بنا ، ثمَّ خرَّج آذنا لنا ، فملقينا منه لَقَى ، ولساننا طلقا ، وجلسنا  
 مُحْدِقِينَ بسريره ، مُحْدِقِينَ إلى أساريه .

\* \* \*

قوله : «أغد» ، أى أسرع . تصدينا : تمرُّنا . الاستنشاء : الاستطلاع .  
 أنبائه : أخباره . برز : خرج . مفترّة : ضاحكة . استطلعناه : سأله أن  
 يُطلِّقنا . طلع الشيخ في شكاته : خبر مرضه . كُفَّه : حقيقته . عزَّكَ الوَعْكَ :  
 شدة الرضة ، وعركتُ الشيء : دلَّكته بيديك وحككته ، ووعكته الحُتى :  
 كسرتَه . وشَفَّه الدَّفْ : أضعفه للرض ونقص جسمه استشفَّه : استقصى بقية  
 قوته . دَمَائِهِ : قوى نفسه إغمائه : ذهاب عقله من الضعف . ارجعوا أدراجكم ،  
 أى في الطريق الذى جئتم فيه . انضُّوا انزعاجكم ، أى أزيلوا زعجكم وطيشكم ،  
 والانعجاج : ضد القرار . أعظمتنا بشراه ، أى وجدنا ما بشرنا به عظيما ، والبشارة  
 بكسر الباء : ما بُشِّرَتْ به ، والبشارة بضمها : ما يُعطَى على البشارة . والبشارة  
 بفتحها : الجمال ، وفلان بشير الوجه ، أى حسنه ، وعند أكثرهم أن لفظ « بشرته »  
 لا يستعمل إلا في الإخبار في الخير ، وليس كذلك ، بل يستعمل في الخير والشر  
 قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والعلّة في ذلك أن البشارة إنما سميت  
 بذلك لاستبانة تأثير خبرها في بشرّة مَنْ بُشِّرَ بها ، وقد تغيّر للبشرة للساءة

(١) سورة التوبة ٢٤ .

بالمكروه ، كما تتغير عند المسرة بالحبوب ، إلا أنه إذا أُطلق لفظها وقع على الخير ؛ كما أن الندارة يُطلق لفظها في الشر ، وهذا ذكره الحريري في الدرّة قال ابن عُرَيْز: للبشرى: والبشارة إخبار بما يسر ، قال تعالى : ﴿لحم البشرى﴾ (١).

اقترحنا : طلبنا ، واقترح للشيء : فعلمته قبل أن يفعل . مؤذناً : معلماً .  
أقمى : طريماً . طلقاً : فصيحاً . محدقين : محلّقين ، وأحدق القوم بالشيء إذا أحاطوا به واحتقوا حوْلَه . وحدقوا ، أى نظروا إليه نظراً شديداً ، فهم محدقون إليه ، أى ناظرون ، والحدقة : سواد للمعين الأعظم . والأسارير : تكاسير جلد الوجه .



### [ نبذ من الأقوال المأثورة في عيادة المريض ]

أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضاً فجلس عنده قدر ساعة ، أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يمضيه فيها طرفة عين » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عيادة المريض إذا دخلت عليه ، أن تضع يدك على رأسه وتقول : كيف أصبحت ؟ أو كيف أمسيت ؟ وإذا دخلت عليه تقدمتلك الرحمة ، وإذا خرجت من عنده خضتها مقبلاً ومدبراً » - وأوماً بيديه إلى حقويه .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عاد المريض خاض الرحمة ، فإذا جلس عنده انغمس فيها » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخلتم على مريض فنفسوا عليه

(١) سورة يونس آية ٦٤ .

( ٢٤ - شرح مقامات الحريري ج ٢ )



في أجله ، فإن ذلك لا يرد شيئاً وهو يطيب نفس المريض (١) .  
نفسوا : وسعوا عليه بطول عمره (٢)

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان بعوده فقال له : لولا أن سرورك  
ما يتم بأن تسلم وأسلم أنا ، لدعوت ربي أن يعصرف مابك إلى ؛ ولكن أسأل  
الله لك أيها الأمير للعافية ، ولي في كنفك النعمة . فضحك وأمر له بمال فخرج  
وهو يقول :

ونمود سيدنا بسيد غيرنا ليت التشكى كان بالعواد (٣)  
لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادي  
وكتب آخر إلى عليل :

تبت أنك معتل قلت لهم نفسي الفداء له من كل مخدور (٤)  
باليت علة ، غير أن له أجر العليل وأني غير ماجور

\* \* \*

فقلّب طرفه في الجماعة ، ثم قال : اجتمعوا بذت الساعة ،  
وأشد :

عافاني الله وشكراً له من علة نادت تمعيني  
ومن بالبره على أنه لأبد من حنف سيبريني  
ما يتناساني ، وآكته إلى تقضى الأكل ينسديني

(١) نقله في الجامع الصغير ١ : ٣٩ .

(٢) المقدم ٢ : ٤٤٨ .

(٣) المقدم ٢ : ٤٤٨ .

(٤) المقدم ٢ : ٤٨ .

إِنْ حُمِّ لَمْ يُغْنِ حَمِيمٌ وَلَا حَمِي كَلْبِيٍّ مِنْهُ يَحْمِينِي  
 وَمَا أَبَالِي إِنْ دَنَا يَوْمُهُ أَمْ أُخَّرَ الْحَيْنُ إِلَى حِينِ  
 فَأَيْ فُخِرَ فِي حَيَاةِ أَرَى فِيهَا التَّبْلَايَا نَمَّ تَبْلِينِي

\* \* \*

قوله : قلب طرفه ، أى حول عينيه بنظرهم . اجتلوا : انظروا ، ونسب  
 للشمر لساعة لما قيل فيها . عاناني : أى سلّني . تعفيني : تهاكني . من : أنعم .  
 حنّف : هلاك . تقضى الأكل : تمامه وآخره . يُنسي : يؤخّرني ، والأصل  
 الممزة فسّله للشمر . حُمّ : قدر . حميم : صاحب .

[ ذكر حمي كليب ]

حمي كليب ؛ هو ابن ربيعة أخو مهلهل للشاعر وخال امرئ القيس ،  
 وكان أعزّ الناس في العرب . وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جرّو كلب ، فإذا نزل  
 بمنزل فيه كلاً قذف ذلك الجرّو فيه ، فعوى فحيثما بلغ عواؤه لا يرعى أحد  
 عشب ذلك الموضع إلا بإذنه ، وإذا جلس لا يمرُّ أحد بين يديه إلا جلالاً له ،  
 ولا يُخشي أحد في مجلسه غيره ، ولا توقد نارٌ غير ناره ، ولا يُجبرُ تغلّبي  
 ولا بكرى رجلاً ، ولا يحمي حمي ولا يُغير إلا بإذنه .

وكان يحمي الصيد فيقول : صيّد كذا في جوارى ، فلا يصيب أحد منه  
 شيئاً ، وكان قد حمي حمي لا يطؤه إنسان ولا بهيمة ، فدخل فيه يوماً فطارت قبرة  
 بين يديه من كلّ بيضها ، فقال لها :

يَا لِكِ مِنْ قُنْبَرَةٍ بِمَقْمَرٍ خَلَا لِكَ الْجَوَّ فَبِيضِي وَاصْفَرِّي

\* وَتَرَى مَا شِئْتَ أَنْ تَنْفَرِي \*

وكانت امرأته جليمة بنت مرة بن شيبان ، وكان لمرّة - وهو من بني بكر -

عشرة من الولد ، منهم الحارث وجساس ونضله وهمام ، فجاءت جساساً خالة له اسمها اللبسوس ، التي يقال فيها : أشام من اللبسوس ، فنزلت عليه ، ولها ابن وناقاة تسمى سراب ، بفصيل لها ، فدخل الحمي يوماً ، فوجد بيض القنبرة قد وطمئت سراب فكسرتة ، فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس ، فقال : أو قد بلغ من قدره أن يجير دون إذني يا غلام ، ارم خمرها ، فخرقه بسهم ، وقتل فصيلها ، ثم طرد إبل جساس ، ونفاها عن المياه ، عن شبيث والأحص ( غديرين ) حتى بلغ غدير الذئاب فجاء جساس ، فقال : نفيت عن المياه مالي ، حتى كدت تهلكه ا فقال : إنما لليام شاكلون ، فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها ، فقال : أو قد ذكرتها ! أما إنني لو وجدتني في غير إبل مرة استحللت تلك الإبل لها ، فطاف عليه جساس فرسه ، فطعنه ، فلما أحس الموت ، قال : يا جساس ، اسقي ماء . فقال : تجاوزت شبيثاً والأحص ، واحتز رأسه ، وأمال يديه ، وجاء . فقالت أخته لأبيها : إن جساساً جاء خارجة ركتماء ، قال أبوها : والله ما خرجت إلا لأمر . فلما وصله قال : ما وراءك يا بني ؟ قال : طعنت طعنة لتشفلن شيوخ وائل رقصاً . قال : قتلت كليبا ؟ قال : نعم ، قال : وددت أنك وأخوتك ميثم قبل هذا ، ما بنا إلا أن نقشام بنا وائل ، ثم لقي أخاه نضله فقال :

وإني قد جنيت عليك حرباً      تفصُّ الشيوخ بالماء القراح<sup>(١)</sup>

فأجابه أخوه نضلة :

(١) الخبر في الميداني ١ : ٣٧٥ ، برواية مخالفة ، وفيه . « وأقبل جساس يركض حتى هجم على قومه ، فنظر إليه أبوه وركبته بادية إن حوله فقال : لقد أتاكم جساس بدهاية ، قالوا : ومن أين تعرف ذلك ؟ قال : لظهور ركبته ؛ فإني لأعلم أنها بدت قبل يومها ثم . قال : ما وراءك يا جساس ؟ فقال : والله لقد طعنت طعنة لتجمعن منها عجائز وائل رقصاً ، قال : وما هي ثم كانتك أمك ا فقال : قتلت كليبا ، قال أبوه : بدس لعمر الله ما جنيت على قومك ، فقال جساس :

تأهبْ عنك أهبة ذى امتناع      فإن الأمر جلّ عن التلاحي =

فإن تك قد جنبت على حرباً فلا وان ولارث السلاح  
 وكان أخوه همام قد آخى مهلهلاً أخا كليب ، وعاهده ألا يكتمه شيئاً ،  
 فجاءته أمة له ، وعنده مهلهل ، فأمرت إليه الخبر ، فقال له مهلهل : ما قالت لك  
 أمتك ؟ فقال : زعمت أن أخى جساساً قتل كليياً ، فقال : است أخيك أضيع  
 من ذلك . وتمثل القوم ، وغدا مهلهل في ثأر أخيه بالخيل ، واجتمعت أشراف  
 تغلب ، وأتوا مرة ، فتكلموا معه في الإقصاص من جساس وإخوته ، فذهب  
 مرة إلى الدية ، ففضبت تغلب ووقعت في الحرب ، فدامت بينهم أربعين عاماً .  
 وكان فيما بينهم خمس وقائع : أولها يوم عُدْبِزَة وآخرها قتل جساس ،  
 وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للدائم قالوا لأخته : رحلي جلييلة عن مأمك ، فإن  
 قيامها شمانة بنا ، وعار علينا ، فقالت لها : اخرجي يهذه من مأمنا ، فإنك شقيقة  
 قاتلنا ، فلما رحلت قالت أخت كليب : رحلة المعتدى ، وفراق الشامت ! وبل  
 غداً لآل مرة ، من السكرة بعد للسكرة .

فلما بلغ ذلك جلييلة قالت : وكيف تشمت الحرّة بهتك سترها ، وترقب  
 وترها ! أسعد الله جدّ أختي ، أفلا قالت : فقرة الحياء ، وخوف الاعتداء !  
 وجاءت وهي حامل ، فولدت غلاماً وسمته بالمجرس ، ورباه جساس ،  
 فكان لا يعرف أباً غيره ، فزوجه ابنته ، فوقع بينه وبين بكرى كلام ، فقال  
 له البكرى : ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك . فأمسك عنه ، ودخل إلى أمه  
 فسألها فأخبرته ، فلما أوصى إلى فراشه ، وضع أنفه بين ندى زوجته ، وتنفس  
 = فإني قد جنبت عليك حرباً تفصّ الشيخ بالماء القراح .  
 فأجابه أبوه :

فإني قد جنبت عليك حرباً تفصّ الشيخ بالماء القراح .  
 سألبس ثوبها وأذب عني بها يوم المذقة والفضاح .

تنفيسةً تنفط<sup>(١)</sup> ما بين ثدييها من حرارتها ، فقامت الجارية فرجةً ، فدخلت إلى أبيها فأعلمته ، قال : نائر ورب الكعبة .

فلما أصبح أرسل وراء الهجرس ، فأناه فقال له : إنما أنت ولدى ومعى ، وقد كانت الحرب في أهلك زماناً طويلاً حتى كدنا تنفاني ، وقد اصطلحنا الآن ، فانطلق معى حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا ، قال : نعم ، ولكن مثل لا يأتي قومَه إلا بسلاحه ، فأتيا جمعاً من قومهما ، فقص عليهم جتاس ما كانوا فيه من البلاء ، وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ، فلما قدّموا للمقد أخذ بوسط رجمه ، وقال : وفرسى وأذنيه ، ورعى ونصاليه ، وسبني وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر<sup>(٢)</sup> إليه . ثم طمن جتاساً فقتله ، ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم .

وقد قيل في صورة قتل كليب غير ما ذكرنا ، وحكايات الجاهلية كثيرة . الاضطراب ، وقد نسب شعر القنبرة لطرفة .

وقال النابغة الجعديّ وذكر قتل كليب وحذر به عقلاً المعيل :

كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً	وأبصرَ حزمًا منك ضُرِّجَ بالدمِ <sup>(٣)</sup>
رمى ضرع نابٍ فاستمرّ بطمنه	كعاشية البرد اليماني للسهام <sup>(٤)</sup>
فقال لجساس : أغثنى بشرية	تُدارك بها منّا على وأنعم <sup>(٥)</sup>
فقال : تجاوزت الأحصن وماءه	وبطن شبيث وهو ذو مترسّم

(١) تنفط : احترق . (٢) ب : « ينظر » .

(٣) ديوانه ١٤٣ وفيه : « وأيسر جرماً » .

(٤) اللناب : الناقة المسنة . والمسهام : المخطوط بصور على شكل السهام .

(٥) الديوان : « تمن بها فضلا على وأنعم » .

الترسم : اتباع الماء في قعر البئر ، يقول : أرى افتخار في حياة تعرض  
على فيها الامتحانات ، ثم بعد هذه المشقات تردني إلى الكبر والشيخوخة ؛  
فلم أبال ، أدنا الموت أم تأخر ، إذ المآل إلى اللهم للقائد إلى الموت . وأشار  
بهذا إلى قول النمر بن قُؤَلَب (١) :

يودّ الفتى طولَ السلامة جاهداً فكيف ترى طولَ السلامة بفعل !  
وإلى قول حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحبةٍ وحسبك داءً أن تصحّ ونسلاً  
وجاء : كفى بالسلامة داء .

وجاء في أجر البلاء قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليصيبه البلاء حتى  
يمشي في الناس ما له خطيئة » .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الهوى  
والبلاء والشهوة معجونة بطينة آدم » .



قال : فدعونا له بامتدادِ الأجلِ ، وارتدادِ الوَجَلِ ، ثمّ تداعيناً  
إلى القيامِ ، لا تقاه الإبرام ، فقال : كلاً بل البثوا بياضَ يومِكم عندي ،  
لتشققوا بالمفاكهةِ وجدي ، فإن مناجاتكم قوتُ نفسي ، وميناطيسُ  
أنسي . فتحرّينا مرضاتهُ ، وتعاميناً معاصاتهُ ، وأقبلنا على الحديثِ  
نخضُ زُبده ، ونُلني زُبده ، إلى أن حانَ وقتَ التميلِ ، وكتلتِ

الْأَلْسُنُ مِنَ الْقَالِ وَالْقِيلِ . وَكَانَ يَوْمًا حَامِي الْوَدِيقَةِ ، يَأْرِنَعُ الْحَدِيقَةَ ،  
فَقَالَ : إِنَّ النَّعَاسَ قَدْ أَمَالَ الْأَعْنَاقَ ، وَرَاوَدَ الْأَمَاقَ ، وَهُوَ خَفِصٌ  
أَلْدُ ، وَخِطْبٌ لَا يُرَدُّ ؛ وَفَصَلُّوا حَبْلَهُ بِالْقَيْلُولَةِ ، وَاقْتَدُوا فِيهِ بِالْآثَارِ  
الْمُنْقُولَةِ .

\*\*\*

قوله ارتداد الوجلي ، أي إزالة الخوف . واتفاء الإبرام : خشية التثقيب .

\*\*\*

[ ذكر تخفيف العيادة ]

قال مضمهم :

إِذَا مَا عُدْتَ مَحْمُومًا تَخَفْ فَتَخْفِيفُ الْعِيَادَةِ خَيْرُ عَادَةٍ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْفُوا لِلْعِيَادَةِ ، وَأَقْلُوا الْجُلُوسَ ؛  
وَالْتَعَزَّيَةَ يَوْمًا » .

أبو القاسم الوزير بن عيسى ، قال : أنشدني أبو بكر أحمد بن موسى  
ابن مجاهد ، وقد جئته عائدا ، وأطال قوم عنده الجلوس ، فقال لي : يا أبا القاسم ،  
عيادة ثم ماذا ؟ فصرفت من حضر ، ثم هممت بالانصراف معهم ، فأمرني  
بالرجوع ، ثم أنشدني عن محمد بن الجهم :

لَا تُضْجِرَنَّ مَرِيضًا جِئْتَ عَائِدَهُ      إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ لِمُرِّ يَوْمَيْنِ  
وَسَلَّهُ عَنْ حَالِهِ ، وَادْعُ إِلَالَهُ لَهُ      وَاقْتَدِ بِقَدْرِ فَوَاقٍ بَيْنَ حَالَيْنِ  
مَنْ زَارَ غَيْبًا إِذَا دَامَتْ مَوَدَّتُهُ      وَكَانَ ذَلِكَ صِلَاحًا لِلْخَلِيلَيْنِ

وقال آخر :

عيادة للراء يوم بعد يومينِ وجلسةٌ لك مثل الآحظ بالعين<sup>(١)</sup>  
 لا تُبرمنَ مريضاً في مُساءلة يكفيك من ذلك نَسْأَلُ بحرفينِ  
 مرض<sup>(٢)</sup> يحيى بن خالد ، فكان إسماعيل بن صبيح إذا دخل عليه يعودُه  
 وقف عند رأسه ، ودعا له ، ثم يخرج ويسأل الحاجبَ عن منامه وطعامه  
 وشرابه . فلما أفاق قال : ما عادني إلا إسماعيل بن صبيح ، ودعا له .  
 ومَن زاد على التخميف فقطع الزيارة عبيد الله بن عبد الله بن ظاهر ، مرض  
 أخوه محمد بن عبد الله فلم يمهده عبيد الله ، فكتب له محمد :

إني وجدتُ على جفنا      ثك من فمالك شاهدًا<sup>(٣)</sup>  
 إني اعتلتُ فما وجدُ      تُ سوى رسولك عائداً<sup>(٤)</sup>  
 ولو اعتلتَ فلم أجِد      سبباً إليك مساعدًا  
 لاستشمرتُ عيني الكرى      حتى أعودك راقداً

فأجابه عبيد الله أخوه :

كجيت مقلتي بشوك القنادِ      لم أذق مذحمت طعم الرقادِ  
 يا أخي الحافظ المودة والنما<sup>(٥)</sup>      زل من مقلتي مكان السواد  
 منعتني عليك رقة قلبي      من دخولي عليك في العوادِ

(١) المقد ٢ : ٤٥٠ . وفيه : « يوم بين يومين » .

(٢) الخبر في المقد ٢ : ٤٥١ .

(٣) المقد ٢ : ٤٥١ .

(٤) المقد : « فا فقدت سوى رسولك » .

(٥) المقد : « البازل المودة » .



لو بأذني سمعت منك أُنينًا لفتري من الأئين فؤادي  
ومرض حماد عَجْرَد ، فعاده أصحابه إلا مطيع بن إبّاس ، وكان خاصًا به ،  
فكتب إليه يقول :

كفناك عيادتي من كان يرجو ثواب الله في صِلَّةِ المريضِ  
فإنَّ تجدثُ لك الأيامُ سقمًا يحول جريضُهُ دونَ القريضِ  
يكن طولُ التأوّه منكَ عندِي بمنزلةِ اللّطنين من البعوضِ  
فما نفسِي عليكُ تذوبُ حُرْنًا وما دمعي عليكُ بمسقيضِ

ولحمد بن عبد الله في محبوب له مرض :

ألبسك الله منه عافيةً تمنيك عن دعوتي وعن جدِّك  
سقمك ذا لامة عرضتْ بل سقم عينيك دبّ في جسّدك  
فيامريض الجفون أخي فتى قتلتّه بالجفون لا بيدك

وقال آخر في محبوب له تركت الحتمي على فيه أثرًا :

يا أملي كيف أنت من الملك وكيف ما اشتكيه من سقمك  
هذان يومان لي أعدما مذلم تلخ لي برؤوق مبتسمك  
حسدت حماك حين قيل لنا بأنها قبلك فوق فك

وقال العباس بن الأحنف :

قالت : مرضت فمدتها فتبرّمتْ وهي الصحيحة والمريضُ العائدُ<sup>(١)</sup>  
والله لو أنّ القلوب كقلبا ما رقّ لالود الضعيف الوالد<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه ٨١ .

(٢) الديوان : « لالود الصغير » .

قوله : «البثوا» ، أى أقيموا . بياض بومكم ، أى طوله ، وبياض النهار : ضوءه : مناجاتكم : محادثكم .

مغناطيس ، حجر يجلب الحديد تقول له العامة حجر المس . تحرّينا ، أى قصدنا . تحامينا : تباعدنا . نمخّض زبده : نحرك ونجمّع فوائده ، وكفى بالزبد ، وهو جمع زبدة عن خيار الكلام . نلنى زبده : نترك ما لا خير فيه ، وزبد الماء : ما يعلوه من الرغوة . المقييل : النوم فى وقت القائلة . حامى الوديقة : شديد الحرّ . يانع الحديقة : ناعم الرّوضة ، والحديقة كلّ بستان محاقّ بمحاط أو زرب . راود : طأب . الآماق : العيون ، وأصله طرف العين من جهة الأنف . وانحطّب : من يخطب المرأة . والقيولة : الرقاد فى القائلة . والآثار : الأحاديث .



### [ نبذ مما قيل فى القيولة ]

قلنا وقال : يقال : قال يقيل قيولة ومقيلا : نام نصف النهار .

أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم « ثلاث من ضبطهن ضبط الصوم : من تسعّر ، وقال ، وشرب بدم ماياً كل » .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيلولوا فإن الشياطين لا تقيل » . ودخل العباس على ابنه وهو مضطجع ، فضربه برجله ، وقال : قم لا نامت عيناك ! تنام فى ساعة يقسم فيها الرزق ! وإنما النوم على إحدى خصال : خرق أو حق ، أو خلق ، فنومة الحق بدم المصّر ، لا بنامها إلا سكران أو شيطان ، ونومة الخرق نومة الصبح ، ونومة الخلق نصف النهار » .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استعينوا بقيولة النهار على قيام الليل ، وبالسحور على صيام النهار .

قال الراوى : فاتبعنا ما قال ، وقلنا وقال . فضرب الله على الآذان ،  
وأفرغ السنّة فى الأجران ؛ حتى خرجنا من حكم الوجود ، وصرفنا  
بالمجود عن السجود ، فما استيقظنا إلا والحرّ قد باخ ، واليوم قد شاخ ،  
فتكرّرتنا لصلاة العجمائين ، وأدينا ما حلّ من الدين .

ثم تمحّشنا للإرتحال ، إلى ملقى الرّحال ، فالتفت أبو زيد إلى  
شبهه ، وكان على شأ كلّيه وشكّله ، وقال : إني لإخال أبا عمرة ،  
قد أضرّم فى أحشائهم الجمرّة ، فاستدع أبا جامع ، فإنه بشرى كلّ  
جائع ، وأزديفه بأبى نعيم ، الصّابِر على كلّ ضمير ، ثمّ عزّز بأبى حبيب  
المحبّب إلى كلّ حبيب ، المقلّب بين إحراق وتعذيب ، وأهب  
بأبى تقيف ، فحبّذا هو من أليف ، وهلمّ بأبى عون ، فما مثله من  
عون ، ولو استحضرت أبا جميل ، جمل أىّ جميل .

\*\*\*

قوله : « السنّة ، للنوم ، المجود : الرقاد . باخ : سكن حرّه . تمحّشنا ، أى  
تمحرّكنا . ملقى الرّحال : موضعها . شبهه : ولده . شاكلته : طريقته . شكّله :  
مثله ، وتكون للشاكلة والشكل واحداً وجمع الشكل أشكال وشكول .

إخال : أحسب ، وكنى الجوع أبا عمرة ، لأنه يعمر كلّ جوف ؛ قيل  
لمدنى : أتعرف أبا عمرة ؟ قال : كيف لا أعرفه وقد تربع فى كبدي .

وقال الراجز :

حَلَّ أَبُو عَمْرَةَ وَسَطَ حُجْرَتِي وَحَلَّ نَسَحَ الْعَنْكَبُوتَ بُرْمَتِي

أضرم : أوقد ، وكفى الخوان - وهو المائدة - أبا جامع للاجتماع حوله للأكل . وأردفه : جيء به خلفه ، وكفى الخواري ، وهو الدرملك أبا نعيم ، لأن خبزها أنعم الأخباز وأصفاها .

للضم : الأذل ، وجهه صابرا على كل ذل ، لأنه لا يصل منه صورة البر إلى الخبز إلا بعد علاج شديد ، وتغيير له من حال إلى حال .

وفسر معنى أبي حبيب بقوله : الحطب إلى كل لبيب . وقوله : القلب بين إحراق وتعذيب ، يريد أن ما ولي من الجلدى النار وقت شبه احتراق ، وما لم يلها أدركه حرها فأنضجه وأسأل ودكك ، فذلك تعذيبه .

أهيب : ادعُ به وصيخ به .

وكفى الخلل أبا تقيف لأنه يتقف الطعام ، أى يحذقه فيطيب للأكل .

أليف : صاحب ، وإنما قال : فهذا هو من صاحب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « نعم الإدام الخلل » .

وكفى الملح أبا عون ، لأنه يُستمان به على أكل الطعام ، وطعام بلا ملح لا يؤكل ، وقد أشار إلى هذا بقوله : فامثله من عون .

وكفى البقل أبا جميل لأنه يحسن بمضرتة الإدام ويزينه ، أو لأنه يذهب بالجميل ، وهو ودك اللحم فيخف للأكل وقوله : لجمل أى تجميل ، أليق بالفسير الأول ، ولا يمنع من الثانى ؛ وحدث وائلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحضروا موائدكم للبقل فإنه مطردة للشيطان مع تسمية الله تعالى » .

أبو الفضل بن مالك : بمعنى البقل على المائدة فإذا رأيت السكباج نسيت البقل . للسكباج : لحم بخل، والسك بالفارسية، الخل، والباج اللحم، وسمى السكباج بأمة القرى لأنه من أجل أطمعتهم .

\* \* \*

وَحَى هَلْ بِأَمِّ الْقَرَى ، الْمَذَكَّرَةَ بِكِسْرَى ، وَلَا تَتَنَاسِ أُمَّ جَابِرٍ ،  
فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكِرٍ ، وَنَادِ أُمَّ الْفَرَجِ ، ثُمَّ افْتَكِ بِهَا وَلَا حَرَجِ ، وَاخْتِمِ  
بِأَبِي رَزِينِ ، فَهُوَ مَشْفَلَةٌ كُلِّ حَزِينِ ، وَإِنْ تَقَرَّنْ بِهِ أبا الْعَلَاءِ ، تَمَحُّ  
اسْمِكَ مِنَ الْبُخْلَاءِ . وَإِيَّاكَ وَاسْتِدْنَاءِ الْمُرْجَفِينِ ، قَبْلَ اسْتِقْلَالِ حُجُولِ  
الْبَيْنِ ، وَإِذَا نَزَعَ الْقَوْمُ عَنِ الْمِرَاسِ ، وَصَافَحُوا أبا إِيَّاسِ ، فَأَطِيفَ عَلَيْهِمْ  
أبا السَّرْوِ ، فَإِنَّهُ عُنْوَانُ السَّرْوِ .

\* \* \*

وأمة الشيء : معظمه وجايه ، ومنه أمة القرآن الحمد لله ، وأمة القرى مكة  
المشرفة ، وأمة الشيء أجله ، والقرى : طعام للضيف ، فكأنه قال : عَجَّلْ بطعام  
فاضل يقدم للضيف .

وكسرى ملك الفرس ، وجعلها تذكراً ، لأنه أول من صنعت له ،  
فاستعملها ، وأمر بإجادة الصنعة في طبخها ، وقيل : إن غيره طبخها واستعملها  
في زمن كسرى فنُسبت إليه .

وكنى الجوزابة بأمة الفرج ، وهي خبزة توضع في الثنور ويعلق عليها طير  
أو لحم ، فيسيلُ ودَّكه فيها ما دامت تطبخ ، فتفرج عنك همَّ الإدام فلا تحتاج  
إليه فهي خبزٌ بإدامه .

افتكّ بها ولا حرج ، أى كلّها ولا إثم عليك ، وإن كان اللفظ بعطيك  
جمعى آخر ، فالمراد به هذا .

وكفى الخبيصَ أبارزين لفضله فى الطعام وشرفه ورجحان ثمنه ، وجهه  
آخر ما يؤكل ، والرزين من الرّجال : الكثير الوقار ، وقرن به الفالودج ، لأنه  
نوع منه ؛ قال بعض الطنيلية : الحلواء مثل الملك ، يدخل بيتاً فيه قوم جلوس  
ليس فيه مقسع لأحد ، فإذا نظروا إلى الملك تضايقوا وأوسعوا له .

وكان عبد الله بن جدعان سيّداً شريفاً فى قريش ، فوفد على كسرى  
وأكل عنده الفالودج ، فسأله عنه فقيل له : هو الفالودج ، قال : وما هو ؟ قيل  
لباب البرّ مع عسل النحل ، فقال : ابئروا لى غلاماً يصنعه فأتوه به فابعاه ،  
وفدم مكة فصنع بها الفالودج ، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى :  
الآن أراد الفالودج ، فليحضر ! فكان فيمن حضر أمية بن أبى الصلت ، وكان  
يتدحه كثيراً فقال فيه :

لكلّ قبيلة رأسٍ وهاجٍ وأنت الرأسُ تقدّم كلّ هادى<sup>(١)</sup>  
له داعٍ بمكة مشمّلٍ وآخر فوق دارته ينادى  
إلى رُدجٍ من الشّيزى<sup>(٢)</sup> ملاء لباب البرّ يلبك بالشهاد

ولباب البرّ : خالص القمح ، ويسمى النّشا . يلبك : يخلط ، والشهاد : العسل ،  
والفالودج : الذى رأيت يسجلّماسة هو العسل والسمن يوضعان على القلار ،  
ثم يقدان بالنّشا ، ثم يلوّن الكلّ بالزعفران فيجى متعقّق الحرة ، فيقطع قطعاً

(١) ديوانه ٢٧ .

(٢) الشيزى : خصب أسود تتخذ منه القصاص والجفان ، والردج : الجفان الواسعة .

على قدر أكبر التمر ، وفي شكله ، ويؤتى به في الأعراس بعد الشواء ، ويؤتى بالخبيص آخرًا ، وخبيصهم في غابة البياض ليس كخبيص الأندلس ، ويُقرص قرصًا على قدر صفار الجبن ، فن رآها على بعد لم يشك أنها جبن . وبعد رجال المائدة ، ويؤتى بطبق كبير فيوضع بين أيديهم ، وأمام كل رجل قرصته ، فلا يكاد يكادها بالإكل لإفراط حلاوتها . وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق ؛ وكذا أكثر أحوالهم من مبانينهم وأشكال ديارهم وسطوحها ، واستعمال الإبل في السواقى والطواحين ، ودق القوى لملفها نعم ، وعلى أن للبربرية غالبية على أسنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيرًا من الفاظ أهل العراق ، يقولون لفرق الناس الشاسك ، وكذا تسمية أهل سجلماسة ، ويسمون للبرادة التي لشرب الماء بوقالا ، وكذا تسمية أهل سجلماسة ، وجمع البوقال بواقيل ، قال الحسن بن هانئ :

أضمرتُ للنيل هجرانا ومقايمةً إذ قيل لى إنما التماسح فى النيل  
فمن رأى النيل رأى للعين من كسبٍ فلا أرى النيل إلا فى البواقيل

وكان رأى التماسح أخذ رجلا ، فمجا النيل . والبرادة مقدم آنية من صخر ، فيها مخاطيف يعلق فيها البواقيل ، وترفع للهواء فيبرد فيها الماء .

قوله : المرجفين ، للطست والإبريق ، لأنّ لما عند أخذها صوتا ، بنقر أحدهما فى الآخر ، فكان ذلك للصوت يرجف ، أى يخبر بهما الطعام والحث على القيام .

أبو بكر الصغار : حضر مجنون بالكوفة طعام قوم ، فجلس يأكل ، فجعل للغلام يحرك اللطشت والإبريق ، فقال : من هذا الذى يرجف بنا قبل انقضاء عملنا ؟

بينما صُفِيْلِيَّ بِأَكْلِ ، سَمِعَ صَوْتَ دَقِّ الْأَسْبَانِ ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ فَقِيلَ لَهُ :  
أَلَا تَأْكُلُ ؟ قَالَ : حَتَّى يَسْكُنَ هَذَا الْإِرْجَافَ الَّذِي أَسْمَعُ .

وَقِيلَ لَطَفِيْلِيَّ : مِمَّ اصْفَرَّ وَجْهَكَ ؟ قَالَ : مِنْ فِتْرَةٍ بَيْنَ قَضَعَتَيْنِ ، مَخَافَةَ أَنْ  
تَكُونَ قَدْ فَنَيْتِ .

اسْتِقْلَالٌ : ارْتِفَاعٌ . حَوْلَ اللَّيْنِ ، أَيْ لِإِبْلِ الْفِرَاقِ ، وَيُرِيدُ بِهَا الْمَوَائِدَ  
لَأَنَّهَا إِذَا ارْتَفَعَتْ يَفْرُقُ أَهْلَ الْمَجْلِسِ ، فَيَقُولُ : إِيَّاكَ أَنْ تَقْرِبَهُمَا قَبْلَ أَنْ تَرْتَفِعَ  
الْمَوَائِدُ ، فَيَتَمَّ النَّاسُ لِلنَّسْلِ وَالْإِنْصِرَافِ ، فَإِنْ غَسَلْتَ الْأَيْدِيَّ وَالْمَوَائِدَ بَاقِيَةَ  
تَوَّامٍ أَنْ تَمَّ طَعَامًا يُسْتَأْنَفُ أَكْلُهُ

نَزَعٌ : زَالٌ وَتَدَحَّى . الْمِرَاسُ : غَسَلَ الْأَيْدِيَّ وَدَلَّكَ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ .

صَافِحُوا : بَاشَرُوا ، وَاللَّسُّوْلُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي السَّابِعَةِ .

أَطْفٌ : اجْعَلُهُ يَطُوفُ وَقَدْ بَيَّنَّ لِمَا كُنَاهُ أَبَا السَّرْوِ ، أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ السَّرْيِ  
مِنَ الرِّجَالِ ، وَعَنْوَانُ السَّرْوِ : دَلِيلُ الْمَرْوَةِ .

\* \* \*

قَالَ : فَفَقَّهَ ابْنَهُ لَطَائِفَ رَمُوزِهِ ، بِلَطَافَةِ تَمْيِيزِهِ ، فَطَافَ عَلَيْنَا بِالطَّبِيبَاتِ  
وَالطَّبِيبِ ، إِلَى أَنْ آذَنْتِ الشَّمْسُ بِالْمَغِيبِ . فَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى التَّوْدِيعِ ،  
قُلْنَا لَهُ : أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ الْبَدِيعِ ، كَيْفَ بَدَأَ صُبْحُهُ قَطْرِيْرًا ،  
وَمُسِيَّهُ مُسْتَنْبِرًا فَسَجَدَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ

لَا تَيَاسَنَّ عِنْدَ النَّوْبِ مِنْ فَرْجَةِ تَجَلُّو السُّكْرَبِ

فَكَلِّمْ سَمُومَ هَبِّ ثُمَّ جَرِّ نَسِيْمًا وَانْقَلِبْ

( ٢٥ - شرح مقامات الحريري ج ٢ )



وَسَحَابٍ مَكْرُوهٍ تَنْشَى فَاضْمَحَلَّ وَمَا سَكَبَ  
 وَدُخَانٍ خَطْبٍ خَيْفَ مِنْهُ فَا اسْتَبَانَ لَهُ لَهَبٌ  
 وَطَائِمًا طَلَمَ الْأَسَى وَعَلَى تَفِيئَتِهِ غَرَبٌ  
 فَاصْبِرْ إِذَا مَا نَابَ رَوْعٌ فَالزَّمانُ أَبُو الْعَجَبِ  
 وَتَرَجَّ مِنْ رَوْحِ الْإِلَهِ لَطَائِفًا لَا تُحْتَسَبُ  
 قال: فاستملمنا منه آياته الغرّ، ووالينا لله تعالى الشكر، وودّعناه  
 مسرورين ببرّته، مغمورين ببرّه :

قوله: « فقه »، أي فهم . لطائف : دقائق . رموزه : إشارات الخفية ،  
 والرمز : الإشارة بالشفهين أو الميئين . آذنت : أعلمت . أجمعنا : عزمنا .  
 الهديع : العجيب . قطيرا : مظلمًا ، ورجل قطير : شديد العبوس ، واقطر  
 النجوم : اشتدوا . الصبغ والمُسي : اسمان لوقت زوال الظلام والضياء . مستنيرا :  
 كثير للضوء .

والذوب : النوازل . فرجة : راحة . تجلو للكرب : تزيل الهموم ،  
 وأنشدوا في هذا المعنى :

لا تضيّقن في الأمور فقد تُكشِفَ غَمَاؤُهَا بغير احتيال<sup>(١)</sup>  
 رُبما تَكَرَّهُ النَّفوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ  
 كذا أنشدوه فرجة بالفتح ، والفرجة بالضم في الحائط وشبهه ، وبالفتح  
 في الأمر ، وانظر هذا البيت في الأربمين في أخبار [ أبي ] عمرو بن العلاء .  
 موم : ريح حارة . نسيما : ريحًا ليّنة . تنشى : ابتداء وظهور . اضمحَلَّ :

(١) البيتان في اللسان - فرج ونسبهما إلى أمية بن أبي الصلت .

زال . سكب : أمطر . خطاب : أمر شديد . لهب النار : اشتعالها بنور دخان ،  
وفي هذا المعنى قال أبو نواس :

خَفَضَ عَلَيْكَ وَلَا تَكُنْ قَلِقَ الْخَشَا      مِمَّا يَكُونُ وَعَلَهُ وَعَسَاءُ  
فَالدَّهْرُ أَقْصَرُ مُدَّةً مِمَّا تَرَى      وَعَسَاكَ أَنْ تُكْفَى الْفَى تَخْشَاءُ

وقال أيضا :

حَسَنَ الظَّنِّ بَيْنَ فِدَاؤِكَ      كُلِّ إِحْسَانٍ وَقَوِي أَوْدَاكَ  
إِنْ رُبَا كَانَ يَكْفِيكَ الِذَى      كَانَ بِالْأَمْسِ ، سِيَكْفِيكَ غَدَاكَ

الأمسى : الحزن . تفيئته ، أى حينه ، وقال الزبيرى فى الأبنية : جاء على  
تفيئة ذلك ، وتفيئة حينه ووقته . والروح . الرزق : والروح : السرور  
والفرح ، والروح : برود نسيم الراحه .

اللطائف : جمع لطيفة ، وهى رفق الله تعالى بمعباده وإحسانه إليهم ،  
واللطيف : الرفيق والحسن ، وأراد فى البيت : ارج فى شدائدك الله ، فله أطفاف  
كثيرة لا تحصى بالمدة ، فبعد العسر يسر .

• • •

[ نبذ من الأقوال الحكيمه فى الفرج بعد الشدة ]

وأشدا أبو حاتم فى معنى أبيات المقامة :

إِذَا اشْتَمَاتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ      وَضَاقَ لِسَابِهِ الصَّدْرِ الرَّحِيبُ  
وَوُطِّئَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَتِ      وَأُرْسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الْخَطُوبُ

ولم ترَ لانكشاف العُثرِ وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريبُ  
أُتاك على فُتوطٍ منه عَوثٌ يمنّ به اللطيف المستعجبُ  
وكلّ الحادّات إذا تفاهت فقرونٌ بها الفرجُ القريبُ

قال أبو بكر بن الأنباري : أنشدني إسماعيل القاضي :

لا تعينَ على النوائِبِ فالدهرُ يُرغمُ كلَّ عاتِبِ  
وإصبرِ عني حَدَثَانِهِ إن الأمورَ لها عواقِبِ  
ولكلِّ ضافيةٍ قذَى ولكلِّ خالصةٍ شوائِبِ  
كم فرجةٍ مطويةٍ لك بين أنفء النوائِبِ  
ومسرةٍ قد أقبلت من حيث تُنتظر المصائبِ

قال للقاضي رحمه الله : ما عرض لي ثم فادح ، فذكرت تلك الأبيات ،  
إلا رجوت من الله الفرج ، ثم تناولت عاقبة ما أحذره إلى فاتحة ما أوتر .

قال علي الكاتب : أصبحت يوماً مغموماً غملاً أعرف سببه ، فجاءني  
رحل بظلم حُوار وإذا فيه :

روح فؤادك بالضحى ترجم إلى روح وطيب  
لا تياسن وإن ألح الدهر من فرج قريب

قال : فزال غنى اللهم ، ووجدت طعم الفرج .

وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى قال : بث ليلةً بالهادية وحيداً مغموماً ،  
فلما انتهى الليل سمعت قائلاً يقول ولم أر شخصه :

فرج القضاء بكف من بفضائه نزل البلاء

واصبر فكل شديدة لا بدّ يتبعها رخاء

وقال آخر :

سوف تبلى كل جدّة وسيتقضى كلّ مدّة  
إنما الدهر عندنا وموارٍ مستردة  
شدة بمد رخاء ورخاء بمد شدة

وقال آخر :

خف إذا أصبحت ترجو وارح إن أصبحت خائف  
رُبّ مكروه مخوفٍ فيه لله لطائف

\* \* \*

قوله : استمليدا : كتبنا . الغرّ : الحسان . والينا . تابعنا . مغرورين :  
مغطين . برئه . إفاقته . برّه : إحسانه وإكرامه .  
وحبيل : قال ابن الأنباري : فيها ست لغات .

قال عبد الله بن مسعود . إذا ذكر الصالحون فخبلاً بمر ، ومعناه أقبلوا  
على ذكر عمر ، فتنون هلاً وتنصبه على المصدر ، كأنه قال : مرحباً به .  
الثاني : تفتح حتىّ وهل وتبنيها كخمسة عشر .

الثالث : تسكن هاء « هلا » هذه الشبهة لكثرة الحركات .

الرابع : حبيل بتسكينهما جميعاً كخبخ بنخ .

الخامس : حبيل إلى عمر : أي هلموا إلى ذكره .

السادس : حبيل على عمر : أي أقبلوا على ذكره .

## تفسير ألفاظ ما تضمنته هذه المقامة

من كلمات لنوبة وكفى طفيله وكفايات صوفية

قوله : ذات اللويم ، يعني به الزمان المتقدم ، ومثله ذات الزمن .

والسميرية : الرماح ، وفي تسميتها بذلك قولان : أحدهما أنها سميت بذلك لصلابتها ، من قولهم : اسمت الشيء ، إذا اشتد . وقيل لأنها منسوبة إلى سمير زوج رديثة ، وكانا جميعاً يهومان للرماح بسوق هجر فنُسبت إليهما .

وقوله : نقضاً على نقض : أى مهزولا على مهزول .

و « الجران » باطن العنق ، وقيل منه يعمل السباط .

وقوله : فضرب الله على الآذان ، أى أنامنا ، ومنه قوله عز وجل ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف ﴾ ، أى أنعام ، وقيل في تفسيره منعناهم السمع .

وقوله : تكررنا لصلاة المعجمائين ، أى غسلنا أكارعنا ، وهو كناية عن الضوء ، والمعجمان : صلاتا الظهر والعصر ، سُميّا بذلك لإسرار القراءة فيهما ، ومنه الحديث : « صلاة النهار عجماء » .

وقوله : همّ ، أى قل همّ ، وهي تأتي بمعنى هاتِ وبمعنى أقبل ، والأفصح أن يوحد لفظهما مع المذكر والمؤنث واللاتين والجمع ، وبه نطق القرآن في قوله تعالى : ﴿ والقاتلين لإخوانهم همّ لهمّ إنياء ﴾ ، ومن العرب من يقول للمذكر الواحد همّ ، واللاتين همّا ، وللجمع هموا ، وللمؤنث الواحد همتى واللاتين همّا ، وللجمع همّمن .

وقوله : حَيْهَل ، أى عَجَل وأسرع ، يقال : حى هل بفلان بنسكين للام

وفتحها ، وتنوينها وبإثبات النون معها ، ومعه قول ابن مسعود في عمر رضي  
الله عنه : إذا ذكر الصالحون حتى عملاً بعمر ، وفي حديث لقات آخر أضر بها  
عن ذكرها ، إذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها .

فهذا تفسير الألفاظ اللغوية .

وأما تفسير الكنى للطفيلية والسكنايات الصرفية :

فأبو يحيى ، كنية الموت

وأبو عمرة : كنية الجوع ، ويكنى أيضاً أبامالك .

وأبو جامع : الخوان .

وأبو نعيم : الخبز الحواري .

وأبو حبيب : الجدى .

وأبو ثقيف : الخلل .

وأبو عون : الملح .

وأبو جميل : البقل .

وأم القرى : السكباج .

وأم جابر : اللهريسة .

وأم الفرج : الجوذاب .

وأبو رزين : الخبيص .

وأبو القلاء : الثناوذيق « كذا في الأصل » .

وأبو إياس : الفسول .

والمرجان : الطست والأبريق . وأبو المرو . البخور .

## المتمامة العِشرون وهى الفارقة

حكى الحارث بن همام قال : يَمَمْتُ مَيَّا فَارِثِينَ ، مع رُقَّةٍ  
 موافقين ، لا يُمَارُونَ فى المُنَاجَاةِ ، ولا يَدْرُونَ مَا طَعَمُ المُدَاجَاةِ ،  
 فَكُنْتُ بِهِمْ كَمَنْ لَمْ يَرَمْ عَن وَجَارِهِ ، ولا ظَمَنَ عَن أَيْفِهِ  
 وَجَارِهِ . فَلَمَّا أَتَخْنَا بِهَا مَطَايَا التَّسْيَارِ ، وَانْتَقَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ إِلَى  
 الأَوْكَارِ ، تَوَاصَيْنَا بِتَذْكَارِ الصُّعْبَةِ ، وَتَنَاهَيْنَا عَنِ التَّقَاطُعِ فى  
 الغزبة ، رَاتَخَذْنَا نَادِيًا نَمْتَرُهُ طَرْفَى النَّهَارِ ، وَنَهَادَى فِيهِ طَرْفَ  
 الأَخْبَارِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ بِهِ فى بَعْضِ الأَيَّامِ ، وَقَدِ انْتَضَمْنَا فى سِلَاحِ  
 الأَلْتِمَامِ ، وَقَفَ عَلَيْنَا ذُو مِقْوَلِ جَرِيٍّ ، وَجَرَسِ جَهْوَرِيٍّ ،  
 فَحَيَّا تَحِيَّةَ نَفَاقٍ فى المَقْدِ ، قَنَاصِ لِلأَسَدِ وَالنَّقْدِ ،  
 ثم قال :

\* \* \*

يَمَمْتُ ، أى قصدت .

[ ذكر ميفارقين ]

ميفارقين ، بلدة منها إلى نصيبين ثلاثون فرسخا ، وميفارقين بدمار بكر ،  
 وهى من كور الجزيرة ، وكان تملكها سيف الدولة ، وذكرها المتنبى ، وقال :

نجانفَ عن ذات اليمين كأنها ترقى لميَّا فارتين وزحم<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٣ : ٣٥٨ .

الفنجديهي : سميتُ بعضَ الأدياءِ بقول : سُميت ميفارقيين ، لأنَّ ذا الرِّمَّةِ  
أو غيره من المشاق ، لو وصل إليها بالاتِّفاق ، وشاهد وجوه أهلها الملاح ،  
والعيون السقيمة الصَّحاح ، وعابن رشاقة للتدود ، ولباقة الخلدود ، وسواد  
الطَّرَر ، وبياض الثُّرر ، وسمرة الشَّفاء اللمس ، وحمرة الوجنات والجباه المُس ،  
لقال لصاحبه : مَيافارقبني ، ولا ترانقبني ، فلا يجوز التميم مع وجود المساء ،  
ولا حاجة إلى الدواء بعد البرء والشفاء .



قوله : « يمارون » أي يجادلون ولا يخالفون . المنجاة : الحادثة . المداجاة :  
المسيرة بالعداوة . لم يرم : لم يزل . يقال ماراضى ولا يرمى ، أي لم يبرح عى  
ولا زال ، ولا يقال إلاّ منفيًا وجاره : لده ، وأصله الجحر : ظمن : رحل .  
أليفه : صاحبه . الأكوار : الرجال . الأوكار : البيوت ، يريد أنهم أتوا  
سفرم وبلغوا الوطن ، فتركوا النقلة وأقاموا في البيوت . تناهينا : نهى بعضنا  
بعضًا . ناديا : مجلسًا . نتمره طرفي النهار ، أي نجلس فيه بالندوة والعشى .  
طُرِف : غرائب . السلك : خيط للنظام . واتظمتنا : اجتمعنا فيه . الالتئام :  
الاتفاق ، يقال : اسان جرىء مقدم على الكلام . جرس : صوت . جهورى :  
عالٍ . نقاش : ساحر ، والمُقد : ما يعقدها السحرة وينفثون عليها بالبصاق .  
فقص : صائد . التَّقَد : غم صفار .



عِنْدِي ياقوم حديثٌ عَجِيبٌ      فِيهِ اعْتِبَارٌ لِلْيَبِ الْأَرِيبِ  
رَأَيْتُ فِي رِيْعَانِ عُمْرَى أَخَا      بَأْسٍ لَهُ حَدُّ الْحَسَامِ اتَّقْضِيبِ  
يُقَدِّمُ فِي الْمَرْكِ إِقْدَامَ مَنْ      يُوقِنُ بِالْفَتْكِ وَلَا يَسْتَرِيبِ



فَيُفْرِجُ الصِّيقَ بِكَرَاتِهِ      حَتَّى يَرَى مَا كَانَ ضَنْكَ رَحِيبٍ  
 مَا بَارَزَ الْأَقْرَانَ إِلَّا انْتَنَى      عَنْ مَوْقِفِ الطَّعْنِ بِرَمْحِ خَضِيبٍ  
 وَلَا سَمَا يَفْتَحُ مُسْتَضْعَبًا      مُسْتَغْلِقَ الْبَابِ مَتِينًا مَهِيبٍ  
 إِلَّا وَتُودِي حِينَ يَسْمُو لَهُ      نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ  
 هَذَا وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ بَاتَهَا      يَمِيسُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ  
 يَرْتَشِفُ الْغَيْدَةَ وَيَرْتَشِفُنْهُ      وَهُوَ لَدَى الْكُلِّ الْمَقْدَمِيِّ الْحَبِيبِ  
 فَلَمْ يَزَلْ يَبْتَنِزُهُ دَهْرُهُ      مَا فِيهِ مِنْ بَطْشٍ وَعُودِ صَلِيبِ  
 حَتَّى أَصَارَتْهُ اللَّيَالِي لَقَى      يَعَافُهُ مَنْ كَانَ مِنْهُ قَرِيبٌ  
 قَدْ أَعْجَزَ الرَّاقِيَ تَحْلِيلُ مَا      بِهِ مِنَ الدَّاءِ وَأَعْيَا الطَّيِّبِ  
 وَصَارَ الْبَيْضَ وَصَارَ مِنْهُ      مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الْمَجَابَ الْحَبِيبِ  
 وَأَضْ كَالْمَكْوِسِ فِي خَلْقِهِ      وَمَنْ يَعِشُ يَلْقَى دَوَاهِيَ الْمَشِيبِ  
 وَهَا هُوَ الْيَوْمَ مَسْجَى فَنٍ      يَرْغَبُ فِي تَكْفِينِ مَيْتِ قَرِيبِ

\* \* \*

والليب والأريب : كلاهما بمعنى العاقل . ريمان : أول . أبا بأس :  
 صاحب شدة . الحسام للفضيب : للسيف المقاطع . المعرك : موضع القتال ، وأراد  
 به فروج الأبقار . الفتك : ستمك الدم ، وهو أيضاً ركوب الرجل ما حم به .  
 كرات : دفعات ورجعات . ضنكا : ضيقا . رحيب : واسع . بارز : قاتل .  
 الأقران : الأمثال في الشدة وغيرها . انتنى : رجع . خضيب : مخضوب ،  
 يريد أيضا اقتضاض الأبقار . سما : ارتفع وقام . مبيع ، أى صعب ممنوع .  
 مهيب : مخوف . يميس : يتبختر . يرتشف : يقبل ويمس ويقهن . والترشف :

المص السكر . والزيد : جمع غنياء ، وهي الائمة المفاصل من الائمة ، وقيل : المائلة للعنق في نعمة . يبتزّه : يجرّده . والبطش : الفتوة والتناول الشديد . صليب : قوى شديد . لقي : طريحا . بمافه : يستنقله ويكرهه . تحليل : إذهاب وإزالة ، وتملأ الداء : ذهب شيئا فشيئا . أعيا : غلب . صارم : قاطع . للبيض : النساء الحسان . الحجاب : الذي تجيبه للنساء لحاجته منهن . والحجيب : الذي يجيبهن لحاجتهن منه . أض : رجع : المنكوس : الردود إلى حالته الأولى من الضعف ، وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ ، فردّه إلى الحالة الأولى ، وهذا هو التّكس في الخلق ، والتّكس في المرض أن يمرض ، ثم يبرأ ، ثم يمرض . والتّكس في السهام : أن ينكسر السهم ، فيجعل في الجعبة محولا الكسر إلى فوق ، فإذا أدخل الرامي يده في الجعبة ليأخذ سهما فوجده محولا تركه وأخذ غيره . دواهي المشيب : حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك .

ونذكر هنا من الأدب ما يليق بالموضع :

\*\*\*

### [ شكوى الضعف والسكر ]

دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثمانمائة سنة ، فقال : كهف تجدك يا مستوغر ؟ فقال : أجدني قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، وابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، ثم أنشأ يقول :

سَلَىٰ أُنْبُكَ بآيَاتِ السِّكْرِ نَوْمُ اللّٰشَاءِ وَسُمَالٌ بِالسَّحْرِ  
 وَقَلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ وَتَرْكُ الحَسَنَاءِ مِنْ قَبْلِ الظُّهْرِ  
 \* وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا تَبَلَى الشَّجَرُ \*

ثم قال : ألا أخبركم بحميد العنب ؟ هو ما زوى عمودُه ، واخضر عوده ،  
 وتفرق عقوده . ألا أخبركم بحميد الرُّطْب ؟ هو ما كبر لحاه ، وصغر نواه ،  
 ورق سحاه .

وفي الزبور : مَنْ يَبْلُغ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ .  
 وقال ابن أبي معن :

مَنْ عَاشَ أَخْلَقَتْ الأَيَّامُ جِدَّتَهُ وَخَانَهُ ثَقَبَاهُ السَّمْعُ وَالبَصَرُ  
 \* \* \*  
 قوله مسجى : أى مفضى .

\* \* \*

[ استطراد بذكر بعض الأفاكيه ]

ووصف في أوّل الشعر ذكره بالشدة وفي آخره باللين ، وأذكر من الصفتين  
 ما يكون من شرط ما ذكر .

حكى أبو زياد الكلّابى ، قال : كان عندنا أبو الغريب شيخاً فتزوج ولم  
 يُولم ، فاجتمعنا على باب خبائه فصحننا : أولم ولو يربوع ، أو بقرد مجذوع ،  
 فقلنا من الجوع : فأولم ، فلما عرس غدونا عليه قلنا :

يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْ أَبِي الغَرِيبِ إِذْ بَاتَ فِي مَجَاسِدِ وَطَيْبِ (١)

(١) ذيل زهر الآداب .

ممانكاً للشأ الرئيبِ أخذ الحفار في القليبِ

• أم كان رخواً يابس القضبِ •

فصاح : يابس القضب والله انم أنشأ يقول :

سقياً لهد خليلٍ كان يادم لي زادي ويذهب عن زوجاتي للغضبِ

كان الخليل فأضحى قد تمخونه مرُّ الزمان وتطماني به للثقبِ

باصح أبلغ ذوى الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنبِ

والقوافي وقتت في لفظ يمتوب موقوفة . وعرا الذنب : عروق الذكر .

وكان أبو الهيداء الأعرابي هنيئاً ، وكان يتجعد ويقول لقومه : زوجوني

امراتين ، فيقولون : أما في واحدة كفاية فيقول : أمالي فلا ، فزوجه أعرابية ،

وقالوا له : إن كنتك وإلا زوجناك الأخرى ، فدخل بها ، وأقام عليها أسبوعاً

فزاره إخوانته في اليوم السابع ، فقالوا له : يا أبا الهيداء ، ما كان من أمرك في

الأول ؟ فقال : عظيم جداً ، فقالوا : ففى اليوم الثانى ، فقال أعظم وأجل ،

قالوا : ففى اليوم الثالث ، قال : لا تسألوا ، فقالت امرأته من وراء الستر :

كان أبو الهيداء ينزو فى الوهق حتى إذا ما حل فى بيت أفق

فيه غزال حسن الدل خرق مarse حتى إذا ارفض المرق

• تكسر المفتاح وانسد التناق •

الوهق : حبل يفتح فيه عين واسمة تؤخذ بها الدابة ، والأفق الجيد .

وينزو : يمتد ويقصر .

وتزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع ، فمجز عنها فقال :

يا لثف نفسي على نعط فجت به حين التقي للرغب الخلق والرغب

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية ، فنظرها نظراً شديداً ،  
فقال له : مالك تنظر ، فوالله لو كان لي ألف حريم طيبت في واحد ، قال :  
ولم يا خلفاء ؟ قالت : لقبح منظرك وسوء مخيرك فيما أرى ، فقال لها : أما والله  
لو خبزتني لغير مخبري على منظرِي ، ثم كشف لها وأراها مثل ذراع البكر ،  
فكشفت له عن مثل سنام البعير ، فتسنمها ، وقال :

أدخلت فيها كذراع البكر مُدملج الرأس شديد الأمر  
زاد على شبر ونصف شبر كأنما أوجتته في بخر

وسمع بشار كلام امرأة ، فأحبها وأرسل لها أن توصله ، وألح عليها ،  
فقال لرسوله : أى معنى له في أولي فيه ، وهو أمي لا يراني ، فيعرف جمالي ،  
وهو قبيح الوجه لاحظ لي فيه ا فليت شعري لأى شيء يطالب وصال مثل ا  
فأدى إليه الرسول كلامها ، فقال عذ إليها فقل لها :

أيرى له فضل على آبارهم وإذا أشط سجدن غير أو ابى<sup>(١)</sup>  
تلقاه بعد ثلاث عشرة قائماً نظر المؤذن شك يوم سحاب  
وكان هامة رأسه بطيخة حملت إلى ملك بدجلة جاني

وعشق<sup>(٢)</sup> امرأة وتردد رسوله إليها حتى أبرمها ، فشكته إلى زوجها ،  
فقال : أجيبيه وعديه إلى هنا ، ففعلت ووجهت له ، فجاء ولم يعرف بزوجها ،  
فقال لها : ما اسمك بأبي أنت وأمي ا فقالت : أمامة ، فقال :

أمامة قد وُصفت لنا بحسن وإنما لا نراك فألسينا

(١) الاغانى ٣: ٢٠٢ ، وأشط : المنظ .

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٣ : ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

فوضعت يده على أير زوجها ، وقد أنعظ لحسن حديثها معه ، ففزع ووثب قائماً وقال :

على أئمة ما عشت حياً      أمسك طائفاً إلا بعود  
ولا أهدى لأرضٍ أنت فيها      سلام الله إلا من بعيد  
طلبت غنيمةً فوضعت كفي      على أيرٍ أشد من الحديد  
تغير منك من لا خير فيه      وخير من زيارتك قمودي

فقبض زوجها عليه ، وقال : همت أن أفضحك ، فقال : كفاي فديتك ما فعلت بي ، والله لا أعود لمثلها أبدا .

سمع<sup>(١)</sup> الحكم بن عبدل امرأة تتمثل بقوله :

وأعسر أحيانا فتشددت عسرتي      فأدركت ميسور الغنى ومسى عرضي

فقال لها : يا أختي ، أتعرفين قائل هذا للكلام؟ قالت : هو ابن عبدل ، قال :  
أفعر فينه عينا<sup>(٢)</sup>؟ فقالت : لا ، والله ، فقال : أنا هو ، والذي أقول :

وأعظ أحيانا فينقدت جلده      وأعدله جهدي فلا ينفع المذل  
وأزداد نطقاً حين أسمع جارتي      فأوثقه كي ما يثوب له عقل  
وربما لم أدر ما حيلتي به      إذا هو آذاني وغربه الجهل  
فأوبته في بطن جاري وجارتي      مكابرة قديماً<sup>(٣)</sup> وإن رغم الفعل

فقال المرأة : بش الجار والله للمغيبية أنت ، قال : إي والله ولاتي معها زوجها

(١) الخبر والشعر في الأغاني ٢ : ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٢) الأغاني : « أنتشبتينه معرفة » .

(٣) انقدم : الضى في الإقدام .

وابنهما وأخوها ، ابن قول هذا على إسلامه من قول عنتره على جاهليته :  
 وأغض طرفي ما بدت لي جارتى حتى يوارى جارتى ما وأها<sup>(١)</sup>  
 لاني أمرؤ سمنح الخليفة ماجدُ لا أتبع النفس اللجوج هَواها  
 وقال أبو الرقعتي<sup>(٢)</sup> :

كل يوم أنا من أبري في أمرٍ عجاب  
 ليس بخليفي من همٍ وحزنٍ واكتئاب  
 عينه في كل من دب على وجه اللئاب  
 لم يدع لي ذهاباً إلا رماه بالذهب  
 وابتدى المشؤم أن يتمل في بيع الثياب  
 لعنة الله عليهما وبراعيث الكلاب

وللمفجع البصري في ضدهما تقدم ، والمفجع صاحب ابن دريد ، وللقائم  
 مقامه بالبصرة في الإملاء :

لي أيز أراحنى الله مِنْهُ صارمى به عريضا طويلاً<sup>(٣)</sup>  
 نام إذ زارني الحبيب عناداً ولعمدي به بينك الرسولاً  
 حُسيبت زورة على إخيين وانصرفنا وما شفينا خليلاً  
 ولراشد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> :

طالبنا قت كالمفارة نهتز اهتزازاً تسمو إليه للمهون

(١) ديوان عنتره ٩١ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٦٩ ، وهو أحمد بن محمد الأنطاكي ؛ ترجم له الثعالبي وذكر كثيراً من شعره .

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٢٣٤ .

(٤) هو أبو حكيمه ، وفي ثمار القلوب ٣٢٥ وما بعدها بعض أخباره وشعره .

ربّ يوم رَفمتُ فيه ثيابي      فكأني في مشيتي مَخْتونُ  
 فحنتُ قوَسك الخُطوب وأفنته      لك فنونٌ تفتي عليها الفنونُ  
 لم يَدْعُ منك حادثُ الدهر إلا      جلدة كالرشاء فيها غضونُ  
 تلقى كأنها صولجانٌ      أو كما حُرقتُ من الخطّ نونُ

وله أيضا فيه :

كانه حين أطويه وأنشره      سير يُبَلِّغُ على دوامة الزبيقِ  
 وإن يغم قمت قناةً معنقة      أو عروة رُكبتُ في رأس إبريقِ

وله أيضا فيه :

أيزرٌ ضعيف المتن رثّ القوي      لو شئت أن أعهده لانسقد<sup>(١)</sup>  
 إن يُبْسِ كالبقلة في لونها      فطالما أصبح مثل الوتدِ

وله أيضا فيه :

ينام على كَفِّ الفتاة وتارة      له حركات ما يُحسُّ بها الكف<sup>(٢)</sup>  
 كما يرضع الفرخ ابن بومين رأسه      إلى أبويه ثم يُدركه الضئف

الفنجديهي : سمعت الحافظ أبا جعفر الروزي يقول : ما زحت شيخنا نجيب  
 ابن ميمون الواسطي يوماً - وكان شيخاً دمثاً ظريفاً - فقات له : أخبرني هل  
 بقي - من سلطان الهوى شيء ؟ وهل تقوم للخدمة العكازة الميمونية ؟ فقال :  
 آه آه ، ثم أنشد :

تَدَقُّ فوق الخُصبيّين كأنه      رَشّاً على رأس الركية ملغف<sup>(٣)</sup>

(١) لمار القلوب ٢١٦ .

(٢) لإسحاق بن راشد ، شرح المختار من شعر بشار ٢١٧ .

(٣) شرح المختار من شعر بشار ٢١٣ ، ونسبه إلى راشد بن إسحاق ، وما أيضا

في معاهد التنصيص ٣ : ١٩٧ .

(٢٦ - شرح مقامات لمبري ج ٢ )



كفرخ ابن ذى بومين يرفع رأسه إلى أبوبدر ثم يدركه للضعف  
وأنشد أيضاً :

يقوم في الليل عند اللبول منحنيًا كأنه قوس نذافٍ بلا وترٍ  
ولا يقوم إذا انتهت سحراً كما تقوم أبور للناس في السحر  
ثم بكى بكاءً شديداً ، وذكرنا ووعظنا .

وهذه الأبيات المنسوبة لراشد بن إسحاق كلها من قصائده مطولة في هذا  
الفن ، وأكثر شعره فيه ، وله فيه شعر كثير ؛ ومنه انزع الحريرى قصيدته في  
هذه المقامة .



ثم إنه أعلن بالنعيب ، وبكى بكاءً المحب على الحبيب . ولما  
رقات دمعته ، وانفثت لوعته ، قال : يانجعة الرواد ، وقُدوة  
الأجواد ، والله مانطقت بيهتان ، ولا أخبرتكم إلا عن عيان ،  
ولو كان في عصاى سَيْرٌ ، ولغيمى مطير ؛ لاستأثرت  
بما دعوتكم إليه ، ولما وقفت موقف الدال عليه ،  
ولكن كيف الطيران بلا جناح ، وهل على من لا يجد  
من جناح



قوله : « أعلن » أى رفع صوته . والنعيب : البكاء . وفي بكاء المحب على  
الحبيب يقول الشاعر وزاد معنى :

أتقى تؤنبنى فى الأيكاء فأهلاً بها وبأنيابها  
تقول وفى قولها حكمة . أتبكى بعين ترانى بها

قلت : إذا استعسنت غيركم أمرت الهكاه بقاديبها  
 قوله : رقأت ، أى انقطعت . انفتأت : انكسرت وسكنت . لوحته :  
 حرقتة . النجعة : المرعى . الرواد : اللطالون لها . بهتان : باطل . عيان : معاينة .  
 قوله : « فى عصاى سير » مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة .  
 والسير : للشارك يدخل فى ثقب فى رأس العصا ويمتد منه حلقة ، يدخل فيها يده  
 لئلا تمسك العصا ، فتكون أشد لاعتماده عليها ، وضربه بها ، فجعل عصاه  
 حاطلة من سيرها ، وهو يريد أن لا منفعة عنده .  
 وأنشدوا :

يا لك من همةٍ وخيزٍ لو كان لى فى عصاى سيرٌ  
 صبراً على اللنابات صبراً ما يصنع الله فهو خيزٌ  
 فن قليل بدا كثيره كم مطر بدؤه مطيزٌ

• • •

[ للعصا وما قيل فيها شعراً ونثراً ]

وذكر الجاحظ<sup>(١)</sup> فوائد العصا ، فمنها : سئل يونس عن قول الله عز وجل :  
 ﴿ وَإِى فِىهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾<sup>(٢)</sup> فقال : لست أحيط بجميع مآرب موسى ، لكنى  
 أذكر جملة تدخل فى باب الحاجة إليها :

من ذلك أنها تحسّل للحية والعقرب والذئب والفعل الهاج ، ويتوكأ عليها  
 الكبير والسقيم والأقطع والخطيب والأعرج ، فتنوب للأعرج عن ساق أخرى  
 [ وتنوب ]<sup>(٣)</sup> للأعمى عن قائده . وهى للقصار والذباغ . وهى المقاد<sup>(٤)</sup> لئلا تمسك  
 للثور ، ولذق الجصّ والسسم ، ولخبط للشجر ، وللشرطى والسكارى ، وللراعى

(١) البيان والتبيين ٣ : ٦٧ وما بعدها ، مع تزيّد واختصار

(٢) سورة طه ١٨

(٣) من البيان والتبيين .

(٤) المقاد : الحشبة التى يحرك بها الثور . والله : الرماد الحار الجمر

خفمه ، وللاراكب مركبه . ووتد في الحائط ، وتركزها فتجعلها قبة ، وإن شئت مظلة ، وتدخلها في عروة اللزود وطرفها في يدك ، والثاني في يد صاحبك ، وإن كان فيها زوج كانت عنزة ، فإن زدت شيئاً ، كانت حُكازاً ، فإن زدت شيئاً كانت مطرداً<sup>(١)</sup> ، وإن زدت شيئاً كانت ربحاً .

وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه في عصاه ، وكانت لانفارق يد سليمان عايه الصلاة والسلام في مقاماته ، حتى ساط الله الأرضة وهو ميت فسقط ، فكانت لاجن آية .

وكان الحكم بن عبدل أعرج أحذب هجاء خبيث الهجاء ، وكان الشمرء يقفون بأبواب الملوك فلا يؤذن لهم ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبحث بها ، فلا تؤخر له حاجة ، فقال يحيى بن نوفل :

عصا - كم في الباب أول داخل ونحن على الأبواب نتمص وتُحجَب<sup>(٢)</sup>  
وكانت عصا موسى لقرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجبُ  
تطاع فلا تمص ويحذر أمرها ويُرغب في الرضاة منها وتُرهبُ

فضحك الناس منها وشاعت بالسكوفة ، وصارت ضحكة ، فاجتنب أن يكتب عليها .

وكان لابن عبدل صديق أمي يقال له يحيى بن عُلَيَّة ، وكان ابن عبدل قد أقدم ، فخرجا ليلة إلى منزل بعض إخوانهما ، وابن عبدل يُحمل والأمي يقاد ، فلقبهما صاحب اللعس ، فأخذها وحبسهما ، فنظر ابن عبدل إلى عصا ابن علية في الحبس إلى جانب عصاه ، فضحك وقال :

حَبْسِي وَحَبْسِي أَيْ عُلَيَّة مِنْ أَعْجَابِ الزَّمَانِ<sup>(٣)</sup>

(١) المطرد : رمح قصير .

(٢) البيان والتبيين ٣ : ٧٥ ، الأغاني ٢ : ٤٠٤ .

(٣) الأغاني ٢ : ٤٠٥ .

أهـى بُقاد ومقعد<sup>٢</sup> لا الرُّجُل منه ولا الليدانِ  
 بأمن رأى ضَبَّ الفلانة قعيد موت<sup>(١)</sup> في مكانِ  
 طرفي وطرف أبي عُلَيَّة دَهْرًا مصادقانِ  
 من يفتخر بمجواده فيإادنا بُكَازتانِ

وقال أيضا: (٣)

أقول ليحى ليلة السجن سادرا<sup>(٣)</sup> ونوى به نوم الأسير المقيدِ  
 أعتى على حفظ النجوم ورعيها أعلك على تحبير شعرِ مقعدِ  
 ففي حالتينا عبدة وتفكر<sup>٤</sup> وأعجب من ذا حبس أهى ومقعدِ  
 كلانا إذا الكاز فارق كفه يُنيخ صريحا وعلى الكف يسجدِ  
 فمكازة تهدي إلى الشبل أكتما وأخرى مقام الرجل قامت مع اليدِ

وولى إشارة الكوفة أخرج وولى شرطتها أخرج ، فقصد الأمير ابنُ عهدل  
 وهو أخرج ، ووجد سائلا أخرج فقال: (٤)

أني المصاودع للتضامع والتميس<sup>(٥)</sup> حملا فهذى دوة المرَّجانِ  
 لأميرنا وأمير شرطتنا معاً ياقومنا لكليهما رجُلانِ  
 فإذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فإنَّ الرابع الشيطان<sup>(٦)</sup>  
 فبعث إليه الأمير بمائتي درهم فضة وسأله أن يكف .

وكثيراً ما تصرف للشعراء في ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم ،  
 فمنها ما يحسن ومنها ما يقيح . وقال ابن سارة :

ولى عصا من طريق الدم أحدها بها أقدم في تأخيرها قدي  
 كأنها وهى في كفى أهشُّ بها على ثمانين عاماً لا على خمسين

(٢) الأغانى ٢ : ٤٠٦ .

(١) الأغانى د قرين موت .

(٤) الأغانى ٢ : ٤٠٦ .

(٣) السادر : التصير .

(٦) في البيت لإواء

(٥) التضامع : النظاهر بالجم ، وهو المرج .

كَأَنِّي قَوْسٌ رَامٍ وَهِيَ لِي وَتَرٌّ أَرْمِي عَلَيْهَا سِهَامَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ .  
وقال أبو بكر اللبؤي :

كَأَنَّ يَجْنِي حِينَ حَاوَلْتُ بَسَطَهَا لَتُودِعَ الْإِنْفِ وَاللَّهُوِي بِصَرْفِ الدَّمْعَا  
يَمِينِ ابْنِ عِمْرَانَ وَقَدْ حَاوَلَ الْعَصَا وَقَدْ جَعَلْتَ تِلْكَ الْعَصَا حَيَّةً تَسْعَى

قال ابن رشيق : كنت أميل إلى قينة اسمها ليل ، فمشتها بعض خدام الحصون ، وكان يحسب خدمتها وكنسها منزله لا يثلم جاه مقولها فنهبتها عنها فلم ينقه ، فقلت فيه :

ظَنَّ أَنَّ الْحِصُونَ مُلْكٌ سَلِيمًا نَ وَلِيَّيْ بِجِهَلِهِ بَلْقَيْسَا  
وَهُ فِي الْعَصَا مَبْرَبٌ أُخْرَى حَاشَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ لِمُوسَى  
وقال الصابي :

يُبْدِي الْوِطَاءَ مَنَاطِقًا وَعِجَابَهُ أَبْدَأْ لِأَعْرَاضِ الْوَرَى بِسَهْدَفُ  
فَكَانَهُ نَعْبَانَ مُوسَى إِذْ غَدَا لِحِبَالِهِمْ وَعَصِيَّتِهِمْ يَتَلَفُ  
وقال الصاحب :

هَذَا ابْنُ مَثْوِيَّةَ لَهُ آيَةٌ يَبْتَلِعُ الْأَيْرَ وَأَنْصَى الْخَلَصَى  
يَكْفُرُ بِالرَّسْلِ جِهْمًا سَوَى مُوسَى بِنِ عِمْرَانَ لِأَجْلِ الْعَصَا

وقال أبو الفرج الأصبهاني في القاضى الأندنجي ، والنس منه عكازة فلم يعطها إياه :

اسْمِعْ حَدِيثِي تَسْمَعُ آيَةَ عَجَبَا لِأَشْيَاءَ أَعْجَبَ مِنْهُ يَبْهَرُ الْقِصَصَا  
طَلَبْتُ عَكَازَةَ لِالرَّجُلِ تَحْمَلُنِي وَرُمْتَهَا عِنْدَ مَنْ يَخْفَى الْعَصَا فَمَقَى  
وَكَلْتُ أَحْسَبُهُ يَهُوِي عَضَا عَصَبِي وَلَمْ أَكُنْ خَلَقْتُهُ صَبِيًّا بِكُلِّ عَصَا

ولما قدم قتيبة بن مسلم والياً على خراسان سقطت الخصره من يده ، فطير

به أهل خراسان ، فقال : يا أهل خراسان ليس كما ظننتم ، ولكن كما قال الشاعر :

فألت عصاها واستقت بها النوى      كما قرء عينا بالإبابِ المسافر<sup>(١)</sup>

وأما قول الشاعر :

ويكفيك الأبرحل الضيفُ لائماً      عصا للعبد والبهْرُ التي لأميها<sup>(٢)</sup>

قال يعقوب: البهر هنا حفرة تجمل فيها التلة، وتجمل عليها الخبزة، والمصا تقلب بها الخبزة على التلة، وينفض بها الرماد.

وقال آخر :

إذا جاء تصاف يجرُّ قذاتهُ      طوبيل للمصا نكبتة عن شهاها

فالتصاف الرسول بين المريب والمريبة، يأتي كالسائل، فإذا وقف تصاف الأرض بمصاه، فإذا سمعت المرأة ذلك خرجت إليه، فأبلغها الرسالة، فتفقه علامة بينهما، وأراد بالشيء للنساء.

قوله : « غيبي » ، أي سعابي . مُظير : تصغير مطر ، أي لو كان لي قوة ومال لآثرت بذلك نفسي . استأثرت : اختصمت . جناح : إثم .

\* \* \*

قال الراوي : فطفيق القومُ يأمرون فيما يأمرون ، ويتخافتون فيه يأتون ، فتوهم أنهم يتماثلون على صرْفِه بحِزْمَان ، أو مطالبته بِبِرْهَان ، ففرط منه أن قال : يا يلامع البقاع ، ويرامع البقاع ، ما هذا الازتياؤ ، الذي ياباه الحياء ، حتى

(١) الأسان - عصا ، ونسبه إلى عبد ربه السلمي

(٢) الأسان - عصا ، من غير نسبة

فَأَنْعَمَ كَلْفَتُمْ مَشَقَّةَ لاشَقَّةَ ، أَوْ اسْتَوْهَبْتُمْ بِلدَةً لَا بُرْدَةَ ،  
 أَوْ هَزَزْتُمْ لِكُسُوفِ الْبَيْتِ ، لَا لِتَكْفِينِ الْبَيْتِ ، أَفَ لِمَنْ  
 لَا تَنْدَى صَفَاتُهُ ، وَلَا تَرَشُّحُ حَصَانَتُهُ ।

فَلَمَّا بَصُرَتْ الْجَمَاعَةُ بِذَلَالَتِهِ ، وَمَرَارَةِ مَذَاقِنِهِ ، رَفَأَهُ كُلٌّ مِنْهُمْ  
 بِنَيْلِهِ ، وَاحْتَمَلَ طَلَّهُ خَوْفَ سَيْلِهِ .

\*\*\*

بَأْتَمُونَ : يَتَشَاوِرُونَ . يَتَخَافَتُونَ : يَتَكَلَّمُونَ سِرًّا . فَيَا بَاتُونَ ، أَيْ فِيمَا  
 يَفْعَلُونَ مَعَهُ . تَوْمٌ : ظَنٌّ . صَرْفَهُ . رَدَّهُ .

حِرْزَمَانٌ : خَيْبَةٌ . بُرْهَانٌ : حِجَّةٌ . فَرَطٌ : سَبَقٌ . بِلَامِعٌ : جَمْعٌ يَلْمَعُ وَهُوَ  
 السَّرَابُ . الْقَاعُ : مَنْخَفِضُ الْأَرْضِ . بَرَامِعٌ : جَمْعٌ بَرَمَعٍ وَهُوَ الْحَصَى الْبَيْضُ ،  
 وَقِيلَ الْحَجَارَةُ الرَّخْوَةُ .

الْبَيْقَاعُ : جَمْعٌ بَقْعَةٍ ، وَأَرَادَ أَنْ لَهَا ظَاهِرًا وَبِئْسَ لَهَا خَبْرَةٌ ، كَالسَّرَابِ يَحْتَمِلُ  
 أَنَّهُ مَاءٌ وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ ، وَالْبَرَمَعُ تَظَنُّهُ فِضَّةٌ وَهُوَ حَجَرٌ .

الْإِرْتِيَاءُ : تَدْبِيرُ الرَّأْيِ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ لِأَنَّهُ مِنَ الرَّأْيِ . اسْتَوْهَبْتُمْ : طَلَبْتُمْ  
 مِنْكُمْ هَبَةً . بَرْدَةٌ : ثَوْبٌ يَلْبَسُ . هَزَزْتُمْ : حَرَّكْتُمْ . الْبَيْتُ : السَّكْمَةُ .

أَفَ : خَيْبَةٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الصَّخْرَةَ وَالْحِصَانَةَ يَكْنَى بِهِمَا عَنِ يَدِ الْبُهْنِجِيلِ .  
 ذَلَالَتُهُ : حِدَّةٌ لِسَانِهِ . رَفَأَهُ : وَصَلَهُ . وَالطَّلُ وَالسَّيْلُ هُنَا : الْفَيْلُ وَالسَّكْمَةُ .

\*\*\*

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : وَكَانَ هَذَا السَّائِلُ وَاقِفًا خَلْفِي ،

ومعتجياً بظهرى عن طَرْفَى . فلَمَّا أَرْضَاهُ الْقَوْمَ بِسَيِّبِهِمْ ، وَحَقَّ  
 عَلَى النَّاسِ بِهِمْ ، خَلَجَتْ خَاتِمِي مِنْ خِنْصَرِي ، وَلَفْتُ بِبَصَرِي ،  
 فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ بِبَلَا قَرْيَةٍ وَلَا مِزْيَةٍ ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا  
 أَكْذُوبَةٌ تَكْذِبُهَا ، وَأَحْبُوبَةٌ نَصَبَهَا ، إِلَّا أَنِّي طَوَيْتُهُ عَلَى  
 غَرَمِهِ ، وَصُنْتُ شَفَاهُ عَنْ فَرِّهِ ، فَحَصَبْتُهُ بِالْحَاتِمِ ، وَقُلْتُ :  
 أَرْضِيدُهُ لِنَفَقَةِ الْمَاءِ تَمِّمْ ، فَقَالَ : وَاهَا لَكَ فَمَا أَضْرَمَ شَمْلَتِكَ ،  
 وَأَكْرَمَ فَمَلْتِكَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِسَمِي قُدَمَا ، وَيَهْرُولُ  
 هَزُولَتَهُ قُدَمَا .

\*\*\*

سَيِّبِهِمْ : عَطَاؤُهُمْ . وَحَقَّ : وَجِبَ . النَّاسِ : الْاِقْتِدَاءُ . خَلَجَتْ : جَذِبَتْ  
 وَأَخْرَجَتْ . الْخِنْصَرُ : الْأَصْفَرُ مِنَ الْأَصَابِعِ ، وَيَلْبَسُهَا الْبَهْمَرُ ثُمَّ الْوَسْطَى ثُمَّ  
 السَّبَابَةَ وَتَسْمَى السَّبِيعَةَ وَالشُّهْرَةَ ، ثُمَّ الْإِبْهَامَ ، وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ :

شَفَلْتُ مِنَ الْمَرْءِ مِنْ خَمْسَةِ ائْتِنْتَيْنِ نَخَصَمَا الْمَفْضَ (١)

يُشَارُ إِلَيْكَ بِسَبَابَةٍ وَتُنْفَى عَلَى فَضْلِكَ الْخِنْصَرُ  
 فَمَنْ أَجَلٌ ذَا رُفْعَةٍ هَذِهِ إِلَى خَالِقِ الْخَلْقِ تَسْتَغْفِرُ  
 وَمَنْ أَجَلٌ ذَا كَسَيْتٍ خَاتِمَا بَزِينٍ وَعُرِّيَّتِ الْبَهْمَرُ

وَقَالَ مَرْيَعُ النَّوَائِي يُلْفِزُ بِخَاتِمِ :

وَأَبْيَضَ أَمَّا رَأْسُهُ فَسُدُورٌ قَبِيٌّ وَأَمَّا جِسْمُهُ فَتَمَارٌ (٢)



ولم يُتَّخَذَ إِلَّا لِتَسْكُنَ وَسْطَهُ<sup>(١)</sup> خَضِيْبِيَّةُ رَأْسِ مَا عَلَيْهِ مُخَارُ  
لَهَا أُخْوَاتٌ أَرْبَعٌ مِنْ مِثْلِهَا وَلَكِنَّهَا الصَّفْرَى وَهِيَ كِبَارُ  
لَفْتٍ: رَدَدَتْ . فَرِيَّةٌ : كَذَبٌ . مَرِيَّةٌ : شَكٌّ ، وَتَقُولُ : بَيْنَ الْقَوْمِ أَكْذُوبَةٌ  
يَتَكَاذِبُونَ بِهَا ، أَيْ أَحَادِيثَ كَذَبٍ . تَكْذُوبُهَا : اسْتَفْعَلَهَا . أَحْبُولَةٌ : آلَةٌ بِصَادٍ  
بِهَا . وَطَوْبِقَتُهُ عَلَى غَرِّهِ ، أَيْ سَتَرَتْ عَلَيْهِ طَرِيقَتَهُ الْمَلْتَزِمَةَ مِنَ الْحَيْسَلِ ، وَالغَرَّ  
بِالنَّقْطِ : كَسُورِ الثُّوبِ ، يُقَالُ : اطْوَى الثُّوبَ عَلَى غَرِّهِ ، أَيْ عَلَى كَسُورِ طَيِّبِهِ الْأُولَى .  
جَابِرٌ : قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَيِّبِ الثُّوبَ رَاحَتَهُ » .  
صَنْتٌ : حَفِظَتْ وَكُتِمَتْ . شَفَاهُ : عَيَّبَهُ . فَرَّهُ : كَشَفَهُ . وَالشَّفَا : بَرُوزُ سِنِّ  
عَلَى أُخْوَاتِهَا ، وَخُرُوجُ الْحَنَكِ الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ .  
وَحَصْبَتُهُ : رَمِيَّتُهُ ، وَالْحَصْبَاءُ : الْحَصَى الصَّغِيرُ ، وَحَصْبَتُهُ : رَمِيَّتُهُ بِالْحَصْبَاءِ ،  
فَاسْتَعَارَهُ لِلخَاتَمِ .

أُرْصَدُهُ : أَعَدَّهُ . وَاهَاً : عَجَبًا . مَا أَضْرَمَ شِعْلَتَكَ ، أَيْ مَا أَكْبَرَ تَوَقُّدَ  
ذَهْنِكَ ، وَالشِّعْلَةُ لِسَانُ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ  
عَرَفَ مَكْرَهُ حِينَ قَالَ لَهُ : أُرْصَدُهُ ، ثُمَّ سَتَرَ عَلَيْهِ ، وَأَهْلُ الشَّرْقِ يَتَخَفَّمُونَ  
وَيَتَصَدَّقُونَ بِخَوَاتِمِهِمْ . وَفِي الْبَدِيْمِيَّةِ<sup>(٢)</sup> بَعْدَ تَشَكُّقِ تَقْدِمِ مَنْ أَبِي الْفَتْحِ : قَالَ  
ابْنُ هِشَامٍ : فَوَاللَّهِ مَا آتَسَنِي عَنْ وَحْدَتِي إِلَّا خَاتَمَ خَمِيَّتِ بِهِ خَنْصَرَهُ ،  
فَلَمَّا تَنَاولَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَمِنْطِقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاءِ حُسْنًا  
مِتَّالِفٍ مِنْ غَيْرِ أَسْرَرْتَهُ عَلَى الْأَيَّامِ خِدْنًا  
كَمَقِيمٍ لَقِيَ الْحَيْبِيبَ فَضَمَّهُ شَفْعًا وَحَزْنًا

(١) الديوان : « وما يشتري إلا لتسكن وسطه » .

(٢) اللقمة البغارية من مقامات البديع ٩٧ ، ٩٨ .

عَلِقَ سَيْئِي قَدْرَهُ لَكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى  
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفِظًا كُنْتَ مَعْنَى

قال: ففهمته حتى سمرت الخلوة وجهها، فإذا والله أبو الفتح، والطلا زغلوه<sup>(١)</sup>،  
فقلت أبا الفتح، شبت وشب الغلام، فأين الكلام، وأين السلام؟ فقال:  
غريباً إذا جمعنا الطريقُ ألوفاً إذا نظامنا الخيامُ  
قوله، بسمى، أى يسرع المشى. قَدْماً: أى قدامه وقبائه. يهرول:  
يسرع، والهرولة جرى بين المشى والعدو. قَدْماً، أى قديماً وأولاً، ومعناها  
كما فعل في أول مرة حين سعى قدماً.

\*\*\*

فَنَزَعْتُ إِلَى عِرْفَانِ مَيْتِهِ، وَأَمْتِحَانِ دَعْوَى حَمِيَّتِهِ، فَفَرَعْتُ  
خُتُبُوبِي، وَالْأَهْبَتُ الْهُوبِي، حَتَّى أَدْرَكْتُهُ عَلَى غَلْوَةٍ، وَاجْتَلَيْتُهُ  
فِي خَلْوَةٍ، فَأَخَذْتُ بِجُمُعِ أَرْدَانِهِ، وَعَقَّقْتُهُ عَنْ سَنَنِ مَيْدَانِهِ،  
وَقَلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَالِكِ مَنِي مَلْجَأٍ وَلَا مَنَجِي، أَوْ تَرِيْنِي مَيْتِكَ  
الْمُسْجِي، فَكَشَفَ عَنْ سَرَائِيلِهِ، وَأَشَارَ إِلَى غُرْمُولِهِ. فَقَلْتُ  
لَهُ: قَاتِلْكَ اللَّهُ إِمَّا أَلْعَبُكَ بِالنَّهْيِ، وَأُخِيْلَكَ عَلَى اللَّهِ هِيَ ائِمُّ  
عُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي عَوْدَ الرَّائِدِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَلَا يَبْرِقُش  
قَوْلَهُ، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِالَّذِي رَأَيْتُ وَمَا وَرَيْتُ وَلَا رَأَيْتُ، فَفَقَهُوْا  
مِنْ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَلَعَنُوا ذَلِكَ الْمَيْتَ ا

\*\*\*

(١) الطلا: ولد الطلية

نزعت : اشتقت . امتحان : تجربة . قرعت : ضربت . ظنبوب : مقدم  
عظم للساق ، ويقال : قرع لهذا الأمر ظنبوبه ، إذا أسرع وجد فيه ، ويبيته قول  
سلامة بن جندل :

كنا إذا ما أتاناً صارخ فزِعٌ كان للصراخ له قرعَ الظنابيبِ (١)  
أى كانت إغائتنا له إسرَاعنا في نصرته . ألهمت : أشعلت . الهوى : شدة  
جري . والفلوة : مقدار رمية للسهم . اجثلتُهُ : نظرتُهُ . بجمع أردانير ، أى  
بجميع أطراف ثوبه . عفته : صرفته عن وجهه . سنن : طريق . مَيَدانه : موضع  
جريه وطلقه . مَلجأهُ : موضع يُلجأ إليه . مَنجى : موضع تَدجو فيه . غُرْموله :  
ذِكْرُه . قاتلك الله ، أى قتلك الله ؛ وأكثر ما يقع فاعلت على الاثنين ،  
وقد يكون عن الواحد ، نحو ناولت وسافرت ؛ وقيل : معنى قاتله ، لعنه ، وقيل  
عاداه . اللغى : العقول ، واحداً هُنية ، ومنه نهيقُهُ عن كذا فانتهى . واللها :  
للطغايا ، واحداً كهوة ، وأصله القُبضة من الطعام ، تُجَعَل في فم الرِّحَا . يكذب :  
يحدث بالكذب : يُبْرِقش : يُزِين ، والبرقشة للترزين بألوان شتى . ورويت ،  
يقال : رويت الخبر أوريه تورية : سترته وأظهرت غيره ، وفي الحديث الشريف ،  
أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً ، ورى بغيره ، وهو مأخوذٌ من الورا ،  
كانه جعل الخبر ووراه ولم يُظهره . راءيت : استعملتُ الرِيا ، يريد أنه صرَّح  
لهم بذكر العورة ، ولم يُكِنَّ عنها . فقمتموا : أكثروا الضحك .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياك  
وكثرة الضحك فإنه يميت القلب » . والقمة من الشيطان والتبسم من الله .  
من كيت وكيت ، أى من هذه القصة التي أسممهم ؛ وكيت وكيت ، كناية  
عن الحديث المدمع المداخل . والله أعلم .

ثم الجزء الثانى بحمد الله وبلية الجزء الثالث

وأوله المقامة الحادية والعشرون

فهرست المقامات

صفحة	
٣ - ٣٠	المقامة الحادية عشرة وتعرف بالساوية، تتضمن وقوف أبي زيد بالمقابر واعظا
٣٤ - ١٠٥	المقامة الثانية عشرة وتعرف بالدمشقية، تتضمن كون أبي زيد خفيرا، وأنه خفر للقافلة بدعوات لقنها في المنام
١٠٦ - ١٣٠	المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية تتضمن كون أبي زيد مكديا ومعه صبيان، وهو في صفة عبوز
١٣١ - ١٤٩	المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالحجازية والمكيه تتضمن كون أبي زيد وابنه معدمين، يطلب هذا راحلة وهذا زادا
١٥٥ - ١٦٢	المقامة الخامسة عشرة وتعرف بالفرضية، تتضمن أن أبا زيد أنز عليه في مسألة فرضية فأخرج سرها
١٦٣ - ٢٣٢	المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية، تتضمن إلقاء أبي زيد على أهل المسجد بعض المسائل
٢٣٣ - ٢٦٣	المقامة السابعة عشرة وتعرف بالقهقرية، تتضمن الرسالة التي تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه
٢٦٤ - ٣٥٢	المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجارية تتضمن قصة أبي زيد مع جاره النمام
٣٥٤ - ٣٩١	المقامة التاسعة عشرة وتعرف بالنصيبية تتضمن كون أبي زيد مريضا وزيارة أصحابه له وكيف كنى لابنه الكنايات اللطيفية
٣٩٢ - ٤١٣	المقامة العشرون وتعرف بالفارسية، تتضمن طلب أبي زيد تكفن ميت، وكنى بكلامه من ذكره

## فهرس الموضوعات

صفحة	
١٠ — ٤	نبذ من الأقوال الحكيمة في المواظ
٣٥ — ٣٤	غوطة دمشق
٤٠ — ٣٨	باب جيرون
٥٥ — ٥٣	ضروب من الأدعية المأثورة
٦٢ — ٥٩	وصف بعض مجالس للشراب
٦٤ — ٦٢	مما قيل من الشعر في وصف الأزهار
٨٣ — ٦٧	مما ورد في النحر وللشرب من الشعر والحكايات
٩٢ — ٩١	ذكر للسقات
١٠٣—١٠٠	مما قيل في الخضاب
١١٠—١٠٦	الزوراء
١١١ ، ١١٠	وصف للشعراء
١١٤—١١١	مجلس للشعراء
١٢٢ ، ١٢١	أصل المثل : حال الجريص دون للقريص
١٤٠—١٣٨	حرفة الأدب
١٤٥ ، ١٤٤	من الأقوال الحكيمة في الشكر
١٤٦ ، ١٤٥	عرقوب المضروب به المثل
١٤٩—١٤٨	من أقوالهم في الحنين إلى الأوطان
١٥٩—١٥٨	الضب وبمض طباعه
١٦١—١٦٠	مقامة البديع الجماعية
١٦٤—١٦٣	أصل المثل : رب رمية من غير رام
١٧٠ — ١٦٩	أصل المثل : نجوم الحرة ولا تأكله بتديبها
١٧٧ — ١٧٣	مشاهير أهل الزرد

(\*) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الفرح .

١٨٥ — ١٨٤	مما قيل في شكر النعمة
١٨٨ — ١٨٦	البطنه وأقوالهم فيها
١٩٤ — ١٩٣	للتطفل وأصل اشتقاقه
٢٠٢ — ١٩٤	من أخبار الطفيليين
٢٠٨ — ٢٠٦	قصة أصحاب الكهف
٢١٤ — ٢١٢	مثل للتصحيح وقلب الكلام
٢١٦ — ٢١٥	من أقوالهم في اختيار الصديق
٢١٨ — ٢١٧	ذكر المرء والجدال وما يتولد منهما
٢٢١ ، ٢٢٠	ذكر سبحان وائل
٢٢٢	ذكر باقل
٢٢٤ — ٢٢٣	وصف الشمع
٢٣١ — ٢٢٩	نهد عما قيل في الزائر
٢٤٢ ، ٢٤١	عروة بن أذينة وهشام بن همد الملك
٢٥٨ ، ٢٥٧	مما قيل في السفر والاعتراب
٢٦٢ — ٢٥٩	ذكر سبأ وسد مأرب
٢٦٦ — ٢٦٤	ذكر الشام
٢٦٨ — ٢٦٧	بنو نمير
٢٦٩	سنجار
٢٧٢ — ٢٧٠	ذكر الحاضرة والبادية
٢٧٧ ، ٢٧٦	قصة ثمود
٢٧٩	المقامة المضربة للبديع
٢٨١ ، ٢٨٠	نهد من الأقوال الحكيمة في الجار
٢٨٢	مما قيل في المودة والإخاء
٢٨٨ — ٢٨٤	مما قيل في جمال المرأة
٢٩١ — ٢٨٩	ذكر بابل
٢٩٧ — ٢٩٣	أخبار معبد

صفحة	
٢٩٢ - ٣٠٧	ذكر إسحاق الموصلي
٣٠٨ - ٣١١	ذكر زناب الزامر
٣١١ - ٣١٣	ذكر سطیح
٣١٧ - ٣٢٢	تكملة قصة موسى
٣٢٣ - ٣٢٨	ذكر بعض حكايات الجاريات المعاديات
٣٢٨ - ٣٣٠	نبد من الأقوال الحكيمة في الوشاة وبعض حكاياتهم
٣٣١ ، ٣٣٢	من أقوال في التهنئة
٣٣٢ - ٣٣٤	نبد من أقوال العلماء في وصف الذهب والزجاج
٣٤٣ - ٣٤٥	من أقوالهم في الليل
٣٤٦ - ٣٤٩	ذكر هود عليه السلام وقومه
٣٥٣ ، ٣٥٤	ذكر مدينة نصيبين
٣٥٤ - ٣٥٧	ذكر أضرار مسنعة في أوصاف الرياض
٣٥٧ - ٣٦٠	فصل في ذكر ما يستحسن من أشعار الجاهلین
٣٦٤ - ٣٦٥	ذكر ثواب المرضى
٣٦٦ - ٣٦٧	من أقوالهم في عيادة المريض
٣٦٩ - ٣٧١	نبد من الأقوال المأثورة في عيادة المريض
٣٧١ - ٣٧٥	ذكر حمى كليب
٣٧٦ ، ٣٧٩	ذكر تخفيف العيادة
٣٧٩ ، ٣٨٠	نبد مما قيل في القيولة
٣٨٧ - ٣٨٩	نبد من الأقوال الحكيمة في الفرج بعد الشدة
٣٩٢ - ٣٩٣	ذكر ميافاارقین
٣٩٥ - ٣٩٦	شكوى الضعف والكبر
٣٩٦ - ٤٠٣	استطراد بذكر بعض الأفاكية
٤٠٣ - ٤٠٧	المصا وما قيل فيها شعرا ونثر

المسرة رفع هملا  
غزاة له لفلو الدير

شك

# مَقَامَاتُ الْحَبْرِيِّ

لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشيبلي

تمتبه  
محمد إبراهيم الفضل إبراهيم



المكتب العصري  
بيروت

الجزء الثالث

المسرة رفع هملا  
غزاة له لفلو الدير



# شرح مقامات الحريري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



الجزء الثالث

جامعة الكويت  
إدارة المكتبات - قسم التزويد العربي  
رقم التسجيل ١٣٦٧٢٢  
التاريخ ٩٨/٦/٨٨

المكتبة العصرية  
مستيداء بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

الملكيتة العصرية للطباعة والنشر

الذات النشرية الحديثة المطبعة العصرية للنشر

بكيروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تالكس ٤٩١٧٤٤

صعيدا - ص.ب ٢٤١ - تالكس ٤٩١٩٨٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الحادية والعشرون وهي الرازية

حَدَّثُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عُذِيتُ مُذْ أَحْكَمْتُ تَدْبِيرِي ،  
وَعَرَفْتُ قَبِيلِي مِنْ دَيْبِرِي ، بَأَنْ أُصْفِيَ إِلَى الْعِظَاتِ ، وَأُنْسِيَ  
الْكَلِمَ الْمُحْفِظَاتِ ، لِأَتَحَلَّى بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَأَتَخَلَّى بِمَمَّا  
يَسْمُ بِالْإِخْلَاقِ . وَمَا زَلْتُ أَخْذُ نَفْسِي بِهَذَا الْأَدَبِ ، وَأَخْذُ  
بِهِ جَمْرَةَ الْأَنْصَبِ ؛ حَتَّى صَارَ التَّطْبُوعُ فِيهِ طِبَاعًا ، وَالتَّكَلُّفُ  
لَهُ هَوًى مُطَاعًا .

عُذِيتُ ، أَي شغلت . أحكمت : أتقنت . قبيلي من ديبري ، أَي ما أقبلُ  
عليه من أمي وما أدبر عنه . ابن الأنباري : ما يعرف قبيلًا من دبير ، أَي  
ما يعرف الإقبال من الأدبار ، أَي ما يعرف ما أقبل به من القبل إلى الصدر  
مما أدبر عنه . وقيل : معناه : ما يعرف الشاة المقابلة من المدابرة ، والمقابلة التي شقَّ  
أذنها إلى قدام ، والمدابرة التي شقَّ أذنها من مؤخرها ، وترك ماقطع معلقًا إلى  
خلف لا يبين .

أُصْفِي : أميل . العِظَات : هي المواعظ . أُنْسِي : أترك . الكَلِم : جمع كلمة .  
المُحْفِظَات : المُغْضِبَات . أَتَحَلَّى : أَتَزَيَّنُ وَأَنْصَفُ . وَأَتَخَلَّى : أَزُولُ وَأَنْفَرُغُ ،  
وتخلت من كذا : تركته . يَسْمُ : يُجْعَلُ سِمَةً . الإخلاق : العيوب وتمزيق العِرض  
وأصله في الثوب . أَخْذُ : أُسْكِنُ .

## [ الطبع والتطبع ]

والتطبع له في الطبيعة أثر، وإن لم تذهب الطبيعة بالجملة، لأنه اتفقت العرب  
والجهم على قولهم: الطبع أملاك. وكان ملك من ملوك الفرس، له وزير  
مجرّب حازم، فكان يعرف اليمن في مشورته، فهلك وقام ابنه بعده، فلم يرفع  
به رأساً، فذُكر له مكانته من أبيه، فقال: كان أبي يغلط فيه، وسأريكم ذلك.  
فأحضره، وقال له: أيهما أغاب على الرجل؟ الأدب أو الطبيعة؟ فقال: الطبيعة  
لأنها أصل والأدب فرع، وكل فرع يرجع إلى أصله. فدعا الملك بسفرة فوضعت،  
وأقبلت سنانير بأيديها الشمع، فوقفت حول السفرة، فقال له: اعتبر خطأك وضعف  
مذهبك، متى كان أبو هذه السنانير شماعاً؟ فقال له: أمهاني في الجواب إلى الليلة  
المقبلة، فقال: لك ذلك. فخرج الوزير، وأمر غلامه أن يسوق له فأرة فساقها  
حيةً فربطها بخيط وعقدتها في سينية. فلما راح إلى الملك وضعها في كفه، ودخل  
فأحضر السفرة والسنانير ألقى لها الوزير الفأرة، فاستبتمت السنانير إليها، وتطاير  
الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم ناراً. فقال للملك: كيف رأيت غلبه  
الطبع للأدب! قال: صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه. وقال ذو الإصبع:

كل امرئ راجع يوماً لشميته وأن تخلق أخلاقاً إلى حين<sup>(١)</sup>

وقال المتنبي:

أبي خلق الدنيا حبيباً تديمه فإطابي منها حبيباً تردّه<sup>(٢)</sup>؟  
وأيسر مفعول فعلت تعبيراً تكلف شيء في طباعك ضده.

وقال العرجي:

بأيها المتحلي غير شيمته ومن شمائله التبديل والملق<sup>(٣)</sup>

(١) من مفضيلته ٣١ ص ١٦٣، وفيه: « صائر ». (٢) ديوانه ٢: ١٩.

(٣) ديوانه ٣٣، وفيه: « ومن شمائله الإقتصار ».

ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه<sup>(١)</sup> إنَّ التخلَّق يأتي دونه الخلقُ  
وقال المتنبي أيضاً :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل<sup>(٢)</sup>  
وقال الشريف :

هيئات لا تكلفن لي الهوى فضح التطبُّعُ شيمةَ المطبوع<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن طاهر الأندلسي :

تقل الطباع من الإنسان ممتنعٌ صعب إذا رامه من ليس من أربه  
يريد شيئاً وتأباه طباعه والطبُّع أملك للإنسان من أدبه  
فيريد أنه راض نفسه على اتباع الخيرو بعد الشر ، حتى انقادت له إلى ما يريد ،  
والتطبُّع استعمال غير مافي طبعمك ، والتكلف استعمال مالاتقدر عليه إلا بمشقة .

\*\*\*

فلَمَّا حَلَّتْ بِالرِّيِّ ، وَقَدْ حَلَّتْ حِبَابَ الرِّيِّ ، وَعَرَفْتُ  
الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ ، رَأَيْتُ بِهَا ذَاتَ بُكْرَةٍ ، زُمْرَةٌ فِي إِثْرِ زُمْرَةٍ ،  
وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ انْتِشَارَ الْجَرَادِ ، وَمُسْتَنْوُونَ اسْتِنَانَ الْجِيَادِ ،  
وَمُتَوَاصِفُونَ وَعِظَاءً يَقْصِدُونَهُ ، وَيَجِلُّونَ ابْنَ سَمْعُونَ دُونَهُ .

[ الرِّيِّ ]

قوله : « فلما حلت بالري » :

الري : أرض على جادة خراسان ، واسم مدينة الري المهدية ، سميت

(١) في الديوان : « ارجع إلى الحق إما كنت قاعه » .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٢ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٩٦ .

بهذا الاسم ، لأن المهدي تولّاها في خلافة المنصور لما توجه إلى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، وبها ولد الرشيد ، والمهدي أقام بها عدة سنين ، فسيّد بناءها وأتقنه ، وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد . وأهل الرىّ أخلط من العرب ، والعجم قليل فيها . وافتتحها قرط بن كعب الأنصاريّ في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ويشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة ، وبها وادٍ عظيم يأتي من بلاد الديلم يقال له نهر عيسى ، ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجنّاته وأشجاره ، وله رساتيق<sup>(١)</sup> وأقاليم . ونسب إليها الرازيّ ، وهو من شاذّ النسب .

وكتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم : ما قيمك بأرض الفراعنة والجبابرة !  
مرّ إلى خراسان ، أرض الفضة والعقيان ، والجوارى الحسن .

\* \* \*

وتقدّم الحبا . والنبيّ : الضلال ، والعرب تقول : ما يعرف الحىّ من اللىّ ، والحوّ من اللوّ ، قوله لمن تستجهله وتنفي عنه الفطنة ، وتصريفها أن الحىّ مصدر حويت الشيء حزته وجمعه ، ولويت الرجل : مطلته ومنعته حقه لوّاً وليّاً ليانا ، فالحىّ مدح واللىّ ذم ، فكأنه إذا قال : عرفت الحىّ من اللىّ ، إنما قال : عرفت الخير من الشرّ ، وما يضرّ مما ينفع ، وعرفت الحىّ من اللىّ . وقبيلى من دبيرى ، إنما يستعملان فى النبيّ . وتجوّز أبو محمد فى استعمالهما فى الإيجاب حيث كان أصلاً للنبيّ .

الزّمة : الجماعة ، وتقول : فلان إثر فلان أى خلفه وقريباً منه ، كأنه يتبع أثره إذا رفع هذا قدمه وضع الآخر قدمه فى الموضع . منتشرون : متفرون . مستنّون : جارون . متواصفون : يصفه بعضهم لبعض .

\* \* \*

(١) الرساتيق : القرى ، واحده رستان ، معرب

## [ ابن سمعون ]

ابن سمعون : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن (١) عيسى بن إسماعيل المعروف بابن سمعون، الواعظ . وكان وخيدَ عصره وفريددهره في الإخبار عما هجس في الأفكار ، وليّاً من الأولياء الأخيار ، كلامه في الوعظ نافع ، ونصحه في القلوب ناجع ، ومجاله في تصاريف الكلام على الخواطر رَحْب واسع . وكان يقال : له الشيخ المنطق (٢) بالحكمة .

وحدث أبو الطاهر محمد بن عليّ العلاف قال : حضرت ابن سمعون يوماً وهو في مجلس الوعظ على كرسيه ، وكان أبو الفتح القوّاس جالساً إلى جنب الكرسيّ ، فغشيّه النعاس فنام ، فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه ، فقال له : رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم في نومك؟ فقال نعم ، فقال أبو الحسن : لذلك أمسكت عن الكلام خوفاً أن تنزعج وتنقطع عن الكلام الذي كنت فيه (٣) .

وذكر أبو عليّ الهاشميّ ، قال : حكى لي مولى (٤) الطائع لله تعالى ، قال : أمرني الطائع أن أوجه إلى ابن سمعون فأحضره دار الخلافة ، ورأيت الطائع على صفة من الغضب - وكان يُتقي في تلك الحال ، لأنه كان ذا حدة - فبعثت إلى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لأجله ، فلما حضر ، أعلمت الطائع حضوره - فجلس مجلسه ، وأذن له في الدخول فسلم عليه (٥) بالخلافة ، ثم أخذ في وعظه فأول ما ابتدأ به أن قال : روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ... وذكر خبراً ، ولم يزل يجري في ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شقيقه ، وابتلّ منديله بين يديه بدموعه ، فأمسك ابن سمعون حينئذ ، ودفع إلى درجاً فيه طيب

(١) المنتظم : « ابن عنبس » .

(٢) المنتظم : « الناطق بالحكمة » .

(٣) المنتظم ٧ : ١٩٩ .

(٤) المنتظم : « دجى مولى الطائع » .

(٥) المنتظم : « فسدخل وسلم بالخلافة » .

وغيره ، فدفعته إليه وانصرف . وعدت إلى الطائع ، وقلت : يامولاي ، رأيتك على صفة من الغضب على ابن سمعون ، ثم انتقلت عنها عند حضوره ، فالسبب ؟ فقال : رُفِعَ إليّ أنه ينتقص عليّاً رضى الله عنه ، وأحببت أن أتيقن ذلك ، فإن صح منه قلته ، فلما حضر بين يديّ افتتح كلامه بذكره<sup>(١)</sup> والصلاة عليه ، وأعاد في ذلك وأبدى ، وقد كان له مندوحة في الرواية عن غيره وترك الابتداء به ، فعملت أنه وُقِّيَ<sup>(٢)</sup> لما تزول به عنه الظنّة ، وتبرأ ساحتها عندي ، ولعله كوشف<sup>(٣)</sup> بذلك .

وله كتاب المجالس وهو كله أحاديث متصلة الأسانيد .

ومن كلامه أن القلب بمنزلة المرأة فإذا أصابها لطحخة عولجت بالزيت ، فإذا زادت زيد فيها من حنات الآجر ، فإذا زادت جُلبت بالحديد ، فإذا زادت على ذلك حتى ركبها الصدا لم يكن لها بُدٌّ من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها .

توفّي ابن سمعون في ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، ودفن بداره بشارع العباسي ، فلم يزل هناك حتى نقل يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد . وقيل : إن أكفانه لم تكن بليت بعد .

\* \* \*

فلم يتكأذني لاستماعِ المواعظ ، واختيارِ الواعظ ؛  
أن أقاصي اللأغظ ، وأحتمل الضاغظ . فأصحبت أصحاب  
المطواعة ، وأنخرطت في سلك الجماعة ؛ حتى أفضينا إلى  
ناد جمع الأمير والمأمور ، وحشد النبوة والمعمور ، وفي وسط  
هالته ، ووسط أهله ، شيع قد تقوس واقعنسس ،

(١) المنتظم : « يذكر على » .

(٢) المنتظم : « وقف » .

(٣) الخبر في المنتظم : ٧ : ١٩٩ ، وانظر بقية أخباره هناك .



وَتَقْلَنْسَ وَتَطَّاسَ ؛ وَهُوَ يَصْدَعُ بوعظ يشفي الصدور ،  
وَيَلِينُ الصُّخُورَ ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ، وَقَدْ افْتَنَّتْ بِهِ الْعُقُولُ :

قوله: يتكأذني ، أي يشقّ على . أقاصى : أباعد . اللاغط : الصائح بكلام لا يفهم ، والضاعط : الذي إذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نفسك ، يريد أنه لم يمنعه ما أصابه من السبّ والسيح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من الواعظ .

وبين هذا قوله في المحسين: «ولم أزل أتنقل في المراكز، وأغضى للأكز والواكز» .  
أحجبت : انقادت . المطواعة : المنقادين المطوعين . والانخراط : دخول الإنسان في الأمر بغير علم . وتقدّم السلك .

أفضينا : وصلنا ، وأراد أن هذا المجلس جمع العامة والأمير ، ومن له ذكر رفيع وشهرة . ومن هو مجهول مخمول . وأراد بالهالة حلقة الناس ، وبالأهالة أشرف الناس والعلماء . وحرك السين من «وسط» ، مع الهالة لأنها دارة وساحة ، العرب تقول : فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك ، وسكن مع الأهلة لأنه أراد معنى بين ، والعرب تقول : جلس وسط القوم ، فحملوه على بين ، لما حلّ محلها وكان في معناها ، ولا يجوز جلس بين الدار ، فهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين .

تقوس : انحنى . اقمئسس : تقبّض واحدودب . والقعس : دخول الظهر وخروج الصدر ، والحذب ضده وبينه الراجز بقوله .

\* أقمس يمشي مشية القعاس \*

تقلّنس : لبس القلنسوة . تطّلس : لبس الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص . يصدع : يشقّ .

\* \* \*

ابن آدم ، ما أغراك بما يغرك ، وأضرأك بما يضرأك ،  
وألهأك بما يطغئك ، وأبهأك بمن يطريك . متعنى بما  
يعنئك ، وتهمل ما يعنئك ، وتترع في قوس تعديك ،  
وترتدى الحرص الذي يرديك ؛ لا بالكفاف تقتنع ،  
ولا من الحرام تمتنع ، ولا للبعظ تستمع ، ولا بالوعيد  
ترتدع . دأبك أن تتقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط  
العشواء ، وهماك أن تدأب في الأحتراث ، وتجمع الثراث  
للوراث ؛ يعجبك التكاثر بما لديك ؛ ولا تذكر ما بين  
يديك ، وتسعى أبدأ لغارئك ، ولا تبالي ألك أم عليك .  
أظن أن ستترك سدى ، وألا تحاسب غدا ؛ أم تحسب أن  
الموت يقبل الرشا ، أو يميز بين الأسد والرشا . كلا والله  
لن يدفع المنون ، مال ولا بنون ؛ ولا ينفع أهل القبور ؛  
سوى العمل المبرور . فطوبى لمن سمع وعى ؛ وحقق  
ما ادعى ؛ ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفاز من  
ارعوى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف  
يرى . ثم أنشد إنشاد وجل ، بصوت زجل :

قوله : « ما أغراك » ما أكثر لصوقك . يغرك : يدلك على الفرار . أضرأك : أشد  
ملازمتك . ألهأك : أشد حبك .

يطغئك : يردك طاغياً متجاوزاً قدرك . أبهأك : أشد سرورك . يطريك :

يمدحك في وجهك، والنفس ميالة كثيرة الانخداع بمن يعظم شأنها ويثنى عليها، فرارة ممن يحقرها ويذمها، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «احثوا التراب في وجوه المداحين» تذليلهم بذلك حيث أكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر. قال الشاعر:

وخذعته بخديعة لما أبى والحرّ يُخدعُ بالكلام الطيب

تعنى: تشتغل. يئنيك: يتعبك. تنزع: ترمى. تعديك: ظلمك الحرص: أسوأ الطمع. يرديك: يهلكك.

\* \* \*

### [ نبذ من الأقوال الحكيمة ]

كعب بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه».

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتربت الساعة ولايزداد الناس إلا حرصاً على الدنيا ولا تزداد منهم إلا بعداً».

وقال محمود الوراق:

كم إلى كم أنت للحرصِ صِ واللامال عبدُ  
ليس يحمدي الحرص والسعي إذا لم يكُ جدُّ  
ما لما قدره الله من الأمر مرْدُ

وفي كتاب للهند: لا ينبغي للمتمس من عيشه إلا الكفاف الذي يدفع به الحاجة عن نفسه، وما سوى ذلك فإنما هو زيادة في عمه.

وقالت الحكماء : أقل الدنيا يكفى ، وأكثرها لا يكفى .

وقال أبو ذؤيب :

والتَّسْفُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبْتَهَا وَإِذَا تَرَدَّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ (١)  
وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه : يا بُنَيَّ ، إِذَا طَلَبْتَ الْغَنَى فَاطْلُبْهُ  
بِالْقَنَاعَةِ ، فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّمَا هُوَ قَفْرٌ حَاضِرٌ . وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ  
فَإِنَّكَ لَمْ تَيَأَسْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال : الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر إلى الناس .

قال ابن أبي حازم رحمه الله تعالى :

استغنى بالله لا تضرَّعْ إِلَى النَّاسِ واقنع بياسٍ فإن العزَّ في اليأسِ  
واستغنى عن كلِّ ذى قرْبى وذى رحْمٍ إِنَّ الْغَنَى مَنْ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ  
ومن دعاء عمر رضي الله عنه : اللهم ، لا تُكْثِرْ لِي مِنَ الدُّنْيَا فَاطْغَى ، وَلَا  
تَقَلِّلْ لِي مِنْهَا فَانْسَى ، فَإِنَّهُ مَا قَلَّ وَكُنِيَ ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأُلْهِى .

وقالوا : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره الحرص التعب .

وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عندك ما يكفيك وأنت تطلب  
ما يطغيك ! لا بقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع . يا بن آدم ، إذا أصبحت آمناً في سربك  
معاً في بدنك ، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء » .

وقيل لأبي حازم : ما مألوك ؟ فقال : ما لان : الغنى بما في أيدي ، واليأس مما في

أيدي الناس

وقيل لآخر : ما مألوك ؟ فقال : التجمّل في الظاهر والتصد في الباطن .

ومما قيل من الشعر في معنى ما تقدّم ، قال محمود الوراق :

(١) ديوان المهديين ١ : ٣

يا عائب الفقر ألا تزدرجُ      عيبُ الغنى أ كبرُ لو تعتبرُ  
من شرف الفقرِ ومن فضله      على الغنى لو صحَّ منك النظر  
أنك تعصى الله تبغى الغنى      وليس تعصى الله كي تفتقرُ

وقال عبید الله بن عبد الله بن طاهر :

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءه      فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدأ  
فإن صلاح المرء يرجع كله      فساداً إذا الإنسان جاز به الحدأ

وقال البحتری :

إذا ما كان عندي قوت يومٍ      طرحتَ الهمَّ عنى يا سعيدُ  
ولم تخظر هموم غدٍ بيالى      لأن غدأ له رزق جديدُ

وقال ابن طباطبا:

إن في نيل المني وشك الردى      وقياس القصد ضد السرفِ  
كسراج دهنه غمره له      فإذا غرقتة فيه طفي

ونال آخر :

وإذا نبأ بي منزل جاوزته      واعتضت منه غيره لى منزلاً  
وإذا غلا شيء على تركته      فيكون أرخص ما يكون إذاغلا

• • •

قوله : « ولا بالوعيد ترتدع » أى لا تكفّ عن غيئك ولا ضللك  
بما تخوف به من أهوال الآخرة . دأبك ، أى عادتك . الأهواء : جمع هوى ،  
وهو ما تحبّه النفس وتميل إليه . تحبط : تمشى على عماية . العشواء : الناة التى  
لا تبصر . تدأب : تداوم . الاحتراث : الكسب . التراث : المال الموروث .

[ نبذ من الأقوال الحكيمة أيضاً ]

وفي معناه أنه وجد على حائط مكتوباً: ابن آدم غافص<sup>(١)</sup> الفرصة عند إمكانها ،  
وكل الأمور إلى وليها ، ولا تحلّ في قلبك همّ يوم لم يأت إن يكن من أجلك ،  
يأتك الله برزقك فيه ، ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة المغرورين ، فربّ  
جامع لبعل حليته . واعلم أن تقتير المرء على نفسه توفيرٌ منه على غيره ، فالسعيد  
من اتعظ بهذه الكلمات . قال بديع الزمان :

أيا جامع المال من حله      يبيت ويصبح في ظله  
سيؤخذ منك غداً كله      وتُسأل من بعد عن كله

وله أيضاً :

يا حريصاً على الغنى      قاعداً بالمراد  
لست في سعيك الذي      خضت فيه بقاصد  
إن دنياك هذه      لست فيها بخالد  
بعد هذا فإمّا      أنت ساعٍ لقاعد

وقال سابق البربري :

فحتى متى تلهو بمنزل باطل      كأنك فيه ثابت الأصل قاطن  
وتجمع مالا تأكل الدهر دائماً      كأنك في الدنيا لسيفك خازن  
وقال رجال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن فلاناً جمع مالا ، قال :

فهل جمع له أياما ! أخذه الشاعر فقال :

ارفه يعيش فتى يغدو على ثقة      إن الذي قسم الأرزاق يرزقه  
فالعرض منه مصون لا يدنسه      والوجه منه جديد ليس يخلفه  
جمعت مالا ففكر هل جمعت له      يا جامع المال أياماً تهـرقه  
المال عندك مخزون لو ارثه      ما المال مالك إلا حين تنفقه

(١) في اللسان : غافص الرجل مفاععة ، أخذه على غرة

قوله: « التكاثر » أى كثرة المال، تقول: تكاثر المال تكاثراً: جاز الحدّ في الكثرة .

أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: « من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثراً حشر مع اليهود والنصارى ، والذين قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» .

تسمى لغاريك : تجهد في كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك ، وهما الفاران ، قيل : هما الفرج والفم . وقيل : الحنكان : الأعلى والأسفل ؛ وأخذ اللفظ من قول الشاعر :

ألم تر أن الدهر يومٌ و ليلةٌ وأن الفتى يسعى لغاريه دائباً

قوله سدّى ، أى مهمل مسيب . الرّشا بالضم : جمع رشوة وهى العطية تدفع بها مضرة من يتدر عليك . الرّشا ، بالفتح : الغزال . كلاً : زجر . المنون : هى المتية ، المبرور . المتقبل . وعى : حفظ الوصية . ما ادعى ، أى ما ادعاه من أنه قبل الوصية . وحقته : داوم عليه بعمله . ارعوى : رجع وتاب . ما سعى ، أى ما عمل وتعب فيه . الفائز : الظافر بحاجته . وجل : خائف . زجل : شديد ، وزجل الصوت زجلا : ارتفع وأيضاً طرب .

وقال أبو العتاهية فيما تقدّم من ذكر الموت :

بين عيني كلّ حين علم الموت يلوح  
كلنا فى غفلة والموت يغدو ويروح

وقال البديع :

إنما الدنيا غرور ولن أصغى نصيح

ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيحُ  
نحن لا هون وآجا لُ المنايا لا تريحُ

\*\*\*

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي الْمَغَانِي وَلَا الْغِنَى  
إِذَا سَكَنَ الْمُثْرَى الثَّرَى وَثَوَى بِهِ  
فَجَدُّ فِي مَرَاضِي اللَّهِ بِالْمَالِ رَاضِيًا  
بِمَا تَقْتَنِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ  
وَبَادِرُ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ  
بِمُخْلَبِهِ الْأَشْفَى يُقُولُ وَنَابِهِ  
وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخُتُونَ وَمَكْرَهُ  
فَكَمْ خَامِلٍ أَخْتَى عَلَيْهِ وَنَابِهِ  
وِعَاصٍ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ  
أَخُو ضَلَّةٍ إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ  
وَحَافِظٍ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ وَخَوْفِهِ  
لَسْتَجُورَ مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ  
وَلَا تَلَّهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْنِكِهِ  
بِدَمْعٍ يُضَاهِي الْمُنْزَنَ حَالَ مَصَابِهِ  
وَمَثَلُ لَعْنِكَ الْجَمَامِ وَوَقْعُهُ  
وَرَوْعَةُ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمُ صَابِهِ



وإن قصارى منزلِ الحى حُفْرَةٌ  
 سَنَزِلُهَا مُسْتَنْزِلًا عَنْ قَبَاهِ  
 فَوَاهَا لِعَبْدٍ سَاءَهُ سَوْءُ فِعْلِهِ  
 وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

\* \* \*

قوله : لعمرك ، العمر البقاء ، فأقسم به كأنه قال : وحق بقائك الكريم على  
 الحبيب إلى .

المغاني : المنازل الشريفة . المثرى : الكثير المال . الثرى : التراب الندى ،  
 وأثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته . ثوى : أقام . جُدْ : تكرم  
 بمالك . تقنتى : تكتسب ، أى لاتنفع المنازل الرفيعة البناء ولا المال الكثير إذا  
 آل الحال إلى الموت . بادر : سابق . صرّف : تقلّب .

الأشغى : المعوج . يقول : يهلك . نابه : ضرسه . الخثون : الكثير الخيانة .  
 النابه والنبيه ، من النباهة وهى الجلالة والرفعة ، والخالل ضده ، وأخى على :  
 أخذ مالى . ضاة ، أى ضلالة ، وهوى : سقط . عقابه الأول جباله ، والثانى عذابه .  
 تلّه : تشغل . يضاهى : يشابه . الوئيل : أ كثر المطر . حال مصابه ، أى حال  
 وقوعه ، والمصاب : مصدر صاب يصوب صوباً ومصاباً . الحمام : الموت . روعة :  
 فزع صاحبه حين يلقاه . صابه : مرّه ، والصاب شجر مرّ . وقصارى : آخرونهاية ،  
 كأنه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها . واهاً : عجباً . التلافي : التدارك لمافات .  
 إغلاق بابيه ، أى موته .

[ ملك الموت ]

وفى روعة ملاقاه يحكى أنّ إبراهيم عليه السلام ، قال لملك الموت : هل تستطيع  
 ( ٢ - مقامات الحريرى - ج ٣ )

أن تُرَيِّنِي صورَتِكَ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَيْهَا رُوحُ الْفَاجِرِ ، قَالَ : لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَأَعْرِضْ عَنِّي ، ثُمَّ التَفَتَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَسْوَدَ قَامٍ الشَّعْرَ مَمْنَنَ الرِّيحِ ، أَسْوَدَ الثِّيَابِ ، يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ مَنْخَرِهِ لَهيبُ النَّارِ وَالِدُحَانٍ . فُفْشِيَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَقَدِ عَادَ إِلَى صُورَتِهِ : فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَوْلَمْ يَكُنْ لِلْفَاجِرِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا صُورَتُكَ لَكُنَّ حَسْبَهُ .

وَفِي مَطْعَمِ صَابِهِ ، يَحْكِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى : كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ يَا خَلِيلِي ؟ قَالَ : كَسَفُودٍ جُمِلَ فِي صُوفِ رَطْبٍ ، قَالَ : أَمَا إِنَّا هَوْنًا عَلَيْكَ . وَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ ؟ قَالَ كَعَصْفُورٍ يَقْتُلِي عَلَى الْمُقْتَلِ ، لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ ، وَلَا يَطِيرُ فَيَنْجُو . وَفِي رِوَايَةٍ : كَشَاةٍ تُسَلَخُ مِنْ جِلْدِهَا وَهِيَ حَيَّةٌ .

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَقَدِ سَأَلَهُ أَنْ يُخَبِّرَهُ عَنِ الْمَوْتِ ، قَالَ : الْمَوْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَغَضَنٍ كَثِيرِ الشَّوْكَ ، أَدْخَلَ جُوفَ رَجُلٍ ، فَأَخَذَتْ كُلَّ شَوْكَةٍ بَعْرَقٍ ، ثُمَّ جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيدَ الْجَذْبِ ، فَأَخَذَ الْغَضَنَ مَا أَخَذَ ، وَأَبْقَى مَا أَبْقَى .

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ يَقُولُ : «إِنَّ الْمَوْتَ لَسَكَرَاتٍ ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيَّ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ»

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «لَأَغْبِطُ أَحَدًا يَهْوَنُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتَهُ مِنْ مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .

فَهَذِهِ حَالُ أَحِبَّابِهِ فَكَيْفَ بِنِ غَمْرِ فِي بَحَارِ الْمَعَاصِي ! اللَّهُمَّ غَفُوكَ وَشَعْرَ الْمَقَامَةِ مَزْدُوجِ الْقَوَافِي ، وَعَارِضَهُ الزَّاهِدِ بْنِ عِمْرَانَ فَقَالَ :

مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَعَلِمِي بِهَا غَرَّارَةٌ خَدَّاعَةٌ مَالِي

تفرنى حتى إذا مُكِّنْتُ      تَعَبْتُ في نفسى وفي مَالِي  
 هَمْتُ بها حبا فقد أفسدت      ما كان من صالح أَعْمَالِي  
 أعمى الهوى قلبى وُحْبِي، لها      رأس خطاياى وأَعْمَالِي  
 تيكى على الفائت من حَظِّها      عيني بقسكاب وإِهْمَالِي  
 ياربَّ زهْدِي في حهما      ولا تؤاخذني بإِهْمَالِي

وله في مثله :

ارغب عن الدنيا وأوصافها      مشوبة جاءتك أوصافيه  
 قتل أولى الألباب من فعلها      فاصنع إلى نصحي وأوصافيه  
 ما بالغنى يفتّر ذو فطنة      كلاً ولا يفتّر بالعافية  
 كم من غنى قد عاد قهراً وكم      عافية قد أصبحت عافية

وله أيضاً :

ما الزهد يا قوم - فلا تجهلوا -      بلبس أسمالٍ وأخلاقِ  
 لكنه لبس ثياب التقى      فى حسن آدابٍ وأخلاقِ

وله أيضاً :

خليلي لا يعرّزك مني ظاهري      ومهما سألت الله فاسأله لي صفحا  
 فلو كنت ذا علم - كعالمى بباطني      لأضربت عن ذكرى أياذى النهى صفحا  
 ولكن أرى الله الجليل بفضله      فلم يفش لي سراً ولم يُبدلي صفحا  
 وقال بعض الزهاد لصاحبه : إني أحبك في الله ، فقال له : لو علمت مني  
 ما أعلم من نفسى لأبفضتني في الله .

وله أيضاً :

تحفظ بدنيك لا تتبدله      ولا تلفِ عرضك عرضاً كلياً

وعدّ عن الذنب لاتأته وبادر بإصلاح مامنك ليما  
فأنت ابن عمران موسى المبيء ولست ابن عمران موسى الكليما

وقال غيره :

لا تأمن الدهر الخثو ن وخف بوادر بعثته  
فالوت سهم مرسل والعمر قدر مسافته

\* \* \*

قال : فضلّ القوم بين عبّرة يذرونها ، وتوبة يظهرونها ؛  
حتى كادت الشمس تزول ، والفريضة تعول . فلما خشعت  
الأصوات ، والتأم الإنصات ، واستكنت العبرات والعبارات ؛  
استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر ، وجعل يجأر إليه من عامله  
الجائر ، والأمير صاغ إلى خصمه ، لاه عن كشف ظلمه .  
فلما يتس من روجه ، استنهض الواعظ لنصحه ؛ فنهض نهضة  
الشّمير ، وأنشد معرضاً بالأمير .

\* \* \*

قوله : «عبّرة يذرونها» ، أي دمة يصبونها . وتعول ، تزيد وتضيق ، يريد يضيق  
وقتها ، ويدخل عليها وقت غيرها فترجع صلاتين . خشعت : ذلت . التأم الإنصات :  
اتصل السكوت . استكنت العبرات والعبارات ، أي سكن البكاء والكلام .  
استصرخ مستصرخ ، أي استغاث مستغيث . يجأر : يصيح . يريد أن رجلا تشكى  
للأمير من عامل له ولأه عليهم ، فجأر ، فقال الأمير مع الوالي ، وترك المشتكى .  
وقوله : صاغ ، أي مائل . ولأه ، أي تارك ومشتغل . يتس : قطع رجاءه . روجه :

نصرته وعدله الذي يريح المشتكى ، والروح الفرح والسرور . استنهض : سأله  
المهوض لينصح الأمير .

عائشة رضی الله عنها : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان  
ذائصة لأخيه المسلم إلى السلطان في مبلغ برّ ، وتيسير عسير ، أعانه الله على إجازة  
الصرط : يوم دحض الأقدام » .  
الشّمير : الماضي في أموره : معرّضا : من التعريض وهو أن تخاطب غيره وأنت تريده .

\*\*\*

عجيباً لراج أن ينال ولايةً  
يُسدى ويُدحم في المظالم والغا  
ما إن يبالي حين يتبع الهوى  
يا ويحهُ لو كان يُوقنُ أَنَّهُ  
أو لو تبين ما ندامةً من صغما  
فانقذ لمن أضحي الزمام بكفه  
وارع المرار إذا دعاك لرغيه  
واحل أذاه ولو أمضك مسه  
فليضحكك الدهر منه إذا نبا  
ولينزان به الشّمات إذا بدا  
ولتأوين له إذا ما خدّم

حتّى إذا ما نال بُغيتهُ بغي  
في وردها طوراً وطوراً مُرلغا  
فيها أصلح دينه أم أوتغا  
ما حالةً ألاّ تحولُ ، لَمَا طَمَى  
سَمعاً إلى إفك الوشاة ما صغما  
وتغاض إن ألغى الرّعاية أو لغا  
ورد الأجاج إذا حماك السيغما  
وأسال غزب الدّمع منك وأفرغا  
عنه وشبّ لكفّده نار الوغى  
مُتخلياً من شغلِهِ مُتفرّغا  
أضحى على ترّب الهوان مُمرّغا

نال بغيته ، أى أدرك ما طلب . بغي : جار وظلم . يُسدى ويلحم ، أى  
تصرف في المظالم طولاً وعرضاً ، ومقبلاً ومدبراً . والسدى : خيوط الثوب طولاً ،

واللحمة خيوطه عرضا : والفا : شاربا . وردها : ماؤها . مولعا : مسقيا غيره ،  
ويريد أنه يباشر الظلم بنفسه تارة ، ويوليه غيره أخرى . أوتغ : أفسد وأهلك .  
ياويحه ، قال الأزهرى رحمه الله تعالى : ويح كلمة رحمة ، وويل كلمة عذاب ،  
والفرق بين ويح وويل أن ويح يقال لمن وقع في بليته : يُرَحَّم ويُدعى له بالتخلص  
منها . وعن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ويحك » ، فجزعت فقال لى : « يا حميراء ، إن ويح كلمة رحمة فلا تجزعى منها  
ولكن اجزعى من الويل » .

يوقن : يحقق . تحول تنغير . طغى : ارتفع وجاز الحد في الجور . صغى :  
مال . إفك . كذب . الوشاة : جمع واش ، وقد تقدم . اتقد : أطمع ، يقول : من  
أصبح حاكك فاتبعه وأطمع له . تغاض : تغافل : ألقى : ترك . الرعاية : المحافظة  
للحقوق . لنا : أخطأ وقال قبيحا ، ثم قال : إن حَمَلَك على الذل فاحتمله ، وكتبتى  
برعى المرارعه . رد الأجاج : اشرب الماء المثلح . حماك السيفا : منعك  
العذب السهل للشرب . أمضك : أحرقت وصيرك مهموماً ، والمضّ التوجع  
من قول أو جرح . مشه : وقعه بجسمك . والغرب : فيض الدمع ،  
والغرب : الدلو .

\* \* \*

هذا أهـ ولسوف يوقف موقفاً فيه يرى ربُّ الفصاحة أثلماً  
وليحمرن أذلّ من فقع الفلا ويحاسبن على النقيصة والشفا  
ويؤخذن بما اجتني ومن اجتبي ويطالبن بما أحسنى وبما ارتفى  
ويناقشن على الدقائق مثل ما قد كان يصنع بالورى بل أبلغاً  
حتى يعرض على الولاية كفه ويود لو لم ينغر منها ما بنى

...

هذا له ، إشارة إلى ذل العزل . الأثغ : الأخرس المحبوس اللسان ، وهو أيضاً الذى يُبدل الباء والراء غيناً . وربها : صاحبها . والفقع ضرب من الكمأة من وطئه كسره لضمفه ، وهو الفُقع ، وبه يضرب المثل ، فيقال : أذلّ من فقع بقرقر .

الشفا : الزيادة . اجتنى : جمع أموال الناس وضبطها لنفسه . اجتبى : اختار ، يريد أنه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالى الذى اختاره وولاه .  
احتسى : شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة . ارتقى : شرب الرغوة ، أى يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن . يناقش : يبحث عليه ويخرج ما عنده .  
أبلغ : أزيد . يبع : يدرك ويطلب .

### [ ذكر الولاية والعزل والتشكى من الولاية ]

ونذكر هنا فصلاً من الآداب يحتوى على الولاية والعزل والتشكى من الولاية، حسباً تضمن هذا الموضوع فى المقامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستحرصون على الإمارة ، وتكون حسرة وندامة ، فنعمت المرزعة ، وبئست الفاطمة » .

أراد عمر رضى الله عنه أن يستعمل رجلاً فبدر الرجل يطلب العمل فقال :  
قد كنتنا أردنا لذلك ، ولكن من طلب هذا العمل لم يُعَن عليه .

ولقى عمر رضى الله عنه أبا هريرة رضى الله عنه فقال : ألا تعمل ؟ فقال :  
ما أريد العمل ، قال : قد طلبه من هو خير منك ، يوسف الصديق عليه السلام قال :  
﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ .

قال المغيرة بن شعبه : أحب الإمرة لثلاث : لرفع الأولياء ، ووضع الأعداء  
ولستر خاص الأشياء . وأكرهها لثلاث : لروعة البريد ، وذلّ العزل ، وشماتة الأعداء

وقال أمير لأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً، قال: وأنت فاعمل به، فوالله لَمَّا وعدك الله على تركه أعظم مما توعدتني به .

وذَكَرَ أهل السطاز عند أعرابي، فقال أما والله إن اعتزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليل، فإن عوضاً من كثير باقٍ، وإنما نزلت القدم حيث لا ينفع الندم .

تظلم رجل للمأمون من عاملٍ له، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما ترك لنا فضة إلا فضتها، ولا ذهباً إلا أنزبه به، ولا ماشية إلا مشى بها، ولا غلّة إلا غلّها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا علقاً إلا علقه، ولا عرضاً إلا عرض له، ولا جليلاً إلا أجله، ولا دقيقاً إلا دقه . فمجب المأمون من فصاحته، وقضى حاجته .

تحطبة بن حميد: إني لواقف<sup>(١)</sup> على رأس المأمون يوماً، وقد جلس للمظالم، فكان آخر من دخل عليه وتقدم إليه امرأة وقد همّ بالقيام، عليها أهبة السفر وثياب رثة . فوقفت بين يديه، وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكرم، فقال يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمى في حاجتك، فقالت:

ياخير منتصفٍ يُرجى له الرشدُ      ويا إماماً به قد أشرق البلدُ  
تشكو إليك عميدَ الملكِ أرملةً      عدداً عليها فلم يُترك لها سببُ<sup>(٢)</sup>  
وابتزّ مني ضياعي بعد منعتها      ظلماً وفرّق مني الأهل والولدُ  
فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه فقال:

في دون ماقلت زال الصبرُ والجلدُ      عني وأقرح مني القلبُ والكبدُ  
هذا أوان صلاة العصر فانصرفي      واحضري الخصر في الوقت الذي أعدي  
والجلس السبت أن يقض الجلوس لنا      نُنصفك منه وإلا المجلسُ الأحدُ

(١) الخبر في العقد ١: ٣٣، نهاية الأرب ٦: ٢٧٦

(٢) السبب في الأصل: الشعر، يكتنى به عن الغنم، ويكتنى بالغنم عن الشيء القليل.



فجلس يوم الأحد ، فكانت أوّل من تقدم إليه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : وعليك السلام ، أين الخصم؟ فقالت: واقف على رأسك ، وأشارت إلى ابنه العباس ، فقال : يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها للخصومة . ففعل . فجلس ، فجعل كلامها يعلو كلامه . فقال لها : أحمد يا أمة الله ، أنت بين يدي أمير المؤمنين وتكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك ، فقال له المأمون : دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه . ثم قضى لها بردّ ضابعا وظلم العباس<sup>(١)</sup> . وأمر لها بنفقة وبكتاب إلى عامل بلدها أن يحسن معاومتها .

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يقيه علىّ في وزارته ، فلما صُرف رهبني ، فلما لقيني سلّم علىّ فدنوت منه وقلت له : والله لقد كنت أقنع بإيمانك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك ، والحمد لله على ما آلت إليه حالتك ، فإن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة ، وإن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالإقبال عليك ، فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ، والله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ، فقد والله أسأت حَمَل النعم ، وما شكرت حقّ المنعم . فتميل له : يا أبا عبد الله ، لقد أبلغت في السب ، فما كان الذنب؟ فقال : سألته حاجة أقلّ من قيمته ، فردّني عنها بأقبح من صورته .

وقال ابن الروميّ في أبي الصقر ، وكان قد مدحه فلم يرفع به رأساً :  
 فإني نُكِبْت لظالماً نُكِبْتُ بك همة لجأت إلى سنديك  
 لو تسجد الأيام ماسجدةً إلا ليوم فت في عَضْدِكَ  
 يا نعمة ولت غضارتهم ما كان أقبح حسنها بيدك  
 فلقد غدت برداً على كبدى لما غدت حرّاً على كبدك

وقال فيه :

خَفَضَ أبا الصقر فكم طائرٍ خَرَّ صريعاً بعد تحليق

(١) في العقد : « فظلم العباس اظلمه لها » .

زُوِّجْتَ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كَفُوْهَا فَصَانَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقٍ  
لَا قَدَسَتْ نَعْمَى تَسْرِبْلَتَهَا كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لِزَنْدِيقٍ  
وقال فيه قبل النكبة:

غدا يعلو الجيادَ وكان يعلو إذا ما استغفره السبت الطرّاقا  
أعنتها الشّسوع فإن عراها حفاء الكدّ أنعلها طرّاقا  
فزوّج بعد فقر منه نَعْمَى أراني الله صُبْحَتَهَا طلاقا  
ومن غرائب التمسكاتب في العزل ، ما كتب به أحمد بن مهراّن إلى معزول:  
بلغني أعزك الله انصرفك عن عمالك ، فسرت بذلك ، ولم أستفظه لعلمي بأن  
قدرك أجلُّ وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ، أو يضعك عزل عنه ، والله لو لم  
تختر الانصراف ، وترد الانعزال ، لكان في لطف تدبيرك ، وثقوب رويّتك ،  
وحسن تأتيتك ، ماتزيل به السبب الداعي إلى عزلك والباعث على صرفك ، ونحن  
إلى أن نهنتك بهذا الحال ، أولى بنا من أن نعزّيك ؛ إذ أردت الصرف فأوتيته ،  
وأحببت الاعترال فأعطيته ، فبارك الله لك في منقلبك وهنّاك النعم بدوامها ،  
ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها .

كان<sup>(١)</sup> أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة إلا قضاها ، ولا يشفع لأحد إلا شفّعه ،  
فلما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة شيّعه الناس ، فردّم حتى لم يبق إلا  
أبو شراعة ، فقال يا بأشراعة ، غاية كلّ مودّع الفراق . فانصرف راشدا مكلّوا  
من غير قليّ والله ولا ملل . وأمر له بعشرة آلاف درهم . فعاقه أبو شراعة وبكى  
وأطال ، ثم قال وهو أحسن ما قيل في التهينة بالنعزل :

يا أبا إسحق سِرِّ في دَعَاٍ وَاَمْضِ مَكْلُوءًا فَمَا مِنْكَ خَلْفٌ  
لَيْتَ شَعْرَى أَىْ أَرْضٍ أَجْدَبْتُ فَأَرِيحَتْ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْعَجْفِ  
نَزَلَ اللَّطْفُ مِنَ اللهِ بِهِمْ وَحُرْمَانِكَ بِذَنْبٍ قَدْ سَكَّفَ

(١) الخبر والنعز في الأغاني ١٩ : ١٢٤ - ساسي

إِنَّمَا أَنْتَ رَبِيعٌ بَاكِرٌ حَيْمًا صَرَفَهُ اللَّهُ أَنْصَرَفَ  
 وَمِنْ مَلَحَ هَذَا الْبَابِ أَنَّ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ قَلَدَ ابْنَ حِجَّاجٍ عَمَلًا، فَنُحِرَ إِلَى يَوْمِ  
 الْخَمِيسِ، وَتَبِعَهُ كِتَابٌ عَزَلَهُ يَوْمَ الْأَحَدِ، قَالُ فِيهِ :

يَا مَنْ إِذَا نَظَرَ الْهَلَا لٌ إِلَى مُحَاسِنِهِ سَجَدَ  
 وَإِذَا رَأَتْهُ الشَّمْسُ كَا دَتَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْحَسَدِ  
 يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعَثَنِي وَصَرَفَنِي يَوْمَ الْأَحَدِ  
 وَالنَّاسُ قَدْ غَنَوْا عَنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ  
 مَا قَامَ عَمْرُو فِي الْوَلَايَةِ قَائِمًا حَتَّى قَعَدَ

\* \* \*

ثم قال : أَيُّهَا الْمُتَوَشِّحُ بِالْوَلَايَةِ ، الْمُتَرَشِّحُ لِلرَّعَايَةِ ؛ دَعِ  
 الْإِدْلَالَ بِدَوْلَتِكَ ، وَالْإِغْتِرَارَ بِصَوْلَتِكَ ؛ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ رِيحُ قَلْبٍ ،  
 وَالْإِمْرَةَ بَرَقُ خَلْبٍ . وَإِنْ أَسْعَدَ الرَّعَاةَ ، مَنْ سَعِدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ ،  
 وَأَشْقَاهُمْ فِي الدَّارَيْنِ مَنْ سَاءَتْ رَعَايَتُهُ ؛ فَلَا تَكُ مِمَّنْ يَذُرُ الْآخِرَةَ  
 وَيُلْفِيهَا ، وَيُحِبُّ الْعَاجِلَةَ وَيَبْتَمِيهَا ، وَيَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ وَيُؤْذِيهَا ؛ وَإِذَا  
 تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا يَفْعَلُ الدِّيَانَ ، وَلَا يُهْمَلُ  
 يَا إِنْسَانَ ، وَلَا تُلْفَى الْإِسَاءَةُ وَلَا الْإِحْسَانُ ؛ بَلْ سَيُوضَعُ لَكَ الْمِيزَانُ ،  
 وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ .

قال : فوجم الوالي لما سمع ، وأمتقع لونه ، وأنتقع ، وجعل يتأفف  
 من الإمرة ، ويردف الزفرة .

## [ مما قيل في اللغ من الشعر ]

وذكر اللغ، وللشعراء في اللغ ما يستحسن، قال ابن شهيد :

مرض الجفون ولثغة في المنطق      شيان جراً عشق من لم يعشق<sup>(١)</sup>  
 ينبي فينبو في الكلام لسانه      فكأنه من خمر عينيه سقى  
 لا يُنْعش الألفاظ من عثراتها      ولو أنها كتبت له في مهرق<sup>(٢)</sup>  
 وأحسن ما في وصفه قول الرمادي :

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا      الهجر يجمعنا فنحن سواء  
 فإذا خلوت كتبها في راحتي      فسكيت منتحباً أنا والراء  
 اخذه أبو القاسم بن العريف ، فقال :

أيها الألف الذي شفت قلمي      جُدْ بحرف ولو نطقت بسبي  
 هجرك الراء مثل هجري سواء      فكلانا معذب دون ذنب  
 فإذا شئت أن أرى لى مثالا      في غرامى خطت راء بجني

\* \* \*

قوله: «التوشح» أي المحترم. والمترشح: المهيب\* للرعاية أي لحفظ الناس. الاغترار  
 الانخداع، صوتك: عزك وقهرك، يقال: صال الرجل على قرنه، والفحل على إبله،  
 أي قهر وعلا، والفحل أيضاً عض، وربما همز فعل الفعل. قلب، أي متقلب.  
 خلب: خادع لأماء فيه، يريد أن الولاية تنقل من إنسان إلى آخر. تلغى: تهمل.  
 العاجلة. الدنيا لأن خيرها معجل. تولى: صار والياً. سعى: مشى مسرعاً.

ابن عباس رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَلِيَ مَزْ  
 أَمْرَ امْتِي شَيْئًا فَحَسَنْتْ مَسِيرَتُهُ رُزِقَ الْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَإِذَا بَسَطْتَ يَدَهُ لَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

(١) ديوانه ١٣٢ ، وفيه : «سببان» ،

(٢) المهرق : الصحيفة

رزق المحبة منهم ، وإذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه وإذا عدل مدّ في عمره»: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . «آفة الدين ولادة السوء، وأيمتوا وإلى شيئاً من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ، ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه، كتبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن من أخذ من هذه وهذه»

الديان : المجازى وهو الله سبحانه وتعالى ، لأنه يجزى العباد على أعمالهم .

وقال الألبيري :

كل امرئٍ فيما يدين يدانُ سبحان من لم يخل منه مكانُ (١)  
 ياعامرَ الدنيا ليسلكنّها وما هيّ بالتي يبقى بها سكانُ  
 تنفى وتبقى الأرض بعدك مثل ما يبقى المناخ وترحلُ الركبانُ  
 أسرّ في الدنيا بكلّ زيادة وزيادتي فيها هي نقصانُ

تهمل تترك هملًا . وجَم : سكت غاضبًا وامتنع وانتمتع : تغير وذهب الدم من وجهه ، ويقال في معناها : امتنع وامتنع .

يتأف : يقول : أف أف ، وذلك فعل النادم للمهموم . الزفرة : النفخة من المهم .

\* \* \*

ثم عمَدَ إلى الشاكي فأشكاهُ ، وإلى المشكوي منه فأشجَاهُ ،  
 والطفَ الواعظَ وحباهُ ، واستدعى منه أن ينشأه ، فانقلب عنه  
 المظلوم منصوراً ، والظالم محصوراً ، وبرز الواعظ يتهادى بين

رُقُوتَهُ، وَيَتَبَاهَى بِفُوزِ صَفْقَتِهِ . وَاعْتَقَبْتَهُ أَخْطُو مِتْقَاصِرَا ، وَأَرِيهِ لَمَجَا  
بَاصِرَا . فَلَمَّا اسْتَشَفَّ مَا أَخْفِيهِ ، وَفِطْنٍ لَتَقَلَّبَ طَرَفِي فِيهِ ، قَالَ :  
خَيْرُ دَلِيلَيْكَ مَنْ أُرْشِدُ ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنِّي وَأَنْشَدَ :

أَنَا الَّذِي تَعْرِفُهُ يَا حَارِثُ      حَدِثْ مُلُوكَ فَكَيْهَ مَنَافِثُ  
أَطْرِبُ مَا لَا تُطْرِبُ الْمَثَالِثُ      طَوْرًا أَخُو جِدِّ ، وَطَوْرًا عَابِثُ  
مَا غَيْرَتْنِي بَعْدَكَ بِالْحَوَادِثُ      وَلَا التَّحَى عَوْدِي خَطْبُ كَارِثُ  
وَلَا فَرَى حِدِّي نَابُ فَارِثُ      بَلْ مِخْلَبِي بِكُلِّ صَيْدٍ صَابِثُ  
وَكُلِّ سَرَحٍ فِيهِ ذَبِي عَائِثُ      حَتَّى كَأَنِّي لِلْأَنَامِ وَاثُ  
\* سَامَهُمْ وَحَامَهُمْ وَيَافِثُ \*

\* \* \*

أَشْكَاهُ : أَنْصَفَهُ وَرَفَعَ عَنْهُ شَكْوَاهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فَلَمْ يُشْكِنَا . أَيْ لَمْ يَزَلْ شَكُونَا ، أَيْ شَكُوا إِلَيْهِ مَا  
يَصِيبُ أَقْدَامَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَسَأَلُوهُ تَأْخِيرَهَا إِلَى الْإِبْرَادِ ، فَلَمْ  
يَجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَنْشَدَ يَعْقُوبُ :

\* وَنَشَكِي لَوْ أَنَّهَا تُشْكِنَا \*

\* \* \*

وَالْمَشْكُو إِلَيْهِ الْوَالِي الَّذِي اسْتَشَى إِلَيْهِ . أَشْجَاهُ : آذَاهُ وَأَبْكَاهُ . الْأَطْفُ : بَرُّهُ  
وَأَكْرَمُهُ . حَبَاهُ : أَعْطَاهُ الْحَبَاءَ . يَفْشَاهُ : يَزُورُهُ . مَحْضُورًا . مَجْبُوسًا . يَتَهَادَى :  
يَمْشِي مَتَشَاوِلًا مَشَى الْوَقَارَ . يَتَبَاهَى : يَتَعَاطَمُ . بِفُوزِ صَفْقَتِهِ ، بِظَفْرِ قَصْتِهِ مَعَ الْوَالِي ،  
وَفَازَ فُوزًا : ظَفَرَ بِخَيْرِ دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ ، وَأَصْلُ الصَّفْقَةِ فِي الْبَيْعِ هُوَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدِكَ  
عَلَى يَدِ مَبَايِعِكَ . اعْتَقَبْتَهُ : مَشَيْتَ خَلْفَهُ ، كَأَنَّكَ تَطَأُ بِصَدُورِ قَدَمَيْكَ مَوَاطِيءَ عَقْبِيهِ :  
أَخْطُو مِتْقَاصِرَا ، أَيْ أَمْشِي مُسْتَخْفِيًا مُتَشَبِّهًا بِالْقَصَارِ . لِحَابِصِرَا ، أَيْ نَظَرًا شَدِيدًا .

استشفّ : استقصى . فظن : تنبّه وشعر . أرشد : دلّ ، يقول : إذا كان لك دليلان ،  
فغيرها من هداك الطريق ، فلما رآه ينظر وتشكك فيه . قال : خير دليلك من  
دلك على . اقترب : قرب .

حدّث ملوك ، أى يحدّثهم بما يطربون . فكه : طيب الحديث ، والفكه  
المزاح الحسن الخلق ، وفكه فكها وفكاهة : طابت نفسه وكثر ضحكها ، قال الشاعر :  
فكه إلى جنب الخوان إذا غدت نكباء تقطع ثابت الأطناب<sup>(١)</sup>  
أبو عبيدة : رجل فكه : يأكل الفاكهة ، وفاكه : عنده فاكهة .  
وقال الشاعر أيضاً :

فكه العشي إذا تأوّب رحله صيف الشتاء مسامح باليسر  
أى يأكل الفاكهة وقرىء « فاكهين وفكهين » : قال الفراء رحمه الله تعالى :  
معناها واحد أى معجبين بما آتاهم ربهم ، كقطع وطامع ، وفكه وتفكه إذا تعجّب  
ومنه : ﴿ فظلمت تفكّهون ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقيل : معناه تندمون .

قوله : منافث ، أى محادث . الثالث : من أوتار العود . طوراً : حيناً .  
عابث : لاعب . الحوادث : ما يحدثه الدهر من خير أو شر . التحى : قشر .  
خطب كارث : أمر ثقيل صعب . فرى : قطع . نابى : ضرمى . فارث : مفضت  
للكبدة ، قال الشاعر :

هوى من صخرة صلدي فقرث تحمها كبده

وفرثت الكرش : أخرجت ما فيها من الزبل . ضابث : قابض عليه . السرح :  
المواشى تغدو راعية فى السرح وتروح منه . عاث : مفسد آكل لها .

\* \* \*

(١) اللسان - فكه ، من غير نسبة

(٢) سورة الواقعة ٦٥ .

## [ ذكر سام وحام ويافث ]

وسام وحام ويافث ، أولاد نوح عليه الصلاة والسلام ، وفيهم نزلت: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وبذلك جاءت الأخبار، وهم لأمٍ واحدة. وأصاب حام امرأته في السفينة . فدعا نوح عليه السلام أن يغيّر الله نطقته ، فجاءت بالسودان .

وذكر أهل التوراة أن نوحاً عليه السلام شرب وانتشى وتعزّى ، فأبصر حام عورته ، فاطلع عليه أخواه ، فأخذ رداءه فألقياه على عواتقهما ، ومشيا على أعقابهما ، فوارياه ، فعلم نوح عليه السلام بذلك ، فقال: ملعون كنعان بن حام ، عبد العبيد يكون لأخويه ، ومبارك سام ، ويكثر الله يافث<sup>(٢)</sup>

وفي تفسير التناش أن نوحاً لما أهبط من السفينة، نام فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك ، ولم يغيّر عليه يافث ونظر ذلك سام ، فزجره وغطّى عورة أبيه، فلما استيقظ أخبره ، فدعا نوح ابنه حاماً فقال: يا بنيّ غير الله ماء صلبك، فلا تلد إلا السودان . وقال ليافث : جعل الله ذريتك عبيداً لأولاد سام ، وقال لسام : جعل الله منك الأنبياء والصالحين والملوك . فكان سام القيم بعد أبيه في الأرض ، ونزل وسطها ، نزل الحرم إلى اليمن إلى الشام . ومن ولده الأنبياء كلهم عربياً وعجمياً . ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرهم ، وهم العرب العاربة، لأن العريّة لسانهم التي جبلوا عليها، ويقولون لبني إسماعيل العرب المتعربة ، لأنهم إنما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ، ومن العماليق الجبابرة بالشأم والفرعنة بمصر .

سميد بن المسيّب : سام ولده العرب وفارس والروم وفي كلّ خير ، وأما يافث فن ولده الصقالبة وبرجان والأسبان والترک والخزر وأجوج وأجوج . ابن المسيّب : وليس في واحد من هؤلاء خير .

(١) سورة الصافات آية ٧٧ .

(٢) الإصحاح التاسع من سفر التكوين .



وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزطّ والقبط بن كنعان بن حام ، والخلاف كثير .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : فقلت له : تالله إنك لأبو زيد ، ولقد قتت لله ولا عمرو بن عُبيد . فهشّ هشاشة الكريم إذا أمّ ، وقال : اسمع يا ابن أمّ ؛ ثم أنشأ يقول :

عليك بالصّدق ولو أنّه أحرقتك الصّدق بنار الوعيد  
وابغِ رضا الله ، فأعجب الوري من أسخط المولى وأرضى العبيد  
ثم إنه ودّع أخذانه ، وانطلق يسحب أردانه . فطلبناه من بعد  
بالرّي ، واستشرنا خبره من مدارج الطيّ ؛ فما فينا من عرف قراره ،  
ولا درى أيّ الجراد عاره .

\* \* \*

[ أخبار عمرو بن عُبيد الزاهد ]

قوله : «ولا عمرو بن عبّيد» ، هو الزاهد الذي كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن البصرى ؛ حتى حفظ عنه شيئاً كثيراً من علومه ، واشتهر فضله بصحبته ، وكان له سمت وإظهار زهد .

ورآه الحسن يوماً فقال : هذا سيد شباب أهل البصرة إن لم يحدث . ثم اعتزله ونهى عنه ، فقال بالزل ودعا إليه ، وترك مذهب أهل السنة ، واعتزل الحسن البصرى ، ونُسبت إليه المعتزلة .

فأما قيامه الذي ذكره فهو دخوله على المنصور في جماعة من أهل العلم ، فاستشارهم في أمر ، فكلهم أشار عليه بمراده إلا عمراً فإنه لم يصحبهم ونصحه ، فقال : يا أمير المؤمنين ( ٣ - شرح مقامات الحريري ٣ )

إنَّ هذا الأمر لو كان باقياً لأحد قبلك لما وصلك ، ﴿ ألم تر كيف فعل ربك  
بعاد \* إرم ذاتِ العماد ﴾ ، قال : فبكى المنصور حتى بلَّ ثوبه ، فقال الربيع : يا عمرو ،  
نعمتَ أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا - يعني الربيع - صحبك عشرين سنة ،  
ما نصحك يوماً واحداً ، وما عمل وزراؤك بشيء من كتاب الله تعالى . فقال  
له المنصور : فماذا أصنع ؟ هذا خاتمي في يدك ، فخذه أنت وأصحابك ، فاكفوني .  
فقال عمرو : ادعنا بعد ذلك تسمح أنفسنا بعونك ، يبابك ألف مظلمة ، اردد  
منها واحدة حتى نعلم أنك صادق .

ويروى أنه قال له المنصور : أعنى بأصحابك ، فقال : ارفع علم الحقّ يبعك  
أهله . ثم قال له المنصور : ما حاجتك يا أبا عثمان ؟ فقال له : تأمر برفع هذا  
الطيلسان عني ، فرُفِع . وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله . فقال له :  
لا تدع إتياننا ، قال : نعم ، لا يضمني وإياك بلد إلا أتيتك ، وإن بدت لي  
حاجة إليك سألتك ، ولكن لا تعطيني حتى أسألك ، ولا تدعني حتى آتيك ،  
قال : إذا لا تأتينا أبداً ، فلما ولّوا للخروج ، أتبعهم المنصور بصره ، ثم قال :

كَلِّم يَمْشِي رُوَيْدٌ      كَلِّم كُمْ حَابِلٌ صَيْدٌ

\* غير عمرو بن عبّيد \*

وكان جدّه باب من سبي فارس ، وكان أبوه عبيد بن باب نَسَاجاً ، ثم تحوّل  
فصار للحجاج شرطياً بالبصرة . وكان فظاً غليظاً خسيساً ، وبلغه أن الناس  
إذا رأوا ابنه قالوا : هذا خير الناس ، ابن شرّ الناس ، فقال : صدقوا ، أنا كآزر  
وابني كإبراهيم .

وقال إسحاق بن الفضل : بينما أنا واقف إلى جنب عُمارة بن حمزة بباب  
المنصور ، إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار ، فنزل ونمّى البساط برجله ، وجلس  
دونهُ ، فقال لي عُمارة : لا تزال بصرتكم ترمينا بأحق ، فافصل كلامه

من فيه حتى خرج الربيع ، وهو يقول : أين أبو عثمان عمرو بن عبيد؟ فوالله ما دلّ على نفسه حتى أرشد إليه . فأتكأه يده ، ثم قال : أجب أمير المؤمنين جعلني الله فداك! فرّ متوكئاً عليه ، فقلت لعارة الذي استحمقه : قد دُعِيَ وتركنا ، فقال : كثيراً ما يكون مثل هذا ، فأطال اللبث ، ثم خرج الربيع ، وعمرو متوكئ عليه ، وهو يقول : يا غلام ، حمار أبي عثمان . فما برح حتى أقرّه على سرجه وضمّ إليه ثوبه ، واستودعه الله عز وجل . فأقبل عمارة على الربيع ، فقال : لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلاً لو فعلتموه بولّي عهدكم لكتّم قد قضيتم حقه . قال : فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب . قال : فإن اتّسع لك الحديث فحدثنا ، فقال : ما هو إلا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه ، فما أمهل حتى أمر بمجلس فقرش لبودا ، ثم انتقل هو والمهدىّ إليه ، وعلى المهديّ سواده وسيفه ، ثم أذن له . فلما دخل عليه سلّم بالخلافة ، فرد عليه ، وما زال يدينه حتى أتكأه فخذه وتحفّى ، ثم سأله عن نفسه وعن عياله ؛ يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان عِظْنِي ، فقال : أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم \* بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والفجر \* وليال عشر \* والشفع والوتر \* والليل إذا يسر \* هل في ذلك قسم لذي حجر ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ يا أبا جعفر ، فبكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديداً ، وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة إلا تلك الساعة ، فقال : زدني ، قال إن الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها ، وإن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد مَنْ كان قبلك ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإني أحذرك ليلة تتمخّص صبيحتها عن يوم القيامة . قال : فبكى والله أشدّ من بكائه الأوّل حتى رجف جنباه ، فقال له سليمان بن مالك : رفقاً بأمر المؤمنين لقد أتعبته في هذا اليوم ، فقال له عمرو : بمثلك ضاع الأمر وانتشر ، لا أبالك ! وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى

من خشية الله تعالى . قال : فأنت والله الصادق البرّ ، قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك ، فقال : لا حاجة لي بها ، قال : والله لتأخذنها ، قال : والله لا آخذها ، فقال له المهديّ : يحلف أمير المؤمنين وتحلف ! فأقبل على المنصور فقال : مَنْ هذا الفتى ؟ فقال : هذا ابني محمد ، وهو وليّ عهد المؤمنين ، فقال : والله لقد سمّيته اسماً ما استحقّه عمله ، وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار ، ولقد ملكته أمراً ، أمتّع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثمّ النفث إلى المهديّة وقال : يا بن أخي ، إذا حلف أبوك حلف عمك ، لأنّ أباك أقدر على الكفارة من عمك . ثمّ قال : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، قال : ما هي ؟ قال : لا تبعث إليّ حتى آتيك ، قال : إذاً لا نلتقي . قال : عن حاجتي سألتني ، ثمّ استحفظه الله عز وجل وودّعه ، وانصرف . فلما وليّ أتبعه المنصور بصره وهو يقول :

\* كلكم يمشى رُوَيْدُ \* الأبيات

وقال إسماعيل بن مسleme أخو القعبيّ : رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام ، فقال لي : يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنّة ، فقلت : فعمرو بن عبيد ، فقال : في النار ، ثمّ رأيت في الليلة الثانية والثالثة كذلك ، فقلت له في الليلة الثالثة : فعمرو بن عبيد ؟ فقال : في النار ، كم أقول لك !

\* \* \*

قوله : « هس » أي فرح . أمّ : قُصِد . الوعيد : التهديد . أغبي الوري : أجهل الناس به ، قال المنصور : والله ما عزّ ذوباطل ، ولو طلع في جبينه القمر ، ولا ذلّ ذو حق ولو أصفق العالم عليه .

وفي معنى قوله : « وابغ رضا الله ... » البيت . أنّ ابن هبيرة شاور الحسن

البصرى ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك ، فيها بعض ما فيها ، فإن أفذتها خفت سخط الله ، وإن لم أفذها خفت على دمي . فقال الحسن : يا بن هبيرة ، خف الله في يزيد ، ولا تحف يزيد في الله ، فإن الله مانعك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله . يا بن هبيرة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فأعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى ، فما وافقه فنّفذه ، وما خالفه فلا تنّفذه . فقال : صدقتني ورب الكعبة .

وساور معاوية الأحنف في استخلاف يزيد ، فسكت ، فقال : مالك لا تقول ؟ فقال : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبتناك أسخطنا الله عز وجل ، فسخطك أهون علينا من سخط الله تعالى . قال : صدقت .

وكتب أبو الدرداء إلى معاوية : أمّا بعد ، فإنه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن يلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس .

وكتبت إليه عائشة رضی الله تعالى عنها : أما بعد فإنه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامدُهُ من الناس ذامًّا له . والسلام .

قوله : « أخذانه » أصحابه . ويسحب أردانه : يجرّ أذباله . استنشرنا : طلبنا أن ينشر لنا . والمدرجة : الورقة تكتب فيها الرسالة ، ويدرج فيها الكتاب ، وأضافها إلى الطيّ لأنها تطوى على ما فيها من الكتاب ، فكأنه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوى عليه ، يريد أنه أرسل فيه الرسائل إلى البلاد ، فلم يعرف له موضع قرّ فيه وثبت . عاره : ذهب به وأتلفه .

ويكنون بالجراد عن الناس ، فكأنه قال : ما يدري أيّ الناس ذهب به . ويقال : عارت عينه ، صارت عوراء ، ووعرتها أنا : فقأتها ؛ فكأنه ذهب كما تذهب العين وهذا بضعف . والله أعلم بالصواب .

## المقامة الثانية والعشرون وهي الفراتية

حكى الحارث بن همام قال : أَوَيْتُ فِي بَعْضِ الْفُرَاتِ ، إِلَى  
سِقْيِ الْفُرَاتِ ، فَلَقَيْتُ بِهَا كُتَّابًا أَبْرَعَ مِنْ بَنِي الْفُرَاتِ ، وَأَعَذِبُ  
أَخْلَاقًا مِنَ الْمَاءِ الْفُرَاتِ . فَأَطَفْتُ بِهِمْ لِتَهْدِيهِمْ ، لِأَلْذَهَبِهِمْ ، وَكَأَثَرِهِمْ  
لَأَدَبِهِمْ ، لِأَلْمَادِيهِمْ . فَجَالَسْتُ مِنْهُمْ أَضْرَابَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ،  
وَوَصَلْتُ بِهِمْ إِلَى الْكُورِ بَعْدَ الْخُورِ ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ أَشْرَكُونِي فِي  
الْمَرْبِيعِ وَالْمَرْتَعِ ، وَأَحْلُونِي مَحَلَّ الْأَنْمَلَةِ مِنَ الْإِصْبَعِ . وَاتَّخَذُونِي  
ابْنَ أَنْسِهِمْ عِنْدَ الْوِلَايَةِ وَالْأَزْلِ ، وَخَازِنَ بَرِّهِمْ فِي الْجِدِّ  
وَالهزل .

...

أويت ، أوىمت وانضممت . الفترات : جمع فترّة ، وهي الهدنة والسكون ؛  
فكأنة قال : هسيت في بعض السنين الآمنة . والفترّة أيضا : ضعف الأعضاء ،  
والفترّة أيضا ما بين نبيّ ونبيّ .

\* \* \*

[ سقى الفرات ]

وسقى الفرات بلاد يسقيها الفرات ، والفرات نهر يشقّ بلاد الروم وبلاد  
العراق ، ويقع في البحر الحبشيّ ، وجريانه خمسمائة فرسخ .  
وقال الرّشاطيّ : ابتداء الفرات وفوّهته من قائلقلا من بلاد إرمينية ،

ثم يسير إلى منبج من كور قنسرين إلى ميمساط ، ثم إلى مكلطية ، ثم إلى كيسوم من أرض الرقة ، ثم إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة وكور الفرات ، ثم إلى الأنبار ، ثم إلى الكوفة ، ويلتقي مع الدجلة ما بين واسط والبصرة ، ومنها انصباها إلى البحر ، وجريانهما من الشمال إلى الجنوب .

وقال شيخنا ابن جبير : هذا<sup>(١)</sup> النهر كاسمه فرات ، وهو من أعذب المياه وأخفها ، وهو نهر كبير زخار ، تصعد فيه السفن وتنحدر . وأما سقيه في أحواز بغداد فنبيين لك قدره . فذكر أنه عاينه في طريقه من الكوفة إلى بغداد ، وأنه رحل مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت .

قال : ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات ، ورحلنا من ذلك الموقع ، وبقنا ليلة الأحد سلخ محرم بقية من الحلة ، ثم جئناها يوم الأحد . وهي مدينة عتيقة الموضع ، مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها الشرقي ، وهي على شاطئها ، ويمتد بطولها . ولها أسواق حافلة جامعة للزرافق ، قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل ، وألفيناً بها جسراً معقوداً على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط ، أمر الأمير<sup>(٢)</sup> بعقدها اهتماماً بالحاج ، فعبرناها ، ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد ، والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بسائط وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ، ويشق هذه البسائط أغصان من [١٠٠] الفرات تسقيها ، فلعين في هذه الطريق مسرح انشراح ، وللنفس مزاداً نبساطاً وانفساح .

ومن مدينة الحلة يقسلسل الحاج أرسلالاً وأفواجاً ، لا يعرج المتأخر على المتقدم ، فحيثما شاءوا نزلوا ، ومن جملة الدواعي لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة في طريقهم إلى بغداد لا تكاد تمشي ميلاً إلا ونجد قنطرة على نهر متفرع عن

(١) رحلة ابن جبير ١٩٢ وما بعدها يتصرف (٢) ابن جبير : « الخليفة » .

الفرات ، فلوزاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعةً ، لتراكموا وقوعاً بعضاً على بعض .  
فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الاثنين أوّل يوم من صفر ، ونزلنا بعصره  
بقرية تعرف بالقنطرة ، كثيرة الخصب ، كبيرة المساحة ، متدفقة فيها جداول  
الماء ، وارفة الظلال بشجرات الفواكه ، من أحسن القرى وأجملها ، بها قنطرة  
محدودة تصعد إليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات ، فُعرفت  
القرية بها .

ثم رحلنا عنها بسحرٍ الثلاثاء ، ونزلنا ضحوة بالفراس ؛ قرية كثيرة العمارة  
يشقها الماء وحولها بسيط أخضر جميل المنظر ، والقرى من الحلة إلى بغداد على  
صفة الفرّاش في الحسن والاتساع .

ثم رحلنا منها ونزلنا عشى الزهار بزريّان<sup>(١)</sup> ، وهي قرية من أجمل قرى  
الأرض وأحسنها منظرًا ، وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطًا ، وأكثرها بساتين  
ورياحين وحدائق من نخيل ، ولها سوق تقصر عنه أسواق المدن . وحسبك من  
شرفها أن دجلة تسقى شريقيّهما والفرات يسقى غربيّهما ، وهي كالعروس بينهما .  
ومن شرفها أن يازأها إيوان كسرى ، وهو بناء عالٍ في الهواء على  
مقدار الميل منها وأمامها يسير مدائنه . واجتازنا سحرًا على المدائن ، فعابنا من  
طولها واتاعها مرأى عجيبيًا .

ونزلنا قافلين بصرصر ، وهي أخت زريّان حسنا ، يمرّ بجانبها القبلي نهر  
متفرع من الفرات وهي من القرى التي تملأ النفوس حسنا وجمالا ، لها أسواق  
حفيلة ، وجامع وجسر معقود على مراكب من الشطّ إلى الشطّ وهي من بغداد  
على ثلاثة فراسخ ، ورحلنا منها قبل الظهر ؛ وجئنا بغداد قبل العصر ، على بساتين  
وبساط يقصر الوصف عنها ، فمن أراد أن يعرف قدر سقى الفرات فليقف على  
هذا الفصل الذي ذكرناه .

(١) في الأصول : « زريّان » ، وصوابه من ابن جبير ومعجم البلدان



وقوله : « كتابا أبرع من بنى الفرات » ، أى أحذق وأزيد فضيلة .

### [ ذكر بنى الفرات ]

والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة ،  
وتقلد الوزارة ، قال فى بعضهم صالح بن موسى رحمه الله :

آل الفرات ندامم على الفرات يزيد  
وأنت فضلك فيهم وعليك منه شهود

وقال ابن المعتز فى على بن محمد بن الفرات :

أبا حسنٍ ثبَّتْ فى الأمر وطأى وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز<sup>(١)</sup>  
وألبستنى درعا على حصينة فناديت صرف الدهر : هل من مبارز!

وقال على بن بسام :

وقفت شهـورا للوزير أعدّها فلم تمنه نحوى الحقوق السوائف  
فلا هو يرعانى رعاية مثله ولا أنا أستحي الوقوف وآنف

وكان موسى بن الفرات عاملا لأحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل ،  
واستوزر المقتدر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات ، يعزله ثم يردّه .  
وقُتِل المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر<sup>(٢)</sup> بن الفرات وزيره .

وتولّى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن  
أبى الحسين بن الفرات . فكان محل آل الفرات ، الوزارة والكتابة والبراعة  
والحذاقة .

وحكى أن بعض الأدياء جوّز بحضرة الوزر أبى الحسن بن الفرات أن

(١) ديوانه ١١٩٤

(٢) فى الفخرى ٢٤٣ : « أبو الفضل جعفر الفرات » .

السين تقام مقام الصادق في كل موضع فقال له الوزير: أتقرأ: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صآح من آبآهم﴾ ، أو «ومن سلاح؟» فنجعل الرجل واقطع .

ومثل هذا الدائرة أن النضر بن شمیل مرض ، فدخل عليه قوم يعودونه ، فقال له رجل منهم : يكنى أباصالح : مسح الله ما بك ، فقال له : لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب ، وهو كلام العرب . فقال أبو صالح إن السين تبدل من الصاد كالصراط والسرط وصقر وسقر ، فقال له النضر : فأنت إذا أبو صالح ! فنجعل الرجل .

قوله : « أعذب من الماء الفرات » أي أحلى ، والماء الفرات : العذب الحلو .  
أطفت : أي أملت ونزلت . تهذبهم : نظرفهم وتخلصهم من عيوب الجفاء .  
كاثرتهم : صاحبتهم فكثرت عددهم بي . مآذبهم : طعامهم . أضراب : أمثال .

\* \* \*

### [ القعقاع بن شور ]

القعقاع بن شور ، قال الميرد : هو رجل سيد من عبد الله بن دارم ، وكان إذا جالسه جالس فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا في ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرآ له ؛ حتى شهر بذلك .

قال الفنجديهي : هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعالب بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني ، وهو من الأجواد والأسخياء ، يضرب به المثل في حسن المجالسة والمعاشرة وإتيان الجاليس بالشيء النفيس .  
قال أبو عبيد : وكان من جلساء معاوية ، فأهدى إلى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة ، فدفعها إلى جلسائه ودفع إلى القعقاع جام ذهب ، وفي القوم أعرابي إلى جنب القعقاع ، فدفع إليه لجام فأخذه الأعرابي ونهض ينشد :

وكنت جليس قعقاع بن شوُرٍ ولا يشقى بقعقاع جليس<sup>(١)</sup>  
ضحوك السن إن نطقوا بخيرٍ وعند الشرِّ مطراق عبوسُ

[ أشعار في وصف الجليس ]

ومما يستحسن في البر بالجليس قول صاعد اللغويّ :

لى من سرّ بنى العباس خـلّ وجليسُ  
شهد المجد عليه أنه العلق النفيسُ  
فإذا جالسته لم تدر من منّا الجليس  
وقال كشافجيم :

جليس لى أخوتيةٍ كأن حديثه حبره<sup>(٢)</sup>  
يسرك حسن ظاهره وتحمد منه مختبره  
ويستر عيبَ صاحبه ويستر أنه ستره  
وقال آخر :

جليس لى له أدب رعاية مثله تجبُ  
لو انتقدت خلائقه تهرج عندها الذهب  
وقال آخر :

لى صديق غلظت بل لى مولىً من لئلى بأن يكون صديق  
تتلاقى التقاءً روح بروح بضروب التقبيل والتعنيق  
ليس فى الأرض من يميز منا عاشقاً فى اللقاء من معشوقٍ  
أين ما وصف به القعقاع من قول والبة المشهور :

قلت لندمانى على خلوة أذن كذا رأسك من راسياً<sup>(٣)</sup>

(١) الكامل للمبرد ١ : ١٧٧ ، شمار القلوب ١٢٨

(٢) ديوانه ٧١

(٣) مختار الأغاني ٨ : ٣١٠

ونم على وجهك لى ساعة إنى امرؤ أنسكح جُلّاسيا  
 والبّه بن الحباب شيخ الحسن بن هانى أذّبه صغيراً، فتخلّق بخلقه. وقال الحسن:  
 وجليس كانّ فى وجنتيّهِ كلُّ شىء تسمو إليه النفوس<sup>(١)</sup>  
 قد أصبنا منه فتستغفر الله كثيراً وقد يصاب الجليسُ

### [ الحوَر والكور ]

قوله : الكَوْر والحَوْر ، أى الزيادة والنقصان، وكلام العرب : نعوذ بالله  
 من الحوَر بعد الكَوْر ، أى من النقصان بعد الزيادة ، قلب اللفظ على مراده ،  
 وهو من كَوْر العمامة ، وهو استعارة من تقض الأمر ، كتنقض العمامة بعد  
 كَوْرها وهو شدّها ، وكار عمامته : شدّها على رأسه وجمعها وحارها فنقضها  
 وأفسدها .

وأمر الحجاج رجلا على جيش ، ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر ، فقال:  
 هذا الحوَر بعد الكَوْر ، فقال له الحجاج : وما الحوَر بعد الكور؟ قال : النقصان  
 بعد الزيادة ، فعلى هذا أكثر أهل اللغة .

وقيل معناها : نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا فى الكور ، وهو  
 الاجتماع ، من كار عمامته جمعها فى رأسه . وحارها : أفسدها .

ويروى : « بعد الكون » ، من قولهم : حار بعد ما كان ، أى كان على حالة  
 جميلة فرجع عنها . وقيل : معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكون  
 على الاستقامة ، فحذف للعلم به .

\* \* \*

فى المرتع والمربع ، يعنى المأكل والمنزل ، والمرتع الاتساع فى الأكل الكثير  
 والشرب ، والمربع : المنزل فى الربيع ، من ربت فى الموضوع أقمت فيه . الأئمة .

(١) ديوان أبى نواس ١٩٦ وفيه : « كل حسن » .

طرف الأصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤوسهم .  
 ابن أنسهم ، أى الذى يأنسون به . عند الولاية والعزل ، أى زمن العمل  
 والعطل . خازن : كاتم وحابس .

\* \* \*

فَاتَّفَقَ أَنْ نُدَبُوا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، لاسْتِقْرَاءِ مَزَارِعِ  
 الرُّزْدَاقَاتِ ، فَاخْتَارُوا مِنَ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتِ ، جَارِيَةً حَالِكَةَ الشِّيَاتِ ،  
 تَحْسَبُهَا جَارِيَةً وَهِيَ تَمْرُ مَرِّ السَّحَابِ ، وَتَنْسَابُ فِي الْحَبَابِ كَالْحُبَابِ .  
 ثُمَّ دَعَوْنِي إِلَى الْمِرَاقَةِ ، فَلَبَّيْتُ بِلِسَانِ الْمَوَاقِفَةِ .

. . .

نُذِبُوا ، أى دعوا . استقراء ، أى تتبع . الرزداقات : العمالات والأنظار ،  
 وأراد أنهم خرجوا عمالا على الزرع ، وكل موضع أوقرية انفصل عن المدينة  
 بعمله فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة ، فالرزداق بخراسان وهو فارسى  
 عربى ، والمخلاف لليمن ، والكورة لغيرهما من الأرضين .

الجوارى : السفن . المنشآت : المصنوعات . حالكة الشيات : مسودة  
 اللون ، والشية فى الفرس لون يخالف لونه كالفرة والتججيل وغير ذلك ، فأراد أن  
 موضع البياض فى غير السفينة هو منها أسود فهى كلها سوداء جامدة : ساكنة .

[ فى وصف السفن ]

وركب السَّلامىّ دجلة فى زورق ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال :

وميدانٍ تجولُ به خيولٌ تقود لدرّاعين ولا تقادُ<sup>(١)</sup>

(١) يتيمة الدهر . ٢٠ : ٣٦٥ .

ركبت به إلى اللذات ظرفاً له جسمٌ وليس له فؤادُ  
جَرَى فحسبت أن الأرض وجهٌ ودجلة ناظر وهو السَّوادُ

وقال القاضي التنوخيّ يصف دجلة في الظلام : والقمر يلمع عليها ، وينتظم  
في سلك أبيات السَّلاميّ رحمه الله تعالى :

أحسنُ بدجله والدَّجى متصوَّبُ والبدر في أفق السماء مغرَّبُ (١)  
فكأنها فيه بساطٌ أزرقُ وكأنه فيها طراز مُذهَّبُ

وقال منصور بن كَيْغَلغ :  
كَم لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا

من فوق دجلة قبل أن يتغيَّبا (٢)  
قد سلّ فوق الماء سيفاً مُذهَّباً

وتسميته للسفينة جارية ، لجريانها على الماء ، قال تعالى في السفن العظام :  
﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ (٤) .

ولبعضهم :

يا من تأهَّبَ مزمماً لِرِوَاحِ مَتِيماً بَغْدَادَ غَيْرِ مَلَايحِ  
في بطن جارية كفتك بسيرها رَقْلَانِ كُلِّ شَنَاحَةٍ وَشَنَاحِ  
فكأنها والماء ينطح صدرها والخيزرانة في يد الملاحِ  
جَوْنٌ مِنَ الْعَمْبَانَ يبتدر الدَّجَى يهوى بصوت واصطفاقِ جَنَاحِ

الشَّنَاحِ : الجمل التام الخلق .

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الأصطول :

(١) يتيمة الدهر ١ : ٧٥ (٢) يتيمة الدهر ١ : ٧٥  
(٣) في اليتيمة : « للغروب » . (٤) سورة الشورى ٣٢

يا حسنًا يوماً شهدتُ زفافها بنت الفضاء إلى الخليج الأزرق<sup>(١)</sup>  
 من كلّ لابسة الشباب ملاءةً حسب اقتدار الصانع المتأنق  
 ومجاذفٍ تحكى أرقام ربوةٍ نزلت لتكرع في غدیر مُتأق  
 والماء في شكّل الهواء فلا ترى في شكليها إلا جوارح تلتقي  
 ولا بن حريق :

وكأنا سكن الأرقامُ جوفها من عهد نوح صاحب الطوفان<sup>(٢)</sup>  
 فإذا رأين الماء يطفح نضضت من كلّ خرق حيةً بلسان

\* \* \*

قوله : ينساب ، أى تمشى بسلاسة . الحجاب : طرائق الماء . والحجاب ، بالضم : الحية . وتشبيهه المشى السهل بحجاب الماء أفشى وأعرف من تشبيهه بمشى الحية ، وتشبيهه بمشى الحية قد استعمل ، وهو متمكن في المعنى ، وبه وقع التشبيه هنا في المقامة ، وقال امرؤ القيس في تشبيهه بحجاب الماء :

سموتُ إليها بعد ما نام أهلها سُموت حباب الماء حالاً على حال<sup>(٣)</sup>  
 وقال ابن الرومي :

فصفت ذلك من قولى إلى قمرٍ يلهو بمكتحلٍ طوراً وُتخَضِبِ  
 جرت تدافع من وشي لها حسن تدافع الماء في وشي من الحَبَبِ  
 وقال عمر بن أبي ربيعة في مشى الحية :

فلما قدت الصوت منهم وأظفنت مصابيحُ شبت بالعماء وأنور<sup>(٤)</sup>  
 وغاب فُميرُ كنت أرجو غيوبه وروح رُعِيانٌ وهو مُسمرُ  
 وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ حُباب وركنى خيفة القوم أزرُ

(١) نفع الطيب ٤ : ٦٠ .

(٢) نفع الطيب ٤ : ٥٧ ، وفيه : « خشية الطوفان » .

(٣) ديوانه ٢١ (٤) ديوانه ٦٦

(٤) ديوانه ٢١

ثبت في الكتب الصحاح ضم الحاء وقول الإعرابي :  
 من المتصدّيات لغير سوء تسيل إذا مشت نَسِيلَ الحُبابِ  
 يروى بالفتح والضم . وابن الإفريقي يأتي إلا الضم .  
 وقال أبو القاسم بن هاني \* فجمع بين التشبيهن :

قامت تَمِيسُ كما تدافع جَدُولُ وانساب أَيْمٌ في نقاً تَيْهَيْلُ (١)  
 واتت تَرْجِي رَدْفَهَا بقوامها فتأطر الأعلى وماج الأسفل  
 وقال آخر ورفع الاحتمال :

لما دنا الليل بأرواقه ولاحت الجوزاء والمرزُمُ  
 أقبلت والوطء خفيف كما ينساب في مكمنه الأرقمُ  
 وما أحسن قول ابن شهيد في معناه (٢) :

ولما تمكّن (٣) من سُكْرِهِ ونام ونامت عيون العَسَسِ  
 دنوتُ إليه على رِقْبَةٍ دنوّ محبِّ دَرَى ما التمسُ  
 أدبٌ إليه ديب الكرى وأسمو إليه سموّ النَّفْسِ  
 أقبل منه بياض الطلي وأرشف منه اللَّعَى واللَّعَسِ

\* \* \*

فأمّا تورّكنا على المطيّة الدهاء ، وتبطّنا الوليّة الماشية  
 على الماء ، أَلْفَيْنَا بها شيئاً عليه سَخَقُ سِرْبَال ، وَسِبُّ بال ،  
 فعافت الجماعة محضره ، وَعَنَفَتْ مَنْ أَحْضَره ، وَهَمَّتْ بِإِبْرَازِهِ

(١) ديوانه ١١٠

(٢) ديوانه ١٢٠ ، نفع الطيب ٣ : ١٩٠ ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ : ٢٤٥

(٣) الذخيرة والنفع .



من السفينة ، لولا ما ثاب إليها من السكينة ؛ فلما لمح منا  
استثقال ظلّه ، واستبراد طلّه ، تعرّض للمناشة فصمّت ، وسخّدل  
بعد أن عطس فما شمت .

\* \* \*

قوله : المطية الدهاء ، هي السفينة السوداء . وتورّ كناها : قعدنا عليها  
متكئين . وتبطنا : دخلنا بطنها . الولية : المطيعة . وأوهم اتول الناس : فلان وليّ  
يمشى على الماء ، فلما كانت مطيعة لخدامها ماشية على الماء سماها وليّة . ألقينا :  
وجدنا . سحق مر بال ، أى قميص خلق . والسبب : الخمار . فيريد أن عليه منزرا  
أو خماراً بالياً ، والمنزّر كالخمار للمرأة . عافت : كرهت . عتفت : لامت وأغلظت  
له القول ، والعنف ضدّ الرفق . ثاب : رجع .

قال القرّاء رحمه الله تعالى : معنى السكينة الطمأنينة .

أبو عبيدة : هي فميلة من السكون . وتشبه حالة أبا زيد هنا في إهاتته أو لا  
وإكرامه آخرأ حالة معبّد في دخول السفينة ، وقد تقدّمت في الثامنة عشرة .  
لمح : رأى . والظلّ ، يوصف بالثقل مبالغة في ثقل صاحبه ، يقال للمستثقل :  
ظلك علىّ ثقيل ، أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظلّ السريع الانتقال يثقل  
علينا ، فيصوّر شخصك أى منزلته من الثقل ، وإتما يتصور ثقل الظل حقيقة إذا  
أخذ عليك إنسان عين الشمس في زمن البرد أو ضوءها وأنت تنظر ما يدفء .

[ ذكر الثقل ]

ومما قيل في ثقيل :

أنت يا هذا ثقيلٌ      وثقيلٌ وثقيلٌ  
أنت في المنظر إنسا      نٌ وفي الخبر فيلٌ

( ٤ - شرح مقامات الحريري - ٢ )

لو تعرضت لظليلٍ فسَدَ الظلُّ الظليلُ  
وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيلٌ يُنشد :  
فما الفيل تحمله مَيِّتًا      بأثقلَ من بعض جلاسيًا  
وذكر ثقيلا كان يجلس إلى جانبه ، فقال : والله إنى لأبغض شقي الذي  
يليه مني .  
وكان حماد بن سلمة إذا أرى من يستثقله قرأ : ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب  
إنا مؤمنون ﴾ (١) .  
عائشة رضى الله عنها : نزلت آية في الثقلاء : ﴿ فإذا طمتم فانتشروا  
ولا مستأنسين لحديث ﴾ (٢) .  
الشعبي : من فاتته ركعتا الفجر فليعلن الثقلاء .  
وكان أبو هريرة رضى الله عنه إذا رأى ثقيلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه .  
قيل لجالينوس : لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ؟ قال : لأن  
ثقله على القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه .  
وقال طيب للحجاج : إياك ومجالسة الثقلاء ، فإننا نجد في الطب أن مجالستهم  
تُحْمِي الروح .  
وقال حكيم لآخر : لا تصحبن ثقيلا ، فمن يصحبه فإنما يعذب روحه .  
وقيل : سخنة العين النظر إلى الثقلاء .  
وكان بعضهم إذا رأى ثقيلا غشي عليه . وكان آخر إذا رأى ثقيلا  
تعمض عينيه .  
وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلا قال : قد جاءكم الجبل ، فإن جلس عندهم  
قال : قد وقع عليكم .

(١) سورة الدخان ١٢ .

(٢) سورة الأحزاب ٥٣ .

وسمع الأعمش كلام ثقيل فقال : مَنْ هذا الذى يتكلم وقابى يتألم .  
قال رجل لخالد بن صفوان : أتستثقل فلانا؟ قال : أوّه كدت والله أن  
تصدع قابى بذكره ، والله لهو أثقل من شراب الترنجيبيل بماء التين فى أيام  
الحكاك بعقب النخمة وأوان الحجامة .

سَلَّمَ ثقيل على بعض الظرفاء فقال : وعليك السلام شهراً .  
قعد ثقيل عند ظريف ، فسئِلَ عن ذلك ، فقال : كانت نفسى قد شمخت  
على فأردت أن أهينها بذلك .

وقال رجل لغلام هاشمى : يا بغيض ، فشكاه إلى أبيه ، فقال : قد علمتُ أنك  
بغيض ، فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بفضك بإسنادك .

وسئِلَ إنسان له ثلاث بنين ثقلاء : أىّ بنيك أثقل؟ فقال : ليس بعد الكبير  
أثقل من الصغير إلا الأوسط .

كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد : أنت والله يا محمد ثقيل الظلّ ، مظلم  
الهواء ، جامد النسيم ، بارد حامض متين .

قال سهل بن هارون : مَنْ ثَقَّلَ عليك نفسه ، وغمك سؤاله ، فأعِره أذناً  
صماء ، وعيناً عمياء .  
وأنشدوا :

مشمولٌ بالبغضِ لا تنننى إليه لحظاً مقلّة الرامق<sup>(١)</sup>  
يظلّ في مجلسنا قاعداً أثقل من واشٍ على عاشق

وقال بعضهم :

يا مَنْ تبرّمت الدنيا بطلعتيه . كما تبرّمت الأجنان بالسَّهْدِ<sup>(٢)</sup>  
إني لأذكره حيناً فأحسبه من ثقله جالساً منى على كبرى

(١) زهر الإداب ٤٤٢ هـ . وورد البيت محرفاً فى الأصول والصواب هـ . أنبئه من زهر  
الإداب . (٢) المحاسن والمساوى ٢ : ٤٢٧

ولبعضهم :

نظر العين نحوه - علم الله - يُمرضُ  
فإذا ما أردتمُ أن تروه فتمضوا  
لا تصبكم ملّة وللّمات تعرضُ

وقال بعضهم :

شخصك في مقلة النديم - أوحش من نحسة النجوم -  
يا رجلا وجهه علينا - أثقل من منة اللثيم -  
إني لأرجو بما أقاسى - منك خلاصى من الجحيم -

وقال بعضهم أيضاً :

ولى خلتان على هامتي - جلوسهما مثل حدّ الوتد  
تقيلان لم يعرفاً حفةً - فهذا الضدّاع وذاك الرمذ

والأشعار فى التتلاء كثيرة وفى كتب الآداب مشهورة ، فلنقتصر على

هذه النبذة .

[ ما جاء فى البارذ ]

قوله : استبراد طله . الطل : أضعف المطر ، وهو الرذاذ ، وأكثرتزوله  
ساكناً بغير ربح ، ولا برّذ فى الغالب يكون معه ، فكنتى هنا بالطل عن كلامه .  
القليل ، وإنه عندهم بارد الحديث ، وإن كان ما جاء منه ثقيل مؤذ .

وقد جاء فى ذلك :

ولو مازج النار فى حرّها - حديثك أطفأ منها الالهب  
وقال آخر فى شعر الصولى :  
دارى دبلا خيش ولكنتى - عقدت من خيشى طاقين

دار متى ما اشتد بي حرها أنشدت للصوّليّ يبتين  
وكلامه :

ويوم كتنور الطهارة سجرته على أنه منه أحرّ وأوقدُ  
ظلاتُ به عند المبرد جالساً فازلت في ألفاظه أنبردُ

لقي برد الخيار المغني أبا العباس المبرد في يوم تلج بالجسر ، فقال له : أنت  
المبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ؛ اعبر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسببنا .  
وقال كشاجم رحمه الله تعالى :

غناء مديح بأرض الحجاز يطيب وأما بجمعي فلا  
لبرد الغناء وبرد الهواء فإن جما خفت أن يقتلا

قوله : تعرّض ، أي تهبأ . المنافعة : الكلام معهم . صمّت : سكّت .  
ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موقع  
حديث الرجل من القوم كوقعه من قلوبهم » .

حمدل : قال الحمد لله . ماشمّت : ما أدخل عليه السرور بقولهم : يرحمك الله تعالى .  
ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من  
عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء أهونها الجذام » .

[ ماجاء في تسميت العاطس ]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، والذي  
يشمّت : يرحمك الله ، وليقل هو : يهديكم الله ، ويصالح بالكم » .

وبما يستظرف من حديث العطاس أن صوفيّاً في بلدنا كان حافظاً للشعر ،  
فلا يعرض في مجلسه معنى إلا وينشد عليه شعراً ، فاتفق أن عطس رجل بمحضره ،  
فشتمته الحاضرون ، فدعا لهم ، فرأى الصوفيّ أن تسميته قطع إنشاده بما لا يشاكله .

من النظم ، وإن لم يشمته كان تقصيراً في البر . فأصبح للطلبة راغباً أن ينظم له هذا المني ، فقال الوزير الحسين أبو عمرو بن محمد :

يا عماطساً يرحمك الله إنْ      أعلنتَ بالحمد على عَطَسَتِكَ  
ادع لنا ربك يفر لنا      وأخلص النية في دعوتِكَ  
وقل له يا سيدي رغبتى      حضور هذا الجمع في حضرَتِكَ  
وأنت يارب النداء والندى      بارك ربّ الناس في ليلتك  
فإن يكن منك لنا دعوة      فأنت محمود على عَوَدَتِكَ

وهذا الوزير الشريف إنما يصرف شعره في أوصاف الغزلان ، ومخاطبات الإخوان .

وكتب إلى يستهديني كتاب العقد :

أيامن غدا سلكا بجيد معارفه      ومَنْ لفظه زهر أنيق لقاطفه  
محبك أضحى عاطل الجيد فلتجد      بعقد على لُبِّاته وسولفه

وتوعك في بعض الأعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة ، فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالاً :

لله درّ عصابة أجداد      شرف النداء بقصدهم والنّادى  
لما أشاروا بالسلام وأرْبَعُوا      أنشدتهم وصدقت في الإنشاد  
في العيد عدم وهو يوم عروبة      يافرحتي بثلاثة الأعياد

\* \* \*

فأخردَ ينظرُ فيما آلت حاله إليه ، وينتظرُ نُصْرَةَ المبعيِّ عليه . وجلنا نحنُ في شجونٍ ، من جدِّ ومُجُونٍ ؛ إلى أن اعترضَ :  
: كرم الكتابين وفضلهما ، وتبيان أفضلهما ، فقال قائل : إن كتبة

الإِنشاء أَنبَلُ الكُتَّابِ ؛ ومالَ مائلٌ إلى تفضيلِ الحَسَّابِ . واحتدَّ الحِجَابِ ، وامتدَّ اللِّجَابِ ؛ حتَّى إذا لم يَبْقَ لِلجِدَالِ مَطْرَحٌ ، ولا لِلِمِرَاءِ مَسْرَحٌ ؛ قال الشيخ : لَقَدْ أَكثَرْتُمْ ياقومُ اللَّعَطُ ، وَأَثَرْتُمْ الصَّوَابَ والغلطَ ، وإنَّ جَلِيَّةَ الحُكْمِ عندي ، فارتضوا بِنقِدي ، ولا تَسْتَفْتُوا أَحداً بَعْدِي .

\* \* \*

قوله : أَخرد ، أى سكت ذلاً ، ويروى : خرد ، أى سكت حياء واستتر ، تقول : أَخردت وخردت من حرّ الشمس . أى استترت ، وأقرد من لفظ القرد أو القراد ، وأخرد من لفظ الخريذة . ألت : رجعت . المبعى عليه ، أى المظلوم ، وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه ، من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ . جُلنا : تصرّفنا . شجون : ضروب من الكلام ، ومنه : الحديث شجون ، أى فنون ، ومشتبك بعضه ببعض . وفى الحديث : « الزحم شجنة من الله » ، معناه القرابة مشتبك بعضها ببعض ، كاشتباك العروق . اعترض : تصلب وظهر . الإِنشاء : الكتابة . وكتبة الإِنشاء هم كتبة بين يدي السلطان وهم المترسلون . أنبل : أعظم قدرا . والحَسَّاب : كتبة الزمام

احتدَّ : اشتدَّ والحجاج : الحاجة<sup>(١)</sup> والحجاج : ركوب الرجل على الباطل ، مطرح : موضع يطرح فيه . المراء ، قد تقدّم . آثرتم : فضلتهم . جليّة : بيان . نقدي : تمييزي .

\* \* \*

(١) ط : جمع ججة ، والوجه ما في ا .

اعلموا أنّ صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ،  
 وقلم المكاتبه خاطب ، وقلم المحاسبه خاطب ، وأساطير البلاغة تُنسخ  
 لتُدرس ، ودساتير الحسابات تُنسخ وتُدرس . والمنشئ جُهينة  
 الأخبار ، وحقية الأسرار ، ونجى المظماء ، وكبير الندماء ، وقلمه  
 لسان الدولة ، وفارس الجولة ، ولقمان الحكمة ، وترجمان الهمّة .  
 وهو البشير والتذير ، والشفيع والسفير . به تستخلص  
 الصياصي ، وتملك النوصي ، ويقتاد العاصي ، ويستدني القاصي ،  
 وصاحبه برى من التبعات ، آمن كئيد الشعاة ، مقرظ بين  
 الجماعات ، غير معرض لنظم الجماعات .

\* \* \*

قوله : خاطب ، أى جامع للكلام . خاطب : جامع للحطب ، يريد أن  
 المنشئ . كالحطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ، ولا يبالي كاتب الحساب  
 بما كتب ، ويكون خاطب بمعنى مجمع للمال . أساطير : أحاديث ، وهى جمع  
 أسطار ، وأسطار : جمع سطر . وقيل : الأساطير : جمع أسطورة وإسطارة .  
 دساتير : أزمة . تدرس : تمحى أو تُترك حتى تتغير .

[ أصل المثل : عند جهينة الخبر اليقين ]

جهينة الأخبار ، أى العارف بها . واختلفوا فى المثل ، قال الأصمعي رحمه  
 الله تعالى : جُهينة بالجيم والفاء .  
 وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى : حُفينة ، بجاء غير معجمة .  
 وقال ابن الكلبي : جُهينة بالجيم والماء ، وهو الصحيح .



وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خَرَجَ يطلبُ فُرْصَةَ فاجتمع  
 برجل من جُهينة يقال له الأخنس بن كعب، فنزلا في بعض منازلهما . وتماقدا  
 ألا يلتقيا أحداً إلا ساءاه، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه، فلقيا رجلا، فسلباه كلَّ  
 ماممه فقال لهما: هل لكما أن تردّا علىّ بعض ما أخذتما مني وأدلكما على  
 مغنم؟ فتالا: نعم، قال: هذا رجل لحميّ قدم من بعض الملوك بمغنم كثير، وهو  
 خلفي في موضع كذا، فردّا عليه بعض ماله، وطلبيا اللخميّ، فوجداه نازلا  
 في ظل شجرة وقدّامه طعامه وشرابه، خيّاه وحيّاهما، وعرض عليهما الطعام،  
 فنزلا وأكلا، وشربا مع اللخميّ. ثم إن الأخنس ذهب لبعض شأنه، فلما رجع  
 أبصر سيف صاحبه مسلولاً، واللخميّ يتشحّط في دمه، فسلّ سيفه، وقال:  
 ويحك! قتلت رجلا قد تحرّمتنا بطعامه وشرابه! فقال: اقمدا يا أبا جهينة، فلهذا  
 وشبهه خرجنا. ثم إن الجهتي شغل صاحبه بشيء، ثم وثب عليه فقتله، وأخذ  
 متاعه ومتاع اللخميّ. ثم انصرف إلى قومه راجعاً بماله، وكانت لحصين أخت  
 تسمّى صخره، فكانت تبكيه في المواسم وتسال عنه فلا تجد من يخبرها بخبره،  
 فقال الأخنس حين أبصرها:

وكم من فارس لا تزدريه إذا شخّصت لرؤيته العيون<sup>(١)</sup>  
 علوت بياض مفرقه بعصب  
 يذلّ له العزيز وكلّ ليث  
 من العقبان مسكنه العرين  
 فأضحت عرسه ولها عليه  
 بعيد هدوء رقدها أنين  
 كصخرة إذ تسائل في مراح  
 وفي<sup>(٢)</sup> جرم وعلهما ظنون  
 تسائل عن حصين كلّ ركب  
 وعند جُهينة الخبر اليقين  
 فمن يك سائلا عنه فعندي  
 لسائله الحديث المستبين  
 مراح وجرم: قبيلتان .

(١) قبله في الميداني ٢ : ٤

وكم من ضيفم ورد هموس

(٢) الميداني : « وأمار » .

أنى شبليين مسكنه العرين

حقيقية: وعاء . نجى : متكلم . الندماء : الجلساء على الخمر ، يريد أن أصحابه أعيان وأشرف . النذير : الخوف . السفير : الرسول بين القوم . تستخلص : تملك وتحصل . الصياصى : الحصون . النواصى : الرؤوس ، وأصل الناصية شعر مقدم الرأس . القاصى : البعيد . التبعات : المطالبات . السعاة : جمع ساعٍ ، وهو جاني الصدفة . مقرظ : مدوح . نظم الجماعات : تجميعا الحساب ، والجماع : الأخلاط وضروب من الناس ، والجماع : كل شيء انض بعضه إلى بعض وتجمع؛ أراد أن كاتب التراسيل قد آمن من مكر عمال الزكوار الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعرض لأن يؤلف ما افترق من الخراج حتى يصير جماعات .

فَمَا أَنْتَهَى فِي الْفَصْلِ ، إِلَى هَذَا الْفَصْلِ ، لَحَظَ مِنْ لَمَحَاتِ الْقَوْمِ أَنَّهُ أَزْدَرَعَ حُبًّا وَبُغْضًا ، وَأَرْضَى بَعْضًا وَأَحْفَظَ بَعْضًا . فَعَقَّبَ كَلَامَهُ بِأَنْ قَالَ : إِلَّا أَنَّ صِنَاعَةَ الْحِسَابِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَصِنَاعَةَ الْإِنشَاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّلْفِيقِ ، وَقَلَمَ الْحَاسِبِ صَابِطٌ ، وَقَلَمَ الْمُنشِئِ خَابِطٌ . وَبَيْنَ إِتَاوَةِ تَوْظِيفِ الْمَعَامَلَاتِ ، وَتِلَاوَةِ طَوَامِيرِ السَّجَلَاتِ ، بَوْنٌ لَا يُدْرِكُهُ قِيَاسٌ ، وَلَا يَعْتَوِرُهُ تَبَاسٌ ، إِذِ الْإِتَاوَةُ تَمَلُّ الْأَكْيَاسَ ، وَالتَّلَاوَةُ تَفَرِّغُ الرَّاسَ ، وَخِرَاجُ الْأَوَارِجِ ، يُعْنِي النَّاطِرَ ، وَاسْتِخْرَاجُ الْمَدَارِجِ يُعْنِي النَّاطِرَ .

\* \* \*

الفصل ، أى القضاء والحكم ، وأراد أنه فصل في القضاء بين الصنفين من الكتاب . إلى هذا الفصل ، أى إلى هذا الحد . والفرق ، فالأول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلا: قضى ، والثانى من فصلت بين الشئتين فصلا وفصولا: فرقت ، يريد أنه فصل بين الكلام المتقدم والكلام المستأنف ، وأراد أنه ازدرع في

قلوب كَتَبَةِ الإنشاء حَبَّةً لمدحه لهم ، وفي قلوب كتبة الحساب بفضه لَمَّا قَصَرَ بهم ، فأخذ يستأنف مدحهم .

أحفظ : أغضب . عَقِب : أتبع ، وأراد بالتحقيق أن صنعة الحساب برهانية محققة . والتلفيق : ضمُّ شيء لطيف إلى مثله ، ولققت الشيء تلفيقاً ضمنت بعض أجزائه إلى بعض . ضابط : محقق ، والضبط الأخذ بشدة ، ورجل ضابط لشيء ، إذا قوى عليه فلم يُفَلت منه . خابط : مغرر ، وخبط : مشى على غير هداية . الإتاوة : الخراج والجباية إلى بيت المال . توظيف : تقسيط . ووظف على الناس الغرم : قسَّطه عليهم ، والوظيفة : نصيبك الذي تغرمه . المعاملات : أنواع من علم الحساب ، وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة إذا وافقته على بيع أو كراء أو إجازة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض . تلاوة : قراءة . طوامير السجلات : بطائق الترسيل ، والطومار : الكتاب . بون : بعد . يعتوره : يتداوله ويقصده . التباس : شك . الأكياس : أوعية الدراهم . والإتاوة : رشوة العمال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : هدايا العمال رشوة . تعرَّغ الرأس : تهوَّسه بكثرة الدروس والسهر . الأوارج : أزمة الخراج . وقيل : صنف من الخراج . الناظر : العامل فيها ، وأورجها ، إذا تولى عملها والقيام بها . المدراج : الرسائل ، سميت بذلك لأنها تُدرَج ، أى تطوى على ما فيها ، واستخراجها : تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها . يعنى : يتعب . الناظر : سواد العين ، يريد أن كاتب الزمام في راحة وهو يعلى على أكياسه بالدراهم . وكاتب الرسالة متعوب قليل المال .

ثمَّ إنَّ الحِسْبَةَ حَفَظَةُ الأَمْوَالِ ، وَحَمَلَةُ الأَثْقَالِ ، وَالثَّقَلَةُ الأَمْبَاتُ ، وَالسَّفَرَةُ الثَّقَاتُ ، وَأَعْلَامُ الإنصافِ وَالإنتِصافِ ، وَالشُّرُودُ العَقَانِيعُ فِي الإِخْلَافِ ، وَمِنْهُمْ المُستوفِي الَّذِي هُوَ يَدُ السُّلْطَانِ ، وَقُطْبُ الدِّيوانِ ، وَقِسْطَاسُ الأَعْمَالِ ، وَالْمُهَيِّمُونَ عَلَى العُمَمَالِ ،

وإليه المآبُ في السِّلمِ والهَرَجِ ، وعليه المدارُ في الدَّخْلِ والخَرْجِ ، وبه  
مناطُ الضَّرِّ والنَّفْعِ ، وفي يده رِباطُ الإعطاءِ والمنعِ .

ولولا قلم الحِسَابِ ، لأودت ثَمَرَةُ الاكِتِسَابِ ، ولا تَصَلَ  
التَّعَابُنُ إلى يومِ الحِسَابِ . وَلا كَانَ نِظَامُ المعاملاتِ مَحْمُولاً ، وَجُرْحُ  
الظُّلَمَاتِ مَطْمُولاً ، وَجِيْدُ التَّنَاصُفِ مَغْمُولاً ، وَسَيْفُ التَّظَالِمِ  
مَسْمُولاً . على أَنَّ بِرَاعَ الإنشاءِ مَتَقَوَّلٌ ، وبِرَاعَ الحِسَابِ مَتَأَوَّلٌ .  
والمحاسبُ مُنَاقِشٌ ، والمُنَشِئُ أَبُو بَرَاقِشٍ ، ولكلِّهما مَحْمَةٌ حينَ يَرُقُّ ،  
إلى أن يُبَلِّغَ وَيُرُقِّ ، وإِعْنَاتٌ فيما يُنْشَأُ ، حَتَّى يُنْغِشِي وَيُرْشِي ؛ إِلَّا  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ .

\* \* \*

النَّقْلَةُ : الأثبات ، أى هم على يقين وثبات فيما ينتلون . السَّفَرَةُ . الكتبة .  
التَّمَات : الأمانة . أعلام الإنصاف ، يريد المشاهير بإنصاف السلطان من الناس  
والناس منه ، وتقول : أنصفت الرجل : أعطيتَه حقَّه ، وانتصفت منه : أخذت  
حَقَّكَ . والمقانع : الذين يُقنع بفعلهم ، أى يرضى . والإخلاف : جودة الزرع ،  
تقول : أخلف الزرع ؛ إذا طاب ؛ وردَّ على أصحابه أضعاف ما أنفق عليه . المستوفى :  
رأس المشارب . قطب : أصل . وقُطِبَ القومُ سيِّدُهُم الذى يدبر أمرهم ويدورون  
على رأيه ، بمنزلة قطب الرحى الذى تدور عليه . الديون : دار كتاب الخراج ،  
وهو فارسى معرَّب . قسطاس : ميزان ؛ يريد أنه ميزان العمل الذى يعتدل به .  
المهيمن : الشاهد . المآب : الرجوع . السِّلمُ والهَرَجُ : الصلح والحرب . المدار :  
المعول ، أى عليه أن يعول فى إدارة ما يدخل على السلطان من المال من رعيته ،  
وما يخرج عنه من لوازم الأجناد وغيرهم ، وفلان كثير الدخل والخروج ،

إذا كثر ما يدخل عليه من الفوائد وما يخرج عنه من الإفناق .

مناط : تعلق . أودت : هلكت . نظام : خيط . مطولوا ، هدرأ أى باطلا  
لاحق فيه . التناصف : أخذ الحق وإعطاؤه ، واستعمار له عنقاً ، وجملة مغلولا ؛  
أى محبوسا بفل . النظام : ضد التناصف . يراع : أقلام . متقول : منحول  
ما يقوله . متأول : مدبر ؛ يريد أن الملك يلقي للكاتب مقصده ، فيحسن  
الكاتب الألفاظ ويرتب الفقر ، فيزيد في كتابته ألفاظاً على ما حد له بالضرورة ،  
فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل ما لم يقل ، وكاتب  
الحساب لا يحتاج إلى تقول . مناقش : مباحث . أبو براقش ؛ أى يأتى بأنواع  
مختلفة ، وأبو براقش : طائر فيه ألوان شتى ، مشتق من البرقشة ، وهى النقش  
والرقم ، يقال : برقشت الثوب . وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء  
لبعض بنى أسد :

إن يبخلوا أو يحسنوا أو يمدروا لا يبخلوا

بغدوا عليك مرجليهم كأنهم لم يفعلوا

كأبى براقش كل حين لونه يتحيل

وأبو براقش وأبو قلمون ، كنية للرجل الكثير اللون ، القليل الارتباط ،  
وأصل أبى قلمون كنية لثياب إبريسم تنسج بمصر والروم ، تملون للعيون ألواناً  
شتى . وفى البديعية :

أنا أبو قلمون فى كل لون أكون

حمة بالتخفيف : سمّ وشر . يرقى : يصعد فى منزله ، ويرتفع فى أصابع الكاتب  
حين يكتب به . يرقى : إشارة للرشوة لأنها تسكن شره ، كما تسكن الرقية الوجع ،

إعنات : مشقة . يُنشى : يكتب . يُغشى : يُقصد ويدخل عليه .

### [ حائك الكلام ]

هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور، لأنهم حقروه أولاً في السفينة ثم عظموه آخرًا بعد الاختبار .

(١) ونذكر الحكاية وإن طالت لموافقتها المقامة : حدث عمرو بن مسعدة (٢) أن المعتصم لما رجع من الثغر ، وصار بناحية الرقة قال لى : ما زلت تسألنى فى الرخجى (٣) حتى وليته الأهواز، وقعد فى سرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ، ولم يوجه إلينا بدرهم واحدٍ ، أخرج إليّ من ساعتك ، واحلف ألاّ تقيم ببغداد إلاّ يوماً واحداً ، فحلفت له ، وقلت فى نفسى : أبعد الوزارة أصير مستحسناً لعامل خراج ! ولم أجد بداً من طاعته . فخرجت إلى بغداد ، ففرش لى زورق ، وغشى بالسليخ (٤) ، فلما صرت عند دير هزقل (٥) ، وإذا رجل يصيح : يا ملاح ، رجل منقطع ، فقلت للملاح : قرب إلى الشطّ ، فقال : هذا شحاذ ، وإن قعد معك ، آذاك فأمرت الغلمان فأدخلوه فى كوئل (٦) الزورق ، فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع ، إلاّ أنه نظيف ، فلما رُفِع الطعام ، أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوامّ مع الخاصة ؛ أن يقوم فيغسل يده فى ناحية ، فلم يفعل ، فغمره الغلمان فلم يفعل ، فقلت : يا هذا ، ما صناعتك ؟ فقال : حائك ، فقلت فى نفسى : هذه شرّ من الأولى ، ثم قال لى : جُعِلت فداك ! سألتنى عن صناعتى فأخبرتُك ، فما صناعتك ؟ فقلت : هذه والله أعظم ، فكهرت ذكر الوزارة فقلت : كاتب .

(١) العقد ٤ : ١٧٥ .

(٢) كذا فى الأصول والمعروف أن عمر بن مسعدة توفى سنة ٢١٧ فى حياة المأمون .

(٣) الرخجى . منسوب لى رخج ، من نواحي كابل ، وهو عمر بن فرج . كان من

تأعيان الكتاب فى أيام المأمون . (٤) السليخ الجلد .

(٥) دير هرقل : بين البصرة وعسكر مكرم (ياقوت) .

(٦) الكوئل . مؤخر السفينة أو سكانها .

فقال : الكاتب على خمسة أصناف : كاتب رسائل ويحتاج أن يعرف الفصل من الوصل ، وانهائي والتعازي والصدور وجمالاً من الإعراب . وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة والتسميط والحساب . وكاتب جند ، يحتاج إلى أن يعرف شِيَاتِ الخيل وحُلَى الناس . وكاتب شرطة يحتاج إلى أن يَعْرِف الجراح والقصاص والديّات ، وكاتب قاضٍ يحتاج إلى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك ، فأيهم أنت أعزك الله تعالى ؟

قلت : كاتب رسائل ، قال : فأخبرني ؛ إن كان لك صديق تكتب له في المحبوب والمكروه<sup>(٢)</sup> ، فزوّجت أمه ، كيف تكتب إليه؟ تهنئه أو تعزيه؟ قلت : والله لأأدرى ، وهو بالتعزية أولى ، قال : صدقت ، فكيف تعزيه؟ قلت : والله لأأدرى ، وهو بالتعزية أولى ، قال : صدقت ، فكيف تعزيه ؟ قلت : والله لأأدرى . قال : فلست بكاتب رسائل : فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج ، قال : فما تقول وقد ولّك السلطان عملاً ، فجاء قوم يتظاهمون من بعض عمالك ، فأردت أن تُنصِفهم ، وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الأحدوثه ، وكان لأحدهم قراح<sup>(١)</sup> فأردت مساحته ؟ قلت : أضرب العطوف في العمود . قال : إذن تنظّم الرجل ، قلت : فأمسح العمود على حدة ، والعطوف على حدة ، قال : إذن تنظّم الناس ، قلت : والله فما أدرى؟ قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت؟ قلت : كاتب جند .

فقال : فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع السفلى ، كيف تكتب عليهما؟ قلت : أكتب أحمد الأعم وأحمد الأعم . قال : وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ، فنظّم صاحب الألف ، قلت : والله ما أدرى ! قال : فلست بكاتب جند ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض .

قال : فما تقول في رجل توفّي وخلف زوجة ورؤية ، وللزوجة بنت وللشربة<sup>(٣)</sup>

(١) القراح : المزرعة ليس فيها بناء ولا شجر .

(٢) بعدها في العقد : « وجميع الأسباب » . (٣) الشربة : المبلوكة يتسراها صاحبها .

ابن ، فتنازعتا فيه ، فقالت كل واحدة منهما هذا ابني وقالت واحدة هذا ابني ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى ! قلت : والله ما أدرى ؟ قال : فلست بكاتب قاض ، قال : فأيتهم أنت ؟ قلت : كاتب شرطة .

قال : فما تقول فى رجل وثب على رجل ، فشجّه شجّة<sup>(١)</sup> موضحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجّة مأمومة<sup>(٢)</sup> ، قلت : لأعلم ، وقد سألت ففسّر لى ما ذكرت

قال : أما الرجل الذى تزوّجت أمه ، فتكتب إليه : أما بعد فإن أحكام الله تعالى تجرى بغير محابّ الخلقين ، والله يختار للمخلوق ، فخار الله لك فى قبضها إليه ، فإن القبر كرم لها ، والسلام .

قال : وأما التراح فتضرب واحداً فى واحد فى مساحة العظوف ، فتمّ بابه .

قال : وأما المقطوع العليا فتكتب عليه أحمد الأعم ، زوال المقطوع السفلى أحمد الأشرم ، وأما المرأتان فيوزن لبيهما ، فأيتهما . أنا أخفّ فهى صاحبة البنت . وفى الموضحة خمس من الإبل ، وفى المأمومة ثمانية وعشرون .

قلت : فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لى كان عاملاً على ناحية فخرجت إليه فلقيته معزولاً ، فخرجت إلى بعض النواحي اضطرب فى المعاش ، قلت : أليس قد ذكرت أنك حائك ! قال : أنا أحوك الكلام ، ولستُ بجائك الثياب . فلما بلغنا الأهواز أمرتُ الحجام فأحفى من شعره ، وأدخل الحمام ، فكسوته من ثيابى ، وكلمت الرخجى فيه فى الأهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ورجع معى .

فقال لى المتصم : ما كان من خبرك فى طريقك ؟ فأخبرته خبرى ، ثم خبر الرجل ، فقال : هذا لا يُستغنى عنه ، فلائى شىء يصاح ؟ قلت : هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالمساحة والهندسة ، فولاه البناء ، فكنت ألقاه فى الموكب التّيبيل فينزل عن دابّته فأمنعه ، فيقول : يا سبحان الله ! إنما هذه

(١) الموضحة من الشجاج : التى بلغت العظم .

(٢) المأمومة : الشجة التى بلغت أم الوأس .



نعمتك ، وبك أفدتها .

ومثل إيهامه هنا أنه حائك إيهام أبي زيد في التاسعة أنه نظام .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : فلما أمتع الأسماع ، بما راق وراع ،  
استنسبناه فاستتراب ، وأبى الانتساب ، ولو وجد منسباً لأنساب .  
فحصلت من لبسه على غمة ؛ حتى ادكرت بعد أمة . فقلت : والذي  
سخر الفلك الدوار ، والفلك السيار ، لاني لأجد ريح أبي زيد ، وإن  
كنت أعهد ذارواً وأيد .

فتبسّم ضاحكاً من قولي ، وقال : أنا هو على استحالة حالي  
وحولي ؛ فقلت لأصحابي : هذا الذي لا يفري فريته ، ولا يباري  
عبريته . فخطبوا منه الود ، ويدلوا له الوجد ؛ فرغب عن الألفة ،  
ولم يرغب في التحفة ، وقال : أما بعد أن سحقتم حتى ، لأجل سحقي ،  
وكسفتم بالي ، لإخلاق سربالي ، فما أراكم إلا بالعين السخينة ،  
ولا لكم مني إلا صعبة السفينة .

...

قوله : « أمتع الأسماع » أى متع الأذان ولذذها ، ومنه يقال في الكتابة :  
أبقاك الله وأمتع بك ، ومعناه : أطل الله عمره ، من الممتع وهو الطويل عند العرب ،  
ومنه متع النهار ، أى علا ، وقال الأنصارى .

وها لأيام الصبا وزمانه لو كان أمتع بالمقام قليلا !  
وتبلاء الكتاب يكتبون بها إلى الأتباع والأدنياء ، ولا يكتبون بها إلى  
الأكفاء والأعلون .

\* \* \*

( ٥ - شرح مقامات الحريري ج ٣ )

[ طرف وملح بين الأدباء والشعراء ]

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات إلى عبد الله بن طاهر كتاباً في صدره :  
وأمتع بك ، فكتب إليه ابن طاهر : (١)

أحلتَ عما عهدت من أديكُ أم نلتَ ما نكا قهتَ في كتبكُ  
أم قد ترى أنَّ في ملاطفة الـ إخوان نقصاً عليكِ في أدبكُ  
إنَّ جفا كتاب ذى مقية يكون في صدره : وأمتع بكُ  
أتعبتَ كفتيكِ في مخاطبتي حسبك مما لقيت من تعبكُ

فأجابه ابن الزيات :

كيف أخون الإخاء يا أملي وكلَّ شيء أنال من سببكُ  
إن يك جهل أنك من قبلي فعدْ بفضلٍ عليّ من حسبكُ  
أنكرتَ شيئاً ولست فاعله ولن تراه يُحطُّ في كتبكُ  
فاعف فدنك النفوس عن رجلٍ يعيش حتى للماتِ في أدبكُ

ومن ملح أجوبة ابن الزيات أن الحسن بن وهب مرض فلم يعده ، ولا  
تعرف خبره ، فكتب إليه الحسن :

أيهذا الوزير أيدك الله وأبقاك لي زماناً طويلاً  
أجيلاً تراه يا أكرم النا من لكيماء أراه أيضاً جميلاً  
إنني قد أقت عشراً عليلاً ما ترى مرسلأ إلى رسولأ  
إن يكن يوجب التمهيد في الصحبة منأ عليّ منك طويلاً  
فهو أولى ياسيد الناس برأ وافتقاراً لمن يكون عليلاً

(١) العقد ٤ : ١٨٢ ، أدب الكتاب ١٦٢ .

فأجابه ابن الزيات :

دفع الله عنك نائبة الدهر ر وحاشاك أن تكون عليلاً  
 أشهد الله ما علمت وماذا لك من العذر جائزاً مقبولاً  
 ولعمري أن لو علمت فلا رمتك حَوْلاً لكان عندي قليلاً  
 فاجملن لي وإلى التعلق بالعدو ر سبيلاً إن لم أجد لي سبيلاً  
 فقديمًا ما جاد بالصَّفح والعفو و وما سامح الخليل خليلًا

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له يعاتبه على ترك عيادته :

يا جافيًا ترك السؤال بمبده نفسى فداؤك من ملولٍ قاطع  
 اعتلّ عبدك من تشكى رأسه ستمًا وأردفها بيومٍ سابغ  
 فحبست رسلك عن تعهد عاتى وقطعت من سبب الوصال مطامعى  
 وعلمت منك تماديًا فى جنوتى فرجعت فى عفوى كأحسن راجع

فأجابه الآخر :

لا والذى قسم الجمال بفضله فحباك منه بالضياء اللامع  
 ما إن علمت بعلّة لك سيدى إلا بخطك فى القريض البارع  
 وإذا أتتك رسالتى فقرأتها فأقبل فديتك من مقرر خاضع

وكان<sup>(١)</sup> الحسن بن وهب يتعشق غلاماً لأبى تمام رومياً، وكان أبو تمام يتعشق  
 غلاماً للحسن خزريًا، فرآه أبو تمام يبعث بغلامه، فقال: والله لئن أعنقت فى  
 الروم لأرخصن إلى الخزر، وما أشبهك إلا بدادود وأشبته<sup>(٢)</sup> نفسى بخصمه، قال  
 الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، والمنثور عارض للاحقيقة له، قال أبو تمام:

(١) الخبر والشعر فى كتاب أخبار أبى تمام للصوى ١٩٤ .

(٢) أخبار أبى تمام: « وأشبهنى » .

أبا عليّ لصرف الدهر والغيرِ وللحوادث والأيام والعيرِ  
أذكرتني أمر داودٍ وكنتُ فتى مصرف القلب في الأهواء والذكرِ  
أعندك الشمس لم يحظّ المغيب بها وأنت مضطرب الأحشاء بالقمرِ  
إن أنت لم تترك السير الخيث إلى جاذر الروم أعنتنا إلى الخزرِ

(١) وكان الحسن يكتب لابن الزيات ، فلما وقف على ما بينهما من أمر الغلامين ، تقدم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلموه ما يدور بينهما ، فعزم غلام أبي تمام على الحجامة ، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ، ويسأله توجيه نبذ مطبوخ فوجه إليه مائة دنّ ومائة دينار وخلعة وبخورا وكتب إليه :

ليت شعري يا أمّاح الناس عندي هل تداويت بالحجامة بعدي !<sup>(٢)</sup>  
دفع الله عنك لي كلّ سوء باكرٍ رائح وإن خنت عهدي  
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جهدي فبدا منه غير ما كنتُ أبدى  
وخلعتُ العذار فليعلم النسا من يأتي إليك أصني بودي  
وليقولوا بما أحبوا إذا كنت ت وصُولاً ولم ترعني بصدّ  
من عذيري من مقلتيك ومن إذ راق وجهي<sup>(٣)</sup> من تحت حمزة جدّ

ووضع الرقعة تحت مصلاه ، وأعلم ابن الزيات خبرها ، فأرسل في الحين ، وشغله بشيء ، ووجهه من جاءه بها . فلما قرأها كتب فيها على لسان أبي تمام :

ليت شعري عن ليت شعرك هذا أبهزلٍ تقوله أم بجيد  
فلئن كنت في المقال محققاً يا ابن وهب لقد تطرقت بعدي  
وتشبهت بي وكنت أرى أتى أنا العاشق المتيم وحدي  
إن مولاي عبدغيري ولولا شؤم جدّي لكان مولاي عبدي

(١) فوات الوفيات ١ : ٦٦٨ ، وأخبار أبي تمام للصولي ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) الصولي : « ثغر » .

ثم قال : ضعوا الرقعة مكانها ، فلما قرأها الحسن قال : إنا لله إنفضحنا عند الوزير . وأعلم أبا تمام ، فتلقياهما قتالا : إنا جعلنا هذين الغلامين سبياً لتكاتبنا بالأشعار ، فقال لهما : ومن يظن بكما غير هذا ! فكان قوله عليهما أشد .

محمد بن إسحاق : قلت لأبي تمام : غلامك أطوع للحسن من غلامه لك ، قال : إني أعطى غلامه قبلا وقلنا ، ويعطى غلامي ثياباً ومالا ، وقال أبو تمام في غلامه :

يا عمرو قل للقمير الطالع اتسع الخرق على الراقع  
يا طول فكري فيك من حامل لرقعة مفكوكة الطابع  
ما أنت إلا رشا جوذرت حل بمغنى أسد جائع

قوله : راق ، أى أعجب . راع : أفزع لأفراط حسنه . استنسبناه : سألناه عن نفسه ، وهذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا جاء الرجل الرجل ، فليأله عن اسمه واسم أبيه وبمن هو ، فإن ذلك أوصل لثمودة » . استراب : دخلته الريبة . منسابا : موضعاً يدخل فيه . لبسه : تخليطه . وغمة القلب : ما يعطيه من الشك أو الهم ، فأراد أنه لبس عليه فلم يعرفه .

ادّكرت ، أى ذكرت . أمة : حين . الفلك : مدار النجوم . والفلك السيار ، أى السفينة السريعة . والفلك لفظ يقع للواحد والجمع . أعده : أعرفه . رواء : فتوة وحسن هيئة . أيد : قوة . استحالة : تغير . الحول : القوة ، وأيضا الحيلة . ولو خاطبه ابن همام بشعر لكان للشريف الرضى في جوابه للصابي ، وقد شكوا إليه الهرم والجلوس في الحمة وامتناعه من التصرف ، فقال :

لئن رام قبضاً من بنائك حادثٌ لقد عاضنا منك انبساطِ جنان<sup>(١)</sup>

(١) ديوان الشريف الرضى ٩٤٤ .

وإن أقدمتُك النائبات فطالما مَرَى موقراً من مجدك الملوآنِ  
وإن هدمتُ منك الخطوب بمرها فمَّ لسان للمناقب بانِ  
قوله: « لا يُفْرِى فَرِيَه » ، أى لا يقطع قَطْعَه ولا يعمل عمله ، قال الخوافزان :  
وما ارتعشت كفى ولا طاش ضَرْبُهَا إذا طرحوا بالفارس التمهّل  
ولكنها إذْ ذاك تَفْرِى فَرِيَهَا وتقرع رأس الفارس المتقتلِ

يُبَارَى عبقرية: يجارى جنيته، ولفظ الحريرى كله منزع من الحديث الصحيح  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت فيما يرى النائم كأنى على بئر وأرى  
جميع الناس ، فجاء أبو بكر فنزل ذنوباً أو ذنوبين . وفيه ضعف ، والله يفرله .  
ثم جاء عمر رضى الله عنه فاستحالت بيده غرباً ، فلم أر عبقرياً من الرجال يفري  
فريه ، حتى ضرب الناس بأعطانهم » . يقال رجل عبقرى ، أى كامل قوى ،  
والعبقرى أيضاً الحسن من كل شيء . الوجد : المال . رغب عن الألفه ، أى  
تباعد عن الصعبة . ولم يرغب فى التحفة ، أى لم يطمع فى العطية ، أى لم يقبل  
عطيّتهم ولا صحبتهم . سَحَقْتُمْ : تقضم وغيرتم . سحقي : ثوبى البالى .  
وكسفتم بالى : تنقستم حالى وغيرتموها . سر بالى : قيصى . السخينة : الساخطة .  
الحارة الدمع .

\* \* \*

ثم أنشد :

اشمع أخى وصية من ناصح  
لا تمجّلن بقضية مبتوتة  
وقف القضية فيه حتى تجتلي  
وبين خاب برقه من صدقه  
فهنالك إن تر مايشين فواره  
ماشاب محض النصح منه بنشه  
فى مدح من لم تبله أو خدشه  
وصفيه فى حالى رضاه وبطشه  
للشاعين ، ووبله من طشه  
كرماً وإن تر مايرين فأنشه

وَمَنْ اسْتَحَقَّ الْإِرْتِقَاءَ فَرَقَهُ  
 وَاعْلَمْ أَنَّ التَّبْرَ فِي عِرْقِ الثَّرَى  
 وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا  
 وَمِنَ الْغَبَاوَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا  
 أَوْ أَنْ تُهَيَّنَ مَهْدَبًا فِي نَفْسِهِ  
 وَلَكُمْ أَخِي طَرِيقَ هَيْنَ لِفَضْلِهِ  
 وَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَنْشَ عَارًا لَمْ تَكُنْ  
 مَا إِنْ يَضُرَّ الْعَضْبَ كَوْنُ قَرَابِهِ  
 وَمَنْ اسْتَحْطَّ مُخْطَئُهُ فِي حَشِهِ  
 خَافَ إِلَى أَنْ يُسْتَشَارَ بِنَبْشِهِ  
 مِنْ حَاكِهِ لَامِنْ مَلَا حَةِ نَقْشِهِ  
 لِصَقَالِ مَلْبِسِهِ وَرَوْتِ رَقْشِهِ  
 لِدَوْسِ بَزْتِهِ وَرَثَةِ فُرْشِهِ  
 وَمَفْوَفِ الْبُرْدَيْنِ عَيْبَ لَفْحَشِهِ  
 أَسْمَالُهُ إِلَّا مَرَاقِيَ عَرْشِهِ  
 خَلَقًا وَلَا الْبَاذِي حَقَارَةَ عُشِّهِ

\* \* \*

شاب : أى خاط ، ومخضه : خالصه . وغشه : عيبه وفساده .

وللزاهد بن عمران فى النصيحة :

اسمع أخى نصيحتى  
 لا تعرضن إلى الشها  
 تسلم من أن تُغزى لزو  
 والنضح من أصل الديانة  
 دة والوساطة والأمانة  
 ر أو فضول أو خيانه

وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة :

إذا ما هُديت امرأ مخطئنا  
 ولم تُلْفِه سامعاً قابلاً  
 أضلَّ السبيلَ إلى قصده  
 فحسَّن له المشى فى ضده

وقوله : « لا تعجلن » ، وما بعده من قول الشاعر :

لا تمدحن امرأ حتى تجر به  
 ولا تدمنه من غير تجريب

ولابن عمران أيضاً :

تحرّ سبيل القصد في الناس وانتكنُ      على حذر منهم ولا تُسبِ الظنّاً  
ولا تمدحنّ مَنْ لم تجرّب ولا تنقل      على غير علم ذاك من ذاكمُ أسنّي  
فما كلّ مَنْ يرضيك ظاهر حاله      لدى الخبر محموداً وقد يُحمد الأذني

القضية : الحكم . مبتوتة : مقطوعة . تبّله : تجرّبه خدشه : عيبه وإذائته ،  
تجتلي : تنظر . بطشه : صواته عند الغضب ، يقول : لا تحمك بشيء على أحدٍ  
حتى تجرّبه في الشدة والرخاء . وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :  
إن فلانا لرجلٌ صدق ، قال : أسافرت معه ؟ قال لا ، قال : فهل كانت بينك وبينه  
خصومة ؟ قال : لا . قال : فهل ائتمنته على شيء ؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم  
لك به ، وإنما أراك رأيتَه يرفعُ رأسه ويخفّضه في المسجد . يمين : يظهر . خُلب  
كاذب . الشامئين : الناظرين إلى البرق . وبله : مطره الكثير . طشه : مطره  
القليل . يشين : يعيب . وارِه : استره . كرمأ ، أى تكرمأ منك عليه . أفضه :  
حدّث به وانشره . الارتقاء : الترفيع . رقه : ارفعه . استحطّ : اتضع . حُشه :  
كثيفه وهو المستراح . التبر : الذهب قبل السبك . يستنار : يستخرج . التنبس :  
البحث عليه . الغباوة : الجهالة . رونق رقصه : حسن زينته . مهدبأ : مخلصاً .  
دروس : إخالق . بزّته : لبّسته . رنة : ضعف . طمرين : ثوبين خلقين .  
هيب : حيف . منوّف : مزين . لفحشه : لتبجح كلامه . يفس عاراً : يدخله .  
أسماله : ثيابه البالية . مراقى : سلام ومدارج . عرشه : سريره ومنزلته . العضب :  
السيف . قرابه : جفنه .

ومما ينتظم في هذا السلك أن النجّاد العدويّ دخل على معاوية في عبادة  
فاحتقره ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العبادة لا تكلمك ، إنّما يكلمك مَنْ فيها ،  
ثم تكلم فلا سمعه بيّناً ، ثم خرج ولم يسأله شيئاً ، فقال معاوية : ما رأيتُ رجلاً  
أحقر أولاً ، ولا أجلّ آخرأ منه .



وقال بعضهم :

لاني وإن كنت أثوابي مَلْفَقَةً  
ليست بجزءٍ ولا من نسجِ كَتَانٍ  
فإن في المجد همتي وفي لغتي  
فصاحةٌ ، ولساني غيرُ لَحَانٍ

وقال آخر :

هل ينفعنك بعد شيبك في الهوى  
توقير مكنسٍ ولُبْسِ ثياب  
هيئات ما فخر المهند في الوعى  
بحلى غمدٍ فوقه وقِرابٍ

وقال الخبازري :

لا تنظرن إلى أثوابٍ مغترب  
وانظر إليه إذا ما قام في ملاً  
نأى المحلّ بعيد الأهل والدَّارِ  
بمنطقٍ لذوى الألباب سَحَّارِ

وقال المعري :

وإن كان في لبس الفتى شرف له  
فما السيف إلا غمده والحائل<sup>(١)</sup>

وقال أبو هفان :

كعمري لئن بيعت في دار غربةٍ  
فما أنا إلا السيف أخلق جفنه  
ثيابي إن ضاقت عليّ الدآكل  
له حاية من نفسه وهو عاطل

وقال لبيد :

أصبحت مثل السيف أخلق جفنه  
تتقدم عهد القين والسيف قاطع<sup>(٢)</sup>

وقال النعمري :

فإن تك أثوابي تمرّ قن عن بلي  
فإنني كنصل السيف في خلق العمد  
كان بالسكوفة رجل يعرف بأبي ذؤيب ، وكان متصدداً للشعراء ، فدخل مجلسه  
محمد بن حازم الباهلي ، وعليه ثياب رثة ، وهم يتكلمون في معاني الشعر ، فسأله  
ابن حازم عن بيت للطرماح ، فردّ أبو ذؤيب جواباً محالاً ، وهو في ذلك

(١) سقط الزند ٥٥٢٦ . والحائل : جمع حالة السيف .

(٢) ديوانه ١٧١ .

كالمزدرى لابن حازم ، فوثب مفضباً فقيلاً له : ماذا فتحت على نفسك الشر؟ أتدرى من احتقرت؟ قال : لا قيل : هو أخبث الناس لساناً، وأهجأهم ، هذا ابن حازم ، فوثب حافياً حتى لقيه وحاف أنه لم يعرفه واستقاله فأقاله ، وقال :

أخطأ على ورد غير جوابي      وزرى على وقال غير صواب  
وسكت من دجب لذاك نزادني      فيما كرهت بظنه المرتاب  
وقضى على بظاهر من كسوة      لم يدري ما اشتمت عليه ثيابي  
من عفة وتكريم وتجميل      وتجلد لمصيبة وعتاب  
لكنه رجعت عليه ندامة      لما يسب وحاف مض عتابي  
فأقلته لما أقر بذنبه      ليس الكريم على الكريم بناب

وكان ابن حازم ساقط الهمة ، يرضيه اليسير على انطباعه في شعره .

وقال حماد بن يحيى : قال لي ابن حازم يوماً : ما بقي على شيء من اللذات إلا بيع السنانير : فقلت له : ويحك ! وأى في ذلك من اللذة؟ قال : يعجبني أن تجيء العجوز الرعاء تخاصمني ، وتقول : هذا سنوري سرق ، فأخاصمها ، فنشتمني ، فأشتمها وأغيطها ثم أنشد :

صِلْ خمرَةً بِخَمَارٍ      وَصِلْ خَمَاراً بِخَمْرِ  
وَحِذْ نَصِيْبِكَ مِنْ ذَا      وَذَا إِلَى حَيْثُ تُدْرَى

فقلت : إلى أين ويحك ! فقال : إلى النار يا أحمق .

\* \* \*

ثُمَّ مَا عَمَّ أَنْ اسْتَوْقَفَ الْمَلَّاحَ ، وَصَعِدَ مِنَ السَّفِينَةِ وَسَاحَ ،  
فَنَدِمَ كُلُّ مَنْ عَلَى مَا قَرَطَ فِي ذَاتِهِ ، وَأَغْضَى جَفْنَهُ عَلَى قَدَاتِهِ ،

وتعاهدنا على ألا نحتقر شخصاً لثأته بُرّده ، وألاً نذرى  
سيفاً محبوباً في غمده .

\* \* \*

قواه «ما عتم» ، أى ما أبطأ ولا تأخر ، ويقال : عتم القري ، إذا تأخر ، وأتم  
حاجته : أخرها ، ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها . استوقف الملاح : أمر خادم  
السفينة بالوقوف . صعد : ارتقى وارتفع . ساح : ذهب في الأرض . فى ذاته ،  
أى فى نفسه . أغضى جفنه : سدّ عينه . قذاته : عاره وعيبه الذى تلقى به السروجى  
عند الدخول فى السفينة . والقذاة : ما يسقط فى العين فيوجعها . نذرى : نحتمر .  
لثأته بُرّده : لإخلاق ثوبه . الله تعالى الموفق .

## المقامة الثالثة والعشرون وهي الشعرية

حكى الحارثُ بن همامٍ ، قال : نبأني مَأْلَفُ الْوَطَنِ ، في شرح  
الزَّيْمَنِ ؛ لِحُطْبِ خُشْيِ ، وَخَوْفِ غَشْيِ ؛ فَأَرَقْتُ كَأْسَ الْكَرَى ،  
وَنَصَصْتُ رِكَابَ الشَّرَى ، وَجُبْتُ فِي سَيْرِي وَعُورًا لَمْ تُدَمِّمْهَا  
الْخَطَا ، وَلَا اهْتَدَيْتُ إِلَيْهَا الْقَطَا ؛ حَتَّى وَرَدْتُ حِمَى الْخِلَافَةِ ،  
وَالْحَرَمَ الْعَاصِمَ مِنَ الْخِيفَةِ ، فَسَرَوْتُ إِيجَاسَ الرَّوْعِ وَاسْتَشْعَارَهُ ،  
وَتَسْرَبَلْتُ لِبَاسِ الْأَمْنِ وَشِعَارِهِ . وَقَصَرْتُ هَمِّي عَلَى لَذَّةِ أَجْتِنِيهَا ،  
وَمُلْحَةِ أَجْتَلِيهَا . فَبَرَزْتُ يَوْمًا إِلَى الْحَرِيمِ لِأَرْوِضِ طَرْفِي ،  
وَأَجِيلِ فِي طُرُقِهِ طَرْفِي ؛ فَإِذَا فُرْسَانٌ مُتَالُونَ ، وَرِجَالٌ مُنْثَالُونَ ،  
وَشَيْخٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ ، قَصِيرُ الطَّيْلَسَانِ ، قَدْ لَبَّبَ فَتَى جَدِيدِ  
الشَّبَابِ ، خَلَقَ الْجِلْبَابِ ؛ فَكَرَضْتُ فِي إِثْرِ النَّظَارَةِ ؛ حَتَّى  
وَافَيْتَا بَابَ الْإِمَارَةِ ، وَهَنَّاكَ صَاحِبُ الْعَوْنَةِ مِثْرَبَعًا فِي دَسْتِهِ ، وَمَرُوعًا  
بِسَمْتِهِ .

قوله « نبأني » أي قَلِقَ ولم يوافقني . الوطن : المنزل . ومألفه . موضع  
الاجتماع به والتأليف فيه .

شرح : أول ، أراد في أول زمانه وشبابه . خطب : أمر مخوف . خشى :  
خيف . وغشى : نزل وغطى .

أرقت : هزقت ، وجعل للكرى وهو النوم كأسًا مجازاً ، وكنى بهرقها عن

إزالة النوم عن عينه . نَصَصْتُ : رفعت وحرّكت ركاب السرى : إبل السير .  
جُبِّت : قطعت . وِعوراً : طُرُقاً صعبة . تَدَمَّيْتُهَا : تسهّلتها وتليّتها . الخُطَا هنا :  
الأقدام ، وقوائم الحيوان . والقطا : طائر وقد تقدم . وهدايتها : فيما زعموا أنها  
ترك فراخها بالصحراء ، وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين  
ليلة فما دونها ، فَيَرِدُّنَهُ ضَجْوَةً يَوْمَهُنَّ فيجملن الماء لفراخهنّ فينهلنّ ثم يرجعن  
بعد الزوال إلى تلك المسافة ، فيشربن ويأتين فراخهنّ في عشية يومهنّ فيستينن  
عللاً بعد نهل ، ولا يخطئن مواضع فراخهنّ ، فيقال لذلك : أهدى من القطا ،  
قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولو سلكت سُبُلَ المكارم ضلّت  
ولو أن بُرغوثاً على ظهر قملة      رآته تميمٌ يوم زحفٍ لولّت

وقال حميد بن ثور :

كما اتصت كدراء تسقى فراخها      بعزدة رفهاً والمياه شعوب<sup>(٢)</sup>  
فجاءت ومسقامها الذي وردت به      إلى الصدر مشدود العصام كئيب<sup>(٣)</sup>  
تبادر أطفالاً مساكين دونها      فلا لاتخطاه الرقاب رغيب  
وصفن لها غوثاً بأرض تنوفة      فما هي إلا نهلة وتوب

قوله : «حى الخلافة» ، هي بغداد . الحرم : موضع الأمن . العاصم : المانع .  
سروت : أزلت . إيجاس الروع : إحساس الفزع والخوف . واستشعاره ،  
استعمال من شعرت بالشيء . تسربلت : لبست سربالاً . قصرت هي : حبست  
همتي وأرادتى . مآحهُ : طُرُفُهُ وشيء عجب . اجتليها : أنظرها . الحريم : موضع  
متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم . أروض : أعلم وأسوس .  
طُرُفي : فرسى . أجيل : أمشى . متالون : متتابعون . مثالون : منصوبون لكثرة

(١) هو الطرماح ، كما في العقد : ٢٩١ وعيون الأخبار ١ : ٣٤١ .

(٢) ديوانه ٥٣ وكدراء من صفة القطاة ، والقطا الكدرى : نوع من القطا غير الألوان

رقش الظهور . وعردة هضبة . والرفه : أقصر الوردو والشعوب : البعثة .

(٣) شمزت ، مرت جادة ، وتوب : ترجع إلى الماء مرة بعد مرة .

جرهم . الطيَّاسان : ثوب خَزَّ أخضر . لَتَبَ : جعل في عنقه ثوباً وقاده به ، وأخذ بتلايبه وهي أطوق ثوبه ، والتلايب مأخوذة من اللَّبَّة وهي وسط الصدر .  
جديد الشباب ، أى فتى السن ، وتقدم الجلباب .

ركضت في أثر النظارة ، أى خلف الناظرين لما يفعل به ، ومن شأن الفوغاء والعامَّة إذا رأوا محبوباً أو مضرراً أن يتبعوه ويتكاثروا عليه . ونظر عمر رضى الله عنه إلى قوم يتبعون رجلاً مُريباً ، فقال : لامرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلاَّ عند الشرِّ . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما اجتمعوا قطَّ إلاَّ ضَرُّوا ولا تفرقوا إلاَّ نفعوا . قيل له : قد علمنا ضرَّ اجتماعهم . فما نفع افتراقهم ؛ قال : يذهب الحجاج إلى دكانه ، والحداد إلى كياره ، وكلَّ صانع إلى صنغته .  
وقال دعبل :

ما أكره الناس لابلٍ ما أقامهمُ      والله يعلم أنى لم أقلَّ فَنَدَا<sup>(١)</sup>  
إني لأفتح عيني حين أفتحها      على كثير ، ولكن لأرى أحداً

ومرَّ على بن الجهم بمبرسم ، والناس قد تجمعوا حوله ، وحلقوا به ، فلما  
رآهم المبرسم أخذ يعنان فرسه وأنشأ يقول :

لا تحفلن بمعشر الهمِّ — مع الذين تراهمُ  
فبحق من أبلى بهم      نفسى ومن عاقهمُ  
لو قيس مولاهم بهم      كانوا إذا مولاهمُ

ثم نظر حوله ، فرأى غلاماً جميل الوجه ، حسن اللبسة ، فهجم عليه وشقَّ  
نياه وهو يقول :

هذا السعيد لديهمُ      قد صار بي أشقاهمُ

وافينا : وصلنا . صاحب المعونة : والى الجنائيات ، وقال الرستمى : وَلِي فلان المعونة ، أى ولى العون ، أى ولأه السلطان عَوْنَه على حفظ المدينة ولفظها مفعولة وهى بتأويل المصدر بمنزلة قولهم : ماله معقول ، أى عقل ولا مجلود أى جلد .  
مروغاً بسمته ، أى مفزعاً بهيئته ووقاره .

\* \* \*

فقال له الشيخُ : أَعَزَّ اللهُ الوالى ، وجعلَ كَعْبُهُ العالى ،  
إِنِّى كَفَلْتُ هَذَا العَلامَ فَطِيماً ، ورَبِّيْتُهُ يَتِيماً ؛ ثُمَّ لَمْ آلهَ تَعلِماً .  
فَلَمَّا مَهَّرَ وَبَهَّرَ ، جَرَّدَ سَيفَ العُدُوَانِ وَشَهَرَ ، وَلَمْ أَخْلُهُ  
يَلْتَوِى عَلَيَّ وَيَتَّقِحْ ، حِينَ يَرْتَوِى مِنِّى وَيَلْتَقِحْ . فقال له  
الفتى : عَلامَ عَثَرْتُ مِنِّى ؛ حَتَّى تَنشُرَ هَذَا الخِزْيَ عَنِّى ، فواللهِ  
مَاسَتَرْتُ وَجْهَ بَرِّكَ ، وَلَا هَتَكْتُ حِجَابَ سِتْرِكَ ، وَلَا شَقَقْتُ  
عَصاً أَمْرِكَ ، وَلَا أَلْعَيْتُ تِلَاوَةَ شُكْرِكَ .

فقال له الشيخُ : وَيَلَكَ وَأَيْ رَبِّ أَخْزَى مِنْ رَبِّكَ ، وَهَلْ  
عَيْبٌ أَفْحَشُ مِنْ عَيْبِكَ ، وَقَدِ ادَّعَيْتَ سِحْرِي وَاسْتَلْحَقْتُهُ ،  
وَأَنْتَحَلْتَ شِعْرِي وَاسْتَرْقَيْتُهُ ، وَاسْتَرَأَى الشَّعْرَ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ ،  
أَفْطَعُ مِنْ سَرِقَةِ البِيضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ ، وَغَيْرِهِمْ عَلَى بَنَاتِ الأَفْكَارِ ،  
كَغَيْرِهِمْ عَلَى البَنَاتِ الأَبْكَارِ . فقال الوالى للشيخ : وَهَلْ حِينَ  
سَرَقَ سَلَخَ ، أَمْ مَسَخَ أَمْ نَسَخَ !

\* \* \*

جعل كعبه العالى ، أى جعل أسفل شيء منه يعلو أرفع شيء فى غيره .  
كفلته : ضمته وقت بمؤنته .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين — وهو يشير بإصبعيه — وخير بيت فى المسامين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشرها يتيم يساء إليه » .

أبو أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا الله ، كانت له بكل شعرة مرّت عليها يد حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وإيّاه فى الجنة كهاتين — وفرق بين إصبعيه » .  
فطيا : أى صغيرا كما منع الرضاع . لم آله : أى لم أقصر فى تعليمه . مهر : ظهر وصار ماهراً أى حاذقاً . بهرّ : غلب أمثاله . العدوان : الظلم . يلتوى : ينعطف ، لضرى وهو من فعل الحية إذا أتبعها الرجل التوت عليه لتلسمه . يتفتح : يسقط حياؤه . يلتفتح : يشرب لبن لتحتى ، واللحقة : الناقة ذات اللبن . عثرت : اطلعت . الخزى : العار والشر ، والخزى : الهوان . هتكت : خرقت . حجاب سترك ، أى ثوب طاعتك . ولاشقت عصا أمرك ، أى ماخالفت حكمك ، وشقّ فلان العصا : خرج عن الأمر مخالفاً . وشقّ عصا المسلمين : فرق جماعتهم ، والأصل فى العصا الائتلاف والاجتماع ، ومنه قولهم للمطهّن : ألقى العصا ، وقيل شقّ العصا : صار منها فى شقّ وخرج عن الجماعة ، وفسر قوله تعالى : ﴿ شاقوا الله ورسوله ﴾ بالمباينة ، لأن من صار فى شقّ عن شقّ صاحبه فقد باينه ، وقيل : معنى شقّ العصا ذهب إلى شقها أى كسرها ، فجىء بالشقّ الذى هو من صفة العصا : وفى ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ :

تصدّع شعب الحىّ وانشقت العصا كذاك النوى بين الخليط شقوق<sup>(١)</sup>

ألفيت : تركت . تلاوة : قراءة ، والريب : الريبة والتهمة : أخزى : أضرم ،



وأكثر هو أنّا . أفحش : أقبح . ادّعيته : نسبته لنفسك وإيس لك . سحرى :  
بديع كلامى . استأحقتة : أحقته بنفسك . انتحلت : ادّعت . أفطع : أمرّ . البيضاء  
والصفراء : الفضة والذهب . بنات الأفكار : هى الأشعار . ساخ : أخذ المعنى .  
مسخ : قاب الكلام وغيره . نسخ : نقله بعينه .

والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه ، وهى النسخ والمسخ والرسخ  
والفسخ ؛ فالفسخ عندهم أن يحوّل الأذى إلى الأعلى ، والمسخ أن يحوّل الأعلى من  
الحيوان إلى الأدنى ، والرسخ رد الحيوان جاداً ، والفسخ أن يتلاشى فلا يكون  
شيئاً ، وقال شاعرهم :

تعوذُ بالإله من المسوخ وسله أن تكون من النسخ<sup>(١)</sup>  
لقد خاب الذى أضحى وأمسى يُنقلُ فى فسوخه أو رسوخ

وقال المعرى :

وقال بأحكام التناسخ معشر غلّوا فأجازوا الفسخ فى ذلك واترسخا<sup>(٢)</sup>

[ السرقات الشعرية وأنواعها ]

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله : ساخ ومسخ ونسخ ، يدخل تحت أحكام  
السرقات التى عدّها أبو محمد الحسين بن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه  
المرجم بالمنصف فى الدلالات على سرقات التنبى ، فإنه جعلها عشرين وجهاً عشرة  
أوجه يُغفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته .

الأول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز التصير ، كتقول ظرفة :

أرى قبر نحامٍ يخيل بماله كتبر غوىّ فى البطالة مفسد<sup>(٣)</sup>

(١) من ثلاثة أبيات فى شرح الزوميات ١ : ٢٢٤ من غير نسبة .

(٢) الزوميات ٢٢٥ (٣) ديوانه ٥٢ والنحام : الحريل على المال

(٦ - شرح مقامات الحريرى ج ٣ )

اختصره ابن الزبيري ، فقال :

والعطيّات خِساس بينهم وسواء قبرٍ مثيرٍ ومُقلِّ (١)

ففضل صدر بيته وجاء بيت طرفه في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح  
ولفظ واضح .

الثاني : نقل اللفظ الرذل إلى الرشيقي الجزل ، كقول العباس بن الأحنف :

زعموا لي أنها بانت تُحمِّمُ ابْتلى الله بهذا من زعم (٢)  
اشتكت أكل ما كانت كما يُكسِفُ البدر إذ ما قيل تمَّ

فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال :

طوى عارضُ الحمى سنَّاهُ فحالاً وأليس ثوباً للسقام هُزالاً  
كذا البدرُ محتومٌ عليه إذا انتهى إلى غايةٍ في الحسنِ عاد هِلالاً

الثالث : ما قبح مبناه دون معناه إلى ما حسن مبناه ومعناه ، كقول أبي نواس :

يُحُّ صوتُ المالِ مما منك يدعو أو يصيح (٣)  
ما لهذا أخذُ فو ق يديه من يصيح

معناه صحيح ولفظه قبيح ، أخذه مسلم فقال :

تظلمَ المالُ والأعداءُ من يده لازال للمال والأعداءُ ظلاماً (٤)

فجود الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ، ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال  
والأعداء ، وكل ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى .

الرابع : عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد ما كان هجاء ، كقول البلاذري :

قد يرفعُ الرءُ اللثيمُ حجابَهُ ضمةً ودون الرُفِّ منه حجابُ

(١) المؤلف والمختلف للامدي ١٣٣ (٢) ديوانه ٢٥٢ ، ديوان المعاني ٢ : ١٦٥

(٣) ديوانه ٧٠

(٤) ديوانه ٦٤

معكوسه :

ملك أعرّ محجّبُ معروفه لا يُحجّبُ

الخامس : استخراج معنى من معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد إليه ،  
كقول أبي نواس في النحر :

لا ينزل الليل حيث حلتْ فدهرُ شُرَّابِهَا نَهَارُ<sup>(١)</sup>

احتذاه البحترى وفارق مقصده ، فجعله في محبوب ، قال :

غاب دجاها وأيّ ليل يدجو علينا وأنت بدر

السادس : توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ، ومعناها متفق ، كقول  
أبي تمام :

لأمرٍ عليهم أن تميمٌ صدوره وليس عليهم أن تميمٌ عواقبه<sup>(٢)</sup>

أخذه من قول الأعرابي ، أنشده الأصمعي رحمه الله تعالى :

فكان على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جت المنون

فجرد لفظه من أخذ منه ، وهو في معناه متفق معه ؛ وهذا من أدل الأقسام

على فطنة الشاعر .

السابع ، في توليد معانٍ مستحسنات في ألفاظٍ مختلفات ، وهذا من أشدّ باب  
وأقلّه وجوداً ، وإنما قلّ لأنّه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته ؛ كقول  
أبي نواس :

واسقنيها من كميتٍ تدعُ الليلَ نهاراً<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) ديوانه ٤٤

(٣) ديوانه ٢٧٤

ثم قال أيضاً :

لا ينزل الليل حيث حلت فدهرُ شُرَّابها نهارُ<sup>(١)</sup>

ثم قال أيضاً :

قال ابني المصباح قلت له اتُّدَّ حسي وحسبك ضوءها مصباحاً<sup>(٢)</sup>

فكل هذه معانٍ متقاربات وألفاظ متشابهات ، مولد بعضها من بعض .

الثامن : مساواة الإخذ المأخوذ منه في الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام ، وإن كان الأول أحقَّ به لأنه ابتدع ، والثاني أتبع ، من ذلك قول العكوك في فرس :

مطرِد يرتج من أقطاره كالماء جالت فيه ريحٌ فاضطرب

فذكر ارتجاجه ، ولم يذكر سكونه ، فأخذه ابن المعتز فقال :

فكانه موجٌ يذوب إذا أطلقتَه ، فإذا حبستَ جحد

فجمع بين الصفتين .

التاسع : مماثلة السارق المسروق بزيادته في المعنى ما هو من تمامه ؛ كقول

أبي حية :

فألقت قناعاً دونه الشمسُ واتقت بأحسن موصولين : كفٍ ومِعصمٍ

أخذه من قول النابغة :

سقط النَّصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ<sup>(٣)</sup>

فلم يزد النابغة على اتقائها باليد ، وزاد عليه أبو حية بقوله : « دونه الشمس » .  
وخبَّر عن المتقى بأحسن خبر فاستحقه .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(١) ديوانه ٢٧٤

(٣) ديوانه ٣٠

العاشر: رُجِحَانَ السَّارِقِ عَلَى الْمَسْرُوقِ مِنْهُ بِزِيَادَةِ لَفْظِ عَلَى لَفْظِ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ ، كَقَوْلِ حَسَانَ :

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ<sup>(١)</sup>

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ      عَلَى وَلَا يَحْشُونَ طَوْلَ ثَوَائِي  
وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُعْنَبِينَ .

وَالسَّرَقَاتُ الْحَمُودَةُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَرَ .

#### [ السَّرَقَاتُ الْمَذْمُومَةُ ]

وَنَرِيكَ وَجْهَ السَّرَقَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، وَهِيَ كَالْحَمُودَةِ عَشْرَةَ أَقْسَامٍ :

الأول: نقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير ، كَقَوْلِ سَالِمِ الْخَاسِرِ :

أَقْبَلْنَا فِي رَأْدِ الضَّحَى بِنَا      يَسْتَرْنَ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ

أَخَذَهُ الثَّانِي فَقَالَ :

وَإِذَا الْفِرَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ      وَبَدَا النَّهَارُ لَوْقَتِهِ يَتَرَحَّلُ

أَبَدَتْ لَعَيْنَ الشَّمْسِ عَيْنًا مِثْلَهَا      تَلَقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ

الْمَعْنَى صَحِيحٌ وَالْكَلَامُ مَلِيحٌ؛ غَيْرَ أَنَّهُ تَطْوِيلٌ تَضْيِيقٌ ، وَالْبَيْتَانِ جَمِيعًا نَصْفُ

بَيْتِ سَالِمٍ .

الثاني: نقل الرشيح الجزل إلى المستضعف الرذل ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

كَأَنَّ لَيْلِي صَبِيرٌ غَادِيَةٌ      أَوْ دُمِيَّةٌ زَيْدَتْ بِهَا الْبَيْعُ

أخذه أبو العتاهية فقال :

كَأَنَّ عِتَابَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُمِيَّةٌ قَسَّ فَنَتَّ قَسَّهَا

فتمصر لفظه عن الفصاحة ، ومعناه عن الرجاحة .

الثالث : نقل ما حَسُنَ معناه ومبناه إلى ما قبح مبناه ومعناه ، كقول امرئ

القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كُنْتُ أَجِثُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ (١)

فأتى بما لا يعلم وجوده في الشر من وجود طيب ممن لم يمس طيباً ، وجاء بيت في مراده ، حسن النظام مستوفى التمام ، أخذه كثيراً ، فقال :

فَمَارَوْضَةٌ بِالْحَسَنِ صَيِّبَةُ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدى جُنْحُهَا وَعَرَارُهَا (٢)  
بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عِزَّةٍ مُوهِنًا إِذَا أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

فظول وحسن ، وقصر غاية التقصير ، وأخبر أنها إذا تطيبت كالروضة في طيبها ، وذلك مما لا يعدم في أقل البشر تنظيفاً .

الرابع : عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد أن كان ثناء ، كقول أبي نواس

رحمه الله تعالى :

فَهُوَ بِالْمَالِ جَوَادٌ وَهُوَ بِالْعَرَضِ شَجِيحٌ (٣)

عكسه ابن الرومي فقال :

مَا شِئْتُ مِنْ مَالٍ حَمِيٍّ يَا أَوْيَ إِلَى عَرَضٍ مَبَاحٍ

(٢) الكامل للمبرد ٣ : ١١٥

(١) ديوانه ١

(٣) ديوانه ٧٠

الخامس : نقل ما حسنت أوزافه وقوافيه إلى ما قبج وثل على لسان راويه،  
كقول مسلم رحمه الله تعالى :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَذَقَّ عَرَضُكَ دُونَهُ      وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلٌ<sup>(١)</sup>  
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقٌ عَرَضِكَ إِنَّهُ      عَرَضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ  
أَخْذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

قَالَ لِي النَّاصِحُونَ وَهُوَ مِثَالٌ      ذَمٌّ مِنْ كَانَ جَاهِلًا إِطْرَاهُ<sup>(٢)</sup>  
صَدَقُوا فِي الْهَيْجَاءِ رَفَعَةَ أَقْوَا      مِ طِفَامٍ فَلَيْسَ عِنْدِي هَيْجَاءُ  
فَبَيْنَ الْكَلَامِينَ فَرَقَ بَعِيدٌ .

الثامن :<sup>(٣)</sup> نقل العذب من القوافي إلى المستكره الجاني ، كقول أبي نواس :  
فَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ      كَتَمَشَّى الْبِرِّ فِي السَّقَمِ<sup>(٤)</sup>

فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم :

تَجْرَى مَحَبَّتُهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا      جَرَى الْمَعَاوَاةُ فِي أَعْضَاءِ مَمْتَكْسِ<sup>(٥)</sup>

التاسع : نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد إلى تقصير وإفساد ، كقول القائل :  
وَلَقَدْ أَرْوَحُ إِلَى النُّجَارِ مَرَجَلًا      مَدَى بِمَالِي لِيْنَا أَعْجَادِي

وإنما له جيد واحد ، وهذا وإن جاز عند بعض العرب ، فهو عند الآخرين  
غير حميد ولا سديد .

(٢) ديوانه ٤ : ٣٠١ ( طبع المعارف )

(١) ديوانه ٣٣٤

(٣) قوله : « الثامن » ، سقط السادس والسابع من جميع الأصول .

(٥) ملحق ديوانه ٤٢٥

(٤) الوساطة ٥٦

العاشر: أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها  
وقدأكثر الشعراء ذم السرقة والسارق، وأول من ذم ذلك طرفة حين نال:  
ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيتُ وشرَّ الناس من سرقاً<sup>(١)</sup>  
وقال الأعشى:

فكيف أنا وانتحالي القوا فبمد المشيب، كفي ذلك عارا<sup>(٢)</sup>  
ومن سرقة اللفظ والمعنى، ما يحكى عن أبي المعافى أنه لما مدح أبا العباس محمد  
ابن إبراهيم الإمام بتوله:

إليك بمدحتي يا خير أبنا رسول الله من تاد النساء  
ستأتيك المدائح من رجالٍ وما كفَّ أصابعها سواء

فأخذه آخر وغيره بأن وضع الرجال موضع النساء، وغير عجز البيت  
الآخر فقال:

\* كما اختلفت إلى العرض النبأ \*

فاستعدى عليه أبا المعالي صالح بن إسماعيل، وهو على شربة محمد بن إبراهيم  
بالمدينة، فقال:

ما سارق الشعر فيه وممُّ صاحبه إلا كسارق بيتٍ دونه غاقُ  
بل سارق البيت أخفى حين يسرقه والبيت يستره من ظلمة غسقُ  
من جيد الشعر أن يخفى لسارقه وجيد الشعر قد سارت به الرقُ

فقال صالح: فما تحب أن أفعل به؟ فقال: تحلفه عند منبر النبي صلى الله  
عليه وسلم ألا ينشد هذا الشعر إلا لي.

(١) ديوانه ٢١٦ (٢) ديوانه ٥٣



وكان محمد بن زهير يشرب ، فإذا سكر لا يفيق إلا بإنشاد الشعر ، فأمر يوماً جبار بن محمد الكاتب أن ينشده ، فأنشده أبياتاً لأبي نواس أدعى أنه قائلها وهي :

صاح مالي وللرسوم القفسارِ      ولنعمتِ المطى والأكوارِ  
شغلتنى المدام والقصف عنها      وسماع الغناء والمزمارِ

ومضى في الشعر ، وأبو نواس قاعد ، فوثب وتعلق به قدّام محمد بن زهير ، وأنشأ يقول :

أعدني يا محمد بن زهير      يا عذاب اللصوص والدعارِ  
يسرق السارقون ليلاً وهذا      يسرق الشعر جهرةً بالنهارِ  
صار شعري قطعة لجبارِ      أفهذا لتـمـلـة الأشعارِ !  
قل له فليغير على شعر حمّا      دأخى الفتك أو على بشارِ

وسرق محمد بن يزيد الأموي شعراً لحبيب ، فقال حبيب :

مَنْ بنو مجدلٍ مَنْ ابنُ الحبابِ      مَنْ بنو تغلبٍ غداة الكلابِ (١)  
مَنْ طفيلٌ وعامرٌ ومن الحارثِ      أو مَنْ عتيبة بن شهابِ  
إنما الضيفم المصور أبو الأشبالِ      جبار كل جيش وغابِ  
مَنْ عدتْ خيله على سرح شعري      وهو للحين رانع في كتابي  
غارة أسخنت عيون المعاني      واستباحته محارم الآدابِ  
لو ترى منطقي أسيراً ولاصباحته      أسيراً لـعبرةٍ وانتحابِ

(٢) ديوانه ٤ : ٣٠٨ (طبع دار المعارف) وفيه « من بنو عامر »

يا عذارى الأشعار صرتن من بعدى سبايا مُتبعنَ في الأعرابِ  
 طال رهبي إليك يارب يارب و رغبى إليك فاحفظ ثيابي  
 وعارض أبو أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحترى ، فاستعار  
 من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى :

ما الدهر مستنفذٌ ولا عجبُهُ تسومنا الخسفَ كلَّه نُوبُهُ (١)  
 نال الرضا مادحٌ وممدحٌ فقل لهذا الأمير ما غضبُهُ  
 أجلى نصوص البلاد يطردُهُ وظلّ لصُّ القريض يتهمُهُ  
 ارددُ علينا الذي استعرتَ وقل قولك يُعرفُ لغالبِ غلبه

واستعدى ابن الرومي العلاء بن عيسى على البحترى ، فقال :

قل للعلاء بن عيسى والذي نضلت به الدواهي نصول الآل في رجب (٢)  
 أيسرقُ البحترى الناسَ شعرُهُمُ جهراً وأنت نكال اللص ذي الرّيبِ  
 وتارة يترزُ الأرواحَ منطقتَه فالتوم ما بين ممتول ومغتصبِ  
 نكلهُ إن أناساً قبله ركبوا بدون ما قد أتاه باسقَ الخشبِ  
 إذا أجاد فأوجب قطعَ مقولِهِ فقد دها شعراء الناس بالحربِ  
 وإن أساء فأوجب قتله قوداً بمن أमत إذا أبقى على السلبِ  
 يسى عفاً فإن أكدتُ وسائله أجاد لصاً شديد البأس والكلبِ  
 حتى يغير على الموتى فيسلبُهُمُ حرّ الكلام بجيش غير ذى لجبِ

(١) ديوانه ١ : ٢٠٧

(٢) ديوانه ابن الرومي ٤١٤ ( نشرة شريف سليم) مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات

وقال فيه ابن الحاجب :

والفتى البحترى يسرق ما قا  
كل بيت له يجود معنا  
ل ابن أوس في المدح والتشبيب  
ه فعناه لابن أوس حبيب

ولابن الحاجب أيضاً :

هل إلى محنة تخبر من فا  
محنة تفضح الاصوص وتقضى  
ضلنا في القريض والمفضول  
بالذى فيهم قضى التنزيل  
سارق المال تقطع الكف منه  
اللسان السروق منها بديل  
ليسود الذى يحق له السو  
د دمننا ويرذل المرذول

وبلغ الصاحب بن عباد أن بعضهم سرق شعره ، فقال أبلغوه عنى <sup>(١)</sup> :

سرت شعرى وغيرى  
فسوف أجزيك صفعاً  
يضم فيه ويخدع  
يكل <sup>(٢)</sup> رأساً وأخدع  
فسارق المال يُقطع  
وسارق الشعر يُصنع

فأخذ السارق لذلك جملاً وهرب من الترى .

وبين السرى الموصلى والخالدين مستظرفات في هذه السرقات ، اشتهرت في كتب الآداب ، فلنلمّ ببعض ما قال السرى فيهما وفيه . يقول الثعالبي : السرى وما أدراك ما السرى ، صاحب الشعر الجامع بين عقود الدرّ ، والنافث في عمدة السخر ؛ ولله درّه ! ما أعذب بحره ، وأصفي قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت

(١) اليتيمة ٣ : ١٧٧

(٢) اليتيمة « يكد »

من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعاقق في كعبة الظرف <sup>(١)</sup> . وكتبته منه محاسن ومأجاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الخدق الملاح .

قال يتنظّم إلى سلامة بن فهيد من الخالدين :

تحيف شعري يا بن فهيد مصالت	عليه فقد أهدمتُ منه وقد أثرى <sup>(٢)</sup>
وفي كل يوم للغبيّين غارة	تروّع ألقاظي المحجلة الغرا
إذا عن لي معنى تضاحك لفظه	كضاحك التوّار في روضه الغدرا
غريب كفنشر الرّوض لما تبسمت	مخائله للفكر أودعته سطرأ
فوجه من الفتيان يمسح وجّهه	وصدرٌ من الآقوام يسكنه الصّدرا
تناوله مثرٍ من الجهل معدم	من العلم معذور متى خلع العذرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها	وأدنستما تلك المطارف والأزرا
فويحكما هالاً بشطير قنعما	وأبقيتما لي في محاسنه الشّطرا <sup>(٣)</sup>

وقال يخاطب أبا الخطاب <sup>(٤)</sup> ، وقد سمع أن الخالدين يرجعان إلى بغداد <sup>(٥)</sup> :

بكرتُ عليك معرّة <sup>(٦)</sup> الأعراب	فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب <sup>(٧)</sup>
وردَ العراق ربيعةً بن مكدم	وعتيمية بن الحاث بن شهاب

(١) اليتيمة : « الفكر » .

(٢) اليتيمة ٢ : ١٢٥ - تحيف : اغتصب . والمصالت : اللص .

(٣) اليتيمة : « شطرا »

(٤) في اليتيمة ٢ : ١٢٨ : « المفضل بن ثابت الضبي » .

(٥) بعده في اليتيمة ، « وذلك في أيام المهلبى الوزير »

(٦) اليتيمة « مغيرة »

(٧) اليتيمة ٢ ، ٢٨

أفعدنا شكّ بأنهما هما  
 جلبا إليك الشعر من أوطانه  
 شنا على الآداب أقبح غارة  
 فحذار من حركات صلي<sup>(١)</sup> غارة  
 تركت غرائب منطقي في غربة  
 أعزز عليّ بأن أرى أشلاءها  
 جرحي وما ضربت بحدّ مهتدي  
 إن عزّ موجود الكلام عليهما  
 كم حاولا أمرى فطال عليهما  
 في الفتك لاني صحة الأنساب  
 جلب التجار طرائف الأجلاب  
 جرحت قلوب محاسن الآداب  
 وحذار من فنكات ليثي غاب  
 مسببة لا تهتدي لإياب  
 تدمي بظفر للعدوّ وناب  
 أسرى وما حلت على الأتقاب  
 فأنا الذي وقف الكلام يبابي  
 أن يدركا لإمثار ترابي

والقصيدة<sup>(٢)</sup> طويلة جمعتُ منها ما وافق الغرض ، وسنلّم بشيء منها في  
 الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى .

وقال يتظلم منهما لأبي البركات :

يا أكرم الناس إلا أن تمدّ أبا  
 أشكو إليك حليفي غارة شهرا  
 ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرّم  
 سلا عليه سيوف البغي مصلتة  
 وأرخصاه فظل العطر متّهما<sup>(٥)</sup>  
 فات الكرام بآيات وآثار<sup>(٣)</sup>  
 سيف العقوق على ديباج أشعاري<sup>(٤)</sup>  
 لمزّاه بأنياب وأظفار  
 في جحفل من شذيع الظلم جزار  
 لديهما يشتري من غير عطار

(١) اليتيمة « صليّ قفرة »

(٢) انظرها كاملة في اليتيمة ٢ ، ١٢٨ ،

(٣) اليتيمة ٢ ، ١٢٦ ،

(٤) اليتيمة ، « سيف الشقاق »

(٥) اليتيمة ، « ممتّما »

إِنْ قَدَّادِكَ بَدْرٍ فَهُوَ مِنْ نَجْحِي<sup>(١)</sup> أَوْ خَتَمَاكَ فَيَا قُوتِي وَأَحْجَارِي  
كَأَنَّهُ جَنَّةٌ رَاقَتْ حَدَائِقَهَا بَيْنَ الْغَبِيِّينَ فِي نَارٍ وَإِعْصَارِ  
عَارٍ مِنَ النَّسَبِ الْوَضَاحِ مَنْتَسِبٍ فِي الْخَالِدِيِّينَ بَيْنَ الْحَزْرِيِّ وَالْعَارِ

وَشَتَّانَ بَيْنَ قَوَائِمِ السَّرِيِّ فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَبِي عُمَانَ ابْنِي هِشَامِ الْخَالِدِيِّينَ ،  
وَبَيْنَ قَوْلِ الثَّعَالِبِيِّ فِيهِمَا<sup>(٢)</sup> حِينَ قَالَ : إِنَّ هَذِينَ لِسَاحِرَانَ ، يُعْرَبَانِ فِيمَا يَجْلِبَانِ ،  
وَيُبْدِعَانِ فِيمَا يَصْنَعَانِ ، وَكَانَ مَا يَجْمَعُهُمَا مِنْ أَخْوَةِ الْأَدَبِ مِثْلَ مَا يَنْظُمُهُمَا مِنْ  
أَخْوَةِ النَّسَبِ ، وَهُمَا فِي الْمَوَاقِفَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ يَجِيئَانِ بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَشْتَرِكَانِ فِي  
قَوْلِ الشُّعْرِ وَيَنْفَرِدَانِ ، وَلَا يَكَادَانِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ يَفْتَرِقَانِ ، وَكَانَا فِي  
التَّسَاوَى ، كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

رَضِيْعِي لِبَانٍ شَرِيكِي عِنَانِي عَتَبِي رَهَانِي حَلِيفِي صَفَاءِي

بَلْ ، كَمَا قَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

كَأَلَّةٍ قَدِيْنٍ إِذَا تَأَمَّلْتَ نَاطِرِي لَمْ يَعْزَلْ مُوَضِعُ فَرَقَدِي عَنْ فَرَقَدِي

بَلْ كَمَا قَالَ الصَّابِي :

أَرَى الشَّاعِرَيْنِ الْخَالِدِيِّينَ نَشْرَا قِصَائِدَ يَفْنَى الدَّعْرَ وَهِيَ تَحْلُدُ  
جَوَاهِرَ مِنْ أَبْكَارِ لَفْظٍ وَعُوْنِهِ يَقْصُرُ عَنْهَا رَاجِزٌ وَمَقْصِدُ  
تَنَازَعِ قَوْمٍ فِيهِمَا وَتَنَاقُضُوا وَمَرَّ جِدَالٍ بَيْنَهُمْ يَبْتَرِدُ  
فَطَائِفَةٌ قَالَتْ سَعِيدٌ مَقْدَمٌ وَطَائِفَةٌ قَالَتْ لَهُمْ بَلْ مُحَمَّدُ

(١) الْيَتِيْمَةُ « مِنْ الْجَحِي »

(٢) الْيَتِيْمَةُ ٢ : ١٦٥

وصاروا إلى حكمي فأصاحت بينهم  
 هما الاجتماع الفضل زوج<sup>(١)</sup> مؤلف  
 وما قلت إلا بالتي هي أرشد  
 ومعناها من حيث ألفت مفرد  
 كذا فرقدا الظماء لما تشاكلا  
 فزوجهما ما مثله في اتفاهه  
 ورددتها بين الكواكب أسعد  
 رضينا وساوى فرقدا الأرض فرقدا  
 وقاموا على صلح وقال جميعهم

وأفاضل الشأم والعراق ، بعضهم يفضل السرى عليهما ، وبعضهم يفضلهما .  
 فهذا كله فصل في السرقات مستظرف ، احتوى على فوائد من علم الأدب ،  
 وهى عشرون وجهاً والعشرون وجهاً فى السرقة جلبتها من كتاب الوكيعى  
 على اختصار .

\*\*\*

فقال : والذى جعل الشعر ديوان العرب ، وثره جمان الأدب ،  
 ما أحدث سوى أن بتر شمل شرحه ، وأغار على ثلثى سرجه .  
 فقال له : أنشدنا أبياتك برمتها ؛ ليتضح ما اختاره من جملتها ؛  
 فأنشد :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها  
 دار منى ما أضحكمت في يومها  
 شرك الردى وقرارة الأقدار  
 أبكت غداً بعداً لها من دار  
 منه صدى لجأته العزار  
 لا يفقدى بجلالة الأخطار  
 كتم مزده بغرورها حتى بدا  
 متمرداً متجاوز المقدار

(١) كذا فى الأصول ، وما أثبتته من البيمة .

قَدَبَتْ لَهُ ظَهْرَ الْمَجْنِّ وَأَوْلَعَتْ      فِيهِ الْمَدَى وَنَزَتْ لِأَخْذِ الشَّارِ  
فَارْبَأُ بِعُمْرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضِيْعًا      فِيهَا سُدَى مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَظْهَارِ  
وَاقْطَعْ عِلَاقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا      تَلَقَّ الْهُدَى وَرِفَاهَةَ الْأَسْرَارِ  
وَارْقُبْ إِذَا مَا سَأَلْتُمْ مِنْ كَيْدِهَا

حَزَبَ الْعِدَا وَتَوَثَّبَ الْقَدَارِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّ خَطُوبَهَا تَفْجَأُ وَلَوْ      طَالَ الْمَدَى وَوَنَتْ سُرى الْأَقْدَارِ

. . .

قوله: «والذى جعل الشعر ديوان العرب»، أى كتاباً تدون فيه أخبارهم، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الفيظ وبه يؤتى القوم فى ناديتهم». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من الشعر لحكمة» رواه ابن عمر رضى الله عنه قال: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى ومساوى تُنتقى. وحكمة للحكام ويدل على مكارم الأخلاق.

قونه: «يا خاطب الدنيا الدنية»، أى التى لا خير فيها. شرك: مصادد. الردى: الهلاك. قرارة: موضع يستقر فيه الماء. الأكدار: ما يتكدر به الماء الصافى.

أظَلّ: دنا وقرب. يفتقع: يرتوى. صدى: عشاء. جهامه: سحابه الذى لا ماء فيه. الغرار: الخداع. تنفضى: تنقطع وتتم، أراد أن الدنيا تُهلك من فيها، فسكنى بالأسير عن ذلك وأسير الموت لا يفدى. الجلائل: جمع جليلة وهى الشيء الرفيع، وتقدمت الأخطار. مزده: مُعجب. غرورها: خداعها. متمرداً: متجاوزاً الحد فى الفساد.



الجنّ: التّرس . أولفت : جعلتها تلغ الدم . المدى ، جمع مُدْيَة : السكين .  
نزت : وثبت عليه . الثّار : طلب الدم ، وأراد أنها لما بسطت الأرزاق للإنسان  
فأعجب بها، وركب رأسه في الفساد تحوّلت عليه ، وسقت سكينها من دمه، والعرب  
تقول : قلبت له ظهر المّجنّ، أى غيرت له حالى ، وهو مثل يضرب للمحاربة بعد  
المسالمة ، وأصله فى الحرب ، لأن الرجل إذا صالح صاحبه جعل بطن مِجَنَّهُ مما يلي  
صاحبه المصالح ، فإذا حاربه قلب له ظهره للقتال . ومن جواب رسالة المهلب إلى  
الحجاج: وزعمت أنى إن لم ألقهم في موضع كذا أسرع إلى صدر الرمح، فلو فعلتُ  
لقببتُ إليك ظهر الجن ، ثم إذا كانت الواقعة ، فهذا يبيّن ما ذكرناه .

اربأ بعمرك ، أى ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرك، وتقول: ربأت القوم  
أى صرت لهم ريثة ، وهو الحارس لهم، والمربأ : الموضع المشرف الذى يقعد فيه  
الناظر ، فعنى اربأ بنفسك : أى ارتفع بموضع ممتنع واحترس فيه لتنجو . سُدَى :  
مهملاً . استظهار: استعداد، وقد استظهرت بالشىء فظهرت به وأظهرته إذا جعلته  
خلف ظهرك حماية ووقاية، والظهير المعاون . والعلائق : كل ما يعلق القلب بحب  
الدنيا . والرفاهة : الخفض والعيش الهنىء . الأمرار : البواطن ، يريد أن سرّ  
الإنسان وخاطره إذا قطع علائق الدنيا كان مترقهاً خالى السر والبال . ارقب :  
احرس . سالمت : صالحت . كئيدها : مكرها . الغدار : الذى يؤمّنك فإذا أمنتته  
خانك . وتوثبه : تهَيّؤه للوثب عليك . خُطوبها : أمورها ونوازله . ففجأ :  
تأتى على غفلة . ونت : فترت : والسرى : مشى الليل . الأقدار : ما يقدره الله على  
العبد من خير أو شر ، فيقول : إذا أمنتك الدنيا من مكرها ، فلا تأمنها فخطوبها  
تأتى على غفلة بعد أمد طويل ، وضمّن هذا الشعر وصايا فى التحذير من الدنيا .

\* \* \*

[ ذكر التحذير من الدنيا وغرورها ]

ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم فى سالك ما نظم ، قال النبي صلى الله  
عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» .

( ٧ - شرح مقامات الحريري ج ٣ )

وقال: « الدنيا حلوة خضرة ، فمن أخذها بحقها بورك له فيها ، ومن أخذها بغير حقها كان كالأكل الذي لا يشبع » .

وقيل لعليّ بن أبي طالب رضی الله عنه : صف لنا الدنيا ، فقال : ما أصف من دار أو لها عناء وآخرها فناء ، حلالها حساب ، وحرامها عذاب ؛ من استغنى فيها فُتِن ، ومن افتقر فيها حزن .

وقال ابنه محمد بن الحنفية : من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .  
وقيل لبعض الحكماء : صف لنا الدنيا ، فقال : أملٌ بين يديك وأجلٌ مطلٌ عليك ، وشيطانٌ فتانٌ ، وأمانيٌّ جرّارة العنان ، تدعوك فتستجيب ، وترجرها فتخيب .

وقيل لآخر : صف لنا الدنيا ، فقال : ناقضة للعزيمة ، مرتجعة للعطية ، كل حنٍ فيها يجرى إلى مالا يدري .

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا: صفي نفسك ، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ  
له عن عدوٍّ في ثياب صديق<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه  
إن الذي تحطب غدارة  
تنحّ عن خطبتها تسلّم<sup>(٢)</sup>  
قريبة العرس من المأتمـ  
وقال أبو العرب الصقلی :

ولا يفرك منها حسن بُردٍ  
فأوله رجاءٌ من سرابٍ  
له علمان من علم الذهبِ  
وأخره رداءٌ من ترابٍ

(١) ديوانه ١٩٢

(٢) المقدم ٣ : ١٧٤ من غير نسبة .

وقال أبو العتاهية ،

أصبحت الدنيا لنا فتنّةً والحمد لله على ذاكِكا<sup>(١)</sup>  
قد أجمع الناس على ذمّها وما أرى منهم لها تاركا  
وله أيضاً :

هي الدنيا إذا كملت وتم سرورها خذلت<sup>(٢)</sup>  
وتفعل في الذين بقوا كما فيمن مضى ففعلت  
وقال المتنبي :

أبدأ تستردّ ما تهبّ الدنـ وهي معشوقة على الغدر لا تحـ  
يا فياليت جودها كان بخلا<sup>(٣)</sup> كلّ دمع يسيل منها عليها  
فظ عهدا ولا تتمم وصلا وبفك اليدين عنها تحلى  
رى لذا أنت اسمها الناس أم لا شيم الغانيات فيها فلا أد  
وله أيضاً :

فدى الدار أخون من مؤسس وفغانى الرجال على حبّها  
وأخذع من كفة الحابل<sup>(٤)</sup> وقال المعري :

وجدنا أذى الدنيا لذيذاً كأنما جنى النحل أصناف الشقاء الذي نجى<sup>(٥)</sup>  
على أم دفر غصبة الله إنهما لأجدر أنتى أن تحون وأن تُخني<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ١٨٦ -

(٢) العقد ٣ : ١٧٤

(٣) ديوانه ٣ : ١٣١ .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٣ .

(٥) سقط الزند ٩١٩ . وجنى النحل ، هو العسل .

(٦) أم دفر ، كنية الدنيا . والدفر : التنن . وأخني عليه الدهر : أهلك .

كعب دُجاها فرعُها ونهارها  
 كأنّ بنيا يولدون ومالها  
 محيّا لما قاهت له الشمسُ بالحسن<sup>(١)</sup>  
 حليلٌ فتخشى العار إن سمحت يابن<sup>(٢)</sup>  
 وقال ابن عبدربه :

ألا إنّما الدنيا غضارة أيكّة  
 هي الدار ما الآمال إلا فجائع  
 إذا اخضرّ منها جانبٌ جفّ جانب<sup>(٣)</sup>  
 عليها ولا اللذات إلا مصائبُ  
 على ذاهبٍ منها فإنك ذاهبُ  
 فلا تكتحلّ عينك فيها بعبرةٍ  
 وقال أبو العتاهية :

رضيت بذى الدنيا ككل مكائبر  
 ألم ترها ترقيه حتى إذا سما  
 ملحّ على الدنيا وكل مفاخر<sup>(٤)</sup>  
 فرّت حلقه منها بشفرة جازر  
 وقال أبو بكر البلوى :

إنّ الذى أصبح لا والد  
 قد مات من قبلها آدم  
 له على الأرض ولا والد  
 فأى نفس بعده خالدة  
 إن جئت أرضاً أهلها كلهم  
 عورٌ فغمض عينك الواحدة  
 وقال ابن عمران :

أفّ لدنيا قد شقّفنا بها  
 فتانةٌ تخدع طلابها  
 جهلاً وعقل للهوى متبع  
 فلا تكن تمنّ بها ينخدع  
 أو كوميض البرق منها لمع  
 أضغك أحلام إذا حُصّلت

(١) شبه الدنيا بالكعب ؛ وهى الفتاة التى تكعب نديها .

(٢) قال البطبايوسى فى شرح هذا البيت : الوأد : وضع التراب على الميت وتركه ؛ شبه الدنيا فى إهلاكها لأبنائها بامرأة زانية تخشى الفضيحة إذا ظهر لها ولد ، فهى تدفنه لتتطم أثره والحليل الزوج .

(٣) العقد لابن عبدربه ١ : ١٧٥ .

(٤) العقد ٣ : ١٧٤ .

وقال ابن قاضي ميلة :

لديناك نورٌ ولكنه ظلام يحارُّ به المبصرُ  
فإن عشت فيها على أنها كما قيل قنطرة تُعبَرُ  
فلا تعمركَ بها منزلاً فإن الحراب لما تُعمِرُ  
ولا تذخرنَ خلاف التقى ففنى ويبقى الذي تذخرُ

ابن عمران : واعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يجانسه في بعض طباعه ،  
وإن الدنيا جانست الإنسان في بعض طبائمه فأحبها بكله .

وقال :

نُراع لذكر الموت في حال ذِكْرِهِ وتمتعض الدنيا فلهو ونلعب<sup>(١)</sup>  
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لغيرها وما كنت منه فهو شيء محببُ

وقال إبراهيم بن آدم :

نُرَقِّعُ دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ<sup>(٢)</sup>  
فطوبى لعبدٍ آثر الله ربه وجاد بديناه لما يتوقع

وهذا مثل قول أعرابيٍّ وقد قيل له : كيف أنت في دينك ؟ فقال : أخْرِقَه  
بالمعاصي ، ولا أرقعه بالاستغفار .

وللاُعمى التطلُّيَّ :

تنافس الناس في الدنيا وقد عَمُوا أن سوف تقتلهم لذاتهم بدداً<sup>(٣)</sup>  
قل للمحدث عن لقمان أو لبدي لم يترك الدهر لقماناً ولا لبداً  
وللذي همَّ البنيان يرفعه إن الردى لم يفادر في الثرى أحداً  
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه يرجو غداً وعسى ألا يعيَشَ غداً

(٢) العقد ٣ : ١٧٦ .

(١) العقد ٣ : ١٧٦ .

(٣) ديوانه ٢٧ .

تأمل هذه المقاطع فإنها تضمنت حكماً وآداباً وكل قطعة منها ، لها تعلق بشعر  
الحريري إما باللفظ أو بالمعنى .

\* \* \*

فقال الوالي : ثمّ ماذا ، صنع هذا ؟ فقال : أقدمَ للؤمة في  
الجزء ، على أيّياتي السُداسيّةِ الأجزاء ، فحذف منها جزأين ، وتقصّ  
من أوزانها وزنّين ؛ حتّى صارَ الرُّزءُ فيها رُزأين . فقال له : بين  
ما أخذ ، ومن أين ، فلذ ؟ فقال : أرعني سمعك ، وأخلِ للتّفهمِ عني  
ذرْعك ؛ حتّى تتبيّن كيف أصلت على ، وتقدرَ قدرَ اجترامِهِ إلى ؛  
ثمّ أنشد ، وأنفاسه تتصعد :

ياخاطب الدنيا الدتيةِ إنّها شركُ الردي  
دارٌ متى ما أضحكْت في يومها أبكتْ غداً  
وإذا أطلَّ سحابُها لم ينتفعْ منه صدَى  
غاراتها ما تنقضي وأسيرُها لا يفتدى  
كم مُزدهٍ بغرورها حتّى بدأ مُتمرّداً  
قلبتْ له ظهرَ المجنّ وأولنتْ فيه المدى  
فأربأ بِعمرِكَ أن يمُرَّ مُضيعاً فيها سدى  
واقطعْ علائقَ حُبِّها وطلايها تلقَ الهدى  
وارقبْ إذا ما سالمتْ من كيدِها حربَ العدا  
واعلمْ بأنَّ خطوبها تفجأ ولو طالَ المدى

فالتفتَ الوالي إلى الغلام وقال: تَبًّا لَكَ مِنْ خَرِيحٍ مَارِقٍ ،  
 وتَلْمِذٍ سَارِقٍ ! فقال الفتي: برئت من الأدب وبنيه ، ولحقتُ بِمَنْ  
 يناويه ، ويقوِّضُ مبانيه ؛ إن كانتْ أيباته نَمَتْ إلى علمي ، قبل أن  
 أَلَفْتُ نَظْمِي ؛ وإنما اتَّقَ توارِدُ الخاطِرِ ، كما قدَّ يَقَعُ الحافِرِ على  
 الحافر .

\* \* \*

قوله : أقدم أى تقدم . لؤمه فى الجزاء ، يريد أنه جازاه على ما فعل معه  
 من الخير مجازاةً لئيمٍ ، فسرق شعره . السادسة الأجزاء ، لأن عروضها من الكامل ،  
 وأجزاؤها متفاعلة ست مرات : الرّزء : المصاب . فَلَذْ : قطع . أُرْعِنِي سمعك :  
 أى اسمع منى . ذَرَعَكَ : بالك وقلبك . أصَلتْ : جرد سيفه . تتصعد : تتطلع إلى  
 فوق . الخِرْيَبُجُ : الذى خرّجه معلمه ، وفلان خِرْيَبُجٌ ، أى الذى خرج بتهديبك  
 وتعليمك . مارق : خارج عن الطاعة . وتلميذ : طالب متعلم . برئتُ : زُلتُ  
 وانفصلت . يناويه : يهاديه . يقوِّضُ : يهدمُ . نَمَتْ : انصلت . ونميت الحديث  
 أسندته . أَلَفْتُ نظمي : جمعت شعري .

توارد الخواطر : تواطؤ الأذهان ، أى وقع لذهن الفتي من الكلام ما وقع  
 لذهن الشيخ ، مثل الحافر الذى وقع على الحافر .

وهذا الكلام يُبْزَى لأبى الطيب المتنبى ، وسئل عن اتفاقات الخواطر ، فقال :  
 الشعر مَبْدَانٌ ، والشعراء فرسان ، فربما اتفق توارد الخواطر ، كما قد يقع الحافر  
 على الحافر .

قال الأصمعي رحمه الله تعالى : قلت عمرو بن العلاء : أ رأيت الشاعرين يتفقان  
 فى المعنى ويتواردان فى اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ، ولا سمع شعره ؟ فقال لى :  
 تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها .

## [ نبذ في توارده الخواطر ]

ومن مشهور ذلك ما وقع في القصيدتين البائيتين لامرئ القيس وعلقمة ، وكذلك اتفاه مع طرفة في قوله :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجدد<sup>(١)</sup>  
وقال امرؤ القيس<sup>(٢)</sup> : وتجدد .

ومن توارده الخواطر قول ربيعة بن مقروم .

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبء الإله ضرورة متبدل  
وقال النابغة<sup>(٣)</sup> : « ضرورة متعبد » :  
وقال :

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولهم من تاموره يتنزل  
وقال النابغة :

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ونخاله رشداً وإن لم يرشداً<sup>(٤)</sup>  
تاموره : صومعته .

ومن ذلك ما حكى أبو علي أنه خرج جرير والفرزدق مردفين إلى هشام  
ابن عبد الملك ، فنزل جرير يبول ، فتلفت الناقة فضربها الفرزدق وقال :

إلام تلتفتين وأنت تحي وخير الناس كلهم أمأى<sup>(٥)</sup>

(١) من المعلقة ؛ ديوانه ٣٠ .

(٢) من فوله في ديوانه ص ٩ .

(٣) من فوله في ديوانه ٣١ .

وانظر الشعر والشعراء ١١٤ .

(٤) ديوانه ٣٢ .

(٥) الأغانى ٩ : ١٦٩ .

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجدد

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبء الإله ضرورة متعبد



مَتَى تَرَدَى الرَّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي (١)  
 ثم قال : الآن يجيء جرير ، فأنشده البيتين فيردّ عليّ :  
 تَلَفْتُ أَنَّهَا تَحْتِ ابْنِ قَيْنٍ إِلَى الْكَبِيرِينَ وَالْفَأْسِ الْكَهْمَامِ (٢)  
 متى تأت الرصافة تَخْزَنُ فِيهَا كَخِزَانِكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ

قال : فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : مَا يُضْحِكُكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ ؟  
 فأنشده البيتين ، فقال جرير : تلفت أنها البيتين .. كما قال الفرزدق سواء ، فقال :  
 وَاللَّهِ لَقَدْ قَلَّتْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطَانَنَا وَاحِدٌ .

ومر (٣) رجل بالفرزدق بالمرْبَدِّ فقال : من أين أقيبت ؟ قال : من اليمامة ،  
 قال : فأبى شيء أحدث ابن المراغة ؟ فأنشده :

\* هاج الهوى لفؤادك المهتاج \*

فقال الفرزدق :

\* فانظر بتوضيح باكر الأحداج \*

فقال الرجل :

\* هذا هو شغف الفؤاد مبرح \*

فقال الفرزدق :

\* ونوى تقاذف غير ذات خلاج (٤) \*

فقال الرجل :

\* إن الغراب بما كرهت لمولع \*

(١) التهجير : المشى فى المهاجرة . والدبر : فرحة فى الدابة .

(٢) ديوانه ٥٠٢

(٣) ديوانه ٨٩ ، بدائع البدائه ٦٣ ، والأحداج : جمع حدج ؛ وهو من مراكب النساء .

(٤) الخلاج : الشك .

فقال الفرزدق :

\* بنوى الأحبة دائم التشحاج \*

فقال الرجل : هكذا والله قال : أفسمعتها من غيري؟ قال : لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال ، فقال : أما علمت أن شيطاننا واحد .

ودخل الفرزدق على امرأة من عَقِيل فحدثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل فأقبلت عليه تحمّته ، وتركت الفرزدق ، ففاظه ذلك ، وقال للفتى : أتصارعني ؟ قال : ذلك إليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه ، وجلس على صدره ، فضرط الفرزدق ، فوثب الفتى عنه وقال : هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردتُ ما جرى ، فقال : والله ما بى ذلك ، ولكن كأتى بآبن المراعة جرير قد بلغه الخبر ، فقال :

جلستَ إلى ليلي لتحظى بقربها      فخانك دهرٌ لا يزال خثون  
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها      كما شدَّ خرقا بالدلاص قيون  
فلما بلغ الخبر جريراً قال البيتين .

وأمر<sup>(١)</sup> سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه ، فلم يفعل ، وأعطاه سيفاً لا يقطع ، فضرب به عنق رومي فنبأ السيف ، فضحك سليمان ومن حوله ، فجلس وهو يقول :

أيعجبُ النَّاسُ أنْ أضْحَكَ سَيِّدُهُمْ      خَلِيفَةَ اللَّهِ بِسُتْسَقَى بِهِ الْمَطْرُ  
لَمْ يَذْبُ سَيْفِي عَنْ رُغْبٍ وَلَا دَهْشٍ      عَنِ الْأَسِيرِ وَلَكِنْ أَمْرُ الْقَدَرِ

ثم قال : ما إن يعاب فرس إذا كبا ، ولا يعاب صارم إذا نبا ، ثم جلس .

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٦ : ٤٧٥ ، ٥٤٨ ، الأغاني ١٥ ، ٣٤٣ .

وهو يقول : كَأَنِّي بَابِنِ الْمِرَاغَةِ قَدْ بَلَغَهُ الْخَبْرُ فَقَالَ :

سَيْفِ أَبِي رَعْوَانَ سَيْفِ مَجَاشِعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ  
ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَاءِ فَأَرَعِشْتَ يَدَاكَ وَقَالُوا مَحْدَثٌ غَيْرُ صَارِمٍ  
ثُمَّ قَالَ : كَأَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَابِنِ الْقَيْنِ قَدْ أَجَابَنِي فَقَالَ :

وَلَا تَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفِّكْهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ -  
فَأَخْبَرَ الْفَرَزْدَقُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ :

كَذَلِكَ سَيْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو طُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أحيانًا مَنَاطَ التَّمَامِ  
وَلَا تَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفِّكْهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ  
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّوحَى جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبَا عَنْ كَلْبِيٍّ أَوْ أَبَا مِثْلِ دَارِمِ -

فهذا إن صح من أعجب اتفاق الخواطر .

وقال الأقيشر :

جَرَيْتُ مَعَ الْهُوَى طَلَّقَ الْعَتِيقِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْفُسُوقِ (١)  
وَجَدْتُ أَلَدَّ عَارِيَةَ اللَّيَالِي قِرَانَ النَّعْمِ بِالْوَتْرِ الْخَفُوقِ  
وَمَسْمَعَةٌ إِذَا مَا شَتَّ غَنَّتْ مَتَى نَزَلَ الْأَحْبَبَةَ بِالْعَتِيقِ  
تَمَتَّعَ مِنْ شِبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصَلَ بِعُرَا الصُّبُوحِ عُرَا الْعَبُوقِ

وقال أبو نواس رحمه الله تعالى :

جَرَيْتُ مَعَ الْهُوَى طَلَّقَ الْجُمُوحِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْقَبِيحِ (٢)  
وَجَدْتُ أَلَدَّ عَارِيَةَ اللَّيَالِي قِرَانَ النَّعْمِ بِالْوَتْرِ الْفَصِيحِ

(١) الوساطة ١٩١ ، ١٩٢ ، قال : وأنا أرتاب بأبيات الأقيشر ، فإنها لا تشبه شعره .  
ولم أرها في ديوانه . وانظر سرقات أبي نواس لمهلل . بن يعقوب ٨٣ .  
(٢) ديوانه ٢٥٧ .

ومسمةً إذا ما شئت غنّت متى كان الخيام بذري طلوح  
تمتّع من شباب ليس يَبْقَى وصل بعراً الغبوق عراً الصَّبُوح  
ومن ذلك ما نسب السري للخالدي فيما قدّمناه من سرقة شعره، قال السري<sup>(١)</sup> :

وكان كأس مدامها لما ارتدت بمجبابها

توريد وجنتها إذا ملاح تحت نقابها

وقال أبو بكر الخالدي :

فكان الكأس لما ضحكت تحت الحجاب<sup>(٢)</sup>

وجنةُ سحراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السري في وصف جام فيه فالودج :

بأحمر مبيضّ الزجاج كأنه رداء عروسٍ مشربٍ بمخلوق<sup>(٣)</sup>

له في الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان تلقاه بلون حريق

كانّ بياض اللوز في جنباته كواكبٍ درّ في سماءٍ عقيق

وقال أبو بكر الخالدي :

مُدّاماً كأن الكفّ من طيبٍ نشرها وصفرتها قد خلقت بمخلوق<sup>(٤)</sup>

(١) يتيمة الدهر ٢ : ١٦٦ .

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ١٦٦ .

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ١٦٦ وقبله هناك ،

إذا شئت أن تجتاح حقاً بباطلٍ وتفترق خصماً كان غير غريق

فسائل أبا بكرٍ تجد منه سالكا إلى ظلمات الظلم كل طريق

ولاطفه بالشهد المخلوق وجهه وإن كان بالإلطف غير حقيق

(٤) يتيمة الدهر ٢ ، ١٦٣ . وقبله .

ألا فاستقني والليل قد غاب نوره لغيبة بدرٍ في الغمام غريق

وقد فضح الظلماء برق كأنه فؤاد مشوقٍ مولعٍ بمخفوق

نُعَانِيهَا نَوْرًا عَالَاهُ تَجَسَّدٌ وَنَشْرِبُهَا نَارًا بَغِيرَ حَرِيقٍ  
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ فِي جَنَابَاتِهَا كَوَاكِبُ لَاحَتْ فِي سَمَاءٍ دَقِيقِ  
وقال السري رحمه الله تعالى :

رَأَتْ شَيْبًا يُصَاحِبُنِي فَصَدَّتْ وَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْهَا الْعُبُوسَا<sup>(١)</sup>  
وَقَالَتْ إِذْ رَأَتْ لِلْمُشْطِ فِيهِ سَوَادًا لَا يَشَاكُلُهُ نَفِيسَا  
تَلَقَّ الْعَاجُ مِنْهُ بِمَشْطِ عَاجٍ وَدَعَى لِلْآبِنُوسِ الْآبِنُوسَا  
وقال أبو عثمان أيضاً :

وَقَفْتَنِي مَا بَيْنَ هَجْرٍ وَبُوسٍ وَانْتَهتْ بَعْدَ ضِحْكَةٍ بُعْبُوسٍ<sup>(٢)</sup>  
وَرَأْتَنِي مَشْطَتٍ عَاجَا بَعَاجٍ وَهِيَ الْآبِنُوسُ بِالْآبِنُوسِ  
وهذا إما توارداً أو تسابقاً، والتسابق أشبه بهم .

\* \* \*

قال : فكان الوالي جوّز صدق زعمه ، فندم على بادرة ذمّه ؛  
فظلّ يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ، ويميّز به الفائق من  
المائق ، فلم ير إلاّ أخذها بالمناضلة ، ولزّها في قرّان المساجلة .  
فقال لهما : إن أردتما افتضاح العاطل ، واتضاح الحقّ من الباطل ،  
فتراسلا في النّظم وتباريا ، وتجاولا في حلّبة الإجازة وتجاريا ؛  
كَيْهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ يَتْنَةِ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيٌّ عَنِ يَتْنَةِ ؛ فقال له بلسان  
واحد ، وجوابا متوارد : قد رضينا بسبرك ، فرنا بأمرِك .

فقال : إني مولعٌ من أنواع البلاغة بالتجنيس ، وأراه لها كالرئيس ؛

(١) دبوته ١٥٥ .

(٢) بقيمة الدهر ٢ : ١٨٢ .

فانظماً الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه، وترصعناها بحليه، وضمناها  
شرح حالي مع إلف لي بديع الصفة، ألمى الشفه، مליح الثننى،  
كثير التيه والتجننى، مُعْرَى بتناسى العهد، وإطالة الصد، واختلاف  
الوعد؛ وأنا له كالعبد.

\* \* \*

قوله: زعمه، الزعم قول معه اعتقاد. بادرة: سابقة وهي الكلمة الرديئة  
تبدر من المتكلم. الفائق: الفاضل، وفاق الناس، فضاهم وعلام بقول أو علم.  
المائق: الأحق الضعيف التدبير. المناضلة: المراماة. لزها: ضمهما وشدهما.  
فَرَن: جبل يقرب بين الشيتين.

[ المساجلة ومثل منها ]

المساجلة: أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل ما يخرج  
الأخر، فأيهما نكل فقد غلب، وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مَنْ يُسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جَدَا يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الكَرْبِ<sup>(١)</sup>  
وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الجِلْدَةَ مِنْ بَيْتِ العَرَبِ

ومرّ الفرزدق بالفضل، وهو يستقى وينشد البيتين، فشمر ثيابه عن نفسه،  
وقال: أنا أساجلك، ثقةً بنسبه، فقيل له: هذا الفضل بن العباس، فردّ ثيابه  
وقال: ما يساجله إلا من، نصّ أيرأيه. ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة،  
وأراد هنا بالمناضلة والمساجلة، أن يقول هذا بيتنا، وهذا بيتنا حتى يُعلم من الغلب.  
وأكثر ما جرت به العادة فيها بأنصاف الأبيات كما شهر في قصة امرئ القيس

(١) البيت الأول في اللسان — سجل، ونسبه للفضل بن عباس بن عتبة.

والتوهم حين قال امرؤ القيس :

\* أْحَارِ تَرَى بُرَّ يِقَاهِبْ وَهِنَا \*

فقال التوهم :

\* كِنَارِ جُوسٍ تَسْتَعِرُّ اسْتِعَارًا \*<sup>(١)</sup>

ثم مضيا على القطعة بالأصاف حتى كملت ، وهي مشهورة .

قال أبو العيناء : وقف على غلام يسألني ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه  
وخرج غلام لي أسود قد انتسل ، وهو يرعد ، وكان خبيثاً ، فأومأت إلى  
الأسود فقلت :

\* كَأَنَّهُ ذَنْبٌ غَضِيٌّ أَزَلُّ \*

فقال الغلام :

\* بَاتَ النَّدَى يَضْرِبُهُ وَالطَّلُّ \*

فوصلته بدارهم وانصرف .

واجتاز ابن أبي الخصال من بلده شقورة بأبدة ، وهو صبي صغير يطلب  
الأدب ، فأضافه بها القاضي ابن مالك ، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة ، فقطف  
لهم منها عنقوداً أسود ، فقال القاضي :

\* انظُرْ إِلَيْهِ فِي الْعَصَا \*

فقال ابن أبي الخصال :

\* كَرَأْسِ زَنْجِيٍّ عَصَا \*

فعلموا أنه سيكون له شأن في البيان .

ومثل ذلك ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه  
أبي عبد الله أن أبا بكر بن المجل وأبا بكر بن الملاح الشبليين ، كانا متواخيين

(١) ديوان امرئ القيس ١٤٧ .

متصافيين ، وكان لهما ابنان قد برعا في الطلب ، وحازا قصب السبق في حلبة الأدب ، فهاجى الابنان بأقذع هجاء ، فركب ابن الميجل في سحرٍ من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح ، ويقول له : قطعت ما بيني وما بين صفى أبي بكر يا قذاعك في ابنه ، فقال له ابنه : إنه بدأني ، والبادىء أظلم ، وإنما يجب أن يلحى من بالشرّ تقدّم ، فمذره أبوه ؛ فبينما هما على ذلك إذ أقبل على وادٍ تنقّ فيه ضفادع ، فقال أبو بكر لابنه أجز :

\* \* تنقّ ضفادع الوادى \*

فقال ابنه :

\* بصوتٍ غير معتاد \*

فقال الشيخ :

\* كأنّ نقيق مقولها \*

فقال ابنه :

\* بنو الملاح في النادى \*

فلما أحست الضفادع بهما صمتت ، فقال أبو بكر :

\* وتصمت مثل صمتهم \*

فقال ابنه :

\* إذا اجتمعوا على زادٍ \*

فقال أبو بكر :

\* ولا غوثٌ للمهوف \*

فقال ابنه :

\* ولا غيثٌ لمرتاد \*



والإجازة بالأبيات بكلامها كثيرة مشهورة .

وحكى الماوردي أن الناس تذاكروا حفظ السرّ بمجلس عبدالله بن طاهر،  
قال عبد الله :

ومستودعي ميراً تَضَمَّنْتُ سِترَه فَاودَعْتَه من مستقرّ الحشى قَبْرًا (١)  
قال ابنه عبيد الله، وهو صبي :

وما السرّ في قلبى كَثَاوٍ بِحِفْرَةٍ لَأنى أرى المدفون ينتظر الحشراً  
ولكننى أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما أحطتُ به خُبْرًا  
وحكى الفقيه أبو الحسن أن أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر بن أبي ركب (٢)،  
حضر عنده بِسَبْتَةِ بقرية شنان في عقب شعبان لاستقبال رمضان ، فأكل مع  
مَنْ حضر ضروباً من الأَطْعَمَةِ والألوان ، فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى  
لأبي عبد الله بن زرقون أجز :

حدثت لشعبان المبارك شِبعَةً تَسَهَّلُ عَنى الجوع فى رمضان  
قال أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

كما سَجد الصبِّ المتيمُّ زورةً أطلق لها المهجران طولَ زمانٍ  
قال أبو الطاهر :

دَعَوْهَا بشعبانية فلو أنهم دَعَوْهَا بشعبانية لكفانى (٣)  
وحدثنى أيضاً أن أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره  
أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر الحجاز، وهو مضطرب الأمواج،  
قال له أبو الحسن : أجز :

وملتظم الغوارب موجةً بوارحٍ فى مناكبها غيومُ

(١) الشعر والخبر فى كتاب أدب الدنيا والدين ٢٨ برواية مخالفة .

(٢) كذا ضبط فى نفع الطيب ، بفتح الراء وسكون الكاف .

(٣) الخبر فى تحفة القادم ٣٣ ، ونفع الطيب ٤ : ٣٢٣ .

( ٨ — شرح مقامات الحريرى ج ٢ )

قال أبو عبد الله :

تمنح لاتعوم به سفينٌ ولو حدقت به الزهر النجومُ

\* \* \*

قوله: «افتضح العاطل» أي شهرة الفارغ من قول الشعر . تراسلا : تجاريا، والتراسل في الغناء والنشيد، أن يتجاذب الصوت المغنيان، والتراسل في الخيل، أن ترسل فرسين في الطلق (١).

تباريا : تجاريا . وبجاولا : تصرفا . والحلبة يأتي ذكرها في المقامة ، وأراد تجاريا في الشعر كما يتجاري خيل الحلبة في الميدان ، سبرك : قياسك وتجربتك لنا . متوارد : متسابق متتابع . والتجنيس : أن تكون الألفاظ متناسبة والمعاني متباينة . تلحمانها : تنسججها . وشيه : رقمه . ترصعناها : تزينناها ، وكل ما خرزته أو عقدته فهو مرصع . إلف : معشوق يؤلف ويؤنس به . بديع : غريب . ألقى : أسمر ، وألقى أن تتعق حمرة الشفة حتى تضرب إلى السواد . التثني : الانطاف . التيه : الإعجاب والاحتقار بغيره . التجني : ادعاء الجناية على عاشقه ، وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنباً عليه وجناية ليتوصل بذلك إلى هجره ، ثم سمي الصد والإعراض تجنياً . مغرى : مولع . والتناسي : استعمال النسيان . أراد أنه يعد عاشقه بالزيارة وغيرها فإذا ذكر بها قال : نسيته . والصد : الإعراض .

\* \* \*

قال: فبرز الشيخ مجلياً ، وتلاه الفتى مُصَلِّياً ؛ وتجاريا بيتا فيبتأ على هذا النَّسَق ، إلى أن كمل نظم الأبيات وأتسق ، وهي :

وأحوى حوى رقى برقة ثغره وغادرني إلف الشهاد بغد ره  
تصدى لقتلي بالصدود وإنني لقي أسره مُد حاز قلبي بأسره

(١) الطلق : الشوط في جري الخيل .

أَصَدَّقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَازِوَرَارِهِ وَأَرْضَى اسْتِمَاعَ الْهَجْرِ خَشِيَةَ هَجْرِهِ  
 وَأَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ مِنْهُ وَكَلَّمَا أَجَدَّ عَذَابِي جَدَّ بِي حُبُّ بَرِّهِ  
 تَنَاسَى ذِمَامِي وَالتَّنَاسَى مَذْمَمَةٌ وَأَحْفَظُ قَلْبِي وَهُوَ حَافِظُ سِرِّهِ  
 ، أَعْجَبَ مَا فِيهِ التَّبَاهِي بِمُجِبِّهِ وَأَكْبَرُهُ عَنِ أَنْ أَفُوهَ بِكِبْرِهِ  
 لَهُ مِنِّي الْمَدْحُ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ وَلِي مِنْهُ طَىُّ الْوَدِّ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ  
 وَلَوْ كَانَ عَدْلًا مَا تَجَنَّنِي وَقَدْ جَنَى وَلَوْلَا تَنْتِيهِ تَنْتَيْتُ أَعْنَتِي  
 وَإِنِّي عَلَى تَصْرِيفِ أَمْرِي وَأَمْرِهِ أَرَى الْمَرَّ حُلُوفًا فِي انْقِيَادِي لِأَمْرِهِ

\* \* \*

على هذا النسق ، أى على هذا التتابع والانضمام . اتسق : انضمّ واجتمع .  
 ونسقت الشيء بالشيء ضممته إليه . أحوى : أسمر الشفة ، وألحوة : حمرة تضرب إلى  
 السواد ، يقال : شفة حواء حمراء . رقى ، أى ملكى ، والرقق الملك ، ورقق الرجل  
 رقاً : صار عبداً . برقة لفظه : بحلاوة كلامه . غادرني إلف السهاد : تركني صاحب  
 سهر . بقدرة : بقلّة وفائه . تصدّى : تعرّض . أمره : حبسه . بأسره : بجملته .  
 والزور : الكذب . ازوراره : انقباضه ، والهجر : الفحش . أستعذب : أستطيب .  
 أجدّ عذابي : جدّد عذابي . جدّ : زاد واجتهد . برّه : إكرامه ، يريد متى  
 زادني عذاباً وهجراناً زدت فيه حبّاً وبرّاً . ذِمَامِي : عهدي . مذمّة : عيب .  
 أحفظ : أغضب . التباهي : التفاخر . أكبره : أعظمه وأراه كبيراً . أفوه :  
 أنطق . نشره : تحرك راحته . رشف ثغره : تقبيل أسنانه . ثنيت : عطفت .  
 أعنّيتي : جمع عنان . أجتلى : أنظر . نور بدره : حسن وجهه ، يقول : لولا حسن  
 تنتيه لتركته وملت إلى غيره . ثم قال : وإني على ما يلقاني به من الهجر والجفاء ،

وألقاه به من البر والصفاء ، ليرجع عندي المرء من أفعاله - لعلوا في أتباعي لما يُحِبُّ  
ويأمر به . وقد أنشدوا في ذلك :

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ لقد مررتني أني خطرت بياك<sup>(١)</sup>  
وقال في مثله :

وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً مامن يهون عليك ممن يكرم<sup>(٢)</sup>  
فهذا غاية الانقياد لمراعاة مراد الحبيب .

وقال الشاعر :

ولقد منحتكم المودة محضةً وكتمت ما اشتعلت عليه ضلوهي  
جازيتموني بالوصال قطيعةً شتان بين صنيعكم وصنيعي  
فإذا أنتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي

وفي معنى قوله : « له مني المدح » يقول ابن رشيقي ، وزاد معنى مستظرفاً :  
أراك اتهمت أخاك الثقةً وعندك مقت وعندي مقه<sup>(٣)</sup>  
وأثني عليك وقد سؤتني كما طيب العود من أحرقة

وقال ابن زيدون :

بني جهورٍ أحرقتكم بجفائكم جناني فما بال المدائح تعبق<sup>(٤)</sup>  
تعدوني كالغبر الند إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرقه  
وهما وإن تواردا على هذا المعنى ، فإيما أخذه من قول حبيب :

(١) ديوان الحماسة - بشرح الراجزي ٢ : ١٠٦

(٢) المقدم ٥ ، ٣٧٥ من أبيات نسبها لأبي الشيبان .

(٣) نقله في التنف ٥١

(٤) ديوانه ٥٩٠

لمولا اشتعالُ النار فيما جاورتُ ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العُودِ (١)

\* \* \*

ونذكر هنا جملة من الشعر الرائق المستظرف الفائق ، تنسحب على أو صاف الغلام المذكور ، وتعلق بشعر الحريري من جهة التجنيس ، أو من جهة الاتقياد للمحبوب وإن جفا وصد .

ونبدأ بذكر حكاية أبي إسحاق الحصري لتعلقها بما انبت عليه القامة من توارد الخواطر .

كان أبو إسحاق يختلف إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان الشيخ كلفا بالمذمرين وهو القائل :

ومعذرين كأن نبتَ حدودهم أقلامُ مسك تستمدّ خُلُوقًا  
قروا البنفسج بالشقيق وَنَظَّمُوا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقًا  
فهمُ الذين إذا الخلى رآهمُ وجدَ الهوى بهم إليه طريقًا  
وكان يختلف إليه غلام من أعيان أشراف القيروان ، وكان به كفافًا ، فبينما هو عنده والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام وهو يقول :

في صورةٍ كملت فخلت بأنّها بدرُ السماء لِسْتةٍ وثمانِ  
يمشَى العيون ضياؤها فكأنّها شمس الضحى تَعشَى بها العينانِ

فقال الشيخ : يا حُصْرِي ، ما تقول فيمن هام بهذا التند ، وصبا لهذا الحد ؟ فقال الحُصْرِي : الهيمان والله بهذا غاية الظرف ، لا سيما إذا شام كافورة خذّه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليل البهيم ، والله ما خلت سواده في بياضه إلا بياض الإيمان في سواد الكفر ، أو غيبها في ضوء الفجر . فقال للحُصْرِي :

صِفْه ، فقال : مَنْ ملكَ رِقَّ القولِ حتى انقادَ له صعا به ، فذلَّ له جموحه حتى سطعَ له شهابه ، أَعَدُّ منى في ذلك ، فقال : صِفْه ، فأني معمل في ذلك فكري . فأطرق ساعة ، فقال الحصريّ :

أورد قلبى الرّدى لأم عذارٍ بدا  
أسود كالكفرِ فى أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ : أراك أطلعت على ضميرى ، أو خضت بين جوانحي ، فقال له الحصريّ : ولم ذاك ؟ قال : لأنى قلت :

حَرَكَ قلبى فطارُ صولج لأم العذار  
أسود كالليل فى أبيض مثل النهار

فهذه غاية فى بابه .

وقال السرىّ :

بلانى الحبّ فيك بما بلائى  
أبيت الليل مرتقباً أناجى  
ويشهدلى على الأرق الثرياً  
ستصرف طاعتي عمّن نهائى  
ولم أجهل نصيحتّه ولكن  
فيا ولع العواذلِ خلّ عني  
فشأنى أن تفيض غروبُ شائى<sup>(١)</sup>  
بصدق الوجد كاذبة الأمانى  
ويعلم ما أقامى الفرقدان<sup>(٢)</sup>  
دموع فيك تلحى من لحائى  
جنون الحب أحلى فى جنائى  
ويا كفّ الغرام خذى عنائى

وهذا مما يأخذ بجماع القلوب ، ويحتوى على النودين من المعنى المطلوب .

(١) ديوانه ٢٦٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أبا الهيثماء بن سعيد بن حمد الله ، ويعاتبه على جفوة لحقته منه ، وقد نالته علة وجراحات فى بعض أسفاره .

(٢) الديوان : « ويعلم — ما أجن »

وقال السّلامى :

ما ضنّ عنك بوجود ولا بخلا  
أهزّ ما عنده للنفس التي بدّلا<sup>(١)</sup>  
يحكى المطايا حنيناً والهجير جوى  
والعزّن دمعاً وأطلال الديار بلى

وقال أيضاً :

مُنيت بمن إذا منيت أفضت  
منأى إلى بنفسج عارضيه<sup>(٢)</sup>  
وفاضت رحمة لى حين ولّى  
مدمع كاتبيّ وكاتبه

وله فى غلام بدوى :

تعلّفته بدوىّ للسان  
والوجه والرّئيّ ثبّت الجنان<sup>(٣)</sup>  
أعانق من قدّه صعدة  
ترى اللحظ منها مكان السنان  
أدار اللثام على خدّه  
فأهدى الشقيق إلى الأقحوان  
ومسك ذوائبه سائل  
على آس ديباجه الخسروانى  
أحييه بالورد والياسمـين فيصبو إلى الشّيوخ والأبهقان<sup>(٤)</sup>

وله فى غلام عزّى رام :

قرّ من الأثر اك تمسب أنه الـخوذ الحصان على أقبّ حصان<sup>(٥)</sup>  
يرمى بلحظّيه القلوب وسهمه  
فمجت كيف تشابه السهمان  
بطلّ حمائله كعارضه وحا  
جبهه الأزعج كقوسه المرّنان<sup>(٦)</sup>  
حيثيته فدنا فأمطار راحتي  
قبلا فليت فى مكان بناني

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٦

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧١

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧١

(٤) الأبهقان : عشب يطول وله وردة حمراء وورقه عريض (٥) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٥

(٦) القوس المرّنان ، سميت بذلك لرنين صوتها .

وللشريف الرضى :

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفى  
 أسأت بالمشاق حين ملكته  
 وتركتنى ظمان أرشف غلتي  
 قلبي وطرفى منك هذا فى حى  
 كم ليلة جرّعته فى طولها  
 تقلى أنامله التراب تعلقاً  
 أبكى ويبس والدجى ما بيننا  
 قرء إذا استعجلته (٢) بعتابه  
 لو حيث يُسمع السرار وبقتما  
 أعز زعلى إذا امتلأت من الكرى  
 ألم الهوى من قلبى المصدوع (١)  
 وجزيت فرط نزاعه بنزوع  
 أسفى على ذاك اللعى المنوع  
 قيظ وهذا فى رياض ربيع  
 مَضُّ الملام ومؤلّم التفرغ  
 وأنا ملّى فى سنى القروع  
 حتى أضاء بشغره ودموعى  
 لبس الغروب فلم يعد لظوع  
 لعجباً من عزّه وخضوعى  
 أنى أيت بلبلة المسوع

وللوزير ابن المغربى :

دَفِنَ بمصر وبالعراق طيبه  
 ماناله إلا الذى هو أهله  
 لزم السهاد تحيراً وتلدداً  
 زعم الفراق دعا به فأجابه  
 يُضنيه طولُ بعباده ويذيبه  
 إذ غاب عن بلد وفيه حيبه  
 وتأسفاً إذ أوبقته ذنوبه  
 ونعم دعاه فلا أراه يجيبه

وله أيضاً :

ولقد أراه فى الغدير يشقه من جانبيه  
 والماء مثل السيف وهو فرنده فى صفحتيه  
 صبغت بياض النيل حمرة وردة فى وجنتيه

(١) ديوانه ١ : ٤٩٧

(٢) الديوان : « استعجلته » .



ولابن الزقاق :

تَمَنَيْتُ مَنْ أَهْوَى بِهِ وَهُوَ قَاتِلِي  
قَسَا فَرْمَانِي عَنْ قَسَى حَوَاجِبِي  
أَذَلْنَا دَمَاءَ فِي هَوَاهِ وَأَدْمَعًا  
فَمَا بَرَحَ الشَّوْقُ الْمَبْرُحُ سَامِيَا  
فَنظَرُهُ وَالنَّغْرُ مِنْهُ وَعَرْفُهُ  
لشَمْسِ الضَّحَى وَالدَّرِّ وَالْمِسْكِ نَفْحَةً

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ومَهْفَهِ نَبْتِ الشَّقِيقِ بِخَدِّهِ  
مَاءِ الشَّبِيبَةِ وَالْجَمَالِ أَرْقُ مِنْ  
يُحْيِي الْأَنَامَ بِلَمَحَةٍ مِنْ وَضَلِهِ  
إِنْ كُنْتَ أَهْدَيْتَ الْفَوَادِلَ فَعَلَّ

وقال أيضاً :

أَرْقَ نَسِيمَ الصَّبَا عَرْفُهُ  
وَمَرَّ بِنَا يَتَهَادَى وَقَدْ  
وَمَدَّ لِمَسْمِهِ رَاحَةً  
أَشَارَ لِتَقْيِيلِهَا فِي السَّلَامِ

ولإدريس بن اليماني :

وَذَى لَعَسٍ لِلْأَفْحَوَانِ ثَنَائِيَا  
وَلِلسَّوْسَنِ الرِّيَّانِ صَفْحَةَ خَدِّهِ  
وَالْوَرْدِ خَدَّاهُ وَاللَّاسِ صُدُغَاهُ  
وَاللَّظْيِ عَيْنَاهُ وَالْمِسْكِ رَبِيلُهُ

(٢) ديوانه ٢٩٢

(٤) اللبس : سواد مستحسن في الشفة .

(١) ديوانه ٢٨٣

(٣) ديوانه ٢٠٢

فريد جمالٍ تمّ لي توأم الهوى به ولسكلّ العاشقين فرداهُ  
ولبعض أصحابنا :

كُفّ عني اللامَ يامنَ يلومُ إنّ لوم الشجى في الحبّ لومُ  
جلّ هي بأن أهيم حياتي صغرت همّة امرئ لا يهيمُ  
أبدا أطلبُ الغرام مجسداً فكأنى إلى الغرام غريمُ  
إن ربما رمت برامة قلبي مُقلتاهُ حبّي له لا يريمُ  
صحّ حبّي واعتلّ جسمي فحسبي أن كليلي إلى هواهُ سقيمُ

وكلّ ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريري من التذلل والخضوع إلى  
المحبوب، فهو حكم الباب، والجمع عليه عند ذوى الألباب، لإقوله : « وغيرى  
يجتنى رشف ثغره » ، فإن أكثر أهل هذا الشأن يابون أن يكون المحبوب بين  
عاشقين، وينسبون محبة إلى حساسة الهمة ، ويعتدونها على المحبوب من أكبر التهمة،  
قال امرؤ القيس :

إني بحبيلك واصلّ حبلي وبريش نبتك رائش نبتلي<sup>(١)</sup>  
مالم أجذك على هدى أثرٍ يقرّو مقصّك قائف قبلي<sup>(٢)</sup>

يقول : أنا أديم من مواصلتك مالم أجِدْ غيرى يتبعك طمعاً في مواصلتك .  
وقال أبو ذؤيب :

تريدن كيما تجمعي وخالداً وهل يجمع السيّفان ويحك في غدٍ<sup>(٣)</sup>  
فهذا قد أبى الشركة على التساوى ، فكيف الإقامة على الجور الذى .

(١) ديوانه ٢٣٩

(٢) يقرّو: يتبع ، والقائف : الذى يقفو الأثر . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢٥٩

ذكر الحريري . وقد قدمنا في العاشرة للمولدين فننا غير هذا ، على أن المحبوب إذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد في أبهة جماله ، كما أن الجفاء في المحبوب والخلق الذميمة يطمس نور حسنه وينقص من كاله ، وأنشدوا :

أيا حسناً أزرْت قبائحُ فعله عليه كما أزرى الكسوفُ على البدرِ

وقال عبد الصمد المصري :

فلو زُينَ الحسنُ من وجهه بهجر الصدود ووصل الوصالِ  
لتمَّ والـكنَّ ما إن أرى جميل الحيا جميل الفعالي

وقال آخر :

صحَّاعن حُبك القلب الشوقُ فما يصبو إليك ولا يتوقُ  
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسلي عن الولد العقوقُ

فهذه جملة كافة .

### [ أنواع البلاغة في صناعة الشعر ]

ونرجع إلى ذكر أنواع البلاغة في صناعة الشعر التي سماها المحدثون صنعة البديع ، والشعراء يتفاضلون في سياقها والاعتدال عليها ، وهي في أشعار العرب موجودة ، وفي الشعر المولّد أكثر . وأنا آتى منها بما للناظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ، ونبدأ منها بالتجنيس الذي أولع به الحاكم في المقامة .

### التجنيس

هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم ، قال أبو بكر حازم بن حازم :  
التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام ، وهو من أضيح أنواع البديع ، فنه قوله تعالى : ﴿ وأسألت مع سليمان ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ وأقم وجهك للدين القيم ﴾<sup>(٢)</sup> .

(٢) الروم ٤٣

(١) سورة النحل ٤٤

وفي الحديث «عُصِيَّة عصت الله ورسوله، وغِفَار غفر الله لها، وأَسْلَم سألها الله، والظلم ظلمات يوم القيامة» .

وقال خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار : هسمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها ، تفتح لها الأبواب إذا أقبلت ، وتلقها إذا أدبرت .

والتجنيس أنواع ، فنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ، ومنه تجنيس الخط وهو ما يصح تصحيفه ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١) .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص : لما أسلمت راغمتني أمي ، فهي مرة تلقاني بالبشر ، ومرة تلقاني بالبُسر .

البحترى : من سعادة جدك ، وقوفك عند حدك .

وفي رسالة : عاد إلى المساحة والحاسنة ، بعد المشاخرة والحاشنة . وقال البحترى :

ولم يكن المغتر بالله إذ مرى ليُعجز والمعتز بالله طالبه (٢)

وقال البحترى أيضا :

وحالاً كريش النسر مهما رأيتُه جناحاً لشهم عاد ريشاً على سهم (٣)

ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ إلى ربها ناظرة (٤)

ومن رسالة : لم يكن لأمره مضياً ، ولا لسره مديعاً .

البستي : من لم يكن لك نسبياً ، فلا ترج منه نصيباً . ومن لم يكن لك صدره

بالحاجات فسيحاً ، فلا تسمع له بها لساناً فصيحاً . وقال :

أبوك كريم غير أنك سابقٌ مداه فلا ضمِّمٌ عليك ولا ذمٌّ (٥)

(١) سورة الكهف ١٠٤

(٢) ديوانه ٢١٥

(٣) ديوانه ٢٦٥٩ ، نقلا عن الشريشي

(٤) سورة القيامة ٢٢

(٥) ديوانه ٢٨٧

فلا يعجبنّ الناس مما أقوله وأقضى به فالغيث يقدمه الغيم<sup>(١)</sup>  
وقال المعري رحمه الله تعالى :

أعوذُ بالله من قومٍ إذا سمعوا خيراً أسرّوه أو شراً أذاعوه<sup>(١)</sup>  
وخالد بن سنان ليس ينقضه من قدره الكون في حيّ أضعوه

ومنه تجنيس المضارعة ، فمنه من رسالة : أنايه بين احتفاء واحتفال ، وبين  
ذكر مطرٍ مطرب . وثناء مغرٍ مغرب .

وقال أبو تمام :

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصيمٍ تطول بأسيافٍ قواضٍ قواضبٍ<sup>(٢)</sup>  
وقال المعري : من اتقى الله فهو السالم الساري .

وقال ابن عمار :

إذا ركبوا فانظروه أول طاعنٍ وإن نزلوا فانظروه آخر طاعم

وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب ، والناس له تبع ، كما انفرد بحسن  
التقطع في آخر قصائده ، فلا يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتا في آخر قصائده في الغالب .  
كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتداءات لا يجارى فيها ، كما انفرد ابن المعتز  
بجودة التشبيه يكاد على كثرته في شعره ألا يسقط له تشبيه واحد ، كما انفرد  
المتنبي بلطف التخلص من التفرّز إلى المدح . ومن تجنيس حبيب قوله :

عداك حرّ الثغور المستضامة عن برد الثغور ومن سلسلها الحصب<sup>(٣)</sup>

السلسال العذب والحصب : الجارى على الحصباء ؛ شبه الريق به ، ففي هذا

(١) لزوم ما لا يلزم ٢ : ٣٩٨ ، ٣٩٩ (٢) ديوانه ٤٢ (٣) ديوانه ١٠

البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتتميم والترديد والتبليغ، وتأتي هذه الأنواع في هذا الفصل، وحبیباً أكثر الناس استعمالاً لصنع البديع، ومن شعره يُتعلَّم . وقال أيضاً:

كم نيل تحت سناها من سناً قرٍ وتحت عارضها من عارضٍ شنب<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

يا من تدمى عينه! تلك الدمى فيه ويقمر لي — لة الإقمار  
أخذه البحترى فقال :

جافى المضاجع لا ينفك في لجبٍ يكاد يُقمرُ من لألائه القمر<sup>(٢)</sup>  
وأشده أبو علي الفارسي في نوادره لأبي الغول الطهوي يصف سحاباً :<sup>(٣)</sup>  
وقرى كلّ قرية كان يقرو ها قرى لا يجفّ منه القرى

وفي المقامات من التجنيس كثير، وفي هذا الشرح منه ما يستظرف ويستبدع،  
فما يستحسن منه قول السريّ يمدح سيف الدولة :

أغرّتكَ الشّهاب أم النهارُ وراحتك السحاب أم البحار<sup>(٤)</sup>  
خلقت منية ومنى فأضحّتْ تمور بك البسيطة أو تمارُ  
تحلّى الدين أو تحمى حماه فنت عليه سور أو سوارُ  
سيوفك من شكاة الثغر برّ، ولكن للعدي فيها بوارُ  
وكفّك الغمام الجود يسرى وفي أحشائه ماء ونارُ

(١) ديوانه ١١

(٢) ديوانه ٩٥٨

(٣) مع آخر في الصناعتين ٣٣٥ (الأولى — حلي) منسوبان لأبي غمر (٤) ديوانه ١٠٥

فيمَنَى من سَجِيئِهَا المَنَايَا وَيُسْمِرَى من عَطِيئِهَا اليَسَارِ  
 ومن الشعر الذي جمع إلى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابي  
 أبا أحمد الشيرازي ، من شعر يشتكى له نقرساً أصابه وأوله :  
 إلى الله أشكو ضنِّي شفنيَ      وكم قبله من ضنِّي قد شفاني  
 فأجابه الصابي :

عَنَانِي من الهم ما قَدَّ عَنَانِي      فَأَعطَيْتُ صَرَفَ اللَّيَالِي عِنَانِي<sup>(١)</sup>  
 أَلِفْتُ الدَّمُوعَ وَعَفْتُ الِهْجُوعَ      فَعِينَايَ عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ  
 لَسَقَمَ أَحْلَحَ عَلَى سَيِّدِي      بِهِ قَدَّ غَفَرْتُ ذُنُوبَ الزَّمَانِ  
 وَكَيْفَ سَطَا بِهِمَا وَاسْتَطَا      لَ وَأَرْضَ بِسَاطِهِمَا التَّيْرَانِ  
 وَهَلَّا تَجَاوَزَهُ قَاصِدًا      إِلَى عَصَبَةِ عُصْبَتِ بِالْهَوَانِ  
 إِذَا مَاسَعَى لِطَلَابِ الْعِلَا      فَكَلَّ أَوَانِ هَمِّ فِي تَوَانِ  
 أَتَنَنِي بِالْأَمْسِ أَيَّامَاتِهِ      تَعَلَّلَ رُوحِي بِرُوحِ الْجِنَانِ  
 كَبُرُّدُ الشَّبَابِ وَبَرُّدُ الشَّرَا      بِ وَطَلَّ الْأَمَانِ وَنَيْلَ الْأَمَانِي  
 وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمِ الصَّبَا      وَصَفُو الزَّمَانَ وَرَجَعَ الْقِيَامِ  
 أَحْبَبْتُ عَنِ الشَّعْرِ مُسْتَرْسَلًا      بِطَبَعِ شَجَاعِ وَقَلْبِ جَبَانِ  
 وَلَوْلَا سَكُونِي إِلَى فَضْلِهِ      قَبِضْتُ بِنَانِي بِقَبْضِ اللِّسَانِ

وقال أبو الفتح البستي :

إِنَّ أَسْيَافَنَا الْعَضَابَ الدَّوَامِي      صَيَّرَتْ مَلَكَنَا قَرِينَ الدَّوَامِ<sup>(٢)</sup>  
 بِأَقْسَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامٍ      وَاقْتِحَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامٍ

(١) اليتيمة ٢ : ٣٠٣ ، ونسها إلى صاحب

(٢) يتيمة الدهر ٤ : ١٣٨ مفسوبة إلى الحسن بن المؤمل .

## التشبيه

وقد أوردنا في هذا الكتاب منه كل غريب . والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتاً ، ومنها تشبيهه به حركة ومرعة ، فالأول كقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي<sup>(١)</sup>  
أجمع أهل العلم بالشعر كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي ، أن أحسن التشبيه ما يقابل به تشبيهان في بيت واحد ، وأن أحداً لم يقل ذلك كميت امرئ القيس ، كأن قلوب الطير . وقال بشار: ما زلت مذ سمعت قوله : كأن قلوب الطير أراود نفسي أن أشبه شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك إلى أن قلت :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رءِ وَسْنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلِ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ<sup>(٢)</sup>  
ويا بعد ما بين البيتين على أن بيت بشار غريب ، ولا أحفظ للبيتين ثالثاً ، إلا أن بشاراً قد قال أيضاً :

من كل مشتهر في كف مشتهر كأن غرته والسيف نجمان  
وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالأسد والجميل بالقمر ، وكقوله :  
وكالسيف إن لا ينقته لان متنه وحدها إن خاشنقته خَشِنَانِ<sup>(٣)</sup>  
واللون كقول ابن هرمة :

وليلٍ كسر بال الغراب ادرعتهُ إِلَيْكَ كَمَا أَخَتَّ الْيَمَانِيَّ أَجْدَلِ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٣٨

(٢) ديوانه (المختار) ١

(٣) العكبري ٣ : ٢٠١ ونسبه لأبي الشيمس .

(٤) كذا في ديوانه ١٦٦٦ ، وفي الأصول : « كما أخت اليماني » .



والصوت كقول النابغة :

\* له صَرِيْفٌ صَرِيْفٌ القَعْوُ بِالمَسَدِ \* (١)

والحركة والسرعة ، كقول امرئ القيس :

\* كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَيْلُ مِنْ عَلٍ \* (٢)

وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه معنيان أو ثلاثة معانٍ من هذه الأوصاف قوى التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وأصدق التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض ، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مشبهاً به صورة ومعنى ، كقول امرئ القيس :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تَشَبُّ لِقُفَالٍ \* (٣)

فتشبيه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح ، وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح ، وربما أشبه الشيء صورة ، وخالفه معنى . وقد تقدم ذكر ذلك في الثانية ، وربما قاربه وداناه وشابهه مجازاً لاحقيقة .

وأدوات التشبيه كأن والكاف ومثل ، وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر ، وقد يشبه بقولهم : تخاله وتحسبه ، فما كان منه صادقاً قيل فيه « كأنه » أو كذا ، وما قارب الصدق قيل فيه : تراه أو تخاله ؛ فإذا حققت

(١) ديوانه ١٨ ، صدره :

\* ومَقْدُوفَةٌ بِدَخِيْسٍ النَّحْضِ بِأَزْهَانِهَا \*  
المقدوفة : الرمية . والدخيس : اللحم . والنحض : اللحم المسكتز ، والبازل : السن من الأبل .

والصريف : الصياح من النشاط والقعو : ما يعض البكرة . والمسد : الحبل .

(٢) ديوانه ١٩ ، صدره :

\* مِكْرَتٍ مِقْرَةٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا \*  
(٣) ديوانه ٣١ .

(٩ - شرح مقامات الحريري ج ٣)

هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه ، وقد تقدم نوع من التشبيه في الثانية ، وسيأتي في الأربعين تشبيهات الغريب العقم في حكاية الأعمى .

### الاستعارة

هي من العارية لأنّ الشاعر يُعير المعنى ألفاظاً غير لفظه الموضوع له ، وهي على ثلاثة أوجه : أحدهما يستعيره الشاعر من الألفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعاني ، وهذا الضرب يعدّ في البديع ومحاسن الشعر ، وهو كثير في كلامهم ، وعليه انبنى كتاب المقامات ، فقولما يوجد بيت يخلو منه ، وما جاء منه في القرآن سماه بعضهم مجازاً وأباه بعضهم ، نحو قوله تعالى : ﴿ واخضض لهما جناح الذّال من الرّحمة ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء » .

وقال امرؤ القيس :

\* وليل كعوج البحر أرخى سُدُولَه \* <sup>(٣)</sup>

وقال علقمة وهو بديع :

\* والصبح بالكوكب الدرّي منحور <sup>(٤)</sup> \*

وقال زهير في الحرب :

\* ضروس تُهرّ الناس أنباها عُضل <sup>(٥)</sup> \*

(٢) سورة مريم

(١) سورة الاسراء آية ٢٤

(٣) ديوانه ١٨ وعجزه :

\* على بأنواع المهموم ليبتلي

(٤) ديوانه ١٣٧ ، وصدرة :

أوودتها وصدور العيس مُسنفة

(٥) ديوانه ١٠٣ وصدرة :

إذا لقيت حرب عوان مُضرة

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ النعمان عنى رسالةً فمجدك حولى ولومك قارح<sup>(١)</sup>

وقال الحسن :

فى مجاسٍ ضحك الشُّرور به عن ناجذيه وحلَّت الخمرُ

وقال العباس بن الأحنف :

قد سحبَ الناس أذيالَ الحديث بنا وفترقَ الناس فينا قولهم فرقا<sup>(٢)</sup>  
فكاذب قد رمى بالظنَّ غيركمُ وصادق ليس يذرى أنه صدقا

الثانى: أن ينتحل الشاعر قولاً لغيره فيدخله في شعره ، وهذا هو الاجتلاب الذى نفاه جرير عن نفسه بقوله :

ألم تعلم مسرَّحِي القوافى فلا عِيًّا بهنَّ ولا اجتلابا<sup>(٣)</sup>  
الثالث : أنه يستعير الشاعر ألفاظاً كان غنياً عنها ، والمعنى غير مفتقر إليها ، ويسمى الحشو والاستمانه ، ويمحس بقدر ما يتحمل من الفوائد ويقبح إذا فرغ منها .

## الإشارة

قال قدامة : الإشارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللحمة الدالة ، ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير :

(١) الصناعتين ٢٩٣ . والحولى : ما أتى عليه الحول . والفارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من البعير ، ولا يبرل إلا إذا طعن فى التاسعة .

(٢) ديوانه ١٦٩

(٣) ديوانه ٦٢

وإني لو لقيتك فاجتئمنا لكان لكل منكرة كفاء<sup>(١)</sup>

وقال امرؤ القيس :

على هينكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرّمي غير كزّ ولا وان<sup>(٢)</sup>

فتأمل ما شتمت عليه لفظه «أفانين» مما لوعدّ كان كثيراً ، وما اقترن به من جميع أصناف الجودة طوعاً من غير طلب ولا مسألة ، ثم نفى عنه الكزازة والوني ، وهما أكبر عيوب الخليل .

والإشارة من غرائب الشعر ومُلاحه ولا يأتي بها إلا شاعر مبرز ، وتسمّى اللحمة الدالة ، وأصلها الاختصار ، وهي أنواع ، فمنها الوحي ، كقول جاهلي في يزيد ابن الصّعق :

تركت الركاب لأربابها وأزهدت نفسي على ابن الصّعق<sup>(٣)</sup>

جملت يدي وشاحاً له وبعض الفوارس لا تُعتنق

فقوله : «جملت يدي وشاحاً له» إشارة بديعية دالة على الاعتناق بغير لفظه .

## الإيماء

ومنها الإيماء ، فمن ملاحه قول قيس بن ذريح :

أقول إذا نفسي من الوجد أضعدت لها زفرةً تعادني هي ماهايا<sup>(٤)</sup>

وقول كثير :

تجافيت عني حين لالي حيلةً وغادرت ما غادرت بين الجوانح<sup>(٥)</sup>

فقوله : « غادرت ما غادرت » إيماء مليح .

(٢) ديوانه ٩١

(١) ديوانه ٨١

(٣) الصناعتين ٣٦٧ من غير نسبة (٤) ديوانه ١٦٠

(٥) ديوانه ٥٢٥ .

### التلويح

ومنها : التلويح ، ومن أجوده قول النابغة في طول الليل :  
 تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجومَ بأيبٍ<sup>(١)</sup>  
 فالذي يرعى النجوم هنا الصبح ، أقامه مقام الراعى ، يندو فتذهب الإبل  
 والماشية ، فتلويحه هذا عجب في الجودة ، ومنه قول الجنون :  
 لقد كنت أعلو حَبَّ ليلي فلم يزلْ بيَ النقض والإبرامُ حتى علانياً<sup>(٢)</sup>  
 فلوح بالصحة والسكمان ، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجبياً .

### التعريض

ومنها التعريض ، كقول عمرو بن معد يكرب :  
 فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت<sup>(٣)</sup>  
 أى لو أن قومي صدقوا في القتال وطمنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم ،  
 ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين ، فكأنها أجرت لساني ، أى شقته كما  
 يُجرُّ لسان الفصيل ، فكأنها أسكتتني . فهذا تعريض بنوب عن التصريح ، وأخذه  
 أبو بكر بن دريد فقال :

يا بني مالك علقتم لساني كيف يجرى المقيد المعقول<sup>(٤)</sup>  
 إن سلكتم إلى الفعال سبيلاً وضعت لي إلى المقال سبيلاً

(١) ديوانه ٢

(٢) ديوانه ٢٩٤

(٣) الأصمعيات ١٢٢

(٤) ديوانه ١٠٢

ومن التعريض قوله :

بني عمنا لاتذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا<sup>(١)</sup>

ومنه قول حميد بن ثور، وقد تقدم :

أرّبي بصري قدخانني بعدصحةٍ وحسبك داء أن تصح وتسلما<sup>(٢)</sup>

### التفخيم

ومنها: التفخيم، كقول الغنوي :

أخي ما أخى لا فاحشٌ عند بيته ولا ورعٌ عند اللقاء هَيُوب<sup>(٣)</sup>

ونحو هذا حكاية الأعرابي في نوادر أبي عليّ حين سئل : أله بنون ؟ فقال :

نعم ، وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة ؛ فلما ذكر أسماءهم قال : جهم وماجهم ،  
عَشْمَشْم وما عَشْمَشْم ، عَشْرَب وما عَشْرَب<sup>(٤)</sup> .

ومن هذا التفخيم ما يجيء على انهويل والتعظيم نحو قوله تعالى : ﴿ الحاقة

ما الحاقة ﴾ و ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ وهو كثير في كلام العرب .

ومما جاء في الإشارة على معنى التشبيه قول الأعرابي يصف لبناً ممذوقاً :

\* جاؤا بَمَذْقٍ هَلْ رأيتَ الذئبَ قط<sup>(٥)</sup> \*

فأشار إلى تشبيه لونه إذا غاب عليه المذق بلون الذئب كما صرح به الآخر

حين قال :

فيشربُه مَذْقًا ويسقي عياله سحابًا كأقرب الثعالب أوزقًا<sup>(٦)</sup>

(١) من أبيات في البيان والتبيين ٢ : ١٨٦ ، ونسبها لسويد المرادي الحارثي ٠ (٢) ديوانه ٧

(٣) هو كعب بن سعد الغنوي من قصيدة له في الأصعبات ٩٥ والورع : الجبان

(٤) العشر : الأسد الشديد

(٥) الخزانة ١ : ١٧٦ ، وقبله

\* حتّى إذا كادَ الظلامُ يختاطُ \*

(٦) اللسان — مذق من غير نسبة . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .

## المطابقة

أبو الفرج عليّ بن الحسين ، قلت لأبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش -  
 وكان أعلم مَنْ شاهدته بالشعر: طائفة وهم الأكثرون تزعم أن الطَّباق ذكر  
 الشيء ووضده ، فيجزمهما اللفظ لا المعنى ، وطائفة تقول : هو اشتراك المعنيين  
 في لفظ واحد ، مثل قول زياد الأعجم :

وُنُبِّئْتُمْ بِسَنَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وِلَاؤُمُ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ<sup>(١)</sup>

فكاهل قبيلة وكاهل للعضو ، فقال : من ذا الذي يقول هذا ؟ قلت :  
 قدامة وغيره ، فقال : هذا يا بني هو التجنيس ، ومن ادعى أنه طباق فقد ادعى  
 خلافاً على الخليل والأصمعي ، قلت : أفكانا يعرفان هذا ! فقال : سبحان الله ،  
 وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه ! قلت : فأنشدني أحسن طباق  
 للعرب ، فقال : قول عبد الله الزبير الأسدي :

فردّ شعورهن السودَ بيضا وردّ وجوهنّ البيض سوداً<sup>(٢)</sup>  
 وقال أبو الفرج : وأنا أقول أن أحسن بيت قيل فيه :

للسود في السود آثار تركنَ بها . لمعاً من البيض يثنى عين البيض

يعنى أن الليالي بمرورهنّ تبييض سواد الشعر .

قال أبو حاتم : سألت الأصمعي عن صنعة الشعر ، فذكر في بعض قوله  
 المطابطة، وقال : أصلها وَضْعُ الرَّجْلِ فِي مَوْضِعِ الْيَدِ، قلت : أنشدني أحسن ما قالت  
 العرب في ذلك فقال : قول زهير :

كَيْثٌ بِمَثَرٍ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا<sup>(٣)</sup>

(٢) الصناعتين ٣٢١

(١) الصناعتين ٣١٦

(٤) ديوانه ٥٤

وقيل : المطابقة أن يأتي الشاعر بلفظتين مختلفتين في المعنى واللفظ في بيت واحد أو في كلام ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾<sup>(١)</sup> . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » .

وقال عليّ رضي الله عنه : من رضى عن نفسه كثر مَنْ يتسَخَّطُ عليه .  
وقال : أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه .  
وقال الحسن : كَثْرَةُ النَّظَرِ إِلَى الْبَاطِلِ تَذْهَبُ بِمَعْرُوفِ الْحَقِّ .

وقال الفرزدق :

لَنْ إِلَهَ بِنَى كَلِيبٍ إِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ وَلَا يَفُونَ لِحَارٍ<sup>(٢)</sup>  
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهْيِ حَمِيرِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ  
وقال حبيب :

يَرَى الْعَالِمَ الْمَادُومَ بِالزَّرِّ أَرِيَّةً يَمَانِيَةَ وَالْأَرِيَّ بِالضَّيْمِ عُلْقَمًا<sup>(٣)</sup>

### التقسيم

ومنها التقسيم . قال أبو الحسن عليّ بن هارون بن علي بن حماد بن إسحاق الموصلي : هو أن يستقصى الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه ، فلا يفادر قسماً يقتضيه إلا أوردته ، وإلى هذا كان يذهب أهلنا ، وأحسن ما قيل في ذلك قول زهير :  
يَطْعَمُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَمَنُوا ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَاضَرُوا اعْتَنَقًا<sup>(٤)</sup>  
وقول عنزة :

(٢) الصناعتين . ٣٢٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٠١ .  
(٤) ديوانه ٥٤

(١) سورة البقرة ١٧٦ .  
(٣) ديوانه ٢٩٤



إن يلحقوا أكرُّز وإن يستاحموا أشدد وإن يُرَمِّوا بضنك أنزل<sup>(١)</sup>  
 أبو العيناء: أجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر  
 ابن أبي ربيعة:

تَهيمُ إلى نَعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ولا الحيلُ موصولٌ ولا أنتَ نصيرٌ<sup>(٢)</sup>  
 ولا قرب نعيمٍ إن دنت لك نافعٌ ولا بعدها سُليٌ ولا أنتَ مُقصرٌ  
 المبرد: لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح، وهو:  
 وقد كان فيها للأمانة موضعٌ والسكف مرتاد وللعين منظرٌ<sup>(٣)</sup>

وقد تقدم في شرح الثانية بيت المتنبي في التقسيم وهو: بدت قرا... البيت .  
 ونسج على منواله الزاهر فقال:

سَقَرْنَ بُدُورًا وانتَبَهْنَ أَهْلَةً وَمِسْنَ غُصُونًا والتَفَنَّ جَاذِرًا  
 وَأَطاعنَ في الأجياد بالدر أنجما جعلنَ لِحَابِ القلوبِ ضُرَاثِرًا

وقال الناشئ:

رَأيتَ على أكوارنا كلَّ ماجد يرى كلَّ ما يفتى من المال مغمما  
 ندوم أسيافاً ونملو قواضبا وننقض عقبانا ونطَّع أنجما  
 وقال السَّلامي:

ماضنَّ عنك بموجود ولا بخِلا أعزُّ ما عنده النفس التي بهذلاً<sup>(٤)</sup>  
 يحكي المطايا حينئذٍ والهجير جوى والوزن دما وأطلال الديار بلى

والتقسيم في الشعر كثير .

(١) ديوانه ٦٥

(٢) ديوانه ٩٢

(٣) ديوانه ٨٧ ، وفيه : « والقلب »

(٤) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٦

## التسيم

قال عليّ بن هارون : هذا لقب نحن اخترعناه ، وصفة الشعر المسّم أن يسبق المستمع إلى قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه ، حتى لو سَمِعَ الشطر الأوّل استخرج الآخر قبل أن يسمعه ، وأحسن ما قيل في ذلك قول جنذب أخت عمرو ذي الكلب ترى أهاها :

فأقسمتُ يا عمرو لو نَبّهاك إذا نَبها مِنْكَ دَاءٌ عُضالاً<sup>(١)</sup>  
 إذا نَبّها لَيْثٌ عَرِيْسَةٌ مُفَيْتَا مُفَيْدَا نَفوسًا ومالًا  
 وخَرَقِي تَجاوزتُ مَجْهولَةً بوجناء حَرْفٍ تَشْكِي الكَلالًا  
 فكنتُ النهارَ به سَمَسَمَهم وكنْتَ دَجِي اللَّيْلِ فيه الهلالا

قال الخاتمي : فانظر إلى ديباجة هذا الكلام ، ما أصفهاها ، وإلى تقسيماته مأوأفاها ، وانظر إلى قوله : مفيتا مفيداً ، ووصفها إياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل ، تجد الطبع الممتنع القريب البعيد .

## التسيم

هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيئاً يتم ويتكامل الإحسان معه فيه إلا أتى به ، وأحسن ما قيل في ذلك قول طرفه :

فَسَقَى دِيارِكَ غيرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الرِّبيعِ ودَيْمَةٌ نَهْمِي<sup>(٢)</sup>  
 فقد تم الإحسان في المعنى الذي ذهب إليه بقوله : «غير مفسدها» ، ويتلوه قول خليفة بن نافع العنزى :

(١) الصناعتين ١٤٢ ، العمدة ٢ : ٢٦ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٢ ، أمالي المرتضى ٢ : ٢٤٣  
 (٢) ديوانه ١٤٦

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عادوا بالشيوف القواطع  
فالمعنى تم بقوله « ويعطوه » ، ولولاه كان ناقصاً .  
وقال حبيب :

حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ الْفَوَاةَ وَبَاطِلَ أُنَى تَجَسُّمِ فِي رُوحِ السَّيِّدِ (١)  
قَمَّ الْإِحْسَانَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَ بِقَوْلِهِ « وَبَاطِلَ » ، وَالسَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ لَهُ فِي الشَّيْبَعِيَّةِ  
مَذْهَبٌ رَدِيٌّ ، وَالْفَوَاةُ هُنَا الْقَائِلُونَ بِالتَّنَاسُخِ . يَقُولُ : لِإِفْرَاطِ حُبِّهِمْ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ ،  
تَوَقَّعَ الْفَوَاةَ أَنْ رُوحَ السَّيِّدِ تَجَسُّمُ فِيَّ ، وَتَوْثُؤُهُمْ بِاطِلَ .

### الترديد

هو تعليق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ، ثم يرددها فيه بعينها ويعلمتها بمعنى  
آخر ، وأكثر ما يستعمله المحدثون ، وأجمعوا أن أبحاثه النميري سبق  
إلى الإحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه في قوله :

أَلَا حَىَّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لِبَسْنِ الْبَلِيِّ تَمَّا لِبَسْنِ اللَّيَالِيَا  
إِذَا مَا انْقَضَى لِلْمَرْءِ يَوْمَ وَلِيْلَةَ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا

ابتداً بالمصراع الأول فأحسن الابتداء ، وردد في المصراع الثاني فأحسن  
في التردد ، ثم ابتدع في البيت الثاني ما ليس لأحد مثله .  
أبو تمام : لا أعلم أحداً أحسن صنعة في التردد من زهير في قوله :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خَلْقًا (٢)  
الختامى : وأحسن الخليع الباهلي في التردد بقوله :  
لَقَدْ مَلَأْتُ عَيْنِي بِمَحْسَنِ مَحَاسِنِ مَلَانَ فُوَادِي لَوْعَةٍ وَهُمْ وَمَا

(١) ديوانه ١١٤ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

## التجريد

وهو أن يجرد الشاعر موصوفه من صفته ، ويسندھا لأجنبي في الظاهر ، وهو يريد الأول في المعنى ، مثل قول الأعشى :

ياخَيْرَ مَنْ يركب المطىّ ولا يشرب كأساً بكفٍّ من بَحْلًا (١)  
فظاهره أنه لا يشرب كأساً بكفّ رجل ينسب إلى البخل إنما يشربها بكف  
كريم ، وذلك الكريم هو المدوح في المعنى ، فجردّه في الظاهر ، وهو يريد  
بكفّ بحيل من نفسه . وأبو عليّ الفارسي اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ، ومنه  
قول طرفة :

جازتَ البیدَ إلى أرْحُلِنَا آخرَ الليلِ بيغفورٍ حَذِرٍ (٢)  
يعنى بيغفور حذر ، من نفسها . وقال الأخطل :

رَبِيعٌ حَيًّا ما يستقلُّ بحمله سثوم ولا مُسْتَنْكِشِ البحرِ ناضِبِهِ (٣)  
أى ما يستقل بحمله سثوم من نفسه ، أى ليس بملول ، وقال النابغة .

لم يجرّموا حسنَ الغذاءِ وأمّهم طَفَعَتْ عليكِ بتائِقٍ مذكارٍ (٤)  
ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس : « على لاحب لا يهتدى  
بمناره » . فظاهره أن المنار الذي يهتدى به إلى الطريق لا يهتدى به . وهو في المعنى  
قد جرد الطريق من المنار ، وإنما أراد : ليس به منار أصلا ، فليس ثمّ اهتداء ، فنفي  
المسبب الذي هو الاهتداء ، وأثبت السبب الذي هو المنار في اللفظ ، واتكل على  
قوة دلالة المعنى ، وأن مراده نفي سبب الهداية الذي هو المنار فتفتى الهداية ، ومثله  
قول النابغة :

يحمّقه جانبيا نيقٍ ويُتبعه مثلَ الزجاجة لم تكحلّ من الرمديّ (٥)

(٢) ديوانه ١٨

(١) ديوانه ٢٢٥

(٣) ديوانه ٢١٩ . مستنكش البحر ، أى لا ينزع ولا يستفرغ ماؤه .

(٥) ديوانه ٣٤

(٤) ديوانه ٣٧

أى ليس بهارمد فنتحتاج إلى كحل .

وقال الراجز :

\* ولم يقلب أرضها البيطارُ \*

وقال الله عز وجل ﴿ ولم يكن له ولي من الدن ﴾<sup>(١)</sup> وهو كثير في الكلام .

### التببيع

وهو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه ، بل بلفظ تابع له ، فإذا قال التابع أبان عن المتبوع ، وأبدع ما في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقَرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

ذهب إلى طول العنق ، فلم يذكره بلفظ خاص به أتى بمعنى دلّ به على طوله ،

وهو قوله : « بعيدة مهوى القرط » . ومثله قول الآخر :

نَعَلَقَ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفِنَا وَمَا يَنْبِهَا وَالْكَفَّ مَهْوَى نَفَانِيفٍ

فأراد نعلق سيوفنا في أعناق مثل السوارى في الطول والاعتدال ، وما بين

العنق والكفّ طول كثير ، فكنى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به ، وأبدع

ما في التببيع قول امرئ القيس :

\* تَتُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَن تَفْضَلٍ \*

فدلّ على ترفهها ، وأن لها من يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك .

### التبليغ

وسمّاه قوم الإيغال ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما قبل

انتهائه إلى القافية ، ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة .

(١) سورة الإسراء ١١١ .

قيل للأصمعي رحمه الله تعالى : مَنْ أَسْعَرُ النَّاسَ ؟ قال : مَنْ يَأْتِي إِلَى  
اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسنا أو ينقضى كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها  
أفاد بها معنى ، مثل قول ذي الرمة :

أظن الذي يُجِدِّي عليك سؤالها دموعًا كتبديد الجمان المفصل<sup>(١)</sup>  
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال : المفصل فزاد شيئًا .  
ومن التبليغ قول امرئ القيس :

كأنَّ عيونَ الوحشِ حَوَّلَ خِباننا وأرْحِلنا الجزعَ الذي لم يُثَقِّبِ<sup>(٢)</sup>  
فقد أتى على التشبيه قبل القافية ، وزاد بقوله : « الذي لم يثقب » بلوغًا إلى  
الغاية التصوي في الجودة ، وكذلك قوله :

إذا ما جَرَى شَؤنِ وابتلَّ عِطْفُهُ تقول هزيز الريح مرّت بأثاب<sup>(٣)</sup>  
فرّت بأثاب زيادة على التشبيه التام ، والأثاب شجر يكون للريح في أغصانه  
حفيف شديد ، فأفادت الزيادة في التشبيه معنى بديعًا . وقال زهير :

كأنَّ فُتاتِ العِهنِ في كلِّ منزلٍ نَزَلْنَ به حَبَّ الفنا لم يُحَطِّمِ<sup>(٤)</sup>  
وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة في آخر البيت الإيغال والتبليغ ، وفي حشوه  
المبالغة والتميم .

### التصدير

هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت ثم يعيدها في عجزه ، أو في النصف منه ،  
ثم يردّها في النصف الآخر عنه ، فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة أمكن استخراج

(١) ديوانه ٥٠١ وفيه : « كتبدير » (٢) ديوانه ٧٣ . والجزع : الحرز

(٣) ديوانه ٤٩

(٤) ديوانه ١٢ . والقنا : شجر ثمره حب أحمر وفيه تقطة سوداء . والعهن : الصوف .

قوافيه قبل أن يطرق أسمع مستمعيه ، وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل :  
 وَكُنْتَ سَنَامًا فِي فِزَارَةِ تَامِكَا      وَفِي كُلِّ قَوْمٍ ذُرُوءَ وَسْنَامٍ<sup>(١)</sup>  
 التامك : الشديد ، وقال الآخر<sup>(٢)</sup> :

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه      وليس إلى داعي الندى سريع  
 وقال آخر :

جَهْلٌ إِذَا أُرْزِيَ التَّحَلُّمُ بِالْفَتَى      حَلِيمٌ إِذَا لَمْ يَزِرْ بِالْحَسْبِ الْجَهْلُ  
 والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء ردّ الإعجاز إلى الصدر .

### الاستثناء

قيل إن أول من بدأ به النابغة ، وأحسن كل الإحسان في قوله :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِهِمْ      بَهَنٌ فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ  
 وهذا كقول الجعدي :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ      جَوَادٌ فَمَا يُبْنِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا<sup>(٤)</sup>  
 فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ      عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

ويستحسن قول أبي هفان :

فَإِنْ تَسَأَلُنِي عَنَّا فَتَحْنُ حَلِي الْعَلَا      بَنِي دَارِمٍ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْمَنَاقِبِ<sup>(٥)</sup>  
 وَلَا عَيْبَ فِيْنَا غَيْرَ أَنْ سَمَّاحِنَا      أَضْرَبْنَا وَبِالْبَاسِ فِي كُلِّ جَانِبِ  
 فَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ      وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ غَائِبِ

ويسمى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(١) ديوانه ١٢٦ .

(٢) هو المغيرة بن عبدالله المعروف بالأفيشر والبيت في تحرير التجبير ١١٦

(٣) ديوانه ٦

(٤) ديوانه ١٧٣

## الالتفات

إسحاق الموصلي قال : قال لي الأصمعي رحمه الله تعالى: أتعرف التفات جرير؟  
قلت: لا ، فأنشدني :

أُنسى إذ تودّعني سُدَيْمِي بِيطن بِشامةٍ سَقِي البَشَامِ (١)  
أَلاتراه مقبلا على شعره ، ثم التفت إلى البَشَامِ فدعاه !

## الاعتراض

ويسمى الالتفات ، وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ، فيعدل عنه  
آخذاً في غيره قبل أن يتم الأول ، ثم يعود إليه فيتمه ، فيكون فيما عدل إليه مبالغة  
في الأول وزيادة في حسنه .

قال ابن المعتز : الالتفات انصراف المتكلم عن الإخبار إلى مخاطبة ، وعن  
المخاطبة إلى الإخبار ، ومن أحسن ما في قول ذلك قول النابغة :

ألا زعمتُ بنو عبس بأني - ألا كذبت - كبير السنّ فان

وقبل : بل قول كثير :

لَوْنًا الباخلين وأنتِ منهم رأوكَ تَعَلَّمُوا مِنكَ العَطَايا (٢)

فقوله : « ألا كذبت » وقوله : « وأنت منهم » اعتراض بين أول

الكلام وآخره ، وفيه زيادة حسنة ، ويستحسن قول الآخر :

فإني إن أفنك يفتك مِنِّي فلا يسبق به عِلق نفيس

(١) ديوانه ٥١٣

(٢) ملحق ديوانه ٥٠٧ ، وفيه : « المطالا »



فقوله : « فلا تسبق به » اعتراض لطيف في معناه وموضعه، ويسمى هذا أيضاً وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد .

ومنه قول الأخطل :

وأقسم المجد حقا لا يخالهم حتى يخالف بطن الراحة الشعر<sup>(١)</sup>  
 فقوله : « حقا » حشو أفاد معنى حسنا ، وكذلك قول امرئ القيس :  
 كأن عيون أوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يُتَّعِب<sup>(٢)</sup>  
 فحول خبائنا وأرحلنا لوسط لكان التشبيه تاما والوزن ناقصا ، فأورده  
 حشوا ، وفيه زيادة بارعة رائعة ، وهي الإخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه  
 مرزوق في صيده ، وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله تعالى :

وخيل طواها السَّبْرُ حتى كأنها أنايب سُمرٍ من قنا الخطَّ ذبَل<sup>(٣)</sup>  
 صَبَّنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدي خفاف وأرجلُ  
 فوقع « ظالمين » أحسن موقع لأنه نفى بذلك عنها هجنة البطء ، وأخذه من  
 قول أعرابي :

وعود قليل الذنب عاودتُ ضربه إذا هاج شوقي من معاهدِها ذكرُ  
 وقلت له ذلّساء وينحك سببت لك الضرب، فاصبر إن عادتك الصبرُ  
 فحسنته ابن المعتز ما شاء . وأما الحشو القبيح ، فكقول أوس بن حجر :  
 وهم لثقل اللال أولاد علةٍ وإن كان محضا في المومة محولا<sup>(٤)</sup>  
 فذكره للمال مع قوله : « مقل » حشولا فائده فيه، وكذلك قول الهذلي<sup>(٥)</sup>  
 رحمه الله :

(١) ديوانه ١١٢ .  
 (٢) نهاية الأرب ١١ : ٥٩ ، ديوان المغان ٢ : ١٠٧ .  
 (٣) ديوانه ٩١ .  
 (٤) هو أبو العيال الهذلي .

(٥) - شرح مقامات الحريري ج ٣ -

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صَدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ<sup>(١)</sup>  
 فَذَكَرْتُ الرَّأْسَ مَعَ الصَّدَاعِ حَشُولًا فَائِدَةٌ فِيهِ ، وَأَهْجَنَ مِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :  
 فَرَمَيْتُ غَفْلَةً قَلْبِيهِ عَنْ شَأْنِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَلَمًا<sup>(٢)</sup>  
 فَتَكَرَّرَ ذِكْرُ الْقَلْبِ لِفَائِدَةٍ فِيهِ ، وَهَجَّنَهُ بِذِكْرِ «طَحَلَمًا» . وَدُونَ هَذَا  
 قَوْلُ دِيكَ الْجَنَّ :

فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مَزَجْتُ بِالْمَاءِ وَاسْتَلَّتْ سَنَا الذَّهَبِ<sup>(٣)</sup>  
 كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ مَا زَجَّهُ مَا وَرَدَ جُورٌ نَاضِرَ الشُّعْبِ  
 فَذَكَرَ الْمَاءَ مَعَ الْمَزْجِ حَشُولًا فَائِدَةٌ فِيهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :  
 سَلَبُوا قِنَاعَ انْطِينِ عَنْ رَمَقٍ حَيَّ الْحَيَاةَ مَشَارِفِ الْخَتْفِ<sup>(٤)</sup>  
 فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مَزَجْتُ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ فِي الْأَنْفِ  
 فَلَمْ يَذَكَرْ أَبُو نَوَاسٍ الْمَاءَ مَعَ الْمَزْجِ ، وَذَكَرَهُ دِيكَ الْجَنَّ فَقَصَّرَ عَنْهُ ، وَزَادَ  
 الْحَسَنَ عَلَيْهِ بِذِكْرِ الْأَنْفِ حَسَنًا . وَذَكَرَ دِيكَ الْجَنَّ مَاءَ الْوَرْدِ مَعَ الرِّيحَانِ وَلَمْ يَذَكَرْهُ  
 الْحَسَنُ ، لِأَنَّ ذِكَاةَ الرِّيحَانِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ إِذَا أَصَابَهُ بَلَلٌ ، لَكِنَّهُ فِي ذِكْرِ مَاءِ  
 الْوَرْدِ زِيَادَةٌ مَعْنَى بِلَا شَكٍّ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ انْضَافَ إِلَيْهَا الْعُيُوبُ الْمَتَقَدِّمَةُ . وَمَعَ هَذَا  
 فَالْحَسَنُ قَدْ اسْتَوْفَى الْمَعْنَى فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَدِيكَ الْجَنَّ فِي بَيْتَيْنِ ، وَصَاحِبُ بَيْتٍ  
 أَبَدًا عِنْدَهُمْ بِانْفِاقِ أَشْعَرٍ ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

أَرَاهَنَ لَا يُحِبُّنِ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَى الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَسًا<sup>(٥)</sup>  
 فَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ هَذَا الْبَيْتُ ، أَتَى بِهِ عِلْقَمَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَيْتَاتٍ مَشْهُورَةٍ ، وَإِنْ  
 كَانَ الْمَعْنَى أَبْسَطًا وَأَجَلَّ فَالْفَضْلُ لَصَاحِبِ الْبَيْتِ ، وَالزَّمَانُ وَاحِدٌ ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ  
 عِلْقَمَةُ مَرَقَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، فَمَا إِذَا كَانَ السَّابِقُ مَسْتَوْفَى الْمَعْنَى فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَيَسُوقُهُ

(١) ديوان الهذليين ٢ : ٢٤٢ (٢) ديوانه ٢٧ .

(٣) ٢٠٩ (٤) ديوانه ٣٠٣ .

(٥) ديوانه ١٠٧

للتأخر في أبيات فالكلام في هذا ، كقول امرئ القيس :

نَمَسُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا إِذَا نَحْنُ قِنَاعِنِ شِوَاءِ مُضَهَّبِ (١)

أخذه عبدة بن الطبيب فقال :

أَمَا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَّةٍ وَفَارَ بِاللَّحْمِ لِلتَّوْمِ الْمَرَاجِيلُ (٢)  
وَرَدُّ وَأَشْقَرُ لَمْ يُنْهِنَهُ طَابِحُهُ مَاغَيَّرَ الْغَلِيُّ مِنْهُ فَهُوَ مَا كَوَّلُ  
ثَمَّتَ قَمْنَا إِلَى جُرْدٍ مَسُومَةٍ أَعْرَافَهِنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه ، وكان يجتنب غير الأدباء : ما خير المناديل ؟  
فقال قائل : مناديل مصر كأنها قيض البيض ، وقال آخر : مناديل اليمن ، كأنها  
أنوار الربيع ، فقال عبد الملك : ما صنعتما شيئاً ، أفضل المناديل ما قال أخوتهم  
- يعني عبدة - وأنشد الأبيات ، وهي مع جودتها قصرت عن بيت امرئ القيس .  
وكذلك قول طرفة :

نَطْرِدُ الثُّرَى بِحَرِّ صَادِقٍ وَعَلَيْكَ الْقَيْظِ إِنْ جَاءَ بَقْرُ (٣)  
وقال الأعشى :

وَتَبْرَدُ بَرْدَ رِءَاءِ الْعَرُوسِ بِالصَّيْفِ رَقْرَقَتْ فِيهِ الْعَبِيرَا (٤)  
وتسخن أيلة لا يستطيعُ نُبَاحًا بِهَا الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا

### الاستطراد

البحترى : أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن إدريس الشامي :  
وسابح هَطَلِ التَّمْدَاءِ هَتَانِ عَلَى الْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَانِ (٥)  
أظمى الفُصُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمَهُ فَنَحَلَّ عَيْدِكَ فِي ظَمَانِ رَبَّانِ

(١) ديوانه ٥٤ (٢) المفضليات ١٤١ وفيها : « رفنا ظل أردية »

(٣) ديوانه ٧٣ والعليق : الشديد الحر

(٤) ديوانه ٩٥

(٥) ديوانه ٤ : ٤٣٤ ( طبع المعارف ) .

فلو تراه مُشِجاً والحصى فَلَقَّ بين السناكب من مَثْنَى وَوُحْدَانٍ  
أيقنت إن لم تثبت أن حافرَه من صَخْرٍ تدمرُ أو من وَجِهٍ عِثانٍ  
ثم قال : ما هذا من الشعر! قلت: لأأدرى، فقال: هذا هو الاستطراد، قلت:  
فما معنى ذلك؟ فقال: يريك وصف الفرس، وهو يريد هجاء عِثان، فأخذه  
البحترى، فقال في فرس:

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت صيداً وينقض انقضاء الأجدل<sup>(١)</sup>  
ما إن يعاف قذى، ولو أوردته يوماً خلأثق حمدويه الأحوال  
وكان حمدويه عدواً ومدوحه، فاستطرد به . ويقال: إن البحترى لما عبّر  
بسرقه هذا البيت أزاله من شعره . وقال دِعْبِل:

فلو أنى أصبحت في جود مالك وعزته ما نال ذلك مطاي<sup>(٢)</sup>  
فتى شقيت: أمواله بساحه كما شقيت قيس بأرماع تغلب  
فخرج في استطراده من مدح إلى ذم، وهو متلوب استطراد زهير في قوله:  
إن البخیل ملوم حيث كان ولـكن الجواد على علّاته هَرِمُ<sup>(٣)</sup>  
فخرج من ذم إلى مدح . وقال جرير:

ترى برصاً بجمع إسكتيه كعنفة الفرزدق حين شابا<sup>(٤)</sup>  
والسابق إلى هذا المعنى والناس له تبع السموم حيث قال:  
وإننا أناس لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ<sup>(٥)</sup>  
ومما يستحسن، قول بشار:

خليلي من كعب أعينا أحا كما على دهره، إن الكريم معين<sup>(٦)</sup>  
ولا تبخلنا بخل ابن قذعة إنه مخافة أن يرجى نداء حزين

(١) ديوانه ١٧٤٥، وفيه: « وينتصب انتصاب »

(٢) ديوانه ٢٦٦، وقله عن الشريشي .

(٣) ديوانه ١٥٢ (٤) ديوانه ٦٩، والعنفة: ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى -

(٥) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٤: ١١١

(٦) ديوانه ٩٧ ( مطبعة الشباب )

إذا جثته في حاجة سدّ بابَه فلا تَلَقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ  
 قف على هذه الجملة من صناعة البديع ، ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى :  
 وأما قوله : فبرز الشيخ مجلياً ، وتلاه الفتي مصلياً ، فأصل ذلك في الخليل .  
 وندكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع ، وينتظم المجلي والمصلي في حكاية الرشيد  
 مع المأمون .

### [ حكاية فرسى الرشيد والمأمون ]

وذلك أن الرشيد أجزى الخليل يوماً بالرقّة فوق متلوما حتى طلعت ، فإذا  
 في أولها فرسان في عنان واحد ، فتأملهما ، فقال : فرسى والله . ثم تأمل وقال :  
 وفرس ابني عبد الله ، فجاء الفرسان أمام الخليل ؛ فرسه السابق وفرس المأمون  
 المصلي ، فسّر بذلك الرشيد سروراً عظيماً . قال الأصمعي : قتل للفضل : يا أبا  
 العباس ، هذا من أيامي ، فاحتل حتى توصاني ، فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ،  
 إن الأصمعي قد أعد في أمر الفرسين شيئاً يريد به سرور أمير المؤمنين ، فقال :  
 هات يا أصمعي ، قتل : يا أمير المؤمنين ، كنت وابنك اليوم وفرسا كما ، كما  
 قالت الخنساء - وقد قيل لها : كيف تفضلين أخاك على أبيك ؟ فقالت :

جَارِي أَبَاهُ فَاقْبَلَا وَهَمَا يَتَعَاوَرَانِ مُسْلِمَاتِ الْخَضِرِ (١)  
 وَهَمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّ إِلَى وَكْرٍ  
 حَتَّى إِذَا جَدَّ الْجِرَاءُ وَقَدْ سَاوَتْ هُنَاكَ الْقُدْرُ بِالْقُدْرِ  
 وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟ قَالَ الْحَجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِي  
 بَرَقَتْ صَحْفِيَةٌ وَجْهَ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوَاتِهِ يَجْرِي  
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

قيل لأبي عبيد : ليس هذا في مجموع شعرها ، فقال : العامة أسقط من أن  
 يجودوا عليها مثل هذا . فقولها : «ملاة الخضر» تعني بها غيرة الفرسين التي أثارها

جمالها كالعفة يرتديانها ويتجاذبانها. وسيأتي من أخذ منها هذا المعنى ومن سبق إليه في الأربعين .

### [ مراتب الخليل في الحلبة ]

ومراتب الخليل في الحلبة : السابق منها يسمى المجلى ثم المصلى ثم المسلى ، ثم التالي ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظي ، ثم المؤمل ، ثم اللطيم ، ثم الشكيت . قال الأصمعي وأبو عبيدة : لم نسمع في سوابق الخليل اسماً لشيء منها ممن يوثق بعلمه إلا الثاني واسمه المصلى . قال الأصمعي ، هو من الصلا وهو جانب ذنبه . والعاشر واسمه الشكيت ، وما سواهما وإنما يسمى الثالث والرابع إلى التاسع .

وكان عند المتقي العباسي فتى راوية للخبر والشعري أنس به ، فقال ليلة جلسائه : عودوا إلى ذكر الخليل ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين ، حدثني كلاب بن حمزة العقيلي : قال : كانت العرب ترسل خيأها أراسيل ، عشرة عشرة ، والقصب سبعة سبعة ، فلا يدخل الحجر من الخليل إلا اثمانية : الأول السابق المجلى لأنه جلى عن وجه صاحبه الكرب . والثاني المصلى لأنه وضع جفنته على قطة المجلى ، وهو صلاه ، والصلا عجب الذنب . والثالث المسلى ؛ لأنه كان شريكاً في السابق فسلى عن صاحبه بعض همه . والرابع التالي ، لأنه تلا المسلى دون غيره ، والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة ، لأن في الراحة خمس أصابع ، فلما كان الخامس على خامسة الأصابع سمي مرتاحاً . والسادس حظي ، لأنه نال حظاً فحظي به وإن قل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيباً وهو آخر حظوظ الحلبة ، وسعى السابع العاطف لدخوله الحجر لأنه قد عطف بشيء وإن خس إذ كان قد دخل الحجر ، الثامن المؤمل ، على القلب والتناول ، كما سمي اللدبع سايماً فسمى مؤملاً لقربه من ذوات الحظوظ . التاسع اللطيم ، لأنه لورام الحجر لطم دونها ، لأنه أعظم جرماً من السابع والثامن . العاشر الشكيت ،

لأن صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيًا وغيًا، وكانوا يحملون في عنقه حَبْلًا ،  
ويحملون عليه قردًا يركضه ليعتبر بذلك صاحبه .

أبو عبيدة يشدد الشكيت ، وسمى سكتيًا لأنه آخر العدد الذي يقف عليه  
العادّ والسكت الوقوف ، وسميت حلبة ، لأن العرب تحلب إليها خيولها  
أى تضمّرها .

وأشدد ابن الأنبارى أبياتًا تجمّعها وهي قوله :

جاء المجلى والمصلى بعده ثم المسلى بعده والتالى  
والخامس المرتاح ينقص عدوه والعاطف الصهال كالرئبال  
نسقا وقاد حظيها في صنووة ذلك للمؤمل غير ذى الأشكال  
ثم اللطيم يقودها بجميعها قبل السكتيت العاشر الذبّال

[ أشتار فى وصف الخليل ]

ونذكر هنا جملة مقاطيع فى أوصاف الخليل يكمل بها الغرض المقصود ، قال  
امرؤ القيس :

إذا ماركنبنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتينا الصيد نحطِبِ<sup>(١)</sup>  
وقال عُمارة بن عقيل :

وأرى الوحش فى يمينى إذاماً كان يوماً عنائه بشئالى  
وقال حبيب :

مخاق وجّهه على السبق تخليق عروس الأبناء للعروس<sup>(٢)</sup>  
تقتل عشرًا من التعام به بواحد الشدة واحد النفس

(١) ديوانه ٣٨٩

(٢) ديوانه ١٦٩ ، ١٧

وقال أيضاً :

إت زار ميداناً مضى سابقاً  
نرى رزان القوم قد أَسْمَجَتْ  
كأنما لاح لهم بارقٌ  
سامٍ إذا استعرضته زانه  
كأنما خامره أولقُ  
عوده الحاسم بخلاً به  
أو نادياً قام إليه الجلوس<sup>(١)</sup>  
أغينهم في حُسْنِه وهي شُوسُ  
في المَحَلِ أوزفت إليهم عروسُ  
أغلى ، رطيبٌ وقرارٌ بيبسُ  
أو عارضت هامته الخندريسُ  
ورفرت خوفاً عليه الثنُوسُ

وقال البحتري :

وأغرّت في الزمن البهيم محجلٍ  
كالهيكَلِ المبني إلا أنه  
ذنب كما سَحَبَ الرداء يذبُّ عن  
تتوهمُ الجوزاء في أرساغه  
وتراه يَسْطَعُ في الغبار لهيبه  
هزج الصَّهِيلِ كأنَّ في نَعْمَانِه  
مَلَكُ العيون فإنَّ بدا أعطينه  
قد رُحِتُ منه على أغرّ محجلٍ<sup>(٢)</sup>  
في الحُسنِ جاء كصُورَةٍ في هيكَلِ  
عُرْفِ ، وعرف كالرداء المسبَلِ  
والبدر غرة وجهه التمهَلِ  
لوناً وشداً كالخريق المشعلِ  
هزات مَعْبُدِ في التَّقِيلِ الأولِ  
نظر الحبِّ إلى الحبيبِ المقبلِ

وقال عبد الله بن المعتز :

ولقد وطئت الغيث يحميني  
يمشى ويعرض في العنان كما  
جماع أطراف الصُّوار فما أُر  
طرفٌ كلون الصَّبْحِ حينَ وقدَّ<sup>(٣)</sup>  
صدف المشقِّ ذو الدلالِ وصدَّ  
أخرى عليه إذا جرى بأشدَّ

(١) ديوانه ١٧٩ .

(٢) ديوانه ١٧٤٤ .

(٣) زهر الآداب ١٧٧ ، العقد ١ : ٢٠٦ .



بلّ المهابدمأهنّ ولمّ  
وكانه موج يذوب إذا  
يبتلّ منه بالحميم جسد  
أطلقته وإذا حسبت جمد  
وقال المتنبي :

وعيني إلى أذني أغرّ كأنه  
له فضلة عن جسمه في إهابه  
شقت به الظماء أذني عنانه  
وأصرع أي الوحش قفئته به  
وما أخيل إلا كالصديق قليلة  
إذا لم تعين غير حُسن شياها  
من الليل باق بين عينيه كوكب<sup>(١)</sup>  
تجىء على صدر رحيب وتذهب  
فيطنى وأرخيه مراراً فيلعب  
وأنزل عنه مثله حين أركب  
وإن كثرت في عين من لا يجرب  
وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرساً أغرّ حمله سيف الدولة عليه :

قد جاءنا الطرف الذي أهديته  
تحتال منه على أغرّ محجل  
وكانما لطم الصباح جبينه  
لاتعلق الأحواز في أعطافه  
هاديه بمقد أرضه بسمائه<sup>(٢)</sup>  
ماء الدياجي قطرة من مائه  
فاقتص منه فخاض في أحشائه  
إلا إذا كفكفت من غلوائه  
وقال أيضاً :

وأدم يستمدّ الليل منه  
سرى خلف الصباح يطير مشياً  
فلما خاف وشك القوت منه  
وتطلع بين عينيه الثريا<sup>(٣)</sup>  
ويطوى خلفه الأفلاك طياً  
نشبت بالقمـ وائم والحيا

وقال أبو منصور<sup>(٤)</sup>، يخاطب أبا الفضل الميكالي :

يا مُهدِي الطرف الجواد كأنما  
قد أنعلوه بالرياح الأربع<sup>(٥)</sup>

(٢) هو ابن نباتة السعدي ، نهاية الأرب ١٠ : ٦٤ .

(٤) هو أبو منصور الثعالبي .

(١) ديوانه : ١ : ١٧٩ .

(٣) نهاية الأرب ١٠ : ٦٤ .

(٥) معاهد التنصيص : ٢ : ٢٧٠ .

لاشيء أسرع منه إلا خاطري  
ولو أنني أنصفت في إكرامه  
أقضيته حبّ القلوب لحبّه  
وخلعتُ ثم قطعت غير مضيق  
في شكر نائلك اللطيف الموقع  
لجلال مُهديه الكريم الأروع  
وجعلتُ مربوطه سواد الأذمّع  
بُرْدَ الشباب لجلّه والبرقع

وقال القسطلّي :

سامي التليل كأنّ عقد عذاره  
يهدى بمثل الفرقدين وناب عن  
فكأنما أطأ الأباطح والرُّبا  
وكانه من تحت سَوطي خارجاً  
في رأس غصن البانة الميَّادِ (١)  
رعى السَّمَاك بقلبه الوقارِ  
بُعقاب شاهقة وحيّة وادِ  
في الرُّوع شعلة قادح بزنادِ

ولأبي تمام الأندلسي :

وأقبّ تتقد البروق إذا جرى  
ملك الرياح قواماً فجرى بها  
من غيظها حسداً بأن لم تلحقِ  
فيكاد يأخذ مغرباً من مشرقِ

وقال فيه أيضاً :

وتحتي ريح تسبق الريح إن جرت  
له في المدى سبقٌ إلى كلّ غاية  
وما خلت أن الرّيح ذات قوائمِ  
فيا عجباً، حتى العلا في البهائم !  
وهمة نفس نزهتها عن الونى

وكان للمتوكل ببطلبيوس فرس أخضر أغرّ محجل على كفله ست نقط  
بيض ، فبذل كل شاعر في وصفه جهده ، فما سبق الغاية إلا البجلى بقوله :  
حمل البدر جوادٌ سابحٌ تقف الريح لأدنى مهله

وكان الصبح قد خاض به فبدا تحجيلة من بلبه  
لبس الليل قميصاً سابقاً فالثريا نقط في كفه  
كلّ مطلوب وإن طالت به رجله من أجله في أجله  
والباب لا يدخل تحت الحصر ، فلنكتف بهذا القدر .

\* \* \*

فلما أنشدها الوالى متراسلين ، بهت لذكاءيهما المتعادلين .  
وقال : أشهد بالله أنكما فرقد اسماء ؛ وكرندين في وعاء ، وأن  
هذا الحدّث لينفق بما آتاه الله ، ويستغنى بوجده عن سواه .  
فتب أيها الشيخ من اتهامه ، وثب إلى إكرامه .  
فقال الشيخ : هيئات أن تراجع مقتي ، أو تعلق به تقتي . وقد  
بلوت كفرانه للصنيع ؛ ومُنيت منه بالعقوق الشنيع . فاعترضه  
الفتى وقال : يا هذا ، إن اللجاج شؤم ، والحنق لؤم ، وتحقيق  
الظنة إنم ، وإعنات البرى ظلم . وهبني اقترفت جريرة ، أو  
اجترحت كبيرة ؛ أما تذكر ما أنشدتني لنفسك ، في إبان  
أنسك :

\* \* \*

قوله : « بهت » أى تحير . المتعادلين : المتماثلين ، وشبههما بالفرقدين لرفعهما  
وتوقدهما ، وأخذ الحريرى هذا التشبيه من البحترى في قوله :

\* كالفرقدين إذا تأمل ناظر \*

وتقدّم في الثانية ، وبالزّنين لما فيهما من النار ، وفي هذين من الذكاء وجعلهما  
في وعاء ، يريد : متى التمسهما الإنسان وجد فيما وقعت عليه يده حاجته .

وجده: غناه وما عنده من العلم . ثب : ارجع . هيات ، معناها بُعد . مَقْتَى : محبتي . تعلق به تفتي ، يريد : لأتو به بعد ما جرّبتّه ، وبلوت كفرانه للصنيع ، أى جرّبت قلة شكره لفعل الجميل معه مُنِدِت . بليت . العموق : المقاطعة . الشنيع : المشتهر بالقبيح .

### [فصل فى كفران الصنيع]

ونسوق هنا فى كفران الصنيع فصلاً يليق بهذا الموضع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم » . قلنا : من أولئك يا رسول الله ؟ قال : « المتبرئ من والديه رغبة عنهما ، والمتبرئ من ولده ، ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها » .

وفى التوراة : من صنم معروف إلى أحق فهى خطيئة تُكْتَب عليه .

وقال الحجاج لابن الكلبي : أخبرنى عن خمسة أشياء أُضِيعت فى الدنيا . قال : نعم أصلح الله الأميراً سراج يوقد فى شمس ، ومطر جود فى أرض سبخة ، وامرأة حسناء تُزَفّ إلى عَيْنين ، وطعام اجتهد صاحبه فى صنعته فقدمه إلى سكران أو شعبان ، ومعروف تصنعه إلى رجل لا يشكره عليه .

عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنفع الصنعة إلا عند ذى حسب ودين ، كما لا تنفع الرياضة إلا فى نجيب » .

المدائني : خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت ، فاتبعوها ، فاجأت إلى بيت رجل ، فخرج إليهم بالسيف مسلولاً ، فقالوا له : يا عبد الله ، لِمَ تمنعنا من صيدنا ؟ فقال : إياها استجارت بى . نَحَلُوا يديها ويديه ، فنظر إليها فإذا هى مهزولة مضرورة ، فجعل يسقيها اللبن صبوحةً ومتميلاً وغبوقاً ، حتى سممت وحسنت حالها ، فبينما هو ذات يوم متجرد عدّت عليه فشقت بطنه وشربت دمه ، فقال ابن عم له :

ومن يَصْنَعُ المعروف في غير أهله      يلاقى الذى لاقى مُجِيرَ امِّ عامِرٍ (١)  
 أعد لها لما استجارت بقربه      مع الأمن ألبان اللقاح الدرائرِ  
 فأشبعها حتى إذا ما تمكَّنت      فرته بأنياب لها وأظافرِ  
 قفل لذوى المعروف، هذا جزاء من      بوجه معروفاً إلى غير شاكرِ

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا  
 أراد الله بعبده خيراً جعل صنائمه ومعروفه في أهل الحِفاظ ، وإذا أراد به سوءاً  
 جعلها في أهل المضاع » وقال حسان :

إن الصنعة لا تكون صنيعاً      حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت . وأنشد عبد الله بن جعفر  
 هذا البيت فقال : هذا رجل يريد أن يبخل الناس ؛ أمطر المعروف مطراً ، فإن  
 ص دفت موضعه فهو الذى قصدت ، وإلا فكنت أحقَّ به .

قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لا يُرْهَدَنَّكَ فى المعروف كفر من  
 كفره ، فإنه يشكرك عليه من لم تصنعه إليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصنع المعروف إلى من هو أهله ،  
 وإلى من ليس أهله ، فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله  
 فانت أهله » . وقد قال الحريرى بعد هذا :

واحفظ صديك عنده      شكر الصنعة أم غمط  
 أى لا تفسد معروفك بالمن ؛ شكره من أنعمت عليه أم كفره . وغمط :  
 ستر . وهو ضد شكر .

قوله: اعترضه، أى واجهه وقابله: شؤم: نحس وطيرة . الحنق: الغضب . الظنة: التهمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لازمات أمتي: سوء الظن، والحسد، والطيرة». قيل: ما يذهبن؟ قال: «إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فاستغفر، وإذا تطيرت فامض». إعنات: مشقة . هبنى: احسبني . اقترفت واجترحت، معناها اكتسبت . جريرة: جناية . إبان أنسك، أى وقت أنسى بك .

\* \* \*

سامح أخاك إذا خلط منه الإساءة بالغلط  
وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو قسط  
واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيعة أم غلط  
وأطعه إن عاصى وهن إن عزّ واذن إذا شحط  
واقن الوفاء ولو آخل بما اشترطت وما اشترط  
واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط  
من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط  
أوما ترى المحبوب والمكروه لزا فى نط  
كالشوك يبدو فى العصور ن مع الجنى الملتقط  
ولذاذة العمر الطو يل يشوبها نغص الشمط  
ولوانتقدت بنى الزما ن وجدت أكثرهم سقط  
رُضت البلاغة والبرا عة والشجاعة والخطط  
فوجدت أحسن ما يرى سیر العلوم ممّا فقط

\* \* \*

تجاف: تباعد . تعنيفه: لومه . زاغ: مال . قسط: جار .

وقوله : وَهُنْ إِنْ عَزَّ ، لفظ المثل : إذا عز أخوك فهن ، يُرَوَى بضم الهاء وكسرها ، فالضَّمّ من هان يهون ، قال ابن أحرر :  
 ذَبَبْتُ لَهَا الضَّرَاءَ وَقُلْتُ أَبْقَى إِذَا زَّ ابْنُ عَمِّكَ أَنْ تَهُونَا (١)  
 ورواه بالكسر أبو عبيد وثعلب ، وقال أبو عبيد : معناه أن مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك ، فتدخلك منه حمية ، إنما هو حسن خلق ونفضل منك ، فإذا عاسرك فياسره ، فالضم الذي ذكر هو الهوان بعينه . قال ابن درستويه : معناه إذا صار أخوك عزيزا قويا عليك فأطعمه واخضع له ، تسلّم من ظله . رواية الكسر من هان يهين ، ويكون معنى عزّ تصعّب واشتدّ لا من العزة ، ومعناه إذا صعب أخوك فلين له ، والمثل لهذيل بن هبيرة ؛ وسببه أنه أغار على ضبة فغم ، وأقبل بالمغام ، فقال له أصحابه : اقسما بيننا ، فقال : أخاف أن يدرككم الطلب ، فأبوا ، فعندها قال المثل ، ونزل فقسمها

قوله شحط ، أي بعد . وأقن الوفاة : أي الزمه ، وقنيتُ الحياء بكسر النون أقنيه قنيانا ، ألزمته . أخلّ : نقص . بما اشترطت وما اشترط ، أي بما جعلتما بينكما من علامة ، ومنه أشراط الساعة أي علاماتها ومنه الشرط لأن لهم علامة يعرفون بها . مهذبا : مخلصا . والشطط : محاوزة القدر ، قال الفضيل بن عياض : مَنْ طَلَبَ أَخَا بِلَاعِيْبِ بَقِيَ بِلَا أَخٍ .

قال الحارث المحاسبي : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حُسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الدّيانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة . وقال النابغة :  
 وَلَسْتَ بِمَسْتَبِقٍ أَحَا لَا تَلْمَهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَي الرّجال المهذب (٢)  
 وقال يزيد بن محمد المهلبى :  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَى سَجَايَاهُ كُلِّهَا كَفَى الْمَرْءَ فَضْلًا أَنْ تَمَدَّ مَعَايِبُهُ (٣)

(١) فصل المقال لأبي عبيد ١٩٦ .

(٢) ديوانه ٥٠ .

(٣) ط : الباهلي ، تحريف . والبيت في زهر الآداب ٧٥٥ ، نهاية الأرب ٣ : ٩٤ .

قوله: «قَطَّ» بمعنى الدهر والأبد . والحسنى: الفعل الحسن . ققط : حسب .  
لذا : ربطا . النَّمَطُ : ثوب من الصوف المصبوغ ، والنَّمَطُ الطريق ، تقول : الزم  
هذا النمط ، والنمط النوع من العلم والخير، فيريد أن الخير والشر قد نظما في سلك  
واحد ، فإذا أتى يوم يُرْضَى أتى بعده يومٌ يسخط .

الجنى : الطرى مما يجنى ، تعيل بمعنى مفعول ، وأصل جنى مجنوى فأعل .  
والملتقط : من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة ، أى اخترتها واتخبتها .

أبو أمامة ، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إنّ الناس اليوم كشجرة  
ذات جنى ، ويوشك الناس أن يعودوا كشجرة ذات شوك إن ناقدهم ناقدوك ،  
وإن تركهم لم يتركوك ، وإن هربت منهم طلبوك» ، قيل : فكيف المخرج من  
ذلك ؟ قال : « تقرضهم من مِرْضِك ليوم قَرِك » ، وأنشد عمر بن الجعد :

طَبُّ عَنِ الْأُمَّةِ نَفْسًا      وَاَرْضُ بِالْوَحْدَةِ أَنْسًا  
لَسْتُ بِالْوَاجِدِ حَاءًا      أَوْ تَرَدُّ الْيَوْمِ أَمْسًا  
مَا وَجَدْنَا أَحَدًا يَسْوَى      عَلَى الْخَبْرَةِ فَلَسًا

قوله : «نقص» تكدير العيش ، ونقص الرجل إذا لم يتم له أمره وتكدر  
عيشه . يشوبها : يخالطها . السَّمَطُ : اختلاط الشيب بالسواد وانتقدت : فقتت .  
والسَّقَطُ : من لا خير فيه .

وللزاهد بن عمران في معنى أبيات الحريري رحمه الله :

إِذَا وَغَسَدَتْ جَفَاكَ فَلَا تَلُمُهُ      لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَثَرْتَ حَيْفَهُ  
وَإِنْ يَصُلُّ الْكَرِيمُ عَلَيْكَ فَاصْفَحْ      سَتَمَطُّهُ أَصَالَتُهُ الشَّرِيفَهُ  
وَمَنْ يَكُ بَيْنَ ذَلِكَ فَاعْضِ عَنْهُ      تَنْلُ مَجْدًا وَمُرْتَبَةً مُنِيفَهُ  
وَهَلَّ الضَّنْفَنُ إِنْ آنَسَتْ ضِغْنًا      يَبْسُطُ الْوَجْهَ وَالْحَيْلَ اللَّطِيفَهُ



أخذ البيتين الأولين من قول حاتم :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكراً<sup>(١)</sup>

\* \* \*

قال : فجعل الشيخُ يُبْنَضُ نَضْنَةَ الصَّلِّ ، ويُحْمَلِقُ حَمَلِقَةَ البازيِ المِطْلِ ، ثمَّ قال : والَّذِي زَيْنَ السَّمَاءِ بالشَّهْبِ ، وأنزَلَ الماءَ من السَّحْبِ ، مارَوْغِي عن الاضْطِلاحِ ؛ إلاتَوْقِي الافتِضاحِ ، فإنَّ هذا الفَتَى اعتادَ أنْ أمُونَهُ ، وأراعِي شِئُونَهُ ، وقدَّ كانَ الدَّهْرُ يَسُحِّحُ ، فلمَ أكنْ أشِحِّحُ ؛ فأما الآنَ فالوقتُ عبُوسٌ ، وحشُو العَيشِ بوسٌ ؛ حتَّى إن بزَّتِي هَذِهِ عارَةٌ ، ويدي لا تَظُورُ به فارةٌ .

قال : فرقْ لِقائِهِمَا قَلْبُ الوالى ، وأوى لهُمَا مِنْ غَيْرِ اللَّيالى ، وصَبَا إلى اختِصاصِهِمَا بالإسعافِ ، وأمرَ النَّظارةَ بالانصرافِ .

\* \* \*

قوله : « يُبْنَضُ » يحرك لسانه . الصَّلِّ : الحية . يحمَلِقُ : ينظر بحملاقة وهو باطن جفنه ، وذلك نظر الغضبان . المِطْلُ : المشرف على فريسته . الشَّهْبُ : النجوم . رَوغِي : فرارى . تَوْقِي : خشية . الافتِضاحِ : الشهرة . أمُونَهُ : أتكلف لوازمه . أراعِي : أحفظ . شِئُونَهُ : أموره . يسحِّحُ : يصب الرزق . الحشُو : ما حشِي به . بوس : ضرٌّ . بزَّتِي : ثوبِي . عارَةٌ ، أَى عارية . تطوره : تقرب منه ؛ يريد أن الفارة ليس لها فيه مائاً كل ، وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقتت على قيس بن سعد بن عبادة ، فقالت : أشكو إليك قلة الجردان ،

(١) ديوانه ١٠٨

(١١ - شرح مقامات الحريري ج ٣)

قال : ما أحسن هذه الكناية ! املئوا بيدها خبزاً ولحماً وسمناً . وقد أعاد هذا المعنى منظوماً في الثالثة والثلاثين ، فقال <sup>(١)</sup> :

وَأَمَحَلْتُ رَبْعِي حَتَّى خَلْتُ مِنْ رَبْعِي الْمَحِلَّ جُرْدَانَهُ

وحكى الفنجديهي بسنده إلى أبي محمد الحسن بن إسماعيل الضراب ، قال : كنت قاعداً أنسخ في السراج ، وبين يديّ قده فيه ماء ، وظرف فيه كعك وزبيب ولوز ، فجاءت فأرة فأخذت لوزة فمضت ، ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذي في القده ، فعادت فأرة فكببت القده عليها واشتغلت بشغلي ساعة ، فإذا فأرة أخرى قد جاءت فشقت وبقيت ساعة على ذلك ، والفأرة الأخرى تشفق من داخل القده ، فلم تجد حيلة في خلاصها ، فمضت أختها ، فأنت بدينار فوضعته ووقفت ، ولم أرفع القده عن الفأرة ، فمضت وأنت بدينار آخر ، ووقفت ولم أرفع القده ، ففعلت ذلك إلى أن أنت بسبعة دنانير ، ووقفت ساعة ، ولم أخل عن الفأرة ، فمضت وأنت بقرطاس فارغ ففعلت أنها لم يبق عندها شيء فخلّيت عن الفأرة .

قال الفنجديهي : رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقاة .

وعلى ذكر الفأرة والجرذان كتب أبو حفص الوراق رقعة إلى صاحب ، منها : وحال عبد مولانا في الخنطة مختلفة ، وجرذان داره عنها منصرفة ، فإن رأى أن يخالط عبده بما أخضب عنده فعل إن شاء الله تعالى . فوقع فيها : « أحسنت يا أبا حفص قولاً ، وسنحسن إليك فعلاً ، فبشّر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجذب ، فالخنطة تأتيك في الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بمنوع . إن شاء الله تعالى » .

قوله « أوى » : أشفق . غَيْرَ : تَغَيَّرَ وهو من تَغَيَّرَ الحال ، وهو اسم واخذ بمنزلة الجمع ، والغَيْرَ مذكّر وجمعه أغيار . هذا قول الكسائي . ويجوز أن يكون

(١) ص ٣٦٥ (المطبعة الحسينية) .

جمعاً ، واحداً غيرة وهذا قول ابن عمرو ، يقال للدية : غيرة لأنها تغير القواد إلى الرضا به . صَبَاً : مال . الإسعاف : قضاء الحاجة . النظارة : الناس الناظرون إليه .

قال الراوى : وكننت مُتَشَوِّقاً إلى مَرَأَى الشَّيْخِ لَعَلِّي أَعْلَمُ عِلْمَهُ ، إذا عاينت وسمته ، ولم يكن الزحام يُسْفِرُ عَنْهُ ، ولا يَفْرَجُ لي فأذُنُو منه . فلما تقوّضتِ الصُّفوفُ ، وأجفل الوُوقُوفُ ، توَسَّمْتُهُ فإذا هو أبو زيدٍ والفتى فَتَاهُ ، فمرفتُ حينئذٍ مَغْزَاهُ فيما أتاه ، وكِدْتُ أَنْتَقِضَ عليه ، لأستعْرِفَ إليه . فَزَجَرَنِي بِإِيْمَاءِ طَرْفِهِ ، واستَوْقَفَنِي بِإِيْمَاءِ كَفِّهِ .

\*\*\*

متشوقاً : متطلماً . وسمه : علامته . يسفر : يكشف . يفرج : يفتح لي فرجة . تقوّضت : تفرقت ، وأصلها الهدم . أجفل : أسرع المشى . توَسَّمْتُهُ : نظرتُه . مغزاه : مذهبه ومقصده . انتقض : انحط وانصبّ أستعريف إليه : أعرّفه بنفسى . زجرنى : انتهرنى . إيماء : إشارة بالعين خفية ، وكثيراً ما يصرف الحريرى في المقامات تنبيه أبى زيد لابن همام على نفسه بخفى الإشارة ، المغنية عن تصريح العبارة ، وهو مذهب للعرب ، ونبلاء أهل الأدب ، وقد قالوا : رُبَّ كناية تبنى عن إيضاح ، رُبَّ لحظ يدل على ضمير .

[ مختار من الشعر في إشارة اللحظ ]

وفي إشارة اللحظ يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة محزونٍ ولم تتكلم  
فأيقنتُ أن اللحظ قد قال مرحباً      وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم  
وقال أبو نواس :

لمنى على النجل العيون      التمهّد القبّ البطون

الناطقات عن ضمير لنا بألسنة الجفون  
وقال المهدي بن المنصور :

وَمُطَلَعٌ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَسِرُّهُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْظِ الْخَفِيِّ دَلِيلٌ  
إِذَا هُوَ لَمْ يُبَيِّدِ الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ فِي اللَّحْظِ وَالْإِيمَاءِ مِنْهُ رَسُولٌ  
وقال تميم بن المعتز :

سَبِحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُدُودَ شَقَائِقًا تُتَنَنَسَّمُ (١)  
وَأَعَارَهَا لِلْأَلْحَاطِ فَهِيَ بِلِحْظِهَا تَتَكَلَّمُ  
وقال آخر :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها  
والعين تنطق والأفواه صامتة  
من الحبة أو بغضٍ إذا كانا  
حتى ترى من ضمير القلب تبياناً  
وقال أعرابي :

وليل لم يقصِّره رقادٌ  
بمجلس لذةٍ لم نقو فيه  
وقصر طولَه وصل الحبيب  
على شكوى ولا عدَّ الذنوبِ  
بجلفنا أن نقطعه بلفظٍ  
فترجت العيون عن القلوبِ  
وقال الحسن بن بشير :

أما ترى لي ناظراً شاهداً  
ودون إلحاح جفوني هوى  
بالحبِّ، والأعين رُسلُ القلوبِ  
يخبِّرُ عمَّا في ضمير الكئيبِ  
وأنت لا شك به عالمٌ  
لأنَّ عندَ اللحظِ علم الغيوبِ  
وقال الأحوص :

ودعهن ولا شيء يراجعني  
إلا البنان وإلا الأعين الشَّجْمُ (٢)

(١) ديوانه ٣٨٦ .

(٢) ديوانه ٢٢٢ .

إذا أردن كلامي عنده عرضت من دونه عبرات فارعوى الكلم  
مستندات وقد مالت سوافها وما بهن سوى مس الهوى ألم

وقال ماني الموسوس

بنانُ يدٍ تُشيرُ إلى بنانٍ تجاوبتَا وما تتكلمانِ  
جرى الإيماء بينهما رسولا فأحكم وحيه المتناجيانِ  
فلو أبصرتنا لفضضت طرفاً عن المتحدثين بلا لسانِ

والباب لا يحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة

قوله : « واستوقفتني بإيماء كفه » : أى أمرنى بالوقوف ، والإيماء : الإشارة .

\* \* \*

فلزمتُ، ووفى ، وأخرتُ مُنصرَفي . فقال الوالى : مامرأَمك ، ولأى  
سببٍ مقامك ؟ فابتدره الشيخُ وقال : إنه أنيسى ، وصاحبُ ملبوسى .  
فتمسَّحَ عندَ هذا القولِ بتأنيسى ، ورخصَ فى جلوسى . ثم أفاضَ عليهما  
خِلعتين ، ووصلَهُما بنصابٍ من العينِ ، واستعهدَهُما أن يتعاشرا  
بالمعروف ، إلى إظلالِ اليومِ المخوفِ . فنهضا من ناديه ، مُشيدينِ  
بشكرِ أياديه ، وتبعتهما لأعرفَ مشواهما ، وأترودَ من فخواهما .

فأما أجزنا حى الوالى ، وأفضينا إلى الفضاء الخالى ، أدركنى أحدُ  
جلاوزته ، مهيباً بى إلى حوزته ، فقلتُ لأبى زيد : ما أظنه  
استحضرنى إلا ليستخبرنى ، فماذا أقولُ ؟ وفى أى وادٍ معه أجولُ ؟  
فقال : بينَ له غباوةَ قلبه . وتلعابى بلبئيه ؛ ليعلمَ أن ريحهُ لاقتُ  
إعصاراً ، وجدولهُ صادفَ تياراً ، فقلتُ : أخافُ أن يتقدَّ غضبه

فَيَلْفَحَكَ لَهْبُهُ ، أَوْ يَسْتَشْرِي طَيْشُهُ ، فَيَسْرِي إِلَيْكَ بَطْشُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي  
أَرْحَلُ الْآنَ إِلَى الرَّهْمَا ، وَأَنْتَى يَلْتَقِي سُهَيْلٌ وَالسَّهْبَا !

\* \* \*

مرامك : مرادك . مقامك : تلبثك ووقوفك . أنيسى : صاحبي الذي أتأنس  
به . فستسمح بتأنيسى ، أى أولانى منه اللئاسة . رخص : لين وسهل . أفاض :  
صب . خلعتين : كسوتين . والنصاب : عشرون دينارا ، والعين : الذهب .  
استعهدهما : استحلّفهما . يتعاشرا : يتصاحبا . إظلال : قرب ودنو . اليوم  
الخوف : يوم موته . ناديه : مجلسه . مُشِيدِينَ : رافعين بشكره أصواتهما .  
أياديته : نعمه . مئواها : مسكنهما . فحواها : معنى كلامهما ، ويروى : «نجواها»  
أى سرهما . أجزنا : خلفنا . أفضينا : وصلنا . الفضاء : المتسع من الأرض .  
جلاوزته : شُرطه ، واحدهم جلاوز ، والجلاز عقب ملوى على القوس ، وجلزت  
القوس والسوط والسكين : عصبتهما بالعقب ، فسَمُوا جلاوزة ، لأنهم يعصبون  
بالسياط الناس عند الضرب ، أولأن السياط لا تفارق أيديهم ، والجلاز : التّد ،  
وهم يربطون الناس ويشدونهم . مهيباً : داعياً . حوزته موضعه الذى يحميه  
ويحوزه . استحضرنى : طلب حضورى . ويستخبرنى : يسألنى خبره . أجول .  
أُتصرف وأمشى ، أى علمنى فى أى غرض من الحديث آخذ به . غباوة : جهل ،  
ورجل غبى غير فطن . تلعابى بلبى ، أى لعبى بهقله ، والتلعاب بنية للمبالغة .  
يستشرى : ينتشر . طيشه : خفته من الغضب . يسرى : يسير . بطشه : إيقاعه  
وتناوله بما يكره .

الرّهما : بلد من كورة الجزيرة تجاورها الرّقة وحرّان ، سميت باسم صاحبها  
الرّها بن البلوى بن مالك بن ذعر ، وهو أوّل من نزلها . وقال اليعقوبى :  
الرّهما من ديار مضر ، وهى مدينة روميّة ذات عيون كثيرة منها عجيبة ، تجرى

الأنهار وبها الكنيسة التي للنصارى ، وهي إحدى عجائب الدنيا الموصوفة ، وكان بالرها رجل ضعيف الحال متجمل بين الناس ، فخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له ، فلقبه سائل ، فسأله شيئاً يدفعه ، فقال : والله ما أملك غير جُبتى هذه ، فقال السائل : ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى في حقهم : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ، فدفعها إليه .

أتى : كيف . سهيل والسها : كوكبان لا يلتقيان ، لأن السها نجم خفي في بنات نعش ، وبنات نعش لا تقرب أبداً في بلاد أرمينية ، وفي سمتها بلاد الشام والغرب والأندلس ، وسهيل لا يرى في شيء من هذه البلاد إلا رؤية لا يعتد بها في أيام قلائل ، فلا يلتقي سهيل والسها بوجه ، وإنما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبي ربيعة حيث قال :

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان<sup>(١)</sup>  
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقلت يمان

والثريا هذه بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وكانت موصوفة بالجمال ، وكان عمر يشبب بها ، فنزّوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، فنقلها إلى مصر ؛ ففرب لها عمر المثل بالكوكبين . وأبدل الحريري لفظ الثريا بالسها ، وأفاد عدم الالتقاء ، وسهيل هو كوكب أحمر يحتمل إليك لشدة اضطرابه أنه يستدير ، وقال المعري في صفته فأحسن :

وسهيل كوجنة الحب في اللو نِ وَقَلْبِ الْحَبِّ فِي الْخَفَقَانِ<sup>(٢)</sup>  
مستبداً كأنه الفارس المعلى لم يدو معارض الفرسان  
يسرع الملح في احمرار كما تسرع بالملح مقلّة الفضبان

(٢) سقط الزند ٤٣٣ .

(١) ديوانه ٥٠٣ .

ضَرَجَتْهُ دَمًا سَيُوفِ الأَعَادِي فَبَكَت رَحْمَةً لَهُ الشُّعْرِيَانِ  
 قَدَمَاهُ وَرَاءَهُ وَهُوَ فِي العَجَبِ زَكَسَاعٍ لَيْسَتْ لَهُ قَدَمَانِ  
 قَالُوا : وَلَا تَقْعُ عَيْنَ بَعِيرٍ عَلَى سَهِيلٍ إِلا مَاتَ مِنْ حِينِهِ .  
 وَقَدْ أَشَارَ العَرَبِيُّ إِلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ :

لَا تَحْسَبَنَّ إِبْلِيَّ سَهِيلًا طَالَمَا بِالشَّامِ فَالْمَرْئِيَّ شَعْلَةً مَقْبِسِ  
 وَمَتَى طَلَعَ صَرَفَتْ الإِبْلُ كُلَّهَا وَجُوهَهَا عَنْ مَطَاعِهِ وَقَابِلَتَهُ بِأَعْجَازِهَا :  
 وَقَالَ المَتَنَبِيُّ :

وَتَنَكَّرَ قَتْلَهُمْ وَأَنَا سَهِيلٌ طَاعَتْ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّناهِ (١)  
 وَفِي مَعْنَى تَخْوِيفِ ابْنِ هَامٍ لِلسُّرُوجِيِّ بِعِقَابِ الوَالِي مَا حُدِّثَ أَنَّ أَبَا الحَسَنِ  
 العَبَّاسَ بْنَ حَيُونَ ، دَخَلَ عَلَيْهِ فِي السِّجْنِ مَنْ أَعْلَمَهُ أَنَّ إِبرَاهِيمَ بْنَ الأَعْلَبِ يَرِيدُ  
 قَتْلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَفْرَأً ، فَقَالَ لِمَعْلَمِهِ بِالخَبْرِ ، وَأَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ :

تَخَوَّفَنِي بِمَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ يَهَابُ مِنَ المَنِيَةِ مَا أَهَابُ  
 لَهُ أَجَلٌ وَلِي أَجَلٌ وَكُلُّهُ سَيَبْلُغُ حَيْثُ بَلَّغَهُ الكِتَابُ

\* \* \*

فَإِذَا حَضَرْتُ الوَالِيَّ وَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُ ، وَأُجِبَلِي تَعَبَّسُهُ ، أَخَذَ  
 يَصِفُ أَبَا زَيْدٍ وَفَضْلَهُ . وَيَذُمُّ الدَّهْرَ لَهُ . ثُمَّ قَالَ : نَشِدْتُكَ اللهُ ، أَلَسْتَ  
 الَّذِي أَعَارَهُ الدَّسْتُ ؟ فَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي أَحَلَّكَ فِي هَذَا الدَّسْتِ ، مَا أَنَا  
 بِصَاحِبِ ذَلِكَ الدَّسْتِ ؛ بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ الدَّسْتُ ، فَازْوَرَّتْ  
 مُقْلَتَاهُ ، وَاحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْجَزَنِي قَطُّ فَضَحُّ مُرَيْبِ ،

(١) ديوانه ١ : ١٢ .



لَا تَكْشِيفَ مَعِيبٍ؛ وَلَكِنْ مَا سَمِعْتُ بِأَنَّ شَيْخًا دَلَّسَ، بَعْدَ مَا تَطَلَّسَ  
وَتَقَلَّسَ، فَبِهَذَا تَمَّ لَهُ أَنْ لَبَّسَ. أَقْتَدِرِي أَيْنَ سَكَمَ، ذَلِكَ اللَّكَمَ؟  
قُلْتُ: أَشَفَقَ مِنْكَ لَتَعْدِي طَوْرَهُ، فَظَمَنَ عَن بَعْدَادَ مِنْ فَوْرِهِ. فَقَالَ:  
لَا قَرِيبَ اللَّهِ لَهُ نُوي، وَلَا كَلَاهُ أَيْنَ نُوي؛ فَمَا زَاوَلْتُ أَشَدَّ مِنْ  
نُكْرِهِ، وَلَا ذُنْتُ أَمْرًا مِنْ مَكْرِهِ، وَلَوْلَا حُزْمَةُ أَدْبِهِ، لَأَوَّغَلْتُ  
فِي طَلَبِهِ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي يَدِي فَأَوْقَعَ بِهِ. وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ تَشِيعَ  
فَعَلْتُهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَأَقْتَضِحَ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَتَحَبَّطَ مَكَانِي عِنْدَ الْإِمَامِ؛  
وَأَصِيرَ ضُحْكَةً بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ. فَعَاهَدَنِي عَلَى الْأَفْوَةِ بِمَا اعْتَمَدَ،  
مَادُمْتُ حِلًّا بِهَذَا الْبَلَدِ.

قال الحارث بن همام: فَعَاهَدْتُهُ مِمَّا هَادَةَ مَنْ لَا يَتَأَوَّلُ، وَوَفَيْتُهُ  
لَهُ كَمَا وَفَى السَّمَوِيُّ.

قوله: «النجلى»، أى زال وانكشف. \* \* \* نشدتك: حلفتك. الدست الأول  
هو الثوب، والثانى: المجلس، والثالث هو الأول، والرابع هو الخداع والحيلة،  
وقدمه فى الحادية عشرة حيث قال: متى مادسته تم. ازوررت مقلته: اعوججت  
عيناه وتغير نظرها. والوجنتان: ما أحاط بالعين من أسفل. أعجزنى: غلبنى.  
فضح مريب: كشف متهم. تطلس: لبس الطيلسان، وهو من لباس الخواص،  
وهو كساء خز. لبس: خلط. سكم: ذهب. اللكع: اللثيم العاجز، قال بعض  
أهل العلم: كان يقال: خمس خصال، من أقبح شىء فيمن كنّ فيه: الحدّة فى السلطان،  
والكبر فى ذى الحسب، والبخل فى الغنى، والحرص فى العالم، والفسق فى الشيخ،  
وثلاث هن أحسن شىء فيمن كنّ فيه: تودّة لغير ذلّ، وجود لغير ثواب، ونصب  
لغير الدنيا.

أشفق : خاف . تعدى طوره : تجاوز قدره . ظمن : رحل . فوره :  
 حينه . نوى : بمد وسفر . كلاًه : حفظه . نوى : أقام . زاولت : حاولت . نكره :  
 منكره . مكره : خداعه . أوغلت : أبعدت . أوقع به : أتناوله بالشر  
 والمكروه والضرب .

وقال أبو حازم في معنى دعاء الوالى على السروجى :

إذا استقلت بك الركبُ فحيث لادرت السحابُ  
 زالت سراعاً لا وزلت تجرى بينك الظبيُّ والفُرابُ  
 بحيث لا يُرتجى إيابُ وحيث لا يبلغ الكتابُ  
 والذي استعمل الناس في الدعاء على الغائب ألا يرجع قولُ زهير :

\* لدى حيث ألت رحلها أم قسمم \*<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

كما سار الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار  
 ومثل هذا رقية للمرأة إذا سافر زوجها ، قالت : نافرك القمر ، وظل الشجر ،  
 شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه : شبك ولا انتقس ، وتمس ولا  
 انتمش . ثم ترمى أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول : حصاة حصّ أثره ،  
 ونواة نأت داره ، وروثة راث خبره ، وبعرة تبعره ، ولو أوغل في طلبه كما ذكر  
 فأدركه لأنشده السروجى :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه ٢٣ ، وصدرة :

\* فشدّ ولم يفزع بيوتاً كثيرة \*

(٢) ديوانه ٥٥ .

وقال المعري :

إذا ما أخفت المرءَ جُنَّ مخافةً      وأيقن أن الأرضَ كِفَّةَ حابِلٍ<sup>(١)</sup>  
يرى نفسه في ظل سَيْفِكَ قائماً      وبينكما بُعد المدى المتطاوِلِ

وقال محمد بن هانيء رحمه الله تعالى :

فلا مهجة في الأرض منك منيعة      ولوقطرت من ريق أرقط شَجَمٍ<sup>(٢)</sup>  
ولو أنها نِيَطَتْ بِمخَلَبِ طائر      ولو أنها باتت على قرن أَعْقَمِ

وقال أشجع السَّهَمِيُّ في الرشيد ، حين بعث لإدريس بن عبد الله العلوي من  
اغتاله بالمغرب :

أتظنَّ يا إدريس أنك مُفَلَّتْ      كيدَ الخلافة أو يقيك حِذَارُ  
إن السيوف إذا انتضاها عزمُ      طالت وتقصُرُ دونه الأعمارُ  
هيئات ألا أن تكون ببلدٍ      لا يهتدى فيها إليك نهارُ  
ولأبي العرب الصقلي :

كأن بلاد الله كُفَّتْ إن يَسِرَ      بها هارب تجمع عليه الأناملا  
فإن يفسر المرء عنك بجرمه      إذا كان يطوى في يديك المراحلا

قوله : تشيع ، أى تتصل ، يقال : شاع الخبر في الناس ، أى اتصل بكل واحد ،  
فاستوى علم الناس به ، ويقال : سهم شائع وشاع ، إذا كان في جميع الدار فاتصل  
كل جزء منه بكل جزء منها ، وأصله في الناقة ، يقال : أوزعت الناقة ببولها إيزاعاً ،  
إذا فزقت ، فإذا أرسلته متصلاً ، قيل : أشاعت به . تحبط : تسقط وتبطل .  
مكاتبى : منزلتى . ضُحْكة : يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول ، وتحريكها

(٢) ديوانه ١٢٥ ، والمعجم : الأسد .

(١) سقط الزند ١٠٢٥ .

للفاعل . أفوه : أنطق . اعتمد ، أى قصد من الخلداع . حِلًا : مقيمًا . يتأول :  
يحتال ليمينه فيحملها في الباطن على غير ما أوقعها في الظاهر عليه ، فيريد أنه ثبت  
له اليمين .

\* \* \*

### [ قصّة السمومل ]

السمومل ، هو ابن عاديا ، يُضرب به المثل في الوفاء ، وقصة وفائه أن امرأ  
القيس ، لما ألح المنذر في طلبه لحق بعمرو بن جابر بن مازن يستجير به ، فقال له :  
يا ابن حُجْر ، إني أراك في خلل من قومك ، وأنا أنفس بك ، أفلا أدلك على  
رجل لم أر أحسن جواراً منه؟ فدلّه على السمومل بتياء ، ووصف له حسبه وحصنه ،  
فقال : ومن لي به؟ فقال : أصحبك من يوصلك إليه ، فأصحبه الربيع بن ضبع - وكان  
الربيع يأتي السمومل ويمدحه فيحمله ويعطيه - فمشوا حتى قدموا على السمومل ،  
فأنشدوه أشعاراً فعرف حقهم ، وأنزل هنداً بنت امرئ القيس في قبة من آدم ،  
وأنزل القوم في مجلس له براح ، فكان عنده ما شاء ، ثم طلب أن يكتب له  
للحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر ، ففعل ، فاستودعه بنته  
وأدراعه الخمس ، وهى الفضفاضة ، والصفافية ، والمحصنة ، والحريق ، وأم الذبول ،  
وكنّ لبني آكل المرار ، وهم أجداده يتوارثن ملكاً عن ملك . فمضى إلى قيصر ،  
وأقام عنده حتى جهّزه بجيوش ، ثم بعث له بالحلّة المسمومة ، فلما لبسها تقطع لحمه ،  
ومات . فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تبياء حصن السمومل ، فبعث إليه أن  
يعطيه أدراع امرئ القيس وما ترك عنده من المال ، فقال له : إنما أدفع ذلك  
لابنته ولورثته ، فحاصره في الحصن ، حتى أخذ ابناً له صغيراً ، فقال للسمومل إما  
أن تعطيني ماترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر إليه ، فقال له : والله  
لا وفيت له في حياته ، وأعدره بعد وفاته ! اذهب ، فشأنك بابني فافعل به ما شئت ،

فذبجه وهو ينظر إليه ، ولم يرض بالقدر ، فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته ، وقال :

وفيتُ بأدرع الكندي إني إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ  
وقالوا إنه كنز عظيم ولا والله أندر ما حيت<sup>(١)</sup>  
بني لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت

فضرب به المثل في الوفاء<sup>(٢)</sup> . وانظر في الثلاثين ابتداء الحكاية .

(١) موضعه في الأغاني :

وأوصى عاديا يوماً بالأهْدَمِ يا سموعُ ما بنيتُ

(٢) الخبر والشعر في كتاب الأغاني ٦ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

## المقامة الرابعة والعشرون النخوية

حكى الحارث بن همام قال: عَاشَرْتُ بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ ، فِي إِبَاتِنِ الرَّبِيعِ ،  
فَتِيَّةٌ وَجُوهُهُمْ أَبْلَجُ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْهَجُ مِنْ أَزْهَارِهِ ،  
وَأَلْفَاظُهُمْ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ أَسْحَارِهِ .

فاجتليتُ مِنْهُمْ مَا يُزْرِي عَلَى الرَّبِيعِ الرَّاهِرِ ، وَيُغْنِي عَنْ رَنَاتِ  
الْمَزَاهِرِ ؛ وَكُنَّا تَقَاسِمْنَا عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ ، وَحَظْرِ الْإِسْتِبْدَادِ ، وَالْأَيْتَفَرْدِ  
أَحَدُنَا بِالْتِذَاذِ ، وَلَا يَسْتَأْثِرُ لَوْ بَرَّذَاذِ . فَأَجْمَعْنَا فِي يَوْمٍ سَمَاءَ دَجْنَتِهِ ،  
وَنَمَاءَ حُسْنِهِ ، وَحَكَمَ بِالْإِصْطَبَاحِ مُزْنُهُ ، عَلَى أَنْ نَلْتَهِيَ بِالْخُرُوجِ ،  
إِلَى بَعْضِ الْمُرُوجِ ؛ لِنَسْرَحَ التَّوَاظِرَ ، فِي الرِّيَاضِ التَّوَاضِرِ ، وَنَصْقَلَ  
الْخَوَاطِرَ ، بِشِيمِ الْمَوَاطِرِ ؛ فَبَرَزْنَا وَنَحْنُ كَالشُّهُورِ عُدَّةً ؛ وَكُنَّا  
كَدِمَائِي جَدِيمةً مَوَدَّةً .

\* \* \*

عاشرت : صاحبت .

قطيعة الربيع : بلد معروف، والربيع حاجب المنصور ومولاه، وهو [والد] (١)  
الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، وكان أقطع المنصور  
بلداً بالعراق فبناه، وبنى الناس معه، حتى صار فيه عمارات كثيرة، وهي محلة  
قريبة من كرخ بغداد في أعلى غربية بغداد، فُنسبت إلى الربيع .

إبان : وقت . فصل الربيع : الثوار . أبلج : أحسن لوناً وأنعم أنواره :

(١) زيادة من معجم البلدان .

أزهاره ، ونورُ النبات وأنور صار فيه النور ، وأبهج : أحسن لوناً ، والبهجة :  
حسن اللون ونسيمُ السَّحَرِ ريحُه اللينة الباردة ، وفي حديث عن النبي صلى الله  
عليه وسلم : « يقول الله تعالى للجنة كل يوم : طيبى لأهلك فتزداد طيباً » ، فذلك  
«البرِّد الذي تجده الناس بسحر ذلك اليوم .

وقال ابن عمار في نسيم السَّحَرِ على الرياض فأحسن :

ويومٍ لَنَا بالسَّدِّ بين معاطفٍ من النهر تنساب انسياب الأرقام  
بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا هداياه في أيدي الرياح النَّوَامِ  
يبلِّغنا أنفاسه فيردّها بأعطر أنفاس وأذكي لناهم  
تسير علينا ثم عتّا كأنها حواسدُ تمشي بيذنا بالتأمم

اجتليت : نظرت . يزرى : يقصر ، وتقول : زريتُ عليه إذا عبتَ عليه  
حافعل ، وأزريتُ به قصرتُ . الزاهر : الناعم . رنات : أصوات . الزاهر :  
عيدان الفناء . تقاسمنا : تحالفنا . حَظَرُ : منع . الاستبداد : الانفراد بالشيء .  
يستأثر : يختص : رذاذ : أقل المطر ، أى اتفقوا ألا ينفرد واحد بشيء دون  
أصحابه . أجمعنا : عزمنا : سما دجنه : ارتفع سحابه : نما : زاد . الاضطباح :  
شرب الخمر بالسَّحَرِ . مزنه : مطره ، وفي مثل بكورهم يقول عبد الجبار الصقلى (١) :

بادِرْ إلى اللذاتِ وارْكَبْ لها سوابقَ اللّهُو ذواتِ المِراحِ (٢)  
من قبل أن ترشَفَ شمسُ الضَّحَى ريقَ الغوادى من ثُغورِ الأفاخِ

نلتهمى (٣) : نقسلى وتفرج . والروح : المواضع المنخفضة الخصبية ، واحداها

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس ، وشهرته ابن حمديس .

(٢) ديوانه ٨٩ ، وفيه : « باكر إلى اللذات » .

(٣) ط : « انتهى » الصحيح .

مَرَج ، وسمى مَرَجًا ، لأنّ البهائم تخرج فيه أى تسيب . نَسْرَح : نسيب  
 الفواطر : العيون ، وبالضاد واعم الأزهار . واخواطر : الأذهان . شيم المواطر :  
 نظر السحاب . برزنا : خرجنا ، وجعل خروجهم في السحر ، لأن أول النهار  
 أحد أوقات الشرب ، فقال : أول النهار ، ألا ترى الدواء يبكر به ، والمسافر  
 يدليح لحاجته ، لأن العقول أول النهار أزركى ، والفظن أصح ، وقال العَطَوَى :<sup>(١)</sup>

فَبِحَ اللهُ أَوَّلَ النَّاسِ سَنَ الشَّرْبِ ظَهراً مَاذَا أَتَى مِنْ خَسَارِ !  
 مَجْلِسَ مَوْنَقٍ وَكَأْسٍ وَنَدْمَا نَ وَتَأْخِيرَهَا إِلَى الإِظْهَارِ  
 نَكْتَةً فِي السَّرُورِ بَادِيَةِ الشَّ بَيْنَ لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَبْصَارِ  
 إِنْ شَرِبَ النَّبِيذَ سَبْرًا إِلَى اللَّهِ هُوَ وَخَيْرَ الْمَسِيرِ صَدْرُ النَّهَارِ  
 مَا رَأَيْنَا لِنَشْوَةِ الصَّبْحِ شَكْلًا كَنَدِيمِ مَسَاعِدِ وَعُقَارِ  
 وَغِنَاءِ يَفْتَى فِي عَضْدِ الْحَا مَ وَيُزْرَى عَلَى النَّهْيِ وَالْوَقَارِ  
 وَأَحَادِيثِ فِي خِلَالِ الْأَغَانِي كَانْفِتَاحِ الرِّيَاضِ غِبَّ النَّهَارِ

وبعضهم يمدح العَبُوق ، ويذم الصبوح ، وابن المعتز ممن يذهب إلى ذلك -

[ جَذِيمة وَنَدِيْمَاه ]

قوله : كندماني جذيمة ، أى صاحبيه على الخمر ، واسمها مالك وعَقِيل ،  
 وجذيمة ابن مالك بن تيم الأزدي ، وكان ملك أيام الطوائف بشاطيء الفرات  
 وما والى ذلك إلى السواد ستين سنة .

قال ابن السكبي : جذيمة : أول من ملك قُضَاعَةَ بالحيرة ، وأول من حَدَا

(١) ط : « العَطَوَى » ، تصحيف .



للنعال<sup>(١)</sup> وأدليج من الملوك ، ورُفِع له الشمع ، وكان من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأظهرهم حزمًا ، وهو أولُ من استجمع الملك له بأرض العراق ، وغزاه بالجيوش ، وكان به برص ، فكنت العرب عن البرص إعظامًا قتالت له : جَذِيمة الوضاح ، وجَذِيمة الأبرش .

وكان غزا طسماً وجديساً في منازلهم ، فصادف حسان بن تميم ، قد أغار عليهما ، فانصرف جذيمة . وصادفت خيول تبيع سرية له قتلوهم ، فبلغ الخبر جذيمة فقال<sup>(٢)</sup> :

رَبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَـلَمٍ      تَرْفَعَنَّ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ<sup>(٣)</sup>  
فِي فَتْوَى<sup>(٤)</sup> أَنَا كَالثَّمَمِ      مِنْ بِلَايَا غَزْوَةٍ مَاتُوا  
لَيْتَ شَعْرِي مَا أُمَاتَهُمْ      نَحْنُ أُسْرِينَا<sup>(٥)</sup> وَهُمْ بَاتُوا

وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن ، واتخذ صنمين ، وسماها الضيزنين<sup>(٦)</sup> ، ومكانهما بالحيرة معروف .

وغزا إبادا بعين أباغ ، فبعثوا قوماً منهم سرقوا منهم الضيزنين ، وأصبحوا

(١) هذا النعل : قدرها وقطعها ، وفي المعارف لابن قتيبة ٥٥٤ : « وأول من حذا العال جذيمة الأبرش بن مالك ، وهو أول من وضع التنجنيق وأدليج من الملوك ، وورق له الشمع ، وكان ينادم الفرقدين ذهابا بنفسه ، وكان يشرب قدحا ، ويصب لكل نجم قدحا في الأرض حتى نادمه مالك وعقيل .

(٢) وردت أبيات هذه القصيدة في سيبويه ٢ : ١٥٤ وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ والأغاني ١٤ : ٧٣ والمؤتلف للامدي ٣٤ والمزناة ١ : ٥٠٧ ، وفي تاريخ الطبري ١ : ٦١٣ ، ٦١٤ أحد عشر بيتاً ، ونقل عن ابن السكبي قال : ثلاثة أبيات منها حق والبقية باطل .

(٣) أوفيت : أشرفت . والعلم : المرتفع من الأرض . والمعالمات : جمع شمال من الرياح والنون في « يرفعن » تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) ط : « فتون » تصحيف . وفتو : جمع فتى . وكالثمم : حافظهم .

(٥) الطبري : « ونحن أدجلجما » .

(٦) ط : « الضيزنين » تصحيف .

(١٢ - شرح مقامات الحريري ج ٢)

يهما في إباد، فأرسلوا إليه : إن صنميك أصبحا عندنا، زهدا فيك ورغبة فينا ، فأعطينا عهداً ألا تغزونا، ونردّها إليك . ففعل .

وكان بلغه أن غلاماً من تخيم يسمى عدى بن نصر مقيم في أخواله من إباد، وله ظرف ولُبّ وأنه لحسنٌ أن ينادم الملك ، ويقوم بمجلسه . فاشترط على إباد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر، وكان له جمال وظرف ، فدفعوه إليه معهما فضمه إلى نفسه . وكان ينادمه ويسقيه فتعشقتَه رقاش أخت جذيمة ، فبعثت إليه : إذا سقيت أخى واستنشى ، فاخطبني لك ، وأشهد عليه ، ففعل . فلما طرب جذيمة خطبها ، فأنعم عليه ، وأشهد عليه ، فقل له : عرس بأهلك ، ففعل . فلما أصبح غداً على جذيمة مضرّجاً بالطيب ، فقال له : ماهذه الآثار ؟ فقال : آثار العرس ، قال : وأيّ عرس ؟ قال : عرس رقاش ، فأكبت جذيمة على الأرض ، وفرّ عدى ، وطلبه جذيمة فلم يدركه . وقيل : ظفّر به . وقال لرقاش :

حدّثني رقاشُ لا تكذّبيني      أبحرَ زنيّتِ أم بهجينِ  
أم بعبديّ فانت أهلٌ لعبدي      أم بدونٍ فانت أهلٌ لدونِ

حقّالت له :

أنت زوجتني وما كنتُ أدري      فأتاني النساءُ للتزيينِ  
ذاك من شربك المدامة صِرْفاً      وتماديك في الصبا والمجونِ

فحبسها في قصرها، فاشتملت على حَمَلٍ<sup>(١)</sup> فانت بغلام ، وسمته عمراً ، وربّته حتى ترعرع ، فحمله وعطرته وألبسته كسوة مثله ، ثم أزارته خاله فأعجب به ، وألقى عليه محبته، وخرج جذيمة في سنةٍ قدأ كُتات، وبُسط له في روضة، وعمرو

(١) الطبري : ١ : ٦١٥ : « على حبل »

مع غلطة يجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو ، خبأها ثم أقبلوا يتعادون<sup>(١)</sup> وعمرو يقدمهم ، ويقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كَلَّ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فالتزمه جذيمة ، وحل منه بمكان . ثم إن الجن استهوته<sup>(٢)</sup> ، فطلب زماناً ، وأرسل فيه في الآفاق ، فلم يجد له خبراً . ثم إن عمراً أوفى على مالك وعقيل ابني فارج بن مالك بن كعب بن التيس بن حمير بن قضاة ، وقد نزلا منزلاً ، وهما متوجهان إلى خاله جذيمة ، ومعهما قينة ، يقال له أم عمر ، وهي تغنيهما وتسقيهما ، فرأت عمراً وقد تلبّد شعره وطالت أظفاره ، وسامت حاله ، فاحتقرته فرمت إليه بكرأع<sup>(٣)</sup> من طعامها ، وناولتهما ، وأوكأت زقماً ولم تناول عمراً شيئاً ، فقال عمرو :

صَدَدَتِ الْكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مُجْرَاهَا الْيَمِينَا<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا شَرَّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَا  
 فَمَا شَرِبَ الشَّرَابَ كَمَلَّ عَمْرٍو وَمَا نَالَ الْمَكَارِمَ فَاصْبِحِينَا  
 فَإِلَّا تَنْسَكِرِي عَمْرًا فَإِنِّي أَنَا ابْنُ عَدِي حَقًّا فَاعْرِفِينَا  
 وَخَالِي لَا أَبَالِكِ ذُو الْمَعَالِي جَذِيمَةَ كَيْفَ وَيَحْكُ تَنْكِرِينَا!

فقال له : من أنت يافتي ؟ قل : أنا عمرو بن عدى ، فضمّاه إليهما ، وغسلا رأسه ، وأخذنا من شعره . وقلنا أظفاره ، وألبسناه بفض الثياب التي كانت معهما ، وقالوا : ما كنا نهدى جذيمه أنفس من ابن أخته ، ثم وردنا به على جذيمة فسر به سروراً شديداً ، وقال : لهما تمنّيا ، فسألاه أن يكونا نديميه ماعاش وعاشا ،

(١) تمادى القوم ، أى تباروا في العدو .

(٢) استهوته الجن ، أى ذهبت بهواه وعقله .

(٣) الكراع : مستدق الساق من البقر والغنم .

(٤) البيتان الأولان ينسبان لعمرو بن كاثوم ؛ وهما في مطلقته ص ٢١١ - بشرح التبريزي

فنادماه أربعين سنة ، ما أعادا عليه حديثاً ، فضرب بهما المثل في تأكيد الألفة ،  
ونال مالك بن نويرة في مالك :

وكنّا كندمانى جديمة حقبّة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا<sup>(١)</sup>  
فلما تفرقنا كآنى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً  
ومتّمت بهما عائشة رضى الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن .

وقال أبو خراش الهذلي يرثى أخاه :

تقول أراه بعد عروّة لاهياً وذلك رزء لو علمت جليل<sup>(٢)</sup>  
فلا تحسبى أن قد تناسيت عهدَه ولكن صبرى يا أميم جميل  
ألم تعلمى أن قد تفرّق قبلنا خليلاً صفاء : مالك وعقيل

وغزا جديمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميذع الممليقي من العماليق ،  
ومنهم قوم من حمير . وكان ملك الجزيرة وملك الحضرم ، وهى مدينة قديمة بين دجلة  
والفرات ، فهزم جديمة جيوش عمرو وقتله وفرّق جموعه ، وقال فى ذلك شاعرهم :

كان عمرو بن براق لم يكن ملكاً ولم تكن حوله الرايات تخنق<sup>(٣)</sup>  
لاقى جديمة فى شعواء متعلّية فيها حراشيف بالنيران ترتشق

[ الزباء ]

فلكت بعمه الزباء ابنته واسمها نائلة .<sup>(٤)</sup>

قال ابن الكلبي : ولم يكن فى عصر الزباء أجمل منها جمالا ، وأكل

(١) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٥ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٢١٦ .

(٣) البيتان فى تاريخ الطبرى ١ : ٦١٨ بنسبتهما الى الأعور بن عمرو بن هناة بن

مالك بن فهم الأزدي وفيه : «عمرو بن تربي» .

(٤) خبر الزباء وجديمة فى كتاب المغتالين من الأشراف ١١٢ - ١١٥ .

جنها كالا ، وكان لها شعر إذا مشت يتدلى وراءها ، وإذا نشرته جلها ، فسُميت الزباء . لكثرة شعرها ، فجمعت خيل أبيها وغزت بالجيوش مَنْ حوالها من الملوك ، فذلّتهم ، فضرب بها المثل فقيل : أعزّ من الزباء ، واشتهر عنها علوّ الهمة ، وسموّ القدرة ، وقوّة المتعة ، ومضاء العزم ، وبذل الأموال . فلما استحکم مُلكها أرادت أن تغزوّ جذيمة لتُدرك فيه ثأر أبيها ، فهتبا أختها زبيبة عن ذلك . وقالت : لا طاقة لك به ، ولكن ابني أمرك فيه على المكر والحيل . فبهتت إلى جذيمة تحطبه على نفسها ، ليتصل ملكه بملكها ، فيصيرا بذلك أعزّ الملوك . وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه في الظفر بها . فاخبر أرباب دولته بمخاطبتها إياه ، فكلّمهم أشار عايه أن يتزوّجها ، إلا قصير بن سعد<sup>(١)</sup> بن عمرو . وكان ليدياً عاقلاً له زم وحزم ، وكان خازنه وعميد دولته . فإنه قال له : هذا رأى فاتر ، لأن الزباء قتلت أباه والدم لا ينام ، ولك في بنات الملوك الأكفاء متسع ، فقال له الملك : إنّ النفس إلى ما تحبّ تواتقة ، وإن كان القدر قد جرى بشيء فلا مفرّ عنه .

وكتبت إليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح ، وقالت له : لولا أن اسمي في مثل هذا للرجال أجل ، ولهم أزم ، لسرتُ إليك . وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والأموال والذهب هدية سنوية ؛ فلما وصلت أبهجته ، وحسب أن ذلك لفرط رغبها فيه ، فشاور قومه وابن أخته عمرا ، فشجعوه على السير إليها ، واستخلف عمراً على ملكه ، وسار في خواصّه حتى نزّلوا بالقرضة ، فشاور خواصّه وقصيرا في الجلة ، فأشاروا عليه بالسير إلا قصيرا ، فإنه قال : أيها الملك كلّ عزم لا يؤبّد مجزم فأخره إلى فساد ؛ ولولا أن الأمور تجري على المقدور ، لعزمت على الملك ألا يفعل ، فقال جذيمة : الرأى مع الجماعة ، فقال قصير : أرى القدر سابق الحذر ، ولا يطاع لقصير رأى . فلما قرب من ديارها أرسل إليها يعلمها

(١) ط : « سعد » - تحريف .

بموضعه ، فأظهرت السرور به ، وأخرجت له هدايا وأنواعا من الأطعمة والأشربة ، فقال لقصير : كيف ترى ؟ فقال قصير : مَنْ لم ينظر في العواقب لم يأمن المصائب ، فاستدرك الأمر قبل فوته ، وارجع فإن في يدك بقية تستدرك بها الصواب ، وإن كنت لا بدت فاعلا فإن القوم إن تلقوك غداً يجيء قوم ويذهب قوم ، فالأمر في يدك ، وإن تلقوك صفةً فإذا توسطتهم وأحدقوا بك ، فقد ملكوك ، وهذه العصا — وهي فرس لجذيمة تستبق الطير — فسأعرضها لك فأركبها لتسلم عليها ، فإنه لا يشق غبارها ، فأرسلها مثلاً .

فلما كان غد لقوة صفين ، فلما توسطتهم انقضوا عليه ، فقال لتصير : صدقت فما الرأي ؟ فقال له : بقية تركت الرأي ، وهذه العصا ، اركبها ، فشعلته الأمر عنها . فلما رأى قصير الجيوش نسير بجذيمة أعطى العصا عنانها ، فهوت به هوى الريح ، فتناول إليه جذيمة ينظره ، فقال : ويل له جذيمة ؛ فجرت به إلى غروب الشمس .

— قال الأصمعي رحمه الله تعالى : لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلاً ، ثم وقفت فبالت ، فبني على الموضع بُرج يسمى برج العصا — وأشرفت الزباء من قصرها تنظر إلى جذيمة ، وهو يساق ، فقالت : ما أحسنك من عروس يزف إلى ! فدخلوا به إليها ، وحوها ألف وصيفة ، لانتشبه واحدة صاحبتهما في خاق ولازى ، وهي بينهن كالقمر حفت به النجوم ، فأمرت بالأنطاع فبسطت ، وقالت للوصائف : خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن ، فأجلسنه على الأنطاع ، ففعلن به ذلك ، ثم كشفت له عن شعرتها <sup>(١)</sup> ، فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها ، فقالت له : يا جذيمة أشوار ذات عروس ؟ قال : بل شوار بظراء تقلة ، وأمر غدر قد بلغ المدى <sup>(٢)</sup> ، فقالت : والله ما ذاك من عدم المواس ، ولكنها شيمة أناس .

(١) الأشعران : جانب الفرج ، وفي ط : « شعرتها » .

(٢) في المتناين : فقالت : يا جذيمة ، أذات عروس ترى ، قال : بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى .

ثم أمرت به فسقى بالخر حتى أخذت فيه ، وكانت الملوكة لا تضرب أعناقها إلا في الحرب (١) ، ثم أمرت أن تقطع رواهش (٢) ، وقالت : تحمظن بدمه ، لأنه إن قطرت من دمه قطرة في غير الطشت طلب بدمه ، فجرى دمه في طشت ذهب ، فلما ضعفت يداه سقطتا ، فقطرت على النطع من دمه قطرات ، فقالت : لا تضيّعوا دم الملوكة ، فقال لها « لا يحزنك دم ضيعة أهله » ، فذهبت مثلاً ، فقالت : إن دماء الملوكة شفاء من الكلب ، والله ما وقي دمك ولا سني قتلك ، ثم أمرت به فدفن .

وكان عمرو بن عدى يخرج كل يوم لبعض الحيرة ، يستطلع أمر خاله ، فنظر يوماً إلى فارس قد أقبل ، فأشرف عليه قصير ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال له : سعى القدر بالملك إلى حتفه ، فاطلب بثأره ، فقال عمرو : وأى ثأر يطلب من الزبا ، وهي أمتع من عقاب الجوّ ! فقال قصير : والله لأنام عن طاب دمه ملاح نجم ، فاجدع أنفي واضرب ظهري ، ودعني وإياها . فقال عمرو : ما أنت لذلك بأهل ، وقد علمت نصحك لخالي . فقال : خلّ عني إذا ، فجدع أنفه وخلق بالزبا ، فقالت : ما جاء بك ؟ فأشار بظهره وأنفه . فقالت العرب : « لأمر ما جدع قصير أنفه ! » فقالت : يا قصير ، بيننا دم خطير ، فقال : يا ابنة الملوكة العظام لا تثار ولا قود ، ولقد أتيت فيه على ما يأتي مثلك في مثله ، وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو . فإنه علم أني أشرت على خاله بالحجاء إليك ، فجدع أنفي وأذني ، وأوجع ظهري ، وحال بيني وبين مالي وولدي ، فاستجرت بك لعلني أتى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك ، فقالت له : أهلاً وسهلاً . وكان يبلغها من رأيه وحزمه - فاحتمته وأنزله واصطفته ، فلما وثقت به ، أخذت تستشيره في أمورها . فقال لها يوماً : إن عمرا يطلبك بخاله ، والرأى أن تتخذى نفقا لعلك محتاجين إليه ، فقالت له :

(١) بعدها في جمع الأمثال : « تكرمهم لهم » .

(٢) الرواهش : « عروق ظاهر الكف » .

إني قد آتخذته تحت سريري ، وخرجت به تحت سرير أختي - وكان الفرات يشق بين قصيريهما - فأظهر لها السرور ، ثم قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة تصلح بالملك فإن جهزني بمال للتجارة ، توصلت فيه إلى أخذ تلك الذخائر ونقلها إليك ، فجهزته . فاحتال حتى وصل إلى عمرو ، فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والأسلحة ، فرجع بها ، فلما تحققت نصحه ، أرسلته إلى العراق ثالث سفرة ليضرب لها بها عدة من السلاح ، ويشترى لها خيلاً وعبداً لتجهز جيشاً إلى من حوالها من الملك ، فمشى فيما أمرته به ، وتوصل إلى عمرو ، وقال : قد أصبت الفرصة من الزباء ، فقال عمرو : قل أسمع ، ومرأفعل ، فأنت طيب هذه القرحة ، فقال : الرجال والمال ، فقال : حكمت فيما عندي مسأط ، فعمد إلى أني رجل من أهل القتال ، وجعلهم في غرائر سود ، وجعل سلاحهم السيوف والحجف<sup>(١)</sup> ، وجعل رهوس الفرائر مربوطة من داخلها ، وجعل عمراً في الحملة ، وساق الخيل والبيد ، فلما قاربها بعث إليها البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به ، فسألت عن العير أين نزل ؟ فقيل لها : بالغويرة - وكانت تنظره من غير طريق الغوير - فقالت : عسى الغوير أبوسا ، وتقدم قصير ، فدخل عليها فبشرها ، فرقيت سطحاً عالياً لتتنظر بحجى الإبل ، فنظرت قوائمها تسوخ في الأرض لما عليها من الأثقال ، فقالت : يا قصير :

ما للجمال مشيهاً وبيداً      أجنلاً يحملان أم حديداً !  
أم صرّافاناً<sup>(٢)</sup> بارداً شديداً      أم الرجال جُثمًا قعوداً

وكانت قالت لجواريتها : إني أرى الموت الأحمر في الفرائر السود ،

فذهبت مثلاً

فدخلت الجمال المدينة ، فحسّ بواباً بمحصرة في يده غرارة على آخر بعير ،

(١) الحجف : بالتحريك : التروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

(٢) الصرّافان . تمر رزين صلب .



فأصاب الخحصرة خاصرة رجل فضرط فصاح: الشرّ الشرّ ، فأظهروا علامة كانت بينهم ، فخلّوا رموس الجوالق ، فخرج منها ألفا دارع بألني سيف ، فصاحوا: بالثأر الملك المقتول غدراً ! وهربت الزباء تطلب النفق إلى تحت الفرات ، فسبق عمرو إلى بابه مع قصير ، وكانت صورة عمرو مصورة في جانبها ، فعندما رأته عرفته ، وكانت جعلت تحت فصّ خاتمها سمّ ساعة فصّت الفصّ ، وقالت : ييدى لا بيد عمرو . فسقطت ، وعمرو وقصير يضربانها بالسيف ، فماتت بين السم والسيف ، فاستباحوا بلدها بما فيه ، واستولى عمرو على مملكتها . واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه ، وتوارثها بنوه واحدا واحدا إلى النعمان بن المنذر ، وهو الذي أدرك زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى ، وهو آخرهم ، وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام . وقال ابن دريد :

وسيفُ عمرو أستعلتْ به همتُهُ      حتى رمى أبعدَ شأو المرتَمَى<sup>(١)</sup>  
فاستنزل الزباء قسراً وهي من      عقاب لوح الجوّ أعلى منتهى

\*\*\*

إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت ، وتنوعت أزاهيرها وتلوّنت ،  
ومعنا الكميّ الشّموس ، والسقاة الشّموس . والشادي الذي يطربُ  
السّامعَ ويُدبّيه ، وَيَقْرَى كُلَّ سَمْعٍ ما يشتهيه . فلما اطمان بنا  
الجلوس ، ودارت علينا الكئوس ، وَعَلَّ عَلَيْنَا ذِمْرٌ ، عَلَيْهِ طِمْرٌ ،  
فتجهمناه تجهم النعيد الشيب ، ووجدنا صفو يومنا قد شيب .

\*\*\*

[ فصل في الرياض والبساتين وبعض ما ورد فيها من الشعر ]

قوله : إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت .

نريد أن نصل باب الرياض والبساتين، إذ هي جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة، ولم تمتاز بها الكلفة، مع بديع أزهارها التي سماها الله سبحانه وتعالى زينة، وزخرفاً فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ﴾، وأن نجتني فيه بعض ما قالت العرب، ونقلته الرواة من الشعر المستحسن، والتشبيه المشاكل، فإن جُلَّ النفوس مستأنسة به ونازعة إليه، ومرتاحة لذكراه، ومشتاقة إلى زمانه، ولا تكون الرياض موقفة، والأزهار مشرقة، إلا في اعتدال الزمان، وجدّة الأيام، وهي إذا حلت الشمس في برج الحمل، كما قال الحسن:

أما ترى الشمسَ حلتَ الحملَ      وقام وزنُ الزمانِ واعتدلاً (١)  
فاشرب على جدّة الزمانِ وقد      أصبح وجهه الزمانِ مقتبلاً  
وغنت الطيرُ بعد عجمتها      واستوفت الحمرُ حولها كَملاً

قال الأصمعي رحمه الله تعالى: سألت أعرابياً عن الفيث، فقال: عمّلت الحياض، وأشرفت الرياض، وأخرجت الأرض زخرفها، وأنبتت من كل زوج بهيج.

وقيل لأعرابي: أي شيء رأيت أحسن؟ فقال الأعرابي: ظباء راتعة، في رياض يانعة، وانشمس طالعة.

وقيل لآخر: صف لنا الربيع وأوحز، فقال: هو صديق النفس بريحانه، ومليك الطرف بريعانه، مع أنه أشكل بالشبيبة، وباعث الشهوة البعيدة.

وقال إبراهيم بن السدي: خرجت أريد نزهة نهر الأبلّة مما يلي كاظمة تميم وقصر معبد، حتى غورت في مبنى أتخيل الرياض، وأجيل ناظري في مساقط الفيث، حتى دفعت إلى أعرابي عند روضة غناء، عميم نبتها، زاهر نورها، يطيف بها، قلت: يا أعرابي، أحسن عندك ماترى؟ فقال: كلاً والله، سماء

مظلة وأرض مقلّة، تضحك هذه عن بكاء هذه ، فاشتت من درّة بيضاء ،  
وياقوتة حمراء ، وزمردة خضراء ، قد نظمتها أيدي المزن في نحور الصعيد .

وقال يزيد بن ماهان الأومى : أتيت أرضَ السماوة في أنفٍ<sup>(١)</sup> من الربيع ،  
وقد اكتهل النبت ، فلما جرتُ ساحةَ الحىّ دفعتُ إلى جوار كأنهنّ دُمى  
العاج ، يمشن كقضيب البان ، وبين أيديهنّ روضة مشرقة ، وهنّ يَطْفُنَ بها ،  
ويهنّ الولوج فيها . فقلت : مالكنّ لا تلجن الروضة ، فهى أوطأ لأفدامكنّ ،  
وأقرب لإثارة أرجها من أنوفكنّ ؟ فقالت إحداهن : أحرام عندك أن يطاء  
بعضنا خدود بعض ؟ قلت : بلى والله ، قالت : فوجه الأرض أحقّ بالتحريم أن  
يحصد أو يُتوسّد .

وبعث الحجاج إلى عبد الملك بجاريتين ، وكتب إليه : هما عندي بمنزلة  
روضتين من رياض السماوة ، جاد الربيع أوله وآخره عليهما ، فاعتمّ نبتهما ، ونور  
زهرهما ، وحسن منظرهما ، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين بهما مباركاله فيهما .  
وقد ذكرت الشعراء الغيث والرياض بألفاظ مستحسنة ، ومان مستظرفة ،  
وتمثيل رائع ، وتشبيه رائق ، يبعث السرور ، وينقى لوعة المحزون ، ويجلب أريحية  
الفتوة والشباب ، فنذكر هنا من محاسن أشعارها ولطائف مذاهبها في ذلك ما ترجو  
به أن يبقى بالعرض الذى قصده وضمّنه الحريرى صدره هذه المقامة ونواقعه ، ونشرح  
منزعتها الشريف في ذلك ونحقّقه إن شاء الله تعالى .

أنشد السيرافى رحمه الله تعالى يصف روضة :

نضّاحة تملأ العينين بهجتها      فيحاء حُفّت بأنواع الرياحين  
في ظل آس وجرجير ونرجسية      وسوسن زان وردا بين نسرين  
وكزومة ذات أعنابٍ مذلة      من كلّ أقطارها تحت الأفانين

(١) أنف الربيع : أوله

شَبَّهَتْ فِيهَا العِناقِيدَ الَّتِي بَقِيَتْ  
فِتَارَةً مِنْ يِواقِيتِ مَنْصُذَةٍ  
فَعِينِهَا عَـدَقٌ وَمَاؤُهَا غَبِيقٌ  
فِيهَا زِرابِيٌّ قَدْ بُثِّثُ مَلَمَعَةٌ

فعارضه حسن الكوفي، فقال:

كَأَنَّهَا كاعِبٌ حَسَناءُ أبرَزَها  
تَبَرَّجَتْ لِتَرِوقَ النَّاسِ بِهَجَّتِها  
والأَيْكِ مائِلَةٌ الأَعْصانِ زائِدَةٌ  
إِذا الرِّخاءُ جَرَتْ فِي نَوْرِها لَفِظَتْ  
كَأَنَّما أَلْبِستُ أكامِها حُللاً

وقال علي بن الجهم:

لَمْ يَضْحَكِ الرُّوضُ إِلا حِينَ أُعْجِبَهُ  
بِدا فَأَبَدَى لَنَا دُنْيا مَحاسِنِها  
ما قابَلْتُ قُضْبَ الرِّيحانِ طَلَعَتَهُ  
بِينَ النَّدِيمِينَ وَالْحَلِيقِينَ مَسْرَعَةً  
فَبادِرَتُهُ يَدَ المِشْتاقِ تَسُنُدُهُ  
لا عَذَبَ اللهُ إِلا مَنْ يَمُدُّهُ

وقال البحتري:

سَقَى الغَيْثُ أَكْنافَ الحَمَى مِنْ مَحَلَّةٍ  
إِلَى الحِمْقِ مِنْ رَمْلِ اللُّوى الْمُتَفاوِدِ<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه ٨٩، ٩٠.

(٢) ديوانه ٦٢٣. والحقف . المروج من الرمل . واللوى : ما التوى منه .

ولا زال مخضراً من اللون يانع<sup>(١)</sup>  
 يذكر ناروياً<sup>(٢)</sup> الأعبة كلما  
 شقائق يحملن الندى فكانه  
 ومن لؤلؤ كالأقحوان منظم  
 وقال أيضاً :

وكانّ الحوادث والأقحوان الـ  
 قطرات من السحاب وروض  
 وقال أيضاً :

وقد نبّه النوروز في غسق الدجى  
 ومن شجر ردد الربيع لباسه  
 وقال الحسن بن وهب :

طلعت أوائل للربيع فبشّرت  
 وغدا السحاب يكاد يسحب في الثرى  
 يبكي فيضحك نورهن ، فياله  
 وترى السماء إذا أجدّ ركابها  
 وترى الغصون إذا الرياح تارّجت  
 ولأبى زرة الدمشقي :

وقد أخذت زهر الرياض حليها

عليه بمحمر من النور حاشد<sup>(٣)</sup>  
 تنفس في جنح من الليل بارد  
 دموع التصابي في حدود الخرائد  
 على نكت مصفرة كالفرائد

فضّ نظمان : لؤلؤ وفريد<sup>(٤)</sup>  
 نثرت وردها عليه الخدود

أوائل ورد كن بالأمس نوما<sup>(٥)</sup>  
 عليه كما نشرت برداً متنمنا

نور الرياض بمجدّة وشباب  
 أذبال أسحم حالك الجلباب  
 ضحكا تحسر عن بكاء سحاب  
 فكانما التحفت جناح غراب  
 ملنقة كتعائق الأجاب

وألبست الأرض الفضاء الزخارف

(١) الديوان : مخضر من الروض .

(٢) الديوان : « حاسد » .

(٣) الديوان : « ريا » .

(٤) ديوانه ٧٢٢ ، ٧٢٣ .

(٥) ديوانه ٢٠٩٠ .

لُجَيْنٌ وَعِثْيَانٌ يَرُوقُ وَجَوْهَرٌ  
تَهَادَى التَّلَاعُ الْغُورُ مِسْكَاً وَعَنْبَرًا  
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الدَّمَامَةِ يَبِينُهَا  
تَوَلَّفَهُ أَيْدِي الرِّبْعِ اللَّطَائِفُ  
تَوْدِيهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْعَوَاصِفُ  
مِنَ الْمَنْظَرِ الْأَعْلَى ظَبَاءَ رَوَاعِفُ

ولبكر بن حماد :

فَسَقِيًّا لِأَيَّامِنَا الذَّاهِبَاتِ  
وَهَذَا الرِّبْعُ وَرَبْعَانُهُ  
يَذْكُرُنِي الْوَرْدُ جَمْرَ الْخُدُودِ  
وَسَوَّسَنهُ صَحْنِ خَدِ الْفَتَا  
وَنَشْرُ الرِّيحِ رِيحَ الْحَبِيبِ  
يَجُودُ بِهَا الطَّلُّ وَشَى النَّبَاتِ  
لَقَدْ فَارَقْتَنَا بَصْفِ الْهَوَى  
يَجِدُّ عَهْدًا لَهَا قَدْ مَضَى  
وَأُنْمَسَ الشِّفَاهُ إِذَا مَا بَدَا  
وَإِذَا بَرَزْتَ لِحَبِّ أُنَى  
تَبَاعَدَ مَوْعِدُهُ أَوْ دَنَا  
وَيَنْظُمُهُ بِاللَّيْلِ النَّدى

ولحمد بن يزيد :

وَرَوْضَةٌ صَنَفَ النَّوَّارِ جَوْهَرُهَا  
كَأَنَّ مَا تَجْتَنِيهِ مِنْ زَخَارِفِهَا  
مَا انْفَكَّ لِلْعَيْنِ فِيهَا أَعْيُنٌ ذَرْفُ  
حَتَّى كَأَنَّ أَفَانِينَ النَّبَاتِ بِهَا  
كَأَنَّ غَدْرَانِهَا بِالرَّوْضِ مَحْدَقَةٌ  
فِيهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ حَسَنِ وَمِنْ طَيِّبِ  
أَخْلَافُ مُسْتَحْسِنِ الْأَخْلَاقِ مَحْبُوبِ  
تَبْكِي بَدْمَعٍ مِنَ الْأَنْوَاءِ مَسْحُوبِ  
عَلَى الْمِيَادِينِ أَلْوَانُ الْيَعَاسِبِ  
تَجْبِيرُ ثُوبٍ مِنَ الْمَوْشِيِّ مَخْضُوبِ

وقال كشاجم :

إِلَى الرُّوْضِ الَّذِي قَدْ زَيْنْتَهُ  
بِكَيْنٍ عَلَيْهِ فَابْتَهَجَتْ رُبَاهُ  
شَايِدُ السَّحَابِ بِالْبَكَاهِ  
تَبَاهَى فِي زَخَارِفِ نَسِجِ مَاءِ

كَانَ الْأَقْحَوَانُ بِجَانِبَيْهِ ۖ عِذَارِي يَبْتَسِمَنَّ مِنَ الْحَيَاءِ

وقال ابن الرزاق :

وَحَدَائِقِ خُضْرِ الْمَعَاطِفِ أَلْبَسَتْ ۖ مِنْ حَسَنِ بَهْجَتِهَا ثِيَابَ زَبْرُجَدٍ (١)  
جَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَضَلَّ رَدَائِمَهَا (٢) ۖ فَيُرَى زَبْرُجَدُهَا تَحْتَ الْعَسْجَدِ

وقال أيضاً :

وَرَوْضَةِ عَاطِرٍ بِنَفْسِجُهَا ۖ عَطَّرَهَا وَشَيْئَهَا وَسَنْدُسُهَا (٣)  
لَمَّا غَذَّتْهَا السَّحَابُ دِرَّتْهَا ۖ مِنْ فَوْقِ حَوَازِنِهَا وَرَجْسِهَا (٤)  
خَافَ عَلَيْهِ الْغَمَامُ حَادِئَةً ۖ فَسَلَّ سَيْفَ الْبَرَقِ يَحْرُسُهَا

وقال أيضاً :

نَشْرُ الْوَرْدِ فِي الْغَدِيرِ وَقَدْ دَوَّحَهُ بِالْهَبُوبِ نَشْرُ الرِّيَّاحِ (٥)  
مِثْلَ دَرَعِ الْكَمِيِّ مَزَقَهَا الظَّفَنُ فَسَالَتْ دِمَاهُ بِجِرَاحِ

وقال أيضاً ،

وَقَزَازَةَ زَرْقَاءِ رَاقٍ صَفَاؤُهَا ۖ قَدْ ضَمَّ زَهْرَ الْجَلَنَارِ رَدَاؤُهَا (٦)  
فَاعْجَبَ لِرَاحِ كَأْسُهَا مِنْ فِضَّةٍ ۖ مَا إِنْ تَسِيلُ وَقَدْ يَسِيلُ إِنْ أَوْهَا

(١) ديوانه ١٤٠

(٢) الديوان : « زرت عليه الشمس »

(٣) ملحق ديوانه ٢٩٤

(٤) في الأصول : « حوادتها » ، والمثبت من الديوان . والمخوذان : تبت .

(٥) ديوانه ١٣٠ ، وفيه : « وقد درجه » .

(٦) ديوانه ٢٨٢ .

ومن ملح الأدباء وما تصرفوا به في الأنوار ما كتب به أبو دلف إلى  
ابن طاهر يعاتبه :

إخاؤكم كالورد ليس بدائمٍ ولا خير فيمن لا يدومُ له عهدٌ<sup>(١)</sup>  
وعهدى لكم كالآس حسناً وبهجة له ورق خضر إذا فنى الوردُ

فأجابه ابن طاهر :

وشبّهت ودَى الورد فيما تدمّه وهل زهرة إلاّ وسيدّها الوردُ<sup>(٢)</sup>  
إخاؤكم كالآس مرّ مذاقّه وليس له في الريح قبل ولا بعدُ

ولم يأت أحد بأخبث من تشبيه ابن الرومي في ذمّ الورد :

كأنه مُرمٌ بغسل حين أبرزه بعد الخراء وباقي الرّوث في وسطه<sup>(٣)</sup>

وقال أبو الشيص :

يامن تجلّى بريحانٍ ينادمه من بين ورد وخيرى ونسرين<sup>(٤)</sup>  
وياسمين وعودٍ ما يفـيـره ما كان أحسن ذا لو لم يكن دوني

وقال أبو العلي الطائي :

كأن عيونَ النور زَيْنٌ بالندى عيونٌ ترسلن الدموع على عدلى

وقال أيضاً :

ترى للندى فيه مجالا كأنما نثرن عليه لؤلؤا فتبدداً

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٩٢

(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٩٣

(٣) نهاية الأرب ١٠ : ١٩٢ ، وقبله :

مادح الورد لا تنفك عن غلطٍ ألسنتَ تنظُرُهُ في كفٍّ ملتقطه



قوله : حديقة ، أي بستان . زخرفها ، أي زينتها . تنوّعت أزهارها :  
اختلفت أنواع أزهارها .

وهذه الحديقة التي ذكر من حسنها، مثل البستان الذي دخله عروة بن الزبير مع عبد الملك بن مروان - وكان عروة معرضاً عن الدنيا - فحين رأى في البستان الوصف الذي ذكر الحريري قال : ما أحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه ، لأنه يؤتى أكله كلّ عام وأنت تؤتى أكلك كلّ يوم ، وكان عبد الملك يحب عروة ويعظمه، على ما بين الزبيرية والمروانية من التباعد .  
وقال لابن شهاب حين وفد عليه : عند من طلبت؟ قال : عند سميد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب ، فقال عبد الملك : فأين أنت من عروة بن الزبير! فإنه بحر لا تسكدره الدلاء . قال ابن شهاب : فلم أبارح عروة بعد حتى مات .

قال ابن وكيع في وصف ما ذكره الحريري :

ألست ترى وشيَ الربيع تنمنا	وما صنع الربيع فيهِ ونظماً <sup>(١)</sup>
وقد حكّت الأرض السماء بنورها	فلم أر في التشبيه أيهما سما
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه	وأنوارها تحكي لعينيك أنجماً
فمن نرجسٍ لما رأى حُسنَ نفسه	تداخله عجب به فتبسّماً
وأبدى على الورد الجنى تطاولاً	وأظهر غيظ الورد في خده دماً
وزهرٍ شقيق نازع الورد فضله	فزاد عليه الورد فضلاً وقدماً
فظل لفرط الحزن يلطم خده	فأظهر فيه اللطم جراً مضرماً
ومن سوسنٍ لما رأى الصبغ دونه	على كل أنواع الرياض تقسماً
تجلبب من زرق اليواقيت حلة	فأغرب في اللبوس فيها وأحكما

(١) ديوانه ٩٢ ، ٩٣ ، يتيمة الدهر ١ : ٣٣٦ .

(١٣) - شرح مقامات الحريري ج ٣

وأَنوارٍ منشورٍ يخالفُ شكلُها  
جواهر لو قد طالَ فيها حياهُها  
وقالو أبو بكر البهويّ :

وروضةٍ باتَ طَلَّ الغيثُ ينسجُها  
يسكي عليها بكاء الصبِّ فارقه  
إذا تنفّس فيها ربيعُ سوسنِها  
أقول فيها لساقينا وفي يديه  
لا تمزجُها بغير الريق منك فإنّ  
أقلّ ما بي من عينيك أنّ يدي  
وقال الوزير المهلبيّ :

الورد بين مضمخٍ ومضرجٍ  
طلع النهار فلاح نور شقائقي  
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا  
فكان يومك في غلالة فضةٍ  
وقال السري :

وحديقة يُنسيك وشي بُرودها  
يجرى النسيم خلالها فكانما  
طارت قلوبُ الحبل تحقّقُ بينها  
طارت عقيقة بركة فكانما  
حتى تشبها سبائب عبقرِي<sup>(١)</sup>  
غُمستُ فضولُ رداها في العنبرِ  
بحقوق رايات السحاب المطرِ  
صدعتُ ممسك غنيمه بمصفرِ

(١) ديوانه ١٠٩، القيمة ٢: ١٥١

وقال السّلامى :

نَسَبُ الرِّبَاضِ إِلَى الغمامِ شَرِيفُ      وَمَحَلُّهَا عِنْدَ النِّسِيمِ لَطِيفُ<sup>(١)</sup>  
 أَوْ مَا تَرَى طَرَفَ البَرُوقِ تَوَسَّطُ      أَفْقًا كَأَنَّ المِزْنَ فِيهِ شَنُوفُ<sup>(٢)</sup>  
 وَاليَوْمُ مِنْ حَجَلِ الشَّقِيقِ مُضَرَّجُ      حَجَلٌ وَمِنْ مَرَضِ النِّسِيمِ ضَعِيفُ  
 وَالأَرْضُ طَرَسُ وَالرِّبَاضُ سَطُورُهُ      وَالأَزْهَرُ شَكْلٌ بَيْنَهَا وَحُرُوفُ  
 فَأَدِرْ سَقِيَتِ الرِّىِّ جَامَكَ إِنَّهُ<sup>(٣)</sup>      يَوْمٌ عَلَى كَبِدِ الزَّمَانِ خَفِيفُ

قوله : الكميّة ، يعنى الحمر . الشّمس : التى فيها حدّة . والشّمس :  
 السّقاة الذين وجوههم كالشمس ، وللّسلامى فى ذلك :

وَظَبِيَّةٌ مِنْ بَنَاتِ الأَنْسِ فِي يَدِهَا      وَوَجْهَهَا لِلصَّبَا وَالْحَسَنِ خَاتامُ<sup>(٤)</sup>  
 قَدْ حَلَّتْ لَوْلُؤُ الأَزْرَارِ عَنِ دُرِّرٍ      لَهْنٌ فِي ثَغْرِهَا النِّفْضَى أَتوامُ<sup>(٥)</sup>  
 وَزَارَتْ الأَرْضَ مِنْهَا مَقْلَتَانِ لَهَا      وَحَشِيَّتَانِ وَعَذْبُ الرِّبْقِ بَسَامُ  
 وَالكَأْسُ لِلسُّكْرِ التَّبْرِىِّ صَانِعَةٌ      وَالماءُ لِلحَبِّبِ الدَّرِّىِّ نِظَامُ  
 بِنْتًا نَكْفَكُفَ بالكَاسَاتِ أَدْمَعْنَا      كَأَنَّنا فِي حُجُورِ الرِّوَضِ أَيْتَامُ

وهذه أشعار غريبة عجيبة ، ولابن سكرة فى ذلك :

اشرب فى اليومِ فضلٌ لو علمتَ به      بادرتِ باللّهوِ واستمجتِ بالطَّربِ<sup>(٦)</sup>  
 ورد الخدودِ وورد الروضِ قد جُمعا      والغيمِ مبتسمِ والشّمسِ فى الحجبِ

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٣٨٠ .

(٢) اليتيمة : « شنوف » .

(٣) اليتيمة : « فاشرب وتقل وزن جامك إنه » .

(٤) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٩ . وخاتام ، أى خاتم .

(٥) أتوام : جم تومة ؛ وهى اللؤلؤة الكبيرة .

(٦) يتيمة الدهر ٣ : ١٦ .

لا تحبس الكأس واثربها مشعشة حتى تموت بها موتاً بلا سبب  
وقال سيف الدولة وذكر قوس فزح :

وساقٍ صبيحٍ للصَّبوحِ دعوتهُ فقام وفي أجفانه سِنَّهُ الغَمَضِ (١)  
يطوف بكاساتِ العقارِ كأنجمٍ فمن بين منفضٍ عليها ومنفضٍ  
وقد نشرت أيدى الجنوبِ مطارفا

على الجَوِّ دُكْنًا والحواشي على الأرضِ  
يطرُزها قوسُ السماءِ بأصفرٍ على أخضرٍ في أحمرٍ تحت مبيضٍ  
كأذيالِ حَوْدٍ أُقبلت في غلائلٍ مصبِغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضٍ  
وهذه من التشبيهات الملوكية التي لا يحضر السوقة مثلها . وقال ابن الزقاق :

وشادنٍ طاف بالكئوس ضحىً فحسَّها والصَّباح قد وضَّحاً (٢)  
والرَّوضُ يُبدي لنا شقائقه وأسَّه العنبريَّ قد نفحاً  
قلنا وأين الأقاح؟ قال لنا أودعته نَعْرَ مَنْ سقى القلحاً  
فضلَّ ساقِ العقارِ يحجزه عَنَّا فلمَّا تبسَّم اذتضحا (٣)  
وقال أيضاً :

نَبهتهُ ونجومُ الليلِ زاهرةٌ والفجرُ منصدعٌ والصُّبحُ قد لاحاً (٤)  
والليلُ منهزمٌ ولتُ عساكره والرَّوضُ مبتسمٌ والزهرُ قد فأحاً  
فقام يمسحُ عينيه براحتِهِ فخلتُهُ في ظلامِ الليلِ مضبَّاحاً

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٢٤ .

(٢) ديوانه ١٢٤ .

(٣) الديوان : « فضل ساق العقار يجعد ما قال » .

(٤) ديوانه : ٢٩٢ .

قوله الشادي : المغنى . يلهيه : يشغله ويزيل همه . يقرى : يعطى ويهدى .  
سمع : أذن . ولبعضهم فى غلام مغن - وأجاد :

فديتك يا أتمَّ الناس ظرفاً وأصلحهم لمتخذِ حيبا  
فوجهك نزهة الأبصار حُسناً وصوتك أمتع الأصوات طيبا  
وسائله تسائل عنك قُلناً لها فى وصفك العجب العجيبا  
رنا ظيبا ونغنى عندليباً ولاح شقائقا ، ومشى قضيباً  
وقال ابن الزقاق :

يذكرنى تخمانُ شدو غنائه على الأيك تَحَنانُ الحمامِ المغرِّدِ<sup>(١)</sup>  
له نغمات أفحمت كلَّ صادقٍ وصوتُ نشيدٍ قد شجا كلَّ منشدٍ  
فدع كل ما حُدَّتْ عن صوتِ مَعْبِدٍ وطارحُ نشيدٍ أعن نشيدِ ابنِ مَعْبِدٍ

قوله : اطمأن ، أى استقر وسكن . وغلّ : دخل ، والواغل الداخل على  
الشَّراب ولم يُدْعِ إليه . ذمير : شجاع ، والذمر أيضاً : الخبيث ذو الدهاء ، وهو  
مخفف من ذمير ، وهو الشجاع ، والجمع أذمار ، ومنه فلان حامى الذمار ، معناه :  
يحمى ما يلزمه أن يحميه ، وسمى ذماراً لأنَّ الإنسان يذمر نفسه ، أى يمرضها به ،  
وذمرتُ الرجل أذمره ، إذا حرَّضته . طمر : خلق . تجهمناه : عبسنا له ، والجهامة :  
العُبوس ، ويقال : تجهمنى فلان بكذا ، يتجهمنى بمعناه .

[ مما قيل فى الشيب والشباب ]

الفيد : النساء الحسن اللينات الأعناق . الشيب : الشيوخ ، الواحد أشيب .  
شيب : كدّر ونقص ، وأوّل من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله :

أراهنّ لا يُحِبِّينَ من قلّ ماله ولا من رأين الشَّيبَ فيه وقوَّسا<sup>(١)</sup>  
وعلقمة في قوله :

إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلّ ماله فليسَ له من ودّهينَ نصيبُ<sup>(٢)</sup>  
وقال حبيب في هذا المعنى فأحسن :

لعبَ الشيبَ في المفاقر بل جدّ فأبكيَ تُمَاضراً<sup>(٣)</sup> ولعوباً<sup>(٤)</sup>  
يانسيبَ الثَّغامِ ذنُوبك أبقَى حسفاني عند الحسان ذنوباً<sup>(٤)</sup>  
ولئن عينَ ما رأين لقد أن كرنَ مستنكراً وعينَ مَعيباً<sup>(٥)</sup>  
لو رأى الله أن للشيبِ فضلاً جاورته الأبرار في الخلد شيباً  
وقال علي بن الجهم :

أنكرت ما رأت برأسي وقالت أمشيبُ أم لؤلؤ منظومُ<sup>(٦)</sup>  
قلت أولهما برأسي فأنت<sup>(٧)</sup> أنة يستثيرها المهمومُ  
حسرت عني القناعَ ظلومُ فتولت ودمعها مسنجومُ  
وقال عمرو الوراق :

لا تطلبنِ أثراً بعينِ فالشيبِ إحدى الميقتينِ<sup>(٨)</sup>  
أبدى مقابح كل شيدٍ في محاسن كل زينِ

(١) ديوانه ١٠٧ ، وقوس ، أي كبر وانطوى كأنطواء القوس .

(٢) الفضليات ٣٩٢ .

(٣) ديوانه ٢٥ ، وتماضر ولعوب من أسماء النساء .

(٤) الثغام : شجرة بيضاء الزهر والثمر ، يشبه بها الشيب . وفي الديوان : « عند الغواني » .

(٥) الديوان : « خيرا » .

(٦) ديوانه ١٧٦ : (٧) الديوان :

\* قلتُ شيبٌ وليسَ عيباً أنتُ \*

(٨) الشيب والشباب ..

فإذا رأيت الغانيا ت رأين منك غراب بين  
ولربما نافسن فيـك وكن طوعاً لليدين  
أيام همتك الشبا ب وأنت سهل العارضين

الفنجديهي : من أحسن ما سمعت في هذا المعنى قول ابن البياض ، رحمه

الله تعالى :

عرض المشيب بعارضى فأعترضوا  
فكان في الليل البهيم توسطوا  
ولقد رأيت وما رأيت بمثله  
وتقوضت خيم الشباب فقوضوا  
حفا وفي الصبح المنير تقبضوا  
بيناً غراب الين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد في الشيب نقاء الخلد :

يا بسن نأياً تارة وصدوداً<sup>(١)</sup>  
تركت عميد القريتين عميداً<sup>(٢)</sup>  
غيداً ألفتهم لانا جيداً  
من كان أشبههم بهن خدوداً  
عاد المسود بينهن مسوداً<sup>(٣)</sup>  
راحت غواني الحى عنك غوانياً  
من كل سابعة الشباب إذا بدت  
أزرين بالمرود الغطارف بدنا  
أحلى الرجال من النساء موقعا  
حتى إذا ما الشعر سود وجهه

هذا من قول الأعشى :

وأرى الغواني لا يواصن امرأ  
ولحبيب - وروى لأبي دلف :

(١) ديوانه ٨٧

(٢) الديوان : « عميد القوم »

(٣) لم يرد في الديوان

(٤) ديوانه ٢٢٧، وروايته : « إن الغواني » .

نظرت إلى بعين من لم يعدل  
لما رأته وضح المشيب بلحيتي  
لما تمكّن طرفها من ممّتلبي  
صدت صدود مفارق متحمّل  
فجعت أطلب وصلها بتلطّف  
والشيب يفمزها بالأّ تفعل

وقال محمد بن أمية :

رأيت الفواني الشيب لاج بمارضي  
وكنّ إذا أبصرني أو سمعني  
فأعرضن عني بالحدود الثواضر  
دنون فرقعن الكوى بالحاجر

وللشريف الرضي رحمه الله :

قالوا المشيب فعيم صباحا بالنهي  
لودام لي ود الكواعب لم أبل  
لكن شيب الرأس إن يك طالعا  
إن أعرضت عنه الحدود فطالما<sup>(٣)</sup>  
واعتق مراحك للظروق الزائر<sup>(١)</sup>  
بطلوع شيب وايبضاض غدائر  
عندي فوصل البيض أول عابر<sup>(٢)</sup>  
عظفت له بسوالف ومحاجر  
واليوم عاد وماله من عاذر  
فعدا البياض بياض عين الناظر  
عذر الملول وحجة للهاجر

وقال أيضاً :

لجام الشيب نبي لي جيادي  
لوى عني الحدود من الفواني  
ورباني لعذالي وراضاً<sup>(٤)</sup>  
وغض عني الحدق المرأضا  
وصار بياضه عندي سواداً  
وكان سواده عندي بياضاً

(١) ديوانه ٣٧٠ .

(٢) الديوان : « غائر » .

(٣) الديوان : « إن أصفحت » .

(٤) ديوانه ٤٢٢ .



ودخل أبو دُلف على المأمون ، وقد ترك الخضاب ، فعمز جارية عنده أن  
تعبث به ، فقالت : شبت يا أبا دلف ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! فسكت عنها ،  
فقال له المأمون : أجبها ، فأطرق برأسه ثم رفعه ، فقال :

تهزأت إذ رأيت شيبى فقلت لها لا تهزئى من يطل عمره به يشب<sup>(١)</sup>  
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيبكن لكن الويل فاكتئبي  
فينالكن - وإن شيب بدا - أرب وليس فيكن بعد الشيب من أرب

\* \* \*

إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أَوْلَى الْفَهْمِ ، وَجَلَسَ يَبْفُضُ لَطَائِفَ النَّثْرِ  
وَالنَّظْمِ ، وَنَحْنُ نَنْزَوِي مِنْ انْبِسَاطِهِ ، وَنَتَّبِرِي لِطَيِّبِ بَسَاطِهِ ،  
إِلَى أَنْ غَنَى شَادِينَا الْمَغْرِبِ ، وَمَغْرَدْنَا الْمَطْرِبِ :

إِلَامَ سَعَادُ لَا تَصْلِينَ حَبْلِي وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا أُلَاقِي  
صَبْرَتْ عَلَيْكَ حَتَّى عَيْلَ صَبْرِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحَ التَّرَاقِي  
وَهَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافِ أُسَاقِي فِيهِ خَلِي مَا يُسَاقِي  
فَإِنْ وَصَلَا أَلَدُّ بِهِ فَوَضَلُّ وَإِنْ صَرَمًا فَصَرَمُ كَالطَّلَاقِ

قال : فاستفهمنا العابث بالمشائي ، لم نصب الوضل الأول ورفع  
الثاني ؟ فأقسم بتربة أبويه ، لقد نطق بما اختاره سيبويه .

قوله : « يفض » يكسر . لطائم : أوعية الطيب ، وجملها الكلام مجازاً . نزوى :

(١) المقدم ٣ : ٥٢ .

ننقبض . وننبرى : نبادر . اطلَى بساطه : لقطع كلامه . المغرب : الحسن الغناء الآتى .  
بالغريب فيه . والشادى والمغرّد واحد وهو المغنى . المطرب : الآتى بالطرب وهو  
الاهتزاز بالسرور ، وقد يكون من شدة الحزن ، وقال ابن رشيق فى معنى :

غنى ياجمود الخلق عندي : «حى مجدا ومن بأكناف نجد»<sup>(١)</sup>  
واسقى ما يصير ذو البخل منها حاتما والجبان عمرو بن معدى  
فى زمان الشباب عاجلى الشىء بـ فهذا أوائل الدن دردى

وقال البجلي فى مغنية :

ولاعية الوشاح بفصن بان لها أثر بتطبيع القلوب  
إذا استولت طريق العود نقرأ وغنت فى محب أو حبيب  
فيمناها يفديها فوادى ويُسراها تفديها ذنوبى

قوله : تاوين ، أى تشفقين . عيل : غلب ، وأنت الروح لأنه ذهب به إلى  
النفس ، قال ابن ظفر : الروح الذى يكون به الحياة ، وإذا فارق الجسد كان الموت ،  
والنفس التى بها العقل وهى المقبوضة عند النوم ، ولا معنى للإكثار فى هذا ، لأن  
الشارع ليس له فيه قول يعول عليه ، ولا للحواس على إدراكه حوال فهمتدى إليه .

التراقى : العظامان المعوجان أعلى الصدر : خلى : صاحبى . صرم : قطعة ،  
ويستقبح عندهم مجازاة الحبيب على إساءته ، كبيت امرئ القيس :

\* فسلى ثيابى من ثيابك تنسل \*<sup>(٢)</sup>

(١) نقله فى التنف ٢٦

(٢) ديوانه ١٣ و صدره :

\* وإن تك ساءتكم منى خليقة \*

وقول طرفة:

وَإِذَا تَلَسُّنِي أَلْسِنَهَا إِنِّي لست بموهون فقير<sup>(١)</sup>

وقول الأعرابي:

إِنْ كَانَ أَهْلَكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً  
عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ  
وَالْمُسْتَحَبُّ عِنْدَهُمْ قَوْلُ ابْنِ رَبِيعَةَ:

أَلَا يَأْمَنُ أَحَبُّ بِكُلِّ نَفْسِي  
وَمَنْ يَظْلِمُ فَأَغْفِرُهُ جَمِيعاً  
وَمَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ حَسْبِي<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ هُوَ لَا يَهْمُ بِغَفْرِ ذَنْبِي

وقال أبو نواس:

جَنَانٌ تَسْبَنِي - ذَكَرْتُ بِخَيْرٍ -  
وَأَنْفٌ مَوَدَّتِي كَذِبٌ وَمِينٌ  
وَمَا صَدَقْتُ<sup>(٤)</sup> وَلَا رَدَّ عَلَيْهَا  
وَلِي قَلْبٌ يَنَازِعُنِي إِلَيْهَا  
رَأَتْ كَلْفِي بِهَا وَدَوَامَ عَهْدِي  
وَتَزْعَمُ أَنَّ رَجُلَ خَيْثٍ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنِّي لِلَّذِي يُطَوِّى بَثْوُ  
وَلَكِنَّ الْمَلُولَ هُوَ النَّكَوْتُ  
وَشَوْقٌ بَيْنَ أَضْلَاعِي حَيْثُ  
فَلْتَنِي كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ<sup>(٥)</sup>

وقال ابن شهيد:

كَلِفْتُ بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي  
وَعَاقِبِي كَرَمِي عَمَّنْ وَلَهْتُ بِهِ  
وَأَطْرَبُ مِنْ شَعْرِ الْمَقَامَةِ لِلْغَنَاءِ ، مَا حَكَى أَنْ الْقَاضِيَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى  
لَمَا وَجَدْتُ لَطْعَمَ الْمَوْتِ مِنْ أَلْمِ<sup>(٦)</sup>  
وَيْلِي مِنَ الْحُبِّ أَوْ وَيْلِي مِنَ الْكِرَمِ

(٢) ديوانه ٤٨٥

(٤) ديوانه: « وليس كذا »

(٦) ديوانه ١٥٢

(١) ديوانه ٧٤

(٣) ديوانه ٣٦٩

(٥) لم يرد في الديوان

من بنى يحيى ، خرج إلى حضور جنازة ، وكان رجل من إخوانه ينزل بقرب مقبرة قريش ، فعزم عليه بالميل إليه ، فنزل وأحضر له طعاماً ، وغنت جاريته :

طابت بطيب لثانك الأفداحُ وزها بحمرة وجهك التَّفاحُ  
وإذا الربيع تنسّمت أرواحهُ نمت بعرفِ نسيمك الأرواحُ  
وإذا الحنّاس ألبست ظمائمها فضياء وجهك في الدّجى مضباحُ

فكتبها القاضي طرباً بها على ظهر يده ، ثم خرج . قال الراوى : فلقد رأيته يكبّر على جنازة والأبيات على ظهر يده .

وقال إبراهيم بن المهدي : دخلت يوماً على الرشيد وفي رأسه فضلةٌ خمار ، وبين يديه المغنون ، فقال : يا إبراهيم ، بحقّ عليك غنّيتي ، فأخذت العودَ فغنّيته من أشعار جرير :

أسرى نخلدة الخيال ولا أرى شيئاً ألدّ من الخيال الطارق<sup>(١)</sup>  
إن البليّة من تملّ حديثه فانبع حديثك من حديث الوامق<sup>(٢)</sup>  
أهواك فوق هوى النفس ولم يزلّ مذبتّ قلبي كالجنّاح الخفاق  
شوقاً إليك ولم تجار مودتي ليس المكذب كالحبيب الصادق<sup>(٣)</sup>

وقال إبراهيم الموصلي لابن جامع : لو هذا طلب الغناء كانطابه ، ما أكلنا معه الخبز ، فقال ابن جامع : صدقت .

ومما ينتظم في هذا النمط ويفغني به قولُ الآخر :

قال الوشاة لهند عن تصارمنا ولست أنسى هوى هندٍ وتنساني  
قد قلت حين بدا لي بخلُ سيدي وقد تتبع في ثبي وأحزاني  
هل تعلمين وراء الحب منزلة تُدني إليك فإنّ الحب أقصاني

(٢) الديوان « فانشع فؤادك »

(١) ديوانه ٣٩٧

(٣) ديوانه : « ليس المكاذب » .

والحريري لم يتعرض بشعره في هذا ، لأنه بنى البيت في المسألة ، لكن فيما ذكرناه زيادة بيان ، وأنه يجب أن يختار المعنى ما يتلقى للغناء من كل جهاته بالاستحسان

قوله : العايب بالمثاني ، أى الللاعب بأوتار عود الغناء . وما يستحسن في وصف العود قول ابن القاضي :

جاءت بعود تناغيه ويسعدها فانظر بدائع ما خصت به الشجرُ  
غنت على عودها الأطيوار مفصحةً غضا فلما ذوى غنى به البشرُ  
فلا يزل عليه أو به طربٌ يهيجه الأعجمان : الطير والوتر

وقال ابن شرف :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذى زكت منه أغصانٌ وطابت مغارسٌ<sup>(١)</sup>  
تغنى عليه الطير والعود أخضرٌ وغنى عليه الغيدُ والعود يابسٌ

ومما قيل في ذم معن :

لو أبصرت عينك بشراً جالساً والعود في يده ييثُ وساوسا  
لأريت منه فتى تحب أن ترى في الرأس منه مشاورا وطنافسا  
فإذا تربع - لا تربع بمدها - وبدا يحرك عوده متنافسا  
فكان جرذان المدينة كلها في عوده يقرضن خبزاً يابسا

المثاني : أوتار بالعود، معروفة على سائر أوتاره . بتربة أبويه، يريد عظامهما التي تصير ترابا في القبر ، ولذلك أقسم بالقبر .

(١) نقله في التنف ١٠٣ .

### [ ترجمة سيبويه ]

وأما سيبويه ففارسيّ، مولى لبني الحارث بن كعب، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، وتفسير سيبويه بالفارسية ربيع التفاح، وهو لقب له لأنه كان من أطيب الناس رائحة، وأجلهم وجهاً، وقد أشرنا إلى ذلك في العاشرة<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى «سى» ثلاثون و«بويه» رائحة التفاح، فكان معناه: الذي ضعف طيب رائحته ثلاثين مرة. وقيل: إن أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير فازمته.

وولد بالبيضاء، وهي قرية بشيراز من عمل فارس ونشأ بها، وقدم البصرة في أول أيامه ليكتب الحديث، فلزم حلقة حماد بن سلمة فاستملى عليه يوماً قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه: ليس أبا الدرداء، بالرفع، وظنه اسم ليس، فقال حماد: لحت ياسيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، إنما ليس هنا استثناء، فقال سيبويه: سأطلب علماً ليس يلحنني فيه أحد، فلزم الخليل، فبلغ في علم النحو الغاية، وضرب به في ذلك المثل وهو أول من بسط طريقته، وشرع شريعته، وكتابه الإمام في النحو، الذي لم يصنع قبله ولا بعده مثله، وغاية لأئمة فهمه. وأخذه الأخفش عنه.

وقيل ليونس: ألف سيبويه كتاباً نحواً من ألف ورقة في علم الخليل، قال: متى سمع سيبويه هذا كله! فأني بكتابه، فنظر فيه فقال: يجب أن يكون صدق عن الخليل، كما صدق فيما حكاه عني.

وناظر الأصمعيّ سيبويه، فغلبه الأصمعيّ بلسانه، فقال يونس: الحق مع سيبويه.

وكانت في لسانه حبسة، وقلمه أبلغ من لسانه. قال أبو زيد: كان سيبويه

(١) الجزء الأول: ٢٧٩

يختلف إلى وهو غلام له ذؤابتان، وإذا قال في كتابه: حدثني من أتق به، فأما يعني.

قال الأخفش: كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرض على وهو يرى أنني أعلم منه، وكان أعلم مني.

والأخفش هذا هو سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع، يكنى أبا الحسن، وهو الذي أخذ الكتاب عن سيبويه، وهو أكبر من سيبويه، وصحب الخليل. وأما الأخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد الحميد، يكنى أبا الخطاب وهو الأخفش الكبير، ويونس هو ابن حبيب، يكنى أبا عبد الرحمن مولى بني ضبة، أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبي عمرو بن العلاء، وقيل: إنه جاوز المائة في سنه. ولما فاق سيبويه في علم النحو أهل عصره، وبرز فيه على نظرائه من أهل دهره، سمع أن الكوفيين ظهروا ببغداد عند الرشيد بعلم النحو، وهم الكسائي وأصحابه، فتصدّم ببغداد، وناظرهم بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى بن برمك.

وناظره الكسائي، وقيل الفراء بحضرة الكسائي في المسألة الزنبرية<sup>(١)</sup> المشهورة، وقد ذكرناها في الرابعة والثلاثين، وكان فيما ذكر - الظهور لسيبويه، وتراضوا بينهم بشهادة الأعراب الحاضرين بباب الخليفة، فقدم الكوفيون بجانبهم عند الخليفة للأعراب من لغتهم أن يجيبوا بموافقة قول الكوفيين، فأجابوا بذلك، فخرج سيبويه خجلاً وكاد يموت غماً، فزعموا أنهم شفّعوا للرشيد لئلا يرجع مغلوباً خائباً، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فانبعث إلى الأهواز ولم يرجع على البصرة. فأقام هناك مدة مديدة إلى أن مات.

وحكى أنه لما انصرف عنهم مغموماً لقي الأخفش سعيد بن مسعدة، فأخبره

(٣) إنباه الرواة ٢ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بتأليفهم عليه، فدخل الأخص، فسأل الكسائي عن مائة مسألة فخطأه فيها كلها ، فقال له : أنت سعيد بن مسعدة ؟ فقال له : نعم ، فسأله أن يؤدب أولاده فأجابته . وقرأ عليه الكسائي كتاب سيديويه ، وأعطاه سبعين ديناراً .

ويروى أنه لما بلغ الكسائي موته، قال للرشيد : يا أمير المؤمنين، أدّ عني ديته ، فإني أخاف أن أكون شاركت في موته .

وقيل : إنه مات من ذرّب المعدة .

وقيل : إنه لما خرج عنهم سأل مَنْ يرغب من الملوك في النحو ، فقيل له : طلحة بن طاهر بخراسان ، فقصدته ، فلما انتهى إلى ساوة مرض ومات .

ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه ، فقطرت دمعة من دموعه على خده ، فرفع عينيه إليه ، وقال :

أَحْيَيْنِ كَنَا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الْأَمْدِ الْأَقْصَى ، وَمَنْ يَأْمِنِ الدَّهْرَ !<sup>(١)</sup>  
ثم قال عند موته :

تَوَمَّلْ دُنْيَا لِنَبْقَى بِهَا وَتَأْتِي الْمَنِيَةَ دُونَ الْأَمَلِ<sup>(٢)</sup>  
حَيْثَا يَرْوَى أَصُولَ الْفَسِيلِ فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ .

وفيه أنه مات بشيراز وقبر بها سنة ثمانين . وقيل سنة أربع وتسعين ومائة . قال أبو سعيد الصولي : رأيت على قبره مكتوباً لسليمان بن يزيد :

(١) إنباه الرواة ٢ : ٣٥٧ .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٣٦٠ .



ذهب الأحبة بعد طول تزوارٍ      ونأى الزارُ فأساءوك وأمرَعُوا  
 تركوك أوحشَ ما تكون بفترةٍ      لم يؤسوك وكربةً لم يدفَعُوا  
 قضى القضاء وصرت صاحبَ حُفرةٍ      عنك الأحبة أعرضا وتصدَعُوا

\* \* \*

فتشعبت حينئذٍ آراء الجمع ، فى تجويز النصبِ والرفع ، فقالت  
 فرقةٌ : رفعهما هو الصواب ، وقالت طائفة : لا يجوز فيهما إلا  
 الانتصاب ، واستنبههم على آخرين الجواب ، واستقر بينهم الاضطخاب ،  
 وذلك الواغل يبدى ابسام ذى معرفة ، وإن لم يفهُ بنت شفة ،  
 حتى إذا سكنت الزماجر ، وصمت المزجور والزاجر . قال : يا قوم ،  
 أنا أنبئكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليه ؛ إنه ليجوز رفع  
 الوصلين ونصبهما ، والمغايرة فى الإعراب بينهما ، وذلك بحسب  
 اختلاف الإضمار ، وتقدير المحذوف فى هذا المضمار . قال : ففرط من  
 الجماعة إفراط فى مماراته ، وانخرط إلى مباراته .

\* \* \*

قوله : تشعبت ، تفرقت ، وشعبتُ الشيء : فرقته وجمعته ، وهو من الأضداد .  
 ورجل شعاب : يضم ويجمع . آراء : جمع رأى . واستبهم : استغلق . استعر :  
 اتقد : الاضطخاب : اختلاط الأصوات ، وقد صحب صحبا . بنت شفة : كلمة .  
 [ بعض حكايات النحويين ]

ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعانى فى رفع « وصل » وخفضه ، اختلاف  
 أصحاب الواثق<sup>(١)</sup> على جارية غنت بحضرته :

أظلمُ إن مصابكم رجلاً أهدى السلامَ تحيةَ ظلمٍ  
 وذكر الحريرى فى الدرّة : أن أبا العباس المبرد ذكر أن أبا عثمان المازنى

(١) وردت هذه الحكاية فى دورة النواص ٤٣ ، ولإنباه الرواة ١ : ٢٤٩ ، وطبقات الزيدى ٩٣

( ١٤ - شرح مقامات الحريرى ج ٣ )

قصده بعضُ أهل الذمة ليقراً عليه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار ، فامتنع أبو عثمان من قبول بذله ، فقلت له : جعلت فداك ! أتترك هذه النفقة ، مع فافتك وشدة إضاقتك ؟ قال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ، ولست أرى أن أمكن منه ذمياً ، غيرةً على كتاب الله وحميةً له .

قال : فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجي : أظلوم . . . البيت ، فاختلف من بالحضرة في إعراب « رجل » فمنهم من نصبه بأن أنه اسمها ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مُصِرَّة على أن شيخها أبا عثمان لقبها إياه بالنصب ، فأمر الواثق بإحضاره . قال أبو عثمان : فلما مثلتُ بين يديه قال : بمن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : من أي الموازن ؟ أمازن تميم أم مازن قيس ؟ أم مازن أم ربيعة ؟ فقلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي وقال لي : باسمك ؟ يريد ما اسمك - وهم يقابون الميم باء والباء ميما إذا كان في أول الأسماء - فكرهت أن أجيبه على لغة قومي للثلا وأواجه بالمكر ، فقلت : بكر يأمير المؤمنين ، فقطن لما قصده وأعجب منه ، ثم قال : ماتقول في قول الشاعر :

\* أظلوم إن مصابكم رجلا \*

أترفع « رجلا » أم تنصبه ؟ فقلت : بل الوجه النصب ، قال : ولم ذلك ؟ فقلت : « إن مصابكم رجلا » مصدر بمعنى إصابتكم . فأخذ اليزيدي في معارضتي فقلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربكم زيداً ظلم ، فالرجل منقول بمصابكم ومنصوب به ، الدليل عليه أن الكلام معلق إلا أن تقول « ظلم » فيتم . فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم ، بنيتة يا أمير المؤمنين ، قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ قلت : أنشدت قول الأعشى <sup>(١)</sup> :

أيا أبتأ لا ترم عندنا فإنا بخير إنا لم ترم  
 أرانا إذا أضمرتك البلا د نُجفَى وتقطع منا الرحيم  
 قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلت قول جرير :

ثقي بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالنجاح<sup>(١)</sup>  
 قال : أنت على النجاح إن شاء الله تعالى . ثم أمر لي بألف دينار  
 وردني مكرماً .

قال أبو العباس : فلما عاد إلى البصرة قال : كيف رأيتَ يا أبا العباس !  
 ردّدنا لله تعالى مائة فموتّنا بألف .

قال الحريري : فهذه الحكاية ترغّب في اقتباس الأدب ودراسته حيث  
 استعطف المازني الوائق بيت الأعشى حتى اهتز لإحسان صلته  
 قال : وفي أخبار النحويين<sup>(٢)</sup> أيضاً أنّ المازني سئل بحضرة المنوكل عن  
 قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بِغِيًّا ﴾ فقيل له : كيف حذف الماء من « بغيا »  
 وفعل بمعنى فاعل ، تلحقه الماء ، نحو فتى وفتية وغنى وغنى ، فقال : إن « بغيا »  
 ليست « فعلا » إنما هو فعول بمعنى فاعل ، لأن الأصل « بغوى » ومن أصول  
 التصريف أنه متى اجتمعت الياء والواو في كلمة وسبقت إحداها بالسكون قلبت  
 الواو ياء ، كشويته شيئا ، ويوم وأيام ، وهذا أصل مطرد لم يشذ منه إلا القليل ،  
 فبلى هذه القضية تحذف الماء وجوباً لأنها بمعنى « باغية » ، كما تحذف من « صبور »  
 لأنها بمعنى « صابرة » .

قال المازني :<sup>(٣)</sup> حضر يعقوب عند الوائق وقد حاز منزلة العلماء ، فقال لي  
 الوائق : سله عن مسألة ، فقلت له : ما وزن « نككتل » ؟ فقال : « فعل » ، فقلت له :

(١) ديوان جرير ٩٨

(٢) طبقات الزبيدي ٩٥ .

(٣) إنباه الرواة ١ : ٧٥ .

غلطت، ثم قال لي: فستره . فقلت: أصله «نكتيل»، فقلبت الياء ألفاً للفتحة قبلها وسكنت اللام للجزم، لأنه جواب أمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فقال الوراق: هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب، فلما خرجنا قال لي يعقوب: ما حملك على هذا وبينى وبينك المودة؟ فقلت: والله ما ظننت أنه يمزب عنك مثل هذا! فانظر كيف لم يثبت يعقوب الأوزان على ثبوت قدمه في العلم.

لقي هارون الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف عليه، وتحنى بسؤاله عن حاله، فقال: أنا بخير يا أمير المؤمنين، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين على لسان ذلك كافياً محاسباً.

ودخل أبو يوسف رحمه الله تعالى وهما في مذاكرة وممازحة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الكوفي قد غلب عليك، فقال: يا أبا يوسف إنه ليأتينى بأشياء يشتمل عليها قلمي، وتأخذ بمجامعه، فقال الكسائي: يا أبا يوسف، هل لك في مسألة؟ فقال: في نحو أو في فقه؟ فقال: بل في فقه، فضحك هارون حتى فخص برجليه، وقال: تُلقي على أبي يوسف الفقه؟ فقلت: نعم، ثم قال: يا أبا يوسف، فما تقول في رجل قال لزوجته: أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إذا دخلت الدار طلقت، قال: أخطأت يا أبا يوسف! فضحك الرشيد ثم قال: فكيف الصواب؟ قال: إذا قال: «أن» وجب الفعل، دخلت بعد أو لم تدخل، وإذا قال «إن» بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق.

دخل الفراء على الرشيد فنكلم فلحن مرات، فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إنه قد لحن، فقال الرشيد للفراء: أتلحن يا يحيى؟ فقال: إن طبع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضرة اللحن، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحن، فاستحسن الرشيد كلامه وعلم أنه الحق (١).

(١) الخبر في طبقات الزبيدي ١٤٣.

وهذا القدر من المناظرة النحوية كاف .

\* \* \*

قوله : الزماجر ، أى الأصوات من الجوف كصوت الأسد، الواحدة زمجرة .  
صمت : سكت . المزجور : المنهى ، والزاجر : الناهى ، وزجرته : انتهرته .  
أنتبكم بتأويله : أخبركم بتفسيره . المفايرة : المخالفة ، وهى من لفظ « غير » .  
المضمار : الموضع يختبر فيه جرى الخيل . قرط : تجاوز الحد . مماراته :  
مخاصمته . انخراط : اندفاع وانطلاق ، وخرط عبده : أطلته على أذية  
الناس ، والمرأة نكحها ، والشجرة نثر ورقها بيده . مباراته : معارضته .

\* \* \*

فقال : أمّا إذ دَعَوْتُمْ نَزَالَ ، وتَلَبَّيْتُمْ لِلنِّضَالِ ؛ فما كلمة  
هِيَ إِنْ شِئْتُمْ حَرْفٌ مَحْبُوبٌ ، أو اسمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفٌ حَلُوبٌ ؟  
وأى اسمٍ يتردد بين فردٍ حازمٍ ، وجمعٍ مُلَازِمٍ ؟ وأية هاءٍ إذا  
التحقّت أماطتِ الثَّقَلِ ، وأطلّقتِ المُعْتَمَلِ ؟ وأينَ تدخلُ السِّينُ  
فتعزل العاملَ ، من غير أن تجاملَ ؟ وما منصوبٌ أبداً على الظَّرْفِ ،  
لا يُخَفِّضُهُ سِوَى حَرْفٍ ؟ وأى مضافٍ أخلّ من عُرَى الإضافة  
بِعُرْوَةٍ ، واختلف حُكْمُهُ بين مَسَاءٍ وُغْدُوَةٍ ؟ وما العاملُ الَّذِي يَتَّصِلُ  
آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ ، ويعملُ معكوسُهُ مثلَ عَمَلِهِ ؟ وأى عاملٍ نائبهٍ أرحبُ  
منه وكراً ، وأعظمُ مَكْرَآً ، وأكثرَ لِه تَعَالَى ذِكْرَآً ؟ وفى أى  
موطنٍ تَلَبَّسُ الذُّكْرَانُ بِرَاقِعِ النِّسْوَانِ ، وتبرز رَبَّاتُ الحِجَالِ  
بِعَمَائِمِ الرِّجَالِ ؟ وأينَ يجبُ حفظُ المراتبِ ، على التَّضَرُّوبِ والضَّارِبِ ؟

وما اسم لا يُعرف إلا باستضافة كلمتين ، أو الاقتصار منه على حرفين . وفي وصفه الأول التزام ، وفي الثاني إلتزام ؟ وما وصف إذا أُرْدِفَ بالنون ، نقص صاحبُه في العيون ، وقوم بالدُّون ، وخرج من الزبون ، وتعرض للهون ؟

فهذه ثنتا عشرة مسألة ، وفق عددكم ، وزينة لددكم ، ولو زدتم زدنا ، وإن عدتم عهدنا .

. . .

نزال ، أي انزلوا للحرب ، ولذلك بُنيت على الكسر لأنها في معنى فعل الأمر ، وهي كلمة تقال في الحرب ولها مقامان : الأول أن ينزلوا من ظهور الإبل إلى ظهور الخيل ، والثاني أن ينزلوا من ظهور الخيل إلى الأرض ؛ وذلك أشد ما يكون للحرب . تلبَّتم : تحزمتم . النضال : المراماة بالسهم . حرف : ناقة . حلوب : لها ابن . حازم : مشمر ، أخذ بالثقة . أماطت : أزالته . المعتقل : الحبوس . تجامل ، أي تائق المعزول بجميل . أخل : نقص . ممكوسه : مقلوبه . نأثبه : القائم مقامه . أرحب منه وكرا : أوسع موضعا . مكرا : تصرفا . الحجال : جمع حجلة ، وهي الستر . المرانب : المواضع . استضافة : إضافة . أُرْدِفَ : جعل ردفه ، أي خلفه . قوم : قدرت قيمته . الدون : الحقير . الزبون : الكريم الكثير دفع العطايا ، أي أخرج من هذه الصفة . والهون : الهوان . وفق : موافقة . لددكم : خصامكم . عدتم : رجعتم للخصام .

ومن ملح ابن رشق في مליح نحوى :

إن زارني يوماً على خلوة أو زرتني في موضعٍ خالٍ<sup>(١)</sup>

(١) نقله في التنقيح ٦٣

كنت له رفعا على الابتدا وكان لى نصبا على الحال

وقال الميسكالى :

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمتى      مجادلا فاجتنبتُ الشهد من شفته  
وأورد الحججَ المقبولُ شاهدُه      مناظراً ليربى فضلَ معرفته  
ثم انفقنا على رأىِ رضىت به      والرفع من صفى والخفض من صفته

\* \* \*

قال المخبرُ بهذه الحكاية : فورَدَ علينا من أحاجيه التى هالت ، لما  
انهالت ، ما حارت له الأفكار وحالت . فلما أعجزَ العومُ فى بحره ،  
واستسلمت تماثنا لِسِجْرِهِ ، عدلنا عن استئقال الرثوية له ، إلى  
استئزالِ الرواية عنه ، ومن بغي التبرُّم به ، إلا ابتغاء التعلُّم منه .  
فقال : والذى نزل النحو فى الكلام ، منزلة الملح فى الطعام ،  
وحجبه عن بصائر الطعام ؛ لا أنلتكم مرأما ، ولا شفيت لكم  
غراما ، أو تخوُّلنى كبلُ يدٍ ، ويختصنى كلُّ منكمُ بيدٍ . فلم يبق  
فى الجماعة إلا من أذعن لحكمه ، وتبذ إليه خبأة كمه . فلما  
حصلت تحت وكائه ، أضرم شُعلة ذكائه ، فكشف حينئذٍ عن  
أسرار الغازه ، وبدائع إعجازهِ ، ماجلا به صدأ الأذهان ، وجلى  
مظلمة بنور البرهان .

قال الراوي : فهمننا ، حين فهمننا ، وعجبنا إذ أجبنا ، وندمنا على ما ندمنا . وأخذنا نعتذر إليه اعتذار الأكياس ، ونعرض عليه ارتضاع الكاس . فقال : مأرب لا حفاوة ، ومشرب لم يبق له عندي حلاوة ، فأطلبنا مرأودته ، ووالينا معاودته .

. . .

أحاجيه : ألغازه : هالت : عظمت في النفوس . انهالت : انصبت ، وانهال  
الزمل : انصب أعلاه إلى أسفله . الأفكار : الأذهان . حالت : تغيرت .  
استسلمت : انقادت . تماننا : معاذاتنا ، وهي الأحراز . عدلنا : ملنا . الروبة :  
الفكرة . استنزال : طلبه بتلطف . بنى : ظلم . ابتغاء : طلب . التبرم : الاستئفال ،  
وبرم بالأمر برماً : ضجر ، واليرم : البخيل الذي لا يدخل في الميسر . والبصيرة :  
اليقين والمعتقد وجمعها بصائر . والطفام : الأوغاد وأرذال الناس . أنلتكم : أعطيتكم .  
مراما : مرادا . تحولني : تملكني وتعطيني . يختصني : يفردني . بيد ، أي نعمة .  
أذعن : انقاد وذل . نبذ : رمى . خبأة كمة : ماخية فيه . بدائع : غرائب .  
إعجازه : ما عجز به . جلا : كشف . صدأ : وسخ . جلى : أوضح . البرهان :  
الحجة . همنا : تحيرنا لحسن ماسمعنا ، وهام الرجل : ذهب في غير طريق . فهمننا ،  
من الفهم ، أي عرفنا . ندد : سبق وخرج ، يريد الخصام الذي بدروه به وردوا  
كلامه ، وندد : أصله شرد البعير . قوله : الأكياس : الخذاق العقلاء . ارتضاع :  
شرب . مأرب : حاجة ، قال يعقوب : قال الأموي : ومن الأمثال : مأرب  
لا حفاوة ، يضرب للرجل إذا كان يتملكك ، أي إنمابك حاجة إلى لا حفاوة لي .  
قال ابن سيده : مأرب يبننا ، يكون واحداً وهو السابق ، ويكون جمع مأربة ، من  
الجمع الذي يفارق واحده بالهاء . حفاوة : تهتم ، وقد خفيت بك ، أي تهتمت  
واعتيت . ومشرب لم يبق له عندي حلاوة ، قال الشاعر في معناه :



ولم أجتنبُ شربَ المدامِ لعلةٍ      ولم ألحقِ الصَّهبا ذمًّا ولا عدلاً  
تَنافَرَنِي أَنْ صرْتُ ضِدًّا لِشِكلِهَا      فليستُ لَنَا أهلاً، ولستُ لها أهلاً

وقال ابن رشيقي :

قرعت سني على ما فاني ندماً      من الشَّبابِ وَمَنْ بِاللَّهْوِ لِشَيْبِ (١)  
فقد رددت كئوس الرِّاحِ مترعةً      على السقاةِ وكانت جِلَّ مشروبي  
أنزّه السمعَ والعينين في نغم      ومنظرِ عابثٍ بالحسنِ والطَّيبِ  
من كلِّ لافظةٍ بالدرِّ باسمِةٍ      عنه محلاقةٍ نوعٍ منه مَثُوبِ  
أيامِ تصحبي الغزْلانِ آنسَةً      هذا على أنني أعدى من الذُّوبِ

والسابق لردِّ الكأسِ لعلةِ الكبرِ أيمن بن خُرَيْم بن فانك الأسدِي في قوله:

وصهبا جرجانية لم يُظفَ بها      حذيفٌ ولم يسعر بها ساعةٌ قِدْرُ (٢)  
ولم يحضر التمسَّ المهيمُ نارها      طروقاً، ولم يشهد على طبعها حَبْرُ  
أناي بها يحيي وقد نمت نومَةً      وقد غابت الشُّعْرَى وقد جَنَحَ الذَّسْرُ  
فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها      فما أنا بعد الشَّيبِ ويحك والخرُّ  
تعففت عنها في السمين (٣) التي خلَّتْ      فكيف التصابي بعدما كَلَّا العُمُرُ (٣)  
إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن      له دون ما يأتي حياءً ولا سِتْرُ  
فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى      وإن جرَّ أسباب الحياة له الدَّهْرُ

قال المهيم بن عدِي : كنا نقول بالكوفة : مَنْ لم يروِ هذه الأبيات  
فلا مروءة له ، أنشدَها أبو علي في نوادره . وأنشد أيضاً :

(١) نقله في التنف ١٠ .

(٢) أمالي القالي ١ : ٧٨ ، وفيه : « لم تنغر » ، أي تغلى .

(٣) كلاه : انتهى إلى أقصاه .

رأيتُ التَّبِيدَ يُذَوِّعُ العَزِيزَ وَيَكْسُو التَّقَى النَّقَى اتِّسَاخًا<sup>(١)</sup>  
فَهَبْنِي عَذْرَتُ الفَقِي جَاهِلًا فَمَا العَذْرُ فِيهِ إِذَ المرءِ شَاخَا

وأُشَدُّ أَيْضًا فِي نَوَادِرِهِ لِمَنْ حَرَّمَ الخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَرُوءَةً جَدَلَةً  
أَشْعَارًا ، شَهْرَتُهَا فِي الكِتَابِ أَغْنَتْ عَنْ ذِكْرِهَا ، وَأَيْنَ شَرَفٌ أَوْلَئِكَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ  
- عَلَى أَنَّ الخَمْرَ مَبَاحَةٌ لَهُمْ - مِنْ مَجْمُوعِ جَمَاعَةِ مِنَ الإِسْلَامِيِّينَ - عَلَى تَحْرِيمِهَا عَلَيْهِمْ -  
مِثْلَ الرَّمَادِيِّ فِي قَوْلِهِ :

أَفَى الخَمْرِ لَامَتْ إِخْتِي مَسْتَهَامَهَا كَفَرْتُ بِكَأْسِي إِنْ أَطَعْتَ مَلَامَهَا  
لِجَمُوعَةٍ فِي الفَلَكِ فِي جَبَّةِ المِي قَدْ أَوْصَى لِنُوحٍ غَرَسَهَا وَضَمَامَهَا  
فَخَادَعَهُ إبْلِيسُ عَنْهَا لَعَلَّهُ بِهَا فَرَأَى كِتَابَهَا وَاغْتَنَامَهَا  
فَقَارَ بِثَلَاثِهَا وَنُوحٌ بِثَلَاثِهَا وَلَوْلَا مَضِيَّ عَنْهُ لَمْ يَكُ رَامَهَا  
لَهُ حِظٌّ أَتَى وَهُوَ حِظٌّ مَذْكُورٌ قَلِيلٌ لَعَيْنِي أَنْ أَطِيلَ انْسِجَامَهَا  
وَإِنَّا لَوِ تَرَانٍ وَقَدْ مَاتَ جَدْنَا عَيْنِنَا وَإِنَّا لَا نَجِيزُ اقْتِسَامَهَا

أَخَذَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ يَرُودُ ، أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ ،  
نَازِعًا إبْلِيسَ أَصْلَ العَنْبِ ، فَاصْطَاحَا أَنَّ لِنُوحٍ الثَّلَاثَ وَإِبْلِيسَ الثَّلَاثِينَ .  
وَلَمَّا قِيلَ لِلْحَسَنِ : نَزَعْتَ عَنِ اللّهِ إِلَى التَّوْبَةِ ، قَالَ :

قَالُوا نَزَعْتَ وَأَنَا يَعْلَمُوا وَطَرِي فِي وَصَلِ أَغْيِدَ سَاجِي الطَّرْفِ مَيَّاسٍ<sup>(٢)</sup>  
كَيْفَ النُّزُوعِ وَقَلْبِي قَدْ تَقَسَّمَهُ لِحِظِّ العِيُونِ وَلَوْنِ الرَّاحِ فِي الكَاسِ  
إِذَا نَزَعْتَ إِلَى رَشْدِي تَكْتَفَنِي رَأْيَانٌ قَدْ شَغَلَا يُسْرِي وَإِفْلَاسِي  
فَالْيَسْرِ فِي القَصْفِ وَاللذَاتِ أَخَاسَهَا وَالعَمْرِ فِي وَصَلِ مَنْ أَهْوَى مِنَ النَّاسِ

(١) أُمَالِي القَالِي ٢ : ١٣٩ .

(٢) نَهَايَةُ الأَرَبِ ٤ : ٩٦ ، دِيوَانُهُ ٢٩٦ .

لا خير للعيش إلا في الجون مع الأكل في الورد والخيرى والآس  
ومسمع يتغنى والكتوس لها حث علينا بأخناس وأسداس  
يا مورى النار قد أعتت قوادحه أقبس إذا شئت من قلبى بمقياس

\* \* \*

فَشَمَخَ بِأَنفِهِ صَلَفًا، وَتَأَى بِجَانِبِهِ أَنْفًا، وَأَنشَدَ:  
نَهَانِي الشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاجِي  
فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّاحِ  
وَهَلْ يَجُوزُ اصْطِبَاحِي مِنْ مَمْتَقَةٍ  
وَقَدْ أَنَارَ مَشِيبُ الرَّأْسِ إِصْبَاحِي  
أَلَيْتُ لَا خَامِرَتِي الْحُمْرُ مَا عَالِقَتْ  
رُوحِي بِجَسَمِي وَأَلْفَاضِي بِإِفْصَاحِ  
وَلَا أَكْتَسْتُ لِي بِكَاسَاتِ السُّلَافِ يَدُ  
وَلَا أَجَلْتُ قِدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِ  
وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صِرْفٍ مُشْمَعَةٍ  
هَمِّي وَلَا رُحْتُ مُرْتَاحًا إِلَى رَاحِ  
وَلَا نَظَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا  
شَمْلِي وَلَا اخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي  
حَمَّ الشَّيْبِ مِرَاجِي حِينَ خَطَّ عَلَى  
رَأْسِي، فَأَبْرِضْ بِهِ مِنْ كَاتِبِ مَا حِي

ولاحَ يَلْحَى عَلَى جَرَى العِنَانِ إِلَى  
 مَلْبَى فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لَأْمِحِ لَاحِي  
 ولو لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبُ خَلْبَا  
 بَيْنَ المصَابِيحِ مِنْ غَسَّانِ مِصْبَاحِي  
 قَوْمٌ سَجَايَاهُمْ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمْ  
 والشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَصَاحُ  
 ثمَّ إِنَّه نَسَابُ النِّسَابِ الأَيْمِ، وَأَجْفَلُ إِجْفَالِ النِّيمِ . فَعَلِمْتُ أَنَّهُ  
 سِرَاجُ سَرُوجٍ، وَبَدْرُ الأَدَبِ الذِّي يَجْتَابُ البُرُوجِ . وَكَانَ قُصَارَانَا  
 التَّحْرِقَ لِبُعْدِهِ، وَالتَّفَرِّقَ مِنْ بَعْدِهِ .

\* \* \*

قوله: «شمخ، أى تكبر ورفع أنفه . صلفاً: قحة وصلابة وجهه، وفي فلان صلف،  
 أى قلة انطباع ومواقفة إذا أردت منه شيئاً تهاون بك، والتصليقان: ناحيتا العنق،  
 كأنه إذا كلمته فى شيء أعرض عنك، ولوى عنك صليفه، والصلف مجاوزة  
 قدر الظرف، وفي الشهاب: آفة الظرف الصلف . ناء: نهض، وىروى: نأى،  
 تباعد . أنفاً: غضبا، وأنفت من كذا تنزهت عنه وترفعت، وأصله من رفع  
 الأنف، فكأنه رفع أنفه تيمناً عليهم وتكبراً عن منادمتهم لاحترامهم له أولاً  
 قبل اختباره، ثم تبدلهم آخر بعد اعتباره؛ واعتذر لذلك بالشيب .

ونذكر هنا فصلاً أدبياً يأتى على جميع أغراض هذه الأبيات :

قال بعض الظرفاء يذم الخمر : الشراب : أول الخراب ، ومفتاح كل باب ،  
 يحرق الأموال ، ويذهب الجمال ، ويهدم المروءة ، ويوهن القوة ، ويضع الشريف ،  
 ويذل العزيز ، ويبيح الحرائر ، ويفلس التجار ، وينهتك الأستار ، ويورث الشنار .

وقال بعضهم لابنه : كثرة الشراب تكسد القلب ، وتقلّ الكسب ، وتغيّر  
اللب ، واعلم أن الظلم الذابح ، خير من الرىّ الفاضح .

وقال يزيد بن محمد المهلبى يذمه :

لعمرك ما يحصى على الناس شرّها  
مرارا تريك الفىّ رشداً ، وتارة  
وأن الصديق الماحض الودّ مبغض  
وجرت إخوان النبىذ قفلاً  
وإن كان فيها لذة ورخاء  
تخيل أن الحسنين أساءوا  
وأن مديح المادحين هجاء  
يدوم لإخوان النبىذ إخاء

وقال ابن الرومى :

مودّة إخوان النبىذ سلافة  
فبيننا نراهم أهل ألف وأثرة  
فأما إذا ناديتهم للممة  
يبولونها عند انقضاء المجلس  
وبينا نراهم بينهم حرب داحس  
فناد التّصاوير التى فى الكنائس

ولهذا كتب الحسن إلى صديق له يستهدى منه مشروباً :

لما رأيت الحظّ للقاعد  
خلوت فى بيتى وحدى ولا  
فابث بها تشغلى واكفى  
والناس من واش ومن حاسد  
أقلّ فى الأعداد من واحد  
رؤية هذا العالم الفاسد

وقال أيضاً :

خلوت بالخمر أناجيبها  
نادمتها إذ لم أجد صاحباً  
شربتها صرّفاً على وجهها  
أشرب منها وأعطيها<sup>(١)</sup>  
أرضاه أن يشركنى فيها  
فكنت ساقبها وجانيها

(١) ديوانه ٣٥٠ .

قيل لبعضهم : لم لا تتخذ لك نديماً ؟ قال : لأنه مأخوذ من الندم .  
واختلفوا في اختيار استعمال النديم ، فمنهم من اختار نديماً واحداً ، ومنهم  
من انتهى في الاختيار إلى ستة بالساق وصاحب البيت ، وما زاد على ذلك  
فخدموم بإجماع منهم . قال : وأنشدوا في ذلك :

وخير النذامى ستة من دوى الحجى      فخمسة إخوانٍ وآخر يمنعُ  
ويحمد في الإخوان من كان محسناً      بصوتٍ يفتيه ولا يتمتع

\* \* \*

قوله : نهانى الشيب ، جملة الناهى عن اللذات ، لأنه الداعى إلى الفناء  
والنذير بالموت ، وما يقول بغير هذا الإلامه كلف عذر ، كقول أعرابي —  
ويروى لإبراهيم بن المهدي :

لقد جلّ قدر الشيب أن كان كلما      بدت شيبة يعرى من اللهو مرّكبُ  
وقال المعدّل :

لاح شيبى فظلت أمرحُ فيه      مرح الطرف في اللجام المحلى  
وتوتى الشباب فازددت ركضاً      في ميادين باطلٍ إذ توتى  
إن من ساءه الزمان بشيب      لأحق أمره بأن يتسأى  
أترانى أسوء نفسى لنا      ساءنى الدهر ، لا أعمرى كلاً

وقال البحترى يعتذر منه :

عيرتني بالشيب وهى رمتهُ      فى عذارى بالصدّة والاجتناب<sup>(١)</sup>  
لا ترّيه عاراً فاهو بالشيب      ولكنّه جلاء الشباب

وبياض البازي أصدق حسناً  
إن تأملت من سواد الغراب  
أخذه ابن رشيق فقال :

وإن لم تعجبنى ببياض شعري  
فلا تستغفري بلباق الغراب<sup>(١)</sup>  
تعاين المشيب وليس هذا  
ولكن هذه شية الشباب  
وقال حبيب يتشكاه :

أصبحت روضة الشباب هشياً  
وغدت ريح البليل سُموماً<sup>(٢)</sup>  
شعلة في المفارق استودعتني  
في صميم الفؤاد ثكلاً صميماً  
غرّة بهمة ألا إنما كُنْتُ  
أغراً أيام كنت بهيماً  
دقة في الحياة تُدعى جلالاً  
مثل ما سُمي اللدغ سليماً  
وقال مسلم بن الوليد :

الشيب كره وكره أن يفارقني  
أعجب بشيء على البغضاء مورود<sup>(٣)</sup>  
يمضي المشيب فلا يأتي له خلف  
والشيب يذهب مفقوداً بمفقود  
أخذه سليمان بن وهب حين نظر إلى المرأة ، فقال : عيب لاعدمناه .  
وقال أبو الفتح البستي :

يا شيبتي دومي ولا تترحلي  
وتيقني أني بوصلك مولع  
قد كنت أجزع من حلوك مدة  
والآن من خوف ارتمالك أجزع  
وزاد أبو الطيب على هذا فقال : وذكر أنه يتمنى الشيب في زمن الشباب :

(١) نقله في التنف ١١ .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٢٣ ( دار المعارف )

(٣) ديوانه ٣١٠

مُئى كُنَّ لى أنّ البياض خضابُ فيخفى بتقبيض القرونِ شَبَابٍ<sup>(١)</sup>  
 لياليَ عند البيض فَوَدَاىَ فتنَةً ونخر وذاك الفخر عندى عَابُ  
 فكيف أذمُّ اليوم ما كنت أستهبى وأدعو بما أشكوه حين أجاب

كأنَّ أبا الطيب نسى ما قاله فى الشيب فى الزمن الذى زعم أنه كان  
 يشتهيهِ ويتمناه<sup>(٢)</sup> :

ابعدُ بمدتَ بياضاً لا بياضَ له لأنت أسود فى عيني من الظلمِ  
 وقال ربعى :

مَنْ كان يبكى الشبابِ من أسفٍ فليست أبكى عليه من أسفٍ  
 كيف وشرخ الشبابِ أوقفني يوم حسابي مواقف التلّفِ  
 لا صحتُ شيرةَ الشبابِ ولا عدمتُ ما فى المشيب من ختفِ

وقال ابن رشيق :

أراك للشيبِ ذا اكتئابِ فأين تمضى عن الصواب<sup>(٣)</sup>  
 إن كنت ترعى الوفاء حقاً فالشيب أوفى من الشَّبَابِ

وحقيقة الأمر أنه مازال الناس يكرهون الشيب ويدّمونه ، نثراً ونظماً .  
 لما فيه من دليل الفناء ، والهجنة عند النساء ، وقطع اللذات بالرّقة والحياء ،  
 ويحبون الشباب ويمدحونه ، لما فيه من عذرة الجاهل ، وإتيان العاجل ، وحسن  
 السمائل ؛ إلا أن لطف الخذاق من الشعراء فى تحسين ما كانوا يكرهون ،  
 وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضةً للنفوس ، وتوسعاً فى القول ، كما قال أحدهم :

(١) ديوانه ١ : ١٨٨

(٢) ديوانه ٤ : ٣٥

(٣) نقله فى التنف ١٢ .



تفارق شيب في العذار لوامعٌ وماحُسنٌ ليلٍ ليس فيه نجوم !

وقالوا : في الشيب استحكام الوقار ، وتناهي الحلال ، ويسم التجربة .  
فهذه مقاصدهم فقف عليها .

قوله : أوراخي : جمع فرح . الراح : الحمر ، والثاني جمع راحة ، وهي الكف .  
معتقة : خمر قديمة شديد الحمرة . أنار : بيض . إصباحي : احمرار شعري ،  
والصبح : حمرة الشعر ، وضعه موضع السواد ، لأن كليهما من حلية الشباب ،  
وحمله على هذا ماضن الشيب من التحسين فيقول مستفهماً : هل يجوز شربي  
في البكور من خمر صافية في حال تغيير الكبر شباني ، وتبديله حلية الشباب  
بجلية الشيوخ . خامرتني : خالطتني . إفصاحي : تبيني . الشلاف : الحمر .  
وأجات : صرفت . قداخي : سهام الميسر . أقداح : جمع قدح ، وهو  
الكأس . صرفت : رددت . صرف : خمر . مشعشة : رقيقة المزيج . همتي :  
إرادتي . رُحْتُ : مشيتُ بالمشي . مرتاحا : مهتزاً من الطرب ، وارتاح :  
وجد راحة الطلب أو خيفة الكرم . نظمت : جمعت . مشمولة : خمر ، وهي  
الشمول ، سميت بذلك لاشتغالها على عقل صاحبها ، وقيل : لأنها تشمل القوم  
بريحها ، أي تعمهم . وقيل : لها عصفة كمصفاة الريح الشمال . شملي : مجموع  
أمرى ، والندمان : هو النديم . الصاحي : المغنيق من سكره . نحاً : أزال .  
مراحي : طرّبي . خطّ : كتب . أبيض به ، أي ما أبيضه إلى . لاح :  
ظهر : يباغي : يلوم ويقاطف القول . جرّى العنان ، أي انهماك في الملاهي .  
ملمهي : لهو . سُخِّفًا : بعداً . لائح : ظاهر في الرأس . لاح : شام وعائب ،  
يريد أن شيبه لاح في رأسه فلحاه على اللهو والصبأ . فَوَدِي : جانب رأسى .  
شائب : فيه الشيب . خبا : طنىء وسكن ضوءه . غسان : قبيلة . وأحسن  
( ١٥ - شرح مقامات الحريري ج ٣ )

حاصمت في شيب الفؤد، وفي وخط الشيب الذي ذكر، قول عبد الرحيم بن هارون:

رأيت الشيب مبتسما بفودي ففاضت أدمعي بدم الفؤاد  
وعمرى كل يوم في انتقاصٍ وذاك النقص لقب بالزياد  
ولى خطٌ وللأيام خطٌ وبينهما مخالفة المداد  
فأكتبه سواداً في بياض وتكتبه بياضاً في سواد

أنشدها الفنجدية وقال عند إنشادها: ولعبد الحميد أبيات، كأنها روضات جنات.  
قوله: سجاياهم، أى طبائعهم. يا صاح، أراد يا صاحب فرخم لكثرة  
الاستعمال. ولما جعل غسان من عاداتهم توقير الضيف، والشيب ضيف وجب  
عليه توقيره. ومرعاة مثل هذا العموم قد تقدم له في ذم الزجاج الذي جرت عليه  
سبيله، وأخذ هذا من قول دعبل:

أحب الشيب لما قيل ضيفٌ كحبي للضيوف النازلينا<sup>(١)</sup>

وقال المتنبي في ذم هذا الضيف:

ضيفٌ ألمٌ برأسى غير محتشمٍ والسيفُ أحسنُ فقلنا منه بالأمم<sup>(٢)</sup>  
أبعدُ بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسودٌ في عيني من الظلم

وقال محمود الوراق:

للضيف أن يُتَمَرَى ويُعرف حقه والشيب ضيفٌ فأقره بخضاب  
وإني بأصدق شاهدٍ ولربما وإني المشيب بشاهد كذاب  
فأفسخ شهادته عليك بخضبة تنفى الظنون بها عن المرتاب  
فإذا دنا وقت الرحيل فخله والشيب يذهب فيه كل ذهب

وقوله: والشيب ضيف له التوقير، قام وكيع لسفيان فنكر قيامه إليه فقال:

(١) ديوانه ١٥٠

(٢) ديوانه ٤: ٣٥

أنتكر على قيامي إليك، وأنت حدثتني عن عمرو بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المسلم». قال: فأخذ سفيان بيده، فأقعدته إلى جانبه.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه: «ما أكرم شابٌ شيخاً لسنه إلا قبيض الله تعالى له من بكره عند كبر سنه».

وقال صلى الله عليه وسلم: «أوحى إليّ ربي يقول: الشيب على عبدی المؤمن نور من نوري، وأنا أكرم من أن أحرق نوري بناري».

وحدث محمد بن مسلم الخواص الرجل الصالح. قال: رأيت يحيى بن أكرم القاضي في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال: يا شيخ السوء، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أقفت قالها ثانية وثالثة، فلما أقفت قلت: يارب، ما هكذا حدثت عنك، فقال تعالى: وما حدثت عني؟ قلت: حدثني عبدالرزاق، قال: حدثني معمر بن راشد، عن ابن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك، عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل، عنك يا عظيم؛ أنك قلت: ما شاب لي عبد في الإسلام شيبة إلا استحيت منه أن أعذبه بالنار، فقال الله عز وجل: صدق عبد الرزاق وصدق معمر، وصدق الزهري وصدق أنس وصدق نبيي وصدق جبريل، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنة.

\* \* \*

## تفسير ما أودع هذه المقامة

### من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو : « فإن وصلاً ألدَّ به » ؛ فإنه نظير قولهم : المرء مجزى بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وهذه المسألة أودعها سيديوه كتابه وجوزَ في إعرابها أربعة أوجه :

أحدها - وهو أجودها - أن تنصب : « خيراً » الأول وترفع الثاني . وتنصب : « شراً » الأول وترفع الثاني ، ويكون تقديره : إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير ، وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر ، فنصب الأول على أنه خبر كان ، وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف . وقد حذف في هذا الوجه « كان » واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو « إن » على تقديرهما . وحذف أيضاً المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه ؛ لأنه كثيراً ما يقع بعدها .

الوجه الثاني : أن تنصبهما جميعاً ، ويكون تقدير الكلام : إن كان عمله خيراً فهو مجزى خيراً ، وإن كان عمله شراً فهو مجزى شراً ؛ فينصب الأول على أنه خبر « كان » وينصب الثاني انتصاب المفعول به .

والوجه الثالث : أن ترفعهما جميعاً ، ويكون تقدير الكلام : إن كان في عمله خير فجزاؤه خير ، فيرفع « خير » الأول على أنه اسم « كان » ويرفع « خير » الثاني على ما بين في شرح الوجه الأول .

وقد يجوز أن يرفع « خير » الأول على أنه فاعل « كان » وتجعل « كان » المقدرة ها هنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع ، فلا تحتاج إلى خبر كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ ، ويكون التقدير في المسألة : إن كان خيراً فجزاؤه خير ، أي إن حدث خير فجزاؤه خير .

والوجه الرابع : وهو أضعفها أن ترفع الأوّل على ما تقدّم شرحه في الوجه الثالث، وتنصب الثاني على ما بيّن ذكره في الوجه الثاني ، ويكون التقدير : إن كان في عمله خير فهو يجرى خيراً ، وعلى حسب هذا التقدير والمقدّرات المحذوفات فيه يجرى إعراب البيت الذي غنّي به . ومما ينتظم في هذا السلك قولهم : المرء مقتول بما قُتِلَ به ؛ إن سيفاً فسيف ، وإن خنجراً فخنجر .

وأما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرفٌ حلوب ، فهي « نعم » ، إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف ، وإن غنيت بها الإبل فهي اسم . والنعم تذكر وتؤنث وتُطلق على الإبل وعلى كلّ ماشيةٍ فيها إبل . وفي الإبل الحرف وهي الناقة الضامرة ، سُميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف . وقيل : إنها الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل .

وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم ، فهو : سراويل ، قال بعضهم : هو واحد وجمه سراويلات ، فعلى هذا القول هو فرد ، وكنى عن ضمّه الخَصْرُ بآنه حازم .

وقال آخرون : بل هو جمع ، واحده سرّوال ، مثل : شمالل وشماليل ، وسرّبال وسرّابيل ، فهو على هذا القول جمع .

ومعنى قوله : ملازم ، أي لا ينصرف ؛ وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع ، وهو كلّ جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدّد ، أو حرفان أو ثلاثة أو سبطها ساكن لثقله وتفردّه دون غيره من الجموع بأن لا نظير له في الأسماء والآحاد ، وقد كنى في هذه الأحجية كعماً لا ينصرف بالملازم ، كما كنى في التي قبلها عمّاً ينصرف بالملازم .

\* \* \*

وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل ، وأطلقت المقتل ، فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره ، كقولك: صيارفة وصيافلة ، فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به ، لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد ، نحو : رفاهية وكراهية ، فحفّ بهذا السبب وصرّف لهذه العلة . وقد كنى في هذه الأحجية عمّا لا ينصرف بالمقتل ، كما كنى في التي قبلها عمّا لا ينصرف باللازم .

وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل ، فهي التي تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن ، التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب ، فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير الحففة من الثقلية ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ﴾ ، وتقديره : علم أنه سيكون .

وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف ، فهو : « عند » إذ لا يجره غير « من » خاصة ، وقول العامة : ذهب إلى عنده نحن .

وأما المضاف الذي أدخل من عرسي الإضافة بعروءة ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، فهو « لدن » ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة ، وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب نصبته بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ، ثم توثقها أيضاً ليتبين بذلك أنها منصوبة ، لأنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن « لدن » بمعنى « عند » ، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً ، وهو أن « عند » يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك ، مما دنا منك وبعُد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك .

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ، ويعمل معكوسه مثل عمله ، فهو : « يا » ، ومعكوسها « أي » ، وكلتاها من حروف النداء ، وعملها في الاسم

المنادى سيّان ، وإن كانت « يا » أجول في الكلام ، وأكثر في الاستعمال .  
وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى ، القريب فقط كالمهزمة .

وأما العامل الذى نأثبه أرحب منه وكرا ، وأعظم مسكرا ، وأكثر لله تعالى ذكرا ، فهو باء القسم ؛ وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك : أقسم بالله ، ولدخولها أيضاً على المضمر ، كقولك : بك لأفعلن ؛ وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنهما جميعاً من حروف الشفة ؛ ثم لتقارب معنييهما ؛ لأنّ الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق ، وكلاهما متفق ، والمعنيان متقاربان . ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالأقسام ؛ ولهذا ألفز بأنها أكثر لله تعالى ذكراً . ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء ، لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ، ولا تعمل غير الجر ، والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف . وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب . وتنظم أيضاً نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برُحْب الوكر وعظم المكر .

وأما الموطن الذى يلبس فيه الذّكران براقع النسوان ، وتبرز فيه ربّات الحجال بعمائم الرجال ، فهو أوّل مراتب العدد المضاف ، وذلك بين الثلاثة إلى العشرة ، فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها ، كقوله تعالى : **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ** ، والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث ، كقولك : قائم وقائمة وعالم وعالمة ، فقد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى اقلب كل منهما فى ضدّ قلبه ، وبرز فى بزة صاحبه .

وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب عن المضروب والضارب ، فهو حيث يشقبه المفاعل بالمفعول لتمذّر ظهور علامة الإعراب فيهما أوفى أحدهما ،

وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى ، أو من أسماء الإشارة نحو ذلك وهذا . فيجب حينئذٍ لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته ، ليعرف الفاعل منهما بتقدمه ، والمفعول بتأخره .

وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين ، أو الاقتصار منه على حرفين فهو « مهمما » ، وفيها قولان : أحدهما : أنها مركبة من « مه » التي هي بمعنى اكفف ، ومن « ما » والقول الثاني - وهو الصحيح - أن الأصل فيها « ما » فزيدت عليها « ما » أخرى ، كما تزداد على « إن » فصار لفظها « ماما » ، فنقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد ، فأبدلوا من ألف « ما » الأولى « ها » فصارتا « مهمما » . ومهما من أدوات الشرط والجزاء ، ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ، ولا عُقِلَ المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها ، كقولك : مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملزما للفعل ، وإن اقتصرت منهما على حرفين وهما « مه » التي بمعنى اكفف ، فهم المعنى وكنت ملزماً مَنْ خاطبته أن يكف .

وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العميون ، وقُوم بالدون ، وخرج من الزبون ، وتعرض للهون ، فهو « ضيف » إذا لحقته النون استحالة إلى « ضيفن » وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزيف .



## المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال : شتوت بالكرج لدين  
أقتضيه ، وأرب أقضيه ، فبلوت من شتاها الكالج ، وصيرها  
النافع ، ما عرفني جهد البلاء ، وعكف بي على الاضطلاء ؛ فلم  
أكن أزايل وجارى ، ولا مستوقد نارى ، إلا لضرورة أدفع  
إليها ، أو إقامة جماعة أحافظ عليها ، فاضطرت في يوم جوة  
مزمهر ، ودجنه مكفهر ، إلى أن برزت من كنانى ، لهم عنانى ؛  
فإذا شيخ عارى الجلدة ، بادي الجرذة ، وقد اتم بريطة ،  
واستتفر بفويطة ، وحواليه جمع كفيف الحواشى ، وهو ينشد ولا يحاشى .

\* \* \*

شتوت : أقت في الشتاء

[ الكرج ]

والكرج : مدينة معروفة ، وبشدة البرد موصوفة ، وهى بين أصبهان  
وهمدان ، وقد تقدم برد همدان<sup>(١)</sup> فى الأولى ، ومن همدان إلى نهاوند مرحلتان ، ومن  
الكرج إلى مدينة أصبهان ستون فرسخاً . وهى منازل عيسى بن إدريس بن  
مقل العجلي ، ولم تكن فى أيام العجم مدينة مشهورة ، وإنما كانت فى عداد القرى  
العظام من رساتيق كورة أصبهان ، فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور ،  
وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة .

وقال أبو دلف : دخلت على الرشيد ، فقال لى : يا قاسم ، ما خبر أرضك ؟  
قلت : خراب يباب ، خر بها الأكراد والأعراب ، فقال قائل : هذا آفة الجبل  
وهو أفسده ، قلت : فأنا أصلحه . قال الرشيد : وكيف ذلك ؟ قلت : أفسدته وأنت على ،

(١) فى الجزء الأول ، صفحة ٢٤ ، ٢٥

وأصلحه وأنت معي . ففعل ذلك ، وعمر الكرج ، حتى صار دار أجناد ، ومحل وفود وقُصَاد .

وقال علي بن جبلة<sup>(١)</sup> : زرت في الجبل ، فلما حللت بالكرج ، أظهر من برّي وإكرامى أمراً مفرطاً ، حتى تأدّرت عنه تأخراً كبيراً . فوصل إلى معقل بن عيسى ، فقال : يقول الأمير : انقطعت عني ، وأحسبك استقلت برّي ، فلا يفضّئك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني عنه إلا إفراطه بالبرّ . قال : وكتب إليه في ذلك :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمةٍ      وهل يُرتجى نيلُ الزيادة بالكفر  
ولكنني لما أتيتك زائراً      فأفرطت في برّي عجزت عن الشكر  
فأليت لا آتيك إلا مسلماً      أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر  
فإن زدتنى برّاً تزايدت جفوةً      ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

فلما وصلت إليه ، قال : قاتله الله ما أشعره ، وأدق معانيه ! فأجابني لوقتته ، وكان حسن البديهة :

ألا ربّ ضيف طارق قد بسطته      وآنسته قبل الضيافة بالبشر  
أناي يرجيني فما حال دونه      ودون القرى والعرف من نيله سترى  
وجدت له فضلاً عليّ بقصده      إلى وبرّاً راد فيه عليّ برّي  
فزودته مالا يقلّ بقاؤه      وزودني مدحاً يدوم مع الدهر

وبعث إلى بها وبألف دينار مع وصيفة ، فقلت حينئذ :

إمّا الدنيا أبو دلفٍ      بين مبداه ومختصره  
فإذا وليّ أبو دلفٍ      ولت الدنيا على أثره  
ملك تندي أنامله      كانبلاج النور عن مطره

(١) الأغاني ١٩ : ٢٩٨ (بيروت)

مستهلٌّ عن مراهبه - كابتسام الزهر عن زهرة  
 جبلٌ عزَّتْ مناكبهُ - أمنتُ عدنان في كنفه  
 كلٌّ من في الأرض من عربٍ - بين بادية ومحتضرة  
 مستعيرٌ منه مكرمة - يكتسبها يوم مفتخرة

والبيت الثاني أحفظ المأمون على ابن جبلة حتى سلّ لسانه من قفاه .

\* \* \*

قوله : أقتضيه ، أى أجمعه . أرب : حاجة . بلوت : قاسيت . السكالح : الشديد ، وكلح كلوحا . أبدى أسنانه عند العبوس ، والبرد الشديد بيدي الأسنان عند رعده . صرّها : يردّها الشديد . النافح : المتحرك بالريح الباردة . جهد البلاء : مشقة الضرّ ، ويقال : بلغ جهده ، أى أقصى قوته ، فأراد بجهد البلاء المشقة التي يتمنى الإنسان عندها الموت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيد منه .

أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ، وجهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الأعداء » ؛ وروى في « جهد البلاء » ، أنه القتل عبرا  
 أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال : قتل الصبر جهد البلاء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « جهد البلاء أن تحتاج إلى ما في أيدي في الناس فيمنعوك »  
 مجاهد قال : كنت جالسا عند عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة ، فأبى برجل أن يضرب عنقه ، فقلت : هذا والله جهد البلاء ، فقال : والله ما هذا إلا كشرطة حجام بمشراط ، ولوكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى مؤسع .

الأحنف : جهد البلاء خمسة : خادم مذموم ، وحطب رطب ، وبيت يصف ،

وخوان ينتظر ، وجبار على الباب يدق .

عكف بنى على الاصطلاء : أزمى التسخُن بالنار وعكف على الشيء عكوفاً: لزمه. أزايل وجارى : أفارق بيتى ، والوجار جحر الضبع . إقامة جماعة ، أى حضور الصلاة مع الجماعة ، ويرد شكير بفرناطة كان أشد على ابن صارة - حيث منعه الصلاة - من برد الكرج على ابن هام حيث يقول ابن صارة :

أحلّ لنا ترك الصلاة بأرضكم      وشرب الحميا وهو شىء محرّم  
فراراً إلى نار الجحيم فإنها      أرقّ علينا من شكير وأرحم  
لئن كان ربى مُدْخِلِي فِي جَهَنَّمِ      ففى مثل هذا اليوم طابت جهنّم

جوه مزمهرّ : هواؤه بارد ، والزمهرير : البرد . دَجَنه مكفهرّ : سحابه متراً كم مظلم . كنانى : بيتى : مهمّ : أمر لا يؤخر . عنانى : عرض لى وقصدنى . الجردة الجلدة : التى تجرد عنها ثوبها ، وفلان جسن الجردة والتجرد ، أى حسن العرى ، وقيل : الجردة الثوب المتجرد البالى . والريطة عند العرب : شىء رقيق ، شبه الملحفة ، ولذلك سُمّيَ به المرأة ، ولا معنى لهذه الصفة لأنه قد وصفه بالعرمى ، وإنما أراد هنا شبه الكراز لفظ مغير عن أصله كالقوطة عندنا ، ضرب مما يعتم به ، وهى مغيرة عن أصلها ، وإنما أصل القوطة ثوب يجلب من الهند غليظ ، وتصغيرها قُوَيْطَة ، يلبسه أهل مصر وأهل المشرق كما يلبس أهل المغرب وأهل الأندلس الإحرام والمئزر . واستنفر : بالثوب إذا لواه على فخذه ، ثم أخرجته من بينهما ، فشده فى حُجْرته ، واستنفر الكلب بذنبه : جعله بين فخذه فتخيل صورة السروجى هنا التى نهاية فى القبح على ما يتّصف به أبداً ، وقد لوى على رأسه نطعة من عمامة بالية ، واستنفر بمنها ، فلا تجدله مثلاً إلا ما قال أبودلامة فى نفسه :

إذا لبس العمامة كان قرداً      وخنزيراً إذا نزع العمامة :

وأين هذا من قول ابن رشيق في غلام معتمّ بعمامة حمراء :  
 يامن يمرّ ولا تمرّ به القلوب من الحرق  
 بعمامة من خده أو خده منها سرق  
 فكانه وكأنها قرأ أحاط به شفق  
 شغل الجوارح والجوا نح والخواطر والحدق

وقال السّلامى في عمامة :

حسنا ضافية ، بيضاء صافية كأنّ رونقها في صارم ذكر  
 يزین أطرافها طرز كما رقت على الجيرة طرز الأنجم الزهر  
 كثيف : خشن منضمّ بعض حواشيه إلى بعض من السكرة . يحاشى :  
 يستثنى .

\* \* \*

يا قوم لا ينيئكم عن فقري  
 أصدق من عرني أو ان القر  
 فاعتبروا بما بدا من ضري  
 باطن حالي وخفي أمري  
 وحاذروا انقلاب سلم الدهر  
 فإنني كنت نبيه القدر  
 آوى إلى وفرٍ وحدٍ يفري  
 تفيد صفري وتبيد سغري  
 وتشكى كومي غداة أقرى  
 فجرّد الدهر سيوف الغدر  
 وشن غارات الرزايا الغبر  
 ولم يزل يسحطني ويبري  
 حتى عفت داري وغاض دري  
 وبار سغري في الوري وشغري

(١) قله في النصف ٥٤

وَصِرْتُ نِضْوًا فَاقَةً وَعُسْرًا  
عَارِي الْمَطَا مَجْرَدًا مِنْ قَشْرِي  
كَأَنِّي الْمِغْزَلُ فِي التَّعْرِي لِادِفَاءِ لِي فِي الصَّنِّ وَالصَّنْبِرِ  
غَيْرُ التَّضْحِي وَاصْطِلَاءِ الْجَمْرِ فَبَلْ خِضْمٌ ذُو رِذَاءٍ غَمْرٍ  
يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ أَوْ طَمْرٍ طَلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لِشَكْرِي!

ينبيء : يخبر . أو ان القرء : وقت البرد . حاذروا : خافوا . سلّم : صلح .  
تبيه القدر : رفيع المنزلة . آوى : ارجع . وفر : مال كثير . يفري : يقطع .  
تفيد : تأتي بالفوائد . صُفْرِي : دنائيري . تُبِيد : تلتف . مُمْرِي : رماحي .  
كَوْمِي : إبلي ، والكوماء : الناقة العظيمة السنام أقرى : أطمع الأضياف ،  
أى تشتكى إبلي من كثرة ما أنحرها للضيغان . شن : فرّق . الرزايا : المصائب .  
الغبر : الآتية في الزمان المحل . يَسْحَتْنِي : يستأصل مالي . يبرى : يقطع لحمي .  
عَفَتْ : درست . غاض : ذهب وجف . درى : لبن إبلي . بار : كسد وضاع .  
سعري : سوقي . نضو : هزيل . فاقة : حاجة وفقر . عسر : ضيق حال . المطا : الظهر  
قشري : ثيابي . والدفاء : ذهاب البرد ، وقد دفيٌ بدفأ ، أى سخن وذهب برده .  
الصَّنُّ والصَّنْبِر : يومان من أيام المعجوز ، وهى سبعة : أربعة من آخر فبراير ،  
وثلاثة من أول مارس . وقال الشاعر فجمعها :

كُتِبَ الشَّاءُ بِسَبْعَةِ غُزْرِ بِالصَّنِّ وَالصَّنْبِرِ وَالْوَبْرِ (١)  
وَبَامِرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمَعْلَلٍ وَبِمَطْفِيءِ الْجَمْرِ

التَّضْحِي : الجلوس للشمس . خِضْمٌ : كريم ، شبه بالبحر ، وهو الخِضْمُ .  
ذو رِذَاءٍ غَمْرٍ : ذو عطاء كثير . مطرف : ثوب مربع في طرفه علم .  
الفرء : قيل مُطْرَفٌ لأنه أطرف ، أى جُمِلَ في طرفيه العلمان . طَمْر : ثوب خلق .

ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ، الرَّافِلِينَ فِي الْفِرَاءِ؛ مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا فَلْيَنْفِقْ، وَمِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا غَدُورٌ، وَالذَّهْرَ عَثُورٌ، وَالْمَكْنَةَ زَوْزَةٌ طَيْفٌ، وَالْفِرَاصَةَ مَزْنَةٌ صَيْفٌ. وَإِنِّي وَاللَّهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَوَاثِهِ، وَأَعَدَدْتُ الْأَهْبَ لَهُ قَبْلَ مَوَافَاتِهِ، وَهِيَ أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي، سَاعِدِي وَسَادَتِي، وَجَلَدَتِي بُرْدَتِي، وَحَفَّتِي جَفَّتِي، فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي، وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي؛ فَإِنَّ السَّيِّدَ مَنْ اتَّعَظَ بِسَوَاهِ، وَاسْتَعَدَّ لِسُرَّاهِ.

\* \* \*

أرباب الثراء: أصحاب المال. الرافلين: المشين بخيلاء وتبختر: الفراء: جمع فروة. أوتي: أعطى. خيراً: مالاً. يرفق: يعين، وأرقته: أعطيته ما يرتفق به. غدور: كثيرة الخداع. عثور: واقع بأهله. المكنة: الغنى. طيف: ما يرى في النوم.

ابن الأنباري: في طيف الخيال قولان: قيل: أصله طيف فحفف، وقال الأصمعي رحمه الله تعالى: هو مصدر طاف، وبه أخذ السهيلي رحمه الله تعالى، فقال: هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً، ولا يقال: منه طائف على فاعل، لأنه لا حقيقة للخيال، إنما هو توهم وتخييل. فإن كان شيء له حقيقة قلت: فيه طائف، نحو قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾، لأن الذي طاف عليها له حقيقة، ويقال: إنه جبريل عليه الصلاة والسلام. وأما قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهْمٌ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ فقد قرئ ﴿طائف﴾ أيضاً فطائف لأن له حقيقة، وطيف لأنه غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لاحقيقة له، فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال، ولا حقيقة له فيمتر بالطيف، ويقال في وسوسة الشيطان: طائف وطيف، وما عدا هذين فهو باسم الفاعل، ولا يميز عنه بطيف

فقف عليه . الفرصة : ما تهيأ لك وتيسر لك من مطالبتك . مزنة صيف ، أى  
سحابة لا دوام لها ، وأراد قول عمران بن حطان :

أرى أشقياء النَّاس لا يَسْتُونها على أنهم فيها غراب وجوع  
أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها سحابة صيف عن قريب تَقْشَعُ

ولما ولي بلال بن أبى بردة البصرة ، كان إذا اجتاز فى مواليه بخالد بن  
صفوان يقول : \* سحابة صيفٍ عن قريب تَقْشَعُ \*  
فبلغ قوله بلالاً ، فقال : والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب ، فردّه ثم  
ضربه مائة سوط .

كافات : جمع كاف ، وأراد بها آلته وما يستعدّ له بها وهى الأهب التى أراد .  
موافاته : مجيئه وحضوره . ساعدى : ذراعى . بردى : ثوبى ، الحفنة : ما يملأ  
الكف . الحفنة : الصحفة . فليتعض ، أى يعتبر ويجعلنى عبدة . صرف : قلب .  
استعد : أعدّ : لسراه : مثواه . وقال الألبيرى فى هذا المعنى :

وذى غنى أو همته همته أن الغنى عنه غير منفصل<sup>(١)</sup>  
فجرّ أذيال عجبهِ بطراً واحتال للكبرياء فى حُكْلِ  
برّته أيدى الخطوب بزّته فاعتاض بعد الحديد بالسّمْلِ  
فلا تثق بالغنى فأفته الفقر وصرف الزمان ذو دُولِ  
كنى بنيل الكفاف منه غنى فكف به الدهر غير مُحْتَفِلِ

[من مقامة البديع البخارية]

ومن مقامات البديع : حدثنا<sup>(١)</sup> عيسى بن هشام قال : أحتلّى جامع بخارى يوم  
وقد انتظمت مع رققة فى سلك الثريا . وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو  
ظميرين ، قد أرسل صوانا ، واستتلى طفلاً عرباناً ، يضيق بالضرّ وسهه ، ويأخذه  
القرّ ويدعه ، لا يملك غير القشرة بردة ، ولا يكتفى لحماية رعدة ، فوقف الرجل  
وقال : لا ينظر لهذا الطفل إلاّ من الله طفله ، ولا يرق لهذا الضرّ إلاّ من لا يأمن



مثله . يا أصحاب الجدود المفروزة ، والأردية للطرورزة ، والدور المنجدة ، والتصور  
 المشيدة . إنكم لن تأمنوا حادثا ، ولن تعدموا وارثا ، فبادروا الخير ما أمكن ،  
 وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج ، وركبنا الهملاج ،  
 ولبسنا الديداج<sup>(١)</sup> ، وافترشنا الحشايا بالمشايا ، فاراعنا إلا هبوب الدهر بفدرة ،  
 وانقلاب الحن لظهره ، فعاد الهملاج قطوفا<sup>(٢)</sup> ، والديداج صوفا ، وهلم جرا إلى  
 ما تشاهدون من حالي وزبي ؛ فيها نحن نرتضع من الدهر ندى عقيم ، ونركب  
 من الفقر ظهر بهيم ، فلا نرنو إلا بعين اليتيم ، ولا نمد إلا يد العديم . فهل  
 من كريم يجلو غياهب هذه البثوس ، ويقفل شبا هذه النحوس . ثم قد  
 مرتفقا<sup>(٣)</sup> ، وقال للطفل : أنت وشأنك ، قال : ما عسى أن أقول وهذا الكلام  
 لولقي الشعر لخلقه ، أو الصخر لقلقه ، وإن قلبا لم ينضجه ما قلت لنيء ، وقد سمعتم  
 يا قوم ، ما لم تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كل منكم بالجوود يده ، وليذكر  
 غده ، واقيا بى ولده ، وامنحونى أشكركم ، واذا كرونى أذكركم . وتامها  
 فى العشرين .

\* \* \*

ف قيل له : قد جلوت علينا أدبك ، فاجل لنا نسبك ،  
 فقال : تبا لفتخر ، بمظم نخر ، إنما الفخر بالتقى ، والأدب المنتقى ؛  
 ثم أنشد :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه  
 على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

(١) السكباج : لحم يطبخ بالخل ويجعل معه مرق ، والهملاج : الدابة السريعة ، والديداج : الحرير .

(٢) القطوف : الدابة البطيئة فى سيرها .

(٣) مرتفقا ، أى فى مكان عال .

وما الفخرُ بالعظمِ الرَّمِيمِ وإنَّمَا  
فخَارُ الَّذِي يبغي الفخارِ بِنَفْسِهِ

ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحَقِّقًا ، وَاجْرُنْثَمَ مُقَفِّقًا . وَقَالَ : اللَّهُمَّ يَا مَنْ  
عَمَرَ بِنَوَالِهِ ، وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ ؛ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَأَعْنَى عَلَى الْبَرْدِ  
وَأَهْوَالِهِ ، وَأَتَمَّحَ لِي حُرًّا يُؤَثِّرُ مِنْ خِصَاصَةِ ، وَيُؤَاسِي وَلَوْ  
بِقِصَاصَةِ .

\*\*\*

قوله : « جلوت » ، أظهرت وكشفت . أجلُّ : اكشف وبين عنه . تَبَّأ :  
خسرانا . نَخِرَ : بال . المتقى : المختار . تجلَّى : تبدى وظهر . الرميم : البالي .  
يبغى : يطلب .

وقوله : « تَبَّأ لِمُتَخَرِّجٍ ، بِعِظْمِ نَجْرٍ » ، كانت العرب تتفاخر بالأحساب ، وتتعاظم  
بكرم الآباء ، فنزل القرآن العظيم بترك ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
إِخْوَةٌ ﴾ و ﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في حجة الوداع : « أيها الناس ، إنما الناس إخوة وليس لعربي على عجمي  
فضل إلا بالتقوى . أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم  
وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله اتقاكم » ، فلذلك قال : إنما الفخر بالتقى .

وقال عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه :

الناس من جهة التمثيل أكفاه أبوهم آدم والأم حواء  
فإن يكن لهم من قبل ذا نسب يفاخرون به فالطين والماء

وقال عامر بن الطفيل :

ولم أجد وإن كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ      وفي السرِّ منها والصريحِ المهذبِ <sup>(١)</sup>  
 فما سودتني عامرٌ عن ولادة <sup>(٢)</sup>      أبى الله أن أسمو بأمّ ولا أبِ  
 ولكنني أحمى حماها وأتقى      أذاها وأرعى من رماها بمنكبي <sup>(٣)</sup>

فهذا مع إمكانه الفخر بالأباء لم يفخر إلا بنفسه . وأخذ عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقال :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرَمَتْ      يوماً على الأحسابِ تَتَكَلَّمُ  
 تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَاتَلْنَا      تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وهذا مثل قول الحسن رضى الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر ، فلم في ذلك فقال : أترانى خفت أن يقول : إني لست ابن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولكني خفت أن يقول : لست كمثلهما فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتاب محفوظاً على السنة الرواة ، فقال الشاعر : أنت والله يا بن رسول الله أعرف بالمدح والذم مني .

قوله : والأدب المنتقى ؛ حدث يحيى بن أكرم قال : بينما أنا جالس مع المأمون إذ دخل الدار فتى ، أبدع الناس زياً وهيبة ووقاراً ، وهو لا يلتفت إعجاباً بنفسه ، فنظر إليه المأمون ، فقال : يا يحيى إن هذا الفتى لا يخلو أن يكون هاشمياً أو نحوياً ، ثم بعثنا من يتعرف ذلك منه . فعاد الرسول فأخبر أنه نحوي ، فقال المأمون : يا يحيى ؛ أعلمت إن علم النحو قد بلغ بأهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بنى هاشم في شرفهم ! يا يحيى ، من قعد به نسبه قام به أدبه . قال : وأنشد الشاعر :

(٢) الديون : « ورائق » .

(١) ديوانه ٢٨ .

(٣) الديوان : « بعقب » .

كُنِ ابْنٌ مِّنْ شَنْتٍ وَاتَّخَذَ أَدْبَا يُغْنِيكَ مَا تُورُهُ عَنِ النَّسَبِ  
 ابْنُ الْفَتَى مِنْ يَقُولُ مَا أَنَا ذَا لَيْسَ الْفَتَى مِنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي  
 مَالِي عَقْلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي  
 ابْنُ اتَّبَعِي مَنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى أَدْبِي

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فقال له وقد  
 أعجبه : ابن من أنت يا غلام؟ فقال : ابن نفسي يا أمير المؤمنين ، التي نلت بها  
 هذا لثقتك منك ، قال : صليت . أخذه ابن دريد فقال :

كُنِ ابْنٌ مِّنْ شَنْتٍ وَكُنْ مُؤَدِّبًا فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِفَضْلِ حِسِّهِ <sup>(١)</sup>  
 وَلَيْسَ مَنْ تَكْرَمَهُ لغيره مِثْلَ الَّذِي تَكْرَمَهُ لِنَفْسِهِ

وقالت عائشة رضي الله عنها : كل كرم دونه لؤم ، فاللؤم أولى به ، وكل  
 لؤم دونه كرم فالكرم أولى به — يعني أن أعمال الإنسان إذا كرمت لم يضره لؤم  
 آبائه ، وإذا لؤمت لم ينفعه كرم آبائه . وقال المعري :

لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ <sup>(٢)</sup>  
 لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَدُومِ فِي وُجْدِهِ  
 وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ

قوله : ما تجلّى يومه ، أى على ما ظهر وانكشف يومه من أعماله المحمودة .  
 أو المذمومة . محقوقها : منحنيًا . اجرثم : انقبض . مقققا : مرتعدًا ، ويقال :  
 قفّ شعره إذا ارتفع من دعر أصابه . وقفّ جلدي من هذا الحديث : إذا اتشعر  
 من استنشاع ما سمع .

غر بنوالة ، أى غطى بغطاياها . وأمر بسؤاله : يريد قوله تعالى : ﴿ واسألوا

(١) ديوانه ٧٠٠ ، وفيه : « كيسه » .

(٢) سقط الزند ١٠١٦ مع اختلاف في الألفاظ وترتيب الأبيات .

الله من فضله ﴿ . آله : أهله . أهواله : شدائده ومخاوفه . أتج : قدر . يؤثر : يفضل غيره على نفسه . خصاصة : جوع ، وهذا منترع من القرآن .

\* \* \*

قال الراوى : فلما جلى عن النفس العصامية ، والملح الأضمعية ، جعلت ملامح عيني تعجمه ، ومرامي لحظي ترجمه ، حتى استبنت أنه أبو زيد ، وأن تعريه أحواله صيد . ولمح هو أن عرفاني قد أدر كهُ ، ولم يامن أن يهتكهُ ، فقال : أقسم بالسمر والقمير ، والزهر والزهر ، إنه لن يسترنى إلا من طاب خيمهُ ، وأشرب ماء المروءة أديمهُ . فعقلت ما عناه ، وإن لم يذر القوم معناه ، وسأني ما يعاينيه من الرعدة ، وأقشعرار الجلد . فعمدت لفروءة هي بالنهار رياشي ، وفي الليل فراشي . فنضوتها عني ، وقلت له : أقبلها مني ؛ فما كذب أن افتراها ، وعيني تراها . ثم أنشد :

لله من الأبنسي فروة أضحت من الرعدة لي جنه  
الأبنسيها واقيا مهجتي وقي شر الإنسان والجنه  
سيكتسي اليوم ثنأني وفي غد سيكتسي سندس الجنه

. . .

والعصامية : منسوبة إلى عصام بن شهر بن الحارث الجرمي ، حاجب النعمان  
ابن المنذر الذي يقول له النابغة :

فإني لا ألام على دخولٍ ولكن ما ورائك يا عصام<sup>(١)</sup>  
ولم يكن عصام شريفاً ، ولا نشأ في قومه ، ولكن كان من أشد الناس  
بأساً ، وأفصحهم لساناً ، وأحزمهم رأياً ، وأقربهم إلى النعمان ، وقال له رجل  
يوماً : كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت ذئب الأصل ؟ فقال :  
نفسُ عصامٍ سودت عِصاماً<sup>(١)</sup> وعلمته الكثرة والإقدام<sup>(١)</sup>

\* وصيرته سيّدا هماما \*

ويقال : كن عصاميا ولا تكن عظاميا ، أي افتخر بنفسك لا بأبائك  
الذين ماتوا وبقيت عظامهم . فكل من ليس له شرف قدم ، وشرف بنفسه ،  
يقال له عصامي .

وكانت لرجل عند الحجاج حاجة ، فوصف بالجهل والحق ، فأراد  
أن يختبره ، فقال : أعصامي أنت أم عظامي ؟ فقال له الرجل : عصامي  
عظامي ، فظن أنه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبأبائه لشرفهم ، فقال الحجاج :  
هذا من أفضل الناس ، وقضى حاجته ، ثم جرّبه بعد ذلك ، فوجده أجهل  
الناس ، فقال له : أصدقني وإلا قتلتك ، أجبتني بعصامي وعظامي ، فقال له  
الرجل : لم أعلم معناها ، فخشيت أن أقول أحدهما فأخطيء ، قلت في نفسي : أقولها  
معا ، فإن ضرتني أحدهما فنعني الآخر ، فقال الحجاج : المعاذير تصير النبي خطيبا ،  
فذهبت مثلا .

وسمع المأمون رجلا يفخر بنفسه وهو ناقص ، فقال : أنت عظامي لا عصامي .

(١) ديوانه ٧٤ .

(١) ديوانه ٧٩ .

ولهذا أشار بما تقدم من قوله « تَبَا لِمَفْتَخِرٍ ، بِعَظْمِ بَحْرِ » ، يريد أن عصاما ساد بنفسه لا بأبائه ، وكذلك السَّروحي لم يفخر إلا بنفسه .

الأصمعية : التي حكاها الأصمعيّ ، وقد مرّ من مُلح الأصمعيّ في هذا الكتاب جملة كافية بحمد الله تعالى . والأصمعيّ عِصاميّ لأنه من باهلة ، وهي أهن قبيلة في العرب والأمها ، وذكر المبرد في كامله جملة أخبار في أمثالها ، قال فيها الشاعر :

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم ذلك النَّسَبِ (١)

وهو مع ذلك خامل المنشأ ، وقد ذكرنا في الأربعين خمول أبيه إلا أنه ساد الناس بنفسه أدياً وعلماً وديناً . ومن مُلحه أنه قال : بينما أن في طرق البصرة إذا أنا بكناس يكنس كنيفاً ، وإذا هو يقول :

فإياك والسكنى بأرض مذلة تعدّ مسيئاً فيه إن كنت مُحسناً  
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن عليك بها فاطاب لنفسك مسكناً

قال : فوقفت عليه ، قلت : والله ما بقي عليك من الهون شيء إلا وقد أهنتها به ، فما الذي نلت من كرامتها ؟ قال : والله لكنس ألف كنيف أحسن من القيام على باب مثلك ساعة .

الأصمعيّ : كان أعرايان متواخيان بالبادية ؛ ثم إن أحدهما استوطن الريف ، واختلف إلى باب الحجاج ، فولّاه أصهبان . فسمع أخوه خبره فغضب إليه ، فأقام بيابه حيناً لا يصل إليه ، ثم أذن له بالدخول ، فأخذه الحاجب فمشى به وهو يقول :

فلست مسلماً مادمتُ حيّاً على زيد بتسليم الأمير

(١) الكامل للمبرد ٣ : ١١

فقال زيد : لا أبالي ، فقال الأعرابي :

أتذكر إذ لحافك جلدُ شاةٍ وإذ فعلاك من جلد البعيرِ

فقال : نعم ، فقال الأعرابي :

فسيبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك القمود على السريرِ

تعبه : تحتبره . سراي لحظي : نظرات عيني وسهام نظري ، واحده المرامي

مرّماة ، وهي السهم .

ترجمه : ترميه ويضع عليه . أحبولة : شبكة . يهتسكه : يكشفه . التمر : ظل القمر ، ثم سُمي حديث الليل سمرا به . الزهر : النجوم . خيمه : طبعه . أشرب : سقى . المروءة : الفعل الجميل . أديمه : وجهه ، ويقال : أشرب فلان حبّ فلان ، إذا خالط حُبّه قلبه . ما عناه : ما أراد ، يريد أنه لما قال : لن يسترنى ، إنما أراد لن يستر على هذه الحيلة التي أريد بها خداع الناس بعد ما عرفها بالإمن هو كما وصف .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن

أحيا موءودة من قبرها » .

سأنى : شقّ على . يمانيه : يقاسيه . اقشعرار : انقباض وارتعاد .

عمدت : قصدت . رياشي : لباسي . نضوتها : جردتها . افتراها : اتخذها .

جُنّة : ستراً ووقاية . واقيا : صائنا . مهجتي : نفسي . وقى : كفى . الجنّة :

الجنّ : سندس : ثياب خضر .

\*\*\*

قال : فلما فتن قلوب الجماعة ، بافتنانه في البراعة ، ألقوا عليه

من الفراء المغشاة ، والجباب الموشاة ، ما آده ثقله ، ولم يكذ



يَقْلَهُ ، فَاَنْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ ، مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ ، وَتَبِعْتُهُ  
إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ ، وَبَدَتِ السَّمَاءُ تَقِيَّةً ، فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّةُ  
مَا قَرَسَكَ الْبَرْدُ ، فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدِ ، فَقَالَ : وَيَكُ ! لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ ،  
سُرْعَةُ الْعَدْلِ ، فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِ هُوَ ظَلَمٌ ، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ  
بِهِ عِلْمٌ ؛ فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ ، وَطَيَّبَ تَرْبَةَ طَيِّبَةٍ ، لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ  
لَرُحْتُ بِالْخَيْبَةِ ، وَصَفَرَ الْعَيْبَةَ .

افتنانه : تنوعه . البراعة : الجودة والفضاحة المشاة : المظافة بغيرها من  
الثياب . المشاة : الزينة بالرقم . آده : أثقله . يقله : يرفعه . مستسقىا : داعيا  
بأن يسقىها الله تعالى . التقية : الخشية .

قوله : بدت السماء تقية ، مثل ضرب لخلو الموضوع من الناس وظهوره  
فيه وحده . ويك ، أى عجباً لك . العدل : اللوم .

تقف : تتبع ، يقال : قفوت أثره أقفوه قفواً ، إذا تقيمته ، ومنه : قفاً فلان  
فلانا إذا أتبعه بكلام قبيح ، ويقال : قفاه بالتخفيف .

أبو عبيدة رحمه الله تعالى : أصل القفو والتقافى : البهتان يرمى به الرجل  
صاحبه ، واحتج بحديث حبان بن عطية : « مَنْ قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله  
تعالى في ردغة<sup>(١)</sup> الخبال حتى يأتى بالخروج » . قال الفراء رحمه الله تعالى : القفو :  
مأخوذ من القيافة ، وهو تتبع الأمر ، يقال : قاف القائف يقفوا قيافة ، فهو  
قائف ، بتقديم الفاء على الواو ، كما قالوا في جذب : جَبَذَ ، وقرئ : ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾  
مثل تقل . نوّر : بيض .

(١) الردغة : الطين والوحل ؛ كذا فسره ابن الأثير وأورده في النهاية .

## [ ذكر طيبة ]

طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطيب الله تربتها بأن صيرها موطناً  
لنبيه صلى الله عليه وسلم ، في حياته ومستقرآله بعد مماته . و ذكر شيخنا ابن جبير  
المدينة فقال : للمدينة<sup>(١)</sup> المكرمة أربعة أبواب وهي تحت سورين في كل سور  
باب يقابله آخر : باب الحديد ، وباب الشريعة ، وباب القبلة ، وباب البقيع ،  
وبين سورها الغربي إخذق النبي صلى الله عليه وسلم مقدار غلوة ، وبين السور  
والخندق عين النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه حلق عظيم مستدير ، ومنع العين  
وسطه ، كأنه الحوض السطيل ، وتحت العين سقايتان بينهما جدار لظفر  
الناس وغسل أثوابهم ، والعين للاستقاء والعين تمد السقايتين ، وتهبط إليهما على  
خمس وعشرين درجة ، وماؤها يعم أهل الأرض فضلاً عن أهل المدينة . بمقربة  
من الحوض مما يلي الحوض حجر الزيت ، يقال : إن الزيت رشح للنبي صلى الله  
عليه وسلم من ذلك الحجر . وبالقرب منه بئر بضاعة وبازائها من الجهة  
اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أُحد : قتل نبيكم . وعلى شفير  
الخندق حصن العراب ، وهو خرب . كان عمر رضي الله عنه بناه لعراب المدينة ،  
وأمامه جهة الغرب على بعد بئر رومة التي اشتراها عثمان رضي الله عنه بمشرين  
ألفاً . وداخل باب الحديد سقاية يهبط إليها على أدراج ، وهي بمقربة من الحرم  
المكرم ، وبقبلي الحرم دار مالك بن أنس رضي الله عنه . ويطيّف بالحرم شارع  
مبسط بالحجر المنحوت ، وفي جوف المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها ، وبقبليته  
مسجد حمزة ، وقبره برحبة بجوف المسجد ، وبازائه قبور الشهداء ، وحوله تربة  
حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة ، وشرقي المدينة بقيع العرقد ، وإذا  
خرجت على باب البقيع تلتقى على يسارك قبر صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم  
وأم الزبير ، وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس . وأمامه قبر

(١) رحلة ابن جبير ، ١٧٦ ، بتصرف .

السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبد الرحمن بن عمر ، الذي جلده أبوه الحدّ فات ، ويازائه قبر عَقِيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر ، ويازائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه صلى الله عليه وسلم ، وبليها روضة العباس والحسن رضى الله عنهما ، وعليها قبة مرتفعة في الهواء ، وقبراهما مرتفعان على الأرض مغشيان بألواح ملتصقة أبدع التصاق ، مرصعة بالصفائح الصفرة مسكوكة بمسامير على أبدع صفة ، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم عليه السلام بن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد ، وعليه قبة مختصرة البناء ، وبمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم عليّ كرم الله وجهه ، ومشاهد البقيع أكثر من أن تُحصى لأنها مدفن الصحابة رضى الله عنهم . وقبل المدينة على نحو الميدين قبّاء ، وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرّمة ، وبها المسجد الذى أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب ، وهو سبع بلاطات فى الطول ، ومثلها فى العرض ، وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد ، وفى وسطه مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، عليه حلق قصير شبه الروضة ، يتبرك الناس بالصلاة فيه وفى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مسطبة ، وهو أوّل موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى قبليته دار بنى النجار ، وهى دار أبى أيوب الأنصارى ، ويليها دار عائشة رضى الله تعالى عنها ، ويازائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين ورضى عنا بهم ، ويازائها بئر أريس حيث نفل فيه النبي صلى الله عليه وسلم فماد عذبا بعد أن كان أجاجا ، وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضى الله عنه ، وحديثه مشهور ، وفى آخره تلّ مشرف يعرف بعرفات لأنه كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، ومنه زويت له الأرض فأبصر الناس بعرفات . ويدخل من التل على دار الصفة ، وبها كان عمار و سلمان وأصحابهما . والطريق من قبل قبّاء إلى المدينة بين حدائق النخل المتصلة ، والنخيل تحديق بالمدينة من

جهاثها ، وأعظمها جهة القبلة والشرق ، وأقلها جهة الغرب . وآثار المدينة وقيام  
لأتحصى . فلما خص الله تعالى تربة طيبة بصفوة عباده أقسم الحريري بن طيبة .  
صفر العيية : خلوا الوعاء .

\* \* \*

ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفِرَارِ ، وَتَبَرَّقَعَ بِالْكَفَرَارِ ، وَقَالَ : أَمَا  
تَعْلَمُ أَنَّ سِنْسِنَتِي لِلْإِنْتِقَالِ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ ، وَالْإِنْعِطَافِ مِنْ  
عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ ، وَأُرَاكَ قَدْ عَقَقْتَنِي وَعَقَقْتَنِي ، وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ  
مَا أَفَدْتَنِي ، فَاغْفِرْ عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ لَفُوكَ ، وَاسْتُدْ ذُوْنِي بِأَبِ جَدِّكَ  
وَلَهْوِكَ . فَجَبَذْتُهُ جَبَذَ السُّعَابَةَ ، وَجَمَعْتُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ ، وَقُلْتُ لَهُ :  
وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أُوَارِكَ ، وَأُغَطُّ عَلَى عَوَارِكَ ، لَمَا وَصَلْتُ إِلَى صَلَاةٍ ،  
وَلَا تَقَلَّبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ ، فَجَازَنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ ،  
وَسَتَّرِي لَكَ وَعَلَيْكَ ، بَأَنَّ تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ الْفَرُوةِ ، أَوْ تَعْرِفَنِي  
كَأَفَاتِ الشُّتُوَةِ . فَنَظَرَ إِلَى نَظَرِ الْمُتَعَجِّبِ ، وَازْمَهَرَ اَزْمَهْرَارِ  
الْمُتَغَضِّبِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رَدُّ الْفَرُوةِ فَأَبْعُدُ مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّابِرِ ، وَالْمَيْتِ  
الْفَاغِرِ .

. . .

نَزَعَ : مال وحن . وتبرقع : ستر وجهه . الا كفه رار : العبوس . سنسنتي :  
طبيعتي . الانعطاف : الرجوع . عقتني : حبستني . عقتني : قطعني . أفتني :  
حرمتني . أفدتني : أكسبتني فائدة . اغفني : أرحمني وعافني . لفوك : باطلاك .

التلعابة : كثرة اللعب ورجل تلعابة : حسن اللعب مزاح ، وفي الحامسة :

هُوَ الظفر الميمون إن عاد واغْتَدَى به الركب والتلعابة المتحَبُّ

جميعت : صحت ودعوت به ، والجمجمة : رُغَاء الإبل . الدُّعابة : المزاح .  
أوارِك : أسترِك . عوارِك : عيبك . صلة : عطية . سترى لك ، أى ثوبى ،  
وأراد بعليك ، سكوتى عنك حين قلت : لن يسترنى إلا من طاب خيمه . ازمهر :  
توقدت عيناه غضبا . المتغضب : المستعمل الفضب . الدابر : الماضى . والفابر :  
الذاهب .

\* \* \*

وأما كافاتِ الشّتوة ، فسبحانَ مَنْ طَبَعَ على ذَهَبِكَ ،  
وأُوهِى وعاءُ خزنِكَ ، حتّى أنسيتَ ما أنشدتكَ بالدمسكرة ،  
لابن مسكّرة :

جاء الشّتاء وعِنْدِي مِنْ حوائِجِهِ

سبعٌ إذا القَطْرُ عَنْ حاجاتنا حَسباً

كِنْ وكِسٌّ وكانونٌ وكاسٌ طِلاً

بعد الكبابِ وكُسٌّ ناعمٌ وكِساءٌ

ثم قال : لَجَوابٌ يَشْفِي ، خَيْرٌ مِنْ جِلْبَابٍ يُدْفِي ؛ فاكتفِ  
بِما وَعَيْتَ وانكفي . ففارقته وقد ذهبتُ فروتى لِشِقْوَتِي ،  
وحصّلت على الرّعدة طولَ شتوتِي

• • •

وقوله : سبحان من طبع ، معناه تنزيهاً لك ياربنا من الولد والصاحب والشريك ، أى نزهناك من ذلك ، وانتصابه على المصدر ، كأنك قلت : سبحت الله تسييحاً ، فجعلت « سبحان » فى موضع التسييح ، ومعنى طبع على قلبك ، أى غشاه الصداً والدنس والوسخ ، قال الله تعالى : ﴿ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ وقال : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وفى الحديث « نمود با الله من طبع يدنى إلى طبع » . وقال الشاعر :

لأنظمن طمعاً يدنى إلى طبعٍ إن المطامع قمر والغنى يأسُ

وأشده يعقوب :

لا خير فى طمع يدنى إلى طبعٍ وغفّة من قوام العيش تكفينى<sup>(١)</sup>

والذهن : قوّة ادراك العقل . أوهى : أضعف . خزتك : تقيفك وحرزك .  
السكرّة : هنا قرية معروفة بينها وبين بغداد على طريق خراسان ستة عشر فرسخاً .

### [ ترجمة ابن سكرّة ]

وابن سكرّة من شعراء البيهية قال صاحبها<sup>(٢)</sup> : ابن سكرّة الهاشمى هو أبو الحسن محمد بن عبدالله بن محمد . شاعر متسع الباع ، فى أنواع الإبداع ، فائق فى قول الظرف والملح ، أحد الفحول والأفراد ، وجال فى ميدان المجون والسخف بما أراد . وكان يقال ببغداد : إن زمانا جاد بابن سكرّة وابن الحجاج لمسخى جدّاً ، وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق فى عصرهما . ويقال إن ديوان ابن سكرّة يربو على خمسين ألف بيت .

(١) البيت فى لسان- غفا من غير نسبة . والغفّة : بلغة من العيش . (٢) البيهية ٢-٣ .

ومن شعره في غلام في يده غصن نوار :

غصن بانٍ بدا وفي اليَدِ مِنْهُ غصن فيه لؤلؤ منظوم<sup>(١)</sup>  
فتحيرت بين غصنين في ذا قر طالع وفي ذا نجوم

وله في غلام يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لأنى إذا أنا قلت من هو تمشوه<sup>(٢)</sup>  
حيب قد نقي عني رقادى فإن غمضت أيقظني أبوه

وله في غلام أعرج :

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم العيب يحدث في غصون البان<sup>(٣)</sup>  
ماذا على إذا استجدت شمائلها وروادفا تغنى عن الكُثبانِ  
إني أحبُّ جلوسه وأريده للنوم لا للجري في الميدانِ  
في كل غصن منه حسن كامل ماضرتني إن زلت القدمان

وله في غلام سمّيه :

إذا باسمي دُعيت حننت شوقا وذكّرني به الداعي حبيبي<sup>(٤)</sup>  
فليت كما اتفقنا في الأسامي وألقها اتفقنا في القلوبِ

وله أيضا :

بنفسى عذار بدّا طالما على ناصر الورد ما أملا<sup>(٥)</sup>  
كتمت هواه زمان الصبا وبوّحت<sup>(٦)</sup> بالحبّ لما التحى

(٢) اليئمة ٣ : ٨

(٤) اليئمة ٣ : ٤

(٦) اليئمة : « صرحت »

(١) اليئمة ٣ : ٣

(٣) اليئمة ٣ : ٦

(٥) اليئمة ٣ : ٥

وقالوا محاماً الشعر لما بدا محاسنه منه واستقبجا  
فقلت لهم ما محام حسنه ولكن صبري عنه محام

وله في مثله :

وغزال لولا تميمه شعر ذكّرتُه لقلت بفض الجوّاري<sup>(١)</sup>  
شاربٌ أشرب الصبابة قلبي وعذار خلعتُ فيه عذارى

وله في مثله أيضاً :

من عذيري من شأن لايراني وهو روجي أهلا لرد السلام<sup>(٢)</sup>  
أنا من خده وعينه والثغر ومن ريقه البعيد المرام  
بين وردٍ ونرجس ولآلٍ أقوافٍ وباليّ مُدام

وله في مثله أيضاً :

في وجه إنسانة كلفت بها أربعة ما اجتمعن في أحد<sup>(٣)</sup>  
الحدّ ورد والضدغ غالية ولالريق خمر والثغر من برد

وله في مثله أيضاً :

لقد أمسكت من عمر بن يحيى بجبل ما أخاف له ابتاتا<sup>(٤)</sup>  
حبّاني في الحياة ورمّ حالي وأوصى بي أبا حسن وماتا  
فكنت مجاورا للبحر منه فلمّا مات جاورتُ الفراتا

وله في وزير المهلب :

لا عذب الله ميتا كان يهشني فقد لقيت بضرّي مثل ملاقّي

(٢) اليتيمة ٣ : ٤

(٤) لليتيمة ٣ : ٢٢

(١) اليتيمة ٣ : ٣

(٣) اليتيمة ٣ : ٦



طواه موتٌ طوى عنى مكارمهُ فذقت من بعده بانقتر ماذاقا<sup>(١)</sup>  
وقال فيه أيضاً :

مضى ملك عمّ البرية جوده رءوف وإن راع الأسود شفيق<sup>(٢)</sup>  
سكرتُ بنعماء وجود وزيره فقالت لى الأيام : سوف تذوقُ  
وقال رحمه الله أيضاً :

لقد كان الشباب فكان غضاً له ثمرٌ وأوراق تظلك<sup>(٣)</sup>  
وكان البعض منك فمات فاعلم مئى ما مات بمضك مات كلك  
ويابعد ما بين حاله وقت قوله : جاء الشتاء ... البيتين . وبين حاله وقت  
موت المهلبى، وقد أدرك فاقه، فسئل عما أعدّ للشتوة فقال :

قيل ما أعددت للبر د فقد جاء بشده<sup>(٤)</sup>  
قلت : دراعة عرئى تحتمها جبة رعه

\* \* \*

قوله : « إذا انظر عن حاجاتنا حبسا » ، فى معنى ذلك أن الحسن بن وهب  
تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له ، فاستبطأه فكتب الحسن إليه :

أوجب العذر فى تراخى اللقاء ما ترى بى من هذه الأنواء<sup>(٥)</sup>  
لست أدرى ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقنى عن سماء  
غير أنى أدعو على تلك بالثكل وأدعو لهذه بالبقاء  
فسلام الإله أهديه منى لك غضاً يا سيّد الوزراء  
كان لابن عبد ربه فتى يهواه ، فأعلمه أنى راحل غدا ، فلما أصبح عاقه عن

(١) البيئمة ٣ : ٢٠ (٢) البيئمة ٣ : ٢١ (٣) البيئمة ٣ : ٢٤

(٤) البيئمة ٣ : ٢٢ (٥) الأغاني ٢٠ : ٥٤ - ساسى

(١٧ - شرح مقامات الحريرى ج ٣)

السفر تكأثرُ المطر ، فأنجلى عن ابن عبد ربه هته ، وكتب إليه :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكرُ هيات يأتي عليك الله والقدرُ (١)  
مازاتُ أبكي حذار البين ملتها حتى رثا لي فيك الريح والمطرُ  
يا برّده من حيا مزن على كبدٍ نيرانها بغليل الشوق تستعيرُ  
آليت ألا أرى شمساً ولا قرأ حتى أراك ، فأنت الشمس والقمر

وعد ابن رشيقي محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلى وارقبه ،  
فيذا بالسماء قد أُرعدت وأبرقت ، فكتب إليه :

تجهم العيد وانهدت مدامعه وكنت أعهد منه البشر والضحكا (٢)  
كأنه جاء يطوي الأرض من بعدٍ شوقاً إليك فلما لم يجدك بكى

وكتب السّلامى إلى أصحابه والمطر قد قطعه عنهم :

قطعتكم برغم المجد شهراً أشدّ على من شهر الصيام (٣)  
وكيف أزوركم والزن تبكى على دارى بأربعة سجام  
وكانت منزلاً طلق الحميا فصارت وادياً صعب المرام  
تهافت ركع الجدران فيها سجداً للرعود بلا إمام  
أنادى كلما ارتفعت سحب فأبكتنا البوارق بأقسام  
حوالينا بذاك ولا علينا كفانا الله شرّك من غمام

كن ، أى بيت . كيس : وعاء الدراهم . كانون : حيث تجعل النار فيه .  
طلا : خمر . كباب : لحم يشرح ويشوى ، وكتبته : فعلت ذلك به ، وقيل :  
الكباب قطع الكرش تلوى عليها المصارين ، وأراد بها هاهنا شواء اللحم .  
والكس : اسم فرج المرأة وليس بعربي ، قال الفنجديهى رحمه الله تعالى : سمعت

(١) معجم الأدباء : ٤ : ٢١٥ (٢) نقله في التنف ٥٦ (٣) القيمة ٢ : ٣٩٤

بعض الفضلاء يقول : كتب ابن سكرة في يوم مطر إلى صديق له :

يوم مطير وعندى من خواطره      سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا<sup>(١)</sup>  
حروف كافاتنا فيها مقومة      إذا تلاها الفتى ذواللب أو درسا  
لنّ وكيس و كانون وكأس طلا      مع السكاب وكسّ ناعم وكسا  
فلو مطرت البحار الدهر لم ترني      أقول : أحسن هذا اليوم بي وأسا

وزاد ابن مسعود عليه كأننا ثمانية فقال :

وكم ليلة في شهر كانون بثها      أعانق من حبيها الدّعص والغصنا  
سمعت من الكافات فيها ثمانيا      فاشتت من مرأى أنيق حوى الحسننا  
كبابا وكيزانا وكيسا وكاعبا      كساء وكوبا والكوانين والكسا

كما نقصه الأمير تميم بن المعز السابعة ، فقال :

إذا هب سلطان المريسى ضاحكا      سحيرا وحلّ الغرب كل نقاب<sup>(٢)</sup>  
وزرّ على الأرض الغمام ثيابه      قهم والقه في عدّة وحراب  
بكنّ و كانون وكأس مدامة      وكيس وكسّ وافر وكباب

نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان ، قال : ولما جمعنا في أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات ، قلت في ضدها من الحرّ بيتين ، جمعت فيهما من الرءات ثمانية وهي :

عندى فديتك رءات ثمانية      ألقى بها الحرّ إن وافي وإن بردا  
رقّ وروح وريحان وريق رشا      ورفرف ورياض ناعم وردا

جلباب : ثوب يابس على الثياب . اكتف : اقتنع . وعيت : حفظت .  
انكفي : ارجع إلى موضعك . طول : مدة . والله تعالى أعلم .

(١) ابن خلدون : ١ : ٥٢٧ . (٢) ديوان تميم ٥١ والمريسى ربيع جنوبية .

## المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالزقطاء

حدث الحارث بن همام قال : حَلَمْتُ سُوقَ الْأَهْوَازِ ، لَابِسًا حُلَّةَ الْإِعْوَازِ ، فَلَبِثْتُ فِيهَا مُدَّةً ، أَكَابِدُ شِدَّةً ، وَأُزْجِي أَيَّامًا مُسْوَدَّةً ، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ تَمَادِيَ الْمَقَامِ ، مِنْ عَوَادِي الْإِنْتِقَامِ ، فَرَمَقْتُهَا بَيْنَ الْقَالِي ، وَفَارَقْتُهَا مَفَارِقَةَ الطَّلِيلِ الْبَالِي . فَظَعَنْتُ عَنْهُ وَشَلَّهَا كَمِيشَ الْإِزَارِ ، رَكَضًا إِلَى الْمِيَاهِ الْفِزَارِ ؛ حَتَّى إِذَا سِرْتُ مِنْهَا مَرَّحَلَتَيْنِ ، وَبَعُدْتُ سُرَى لَيْلَتَيْنِ ، تَرَأَيْتُ لِي خَيْمَةً مَضْرُوبَةً ، وَنَارًا مَشْبُوبَةً ، فَقُلْتُ : آتِيهِمَا لَعَلِّي أَنْقَعُ صَدِّي ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى .

\* \* \*

حلت: نزلت. الأهواز: مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس ، قال الرشاطي: الأهواز: متصلة بالجبل وأصبهان ، وقيل: إن الأهواز بلد من سكن قصبته ، ضمف عقله ولزمته الحمى .

حُلَّةُ الْإِعْوَازِ : ثوب الفقر ، والحُلَّةُ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ ، وَلَا يُقَالُ لَثُوبٍ وَاحِدٍ : حُلَّةٌ . لَبِثْتُ : أَقْبْتُ . أَكَابِدُ : أَقَامِي . أُزْجِي : أَسُوقُ . مُسْوَدَّةٌ : شِدَادٌ مُشْوَمَةٌ . تَمَادَى : دَوَامٌ وَطَوَّلُ . الْإِقَامَةُ : عَوَادِي : جَمْعٌ عَادِيَةٌ ، مِنْ الْعُدْوَانِ وَهُوَ الظُّلْمُ . وَالْإِنْتِقَامُ : الْعَذَابُ وَالنَّكَايَةُ . رَمَقْتُهَا : نَظَرْتُهَا . الْقَالِي : الْبَغِيضُ . الطَّلِيلُ : مَا شَخِصَ مِنْ آثَارِ الدَّارِ . ظَعَنْتُ : ارْتَحَلْتُ . وَشَلَّهَا : مَاوَّهَا التَّلِيلُ .

كيش: مشتمر، وانكس في طلب حاجته: أسرع فيها، والإزار والمئزر: ما يلبس  
عَرَضًا من السراويل، ولا تعرف العرب السراويل، ووجدتها أعرابي فظنها  
قميصًا، فأدخل يديه من على ساقها، والتمس من أين يخرج رأسه فلم يجد، فرمى  
بها، وقال: هذا قميص الشيطان.

قوله: راكضا، أى جاريا، وهمزة ماء مبدلة من هاء «مياه». الفزار:  
الكثيرة. سُرى ليلتين، أى سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين. تراءت: ظهرت.  
مشبوبة: موقودة. أنقع صدى: أروى عطشا. أجد على النار هدى، أى أجد  
عليها من يُرشدنى إلى الطريق

\* \* \*

فلما انتهيتُ إلى ظلِّ الخيِّمةِ ، رأيتُ غِلمَةً رُوقَةً ، وشارَةً  
مرْمُوقَةً ، وشيخًا عليه بزةٌ سنِّيَّةٌ ، ولديه فاكهةٌ جنيَّةٌ . فَحَيَّيْتُهُ  
ثمَّ مُحَامَيْتُهُ . فَضَحِكَ إِلَى ، وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ : أَلَا تَجْلِسُ  
إِلَى مَنْ تَرُوقُ فَاكِهَتُهُ ، وَتَشُوقُ مُفَاكِهِتُهُ ! فَجَلَسْتُ لِاعْتِنَامِ  
مُحَاضِرَتِهِ ، لَا لِالْتِهَامِ مَا بِحَضْرَتِهِ ، فَمِنْ سَفَرٍ عَنْ آدَابِهِ ، وَكَشَرَ  
عَنْ أُنْيَابِهِ ، عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ بِحُسْنِ مُلَاجِهِ ، وَقُبْحِ قَلَابِهِ .  
فَتَعَارَفْنَا حِينَئِذٍ ، وَحَفَّتْ بِي فَرَحَتَانِ سَاعَتَيْدٍ ، وَلَمْ أَذْرِ بَأَيِّهِمَا  
أَنَا أَضْفَى فَرَحًا ، وَأَوْفَى مَرَحًا ! أَيَّاسْفَارَةٍ ، مِنْ دُجْنَةِ أَسْفَارِهِ ،  
أَمْ بِخِصْبِ رِحَالِهِ ، بَعْدَ إِحْمَالِهِ .

\* \* \*

رُوقَةٌ: حسانا، وغلان رُوقَةٌ، وإذا أعجبك، وغلان رُوقَةٌ، الواحد والجمع  
سواء، وقيل: رُوقَةٌ لفظ مفرد والجمع رُوقٌ، والهاء للمبالغة. شارَةٌ: هيئة حسنة

يشار إليها . مرموقة : محبوبة . بزّة سنية ثياب حسان ، والبزّة والبزّة أفضل الثياب . جَنِيّة : طرية كما اجتذبت . حَيَّيْتُهُ : سلّمت عليه . تحاميته : تباعدت عنه . تروق : تعجب . تشوق : تشوق وتدعو إلى الطرب . مفاكته : مازحته ، وفاكته : حدّثته بما يعجب التهام : ابتلاع . سَفَر : كشف وبين أنه من أهل الأدب . كَشَرَ عن أنيابه : كشف عن أسنانه عند الضحك . مُلَّحَ : ما يبح كلامه . قَلَحَ : صفرة أسنانه . تعارفنا : عرفته من أنا وعرفني من هو . حَفَّت : أحاطت . والمرح : شدة الفرح ؛ وأوفى مرحاً ، أى أكل طرباً ونشاطاً . إسفاره : طلوعه وإضاءته . دجئة : سواد وظلام . أسفاره : جمع سفر . رحاله : أوقاره ، يصف كثرة ماله ، وأنه إذا نزل منزلاً أخصب بكثرة أحماله . إحماله : جذب به .

\* \* \*

وتأقت نفسي إلي أن أفضّ ختم سرّه ، وأبطن داعية يسره ، فقات له : من أين إيابك ، وإلى أين انسيابك ، وبم امتلأت عيابك ؟ فقال : أما المقدم فمن طوس ، وأما المقصد فإلى الشوس . وأما الجدة التي أصببتّها ، فمن رسالة اقتضيتها . فسألته أن يفرّشني دخلته ، ويسرد عليّ رسالته ، فقال : دون مرامك حرب البسوس ، أو تصحّبتني إلى الشوس . فصاحبته إليها قهراً ، وعكفت عليه بها شهراً ، وهو يعلمني كاسات التعليل ، ويجرّني أعنة التأميل .

\* \* \*

ناقت : اشتاقت . أفضّ : أكسر . ختم : ربط وشد . أبطن : أعرّف باطنه . يسره : غناه . إيابك : رجوعك . انسيابك : ذهابك . عيابك : أوعية متاعك .

طوس : مدينة منها إلى نيسابور مرحلتان ، قال اليعقوبي : مدينة طوس العظمى ، يقال لها لوبان ، وبها قبر الرشيد ، وبها توفي الرضا علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، وهي من نفور الجبال المنصلة بخراسان ، ومجاورتها أيضاً مدينة أصبهان ، وهي عظيمة .

وأما السوس ، فمدينة بأرض فارس ، تعمل بها الثياب الشوسية من الخرز ، قال الرشاطي : السوس من كور الأهواز ، والسوس في بلاد الغرب ، وذكر الجاحظ أن من طنجة إليها عشرين يوماً .

وسوسة من بلاد إفريقية على البحر ، تُصنع بها ثياب رفاع ، والسوس اسم مشترك ، والذي قصد الحريري منهما الأولى .

الجِدَّة : الفنى . اقتضبتها : ارتجلتها . يُفْرِشْنِي دخلته : ييسط لي باطن أمره ، وأفرشتك حديثي : بسطته لك وبينته . يسرد : يقرأ . مرامك : مطلبك . وتقدمت حرب البسوس في التاسعة عشرة .

عكفت : أقت . يعانى : يسقيني مرة بعد مرة ، والتعليل أن يطمعك في قضاء حاجتك فإذا تقاضيته أظهر لك عيلاً وعوائق ثم يمتيك ، فتى ماجئته اعتل لك بعلة مانعة من قضاء حوائجك .

يجرتنى : يعلقها بى ويجعلنى أجرتها . أعنته : جمع عنان . التأميل : مصدر أمه ، إذا رجاه وحقق له أمه .

\* \* \*

حَتَّى إِذَا حَرَجَ صَدْرِي ، وَعَيْلَ صَبْرِي قُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَكَ عِلَّةٌ ، وَلَا لِي فِي الْمَقَامِ تَعِلَّةٌ ، وَفِي غَدٍ أَرْجُرُ غُرَابَ الْبَيْنِ ، وَأَرْحَلُ عَنْكَ بِحُفْنِي حُنَيْنٍ ، فَقَالَ : حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُخْلِفَكَ ، أَوْ أَخَالَفَكَ ؛ وَمَا أَرْجَأْتُ أَنْ أَحَدْتُكَ إِلَّا لِالْبَيْتِ . وَإِذَا كُنْتَ قَدِ اسْتَرْبَتَ

بِعِدَّتِي ، وَأَغْرَاكَ ظَنُّ الشُّوْءِ بِمَاعِدَّتِي ، فَأَصِيحُ لِقَصَصِ سِيرَتِي  
الْمَمْتَدَّةِ ، وَأَضِفُهَا إِلَى أَخْبَارِ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ .

فَقُلْتُ لَهَا : هَاتِي فَمَا أَطْوَلَ طِيْلَكَ ، وَأَهْوَلَ حِيْلَكَ . فَقَالَ :  
اعْلَمِي أَنَّ الدَّهْرَ الْعَبُوسَ ، أَلْقَانِي إِلَى طُوسٍ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ فَاقِرٌ  
وَقَبِيْرٌ ، لَا فَتِيْلَ بِهَا وَلَا تَقِيْرَ ، فَأَجَانِي صَفْرُ الْيَدَيْنِ ، إِلَى التَّطَوُّقِ  
بِالْدِّينِ ، فَادْنَتْ لِسُوءِ الْإِتْفَاقِ ، مِمَّنْ هُوَ عَسِيْرُ الْأَخْلَاقِ ، وَتَوَهَّمْتُ  
تَسْنِيَّ النَّفَاقِ ، فَتَوَسَّعْتُ فِي الْإِنْفَاقِ ، فَمَا أَفْقَتْ حَتَّى بَهَظَنِي دِيْنُ  
لِزْمِنِي حَقُّهُ ، وَلَا زَمَنِي سَتَحَقُّهُ ، فَجَرِهْتُ فِي أَمْرِي ، وَأَطْلَعْتُ غُرِيْبِي  
عَلَى عُسْرِي .

\* \* \*

حرج صدره، إذا ضاق . عيل : غلب ، وعالي الأمر يعولني عوْلاً : غلبني .  
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَائِلَةً ﴾ أى خصلة تعولكم وتغلبكم .  
تعيلة : ما تبديه من العلل في اعتذارك لمن يتقاضاك ، وفي غدا أزر غراب البين ،  
أى التفاؤل به لفراقك ، وإنما ينسبون الفراق للغراب ، لأنهم إذا ارتحلوا عن  
موضع اجتمع الغرابان فيه يلتقن ما تركوا من بقايا طعامهم وزبل دوابهم ،  
وإذا أخذوا في هدم البيوت للرحيل وأبصرهم الغراب صاح رغبة فيما يلتقط ،  
فيقولون عند ذلك : نعوّ غراب البين ، فصاروا يتشاءمون به ، وزجر الطير  
يذكر في الثامنة والثلاثين . قال المرّى في صدق التفاؤل بالغراب :

نبي من الغرابان ليس على شرعٍ      يخبرنا أن الشعوب على صدع<sup>(١)</sup>  
أصدقه في مريّة وقد امترت      صحابة موسى بعد آياته التمع

(١) شروح سقط الزند ١٣٣٢ . والشعوب : القبائل .



كأنّ بفيه كاهناً أو منجماً      يخبرنا عما تقيّنا من الفجع  
وما كان أقمى أهل نجران مثله      ولا كان للإنس الفضيلة في السمع<sup>(١)</sup>  
أنى وهو طيار الجناح وإن مشى      أشاح بما أعيا سطيحاً من السجم<sup>(٢)</sup>

قوله : أخلفك ، أ كذب وعدك . أرجأت : أخرت . لأتبتك : لأتبطاك  
وأجعلك تقيم معي . استربت : تشككت ، وداخلتك الريبة . أغراك : حرّضك  
وأصتقك . أصيخ : أسمع : قصص : خير وحديث . سيرتى : عادتى . أضفها :  
ضمها . وأخبار الفرج بعد الشدة أن ينزل بالإنسان شدة فيشرف منها على الهلاك  
ثم ينزل ، الله تعالى تفرّجها ، فالحديث بها يسمى خبر الفرج بعد الشدة .

#### [ قصص في الفرج بعد الشدة ]

ومنها ماجاء في حديث أنس رضى الله عنه ، قال : كان رجلٌ على عهد  
النبي صلى الله عليه وسلم يتّجر من بلام الشام إلى المدينة ، ولا يصحب القوافل  
توكلاً منه على الله تعالى ، فبينما هو جاء من الشام عرض له لصٌ على فرس ،  
فصاح بالتاجر : قف ، فوقف التاجر ، وقال له : شأنك بمالى ، فقال له اللص :  
المال مالى ، وإنما أريد نفسك ، فقال له : أنظرني حتى أصلى ، قال : افعل ما بدا  
لك . فصلّى أربع ركعاتٍ ورنع رأسه إلى السماء يقول : ياودود ياودود ، ياذا العرش  
المجيد ، يا مبدىء يا معيد ، يا فتعلاً لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذى ملاء  
أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك ، وأسألك  
برحمتك التى وسعت كل شيء ، لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنى ، ثلاث مرّات .  
وإذا بفارس بيده حرّبة ، فلما نظره اللص ترك التاجر ومضى نحوه ، فلما دنا منه

(١) أقمى أهل نجران : كاهن منهم . ونجران أقدم بلاد اليمن ، وكانت لها كعبة تحج فخرت  
(٢) سطيح كاهن ، والكهان : معروفون بالسجم .

طعنه ، فأذراه عن فرسه ثم قتله ، وقال للتاجر : اعلم أنى ملك من السماء الثالثة ، لما دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قممعة قلنا: أمرٌ حدث ، ثم دعوت الثانية ، ففتحت أبواب السماء ولها شرر ، ثم دعوت الثالثة ، فهبط جبريل عليه السلام ينادى : مَنْ لهذا المكروب ؟ فدعوت الله أن يوليئنى قتله . واعلم يا عبد الله أن مَنْ دعا بدعائك فى كل شدة أغاثه الله ، وفرج عنه . ثم جاء التاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال : لقد لقتك الله أسماءه الحسنى التى إذا دُعى بها أجاب ، وإذا هُتِل بها أعطى .

وقال عمرو السرايا : كنت أعبُرُ فى بلاد الروم وحدي ، فبينما أنا نائم إذ ورد على عالج فخر كنى ، ثم قال : يا أعرابى ، اختر إما مسابقة ، وإما مطاعنة ، أو مصارعة ! قلت : للمسابقة والمطاعنة لامعنى لهما ، ولكن المصارعة ، فلم ينهينى أن صرعى وقعد على صدرى ، وقال : أى قتلة تريد أن أقتلك ، فذكرت الدعاء ورفعت رأسى إلى السماء ، وقات : أشهد أن كل معبود مادون عرشك إلى منتهى الأرضين باطل ، عزّ وجك الكرم ؛ فقد ترى ما نزل بنى . وأغمى على ، فأقتت والرومى قتيل إلى جانبي ، قممت ، وكنت أعلم الناس هذا الدعاء .

ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ، فأطلق أهل سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبى مسلم كاتبه . فظفر به يزيد لما ولى إفريقية ، فجعل محمد يقول : اللهم احفظ لى إطلاق الأسرى ، وإعطاء الفقراء ، فلما دنا يزيد منه وفى يده عنقود ، قال : يا محمد ما زلت أسأل الله أن يُظفرنى بك . فقال له محمد : وما زلت أستجير الله منك ، قال : فوالله ما أبارك ولا أعاذك منى . ووالله لأقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ؛ ووالله لو رأيت ملكا

يريد قبض روحك لسبقته إليها . وأقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه ،  
وتقدّم فصلّى بهم ، وكان أهل إفريقية اجتمعوا على قتل يزيد ، فلما ركب ضربه  
رجل بعمود حديد فقتله ، وقال لمحمد: اذهب حيث شئت .

وقال حماد الراوية : كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان أخوه  
هشام يحفوني في أيامه لذلك ، فلأمات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ،  
فسكنت في بيتي سنة؛ لا أخرج إلا لمن آمن إليه من إخواني سرّاً . فلما لم أسمع  
أحدًا يذكرني في السنة أمنت فخرجت ، وصليت الجمعة في الرضاة ، فإذا شريطان  
قد وقفا عليّ ، وقالوا : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر ، قتلت في نفسي :  
مِنْ هذا كنت أخاف ، ثم قلت للشرطيين : هل لكما أن تدعاني حتى آتي  
أهلي فأودعهم وداع مَنْ لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أسير معكما إليهم؟ فقال : ما إلى  
ذلك من سبيل ، فاستسلمت في أيديهما ، وسرت إلى يوسف بن عمر وهو في  
الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ورمى إلى كتاباً فيه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ هِشَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عُمَرَ . أما بعد  
فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية مَنْ يأتيك به من غير تروع ولا تمتع ،  
وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرباً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت  
الدنانير وجعلت رجلي في غرز جل أعدّه لي ، ووافيت دمشق لاثنتي عشرة ليلة ،  
واستأذنت على هشام ، فأذن لي ، فدخلت عليه فوراً في دار مفروشة بالرخام ،  
وبين كلّ رخامتين قضيب من ذهب ، وهو جالس على طنفسة حراء ، وعابه  
ثياب حر من الخبز ، وقد تضحّ بالمسك والعنبر ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام  
واستدنانني فدنوت منه ، حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط ، في  
أذني كلّ واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان توقدان ، فقال : كيف أنت  
يا حماد وكيف حالك؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدرى فيم بعثت  
إليك؟ قلت : لا ، قال : في بيت خطر ببالي لم أدر مَنْ قائله ، قلت : وما هو؟ قال :

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ  
فَقُلْتُ : هُوَ لَعْدَىٰ بِنِ زَيْدٍ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، قَالَ : أَنْشَدْنِيهَا فَأَنْشَدْتَهُ :

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضْحِ الصَّبْحِ حَيْثُ يَقُولُونَ لِي : أَمَا تَسْتَفِيْقُ  
وَيَلْمُونَ فِيكَ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْثُوقُ  
لَسْتُ أَدْرِي إِذْ أَكْثَرُوا الْعَذْلَ فِيهَا أَعْدَوْا يَلْمُونِي أَمْ صَدِيقُ !

حتى انتهيت إلى قوله :

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا . . . الْبَيْتِ

قَدَمْتُهُ عَلَى سُلَافِ كَاهِنِ الدِّيكِ صَنِّي سَلَافَهَا الرَّاؤُوقُ<sup>(١)</sup>  
مُرَّةٌ قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا مُرِجَتْ لَدَّ طَعْمَهَا مَنْ يَذُوقُ  
وَطَفَا فَوْقَهَا قَفَاقِيعُ كَالِيَا قَوْتُ حَمْرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ<sup>(٢)</sup>  
ثُمَّ كَانَ الْمَزَاجُ مَاءَ سَحَابٍ لَا صِرْرِي آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ<sup>(٣)</sup>

قال : فطرب ، ثم قال لي : أحسنت والله يا حماد ! ثم قال لإحدى الجاريتين : اسقيه ، فسقتني شربة ذهب بثك عقلي ، ثم قال : أعده فأعدته ، عليه ، فاستنخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للأخرى : اسقيه ، فسقتني شربة فذهب ثلث آخر من عقلي ، ثم قال : سل حاجتك ، فقلت : إحدى الجاريتين ، فقال : هاجميا لك ، ثم قال للأولى اسقيه ، فسقتني شربة سقطت منها فلم أفق إلا والجاريتان عند رأسي وعشرة من الخدم مع كل واحد بذرة ، فقيل لي يقول : لك أمير المؤمنين : انتفع بهذا في سفرك ، فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلي .

(١) الراووق : المصفاة وناجود الشراب الذي يروق فيه . والناجود : الرعاء .

(٢) التصفيق : المزج .

(٣) الصررى : الماء الذي طال استنقاؤه . والآجن : التغير طعمه . والمطروق : ماء يخوض

فيه الناس وغيرهم .

وذكر أبو محمد هذه الحكاية في الدرّة<sup>(١)</sup> وقال : هذه حكاية تنشر ماثر الأجراد ، وترغب المتأدب في الازدياد . وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد الشدة فلنقتصر عليها .

\* \* \*

قوله : ما أطول طيلك ، أى ما أكثر حيلتك . يقال ذلك للكثير الدهاء والتصرف ، والطَّيْل : الحبل . أهول : أخوف وأغرب وقير : إبتاع لفقير ، وفائدة الإبتاع المبالغة في معنى الأوّل ، وذلك أنك تقول : فلان فقير فيكون له الشيء اليسير من المال ، فإذا قلت : وقير ، فليس له شيء البتة . وقيل : معنى وقير مثقل بالدين موقر به ، والإبتاع قصد لأنه فسره بقوله : لاقتيل لى ولا فقير ، كأن إنسانا توهم أن له شيئاً فذكر وقيرا لنفسه ، ثم زاده بيانا بما بعده ، ولأنه ذكر استئناف الدين بعد ذلك .

ويكون الوقير أيضاً من الوقر في العظم ، وهو الكسر كأنه مكسور العظم ، كما أن الفقير أصله المكسور الفطار . والفتيل : الخيط الذى فى شوق النواة مثل الفتيلة ، والفقير الفرض الصغير الذى فى ظهرها ، وفيه كالتقطعة ومنه تنبت النخيل ، والتظمير : اللعافاة التى عليها ، وهى القشرة اللطيفة .

صفرّ اليدين : فراغهما من المال . التطوق : لبس الطوق : أراد أنه لبس من الدّين طوقاً . ادّنت : أخذت الدّين ، والاتفاق ، ضدّ الاختلاف . عسر : صعب توهمت : حسبت . تسنى : تنفّس . النّفّاق ، ضد الكساد . توسّعت : كثرت . بهظنى : غلبنى وثقل على . حقه : واجبه .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن أبواب الرزق مفتوحة إلى باب العرش فينزل الله تعالى إلى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن

(١) درة النور ، ١١٠ ، وهى أيضاً فى نزهة الألباء ٣٧ ، ٣٨

قَلَّ قَلُّ لَهُ ، وَمَنْ كَثُرَ كَثْرَ عَلَيْهِ .

مستحقّه : صاحبه فخرت في أسرى ، أي في همّ الدين ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : علمني جبريل دعاء في الدين ، وهو أن يصلي إذا زالت الشمس أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد ، فإذا سلم قرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ يَمَنَ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، ثم يقول : يا فارح الهمّ يا كاشف الغمّ ، يا مجيب دعوة المضطرّ يا رحيم الدنيا والآخرة ، ارحمني رحمة تغنيني بها عن سواك واقض ديني ؛ فإن الله تعالى يقضى دينه عنه وفيها اسم الله الأعظم .

غريمي : صاحب ديني ، سُمّي غريمًا لإدامته التقاضى وإلحاحه وملازمته من عليه الدين ، ويكون الغريم أيضًا المطلوب بالدين لازم له كما قال الشماخ :  
تلوذ ثعالب الشرفيين منها كما لاذ الغريم من التبعيع<sup>(١)</sup>  
عسرى : فخرى .

\* \* \*

فَلَمْ يُصَدِّقْ إِمْلَاقِي ، وَلَا نَزَعَ عَنِّي إِرْهَاقِي ، بَلْ جَدَّ فِي التَّقَاضِي ، وَلَجَّ فِي اقْتِيَادِي إِلَى الْقَاضِي . وَكَلَّمَا خَضَعْتُ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ رِفْقَ الْبِكْرَامِ ، وَرَغَبْتُهُ فِي أَنْ يَنْظُرَ لِي بِمَيَاسِرَةٍ ، أَوْ يَنْظُرَنِي إِلَى مَيَسِرَةٍ . قَالَ : لَا تَطْمَعُ فِي الْإِنْظَارِ ،

(١) ديوانه ٢٧٧ .

وَاحْتِجَانِ النَّضَارِ ، فَوَحِّقَكَ مَا تَرَى مَسَالِكَ الْخِلَاصِ ، أَوْ تَرِيَنِي  
سَبَائِكَ الْخِلَاصِ . فَلَمَّا رَأَيْتُ احْتِدَادَ لَدَيْهِ ، وَأَلَّا مَنَاصَ لِي مِنْ يَدِهِ ،  
شَاغِبْتُهُ ، ثُمَّ وَابْتَهْتُهُ ، لِيَرَا فَعْنِي إِلَى وَالِي الْجَرَائِمِ ، لَا إِلَى الْحَاكِمِ فِي الْمَظَالِمِ ،  
لِمَا كَانَ بَدَغْنِي مِنْ إِفْضَالِ الْوَالِي وَفَضْلِهِ ، وَتَشَدُّدِ الْقَاضِي وَبُخْلِهِ .  
فَلَمَّا حَضَرَ نَا بَابَ أَمِيرِ طُوسَ ، آانَسْتُ أَلَّا بَأْسَ وَلَا بُوسَ .  
فَاسْتَدْعَيْتُ دَوَاةَ بَيْضَاءَ ، وَأَنْشَأْتُ رِسَالَةَ رَقْطَاءَ ؛ وَهِيَ :

\* \* \*

ومثله إملاق ، وأملق . ذهب ماله ، مشتق من اللقات وهي الصخور الملس ،  
كأنه افتقر حتى لم يبق له ما يلبس إلا جلده الأملس . نزع : كفت . إرهاق :  
تكليف ما لا أطيق ، وأرهقته : كلفته مشقة ، والرهق : الظلم . جدّ : عزم واجتهد ،  
التقاضى : طلب المال . لحج : عزم وركب رأسه . استنزلت : طلبت . رفق  
الكرام : لطفهم وحنانهم على الفقير . مياسرة : لين ومساهلة . يَنْزُرُنِي : يؤخرني  
والإنظار الإمهال ، وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من أنظر  
معسراً أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » .

ميسرة : غنى . احتجان : اختزان ، واحتججت الشيء : ضممته بالمخجن ،  
وهو عود معقّف . النضار : الذهب . مسالك الخلاص . طرُق النجاة . سبائك :  
فقر وقطع . الخلاص ، بالكسر : الذهب الخالص . احتداد : اشتداد ، وقد  
احتدّ . لده : خصامه وإلحاحه . مناص : مخلص ومقرّ ، وناص عن قريبه نوصاً  
ومناصاً ، إذا فزع وفرّ ، وما أحسن ما قال العبدى في محمد بن إبراهيم يشكو  
غريماً لازمه :

اقض عني يا بن عمّ المصطفى أنا بالله من الدين وبك

مِنْ غَرِيمٍ فَاحْشِ قَدْ عَرَّتْنِي      أَسْوَدُ الْوَجْهِ لِعَرْضِي مَنْتَهَكُ  
أَنَا وَالظَّلُّ وَهُوَ ثَالِثُنَا      أَيَمَّا زَلْتُ مِنَ الْأَرْضِ سَلَكَ

شاغبته : شاررته، أى أوقعت بيني وبينه الشغاب . واثبته : ضاربهه ووثبت  
إليه ، ووثب إلى . وإلى الجرائم : حاكم الجنايات ، والحاكم فى المظالم : هو القاضى .  
إفضال : إناعام . فضله : جوده وكرمه . وتشدد : يحل ، ورجل شديد ومشداد ،  
أى بخيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ، أى لبخيل من أجل حبه الخير  
وهو المال ، أو تشدد شدته على من تعين قبله حق . آست : علمت وأحسنت  
بأس : ضر . وبوس : شدة . بيضاء : ورقة يكتب فيها ؛ ولابن الزقاق فيها :

وواضحة كمثل النصل تجرى      مع الإبصار كالماء القراح<sup>(١)</sup>  
ترى حُبُّكَ المداد بِمِسمِ نَوْرٍ      كتحضرة الفرند على الصفاح  
كأن سواده فى صفحتها      بقايا الليل فى وَجْهِ الصِّبَاغِ

رقطاء : فيها حرف منقوط وآخر غير منقوط ، والرقطاء عندهم الدجاجة  
المرقشة ، وهى المنقطة بسواد وبياض ، ومنه قيل للنهر أرقط ؛ لأن فيه تنقيطاً  
خلاف لونه ، ولو شكر اعطيه الدّواة لأنشد هذه الأبيات ، وهى لابن سكرة :

أخ مزجت بروحى وروحَه وجَرَى      منه كجرى دمي فى الجسم أفديه<sup>(٢)</sup>  
أهدى إلى دواة لو كتبتُ بها      دهري أياديه لم تنفد أياديه

وهذه الرسالة التى أنشأها أبو محمد أبداع فيها بما أراد ، وأغرب بها وأجاد

ونشد من الشعر النفيس فى مدح الرسائل مايجرى لها كالوصف ، ويسرى  
بذكرها طيب العرف ، فمن ذلك قول أبى تمام :

(٢) بقيمة الدهر ٣ : ٢٢

(١) ملحق ديوانه ٢٩١



مداذ مثل خافية الغرابِ وقرطاس كرقراقِ السَّرَابِ (١)  
وألفاظ كأنفاظ المثنائي وخطّ مثل وشم يد الكعابِ  
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا لكنت إليك سطرأ في الكتاب

وله في كتاب جاء من الحسن بن وهب :

لقد جليّ كتابك كل بثّ جورٍ وأصاب شاكلة الرمي (٢)  
وكان أعضّ في عيني وأندى على كبدي من الزهر الجنيّ  
وأحسن موقماً مني وعندى من البشرى أتت بعد النعيّ  
فكائن فيه من معنى خطيرٍ وكائن فيه من لفظ بهيّ  
فيا ثلج الفؤاد وكان رضعاً ويا شبعي بروقه ورينيّ  
من أبيات كلها عيون، وفيما ذكرنا دليل على ما تركنا.

وقال أبو نواس في كتاب ورد عليه من صديق :

وواردٍ ورد إنشاء يؤكده صدورُه عن سليم الوردِ والصدرِ  
شدّت بتيجانه منه على نزه تقسم الحسن بين السمع والبصر  
عدوبة صدرت عن منطقي ينع كالماء يخرج ينبوعاً من الحجرِ  
وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر  
كأنما نشرت أيدى الربيع بها بُرداً من الوشي أو ثوباً من الحريرِ  
ولابن طاهر في ابن ثوابة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة عن رأيه وندى كفيّه عن مئيل  
عن خط أقلامه خط القضاء على الأعـداء بالموت بين البيض والأتل  
لعابها عسل في الصدر تبعته وربما كان فيه النفع للعليل  
كأن أسطارها في بطن مُهرقة نور يضاحك دمع الواكف الخضيل

(١) ورد البيت الأول في ديوان المعاني ٢ : ٨٣ من بيتين نسباً إلى الحسن بن وهب .

(٢) ديوانه ٣٤٤ ، أدب الكتاب ٤٦ .

(١٨ - شرح مقامات الحريري ج ٣)

وقال بمضمونهم :

كتاب فيه من غرر المعاني      قلائد لا تنظمها اليدان  
إذا نشرت صحائفه تجلت      بروضتها أزهير المعاني  
ترود العين منها في مراد      مربع جاده فيض البنان  
كأن مجال عين الفكر فيه      مجال اللحظ في غرر الحسان

وقال آخر :

يدبر على القرطاس أسمر مرهفًا      إذا دار لم تلحق به البيض والشمر  
كأن المعاني روضة وهو غيثها      فهما سقى أغصانها ضحك الزهر

وقال الرمادى :

قلم الوزير وكفه      هذا يصول وذا يطول  
أضحى كليث خفية      ودواته لليث غيل

\* \* \*

أخلاق سَيِّدِنَا تَحَبُّ ، وَبِعَقْوَتِهِ يُلَبِّ ، وَقَرْبُهُ تَحْف ، وَنَأْيُهُ  
تَلْف ، وَخَلَّتُهُ نَسَب ، وَقَطِيعَتُهُ نَصَب ، وَغَرَبُهُ ذَلِق ، وَشُبُهُهُ  
تَأْتَلِق ، وَظَلْفُهُ زَان ، وَقَوِيمٌ نَهْجِهِ بَانَ ، وَذَهْنُهُ قَلْبٌ وَجَرَّبَ ،  
وَنَعْتُهُ شَرَقٌ وَغَرَّبَ

سَيِّدُ قَلْبٍ سَبَّوْقٌ مُبِرٌّ      فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوفٌ  
مُخْلِفٌ مُثْلِفٌ أَعْرُ فَرِيدٌ      نَابُهُ فَاصِلٌ ذَكِيٌّ أَنْوْفٌ  
مُفْلِقٌ إِنْ أَبَانَ ، طَبُّ إِذَا نَا      بَ هِيَاجٌ وَجَلَّ خَطْبٌ خَوْفٌ

\* \* \*

قوله : أخلاق سيدنا تحب ، حسن أخلاق الإنسان من كمال سعادته، وكرم فضيلته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى » مع أن الله عز وجل يقول فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ .

قوله : وبعقوته يلبّ ، أى بمنزله يقام لحماية المدوح من يلوذ به وإكرامه له . وقربه تحف ، أى من قرب منه أتخفه وهاداه، ومن بعد منه فقد الأمان فهلك . والنأى : البعد ، ولما كان القرب سبباً للتحف والنأى سبباً للتلذذ ، جعل نفس القرب والبعد هما الحياة والموت . حَلَّتْهُ : صداقته . نسب ، أى هو للصديق بمنزلة النسب ، قيل لبزُرُ جُمَهِرٍ : مَنْ أَحَبَّ إِلَيْكَ : أخوك أم صديقك ؟ فقال : لأحبّ أخى إلا إذا كان صديقى . وقال أ كشم بن صيفى : القرابة تحتاج إلى مودة ، ونوادة لا تحتاج إلى قرابة . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : القرابة قد تقطع ، والمعروف قد يكفر ، وما رأيت كتقارب القلوب ، أخذه ابن منذر فقال : قَدْ يُقَطَّعُ الرَّحِمَ الْقَرِيبَ وَتُكْفَرُ النَّعْمَى وَلَا كَتَقَارِبِ الْقَلْبَيْنِ (١)

يُدْنِي الْهَوَىٰ هَذَا، وَيُدْنِي ذَا هَوَىٰ فَإِذَا هَا نَفْسٌ تُرَىٰ نَفْسَيْنِ

أخذه أبو تمام فحسّنه فقال :

فَإِنَّ الْفَتَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ مَنَاسِبٌ مَنَاسِبٌ رُوحَانِيَّةٌ مَنُ يَشَاكُلُ (٢)  
وَلَنْ تَنْظُمَ الْعِقْدَ الْكِعَابُ لَزِينَةً كَمَا تَنْظُمُ الشَّمْلَ الْأَشْتَّ الشَّمَائِلُ (٣)

وقد تقدّم حديث : الأرواح جنود مجنّدة ، ونظم الحسن له .

وقال الشاعر :

لَاخِرَ فِي قَرْبَىٰ بَغِيرِ مَوْدَةٍ وَلرَبِّ مَنْتَفِعٍ بَوْدٍ أَبَاعِدِ

(١) الأغانى ١٧ : ٢٦ - ساسى

(٢) ديوانه ٢٥٦ ، وفيه : « فى كل ضرب مناسب » .

(٣) الديوان : « الشئيت » .

وإذا وجدت من البعيد مودّةً فامدّدْ له كفّ القبول بساعدِ

قوله : وقطيعته نصب ، أى عداوته همّ وتعب ، وقد قال أبو تمام :

وإلا فأعلمه بأنك ساخطٌ ودعه فإنّ الخوف لاشكّ قاتله<sup>(١)</sup>

غربه : أى حدّه . ذلق ، أى حادّ . شبهه : نجومه ، يعنى أخلافه ومكاريمه  
تأثقت : تضىء . وظلّفه : منعه وكفه ، وظلّفت نفسى عن الشيء : منعتها منه .  
زان : يزين ، يقول : إن قمعه من تجاوز قدره ومنعه من سأل ما لا يحبّ زُين  
بالممنوع ، وشرف بالمقموع ، فتأديب الملوك لأعاريبه ، وإنما العار أن يهينك  
كفؤك ، ومنّ لأحکم له عليك . وقال المتنبي :

ومنّ شرف الإقدام أنك فيهمُ على القتل موموق كأنك شاكد<sup>(٢)</sup>  
وإنّ دما أجريته بك فاخرٌ وإنّ فؤادا رُعتهُ لك حامدٌ

وقال حبيب :

خضعوا لصولتك التى هى عندهمُ كالموت يأتى ليس فيه عار<sup>(٣)</sup>

وقال آخر :

وإنّ أمير المؤمنين وعته لكالدهرٍ لأعاريبٍ بما فعل الدهرُ<sup>(٤)</sup>

وإذا ترين بمنّعه ، فما ظنك بمطائه! على أن اليد القابلة للجدوى ، وهى اليد  
السفلى ، لانتفك عن حشمة أو ذلة ، وقد اعتذروا لهذا المعنى ، قال أبو تمام :

رأيتُ رجائى فيك وحدك همة ولكنّه فى سائر الناس مطمع<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٢٣٢ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٧٦ . موموق : محبوب . والشاكد : المعطى .

(٣) ديوانه ١٤٦٦ .

(٤) البيت فى شرح العكبرى ٢ : ١١٣ ، بليون نسبة

(٥) ديوانه ١٩٢ .

وقال أيضاً :

تُدعى عطاياه وُفراً وهي إن شهرتُ  
كانت فخاراً لمن يعرفه مؤثماً<sup>(١)</sup>  
مازلت منتظراً أعجوبة زمناً  
حتى رأيت نوالاً يقتضى شرفاً

وقال إبراهيم بن العباس :

إذا طمع يوماً عرائى منحتهُ  
كتائب يأس كرها وطرادها<sup>(٢)</sup>  
سوى طمع يدنى إليك فإنه  
يبلغ أسباب للعلا من أرادها

وقال الخريبي :

عطائك زين لامرى إن أصبته  
بخير وما كلّ العطاء يزين<sup>(٣)</sup>  
وليس بعار لامرىء بذل وجهه  
إليك كما بعضُ السؤال يشينُ

وقال أبو الطيب :

وفيضُ نواله شرفٌ وزينُ  
وفيضُ نوال بعض الناس ذمٌ

وقال ابن أبي خالد :

شرف للشرف منك نوال  
رُبَّ نيلٍ تعافهُ الأحرارُ  
فزاد بقوله : للشريف على من سبق .

قوله : قويم نهجه ، أى مستقيم طريقه . بان تبين . قلب : بحث . شرق وغرب :  
أى مشى بوصفه الملاحون شرقاً وغرباً ، وأشد المتنبى وزاد فيه معنى :

ستحيا بك السّمّار ملاح كوكبٌ وتحذو بك السفار ماذر شارق<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٢٠١ (٢) ديوانه ١٨٣ .

(٣) البيتان في ديوان أمية بن أبي الصلت ٦٣ .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٤٨ ، وفي ترتيبه ؛ الثانى قبل الأول .

تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَّتْ مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ

قلب : درّب بالأموور ، وفلان حوّل قلب ، إذا كان متصرفاً في أموره ،  
نفاعاً لأوليائه ، ضرّاراً لأعدائه ، كأنه لمعرفته بالأموور قد حوّل الأمور وقتبها .  
ومبرّ ، أي غالب لأعدائه . فطن : ذكى . مُعْرِب : يأتي بالغرائب . عزوف :  
نزيه النفس بعيد من الريب . عيوف : كاره للدنايا . والمتلف عند العرب : الذي  
يتلف ماله بالجوّد . والحلف : الذي يخاف ما أتلف بالإغارة على الأعداء ، وأخذ  
أموالهم ، يصفه بالشجاعة والكرم . وقال البحرى :

بَارُوعٌ مِنْ طِيٍّ كَانَ قِيصَهُ بُزْرٌ عَلَى الشَّيْخِينَ زَيْدٍ وَحَاتِمِ<sup>(١)</sup>  
سَمَاحًا وَبَاسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمُتْرَاكِمِ  
وقال ابن الرومى :

لَمْ تَخَانِي قَطُّ مِنْ صَنَائِعِكَ الْفَرِّ وَلَا مِنْ حُرُوبِكَ الْفَرَسِ  
تَصَرَّفَ الْغَيْثُ فِي صَوَاعِقِهِ وَتَارَةٌ فِي سِجَالِهِ الْبَجَسِ  
وقال البحرى :

ضُحُوكٌ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهُوَ قَرِيبُهُمْ وَلِلسَّيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو وَرَوْنُقُ<sup>(٢)</sup>  
حَيَاةٌ وَمَوْتٌ وَاحِدٌ مَمْتَهَامُهُمَا كَذَلِكَ غَمْرُ الْمَاءِ يُرْوَى وَيُغْرَقُ  
وقال ديك الجن :

هُوَ عَارِضٌ زَجَلٌ فَمَنْ شَاءَ الْخَلْيَا أَرْضِي ، وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَعْضِبَا<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١٩٧١هـ

(٢) ديوانه ١٤٩٦ ، وفيه : « وهو يروعههم »

(٣) ديوانه ١٥٠٠هـ

وقال أبو مسهر :

تحيا الأنام به في الجذب إن قطوا      جوداً وتشقى به يوم الوغى الهام  
كأذن يجتمع الحلالان فيه معاً      ماء ونار، وإرهام وإضرام

وقال ابن الرومي :

والناس طراً بين مرتقب      سطواته ومؤمل نفعه  
كالعارض التهبت صواعقه      وسقى البلاد فلم يدع بقمعه

قوله : أغرت : مشهور . فريد : ليس له نظير . نابه : رفيع الذكر . ذكي : متوقد الفطنة ، ويروي : « زكي » ، وهو الطاهر العفيف ، وقيل : هو المتزيد في الخير ، والزكاء : النماء والزيادة . أنوف : كثير الحية والغضب لما يستراب منه . مفلق . فصيح ، وأفلق : جاء بالفلق ، وهي الداهية كأنه جاء من الفصاحة بما لا يطاق . أبان : بين كلامه . طب : حاذق حسن التدبير . ناب هياج : حدث شر واختلاف . جلّ خطب : عظم أمر . مناظم : جمع منظوم . تأتلف : تجتمع ، يريد أن ما ينظم في شرفه من المدائح يتألف بلا تكلف على الشعراء لكثرة صفات الفضل والسؤدد ، كما قال حبيب :

تغايّر الشعر فيه إذ سهرت له      حتى ظننت قوافيه ستمقتل<sup>(١)</sup>

وقال أبو الطيب :

لك الحمد في الدرّ الذي لي لفته      فإنك مـعليه وإني ناظم<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

ما لقينا من فضل جود ابن يحيى      صيرّ الناس كلهم شعراء

\* \* \*

مَنَاظِمُ شَرَفِهِ تَأْتَلِفُ ، وَشُؤْبُوبُ حَبَائِهِ يَكِفُ ، وَنَائِلُ  
يَدِيهِ فَاضٌ ، وَشُحُّ قَلْبِهِ غَاضٌ ، وَخِلْفُ سَخَائِهِ يُحْتَلَبُ ، وَذَهَبُ  
عِيَابِهِ يُحْتَرَبُ . مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجَّ وَغَلَبَ ، وَتَاجِرُ بَابِهِ جَلَبُ  
وَخَلَبُ . كَفَّ عَنْ هَضْمِ بَرِي . وَبَرِيٌّ مِنْ دَنَسِ غَوِي ، وَقَرَنَ  
لِيَاَنَهُ بَعِزٌّ ، وَنَكَبَ عَنْ مَذْهَبِ كَزٍّ . لَيْسَ بُوْتَابٍ عِنْدَ نَهْرَةِ  
شَرٍّ ، بَلْ يَعْفَ عَفَاةً بَرًّا .

فَلِهَذَا يُحِبُّ وَيُسْتَحَقُّ عَفَاةً

شَعْفًا به فلبابُه خَلَابٌ

أَخْلَاقُهُ غُرٌّ تَرْفٌ وَفُوقَهُ

فُسُوقٌ إِذَا نَاضَلْتَهُ غَلَابٌ

سُجِّحٌ يَهْشُّ وَذُو تَلَاْفٍ إِنْ هَفَاً

خِلٌّ فَلَيسَ بِحَقِّهِ يُرْتَابُ

لَا بَاخِلٌ بَلْ بَاذِلٌ خِرْقٌ إِذَا

يُعْتَرُّ ، بَرَزٌ لَا يَلِيهِ بَابٌ

إِنْ عَضَّ أَزَلٌ فَلَّ غَرَبَ عِضَاضِهِ

بِعِنَابِهِ فَانْحَتَّ مِنْهُ نَابٌ

. . .

شُؤْبُوبُ حَبَائِهِ : دَفْعُ عَطَائِهِ ، وَالشُّؤْبُوبُ : دَفْعُ الْمَطَرِ . يَكِفُ : يَقْطُرُ  
وَيَسْقُطُ . نَائِلٌ : عَطَاءٌ . فَاضٌ : سَالٌ وَخَرَجَ عَلَى الْأَرْضِ . غَاضٌ : غَابَ وَجَفَّ .



وَالْخِلْفُ : حِلْمَةُ الضَّرْعِ الَّذِي يُحْلَبُ مِنْهُ اللَّبَنُ ، وَهُوَ أَيْضًا اسْمٌ لِلضَّرْعِ .  
سَخَانُهُ : جُودُهُ . عِيَابُهُ : جَمْعُ عَيْبَةٍ . يُحْتَرَبُ : يَسْتَلَبُ ، أَيْ لِكثْرَةِ جُودِهِ كَأَنَّ  
مَالَهُ يَسْلُبُهُ الْقَاصِدُونَ لَهُ . مِنْ لَفَّ لَفًّا ، أَيْ مِنَ التَّفِّ بِهِ وَدَخَلَ فِي جَمَاعَتِهِ ،  
وَاللَّفُّ : لَفِيفُ النَّاسِ ، وَلَفَّ الْقَوْمُ : اجْتَمَعُوا وَالتَّفُّ بِمَعْضَمٍ بَعْضُهُمْ ، وَأَخَذَ  
هَذَا اللَّفْظُ مِنَ قَوْلِ الْأَعْشَى :

وَقَدْ مَلَأْتُ بِكُرٍّ وَمَنْ لَفَّ لَفًّا نُبَاكَ فَأَحْوَاضُ الرَّبَا فَالنَّوَاعِصَا<sup>(١)</sup>  
بِكُرٍّ قَبِيلَةٌ ، وَمَنْ لَفَّ لَفًّا ، أَيْ مَنِ التَّفَّ بِهَا . فَلَجَّ ، أَيْ ظَفَرَ بِمَا أَحَبَّ .  
جَلَبَ : سَاقَ ، أَيْ التَّاجِرُ الَّذِي يَقْصِدُ بَابَهُ بِمَا جَلَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ يَجَازِيهِ عَلَى  
ذَلِكَ بِالْعَطَاءِ الْكَثِيرِ ، فَلِكثْرَةِ مَا أَخَذَ فَكَأَنَّهُ قَدْ خَدَعَهُ ، وَالْمَلِكُ الْمَفْضَالُ  
يُوصَفُ أَنَّهُ يُخْدَعُ لِكثْرَةِ هَبَاتِهِ ، وَقِيلَ لِعَرَابَةٍ : بِمِ سَدَّتْ قَوْمَكَ ؟ قَالَ : أَنْخَدَعَ  
لِمْ فِي مَالِي . هَضَمَ : نَقَصَ ، أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَهْضُمُ وَلَا يَظْلُمُ مِنْ لَمْ يَذْنُبْ إِلَيْهِ غَوِيٌّ :  
ضَالٌّ مَفْسُدٌ . لِيَانَهُ ، أَيْ لِينُ خَلْقِهِ . بَعَزَّ : بَمَنَعَ وَبِعَظَّمَ ، وَالْعَزَّةُ فِي اللُّغَةِ : الشَّدَّةُ  
وَالْمُنْعَةُ ، وَالْعَزَّازُ : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ ، يَرِيدُ أَنْ الْأَمِيرُ إِذَا انْبَسَطَ لَمْ يَهَبْ ، وَإِذَا  
اشْتَدَّتْ سَطْوَتُهُ لَمْ يُؤَلَّفْ ، فَحَالَةٌ هَذَا الْمُدْوَحُ بَيْنَ الْعَزَّةِ وَاللِّينِ ،

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

الْمَجْدُ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فَكَاهَةٌ سَمَحٌ وَلَا جَدَّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ<sup>(٢)</sup>

شَرِّسٌ يُتَمَعُ ذَاكَ لِينُ خَلِيقَةٍ لِأَخِيرٍ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تَقْطَبِ<sup>(٣)</sup>

نَكَبٌ : عَدْلٌ وَمَالٌ . مَذْهَبٌ : طَرِيقٌ : كَرَزٌ : بَخِيلٌ قَلِيلُ الْخَيْرِ . وَثَّابٌ :  
عَجُولٌ كَثِيرُ الْوَثُوبِ . نُهُزَةٌ : فُرْصَةٌ وَغَنِيمَةٌ . وَيَمَفَّ : يَكْفُ نَفْسَهُ . بَرَّ :  
مَطِيعٌ لِلَّهِ ، أَرَادَ أَنَّهُ عَنِيفٌ عَنِ الْحَارِمِ . قَوْلُهُ : شَعْفَا ، أَيْ حَبَا يَطْلُبُ الْغَايَةَ ،  
وَشَمَافُ الْقَلْبِ : أَعْلَاهُ ، يَرِيدُ أَنْ عَفَافَهُ بَلَّغَهُ غَايَةَ الْحَبِّ مِنَ الْقُلُوبِ ، وَفَلَانٌ

(١) ديوانه ١٤٩ .

(٢) ديوانه ١٣ . (٣) تقطب : تنزج .

مشعوف بفلان ، إذا ذهب به حبه كل مذهب . الفراء : هو من الشَّعْف ، وهي رؤوس الجبال ، واحدها شعفة ، فكأن معنى شعف بفلان ، ارتفع حبه إلى أعلى موضع فيه .

لبابه : خالصة . خلاب : آخذ للنفس غالب عليها . غرّ : حسان . ترفّ : تتلألاً وتشرق ، والرفيف : بريق اللون . وفوقه : سهمه والفوق : طرف السهم الذي يلي الوتر . ناضلته : راميته ، يقول : سهمه ، غلاب لمن راماه . سحج : سهل الخلق . يهشّ : يهتزّ طرباً . تلاف : تدارك . هفا : زلّ وسقط ، والهفوة : الزلّة . خِلّ : صاحب . يرتاب : يشكّ . خرق : كريم جواد يتخرق في العطاء . يمتّر : يقصد . برز : ظاهر غير محتجب . قال الفنجديهي : رجل برز ، أي عفيف عاقل كريم . لايه باب ، أي لا يحتجب ببابه دون قصاده .

### [ مما قيل في الحجاب ]

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا	من كل طالب حاجة أوراغي
غالوا بأبواب الحديد لعزها	وتنافسوا في قبح وجه الحجاب
فإذا تلطّف للدخول عليهم	راجّ تلقّوه بمذرّ كاذب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن	بادى الضراعة طالباً من طالب

هي لمحمود الوراق .

وقال أبو مسهر : أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافي فحجبتني ، فكتبت إليه :

إني أتيتك للتسليم أمس فلم	تأذنّ عليك لي الأستار والحجب
وقد علمتُ باني لم أرد ولا	والله مارد إلا الحلم والأدب

فأجابني بهذا القول :

لو كنتَ كَأفَاتِ بالحسنى لقلت كما  
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أَمْلاً  
قال ابن أوس وفيما قاله أدبُ  
إن السماء ترجى حين تحتجب<sup>(١)</sup>

وقال حبيب :

سأترك هذا الباب مادام إذنه  
فما خاب مَنْ لم يأتِه متممداً  
ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئ  
إذا لم أجد للإذن عندك موضعاً  
على ما أرى حتى يلين قليلاً  
ولا فاز من قد نال منه وصولاً  
حمى بابه من أن يُنسال دخولاً  
وجدت إلى ترك الجيء سبيلاً  
وحُجِبَ أبو العتاهية عن بعض  
المهاشمين ، وقال له : تكون لك  
عودة فقال :

لئن عدتُ بعد اليوم إلى لظالمٍ  
متى يظفر الغسادي إليك بحاجة  
سأصرف نفسي حيث تُبغى المسكارمُ  
ونصفك محبوبٌ ونصفك نائمٌ!

قال المتنبي :

أصبحتَ تأمرُ بالحجاب الخلوقة  
مَنْ كان ضوء جبينه ونواله  
فإذا احتجبتَ فأنت غير محجَّب  
وإذا بطَّنتَ فأنت عينُ الظاهرِ  
هيهات لستَ على الحجاب بقادرِ<sup>(٢)</sup>  
لم يحجباً لم يحتجب عن ناظرٍ  
وإذا بطَّنتَ فأنت عينُ الظاهرِ

وقال جرير :

قومٌ إذا حضر الملوك وفودهم  
نُتِفَت شواربهم على الأبواب<sup>(٣)</sup>

(١) ابن أوس : هو أبو تمام والبيت في ديوانه ٢٢ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٣٧ .

(٣) ديوانه ٥٦ .

وقال آخر :

نهيت جميع الناس عن كل خطة يدبرها في رأيها ابن هشام -  
فلما وردنا الباب أيقنت أننا على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر :

وكل خفيف الشأن يدعى مشمراً إذا فتح البواب بابك إصبعاً  
ونحن الجلوس الماكثون توقراً حياء إلى أن يفتح الباب أجمعاً

قوله : عض أزل ، أى اشتد زمان ، والأزل : ضيق العيش من الجذب  
والقحط ، وعض : قبض بأسنانه . فل : كسر . غرب : حد . بمنابه :  
بكفايته . انحت : انكسر . ناب : سن ، يقول : إن عضت الشدائد الناس  
وأضرت بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن أفقرته . ومن مليح  
ما قيل في هذا المعنى قول المتنبي :

أظمتني الدنيا فلما جئته مستسقيا مطرت على سحائباً<sup>(١)</sup>  
حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلى منها تائباً

نقل المتنبي اللفظ والمعنى من قول أبي تمام :

كثرت خطايا الدهر في وقد يرى لنداك وهو إلى منها تائب<sup>(٢)</sup>  
والم به الحصني أيضاً في قوله :

وقد تحسن الأيام بعد إساءة ويذنب صرّف الدهر ثم يتوب

وقال ابن المعتز :

وعوقى الدهر عن قربه زمانا فقد تاب عن ظله

(١) ديوانه ١ : ١٢٥ . (٢) ديوانه ٢٩ .

وقال ابن الرومي :

أساءت لي الأيام يا بن محمدٍ  
وهنَّ إليَّ اليوم معذرات  
رأين مطافي حول عفوك عائداً  
فهنَّ لما أبصرته حذرات

وقال أبو تمام :

إذا العيس لاقت بي أبادلف غداً  
تقطع ما بيني وبين النواذب

وقال أبو نواس :

أخذتُ مجبلٍ من حبال محمدٍ  
أمنتُ به من طارق الحدنانِ  
تغطيت من دهري بظل جناحه  
فعميت ترى دهري وليس يراني  
فلو تسأل الأيام عني ما درت  
وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقال أيضاً :

أنا في ذممة الخصب مقيمٌ  
حيث لا تهتدي صروف الزمانِ  
قد عرفنا من الخصب خللاً  
أمئتنا طوارق الحدنانِ  
كيف أخشى من الليالي اغتياًلاً  
ومكاني من الخصب مكاني

\* \* \*

وجديرٌ بمن لبَّ وفطنَ ، وقربَ وشطنَ ، أن أذعنَ  
لقريرِ زمنٍ ، وجابرِ زمنٍ ، مُذ رَضِعَ ثديَ لبانه ، خُصَّ  
بإفاضة تهنئه . نَمَشَ وفرَجَ ، وضافرَ فأبهجَ ، ونافرَ فأزعجَ ،  
وفاءً بحقِّ أبلجٍ ، أتمبَ من سبلي ، وفرَّطَ إذ هزَّ ويلي ، وتوجَّجَ  
صِفاته ، بحُبِّ عِفاته .

فَلَا خَلَا ذَا بَهْجَةٍ      يَمْتَدُّ ظِلُّ خَصْبِهِ  
فَإِنَّ بَرًّا بِمَنْ      آنَسَ ضَوْءَ شَهْبِهِ  
زَانَ مَزَايَا ظَرْفِهِ      بِلُبْسِ خَوْفِ رَبِّهِ

\* \* \*

قوله : جدير ، أى حقيق . لبّ : كان ليبييا وعاقلا . شطن : بعد . أذعن : ذلّ وانقاد . القرع : السيد يدفع ضرّ الزمن ويقرعه . جابر زمن ، أى معنى فقير ، والزمن الفقير الذى لازمه الفقر أو المريض الذى لازمه المرض ، وبه زمانة ، وأصل ذلك من لزمن . لبانه، أى لبن أمه، وقال فى الدرّة<sup>(١)</sup> وقولهم : الرضيع الإنسان ارتضع بلبنه ، صوابه بلبانه ، لأن اللبن هو المشروب ، واللبن ، هو مصدر لابنه ، أى شاركه فى شرب اللبن ، هذا معنى كلامهم الذى نحوا إليه ولفظوا به . التهتان : سيلان المطر ، وإفاضته : صبه ، وأراد فى لبن أمه ، ارتضع الجود فداوم عليه، كقول المتنبي :

سَمَوْا لِلْعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ      وَسَادُوا وَقَادُوا وَهُمْ فِي الْمَهْودِ<sup>(٢)</sup>

وقد غاظ المتنبي فى هذا، ونُسب فيه إلى الكذب والحال الفاضح ، لأن سيادة الأطفال فى المهود وقود الجيوش من أمحلّ الحال ، وهذا وإن كان ظاهره كذلك ، فقد اتسعت العرب وأهل الأدب فى هذا القدر ، وأقاموا تحمّل النجاسة فى اللود فى مهده مقام وجودها فى كبره . ثم إذا وجدوا صفة الكمال فى الرجل التام حكوا بكاملها ، لأنه رضعها فى ثدى أمه ، أو غذى بها فى بطن أمه ، ألا ترى قوله : تاملت العلم قبل أن يقطع سرك وسررك ، وقبل أن يقطع ذاك ، كان

(١) درة الفواس ٩٩

(٢) ديوانه ١: ٣٤٥ .

في بطن أمه ، وهذا لم ينسكه أحد ، ومن شعر الحماسة في الذي رأى المهلب في  
مهده فقال :

خذوني به إن لم يسد سرواتهم ويبرع حتى لا يصاب له مثل<sup>(١)</sup>  
وفيها أيضاً :

لئن فرحت بي معقل عند شيبتي لقد فرحت بي بين أيدي القوابل  
وذلك لتخيل النجاة فيه في ذلك الوقت ، ألا ترى ماتت نساء العرب  
من بلوغ السيادة لأبنائهن عند ترقيصهن ، وانظر إلى ذلك إن شئت في فصل  
نظامناه في كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبي علي ، وقد سقط عن المتنبي والحريري  
هذا ما عيب عليهما ، وقال سوار بن أبي شراة :

تعرف السودد في مولودهم وتراه سيّدا إن أيفعا  
نَعش : رفع الضعيف بجوده . فرّج : أزال همه . ضافر : فاخر . أبهج :  
أدخل السرور على أحبابه إذا كان له القلب . نافر : خاكم في النسب .  
وكانوا في الجاهلية إذا تنازع الرّجلان الشرف تنافرا إلى حكماهم فيفضلون  
الأشرف ، وسميت منافرة<sup>(١)</sup> لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة: أينا أعزّ نفرًا .

[منافرة عامر بن الطفيل . وعلقمة بن علاثة]

وأشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن  
كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر ، حين قال له علقمة:  
الرياسة لجدّي الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك أبي براء من أجله ، وقد أسنّ  
عمك وقعد عنها ، فأنا أولى بها منك . وإن شئت نافرُك ، فقال عامر : قد

(١) المنافرة : المفاخرة بالنسب ، وخبر المنافرة بين عامر وعلقمة في الأغاني ١٥ : ٥٠ -  
ساسى ، مع تصرف واختصار .

سئت والله ؛ لأننا أكرم منك حسباً ، وأثبت نسباً ، وأطول قصباً ، فقال علقمة :  
 أنا فرك وإني لبرّ وإنك لفاجر ، وإني لولود وإنك لعافر ، وإني لعفّ وإنك  
 لعاهر ، وإني لوافٍ وإك لعادر ؛ فقال عامر : أنا فرك ؛ أنا أسنى منك سنّة ،  
 وأطول قعّة ، وأحسن لمة ، وأجدّ جمة ، وأبعد همة . فقال علقمة : أنت جسيم  
 وأنا قضيف<sup>(١)</sup> ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ؛ ولكن أنا فرك أنا أولى بالخيرات منك .  
 فخرجت أمّ عامر فقالت : نافرهُ أيُّكما أولى بالخيرات ، فعملوا على أن جعلوا مائة  
 من الإبل يعطاها الحكم الذي ينفر عليه صاحبه ، فخرج علقمة ببني خالد بن  
 الأصغر وبني الأحوص ومعهما القباب والجزور والتدور ؛ ينحرون في كل منزل  
 يطعمون ، وخرج عامر ببني مالك ، وقال : إنها المقارعة عن أحسابكم ، فاشخصوا :  
 بمنل ماشخص به ، وقال لعمه أبي براء : أعنى ، فقال : سُبّني ، فقال لا أسبّك  
 وأنت عمّي ، فقال : وأنا لا أسبّ الأحوص وهو عمّي ، ولكن دونك نعلّي ،  
 فإنّي ربت فيها أربعين سنة ؛ ولم ينهض معه . فجعلنا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب  
 ابن أميّة ، ثم إلى أبي جهل بن هشام ، فلم يقولوا بينهما شيئاً ، ثم رجعا آخر إلى هريم  
 ابن قطبة بن سيار بن عمر الفرزاري ، فقال : لعمري لأحكمن بينكما ، فأعطيني موثقاً  
 أطمئن إليه أن ترضياً بحكمي ، وتسليماً ما قضيت بينكما . ففعلنا ، فأقاموا عنده أياماً  
 فأرسل إلى عامر فاتاه سرّاً ، فقال : قد كنت أحسب أنّ لك رأياً ، وأن فيك خيراً ،  
 وما حبستك هذه المدة إلا لتنصرف عن صاحبك ؛ أتنافر رجلاً لا تفتخر أنت  
 وقومك إلا بأبائه ! فما الذي أنت به خيرٌ منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم ،  
 ألا تفضل عليّ علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها ، هذه ناصيتي فأجززها  
 واحتكم في مالي ، فإن كنت ولا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه ، فقال له ما قال  
 عامر ، فقال له : أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك  
 أعظم منك غناءً وأحد لقاء ، وأسمح سماحاً ! فما الذي أنت به خير منه ! فردّ

(١) قضيف ، أي نحيف



عليه علقمة ماردٌ عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينقر عامراً عليه . فأرسل هريم إلى بنيه وبني أخيه ، وقال لهم: إني قائل غداً بينهما قتال ، فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحروها عن علقمة ، وليطرد بعضكم مثلها فلينجزها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة . ثم أصبح هريم مجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا ، فقال هريم: إنكما يا بني جعفر قد تحاكمتما إلى ؛ أتما كركبتي البعير الآدم الفحل تقعان على الأرض [معا] <sup>(١)</sup> ، وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلا كما سيد كريم . ولم يفضل واحدا منهما على صاحبه لتلايح ب بذلك شرًا بين الحيتين ، ونحرت الجزر وفرقت على الناس .

وعاش هريم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه ، فقال: يا هريم ، أى الرجلين كنت مفضلاً لو فعلت ؟ فقال : لو قلت ذلك اليوم عادت جَزاعة ، ولبلغت شَمغات هَجَر ، فقال عمر : نعم مستودع السرّ أنت يا هريم ، مثلك فليستودع العشيبة أسرارهم . والحكاية طويلة ، وقال فيه الأعشى <sup>(٢)</sup> :

حَكَمْتُمُوهُ قَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ  
لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فِي حَكْمِهِ وَلَا يَبَالِي غَيْرَةَ الْخَامِرِ

قوله : فاء ، أى رجع أبلج : بين ظاهر . أتعب من سبيل ، يقول : إن الأمير الذى يأتى بعده فى تعب لأنه يروم أن يفعل مثل ما فعل فيعجز عنه ، وأعاد هذا المعنى منظوماً فى السابعة والثلاثين حين قال :

سَمَّاحُهُ أَزْرَى بَيْنَ قَبَلِهِ وَعَدْلُهُ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ <sup>(٣)</sup>

أخذه من قول رجل قال لأحد الأمراء وقد عزل عن عمله : أصبحت والله

(١) من الأغاني (٢) ديوان الأعشى ١٤١ . (٣) اللغات ٤١٤ .

(١٩ - شرح مقامات الحريري ج ٣)

فاضحاً متعباً ، أما فاضحاً فـكـلّـ وال قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعباً فـكـلـ  
وال بعدك أن ياحقك .

قَرَطَ : مدح . هز : حرك بالثناء عليه . بلى : جَرَبَ : تَوَجَّصَفَانَهُ ، أَى زَيْنَهَا  
وشرفها . عَفَانَهُ : قَصَادَهُ . بهجة : سرور ، وكنتى بخصبه عن ماله ودعاه بالبركة  
والسكثرة إذ جملة تمتد الظل . برّ : مكرم . آنس : أبصر . شبيهه : نيرانه  
الساطعة ، واحدها شهاب ، وأصل هائه التثقيل تخففت ، وكانت العرب توعد النيران  
فيعصدها الأضياف بالليل ، أراد أنه كثير الإكرام لمن يقصد ناره ، وأخذ  
اللفظ من قوله تعالى : ﴿ آنس من جانب الطورِ ناراً ﴾<sup>(١)</sup>

مزايا : فضائل . ظرفه : حسن هيئته وعذوبة لسانه ، وهو مصدر ظرف يظرف  
خرافاً فهو ظريف ، فمن قال : الظريف البليغ ، وقصره على اللسان لم يجز له أن  
يقول : ما أظرف زيد ؟ على الاستفهام ، ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة  
جاز له ذلك ، وكذلك من جعل الظرف عاماً فيكون معناه : أى شىء فيه  
من الظرف ؟ أوجهه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته ؟

بلبس : اختلاط ، أراد أنه يخلط الهزل بالجد ، والمزاح وخفة الطرب  
بالانقباض والحشمة ، وقد تقدم فى صفة التنوخى مثل هذا . والمزايا : جمع مزية  
وهى التمام والكمال ، وأصلها من الزى .

\* \* \*

فَلَيْمَن سَيِّدَانَا فَوْزُهُ بِمَفَاخِرِ تَأَثَلَتْ وَجَلَّتْ ، وَفَوْقَهُ  
بِصْنَانٍ مَعَ تَمَّتْ وَنَمَّتْ ، وَيُلَايِمُ قَرَبَ حَضْرَتِهِ ، وَوَتُّ رِقَّةٍ  
يَحْظُ مِنْ حُطْوَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ تَلِيدٌ نَدْبٌ ، وَشَرِيدٌ جَدْبٌ ، وَجَرِيحٌ

(١) سورة القصص ٢٩

نَوْبٍ أَثَرْتُ ، وَنَاظِمٌ فَلَا تَدَّ تَسِيرَتُ ، إِذَا جَاشَ خُلُطَةُ فَلَا يُوجَدُ  
فَائِلٌ ، هَمٌّ قَسٌّ هَمٌّ بِأَقِل .

فَإِنْ حَبَّرَ قَلْتِ : حَبَّرْتُ نَمِنْتُ ، وَخَلَّتْ رِيَاضًا قَدْ نَمَتْ ، هَذَا هَمٌّ  
شَرِبُهُ بَرَضٌ ؛ وَقَوْتُهُ قَرَضٌ ، وَفَلَقَهُ غَسَقٌ ، وَجَلِبَابُهُ خَلَقٌ . وَقَدْ  
قَلَقَ لِتَوَعَّرِ غَرِيمٍ غَاشِمٍ ، يَسْتَحِثُّهُ بِحَقِّ لَازِمٍ ؛ فَإِنْ مَنْ سَيِّدُنَا  
بَكْفِهِ ، ، بَهَاتِ كَفِّهِ ، تَوَشَّحَ بِمَجْدِ فَاقٍ ، وَبَاءَ بِأَجْرِ فَكِّي  
مِنْ وَتَاقِ .

لَا خَلَّتْ سَجَايَا خُلُقِهِ ، تَرَفِدُ شَائِمٍ بَرَقِهِ ، بِمَنْ رَبِّ أَرْزَلِي ،  
حَيَّ أَبَدِيَّ

. . .

فوزه : ظفروه . تأملت : تقدمت واتصلت . جلّت : عظمت . فوقه : سبقه .  
صنائع : أفعال جميلة . نمت : اشتمرت . يلائم : يوافق . حضرته : موضعه الذي  
يحضر فيه ، والقرب : جمع قرية ، وهي ما يتقرب به من أعمال البر إلى الله تعالى ومن  
الهدايا إلى الملوك . غوث : إغاثة وكشف ضرر . رقه : عبده . حظّ : نصيب .  
حظوته : مكانته ورفعته . تليد نذب ؛ تقول : نذبت القوم دعوتهم ، يريد أنه  
عبدٌ للدعوة التي دعاه بها خصمه إلى الوالي ، والتليد من العبيد : ما ولد عند  
غيرك ثم اشتريته صغيراً ، فكبر عندك ، وجعل نفسه عبداً للدعوة لما تعبد بها ،  
أو يريد بالتليد القديم ، فإن التليد والتالد للمال القديم ، ولانذب : الهتم ، من  
نذبت الميت ندبا ، فيريد أنه قديم هم ، ورجل نذب ، أي خفيف في قضاء  
الخواجج لأصحابه ، فيريد على هذا بتليد نذب ، أي خفيف ومن هذه صفته

فقد وجبت حرمة . وشر يد جذب : طريد فقر وجوع ، والجذب ضد الخصب .  
 نوب : نوازل . أثرت : أبقت به أثرا وأثرها أخذها ماله حتى عاد فقيراً ، فمن نظره  
 رأى أثر النواذب عليه . ناظم قلائد : قائل قصائد . ورسائل تسيرت : مشت في  
 الناس والبلاد ، جاش لخطبة : تحرك صدره للكلام بها ، يريد أنه إذا أراد قول  
 خطبة ازدحم الكلام في صدره وارتفع ، كما يجيش القدر ، أى يغلى ، وتقدم  
 هذا الكلام .

قس : فصيح العرب ، ويأتى ذكره في الأربمين . ثم ، معناه هنالك . باقل ،  
 تقدم ، يريد أن قسا على فصاحته لو حضر مع الموصوف لنظم أو نثر لرجع في عي  
 باقل ، والعادة إنما يذكر معه سبحانه للزوم الرسالة . وقال حبيب وذكر ثلاثة من  
 أصحاب عبد الله بن طاهر :

أول :

حازوا خلائق قد تيقنت الملا كلّ التيقن أنهم نجومها<sup>(١)</sup>

ثان :

لو أن باقلاً المفه ينبرى في مدحها سملت عليه حزوما

ثالث :

ولو أن سبحانا يسحب ذيله في ذمها لم يدر كيف يذمها<sup>(٢)</sup>

ح : قال شعرا أورسالة ، وأصل حبر : وثى وزين . حبر : ثياب موشاة .

تمنيت : زينت ورقمت . تمت : تحركت بالروائح العطرة .

وقال الصابي في المهلبى وكأنه يصف هذا الكلام :

وإن استنطق الأنامل جاءت بيان كالجوهر المنضود<sup>(٣)</sup>

في سطور كأنما نشرت يمناه منها عصائباً من برود

فقر لم يزل فقيراً إليها كل مبدى بلاغة وممين

(١) ديوان أبو تمام ٣١١ (٢) يذمها : يذمها (٣) بنية الدهر ٢: ٧٤٩

يَعْتَدِي الْبَارِعَ الْمَقِيدَ لَدَيْهَا  
بَيَانَ شَافٍ وَلَفْظَ مَصِيبٍ  
لَا حَقَّ بِالْمَقْصَرِ الْمُسْتَفِيدِ  
وَإِخْتِصَارِ كَافٍ وَمَعْنَى سَدِيدٍ

وله في مثله أيضاً :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ حَازَتْ جَاهَهَا  
إِذَا رَقَشَتْ بِيضَ الصَّحَائِفِ خِتَاهَا  
يَدُكَ لَا تَسْوَدُ إِلَّا مِنَ النَّفْسِ (١)  
تَطْرُزُ بِالظَّلَامِ أُرْدِيَةَ الشَّمْسِ  
وَقَالَ السَّرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

شَفَانُكَ عَنْ حَسَنِ الشَّامِ مَدَائِحٌ  
زَهْرٌ إِذَا صَافَحَ سَمِعَ مَعَانِدٍ  
حَسَنٌ فَمَا تَنَفَّكَ تَطْرِبُ سَامِعاً (٢)  
خَفَّضَ الْكَلَامَ وَغَضَّ طَرْفَا خَاشِعَا  
مَازَالَ فِي صَنْعَاءِ يَتَعَبُ صَانِعَا  
أَوْ كَالرَّبِيعِ يَرِيكَ أَخْضَرَ يَانِعَا  
وَلَهُ أَيْضاً فِي مِثْلِهِ :

سَابَعْتُ الْحَمْدَ مَوْشِيًا سَبَائِبُهُ  
إِنَّ الْمَدَائِحَ لَا تَهْدِي لِنَاقِدِهَا  
إِلَى الْأَمِيرِ صَاحِبًا غَيْرَ مَوْتَشِبٍ (٣)  
إِلَّا وَأَلْفَاظُهَا أَصْنَفِي مِنَ الذَّهَبِ  
تَفْتَحُ الزَّهْرَ فِيهَا عَنِ جَنَى الْأَدَبِ  
لَفْظُ يَرُوحُ لَهُ الرِّيحَانُ مَطْرَحَا  
إِذَا جَعَلْنَاهُ رِيحَانًا عَلَى النَّخْبِ

قوله: شَرِبَهُ، أي حظه من الماء. بَرَضٌ: قليل. قَرَضٌ: سلف، والقَرَضُ ما أَخَذَ لِيَعْوِضَ مِنْهُ. وَقَلَّتْهُ: ضَوْءٌ صَبَحَهُ. غَسَقٌ: ظلام، يريد أن حاله متغيرة. جَلْبَابُهُ: ثوبه. خَلَقٌ: بالِ. تَوَغَّرَ: تَوَقَّدَ وَاشْتَدَّ غَضْبُهُ، وَالتَّوَغَّرَ: التَّوَقَّدَ لِشِدَّةِ الْغَيْظِ، وَالتَّوَغَّرَ شِدَّةَ الْحَرِّ. غَاشِمٌ: ظَلَمٌ جَافٌ. يَسْتَحْنَهُ: يَسْتَعِجِلُهُ. لَازِمٌ:

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٩ .

(٢) ديوان السري ١٦١ .

(٣) ديوان السري ٣٩ .

وأجب . من : أنعم وأحسن . بكفّه : برده عنى . هبات : عطايا . توشح :  
 تحزم وتزين ، وتوشح الرجل بثوبه : جعله موضع الوشاح وتحزم . فاق : فضل  
 بهذا المجد كل أحد . باء : رجع . فكى : إنقاذى . وثاق : شد وربط . سجايا :  
 طبائع . ترفد : تصل وتعين ، والرّفد : المعونة : شائم برقه : راجى خيره ونازل  
 أمره ، ونزل البرق منزلة الجود لأنه يأتي بالمطر والمطر يشبه به الجود : بمن :  
 بإحسان وإنعام . أزلّى : قديم . أبدى : باق مع الأبد وهو الدهر .

وإذ قد فرغنا من شرح هذه الرسالة على صعوبتها ، فإننا نعتذر إلى من وقف  
 على شرحنا لها من صعوبة هذا المقام ، فإن هذه الرسالة وأمثالها إنما يؤتى بها على  
 جهة الملّح والاعتذار ، لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح ، ألا ترى الحريرى  
 كيف اعتذر فى مثلها حيث قال : أجلّ الأبيات العرائس ، وإن لم يكن نفائس ؛  
 ولا شك أن الشارح لمثل هذه الرسالة يقارب تعب منشئها فى أنه يعوصر على  
 تلك الاستعارات البعيدة ، فيريد أن يبرز المعنى فى غاية البيان ، واللفظ فى أغلبها  
 موضوع على غاية الإبهام ، فوق التمانع ، فلا يصل إلى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى ،  
 ولا تبعد من اللفظ إلا بعد جهد ، فهذا عذرنا فى هذه الرسالة الرقطاء والتهمرية  
 والخيفاء المتقدمين ، وما علمت أحداً شرحها شرحنا ولا بلغ منها مبالغنا ، والله  
 منشئها من علمٍ بارعٍ ! فما اتفق له إنشاؤها إلا بعد التبجّر فى علوم اللغات حتى  
 كأنّ أبا حفص بن برد يخاطبه بهذه الأبيات :

أهدى لك الودّ محضاً غير مقطوبٍ	أبا العلاء استمع تعريضَ ذى مقهٍ
فى العلم والظرف والآداب والطيبِ	أنت الذى لم نعاشر مثله رجلاً
وكُنْهُ علمك شىء غير محسوبٍ	تحصيل فضلك للحساد معجزة
وعيت منها ولا أشياخ يعقوبٍ	أما اللغات فما يعقوب يبلغ ما

\* \* \*

قَالَ : فَلَمَّا اسْتَشَفَّ الْأَمِيرُ لِأَلِيهَا ، وَلَمَحَ السَّرَّ الْمودَعِ  
فِيهَا ، أَوْعَزَ فِي الْحَالِ بِقَضَاءِ دِينِي ، وَفَصَلَ بَيْنَ خَصْمِي وَبَيْنِي .  
ثُمَّ اسْتَخْلَصَنِي لِكَأَثَرَتِهِ ، وَاخْتَصَنِي بِأَثَرَتِهِ . فَلَبِثْتُ بِضْعَ سِنِينَ  
أَنْعَمَ فِي ضِيَاغَتِهِ ، وَأَرْتَعُ فِي رَيْفِ رَأْفَتِهِ ؛ حَتَّى إِذَا عَمَّرْتَنِي مَوَاهِبُهُ ،  
وَأَطَالَ ذَيْلِي ذَهَبُهُ . تَطَافْتُ فِي الْإِرْتِحَالِ ، عَلَى مَا تَرَى مِنْ  
حُسْنِ الْحَالِ .

قال : فقلت له شكرًا لمن أتاح لك لقيان السَّمْحِ الْكَرِيمِ ،  
وَأَنْقَذَكَ مِنْ ضَنْطَةِ الْغَرِيمِ . فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَعَادَةِ الْجَدِّ ،  
وَالْخُلُوصِ مِنَ الْخِصْمِ الْأَلَدِّ . ثم قال : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ أَنْ  
أُحْذِيكَ مِنَ الْعِطَاءِ ، أَمْ أَتِحَفَّكَ بِالرَّسَالَةِ الرَّقْطَاءِ . فقلت : إِمْلَأْ  
الرَّسَالَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ ، فَقَالَ : وَهُوَ وَحَقِّكَ أَخْفَّ عَلَيَّ . فَإِنَّ نِحْلَةَ  
مَا بَلِجُ فِي الْأَدَانِ ، أَهْوَنُ مِنْ نِحْلَةِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأُرْدَانِ . ثُمَّ  
كَأَنَّهُ أَنْفَ وَاسْتَحْيَا ، فَجَمَعَ لِي بَيْنَ الرَّسَالَةِ وَالْحُذْيَا ، فَفَزْتُ مِنْهُ  
بِسَهْمَيْنِ ، وَفَضَلْتُ عَنْهُ بِعُنْمَيْنِ ، وَأَبْتُ إِلَى وَطْئِي قَرِيرَ الْعَيْنِ ، بِمَا  
حَزَتْ مِنَ الرَّسَالَةِ وَالْعَيْنِ .

قوله : استشف ، نظر . لآليها : جواهر كلامها . لمح : رأى . اللودع :  
المضمن الجمول ، وعنى بالسر ما ذكر من النقط لحرف والترك لآخر . أوعز : تقدم .  
فصل : قطع . استخلصني : ضمني وأنقذني منه . كأثرته : لزيادة عدده ، يريد  
أن الأمير خلصه من غريمه وضمه إليه ، وجعله فيمن حوالياه فكثروا به . اختصني  
بأثرته : أفردني بعطيته ، وآثرني بها على غيري . لبثت : أمت .  
بضع سنين : قال أبو عبيدة رحمه الله : البضع من واحد إلى أربعة ، وقال

الأخفش: من واحد إلى عشرة، وقال الفراء: مادون العشرة، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: البضع من الثلاثة إلى عشرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر لما نزلت ﴿فِي بضع سنين﴾: البضع ما بين السبع والتسع، قال ابن سلام: فلما انتقضت سبع سنين ظهرت الروم على فارس. وقال أبو محمد في الدرّة: البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر، وأسرت ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سِيغْلِبُونَ﴾. وفي بضع سنين، وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب والمشركون يميلون إلى أهل فارس، لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سرّ المسلمون. ثم إن أبا بكر رضى الله عنه أخبر مشركى قريش بما نزل عليهم، فقال له أمية بن خلف: خاطرنى على ذلك، فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع، فقال: ما بين الثلاثة إلى العشرة، فأخبره بخطاره مع ابن خلف، فقال له: ما حملك على تقريب المدة؟ قال: الثقة بالله ورسوله، فقال له: عد إليهم فردم في الخطر، وازدد في الأجل، فزادهم قلوبين وزادوه سنين، فظفرت الروم بفارس قبل انتضاء الأجل الثانى تصديقاً لتقدير أبى بكر رضى الله عنه. ويقال: البضع بغير هاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة.

أرتع: آكل وأتعم، والريف: الخصب، والرأفة: الرفق. غمرتني مواهبه: غطتني عطاياه، وأراد بإطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول، وصار يجرد ذيله تبختراً. تالفت: تسلت برفق. أتاح: قدر. لقيان: لقاء. الضفطة: التضييق، وضمطه: ضيق عليه. الجدد: الحظ والسعد. الألد: الشديد الخصومة. أحذيك: أعطيك. أتحفك: أهديك. وإملاء الرسالة: إنفاؤها عليه ليكتبها. نحلة: عطية. يلج: يدخل. الأردن: الأكام. أنف: كبر ذلك عليه واستنكفه. والحذيا: العطية فصلت: زلت. أبت: رجعت: قرير العين: مسرورا بالفائدة. حزت: جمعت، وصار في حوزى، أى فى ملكى. والعين: الذهب الأحمر.



## المقامة السابعة والعشرون وهي الوبرية

حكى الحارثُ بن همامٍ ، قال : ملتُ في ريقِ زَمَانِ الَّذِي غَبَرَ ،  
إلى مُجَاوِرَةِ أَهْلِ الْوَبْرِ ؛ لَأَخِذَ أَخِذَ نَفُوسِهِمِ الْآيَّةِ ، وَالسِّيْتِهِمِ  
العَرَبِيَّةِ ، فَشَمَّرْتُ تَشْمِيرَ مَنْ لَا يَأْلُو جُهْدًا ، وَجَمَلْتُ أُضْرِبُ  
فِي الْأَرْضِ غَوْرًا وَنَجْدًا ؛ إِلَى أَنْ اقْتَنَيْتُ هَجْمَةً مِنَ الرَّاغِيَةِ  
وَوَلَّيْتُ مِنَ الثَّاغِيَةِ ، نَمَّ أَوَيْتُ إِلَى عَرَبِ أَرْدَافِ أَقْيَالِ ، وَأَبْنَاءِ  
أَقْوَالِ ، فَأَوْطَنُونِي أَمْنَعَ جَنَابِ ، وَفَلُّوا عَنِّي حَدَّ كُلِّ نَابِ ،  
فَمَا تَأَوَّبَنِي عِنْدَهُمْ هَمٌّ ، وَلَا قَرَعَ صَفَاتِي سَهْمٌ .

...

غَبَرَ ، تقدم . أهل الوبر : أصحاب البوادي : الذين ما لهم الإبل ، وكفى بالوبر  
عنها . الآية : العزيرة التي تأتي الذل . يألو جهدا : يقصر في الاجتهاد . أضرب :  
أمشى في الأرض . وغورًا ونجدًا : مرتفعًا ومنخفضًا . اقتنيت : اكتسبت  
لنفسى لا للبيع .

وشرح الحريري ألفاظا في المقامة فنقتصر فيها على شرحه إلا بقدر ما يزيد  
الكلام بيانًا ، مثل قوله : أخذ أخذ نفوسهم ، أي أتخلق بأخلاقهم وطباعهم ،  
ويقال : لو كنت مثلنا لأخذت ياخذنا ، بكسر الهمزة وفتحها ، أي بمخلاقنا وشكلنا ،  
واستعمل فلان على الشام وما أخذ أخذه ، أي وما واولاه وكان حيزه . وقوله : إرداف  
أقوال ؛ يفسر القليل بالملك وبرد الملك ، وقيل : انقيل بالشرق كالفائد

بالأندلس والرّدافة في الجاهلية كالوزارة في الإسلام ، والرّدافة : بأن يرتد مع الملك على مركوبه ، وأن يستخلفه في موضعه متى غزا . أويت : رجعت وأخذته مأوى . أوطنوني : أنزلوني . جناب : جانب . فلوا : كسروا . ناب : ضرس . تأوّبني : أتاني ليلاً ولا قرع صفائي سهم ، أي لم يناني ضرّاً .

\* \* \*

إلى أن أضللتُ في لَيْلَةٍ مُنِيرَةٍ البدر، لِقِحَّةِ غَزِيرَةِ الدَّرِّ ؛  
فَلَمْ أَطِبْ نَفْسًا بِالْغَاءِ طَلِبًا ، وَإِلْقَاءِ حَبْلِهَا عَلَى غَارِبِهَا ؛  
فندثرتُ فرسًا مَحْضَارًا ، واعتقلتُ لذنا خَطَّارًا ، وَسَرَيْتُ لَيْلَتِي  
جَمْعًا ، أَجُوبُ البِيدَاءِ ، وأقترى كُلَّ شَجَرَاءِ وَمَرْدَاءِ ، إِلَى أَنْ  
نَشَرَ الصَّيْحُ رَايَاتِهِ ، وَحَيَعَلَ الدَّاعِي إِلَى صَلَاتِهِ ، فَنَزْتُ عَنْ مَتْنِ  
الرَّكُوبَةِ ، لأداء المكتوبة . ثم حُلْتُ فِي صَهْوَتِهَا ، وفردتُ  
عَنْ شَحْوَتِهَا ، وَسِرْتُ لَا أَرَى أَنْرًا إِلَّا قَفْوَتُهُ ، وَلَا نَشْرًا  
إِلَّا عَلْوَتُهُ ، وَلَا وَاذِيًا إِلَّا جَزَعَتُهُ ، وَلَا رَاكِبًا إِلَّا اسْتَطْلَعْتُهُ ،  
وَجِدْتِي مَعَ ذَلِكَ يَذْهَبُ هَدْرًا ، وَلَا يَجِدُ وَرْدَهُ صَدْرًا ، إِلَى أَنْ  
حَانَتْ صَكَّةُ عَمِّي ، وَلَفَحَ هَجِيرٌ يُذْهِلُ غَيْلَانَ عَنِّي .

أضللت: أتلفت، وضلت الناقة وأضلها ربها. منيرة: مضيئة. اللقحة: الناقة لها لبن. غزيرة الدر: كثيرة اللبن. إلقاء: ترك. غاربها: أعلى سنامها. اللدن: الرمح اللين. الخطار: الطويل المضطرب. واعتقلت الرمح: جعلته ما بين مرجك ورجلك. أجوب البيداء: أقطع القفر. وفسر « حيعل » بأنه قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح، وشاهده:

ألا ربّ طيف بات منك معاينق إلى أن دعا داعى الصلاة فخيلاً  
وقال آخر :

أقول لها ودمع العين جارم ألم تحزنيك حيلة المنادى

ومعنى حتى ، هلمّ وأقبل ، والفلاح : الفوز ، وأفاح الرجل ، إذا فاز وأصاب خيراً ، والمفلحون : الفائزون ، وقيل : الفلاح البقاء ، أى أقبلوا على بيت البقاء فى الجنة . والمفلحون : الباقون . والصلاة : المعلومة ، والصلاة : الرحمة كقوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، وكقوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم صل على آل أبى أوفى » ، والصلاة بمعنى الدعاء كالصلاة على الميت ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيَجِبْ فَإِنْ كَانَ مَفْطَرًا فَلْيَأْكُلْ وَمَنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَصِلْ » . أداء : قضاء . حُلت فى صهوتها : ركبت ظهرها ووثبت عليها . فررت : كشفت . قفوته : اتبعته . نشزا : مرتفعا . اسطاعة : استخترته . وسألته . جدى : عزمى واجتهادى . هدرأ : باطلا . وردهُ صدرأ ، أى سؤاله خيراً ، والورد إنيان الماء ، والصدر : الرجوع عنه . لفتح : تحرك . هجير : حر . يذهل : يشغل .

### [ أخبار ذى الرمة مع مى ]

غيلان اسم ذى الرمة ، وهو غيلان بن عتبة بن بهس بن مسعود بن حارثة ، عداة فى الرباب ، والرباب : عدى بن عبد مناة وتيم بن عبد مناة وعكّل ، وهو عوف بن عبد مناة ، وثور بن عبد مناة ، وضبة بن أد وهو عمهم ، وأد بن طابحة ابن الياس بن مضر ، وسمى ذى الرمة ، لقوله يصف وتدأ :

وغير مرضوخ القفا موتود أشعث باقى رمة التقليد<sup>(١)</sup>  
نعم فأنت اليوم كالعمود<sup>(٢)</sup> من الهوى أو شبه المورود

(١) ديوانه ١٥٥ . مرضوخ القفا : مدقوق ، يعنى الودد . والرمة : القطعة من الحبل .

(٢) الديوان : « كالعمود » ، قال فى شرحه : العمود ما انضمت عليه الضلوع .

بمى ذات الميسم المبرود<sup>(١)</sup> والمقلتين وبياض الجيد  
وقيل: سُمي به لأنه خشى عليه من المس، فأتى به رجل من الحى فكتب له  
معاذة علمت في عنقه، وشُدَّت بحبل. وقيل: سمته بذلك خرقاء التي يذكرها في  
شعره، وذلك أنه رآها وهي في جوارِ على ستمها فأعجبته وأدام الالتفات إليها،  
ثم قال لها: يا جارية أخرجى لي هذه القربة. فعلت مراده، فقالت له: إني خرقاء،  
فولّى وفي يده قطعة حبل بالرف فنادته: يا ذا الرمة إن كنتُ خرقاء، فخارجيتي صناع،  
فأذهب إليها، فمضى عليه ذو الرمة، وسمّاهما في شعره خرقاء، فمضت  
عليها<sup>(٢)</sup>.

وهي مى بنت عاصم بن طلحة بن قيس بن عاصم، وتكنى أم ثور،  
وغلبت عليه حتى عرف بها، فقيل غيلان مى كما قيل كثير عزة.

وأول أمره مع مى - فيما حكى الأصمباني عن أمة لأم مى - قالت<sup>(٣)</sup>: كنا  
نازلين بأسافل الدّهناء ورهط ذى الرّمة بجاورون لنا، فجلست مية تفسل ثيابا لها  
ولأمها، في يد رث فيه خروق، وهي فتاة أحسن من رأيت حين بدا ثديها،  
فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها، وأقبل ذو الرّمة يُنشد ضالة، فدخل  
وجلس ساعة ثم خرج، فقالت مية: إني لأرى أن هذا العذرى قد رأى منكشفة  
واطلع على من حيث لا أشعر، فإنّ بنى عذرة أخبث قوم في الأرض. فاذهبى

(١) في الديوان: «بمى ذات الميسم»

(٢) الخبر في الأغاني: «.. وكان اجتاز بجنبائها وهي جالسة جنب أمها فاستسقاها ماء،  
فقالت لها أمها: قومي فاسقيه. وقيل بل خرق لإداته لما رآها وقال لها أخرجى لي هذه، فقالت:  
وأنت ما أحسن ذلك فإنّي لخرقاء - قال: والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على  
قومها - فقال لأمها: مريها أن تسقيني ماء، فقالت لها: قومي ياخرقاء، فاسقيه ماء، فقامت  
فأنته بقاء؛ وكانت على كتف مية، وهي قطعة من حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرمة.. فقلب  
بذلك. الأغاني ١٨: ١

(٣) الأغاني ١٨: ١

فَقَصَى أَثْرَهُ ، فَقَالَتْ : قَصَصْتُ أَثْرَهُ فَوَجَدْتَهُ قَدْ تَرَدَّدَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَّةً ، كُلَّ ذَلِكَ يَدْنُو فَيَطَّلِعُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَرْجِعُ عَلَى عَقْبِهِ ثُمَّ يَعُودُ . فَأَخْبَرْتَهَا بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ أَنْ جَاءَ نَاشِعُهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَمَكَانٍ .

وَحَدَّثَ أَيْضًا بِسُنْدِهِ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ ثَقِيفٍ .<sup>(١)</sup> أَنْ ذَا الرُّمَّةَ حَدَّثَهُ أَنْ أَوَّلَ أَمْرِهِ مَعَهَا أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ فِي بَغَاءِ إِبِلٍ لَهُمْ ، فَوَرَدُوا عَلَى مَاءٍ ، وَقَدْ جَهَدَهُمُ الْعَطَشُ . قَالَ : فَأَتَيْتُ خَبَاءَ عَظِيمًا أُسْتَسْقَى لَهَا مَاءً ؛ فَإِذَا عَجُوزٌ جَالِسَةٌ فِي رِوَاقِهِ ، فَالْتَفَمْتُ وَرَاءَهَا وَقَالَتْ : يَا مَيِّ ، اسْقِ الْغَلَامَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا وَهِيَ تَنْسِجُ شُقَّةً ، فَقَالَتْ لِي : لَقَدْ كَلَّفَكَ أَهْلُكَ السَّفَرَ ، عَلَى مَا أَرَى مِنْ حَدَاثَةِ سَنِكَ ، ثُمَّ قَامَتْ تَصَبُّبِي رُكُوتِي مَاءٍ وَعَلَيْهَا شَوْذِبٌ<sup>(٢)</sup> ، فَلَمَّا احْتَضَّتْ عَلَى الْقِرْبَةِ رَأَيْتُ مَرَأَى لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَلَهَوْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَهِيَ تَصَبُّبُ الْمَاءَ فَيَذْهَبُ يَمِينًا وَشِمَالًا . فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : يَا بَنِي أَهْلِكَ مَيِّ عَمَّا بَعَثَكَ لَهُ أَهْلُكَ ، أَمَا تَرَى الْمَاءَ يَذْهَبُ يَمِينًا وَشِمَالًا ؟ قُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لِيَطُولَنَّ هَيَامِي بِهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِالْمَاءِ أَخِي وَابْنَ عَمِّي فَلَفَفْتُ رَأْسِي ، وَانْتَبَذْتُ نَاحِيَةَ وَقُلْتُ :

قَدْ سَخَّرْتُ أُخْتِ بَنِي لَبِيدٍ مَقَى وَمَنْ سَلَّمَ وَمَنْ وَكَلِيدٍ  
رَأَتْ غَلَامِي سَفَرَ بَعِيدٍ يَدْرِعَانُ اللَّيْلَ ذَا السُّدُودِ  
\* مِثْلُ أَدْرَاعِ الْيَلِيقِ الْحَدِيدِ \*<sup>(٣)</sup>

وَهِيَ أَوَّلُ قَصِيدَةٍ<sup>(٤)</sup> قُلْتُ : ثُمَّ مَكَثْتُ أَهْمِيمَ بِهَا فِي دِيَارِهَا عَشْرِينَ سَنَةً .  
وَأَمَّا ابْنُ<sup>(٥)</sup> قَتَيْبَةَ فَقَالَ : مَكَثْتُ مَيِّ تَسْمَعُ شِعْرَ ذِي الرُّمَّةِ وَلَا تَرَاهُ ،

(١) الأغانى ١٨ : ١٨ (٢) الشوذب : الثوب الطويل (٣) اليلق : العباء

(٤) ديوانه ١٥٥ - ١٦٣ ، ومطعمها :

هل تعرف المنزل بالوحيدٍ قفراً محامٍ أجدُ الأبيدِ

(٥) الشعر والشعراء ٥٠٩

فجعلت لله أن تنحر بدنه يوم تراه - وكانت من أجل الناس - فلما رأته دميما  
أسود صاحت : واسوءناه ! واضيعة بدنتاه ! فقال :

على وجهي مَسْحَةٌ من مَلَاحَةٍ وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كان باديا  
فكشفت عن جسدها ، وقالت : أشينا ترى لا أم لك ! فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا  
فقال له : قد رأيت ما تحت الثياب ، فلم يبق إلا أن أقول لك : هلم  
فدُقْ ما وراه ، فوالله لاذقت ذلك أبدا<sup>(١)</sup> . ثم صالح الأمر بينهما ، فعادا لما  
كانا من حبهما .

وهو شاعر مجيد مكثر وصاف للأطلال والديار والصبر على قطع القفار .

أبو الفرج<sup>(٢)</sup> : كان سليمان بن أبي شيخ ، رواية لشعري الزُّومة ، فأنشد  
يوما قصيدة له وإعرابي من بني عديّ بسمعه فقال : أشهد أنك فقيه تحسن  
ما تلوته ، وكان يحسبه قرآنا .

وكان أهل البادية يعجبهم شعره ، وكان جرير والفرزدق يحسدانه .  
وقال حماد الراوية : ما أحرّ القوم ذكره إلا لخدائته سنه ، وأنهم حسدوه .  
وقال أبو الطارف : لم يكن أحد منهم في زمانه أبلغ منه ، ولا أحسن جوابا ،  
وكان كلامه أحسن من شعره .

وقال مولى لبني هاشم : رأيتك بسوق المرَبْد وقد عارضه رجل فقال :  
يا أعرابي - يهزأ به - أتشهد بما لم تر ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ، قال : أن أبلك  
نالك أمك .

(١) في خبر الأغانى ١٨ : ٢٨ فقال :

فياضيعة الشعر الذى لجّ فاقضى بئى ولم أملك ضلال فؤاديا

(٢) الأغانى ١٨ : ٧ .

الأصمعيّ ما أعلم أحداً من العشاق شكاً أحسن من شكوى ذى الرّمة،  
مع عفة وعقل .

أبو عبيدة: يخبر ذو الرّمة فيحسن الخبر، ثم يردّ على نفسه فيحسن الرد، ثم  
يمتدّر فيحسن التخلّص، مع حسن إنصاف في الحكم وعفاف .

وقال ذو الرّمة: من <sup>(١)</sup> شعري ما ساعدني فيه القول، ومنه ما أجهدت نفسي  
فيه . ومنه ما جننت فيه جنوناً، فأما الذي طاوعني فيه القول فقولي :

خِليّ عوجاً في صُدورِ الرواحلِ      بجمهورِ حُزوي فابكيا في المنازل <sup>(٢)</sup>  
لعلّ انحدارِ الدمع يعقب راحة      من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل  
وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولي :

أأن توسّمت من خرقاء منزلةً      ماء الصبابة من عينيك مسجوم <sup>(٣)</sup>  
كأنها بعد أحوالٍ مضينَ لها      بالأشيمينَ يمانٍ فيه تسهيم  
وأما الذي جننت فيه جنونا فقولي :

ما بال عينك منها الماء يَنسَكِبُ      كأنه من كُليّ مفتريةٍ مرب <sup>(٤)</sup>  
براقة الجيد واللّبات واضحةً      كأنها ظبية أفضى بها لب <sup>(٥)</sup>  
زَيْنُ الثياب وإن أثوابها استُلمتْ      فوق الحشية يوماً زانها السلبُ  
إذا أخو لذة الدنيا تبطّنها      والبيتُ فوقهما بالستر محتجبُ  
ساقِ بطيبة العرين مارُها      بالمسك والعنبر الهنديّ محتضب  
لياء في شفتيها حوّة لقسّ      وفي اللّثات وفي أنيابها شنبُ  
كحلاء في برّج ، بيضاء في دَعَج      كأنها فضة قد زانها ذهبُ

وهذه القصيدة من المطولات التي نَبَّفت على المائة وربعمها ، وتصرف فيها

(١) الأغاني ١٨ : ٢٢ (٢) ديوانه ٤٩١ . والجمهور : العظيم من الرمل

(٣) ديوانه ٥٦٧ والأشيمان جبلان من جبال الرمل .

(٤) ديوانه ١ (٥) اللب: منقطع الرمل .

ماشاء من أوصاف الأطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبي وغير ذلك ، وفي خلال ذلك يأتي بتشبيهات بديعات . وهو أشعر الشعراء الإسلاميين في التشبيه ، وكان يقول : إذا قلت « كأن » فلم أجد مخرجا قطع الله لساني . واحتذى في ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز ، وقصده الحريري في هذا الموضع لمعنيين : أحدهما لأنه كان صادقاً في حب مية فكان لا يشغله عنها شيء ، ، لا مثل كثير عزة وغيره ممن لا يصدق في حبه ، والثاني أنه يكثر في شعره صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله :

وهاجرة من دون مية لم تقل قلوصى بها والجنذب الجون يرمح<sup>(١)</sup>  
 إذا جعل الحرباء مما أصابه من الحر يلوى رأسه ويرنح  
 لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من مية فلموت أروح  
 ولما شكوت الحب كيما تنييفى بودى قالت إنما أنت تمزح  
 فذكر الحريري أن هذه الهاجرة شغلته عن ذكر مية حتى طلب ظلاً يلوذ به

\*\*\*

وكان يوماً أطول من ظل القناة ، وأحرّ من دمع المقلات  
 فأيقنت أنى إن لم أستكن من الوقدة ، وأستحم بالرقدة ، وأذ نفي  
 اللغوب ، وعلقت بى شعوب . قمجت إلى سرحة كشيقة الأغصان ،  
 وريقة الأفنان ، لأغور تحتها إلى المعيربان ؛ فوالله ما استروح  
 نفسى ، ولا استراح نفسى ؛ حتى نظرت إلى سائح ، فى هيئة  
 سائح ؛ وهو يذجع نجمتى ، ويشتد إلى بقعتى ، فكرهت  
 انباجه إلى معاجى ؛ فاستعدت بالله من شر كل مفاجى . تم

(١) ديوانه ٨٦ . لم تقل ، من القيلولة والفلوس : الناقه الفتية . والجون : الأبيض أو الأسود ، من الأضداد . برمح : يضرب الأرض برجله من شدة الحر .



تَرَجَّيْتُ أَنْ يَتَصَدَّقَ مِنْشَدًا ، أَوْ يَتَبَدَّئَ مُرْشِدًا . فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ  
سَرْحَتِي ، وَكَادَ يُحِلُّ بِسَاحَتِي ، أَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا السَّرُوجِيَّ ، مُتَشَبِّحًا  
بِجَرَابِهِ ، وَمُضْطَمِّنًا أَهْبَةَ تَجْرَابِهِ ، فَأَنْسَى إِذْ وَرَدَ ، وَأَنْسَانِي مَاشِرَدَ ،  
ثُمَّ اسْتَوْضَحْتُهُ مِنْ أَيْنَ أَتَاهُ ، وَكَيْفَ عَجَرُهُ وَبِجَرِّهِ .

\*\*\*

أَسْتَكَنَّ : أَسْتَرْتُ وَأَطْلَبُ كِنَانًا . الْوَقْدَةُ : شِدَّةُ الْحَرِّ . أَسْتَجِمُّ : أَسْتَرِيحُ  
فَأَتَقَوَّى . أَدْنَفِي : أَمْرَضَنِي . اللَّغُوبُ : التَّعَبُ .

وذكر طول اليوم وأنشد عليه في الشرح: « ويوم كظل الرمح... » ، وذكر  
أنَّ اليوم القصير يوصف بإبهام القطة ، ولم ينشده عليه شيئًا . وقال جرير :

ويومٍ كإبهام القطة محببٍ إلى صباه غالبٍ لي باطله<sup>(١)</sup>  
رزقنا به الصنيد الغزير فلم يكن كمن نبله محرومةً وحباثله  
وذلك يومٌ خيرُهُ قبل شرِّه تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال الأصمعيّ : قال لي خلف الأحمر : ويحه فما ينفعه حين يثولُ إلى الشرِّ !  
قلت : فكيف يجب أن يقول ؟ قال : خيرهُ دون شرِّه ، قلت : والله لا أرويه  
بعدها إلا هكذا .

عُجْتُ : مَلْتُ . مَرَّحَةٌ : شَجَرَةٌ . كَثِيفَةٌ : مَلْتَفَةٌ الْأَغْصَانِ . وَرَيْقَةٌ : كَثِيرَةٌ  
الْوَرَقِ . وَالْأَفْئَانُ : الْأَغْصَانُ ، أَوْ مَا تَقَرَّعَ مِنْهَا . وَمَا أَحْسَنَ مَا نَظَمَ فِي الْفَرَارِ  
مِنَ الْحَرِّ إِلَى الظلِّ الْمَنَازِي كَاتِبُ مَرْوَانَ صَاحِبُ مِيَا فَارِقِينَ حِينَ قَالَ :

وَقَانَا وَقْدَةَ الرَّمْضَاءِ رَوْضًا سَقَاهُ مَضَاعِفُ الظَّلِّ<sup>(٣)</sup> الْعَمِيمِ

(١) ديوانه : ٤٧٩ ، مع اختلاف في الرواية . (٢) نفع الطيب : ٤ : ٢٨٨ .

(٣) نفع الطيب : الفيت .

(٢٠) شرح مقامات الحريري ج ٣

قصدا دَوْحُهُ فحنا علينا حُنُوَ الوالداتِ على الفطيمِ  
يراعى الشمس أنى قابلتنا فيحجبها ويأذنُ للنسيمِ

وهذا ما يتعلق بالفرض ، وزاد فيه معنى بديعا بقوله :

ويستقينا على ظميا زلالاً ألدَّ من اللدام مع الكريمِ<sup>(٢)</sup>  
يرُوع حصاه حالية الغماني فتلس جانب العقد النظيمِ

تأمل هذه الصفة تجدها غاية في بابها ، وتخيّل هذه الجارية كيف نظرت  
بياض الحصى في الماء ، فارتاعت وحسبت عقدها تناثر ، فالتسته بيدها .

وقال اله بي فأحسن :

أدرها فقدد اللوم لإحدى الغنائم ولا نخش إثمنا لست فيها بأسمِ<sup>(١)</sup>  
ولا عيش إلا في اعتصامٍ بقموة يروح القتي منها خضيب المعاصمِ  
ولا ظل إلا ظل كرمٍ معرش تغنيك من قُطْرَبِه وُرُقُ الحائمِ  
سما غصونٍ تحجب الشمس أن ترى على الأرض إلا مثل نثر الدرّاهمِ

وقال ابن بُتال في متنزه بشريش يسمى أجانة :

أيا حبذا إجانة كيفما اغتدت أيا حبذا إجانة كيفما اغتدت<sup>(٢)</sup>  
مذاب ماء كاللجين على حصي كدر بلا ثقب أغر ثير  
ورمل إذا ما ابتل بالماء عطفه غنينا به عن عنبر وذرور  
وتين كما قامت على حلماتها نهود عذارى الزنج فوق صدور  
كان القباب الخز فيها عرائس على سررٍ مفروشة بجرير

وله أيضا عفا الله تعالى عنه :

كان جني القوطى في روث الضحى وقد حملته راحة الورقات

(٢) النفع : من الدامة للديم .

(١) ديوانه ٢٤٢ ، ٢٤٣

نهود عذارى زُحزحت عن مقرِّها      فقامت على الأطراف والحلماتِ  
 قوله : استروح نفسى ، أى استنشقت الريح فتنفست فيه من التعب ، أى  
 ما سكنت عني أنفاس التعب ، واستروحت الشيء ، وجدت ريحه . سأخ : عابر  
 يسيح فى الأرض ، أى يمشى فى جهاتها ، ويقال للمكدى : سأخ ، لأنه يسيح فى  
 طلب الكدية . ينتجع نجمتى ، أى يقصد قصدى فى طلب الراحة . والانتجاع :  
 طلب المرعى . يشتد : يجرى . بُعقتى : موضعى . انعياجه : انعطافه . معاجى :  
 مكافئ الذى عجت إليه . معاجى : آت على غفلة . يتصدى : يتعرض . منشدا :  
 دالاً على الشيء . تقول : نشدت الضالة : طلبتها ، وأنشأتها : دلت عليها طالبها .  
 مرشدا : هادياً للطريق . ساحتى : موضعى الذى أنا فيه . ألقيته : وجدته . متسحاً  
 بجرابه ، أى جعل جرابه موضع الوشاح . أهبة تجوابه ، أى عدة جوالانه . ورد :  
 وصل . ماشرد : ما نفر ، يعنى الضالة . استوضحته : سألته أن يوضح لى أمره .

\* \* \*

فأنشد بديها ، ولم يقل إبهيا :

قُلْ لِمُسْتَطَلَعٍ دَخِيلَةَ أَمْرِي      لَكَ عِنْدِي كَرَامَةٌ وَعَزَاةٌ

أنا ما بين جوبِ أرضِ فأرضِ

وَسُرِّي فِي مَفَازَةٍ فَمَفَاةٌ

زادى الصيْدُ والمطية نعلي      وجهازى الجرابُ والمكازةُ

فإذا ما هبطتُ مصرأ فبيتي      غرقةُ الخان والنديمِ جُزارةُ

ليسَ لي ما أساء إن فات أو أحز

نُ إن حاولَ الزمانُ ابتزارةُ

غير أني أبيتُ خلواً من الهمِّ      ونفسي عن الأسي مُنحازة  
أرقدُ الليلَ ملءَ جفني وقلبي      باردٌ من حرارةٍ وحرارة  
لا أبالي من أيِّ كأسٍ تفوقتَ ولا      ما حلاوةٌ من مزارة  
لا ولا أستجيزُ أن أجعل الذلَّ      مجازاً إلى تسني إجازة  
وإذا مطلبٌ كسا حلة العا      ر فبعداً لمن يرومُ نجازة  
ومتى اهتزَّ للهناةٍ نكسٌ      عاف طبعه واهتزَّ آزة  
فلنايا      ولا الدنيايا      وخيرُ

مِنْ رَكُوبِ الْخَنَارِ كُوبِ الْجِنَازَةِ

\*\*\*

بديها : مرتجلا من غير فكرة . المستطلع : الذي يجب أن يطالع على الأمر  
دخيلة أمرى : باطنه . عزازة : عزة ورفعة . جوب : قطع . سرى : مشى الليل .  
مفازة ، قال الأصمعي : هي المهلكة سميت بذلك تفاؤلا لسالكها بالفوز ، كما  
سمى اللديغ سليما تفاؤلاً بالسلامة ، قال ابن الأعرابي : هي مأخوذة من فوز الرجل ،  
إذا هلك ، والعرب تسمى الفحل مطية مجازاً حيث يستعان بها على قطع المفازة .  
وأشهد أبو علي الفارسي رحمه الله :

رَوَّاحِلُنَا سَتُّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ      نَجْتَبِهِنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ (١)  
وقال أبو نواس :

إليك أبا العباس ياخيرَ مَنْ مَشَى      عليها امتطينا الحضرمي الملسنا (٢)  
قلائصٍ لم تعرف حنيناً إلى طَلَاً      ولم تدرِ ماقرع الفنيق ولا الهفا (٣)

(١) شرح العكبري ١ : ٣٠٣ من غير نسبة . وفيه : « من غير منهل » .

(٢) ديوانه ٧٦ ، شرح العكبري ١ : ٣٠١ . (٣) الهنا : القطران .

وأخذه أبو الطيب فقال :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا  
شراكها كورها ومشفرها  
أشدّ عصف الرياح يسبقه  
تحتي من خطوها تأيدها

وكان السروجي أكثر عدّة من أبي الشمقمق<sup>(٢)</sup> في قوله :

كلّما كنتُ في جموع فقالوا  
أترى أنّي من الدهر يوماً  
حيثما كنتُ لا أخلف رَحلاً  
من رآني فقد رآني ورحلي  
قربوا للرّحيل قرّبتُ نعلي<sup>(٣)</sup>  
لي فيه مطية غير رجلي

ومن أبيات المعاني في نمل :

وسوداء المناسب يمتطيها  
فيحملها وتحمله وفيها  
على أن السقار ينال منها  
أخو الحاجات ليس له نكيرُ  
منافع حيث يبتدر السفيرُ  
فيرقعها إذا جدّ المسيرُ

السفير : ورق الشجر ، والمسفرة المكفسة . والجهاز : ما يحتاج إليه المسافر من العدة . والعكازة : العصا . مصرأ : بلدا . الخنان : الفندق . والتديم : صاحب على الشراب ، وجزارة ، قيل : إنه خليع مشهور عندهم ، وهذا لا يبعد . وأخبرني الأستاذ أبو ذرّ وغيره أنها القراطيس الصفراء ، يكتب للناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها ، فيريد أن نديمه إذا دخل بلدة قطع من قرطاس يجرّها ورقة كبيرة ، يكتب فيها بما يجلب مما يؤكل ويشرب ، والجزارة : ما يسقط من الشيء تجزّه ، كالقصاصة ما يسقط مما يُقصّ ، والتحنّاة والقلامّة وغير ذلك ، فلما كانت القطعة الصغيرة تسقط من الورقة سمّوها جزارة ، ثم اشتهر عندهم ما صغر

(٢) اسمه سروان بن محمد .

(١) ديوانه ١ : ٣٠١

(٣) كتاب « شعراء ماسيون ٣٥ ، والمقدّم ٣ : ٤٤ / ٤ : ٢٥٥ .

من القراطيس بهذا الاسم . قال الفنجديهيّ : جزازة ، أي قطعة كاغد عليها شيء مكتوب ، والجزازة : ما يقطع من الشيء . قال : وأنشد بعضهم :

وقالوا كيف حالك قلتُ حالي تُقضى حاجتي وتفوت حاجي  
نديمي مررتي وسميدُ أنسي دفايتيري ومعشوقِ سراجي  
أساء : أصاب فيه بسوء ، وأحزن عليه . حاول : طلب . ابتزازه : تجريده وإزالته . خلّو : فارغ البال الأسمى : الحزن . منحاذاة : متنحية ومنعزلة ومنقبضة . وانعاز : انعزل . ملء جفني : أي أرقد هينئاً لقلّة همي ، فتمتلئ عيني بالنوم ، وهو من قول المتنبي :

\* أنام ملء جفوني عن شواردها<sup>(١)</sup> \*

والجزازة في القلب : تأثير الهمّ كأنه يحزّ فيه ، أي يقطع . وقال الشاعر :  
إذا كان أولاد الرجال حزازةً فأنتَ الحلالُ الحلو والبارد المذبُ  
والحزازة هنا : الولد السوء ، ولا شيء أنكى للقلب من همّه ، والحزازة أيضاً الحفد والفيظ ، وفي قلبي منه حزازة ، أي حرقة وحزن . تفوتت ، أي شربت فواقها ، وهو أخذها ما فيها شيئاً فشيئاً ، وما بين عبةً وعبةً فواق ؛ وأصله ما بين حلبة من الصّرع وحلبة . مرازة : بين الحموضة والحلاوة . مجازاً : طريقاً يجاز عليه . تسنى : تيسر . إجازة : عطية وصلة . يروم : يطلب . مجازة : قضاءه وتمامه ، ولبعضهم في هذا المعنى :

أشدُّ من عَيْلَةٍ وجُوعٍ إغضاه حرّاً على الخضوعِ  
فدفع من الدهر قوتَ يومٍ وأنتَ بالنزولِ الرفيعِ  
ولاً ترد ثروةً بمالٍ يُنالُ بالذلِّ والخشوعِ

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٧ ، وبقيته .

\* وَيَسْهَرُ الْقَوْمُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ \*

وارْحَلْ إِذَا أُجِدْتُ بِلَادٍ مِنْهَا إِلَى الْخِصْبِ وَالرَّبِيعِ  
الدَّاءَةُ : الفعل القبيح . نَكَسَ : دنى . عَافَ : كَرِهَ . اهْتِزَاةٌ : طَرَبُهُ وَخَفْتُهُ .  
ولبعضهم في هذا المعنى :

ويجتنب الليبُ ورود ماءٍ إذا كان الكلابُ يلفن فيه  
كما سقط الذباب على طعامٍ ففتركه ونفسك تشبيهه

وقال أبو محمد المصري يخاطب المتمد وقد فرّ منه :

رحلتُ وفي القلبِ بَجْرُ النَّصِيِّ وَهَجْرِي لَكُمْ دُونَ شَكِّ صَوَابُ  
كما تهجرُ النفسُ حُرَّ الطَّعَامِ إِذَا مَا تَسَاقَطَ فِيهِ الذَّبَابُ

المنابا ولا الدنيا ، أى إتيان النية ولا فعل الدنية ، قال أوس بن حارثة :  
مَلَكَ الْمَنِيَّةُ وَلَا الدِّنِيَّةُ ، فِي وَصِيَّةِ طَوْبِلَةَ ، وَالْمَنِيَّةُ مَعْنَاهَا الْمَقْدُورَةُ الْمَحْكُومُ بِهَا ،  
وهي مفعولة من المَنَى وهو المقدّر والقدر ، يقال : مَنَّاكَ اللهُ بِمَا يَسْرُكُ ، وَأَصْلُهَا  
ممنووة فصرفت مفعولة فمفعلة ، كطبخ وطبخ ، وأدغمت الياء في الياء . الخنا :  
الفساد . الجنازة : النمش .

\* \* \*

ثُمَّ رَفَعَ إِلَى طَرَفِهِ ، وَقَالَ : لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ  
خَبْرَ نَاقَتِي السَّارِحَةِ ، وَمَا عَانَيْتُهُ فِي يَوْجِي وَالْبَارِحَةِ ، فَقَالَ : دَعِ  
الْإلتِفَاتِ ، إِلَى مَافَاتِ ، وَالطَّمَّاحِ إِلَى مَاطَاحِ ، وَلَا تَأْسَ عَلَى مَا ذَهَبَ ،  
وَلَوْ أَنَّهُ وَإِدْمِنْ ذَهَبِ ، وَلَا تَسْتَمِلْ مَنْ مَالَ عَنْ رِيحِكَ ،  
وَأَضْرَمَ نَارَ تَبَارِيحِكَ ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ بُوْحِكَ ، أَوْ شَقِيقَ رُوْحِكَ ،  
ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَقِيلَ ، وَتَتَحَايَى الْقَالَ وَالْقِيلَ ؟ فَإِنَّ

الأبدان أنضاءً تعب ، والهاجرة ذات لَهَبٍ ، ولَنْ يَصْقُلَ الخاطر ،  
ويَنْشِطَ الفاتِر ، كقائلة الهواجر ، وخصوصاً في شهرى ناجر، فقلتُ :  
ذاك إليك ، وما أريدُ أَنْ أشُقَّ عليك ، فافترش التُّرْبَ واضطجع ،  
وأظهرَ أن قد هَجَعَ ، وارتفعتُ على أن أحرُس ، ولا أنعس ، فأخذتني  
السُّنَّةُ ؛ إذ زُمَّتِ الألسنة ، فلم أُنْقِ إِلَّا واللَّيْلُ قد تولىج ، والصَّبِيحُ قد  
تبَلَّج ، ولا السَّرُوجِيَّ ولا المُسْرَج .

\* \* \*

قوله : «لأمرٍ ما جدع قصير أنه» أى ماجدع قصير أنه إلا المعنى ، وكذلك  
أنت ما خرجت في هذا الوقت لشدة حره إلى هذه القفار الخوفة إلا المعنى ، فأخبرني  
به ، فلذلك قال : «فأخبرته حبر ناقتي» ، وأيضاً فإن أول الكلام يدل عليه ، لأنه  
قال : فاستوضحته من أين أثره ، فأخبره السروجي في الشعر بقصته ، فلما أكملها  
سأل ابن همام عن قصته ، فأخبره بالناقة الضائعة . والسارحة : التي سرحت ، أى  
مشت حيث شاءت . عاينته : شاهدهته ورأيتة . الالتفات : النظر إلى جهة .  
والطاح : ارتفاع العين بالنظر وطاح : ذهب وتلف . لا تأس : لا تعزن .  
ولا تستمل : تستدع حبه وأن يميل إليك بوجه . مال : انحرف . عن ريبك :  
عن طريقك وهواك . أضرم : أوقد . تباريحك : أحزانك . ثقيل : تنام في  
القا تتعامى : تتباعد عنها . أنضاء : جمع نضو وهو المهزول ، أى قد أهزل  
التعب أبداننا . الهاجرة : القائلة سُمِّيَتْ هاجرة لأنها تهجرُ البرد ، أو لأنها  
أكثر حرّاً من سائر النهار ، يقال : فلان أهجر من فلان ، إذا كان أضخم منه .  
لهب : نار .

وشهرى ناجر: يونيه ويولييه ، وهما أشد الحر . قال الأزهرى : هما حزيان



وتموز ، النجران : العطشان . ابن سيده : ظن قوم أنهم أحزيران وتموز ، وهذا غلط ، وإنما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ .

الليث : كل شهر في صميم الحرّ فاسمه ناجر ، لأن الإبل تنجرّ فيه ، أي تشتدّ عطشاً حتى تبيس جلودها ، فلا تكاد تروى من الماء .

هجم : رقد . وارتفتت : توكت على مرفقي . السنّة : النوم القليل .  
زُمت : ربطت ومنعت . فأولج : دخل . تبلّج : أضاء وظهر . المسرج : الفرس عليه سرجه .

\* \* \*

فبتّ بَلَيْلَةً نَابِغِيَّةً ، وَأَحْزَانَ يَعْقُوبِيَّةً ، أَسَاوِرُ الْوُجُومِ ،  
وَأَسَاهِرُ النُّجُومِ ، أَفْكَرُ تَارَةٍ فِي رُجُلَتِي ، وَأُخْرَى فِي رَجْعَتِي ،  
إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي عِنْدَ افْتِرَارِ نَغْرِ الضُّوْءِ فِي وَجْهِ الْجَوِّ ، رَاكِبٌ  
يَخْدُ فِي الدَّوِّ ، فَأَلَمْتُ إِلَيْهِ بِشَوْبِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُعْرِجَ إِلَى صَوْبِي ،  
فَلَمْ يَعْبَأْ بِالْمَاعِي ، وَلَا أَوْى لِالْتِيَاعِي ، بَلْ سَارَ عَلَى هَيْئَتِهِ ، وَأَصْمَانِي  
بِسَهْمِ إِهَاتِهِ ، فَأَوْفَضْتُ إِلَيْهِ لِاسْتِرْدِفِهِ ، وَأَحْتَمِلَ تَغَطُّرُهُ . فَلَمَّا  
أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْأَيْنِ ، وَأَجَلْتُ فِيهِ مَسْرَحَ الْعَيْنِ ، وَجَدْتُ نَاقَتِي  
مَطِيئَةً ، وَصَالَتِي لِقَطْتِهِ ، فَمَا كَذَبْتُ أَنْ أَدْرَبْتُهُ عَنْ سَنَامِيهَا ،  
وَجَاذَبْتُهُ طَرَفَ زَمَامِيهَا ، وَقُلْتُ لَهُ : أَنَا صَاحِبُهَا وَمُضِيئُهَا ، وَلِي  
رَسْلُهَا وَنَسْلُهَا ، فَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبٍ ، فُتْتَعِبَ وَتَتَّعِبَ .

\* \* \*

أساور : أوائب . الوجوم : السكوت على غيظ ، والمعنى : أن الفيظ إذا اشتدّ عليه عالج كظّمه ودفعه عن نفسه ، فكأنه يوائبه . أساهر : أسامر ، والسهر امتناع النوم . الرُّجْلة ، بضم الراء : القُدرة على المشى ، ورجل يرجل رجلاً ورجلةً ، إذ أمشى في السفر وحده بلا دابة . وضح : تبين . افتزار : انكشاف ، وافتَرَ كشف أسنانه عند الضحك . يخذ : يسرع . الدوّ : الصحراء ، والراكب من يركب البعير . والجوّ : نواحي السماء . يعرّج إلى صوبى : يميل إلى جهتي وقصدى . يعبأ : يبال . الإماعى : إشارتى ، وهو مصدر ألمت إليك ، أى أشرت إليك ، فإذا بعد عنك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك وأشرت إليه ، والإشارة بالثوب هى الإماع . أوى : أشفق . التياعى : تحرقى وتوجعى . هينته : سكينته . أصمانى : أصاب مقتلى . إهاتته : احتقاره . أوفضت : أسرعت . أستردفه : أطلب إليه أن يرُدْفنى . تظرفه : تكبّره ، والفظريف : السيد العظيم . الأبن : الفتور . أجلت : صرفت . مسرح : موضع تسرحها وجوّ لانها بالنظر . واللقطة : ما يجده الإنسان قد سقط لغيره ، فيأخذه ويلتقطه . أذريته : رميت به عنها . مضئها ، أى الذى ضئت له . رسلها : لبّنها .

### [ ذكر أشعب وبعض نوادره ]

أشعب : الطماع ، رجل مدنى صاحب نوادر وملاهٍ وله صنعة فى الفناء ، وكان أبخل الناس وأكثرم طمعاً . ويقال فى المثل . أطمع من أشعب ، ولهذا قال الحريرى : فلا تك كأشعب ، أى لا تطمع فى أخذ الناقة فتكون مثله فى طمعه فى مال غيره . فتمعب من تعلقت له بشىء ، وتمعب ، أنت معه فى المخاصمة . ومن حكايات أشعب : قلل سالم بن عبد الله بن عمر لأشعب : ما بلغ من طعمك ؟ قال : لم أنظر إلى اثنين يتساران فى جنازة إلا قدرت أن الميت أوصى لى بشىء .

وقال له ابن أبي الزناد : ما بلغ من حلمك ؟ قال : ما زفت بالمدينة امرأة ، إلا كنت بيتي رجاء أن يُغلب بها إلى .

وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبي الزناد ، فقال أشعب : تربيت معه في مكان واحد ، وكنت أسفل ويملو حتى بلغنا ما ترون .

وقيل لعائشة : هل آنست من أشعب رشداً ؟ فقالت : أسلمته منذ سنة في البرز ، فسألته بالأمس : أين بلغت في الصناعة ؟ فقال : يا أمه ، قد تعلمت نصف العمل وبقي نصفه ، تعلمت النثر في سنة ، وبقي على تعلم الطي .

وسمعه اليوم يخاطب رجلاً وقد ساومه قوساً ببندق ، فقال : بدينار ، فقال أشعب : والله لو كنت إذا رميت عليها طائراً وقع في حجرى مشوباً مع رغيفين ، ما اشتريتها بدينار ، فأى رشديؤنس منه !

ونظر إلى رجل يعمل طبقاً ، فقال له : أسألك بالله إلا ما زدت في سمته طوقاً أو طوقين ، فقال له الرجل : ما معنى ذلك ؟ فقال : لعله أن يهدى إلى يوم ما فيه شيء :

وقيل له : أرأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، خرجت إلى الشام مع رفيق لي ، فتلاحينا عند دير فيه راهب ، فقلت له : الكاذب منّا ، أيرُ الراهب في استه ، فنزل الراهب من صومعته وقد أنعظ ، فقال : أيكما الكاذب ؟ ثم قال : دعوا هذا ، امرأتى أطمع مني ومن الراهب ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إنها قالت : ما يخطر على قلبك شيء يكون بين الشك واليقين إلا وأنا أتيقنه ، ودعوا هذا ، شأني أطمع مني ومنها ، قيل : وكيف ؟ قال : صعدت على سطح ، فنظرت إلى قوس قرح فظننته جبل قن ، فأهوت إليه فسقطت فاندقت عنقها .

وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : كلبة آل فلان ، رأيت رجلاً يعض  
عكسكاً فتبعته فرسخين ، تظن أنه يأكل شيئاً .

وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أضجرتني الصبيان يوماً ، فأردت أن  
أشغلهم عني ، فقلت لهم : إن بموضع كذا عرساً ، فامضوا نحوه . فلما ذهبوا ظننت  
أن تمَّ عرساً ، فتبعتهم .

وقال ابن شرف :

وما بلوغ الأمانى فى مواعدها      إلا كأشعب يرجو وعدَّ عرقوبٍ (١)  
وقد تخالف مكتوب القضاء به      فكيف لى بقضاء غير مكتوب .

وقال ابن حجاج :

فديت من نفسى من كَمَا      لقيته والحق لا يفضبُ  
فقلت : يا عرقوب أطمعتنى      فقال : لم نفسك يا أشعبُ

\* \* \*

فأخذَ يَلْدَعُ وَيَصِي ، وَيَتَّقِحُ وَلَا يَسْتَعِي ، وبيناهو ينزو  
ويَلِين ، وَيَسْتَأْسِدُ وَيَسْتَكِين ؛ إذ غشينا أبو زيد لابسا جلد  
النمر ، وهاجماً هجوم السَّيْلِ المنهر ، فخفضتُ والله أن يكون  
يَوْمُهُ كأمسه ، وبدُرُهُ مثل شمسهِ ، فألحقَ بالقارظين ، وأصيرَ خَبِراً  
بَعْدَ عَيْن . فَلَمْ أَرَ إِلَّا أن أذكرتهُ المهود المنسيّة ، والفعلة الإمسيّة ،

(١) نقله فى التتف ٩٣

وَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ : أَوْاقِي لِلتَّلَافِي ، أَمْ لِمَا فِيهِ إِتْلَافِي ؟ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ  
أَجْهَزَ عَلَيَّ مَكْلُومِي ، أَوْ أَصِلَ حُرُورِي بِسَمُومِي ؛ بَلْ وَافَيْتَكَ  
لَأَخْبِرَ كُنْهَ حَالِكَ ، وَأَكُونَ يَمِينًا لَشِمَالِكَ . فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ  
جَاشِي ، وَانْجَابَ اسْتِيحَاشِي ، وَأَطْلَعْتُهُ طِلْعَ اللَّقْحَةِ ، وَتَبَرَّقَعَ صَاحِي  
بِالْقَحَّةِ .

\* \* \*

قوله : يَتَّقِح ، أى يبدى الوقاحة : ينزو : يقفز . يستأسد : يقشبه بالأسد  
فيتقوى . يستكين : يذل ، يريد أنه كان مرة يتقوى ومرة يذل . غشينا :  
جاءنا فجأة . لابساً جلد النمر ، أى وقعا شجاعا . هاجما : أتيا على غفلة . المنهمر :  
الكثير الانصباب ، وتقدم أثر خبر بعد عين ، الإمسية : النسوبة إلى أمس .  
- الفنجديهي : رأيت بخط الحريري النسبة إلى أمس إمسي ، وهو من شاذ -  
النسب - ناشدته : حلفته . أواقى : أجاها وأوتى . التلافي ؛ التدارك قبل فوته . معاذ الله ،  
أى أستجير بالله مما ذكرت . أجهز : أتم عليه . مكلومي : مجروحي ، وفى  
أخبار على رضى الله عنه أنه ما أجهز على مكلوم قط . أخبر : أعلم . كنه :  
حقيقة جاشى : نفسى ، قاله ابن سيده : وقيل : الجأش القلب ، وقيل : رباطته  
وشدته عند الشيء ؛ يسمعه ، ما يدرى ما هو . وقيل : جاشى : روع قباي  
واضطرابه عند الفزع . واستوحش من الشيء : لم يأنس به . انجباب : انشمع  
وزال . أطلعه طلمها ، أخبرته سرها وعلوت طلع الأكمة ، أى مكانا يطلع  
منه على ما حولها ويشرف عليه والقحة : صلابة الوجه ، كأنه جعل منها برقما  
على وجهه .

\* \* \*

فنظر إليه تَظَرَّيْتُ المَرِيَّسَةَ ، إلى الفريسة . ثمَّ أشرعَ قِبَلَهُ الرَّمْحَ ،  
وأقسمَ له بمن أنار الصُّبْحَ ، لئن لم ينجُ منجى الذُّبَابِ ، ويرضَ من  
الغَنِيمةِ بالإيابِ ، ليوردنَ سِنَانَهُ وريدهَ ، وليفجمنَّ به وليدهَ ووَدِيدَهُ .  
فنبذَ زمامَ الناقَةِ وحاصَ ، وأفلتَ وله حُصااصُ ، فقال لى أبو زيدٍ :  
تسَلَّمَهَا ونسَمَّمَهَا ، فإنها إحدى الحُسْنَيْنِ ، وويلٌ أهونَ من وَيْلَيْنِ .  
قال الحارث بن همام : فحِرَّتْ بين لومِ أبي زيدٍ وشُكْرِهَ ، وزنة  
نفعه بضره . فكأنه نُوجِي بذاتِ صَدْرِي ، أو تكهَّن ما خامرَ  
سرى . فقابلنى بوجهِ طليقٍ ، وأنشد بِلِسَانِ ذَلِيقٍ :

يا أخى الحاملَ ضيبي      دون إخوانى وقومي  
إن يكن ساءك أمسى      فلقـد سرك يومى  
فاغفر ذاك لـهـذا      وأطرح سُكْرِي ولومى

ثم قال : أنا تَتَّقُ ؛ وأنت مِتَّقُ ، فكيف تَتَّقُ ! ووَلَّى يفرى  
أديم الأرض ، ويركضُ طرفه أَيْمَا ركضَ ، فما عُدْتُ أن اقتعدت  
مَطِيَّتِي ، وعُدْتُ لِعَطِيَّتِي ، حتى وصلتُ إلى حِلَّتِي ، بعد اللَّتْيَا وَالَّتِي .

. . .

المَرِيَّسَةُ : مأوى الأسد . والفريسة : الصيد يفترسه ، أى يكسر عنقه ،  
وهى أكلة الأسد . أشرع : صوبَ . أنار : نور . ينج منجى : يخلص مخلص ،  
وشبه خلوصه بخلوص الذباب ، لأنه يقع على الجسد أو الطعام فيقتدرُ الإنسان

بمقره فيشرده ، وهو واحد عليه ، فينجو الذباب ، سالما بعد أذايته .

[ مما قيل من الشعر في الذباب والبعوض ]

وأخذه من قول إبراهيم بن العباس الصولي لحمد بن الزيات :  
 كن كيف شئت وقل ما تشا وأبرق يمينا وأرعِدْ شمِالا (١)  
 نجابك قومك منجى الذباب حتمه مقاديره أن ينالا  
 وأخذه إبراهيم من قول الآخر :

أسمعى عبد بنى مسمع فصمتُ عنه النفس والعرض (٢)  
 ولم أجنبه لاحتماري له ومن يعص الكلب إن عضا !

ومن قول الآخر :

قوم إذا ما جنى بجانبهم أمنوا للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا  
 وهو كثير ، وإنما اخترع إبراهيم لفظ الذباب .  
 وعرض - أى بعض الأدباء - على صاحب له بمحضر جماعة شعرا ، فجعل  
 يعرض عن محاسن الشعر ويتبع مواضع النقد حسدا ، فقال له صاحب الشعر :  
 أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة ، وتتبع قروح الجسد .  
 وقال ابن الرومي :

تأمل العيب عيب ما بالذى قلت ريب  
 والشعر كالشعر فيه مع الشيب شيب

(١) ديوانه ١٦٣ .

(٢) إنباه الرواة ١ : ١٤٠ وفيه : « شامى » .

فليصفح الناس عنه فطعنهم فيه عيبٌ

ومنكيات الذباب لابن آدم كثيرة ، منها نزوله على الوجه عند النوم ، فيلتي منه بلاء ، أو في الصلاة فيصير أضرّ من إبليس للتشاغل ، وأما إذا تساقط في الطعام فتغنيصه وتنفيذه للطباع أضرار لا تخفى ، وقد قدمت أنفا في ذلك من الشعر شيئاً ، ولذلك تضرب به العرب المثل فتقول : أجرأ من ذباب ، لأنه ينزل على الأسد والأمير .

ونذكر هنا ما هو أشدّ أذاية منه وهو البعوض ، ولولا أنّ أيامه قلائل لأخلى البلاد ، قال ابن رشيق يتشكّاه :

ياربّ لا أقوى على دفع الأذى      وبك استعنت على الضعيف الموزي<sup>(١)</sup>  
سالى بعثت إلى ألف بعوضة      وبعثت واحدة إلى نمرود!  
وقال ابن شرف :

لك منزل كملت بشارته لنسا      للهو لكن تحت ذلك حديث<sup>(٢)</sup>  
عنى الذباب وظلّ يزمر حوله      فيه البعوض ويرقص البرغوث  
وقال آخر :

ليلُ البراغيث والبعوض      ليلٌ طويلٌ بلا غموض  
فذاك ينزو بغير رقصٍ      وذا يُعنى بلا عروضٍ

وقوله : ويرضى من الغنيمة بالإياب ، منقول من قول امرئ القيس ، وقد

(١) نقله في التنف ٣٠

(٢) نقله في التنف ٩٤ . وينسبان لابن رشيق أيضاً .



طوّفت...<sup>(١)</sup> البيت . وهو مشهور . يوردن : يَدْخُلن . وريده : صفحة عنقه ،  
والوريدان : العرقان يجرى فيهما النَّفَس ، وهما في مقدّم العنق ، ولجنته المصيبة  
فجماً : أوجمته فهو فجيع ومفجوع ، وموت فاجع ، والفجعية : الرزية للوجعة .  
يفجعن : يحزنن . وليده : ابنه . وديده : صاحبه . نبذ : رمى . حاص :  
مال إلى الحرب ، ويقال : حاص يحمص حميصاً ، إذا عدل ، ومنه ﴿ ما لهم من  
حميص ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي من ملجأ ومجيد . تسلّمها : خذها . تستنمها : اركب سنامها .  
إحدى الحسينين ، أي السرّتين ، ولو رجع له الفرس لكتلته ، فالناقة إحداهما .  
بذات صدرى : علم بحاجة نفسى وبحقيقة ما أضمرته فى صدرى . تكهن : علم .  
خامر : خالط . طليق : مستبشر . ذليق : حديد . ضيى : ذلى وضرى :  
ساءك : أحزنك . اطرح : أترك ، وقد أعاد هذا فى السابعة والثلاثين فقال :  
وهبها لا خطأ ولا إصابة .

وسأل الخطيئة عتبية النهّاس العجلى فردّه ، فقال له قومه : عرضنا ونفسك  
للشر ، هذا الخطيئة ، وهو هاجينا أخبث هجاء ، فقال : ردّوه ، فردّوه ، فقال :  
كتمتّنا نفسك ولك عندنا ما يسرك ، ثم قال له : من أشعر الناس ؟ فقال : الذى  
يقول :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ  
يَفِـرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ<sup>(٣)</sup>

فقال له : وهذه من مقدمات أفاعيك . ثم قال لو كيّله : اذهب به إلى السوق  
فابتع له كلّ ما أحبّ ، فعرض عليه الخبز ورقيق الثياب ، فعرض هو إلى

(١) وهو فى ديوانه ٩٩ ، والبيت بتمامه :

وقد طوّفتُ بالأماقِ حتّى رَضِيتُ من الغنّيمةِ بالإبابِ

(٢) سورة إبراهيم ٢١ .

(٣) ديوانه ٣٠ .

( ٢١ - شرح مقامات الحريرى ج ٣ )

الأكسية الغلاظ فاشترى له ما أراد ، فرجع إلى عتبية ، فقال له اسمع :

سُئِلْتُ فَلَمْ تَبْخُلْ وَلَمْ تُعْطِ طَائِلًا فسيان لآذِمِّ عَلَيْكَ وَلَا تَحْمَدُ

وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا الْجُودَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ

فَتُعْطِي وَقَدْ يُعْذِي عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ<sup>(١)</sup>

وامتدح أبو تمام إبراهيم بن المهدي ، فوجده عليلاً ، فقبل منه المدحة  
وأنا له ما يصلحه ، وقال له : عسى أن أقوم من مرضى فأكافئك ، فأقام شهراً  
ثم كتب له :

إِنَّ حَرَامًا قَبُولَ مَدْحَتِنَا وَتَرَكَ مَا نَزَّجِي مِنَ الصَّفَدِ<sup>(٢)</sup>

كَأَنَّ الدَّنَانِيرَ وَالْدِرَاهِمَ فِي الْبَيْعِ<sup>(٣)</sup> حَرَامٌ إِلَّا يَدًا بِيَدٍ

فقال لحاجبه : أعطه ثلاثين ألفاً ، وجئني بدواة ، فكتب إليه :

عَاجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرِّنَا قُلًّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ نُقَلِّلِ

نَغْذُ الْقَلِيلِ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ وَنَكُونُ بَحْنُ كَأَنَّنا لَمْ نَفْعَلْ

وقال الخوارزمي :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ ابْنَ وَوَلِيدٍ وَبَيْنَهُمَا اخْتِلَافٌ فِي الْفَعَالِ

وَهَبْتَ قَبِيحَ ذَا الْجَمِيلِ هَذَا وَأَسَلْتَ الْعَوَاقِبَ لِئَالِي

إِذَا الْيَدُ أَحْسَنَتْ مِنْهَا يَمِينٌ تَسْوَعُنَا لَهَا ذَنْبُ الشَّمَالِ

(١) الخبر والشعر في الأغاني ٢ : ١٦٨

(٢) الخبر في زهر الآداب ٣٧٦ ، وفيه : « دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دواد »

(٣) زهر الآداب : « في الصرف »

قوله يفرى : أى يقطع . أديم الأرض : وجهها . يركض طِرْفَه :  
يجرى فرسه . أيتما ، صفة لمصدر محذوف ، وفيه معنى التعجب من كثرة جريه ،  
تقديره : يركض ركضاً ، أى ركض . اقدمت : ركبت القعود ، وتقدمت فى  
الأولى . ماعدوت : ماجاوزت ، أى ما عملت شيئاً قبل القعود على الناقة . حلتى :  
موضعى الذى هو سكنى ونزولى . وحلّ : نزل .

## تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله : « رَيْقُ زمانِي وراثته » ، يعني أوله ، وقد يخفف فيقال « رَيْقُ » .  
 وقوله : « آخِذْ أَخْذَ نَفْسِهِمُ الْأَبِيَّةِ » ، يعني أقتدى بهم ، يقال :  
 أخذه ، بكسر الهمزة وفتحها .  
 والهجمة ، نحو المائة من الإبل .  
 والثلة : القطيع من الغنم .  
 والراغية : الإبل . والثاغية : الشاء ، ومنه قولهم : ماله راغية ولا ثاغية ،  
 أى لا ناقة له ولا شاء .

وقوله : « أرداف أقيال » ، أى يخلفون للوك إذا غابوا .  
 وقوله : « أبناء أقوال » ، أى فصحاء ، يقال للمُنطِيق : إنه ابن  
 أقوال .

وقوله : « فتدثرت فرساً محضاراً » ، التدثرت : الوثوب على ظهر  
 الفرس ، والمحضار والمحضير : الشديد المدو ، مأخوذ من الحضر ، وهو المدو .  
 وقوله : « أقتري كلَّ شجراً مرداء » الاقتراء : تتبّع الأرض .  
 والشجراء : ذات الشجر ، والمراد الخالية من النبات ، ومنه اشتقاق الأمرد ، لخلو  
 وجهه من الشعر .

وقوله : « حَيْعَلُ الدَّاعِي إِلَى صَلَاتِهِ » ، يعني قول المؤذن : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ  
 حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، والمصدر منه الحَيْعَلَةُ ، ومثله من المصادر المهيَّلة والحُمَيْلَةُ .

والحوقة والبسلة والحسبلة والسبجلة والجملفة ؛ فالهيلة حكاية قول : لا إله إلا الله . والجدلة : حكاية قول : الحمد لله . والحسبلة حكاية قول : حسبنا الله ، والسبجلة حكاية قول : سبحان الله . والجملفة حكاية قول : « جعلت فداك » . وقوله : « فنزلت عن متن الركوبة ، يعنى الركوبة ، يقال : ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة ، وقد قرئ : ﴿ فمنها ركوبتهم ﴾ .

والصهوة : مقعد الفارس . والشحوة : الخطوة . والجزع : قطع الوادى عرضاً . وقوله : « صكة عمى » يعنى قائم الظهيرة ، وقد اختلف فى أصله ، فقيل : كان عمى رجلاً مغواراً ، ففزا أقواماً عند قائم الظهيرة ، وصكهم صكة شديدة ، فصار مثلاً لكل من جاء ذلك الوقت ، وقيل : المراد به الظبي ، لأنه يسد فى الهواجر ، ويذهب بصره ، فيصطك ، وكذلك الحية ، واضطكك الظبي بما يستقبله كاضطكك الأعمى ، ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم ، فقيل : عمى ؛ كما صغروا أسود وأزهر ، فقالوا : سويد وزهير .

وقوله : « وكان يوماً أطول من ظل القناة » ، يوصف اليوم الطويل بظل القناة ، كما يوصف اليوم القصير بإبهام القناة ، والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ، ومنه قول شبرمة بن الطيزيل :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفى المراهر<sup>(١)</sup>

وقوله : « أحر من دمع المثلات » المثلات هى المرأة التى لا يعيش لها ولد ، فدمعها أبداً حارٌ لحزنها ، لأنه يقال : إن دمة الحزن حارة ودمة السرور باردة ، ولهذا قيل للدعوى له : أقر الله عينه ، مأخوذ من القر وهو البرد ، وقيل للدعوى عليه : أسخن الله عينه ، مأخوذ من السخنة ، وهى الحرارة ، وقيل : إن إقرار العين مأخوذ من القرار ؛ فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى

(١) البيت فى المضاف والنسب ٦٢٦ ونسبه إلى ابن الطرية .

لا تطمح إلى ما لغيره . وكانت الجاهلية تزعم أن : إن الفلات إذا وطئت على قتييل شريف عاش ولدها ، ولهذا أشار بشر بن أبي خازم في قوله :

تظَلَّ مَقَالِيتُ النِّسَاءِ بِطَانِهِ يَقْلُنُ : أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِهْزَرًا (١)

وقوله : « عَلِمَتْ بِي شَعُوبٌ » يعنى المنية ، ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف ، مثل دجلة وعرفة .

وقوله : « لِأَغْوَرَ تَحْتَهَا إِلَى الْمَغِيرِ بَانَ » ، التقدير : النزول إلى القائلة ؛ كما أن التعريس : النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة .

والمغِير بان ، تصغير الغرب ، وكان قياس تصغيره المغيرب ، إلا أن العرب ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ .

وقوله : « مَضْطَفْنَا أَهْبَةَ تَجْوَابِهِ » ، الاضطغان : أن يحمل الشيء تحت حضنه ، والاضطبان أن يحمله تحت ضنبته ، والضنبن : ما بين الإبط والكشح ، وكلاهما متقارب . ويقال : أول مراتب الحمل الإبط ثم الضنبن ، وهو أسفل الإبط ثم الحظن ، وهو عند الجنب .

والتجواب مصدر جاب ، وجميع المصادر التي جاءت على « تَفْعَالٌ » هي بفتح التاء إلا قولهم : تَلْبِيَانٌ وَتَلْقَاءٌ لِأَغِيرٍ ، وزاد بعضهم : تِيصَالٌ .

وقوله : « عَجْرِي وَبُجْرِي » يريد به جميع أمرى الظاهر والباطن ، وأصل العجر العقد الناتئة في العصب ، والبحجر : العقد الناتئة في البطن .

وقوله : « وَلَمْ يَقُلْ لِمِيهَا » ، أى لم يأمرنى بالكف ، يقال : للدستزاد : إِيه . وللمستنكف : لِمِيهَا .

وقوله : « لِأَمْرٍ مَا جَدَعُ قَصِيرٍ أَنْفُهُ » ، قصير هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ، ثم أتاها وأوهما أن عمرو بن

عدى ابن أخت جذيمة ، هو الذى جدع أنفه اتهاماً له بأنه غشَّ خاله جذيمة إذ أشار عليه بقصدها ، فحَظِيَ بهذا القول عندها حتى جهزته مراراً إلى العراق ؛ فكان يأتيه بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق ، وتوصل إلى قتلها ، والأخذ بثأر مولاه منها . وقصته مشهورة .

وقوله : « ولو كان ابن بُوْحك » يعنى ولد الصُّلب ، إشارة إلى أنه ولد في إاحة الدار ؛ وهى عرضتها ، وجمعها بُوْح . وقيل : إن البوح من أسماء الذكور .  
وقوله . « فى شهرى ناجر » هاشهرا الحرّ ، وقيل : إنها خزيران وتموز .  
وأنكر ابن دريد هذا القول ، وقال : هما طلوع نجمين .

وقوله : « بت بليلة نافية » أو ما به إلى قول النابغة :

فبت كأتى ساورتى ضئيلة من لرثش فى أنيابها السم نافع<sup>(١)</sup>

وقوله : « فألمت إليه بثوبى » يعنى أشرت إليه ، يقال منه : ألمع ولمع بمعنى .

وقوله : « يلدغ ويصىء » ، هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو ، يقال : صامت العقرب تصىء صيئاً وصيئاً بفتح الصاد وكسرها ؛ إذا صوتت ، وكذلك الفرخ ، وما أحسن قول ابن الرومى فى هذا المعنى :

تشكى الحبّ وتشكو وهى ظالمة كالفوس تُصمى الرمايا وهى من نان<sup>(٢)</sup>

وقوله : « ينزو ويلين » ؛ هذا مثل يضرب لمن يتعزّز ثم يذلّ ، ويقال : إن

أصله أن الجدى ينزو وهو صغير فإذا كبر لان .

وقوله : « لا بسأجلد النمر » ، هذا مثل يضرب للمتّعجّج الجرىء ، لأن النمر أجراً سبيع

وأفله احتمالاً للضيم ، ومن هذا اشتقاق قولهم : نتمر ، أى صار مثل النمر .

وقوله : « فألقى بالقارظين » الأصل فى القارظ الذى يجنى القرظ ، وهو

النبات المدبوغ به ؛ والقارظان المشار إليهما أحدهما من عبّرة والآخر من النمر

ابن قاسط ، خرجا ينجيان القَرَظ فلم يرجعا ، ولا عُرِف لهما خبر ، فَضْرِبَ بهما  
المثل لكل غائب لا يُرْجَى إِيابُه ، وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله :

وحتى يُثوب القارظان كِلَاهِمَا وَيُنشَرَ في القتلَى كَلِيبٌ لَوَائِلٌ<sup>(١)</sup>  
وقوله : « حَرُورِي بِسُمُورِي » ، الحُرور : الرِّيح الحارّة ليلا ، والسَّموم :  
الريح الحارّة نهاراً ، وقد يقام أحدهما مقام الآخر مجازاً . وقال بعضهم : الحُرور  
يكون ليلا ونهاراً ، والسَّموم يختصّ بالنهار .

وقوله : « لَيْثٌ بِعَرِيْسَةٍ » يعني مأوى السبع ، ويقال فيه . عَرِيْسٌ وَعَرِيْسَةٌ  
بإثبات الماء وحذفها ، كما يقال : غاب وغابته وعَرِينٌ وَعَرِيْنَةٌ . فأما الفِيلُ والحِيسُ  
فلم يلحقوا بهما الماء .

وقوله : « أَفَلتَ وله حُصَاصٌ » هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشقى  
عليها بعد ما كاد يَهْوِي فيها . والحُصَاصُ : العَدُو ، وقيل إنه الضراط .

وقوله : « وَيِلٌ أَهْوَنٌ من وَيَلِينٌ » ، هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله  
بعض المكروه ، ومثله قول الراجز<sup>(٢)</sup> :

أبا منذرٍ أفنيت فاستتبقِ بعضنا حَنَانِيكَ بعضُ الشَّرِّ أهونُ من بعض

وقوله : « أَنانِثُ ، وَأنتِ مَثِقٌ ، فكيف تَثِقُ » ، هذا المثلُ يضرب  
للمتنافيين في الخلق ؛ فإنَّ التَثِقُ هو الممتلئ غيظاً ؛ مأخوذاً من قولهم : أَنانِثُ  
الإِناء ؛ إذا مَلَأْتَهُ . والمَثِقُ هو الباكي ؛ فكأنَّ التَثِقُ ينزع إلى الشَّرِّ  
لثِقَلِهِ ، والمَثِقُ بضيقِ ذرعاً باحتماله ، ومثله قول بعضهم : أَنا كَلِيفٌ ، وَأنتِ  
صَلِيفٌ ، فكيف نَأْتَلِفُ !

وقوله : « لَطِيتِي » يعني لقصدي ووجهتي ، وقد يقال فيها : طِيَّةٌ ،  
بالتخفيف .

(١) ديوان الهذليين ١ : ١٤٤ .

(٢) البيت لطرفة ، ديوانه ٢٠٨ هـ هو من بحر الطويل ، وليس رجزاً .



وقوله : « بعد اللَّتْيَا والتي » اللَّتْيَا تصغير الَّتِي ، وهو على غير قياس التصغير المطرد ؛ لأنَّ القياس أن يضمَّ أول الاسم إذا صُغِرَ ، وقد أُقِرَّ هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره ، إلَّا أنَّ العرب عوّضته عن ضمِّ أوله ، بأن زادت ألفا في آخره ، وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه ، فقالت في تصغير الذي والَّتِي : اللَّذِيَا واللَّتْيَا ؛ تصغير ذا وذاك . وقد اختلف في معنى قولهم : بعد اللَّتْيَا والتي ، فقيل : هما من أسماء الداهية . وقيل : المراد بهما بعض صغير المكروه وكبيره .

## المقامة الثامنة والعشرون وهي السمرقندية

حدث الحارث بن همام قال : استبصغتُ في بعض أسفاري القند، وقصدتُ به سمرقند؛ وكنت يومئذ قويم الشطاط، جُوم النشاط، أرمي عن قوس المراح، إلى غرض الأفراح، وأستعين بباء الشباب، على ملايح السراب، فوافيتها بكرة عروبة، بعد أن كابدتُ الصعوبة، فسعيتُ وما وئنتُ، إلى أن حصل البيت . فلما نقلت إليه قندي، وملكتُ قول عندي، عجت إلى الحمام على الأثر، فأمطت عني وَعَثَاء السفر، وأخذت في غسل الجمعة على الأثر .

° ° °

استبصغتُ : اتخذت بضاعة . القند . عسل السكر .

[ ذكر سمرقند ]

وسمرقند : بلد عظيم من بلاد خراسان ، غزاها ملك من ملوك الين اسمه شمر ، فلحقها وهدمها فسميت شمر كند، بمعنى خرابة شمر ، ثم عرّبت فقيلت : سمرقند ، وأهلها الشند . وفي رواية أنه لما انتهى إلى السغد قاتلهم أياماً نحو لواء إلى مدينتهم فحاصروهم حولاً حتى افتتحها عنوة ، فقتل منهم وسباً وهدمها ، ثم تاب له رأى ، فأمر ببنائها ، فبنيت خيراً مما كانت ، ثم أمر بصخرة فبنيت عند بابها ، وكتب عليها : هذا بناء ملك العرب لا العجم ، شمر الملك الأشم . ووحد في سورها لوح من نحاس فيه كتاب ، وهو : « هذا ما أمر ببنائه شمر » ، وقد تقدم

أن فرغانة من أعمالها التي هي آخر خراسان ، وبين سمرقند وبغداد ستة أشهر ،  
وتقدم أن مدينة سمرقند من أحسن بلاد الله تعالى ، ولما أشرف قتيبة بن مسلم  
عليها ، فرأى ما أدهشه لإفراط حسنها . قال : كأنها السماء في الخضرة ، وكان  
قصورها النجوم والزهرة ، وكان أنهارها المجرّة .

\* \* \*

قوله : قويم الشّطّاط ، أى معتدل القامة : جوم النشاط ، أى كثير  
القوة والخفة . والراح : النشاط . والأفراح : جمع فرح ، و ماء الشباب :  
نضارة الفتوة ونعمة الصبا . ملامح السراب : مواضع يلمح السراب فيها ، أى  
يلمح ويظهر ، فأراد أنه استهان بقوة فتوته على قطع الصحراء . وافيتها :  
أقيتها .

[ يوم عروبة ]

عروبة ، اسم يوم الجمعة ، سُمّيَ بذلك لحسنه حيث كان موسماً ، وهو من  
قولهم : جارية عروب أى حسناء ، وكانت العرب تسمّى أيام الأسبوع بأسماء  
يجمعها بيتان وهما :

أؤمل أن أعيش وأن يومي      بأول أو بأهون أو جبار<sup>(١)</sup>  
أو التالى دبار فإن أفتة      فؤنس أو عروبة أو شيار

وعروبة من الأسماء التي تدخلها الألف واللام مرّة وتسقط منها أخرى ،  
قال الشاعر :

\* يوم كيوم عروبة المتطاول \*

(١) البيتان و اللسان : جبر ، دير ، شير ، أنس ، هون . أول : الأحد . أهون : الاثنين .  
جبار : الثلاثاء : دبار : الأربعاء ، مؤنس : الخميس . عروبة : الجمعة . شيار : السبت .

وقال آخر :

\* يوم العروبة أورادا بأوراد \*

وحكوا أن سيبويه ، كان في حلقة بالبصرة فتذاكروا شيئاً من حديث قتادة ، فذكر سيبويه حديثاً غريباً ، وقال : لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العروبة ، فقال له بعض الفضلاء : ماهاتان الزيادتان ؟ - يعني الألف واللام في العروبة - فقال سيبويه : هكذا ينبغي أن يقال ، لأن العروبة هي يوم الجمعة ، فمن قال : عروبة فقهه خطأ . قال محمد بن سلام : فذكرت ذلك ليونس بن حبيب ، فقال : أصاب : سيبويه لله درّه .

وسُمِّيَ يوم الجمعة لما جاء في حديث سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ سُمِّيَ يوم الجمعة ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : لأن فيه جمع أبوك آدم . وقال بعضهم فذكر عروبة :

في العيد زار ، وكان يوم عروبة يافرحتي بثلاثة الأعياد  
وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتيرين يوم الجمعة ، فاتاه يوم السبت ، فلما تلقاه عانقه ، وأنشد :

تخيرت اليهود السبت عيداً      وقلنا في العروبة يوم عيد  
فلما أن طلعت السبت فينا      أطلت لسان محتج اليهود

وقال ابن الرومي :

وحبب يوم السبت عندي أنني      ينادمني فيه الذي أنا أحببت  
ومن عجب الأشياء أنني مسلم      حنيف ولكن خير أيام السبت

\* \* \*

(١) الخبر والشعر في نفع الطيب ٣ : ٤٤٨

قوله : كابدت ، أى قاسيت . سَعَيْت وما ونيت : خرجت وما فترت ، ويقال : ونى بني ، أى ضعف ، والونى الضعف والفتور والإعياء . ملكت قول عندي ، يريد أن المسافر في الطريق لا يحسب ماله ملكاً له حتى يدخل المدينة ، لأنه متعرض للهلاك في الطريق ، فإذا دخل المدينة وحصل في بيته ماله فصار « ملكت قول عندي » عبارة عن سلامة ماله وخلصه من حوادث الأسفار نحو الفرق والنهب والفرق والفضب ، أو يكون عبارة عن الحصول في البيت يقول : عندي كذا ، أى في بيتي .

عُجْتُ ، أى ملت على الأثر ، أى في الحين ، ورجع على الأثر أى أتى مستعملاً ، كأنه مشى على أثره في طريقه قبل غيره ، فعنى عجت إلى الحمام على الأثر ، أى دخلته على الفور في الحال . وقد ذكرنا باباً أدبياً من الشعر في الحمام في الرابعة ، ونذكر هنا فيه فناً آخر من الأدب .

### [ ذكر الحمام وماورد فيه من الشعر والحكايات ]

قال عبد الله بن مهران بن هرم رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ستفتح عليكم أرض الأعاجم ، وتجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات ، فلا يدخلها الرجل إلا بإزار ، وامنعوا النساء أن يدخلنها إلا مريضة أو نساء » .

وروى أن عبيد بن قرط الأسدي ، دخل مع صاحبين له بلداً فيها حمام فأحب صاحبه دخوله فيها ، فنهاها عبيد ، فأبى إلا دخوله ، فماد دخلاه رأياً فيه رجلاً يتنور ، أى يستعمل النور فسألاه عنها . فأخبرها بإذنها الشعر ، فاستعملها فلم يحسنا فأحرقتهما وأضرت بهما ، فقال عبيد :

لعمري قد حذرتُ قرطاً وجاره ولا ينفع التحذيرُ من ليس يحذرُ  
 نبيتهما عن نورةٍ أحرقتهما وحمام سوء نارهُ تسعُرُ  
 فما منهما إلا أثنى موقعاً به أثر من مسها يتقشُرُ  
 أحدكما لم تعلم أن جارنا أبا الحسل بالبيداء لا ينورُ  
 ولم تعلماً حمامنا في بلادنا إذا جعل الحرباء في الجذب يحضُرُ

ورد أعرابي البصرة ، فنزل على ابن عم له ، فلما رأى البصري شعثَ الأعرابي ، أراد أن ينظفه ، فقال له يوم الجمعة : إنَّ الناس يتطهرون للجمعة ، وينظفون ، ويلبسون أحسن الملابس ، فعمال أدخلك الحمام لتنظف من قشْف السفر والبادية ، وتطهّر للصلاة ، فدخل معه الحمام ، فعندما وطئ الأعرابي فرش أول بيت في الحمام ، لم يحسن المشي عليها لشدة ملاستها فزلق ، وسقط لوجهه ، وصادفت جبهته حرف مدخل البيت ، فشجّه شجّة مفكرة فخرج مرعوباً وهو ينشد ، ودماؤه تسيل :

وقالوا تطهّرْ إنّه يومُ جمعةٍ فأبت من الحمام غير مطهّر  
 تزودتُ منه شجّةٌ فوق حاجبي بغير جهاد بنسما كان متجري  
 يقول لي الأعراب حين رأيتني به لا بظبي بالصريمة أعفر<sup>(١)</sup>  
 وما تعرف الأعراب مشياً بأرضها فكيف يبيت ذئ رحام ومرمرا

وقال ابن سكرة : دخلت حماما ، فخرجت وقد سُرق مدامي ، فعدت إلى داري حافياً وأنا أقول :

(١) نظر في ذلك إلى المثل : « به لا بظبي أعفر » ، والأعفر : الأبيض ، يضرب للشماتة . وانظر بجم الأمثال ١ : ٩٠ .

إليك أذمّ حَمَامُ ابنِ موسى      فإن فاق المُنَى طيباً وحرّاً  
تكاثرت اللّصوص عليه حتى      ليحفي من يطيفُ به ويعمرى  
ولم أفقد به ثوباً ولكن      دخلت محمداً وخرجت بشراً  
— يريد بشراً الحافي ، وكان من كبار الزهاد ، ولزم المشى حافياً فلُقّب به .

\*\*\*

وقوله : أمطت ، أى أزالت . وعشاء السفر : شدته ومشقته ، وفي الحديث :  
« اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب » ، وأصله من الوعث ، وهو  
الدَّهَس ، أى الرمل الدقيق . وقيل : الوعث الرمل تغيب فيه القوائم ، وقيل : هو  
الطريق الخشن الصعب . بالأثر ، أى بالحديث المروى . وفي حديث أبي هريرة  
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اغتسل يوم جمعة غسل الجنابة  
ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قربَ بدنة ، ومن راح فى الثانية فكأنما  
قرب بقرة ، ومن راح فى الثالثة فكأنما قرب كبشاً ، ومن راح فى الرابعة  
فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام  
حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

\*\*\*

ثم بادرتُ فى هيئة الخاشع ، إلى مسجدها الجامع ، لألحقَ  
بمن يقربُ من الإمام ، ويُقربُ أفضل الأنعام ، فحظيتُ بأن جليتُ  
فى الحلبه ، وتخيّرتُ المركز لاستماعِ الخطبة ، ولم يزل الناسُ يدخلون  
فى دينِ الله أفواجا ، ويردون فرادى وأزواجا ؛ حتى إذا اكتظَّ  
الجامع بحفله ، وأظلل تساوى الشخصِ وظلّه ، برزَ الخطيبُ فى  
أهنته ، متهادياً خلفَ عُصبتِه ، فارتقى فى منبرِ الدعوة ، إلى أن

مَثَلٌ بِالذُّرْوَةِ ؛ فَسَلَّمَ مَشِيْرًا بِالْيَمِيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى خُتِمَ نَظْمُ  
التَّأْدِيْنِ .

\* \* \*

الأُنْعَامُ : هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ . وَقَالَ فِي الدَّرَةِ : فَرَقَتْ الْعَرَبُ بَيْنَ النَّعْمِ  
وَالْإِنْعَامِ ، فَجَعَلَتْ النَّعْمَ اسْمًا لِلْإِبِلِ خَاصَّةً وَالْمَاشِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِبِلُ ، وَتَذَكَّرَ وَتَوَنَّثَ ،  
وَجَعَلَتْ الْأُنْعَامَ اسْمًا لِأَنْوَاعِ الْمَوَاشِيِ مِثْلَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ . حَظِيَّتْ : سَعِدَتْ .  
جَلِيَّتْ : سَبَقَتْ . وَالْحَلْبَةُ : جَمَاعَةُ الْحَلِيْلِ ، وَأَرَادَ بِهَا النَّاسَ الْمُبَادِرِيْنَ لِلصَّلَاةِ ، وَأَنَّهُ  
سَبَقَهُمْ . الْمَرْكُزُ : الْمَوْضِعُ تَنْقَطِرُ فِيهِ الصَّلَاةُ . دِيْنٌ : طَاعَةٌ . أَفْوَاجًا : جَمَاعَاتٌ .  
يَرْدُونَ : يَأْتُونَ الْجَمَاعَةَ . اِكْتَنَظَ : اِمْتَلَأَ وَضَاقَ بِأَهْلِهِ . حَفَلَهُ : اجْتَمَعَ النَّاسُ  
فِيهِ . أَظَلَّ : دَنَا قَرَبًا . تَسَاوَى الشَّخْصَ وَظَلَّهُ ، يَرِيدُ حَدِيثَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ  
صَلَّ الظُّهْرَ إِذَا صَارَ ظِلُّكَ مِثْلَكَ . بَرَزَ : خَرَجَ . أَهْبَتَهُ : عَدَّتَهُ لِلصَّلَاةِ . مَتَهَادِيَا :  
مَتَمَايِلَا لِقَوَارِهِ . عَصَبَتَهُ : جَمَاعَةُ الْمُؤَذِّنِيْنَ . ارْتَقَى : طَلَعَ . مَثَلٌ بِالذُّرْوَةِ : جَلَسَ  
بِأَعْلَى الْمَنْبَرِ أَوْ ظَهَرَ بِأَعْلَاهُ . وَالْمَائِلُ : اللَّاطِيءُ بِالْأَرْضِ أَوْ الْقَائِمُ الْمُنْتَصِبُ ، وَهُوَ  
مِنَ الْأَضْدَادِ ، وَسُمِّيَ الْمَنْبَرُ بِالنَّبْرِ لِارْتِفَاعِهِ وَعُلُوِّهِ مِنَ النَّبْرِ ، وَهُوَ ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ ،  
وَنَبْرُ الرَّجْلِ نَبْرَةٌ : تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فِيهَا عُلُوٌّ ، وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَرَاءِ :

إِنِّي لِأَسْمَعُ نَبْرَةً مِنْ قَوْلِهَا فَكَأَدُّنُ يُفَشِّيَ عَلَيَّ سُرُورًا<sup>(١)</sup>

مَشِيْرًا بِالْيَمِيْنِ ، مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْخَطِيْبَ إِذَا جَلَسَ عَلَيَّ  
الْمَنْبَرِ ، أَشَارَ إِلَى النَّاسِ بِيَمِينِهِ مَسْلَمًا مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

(١) الْبَيْتُ فِي الْلسَانِ - نَبْرٌ مِنْ غَيْرِ نَسْبَةٍ .



انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قُيَّامَ ، فصَلَّى فيه ، فخرج على صهيب ، فقلتُ : يا صهيب ، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردُّ مَنْ يَسَلُّ عليه ؟ قال : يشير بيده .

قوله : جلس ، قال الخليل : يقال لمن كان قائماً : أقعد ، ولن كان قائماً أو ساجداً : اجلس ، وهذا صحيح لأن القعود هو الانتقال من علو إلى سفلى ، ولهذا يقال لمن أصيب برجله : مُقعد ، والجلوس هو الانتقال من سفلى إلى علو ، ورجل جالس : آتٍ بجداء ، وهو المكان المرتفع . وذكره الحريري في الدرّة<sup>(١)</sup> . ختم : أَكْمِل .

\* \* \*

ثم قام وقال : الحمد لله المدوح الأسماء ، المحمود الآلاء ، الواسع العطاء ، المدعو لحسن الأواء ، مالك الأمم ، ومصور الرّمم ، وأهل السماح والكرّم ، ومهلك عادٍ وإرم ، أذكرك كل سيرٍ علمه ، ووسع كل مُصيرٍ حلمه ، وعم كل عالمٍ طوله ، ومد كل ماردٍ حوله . أحمده حمدَ موحّدٍ مُسلمٍ ، وأدعوه دعاء مؤمنٍ مُسلمٍ ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل الصمد ، لا ولد له ولا والدٍ ، ولا رداءً معه ولا مُساعد . أرسل محمداً للإسلام مُمهّداً ، وللملّة موطّداً ، ولإدلة الرّسل مؤكّداً ، وللأسنود والأئمة مسدّداً .

...

قوله : الآلاء ، أى النعم الواسعة الكثيرة . حسم الآواء : قطع الشدة .  
 الرتم : العظام البالية . مصورها : منشىء صورها ، وأراد قوله تعالى : ﴿ قُلْ  
 يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، عاد وإرم : أمتان قديمتان ، وقيل : إرم قبيلة  
 من عاد فيها مملكة عاد . وقيل إرم : اسم لقبائل كثيرة ، كالعاليق وطسّم  
 وجديس هلكوا ، وهم من ولد إرم بن سام بن نوح ، ومن لم يصرف إرم جملة  
 اسماً للقبيلة . وقال سابق البربرى فى ذهاب الأمم :

وكيف يأمن ريبَ الدهر مرتين<sup>(٢)</sup>      بعدوة الدهر إن الدهر عداء<sup>(٢)</sup>  
 ألقى على الجبل من عادٍ كلاكه<sup>(٢)</sup>      وقوم هود فهم هامٌ وأصداء  
 وقال أيضاً :

أين الملوك التي عن خطبها غفلت<sup>(٢)</sup>      حتى سقاها بكأس الموت ساقها  
 غرت زمانا بملك لادوام له<sup>(٢)</sup>      جهلا كما غرّ نفساً من يمتئها  
 وصبت قوم عاد فى ديارهم<sup>(٢)</sup>      بمقطع يوم عادتهم عوادها  
 وتبعاً وثمود الحجرِ غادرهم<sup>(٢)</sup>      ريب المنون رميا فى مغايبها  
 فكيف يبتى على الأحداث غابنا<sup>(٢)</sup>      كأننا قد أظلمتأ دواهبها  
 وقال الألبيرى :

أين الملوك وأين ماجعوا وما<sup>(٢)</sup>      ذخروه من ذهب المتاع الذاهب  
 ومن السوايق والصورم والقنا<sup>(٢)</sup>      ومن الصواهل : بذن وشواذب  
 كانت سوابقها تحمل منهم<sup>(٢)</sup>      أقمار أندية وأسد كتائب  
 كانوا ليوث خفية لكتهم<sup>(٢)</sup>      سكنوا غياض أسنة وقواضب  
 قصفتهم ربح اردى ورمتهم<sup>(٢)</sup>      كف المنون بكل سهم صائب

(١) سورة الأنعام ٦ .

(٢) التواذب : الضامرة .

قوله : مصرّ ، أى مقيم على الذنب . والعالم : كل مخلوق ، وأراد به الحيوان .  
 علوّه : فضله . هدّ : أذلّ وأهلك ، وهد البناء : كسره وهدمه . والمارد : العاقب .  
 وهو المبالغ في الطغيان والفساد ، والكثير الشرّ . حوله : قوته ، مؤمّل : راجٍ .  
 مسلمٌ : مفوض . الصمد ، من أسماء الله تعالى والسيد المطاع ، والصمد : الذى لا يولد  
 له ، وقيل : الصمد الذى لا جوف له .

وقال ابن الأنباريّ : أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أنّ الصمد الذى ليس  
 فوقه أحد ، الذى يصمد إليه الناس في أمورهم ، وأنشد لورقة بن نوفل :

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له ربّ البرية فردّ واحد صمدٌ

وأنشد : \* بمرو بن مسعود وبالسيد الصمد<sup>(١)</sup> \*

وأنشد : \* ولا رهينة إلا سيّد صمدٌ \*

وأنشد : \* خذها حذيف فانت السيّد الصمد<sup>(١)</sup> \*

قوله : رده : معين ، وأردأتك على الأمر : أعتتكت . مساعد : موافق لمراده .  
 ممدداً : باسطاً . والملة : الدين . الأحمر ، أراد به الأبيض وأراد لكلّ الناس ،  
 وقيل : الأحمر العجم مثل الروم والفرس ، لأنهم بيض تعلوهم حمرة ، والأسود  
 العرب ، لأنهم لسكناهم الصحارى تغلب السمرة على ألوانهم .

\* \* \*

وَصَلِّ الْأَرْحَامَ ، وَعَلِّمِ الْأَحْكَامَ ، وَوَسِّمِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ،  
 وَرَسِّمِ الْإِحْلَالَ وَالْإِحْرَامَ ، كَرِّمِ اللَّهَ تَحْمَلَهُ ، وَكَمِّلِ الصَّلَاةَ  
 وَالسَّلَامَ لَهُ ، وَرَحِمِ آلَهُ الْكُرَّمَاءَ ، وَأَهْلَهُ الثَّرَجَاءَ ، مَا هَمَّرَ

(١) السان - صمد .

رُكَّامٌ ، وَهَدَّرَ حَمَامٌ ، وَسَرَّحَ سَوَامٌ ، وَسَطَا حُسَامٌ . انْعَمَلُوا رَحِمَكُمُ  
 اللَّهُ عَمَلِ الصُّلَحَاءِ ، وَاكْدَحُوا لِمَعَادِكُمْ كَدْحَ الْأَصِحَّاءِ ، وَازْدَعُوا  
 أَهْوَاءَكُمْ رَدْعَ الْأَعْدَاءِ ، وَأَعِدُّوا لِلزَّحَلَةِ إِعْدَادَ السُّعْدَاءِ ، وَإِدْرِعُوا  
 حُلْلَ الْوَرَعِ ، وَدَاوُوا عِلْلَ الطَّمَعِ ، وَسَوُّوا أَوْدَ الْعَمَلِ ، وَعَاصُوا  
 وَسَاوِسَ الْأَمَلِ ، وَصَوَّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُثُولَ الْأَحْوَالِ ،  
 وَحُلُولَ الْأَهْوَالِ ، وَمُسَاوِرَةَ الْأَعْلَالِ ، وَمَصَارِمَةَ الْمَالَ  
 وَالْآلِ .

الأرحام في الأصل: الفروج ، ثم يكتفى بها عن القرابات للذين بينهم رَحِمٌ .  
 وسم : بين ، وجعل له علامة ، والسَّمة : العلامة . رسم : كتب وبين وأصل  
 الرسم الأثر ، ورسمت الشيء : أثرت به أثرا . الإحلال : الدخول في الحِلِّ .  
 الإحرام : الدخول في الحرم ، وأراد أنه علم موضع الحِلِّ والحرم . آله : أهله .  
 همَّ رُكَّامٌ : انصبَّ سحاب . هَدَّرَ : صوت . ومرح : تفرَّق في المرعى ، سوام  
 إبِل راعية . سطا : اهتزَّ ليقطع . اكدحوا : اعملوا ، والكدح عمل الإنسان  
 من خير وشر ، واكتسابه للدنيا والآخرة . لمعادكم ، أى ليوم بعثكم ، والمعاد  
 المرجع . الأصِحَّاء : جمع صحيح . ارددعوا : كَبُّوا . اِدْرِعُوا : البسوا الخوف .  
 أود : اعوجاج . وسائس الأمل : أحاديث الطمع والرجاء . أوهامكم : نفوسكم .  
 حثول : تغير . حُلُول : نزول . الأهوال : المخاوف . مساورة : مواثبة . الإعلال :  
 الإصابة بعلَّة ، مصارمة : مقاطعة . الآل : الأهل والقرابة .

\*\*\*

وَإِدْرِكُوا الْحِمَامَ وَسَكْرَةَ مَضْرِعِهِ ، وَالرَّمْسَ وَهَوْلَ

مَطْلَعِهِ ، وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُودَعِهِ ، وَالْمَلَكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ .  
وَمَطْلَعِهِ . وَالْمَحْوَا الدَّهْرَ وَلَوْثَمَ كَرَّهُ ، وَسُوءَ مَحَالِهِ وَمَكْرَهُ .  
كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا ، وَأَمَرَ مَطْعَمًا ، وَطَخَطَحَ عَرْمَرَمًا ، وَدَمَّرَ  
مَلِكًا مُكْرَمًا .

• • •

اذكروا الحُمام : اذكروا الموت . الرَّمَس : تراب القبر . هول المطلع : خوف ما يراه الإنسان فيه . اللحد : الحفيرة في جانب القبر . مُودَعُه : المَجْمُول فيه ، كأنه ودیعة فيه . المَلَك : منكر ونكیر ، اللذان یفتنَان الناس فی قبورهم روعة : تفریع وتخویف . المطلع : المَاتی .

قال الجوهري ، رحمه الله تعالى : يقال : أين مطلع هذا الأمر ؟ أى مآناه ، وهو موضع الاطلاع من إشراف إلى ائحدار ، وجاء هول المطلع في الحديث ، حَدَّثَ وَائِلَةُ بن الأَسْفَع وغيره قالوا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اذْكُرُوا الْمَوْتَ وَهَوْلَ مَطْلَعِهِ وَمَاتَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ عَابِرُونَ سَبِيلًا إِلَى دَارِ الْخُلُودِ . ازهدوا في دنيا ناقصة غير زائدة ، مفرقة غير مجمعة ، وارغبوا في دار لا تخرب قصورها ولا يبلى سرورها ، ولا يموت ساكنها . أعمار أهل الجنة : أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، مكحلون يأكلون ويشربون ، لا يخرج من أجوافهم شيء إلا يعرفون ، عرقهم ذلك مسك ، فلم أر مثل الجنة ، نام طالبها ، ولم أر مثل النار ، نام هارباها . »

وقال ابن سكرة :

مَحْمَدُ مَا أَعَدَّتْ لِلتَّرْبِ وَالْبَيْلَى وَلِلْمَلَائِكِينَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَبْرِ (١)

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٢٤

وأنت مصرٌّ لا تراجع توبةً ولا ترعوى عما يُذمُّ من الأمر<sup>(١)</sup>  
 سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه فقدم له زاداً إلى البعث والحشر  
 وتقدم البابُ موافقاً حقه في الحادية عشر .

[ مما قيل في الأمل والطمع من الشعر ]

نذكرُ هنا بعض ما قيل في الأمل والطمع للمانعين للناس من أعمال البر :-  
 قال أبو العتاهية : ١

تملّقتُ بآمالٍ طوالٍ أيّ آمالٍ<sup>(٢)</sup>  
 فأقبلت على الدهر ملحاً أيّ إقبالٍ  
 أيا هذا تجهز لـ فراق الأهل والمالِ  
 فلا بدّ من الموت على حالٍ من الحالِ

وقال أبو تمام :

أنا أمل في الدنيا تجددت وتعمّرُ وأنت غداً فيها تموت وتُقبّرُ  
 تُلقحُ آمالاً وترجو نتائجها وعمرك مما قد تُرجيه أقصر<sup>(٣)</sup>  
 وهذا صباح اليوم ينفك ضوءه وليلته تنفك لو كنت تشعرُ  
 تحوم على إدراك ما قد كفيته وتقبل بالآمال فيها وتدبرُ

(١) بعده في البيتية :

تبيتُ على خميرٍ تماقرُ دنّها وتصبح مخموراً مريضاً من الخمرِ  
 (٢) ديوانه ٢١٣ ، وفيه :

تمسكت بآمالٍ طوالٍ أيّ آمالٍ

(٣) ديوانه ٤٨٢ .

رزقك لا يعدرك إماماً معجلاً على حاله يوماً وإماماً مؤخراً  
وقال محمود الوراق :

علام يسعى الحريص في طلب الرزق بطول الرواح والدلاجِ  
يا قارع الباب ربّ مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يابجِ  
فاطوّر على الهمّ كفاً مصطبرٍ فأخّرُ الهمم أولَ الفرجِ

وقال عبد الصمد بن المعذل :

وأعلم أنّ بنات الرجا تحلّ العزير محلّ الدليلِ  
وأنّ ليس مستغنيا بالكثرة - ير منّ ليس مستغنيا بالقليلِ

قوله : الحوا : انظروا . كرهه : رجوعه . محاله : شدته ومعاداته وخداعه .  
طمس : محا وأذهب . معلما : موضعاً مرتفعاً ، تعلم به الجهة التي هو فيها . طحطح :  
أهلك وفرّق . عرمرم : جيشاً كبيراً . دمر : أهلك ، والدمار : الهلاك .

[ ذم الدهر وما قيل فيه من الشعر والحكايات ]

ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الإسلام .

من ذلك أنّ سليمان بن عبد الملك لبس في يوم الجمعة لباساً شهراً به ، ودعا  
بثخت فيه عمام ، وبیده مرآة ، فلم يزل يعمّ بواحدة بعد أخرى ، وأرخى سدولها ،  
وأخذ بيده منحصرة ، واعتلى منبره ناظراً في عطفية ، وجمع حشمه ، وقال : أنا  
الملك الشاب ، السيد الحجاب ، الكريم الوهاب . فتمثلت له إحدى جواربه ،  
فقال : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ فقالت : أراه مني النفس وقرة العين ، لولا  
ما قال الشاعر :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان  
أنت خلوّ من العيوب ومما يكره الناس غير أنك فاني

فدمعت عيناها ، وخرج على الناس باكياً ، فلما فرغ من صلاته رجع ودعا الجارية ، وقال لها : ما حملك على ما قلت؟ قالت : والله ما رأيتك ولا دخلت عليك . فأكبر ذلك ، ودعا بقمية جواربه فصدّقنها على ذلك ، فراه ذلك ولم يبق إلا مُدبّدة حتى مات (١) .

الفضل بن الربيع ، قال : كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه ، فنزلنا بعض المنازل ، فدعا بي وهو في قُبَيْته إلى حائط ، وقال : ألم أنهمكم أن تدعوا الهامة تدخل هذه المنازل : فيسكتبون فيها ما لا خير فيه ، قلت : وما هو ؟ قال : ألا ترى ما على الحائط مكتوباً :

أبا جعفرٍ حانت وفاتك وانقضت سنوك ، وأمر الله لا بدّ نازلُ  
أبا جعفر ، هل كاهن أو منجم يردّ قضاء الله أم أنت جاهل ؟

قلت : والله ما على الحائط شيء ، وإنه لنتقأ أبيض ، قال : والله ، قلت : والله . قال : إنها والله نفسى نعت إلى الرحيل ، بادرنى إلى حرم الله وأمنه هارباً من ذنوبى وإسرافى على نفسى ، فرحلنا ، وثقل حتى بلغ بئر ميمون ، فقلت له : قد دخلت الحرم ، قال : الحمد لله ، وقُبِض من يومه ، ولما حضرته الوفاة ، قال : هذا هو السلطان ، لاسطان من يموت (٢) .

على بن يقطين ، قال : لما كنا مع المهديّ بما سبذان ، قال لى : أصبحت جائماً فاتنتى بأرغفة ولحم بارد ، فأكل ونام في البهو ، فما استيقظ إلا لبيكائه ، فبادرنا فقال : أما رأيتم ما رأيتم ، وقف على رجل لو كان في ألف ما خفي علىّ ، فقال :

(١) الخبر والشعر في العقد ٤ : ٣٢٥ . (٢) الخبر والشعر في المسعودى ٣ : ٣١٧



كأني بهذا القصرِ قد بادَ أهلهُ وأوحش منه ربُّهُ ومنازلُهُ  
 وصار عميد الملك من بعد بهجةٍ إلى قبره تُحني عليه جنادلهُ  
 فلم يبقَ إلا ذكره وحديثه ينادى عليه معولاتٌ حلالتهُ  
 فما أنت عليه عشرة أيام حتى توفي.

قال الأصبغى : دخلت على الرشيد يوماً ، وهو ينظر في كتاب ، ودموعه  
 تنحدر على خده ، فالتفت وقال : اجلس ، أ رأيت ما كان مني ؟ قلت : نعم ،  
 قال : أما إنه لو كان من أمر الدنيا ما رأيت هذا ، ثم رمى إلى به ، فإذا فيه مكتوب  
 لأبي العتاهية :

يا مؤثر الدنيا بلذتها والمستعد لمن يفاخره<sup>(١)</sup>  
 نل ما بدأ لك أن تنال من الدنيا فإن الموت آخره  
 هل أنت معتبر بمن خربت منه غداة قضى عساكره<sup>(٢)</sup>  
 وبمن خلت منه أسرته وبمن خلت منه منابره  
 أين الملوك وأين غيرهم صاروا مصيراً أنت صائر

ثم قال : كأني أخطب بهذا دون كل الناس ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات .  
 ولما رجع للأمون من غزونه التي انتتج فيها أربعة عشر حصناً نزل على  
 عين تعرف بالعشيرة ، ينتظر رجوع رسله من الحصون ، فأعجبه برؤ ماها  
 وصفواؤه ، وحسن بياضه وكثرة الخضرة والخصب بالموضع ، وجلس على خشب  
 بسط له على الماء ، وطرح فيه درهم ، فقرأ كتابته في قرار الماء لصفائه ، ولم يقدر  
 أحداً يدخل الماء لشدة برده ، فلاحتمسكة نحو الذراع ، كأنها سبيكة فضة ، فنزل  
 بعض الفراسخين فأخذها ، فاضطربت في يده وتملمت ، ووقعت في الماء ، فنضج  
 منه على صدر الأمون ، ثم أخذها ووضعها بين يديه في مندبل ، تضطرب ، فأمر

(١) ديوانه ١٢٣ والمسدودى ٣ : ٣٧٦ . (٢) الديوان : « دساكره » .

بأن تُقَلَى الساعة ، فأخذته رعدة من ساعته ، ولم يقدرُ يتحرك ، فغَطَّى بالحف ، وهو يرتعد ، ويصيح : البرد ، فأَتَى بالسمة فلم يقدر عليها ، وسال على جسمه عرق كالرَب لم يعرفه الأطباء ، فلما ثقل قال : أخرجوني أنظر إلى عسكري ، وأُنظر إلى مالي وملكي ، وذلك ليلا ، فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه ، فقال : يا مَنْ لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، فلما ثقل رنا بطرفه نحو السماء ، وقد امتلأت عيناه دموعاً ، فقال : يا من لا يموت ارحم مَنْ يموت ، وقَضِيَ عليه من ساعته (١) .

وكان كثيراً ما ينشد:

وَمَنْ لَمْ يَزَلْ غَرْصًا لِلْمَنُو      ن تتركه ذات يوم عميداً (١)  
وإن أخطأت مرة نفسه      فيوشك مخطئها أن يعوداً  
فينا يحيد وتخطئنه      قصدن فأعجلنه أن يحيداً

وذكر أبو المواريث قاضي نصيبين ، أنه رأى في المنام ليلة قاتلاً ، يقول :

يا نائم الليل في جمان يقظان      ما بال عينيك لا تبكي بتهتان (٢)  
إن الليل لم تحسن إلى أحدٍ      إلا أساءت إليه بعد إحسانٍ  
هلا رأيت صروف الدهر ما فعلت      بالهاشمي وبالفتح بن خاقان

- يعني المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان - قال : فأتى البريد بقتلها في تلك الليلة .

وقال سابق البربري :

وربَّ أعيدَ ساجي الطرفِ معتصبٍ      بالنجاج نيرانه للحرب تستعزُّ  
يظلُّ مفترشَ الديباجِ محتجباً      إليه تبنى قباب الملك والحجرُ  
قد غادرته المنايا فهو مستلبٌ      مجنود ترب الخدين منعفرُ

\* \* \*

(١) المسعودي ٤ : ٤٥ -

(٢) الأبيات للحسين بن الضحاك ، ديوانه ١١٣ .

هُمَّه سَكُّ الْمَسَامِعِ ، وَسَحُّ الْمَدَامِعِ ، وَإِكْدَاءُ الْمَطَاعِ ،  
 وَإِرْدَاءُ الْمُسْمِعِ وَالسَّمَاعِ . عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ ، وَالسُّودَ  
 وَالْمُطَاعَ ، وَالْمَحْسُودَ وَالْحُسَادَ ، وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ ، مَا مَوَّلَ  
 إِلَّا مَالَ ، وَعَكَسَ الْأَمَالَ ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ ، وَكَلَّمَ الْأَوْصَالَ ،  
 وَلَا سَرَّ إِلَّا وَسَاءَ ، وَلَوَّمَّ وَأُسَاءَ ، وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَوَلَدَ الدَّاءَ ،  
 وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءَ .

اللَّهُ اللَّهُ ، رَعَاكُمْ اللَّهُ ! إِيَّامَ مَدَاوِمَةِ اللَّهِو ، وَمُوصَلَةُ السَّهْوِ ،  
 وَطُولُ الْإِضْرَارِ ، وَحَمْلُ الْأَصَارِ ، وَاطْرَاحُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ ، وَمُعَاصَاةُ  
 إِلِهِ السَّمَاءِ !

\* \* \*

هُمَّه : مراده . سك السامع : قطع الآذان ، وقد سك أذنه ، إذا استأصلها  
 بالقطع ، والمقطوع الأذن ، يقال له : أسك ، وسككت الشيء فاستك ، أى سدده  
 فانسد . سح : صب . إكداء : قطع ومنع . إرداء : إهلاك . الرعاع : سقط  
 الناس . المسود : من ليس بسيد . المطاع : الذى يقول ما أريد فيطاع ولا يعصى ،  
 الأسود : الحيات . والأساد : جمع أسد . موئل : أعطى مالا . مال : انخرق  
 وخرج عن طريقه . عكس : قلب . الآمال : جمع أمل وهو الرجاء ، وقال  
 مسلم بن الوليد :

الدَّهْرُ أَخَذُ مَا أُعْطِيَ مَكْدَرُ مَا أُصْفَى وَمَفْسِدُ مَا أُهْوَى لَهُ بِيَدِ (١)  
 فَلَا يَفْرَنْكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيَّتُهُ فليس يترك ما أعطى على أحد

وقال أبو تمام :

أقول لِنَفْسِي حِينَ مَالَتْ بِصَفْوِهَا إِلَى خَطَرَاتٍ قَدْ نَتَجَنَّ أَمَانِيًا<sup>(١)</sup>  
 فَبَيْبِنِي مِنَ الدُّنْيَا ظَفَرْتُ بِكُلِّ مَا تَمَنَّيْتُ أَوْ أُعْطِيتُ فَوْقَ مُنَائِيَا<sup>(٢)</sup>  
 أَيْسَرَ اللَّيَالِي غَاصِبَاتِي مُهْجَتِي كَمَا غَصَبَتْ قَبْلِي القُرُونُ الخَوَالِيَا

قوله : صَال : صاح وهدر . كَلِم : جرح . الأوصال : المفاصل ، وهو موصل  
 نظم عضو في عضو . لَوْم : صار لثيماً . رَوَع الأودَاء : أفرغ الأحاب . السَّهْو :  
 الغاظة . الإصرار : الإقامة عَلَى الذنب . الآصار : الأنتقال ، يريد إنتقال الذنوب .  
 أطراح : ترك ورعى .

° ° °

أَمَّا الزَّهْرُ حَصَادُكُمْ ، وَالتَّمْدَرُ مِهَادُكُمْ ! أَمَا الحِمَامُ  
 مُدْرِكُكُمْ ، وَالصَّرَاطُ مَسْلِكُكُمْ . أَمَا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ ،  
 وَالسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ ! أَمَا أهْوَالُ الطَّامَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ ! أَمَا دَارُ  
 القُصَاةِ الحِطْمَةُ المَوْصَدَةُ ، حَارِسُهُم مَالِكٌ ، وَرُوَاؤُهُمْ حَالِكٌ .  
 وَطَعَامُهُمُ السَّمُومُ ، وَهَوَاؤُهُمُ السَّمُومُ . لَا مَالٌ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وِلْدٌ ،  
 وَلَا عُدَدٌ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدٌ . أَلَا رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً مَلَكَ هَوَاهُ ، وَأُمٌّ  
 مَسَالِكَ هُدَاهُ ، وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ ، وَكَدَّ وَكَدَحَ لِرَوْحِ  
 مَأْوَاهُ ، وَعَمِلَ مَا دَامَ العُمُرُ مُطَاوِعًا ، وَالدَّهْرُ مَوَادِعًا ، وَالصَّحَّةُ  
 كَامِلَةً ، وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً ، وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ المَرَامِ ، وَحَصَرَ

(١) ديوانه ٤٨٤ ، وفيه : « قد فتجن » .

(٢) في الديوان : « هبيني ... أمانيا » .

الكَلَامَ ، وإِلَامَ الآلَامِ ، وَحُومَ الحِمَامِ ، وَهُدُوءَ الحَوَاسِ ، وَمِرَاسِ  
الأَزْمَاسِ .

...

مسلِككم : طريقكم . السَّاهِرَة : وجه الأرض ، وقيل الأرض البيضاء .  
المورد : موضع الماء الذي يَرِدُهُ الناس والبهائم ، ولا غناء لأحد عن قصد الماء ،  
فجعل الساهرة مورداً على هذا المعنى . أهوال الطَّامَّة : مخاوف القيامة وما فيها  
من التَّهْوِيلِ والخوفِ ، وأصابَت الناس طامَّةً أى داهية وأمر عظيم ، وقد طَمَّ  
الأمر ، إذا عظم وجاوز الحدَّ . مُؤَصِّدَة : مُعَدَّة ينتظرون بها . والحُطْمَة : التي  
تخطم الناس ، أى تكسِرُهُم ، يعنى جهنم أعاذنا الله منها ، وهو اسم علم من  
أسماء جهنم دخلته اللام إيداناً بالصفة . المؤصِّدَة : المغلقة . رواؤم : منظرهم الحسن .  
حالك : أسود . السَّمُوم : جمع سَمِّ . والسَّمُوم : الريح الحارة . أم : قصد .  
أحكم : أتقن . كدح : عمل . رَوْحَ مأواه : راحة مسكنه . موادعا : متاركا  
ومصالحاً . قال ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل  
يمظه « اغتتم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ،  
وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك » .

دهمه : غشيه وأتاه فجأة ، ودهمه يدهمه لفة . المرام : المطلب . حصر :  
حبس . إلام : نزول . الآلام : الأسمقام : مُحُوم الحِمَامِ : دنو الموت . هدوؤ :  
سكون . الحواس : الإدراكات ، وهى التى يحسّ بها الإنسان الأشياء ويدركها  
وهى خمسة : العين يدرك بها النظر ، والأنف والأذن يدرك بها الشم ، والسمع  
واللسان واليد يدرك بهما الذوق ، واللمس ، فيريد أن هذه الجوارح تَسْكُنُ  
بالموت ولا تتحرَّك .

[ مما قيل في عجز الأطباء حين يجيء الأجل ]

ونشد هنا أبياتاً لها بالموضع بعض تعلق ، ونذكر فيها الأطباء الذين لا حيلة لهم في الموت ، قال عدى بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوحٍ ثم عادٌ من بعدهم وثمودُ (١)  
بينما هم على الأدرّة والأنساط أفضت إلى التراب الخدودُ  
والأطباء بـمـيـدـمـ لـحـقـومـهم ضلّ عنهم سعوّطهم واللدودُ  
وصحيحٌ أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

وقال الخليل بن أحمد :

فكن مستعداً لداعى الفناء فإن الذى هو آت قريب (٢)  
وقبلك داوى المريض الطيبُ فماش المريض ومات الطيبُ

ولابن الرومي - وفصده بعض الأطباء ، فزعم أن الفصد زاد في علته ، فقال :

غَلَطَ الطيبُ على غلطة مُوردٍ عجزت موارده عن الإصدار (٣)  
والناس يلحون الطيب وإنما غَلَطَ الطيبُ إصابة المقار

وقال غيره :

قد قُلتُ لما قال لي قائلٌ قد صار نُعمان إلى رميه  
فأين ما يذكركُ من طبه وحذقه بالماء مع جسوا

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٢) نزهة الألباء ٤٧ .

(٣) ابن خلكان ١ : ٣٥٢ .

هيات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ومنه قول الآخر :

أقول لهما وقد ساق طيبه نفوساً نفيسات إلى باطن الأرض  
أبا منذر أفيت فاستبق بعضنا حنائيك بعض الشر أهون من بعض<sup>(١)</sup>

ويحكى أن القاضي ابن منظور بلغه أن أبا العلاء بن زهر مرض فضحك ،  
وقال : فأين طيبه ؟ فبلغت أبا العلاء قال :

قالوا ابن منظور تبسم هازئاً لما مرضت فقلت يعثر من مشى  
قد كان جالينوس يمرض دائماً فن الإمام المرتضى قبل الرشا  
وقال المتنبي :

لا أبد للإنسان من ضجعة لا تقلب الإنسان عن جنبه<sup>(٢)</sup>  
ينسى بها ما مر من عجه وما أذاق الموت من كربه  
نحن بنو الموتى فما بالفأ تبخل أيدينا بأرواحنا  
فهذه الأرواح من جوّه على زمان هي من كسبه  
يموت راعي الضأن في جهله وهذه الأجساد من تربه  
موتة جالينوس في طيبه أصيب الجرمي في عينه فقال :

إذا ما مات بعضك فأبك بعضاً فبعض الشيء من بعض قريب  
يميني الطيب شفاء عيني وما غير الإله لها طيب

\* \* \*

قوله : مراسم ، أصله معالجة الشيء الشديد ، وكل شيء التصق بشيء

(١) هذا البيت لطرفة ، ديوانه ٢٠٨ .

(٢) ديوانه ١ : ٢١٠ .

واحتكَّ به فقد مارسه . ومرست الدواء بالماء : دللكته . والأمراس : القبور ، واحداها رمس ، فيريد بها ما يلقاه الإنسان في قبره من الدواهي ، وتقدّمت في الحادية عشر ، ويروي : الأمراس : جمع مرس ، وهو جبل من ليف يُقتل على ثلاثة . مراسه : جريانه على البكرة ، فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه ، كما أن الأيام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه ، فإذا مات أكل بدنه القبر .

\* \* \*

واهاً لها حَسْرَةٌ أَلْمَهَا مُؤَكَّد ، وَأَمَدُهَا سَرْمَد ، وَمَمَارِسُهَا مُكَمَّد ، مَالُوْلِهِ حَاسِم ، وَلَا لِسَدْمِهِ رَاحِم ؛ وَلَا مِمَّا عَرَاه عَاصِم ، أَلْهَمَكُمُ اللهُ أَحْمَدَ الْإِلْهَام ، وَرَدَّاكُمْ رِذَاءَ الْإِكْرَام ، وَأَحْلَكَكُمْ دَارَ السَّلَام ، وَأَمْنَالُهُ الرَّحْمَةُ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَام ، وَهُوَ أَسْمَحُ الْكِرَام ، وَالْمُسْلِمُ وَالسَّلَام .

• • •

آها : كلمة توجع . حسرة : فجيمة ، والهاء في «لها» كناية عن الحسرة أضمرها بشرطة التفسير ، أى ما أعظمها من حسرة ، آها ، أى تأوَّها . ألمها مؤكَّد ، أى وجعها شديد متتابع . سرمد : دائم . ممارسها : معالجها ومخالطها . مكمد : مهموم محزون . وله : حزنه . حاسم : مزيل قاطع . سدمه : حيرته ، عراه : قصده . عاصم : مانع . ألهمكم : ذكركم ونبهكم . أحلكم : أنزلكم . دار السلام : الجنة ، من دخلها سلم من العذاب وبقي في سلامة . ملة : دين . أسمح : أكرم . السلام : الذى هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ، ومعناه المسلم لعبده أو هو على حذف المضاف ، ومعناه ذو السلام ، أى صاحب السلام ، ويحتمل أن يريد به



اللفظة التي يقطع بها الكلام ، كما تقول لمن تقطع كلامه : والسلام ، أى لا زيادة عندي على هذا ، أو أردت : والسلام عليكم . فحذفت اختصاراً .

وفى تأويل « السلام عليكم » وجهان : أحدهما أنه اسم الله بمعنى « الله تعالى عليكم » ، أى على حفظكم ، أو بمعنى السلامة عليكم ، فالسلام جمع سلامة قال ابن الأنباري : السلام في كلام العرب على أربعة أقسام : السلام التسليم ، تقول : سلمت سلاماً ، والسلام الله تعالى ، والسلام جمع سلامة ، والسلام شجر عظام واحدها سلامة قال الأخطل :

ورابية السكران ففرّفا بها لهم شبحٌ إلا سلامٌ وحرملٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

قال الحارث بن مَهمّام : فلما رأيت الخطبة نخبَةً بلا سَقَط ، وعروساً بغيرِ نَقَط ، دعاني الإعجابُ بنمطها العجيب ، إلى استجلاء وجه الخطيب ، فأنخذت أتوسمه جدّاً ، وأقلب الطرف فيه مجداً ، إلى أن وضح لي بصدق العلامات ، أنه شيخنا صاحب المقامات ، ولم يكن بُدٌّ من الصمّت ، في ذلك الوقت ؛ فأمسكت حتى تحلّل من الفرض ، وحلّ الانتشار في الأرض ، ثم واجهت تلقاءه ، وابتدرت لِقائه .

فلما لحظني خفّ في القيام ، وأحقني الإكرام ؛ ثم استصحبني إلى داره ، وأودعني خصائص أسرارهِ ، وحين انتشر جناح الظلام ،

(١) ديوانه ٢ (٢) السكران : موضع بالهام . والحرمل : نبت .

(٢٣ - شرح مقامات الحريري ج ٣)

وَحَانَ مِيقَاتِ الْأَنَامِ ، أَحْضَرَ أَبَارِيقَ الْمُدَامِ ، مَعْكَوْمَةً بِالْفِدَامِ .  
 قَلْتُ : أَتَحْسُوهَا أَمَامَ النَّوْمِ ؛ وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ ! فَقَالَ : مَهْ ؛ أَنَا  
 بِالنَّهَارِ خَطِيبٌ ، وَبِاللَّيْلِ أَطِيبٌ ، قَلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي : أَعْجَبُ مِنْ  
 تَسْلِيكِكَ عَنِ أَنْاسِكَ ، وَمَسْقَطِ رَأْسِكَ ، أَمْ مِنْ خَطَابَتِكَ مَعَ أَذْنَابِكَ  
 وَمَدَارِ كَأْسِكَ .

\* \* \*

نخبة : مختارة . مسقط : لفظ ردى . استجلاء : نظر . أتوسمه : أنظر سمته ،  
 أى علامته التى يعرف بها . جدًا : كثيرًا . مجدًا : مجتهدًا . وضع : تبين .  
 ذو المقامات : صاحب المجالس . البُدء : الفرار ، قال القراء رحمهم الله تعالى : يقال :  
 لا بُدء اليوم من قضاء حاجتى ، أى لا فرار ، ويقال : ليس لهذا الأمر بدءٌ ، أى لا محالة .  
 الصمت : السكوت والإنصات لاستماع الخطبة فرض عند الشافعى رضى الله  
 عنه لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ (١) أى لاستماع  
 الخطبة .

وقال جماعة من المفسرين : إنه إنما نزلت الآية فى السكوت لاستماع الخطبة .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلت  
 لصاحبك والإمام يخطب : أنصت فقد انصوت » .

أبو هريرة وأبو سعيد ، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
 « مَنْ خَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ ، ثُمَّ رَجَعَ ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِلَى أَنْ جَلَسَ الْإِمَامُ ،  
 فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَنْزَلَ ، ثُمَّ صَلَّى الْجُمُعَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا » .

(١) سورة الأعراف ٢٤١

تحلّل من الفرض : تحلّص من الصلاة . الانتشار : انحلال الجوع من الصلاة  
وانبساطهم على الأرض . ميقاته : وقته . معكومة : مشدودة ، وعكمت البعير  
شدت فمه ، والوعاء : شدت رأسه . الفِدام : خرقة يشدّ بها فم الإبريق ليصنّى  
ما فيه . تحسوها : تشربها . وأنت إمام القوم : توبيخ له على قبح فعله مع الفضل  
الذي سبق له ، والعيب الكبير يصغر في حق أهل الريب ، كما أن الصغير يعظم  
في حق أهل المروءات ، وقال المتنبي في المعنى وإن كان من غير الباب :

وما يوجع الحرمان من كف حازمٍ      كما يوجع الحرمان من كف رازقٍ<sup>(١)</sup>  
وقال المخزومي :

والعيبُ في الجاهل المغمورِ مغمورٌ      وعيبُ ذي الشرف المذكور مذكورٌ  
كفوفة الظفر تحنّي من حقارتها      ومثلها في سواد العين مشهور  
وقال إبراهيم بن المهدي :

نولا الحياء وأننى مشهورٌ      والعيب بالرجل الكبير كبيرٌ  
لحلت منزلة الذي يحتله      ولكان منزلناً هو المهجورٌ

مه : اسكت ، ومعنى قوله : أنا بالنهار خطيب ، وبالليل أطيّب ، مما وقع في  
كتاب مفتاح السرور والأفراح ، حكاية عن بعضهم أنه قال : رأيت قاصّاً يقص  
غداة يوم ، ثم رأيت بالعمشى في حانة والقدح في يده ، فقلت : ما هذا ؟ فقال :  
أنا بالغداة قاصّ ، وبالعمشى عاص .

ومن ذلك ما كتب به يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل  
خراسان كتاباً إلى الرشيد : إنه مشتغل بالصيد وإدمان اللذات ؛ فرمى به إلى يحيى  
وقال : يا أبتِ اكتب إليه بما يردعه ، فكتب على ظهر الكتاب :

(١) ديوانه ٢ : ٣٤٢ .

(٢) الفوف : البياض الذي يكون في أظفار الأحداث .

حفظك الله يا بنى ، وأمتع بك . فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه  
من التّشاغل بالصيد وإدمان اللذات ، فعاوذك ما هو أليق بك وأزين لك ، فإنه من  
عاد إلى ما يزيّنه ، وترك ما يشينه ، لم يعرفه أهل دهره إلا به . وقد قلت أبياتاً  
فالتزمها ، وإن جاوزتها عزلتك عن سخط ، ولم أكلمك حولاً ، وكتب إليه :

انصب نهاراً في طلاب العُلا	واصبر على فقد لقاء الحبيبِ
حتى إذا الليل أتى مقبلاً	واستترت فيه عيون الرقيب
فباشِرِ الليل بما تشتهي	فإنما الليلُ نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكاً	قد لقي الليل بأمر عجيبِ
أتى عليه الليلُ أنوابه	فبات في لهوٍ وعيش خصبِ
ولذة الأحق مشهورة	يرصدها كلّ حسود رقيب

فامتثل ما فيها حتى عزل عنها .

وقال الخوانى في ضده :

أنت الذى قسمَ الزمان لنفسه	قسمة بين رياسة ومَتَابِ
أعطى لمرتبة الملاء نهاره	منها وجنح الليل للمحراب

وقال الفنجديهي في قوله : أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيّب ، معناه أنا  
صالح المنظر ، فاسد الخبَر ، أنظر في مرآة المراعات ، وأستبر مساواة المساءات ،  
وأديم المناجاة جلوة ، وأقيم المداجاة خلوّة ، أمر الناس بالرشاد ، وأنا أتوسّد  
وسادة الفساد .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حِينَ يَرَاهُ النَّاسَ ، ثُمَّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو ، فَتَلَّكَ اسْتِهَانَةً  
يَسْتَهِنُ بِهَا رَبَّهُ » .

قوله : تسديك عن أناسك ، أى اشتغالك عن أهلك وبلدك ، وهو مسقط رأسه ، أى الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ولادته . خطابتك : فصاحتك فى خطبتك . إيدناسك : عيبك وتلطيح عرضك . مدار : دورانه فى أيدي الشارين .

\* \* \*

فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ عَنِّي ، وَقَالَ : اسْمِعْ مِنِّي :

لَا تَبْكِ إِفْقَانًا وَلَا دَارًا      وَدُرِّمَعَ الدَّهْرَ كَيْفَمَا دَارَا  
وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا      وَمَثَلِ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارَا  
وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِّنْ تَعَاشِرِهِ      وَدَارِهِ فَاللَّيْبُ مَن دَارَى  
وَلَا تُضِعْ فُرْصَةَ الشَّرُورِ فَمَا      تَدْرِي : أَيَوْمًا تَعِيشُ أَم دَارَا  
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَنُونَ جَائِلَةٌ      وَقَدْ أَدَارَتْ عَلَى الْوَرَى دَارَا  
وَأَقْسَمَتْ لِاتِّزَالِ قَانِصَةٍ      مَا كَرَّرَ عَصْرُ الْحَيَا وَمَا دَارَا  
فَكَيْفَ تُرْجَى النِّجَاةُ مِنْ شَرِّكَ  
لَمْ يَنْجُ مِنْهُ كِسْرَى وَلَا دَارَا

\* \* \*

أشاح : نحى معرضاً ، وأشاح فى الأمر : صمم عليه .

إفقاناً : صاحباً . نأى : بعد ، يقول له جواباً للومة : لا تبكى صاحباً بعد عنك ، ولا منزلاً تغرّبت عنه ، وتقلب مع الدهر كما يتقلب مع أهله . ودّر ، من الدوران . سكننا : أهلاً وإلفاً تسكن إليه . ومثّل الأرض كلها داراً ، أى

بلداً ، والدار البلد في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ وَتَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . داره : لايئنه وسايئنه . اللبيب : العاقل . دارى : أحسن مخالطة الناس ، وأصلها الخلداع ، تقول العرب : دريت الصيد أدريه درياً ، وداريته أداريه مداراةً ، والدرية بعير يقعد عنده الصائد ، يستتر به فيجىء الصيد فيأنس بالبعير ، فيرميه من قرب . وكان الحسن يقول : المداراة تستحلب مودة القلوب فتخدعهم في عقولهم . وفي الحديث : « أحبُّ الناس تحبباً إلى الله أكثرهم تحبباً إلى الناس » وفيه : « إذا أحب الله عبداً حببته إلى الناس » .

وقال ابن عبد ربه :

وجهٌ عليه من الحياء مهابةٌ ومحبةٌ تجرى مع الأنفاس<sup>(٣)</sup>  
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى سعد بن أبي وقاص : إن الله إذا أحبَّ عبداً حببته إلى الناس ، واعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك من الله بمنزلة ما للناس عندك .

وقال بعضهم : أتيت الخليل فوجدته على طنفسةٍ صغيرة ، فوسَّع لى ، فكرهت أن أضيِّق عليه فتأخرت ، فأخذ بصدى ، وقدمنى إلى نفسه ، وقال : لا يضيِّق سمّ الخياط بمتحابين ، ولا تسع الأرض متباغضين ، أخذه ابن عبد ربه فقال :

صِلْ مَنْ هويت وإن أبدى مباغضةً فأطيب العيش وصلٌ بين الإثنين<sup>(٤)</sup>  
واقطع حبال خدنٍ لا تلامه فقلماً تسع الدنيا بغيضين

(٢) سورة هود ٦٥ .

(١) سورة النكبات آية ٣٧

(٣) العقد ٢ : ٣١٦

ولأبي محمد بن أبي الوليد الملقب :

صير فؤادك المحبوب منزلةً      سمَّ الخياط مجال للمحبين  
ولا تسامح بغيضا في معاشره      فقلما تسع الدنيا بفيضين

ولابن الزقاق :

ألا أدنُ وإن ضاق الندى فإنه      رحيب بودّ ضُمَّنته الأضالع<sup>(١)</sup>  
يضيق الفضاعن صاحبين تباغضا      وسمَّ خياطٍ بالحبيبين واسع

وقال التهامي :

بين المحبين مجلسٌ واسعٌ      والودّ حال يقرب الشاسع<sup>(٢)</sup>  
والبيت إن ضاق عن ثمانية      متسع بالوداد للتاسع

فرصة : نهزة وغنيمة . دارا : دهرأ وقال السري<sup>(٣)</sup> .

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب

واجمع بكأسك بين اللهو والطرب<sup>(٤)</sup>

واخلع عذارك واشرب قهوة مزجت      بقهوة الفلاج المسول والشنب  
توج بكأسك قبل الحادثات يدي      فالكأس تاج يد المثرى من الأدب

جائلة : دائرة .

[ ذكر كسرى ]

كسرى ، اسم ملك الفرس ، وكسرى ملك الملوك أنوشروان بن قباد بن

(١) ملحق ديوانه ١٤١ . (٢) لم أجدما في ديوانه

(٣) ديوانه ٢٦ (٤) بعمده في الديوان

أما ترى الضبح قد قامت عساكره      في الشرق تنشر أعلاما من الذهب  
والجو يخنأل في حجب ممتكة      كأنما البرق فيها قلب ذي رعب

فيروز بن يزدجرد بن بهرام ، الملك العادل ، ملك العرب والمعجم ، كان موصوفاً بالعدل ، معروفًا بحسن الرعاية والفضل ، وشهرته في كتب الآداب مغنية في ذكره عن الإطناب . قيل : كان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مَضَتْ من ملكه ، وملك تسعاً وأربعين سنة .

وكسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، كان ملكاً شديد البطش ، نافذ الرأي ، قد بلغ من الظفر ومسالة الدهر حدًّا لم يبلغه ملك من الملوك ، كان ملكه ثمانى وثلاثين سنة .

وفي سنة ثلاثين من ملكه بُعث نبينا صلى الله عليه وسلم .

وحدث خالد بن ربوة - وكان رأساً في الجوس ، فأسلم - قال : كان كسرى إذا ركب ركب معه رجلان ، فيقولان له ساعتئذ : أنت عبدولست برب ، فيشير برأسه أن نعم ، فركب يوماً ، فقالا ذلك له فلم يُشِرْ برأسه ، فشكواه إلى صاحب الشرطة ، فركب ليعانيه . وكان كسرى قد نام فلما وقع صوت حوافر الدواب في أذنه استيقظ ، فدخل عليه صاحب الشرطة ، فقال : أيقظتموني ، إني رأيت كأنه رُقِيَ بي فوق سبع سموات ، فوقت بين يدي الله تعالى ، وإذا رجل بين يديه ، عليه إزار ورداء ، فقال لي : سلّم مفاتيح خزائن الأرض إلى هذا ، ألت المأمور بكذا فلم تفعل ! وإني أردت أن أقولها فاستردّها مني فأيقظتموني . وصاحب الإزار والرداء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس ، وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله النبي إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل فإني



رسولُ الله إلى الناس كافة لأُنذِرَ مَنْ كان حَيًّا ويحق القول على الكافرين ،  
فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا ، فإن أبيت فإن إمّ الجوس عليك .

فلما قرأ الكتاب شقّه ، وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى ! فبلغ الخبرُ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَرَّقَهُ مَرَّقَ اللهُ مَلَكَهُ » . أو قال : « اللهم  
مَرَّقِهِمْ كُلَّ مَرَّقٍ » .

ثم كتب كسرى إلى باذان ، وهو على اليمين : أن ابعث إلى هذا الرجل  
الذى بالحجاز رجلين جلدَيْن يأتينى به . فبعث باذان قهرمانه - وكان كاتبًا حاسبًا ،  
وهو بابومة ، وبعث معه برجل من الفرس ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابومة : ويالك ! انظر  
مَنْ الرجل ، وكلّه ، وائتنى بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فسألا عنه فقالوا :  
هو بالمدينة ، واستبشر أهلُ الطائف ، وقالوا : نصب له كسرى ، كفيتم الرجل ،  
فخرجا حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه بابومة وقال :  
إن شاهنشاہ ملك الملوك كسرى كتب إلى باذان يأمره أن يبعث إليك مَنْ  
يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق ممي ، فإن فعلتِ كتبت فيك إلى ملك  
الملوك بكتاب ينفعك ، ويكف عنك به ، وإن أبيت فهو مَنْ قد علمت ، وهو  
مهلكك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك . فقال لهما : ارجما حتى تأتيا غداً .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله تعالى قد سلّط على كسرى  
ابنه شيرويه ، فقتله في ليلة كذا في شهر كذا ، بعد ماضى من الليل كذا ، سلّط  
الله عليه ابنه ، فقتله . فقالا : هل تدري ما تقول ؟ فإننا قد خفنا منك ما هو أيسر  
من هذا ، أفنكتب به عنك ونخبر الملك ؟ قال : نعم ، أخبراه ذلك عنى وقولا  
له : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما يبلغ ملك كسرى ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك  
الناس تحت يدك ، ومملكتك على قومك من الأبناء . فخرجا مِنْ عنده حتى قدما  
على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل

نبيًا ، فإن كان ما قال حقًا ، فهو نبيّ مرسل ، فإن لم يكن فسأرى فيه رأياً . فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه ، وفيه : أمّا بعد ، فإنني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس ، ممّا كان استحلّ من قتل أشرفهم ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فيخذلي الطاعة ممن قبلك ، وانظر إلى الرجل الذي كتب لك فيه ، فلا تهجمه حتى يأتيك أمرى فيه ، فقال باذان : إنّ هذا الرجل لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس .

وكسرى أنوشروان هو الذي بنى سور الأبواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادته الملوك وكاتبته . وهو الذي افتتح كثيراً من بلاد الشام الرومية ، ونقل منها الرخام إلى العراق . وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم ولد لثنتين وعشرين سنة من ملكه ، وقيل : إنه ولد في آخر ملكه كما قدّمنا .

ثم ولى من بعده ابنه هرمز ، وكان مضعفاً ، غزته الملوك وطمعت فيه ، ثم خلعتة الفرس ، وسملت عينيه .

وعقد الملك لابنه أبرويز في حياته ، فبعد حروب شديدة اجتمع لأبرويز أمره ، وكان وزيره بُرْزُجْمهر أكثر الفرس حكماً ومواعظ .

وفي ملكه كانت وقعة ذى قارين بكر بن وائل ، والهرمز صاحب أبرويز ، لأربعين سنة لمولد النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها كانت في غزوة بدر - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرته » .

وكان على مربوط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل ، فخرج في أحد أعياده ، وقد صفت له الجيوش وأحدثت به مائة ألف فارس دون الرجال ، وصفت له الفيلة ، فلما بعثت به سجدت له ، فما رفعت رءوسها حتى رفعت خراطيمها بالحاجن ، فأعلم بذلك وقال : وددت أنها فارسية ، ولم تكن هندية ، انظروا إلى

أدبها من بين سائر الدواب . ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالإسلام ،  
قال الألبيري :

فطفِ البلاد لكى ترى آثارَ مَنْ      قد كان يعمُرُها من الأقبالِ  
عصفت بهم ريحُ الرّدى فذرتهمُ      ذرّو الرياح الهُوج حقف رمالِ  
فتقطعت أسبابهم وتمزّقت      ولطالما كانوا - كنظم لآلى

قيل لأبرويز - وكان حكيما : ماشهوه ساعة ؟ قال : الجماع ، قيل : فما شهوة  
يوم ؟ قال : دخول الحمام ، قيل : فما شهوة جمعة ؟ قال : غسل الثياب ، قيل :  
فما شهوة شهر ؟ قال : تجديد الثياب ، قيل : فما شهوة سنة ؟ قال : تزوج الأبقار .  
قيل : فما شهوة الأبد ؟ قال : أمّا فى الدنيا فمشاهدة الإخوان ، وأمّا فى الآخرة  
فنعيم الجنة .

ونظر إلى قذاة فى طعام ، فدعا الطباخ فقال : ما هذا ؟ فقال : حاولته بالليل  
فى وقت لم يكن فيه ماء معين ، فأمر بضرب عنقه ، فغضب الطباخ ؛ وقال :  
يابن الأشتوربان - تفسيره يابن سائس الدواب - فغفا عنه ، وقال : إنا معشر  
الملوك نعاقب فى الصغير ، ونعفو عن الكبير .

[ ذكر دارا ]

وأما دار بن دارا بن بهمن ، وهو آخر ملوك الفرس الأول ، فإنه كان ضخيم  
الملك ، ذا قدرة ومكانة ، وهو الذى بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا بجرد ، وكانت  
جنده ستمائة ألف ، ولقبه الإسكندر بالجزيرة ، فدارت بينهم الحروب أربعين يوماً ،  
وخندق دارا على عسكره خمس خنادق ، وجعل على كل خندق اثني عشر ألف  
رجل ، وكانت النوبة لاتصيب الرجل إلا يوماً فى كل خمسة أيام ، فوجد  
الإسكندر من ذلك جداً شديداً ، فبعث إلى دارا : إنا كدنا نتفانى ، ورأيت

رأيا فيه البقاء لنا ولك ، وذلك أن تفرج لي ، فأخرق صفاك خرقا إلى جانب بلادك ، وأرجع إلى بلادى ، فإننا لانرى الفرار من الزحف ، وهو عار لا يفسل . فأجابه دارا : لا سبيل إلى ذلك . فلما رأى الإسكندر ذلك وضع البرنس ، وحسر عن رأسه ، وقال : يامعشر الروم، هذا هو العجز والذلّ عن الانتصار ، هل فيكم من يحتال لي في هذا الأمر ، وله نصف مال الروم والمعجم ، ونصف مافي بيوت الأموال ؟ فقد أدركتني الحمية . فبلغ الخبر إلى صاحب حرس دارا فقال : أنا أفعل ذلك وآخذ مالا عظيما . فلما التحم القتال حمل على دارا فطعنه بحربة في ظهره ، فوقع على الأرض وانهزم عسكر دارا . فجاء الإسكندر ووضع رأس دارا في حجره ، ومسح التراب عن وجهه ، وقبّله وبكى ، وقال : الحمد لله الذى لم يجعل قتلك على يدي ، ولا على يد أحد من جنديي ؛ فسل ما بدالك أقضه ، فقال له دارا : من حاجتى عندك ألاّ تخرب بيوت النيران ، وأن تنصفني من قاتلي قبل موتى ، فإنه إن بقى عندك سيكفر معروفك ، كما كفر معروفى . فقال له الإسكندر : حاجتى عندك أن تزوجنى بنتك روشنك ، فقال دارا : على أن تجعل الملك من بعدك لولدك منها ، فأجابه إلى ذلك وزوجه ابنته ، وأخذ الإسكندر قاتله وقطعه أربع قطع ، واستولى على جميع مملكته .

وملك دارا أربع عشرة سنة ، وقيل : ست سنين ، وقسم الإسكندر غنائم عسكره في ثلاثين يوما . وشاور الإسكندر معلمه أرسطاطاليس في أن يقتل من بقى من الفرس ، فقال له : لاتفعل ، ولكن ولّ على كلّ جهة شريفاً من أهلها فيتنافسون ، فلا يجمعهم ملك أبداً ، ففعل فهم ملوك الطوائف ، حتى انتزع أردشير منهم الملك ، وقال : إن كلمة فرقنا خمسمائة سنة وتسع عشرة سنة - يعنى كلمة أرسطاطاليس - لكلمة بالغة .

وملوك الفرس الأول ستة عشر ملكا ، وملوك الفرس الثواني اثنان وثلاثون ،

منهم امرأتان . وملك بعد أردشير سابور ، وهو من عظامهم ، ففتح الحصون ومدن المدن ، وبنى الإيوان وهو بالجانب الشرقي من المدائن ، وهو من عجائب البنيان ، وعجائب الفرس كثيرة ، وفي هذه النبذة غنية توافق ما شرطنا .

\*\*\*

قَالَ : فَلَمَّا اعْتَوَرْتَنَا الْكُتُوسَ ، وَطَرَبْتَ النُّفُوسَ ، جَرَعَنِي الْيَمِينَ  
الْعَمُوسَ ، عَلَى أَنْ أَحْفَظَ عَلَيْهِ النَّامُوسَ . فَاتَّبَعْتُ مَرَامَهُ ، وَرَعَيْتُ ذِمَامَهُ ،  
وَنَزَلْتُهُ بَيْنَ الْمَلَأِ مَنْزِلَةَ الْفَضِيلِ ، وَسَدَلْتُ الذَّيْلَ عَلَى نَخَازِي اللَّيْلِ ،  
وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَّهُ وَدَابِي ، إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ إِيَابِي . فَوَدَّعْتُهُ وَهُوَ مُصْرَّعٌ عَلَى  
التَّدْلِيسِ ، وَمُسِرٌّ حَسَوًا الْخَنْدَرِيسَ .

\*\*\*

قوله : اعتورتنا ، أى قصدتنا ودارت علينا .

العموس : الشديدة ، وهى فى الجاهلية التى تغمس صاحبها فى العار ، وفى الإسلام تغمس صاحبها فى الأوزار ، والعمس ارتباط الشيء فى ماء ، أو صبغ حتى اللقمة فى الخل .

والعموس قيل إنها اليمين التى يقطع بها الرجل حق غيره . فيحلف كاذبا .  
الليث رحمه الله : هى اليمين التى لا استثناء فيها ، وفى الحديث : « اليمين  
العموس تدع الديار بلاقع » ، أى قفراً فارغة من كل رزق .

والناموس : إظهار فعل الخير ، وتنامس الرجل إذا ظهر بما لا يعتقد ،  
وأصل النمس الستر ، وكل شئ سترت به شيئاً فهو ناموس له ، وناموس الرجل  
صاحب سره ، ويقال لصاحب سرّ الخير ناموس ولصاحب سرّ الشر جاسوس .  
قال أبو عبيدة : هما بمعنى .

غيره: الناموس: صاحب سر الملك ، وقد نَمَسَ ينمَسُ نَمَاسًا ، ونامسته منامسة .  
مرامه : مطلبه ومراده . رعيت ذمامه : حفظ حقه ، وما بيني وبينه مما يجب  
أن يراعى . الملاء : الجماعة .

### [ ذكر الفضيل ]

الفضيل : هو ابن عياض التميمي ، كنيته أبو علي ، وهو ممن شهر بالزهد  
والخير ، وهو من رجال رسالة التشيرى ، قال صاحبها أبو علي : خراساني من  
ناحية مرو ، ولد بسمرقند ، ومات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين .

وكان شاطراً يقطع الطريق ، وسبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو ذات  
يوم يرتقى الجدار إليها ، إذ سمع نالياً يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ  
لذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup> ، فقال : يارب قد آن ، فرجع فأوى إلى خربة ،  
فإذا فيها رفقة فقال بعضهم : نرحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح ، فإن فضيلاً في  
الطريق فيقطع علينا ، فأتمهم وسار معهم حتى بلفوا ، وجاور الحرم .

قال الفضيل : إذا أحب الله عبداً أكثرهم ، وإذا أبغض عبداً وسع  
عليه دنياه .

وقال : الكامل المروءة من برّ والديه ، وأصلح ماله ، وأنفق ماله وأنفق  
من فضله ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ، ولزم بيته .

وقال : إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت ، وقلت : أخلو برّبي ، وإذا أبصرت  
الصبح استرجعت كراهة أن يجيء من يشغلني .

واطلع عليه بعض إخوانه من كوفة ولحيته تقطر دموعاً ، فقال : يا هؤلاء ،

(١) سورة الحديد ١٦ .

ليس هذا زمن حديث إنما هو زمن : احفظ لسانك ، وعالج قلبك ، وأخف مكانك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر .

وقال : لو أن الدنيا بمذاخيرها عرضت على لا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثيابه .

وقال : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك .

قال أبو عليّ سليمان الدارانيّ : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ، ما رأيت به ضاحكا ولا متبسّما إلا يوم مات ابنه عليّ ، فقلت له في ذلك ، فقال : إن الله تعالى إذا أحبَّ امرأةً ابتلاه .

وقال : إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى .

وأخباره كثيرة ، وهذه اللمعة دالة عليها .

قوله : سدلت ، أى أرخيت . مخازى : قبائح ، وما يخزى عليها فاعلها . لو اطلع على فعله . دأبه ودأبى : عادته وعادتي . إيايى : رجوعى . مصر : مقيم التديس : تلبيس الأمر وكتمان العيب .

ويشبهه عدل ابن همام السروجى فى شرب الخمر ثم مساعدته إياه بمد لومه وشربه معه ، قول ابن أبى ربيعة<sup>(١)</sup> ، وهو أحسن ما قيل فى المساعدة :

وخلّ كنتُ عينَ النصحِ منه      إذا نظرتُ ومستمعا سميتُ  
أطاف بغيّه فنهيت عنها      وقلت له : أرى أمراً شنيعاً  
أردت رشادَه جَهْدِي فلما      أبى وعصى أتيناها جميعاً

(١) ديوانة ٤٩٥ .

وقال أعرابي:

وكنت إذا علقت حبال قومٍ      صحبتهمُ وشيمتى الوفاء  
فأحسنُ حينَ يحسنُ محنومٍ      وأجتنبُ الإساءةَ إن أساءوا  
أشاءَ سوى مشيتهم فآتى      مشيتهم وأترك ما أشاءُ



## المقامة التاسعة والعشرون وهي الواسطيّة

حكى الحارث بن همام قال : أَلْجَأَنِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ ، إِلَى أَنْ  
 أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ ، فَقَصَدْتُهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُ بِهَا مَسْكَنًا ، وَلَا أَمْلِكُ  
 فِيهَا مَسْكَنًا . وَلَمَّا حَلَلْتُهَا حُلُولَ الْحَوْتِ بِالْبَيْدَاءِ ، وَالشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءِ  
 فِي اللَّيْمَةِ السُّودَاءِ ، قَادَنِي الْحِظُّ النَّاقِصَ ، وَالْجِدُّ النَّاقِصَ ، إِلَى خَانِ  
 يَنْزِلُهُ شُدَّاذُ الْآفَاقِ ، وَأَخْلَاطُ الرَّفَاقِ ، وَهُوَ لِنِظَافَةِ مَكَانِهِ ، وَظَرَاةِ  
 سُكَّانِهِ ، يَرْغَبُ الْغَرِيبَ فِي إِطَانِهِ ، وَيُنْسِيهِ هَوَى أَوْطَانِهِ .  
 فَاسْتَفْرَدْتُ مِنْهُ بِحَجْرَةٍ ، وَلَمْ أَنْفَسْ فِي أُجْرَةٍ ، فَاكَانَ إِلَّا كَلْمَحٍ  
 طَرَفٍ ، أَوْ خَطِّ حَرْفٍ ؛ حَتَّى سَمِعْتُ جَارِي بَيْتَ بَيْتٍ ، يَقُولُ لِنَزِيلِهِ  
 فِي الْبَيْتِ :

...

أَلْجَأَنِي : اضْطَرَنِي : قَاسِطٌ : جَائِرٌ . أَنْتَجِعُ : أَقْصِدُ لَطَبَ الرِّزْقِ .

[ ذَكَرَ وَاسِطٌ ]

واسط : بلد معروف بناه الحجاج وسط المسافة التي بين البصرة والكوفة ،  
 منها إلى كل واحدة منهما خمسون فرسخاً ، وسكنه ، ومات فيه .

قل اليعقوبي : واسط مدينتان على حافتي دجلة ، فالمدينة القديمة التي هي :  
 ( ٢٤ - شرح مقامات الحريري ج ٣ )

منازل الدهاقين هي الشرقية من دجلة ، وهي مدينة كَسْكَر . وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي ، وجعل بينهما جسرا من السفن ، وبنى بها قصره والقبعة الخضراء التي يقال لها خضراء واسط والمسجد الجامع ، وعليها سور ، ونزلها الولاية بعد الحجاج . وهي بين البصرة والكوفة والأهواز متوسطة ، فسُميت واسط بذلك .

قال الطبري<sup>(١)</sup> خرج الحجاج يرتاد منزلا لأهل الشام ، فأمن حتى نزل أطراف كَسْكَر ، فبينما هو كذلك ؛ إذ هو براهب قد أقبل على أتان له ، فعبّر دِجْلَةَ ، فلما كان بموضع واسط ، تفاجت الأتان فبالت ، فنزل الراهب فاحترق ذلك البول وحمله<sup>(٢)</sup> حتى رمى به دجلة ، وذلك بعين الحجاج ، فقال : على به ، فلما أتاه<sup>(٣)</sup> قال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : إنا نجد في كتبنا أنه يُبنى في هذا الموضع مسجد يُعبد الله فيه<sup>(٤)</sup> ما دام أحد في الأرض يوحدّه ، فاخط الحجاج مدينة واسط ، وبنى المسجد في ذلك الموضع ، وذلك سنة ثلاث وثمانين .



قوله . سكننا ، أى صاحبنا يُسكن إليه ويؤنس به ، والمسكن : المنزل الذي يُسكن فيه . البيداء : الصحراء ، أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل كالخوت في الصحراء . واللثة : الجُلمة من الشعر تلي بالناكب . قاذى : ساقى . الحظ : النصيب . والجُدّ : السعد . الناكص : الراجع إلى خلفه ، يريد أن سمعه يمشى إلى جهة خلف ، ونكص ينكص : رجع القهقري . خان : فندق . والشذاذ : الغريب الذين شذوا عن أوطانهم ، أى فروا منها وبعدوا ، والشذاذ التفرق ، وكلمة شاذة : مفترقة من جنسها ، وشذ الرجل : انفرد عن أصحابه .

(٢) الطبري : « احتمله »

(٤) ط : « يوجد » تحريف

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٣٨٤

(٣) الطبري : « فأتى به »

والآفاق: النواحي . أخلاط الرفاق : من لا يتخصص منهم ولا يجمعين .  
إبطانه: سكناه . هوى أوطانه : حب بلاده . استفردت : سكنتها منفرداً .  
والحجرة : البيت . أنانس : أعال ، من قولهم : نفستُ عليه بالشيء ، إذا ضنفتَ  
به، ولم تحب أن يصير إليه . لمح الطرف: نظر العين . بيت بيت ، أى بيته ملاصق  
بيتي ، وهما اسمان جعلا كاسم واحد، وبنيا على الفتح . نزيله : النازل معه .

\* \* \*

قَمْ يَا بَنِيَّ ، لَا قَعَدَ جَدُّكَ ، وَلَا قَامَ صِدِّكَ ، وَاسْتَصْحَبَ ذَا الْوَجْهِ  
الْبَدْرِيِّ ، وَاللَّوْنِ الدَّرِيِّ ، وَالْأَصْلَ النَّقِيَّ ، وَالْجَنَمَ الشَّقِيَّ ، الَّذِي قُبِضَ  
وَنُشِرَ ، وَسُجِنَ وَشُهِّرَ ، وَسُقِيَ وَفَطِمَ ، وَأُدْخِلَ النَّارَ بَعْدَ مَا لَطِمَ .  
ثم از كُضَ إِلَى السُّوقِ ، رَكَضَ الْمَشُوقِ ، فَقَايَضَ بِهِ اللَّاحِجَ  
الْمُلْتَحِجَ ، الْمُفْسَدَ الْمُصْلِحَ ، الْمُكَمِّدَ الْمُفْرِحَ ، الْمُعْنَى الْمُرُوحَ ، ذَا  
الزَّفِيرِ الْمُحْرِقِ ، وَالْجَنِينَ الْمُشْرِقِ ، وَاللَّفْظَ الْمُقْنَعِ ، وَالنَّبْلَ الْمُتَمْنِعِ ،  
الَّذِي إِذَا طُرِقَ ، رَعَدَ وَبَرَقَ ، وَبَاحَ بِالْحَرْقِ ، وَنَفَثَ فِي الْحَرْقِ .

\* \* \*

جَدُّكَ : سعدك . صِدِّكَ : عدوك الخالف لك . البدرى : الأبيض المسعدي  
كالبدر ، يريد الرغيف ، شبهه بالبدر في بياضه واستدارته . وقال ابن الرومي :  
مررتُ بِبُخْبَازٍ يَبْسُطُ الرَّقَاقَ كَأَسْرَعٍ مِنْ رَجُوعِ الطَّرْفِ ، مَا يَبِينُ أَنْ تَرَى السَّجِينِ  
فِي يَدِهِ كَالْمَكْرَةِ حَتَّى يَبْدَحِي فَيَصِيرُ كَالْقَمْرِ ، إِلَّا مَقْدَارَ لِحْظَةٍ ، فَشَبَّهَتْ سُرْعَةَ  
انْبِسَاطِهَا ، بِسُرْعَةِ الدَّائِرَةِ فِي الْمَاءِ يَهْدَفُ فِيهِ بِالْحَجَرِ فَتَلَّتْ :

مَأْنَسَ لَا أُنْسَ خَبَّازَا مَرَرْتُ بِهِ

يَدْحُو الرِّقَاقَ كَوْشَكَ اللَّحْمِ بِالْبَصْرِ<sup>(١)</sup>  
 مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كَرَةً      وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قِوَارًا كَالْقَمَرِ  
 إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ      فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

\*\*\*

[مما قيل من الشعر في الغلمان]

ويتعلق بهذا ما قيل من الشعر فيمن ليس له نباهة من الغلمان : كان ابن  
 وضاح جالسا مع جملة من الأدباء ، فرآهم غلاما نظيفا يبيع الخبز ، فلم يتجه  
 لأحدٍ فيه شيء إلا ابنُ وضاح ، فإنه قال :

خَابِرُ الْخَبْزِ ظَرِيفٌ      عَذِبَتْ فِيهِ الْخُتُوفُ  
 خَامِلُ الْأَنْسَابِ لَكِنْ      هُوَ فِي الْحَسَنِ شَرِيفٌ  
 خَاصِرُهُ أَهَيْفُ شَخْتٌ<sup>(٢)</sup>      وَكَذَا الْفَزْلَانُ هَيْفٌ  
 مِنْ مَخَاصِمِ مَقَلْتِيهِ      حُكِّمَتْ فِيهِ السِّيُوفُ

ونظر إدريس بن اليماني إلى غلام وسيم بالحمام عليه أسمال ، فقال :

تَوْشَحٌ بِالظُّلْمَاءِ وَهُوَ صَبَاحٌ      وَأَمْرُضٌ بِالْأَجْفَانِ وَهِيَ صِبْخٌ  
 وَظَلٌّ فَوَادِي طَائِرًا عَنْ جَوَائِحِي      وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفَرَامُ جِنَاحٌ

(١) نقله البارودي في مختاراته ٤ : ٧١

(٢) شخت ، أى ضامر .

قَضِيبٌ صَبَاحٌ فِي وَشَاحٍ دُجْنَتُهُ      أَلَا لَيْتَنِي تَحْتَ الْوَشَاحِ وَشَاحُ  
وَلَا عَجَبُ أَنْ أَفْسَدْتَنِي جُنُونَهُ      فَكَلَّ فَسَادٌ فِي هَوَاهُ صَلَاحُ

وقال الرصافي :

يقولون لي يوما وقد مرّ ضارباً      بمَعْوَلِهِ ضَرَبَ الْمَرْجَمَ بِالغَيْبِ<sup>(١)</sup>  
تَعَلَّمَ صَفَّارًا فَقَلَّتْ : اسْتَعَارَهَا      غَدَاةَ رَنًا مِنْ صِيْفَةِ الْعَاشِقِ الصَّبِّ  
يَعُودُ النِّحَاسُ الْأَحْمَرُ التَّبْرَ عَسْجِدًا

بِكَفَيْهِ عِنْدَ السِّبْكِ وَالْمَدِّ وَالضَّرْبِ

فَحَمْرَتُهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ حَيَاتِهِ      وَصَفْرَتُهُ مِمَّا يَخَافُ مِنَ الْعَقَبِ

قوله الدرّيّ : الأبيض الذي يشبه الدرّ في لونه ، ويقال : كوكب دُرّيّ منسوب إلى الدرّ ، مشبّهًا به لصفائه وحسنه ، بضمّ الدالّ وتشديد الياء ، ودُرّيّ بالضمّ والهمز ، ودِرّيّ بكسر الدالّ مع الياء ومع الهمزة ، ودُرّيّ بالفتح والهمز ، فن كسر وهمز فهو فُعِيل ، من درأ الكوكب ، إذا جرى في أفق السماء ، ومن كسر بلا همز فلاجل الياء بمد الراء ، ومن ضمّ وهمز فخطأه الفراء ، قال : فُعِيل ليس في أبنية العرب ، وأثبتته سيبويه . قال أبو عبيدة : أصله دَرَوِيّ مثل سَبُوح ، فجعلوا الواو ياء ، وجعلوا الضمة قبلها كسرة ، ومثله عَمُوّ وَعِيّ .

قوله : الأصل النقيّ ، يعني القمح الذي صنع منه كان نقيًا من الزبل وغيره . وشقاء جسمه ، قد فتر في التاسعة عشر ، وهو الآن يبيّن بعض شقائه ، قبض ونشر . وقت العجن ، أو وقت الخبز ، لأنه يقطع قبضة ثم يبدسط للخبز . سجن :

(١) ديوانه ٤٨ عن الشريشي

خُزن قمحه في الخازن . وشُهر : أبرز منها للسوق وشُهر على الناس ، أو يكون  
سجنه الفُرن ، وشهرته البيع في السوق ، أو عندما يُطاف به على الأسواق : وقال  
للعرى يُلغز في القمح :

وسمراء في بيض الحسان شربتها      بصُفر من العين الشبيبة بالشمس  
وقد غيبت في الخدر عصراً مصونة      محجبة عن أعين الجن والإنس  
فلما بدت عنه بدت سيمية النوى      عليها ولم تجزع لحادثة الأمس  
فاهلاً بأشي لم ترد يد لامسٍ      بسوء ولا أبدت نفاراً من اللمس

سُمي : جُمع الماء عليه للهجين . فُطم : قَطِع عنه الماء . لطم : سُوّي  
بالكف ، وعامتنا تشدد الطاء . اركض : أسرع . المشوق : الكثير الشوق ،  
وشاقت الشيء يشوقك ، إذا هاجك . قابض : عاوض ، وقابضت الرجل  
فعلت معه ما يفعل معك . اللاّتح في الأصل : الناقة يعلوها الفحل ، فتحمل منه .  
ولقحت : حمت ، والملقح : الفحل يعلوها عند السفاد ، وقد بيّن أنه يريد حجر  
الزند ، جُمع لاقحاً لأنه حامل بالنار ، وملقحاً لأنّ به تخرج النار من الزند ،  
فكانه ألقحه بالنار ، أي جعلها فيه . والزند أيضاً لاقح ملقح ، لأن النار لا توجد  
في واحد منهما على انفراده ، والنار تُصلح في موضع وتُفسد في آخر ؛ فلذلك  
وصفه بهما . والمعنى : المتعب بإحراقه . المروّح : المدخل الراحة بإصلاحه ، وإن  
جعله للزند ، فعناه إذا شخ ، ومروّح إذا أوري ، ونحوه . المكيد ، أي الحزن .  
المفرّح : ضده . والزفير . التنفس ، وزفرة الحجر هي النار ، وهي تحرق كل  
ما تلمقت به . وهو الجنين ، أي المستور في الحجر ، فإذا ظهر أشرق وأضاء .  
واللفظ : صوت الحجر في الزند ، فإذا أبدى النار أقنمك واكتفتيت به . وهو  
نيله ، أي عطاؤه . والمتبع : الكثير وقليل النار كثير ، وقد قال الأعرابي : إنَّ  
السُّقط يحرق الدوحة ، أراد ما يستقط من الزند من النار الضعيفة يحرق الشجر

الكثير الملتف . طُرِقَ : ضُرب . رَعِدَ : صَوَّتَ . برق : لعت ناره . باح : أظهر ما يسرّ فيه . الحَرَقَ : التهاب القلب بالهمّ ، فكفى به عمّا في الحجر من النار . نَفَثَ : بزق . الحِرَقَى : التي تسقط فيها نار الزند ؛ وهذه ألفاظ كلّها متقاربة ، بعضها يفسّر بعضها ، لأنها من مליح الكلام .

\* \* \*

قال : فلما قرّرت شِقْشِقَةَ الهادر ، ولم يبق إلا الصَدَزُ الصّادر ، برز فتى يَمِيسُ ، وما معه أَيْدِسُ ، فرأيتها عَضَلَةً تَلْعَبُ بالعقول ، وتُتْرِي بالدخول في الفضول ، فانطلقت في أثر الغلام ، لأخْبِرَ فَحْوَى الكلام ، فلم يزل يَسْمَى سَمَى العفّاريت ، وينفقد نَضَائِدَ الحوانيت ، حتّى انتهى عند الرّواح ، إلى حجارة القدّاح . فناوَلَ بائعها رَغِيْفًا ، وتناول منه حَجْرًا لطيفًا . فمجبت من فطانة المرسل والمرسل ، وعلمت أنّها سرّوجية وإن لم أسأل ، وما كذبت أن بادرت إلى الخان ؛ مُنْطَلِقَ العنان ؛ لأنظر كنهه فهمي ، وهل قرطس في التّسكهن سَهْمِي ؛ فإذا أنا في الفِرَاسَةِ قَارِسِ ، وأبو زيدٍ بو صيّد الخانِ جالس . فتهادينّا بُشْرَى الالتقاء ، وتقارصنا تحية الأصدقاء .

\* \* \*

قرّرت : سكنت . الهادر : الفحل . وشِقْشِقته : ما يخرج من لثاته . وتقدّمت في الأولى ، ويزعمون أنها لا توجد عند نجر الفحل ، وكذلك بيضه لا يوجد ، قال : وأنشد بشر بن المقعر :

خصيته تطلّ من حظه عند حدوث الذبح والنحر  
 ما إن يرى الرايون من بعدها شقشقة مائلة المذر

وأراد به : سكت المتكلم . صدر الصادر : خروج الخارج من الماء بعد  
 شربه . برز : خرج . يميس : يقبخر ويتثنى . عضلة : داهية وأمر صعب .  
 تغرى : تمحرض وتلصق . فخرى : معنى . يسمى : يجرى . الفغاريت : شر  
 الشياطين وأذهاها . نضائد : ما جعل شيئاً على شيء . الرّواح : العشي .  
 القدّاح : حجر الزند تقدح النار منه . ناول : أعطى . لطيفاً : دقيقاً . فطانة :  
 ذكاء . وما كذّبت ، أى ما خيّت . منطلق العنان : مسيب حيث شاء . كنه :  
 حقيقة . قرطس : أصاب الفرض مرة بعد أخرى ، والقرطاس يُجعل غرضاً ،  
 فإذا توالى ضربه قيل : قرطس . والتسكهن : الحديث بما يكون . والفراصة :  
 النظر بالظن . وصيد الخان : فناء الفندق ، وقيل بابه ، من أوصدت الباب ، أغلقتة ،  
 وقيل : عتبة بابه . تهادينا : أهديته وأهدانى . البشرى : السرور ، أى فرح  
 كل واحد منا بصاحبه . فتهاديننا البشرى : تقارضنا : اندفعنا بالسّلام ، يريد  
 حالة الصديقين إذا التقيا بعد سفر ، فيبالغ كل واحد منهما فى سلام صاحبه  
 ويتابعه . والتحية : السلام ، ومنه التحيات لله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ  
 بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، أى سلّم عليكم . وقيل : التحية : المُلك ، وكان  
 المُلك يُحَيّاً بأنعم صباحا ، وأبيت اللعن ، وقيل : معناه البقاء لله ، وقال زهير  
 ابن جناب :

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ مِنْ إِلَهٍ قَادِرٍ  
 أَى الْبَقَاءِ .

(١) سورة النساء آية ٨٦



ثمَّ قالَ : ما الَّذِي نأبِكَ ، حَتَّى زائِلَتَ جَنابَكَ ؟ فقلتُ : دهرٌ  
 هاضٌ ، وجورٌ فاضٌ . فقالَ : وَالَّذِي أنزلَ المَطَرَ مِنَ النِّعامِ ، وأُخْرِجَ  
 الثَّمَرَ مِنَ الأَكْمامِ ؛ لَقَدْ فَسَدَ الزَّمانُ ، وَعَمَّ العُدوانُ ، وَعُدِمَ  
 المِعْوانُ ، وَاللَّهُ المُسْتَعانُ ؛ فكيفَ أَفَلَتَ ، وَعَلَى أَىِّ وَصْفِكَ  
 أَجفَلتُ ! فقلتُ : اتَّخَذتُ اللَّيْلَ قَيْصاً ، وَأَدْجَلتُ فِيهِ خَيْصاً . فَأُطْرَقَ  
 يَكْتُ في الأَرْضِ ، وَيُفَكِّرُ في ارْتِياذِ القَرْضِ وَالْفَرْضِ . ثمَّ  
 اهْتَزَّ هِزَّةً مَنْ أَكْثَبُهُ قَنْصٌ ، أَوْ بَدَّتْ لَهُ فُرْصٌ ، وَقَالَ :  
 قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِي أَنْ تُصَاهِرَ مَنْ يَأْسُو جِراحَكَ ، وَيَرِيشُ جِناحَكَ ،  
 فقلتُ : وَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ غُلِّ وَقَلِّ ، وَمَنْ الَّذِي يَرِغَبُ فِي  
 ضَلِّ ابْنِ ضَلِّ ! فقالَ : أَنَا المُشِيرُ بِكَ وَإِليكِ ، وَالوَكِيلُ لَكَ وَعَليكِ ،  
 مَعَ أَنَّ دِينَ القَوْمِ جَبْرُ الكَسِيرِ ، وَفَكَّ الأَسِيرِ ، واحْتِرامُ العَشِيرِ ،  
 واسْتِناحُ المُشِيرِ ؛ إِلاَّ أَنَّهُمْ لو خَطَبَ إِليهِمُ إِبراهِيمُ بنُ أَدَمَ ،  
 أَوْ جَبَلَةُ بنُ الأَيِّمِ ؛ لَمَّا زَوَّجوه إِلاَّ على خِسمائَةِ دِرْهمِ ، اِقْتِداءً  
 بِمَا مَهَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجَاتِهِ ، وَعَقَدَ بِهِ أَنْكحَةَ  
 بَناتِهِ ؛ على أَنَّكَ لَنْ تُطالَبَ بِصَدَاقٍ ، وَلَا تُنْجَأَ إِلى طِلاقٍ . ثمَّ  
 إِنِّي سَأُخْطِبُ فِي مَوْقِفِ عَقْدِكَ ، وَجَمْعِ حَشْدِكَ ، خُطْبَةً لَمْ تَفْتُقْ  
 رَتَقَ سَمْعٍ ، وَلَا خُطِبَ بِمِثْلِها فِي جَمْعٍ .

\* \* \*

نابك : نزل بك . جنابك : بلدك وناحيتك ، والجناب : فناء الدار . هاض :

كسر . فاض : كثر . الغمام : السحاب . والتمر : الثمار . وأكامها : ما يكون فيها  
تمرها ، وكل ما وارى شيئاً فهو كام له وكم . عم : شمل . العدوان : الفساد .  
للعوان : ما يستعان به . وقال الشاعر :

لله دَرَّ أَيْبِكَ أَيَّ زَمَانٍ      أصبحت فيه وأيّ أهلِ زَمَانٍ  
كلُّ يَدَانِيكَ الحَبَّةَ جَاهِلًا      يمطى ويأخذُ منك بِالْمِيزَانِ  
فإذا رَأَى رُجْحَانَ حَبَّةَ خردِلٍ      مالت مودتُهُ مع الرَجْحَانِ  
وقال ابن لُنتك (١) :

نَحْنُ مع الدَّهْرِ في أعاجِبِ      فنسأل الله صَبْرَ أَيُوبِ  
أفقرتِ الأَرْضُ من محاسنها      فابكِ عليها بكاءَ يعقوبِ

وَصَفَّيكَ : حاليك من الخير والشر ، وهي حالة السفر . أجفلت : هربت  
مسرعا ، والإجفال : الهروب ، ثم قال : مشيت في ظلام الليل ، فصار لي  
كالقميص . أدلجت : مشيت في السحر . خميها : جأها . أطرق : أمال رأسه  
ساكنا . ينكت : يخط في الأرض . ارتياد : طلب . الفرض من العطية ؛  
ما فرضت على نفسك عطاءه ، على ألا تجازي عليه . والقرض : ما أعطى من  
غير فرض .

قال الحريري : القرض بالقاف : ما يستعاد عوضه ، والقرض بالفاء : مالا  
عوض فيه ، وأنشد في الدرّة (٢) لأبي عبد الله التمرّيّ يرثي أبا عبد الله  
الأزدّي :

مضى الأزديّ والنّمريّ يمضي      وبعض الشّكلِ مقرون بيمضِ  
أخي والمجتبيّ ثمرات ودي      وإن لم يجزني قرَضِي وبرضِي

(١) هو محمد بن محمد بن لنتك البصري ، وله ترجمة في اليتيمة ٢ : ٢٣٠ - ٢٢٤ ،  
وفيها البيتان .

(٢) درة الغواص ص ٤٧ .

وكانت بيننا أبدأ هنات      توفّر عرضَه فيها وعرضي  
وما هانتَ رجال الأزد بعدي      وإن لم تدنُ أرضهم من ارضي

الهفات : كناية عن المنكرات ، فأراد أنه أمال رأسه إلى الأرض مفكراً ،  
وجعل يخط فيها بيده أو بعود ، وهو فعل المهموم الكثير الفكر ، كما قال  
اسهؤ القيس :

ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا      أَعَدَّ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي<sup>(١)</sup>

فلم يرد أنه بعدّها ليعلم كم فيها ، وحاله من البكاء والحيرة تنفي الثبات  
على العدد ، وإنما أراد أنه كان يعيث فيها بيده اشتغالا ، وفي قلبه من الهمّ  
ما غلب على الصبر ، وقد بالغ ذو الرمة في بيان هذا المعنى بقوله<sup>(٢)</sup> :

عَشِيَّةً مَالِي هَمَّةٌ غَيْرَ أَنْبِي      بَلَقَطَ الْحَصَى وَالخَطَّ فِي الدَّارِ مَوْلَعٌ<sup>(٣)</sup>  
أَخْطَ وَأَمْحُو تَارَةً وَأَعِيدُهُ<sup>(٤)</sup>      بَكَفَى وَالْفَرْبَانَ فِي الدَّارِ وَقَعُ

وقال ابن جعيل في ذلك :

لا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سؤَالِهِمْ      لَتَطْلُبُ العَلَاتُ بِالْعِيْدَانِ  
بل يبسطون وجوههم فتري لهم      عِنْدَ السؤَالِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ

وقال الشريف الرضي فأحسن :

تَفْرِي أَنَامِلُهُ التَّرَابَ تَعَلَّلًا      وَأُنَامِلِي فِي سِنِّي المَقْرُوعِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٧٨

(٢) ديوانه ٣٤٢ ، ٣٤٤

(٣) في الديوان : « في التراب مولى » .

(٤) في الديوان : « وأمحو الخط ثم أعيدته » .

(٥) ديوانه ١ : ٤٩٧ وفيه : « تغلى أنامله » .

قوله : أ كسبه ، أى دنا منه . قنص : صيد . فرص : جمع فرصة ، وهى كالغنيمة . بأسو : يطب . يرش : يجعل عليه الرش . الغلّ : الزوجة هنا .

وقالت عائشة رضى الله عنها : إنما النساء أغلال فلينظر أحدكم غلاً يجعل فى عنقه .

وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق : غلّ قمل<sup>(١)</sup> .

وعوتب الكسبى فى ترك التزوّج فقال : وجدت معاناة العفة أيسر من معاناة العيال .

القلّ : القلة . وضلّ ابن ضلّ : مجهول لا يعرف ، وفلان ضلّ إذا كان مجهولاً متمكناً فى الضلال . المشير بك وإليك ، يقال : أشار به إذا رفعه وأشار النارَ وأشار بها وتشوّرها ، أى رفعها ، فعنى أنا المشير بك ، أى أرفعُ قدرك ، وأعظم منزلتك ، أى أثنى عليك بخيرٍ فى غيبتك عند إصهارك ، والمشير إليك إذا حضرت ، أشرت إليك أن تتزوّج فيهم إذا رأيتهم أكفاءك .

والوكيل لك عليهم حتى يزوّجوك ، والوكيل عليك ، لتمثل ما أمرك به من الزواج فيهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . قيل فيه : الكافى هو ، قال الفراء : يكون المعنى : كافينا الله ونعم الكافى ، كقولك : رازقنا الله ونعم الرازق . ابن الأنبارى وهو أحسن فى اللفظ من قولك : كافينا الله ونعم الوكيل . دينهم : عاداتهم . جبر : إصلاح . فكّ : حلّ . احترام : إعزاز وتقريب ، وهو افتعال من الحرمة ، أى يجعلونه فى حرمتهم ، المشير : الصاحب . استنصاح المشير ، أى من أشار عليهم بشئ رأوه ناصحاً .

(١) قال فى اللسان : « أصله أنهم كانوا يفلون الأسير بالقد وعليه الشعر ، فيقبل القد فى عنقه . »

## [ ترجمة إبراهيم بن آدم ]

إبراهيم بن آدم ، هو من شيوخ الصوفية ، وهو من رجال رسالة القشيري<sup>(١)</sup> ، قال صاحبها : فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن آدم بن منصور بن إسحاق البلخي من كورة بلخ ، من أبناء الملوك .

وحدث إبراهيم بن بشار ، قال : صحبت إبراهيم بن آدم بن منصور بن إسحاق البلخي بالشام ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، خبرني عن بدء أمرك كيف كان ؟ فقال : كان أبي من ملوك خراسان ، وكنت شاباً ، فركبت يوماً على دابة ومعى كلب ، وخرجت إلي الصيد فأثرت ثعلباً ، فبينما أنا في طلبه ، إذ هتف بي هاتف : ألمذا خلقت أم بهذا أمرت ؟ ففزعت ووقفت ، ثم عدت فركضت الثانية ، ففعل مثل ذلك ثلاث مرّات ، ثم هتف بي من قرّبوس السرج : لا والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فنزلت وصادفت راعياً لأبي ، فأخذت منه جبة من صوف ، فليستها وأعطيته الفرس ، وما كان معي . ثم دخلت البادية متوجّهاً إلى مكة ، فبينما أنا يوماً في مسيري إذا برجل يسير ، وليس معه إناء ولا زاد ، فلما أمسى وصلى المغرب حرك شغتيه بكلام لا أفهمه ، وإذا أنا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب ، فأكلت وشربت ، وكنت على ذلك معه أياماً ، وعلمني اسم الله الأعظم ، ثم غاب عني ، وبقيت وحدي أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة ، دعوت الله فإذا أنا بشخص أخذ بمحجزتي ، فقال لي : سلّ تعطّ ، فراعني صوته ، فقال : لا روعة عليك ولا بأس ، أنا أخوك الخضر ، إن أخى داود علمك اسم الله الأعظم فلا تدع على أحد بينك وبينه شحنة فتهلكه ، ولكن ادع الله به أن يقوى ضعفك ، ويؤنس وحشتك ، وتجدد به في كلّ يوم نيتك ورغبتك ، ثم تركني وانصرف .

(١) رسالة القشيري ص ٥١ .

وصحبه سفيان الثوريّ والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها . وكان يأكل من عمل يده ، مثل الحصاد وحفظ البساتين .

وكان كبير الشأن في الورع ، وقال : أَطِيبُ مطعمك ولا عليك ، ألاّ تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار .

ركان عامة دعائه : اللهم انقلني من ذلّ معصيتك إلى عز طاعتك .

وقال لرجل في الطّواف : اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ستّ عقبات ، وهي أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ، وتغلق باب العزّ وتفتح باب الذلّ ، وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد ، وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر ، وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر ، وتغلق باب الأمن وتفتح باب الاستعداد للموت .

وقال محمد بن المبارك الصوريّ : كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس ، فنزلنا وقت التيلولة تحت شجرة رمان ، فصلينا ركعات ، فسمعت صوتا من أصل الرمان : يا أبا إسحاق ، أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً ، فطأ رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : يا محمد ، كن شفيعا إليه ليقنول منا شيئاً ، فقلت : يا أبا إسحاق ، لقد سمعت ، فقام وأخذ رمانتين ، فأكل واحدة وناولني الأخرى ، فأكلتها وهي حامضة ، وكانت قصيرة ، فلما رجعنا مررنا بها وهي شجرة عالية ورمانها حلوا ، وهي تنمر في كلّ عام مرتين ، وسموها رمانة العابدين .

وركب إبراهيم في مركب ، فهاجت ريح شديدة ، فلفت إبراهيم رأسه بمبأة وطرح نفسه مع الناس ، فسمعوا صوتا من البحر يقول : لا تخافوا فتيك

إبراهيم بن أدهم ، وصاح الناس في المركب : أين إبراهيم بن أدهم ؟ ثم سكنت  
الريح ، فخرج وما عرفوه .

قال له رجل : من أين كسبك ؟ فقال :

نرّقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ، ولا ما نرّقع

وأخباره في كتب التصوف كثيرة تطول .

[ ذكر جبلة بن الأيهم ]

وأما جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث  
الأكبر بن عمرو بن جفنة ، وفي نسبه اختلاف .

وهو آخر ملوك غسان ، وكان طوله اثني عشر شبرا ، فإذا ركب مسح  
الأرض بقدميه .

ولما أراد أن يُسلم كتب إلى عمر ليستأذنه في القدوم عليه ، فسُرّ بذلك  
وكتب إليه : أن اقدم ، فلك مالنا وعليك ما علينا ، فخرج في مائة فارس من  
عكّ وجفنة ، فلما دنا إلى المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوجة بالذهب الأحمر  
والحرير الأصفر ، وجلّل الخيل بجلال الديباج ، وطوّقها أطواق الذهب والنفضة ،  
وليس تاجه وفيه قرطامارية ، فلم يبق في المدينة إلا من خرج إليه ، وفرح  
المسلمون بقدومه وإسلامه .

ثم حضر الموسم مع عمر ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطىء على إزاره  
رجل من فزارة فضله ، فالتفت إليه جبلة مغضباً ، فلطمه فهشم أنفه ، فاستعدى  
عليه الفزاريّ عمر ، فقال : ما دعاك إلى أن لطمت أخاك ؟ فقال : إنه وطىء  
إزارى ، ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه ، فقال له عمر : أما

أنت فقد أقررت ، فإما أن تُرضيه وإما أن أُقيدَه منك ، قال : أتقيدُه متى ، وهو رجل سوقة ! قال : قد شملك وإياه الإسلام ، فما تفضله إلا بالمافية ، قال : قد رجوتُ أن أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية ، فقال : هو ذاك ، قال : إذا أنتصرت . قال : إن تنصرت ضربت عنقك . واجتمع وفد فزاره ووفد جبلة ، وكادت تكون فتنة ، فقال جبلة : أنظرني إلى غد يا أمير المؤمنين . قال : ذلك إليك .

فأما كان في جُنْح الليل خرج في أصحابه إلى القسطنطينية فتصَّرت ، وأعظم هرقلُ قدومه وسُرَّ به وأقطع له الأموال والرِّباع ، فلما بعثَ عمر رضى الله عنه رسوله إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فأجابه إلى المصالحة ، ثم قال للرسول : أرايت ابن عمك الذي أتانا راغباً في ديننا ؟ يعنى جبلة ، قال : لا . قال : ألقه ثم اثنى وخذ الجواب . فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجاب والتبهيجة مثل ما على باب قيصر .

قال : فتلطفتُ في الأذن حتى دخلتُ عليه : فرأيت رجلاً أصهب اللحية فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسُحالة الذهب فذرَّها على لحيته ، حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير . فلما عرفني رفعتني معه على السرير ، وجعل يسألني عن المسلمين ، فقلت : قد أضعفوا إضعافاً على ما تعرف ، وسأل عن عمر رضى الله عنه ، فقلت : بخير حال ، فأغنمَ بسلامة عمر ، فاحمدتُ عن السرير فقال : لِمَ تأبى الكرامة ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، قال : نعم صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقَّ قلبك من الدنس ولا تبالِ علام قعدت ، فطمعت فيه عند صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ويحك يا جبلة ألا تسلم ! وقد عرفت الإسلام وفضله ؟ قال : أبعداً ما كان مني ! قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزاره أكثر مما فعلت ، ارتدَّ وضرب أوجه المسلمين



بالسيف ثم أسلم ، وقبِل منه وخَلَفَتْهُ بالمدينة مسلماً .

قال : زدني من هذا ، إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليَّني الأمر من بعده ، رجعت إلى الإسلام . فضمنت له التزويج ، ولم أضمن الخلافة . فأوماً إلى وصيف بين يديه ، فذهب مسرعاً فإذا موائد الذهب قد نُصبت بصحائف الفضة ، فقال لي : كُلْ ، فقبضت يدي ، وقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة ، فقال : نعم صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك ، وكل فيما أحببت . فأكل في الذهب والفضة ، وأكملت في الخَلنج<sup>(١)</sup> . ثم جىء بطشت من الذهب ، ففسل يديه فيها ، وغسلت في الصُّفْر . ثم أوماً إلى خادم عن يمينه ، فذهب مسرعاً ، فسمعت حساً ، فإذا خدَمٌ معهم كرامىً مرصعةً بالجواهر ، فوَضِعَ عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره . وإذا عشر جوار في الشعور ، عليهنَّ ثياب الوشى ، مكسرات في الخَلِي ، فقعدن عن يمينه ، وقعد مثلهن عن يساره ، وإذا بمجارية قد خرجت كالشمس حسناً ، وعلى رأسها ناج عليه طائر ، وفي يدها اليمى جام ، وفيه مسك وعنبر فتيت ، وفي يدها اليسرى جام فيه الورد ، فصفرت للطائر ، فوقع في جام ماء الورد ، فاضطرب فيه ، ثم وقع في جام المسك ، فتمرَّغ فيه ، ثم طار فوق على صليب في تاج جبلة ، فرفرف حتى نفصَّ إماماً في ريشه عليه ، وضحك جبلة من شدة السرور ثم قال للجوارى اللآتى عن يمينه : بالله أضجِكننا فاندفنن يفتنين ، تحقق عيدانهنَّ يقا—ن :

لله درَّ عصابة نادمتهم يوماً بخلق في الزمان الأول<sup>(٢)</sup>

(١) الخَلنج : شجر تتخذ منه الأواني .

(٢) ديوان حسان ص ٣٠٨ .

يَسْتَقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ      بَرَدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ (١)  
 أَوْلَادِ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْفَضْلِ  
 يُفَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَدَابِهِمْ      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ  
 بِيضِ الرَّجْوِهِ نَقِيَّةٌ أَحْسَابُهُمْ      شَمَّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأُولِ

فضحك ثم قال : أتدرى من قائل هذا ؟ قلت : لا ، قال : حسان بن ثابت  
 شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال للاتي عن يساره : بالله أبكيننا ، فاندفعن بعيدانهن يفتنين :  
 لِمَنِ الدَّارُ أَقْرَبَتْ بَعْمَانَ      بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ وَالصَّمَّانِ (٢)  
 ذَاكَ مَعْنَى لآلِ جَفْنَةَ فِي الدَّهْرِ      وَحَقٌّ تَعَاقُبُ الْأَزْمَانِ  
 قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ دَهْرًا مَكِينًا (٣)      عِنْدَ ذِي التَّاجِ مَجْلِسِي وَمَكَانِي  
 تَكَلَّمْتُ أُمَّهَمَ وَقَدْ تَكَلَّمْتُهُمْ      يَوْمَ حَلُّوا بِحَارِثِ الْجَوْلَانِ  
 وَدَنَا الْفِضْحُ فَالْوَلَائِدُ يَنْظُمُ      نِ سَرَاتِنَا أَكَلَةَ الْمَرْجَانِ  
 فَبَكَى حَتَّى سَالَتِ الدَّمُوعُ عَلَى لِحْيَتِهِ ،      ثُمَّ قَالَ لِي : وَهَذَا لِحْسَانٌ أَيْضًا ،  
 ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

تَنْصَرَّتِ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةٍ      وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبْرَتْ لَهَا ضَرْزُ  
 تَكْتَفَنِي فِيهَا لَجَاجٌ وَنَحْوَةٌ      وَبَعَتْ بِهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَمُورِ  
 فَيَالَيْتِ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي      رَجَعْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي قَالَ لِي عُمَرُ  
 وَبِالْيَتْنِي أُرْعَى الْخَاضِ بِقَفْرَةٍ      وَكَفْتُ أُسِيرًا فِي رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرِّ

(١) لحسان بن ثابت ، ديوانه ٣٠٨ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات

(٢) البريص وبردى : نهران بالشام . ويصفق يمزج .

(٣) لحسان ، ديوانه ٤١٤ ، وفيه : « أوحشت بعمان » وفيه أيضاً : « فالخام » بدل

« الصمان » قال شارحه : وهي مواضع بأكناف دمشق .

(٤) الديوان « حق مكين »

وياليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهبَ السمع والبصر  
ثم سألتني عن حسان ، أحيى هو ؟ قلت : نعم . ثم أمر بمال وكسوة ونوق  
موقورة برءا ، وقال : أقرئه سلامي ، وادفع له هذا إن وجدته حيا ، وإن  
وجدته ميتا ، فادفعه إلى أهله ، وانحر الجمل على قبره .

قال : فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر ، فقال : هلا ضمنت له الأمر ، فإذا أسلم  
قضى الله علينا بحكمه ! ثم بعثت إلى حسان ، فأقبل وقد كُفّت بصره ، فلما دخل  
قال : يا أمير المؤمنين إنني وجدت ربيع آل جفنة ، قال : نعم ، هذا رجل أقبل من  
عنده قال : هات يا بن أخي ما بعث به إليّ معك ؟ قلت : وما علمك ؟ قال :  
إنه كريمٌ من عصابة رجال كرام مدحهم في الجاهلية ، فحلف ألا يلقى أحدا  
يعرفني إلا أهدى إليّ معه شيئا . فدفعته إليه وأخبرته بأمره في الإبل ، فقال :  
وددت أني كنت ميتا فنحرت على قبري ، ثم أخذها وانصرف وهو يقول :

إن ابنَ جفنة من بقتيةٍ معشرٍ      لم يَغْذُم أبائهم بالأوم  
لم ينسني بالشام إذ هو ربُّها      كلاً ولا متنصراً بالروم  
يعطى الجزيل ، ولا يراه عنده      إلا كبعض عطية المذموم  
وأنيته يوماً تقرب مجلسي      وسقى وروائي من الخراطوم

وذكر أن رسول عمر لما أرسله إلى قيصر ، قال : وأمرني أن أضمن  
لجبله ما شرط ، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته ،  
فعلمت أن الشقا. قد غلب عليه<sup>(١)</sup>.

— وحُدثت أن صاحب برطونة<sup>(٢)</sup> اليوم من ذريته . وذكر الثعالبي  
أنه وجد للصابي فصلا من كتاب استظرفه جداً ، يذكر صلة وصلت إليه

(١) برطونة : بليدة على الفرات مقابل رجنة مالك بن طوق - ياقوت .

(٢) انظر خزانة الأدب ٢ : ٢٤١ .

من صاحب ، وهو : وصل أطال الله بقاء سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين ، وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شعيب حاجين ، فمرّجا إلى ملهين ، وعاجا على مسلمين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما مدت اليد إلى مامهما ، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جيلة بن الأيهم ، ثقة مني بصلته ، وشوقاً<sup>(١)</sup> إلى تكريمته ، واعتماداً<sup>(٢)</sup> لإحسانه ، وألغا لموارد إنعامه ، وتيقناً أن الخطارة منى على باله ، مقرونة بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه ، مشفوعة بمجدواه<sup>(٣)</sup> .

رجع ما انقطع . فَيُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ خَطَبَ لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ ابْنُ أَدَمَ عَلَى زَهْدِهِ وَفَضْلِهِ ، أَوْ ابْنَ الْأَيْهَمِ عَلَى مَلُوكِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ لَسَوَّوْا بَيْنَهُمَا فِي الصَّدَاقِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

### [ ذكر مغالاة الصدقات ]

وجاء في الترمذي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لا تغالوا في صدقات النساء ، فإنها لو كانت مكرمة أو تقوى عند الله ، لكان أولام بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ، على أكثر من اثنتي عشرة أوقية .

قال ابن عيينة : والأوقية عند أهل العلم أربعون درهما ، واثنتا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهما .

وفي غير الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تياسروا في الصدقات » وكانت صدقات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على عظم قدره ، وعلو مرتبته

(١) البتية : « تشوقاً »

(٢) البتية : « واعتماداً »

(٣) بليمة الدهر : ٢ : ٢٢٢

اثنتي عشرة أوقية ونشاً ، والنشّ عشرون درهما ، فذلك خمسمائة درهم .

وروى عن عمر رضی الله عنه : أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ألا لاتغالوا في صدقات النساء ، فإنه لا يبلغني عن أحد أنه ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال .  
فعرضت له امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين ، كتاب الله أحق أن يُبَّع أو قولك؟ قال : كتاب الله تعالى . ثم قال : فيم ذلك؟ قالت : الله تعالى يقول ﴿ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ <sup>(١)</sup> . فقال عمر رضی الله عنه : كل أحد أقره من عمر ! ثم رجع إلى المنبر ، فقال : إني كنت نهيتكم عن أن تغالوا في صدقات النساء ، فليفعل كل رجل منكم في ماله ما أحب .

فرجع عمر عن اجتهاده إلى ما قامت عليه الحجة فأباح للناس واستعمله في نفسه ، فأصدق أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضی الله عنهم أربعين ألفاً .  
والقنطار ألف دينار ومائتا دينار ؛ إلا أن الياصرة في الصداق أحب عند أهل العلم من المغالاة .

ومن الملح في صداق خمسمائة ، ما حدث به ابن أبي شيبة قال : كان حجاج جارنا ، فسمعته يقول لأبيه : تزوجت أُمِّي على خمسمائة درهم ، وبقيت أنا لك رجماً ، فقال له أبوه : من سخنة عين هذا الريح أخشى .

\* \* \*

قوله : مَهْرٌ : يقال : مَهْرَ المرأة يَمْهَرُها ، وأمهرها : عَيَّنَ لها مهراً . لن تطالب بصداق ، أي أن القصة ليس لها حقيقة . فليس ثم من يطالبك بصداق ولا طلاق .  
حشدك : جمعك ، وأصله مصدر ، ثم استعمل لجماعة الناس . تفتق : تشق . رتق : غلق . والسمع : الأذن .

\* \* \*

(١) سورة النساء ٢٠

قال الحارث بن همام : فازدهاني بوصف الخطبة المتلوّة ، دون  
الخطبة المجلوّة ؛ حتى قلت له : قد وكتّ إليك هذا الخطب ؛  
فدبره تدبير من طب لمن حبّ . فهض مهزولاً ، ثم عاد متهدلاً ،  
وقال : أبشّر بإغتاب الدهر ، واختلاب الدرّ ؛ فقد وليت المقد ،  
وأكفّلت النقد ، وكان قدّم ثم أخذ في مواعدة أهل الخان ،  
وإعداد حلواء الحيوان . فلما مدّ الليل أطنّابه ، وأعلق كلّ ذي  
باب باب ، أذن في الجماعة : ألا احضروا في هذه الساعة ؛ فلم يبق  
فيهم إلا من لبي صوته ، وحضر بيته . فلما اضطفوا لديه ، واجتمع  
الشاهد والمشهود عليه ، جعل يرفع الأضطرلاب ويضعه ، ويلحظ  
التقويم ويدعه ، إلى أن نَمَس القوم ، وغشى النوم ، فقلت له :  
يا هذا ضع الفاس في الراس ، وخلص الناس من النعاس . فنظر  
نظرة في النجوم ، ثم انتشط من عقله الوجوم ، وأقسم بالطور ،  
والكتاب المسطور ؛ لئنيكشفن سير هذا الأمر المستور ،  
ولئنيكشرن ذكره إلى يوم النشور . ثم إنه جثا على ركبته ،  
واسترعى الأسماع لخطبته ،

• • •

ازدهاني : دعاني إلى الزهو ، وهو العجب والسكر ، أي أعجبت بوصفها ،  
المتلوّة : المقروءة . الخطبة : الزوجة الخطوبة . المجلوّة : التي كشف وجهها لينظر  
إليها . وكتّ : أسندت إليك ، وجعلتك القائم . الخطب : الأمر .  
طبّ : أصلح حال العليل . فيقول : دبر هذا الأمر تدبير الطبيب أمر

حبيبه إذا كان عليلاً ، وطبّه أى عناه ، وقيل : معنى طبّ حذق بالشئ وجاد فيه ذهنه ، والطّبّ : الحاذق بالأمر ، فيكون معناه ، دبر أمرى تدير المميز الحاذق أمر حبيبه .

قال ابن الأنباري : قولهم : مَنْ حَبَّ طَبَّ ، أى من أحب حَذَقَ وفطن واحتمل لمن يحب ، والطّبّ فى اللغة : الحِذْقُ والفطنة ، ورجل طيب وطبّ ، إذا كان حاذقاً ، وسمى الطّيب لفطنته .

ومعنى حَبَّ أَحَبَّ . وقال البصريون : لا يقال : حَبَّ يُحِبُّ ، وجاء عنهم : محبوب ، على فعلٍ لا يتكلم به . الكسائى والقراء : يقال : حبيت وأحبيت ، وحبّ فى المثل يدلّ على صحته . والبصريون يقولون . حبّ إتباع طبّ .

مهر ولا : مسرعاً . مهتلاً : مستبشراً . إعتاب : إرضاء . التّرّ : اللبن . وليّت العقد ، أى أعطيت النكاح ، أى جعلنى أبو الزوجة وليّاً لها . أُكْفِلت النقد ، أى جعلت كفيلاً على أخذه ، والكفيل : الضامن ، أو يكون معنى أُكْفِلت : ضمن لى وأعطيت كفيلاً . والنقد : المال الحاضر . وكان قد ، أى وكان قد أحضر المال وتيسّر النكاح . الخوان : المائدة . أذن : صاح . لبي : أجاب وقال : لبيك . الأصرلاب : آلة للمنجّمين يأخذون بها الأوقات . يلحظ : ينظر . التقويم : التعديل . غَشِيَ النوم : غطى العيون وخرّها . ضع الفاس فى الراس ، أى اقصد إلى عين الخبير ، وهى كلمة تقال عند التوكيد فى العزم على الأمر ، ومعناه : اقطع ما تريده من الأمر وافعله .

والذى نظر نظرة فى النجوم ، هو إبراهيم عليه السلام ، لأنه تفكر ما الذى يصرّفهم عنه إذا كثفوه الخروج معهم ، فقال : إني سقيم . انتشط : انحلّ . والعقلة : ما ينشأ فيها الإنسان فتعقله ، ويقال : لفلان عقلة يعقل بها الناس ، وذلك إذا صارعهم عقل أرجلهم . والوجوم : العبوس والحزن الشديد ، أراد

أنه كان في تقويمه طالع نحس ، فكان مبعسا حزينا ، فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد ، استبشر وزال عبوسه ، وإنما عقد هذا النكاح ليلاً لأن قصده المكر ، ولأنهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله . قال بعض العلماء : ذهبوا في ذلك إلى اتباع السنة في القول ، فأثر الناس استقبال الليل بمقدام النكاح ، تيمناً بما فيه من الهدوء والاجتماع على صدر النهار ، لما فيه من التفرق والانتشار ، وذهبوا إلى تأويل القرآن لأن الله سمي الليل في كتابه «سكناً» ، وجعل النهار «نشوراً» كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع ، وقال الشاعر :

ويوم الجمعة التهنيم فيه وتزويج الرجال من النساء

الطور : جبل موسى عليه السلام الذي آانس من جانبه النار وكلمه الله عنده . سرّ هذا الأمر ، أراد ما أضمره لهم من الخداع ، أي أنه سينكشف ويتحدث به إلى يوم القيامة . جثا : يجثو جُثْوًا : جلس على ركبة . استرعى : استدعى . الأسماع : الأذان ، ويقال : أرعنى سمعك ، أي اسمع مني ، وأخلِ أذنيك لاستماع حديثي .

\* \* \*

وقال : الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود ، مصور كل مولود ، ومآل كل مطرود ، ساطح المهاد ، وموطد الأطواد ، ومرسل الأمطار ، ومسهل الأوطار ، عالم الأسرار ومدركها ، ومدبر الأملاك ومهلكها ، ومكور الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدرها . عم سماحه وكمل ، وهطل ركامه وهمل ، وطأوع



السُّؤْلُ وَالْأَمَلُ . وَأَوْسَعَ الْمَرْمِلِ وَالْأَرْمَلِ . أَحْمَدُهُ حَمْدًا مَمْدُودًا مَدَاهُ ،  
 وَأَوْحَدَهُ كَمَا وَحَدَهُ الْأَوْاهُ ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُ لِلْأُمَّمِ سِوَاهُ ، وَلَا صَادِعَ  
 لِمَا عَدَّتْهُ وَسِوَاهُ . أَرْسَلَ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلْإِسْلَامِ ، وَإِمَامًا لِلْحُكْمِ ، وَمُسَدِّدًا  
 لِلرَّعَاعِ ، وَمَعْطَلًا أَحْكَامَ وَدِيَّ وَسُوعِ ، أَعْلَمَ وَعَلَّمَ ، وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ ،  
 وَأَصَلَ الْأُصُولَ وَمَهَّدَ ، وَأَكَّدَ الْوَعُودَ وَأَوْعَدَ ؛ وَاصِلَ اللَّهِ لَهُ  
 الْإِكْرَامُ ، وَأَوْدَعَ رُوحَهُ دَارَ السَّلَامِ ، وَرَحِمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ  
 الْكِرَامِ ؛ مَا تَمَعَ آلُ ، وَمَتَعَ رَالُ ، وَطَلَعَ هَلَالُ ، وَسَمِعَ  
 إِهْلَالَ .

...

قوله : مآل ، أى ماجأ . مطرود : منقفي . ساطع : باسط . المهاد : الأرض .  
 موطن الأوطاد : مثبت الجبال . والأوطار : الحاجات . مدمر الأملاك ، أى  
 مهلك الملوك ، والأملاك : جمع ملك .

[ أشعار فى التطير من الدنيا والزهد فيها ]

وهذا كما قال عدى بن زيد :

أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمَلُوكِ أَنْوَشِرْ . وَإِنْ أَمِ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ<sup>(١)</sup>  
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامِ مَلُوكِ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ  
 وَأَخُو الْخَفِيرِ إِذْ بَنَاهُ وَادَّجَسَلَهُ تَجَبَّى إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ<sup>(٢)</sup>

(١) الأغانى ٢ : ١٣٨ ، ١٣٩ من قصيدة مطلعها :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِاللَّهِ رَأَيْتَ الْمَبْرَأَ الْمَوْفُورُ

(٢) الحابور : اسم نهر كبير فى أرض الجزيرة ، والحضر : قصر بتكريت .

وتفكر ربّ الخـورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تذكير<sup>(١)</sup>  
 لم يهينه ريبُ المدون فبادر المملك عنه فبابه مهجور  
 ثم بعد القلاع والمك والإمـرة وارثهم هناك القبور  
 ثم راحوا كأنهم قصب جف فآلوت به الصبا والدبور

وقال الأسود بن يعفر :

ولقد علمتُ لو أنْ عليّ نافعِي أن السبيل سبيل ذى الأعواد<sup>(٢)</sup>  
 ماذا أوصل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إباد  
 جرت الرياح على محمل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد<sup>(٣)</sup>  
 ولقد غنوا فيها بأكرم غنية<sup>(٤)</sup> في ظل ملك ثابت الأوتاد  
 فإذا النعميم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد

الأصمعي: أصيب في حفير حول الحيرة تابوت ، فيه رجل عليه خفان ، وعند رأسه لوح فيه : « أنا عبد المسيح بن حيان بن ببيعة .

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد  
 وكأفت الأمور وكأفتني ولم أخضع لمضلة كثود  
 وكدت أنال بالشرف الثريا ولكن لاسبيل إلى الخلود»

(١) بعده الأغاني :

شاده مرمراً وجله كلـساً فلاطير في ذراه وكور

(٢) المفضليات ٢١٦ ، وروايته : « ولقد علمت سرى الذى نبأنى »

(٣) المفضليات : « فكأنما كانوا » .

(٤) المفضليات : « عيشة » .

دخل أرطاة بنُ سهيبية على عبد الملك ، فقال : كيف حالك ؟ - وكان قد  
أسنن - فقال : ضَعْف حالي ، وقلّ مالي ، وكثرت مني ما كنت أحبّ أن يقلّ ،  
وقلّ مني ما كنت أحبّ أن يكثر ، قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال :  
والله ما أغضب ، ولا أطرب ، ولا أرهب ، وما الشعر إلا من نتائج هذه ، على  
أني القائل :

رأيت المرء تاكلهُ الليالي      كأكل الأرض ساقطة الحديدِ  
وما تبغى النية حين تأتي      على نفس ابن آدم من مزيدِ  
وأعلم أنها عما قليلٍ      ستوفي نذرها بأبي الوليدِ

فارتاع عبد الملك ، ثم قال : بل توفي نذرها بك ، مالي ولك ! قال : يا أمير  
المؤمنين لا ترع ، فما عانيتُ إلا نفسي ، فقال : أما والله لتلنّ بي .  
وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولأرطاة .

\* \* \*

والتكوير : إدخال الليل على النهار والنهار على الليل ، وكورتُ الشيء  
رددته ، ولويتَ بفضه على بعض . هطل وهمل ، معناهما صبّ . الركام : السحاب  
المتراكم . الشؤل : المطلوب . أوسع : أغنى . المرمل : الذي نَفد زاده . الأرملة :  
الفقير ، أو الذي ماتت زوجته ، أو التي مات زوجها ، يقال لها أرملة وأرملة ،  
ومنع قوم أن يقال للفاقد زوجته : أرملة ، وأجازوه بعضهم .

مداه : غايته . الأواه : إبراهيم عليه السلام ، وهو من النأوه ، وهو التوجع  
والتحزّن والنطق بأواه أوّاه اصادع : مفسد ، والصدع : الشقّ في زجاجة أو  
حائط . علما ، أي إماما يهتدى به . مسدداً : مصلحا . والرعا : السقاط

والضَّعْفَةُ مِنَ النَّاسِ . وَدَّ سُوَاعُ : ضَمَّانٌ . حَكَمَ : قَضَى . أَحْكَمَ : أَتَقَنَ . أَصْلَ :  
 ثَبَّتَ الْأَصُولَ . مَهَّدَ : سَوَّى وَوَهَّأَ . الْوَعُودُ : جَمْعُ وَعْدٍ . أَوْعَدَ : هَدَّدَ وَخَوَّفَ .  
 وَأَصْلُ : دَاوَمَ . أَوْدَعَ رُوحَهُ دَارَ السَّلَامِ : أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ . آلَ : سَرَابٌ . مَلَعَ :  
 أَسْرَعَ . رَالَ : فَرَحَ النِّعَامَ . إِهْلَالَ : رَفَعَ الصَّوْتُ بِالتَّلْبِيَةِ بِمَكَّةَ .

\* \* \*

اعْمَلُوا رِعَاكُمْ بِاللَّهِ أَصْلَحَ الْأَعْمَالُ ، وَاسْتَلْكُوا مَسَالِكََ الْحَلَالِ ،  
 وَاطْرَحُوا الْحَرَامَ وَدَعُوهُ ، وَاسْتَمِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعُوهَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ  
 وَرَاعَوْهَا ، وَعَاصُوا الْأَهْوَاءَ وَازْدَعُوهَا ، وَصَاهَرُوا لِحِمِّ الصَّلَاحِ  
 وَالْوَرَعِ ؛ وَصَارُمُوا رَهْطَ اللَّهْوِ وَالطَّمَعِ . وَمُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الْأَخْرَارِ  
 مَوْلِدًا ، وَأَسْرَأُكُمْ سُؤْدَدًا ، وَأَخْلَامُكُمْ مَوْزِدًا ، وَأَصْحَابُهُمْ مَوْعِدًا .  
 وَهَاهُوَ أُمَّكُمْ ، وَحَلَّ حُرْمَتُكُمْ ، مُمْلِكًا عَرُوسَ كُفْرِكُمُ الْمَكْرَمَةِ ،  
 وَمَاهِرًا لَهَا كَمَا مَهَرَ الرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ ، وَهُوَ أَكْرَمُ صِبْرٍ أَوْدَعَ  
 الْأَوْلَادَ ، وَمُلْكٌ مَا أَرَادَ ، وَمَاسَهَا مُمْلِكُهُ وَلَا وَهْمٌ ؛ وَلَا وَكَيْسَ  
 مُلَاجِحُهُ وَلَا وَصِيمٌ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ إِحْمَادَ وَصَالَهُ وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ ،  
 وَأَلْهَمَ كَلًّا إِصْلَاحَ حَالِهِ وَالْإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ . وَلَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ ،  
 وَالْمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ .

...

اطْرَحُوا : اتركوا وارموا به . عُوهَ : احفظوه . الْأَرْحَامَ : القرابات ،  
 الْوَاحِدَ رَحِمٍ ، وَالْأَرْحَامَ مِنَ النِّسَاءِ الْوَاحِدَ رَحِمًا ، رَاعَوْهَا : احفظوها وحاموا  
 عَلَيْهَا . الْأَهْوَاءَ : دواعي النفس . اِرْدَعُوهَا : كَفَّوْهَا . صَاهَرُوا : نَاكَحُوا .

لحم : قرابات ، ولحمة النسب : التحام القرابة وانضمامها . صارموا : قاطموا .  
مصاهركم : ختنتكم المتزوج إليكم . أسرام : أشرفهم وأكثرهم مروءة ، وقد  
سرى فهو سرى . أمكم : قصدكم . حلّ : نزل حرمكم : بلدكم وموضعكم ،  
الذي هو كالحرم في أمته . مُملكا : متزوجا ، والإملاك : التزويج الذي تُملك  
به المرأة .

قال ابن هشام : أم سلمة بنت أمية بن المغيرة ، تزوج بها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قبل وقعة بدر في سنة اثنتين من التاريخ ، واسمها هند بنت أمية زاد  
الركب بن المغيرة ، وفي حديث أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم  
تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم .

سها : أخطأ . مُمليكه : منكحه الذي أعطاه وليته . وكس : غبن ،  
ووم . في الحساب : غلط فيه ، وملاحه : أى مصاهره . وضم : عيب ،  
والوضم : العيب ، وأحد الرجل احادًا ، أى صار أمره إلى الحد ، أراد أنه من  
أهل الأحساب فلا ينقص من يباهره . الإعداد للمعاد ، أى الاستعداد لليوم  
الذي يعاد فيه إلى نشأته الأولى . السرمد : الدائم . والرسول : الذى يتابع أخبار  
الذى بعثه ، أخذًا من قولهم : جاءت الإبل أرسالا ، أى متتابعة ، ويثنى  
رسولان ، ويجمع رسل . ومنهم من يوحدّه في كل حال ، قال الله تعالى :  
{ أنا رسول رب العالمين }<sup>(١)</sup> وحده ، لأنه في معنى الرسالة ، وأنشد :

فأبلغ أبا بكر رسولا سريعة فإلك يا بن الحضرمي وماليا

(١) سورة الأعراف آية ١٠٤

قال الفراء رحمه : الله وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين ، وأنشد :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرِّسْوِ لِأَعْلَهُمْ بِنَوَاحِي الْخَطْبِ (١)

أراد الرّسل ، فاكتفى بالواحد عن الجمع .

\* \* \*

[ بعض خطب النكاح ]

وإذ كملت الخطبة فلنستق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع .

ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبي طالب في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وهي :

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وجعل لنا حرمًا آمنًا وبيتنا محجوجًا ، وجعلنا الحكماء على الناس . ثم إن محمد ابن عبد الله ابن أخى ، ممن لا يوازن فتى في قريش إلا رجح به برًا ، وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلاً ، وإن كان في المال قُلٌّ فإنما المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجمة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصّدّاق فعلى .

فهذه الخطبة من أفضل خطب الجاهلية .

وعن يحيى بن أكرم : أراد المؤمن أن يزوج ابنته من عليّ الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلت أن أقول : أنكحت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال :

(١) اللسان - رسل ، ونسبة إلى أبي ذؤيب .

الحمد لله الذى تصاغرت الأمور بشيئته ، ولا إله إلا الله إقرارا بربوبيته ،  
وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته . أما بعد ، فإن الله سبحانه قد  
جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبباً للمناسله وإنى قد  
زوّجت ابنة المأمون من على بن موسى الرضا ، وأمهرتها أربعمائة دينار ،  
اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء إلى ما درج إليه السلف  
الصالح ، والحمد لله رب العالمين .

وحضر المأمون إماماً وهو أمير ، فسأله من حضر أن يخطب ، فقال :  
الحمد لله ، والصلاة على المصطفى رسوله ، وخير ما عمل به كتاب الله : ﴿ وأنكحوا  
الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم <sup>(١)</sup> ﴾ ، ولو لم يكن فى المناكحة آية منزلة  
ولا سنة متبعة إلا ما جعل الله فى ذلك من تأليف البعيد ، وبرّ القريب ، لَسارع  
إليه الموفق المصيب ، وبادر إليه العاقل اللبيب .

وفلان قد عرفتموه فى نسبٍ لم تجهلوه ، خطب إليكم فتانكم فلانة ، وقد  
بذل لها من الصداق كذا ، فشتموا شافعنا ، وأنكروا خاطبنا ، وقولوا خيراً  
تحمّدوا عايبه وتزجروا فيه .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم .

وخطب رجل من بنى أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ، فقال عمر :  
الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد فإن الرغبة  
منك دعت إلينا ، وإن الرغبة منا فىك أجابت بنا ، وقد أحسن بك فلنا من  
أودعك كريمته ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد زوّجناك على كتاب الله تعالى ،  
إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول في خطبة النكاح بعد الحمد والثناء .  
 أما بعد فإن الله تعالى جمع لهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب  
 المفترقة ، وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج من أمره ، وقد خطب فلان  
 إليكم ، وعليه وعليكم من الله نعمة ، وهو يبذل من الصدق كذا ، فاستخبروا  
 الله ، وردوا خيرا ، يرحمكم الله !

الأصمى رحمه الله : كانوا يستحسنون من الخاطب أن يطيل ليدل على  
 الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإنجاز ليدل على الإجابة .

\* \* \*

فلما فرغ من خطبته البديعه النظم ، العريية من الإعجام ، عقد  
 العقدة على الخمس المثين ، وقال لى : بالرِّفَاءِ والبنين . ثم أحضر  
 الحلواء التي كان أعدّها ، وأبدي الأبدّة عندها . فأقبلت إقبال  
 الجماعة عليها ، وكادت أهوى بيدي إليها ، فزجرني عن المؤاكلة ،  
 وأنهضني للمأولة ؛ فوالله ما كان بأسرع من تصافح الأجنان ، حتى  
 خرّ القوم للأذقان . فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية ، أو كصرعى  
 بنت خاية ؛ علمت إنها لإحدى الكبر ، وأمّ العبر ؛ فقلت له :  
 يا عدى نفسه ، وعبيد فلسيه ، أعددت للقوم حلوى ، أم بلوى ؟  
 فقال : لم أعد خبيص البنج ، في صحاف الخلنج . فقلت : أقسم بمن  
 أطلما زهراً ، وهدى بها السارين طراً ؛ لقد جئت شيئاً نكراً ، وأبقيت  
 لك في المخزيات ذكراً !

...



قوله : البديعة النظام : أى الغريبة التأليف . العربية من الإعجام ، أى العاطلة من النقط . الرِّفَاء : السكون والالتحام ، ويُدعى للمتزوج ، فيقال له : بالرِّفَاء والبنين ، أى بالاتفاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها ، وهو من رفأت الثوب ، إذا ضمت بعضه إلى بعض ، ومن رفوت الرجل إذا سكنته ، قال أبو زيد رحمه الله : هو من المرافاة غير مهموز ، وهى الموافقة .

تزوج عقيل بن أبى طالب فقيل له : بالرِّفَاء والبنين ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رفا أحدكم أخاه فليقل : على الخير والبركة ، برك الله لك وبارك عليك » .

الآبدة : الداهية ، وجاء بآبدة ، أى بكلمة أو خصلة وحشية منكورة ، واشتقاقه من الأوابد ، وهى الوحش ، وكذلك الآبد ، يقال : أبد الشاعر ، إذا أتى بالعويص فى شعره ، فمعى أبدى الآبدة ، أى أظهر الداهية التى يبقى ذكرها على الأبد . زجرنى : نهانى . أنهضنى : أقامنى وقدمنى . المناولة : إعطاء الطعام . تصافح الأجنان : غلقها وفتحها بسرعة ، كقولك : طرفه العميون . خرّوا للأذقان ، أى سقطوا على وجوههم ، والدّقن جمع اللّحيين يعبر به عن الوجه ، لأن العرب تسمى الشئ ببعض ما فيه ، وإذا خرّ على وجهه ، فأقرب شئ إلى الأرض ذقنه ، فخصّه بالدّكر لهذا ، قال الله تعالى : ﴿ يخرّون للأذقان سجّدا ﴾<sup>(١)</sup> . أعجاز : أصول . خاوية : فارغة متأكلة ، ويقال : خاوية ساقطة بالية . صرعى : قتلى ، وأراد به السكرى ، . وبت الخاوية : ، هى الخمر ، ومعنى الخاوية التى تخبأ فيها الأشياء ، مأخوذ من خبأت ، فُبنيت على ترك الهمز ، ويقال : خبأت الشئ وخبأته وخبئته ، وقرأت الشئ وقرئته . إحدى الكبر : واحدة من الكبائر .

(١) سورة الإسراء آية ١٠٧ .

(٢٦ - شرح مقامات الحريري ج ٣)

أم العبر : أى أعظم الدواهي ، وما يُعْمَظُ به . لم أعدُ : لم أتجاوز . الخبيص : نوع من الحلواء . البنج : نبات يسكر منه ، وهو ابن الخشخاش البري المعروف بالأفيون . والخلنج : ضرب من الخشب . زُهرًا : مضيئة ، يعنى الكواكب . السارين : الماشين بالليل . طُرًا : جمعًا . نُكْرًا : منكرًا . والخزيات : جمع مخزية ، وهى الخصلة الرديئة يَحْتَزِي صاحبها متى ذكرت له ، والخزى الهوان .

\* \* \*

ثُمَّ حَرَّتْ فِكْرَةً فِي صَيُورِ أَمْرِهِ ، وَخِيفَةً مِنْ عَدُوِّ عَرَّةَ ،  
 حَتَّى طَارَتْ نَفْسِي شَمَاعًا ، وَأُرْعِدَتْ فَرَائِصِي ارْتِيَاعًا . فَلَمَّا رَأَى  
 اسْتِطَارَةَ فَرَاقِي ، وَاسْتِشَاظَةَ قَلْقَى ، قَالَ : مَا هَذَا الْفِكْرُ الْمُرْمِضُ ،  
 وَالرَّوْعُ الْمَوْمِضُ ؟ فَإِنْ يَكُنْ فِكْرُكَ فِي أَجْلِي ، مِنْ أَجْلِي ؛ فَأَنَا  
 الْآنَ أَرْتَعُ وَأَطْفِرُ ، وَأَقْوَى هَذِهِ الْبُقْعَةَ مِنِّي وَأَقْفِرُ ، وَكَمْ مِثْلِهَا  
 فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ ؛ وَإِنْ يَكُنْ نَظْرًا لِنَفْسِكَ ، وَحَذَرًا مِنْ حَبْسِكَ ،  
 فَتَنَاوَلْ فُضَالَةَ الْخَبِيصِ ؛ وَطَبِّ نَفْسًا عَنِ الْقَمِيصِ ؛ حَتَّى تَأْمَنَ الْمُسْتَعْدِيَّ  
 وَالْمُعْدِيَّ ، وَيَتَمَهَّدَ لَكَ الْمَقَامُ بَعْدِي ؛ وَإِلَّا فَاْلْمَفْرُ الْمَفْرُ ؛ قَبْلَ أَنْ تُسْحَبَ  
 وَتُجَرَّ : ثُمَّ عَمَدَا لاسْتِخْرَاجِ مَا فِي الْبُيُوتِ ، مِنْ الْأَكْيَاسِ وَالتَّخُوتِ .  
 وَجَعَلَ يَسْتَخْلِصُ خَالِصَةَ كُلِّ مَخْزُونٍ ، وَنَجْبَةَ كُلِّ مَذْرُوعٍ  
 وَمَوْزُونٍ ؛ حَتَّى غَادَرَ مَا أَلْغَاهُ فَخَّهْ ، كَعَظْمٍ اسْتُخْرِجَ مَخَّهُ .

...

صَيُورُ : آمال ورجوع ، أى ما يصير إليه أمره . عدوى عرّة ، أى انتقال

ضرره ، والمر : الجرب ، والعدوى انتقال المرض إلى الصحيح ، ومعناه عند العرب : إذا كان الجرب بواحدة من الإبل سرى في غيرها ، وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ولا صفّر ولا هامة ، ولا يورد ممرض على مصحح » . فقال أعرابي : يا رسول الله ، فما بال الإبل التي تكون في الرمل ، كأنها الطباء فيجىء البعير الأجرى فيدخل فيها فيجر بها كلها ؟ وقال : فمن أعدى الأول . وقال النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب<sup>(١)</sup>  
فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذهب السروجي . شعاعا : متفرقة في كل جهة ، يقال نفس شعاع ، أي تفرقت همتها ، ورأى شعاع ، أي متفرق . والفرائض : جمع فريضة ، وهي بضعة عند الكبد تُرعد عند الفزع ، قال مروء القيس :

\* وَرُعدُ منهن الكُلى والفريضة \*

ارتياغا : فزعا . استطارة فرقى : انتشار فرعى . واستشاطا : التهاب واحتراق . المرض : الحرق ، وهو من لفظ الرمضاء : والرؤع : الفزع . المومض : الذي يدع صاحبه مبهوتا شاخص البصر من شدته ، وأومضت المرأة بعينها إذا برقت . الأجل ، بالتحريك : التأخير ؟ وتسكينها الجنابة يقول : إن تفكرت في تأخيري من الهرب بسبب جنابتي ، فالآن أجمع أموالهم وأفر ، قال الفنجديهي : إن يكن فكرك في أجلي ، أي في جنابتي ، يقال : أجل الرجل عليهم شرًا بأجل وبأجل أي جنابة . وهيجه من أجلي أي من جرأتي . أرتع : آكل أموالهم . أظفر : أفر هاربا ، وظفر : وثب وسار مسرعا . أفوى

(١) ديوانه ١٣ .

(٢) ط : « الفرائض » ، والبيت لامرئ القيس ، ديوانه ١٨٣ ، وقبلة :

\* فيشر بن أنفاسا وهن خوالف \*

وأقفر : ، معناهما أخلي موضعي ، وأقفر الرجل من أهله : انفرد عنهم وبني وحده والدار خات وكذلك أقوت وقويت وأقمرت الأرض من الكلال ، ورأسه من الشعر ، وجسده من اللحم ، وأقوى وأقفر لا يتعديان . تصفر : تصوت ، وهذا عجزُ بيت لتأبطُ شراً ، وصدرة :

\* فأبت إلى فهمٍ وما كدت آيباً<sup>(١)</sup> \*

تصفر ، أى تنفخ ندماً على فوتي ، والنادم على الشيء يتابع النفخ ، يقول : كم مثل هذه الخصلة فارقتها ، وهى تصفر فندماً على ما فاتها . تناول : خذ . فضالة : بقية . طب نفساً ، عنه ، أى لتكن نفسك طيبة على فقهه ، فإنك إذا أكلت الخبيص ، سكرت فجردت فصرت فى جملة من أكل ماله فتأمن بذلك . المستعدي : هو الشاكي . والمدي : هو الحاكم ، ويقال : استعدت الحاكم فأعداني ، أى استمته فأعاني . يتهد : يتوطأ . المفرّ المفرّ : أى بادر الفرار ، وتُسحب ، هو تجرّ . الأكياس : أوعية الدرهم والدنانير . الثخوت : أوعية الثياب . يستخلص : يختار . خالصة : خيار ، وكذلك نخبة . مذروع : مكبل بالذراع ، يعنى الثياب . موزون : ، يعنى الجواهر وما فى معناها مما يباع بالوزن ، مثل العطريات وغيرها من شبهها . النفخ : آلة للصيد يحسن أن يكفى به عن المكيدة .

\*\*\*

فلما همّن ما اصطفاه ورزّم ، وشمرّ عن ذراعَيْهِ وتحزّم ؛ أقبل على إقبال من لبس الصفاقة ، وخلع الصداقة ، وقال : هل لك فى المصاحبة إلى البطيحة ، لأزوّجك بأخرى مليحة . فأقسمت له بالذى جعله مباركاً

(١) الأغانى ١٨ : ٢١٥ - ساسى ، وبقيته :

\* وكَمْ مثلها فارقتها وهى تصفرُ \*

أينما كان ، ولم يجعَلهُ مِمَّنْ خانَ في خان ؛ إِنَّهُ لا قِبَلَ لي بِنكاحِ حُرَّتَيْنِ ،  
ومُعاشرةِ ضُرَّتَيْنِ . ثم قلت له قول المتطَلِّعِ بطباعِهِ ، الكائِلُ له بصاعِهِ :  
قد كَفَّنِي الأولى فخرًا ، فاطلبِ آخرَ للأخرى .

فتبَسَّم من كلامي ، ودَلَف لِإِئْزَامِي . فلويتُ عنه عِذارِي ،  
وأبديتُ له ازورارِي ، فلَمَّا بَصَرَ بائقباضِي ، وتَجَلَّى له إعراضِي  
أنشد :

• • •

همن : شدّه بالهميان وهو نوع من التسكّة . اصطفاه : اختاره . رَزَمَ : جمعه .  
رُزْمَةٌ ، والرُزْمَةُ في كلام العرب : التي فيها ضُروب من الثياب وأخلاق يقال :  
رازم الرجل في أكله ، إذا اخلط بعضه ببعض ، ورازمت علف الدابة : خلطته ،  
وقد يريد به ما شدت على وسطه من المال بهميانه . الصفاة : صلابة الوجه .  
خلم : أزال

البَطِيحَة : قرية عامرة بقرب البصرة من جهة واسط ، وبينها وبين البصرة  
وواسط جهة كبيرة ، تعرف بالبطاح وتموسطها البطيحة .

معاشرة ضرتين : مصاحبة زوجين . المتطَلِّعِ بطباعه : المتخلِّقِ بمخلقه .  
الكائِلُ له بصاعه ، أي الذي أعطاه من الهزل مثل ما أعطاه . دلف : أسرع .  
الئزامي : معانقتي وضمي له لوبت : عظفت ، أي أعرضت عنه بوجهي .  
ازورارِي : ائقباضي . تجلَّى : ظهر . إعراضي : تركي إقبالي عليه .

\* \* \*

يا صارفاً عني المودّة والزّمان له صروف  
ومعني في فضح من جاوزت تعنيف العسوف  
لا تلحني فيما أتيت فإني بهم عروف  
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف  
ويؤتوهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف  
ما فيهم إلا خيف إن تمكن أو تخوف  
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف  
فوثبت فيهم وثبة الذب الضري على الخروف  
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الختوف  
وتحكمت فيما اقتنوه هـ يدي وهم رُغم الأنوف

...

صارفاً : منحنيًا: المودّة: المحبة. صروف: دفعوع . معني: موبخي ولائمي . فضح: كشف . والعسوف : الآخذ بجهالة قبل التجربة . تلحني : تلمني . يراعون : يحفظون حقوقهم . بلوتهم . خبرتهم ، ومثله سبكتهم . زيوف : دراهم رديئة ، يريد أنهم قوم لا خير فيهم . مخيف : مضرّ مفزع . إن تمكن : ارتفع وكانت له مكانة . مخوف : لا يقدم عليه خوف ضرره . الصفي الوفي . الصادق الود . الحفي : المكرم لصديقه المعنى به . العطوف : الرحيم . الضري : المناد الذي ضري أخذ الخرفان . صرعى : مطرحون على الأرض . والختوف : جمع حتف وهو الهلاك . اقتنوه : اكتسبوه . رغم : إذلال .

...

ثُمَّ انثَنَيْتُ بِمَنْعِمٍ حَلَوِ الْمَجَانِي وَالْقَطُوفُ  
 وَاطَّالَمَا خَلَفْتُ مَكْلُومَ الْحَشَى خَلْفِي يَطُوفُ  
 وَوَتَّرْتُ أَرْبَابَ الْأَرَا ثِكِّ وَالْدَّرَانِكِ وَالسَّجُوفِ  
 وَلَكُمْ بَلَنْتُ بِحَيْلَتِي مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالسِّيُوفِ  
 وَوَقَفْتُ فِي هَوْلٍ تَرَا عَ الْأَسْدُ فِيهِ مِنَ الْوُقُوفِ  
 وَلَكُمْ سَفَكْتُ وَكَمْ فَتَكْتُ وَكَمْ هَتَكْتُ حَمَى أَنْوْفِ  
 وَكَمْ ارْتِكَاضٍ مَوْبِقٍ  
 لِي فِي الذَّنُوبِ وَكَمْ خَفُوفِ  
 لِكِنِّي أَعَدَدْتُ حُسْنَ الظَّنِّ بِالْمَوْلَى الرَّءُوفِ

...

انثنيت ، أى رجعت . المجاني : ما يجتى من الثمار . والقطوف : ما يقتطف  
 منها ، وهى جمع قُطف وهو العنقود . خلفت : تركت خلفى . مكلوم :  
 مجروح . الحشى : إسقاط الجوف . وترت : أخذت منهم ثأرى وحقى . أرباب  
 الأرائك : أصحاب الأسرّة . والدرائك : البسط . السجوف : جمع سِجف ،  
 وهو السدر ، والأرائك : جمع أريكة ، والدرائك واحدها درنوك . الهول :  
 الأمر المفزع . تراع : تفزع ، وفيه : متعلقه وقوف ، يريد أن الأسد تفزع أن  
 تقف فى الهول الذى وقف فيه . سفكت : قتلت . فتكت : عتيت . هتكت  
 قطعت . رحى : ما يحمى ويمنع . أنوف : كثير الأنفة والحمية . ارتكاض : جرى  
 واضطراب وتحرّك . موبق : مهلك . خفوف : إسراع : الرءوف : الكثير  
 الرفق والرحمة .

[ مما قيل في الاعتراف بالذنوب والطمع في رحمة الله وعفوه ]

قال ابن رشيقي في معنى هذا الخروج بعد تعدد ذنوبه :

إذا أتى الله يوم الحشر في ظُللٍ وحاسب الخلق مَنْ أحصى بقدرته  
وجيء بالأمم الماضين والرسلي<sup>(١)</sup> ولم أجد في كتابي غير سيئة  
أنفاسهم وتوفاهم إلى أجلٍ رجوتُ رحمةَ رَبِّي وهي واسعة  
تسوءني وعسى الإسلام يسلمُ لي ورحمة الله أرحم لي من العملِ  
ولا بن نكك: ١

إذا خفق اللواء على يوماً رجوت الله لأرجو سواه  
وقد أخذ امرؤ القيس اللواء<sup>(٢)</sup> لعل الله يرحم من أساء

وقال ابن الزقاق :

يا عالم السرّ مني اصنع بفضلك عني<sup>(٣)</sup>  
منيتُ نفسي بغيري مولاي منك ومني  
وكان ظني جميلاً فكن إذا عند ظني

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى : « أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما يشاء » .

توفي رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرقاً على نفسه ، فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عليه ، فقال لهما: ما يبكيكما ؟ قالا : نبكي لإسرافك على نفسك ، قال : فلا تبكيا ، فوالله ما يسرنى أن الذي بيد الله من أمرى بأيديكما . فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم

(١) نقله صاحب التنف صفحة ٦٢ .

(٢) ينمية الدهر ٢ : ٢٣٠ .

(٣) دتوانه ٢٧٤ .



فأخبره أن فتى توفى اليوم ، فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئاً من خير إلا أنه قال عند الموت كذا .

قال : من هاهنا أتى حَسُنُ الظنِّ بالله من أفضل العمل عنده .

وعن أنس رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنَّ أحدكم حتى يُحسن ظنه بالله تعالى ، فإن حسنَ الظنِّ ثمن الجنة » .

أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حسن الظنِّ مِنْ حسن العبادة » .

وكان محمد بن نافع الواعظ صديقاً لأبي نواس ، قال : فلما بلغنى موته أشفتت عليه ، فرأيتُه في النوم ، فقلت : أبا نواس ، فقال : لاتَ حينَ كِنابة ! قلت : الحسن ، قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر الله لى ، قلت : بأى شيء ؟ قال : بتوبة تبته قبل موتى ، بأبيات قلتها ، قلت : أين هى ؟ قال : عند أهلى . فسرت إلى أمه ، فلما رأتنى أجهدت بالبكاء ، فقلت : إني رأيت كذا ، فكانها ساكنت ، وأخرجت إلى كتبنا مقطعة ، فوجدت بخطه كأنه قريب :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرةً	فلقد علمت بأن عفوك أعظم <sup>(١)</sup>
إن كان لا يرجوك إلا محسن	فمن الذى يدعو ويرجو المجرم <sup>(٢)</sup>
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً	فإذا رددت يدي، فمن ذا يرحم!
مان إليك وسيلة إلا الرجا	وجمىل ظنى ثم أنى مسلم

(١) ديوانه ١٩٩ : ٢٠٠ . (٢) الديوان « فبمن يلوذ ويستجير المجرم » .

وإنما قال: «لات حين كناية» لأن العرب لا تكفي الميت إنمادعوه باسمه،  
قال الراجز:

وقام نسوة بجنب حُفَرَتِي بنات أختي وبنات إخوتي  
\* يدعون باسمي وتناسوا كنيتي \*

وقال آخر:

فقد جعلت تُدْعَى كلاب بن جعفرِ بأسمائها لا بكفى لا تُجِيبُهَا

\* \* \*

قال: فلهما انتهى إلى هذا البيت لَجَّ في الاستمبار، وألظَّ بالاستغفار، حتى استمال هوى قلبى المنحرف، ورجوت له ما يُرجى للمقترفِ المعترف. ثم إنه غيَّض دمه المُنهل، وتأبطَّ جرابه وأنسلَّ، وقال لابنه: احتمل الباقي، والله الواقى.

قال المخبر بهذه الحكاية: فلهما رأيتُ انسيابَ الحية والحَيَّة، واتهاء الداء إلى الكيَّة، عَلِمْتُ أن تَرِيثِي بالخان، مجلبة للهوان، فضمتُ رُحَيْلِي، وجمعتُ للرَّحْلة ذَيْلِي، وبت ليلتي أسرى إلى الطَّيب، وأحسبُ اللهُ عَلَى الخَطيب.

. . .

قوله: لَجَّ في الاستمبار، أى أكثر في البكاء. ألظَّ: ألح، وألظَّ به: دار عليه. استمال: استعطف وأماله إليه. المنحرف: المائل عنه. المقترف: المكتسب

الإثم ، ويقال : قرَف فلان فلاناً ، إذا ألصق به عيباً وكسبه ذنباً ، واقرَف فلان ذنباً ، أى اكتسبه وألصقه بنفسه . المقرَف : المقر بذنبه .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل ملائكة يترحمون على المقرِّين على أنفسهم بالذنوب » .

وروى أبو ذرّ عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « ابن آدم إنك إن يبلغ ذنبك عنان السماء ، ثم تستغفرنى أغفر لك ولا أبالي » . غيِّض : جفف وغيَّب ، من غيَّض الماء إذا انتقص وجفّ . المنهلّ : السائل . تأبط : أى جملة تحت إبطه . انسلّ : خرج مخفياً نفسه متحرزاً أن يراه أحد . انسياب : مشى لا يحسُّ به . الحية : ، يعنى الشيخ ، سماه حية لإذايته أهل الخان بالبنج : فجعله كسم الحبة فيمن ألقته ، ويقال : أيضاً فى تصغير الحية حُوّية ، وأصلها الواو لأنها من تحوّت أى تلوت ، وقيل : هى من الحياة لطول عمرها . انتهاء الداء إلى السكّية : ، مثل يضرب لانتهاء الداء إلى أقصاه ، تقول العرب : آخر الطبّ السكى ، تريد أن المريض يعالج بكلّ دواء فلا يواqqه فإذا عولج بالسكى لم يبق بعده دواء ، وإلّا فهو الموت ، فيريد أنه إن أقام بعدها انتهى إلى هوان وعذاب . تريثي : تثبطى ، وتربّث بالمكان : أطال الجلوس فيه . مجلبة ، أى سبب جلبه وسوقه رُحَيْلَه : يريد متاعه وصنّعه لفقره وقلة ما عنده ، ورحل الإنسان ماله ومتاعه فى السفر . أسرى : أمشى بالليل . الطيّب : قرية بالعراق بمقبرة واسط بينها وبين البطحمة المتقدمة ، وسميت الطيّب لطيب هوائها وخصبها .

احتسب : أدعو وأقول : حسبه الله ، ومجازيه على قبيح أفعاله ، والاحتساب طلب الأجر ، فعنى أحسبُ الله على الخطيب ، طلب إلى الله تعالى الثواب بإنكارى على الخطيب ، والله تعالى ربى عليه توكلت وإليه أئيب .

## المقامة الثلاثون وهي الصورية

حكى الحارث بن همام، قال : ارتحلتُ من مدينة المنصور ، إلى بلدة صور ؛ فلما حصلتُ بها ذارُفعةً وخَفَضَ ، ومالكَ رَفَعٍ وخَفَضَ ؛ تَقَتُ إلى مَضْرُتَوْقَانَ السَّقِيمِ إلى الأَسَاةِ ، والكَرِيمِ إلى المَوَاسَاةِ ؛ فَرَفَضْتُ عِلَاتِقَ الاستِقَامَةِ ، ونَفَضْتُ عِلَاتِقَ الإِقَامَةِ ، وَاغْرَوْرِيَتْ ظَهْرَ ابْنِ النُّعَامَةِ ، وَأَجْفَلْتُ نَحْوَهَا إِجْفَالَ النُّعَامَةِ . فَلَمَّا دَخَلْتُهَا بَعْدَ مُعَانَاةِ الأَيْنِ ، وَمَدَانَاةِ الحَيْنِ ، كَفَفْتُ بِهَا كَلْفَ النَّشْوَانِ بِالاصْطِبَاحِ ، والحِيرَانِ بِتَنْفُوسِ الصَّبَاحِ .

\* \* \*

[ ترجمة للمنصور ]

قوله : مدينة المنصور ، هي بندا، والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، استُخلف بعد أخيه السفاح ، وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة . وهو ابنُ إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر ، وكان حلياً وقت وفاة السفاح ، فَعَقَدَ له البيعة عُمهُ موسى بن علي بن عبد الله بالأنبار ، وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوماً .

وقد بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظر إلى عمه العباس ، فقال :

هذا عمى أبو الخلفاء الأربعة أجود قريش كفاً ، ومن ولده السقاح والمنصور .  
والمهدى .

وقال المنصور : رأيتُ في المنام كأنى في المسجد الحرام ، فنودى : أين عبدُ الله ؟ فقلتُ أنا وعبدُ الله بن يحيى نستبق ، حتى وصلنا إلى الدرجة العليا ، فجلس هو وأخذ بيدي ، فأصعدت ، وأدخلت الكعبة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال . قال . فأقعدنى وأوصانى بأمرته ، فممنى ، فكان كورُها ثلاثاً وعشرين كوراً ، وقال : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة .

وقال المنصور : الخليفة لا يُصاحبه إلا التقوى ، والسلطان لا يُصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يُصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأتقصُ الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

وولد المنصور في سنة خمس وتسعين في اليوم الذي مات فيه الحجاج ، ومات بمكة بيئر ميمون لستَ خَلُون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة .

\* \* \*

[ ذكر مدينة صور ]

سور : مدينة بالشأم ، بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخاً .

وقال شيخنا ابن جبير<sup>(١)</sup> : مدينة صور يضرب بها المثل في الحصانة ، لا تلتقى لطالبها بيد طاعة ولا استكاثرة ، قد أعدّها الإفرنج مفرعاً لحادثة زمانهم ،

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٦ باختصار .

وجعلوها مثابةً لأمانهم . وحصانها ومناعتها<sup>(١)</sup> أعجب ما يحدث به ، وذلك  
 أنها راجعة إلى بابين ، أحدهما في البر والثاني في البحر ، والبحر يُحيط بها  
 إلا من جهة واحدة ، فالبري يُفِضِي إليها<sup>(٢)</sup> بعد ولوج ثلاث أبواب أو أربعة ،  
 كلها في ستائر مشيدة محيطة بالبواب ، والبحريّ يَدْخُلُ إليه بين بُرْجَيْن  
 مشيدين إلى مَرَسَى له ، ليس في البلاد أعجب منه وصفًا ، يحيط به سور المدينة  
 من ثلاثة جوانب ، ويُمدَّقُ به من جانب آخر جدار معتود بالجصّ ، والسفن  
 تدخل تحت السور وتُرْمَى فيه ، ويعترض من البُرْجَيْن المذكورين سلسلة  
 عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، ولا مجال للمراكب إلا عند  
 إزالتها ، وعلى الباب حُرَّاس ، لا يدخل الداخل ولا يخرج إلا على أعينهم ،  
 فشان هذا المرسى شأنٌ عظيم ، وعند الباب البري عين معينة ، تفحدر إليها  
 على أدراج ، والآبار والجباب بها كثيرة ، لا تخلو دار منها ، ولا بساتين بها  
 إنما تجلب لها الفواكه من أقطارها التي بالقرب منها .

ولها أعملة<sup>(٣)</sup> متصلة ، والجبال بالقرب منها معمورة بالضياح ، ومنها  
 نجىء الثمرات إليها ، والمسلمين الباقين بها مسجدان .  
 وأعلمنى أحد أسياننا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسةائة  
 بعد محاصرة طويلة ، وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين  
 للفرز .

\* \* \*

قوله : ذا رفعة ، أى عزّة ومكانة . خفض : طيب عيش ، ومعنى مالك  
 رفع وخفض ، أى صاحب أحمال تُرْفَعُ على الإبل في السفر ، وتُحطُّ عنها للنزول ،

(١) ابن جبيرة «ومنعتها» (٢) ابن جبيرة : «إليه» (٣) ابن جبيرة «ولها عمالة متسمة»

ويريد أنه ذو قدرة وتمكّن يخفض ويرفع من أراد . قوله : مُتَقَّتْ ، أى اشتقت .

### [ ذكر مصر ]

مصر : قال الهمداني : سميت بمصر بن هرمس بن هروس جد الإسكندر .  
وقال أهل اللغة : المصر الحدّ فسميت مصر لأنها حد بين المشرق والمغرب .  
ابن دريد كل بلد عظيم مصر ، نحو البصرة والكوفة .

طول مصر من الشجرتين اللتين بين أمج والعريش إلى أسوان ، وعرضها  
من برقة إلى أيلة ، فهي مسيرة أربعين ليلة . وافتتحت كلها في خلافة عمر بن  
الخطاب رضی الله عنه ، على يدى عمرو بن العاص بن وائل السهمي .

ولما افتتحت مصر ، أتى أهلها إلى عمرو ، فقالوا له : أيها الأمير ، إن لنيلنا  
هذا سنة لا يجرى إلا بها ، فقال لهم : ما ذاك ؟ فقالوا له : إذا كان اثنتا عشرة  
ليلة تخلو من بثونة من أشهر المعجم ، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا  
أبويها ، وحملنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في النيل .  
فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله .  
فأقاموا بثونة وأيوب ومسرى - وهي أسماء ثلاثة أشهر للقبط - لا يجرى النيل فيها  
لا قليلا ولا كثيرا ، حتى هموا بالجللاء منها . فلما رأى ذلك عمرو بن العاص  
كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضی الله عنه . فكتب عمر بطاقة ، وكتب  
إلى عمرو : إني بعثت إليك بطاقة فألقها في النيل . فأخذ عمرو البطاقة فإذا فيها :  
من عبد الله همز أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد ، فإن كنت إنما تجرى من  
قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار ، هو الذى يجريك ، فنسأل الله الواحد  
القهار أن يجريك . فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيا أهل  
مصر للجللاء ، فلما أتى البطاقة في النيل أصبحوا يوم الصليب ، وقد أجراه

الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، ققطع الله تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر .

قال ابن جبير : ومدينة مصر كبيرة عامرة ، مختلفة الأسواق من المدن التي سارت بأوصافها الرقاق ، وهي على شط النيل ، وعلى النيل في مقابلتها قرية كبيرة الشأن ، كثيرة البنيان ، تعرف بالجيزة ، وتعرض بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالي مشرفة ، وهي مجتمع لهو أهل مصر ومنزههم ، وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل ، ولا يخرج له . وبالجزيرة جامع يُخطب فيه .

#### [ ذكر المقياس ]

ويتصل بهذا الجامع المقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة ، وابتدأه من شهر بثونة ، ومعظم انتهائه أغشت وآخرها أول أكتوبر . والمقياس : عمود رخام مُسمَّر في موضع ينحصر فيه الماء عند انتهائه إليه ، وهو مفضَّل على اثنتين وعشرين ذراعاً ، وكل ذراع مفصلة على أربعة وعشرين قسماً أقساماً متساوية تعرف بالأصابع ، فإذا استوى الماء تسع عشرة ذراعاً في الفيض ، فهي الغاية عندهم في طيب العام ، وربما كان الماء فيها كثيراً لعموم الفيض ، والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعاً ، وهو أحسن مما زاد عليه . والذي يستحق به السلطان خواجه ست عشرة ذراعاً فصاعداً ، وعليها تُعطى البشارة للذي يراقب الزيادة في كل يوم ، ويعلم بها مياومة ، وإن قصر عن ست عشرة فلا يجيُّ لذلك السلطان في ذلك العام ، ولا خراج إلا ما يعول عليه ، وبقره الجيزة يوم الأحد سوق عظيمة يتحدث بها .

(١) رحلة ابن جبير ١٣ .



## [ ذكر الأهرام ]

وعلى نحو سبعة أميال في الصحراء التي يفضى منها إلى الإسكندرية .  
 الأهرامُ القديمة ، المعجزة البناء القريبة المنظر ، المربعة الشكل ، كأنها القباب  
 المضروبة قد قامت في جو السماء ، لا سيما الاثنان منها في سعة الواحد منها من  
 ركنه إلى ركنه ثلاثمائة خطوة ، وست وستون خطوة محدّدة الأطراف في رأى  
 العين ، وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة ، فتلقى أطرافها المحددة كأوسع  
 ما يكون من الرحاب ، قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة ، ورُكبت تركيباً  
 بديع الإلصاق ، يكاد يُعجز أهل الأرض نقض بنيانها .

## [ بعض معالم مصر ]

وبمصر أيضاً المسجد المنسوب إلى عمرو بن العاص ، وبها الجبانة المعروفة  
 بالقرافة ، وهي من عجائب الدنيا ، لما تحتوى عليه من مشاهد الأنبياء ، وأهل  
 البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل الزهد .

وبها قبر آسية امرأة فرعون ، وبها مساجد معمورة بالليل والنهار ، يبيت  
 بها الصالحون .

وبها قبر الشافعيّ محمد بن إدريس الإمام رضى الله عنه ، وهو من المشاهد  
 العظيمة احتفالاً واتساعاً .

والمشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة ، حيث رأسُ سيدنا الحسين بن عليّ  
 رضى الله عنهما ، هوفى تابوت من فضة مدفون ، قد بُنى عليه ببيان يقصر الوصف  
 عنه ، مجلّل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار ، شهما أبيض أكثرها  
 موضوع فى أتوار الفضة ، وحُفّ أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً فى مصنع شبه  
 الروضة ، يهر الأبصار حسناً وجمالاً ، وفيه من أنواع الرخام المجزّع الغريب  
 ( ٢٧ - شرح مقامات الحريري ج ٣ )

الصنعة ، البديع ، الترصيع ، مالا يتخيله المتخيلون ، والمدخل إليها على مسجد على مثلها في التائق ، حيطانه كلها رخام ، وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل ، شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه المرأة الهندية ، وتزاحم الناس على القبر وانكباهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التي عليه مرأى هائل .

وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة .

\* \* \*

الأساة : الأطباء . المواساة : أن يجعلك أسوة نفسه في ماله فيقاسمك فيه .  
رفضت : تركت . علائق : أسباب تتعلق به فتحبسه . رفضت : أزلت واطرحت ،  
ونفضت ثوبى من الغبار : أزلته عنه . عوائق : موانع ، وهى ما يصرف  
الإنسان عن وجهه الذى يمرّ فيه ويريده . اعروريت : ركبته عربيا .

ابن النعامة : الطريق ، وقيل صدرّ القدم قال عنتره :

\* وابن النعامة عند ذلك مرّ كعبى (١) \*

وقيل : ابن النعامة الساق ، وقيل : عريق في الرّجل . وقيل الفرس الفارة  
أجفلت : أسرع . النعامة : واحدة النعام . معاناة : مقاساة . الأين :  
الفتور من التعب مداناة الحين : مقارنة الهلاك . كلفت بها ، أى أحيتها وولعت  
بها . النشوان : السكران ، يريد أنه فرح فرح السكران ، إذا أصبح للشرب ،  
وهو الاصطباح والمهموم بالليل إذا طلع ضوء النهار انجلى همه ، فجعل بياض  
الفجر . تنفس أى انتشر في الظلام .

(١) صدره : « ويكون مركب الفلوس ورحله » وهو في اللسان - نعم ، منسوب  
لخزرج بن لوزان .

فبينما أنا يوماً بها أطوف ، وتحتي فرسٌ قَطُوفٌ ؛ إذ رأيت  
على جُرْدٍ من الخيل ، عُصْبَةً كَمَصَابِيحِ اللَّيْلِ ؛ فَسَأَلْتُ لِاتِّجَاعِ  
النَّزْمَةِ ، عن العُصْبَةِ والوَجْهِةِ ؛ فَقِيلَ : أمَّا القومُ فشهود ،  
وأما المقصِدُ فإملاكٌ مشهود ؛ فحدّثني مِيعَةُ النَّشَاطِ ، على أن  
سِرْتُ مع الفُرَّاطِ ؛ لأفوز بحلاوة اللُّقْطِ ، وأحوز حلواء  
السَّمَاطِ : فأفضيناً بَعدَ مُكابَدَةِ العَنَاءِ ، إلى دارٍ رَفيعةٍ البِنَاءِ ،  
وسِيعَةِ الفِئَاءِ ، تشهدُ لبانيها بالثراءِ والسَّنَاءِ . فلما نزلنا عن  
صَهَوَاتِ الخِيُولِ ، وقَدَمْنَا الأَفْدَامَ لِلدَّخُولِ ، رأيتُ دِهْلِيزَهَا  
مُجَلَّلًا بِأَطَارٍ مخرقةٍ ، ومُكَلَّلًا بِمخارِفٍ مُعلّقةٍ ، وهنالك شخصٌ  
على قَطِيفَةٍ ، فوق دَكَّةٍ لَطِيفَةٍ .

\* \* \*

قَطُوفٌ : متقارب الخطو ، كأنه يقطف خطوه ، أى يقطعه . جُرْدٌ :  
مُلسٌ ، والأجْرَدُ : القصير الشعر . عُصْبَةٌ : جماعة . مصابيح : مُرُجٌ ، ويريد  
بها النجوم . قوله : الوجهة كالجهة ، وهو كل موضع استقبلته وقصدته  
وتوجهت إليه . إملاك : نكاح ، وأملاك الرجل إملاكاً : تزوج ، وأملكه  
غيره : زوجه . وشهدنا إملاكه ، أى عرسه .

ابن عمر رضى الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ شَهِدَ  
إملاك امرئ مسلم ، فكأنما صام يوماً في سبيل الله واليوم بسبعائة » . مشهود :  
أى محضور . حدّثني . سأقتني . مِيعَةٌ : حدة ونشاط ، والمِيعَةُ أوّل الشباب ،  
وأوّل جَرَمِي الفرس ، ومِيعَةٌ كلّ شيءٍ معظمه . والفُرَّاطُ : السِّبَاقُ المتقدمون ،

الواحد فارط . اللقاط : ما يلتقط من العرس بما ينثر فيه للحاضرين ، نحو الكعك والتلخيص ، وما يُنثر فيه يسمى نثراً ، وكان نثار العرب في عرسهم التمر . أخوزة : أحصل . السماط : السوق التي جوانبها صفتان متقابلان ، والسماط أيضاً أن يصطف العسكر صفين متقابلين ، والسماط في الطعام : أن تلتصق مائدة بأخرى ، ويجلس الناس عليها صفين متقابلين ، والسماط الصف منه ، ومنه سُمط الجوهر ، ومنه السُمّ للسمط ، وهو الذي ألياته منصلة على أجزاء متقابلة ، وقد نهبنا عليه في الحادية عشرة<sup>(١)</sup> . مكابدة : مقاساة ، وهي من الكبد كأن الكبد يتعب بها . والعناء : التعب . ربيعة البناء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بعبده أن ينفق ماله في البناء » .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من بنى في غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء ؛ فإن أجره جارٍ ما انتفع به أحد من خلق الرحمن » .

وقال بعض الحكماء : إذ أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء : صديقه القديم يمجفوه ، وامرأته يتزوج عليها ، وداره يهدمها وبينها .

وعلى قوله : أما القوم فشهود ، جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرموا الشهود ، فإن الله عز وجل يستخرج بهم الحقوق ، ويدفع بهم الظالم » .

قوله وسبعة ، أى واسعة ، والفناء : الساحة ، وهي ما حول الدار . الثراء : كثرة المال . السناء : الشرف والرفعة . صهوات : ظهور . دهليز : مدخل الدار ، الذي تسميه عامتنا الأسطوان ، والأسطوان عند العرب : السوارى ، واحدها أسطوانة : وأنشد أبو موسى الجاهض<sup>(٢)</sup> في نوادره وذكر الدهليز فقال :

(١) في الجزء الثاني من ١٧ (٢) ط « الجاحظ » تحريف .

أويت في الدهليز منذ أربع ولم أكن آوى الدهاليزاً<sup>(١)</sup>  
خبزي من السوق وشعري لكم تلك لعمرى قسمة ضيزى

مَجَلَّلاً : مَغْطَى . أَطْمَار : نِيَاب خَلْقَة . مَكَلَّلاً : مَحَلَّلاً . مَخَارِف : قَفْ أَوْ  
نَعَالِيقٍ لِلزَّبَاءِ ، يَجْعَلُونَ فِيهَا مَا يَأْخُذُونَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ ، وَالْمَخَارِفُ عِنْدَ الْعَرَبِ : جَمْعُ  
مَخْرَفٍ ، وَهِيَ قَفِيْقَةٌ تُشَبِّهُ الزَّنْبِيلَ ، يُخْتَرَفُ فِيهَا الرَّطْبُ ، أَيْ يُجْتَنَى فِيهَا .  
قَطِيْقَةٌ : نَوْعٌ مِنَ الْبَسْطِ . دَكَّةٌ : هِيَ الدَّكَانُ .

\* \* \*

فَرَابِنِي عُنْوَانِ الصَّحِيفَةِ ، وَمَرَأَى هَذِهِ الْبِدْعَةَ<sup>(٢)</sup> الطَّرِيفَةَ ،  
وَدَعَانِي التَّطْيِيرَ بِتِلْكَ الْمَنَاحِسِ ، إِلَى أَنْ عَمِدْتُ لِذَلِكَ الْجَالِسِ ؛ فَعَزَمْتُ  
عَلَيْهِ بِمَصْرَفِ الْأَقْدَارِ ، لِيَعْرِفَنِي مَنْ رَبُّ هَذِهِ الدَّارِ ، فَقَالَ :  
لَيْسَ لَهَا مَالِكٌ مُعَيَّنٌ ، وَلَا صَاحِبٌ مُبَيَّنٌ ، إِنَّمَا هِيَ مِصْطَبَةٌ  
الْمُقَيَّنِينَ وَالْمُدْرُوزِينَ ، وَوَلِيْجَةُ الْمُشَقِّقِينَ وَالْمُجَلُوزِينَ . فَقُلْتُ  
فِي نَفْسِي : إِنَّا لِلَّهِ عَلَى ضَلَّةٍ الْمَسْعَى ، وَإِحْجَالِ الْمَرْغَى ؛ وَهَمَمْتُ  
فِي الْحَالِ بِالرُّجْعَى ، لَسَكَنِي اسْتَهْجَنَتُ الْعُودَ مِنْ فَوْرِي ، وَالْقَهْقَرَةَ  
دُونَ غَيْرِي ، فَوَلَجْتُ الدَّارَ مُتَجَرِّعاً الْعَصَصَ ، كَمَا يَلْبِغُ الْعَصْفُورُ  
الْقَفْصَ ، فَإِذَا فِيهَا أَرَائِكٌ مَنقُوشَةٌ ، وَطَنَافِسٌ مَفْرُوشَةٌ ، وَنَارِقُ  
مَصْفُوفَةٌ ، وَسُجُوفٌ مَرْصُوفَةٌ ، وَقَدْ أَقْبَلَ الْمَلِكُ يَمِيسُ فِي بُرْدَتِهِ ،  
وَيَدْبَبُنَسُ بَيْنَ حَفْدَتَيْهِ ، فَجَحِنَ جَلَسَ كَأَنَّهُ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ،

(١) في اللسان : الدهليز ، بالكسر : ما بين الدار والباب ؛ فارسي معرب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط

نادى منادٍ من قبَلِ الأحماء : وحُرْمَةِ سَأْسَانَ ، أستاذِ الأمتاذين ،  
وقُدوةِ الشحاذين ، لا عَقْدَ هَذَا التَّقْدِ المَبْجَلِ ، فى هَذَا اليومِ  
الأغرِّ المَجْبَلِ ، إلاّ الذى جال وجابَّ ، وشبَّ فى الكُدِيَّةِ  
وشاب .



رابى : شككى وخوفنى . عنوان : دليل . الصحيفة : الكتاب ، أراد  
تطيرت بتلك المخارف ، وأراد أنها دار خيبة وحرمان . وكان ابن همام فى هذه  
القصة طفيلياً على ما وصف به نفسه من الرفاهية ، وربما يتولع أهل الظرف  
والأدب بمثل هذا ، فقد حكينا عن إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلى مثل  
هذا فى أخبار الطقيليين على منادمتها للخلفاء وكثرة أموالهما .

البدعة : الشىء المبدع الذى لم يفعل قبله مثله . والطريقة : الغريبة المستظرفة .  
التطير : التشاؤم . المناحس : جمع منحوس وهو الذى لا يفارقه النجس ، وأراد  
به المخارق والأطمار التى قدم . مصترف الأقدار : هو الله تعالى . ربّ الدار :  
مالكها أو الناظر فى إصلاحها ما ذكره مما لا يفهم له معنى فهو بسطة  
المسكين . وقيل المقيفون جمع مقيف ، وهو الذى يقفوا آثار الناس ، أى يتبعهم  
يطلب لهم شيئاً ، ويدعو لهم . والمدروزين : المسكين ، ودروزة كلمة أعجمية  
معناها الكُدِيَّةِ . والمُشَقِّقِ : الذى يحاكي أصوات الطيور فتجتمع إليه فيصطادها .  
والمجلوز والجلاوز : الشُرطى الذى يتصرف حول للسلطان .

قوله : وليجة ، أى مدخل ، والوليجة : الموضع الذى يلج الإنسان فيه ، أى يدخله  
أو كهف يستتر فيه . القهقرة : الرجوع إلى خلف . ضلّة : ضلاله . المسمى : المشى

بمجة ، أراد أن يشبهه كان لغير فائدة . المحال : ببوسة وجنوف . فوزى =  
 حيني من قبل أن أسكن . الفصص : جمع غصة ، وهي ما يختنق بها ، وتجربها  
 صعب . أرائك . سرر مزينة . طنافس : بسط . ونمارق : مخاد . سجوف :  
 ستور . مرصوفة : مضومة ملصقة ، وجعل البيت بهذه الأمتعة الكثيرة لأنه  
 بيت عرس ، فهي تستعمله ، وإن كان قد رأى في دهليزه مرقعات تدل على  
 فقر ، فإن الغرباء في البلاد يعلقون مرقعاتهم في دهليز الفندق ، وبيته في غاية  
 الرفاهية ، والدار المذكورة ، إنما كانت فندقاً للفقراء الغرباء والمكدين .  
 والجالس في دهليزها : خادم الفندق ، وحين سأله عنها أخبره أنها ليس لها رب  
 معين ، إنما هي دار المكدين والمخارفين<sup>(١)</sup> . وقيل لأحد المكدين : أتبيع  
 مرقعتك ؟ فقال : هل رأيت صائداً يبيع شبكته !

المملك : العروس . يميس : يتبختر ويتبهنس ، مثله في المعنى . حقدته :  
 خدمه وأتباعه ، ويقال : حقد العبد يحقد حقداً ، إذا خدم . وفي الدعاء : « وإليك  
 نسى ونحقد » ، أي نخدمك ونعمل لك ، وقال الشاعر :

حقد الولائدُ بينهنَّ وأسلمتُ بأكفهنَّ - أزمة الأجمال<sup>(٢)</sup>

أبو عبيدة ، يقال : حقد يحقد ، وأحقد يحقد ، وفسر طائوس قوله تعالى :  
 ﴿ بنين وحفدة ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي خدماً ، فهو مطابق للغة ، وفسره ابن مسعود  
 رضى الله عنه بالأختان ، وهو مطابق لما في المقامة ، لأن المكدين لا خدم لهم .  
 وقال الفراء رحمه الله : الحفدة : جمع حafd ، ككامل وكملة .

[ ذكر المنذر الملقب بابن ماء السماء ]

ابن السماء ، الجوهري : ماء السماء لقب عامر بن حارثة الأزدي أبو عمرو  
 مزيقياء ، الذي خرج من اليمن لما أحسن بسيل العرم ، وسمى ماء السماء ،

(١) المخاريف : المحروم (٢) اللسان - حقد ، دون نسبة (٣) سورة النحل ٧٢

لأنه كان إذا أُجذب قومه ما منهم ، أى كفاهم مؤنتهم ، حتى يأتيتهم الخِصْب ، فسكانه خَلَفٌ من ماء السماء . وقيل لولده : بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام ، والعرب تُسمّى أيضاً بنى ماء السماء ، لأنهم يمشون بماء السماء ، قال الأزهري رحمه الله : السّاوة ماء بالبادية ، وكان اسم أمّ المنذر ماء السماء ، فسّمته العرب ابن ماء السماء .

وهو المنذر بن امرئ التيس بن عمرو بن عدى ، وأمه ماء السماء ، وهى امرأة من النّمر بن قاسط <sup>هـ</sup> سميت بذلك لجمالها . ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذ بن فيروز ، خرج فى أيامه رجل يقال له مَزْدك ، فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وألّا يمنع أحدٌ أخاه ما يريده . فدعا قباذ المنذر ليدخل فى هذا المذهب ، فأئف ، وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس ، فطرده قباذ من مملكته ، ونفاه عن الحيرة . ودعا الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المرار ، فأجابه ، وكان الحارث شديد الملك ، فشدّد له ملكه ، وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ يوماً ، فدخل عليه مَزْدك ، فلما رآها قال لُقباذ : ادفعها إلىّ لأفضى حاجتى منها . قال له قباذ : دونكها ، فوثب إليه أنوشروان ، فلم يزل يسأله أن يهب له أمّه حتى قبّل رجله ، فتركها له . فلما هلك قُباذ وتولّى أنوشروان ، وجلس فى مجلسه أقبل المنذر إليه ، وأذن للناس ، فدخل عليه مَزْدك ، ودخل عليه المنذر ، فقال أنوشروان : كنت أتمنى أمنيّتين ، أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهما لى ، فقال مَزْدك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف - يعنى المنذر - وأن أقتل هؤلاء الزنادقة ، فقال له مَزْدك : أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ فقال : إنك لها هنا يابن الزانية ! والله ما ذهب نهن ربح جوربك من أنفى ، مذ قبلت رجلك إلى يومى هذا ، وأمر به ، فقتل وصُلب . وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف ، وصلّ بهم ، وطلب الحارث ، فخرج



حارباً بجميع مامعه ، وأخضر المنذر في طلبهم ، فأخذ من بهي آكل المرار ثمانية وأربعين رجلاً ، فضرب رقابهم وألح في طلب امرئ القيس ، فلحق بالسموم . وتام القصة في الثالثة والعشرين<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

قوله: الأحماء ، أى الأختان . ساسان : شيخ المكدين ، قال الفنجديهي : ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم ، وواضع طرائقهم ومعلمهم . قال أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن الإخشيد السراج المكدي في كتابه : حدثنا أبو بكر البطايرني المكدي ، حدثنا محمد بن علي بن أحمد الفقيه المكدي ، حدثنا مليك ابن صالح المكدي ، قال : سمعت طرارة المكدي ، قال : قال ساسان : ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ قلت : بلى ، قال : هي الكدية .

وقوله: أستاذ الأستاذين ، حدث أحمد بن الحسن ، قال : كنت عند أبي الحسن ابن أبي الفضل ، فدخل رجل فذكر أنه شاعر ، فقال : الشعراء ثلاثة : شاعر وشعور وشعرة ، فأما الشاعر فالفلق ، والشعور المستملح ، والشعرة المستقل لرداءة شعره . والأستاذون ثلاثة : أستاذ في الدين كالعلماء والفضلاء ، وأستاذ في الدنيا كالوزراء والعمال والولاة ، وأستاذ لادين عنده يتعلم منه ولا دنيا ينتفع بها ، كاللججاء ، يسمى أستاذاً والبناء والملاح . وبنو ساسان : ملوك الفرس .

قُدوة : مقدم . الشحاذين : المكدين والشحاذ : الملح في المسألة ، وشحذت السيف بالفت في صقالته . الميجل : العظيم ، يقال : بجلته تبجيلا ، أى عظيمته تعظيماً ، مأخوذ من البجيل والتبجال ، وهو الرجل الضخم ، وفي الحديث : أصبتم خيراً تبجيلا ، أى كثيراً ضخماً . الأغر : المشهور لحسنه . الحججل : الأبيض . شب : ترعرع ونشأ .

(١) انظر ص ١٧٤ ، ١٧٣ من هذا الجزء

فأعجبَ رَهْطَ الصَّهْرِ ما أَسَارُوا إليه ، وأذِنُوا في إِحْضَارِ  
 المنصوصِ عليه ، فَبَرَزَ حينئذِ شيخٌ قدْ أَمَالَ المَلَوَانَ قَامَتَهُ ،  
 ونورَ الفَتَيَانِ ثَغَامَتَهُ ، فتبَاشَرَتِ الجَمَاعَةُ بِإِقْبَالِهِ ،  
 وتبادَرَتِ إلى استقبَالِهِ ، فلَمَّا جَلَسَ على زُرِّيَّتِهِ ، وسكنتِ  
 الضوضاءُ لَهَيْبَتِهِ ، ازدَلَفَ إلى مَسْنَدِهِ ، وَمَسَحَ سَبَلَتَهُ بيدهِ ،  
 ثم قال : الحمد لله المبتدئِ بالإفضالِ ، المبتدعِ للتوالِ ، المتقربِ  
 إليه بالسؤالِ ، المؤمِّلِ لتحقيقِ الآمالِ ، الذي شرَعَ الزَّكَاةَ في  
 الأموالِ ، وزَجَرَ عن نَهْرِ السُّؤَالِ ، وندَبَ إلى مواساةِ  
 المضطرِّ ، وأَمَرَ بِإِطْعَامِ القَانِعِ والمُعْتَرِّ ، ووصفَ عبادهِ المقرَّبينِ ،  
 في كتابه المبينِ ، فقال وهو أصدقُ القائلينِ : ﴿ وَالَّذِينَ فِي  
 أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

أُحْمَدُهُ عَلَى ما رَزَقَ من طُعْمَةٍ هَيَّيَّةٍ ، وَأَعُوذُ بِهِ من اسْتِمَاعِ  
 دَعْوَةِ بِلَانِيَّةٍ . وَأَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له ،  
 إِلَهًا يَجْزِي المَتَّصِدِّينَ والمُتَّصِدَّاتِ ، وَيَحَقُّ الرُّبَا وَيُرْبِي  
 الصَّدَقَاتِ . . . .

\*\*\*

المَلَوَانِ والفَتَيَانِ : الليل والنهار . وثَغَامَتُهُ : شَعْرَتُهُ . نورها : بَيَّضُهَا .  
 والثَّغَامُ : نبت أبيض ، وهو ضرب من البُهْمَى ، منابته الجبال ، إذا أبيضَ أبيضاً  
 بياضاً شديداً .

أبو حنيفة : تنبت الثغامة خيوطاً طُولاً دِقَاقاً من أصل واحد، فإذا جفّت ابيضّت كلها ، وإذا أحمل الثغام ، كان أشدّ بياضاً ، ويشبّه به الشيب ، قال المرار الفقمسى :

أعلاقَةٌ أمّ الوليد بعد ما أفنان رأسك كالثغام المخلص<sup>(١)</sup>

وقال حسان رضى الله عنه :

إمّا نرى رأسى تغير لونه شمطاً فأصبح كالثغام الحول<sup>(٢)</sup>

والثغام : مرعى ، وتعلّفه الخليل ، وقال بشر وذكر الخليل :

فبات ليلة وأديم يوم على البهوى يجرّ لها الثغاما<sup>(٣)</sup>

قوله : زُرَيْبَتُهُ : طِنْفِستُهُ ، والجمع الزرّابى ، وقيل هى الوسائد ، وقيل الثياب الموشاة . والضوضاء : الأصوات . ازدلف : قرّب . مسنده : موضع إسناده . سبّلته : لحيته ، وقيل شاربه .

وهذه الخطبة التى ذكر ، ليس فيها لفظ إلا وهو يتضمّن إشارة للكديّة .

قوله : المبتدِع ، أى الفاعل له قبل أن يفعل . النوال : العطاء . المؤمل : المرجو . شرع : فرض : ونهز السؤال ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال ابن عمران :

(١) اللسان - نعم : « المرار الأسدى »

(٢) ديوانه ٣١٠ .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

(٤) سورة الضحى .



لأن السائل لا يطلب من المستول الدعاء ، إنما يطلب ما يشمع الأعماء .  
 ومما يُستظرف من هذا ما حكى الأصمعي . قال : مرّ بي أعرابيٌّ سائلاً ،  
 قلت له : كيف حالك ؟ قال : أسأل الناس إلخافاً فيمطوني كُرْهاً ، فلا يُؤجرون  
 علي ما يمطوني ، ولا يُبارك لي فيما آخذ ، والممر بين ذلك فان ، والأجل  
 قريب والأمل بعيد .

سأل أعرابي رجلاً يكنى أبا عمرو عند داره ، فقال : يرزقك الله ، فعاد إليه  
 يوماً آخر فقال بمثل ما قال أمسٍ وتنحنح ، فقلتُ منه ضربة ، فقال الأعرابي :  
 إن أبا عمرو لمكبوس الوسطُ إذا سألناه تمطى وصرطُ  
 \* إعطاؤه : يرزقك الله قطُ \*

قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، أى أعلم وأبئن ، ومنه : شهد الله ، أى أعلم  
 وبئن أنه لا إله إلا هو ، ومنه : شهد الشاهد عند الحاكم ، أى بئن له ما عنده  
 وأعلمه الخبر . يحق : يزيل ويستأصل . الربا : الحرام وأصله الزيادة . ويربى :  
 يزيد ويكثر ، أى يضعفها له .

\*\*\*

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ الرَّحِيمِ ، ورسوله الكَرِيمِ ، ابتعته  
 لِيُنسَخَ الظُّلْمَةَ بِالضِّيَاءِ ، وَيُنْتَصِفَ لِلْفُقَرَاءِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ، فَرَفَقَ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَسْكِينِ ، وَخَفَضَ جَنَاحَهُ لِلْمُسْتَكِينِ ،  
 وَفَرَضَ الْحَقُوقَ فِي أَمْوَالِ الْمُتْرِينَ ، وَبَيَّنَّ مَا يَجِبُ لِلْمُقْلِينَ  
 عَلَى الْمُكْتَرِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً تُحْظِيهِ بِالزُّلْفَةِ ، وَعَلَى أَصْفِيَاءِ  
 أَهْلِ الصُّفَّةِ . أما بعد :

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ النَّكَاحَ لِتَتَعَفَّفُوا ، وَسِنَّ التَّنَاسُلِ لِكِي  
تَتَضَاعَفُوا ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ  
ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . وَهَذَا أَبُو  
الدَّرَّاجِ ، وَالْأَجَابُ بْنُ خُرَّاجٍ ، ذُو الْوَجْهِ الْوَقَّاحُ ، وَالْإِفْكَ الصَّرَاحُ ،  
وَالْهَرِيرِ وَالصِّيَّاحِ ، وَالْإِبْرَامِ وَالْإِلْحَاحِ ، يَخْطُبُ سَلِيطَةَ أَهْلِهَا ،  
وَشَرِيطَةَ بَعْلِهَا ؛ قَتَبَسَ بِنْتُ أَبِي الْعَنْبَسِ ، لَمَّا بَلَغَتْهُ مِنَ التَّجَافِيهِ  
بِالْحَافِي ، وَإِسْرَافِهَا فِي إِسْتِفَافِهَا ، وَإِنْكَامِهَا عَلَى مَعَاشِهَا ، وَاتِّعَاشِهَا عِنْدَ  
هَرِاشِهَا . وَقَدْ بَدَّلَ مِنَ الصَّدَاقِ شِلَاقًا وَعُكَّازًا ، وَصِقَاعًا وَكَرَّازًا ،  
فَأَنْكَحُوهُ إِنْكَاحَ مِثْلِهِ ، وَصَلُّوا حَبْلَكُمْ بِجَبَلِهِ ، ﴿ وَإِنْ خَفِمْ  
عَيْلَةً فَسَوْفَ يَغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، وأسأله أن  
يكثُرَ في المصاطبِ نَسَلَكُمْ ، ويحرمس من المعاطبِ شَمْلَكُمْ .

\* \* \*

ينسخ : يزبل . المسكين : الضعيف الدليل . وخفض جناحه : ألان جانبه ،  
فهو مثل اللإشفاق والحنان ، وأصله أن الطائر إنما يخفض جناحه على فراخه ،  
ويُلْحِفُهَا بِهِ شَفَقَةً عَلَيْهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ  
الرَّحْمَةِ ﴾ (١) . وَاسْتَعَانَ : خَضَعَ وَذَلَّ ، وَهُوَ اسْتَفْعَلَ مِنْ كَانَ ، أَصْلُهُ اسْتَكُونُ ،  
نَقَلَتْ حَرَكَةَ الْوَاوِ إِلَى الْكَافِ ، فَانْقَلَبَتِ الْفَاءُ لِتَحْرِكِهَا فِي الْحَكْمِ وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا

(١) سورة الإسراء ٢٤

فهى فى الأصل كاستقام وبابه ، أو يكون افتعل من السكون لأن الغاضع يقلل الكلام ، وأصله استكن ، فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله :

\* قلت وقد جرت على الكمال \*

أراد الكلكل ، وقال تعالى : ﴿ فما استكانوا لربهم وما يتضرهون ﴾ (١).

وأشدد أبو على :

\* فاستكان لالآقى ولا خضماً \*

قوله : المترين : الأغنياء . الزلفة : القرية ، يُترب بها إلى الله تعالى .  
أصفيائه : أحبابه .

الضفة : تشبه : القبلة ، والصفة كالسقيفة ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون إليه من الجهات ، وليس عندهم شيء ، فيسكنون سقائف المسجد ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرس الناس على الصدقة عليهم ، وكان يجلس لهم ، فيعلمهم القرآن . وخصهم الحريرى بالذكر لأن لهم حالة يشبهون بها المكدين ؛ من لباس الخلقان ، والعيش من صدقات الناس ؛ فهم يتأسون بأهل الضفة ، ويجعلونهم حجة على من زجرهم .

ومما يحسن أن ينشد فى هذا المعنى قول ابن عمران :

السائلون عيال الله والمال لله فابذله فيهم خاب من لؤما  
فجد على ثقة بالله من خلف يا ويح من كان للرحمن متمماً !  
واحذر من الرد إن الله يمقته من غير عذر وشوم الشح قد علمياً

الشعوب : جمع شَعْب ، وهو أكبر من القبيلة . الدرَّاج ، كناه بذلك لكثرة حركته . ولَّاج : كثير ألوج على الناس للكُدية . خَرَّاج : كثير الخروج في طلب رزقه ، والولَّاج : الخَرَّاج الذي يُحسن الدخول في أموره والخروج منها ، ويقال : فلان ولَّاج خَرَّاج ، إذا كان متصرفاً في أموره نفاعاً لأوليائه ، ضرَّاراً لأعدائه . والإفك : سوء الكذب . الضَّراح : الظاهر البين ، يريد أنه إذا وصف حالته في كُديته لا يتكلم إلا بالكذب . الهَرِير : كثرة الصياح والشر ، وهَرِير الكلب : صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد . والإبرام : الإبتغال والإضجار ، يريد أنه يوالى الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصَّدقة حتى يفتدوا منه . والإلحاح : المداومة والإكثار من السؤال .

وقدم الخطيئة المدينة في سنة مجدبة ، فمضى أشرفها بعضهم لبعض ، خوفاً من لسانه ، وقالوا : قدم علينا هذا الرجل ، وهو يأتي الشريف منا ، فإن أعطاه جَهْد نفسه ، وإن حرمه هجاه ، فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار فأتوه ، فقالوا : هذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان ، فأخذها ، وظنوا أنهم قد كفوه المسألة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول : من يحملني على بئلين كفاه الله كتيبة النار .

السَّليطة : الحديدية اللسان ، وقد سلطت فهي سليطة . شريطة : موافقة . بعلمها ، أى زوجها ، أى جاءت على شرط زوجها ، فهي مثله في خصالها كلها . قَنبَس : اسمها ، وهو من التبس ، وهى الشعلة ، كأنها لحدتها شعلة نار تمحرق ما مرّت به . عنبس : من العبوس ، ونونه ونون قنبس زائدتان . التعافا : ارتدائها والتوائها فيه . إلحافها : إلحاحها في السؤال . إسفافها : تساقطها على ما تجمع من الناس ، والإسفاف : التتبع لمداق الأمور ، والإسفاف : الدخول في الأمر الدنى ، وقد أسف : تعرض للأمر الدنى . انكماشها : انحفاؤها واجتهادها



تعايشها : قيامها وارتفاعها . هراشها : مشارتها لتقاربها ، والمهارشه أصلها للكلاب ، وهي أن يتراعى الكلبان ويتناجحا ، ويمض كل واحد صاحبه ، فجعل مدافعتها عند الشر لأقرانها ومضارتها كالمراش للكلاب ، ولا تنكل عندهم نجابتها ، حتى تفوق أقرانها في الشر والسب بالقبايح وضرب الكف على ذلك ، وإلا فهي ناقصة . بذل : أعطى . شلاقا : ثوب مرقع ، وليس بمرقى ، وقيل هو شبه المخلاة ، وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز . عكازا : عصا تُقرع بها الأبواب ، وتضرب بها الكلاب . صقاعا : خرقة بالية تجعلها على رأسها . كرازا : إناء تعلقه في ذراعها ، تجعل فيه الصدقة . وقيل : الكرازا إناء لشرب الماء ، وتسميه عامتنا الكرازة ، فكان صدق هذه المرأة ثوبا مرقعا تلبسه للكذبة . وخرقة بالية لرأسها وعصا تُقرع بها الأبواب ، وإناء إما أن تجعل فيه ما يدق من الصدقة أو تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكذبة ، والكرازا هو الخرج ، والكرازا : كبش يحمل عليه الراعى أدواته . عيلة : قرا . شملك : عددكم . المعاطب : الهالك .

وخطأ أبو محمد في الدرّة<sup>(١)</sup> من يذهب من الخواصّ بالعيلة إلى العيال ، وقال : إنما العيلة الفقر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾<sup>(٢)</sup> وتصريف النعل منه عال يعيل فهو عائل ، والجمع عائلة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفي الحديث : «لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكففون الناس» . وأما الذين يمالون فهم عيال ، واحدهم عييل كجديد وجياد ، وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب ، وأعال فهو معيل : كثر عياله ، وعالهم بعولهم . وفي الحديث : « ابدأ بمن تعول » ، ومن كلام العرب : والله

(٢) سورة التوبة ٢٨

(١) درة الفواص ٣٩

(٣) سورة الضحى ٨

(٢٨ - شرح مقامات الحريري ج ٢)

لقد عُلّتُ حتى علتُ أي صنت عيالي حتى افتقرت . وأما قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ لَا تَعُولُوا ﴾ <sup>(١)</sup> فمعناه ألا تجوروا . وقال بعض العرب لحاكم حُكِمَ عليه بما لم يوافقهُ : والله لقد عُلّتَ عليّ في الحكم ، أي جرت ، ومَنْ فَسَّرَ في الآية ﴿ تَمُولُوا ﴾ بأنَّ معناه تكثر عيالك فقد وهم .

• • •

### [رسالة للصابي في التطفيل]

وإذ فرغنا من تفسير هذه الخطبة الهزلية ، وقد قدّمنا أن ابن همام في هذه المقامة طفيليّ ، فنذكر هنا العهد الذي كتب الصابي بأمر معز الدولة لمحمد ابن فريعة اللطيفيّ ببغداد ، وقد استخلفه على التطفيل ؛ فإن هذا العهد يوافق خطبة المقامة في كثير من أغراضها .

وذلك عهد عهده محمد بن عبد الرحمن إلى الفضل بن النعمان ، حين استخلفه على سنّته ، واستناباه على حياة رسومه وسنّته ؛ من التطفيل على أهل مدينة السلام ، وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها ، وما يجري معها من سوادها وبياضها وأطرافها ، لما توسّمه فيه من قلة الحياء ، وشدّة اللقاة ، وكثرة اللقم ، وجودة اللضم .

وأمره أن يتوسّم اسم التطفيل ومعناه ، ويعرف مغزاه ومنحاه ، ويتصفّحه تصفّح الباحث عن حظه بمجهوده ، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده ، فإنّ كثيراً من الناس قد نسب صاحبه لاشْرَه والنَّهْم ، وحمله على الجشع والقرم ، فمنهم من غلط في استدلاله ، فأساء في مقاله ، ومنهم مَنْ شَحَّ بماله ، فدفع عنه

(١) سورة النساء ٨

باحتياله ، وكلا الفريتين مذموم ، وجميعهما مُلِيم ملوم ، ولا يتعلقان بعذر واضح ، ولا يتعريان من لباس فاضح . وقد عُرِفَت يا أختي بالتطفيل ، ولا عار فيه عند ذوى التحصيل ، لأن التطفيل مشتق من الطَّفَل ، وهو وقت المساء وأوان العشاء ، فلما كَثُرَ استُعمل في صدر النهار وعجزه ، وأوله وآخره ، كما قيل : القمران للشمس والقمر ، وكما قيل العمران لأبي بكر وعمر .

وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعطاء بعراياه ، ويسقط الأمر بسرياه ، فإنه يظفر من إرادته بالنعيم الباردة ، ويصل بها إلى الغريبة الشاردة . فيجد بها من ظرائف الألوان ، اللذذة للسان ، وبدائع الطعوم ، السائغة في الحلقوم ، مالا يجده عند غيرهم ، ولا يناله إلا لديهم ، لحِذْق صناعتهم وجودة أدواتهم ، وخِصْب ناديتهم ، وكثرة ذات أيديهم ؛ والله يوفى من ذلك حظنا ، ويُسدّد نحوه لحظنا ، ويوضح عليه دليلنا ، ويستهل إليه سيلنا .

وأمره أن يجتلب التسكرمة ممن يحصل منهم وده ، ويستدعى بالتلطف نائله ورِفْدَه ، وكثيراً ما يتفق ذلك للمداخلين ، ويتيسر للمتوصلين .

وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها ، ويرافق وكلاء المطابخ ومدبريها ، فإنهم يملكون من أصحابهم أزيمة مطاعمهم وهشارهم .

وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين ؛ فإذا رأى وظيفة قد زيد فيها ، أو أطعمة قد احتشد منها ، أتبعها إلى القصد بها ، وشيئها إلى المنزل الحاوى لها ، واستعلم ميقات الدعوة ، ومن يحضرها من أهل اليسار والثروة .

وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ، ومحافل الرّاع المقترين ، وألا ينقل إليها قدما ، ولا يغفر لِمَا كلفها فمًا ، فإنها عصابة تجتمع على مضض النفوس والأحوال . وقلة الأحلام والأموال ، وفي التطفيل عليها إحجاف بها يؤلم .

وإزاء بمروءة التطفيل يشلم .

وأمره أن يحوز الخوان إذا حصل، والطعام إذا نُقل، حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد الألوان في الكثرة والقلة، وافتنانها في الطيب واللذة، فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها، وينتهي عند انتهائها، فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها، ولا يخطئه الحظ من دقيقتها وجليلها. ومتى أحسن بنقلة الطعام وحجره، أمعن في أوله إمعان الكيس في سعيه، والرشيد في أمره، فإنه إذا فعل ذلك سلم من عواقب الأعمار الذين يكفون طرفاً، ويقفون تادباً، ويظنون أن المائدة تُبليغهم إلى آخر حاجتهم، وتنتهي بهم إلى حد غايتهم، فلا يلبثون أن ينجلوا خجلة الواثق الراغب، وينقلبوا بحسرة الراهق الخائب.

وأمره أن يروض نفسه، ويفالط حسه، ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحاً، ويطوى دونه كشحاً، ويستحسن الصمم عن الفحشاء، ويغض عن القمه الخشياء، وإن أته الوكزة في حلقه، صبر عليها لأجل الوصول إلى حقه، وإن وقعت الصفة في راسه، عض عليها بمواقع أضراره، وإن لقيه لاق بالهفاء، قابله بالطف والصفاء، إذا كان ولج الأبواب، وخالط الأصحاب، وجلس مع الحضور، واختلط بالجمهور، فلا بد أن يلقاه المنكر لأمره، ويمر به المستغرب لوجهه، فإن كان حراً حسناً أمسك وتذم، وإن كان فظاً غليظاً همهم وتكلم. وأن يستعمل مع المخاطب له الملاينة، وأن يحتجب عند ذلك الخاشنة. ليرد غيظه ويقل حده، ويكف غرّبه ويأمن سعيه. وأمره أن يتعهد الجوارشات المدة للمدد، والمقوية للمعد، المشهية للطعام، المسهلة لسبيل الانهضام، وأن يكون في اتخاذها كالكتاب الذي يخط أعلامه، والفارس الذي يصقل حسامه.

وأمره إذا غشى أبواب الملوك وأهل السلطان، أن يصانع البواب والحجاب، ويخدم القواد والكتّاب، فإذا دخل السواد الأعظم، توسط الجمع لا يتأخر

ولا يتقدّم ، بعد أن يجمل ثيابه ، ويحسّن كلامه وجوابه ، فطعام الأمراء  
تُدعى إليه الحفلاء احتفالا ، ويُتكمّل بالوفود على العموم اكتفالا .

فهذا المهد مطابق لأحوال هذه المقامة .

[ بعض الخطب الهزلية ]

ومما يتصل بخطبة المقامة من الخطب الهزلية ما حدثوا :

أن رجلا خطب إلى قوم ، وجاء يخطب ، فاستفتح خطبة النكاح بحمد  
الله فأطال ، ثم ذكر خلق السموات والأرض واقتصر ، ثم ذكر القرون حتى  
ضجر من حضر ، ثم التفت إلى الخاطب فقال : ما اسمك أعزك الله ؟ فقال :  
والله قد نسيت اسمي من طول خطبتك ، وهي طالق ثلاثا إن تزوجتها بهذه  
الخطبة . فضحك القوم وعقدوا له في مجلس آخر .

أنكح خالد بن صفوان عبده أمتة ، فقال له العبد : لو دعوت الناس  
فخطبت . قال : ادعهم أنت ، فدعاهم ، فلما اجتمعوا تكلم خالد ، فقال : إن  
الله أعظم وأجل من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين ، وأنا أشهدكم أنني  
قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية .

خطب مضعب بن حيان خطبة نكاح ، فحصر فقال : لقنوا موتاكم « لا إله  
إلا الله » . فقالت له الجارية : عجل الله موتك ، ألمذا دعوناك !

خطب ثقيف في تزويج فأطال ، فقام واحد من القوم ، وقال : إذا فرغ  
الثقيف ، بارك الله لكم ، فإن على شغلا أريد المبادرة فيه .

وخطب رجل امرأة، فجعل يخطب وينعظ، فضرب رأس ذكره بيده وقال:  
مه ! إليك يساق الحديث .

\*\*\*

فلما فرغ الشيخ من خطبته ، وأبزم للخن عقد خطبته ،  
تساقط من النثار ما استغرق حدَّ الإكثار، وأغرى الشحيح  
بالإيثار . ثم نهض الشيخ يستحب ذلأذله ، ويقدم أراذله .

قال الحارث بن همام : فتبعته لأنظر عُرْجَةَ القوم ، وأكمل  
بهجة اليوم . فجاج بهم إلى سباط زينته طهاته ، وتناصفت في  
الحسن جهاته . فحين رجع كل شخص في ربضيه ، وطفق  
يرتع في روضته ، أنسلت من الصف ؛ وفررت من الزحف .  
فحانت من الشيخ لفته إلى ، ونظرة هجم بها طرفه على ، فقال:  
إلى أين يا برم ؟ هلاً عاشرت معاشرة من فيه كرم ! فقلت :  
والذي خلقها طباقا ، وطبقها إشراقا ، لاذت لماقا ، ولا لست  
رُقاقا ، أو تخبرني : أين مدب صباك ، ومن أين مهب  
صباك ؟ فتنفس الصعداء مرارا ، وأرسل البكاء مذرارا ، حتى  
إذا استنزف الدمع ، امتنصت الجمع ، وقال لي : أرعني السمع .

...

قوله: أبرم، أى أحكم وسدّد. وانْحَنَ: ولى الزوجة مثل الأب والأخ وابن العم، فهم الأختان، وكل شيء من قبل الزوج، فهم الأحباء، واحدهم حمًا مثل قفًا، وحمو مثل أبو، وحمّ مهموز، والأصهار تجمهم.

والخطبة: مراسلة المرأة للزوج. والنثار: ما نُثر عليه من الدرهم، وقد نثرت الشيء نثرًا إذا رميت به متفرقًا، وأصحابُ الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كلُّ واحد منهم من الدرهم ما أمكنه، فتجتمع ويشتري منها أنواع الأطعمة، ولذلك قال: أغرى الشيخ بالإيثار: أى حرّضه على أن يتكتم. واستغرق: جاوز. وحدث ابن قتيبة عن أبي عثمان، قال: مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثير، فسألت بعضهم: ما جمعهم؟ قال: هذا سيّد الحى تزوج من فتاة، فتكلم الشيخ فقال: الحمد لله وصلى الله على رسول الله، أما بعد؛ فإن الله جعل المناكحة - التى رضىها فعلا، وأنزلها وحيا - سببًا للمناسلة، وإن فلانا ذكر فلانة، وبذل لها من الصّدّاق كذا، وقد زوجته إياها، وأوصيته بوصية الله فيها، ثم قال: هاتوا نثاركم، فقلبت على رؤوسنا غرائر التمر.

قوله: ذلاذله، أى أطراف ثوبه، والذليل: ما يلى الأرض من أسفل القميص، أراذله: جمع أرذل، وهو الدنى، والرّذُل والمرذَل والرّذيل: الدون. والعُرْجة: التعريج، ويقال: ما عليه عُرْجة ولا تعريج، أى إقامة. وبهجة الشيء: حسنه ونضارته. وعاج: مال. والسّمّاط: كلُّ مُسْتَوٍ على نسق، وصفّ الناس سمّاط وأراد به المائدة. والطّهاء: الطّبّاخون من الناس. تناصفت: اعتدلت، وأنصف كلَّ جزءٍ منها صاحبه، والتناصف: اعتدال الحسن. ربيع: جلس، يقال: ربعت بالمكان: أقمت به، وربعت الحجر: رفعته باليد، لأنظر شدتى. وربيع: وقف وتحمّس. ربضته: موضعه الذى يقعد فيه، والرّبضة: القطعة

الغليظة من التريد . يرتع : يأكل ، وفلان يرتع ، أى هو مخصب لا يعدم شيئاً يريد . الروضة : موضع العشب ، وأراد بها ما بين أيديهم من الطعام . الزحف : الضرب والوثوب إلى الشر ، وأراد أنه لما جلس كل إنسان أن يأكل خشى هو إن جلس للأكل أن يفرم ويشتهر بأنه طفيل ، فيحتاج أن يتدافع ، وأن يتوائب مع صاحب الخانوت في ثمن ما أكل ، فقر من ذلك . والزحف : مشى الأعمى . لفته : نظرة بالتواء ، كأنه يلوى عنقه فينظر ، ولفت إليه لفتا والتفت : صرف وجهه إليه . وهجم : دَخَلَ عليه بغتة . برَم : بخيل ، وهو الذى لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من العزم . والمعاشرة : ترك المخالفة في الصحبة . طباقاً : جمع طبق ، أى هى طبق فوق طبق ، يعنى السماء . وطبقها : ملأها وعمها ، يقال : طبّق الغيمُ تطبيقاً إذا أصاب بمطره جميع الأرض . إشراقاً : نوراً وضوءاً . كَنَاقاً ، الأصمى رحمه الله : هو ما يشرب ، فإن أردت نفيه ، قلت : ما دقت لَمَاقاً ، وأنشد :

كبرقٍ لاح يُعجب مَنْ رآه ولا يشفى الحوائمَ من لَمَاقٍ<sup>(١)</sup>

الحوائم : العطاش ، وحكى يعقوب أن اللماق يصلح في الأكل والشرب ، قال ابن كيسان : هو الشيء اليسير من الطعام والشراب .

لُست رُقاقاً : أكلت خبزاً مرّقا ، واللّوس : تتبع بقية الشيء الحلو في فك . ابن سيده : لاس لوساً : تتبّع الحلاوة ، فأكلها ، وماذاق لوساً ولا لواساً ، أى ذواقا ، ولا يلوس كذا ، أى لا يتناوله .

أو تخبرنى : حتى تخبرنى . أين مدب صباك ، يريد أين ولدت فديت صغيراً . مهب صباك : مجيء ريحك ، وأراد أين بلدك . الصعداء : التنفس بتوابعه .

(١) اللسان - لاق ، ونسبه إلى نهشل بن حرى .



وهي من فعل المهموم . استنزف الدمع : استفرغه بالبكاء حتى انقطع ، ونزف  
وأنزفه : أفناه بالبكاء ، واستنصت : أمرهم بالسكوت .

\* \* \*

مَسَقَطُ الرَّأْسِ سَرُوجٌ وَهِيَ كُنْتُ أَمْوَجُ  
بَلَدَةٌ يُوَجَّدُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ وَيُرُوجُ  
وَرِدُّهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ وَصَحَّارِيهَا مُرُوجُ  
وَبَنُوها وَمَفَانِيهِمْ مَجْمُومٌ وَبُرُوجُ  
جَبَّذَا نَفْحَةٌ رِيًّا هَا وَمَرَاها الْبِهِيحُ  
وَأَزَاهِيرُ رُبَاهَا حِينَ تَنْجَبُ الثَّلُوجُ  
مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَسَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَرُوجُ  
وَلَمَنْ يَنْزَاحَ عَنْهَا زَفَرَاتٌ وَنَشِيحُ  
مِثْلُ مَا لَا قَيْتٌ مُذْخِرٌ زَحْنِي عَنْهَا الثَّلُوجُ  
عَبْرَةٌ تَهْمِي وَشَجْوَةٌ كَلَّمَا قَرَّ يَهِيحُ  
وَهَمُومٌ كُلُّ يَوْمٍ خَطْبُهَا خَطْبُ مَرِيحُ  
وَمَسَاحٌ فِي التَّرَجِّي قَاصِرَاتُ الْخَطُوجُ  
لَيْتَ يَوْمِي حُمٌّ لَمَّا حُمَّ لِي مِنْهَا الْخُرُوجُ

مَسَقَطُ الرَّأْسِ ، يريد الموضع الذي سقط فيه رأسه عندما ولد . أموج :  
أنصرف وأتمحوك ، والمأمج : المضطرب . يروج : يتعجل . وريدها : ماؤها .  
السلسبيل . عين في الجنة ، والسلسبيل الحجر . والمروج : الموضع الخصب . مفانيمهم :

منازلهم . والبروج : منازل القمر، وأراد أنهم في الحسن والرفعة كالنجوم ، وأن دورهم في العلوّ والاستواء كالبروج .

[ مما قيل في الحنين إلى الأوطان ]

وسبقه الحلواني القيرواني إلى هذا التشبيه ، قال يتشوق إلى القيروان بعد خرابها :

ليت شعري وليت حرف تَمِنَ      رُبَمَا عَلِلَ الْفُوَادِ السَّقِيْمَا <sup>(١)</sup>  
 كيف يَا قَيْرَوَانَ حَالُكَ لَمَّا      نثر البين سلكك المنظوما  
 كنتِ أُمَّ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا      فحما الدهر وشيكِ المرقوما  
 نحن أولادها ولكنَّ عَقَّقْنَا <sup>(٢)</sup>      بعد أن لم نطقُ بها أن نقيما  
 دِمْنٌ كَانَتْ الْبُرُوجُ وَكُنَّا      أُمُورًا فِي قِيَابِهَا وَنُجُومَا

وقال السريّ يتشوق إلى الموصل وكان مجلب :

أحلَّ صَبَّوْنَا دَعَاءَ مَشُوقِ      يَرْتَاحُ مِنْكَ إِلَى الْهَوَى الْمَوْمُوقِ <sup>(٣)</sup>  
 فتى أزورُ قِبابَ مَشْرِفَةِ الذَّرَا      فأدور بين النَّسْرِ وَالْعَيُوقِ  
 وأرى الصَّوَامِعَ فِي غَوَارِبِ أَكْمَّهَا      مثل الهوادج في غوارب نُوقِ  
 محرّة الجُذُرَانِ يذبح طيِّبُهَا      فكأنها مبيّةٌ بِخَلُوقِ  
 مُحْرًا تَلُوحُ خِلَالَهَا بِيضٌ كَمَا      فَصَّلتْ بِالْكَافُورِ بَيْنَ <sup>(٤)</sup> عَقِيْقِ  
 كلف تذكّر قبل ناهية النّهي      ظلّين : ظلّ هوى وظلّ حديقِ  
 ففتقرت عِبْرَاتِهِ فِي خَدِّهِ      إذ لا يجير له من التفريقِ

(١) الذخيرة ٢٢٥/١/٤ . (٢) الذخيرة : « نحن أبناءها ولكن غنيما » .

(٣) ديوانه ١٨٦ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

(٤) الديوان : « سمط عقيق » .

وقال الثعالبي : ما نظرت إلى الصوامع مذ برزت من نيسابور إلا ذكرت بيته ، فأرى الصوامع ، واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه وبراعته .

\*\*\*

قوله : ففحة رباها ، أى حركة رائحتها الطيبة . مرآها البهيج : منظرها الحسن . وأزاهير رباها : أنوار كدائها ، وهى جمع أزهار ، وأزهار جمع زهر ، وهو النور . تنجاب : تزول .

ثم قال : مَرُوج هى الموضع الذى أرسى به جنة الدنيا ، أى ثبتت فيه فكانه قال : جنة الدنيا هى مَرُوج . ومَرُوج هذه بلد بقرى وعمارات ، وهى من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة ، والجزيرة انقسمت قسمين : ديار ربيعة وديار مضر ، ومَرُوج من كور ديار مضر ، وهى ثغرية إذا كان للسلدين قوتة يملكونها ، وإذا ضعف اغلبهم الروم ، عليها وهى كثيرة الثلج والبرد .

قوله : ينزاح : يبعد . النشيح : البكاء . والزفرة : تنفس المهموم . زحزحنى : نَعَّانى . تهيمى : تسيل . شَجُو : حزن . قر : سكن . يهيج : يتحرك . خطبها : أمرها مَرِيج : مخطاط . مساع : مواضع تصرفه ، ويكون المسمى مصدراً بمعنى السعى . قاصرات ، أى قصيرة ، وكذا استعمالها لأن فعلها قصر ، واسم فاعلها فعيل مثل ظرف فهو ظريف . اَلْخَطُو : جمع خطوة . عوج : معوجة . يومى حم ، أى يوم موتى قدر ، أراد : ليت أنى مت ولا أرى خروجى منها .

أنس رضى الله عنه قال : النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ، فإن كان لا بد فاعلا ، فليقل : اللهم أحيى ما كانت الحياة خيراً لى : وتوفى إذا كانت الوفاة خيراً لى » .

جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ، وأن يرزقه الله الإنابة » .

وفي معنى وصفه سروج وبكائه عليها، قال الحضرمي<sup>(١)</sup> الأعمى يتشوق إلى القيروان:  
 أيا سقى الله أرض القيروان حياً كأنه عبراني المستهلآت<sup>(٢)</sup>  
 فإنما لذة الجنات تربتها مسكية وحصاها جوهريات  
 أرض أريضة، أقطار مباركة<sup>٣</sup> الله فيها براهين وآيات

وحدثني الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة، أيام قراءتي عليه  
 التوادر والسكامل، وكان رحمه الله ذا كراً بالطريقة الأدبية، مع تميزه بالطريقة  
 الفقهية، فدارت بيني وبينه في إحدى العشيات أنواع من المذاكرات في فنون  
 أدبيات، فاهتز رحمه الله، وهش، وأظهر السرور بي - وأنا يومئذ غلام ما بقل  
 عذارى - فقال: لقد علمت أن بيني وبينك أخوة، قلت: وكيف ذلك ياسيدي؟  
 قال: إني ولدت ببلدك شريش؛ فزدت بالحديث غبطة، واستزدت منه،  
 فقال لي: ومع ذلك فتم قصة مستظرفة:

اعلم أني كنت اجتزت بشرش قافلاً من العدو، مع الفقيه أبي بكر  
 عبد الله بن العربي رحمه الله. فلما صرنا في بطاحها، وبين كرماتها وجنانها،  
 أخذ الفقيه أبو بكر يثني عليها بكل لسان، على كثرة مارأى من البلدان،  
 ويقول: إن الأشياء التي جمعت فيها لانكاد تجتمع في بلدة، من كثرة الزرع  
 والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك، فقلت له: أعلمت أني ولدت بها؟  
 فقال لي أبو بكر: أقول أنت الآن:

\* مسقط الرأس شريش \*

قلت له مجيزاً :

\* وبها كنت أعيشُ \*

قال أبو بكر :

\* بلدة يوجد فيها \*

قلت :

\* كل شيء ويريش \*

قال أبو بكر :

\* وزدها من سلسبيل \*

قلت :

\* وصحارها عريش \*

ثم سرنا في طريقنا على قوافي التسروجية ، فرددناها شريشية ، وقطمنا بها للطريق ونحن لا نشعر ، فكانت أسرّ عشية رأيت ، بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين ، يحدثني عن ابن عربي وابن عبدون الكاتب ونظرهم ، في رياض كلها تزدها على نهر إشبيلية ، وهي أماننا على بهجتها وجمالها ، مادحاً لي ولبلدي ، ليدخل على ذلك السرّة ، نسأل الله أن يبلغه غاية السرور في دار البقاء .

\* \* \*

قال : فَلَمَّا بَيْنَ بَلَدَهُ ، وَوَعَيْتُ مَا أَنْشَدَهُ . أَيَقْنَتُ أَنَّهُ عَلَّامَتُنَا  
أبوزيد ، وَإِنْ كَانَ الْهَرَمُ قَدْ أَوْثَقَهُ بِقَيْدٍ . فَبَادَرْتُ إِلَى مُصَاحَّتِهِ ،  
وَاعْتَنَمْتُ مَوْأَكَلَتَهُ مِنْ صَفْحَتِهِ ، وَظَلْتُ مُدَّةَ مَقَامِي بِعَصْرِ  
أَعْشُو إِلَى شَوَاطِيهِ ، وَأَخْشُو صَدَفَتِي مِنْ دُرِّ الْفَاطِيهِ ، إِلَى أَنْ  
نَعَبَ يَدِنَا غُرَابَ الْبَيْنِ ، فَفَارَقْتُهُ مَفَارِقَةَ الْجَفْنِ لِلْعَيْنِ .

\* \* \*

قوله : وَعَيْتُ ، أَي حَفِظْتُ . عَلَّامَتُنَا : عَلَامِنَا الْمَشْهُور بِالْعِلْمِ . أَوْثَقَهُ : رَبَطَهُ  
وَشَدَّهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْقَبِيلُ مِنَ الْهَرَمِ فِي أَخْبَارٍ وَأَشْعَارٍ حَسَانٍ . مُصَاحَّتُهُ :  
مَعَانِقَتُهُ وَوَضْعُ كَفِّي عَلَى كَفِّهِ .

ابن عمر رضی اللہ عنہما ، قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : « أَيُّمَا  
أَمْرٍ يُصَافِحُ أَخَاهُ لَيْسَ فِي صَدْرِهِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى أَخِيهِ إِحْتَنَهُ لَمْ تَنْفَرَقْ أَيْدِيهِمَا  
حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمَا مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمَا » .  
الإحنته : الحقد .

اغتنمت : حسبتها غنيمة . مؤأكلته : الأكل معه .  
ابن عمر رضی اللہ عنہما : طعام السخى دماء ، وطعام الشحيح داء .

ظلت ، أى دمت ، قال تعالى : ﴿ الَّذِي ظَلَّتْ عَائِدُهُ عَائِدًا كَيْفًا ﴾ (١) ،  
أى دُمت عليه مقيماً . قال سيديويه رحمه الله : أصله : ظلمت . الليث : يقال :  
ظلَّ نهاره صائماً . ولا تقول العرب : ظلَّ - إلا لكل - عملٍ بالنهار ، كما لا تقول :

بات إلا للعمل بالليل . أعشُو : أنظر ببصر ضعيف . شواظه . ناره ، والشواظ  
 لهبُ النارِ الذي لا دخان فيه . صدّقتي : أذني . نعب : صاح . البين : القراق ،  
 والفُراب إذا صاح عندهم تشاءموا به ، وقد تقدّم ذلك . مفارقة الجفن للعين ،  
 أي مسرعاً بقدر ما تفتح عينك .

تم الجزء الثالث من كتاب شرح المقامات للشربشي ويليهِ الجزء الرابع  
 وأوله شرح المقامة الحادية والثلاثين .

## فهرس المقامات

### صنعة

- المقامة الحادية والعشرون الرازية ، تتضمن كون أبي زيد  
واعظا وتعريضه بالأمير ينهاء عن الظلم ٣ - ٣٧
- المقامة الثانية والعشرون الفراتية ، تتضمن تفضيل أبي زيد  
لموضوعى الإنشاء والحساب ٣٨ - ٧٥
- المقامة الثالثة والعشرون الشعرية ، تتضمن كون أبي زيد  
مدعيا على ابنه أنه سرق شعره ٧٦ - ١٧٣
- المقامة الرابعة والعشرون النحوية ، تتضمن إلقاء أبي زيد  
على جلسائه مسائل فى النحو ، على سبيل الإنغاز ١٧٤ - ٢٣٢
- المقامة الخامسة والعشرون الكرجية ، تتضمن كافات الشتاء ،  
وطلب أبي زيد ثيابا يكتسى بها ٢٣٣ - ٢٥٩
- المقامة السادسة والعشرون الرقطاء ؛ تتضمن الرسالة  
التي حروفها على نوعين ، نوع فيها منقوط ، والآخر من  
غير نقط ٢٦٠ - ٢٩٦
- المقامة السابعة والعشرون الوبرية ، وتتضمن طلب الحارث  
ابن همام ناقته الضالة ، وما حصل من أبي زيد معه فى ذلك ٢٩٧ - ٣٢٩
- المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية ، تتضمن وقوف أبي  
زيد بربوة يخطب خطبة عارية من الإعجام ٢٣٠ - ٣٦٨



- المقامة التاسعة والعشرون ؛ تتضمن اجتماع الحارث بأبي  
زيد في الخان ، وكبف صرع أبو زيد أهل الخان بإطعامهم الحلواء  
وأخذه ما لهم ٣٦٩ - ٤١١
- المقامة الثلاثون ؛ تتضمن كون أبي زيد خطيبا في تزويج  
مكديه لثلاثها ٤١٢ - ٤٤٧

## فهرس الموضوعات (\*)

صفحة	
٥٤٤	الطبع والتطبع
٦٤٥	الرعد
٨٤٧	ابن سمعون
١٣ - ١١	نبذ من الأقوال الحكيمة
١٤	نبذ من الأقوال الحكيمة أيضا
٢٠ - ١٧	الموت
٢٧ - ٢٣	ذكر الولاية والمزل والتشكى من الولاة
٢٩ ، ٢٨	بما قيل في اللثغ من الشعر
٣٣ ، ٣٢	ذكر سام وحام ويافث
٣٦ - ٣٣	أخبار عمرو بن عبيد
٤١ - ٣٨	سقى الفرات
٤٢ ، ٤١	ذكر بنى الفرات
٤٣ - ٤٢	القعقاع بن شور
٤٤ ، ٤٣	أشعار في وصف الجليس
٤٥ ، ٤٤	الخور والكور
٤٧ - ٤٥	في وصف السفن
٥٢ - ٤٩	ذكر القلاء
٥٣ ، ٥٢	ما جاء في البارد
٥٤ ، ٥٣	ما جاء في تسميت العاطس
٥٧ ، ٥٦	أصل الثل : عند جهينة الخبر اليقين

(\*) وهى الموضوعات التي وردت في أثناء الشرح .

## صفحة

٦٥ - ٦٢	.. .. .	حائك الكلام
٨٥ - ٨١	.. .. .	السرقاا الشمرية وأنواعها
٩٥ - ٨٥	.. .. .	السرقاا المذمومة
١٠١ - ٩٧	.. .. .	ذكر التحذير من الدنيا وغرورها
١٠٩ - ١٠٤	.. .. .	نبذ في توارا الخواطر
١١٤ - ١١٠	.. .. .	المساجلة ومثل منها
١٢٣ - ١١٧	.. .. .	أشعار في وصف الفلمان
١٢٣	.. .. .	أنواع البلاغة في صناعة الشعر
١٢٧ - ١٢٣	.. .. .	التجنيس
١٣٠ - ١٢٨	.. .. .	التشبيه
١٣١ ، ١٣٠	.. .. .	الاستعارة
١٣٢ ، ١٣١	.. .. .	الإشارة
١٣٣ ، ١٣٢	.. .. .	الإيماء
١٣٣	.. .. .	التلويح
١٣٣	.. .. .	التعريض
١٣٤	.. .. .	التفخيم
١٣٦ ، ١٣٥	.. .. .	المطابقة
١٣٧ ، ١٣٦	.. .. .	التقسيم
١٣٨	.. .. .	التسهم
١٣٩ ، ١٣٨	.. .. .	التتيم
١٣٩	.. .. .	الترديد
١٤١ ، ١٤٠	.. .. .	التجريد
١٤١	.. .. .	التبمع

١٤٢، ١٤١	.. .. .	التبليغ
١٣٢	.. .. .	التصدير
١٤٣	.. .. .	الاستثناء
١٤٤	.. .. .	الالتفات
١٤٧ - ١٤٤	.. .. .	الاعتراض
١٤٩ - ١٤٧	.. .. .	الاستطراد
١٥٠، ١٤٩	.. .. .	حكاية فرسى الرشيد والأمامون
١٥١، ١٥٠	.. .. .	مراتب الخيل في الحلبة
١٥٥ - ١٥١	.. .. .	أشعار في وصف الخيل
١٥٧، ١٥٦	.. .. .	فصل في كفران الصنيع
١٦٥ - ١٦٣	.. .. .	مختار من الشعر في إشارة اللحظ
١٧٣، ١٧٢	.. .. .	قصة السمومل
١٨٠ - ١٧٦	.. .. .	جذيمة ونديماء
١٨٥ - ١٨٠	.. .. .	الزباء
١٩٧ - ١٨٥	.. .. .	فصل في الرياض والبساتين وما ورد فيها من الشعر
٢٠١ - ١٩٧	.. .. .	مما قيل في الشيب والشباب
٢٠٩ - ٢٠٦	.. .. .	ترجمة سيبويه
٢١٢ - ٢٠٩	.. .. .	بعض حكايات النحويين
٢٣٤، ٢٣٣	.. .. .	السكرج
٢٤١ - ٢٤٠	.. .. .	من مقامة البديع البخارية
٢٥٢ - ٢٥٠	.. .. .	ذكر طيبة
٢٥٧ - ٢٥٤	.. .. .	ترجمة ابن سكرة
٢٦٨ - ٢٦٥	.. .. .	قصص في الفرج بعد الشدة
٢٨٥ - ٢٨٢	.. .. .	مما قيل في الحججات

## صفحة

٢٨٩ - ٢٨٧	. . .	منافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة
٣٠٤ - ٢٩٩	. . . . .	أخبار ذى الرمة ومي
٣١٦ - ٢١٤	. . . . .	ذكر أشعب وبعض نوادره
٣٢٠ ، ٣١٩	. . . . .	مما قيل من الشعر في الذباب والبعوض
٣٣١ ، ٢٣٠	. . . . .	ذكر سرفند
٣٣٢ ، ٣٣١	. . . . .	يوم عروبة
٢٣٥ - ٢٣٣	. . . . .	ذكر الحمام وما ورد فيه من الشعر والحكايات
٣٤٣ - ٢٣٢	. . . . .	مما قيل في الأمل والطمع من الشعر
٣٤٦ - ٣٤٣	. . . . .	ذم الدهر ومما قيل فيه من الشعر والحكايات
٣٥١ - ٣٥٠	. . . . .	مما قيل في عجز الأطباء حين يحىء الأجل
٢٦٢ - ٣٥٩	. . . . .	ذكر كسرى
٣٦٥ - ٣٦٣	. . . . .	ذكر دارا
٣٦٧ - ٣٦٦	. . . . .	ذكر الفضيل
٢٧٠ - ٣٦٩	. . . . .	ذكر واسط
٣٧٣ - ٣٧٢	. . . . .	مما قيل من الشعر في الغلمان
٣٨٣ - ٣٨١	. . . . .	ترجمة إبراهيم بن أدهم
٣٨٨ - ٣٨٣	. . . . .	ذكر جبلة بن الأيهم
٣٨٩ ، ٣٨٨	.. .. .	ذكر المغالاة في الصدقات
٢٩٥ - ٢٩٣	. . . . .	أشعار في التطير من الدنيا والزهد فيها
٣٩٩ - ٢٩٨	. . . . .	بعض خطب النكاح
٤٠٨	. . . . .	مما قيل في الاعتراف بالذنوب والطمع في رحمة الله وعفوه
٤١٢	.. .. .	ترجمة المنصور

## صفحة

٤١٣	.. . . . .	ذكر مدينة صور ..
٤١٥	.. . . . .	ذكر مصر ..
٥١٦	.. . . . .	ذكر المقياس ..
٤١٧	.. . . . .	ذكر الأهرام ..
٤١٧	.. . . . .	بعض معالم مصر ..
٤٢٣	. . . . .	أخبار المنذر الملقب بابن ماء السماء
٤٣٧ - ٤٣٤	.. . . . .	رسالة للصابي في التطييل ..
٤٣٧	.. . . . .	بعض الخطب الهزلية ..
٤٤٢	. . . . .	مما قيل في الحنين إلى الأوطان .

المسرة رفع الحمل  
غفر الله له ولوالديه

شكارة

# مَقَامَاتُ الْحَبْرِيِّ

تأليف العلامة أحمد بن عبد الرحمن القيسوني الشافعي

تمت تصحيحه  
معه أمير الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية  
سكة حديد بيروت

البيروت

المسرة رفع الحمل  
غفر الله له ولوالديه

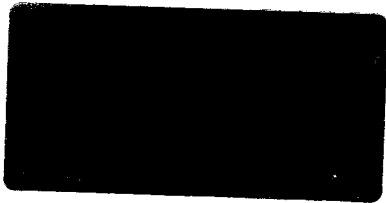
كلية آداب - بنين

# شرح مقامات الحريري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



جامعة الكويت  
إدارة المكتبات - قسم التزوير العربي  
رقم التسجيل: ١٣٦٧٢٤  
التاريخ: ٩٨/٦/٢٨

الجزء الرابع

المكتبة العصرية  
مكتبة - بيروت



جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

الملكيتة العصرية للطباعة والنشر

الذات النشرية الحديثة المطبعة العصرية للنشر

بكيروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تالكس ٤٩١٩٨٤

صعيدا - ص.ب ٢٤١ - تالكس ٤٩١٩٨٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الحاديّة والثلاثون وهي الرملية

حكى الحارثُ بن همامٍ قال : كنتُ في عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ ، وَرِيْمَانَ  
العَيْشِ اللَّبَّابِ ، أَقْلَى الْاِكْتِنَانِ بِالغَابِ ، وَأَهْوَى الْاِنْدِلَاقِ مِنْ  
النِّرَابِ ؛ لِمَلْمَى أَنْ السَّفَرِ ، يَنْفُجُ السُّفْرَ ، وَيُنْذِجُ الظَّفَرَ ، وَمُعَاقِرَةَ  
الْوَطَنِ تَعْقِرُ الْفِطْنَ ، وَتَحْقِرُ مِنْ قَطَنِ ، فَأَجَلْتُ قِدَاحَ الْاِسْتِشَارَةِ ،  
وَاقْتَدَحْتُ زِنَادَ الْاِسْتِخَارَةِ ، ثُمَّ اسْتَجَشْتُ جَأشًا أَثْبَتَ مِنَ الْحِجَارَةِ .  
وَأَضَعَدْتُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ لِلتَّجَارَةِ ، فَلَمَّا خِيَمْتُ بِالرَّمْلَةِ ،  
وَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا الرَّحْلَةِ ، صَادَفْتُ بِهَا رِكَابًا تَعْدُ لِلشَّرَى ، وَرِحَالًا  
تُسَدُّ إِلَى أُمَّ الْقَرْىِ .

. . .

عنفوان وريمان ، معناهما أول . اللباب : الخالص . أقلى : أبيض .  
الاكتنان : الاستتار والإقامة في الكين . والغاب : الشجر المتلف ، وهو بيت  
الأسد ، وأراد به بلده ، وأنه كان يكره الإقامة بها ويحب السفر . أهوى :  
أحب . الاندلاق : الخروج بسرعة وسهولة . والقرباب : وعاء يجعل فيه  
السيف ، وهو غده . السفر : جمع سفرة ، وهي التي يجعل فيها الخبز ويضم عليها

بِحَاقٍ، وتستعمل في السَّفَر . يُنْفِجُ : يُسَكِّرُ ، أى تكثير المأكولات في السفر  
فتنفجُ به . يُبْنِجُ : يولد . الظَّفَرُ : الفوز بالحاجة . معاقرة الوطن : ملازمة بلد  
الإنسان . تعمقِ الفِطْنَ : تميم القلوب وتبليد الأذهان . قطن : سكن وأقام، فيريد  
أن الإقامة في بلد الإنسان تُحَقِّرُ شأنه وتبليد خاطره .

[ مما قيل في الأوطان ]

قال الشاعر :

أنفق من الصبر الجميل فإنه لم يخش فقراً مُنفِقٌ من صَبْرِهِ  
والمرء ليس ببالغٍ في أرضه كالتصنُّفِ ليس بصائدٍ في وَكْرِهِ

وأنشد الفَنَجْدِيَّهَيَّ :

نَقَلَ رِكَابَكَ فِي الْفَلَآ وَدَعِ الْعَوَالِي وَالْقُصُورُ  
فِحَالَهُ أَوْطَانِهِمْ أَشْبَاهُ سَكَانِ الْقُبُورُ  
لَوْلَا التَّفَرُّبُ مَا ارْتَقَى دُرُّ الْبَحُورِ إِلَى التُّحُورُ

وقالوا : مَنْ لَمْ يَصَاحِبِ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ، وَلَمْ يُؤَدِّبِهِ الرِّخَاءَ مَرَّةً وَالشَّدَّةَ أُخْرَى،  
وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الظِّلِّ إِلَى الشَّمْسِ، فَلَا تَرَجُّهُ . وتقدم مثل هذا في التاسعة<sup>(١)</sup> .

وقال أبو العباس الأعمى :

مَلَيْتُ حِمَصَ وَمَلَيْتُنِي فَلَوْ نَطَقْتُ كَمَا نَطَقْتُ تَلَاَحِينًا عَلَى قَدْرِ  
وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَفَارِقَهَا وَالْمَاءُ فِي الْمِزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِي الْغُدْرِ  
أَمَا اشْفَيْتُ مِئِّيَ الْأَيَّامَ فِي وَطَنِي حَتَّى تَضَاقِبَ بِي مَاعِزٌّ مِنْ وَطَرِي  
وَلَا قَضَيْتُ مِنْ سِوَادِ الْعَيْنِ حَاجَتَهَا حَتَّى تَكْرَهُ عَلَيَّ مَا كَانَ فِي السَّفَرِ

(١) الجزء الأول صفحة ٣٣٩ - ٣٤٥

وقال البحرى :

وليس اغترابى من سجستان أننى عدمت بها الإخوان والدار والأهلاً<sup>(١)</sup>  
ولكننى مالى بها من مشا كل وإن الغريب الفرد من يدم الشكلا

ولأبى الفتح البستى عفا الله عنه :<sup>(٢)</sup>

مأ أنصفت بغداد حين توحشت لنزيلها وهى المحل الآنس  
لم يرع لى حق القرابة بحت<sup>(٣)</sup> فيها ولا حق الروة فارس<sup>(٤)</sup>

وتعقب عليه المعرى فى هذا فقال فى أبى القاسم على بن المحسن التنوخى

القاضى :

ذم الوليد ولم أدمم جواركم فقال ما أنصفت بغداد حيتنا<sup>(٥)</sup>  
فإن لقيت وليدا والنوى قذف<sup>(٦)</sup> يوم القيامة لم أعذمه تبيكيتا  
أحسن ما شئت فى تأيس مقرب ولو بلغت المدى<sup>(٧)</sup> أحسنت ماشيتا

وقال أبو الفتح البستى<sup>(٨)</sup> :

وما غربة الإنسان فى شقة النوى ولكنها والله فى عدم الشكل

(١) ديوانه ٢٦٢٩ (عن الشريشى) .

(٢) كذا فى الأصول ، والصواب أن البيت للبحرى ، من قصيدة يمدح فيها على بن يحيى المنجم فى ديوانه ١١٣٣ ، وهما أيضا فى شرح البطاوىسى على سقط الزند ١٦٤١ .

(٣) ط : « بجز » ، تصحيف ، وفى الديوان : « طين » .

(٤) الديوان : « ولاحق الصداقة » .

(٥) سقط الزند ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، وفيه : « حوشيتا » .

(٦) قذف ، أى ببعدة .

(٧) سقط الزند : « المنى » .

(٨) يتيمة الدهر ٤ : ٣١ ، ونسبها إلى أبى سليمان الخطايبى

وإني غريب بين بؤس وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي  
ولأبي بكر بن بغي: (١)

أقمتُ فيكم على الإقتار والعدم لو كنت حرًّا أباي النَّفس لم أقم (١)  
فلا حدِّيقتمكم يُجنِّي لها تمرُّ ولا سماؤكم تنهلُّ بالديم  
أنا امرؤٌ إن نبتتني أرض أندلس جئت العراق فقامت لي على قدم  
ما العيش بالعلم الإحالة (٢) ضعفت وخرقةٌ وكِلتْ بالقعدِ الهرم

وللفقيه أبي محمد بن حزم:

ولى حول أكناف العراق صباية ولاغرؤ أن يستوحش الكليف الصبُّ  
فإن يُنزل الرحمن رَحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكربُ  
هنالك يدري أن للبعد قصة وأن كساد العلم آفته القربُ

\* \* \*

قوله: أجت، أى صرّفت . قداح: سهام . الاستشارة: مشاورة غيره في رأيه ، وإجالة القداح تأتى في الثالثة والأربعين ، واستعمار هنا لمن يستشيره في أمر السفر قداحاً، فإن وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم: «افعل» وإن خالفه فكأنه خرج عليه «لا تفعل» . اقتدحت: ضربت . زناد: ما يكون فيه النار . الاستخارة: طلب الخيرة من الله تعالى . استجشت: حرّكت . جأشا: نفساً، وهى فى سكونها عن السفر كالحجر فلا تتحرك للسفر . أصعدت: طلعت . خيّم: أقمت .

(١) نفع الطيب ٣ : ٤٤٨ .

(٢) النفع : « حيلة » ، « البرم » .

الرَّمْلَة : بلدة بالشام ، سَمَّتها العرب بالرَّمْلَة لما غلب عليها الرمل ،  
وهي من كُور فلسطين ، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا ، وكانت  
لَدَ (١) مدينة فلسطين القديمة ، فلما ولى الخليفة سليمان بن عبد الملك ابقي مدينة  
الرَّمْلَة ، وخرَّب لَدَ ، ونقل أهل لَدَ إليها ، فصارت الرملة مدينة فلسطين .  
ألفيت : تركت . الرَّحْلَة : الارتحال ، وكفى بإلقاء العصا عن الإقامة بعد  
أن تهتأ .

أم القرى : مكة . وكنا نوبنا ترك ذكر مكة لشهرتها ، ثم وجدنا شيخنا ابن  
جُبَيْر قد ذكر فيها أشياء قَلَّ مَنْ يَضْبِطُهَا ، فأثبتناها إعلاماً لمن أحبَّ استطلاعها ،  
وتبرَّكا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى .

### [ ذكر مكة ومعالمها ]

قال شيخنا (٢) : مكة بلد قد وضعها الله تعالى بين جبال محدِّقة بها ، وهي في  
بطن وادٍ ، مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب :  
باب المعلى يخرج منه إلى الجبَّانة بالموضع الذي يعرف بالحجُّون عن يسار  
المرآة إليها جبلٌ في أعلاه نثية ، عليها علم يشبه البرج منها إلى العمرة ، وتعرف  
الثنية بكداء ، وهي التي جعلها حسان موعداً خيل الإسلام في قوله :

\* تُشِيرُ النَّقْعُ مَوْعِدُهَا كَدَاءَ (٣) \*

ومنها دُخِلَتْ مكة يوم الفتح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها  
من حيث قال حسان » .

(١) لد ، بالضم والتشديد ، ذكرها ياقوت وقال : « قرية قرب بيت المقدس ، من نواحي  
فلسطين » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن جبیر الكتاني الأندلسي ، المعروف بابن جبیر ، صاحب الرحلة  
المعروفة باسمه .

(٣) ديوانه ٤ ، وصدوره :

\* عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا \*

والحجون هو الذي قال فيه الحارث بن مُضاض :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا  
أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ<sup>(١)</sup>

وعن يسار المارّ إليها جبل ، وفي جبّانة الحُجُونِ مدفن جماعة من الصحابة  
ذُتِرَت اليومَ قبورهم ، وفيها بَقِيَّةُ علم ظاهر ، وهو موضع خشبة عبد الله بن  
الزبير ، كان في موضعه بناه مرتفع ، فهدّمه أهلُ الطائف غيرَ منهم على  
ما كان يحدّد من لعنة الحجاج صاحبهم . وعن يمينك إذا استقبلت الجبّانة مسجد  
في مَسِيلِ بَيْنِ جِبَلَيْنِ ، وهو الذي بايعت الجنّ فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم ،  
وعلى باب الحُجُونِ طريق الطائف والعراق ، والصُّعود إلى عرفات ، والباب  
بين الشرق والشمال مائلا إلى الشرق<sup>(٢)</sup> .

الباب الثاني: باب السفلى<sup>(٣)</sup> إلى جهة الجنوب، عليه طريق اليمن ، ومنه دخل  
خالد بن الوليد ، يوم الفتح .

الباب الثالث : باب العُمرة يعرف بالباب الزاهر، عليه طريق المدينة والشّام  
وجُدّة ، وهو غربىّ ، ومنه يُخْرَجُ إلى التَّنْعِيمِ ، وهو على فرسخ من مكة ، وهو  
أقرب ميقات للمتمرّين ، وطريقه حسن ، فيه الآبار العذبة المسماة بالشُّبَيْكَة .

وعلى ميل من مكة في طريق التَّنْعِيمِ يُبْنَى مسجد بإزائه حَجَرٌ كالمصطبة ،  
يملوه حجر آخر مسند ، فيه نقش دائر ، يقال إن النبيّ صلى الله عليه وسلم قعد عليه  
مستريحاً عند مجيئه من العمرة ، يمسح الناس خدودهم به تبرّكا . وبمده بقلوة على

(١) تاريخ الطبرى ٢: ٢٥٨ من قصيدة، وبمده في ابن جبير:

بلى نَعْنُ كَنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودِ الْعَوَائِرُ

(٢) رحلة ابن جبير : « إلى الشرق أميل » . (٣) ابن جبير : « السفلى » .

يسار الطريق قبر أبي لهب وامرأته ، قد علاهما جبلان عظيمان من الصَّخْر لرجم الناس على قديم الدهر .

وعلى قدر ميل يُبَاني الزاهر ، وهو مبنيٌّ على جانبي الطريق ، يحتوي على دارٍ وبساتين لأحد المسكينين ، وفيه مكان مستطيل ، عليه كيزان الماء ، ومراكن مملوءة ، وهي القصارى للشرب والطهور ، وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين .

وعلى جانبي الطريق في الزاهر أربعة أجيال : جبلان ، من هنا وجبلان من هنا ، يُذكر أنها التي جعل إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير عليها ، ثم دعاها عند قوله : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ <sup>(١)</sup> .

وعند إجازتك بالزاهر تمرّ بالوادي المعروف بذي طُوَي ، كان ابن عمر رضى الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة ، وفيه نزل النبيُّ عليه الصلاة والسلام عند دخوله ، وفيه مسجد إبراهيم عليه السلام ، وفيه آثار تعرف بالشبيكة . ثم تخرج من الوادي إلى أعلام ، وهي أحجار موضوعة بين الحِلِّ والحرم ، كالأبراج المصفوفة ، فداخلها إلى جهة مكة حَرَم ، وهي كالأبراج ، وآخذة من أعلى جبل ، يعترض عن يمين الطريق في [ التوجه ] <sup>(٢)</sup> إلى العُمرة ، وينشق الطريق إلى جبل عن يساره ، وهما ميقات المعتمرين ، [ وفيها مساجد مبنية بالحجارة ] <sup>(٣)</sup> وخارجها <sup>(٣)</sup> بنجر غلوتين مسجد عائشة رضى الله عنها .

ومن جبال مكة جبل أبي قُبَيْس ، وهو على الحرَم في الجهة الشرقية يقابل الحجر الأسود ، في أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة ، ويظهر حسنُها وحُسْن الحرَم واتساعه وجمال السكبة ، وهو مستودع الحجر الأسود من الطوفان ، حتى أداه إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وفيه قبر آدم عليه السلام ، وهو أحد أخشبي مكة ، والأخشب الثاني المتصل بقميقيمان في الجهة

(٢) من رحلة ابن جبير .

(١) سورة البقرة ٢٦٠ .

(٣) الرحلة : « خارج هذه الأعلام » .



الغربية ، وفيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم ، عند انشقاق القمر .  
ومن جبالها حراء ، على مقدار فرسخ ، ومشرف على منى ، وهو مرتفع  
في الهواء ، كان متمبّد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي اهتز تحته ،  
فقال : اسكن حراء ، فما عليك إلا نبيّ وصدّيق وشهيدان ، لعمر بن الخطاب  
وعثمان بن عفان رضی الله عنهما ، وفيه نزلت أول آية من القرآن ، وهو أخذ  
من المغرب إلى الشمال ، وعلى طرفه الشماليّ جبانة الحجّون المتقدمة .

ومن جبالها جبل ثور ، وهو في الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد ، وفيه  
الغار الذي أوى إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وعلى مقربة من الغار قبة  
جبريل ، وهي عمود منقطع من الجبال ، قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف  
القامة ، وانبسط من أعلى شبه الكفت ، كأنه قبة مبسوطة ، يستظلّ تحتها نحو  
العشرين رجلا ، ومن مكة إلى منى نحو خمسة أميال .

ومنى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط ، وقد خربت اليوم إلا منازل  
يسيرة محدّثة للنزول ، كان الطريق إليها الميدان اتساعاً وانفساحاً . وأول ما يلقى  
التوجه إليها بقرها مسجد البئمة التي عقدها العباس للنبيّ صلى الله عليه وسلم على  
الأنصار ، ثم يُفَضُّ بها إلى جمرّة العقبة ، وهي أول منى وعليها مسجد ، وبها علم  
منصوب شبه أعلام الحرم المذكورة ، يجعله الراعي عن يمينه مستقبلاً مكة ،  
ويرمى بها سبع حصيات يوم النحر أثر طلوع الشمس ، ثم ينحر أو يذبح ،  
ويحلق أو يُقصر ، ومنى كلّها منحر ، ويحلّ له كلّ الأشياء إلا النساء ، وبعدها  
الجمرة الوسطى ، وبها أيضاً علم ، وبين الجمرتين قدر غلوة ، وبعدها بمقدار غلوة  
الجمرة الأولى التي ترمى وقت الزوال ثانياً يوم النحر بسبع حصيات ، وفي الوسطى  
بسبع ، وفي جمرة العقبة بسبع ، فتلك إحدى وعشرون حصاة ، ويُفعل ذلك في  
ثالث يوم النحر ، فتلك اثنتان وأربعون حصاة ، وسبع تقدّمت يوم النحر ،  
فتمكّل تسع وأربعون حصاة .

وفي أثر ذلك ينفض الحاج إلى مكة ، وعند الحجر الأولى يُلقى مجرى الدَّبِيح عليه السلام ، وفي موضع المجرى حَجْرٌ ملصق بجدارٍ فيه أثر قدم صغيرة ، يقال إنها أثر قدمه ، عند تحركه لأنَّ له الحجر إشفاقاً ، فيقبله الناس ويلبسونه تبرّكاً به .

ومسجد الخيف آخر مَنى ، وهو متنوع الساحة ، كأ كبر ما يكون من الجوامع ، وصومعته في رحبة المسجد ، وله في القبلة أربع بلاطات ، وهو مسجد مشهور البركة ، ومن مَنى إلى المزدلفة نحو خمسة أميال ، والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمماً فلها ثلاثة أسماء . ووادي محسّر حدٌّ بين المزدلفة ومَنى . والمزدلفة بسيط من الأرض فسيح حولها صهاريج للماء ، وفي وسط البسيط حلق في وسطها قبة ، في أعلاها مسجد يصعد إليه على أدراج من جهتين ، يزدحم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها ، وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال .

وعرفات بسيط من الأرض [ على ] مدّ البصر ، لو حُسِر الخلائق فيه لوسمهم ، تحديقُ به جبال كثيرة . وفي آخر البسيط جبل الرّحمة ، وهو موقف الناس ، والعلمان قبله ، فما أمامهما إلى عرفات جبل ، وما دونهما حَرَم .

وجبل الرحمة منقطع عن الجبال ، قائم في البسيط ، فهو كُله حجارة . وكان صعب المرتقى ، فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجاً وطبئة يصعد فيها بالدواب الموقرة . وفي أعلاه قبة تنسب لأم سلمة رضی الله عنها ، وفي وسطها مسجد يحديق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر ، يزدحم الناس عليه للصلاة فيه ، فيشرف منه على بسيط عرفات ، وفي أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان، فيها عُرف ، لها طيقان تنسب إلى آدم عليه الصلاة والسلام . وعن يسارها مسجدٌ صغير . وبقرية من العلمين مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بقى منه

الجدار القبلي يخطب فيه الخطيب يوم الوقفة ، ثم يجمع بين الظهر والعصر ، ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين متضرعين ، حتى يغيب قرص الشمس ، ثم يدفع الإمام المالكي بالناس بالنقر دفما ترتج منه الجبال ، فيصلون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة ، فيبيتون بها ، والدنيا كلها شموع مُسْرَجَة ، فإذا صلوا الصبح غدوة النحر وقفوا داعين .

ومزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر ، فإن فيه تقع الهزولة إلى متى ، فإذا بلغوا متى رموا بها جرة العقبة .

ثم يَنْفِرُ الناس إلى البيت المكرم إلى طواف الإفاضة ، وهو كمال الحج .

وأما البيت المكرم فهو قريب من التريبع ، له أربعة أركان : ركن ينظر إلى الشرق وفيه الحجر الأسود ، ومنه ابتداء الطواف . يبعد الطائف عنه قليلاً ، والبيت عن يساره ، ثم يُلبقى بعد ذلك في طوافه الركن العراقي ، وهو ناظر إلى الشمال . ثم الركن الشامي ، وهو ناظر إلى المغرب ، ثم الركن اليماني ، وهو ناظر إلى الجنوب ، ثم يعود إلى ركن الحجر الأسود ، وذلك شوط واحد .

وباب البيت في السّحح الذي بين ركن الحجر والركن العراقي ، وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار ، وما بين الحجر والباب يسمى الملتزم ، وهو موضع استجابة الدعاء ، ويرتفع الباب من الأرض أحد عشر شبراً ونصفاً ، والباب من فضة ، مذقّب بدبع الصّنة ، يستوقف الأبصار حسناً ، وعُضاداته كذلك ، وعلى رأسه لوح ذهب خالص إبريز في سمة نحو شبرين ، وله تقارنا فضة ، كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب ، والباب ناظر إلى الشرق ، وسعته ثمانية أشبار ، وطوله ثلاثة عشر شبراً ، وغلظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار ، وداخل الببت مفروش بالرخام المجزّع ، وحيطانه كلها رخام مجزّع ،

قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج ، مفرطة الطول ، بين كل عمود وعمود أربع خطاً ، ودائرة البيت كله من نصفه الأعلى مطلي بالفضة المذهبة ، يُحْيَلُ إِلَيْكَ أَنهَا صفيحة ذهب لفظها بالجوانب الأربع .

ولبيت خمسة مصابيح ، وعليها زجاج عراقى بديع النش ، أدرجت في وسط السقف ، ومع كل ركن مضواً ، ويُبْنَى الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الأسود وباب الرحمة ، هو الذى يصعد عليه إلى السطح .

والمقام حجر مفسى بالفضة ، ارتفاعه ثلاثة أشبار ، وسعته شبران ، أدلاه أوسع من أسفله ، وآثار القدمين والأصابع فيه ، صُبَّ لِنَا فِيهِ مَاءٌ زَهْمٌ ، فشرباه منه .

ومن الباب إلى الركن العراقى حوض طوله اثنا عشر شبرا وعرضه خمسة أشبار ، وارتفاعه شبر ، هو علامة موضع المقام ، وهو مصب ماء البيت .

وموضع المقام الذى يصلى فيه ما بين الباب والركن العراقى ، وموضع المقام قبة حديد موضوعة إلى جانب قبة زمزم ترفع في أشهر الحج ، وتزال قبة الخشب ، لأنها أجمل ، لازدحام الناس . ومن ركن الحجر إلى الركن العراقى أربعة وخمسون شبرا ، ومن الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار ، فالطويل يتطامن لتقبيله ، والقصير يتناول له .

وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام : سود وحرر وبيض ، تتسع عن البيت مقدار تسع خطاً ، وسائر الحرم مفروش برمل أبيض ، وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة .

والحجر ستة أذرع وهو الذى تركته قريش من البيت ، وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة ، وهى أربعة وسبعون شبرا من داخل الدويرة ، ودور جداره كله مجزّع بديع الإلصاق من الرخام ، وهو مفروش بالرخام الجزّع البديع المتفاريح والتقاطيع ، فراه عجيب .

والحرم له ثلثمائة سوار من الرخام ، وذرع الحَرَمِ في الطول أربعة ذراع ،  
وفي العرض ثلثمائة ذراع ، فتكسيه ثمانية وأربعون مرجما ، وله تسع صوامع  
وتسعة عشر بابا ، أكثرها مفتوح على الأبواب ، منها باب الصفا ، وهو مفتوح  
على خمسة أبواب ، وهو أكبرها ، وعليه يُخْرَج إلى السعى بين الصفا والمروة .  
وللصفا أربع عشرة درجة ، وللمروة خمسة ، وما بين الصفا والمروة ميل ،  
وهو اليوم سوق جميل ، يجمع الفواكه بمكة وحوانيت الباعة يمين وشمال  
فلا يكاد الساعون يخلصون للسعى لكثرة الزحام .

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود ، منها إليه أربع وعشرون خطوة ،  
وداخلها مفروش بالرخام الأبيض وتنور البئر في وسطها من رخام دوره أربعون  
شبرا ، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف ، وغلظه شبر ، وعمقه إحدى عشرة قامة ،  
وعمق الماء سبع ، وباب القبة ناظر إلى الشرق .

ثم ذكر في البيت وما يتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام  
والنقوش وغير ذلك أشياء لا يسع كتابنا ذكرها ، فلنقتصر على هذا القدر <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

فمصفت بي ريح الغرام ، واهتاج لي شوق إلى البيت الحرام ؛  
فزمت ناقتي ، ونبذت علقتي وعلاقتي  
وقلت للآئمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام .  
وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام .  
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل ، لهم في السير جربة

(١) رحلة ابن جبير صفحة ٨٢ وما بعدها ، مع تصريف .

السَّيْلِ ، وإلى الخَيْرِ جَرَمِي الخَيْلِ ؛ فلم تَزَلْ بين إِدْلَاجٍ وتَأْوِيبٍ ،  
وإِيحَافٍ وتَقْرِيبٍ ، إلى أَنْ حَبَبْنَا أَيْدِي المَطَايَا بِالثُّحْفَةِ ، في إِيصَالِنَا  
إلى الجُحْفَةِ ؛ فَحَلَلْنَاهَا مُتَأَهِّبِينَ لِالإِحْرَامِ ، مُتَبَاشِرِينَ بِإِدْرَاكِ المَرَامِ ،  
فَلَمْ يَكْ إِلَّا أَنْ أَنَخْنَا بِهَا الرِّكَّابَ ، وَحَطَطْنَا الحُقَاتِبَ ، حَتَّى طَلَعَ  
عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ الهِضَابِ ، شَخْصٌ ضَاحِي الإِهَابِ ؛ وَهُوَ يُنَادِي :  
يَا أَهْلَ ذَا النَادِي ، هَلُمَّ إِلَى مَا يُنَجِّي يَوْمَ التَّنَادِي . فَانْحَرَطْ إِلَيْهِ  
الحَجِيجُ وَانصَلَّتُوا ، وَاحْتَفُوا بِهِ وَانصَتُوا . فَلَمَّا رَأَى تَأَثُّفَهُمْ حَوَلَهُ ،  
وَاسْتَعْظَاهُمْ قَوْلَهُ ، تَسَمَّ إِحْدَى الآكَامِ ، ثُمَّ تَمَنَّحَ مُسْتَفْتِحًا  
لِلكَلَامِ ، وَقَالَ :

\* \* \*

قوله : عصفت ، تحركت واشتدَّت . الغرام : الشوق . احتاج : تحرك .  
زمت : شدت زمامها . نبذت : رميت . علقى : ما يتعلق به ويُمْسِكُهُ عَنْ  
إِرَادَتِهِ . علاقتي : ما يتعلق بقلبي . أقصِرْ : كَفْ . المقام : مقام إبراهيم عليه  
عليه السلام . المقام : الإقامة . وجمع : اسم المزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس  
فيها . الحطيم : حَجَرٌ بِمَكَّةَ . الحطام : كسب الدنيا . انتظمت : ارتفعت .  
كنجوم الليل ، أي هم أشراف وأهل أحساب . جَرِيَّةٌ : انصباب . الإِدْلَاجُ :  
سَيْرُ اللَّيْلِ . تَأْوِيبٌ : سَيْرُ النَّهَارِ . إِيحَافٌ : إِسْرَاعٌ . تَقْرِيبٌ : جَرِيٌّ مُتَقَارِبٌ .  
حَبَبْنَا : أَوْصَلْنَا وَأَعْطَيْنَا . الثُّحْفَةُ : الهَدِيَّةُ . إِيصَالِنَا : تَوْصُلْنَا .

الجُحْفَةُ مِيقَاتُ أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ البَحْرِ ثَمَانِيَةُ أَمْيَالٍ .  
حَلَلْنَاهَا : نَزَلْنَا فِيهَا . الإِحْرَامُ : الدخول في الحَرَمِ . مُتَبَاشِرِينَ : يَبْشُرُ  
بَعْضُنَا بَعْضًا . بِإِدْرَاكِ المَرَامِ : بِلَوْغِ الحَاجَةِ . أَنَخْنَا الرِّكَّابَ : بَرَكْنَا الإِبِلَ

بالأرض . حططنا الحقائق : أنزلنا الأحمال عن ظهورها . الهضاب : الكُدَى ،  
واحدتها هَضْبَةٌ . ضاحى الإهاب : بارز الجلد ، أى ثوبه خَلَقَ لا يستره .  
التنَادَى : المنزل . هَلَمْ ، أى أقبلوا . يوم التنادى ، أى يوم البعث لاجتماع الناس  
فيه ، أو لأنه ينادى للحساب . انخرط : اندفع بسرعة . الحجيج : اسم لجماعة  
الحجّاج . انصلتوا : خرجوا إليه مسرعين . احتمفوا : استداروا : وأنصتوا :  
سكتوا . تأثفهم : اجتمعهم وثبوتهم حتى صاروا له كالأنثى للقدّر . استطامهم  
قوله : استدعاءهم كلامه . تسّم : ارتفع عليها ، وأصل « تسّم » ركب البعير ،  
الآكام : الكُدَى .

\*\*\*

يَا مَعْشَرَ الْحِجَّاجِ ، النَّاسِلِينَ مِنَ الْفِجَاجِ ، أَتَعْقِلُونَ مَا تُوَجِّهُونَ ،  
وإِلَى مَنْ تَتَوَجَّهُونَ ! أَمْ تَدْرُونَ عَلَى مَنْ تَقْدَمُونَ ، وَعَلَامَ تُقْدَمُونَ !  
أَتَحَالُونَ أَنَّ الْحِجَّ هُوَ اخْتِيَارُ الرِّوَا حِلِّ ، وَقَطْعُ الْمَرَا حِلِّ ، وَاتِّخَاذُ  
الْمَحَامِلِ ، وَإِيقَارُ الزَّوَامِلِ ! أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ النَّسْكَ هُوَ نَضْوُ  
الْأُرْدَانِ ، وَإِنضَاءُ الْأَبْدَانِ ، وَمُفَارَقَةُ الْوُلْدَانِ ، وَالتَّنَائِي عَنْ الْبُلْدَانِ ؛  
كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ اجْتِنَابُ الْخَطِيئَةِ ، قَبْلَ اجْتِلَابِ الْمَطِيئَةِ ، وَإِخْلَاصُ  
النِّيَّةِ ، فِي قَصْدِ تِلْكَ الْبَيْتَةِ ، وَإِنْحَاضُ الطَّاعَةِ ، عِنْدَ وَجْدَانِ  
الاسْتِطَاعَةِ ، وَإِصْلَاحُ الْمَعَامَلَاتِ ، أَمَامَ إِعْمَالِ الْيَعْمَلَاتِ !

...

الناسلين : المسرعين . الفِجَاجِ : الطرق . وتعقلون : تفهمون . تواجّهون :  
تستقبلون بوجوهكم ، يربد البيت . إلى مَنْ تَتَوَجَّهُونَ : تقصدون . الرواحل :

الإبل . المراحل : المواضع يُرحل إليها وينزل فيها . الحامل : آلات من خشب يركب عليها ، واحدها محمل ، يقال : إن الحجاج أول من أحدثها ، ولذلك قال الشاعر :

أولُ عبدٍ صنع الحاملا أخزاه رنى عاجلا وآجلا

قوله : لزوامل : جمع زاملة ، وهي البعير وغيره من الدواب يحمل عليها الطعام . وإبقارها : رفع الأوقار عليها ، وهي الأحمال ، والوقر : الحِمل . النسك : التعمّد ، نضو الأردن ، تجريد المحيط من الثياب . العنأى : التباعد . اجتناب بُعد ، واجتنبته : بعدت عنه وتركته . الخطية : الذنب ؛ يريد أن أول ما يجب على الحجاج أن يقدموا التوبة . والبنية ، هي السكبة . إمحاض : إخلاص . وُجدان : إصابة . الاستطاعة : القدرة على الشيء ، وهي شرط وجوب الحج . المعاملات : الأعمال التي يتعامل بها الناس بينهم من المبايعات وغيرها ، وأراد إصلاح فعل العباد بينه وبين ربه . أعمال اليعمّلات : استعمال الإبل للمشي ، واليعمّلة : الناقة تعمل كثيرا في المشي .

° ° °

فوالذي شرعَ المناسِكَ للناسِكَ ، وأرشدَ السَّالِكَ في اللَّيْلِ  
الحالِك ، ما يُنقِي الاغتِسَالُ بالدُّنُوبِ ، مِنَ الانْعِمَاسِ في الذُّنُوبِ ،  
وَلَا تَعْدِلُ تَعْرِيفَةُ الأَجْسَامِ ، بِتَعَبُّهِ الأَجْرَامِ ، وَلَا تُغْنِي لِبَسَّةُ  
الإِحْرَامِ ، عَنِ المُتَلَبِّسِ بِالْحَرَامِ ، وَلَا يَنْفَعُ الاضْطِباعُ بالإِزارِ ،  
مَعَ الاضْطِلاعِ بالأَوْزارِ ، وَلَا يُجْدِي التَّقَرُّبُ بِالْحَلْقِ ، مَعَ  
التَّقَلُّبِ في ظُلْمِ الخَلْقِ ، وَلَا يَرَحُصُ التَّنَسُّكُ في التَّقْصِيرِ ،  
دَرَنَ التَّمَسُّكِ بالتَّقْصِيرِ ، وَلَا يَسْعَدُ بِمَعْرِفَةٍ ، غَيْرُ أَهْلِ المَعْرِفَةِ ،  
وَلَا يَرْكُوُ بِالْخَيْفِ ، مَنْ يَرْغَبُ في الخَيْفِ ، وَلَا يَشْهَدُ المَقَامَ ،  
( ٢ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



إِلَّا مِنْ اسْتَقَامَ ، وَلَا يَحْطَى بِقَبُولِ الْحَجَّةِ ، مَنْ زَاغَ عَنِ الْمَحَجَّةِ ،  
فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَفَا ، قَبْلَ مَسْعَاهُ إِلَى الصَّفَا ، وَوَرَدَ شَرِيعَةَ  
الرِّضَا ، قَبْلَ شُرُوعِهِ عَلَى الْأَضَا ، وَنَزَعَ عَنِ تَلْبِيسِهِ ، قَبْلَ نَزْعِ  
مَلْبُوسِهِ ، وَفَاضَ بِمَعْرِفِهِ ، قَبْلَ الْإِفَاضَةِ مِنْ تَعْرِيفِهِ . ثُمَّ رَفَعَ  
عَقِيرَتَهُ بِصَوْتِ أَسْمَعَ الثَّمَمِ ، وَكَادَ يُرْغِزُ الْجِبَالَ الثَّمَمَ .

\* \* \*

شرع : فرض . المناسك : مواضع الذبح والنحر ، والناسك : الذى يأتى  
بذُنُوكِ ، وهو ما يُذبح أو ينحر فى الحرم . أرشد السالك : على الطريق للشى  
فيها . الحالك : الشديد السواد . الذنوب : الدلو . الانفاس : الفطس ، يريد  
أن التطهر لا يزيل الذنوب . وما أحسن قول الخلواني فى غلام وسيم أراد  
النهوض للحج :

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صِغَرٍ      عجلتَ فاستأْنِهْ إِلَى الْكَبَرِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي مَثُوبَةً فَعَسَى      تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إِلَى الْحَجْرِ  
وَإِنْ رَمَيْتَ الْجَارِ فَارْمِ بِهَا      كُلَّ فَوَادٍ عَلَيْكَ لَمْ يَطِرِ  
فَقَالَ دَعْنِي وَزَمَزَمًا فَعَسَى      أَغْسِلُ عَنْ وَجْنَتِي دَمَ الْبَشْرِ

قوله : تعمدل ، أى تقاوم وتساوى . الأجرام : الأجسام ، واحدها جِرْمٌ .  
تعبئة الأجرام : تحمّل أعباء الذنوب . لبسة : هيئة اللباس . التلبس : التعلق  
والاختلاط . الاضطباع : الاشمال والالتحاف ، واضطبع الرجل بثوبه ، إذا  
أدخله تحت عضده الأيمن وألقاه على منكبيه الأيسر ، والاضطلاع : القيام بها .  
والأوزار : أثقال الذنوب . يجدى : ينفع . يَرْحَضُ : يغسل . التقصير : الأخذ  
من الشعر . دَرَنَ : وسخ . التمسك : التعلق . التقصير : التضبيع ، وترك الاجتهاد ،

(١) الذخيرة لابن بسام ٢٢١/١/٤ ، وهو الشاعر الأندلسى عبد الكريم بن فضال ،  
المعروف بالخلواني .

عَرَفَة: يوم من أيام الحج، سُمِّيت بذلك لأن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة، نزل بالهند، وحواء بمجدة فالتقيا بعرفة، نُسِمِيَ موضع التقائهما ويوم التقائهما عَرَفَة، وقيل: هي من العرف وهو الصَّبر، ورجل عارف، أى صابر، فسُمِيَ الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء. وقيل: هي من العرف، وهو الرِّيح الطَّيِّبة، لأنها طَيِّبة بنسبتها إلى منى لما بَمِنَى من أقدار الفروث والدماء لأن بَمِنَى يُنحر الهدى. يزكو: يكون نامياً، والزكاء: النماء والصلاح. والخيف: موضع بمكة سمي بالخيف، وهو ما ارتفع من الأرض عن موضع السيل، وانحدر عن غَلَطِ الجبل. والخيف: الظلم. يحظى: يسعد ويظفر. زاغ: مال وخرج. الحجَّة: الطريق المستقيم. صفا: خلص قلبه. مَسَعاه: سعيه وجَرَّيه. الصفا: صخرة بمكة. ورد: دخل. شريعة الرِّضا: طريقة الخير، والشريعة فى النهر والغدير: الطريق. يهبط عليه إلى الماء، وبه سُمِّيت شريعة الدين لأنه طريق موصل إلى الله تعالى، فورَد الشريعة، دخل فيها، ووصل إلى الماء، وشرعت الدواب فى الماء: دخلت فيه. الأضا: الغدران. نزع: زال وكف. تلييسه: تخليطه، والإفاضة: آخر الطواف. تعريفه: وقوفه بعرفة. عميرته: كناية عن صوته يُزعزع: يجرِّك. الشم: المرتفعة.

\* \* \*

وأُشَد:

ما الحجَّ سَبْرَكَ تَأْوِيًّا وَإِذْ لَاجَا وَلَا اِعْتِيَامَكَ أَجْمَالًا وَأَحْدَا جَا  
 الحجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَلَى  
 تَجْرِيدِكَ الْحَجِّ لَا تَقْضِي بِهِ حَاجَا  
 وَتَمْتَطِي كَاهِلَ الْإِنصَافِ مُتَّخِذًا  
 رَدْعَ الْهَوَى هَادِيًا وَالْحَقَّ مِنْهَا جَا

وَأَنْ تَوَاسَى مَا أُوتِيَتْ مَقْدَرَةً      مَنْ مَدَّ كَفًّا إِلَى جَذْوَاكَ مَحْتَا  
فَهَذِهِ إِنْ حَوَّتْهَا حَجَّةٌ كَمَلَتْ      وَإِنْ خَلَا الْحَبْحُ مِنْهَا كَانَ إِخْدَا  
حَسْبُ الْمَرَاثِينَ غَبْنَا أَنَّهُمْ غَرَسُوا

وَمَا جَنَوْا وَلَقُوا كَدًّا وَإِزْعَاجًا  
وَأَنَّهُمْ حُرِمُوا حِرْزًا وَمَخْمِدَةً

وَأَلْمُوا عِرْضَهُمْ مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَى  
أَخِيَّ فَاذْبَعْ بِمَا يُبَدِّيه مِنْ قُرْبِ      وَجْهَ الْمُهَيَّبِينَ وَالْأَجَا وَخَرَّاجَا  
فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ

إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى  
وَبَادِرِ الْمَوْتِ بِالْحُسْنَى تَقَدَّمَهَا

فَمَا يُبَيِّنُهُ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا  
وَاقِنِ التَّوَاضُعَ خُلُقًا لَا تَرَائِيْلُهُ      عَنكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَاكَ التَّاجَا  
وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لِأَخٍ بَارِقُهُ

وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ مُجَاجَا  
مَا كُلهُ دَاعٍ بِأَهْلِ أَنْ يُصَاحَ لَهُ

كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعِي بَعْضُ مَنْ نَاجَى  
وَمَا اللَّيْبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِمًا

يُؤَلِّفُهُ تُدْرِجُ الْأَيَّامَ إِذْ رَاجَا  
فَكُلُّ كَثْرٍ إِلَى قُلٍّ مَغْبِيَةٌ      وَكُلُّ نَازٍ إِلَى لِينٍ وَإِنْ هَاجَا

\*\*\*

اعتيامك : اختيارك . أخذاجاً : جمع حِدْج ، وهو ما يجعل على ظهر  
 البعير ، يُركب عليه . حاجاً : جمع حاجة . تمتطى : تركب . كاهل : مقدم  
 الظهر . رذع : كفّ وردّ . هادياً : دليلاً . منهاجا : طريقاً . تواسى : تعطى .  
 جدواك : عطيتك . حَوَّتها : جمعتها . إخداجا : نقصاناً . المرائين : المظهيرين  
 الخير ، وهم على خلافه . وحسب ، بمعنى يكفى . كدّاً : عجلة وشدة . الإزعاج :  
 ضد السكون والقرار ، وأزعجته : لم تدعه يستقرّ . حرزا : تحصيل ، وأحرزه :  
 جملة تحت حرز . ألمهوه : أمكنوه من لجه . العرّض : ما يسبّ من الرجل أو  
 يمدح . هاجى : شاتم وسابّ .

### [ ذكر المرائين وما قيل فيهم ]

ومما قيل في الرياء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشرك  
 الأصفر . قالوا : وما الشرك الأصفر ؟ قال : الرياء » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا رياء ولا سُمة من يسمع يسمع الله به » .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « من أسرّ سريرة ألبسه الله رداها ؛ إن خيراً  
 نغير ، وإن شراً فشر » .

وقال : « من أصلح سريرته ، أصلح الله علانيته » .

وقال الشاعر :

وإذا أظهرت شيئاً حسناً      فليسكن أحسن منه ما تسيرُ  
 فمسيرُ الخير موسومٌ به      ومسيرُ الشرّ موسومٌ بشرُ

وقال يحيى بن أكرم :

يقول لى القاضى معاذ مشاوراً      وولى أمراً فيما يرى من ذوى الفضلِ  
 بعينك ماذا تحسبُ المرء فاعلا      فقلت وماذا يفعل الذئب فى النحلِ !  
 يدقُّ خلاياها ويأكلُ شهدَها      ويترك للزُّبال ما كان من فضلِ

وأشدد الفرزدق :

رئيس السوق محمود السجايبا  
نسميه بيحيى وهو ميت  
يعاف الورد إن ظمئت حشاه  
ولالأبيض فى الفقهاء المراثين :

أهل الرياء لبستم ناموسكم  
فلكم الدنيا بذهب مالك  
وركبتم شهب البقال بأشهب  
كالدثب يدلج فى الظلام العاتم<sup>(١)</sup>  
وقسمتم الأموال بابن القاسم  
وبأصغر صبت لكم فى العالم<sup>(٢)</sup>

وله فى نحوه أيضاً :

قل للإمام سنا الأئمة مالك  
لله درك من همام ماجد  
فضيت محمود النقية طاهراً  
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل  
تشكوك دنيا لم تزل بك برّة  
نور العيون ونزهة الأسماع<sup>(١)</sup>  
قد كنت راعيناً فنعم الراعى  
وتركتنا فنعماً لشر سباع  
طاوى الحشى متكفت الأضلاع  
ماذا رفعت بها من الأوضاع !

وفى الإسرائيليات : جاءت عصفورة ، فوفقت على فتح ، فقالت له : مال  
أراك منحنيًا ؟ قال : لكثرة صلاتى انحنيت ، قالت : فمالى أراك بادية عظامك ؟  
قال : لكثرة صيامى بدت عظامى ، قالت : فما هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتى  
لبست الصوف ، قالت : فما هذه الحبة فى يدك ؟ قال : قربان إن مرّ بى مسكين  
ناولته إياها ، قالت : فإنى مسكينة ، قال : خذها قبضت على الحبة ، فإذا الفخ  
فى عنقها ، فصاحت : قى قى . تفسيره : لا غرنى مرأ بعدك أبدا .

(١) فتح الطيب : ٣ : ٤٤٨ .

(٢) ابن القاسم وأشهب وأصغر ، من فقهاء المالكية .

قال الشاعر :

نعوذ بالله من أناسٍ نَشِيخُوا قَبْلَ أَنْ يَشِيخُوا  
تَقَوَّسُوا وَانْحَنَوْا رِيَاءً فَاحْذَرَهُمْ إِنَّهُمْ فَنخُوحُ  
وكان صائدٌ يصيد المصافير في يوم بارد ، فكان يذبحها والدموع تسيل ،  
فقال عصفور لصاحبه : لا بأس عليك من الرجل ، أما تراه يبكي ! فقال له الآخر :  
لا تنتظر دموعه ، وانظر ما تصنع يداه .

ورأى بعضهم ثم هتك الله ستره ، فقال :

بَيْنَا أَنَا فِي تَوْبَتِي مَقْبَلًا قَدْ شَبَّهُونِي بِابْنِ دَوَادٍ  
وَقَدْ حَمَلْتُ الْعِلْمَ مُسْتَظْهِرًا وَحَدَّثُوا عَنِّي بِإِسْنَادٍ  
إِذْ خَطَرَ الشَّيْطَانُ بِي خَطَرَةً نَكَسْتُ مِنْهَا فِي أَبِي جَادٍ  
ابن دَوَادٍ : عابد بمكة .

صلى رجل مرء فقيل له : ما أحسن صلاتك ! قال : ومع ذلك فإني صائم .  
وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله للروزي : كم لك منذ نزلت العراق ؟  
قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة ، قال : يا أبا عبد الله  
سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .

وأمر عمر لرجل بكيس ، فقال : آخذ الخيط ؟ فقال عمر : ضع الكيس .

وكتب رجل عند الحسين كتاباً فقال : أتجعلني في حلٍ من تراب الحائط ؟  
فقال : يا أخى بلٍ ورعك لا يتكتم .  
وأخبارهم كثيرة .

\* \* \*

قوله : ابغِ أى اطلب : القرب : أفعال البرّ التي تقرب من الله تعالى ، واحدها  
قُرْبَةٌ . ولأجاً وخرّاجاً ، أى كيف تصرف فيها . داجى : سائر العداوة وناقق .

الحسنى : اسم لفعل الحسن ، وتكون الحسنى مؤنثة الأحسن فتلزمها اللام ،  
كالكبرى والأكبر وبابه ، وتكون الحسنى كالبشرى والرُّجعى .

ينهنه يزجر ويكف . فاجى : جاء بفتة ، ولبعضهم :

وهل نحن إلا سراى السهامِ      ويحفزها نابلٌ دائبٌ  
طرائدُ تطلبنا النائبات      ولا بد أن يدرك الطالبُ  
حبالُ للدَّهرِ مبنوثةٌ      يُردُّ إلى جذبها الهاربُ

وقال آخر فى معناه :

تَحَارِبْنَا جُنُودَ لِأُتْحَارَى      وَلَا تَلْقَى بِأَسَادِ الْحُرُوبِ  
تَفُوتُ أَسْهَمَاً عَن ظَهْرِ غَيْبِ      وَمَا أَغْرَضَهَا غَيْرَ الْقُلُوبِ  
فَأَنَّى بِاحْتِرَاسٍ مِّنْ جُنُودِ      مُؤَيَّدَةٌ تَمُدُّ مِنَ الْغِيُوبِ

وقال ابن جبلة :

وأرى الليالى ما طوت من شيرتى      زادته فى عِظَتِي وفى إِفْهَامِي<sup>(١)</sup>  
وعلمت أن المرء من سنن الردى      حيث الرمية من سهام الراى

قوله : أقرن ، أى اكتسب والتزم . خُلُقًا : طبيعة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَوَاضَعَ لِّلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ » .

وقالت الحكماء : كل ذى نعمة محسود عليها إلا للتواضع .

وقال عبد الملك : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وعفا عن قدرة ،

أنصف عن قوّة .

وقال رجل لبكر بن عبد الله : علمنى التواضع ، فقال له : إذا رأيت من  
وأكبر منك فقل : سبقتنى إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير منى ، وإذا رأيت  
هو أصغر منك ، فقل : سبقته إلى الذنوب فهو خير منى .

وقال أبو العتاهية :

يامن تشرفَ بالدنيا ولذتها ليس التشرفُ رفعَ الطَّينِ بالطَّينِ<sup>(١)</sup>  
إذا رأيتَ شريفَ القومِ كلَّهم - فانظر إلى مَلِكٍ في زِيِّ مسكين

وقال أبو الفتح البستي :

من شاء عيشاً رغيداً يستفيدُ به في دينه ثمَّ في دنياه إقبالا<sup>(٢)</sup>  
فلا ينظرونَ إلى مَنْ فوقه أدبا - وainظرونَ إلى مَنْ دونه مالا

قوله : لا تَشِيمُ ، أى لا تنظر . خالٍ : سحاب . لاح بارقه ، ظهر برقه : تراهى :  
تظاهر . هَتُون : كثير الماء . السَّكْب : الصَّبَّ نَجَاجاً : صيباً ، نَج الماء ينجم نجا  
ونجمته أنا . يُصاخ : يسمع . أصمَّ : كسب الصمم . والنمى : الخبر بالموت .  
ناجى : حَدَّث . اللبيب : العاقل . بُلغة : قوت يوم . تدرج تطوى . كثر :  
كثرة . قُل : قلة . مغبته : عاقبته وآخره . ناز : مرتفع ، ونزاً الفحل ينزو نزواً :  
قفز على الأثى . لين : فتور . هاج : اضطرب ، ويروى : « وكل نازٍ إلى لين » وهو  
الصحيح ، أخذه من المثل : فلان ينزو ويلين ، يقول : لا ننخدع بما يكون له ظهور  
في ملبسه وميئته ، فقد يخيب ظنك وتقل فائدته ، أو يكون مضراً لانفعا كما قد  
ينادى بك ، فتظن النداء لمنفعة ، فإذا سمعته فاجأك بمصيبة . وأخذ لفظ « كم قد أصمَّ  
بعضى » من قول أبي تمام :

أصمَّ بك الناعى وإن كان أصمماً فأصبح مغنى الجود بمدك بلقما<sup>(٣)</sup>  
والسابق إلى هذا المعنى جزو بن ضرار ، أخو الشماخ بقوله :

أتانى فلم أسرُّز به حين جأنى حديثٌ بأعلى القُبتين عجيبُ  
تصامته حتى أتانى بقينةٍ وأفرغ منه مخطىء ومصيبُ

وقال المتنبي :

طوى الجزيرة لما جأني خبرٌ فزعت منه بآمالى إلى الكذب<sup>(٤)</sup>

(٢) بقيمة لدهر ٤ : ٣٠٧

(١) ديوانه ٢٧٤

(٤) ديوانه ١ : ٨٧ ، ٨٨

(٣) ديوانه ٣٧٤



حتى إذا لم يدع لي صدقه خيراً شَرِقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي  
أشار بعد ذلك بالبيتين إلى القناعة ، وأن كثير الدنيا مصيره إلى قليل ، وقد  
تقدم أمثال هذا .  
وقال أبو تمام :

يا قليل البقاء في هذه الدار إلى كم يفرّك التسويف<sup>(١)</sup>  
عجباً لامرئ يذلّ لدى الما ل ، ويكفيه كلّ يوم رغيّف  
ولابن عمران :

عجباً لنا نبغى الغنى والفقراً في نيل الغنى لو صحّت الأبواب  
فيما يبلغني الحلّ كفاية والفضل فيه تكاثره وحساب

\* \* \*

قال الراوي : فلما ألقح عُقمَ الأفهام ، يسخر الكلام ،  
استزوّخت ریحَ أبي زيد ، وما د بي الارتياحُ إليه أيّ ميّد ،  
فكشتُ حتى استوعبَ نَتَّ حِكْمَتِهِ ، وانحدرَ من أكَمَّتِهِ .  
ثم دلفتُ إليه ، لِأَتَصَفِّحَ صَفَحَاتِ مُحْيَاهُ ، وأَسْتَشِفَّ جَوْهَرَ  
حُلَاهُ ؛ فإذا هو الضلالة التي أنشدّها ، وناظِمُ القلائد التي  
أنشدّها ، فما تشته عناق اللام للآف ، ونزلته منزلة البرء  
عند الدنف . وسألته أن يلازمني فأبى ، أو يراملني فنبأ ، وقال ؛  
آليتُ في حجّتي هذه ألا أحتقب ولا أعتقب ، ولا أكتسبُ  
ولا أنتسب ، ولا أرتفق ولا أرافق ، ولا أوافق من ينافق .

(١) لم أجد ما في ديوانه .

ثم ذهب يَهْرُول ، وغَادَرَنِي أَوْلُول .  
 فلم أزل أَقْرِيه نظري ، وأودّ لو يَمْشِي عَلَي نَاطِرِي ، حتّى  
 توَقَّلَ أَحَدَ الأطوادِ ، ووَقَّفَ لِلحجيجِ بِالْمِرْصَادِ .  
 فلَمَّا شَاهَدَ إِيضَاعَ الرُّكبانِ فِي الكَشبانِ ، وَقَعَ بِالْبَتَانِ عَلَى البنانِ .

\*\*\*

قوله : فلما أفتح عُقْمَ الأفهامِ ، أى جعل العقيم منها حاملاً بالعلم والفهم .  
 استروحت : شمت فوجدت راحته . مادّ : مال . الارتياح : الطرب . مكثت :  
 أمت . أستوعب : أستوفى : نث : نشر . أكتته : كُدَيْتُهُ<sup>(١)</sup> . دلفت : أسرعت .  
 أنصفح : أنظر . صفحات محياه : جهات وجهه . أستشفّ : أبالغ النظر فيها .  
 جوهر حُلاه : خلقه صفاته . أنشدها : أطلبها . القلائد : جمع قلادة ، وهى ما يُجْمَلُ  
 فى العنق من سلوك الجوهر وغيرها ، ومنه تقليد البُدن بِمكة ، وتقلدت  
 بالسيف : جعلته فى عنقى ، وقلدتك الأمر : جعلته فى عنقك ، وناظم القلائد : جعلها  
 فى خيطها ، ويعنى بالقلائد ما نثر من وعظه ، وأنشده من شعره - وصدق لَعَمْرِي  
 إنّ كلامه المنظوم والمنثور أبهى من القلائد فى أعناق الخرائد .

وقوله : عناق اللام للألف ، أمّا بخط المغرب فلا معاينة بينهما إلا فى  
 الطرفَيْن ، وربما وقعت فى بعض هذا الخط كالصليب ، وفى بعضه لا التقاء بينهما  
 البتّة ، وإنّما يريد صورة لام ألف بالخط الكوفى ، وهما بذلك الخط مقعّان  
 متلازمان من الأعلى إلى الأسفل . وأخذ اللفظ من قول بكر بن خارجة :

يأمن إذا قرأ الإنجيل ظلّ له      قلب الحنيف عن الإسلام منصرفاً  
 رأيت شخصك فى نومي يمانقني      كما تعانق لأمّ السكاتب الألفاً

(١) السكبية : الأرض الغليظة .

[ مما قيل في العناق من الشعر ]

ونذكر هنا ما يستحسن في العناق ، قال البحرى :

تلك نِعْمٌ لو أنعمت بوصولٍ      لشكرنا في الوصل إنعام « نعم »<sup>(١)</sup>  
 نسيت موقف الجمارِ وشخصاً      نا كشخصٍ ، أرمى الجمارَ وترى  
 وقال أيضاً :

ولم أسَ ليلتنا في العنا      قِ لَف الصَّبَا بقضيب قضيباً<sup>(٢)</sup>  
 كما مرّت الريح في سيرها      فطوراً خفوقاً ، وطوراً هبوباً  
 وقال ابن المعتز :

كأنما عانت ريمانةً      تنفست في ليلها الباردة<sup>(٣)</sup>  
 فلو ترانا في قيص الدجى      حسبنا من جسدي واحد

وقال علي بن الجهم :

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجمة      وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب<sup>(٤)</sup>  
 فبتنا جيماً لو تُراق زجاجةً      من الماء فيما بيننا لم تسرب  
 وقال ابن عبدوس الناسي : سرت يوماً إلى ابن الجهم ، فأنشدني البيت  
 في العناق ، فاقتدح زندي لإيراد مثله ، فقلت :

لا وللنازل من نجدٍ وليلتنا      بميد إذ جسدانا بيننا جسدُ  
 كرام فينا الكرى مع لطف مسلكه      نوما فما انفك لا خدٌ ولا عضدُ  
 ما أنصفوني ، دعوتني فاستجبت لهم      حتى إذا قربوني منهم بُعدوا  
 أخذ هذا البيت من قول الآخر :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم      حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

(١) ديوانه ١٩٤٠ (٢) ديوانه ١٥٠ (٣) ديوانه ٧٧  
 (٤) ديوانه ٩٥ (٥) للعباس بن الأحنف ، ديوانه ٨٤

وقال أبو نواس :

لبسنا رداء الليل والليل راضعٌ  
وبنسا كفصني بانةٍ عصفتُهما  
إلى أن بدأ ضوء الصباح كأنه  
فياليلٍ قد فارقت غير مذمٍ  
إلى أن تردى رأسه بمشيبٍ  
مع الصبح ريمًا شمال وجنوبٍ  
مبادئ نصول في عذارٍ خضيبٍ  
وياصبح قد أصبحت غير حبيبٍ

قال صالح بن موسى :

لى سيد ما مثله سيدٌ  
عانته عند موافاتها  
فجاءت الحتى لعاداتها  
تصدت الحتى له فاشتكى  
والأفق بالليل قد احتلوكا  
فلم تجد ما بيننا مسلكا

ولابن الرومي :

طالما التفت إلى الصب  
في نقاب من ودا  
ح لنا ساقٍ بساقٍ  
ولثامٍ من عناقٍ

وقال أيضًا :

أعانتها والنفس بعد مشوقة  
وأثم فها كى تموت حرارتي  
كان فؤادي ليس يشفى غليله  
وقال ابن المعتز :

إليها وهل بعد الهواق تدان<sup>(١)</sup>  
فيشتد ما ألقى من الهيمان  
سوى أن يرى الروحان ممتزجان

يارب فتیان صحبتهم  
لو تستطيع قلوبهم نفذت  
لا يرفعون لسأوة قلبا  
أجسامهم فتعانت حبا

(١) أمالي القالي ١ : ٢٦٦

وقال ابن رشيقي :

ومهفهف يحميه عن نظر الوري  
فلثمتُ خدًا منه ضرَمَ لوعتي  
وضمته للصدر حتى استوهبت  
فكان قلبي من وراء ضلوعه  
وقال ابن لبّال :

غيران سُكِنِي الموت تحت قبابه<sup>(١)</sup>  
وجملت أظفي حرّها برضابه  
مني ثيابي بعض طيب ثيابه  
طربًا يخبر قلبه عمّا به

ما كنت أحسب قبل رؤية وجهه  
غازلته حتى بدا لي نغمه  
كم ليلة عانقه فكأتما  
بطني ويلعب عند عقد سواعدي

أن البدور تدور في الأغصان  
فحسبته دُرًا على مرجان  
عانقت من عطفيه غصن البان  
كالهر يلعب عند ثني عنان

وقال آخر :

مشتاقًا طرقت في الليل مشتاقًا  
يا زائرًا زار من قُرب على بُعد  
يا ليل عرج على ألفين قد جملا  
وقال ابن الزقاق :

أهلاً بمن لم تخن عهداً وميثاقاً  
آنست مستوحشاً لاذقت ما ذاقاً  
عقد السواعد للأعناق أطواقاً

ومر تجّة الأعطاف أما قوامها  
سربت<sup>(٢)</sup> فبات الليل من قصرها  
وبت وقد زارت بأنعم ليلة  
على عاتق من ساعديها خائل

فلدن، وأما ردّفها فردّاح<sup>(٣)</sup>  
يطير وما غير السرور جناح  
يماتفني حتى الصباح صباح  
وفي خصرها من ساعدي وشاح

(١) نقله في التنف ١٣ .

(٢) ديوانه ١٢٩ والرداح : الضغمة .

(٣) ديوانه « ألت » .

ونظير هذا قول برهون الغرناطيّ :

لله درّ ليالٍ ما أَحْسِنَهَا      وما أَحْسِنَ منها كَيْلَةَ الأَحَدِ  
لو كنتَ حاضِرًا فيها وقد غفلتُ      عينُ الرقيب فلم تنظر إلى أَحَدِ  
أبصرتُ شمس الضحى في ساعدي قمرٍ      ريمٌ مُوسِدةٌ في ساعدي أُسَدِ

وقال ابن قاضي ميلة :

حيث التقى أُسْدُ العرين وظييةٌ      تحت اللعاف وصارمٌ وسوارُ  
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً      ولقد عهدتك للذخيل تفارُ  
أُمنّتَ نشرَ حديثنا فأجبتُها      هذا الذي تُطوى له الأُمُرارُ  
أخذ هذا من قول امرئ القيس :

تجافى عن المأثور بيني وبينها      وتُدني على السابريّ المضاماً<sup>(١)</sup>  
يعنى بالمأثور السيف .

قوله : الدِّنف : المريض . يُزاملني : يرادفني ، والزَّميل : الرديف . نَبَأ .  
ارتفع وامتنع . أحتقب : أركب موضع الحقيبة ، وهي ما يعلق خلف الراكب ،  
فيريد أنه حلف ألا يكون رديفاً ، ويريد بأحتقب أتخذ حقيبة للزاد ، يريد أنه  
لا يحمل زاداً انكالا على ما عند الله تعالى . أعتقب : أركب عقبه يعني نوبة ،  
وهما يعقبان ويتماقبان ، إذا ركب أحدهما فجاء الآخر فكان مكانه ، والاعتقاب :  
ركوب واحد ونزول آخر .

ولحاتم في المعنى :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها      لتشربَ ماء الحوض قبل الركائب<sup>(١)</sup>

وَمَا أَنَا بِالطَّائِرِ حَقِيبَةٍ رَحَلَهَا      لأبعثها خفاً وأنزل صاحبي  
 إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدَعُ      رفيقك يمشی حلقها غير راكب  
 أَنِحْهَا فَأَرْدَفَهُ فَإِنَّ حَمَلَتُكَ      فذالك وإن كان العقابُ فمقابِ

أرتفق: أستمين أرافق: أطلب رفيقاً. يهزول: يسرع المشى. غادرني: تركني  
 أولول: أصيحُ: يا ويلي. أقرية: أتبعه. توقل: صعد. الأطواد: الجبال.  
 بالمرصاد: بمضيق الطريق بحيث يرتصد فيه جميع الناس، والمرصد والمرصاد عند  
 العرب الطريق. إضاع: سرعة، وقد أوضع في سيره: أسرع كأنه يهتز ويركض.  
 الكُتبان: أقدام الرمل. رقع: ضرب بالبنان على البنان، أي صفق  
 بيديه، وقد تطلق البنان مراداً بها اليد، قال الله تعالى: ﴿واضربوا منهم كلَّ  
 بنان﴾<sup>(١)</sup>، أي الأيدي والأرجل.

وَأُنشِدُ الْفَنَجْدِيَّ:

أقاموا الدِّيبَانَ عَلَى يَفَاعٍ      وقالوا لا تنم للـدِّيبانِ  
 إِذَا أَبْصَرْتَ ضَيْفًا مِنْ بَعِيدٍ      فوقَّع بالبنان على البنان  
 ثَرَامَ خَشِيَةِ الْأَضْيَافِ خُرْسًا      يقيمون الصلاة بلا أذان

\* \* \*

واندفع ينشد:

لَيْسَ مَنْ زَارَ رَاكِبًا      مثل ساعٍ على القَدَمِ  
 لَا وَلَا خَادِمٌ أَطَا      ع كعاصٍ من الخَدَمِ  
 كَيْفَ يَأْقُومُ يَسْتَوِي      سَعَى بَانٍ وَمَنْ هَدَمَ  
 سَيَقِيمُ الْمَفْرَطُو      نَ غَدًا مَاتَمَ النَّدَمِ  
 وَيَقُولُ الْفِي تَقَرَّرَ      بَ: طَوَّبَى لِمَنْ خَدَمَ

(١) سورة الأنفال ١٢

وَيَكِ يَانْفُسُ قَدِّي صَالِحًا عِنْدَ ذِي الْقِدَمِ  
 وَاذْدَرِي زَخْرَفَ الْحِيَةِ مَا فُوجِدَانَهُ عَدَمِ  
 وَاذْكَرِي مِصْرَعِ الْحِمَا مِ إِذَا خَطْبُهُ صَدَمِ  
 وَاذْبُدِي فَمَلِكِ الْقَبِيَةِ سَحَّ وَسِحِّي لَهُ بَدَمِ  
 وَاذْبُئِيهِ بِتَوْبَةِ قَبْلِ أَنْ يَحْلَمَ الْأَدَمِ  
 فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَقِيكَ السَّعِيرَ الَّذِي اخْتَدَمِ  
 يَوْمَ لَا عَثْرَةَ تَقَالُ وَلَا يَنْفَعُ السَّدَمِ

• • •

قوله : ليس من زار راكبا ... البيت . يريد أن ثواب الماشي في الحج أكثر من ثواب الراكب .

وقال ابن عباس لبنيه : اخرجوا من مكة مشاة ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة ، وللماشي بكل خطوة سبعائة حسنة من حسنات الحرم ، قالوا : يا رسول الله ، وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنات منها بمائة ألف .

وقوله : سَعَى بَانَ وَمَنْ هَدَمَ ، من قول بشار :

متى يبلغ البنيانُ يوماً تامه إذا كنت تبنيه وأخرُ يهدم

المفردون : المقصرون . ماتم : مناحة . ويك : تعجب . ازدري : احتقري .  
 زخرف : زينة . وجدان ، مصدر وجدت الشيء . اندبي : ابكى . الحام : الموت .  
 مصرعه : طرحه للميت بالأرض . خطبه : أمره الشديد . صدم : ضرب ، والصدم :  
 ضرب الشيء الصلب بمثله ، وأراد أنه أصاب ، من قولهم : صدمهم أمر ، أي  
 ( ٣ - مقالات الحريري ج ٤ )



أصابعهم . سِحِّي : صُبي . يحلم : يفتقب . الأدم : الجلد ، وهو مثل يُضرب للشيء يفوت ، قال الشاعر :

\* كدابةٍ وقد حلم الأديم <sup>(١)</sup> \*

السَّعير : النار المتقدة . احتدم : التهب واشتد أنقاده . السدم : همٌّ مع ندم .

\* \* \*

ثمَّ إِنَّهُ أَغْمَدَ عَضْبَ لِسَانِهِ ، وَأَنْطَلَقَ لِشَانِهِ ، فَا زَلَتْ  
فِي كُلِّ مَوْرِدٍ نَرْدُهُ ، وَمُعْرَسٍ نَتَوَسَّدُهُ ، أَتَفَقَّدُهُ فَأَفْقَدُهُ ، وَأَسْتَجِدُّ  
بِمَنْ يَنْشُدُهُ فَلَا يَجِدُهُ ، حَتَّى خِلْتُ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ ،  
أَوِ الْأَرْضَ اقْتَطَفَتْهُ ، فَا كَابَدْتُ فِي الْغُرْبَةِ ، كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ ،  
وَلَا مُنَيْتُ فِي سَفْرَةٍ ، بِمِثْلِهَا مِنْ زَفْرَةٍ .

° ° °

عضب : حدّ ، وأراد بإغماده سكوته . لشأنه : لأمره . مورد : موضع الماء .  
نردّه : نقصده . معرس : موضع النزول بالسَّحَر للاستراحة . نتوسده : نزل  
فيه . أتفقده : أطلبه ، والتفقّد طلب المفقود ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ،  
طلبه بعد ما فقده . أستجد : أستمع . ينشده : يطلبه . اختطفته : أخذته ،  
أسرعة . اقتطفته : اقتطعته . كابدت : قاسيت . الكربة : الهم . مُنيت : مُبليت .  
زفرة : تنفّس المهموم .

(١) صدره :

\* فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ \*

من أبيات للوليد بن عبة يحض فيها معاوية على قتال علي . اللسان - حلم .  
(٢) سورة النمل ٢٠ .

ولأبي طالب الرِّقِّ في غلامٍ محرِّمٍ (١) :  
 ومشمِّلٍ عِظْفِي عِغَافٍ وَفَنَنِيَّةٍ  
 يرى قَتْلَ مَنْ يَهْوَى إِلَى النَّسْكِ مَسْلَكَ  
 جَنِّي اللَّحْظُ مِنْ خَدْبِهِ وَزَدًا مَكْفُورًا (٢)  
 وَمِنْ عَارِضِيهِ يَا سَمِينًا مَمْسُكًا  
 فَيَارَانِمًا مِنْهُ بِأَوْفَرِ فَنَنِيَّةٍ تَجْهَّزُ لِعَامٍ بَعْدَ هَذَا لَعَلَّكَ

وقال صالح بن موسى :

عَشَقْتُ صَوْفِيًّا لَهُ شَاهِدٌ  
 قَدِ عُبِدَ اللهُ بِأَحْوَالِهِ  
 يَقِيمُ عَذْرَى عِنْدَ عُدَّالِي  
 فَلَيْتَهُ يَنْظُرَ فِي حَالِي

(١) أبو طالب الرق من شعراء اليتيمة ، والأبيات في الجزء الأول فيها ص ٢٤٥ .  
 (٢) اليتيمة : « موردا » .

## المقامة الثانية والثلاثون وتعرف بالطيبية

حكى الحارث بن همام، قال: أجمعت حين قضيت مناسك الحج، وأقمت وظائف المعج والشيخ، أن أقصد طيبة، مع رُفقة من بنى شيبه؛ لأزور قبر المصطفى، وأخرج من قبيل من حجّ وجفاً، فأرجف بأن المسالك شاعرة، وعرب الحرم من متشاجرة، فحرت بين إشفاق يثبطني، وأشواق تنشطني؛ إلى أن ألتقي في روعي الاستسلام، وتغليب زيارة قبره عليه السلام فأعتمت القعدة، وأعددت العدة، وسيرت والرُفقة، لأنلوي على عُرجة، ولانني في تاويب ولا دُجعة، حتى وافينا بني حرب، وقد آبوا من حرب، فأزمننا أن نقضى ظل اليوم، في حلة القوم.

\*\*\*

أجمعت: عزمت عليه كأنه جمع نفسه له، ومناسك الحج: متعبداته. ووظائف: لوازم، والوظيفة: النصيب الذي يلزمك عزمه. المعج: رفع الصوت بالتلبية، وكانوا في الجاهلية إذا أموا حجهم يتفاخرون بماثر آبائهم، فأمرُوا بالثناء على الله تعالى. والشيخ: إراقة الدماء، وعج يعج عجباً وعجيجاً: رفع صوته، ويحجبت الدمع، أئجه: أسلته، وهو لازم ومتعد. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال: «المعج والشيخ».

طَيِّبَةٌ : مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . بنوشيدية : حَجَبَةُ البيت ، وشيبة هو عبد المطلب ، وُسِّمِيَ بذلك ، لأنه نشأ بالمدينة عند أخواله صغيراً ، فلما مات أبوه هاشم ذهب إليه المطلب ، فأتى به فراه معه أهل مكة فقتلوا : ما هو إلا عبد اشتراه ، فغلب عليه عبدُ المطلب . جَفَأَ أراد به قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَجَّ البيت ولم يَزُرْنِي ، فقد جفاني ، ومن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاءني زائرًا لايته إلا زيارتي كان حقًا على الله أن أكون له شفيعًا يوم النيامة » . وفي رواية : « مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي » .

وأرجف الرَّجَلُ : خاض في الفتنة والأخبار المسيئة . وشفر الطريقُ : خلا من حماته والمدينةُ خلت من حماها ، وبلد شاعر ، بيمد من القاضي والسلطان ، فلا يمتنع من غارة أحد ، والشعر : التفرقة ، ومنه : خرجوا شفر بفر ، أي تفرقوا ، وشفر عن بلده شفرًا وشفارًا ، إذا طرحوه ونفوه ، واشتغرت الحرب بينهم : اتسعت وعظمت ، وامرأة شاعرة ، إذا رفعت رجليها الكل من نكحها ، والمعنى أن المسالك شاعرة ، أي أن الطرق مضطربة خالية من حماها . الحرمين : مكة والمدينة . متشاجرة : مختلفة . إشفاق : خوف . يثبطني : يحبسني . تنشطني : تحرطني . روعي : نفسي . الاستسلام : الاتقياد لأمر الله تعالى . أعتمت : اخترت . القعدة : الراحة المتخذة للراكوب . تلوي : تعطف . عُرْجَة شئ يسفل ليعرج عليه . نني : نفتر ، وتأويب ودُلجة : مشى النهار والسحر ، والدُلجة ، بضم الدال : الاسم من الإدلاج ، وهو سير جميع الليل ، والتأويب : سير النهار أجمع ، والدُلجة ؛ بفتح الدال من الإدلاج بوزن الافتعال ؛ وهو أن يسير من آخر الليل . يعقوب : خرجنا بدُلجة ودُلجة : إذا خرجوا في آخر الليل . وافينًا :

وصلنا . آبا : رجعوا . أزمعنا : عزمنا . نقضى : نتم ، أراد عزمنا على أن نزل  
ونتم بقية يومنا عندهم ، وظل الشيء إنما يبقى ببقائه . والحلّة . النزول ، والقوم :  
اسم للجمع ، والحلّة هيئة الحلول ، والحلّة مجلس القوم ومجتمعهم ، لأنهم يحلّونه ،  
والجمع حلال ، والحلّة جماعة بيوت الناس .

\*\*\*

وبينا نحن نتخيّر المناخ ، وتروّد الورد النقاخ ، إذ رأيناهم  
يزكضون ، كأنهم إلى نصب يوفضون ، فرأبنا انثيالهم ،  
وسأنا ما بالهم ؟ فقيل : قد حضر ناديم فقيه العرب : فإهراعهم  
لهذا السبب ؛ فقلت لرفقتي : ألا تشهد مجمع الحى ، لتبين  
الرشد من النى ؟ فقالوا : لقد أسمعتم إذ دعوت ، ونصحت  
وما ألوت .

\*\*\*

المناخ : موضع النزول . تروّد : نطلب . الورد النقاخ : الماء البارد العذب ،  
وأشده أبو علي :

تركت الثبيذ لأهل الثبيذ وأصبحت أشرب عذبا نقاخا

سُمي نقاخا ، لأنه ينقخ القواد بيرده ، أى يكسره . يركضون : يحرون  
مسرعين . نصب : صنم ، كانوا فى الجاهلية ينصبونه ، ويذبحون عليه لأوثانهم ،  
وجمه أنصاب ، والنصب : للشر ، قال الله تعالى : ﴿بِنَصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ . يوفضون :  
يسرعون . إهراعهم : إسراعهم ، وأهرع : أسرع فزعاً مرتداً . ويهرعون :  
يستحثون . ألوت : قصرت .

نَمْ نَهَضْنَا نَتَّبِعُ الْهَادِي ، وَنَوْمُ النَّادِي ، حَتَّى إِذَا أَظْلَلْنَا عَلَيْهِ ،  
 وَاسْتَشْرَفْنَا الْفَقِيهَ الْمَنُودَ إِلَيْهِ ، أَلْفَيْتُهُ أَبَا زَيْدٍ ذَا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ ،  
 وَالْفَوَاقِرَ وَالْفِقْرَ ، وَقَدْ اعْتَمَّ الْقَفْدَاءَ ، وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءَ ، وَقَمَدَ  
 الْقُرْفُصَاءَ ، وَأَعْيَانُ الْحَيِّ بِهِ مُحْتَفُونَ ، وَأَخْلَاطُهُمْ عَلَيْهِ مُلْتَفُونَ ،  
 وَهُوَ يَقُولُ : سَأُونِي عَنِ الْمَعْضِلَاتِ ، وَاسْتَوْضِحُوا مِنِّي  
 الْمُسْكَلَاتِ ، فَوَالَّذِي فَطَرَ السَّمَاءَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ، إِنِّي لَفَقِيهُ  
 الْعَرَبِ الْعَرَبَاءَ ، وَأَعْلَمُ مَنْ تَحْتَ الْجُرْبَاءِ . فَصَمَدَ لَهُ فَتَى  
 فَتِيحُ اللِّسَانِ ، جَرِيءُ الْجِنَانِ ، وَقَالَ : إِنِّي حَاضِرْتُ فُقَهَاءَ  
 الدُّنْيَا ، حَتَّى انْتَخَلْتُ مِنْهُمْ مِائَةَ فَتِيَا ، فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرْغَبُ  
 عَنِ بِنَاتِ غَيْرِ ، وَيَرْغَبُ مِنَّا فِي مَيْرِ ، فَاسْتَمِعْ وَأَجِبْ ، لِتُقَابَلَ  
 عَا يَجِبْ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، سَيِّبِينَ الْمَخْبِرِ ، وَيَنْكَشِفُ  
 الْمُضْمَرُ ، فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ .

. . .

الهادئ : الدليل . نؤم : نقصد . النادى : مجتمع القوم . أظللنا : قربنا منه  
 ودنونا وأشرفنا عليه . استشرفنا : نظرنا وتأملنا ، والاستشراف : أن تضع يدك  
 على حاجبك من الشمس إذا أردت النظر إلى شيء بعيد منك . المنهود : المقصود ،  
 ونهدت إليه ونهضت بمعنى ، ونهدت ينهد نهداً ، أى شخص ونهض . وقيل :  
 أكثر ما يستعمل هذا فى الحرب ، يقال : نهد إلى العدو ، إذا نهض ليقاته .  
 ألفتته : وجدته . ذا الشقر والبقر : صاحب الدواهي ، يقال : جاءنا بالشقر  
 والبقر ، إذا جاء بالكذب المستفطم ، وجاء بالشقارى والبقارى ، أى بالكذب .  
 والفواقير : قواصم الظاهر ، يراد بها الدواهي ، والفاقرة : الكاسرة للفقار ، وهو

عظم الضُّلْب . والفِقْرَ في النثر ، مثلُ القوافي في الشعر . القَفْداء ، بالقاف قبل الفاء : أن يلفَّ عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيئاً . ابن سيده : القَفْداء : والقَفْد ، إذا لوى عمامته على رأسه ، ولم يُسَدِّها ، قال الأزهرى رحمه الله تعالى : العَمَّة القَفْداء معروفة ، وهي الميلاء ، والسنة أن يتعمم ويُسدِّل خلف ظهره .

ابن عمر رضی الله عنهما . كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تعمَّ سدكَّ عمامته بين كتفيه . والصَّمَاء : أن تُجَلَّلَ نفسك بالثوب غير الخيط ، ولا ترفع شيئاً من جوانبه ، فتكون فيه فُرْجة تخرج منها اليد ، وإنما نهى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة في تلك الحالة ، وهو لا يقدر على إخراج يده ، فيدفعها فيهلك .

وقال الفجنديهـى : رأيتُ بخط الحريرى : اشتمل الصَّمَاء ، أى التحف بثوب جَلَّ جسده ، وقيل لها صَمَاء لأنها لا منفذ فيها كالصخرة الصماء ، التى لا صدع فيها ولا خرق ، وهى عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على مَنْكبيه ، فتبدو عورته ، فهى عن ذلك .

وقال الأزهرى : هذا أصح الكلام ، والفقهاء أعلم بتأويل هذا . والقُرْفُصاء : أن يقعد على إيليتيه ، وينصب ساقيه ، ويصق فخذييه بيطنه ويحتبى يديه فيضعهما على ساقيه ، قاله أبو عبيد . وقيل : هى جلسة المحتبى ، ثم يرفع فخذييه وركبتيه إلى صدره ، ويدير يديه على ساقيه ، ويشدّهما ، فإذا فطت ذلك بالرجل وشددت يدبك عليه ، فقد قرفتته .

الفجنديهـى : رأيتُ بخط الحريرى : معناه أن يحْتَبِيَّ يديه ، قال أبو أمامة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس القُرْفُصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل . وتقرْفُص الرّجل ، إذا جمع يديه وانضمَّ من جَرَب أو قروح به .

أعيان : أشراف . محتفون : محلقون ، والمنزل محفوف بالناس إذا اجتمعوا بحفافية ، أى بجانبيه . والأخلاط : الدُّون من الناس . والمعضلات : القامضات

من الكلام الصَّعب. واستوضحوا ، أى طلبوا منى إيضاها ، أى بيانها . فَطَرَ : خلق ، وفطر الله الخلق ابتداء خلقهم ، قال ابن عباس : ما كنت أدري ما فطرُ السموات والأرض حتى احتكم إلى أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرُها ، أى ابتدأها ، وقال الله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾<sup>(١)</sup> أى خلقني . ويتفطرن : يشققن ، وانفطرت : تشققت . وعلم آدم الأسماء كلها ، أى علمه أسماء كل شيء من الخلوقات . وقيه العرب ، أى عالمهم ، وقال تعالى : ﴿لِيَتَقَرَّبُوا فِي الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup> أى ليكونوا علماء به ، وكل عالم بشيء فهو ققيه فيه ، ويقال : قهت عنك ، أى فهمت ، وقهت قهياً ، أى صرت قهياً ، وهو الحاذق بما يعلمه ، وقهت الرجل : غلبته في الفقه . العرباء : الخالصة ، وهذا الادعاء الذى يدعى الآن يسمى انتحال العلم .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي لأحد أن ينتحل العلم .

وقال مقاتل بن سليمان يوماً ، وقد دخلته أبهة العلم : سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى ، فقال له رجل : ما نسألك عن شيء من ذلك ، إنما نسألك عما معك في الأرض ، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه ؟ فأخذه .

ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ، ولحظ بعين العالم المتفنين ، صعد المنبر ، وقد غصَّ الحفل واعتلى ، تبرزاً على علماء وقته ، مع فضل جاه اشتمل به من السلطان ، فقال : ليسأني من شاء عما شاء ، فقام إليه أحد الأغفال ، فقال له : ما النعيل والقطمير ؟ فلم يُجِر جواباً ، وأختمه ونزل خجلاً ، وانصرف إلى منزله كسلاً . فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكّر الناس بهما ، وهذا من عقاب العُجب .

ورأيت في بعض الأخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لفة فلم يعلمه وقت

(٢) سورة التوبة ٢٢ -

(١) سورة هود ٥١ .



السؤال - وكان أبيض مشرباً بجمرة - فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه ، حتى طفيء أسفاً على فوّتِ الحرفِ وقت الحاجة ، ولعله كان ما قدمنا في الحكاية .

وقال قتادة : ما سمعت قط شيئاً إلا حفظته ، ولا حفظت قط شيئاً فنسيته .  
ثم قال : يا غلام هات نعلي ، فقال : هما في رجلك ، ففضحه الله .

وقال قتادة : حفظت ما لم يحفظ أحد قط ، ونسيت ما لم ينس أحد قط ، حفظت القرآن في سبعة أشهر ، وقبضت على الحيتي ، وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي ، ققطت ما فوقها .

وكان بشر يش رجل من أهل الدين والورع ، وحبج في أيام أبي حامد وصحبه ، فقانت صلاة الصبح يوماً لأحد أصحابه ، فلامه على ذلك ، فاعتذر له صاحبه فلم يعذره . ثم قال له على معنى الترغيب : كملت لي اليوم عشرون سنة ، ما فاتني صلاة الصبح في جماعة ، فلما كان في اليوم الثاني أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة ، فلما لقيته صاحبه بعد الصلاة قال له : هذا كما رأيت . وإنما ذكرت عمالك على معنى التبصرة والإرشاد ، فلو ذكرتك على غير ذلك لفاتتك ، وإذا كان موسى كلم الله قد عاتبه الله على الانتحال ، حين سئل : أي الناس اليوم أعلم ؟ قال : أنا ، وابتلى بالسفر حتى لقي الخضر ، وجلس إليه راغباً في أن يعلمه ، والخضر لا ينبسط له في التعليم ، ونقر عصفور في البحر ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك في علم الله تعالى ، إلا مثل ما نقص هذا المصفور من هذا البحر .

وروى عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب بن منبه : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : أتدري لم كأمّتك ؟ قال : لا يارب ، قال : إنني أطلمت على قلوب العباد فلم أرَ فيها قلباً أشدّ تواضعاً من قلبك ، قال المنجم :

لكل شيء في الوري آفةٌ وآفة المرء من الكبر

وقال آخر :

الكِبْرُ بِأَسْنٍ والتواضع رفعةٌ والمزح والضحك الكثير سقوط  
والحرصُ قفر والقناعة رفعةٌ واليأس من روح الإله قنوطٌ

فينبغى لكل عاقل أن يقول : ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(١)</sup> ، ولا يترى لنفسه حظاً ، ويشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالأدب أليق ، وبالشرع أوفق .

ومن سخيف الشعر في الانتحال :

وما عنَّلى من غامض العلم غامضٌ مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا بَتَّ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ  
وقال عدى بن الرقاع :

وعلمت حتى ما أشاورُ عالماً عن علمٍ واحدةٍ لكي أزدادها<sup>(٢)</sup>  
وسمعه كُتِبَ ينشده الوليد بن عبد الملك ، قال له : كذبت ورب البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين في صنار الأمور دون كبارها ، حتى يتبين جهلك ، وما كنت قط أحق منك اليوم حين تظنّ هذا في نفسك<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو موسى النجم : ما أحدٌ تمنيت أن أراه ، فلما رأيته أمرت بصنعه إلا عدياً ، فقيل له : ولم ذلك ؟ قال : لقوله هذا البيت ، كنت أعرض عليه أصناف العلوم ، فكلما مرّ عليه بشيء لا يحسنه أمرت بصنعه .

قوله : وأعلم من تحت الجرباء : سُمِّيت السماء جرباء ، لأن النجوم فيها كالجرب في البدن .

وقال ابن الرومي في غلام يهواه وخرج عليه جدرى ، وأشار إلى جرب السماء :

وقالوا شانه الجدرى فانظر إلى وجهه به أثر الكلوم -  
قلت : ملاحظةٌ نثرت عليه وما حُسنُ السماء بلا نجوم !

(٢) الأغاني ٨ : ٣٣

(١) سورة ط ١١٤

وقال أبو بكر بن السراج في الفتح بن مسروق البلخي ، وقيل : قالهما  
بني ابن ياسر المفتي ، وكان من أحسن الناس وجهاً :

لِي قَمَرٌ جُدْرٌ لَمَّا اسْتَوَى فزاده حسناً وزاتُ المومِ (١)  
كَأَنَّمَا غَنَى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجومِ

وقال آخر :

كَأَن أَمَّارٌ مُجَدِّيرٌ بِوَجَنَّتِهِ عشر معورة في صحف وراتي

\* \* \*

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون :

قَالَ لِي اعْتَلَّ مَنْ هَوِيَ حَسُودٌ قلت أنت العليلُ ونحك ، لا هو (٢)  
مَا الَّذِي تَنْقِمُونَ مِنْ بَثَرَاتٍ ضاعفتُ حسنهُ وزانت حلاهُ  
وَجْهَهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - لِمَا ، فَلَا غَرَوُ أَنْ حَبَابَهُ عِلَاهُ

قوله : صمد ، أى قصد . فتيق : طليق . جرى الجنان : ماضى القلب  
قوية . امتخت : اخترت . الفتيا : لفة في الفتوى ، وهما اسمان يُوضعان موضع  
الإفتاء ، تقول : إفتاءً وفتياً وفتوى .

بنات غير ، كناية عن الكذب . الفنجديهى . رأيت بخط الحريرى :  
بنات الغير : الكذب .

القرء : يقال للرجل ، أبو بنات عبر ، وهو الباطل بعين مهمله وباء منقوطة ،  
واحدة .

مير : رزق وحلة ، وأصله جلب الطعام للأكل . الله أكبر : حكى  
أهل اللغة أن معناه كبير ، وقال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانَهُ أَعْرُ وَأَطْوَلَ (٣)

(١) إنباء الرواة ٣ : ١٤٨

(٢) ديوانه ١٢٤ .

(٣) ديوانه ٧١٤ .

أى عَزَبَة طَوِيلَة .

قال معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيَسَا تَعَدُّو الثَّنِيَّةَ أَوَّلُ<sup>(١)</sup>  
 أى لوجل ، وقال الفحويون : الكسائي والفراء وهشام معناه : أكبر  
 من كل شيء ، لحذفت من لأن أفعل خير ، كقولك : أبوك أفضل وأعقل ،  
 أى من غيره ، ولو كان اسما لم يحذف منه شيء ، ألا ترى أن من قال : أخوك  
 أفضل لم يقل إن أفضل أخوك ، لحذفت « من » في الخبر ، لأن الخبر يدل  
 على أشياء غير موجودة في اللفظ ، نحو أخوك قام ، فيدل على المصدر والزمان  
 والمكان والاسم لا يحذف منه شيء يدل عليه . والخبر ، مصدر خبرت خبرتة  
 ونخبرا ، إذا جربته ، فأراد : سيتبين لك بالتجربة مادعيته من العلوم ، وينكشف  
 لك ما أضمرته منها . اضدع : تكلم وأظهر ، وصدعت بالحق تكلمت به جهارا ،  
 وقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾<sup>(٢)</sup> أى أظهر دينك .

وإنما اعتمد الشيخ أبو محمد الحريري في شرح الألفاظ التي ألفز بها على  
 الوجه المعنى ؛ ولنشرح ما سوى ذلك مما اشتملت عليه إن شاء الله تعالى :

\*\*\*

[ فقيه العرب وفتواه ]

قال : ما تقولُ فيمن تَوَضَّأَ ثُمَّ لَمَسَ ظَهْرَ نَعْلِهِ ؟ قال :  
 انتقض وضوءه بفعله (النعل : الزوجة) .

قال : فإن تَوَضَّأَ ثُمَّ أَتَكَأَهُ الْبَرْدُ ؟ قال : يحدُّ الوضوء  
 من بعد (البرد : النوم) .

قال : أَيَمَسَّحُ المتوضئُ أُذُنَيْهِ ؟ قال : قَدْ نَدِبَ إِلَيْهِ ، ولم  
 يوجب عليه . (الأذنان : الأذنان) .

(١) ديوانه ٥٧ . (٢) سورة المجر ٩٤

قال : أَيْجُوزُ الْوَضُوءِ مِمَّا يَتَقَدَّفُهُ الثُّعْبَانُ ؟ قال : وَهَلْ أَنْظَفَ مِنْهُ لِلْعَرَبِ بَانَ ! ( الثُّعْبَانُ : جَمْعُ ثَعْبٍ ، وَهُوَ مَسِيلُ الْوَادِي )

قال : أَيْسْتَبَاحُ مَاءِ الضَّرِيرِ ؟ قال : نَعَمْ ، وَيُجْتَنَبُ مَاءُ التَّصِيرِ . ( الضَّرِيرُ : حَرْفُ الْوَادِي . وَالتَّصِيرُ : الْكَلْبُ ) .

قال : أَيْحِلُّ التَّطَوُّفُ فِي الرَّبِيعِ ؟ قال : يُكْرَهُ ذَلِكَ لِلْحَدَثِ الشَّنِيعِ . ( التَّطَوُّفُ : التَّفَوُّطُ . وَالرَّبِيعُ : النَّهْرُ الصَّغِيرُ ) .

\* \* \*

قوله : لَسَّ ، جَرَّ أَصَابِعَهُ عَلَيْهَا . أَسْكَأَهُ : جَمَلُهُ مُتَّكِنًا . يَقْدَفُهُ : يَطْرَحُهُ مِنْ بَطْنِهِ . وَالتَّصِيرُ : الْأَعْمَى . وَالتَّصِيرُ : الْبَصِيرُ .

وَالطَّوْفُ : مَصْدَرٌ طَافَ حَوْلَ الشَّيْءِ إِذَا دَارَ بِهِ . وَالْحَدَثُ : الْغَائِطُ ، وَجَمَلُهُ شَنِيعًا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَهُ فِي الْمَاءِ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فَكَانَتْ بِهِ شَنْعَةٌ ، وَاسْتُقْدِرَ الْمَاءُ فَلَمْ يَسْتَعْمَلْ ، وَإِنْ كَانَ مَبَاحًا اسْتَعْمَالَهُ .

\* \* \*

قال : أَيْجِبُ التَّنَسُّلُ عَلَى مَنْ أَمَّنِي ؟ قال : لَا وَلَوْ ثَمِّي . ( أَمَّنِي : نَزَلَ مَنِّي ، وَيُقَالُ مِنْهُ : مَنَّنِي وَأَمَّنَنِي وَأَمَّتَنِي ) .

قال : فَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْجَنْبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ ؟ قال : أَجَلٌ وَغَسْلُ إِبْرَتِهِ ( الْفَرْوَةُ : جِلْدَةُ الرَّأْسِ ، وَالْإِبْرَةُ : عَظْمُ الْمِرْفَقِ ) .

قال : أَيْجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُ صَحِيفَتِهِ ؟ قال : نَعَمْ كَغَسْلِ شَفَتَيْهِ ( الصَّحِيفَةُ : أُسْرَةُ الْوَجْهِ ) .

قال : فَإِنْ أَخَلَّ بِغَسْلِ فَأْسِهِ ؟ قال : هُوَ كَمَا لَوْ أَلَّنِي غَسْلَ رَأْسِهِ ( الْفَأْسُ : الْعَظْمُ الْمَشْرِفُ عَلَى نُقْرَةِ الْقَفَا ) .

قال: أيجوزُ الغُسلُ في الجرابِ؟ قال: هو كأنمُسلٍ في الجِبابِ .  
(الجراب: جَوْفُ البئر)

قال: فما تقولُ فيمن تيمم ثم رأى رَوْضًا؟ قال: بَطَلَنَ  
نَيْمُهُ فليتَوَضَّأْ (الرَّوْضُ هاهنا: جَمْعُ رَوْضَةٍ، وهى الصُّبَابَةُ تَبْقَى في الحَوْضِ).

• • •

أخَلَّ: نقص . نُقِرَّة: حُفْرَةٌ . الرُّوض: مواضع الغيث . والصُّبَابَةُ:  
البقيَّة .

\* \* \*

قال: أيجوزُ أن يَسْجُدَ الرَّجُلُ في العَدْرَةِ؟ قال: نعم وليجانب القَدْرَةَ  
(العَدْرَةُ: فناء الدار) .

قال: فهل له السُّجُودُ عَلَى الخِلاَفِ؟ قال: لا ، ولا عَلَى أَحَدِ  
الأطراف . (الخِلاَف: هـكُم).

قال: فإنَّ مَسْجِدَ عَلَى شِمَالِهِ؟ قال: لا بأَسَ بِفِعَالِهِ . (الشِّمال:  
جمع شَمَلَةٍ) .

قال: فهل يَجُوزُ السُّجُودُ عَلَى الكُرَاعِ؟ قال: نَعَمْ ، دُونَ الدَّرَاعِ  
(الكُرَاع: ما اسْتَطَالَ من الحِزَّةِ ، وهى أرضٌ ذاتُ حِجَارَةٍ سَوْدِ).

قال: أَيْصَلِّي عَلَى رَأْسِ الكَلْبِ؟ قال: نَعَمْ ، كَسَارًا لِهَضْبِ  
(رأس الكلب: بَنِيَّةٌ مُعْرُوفَةٌ) .

قال: أيجوزُ للدَّارِسِ حَمْلُ المِصْحَافِ؟ قال: لا ، ولا حَمْلُهَا في المِلاَحِفِ .  
(الدَّارِسُ: الحائِضُ) .

قال : ما تقول فيمن صَلَّى وَعَاتَهُ بَارِزَةٌ ؟ قال : صَلَاتُهُ جَائِزَةٌ .  
(التعانة : الجماعة من مُحْر الوحش) .

والكُرَاع : الرَّجُل ، وَكُرَاعٌ كُلُّ شَيْءٍ طَرَفُهُ . وَالْحَزْرَةُ : أَرْضٌ فِيهَا  
حِجَارَةٌ سُودٌ . وَالهُضْبُ : جَمْعُ هَضْبَةٍ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَالكَذْبِيَّةُ الصَّغِيرَةُ ،  
وَقِيلَ : الْهَضْبَةُ الْجِبَلُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَقِيلَ : الْجِبَلُ الطَّوِيلُ الْمَتَّسِعُ  
وَالْجَمْعُ هَضَابٌ . نَمِيَّةٌ : عَقَبَةٌ .

\* \* \*

قال : فَإِنْ صَلَّى وَعَلَيْهِ صَوْمٌ ؟ قال : يُعِيدُ وَلَوْ صَلَّى مِائَةَ يَوْمٍ .  
(الصَّوْمُ : ذَرَقُ النَّعَامِ)

قال : فَإِنْ حَمَلَ جَرَوْا وَصَلَّى ؟ قال : هُوَ كَمَا لَوْ حَمَلَ بِأَقْلَى .  
(الجرؤ : الصَّفَارُ مِنَ الْقِتَاءِ وَالرَّمَانِ) .

قال : أَتَصِحُّ صَلَاةُ حَامِلِ الْقُرْوَةِ ؟ قال : لَا ، وَلَوْ صَلَّى فَوْقَ الْمَرْوَةِ  
(الْقُرْوَةُ : مَيْلَقَةُ الْكَلْبِ) .

قال : فَإِنْ قَطَرَ عَلَى ثَوْبِ الْمُصَلِّي نَجْوٌ ؟ قال : يَمْضِي فِي صَلَاتِهِ  
وَلَا غَرْوٌ . (النَّجْوُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَأَقَ مَاءَهُ) .

قال : أَيَجُوزُ أَنْ يَوْمَ الرَّجَالِ مُقَنَّعٌ ؟ قال : نَعَمْ ، وَيَوْمُهُمْ مُدْرَعٌ .  
(المقنن : لابسٌ لِلْفَنَرِ ، وَالْمُدْرَعُ : لابسٌ الدَّرْعِ) .

قال : فَإِنْ أَمَّهُمْ مَنْ فِي يَدِهِ وَقْفٌ ؟ قال : يُعِيدُونَ وَلَوْ أَمَّهُمْ أَلْفٌ

( الوَقْف : السَّوَارُ من العَاج أو الذَّيْل ، وأراد أَنه لا يَجُوز للرجال الاتِّمَامُ بالنِّساء ) .

• • •

الميلفة : ما يَشْرَب فيه الكلب الماء ، وهي من وَلغ الكلبُ ، إِذا تناول الماء بلسانه والقروة : نَقير من خشب تشرب منه الكلاب . والقناء : هو الفَقُوس . والنَّجْو : هو الحدِّث لا غَرَوْ : لا عجب . والمقنَّع : لابس القنَّاع ، يريد المرأة . والوقف : ما وَقَف وحبس من الأموال على المساكين والمساجد . والذَّيْل : جلد السُّلْحفاء البرية ، ويقال : إِنها تعظم ، فرَّما يضع التاجر ليلا عليها حمله يظنها صخرة فتتحل به ، ويستعمل من الطَّبَق الذي عليها خلاخل للحشم والعميد . والعاج عظم الفيل .

\* \* \*

قال : فَإِن أُمَّهُم مَّنْ فَخِذُهُ بَادِيَةٌ ؟ قال : صَلَاتُهُ وَصَلَاتُهُمْ مَاضِيَةٌ . ( الفخِذ : العشيْرة ، وبَادِيَةٌ ، أَي يسكنون البدو ، واختار بمصر أهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخِذ ، ليحصل الفرق بينها وبين العضو ) .  
قال : فَإِن أُمَّهُم الثَّور الأَجَمُّ ؟ قال : صَلَّ وَخَلَكَ ذَمَّ . ( الثَّور : السَّيِّد . والأَجَم : الذي لا رُمُح معه ) .

قال : أَيَدْخُلُ القَصْرُ فِي صَلَاةِ الشَّاهِدِ ؟ قال : لا ، والغائب الشَّاهد . ( صلاة الشَّاهد : صلاة المغرب ، سُمِّيتَ بذلك لإقامتها عِنْد طُلُوع النجم ، لأنَّ النَّحْم يُسَمَّى الشَّاهد )

قال : أَيَجُوز لِلْمَعْدُورِ أَنْ يُفِطَرَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ ؟ قال : ما رُخِّصَ فِيهِ إِلاَّ للصَّبِيانِ . ( المَعْدُورُ : المخمَّتون ، وهو أيضا المَعْدَر ) .

قال : فَهَلْ لِلْمَعْرَسِ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ ؟ قال : نَعَمْ بِمِئَةٍ فِيهِ .

( ٤ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



(المرّس : المسافر الذي ينزل في آخر ليله ليستريح ثم يرتحل).  
 قال : فإن أفطر فيه المرأة ؟ قال : لا تُتَكَرَّرُ عليهم الولاة .  
 (المرأة : الذين تأخذهم المرءاء ، وهي الحمى برعدة) .

\* \* \*

قال : فإن أكل الصائم بعد ما أصبح ؟ قال : هو أخوط له وأصلح .  
 ( أصبح ، أي استصبح بالصبح ) .  
 قال : فإن عمداً لأن أكل ليلاً ؟ قال : يُشَمَّرُ للقضاء ذليلاً .  
 ( ذكر ابن دريد أن الليل فرخ الجباري ، وقال غيره : هو ولد الكروان ) .  
 قال : فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء ؟ قال : يلزمه والله القضاء .  
 ( البيضاء من أسماء الشمس ) .  
 قال : فإن استنار الصائم الكئيد ؟ قال : أفطر ومن أحل الصيد .  
 ( الكئيد : القى . واستناره ، أي استدعاه ) .  
 قال : آله إن يفطر بإخاح الطابخ ؟ قال : نعم لا يطاهي المطابخ .  
 ( الطابخ : الحمى الصالب ) .  
 قال : فإن ضحك المرأة في صومها ؟ قال : بطل صوم يومها .  
 ( ضحكها هنا ، أي حاضت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فضحك فبشرناها ﴾ .  
 بإسحاق ) .  
 قال : فإن ظهر الجدرى على ضرثها ؟ قال : تُفَطِّرُ إن آذن بمضرتها .  
 ( الضرّة : أصل الإبهام ، وأصل الثدي أيضاً ) .

- الطَّاهِي : طابخ اللحم . والصَّالِب : الحَمَى لا ترعد ، وإلحاحها : ملازمتها .  
الجُدْرِي : قروح صفار تخرج على الصبيان . وضَرَّتْهَا : شربكتها في زوجها .

\* \* \*

- قال : ما يجبُ في مائةِ مُصْبَاحٍ ؟ قال : حِقَّتَانِ يا صاح .  
(المِصْبَاح : النفاة التي تُصْبَع في المَبْرَك) .  
قال : فَإِن مَلَكَ عَشْرَ خَنَاجِرٍ ؟ قال : يُخْرِجُ شَاتَيْنِ وَلَا يُشَاجِرُ .  
(الخَنَاجِر : الثوق الغِزار الدَر ، واحدها خِنْجَرٌ وخُنْجُور) .  
قال : فَإِن سَمَّحَ لِلسَّاعِي بِحَمِيمَتِهِ ؟ قال : يا بَشْرَى لَهُ يَوْمَ قِيَامَتِهِ .  
(السَّاعِي : جابي الصَّدقة ، واحمِيمَة : خيارُ المَال) .  
قال : أَيْسْتَحِقُّ حَمَلَةَ الأَوْزَارِ مِنَ الزَّكَاةِ جُزْأً ؟ قَالَ : نَعَمْ  
إِذَا كَانُوا غُزَى . (الأَوْزَار : السَّلَاح . وغُزَى : جمع غَازٍ) .  
قال : أَيَجُوزُ لِلحَاجِّ أَنْ يَتَمَتَّرَ ؟ قال : لا ، وَلَا أَنْ يَخْتَمِرَ .  
(الاعْتِمَارُ : لُبْسُ العِمارة ، وهِيَ العمامة ، والاختِمار : لبسُ الخِمار) .  
قال : فَهَلْ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ الشُّجَاعَ ؟ قال : نَعَمْ ، كَمَا يَقْتُلُ السَّبَّاعُ .  
(الشُّجَاع : الحَيَّة) .

- الحِقَّة : التي استَحَقَّت أَنْ يركبَ عليها . والخَنَاجِر : نوع من السِّكَّابِين  
السِّكَّابِر . ويشَاجِر : يخالف . والجابي : الجامع للصدقة ، ومنه الجباية .  
والأَوْزَار : أثقال الذنوب . والغُزَى : هؤلاء الرِّمَاء بالنشاب . وَيَتَمَتَّرُ :  
يُحِجُّ بعمرة . وَيَخْتَمِرُ : يستعمل الخبز الختمر .

\* \* \*

قال : فَإِنْ قَتَلَ زَمْرًا فِي الْحَرَمِ ؟ قَالَ : عَلَيْهِ بَدَنَةٌ مِنَ النَّعْمِ .

(الزَّمْرَةُ : النَّعْمَةُ وَاسْمُ صَوْتِهَا الزَّمْرُ) .

قال : فَإِنْ رَمَى سَاقَ حُرٍّ فَجَدَّ لَهُ ؟ قَالَ : يُخْرِجُ شَاةً بَدَلَهُ .

(سَاقُ حُرٍّ : ذَكَرُ الْقَمَارِيِّ)

قال : فَإِنْ قَتَلَ أُمَّ عَوْفٍ بَعْدَ الْإِحْرَامِ ؟ قَالَ : يَتَصَدَّقُ بِقَبْضَةٍ

مِنْ طَعَامٍ . (أُمَّ عَوْفٍ : الْجُرَادَةُ) .

قال : أَيُجِبُّ عَلَى الْحَاجِّ اسْتِصْحَابُ الْقَارِبِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،

لَيْسَ وَفَهُمْ إِلَى الْمَشَارِبِ . (الْقَارِبُ : طَالِبُ الْمَاءِ بِاللَّيْلِ) .

قَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْحُرَامِ بِبَدَنِ السَّبْتِ ؟ قَالَ : قَدْ حَلَّ

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . (الْحُرَامُ : الْحَرَمُ ، وَالسَّبْتُ : حَاقُ الرَّأْسِ . وَحَلَّ ،

مِنْ تَحْلِيلِ الْحَجِّ) .

قال : مَا تَقُولُ فِي يَبِيعِ الْكُمَيْتِ ؟ قَالَ : حَرَامٌ كَبَيْعِ الْمَيْتِ .

(الْكُمَيْتُ : الْخُمْرُ) .

وَالزَّمْرَةُ : الْمَرْأَةُ تَضْرِبُ بِالزَّمَارِ . وَالتَّبَدُّةُ الْفَاعَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِضَخَامَتِهَا

وَبَدْنُ الرَّجُلِ ضَخْمٌ . جَدَّ لَهُ : قَتَلَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى الْجِدَالَةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ .

وَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي الْجُرَادَةِ :

وَمَا صَفْرَاءُ تُكْنِي أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ سُوْبِنَقَتَيْهَا مِنْجِلَانِ

وَالْقَارِبُ : السَّفِينَةُ الصَّغِيرَةُ . وَالْكُمَيْتُ : الْفَرَسُ الْأَسْوَدُ الْعُرْفُ وَالذَّنْبُ .

وَالْكُمَيْتَةُ : مُخْرَةُ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ .

\* \* \*

قال : أيجوز بيعُ الخللِّ بلحْمِ الجملِ ؟ قال : ولا بلحْمِ الحَمَلِ .  
( الخللُّ ابنُ الخاضِ ، ولا يخلُّ بيعُ اللحمِ بالحيوانِ ، سواء كان من جنسه أو من غير جنسه ) .

قال : أيجلُّ بيعُ الهديةِ ؟ قال : لا ولا يبيعُ السبئيةُ . ( الهديةُ ، بالتشديد : ما يُهدى إلى السكبة ، ويقال فيها هديةٌ ، بتسكين الدالِّ وتخفيف الياء . والسبئيةُ : الخمرُ ) .

قال . ما تقول في بيعِ العقيقةِ ؟ قال : محظورٌ على الحقيقة . ( العقيقة : ما يُذبحُ على المولود في اليوم السابع من ولادته ) .

قال : أيجوز بيعُ الداعى ، على الراعى ؟ قال : لا ، ولا على الساعى .  
( الداعى : بنية اللبن في الضرع ، والساعى : جابى الصدقة ) .  
قال : أيباعُ الصقرُ بالتمرِّ ؟ قال : لا ، ومالك الخلق والأمر .  
( الصقرُ : الدبس ) .

قال : أيشترى المسلم سلبَ المسلماتِ ؟ قال : نعم ، ويورثُ عنه إذا مات . ( السلبُ : لِحاء الشجر ، وهو أيضا خوصُ الشمام )  
والحملُ : الحروف . والعقيقة : خرزة حمراء . محظور : ممنوع . والصقرُ : من جوارح الطير . الدبس : عسل التمر . خوص : ورق . الثمام : شجر ضعيف يورثه كورق الدوم مزدوجة .

\* \* \*

قال : فهل يجوزُ أن يُبتاعَ الشافعُ ؟ قال : ما لجوازه من دافع  
( الشافع : الشاة التي يتبعها سخلها ) .  
قال : أيباعُ الإبريقُ على بنى الأصفرِ ؟ قال : يُكره كبيعِ المنفرِ .

(الإبريق : السيف الصقيل الكثير الماء . وبنو الأصفر : الروم) .  
 قال : أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه ؟ قال : لا ، وليكن لبيع صفيته . (الصيفي : الولد على الكبر ، والصفي : الناقة الغزيرة الدر) .  
 قال : فإن اشتري عبداً فبان بأمه جراح ؟ قال : ما في رده من جناح . (الأم : مجتمع الدماغ) .  
 قال : أثبت الشفعة للشريك في الصحراء ؟ قال : لا ، ولا للشريك في الصفراء . (الصحراء : الأتان التي يُمزج بياضها غبرة والصفراء : الناقة) .  
 قال : أمحلت أن يحمتى ماء البئر والخلا ؟ قال : إن كان في الفلا فلا . (يحمتى : يمنع . والخلا : الكأ) .

الإبريق : أنية الحجر . الصفيق : ما ولد في زمن الصيف . والصفي : صاحب الخالص . والدر : اللبن . وبان : ظهر . وجنّاح : إثم . والأتان : الأثني من الحجر .

\* \* \*

قال : ما تقول في ميته الكافر ؟ قال : حلّ المقيم والمسافر . (الكافر : البحر ، وميته : السمك الطافي فوق مائه) .  
 قال : أيجوز أن يضحى بالحلول ؟ قال : هو أجدرّ بالقبول . (الحلول : جمع حائل) .  
 قال : فهل يضحى بالطلاق ؟ قال : نعم ، ويُقرى منها الطارق . (الطارق : الناقة تُرسل ترعى حيث شاءت) .

قال : فَإِنْ ضَحَى قَبْلَ ظُهُورِ الْغَزَالَةِ؟ قال : شاة لحمٍ بلا مَحَالَةٍ .  
 ( الغزاة : الشمس ) . قال بمضمهم : يقال : طلعت الغزاة . ولا يقال :  
 غرُبت ، وضدّها الجؤنة ، تسمى بها عند مغيبيها ، لأنها تسودُّ حين تغيب ،  
 كما قال الشاعر :

\* تبادر الجؤنة أن تغيبا<sup>(١)</sup> \*

قال : أَيَحِلُّ التَّكْسَبُ بِالطَّرْقِ؟ قال : هو كالتِمَارِ بلا فرق .  
 ( الطَّرْقُ : الضَّرْبُ بِالْحَصَى ، وهو من أفعال الكهنة ) .  
 قال : أَيَسْلَمُ الْقَائِمُ عَلَى الْقَاعِدِ؟ قال : محظورٌ فيما بين الأَبَاعِدِ .  
 ( القاعد : التي قدمت عن الخيض أو عن الأزواج ) .

والطَّافِي : المرتفع على وجه الماء . والحَوْلُ : جمع أَحْوَلٍ وحَوَلاء . أَجْدَرُ :  
 أحق . والطَّرْقُ : السَّيْرُ بِاللَّيْلِ . محظور : ممنوع .

\* \* \*

قال : أَيَنَامُ الْعَاقِلُ تَحْتَ الرَّقِيعِ؟ قال : أَحْبِبْ بِهِ فِي الْبَقِيعِ .  
 ( الرِّقِيعُ : السَّمَاءُ ، وَعَنَى بِالْبَقِيعِ الْمَدِينَةُ ) .  
 قال : أَبْئِنَعُ الدَّمَى مِنْ قَتْلِ الْعَجُوزِ؟ قال : معارضته في  
 العجوز لا تجوز . ( العجوز : الخمر . وقتلها : مزجها ) .  
 قال : أيجوز أن ينتقل الرجلُ عن عمارة أبيه؟ قال : ما مجرِّز  
 نخاملٍ ولا نبيه . ( العمارة : القبيلة )

قال : ما تقول في التهود ؟ قال : هو مفتاح التزهّد . ( التهود :  
التوبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ .

قال : ما تقول في صبر البليّة ؟ قال : أعظم به من خطيّة .  
( الصبر : الحبس . والبليّة : الناقّة تحبس عند قبر صاحبها ، فلا نسق ولا تلطف  
إلى أن تموت ، وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها ) .

قال : أيحلّ ضرب السّفير ؟ قال : نعم ، والحمل على المستشير .  
( السّفير : ما تساقط من ورق الشجر . والمستشير : الجمل السمين ، وهو أيضا  
الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل ) .

والزّقيع : الأحمق الذي يتخرق عليه رأيه حتى يحتاج إلى أن يرقّع ، ثم كثر  
حتى صار الزّقيع الماخن القليل الحياء ، فأراد : أيرقد عاقل تحت رقيع ؟ فقال :  
ما أحسن ذلك ، إذا كان في البقيع ؛ هذا معناه في الظاهر ، وما قصد به قد فسرّه .  
والبقيع في الأصل : كلّ موضع فيه أصول أشجار مختلفة . التهود : الدخول في  
دين اليهوديّة . عمارة أبيه : ما كان أبوه يعمره من دار يسكنها ومال يعمره .  
السّفير : الرسول . المستشير : المسترشد الذي يستشيرك في أموره والحمل عليه  
إهانتة وظلمه . اللاّقح : الحامل بالولد ، والحائل : ضدهم .

\* \* \*

قال : أيغزّر الرّجلُ أباه ؟ قال : يفعلُه البرّ ولا يآباه . ( التّعزير :  
التّعظيم والنّصرة والتوقير ) .

قال : ما تقول فيمن أفقر أخاه ؟ قال : حبّذا ما توخّاه .  
( أفقره : أعاره ناقه يركب فقارها ) .

- قال : فإن أعرسى ولذنه ؟ قال : يا حُسن ما اعتمده ! ( أعرّاه : أعطاه ثمرة نخلة عامًا ) .
- قال : فإن أصلى مملوكه النار ؟ قال : لا إثمَ عليه ولا عار . ( المملوك : العَجِين الذي قد أُجيدَ عَجْنُهُ حَتَّى قَوِيَ ) .
- قال : أيجوز للمرأة أن تصرم بملها ؟ قال : ما حَظَرَ أحدٌ فعلها . ( البعل : النَّخْل الذي يشرب به روقه من الأرض ) .
- قال : فهل تؤدّب المرأة على الخجل ؟ قل : أجل . ( الخجل : سوء احتمال الغنى ، ومنه قرله صلى الله وسلم للنساء : « إن تكن إذا جعنت دقعتن ، وإذا شعبعتن خجلت » ) .
- قال : ما تقول فيمن نحت أثلة أخيه ؟ قال : أئيم ولو أُذِن له فيه . ( نحت أثلته ، إذا اغتابه وقَدَح في عرضه ) .

يعزّر : يؤدّب ، والتعزير : ضرب دون الحدّ . والبرّ : المكرّم لأبيه .  
 ترخاه : قصده ، وكذلك اعتمده . أصله : جعله فيها . تصرّم : تقطع وتباعده ،  
 وأصل الصّرّم التقطع . بملها زوجها . حظر : منع . الخجل : الاستحياء . وأراد  
 بسوء احتمال الغنى ، أن تكون مبدرةً لمالها سفيهةً ، فكان الغنى لما أتاها  
 لم تحتمله فأفسدته نحت : نجّر . أثلة : شجرة .

\* \* \*

قال : أيجز الحاكم على صاحب الثور ؟ قال : نعم ، ليأمن  
 غائلة الجور . ( الثور : الجنون ) .



قال: فهل له أن يضرب على يد اليتيم؟ قال: نعم، إلى أن يستقيم -  
( يقال: ضرب على يده، إذا حَجَرَ عليه ).

قال: فهل يجوز أن يتخذ له ربصاً؟ قال: لا، ولو كان له رِصاً .  
( الرَّبْصُ: الزوجة )

قال: فتى يبيع بَدَنَ السَّفِيهِ؟ قال حينَ يَرَى له الحظَّ فيه .  
( البَدَنُ: الدرع القصيرة ).

قال: فهل يجوز أن يتتاع له حُشّاً؟ قال: نعم، إذا لم يكن  
مُغشّىً . ( الحُشُّ: النخل المجتمع ).

قال: أيجوز أن يكونَ الحاكمَ ظالماً؟ قال: نعم، إذا كان ظالماً .  
( الظالم: الذي يشرب اللبن قبل أن يروِّب ويخرُج زبده ).

قال: أيستقضى مَنْ ليست له بصيرة؟ قال: نعم، إذا حسنت  
منه السيرة . ( البصيرة: الترس ).

قال: فإن تعرّى من العقْل؟ قال: ذاك عنوان الفضل . ( العقْل:  
ضرب من الوشى ).

غائلة: ضرر . الربص: بقاع من الأرض تباع وتشتري . الحش: الكنيف . مغشى: يفشاه الناس ويدخلونه . البصيرة: اليقين والنظر السديد .  
السيرة: العادة . عنوان: دليل وعلامة .

\* \* \*

قال: فإن كان له زهُوٌ جَبَّار؟ قال: لا إنكارَ عليه ولا إكبار .

- ( الزهو : البُسر المتلون . والجَبَّار : النخل الذى فات اليد وضده القاعد ) .  
 قال : أيجوز أن يكون الشاهد مريباً ؟ قال : نعم ، إذا كان أريباً .  
 ( المريب : الذى يكثر عنده اللبن الرائب ) .  
 قال : فإن بان أنه لاط ؟ قال : هو كما لو خاط . ( لاط الحوض ،  
 إذا طينته ) .  
 قال : فإن عُثِر على أنه غرَبَل ؟ قال : تُردّ شهادته ولا تُقبل .  
 ( غرَبَل ، أى قتل ، ومنه قول الراجز \* ترى الملوك حوله مغربلة \*  
 قال : فإن وضح أنه مائن ؟ قال : هو وصف له زائن . ( المائن  
 ما هنا : الذى يعول ويكفى الثبونة ، من مان يمون ، لا من مان يمين ) .  
 قال : ما يجب على عابد الحق ؟ قال : يحلف بإله الخلق .  
 ( العابد ما هنا : الجاهد . والحق : الدين ) .  
 قال : ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا ؟ قال : مُفقأ عينه  
 قولاً واحداً . ( البلبل : الرجل الخفيف ) .  
 قال : فإن جرح قطاة امرأة فماتت ؟ قال : النفس بالنفس  
 إذا فانت . ( القطة : ما بين الوركين ) .

والزهو : التكبر والإعجاب . الأريب : العاقل . لاط : عمل عمل قوم  
 لوط . وضح : تبين . مائن : كاذب . القطة : نوع من الحمام ، وفقأ  
 العين : أخرجها . والبلبل : طائر .

\* \* \*

قال : فإن أَلْقَتِ الحَامِلُ حَشِيشًا من ضَرْبِهِ ؟ قال : لَيْسَ كَفَرُ  
بالإعناق عن ذنبه . ( الحشيش : الجنين الْمُلْقَى ميتًا ) .

قال : ما يجب على المختفى في الشرع ؟ قال : القَطْع لإقامة الرِّدْع .  
( المختفى : نَبَّاش القبور ) .

قال : فإي صنع بمن سرق أساودَ الدار ؟ قال : يُقَطَّع إن ساوَيْن  
رُبْعَ دينار . ( الأساود : الآلات المستعمله كالإِجَانة والقِدْر : الجفنة ) .

قال : فإن سَرَقَ ثَمِينًا من ذَهَبٍ ؟ قال : لا قَطْع كما لو غَصَبَ .  
( الثمين : الثَّمَن ، كما يقال في النصف : نصيف ، وفي الشُّدْسِ سَدِيس ) .

قال : فإن بَانَ على المرأة السَّرَق ؟ قال : لا حَرَجَ عليها ولا فَرَّقَ  
( السَّرَق : الحرير الأبيض ) .

قال . أينعِدُ نِكَاحٌ لم يَشْهَدَهُ القَوَارِي ؟ قال : لا والخالق  
الباري . ( القَوَارِي : الشهود لأنهم يُقَرُّون الأشياء ، أي يتبعونها ) .

قال : ما تقول في عريسٍ باتت بِلَيْلَةٍ حُرَّة ، ثم رُدَّتْ في حَافِرِهَا  
بِسُحْرَةٍ ؟ قال : يجب لها نصف الصَّدَاق ، ولا تلزمها عِدَّة الطلاق .

( يقال : باتت العروس بِلَيْلَةٍ حُرَّة ، إذا امتنعت على زوجها ؛ فإن افْتَضَّهَا  
قيل : باتت بِلَيْلَةٍ شَيْسَاء . والرَّد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الأول ،  
وكَتَى به من طلاقها قبل وِرْدِهَا إلى أهلها ) .

\* \* \*

الحشيش : نبات يابس . الرِّدْع : الكف والمنع . الأساود : الحيات . الثمين :

الرفيع الثمن .

القواري : طبور خضر ، وقد بين هو أنه أراد بالقواري الشهود ،  
ويقال : المسلمون قواري الله في الأرض أي شهرده ، وقال جرير :

\* المسلمون إيمًا أقول قواري \*

وبابت المروس بليلة شيباء ، إذا غشها زوجها .  
النفجديهي : رأيت : بخط الحريري رحمه الله تعالى :

طَيَّبُوهَا وَلَمْ أَطِيبْ بِطِيبِ رَبِّ مَنَعَ الْأَذْمَنَ إِعْطَاءَ  
بَتِّ فِي دِرْعِهَا وَبَاتَ ضَجِيعِي فِي بَصِيرِ وَلِيلَةِ شَيْبَاءَ

للبصير هنا: قطعة من دم :

وقد أتينا على مافي هذه المسائل من الغريب في الظاهر ، وأما ما قصده من  
المتى فهو مفسر في الأصل ، ولقد أحسن أبو محمد في هذه الفتاوى وبلغ من  
الإقتدار والاتساع فوق المراد ، وإن كان لا يوصف فيها الابتداء ، فقد أحسن  
في الاتباع .

[ الملاحن والمعاريض ]

والسابق إلى هذا المعنى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى في كتاب سماه  
بالملاحن ، وهي من اللحن ، وهو أن تورى بالنظ عن لفظ .

ثم تم تلك الأغراض وحسنها أحمد بن عبيد الله في كتاب سماه بالمنقذ<sup>(١)</sup> .  
وقائدة حفظ هذه الأغراض أن يخوف الرجل أو يروعه أمير ظالم أو مستلط  
غاشم ، فيتخلص منه بهذه المعاريض . فأما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيل إليها ،  
ومعتمد فيهما حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :  
« إن في المعاريض مندوحة عن الكذب » .

(١) في كشف الظنون : « المنقذ من الإتيان لحمد بن أحمد البصري ، المعروف بالعجيج  
مات سنة ٣٢٠ ، وهو يشبه الملاحن لابن دريد .

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « عجبنا لمن يُحسِّن العارِض كيف يكذب ، ولن لآخِن النَّاسِ كيف لا يعرف جوامع السكلم ! »

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لطلّاح المشركين حين لقوه في نفر من أصحابه ، قالوا : تمنّ أنتم ؟ قالوا : من ماء ، فتركوم ، وأراد ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في مُزاحه لإحدى عماته « إن الجنة لا تدخلها عجوز » ، فلما جازعت قال لها « إن الله تعالى يخلفهم يود القيامة أبقاراً » .  
 وقال لامرأة : « ما فعل زوجك الذي في عينيه بياض ؟ فلما جازعت قال :  
 « لها أو ليس في كل عين بياض ؟ »

وقال له رجل : احملي ، قال : ما عندي إلا ولد الناقة ، فقال : وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وهل الإبل إلا من النوق ! » .  
 فاستجيزت المعارض على هذا النحو من المزاح أو التحريف .

ومن ذلك أن بعض العرب أدخل على الواثق ، وكان يقول بخلق القرآن ويعاقب من خالفة ، فقال له ، ما تقول في القرآن ، فتصامم عليه ، فأعاد السؤال ، فقال : من تعنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إياك أعني ، فقال : مخلوق - يعني نفسه ، وتخلص منه .

وقال لآخر من الصالحين : ما تقول في القرآن ؟ فأخرج يده ، وجعل يمد أصابعه ، ويقول : التوراة والإنجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقة . فعنى أصابعه ، وتخلص منه .

(١) سورة الطارق : ٦

وتعذر على رجل لقاء المأمون في ظلامه ، فصاح على بابه : أنا أحمد النبي المبعوث . فأدخل إليه ، وأعلم إنه تنبأ فقال له : ما تقول ؟ فذكر ظلامته ، فقال له ما تقول فيما حُكي عنك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : ذكروا أنك تقول إنك نبي ، فقال : معاذ الله ، إنما قلت : أنا أحمد النبي المبعوث ، أفأنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمده ؟ فاستظرفه ، وأمر بإنصافه .

وخرج شريح القاضي من عند زياد ، وتركه يجود بنفسه ، فسأله الناس عن حاله ، فقال : تركته يأمر وينهى ، فجزعوا لسلامته ، فراعهم إلا صياح النائمات عليه . فسئل شريح عن قوله ، فقال : تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء .

وسئل ابن شبرمة عن رجل ليستمعمل ، فقال : إن له شرفاً وقدماً وبيتاً . فنظروا فإذا هو ساقط سفلة ، فقيل له في ذلك ، فقال : شرفه أذناه ، وبيته الذي يأوى إليه وقدّمه الذي يمشى عليه .

وقال صاحب المنقذ :

إذا حلفت بالأيمان اللازمة لك ، فانو بالأيمان الأيدي ، قال تعالى : ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ . فإن قلت : كل امرأة طالق فاعن الطالق من الإبل ، وهي التي يطلقها الراعي ، والطلاق التي يحمل عليها عقابها .

فإن قيل : احلف بظاهر امرأتك كظهر أمك ، فاعن بالظهر ما يركب من الخليل والبغال والحمر ، ولا جناح عليه في ركوب دواب أمه

فإن قال : احلف بما لك على المسلمين صدقة ، فاعن ما لك على المساكين من دين ، وليس لك عليهم شيء .

فإن أحلفك بأن كل مملوك لك حر . فالمملوك : الدقيق اللتوت بالماء أو الزيت أو السمن .

فإن قال: كل غلام لك حر. فالحر: الحية الذكّر، والحر من الرمل الذي ماوطى، والحر: ذكر الحمام، قال حميد.

\* دَعَتْ سَاقَ حُرِّ تَرْحَةٍ وَتَرَمَا \* (١)

فإن أحلفك بأن كل جارية لك حرّة، فالجارية السفينة، والريح والشمس. فإن قال: احلف وإلا كل أمة لك حرّة، فالحرّة الأذن، والحرّة السحابة الغزيرة المطر.

فإن أحلفك: وإلا فمالك حبس، فحبس بلد معروف، قال ابن حنّانة:

\* لمن الديار عَفُونٌ بالحبس \*

فإن قال: وإلا فهو كافر. فالكافر الليل، أو البحر أو الزراع للبذر، قال الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (٢)، وأصله الساتر.

وتقول: كل امرأة تزوجتها فقد طلقها بتاناً. فتزوجت اتخذت زوجاً من النبات أي لونا، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ (٤) من نبات شتى، وطلقها ألبستها الطلق، وهو قبة من جلود والنبات: الزاد.

وتقول: مانطيت ولا تمسكت. فتطيت أنبت الطيب، وهو بلد بين واسط والسوس، أو طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. وتمسكت: لبست مسكاً وهو الجلد، أو تفتت من الامتسك.

وتقول: ماله قبلي درهم ولا دينار. فدرهم قبيلة من ربيعة، لهم خطة في البصرة، ودينار اسم رجل معروف.

(١) ديوانه ٢٤، وصدرة:

\* وماهاج هذا الشوق إلا حمامة \*

(٣) سورة ن ٧

(٢) سورة المدد ٢٠

(٤) سورة طه ٣

وماله قبلي ثوب ولا شقة ولا قميص . الثوب : الرجوع ، من ثاب بثوب ،  
والشقة : البعد . والقميص : غشاء القلب .

وماله قبلي شئ بوجه من الوجوه ، ولا بسبب من الأسباب . الشئ : مصدر  
شويت اللحم . والوجوه صور مختلفة من التصاوير . والوجه : المقصد ، والجمع  
وجوه ، والأسباب : العبال .

وما أوصيتُ إليه ، وما أوصى إلي . أوصى دخل في الواصي ، وهو بيت  
متصل بمضه ببعض .

ولا أعلم له داراً ولا عقاراً ؛ فداراً : بلد معروف بالجزيرة ، قال الشاعر :

ولقد قلتُ لرجلي بين حران وداراً<sup>(١)</sup>  
اصبري يارجلُ حتى يرزقُ اللهُ حماراً

والعقار : النخل .

ولا أعرف للمرأة بغلاً ولا ولياً . فالبغل : النخل أو الشجر ، يشرب بماء  
السحاب ، والولِيّ : بلي الوشمي .

وتقول : ما اشتريتُ لفلانة ضرتك قميصاً ، ولا إزاراً ولا رداءً ، ولا فناعاً  
ولا غلالة ، ولا حلتيتها خاتماً ولا خلخالاً ولا طوقاً ولا سواراً ؛ ولا قرطها  
ولا شنفقها ولا كسوتها ، ولا جلست مع قينة ولا مغنية ولا ضاربة بمودولا بطل  
ولا رباب ، ولا سمعت زمارة ولا ذقت نبيذاً فالقميص غشاء القلب ، والرداء  
السيف أو الدين أو الفطاء ، والإزار : قُبَل المرأة أو جسم الرجل ، قال الشاعر :

● فدَى لك من أخى ثقة إزار<sup>(٢)</sup> ●

والإزار : العفاف ، والقناع : جمع قنَع ، وهو طبق يجعل عليه الفاكهة .

(١) دارا : بلدة في لُحف جبل بين نصهين وماردين - ياقوت

(٢) الحان - أزر ، من أبيات لجمدة بن عبد الله السلمي

(٥ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



وفي الحديث : إن<sup>(١)</sup> الربيع ابنة معوذ أنت النبي صلى الله عليه وسلم بتناع من رطب  
وآخر من زغب فأكل منه ، والزغب: القثاء . والفلاة : مسامر من مسامير  
الدروع ؛ قال :

\* فهنّ وضاء صافياتُ الغلائلِ<sup>(١)</sup> \*

والفلاة: الجماعة من الناس ، والغلام: شعرات بيض في قوائم الفرس . والسوار  
مصدر ساورت الرجل . والغلال: الرمل الجريش . والطوق: المصدر من الطاقة،  
وقرطها من القرط، وهو العلف الرطب تأكله الدواب، فإذا يبس فهو اللت . وشنتها  
جعلتها مشنقة أى مبعضة ، من شنت الرجل ، إذا أبغضته . وكسوتها : ضربت  
كسأها ، وهو جانبها ، وجانب كرسى . كسأه والجمع أكسأه ، والقينة: هزومة بين  
الوركين وعجب الذنب من الفرس، والعود الذي يُتبخَّر به، والزماره: الفاجرة،  
ومنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الزماره ، والزماره: الغلّ، وفي خبر  
الحجاج: أتى سميد بن جبير وفي عنقه الزماره، أى ساجور، والطبل: السلة التي يحمل  
فيها الطعام ، والطبل: الخراج . والمغنية : ناقة تضرب بناجها ، والزباب : سحاب  
متراكب قريب من الأرض . والتبيذ : ما تبيذته النعام أو الخبير بأرجلها من الحمى .  
وتقول : مالى مركوب وما بت عبداً ، وقد افتقرت حتى مافى ملىكى  
نفقة يوم مالى، بمعنى ملىكى ، ومركوب : ضربت ركبته ، وثنية بالحجاز .  
وعبد: جبل من جبال طي . وافتقر : اشتد فقاره أو كسر فقار جدى  
أو حمل ، والملك : الحجمة .

وتقول : ما أضعتُ عمك ولا قصرتُ ولا أهملتُ ولا فرطتُ ولا ساحتُ  
أحدًا ، ولا تركتُ واجبًا ، ولا ارتفعت بحبه ، ولا أبيتُ غايةً في مناصحتك ،  
أضعت : كثرت ضياعي . وفرطت : بعثت فارطاً ، وهو طالب المساء ،

(١) ذكرها ابن حجر في الإصابة ٤: ٢٩٣ (٢) لثناينة ، ديوانه ٦٤ اللسان (علل) ، ومدره :

\* عَلَيْنَ بِكَ دِيُونٍ وَأَبْطُنٍ كُرَّةٍ \*

وقَصَّرت : بنيت قصراً . وأثَمَلت : كثرت هَواملي ، وهي الإبل السارحة في  
العزى بلا راعٍ . وساحتُ : نظرتُ أَيْنا أكرم . والواجب : الساقط ،  
وارتفتت : نمتُ على مِرْفَقي ، والغاية : راية الحمار .  
وتقول : ماشمت له أبى ولا عمًّا ولا عمَّة ، ولا خالاً ولا خالة ، ولا صحبته ،  
ولا شاهدته ولا راسلته ، ولا شاربته ، ولا نادمته ، ولا رأيتُه منذ دهرٍ  
أنى : داء يأخذ للمعزى ، قال :

• أبى لا إخال الضأن منه نواجياً<sup>(١)</sup> •

وعمّ : قطعة من الناس ، وقريبة بالشأم ، والعمّة النخلة ، قال صلى الله عليه وسلم :  
« نعمت العمّة لكم النخلة » ، وقيل لها عمّة لأنها خلقت من بقية طينة  
آدم عليه السلام . والخال : السحاب ، والخال من البرود ، والخال من  
الخيال ، والخالفة : جمع خال من الكبر . وصحبته : منمته ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا  
مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى يمتعون . وشاهدته : أكلت معه الشهد ، وراسلته :  
شربت معه الرسل ، وهو اللبن ، وشاربته من الشوارب ، ونادمته من الندم ،  
ورأيتُه : ضربت رثته ، ودهر : قبيلة من إباد .

وتقول : ما كتبتُ له حرفاً ، ولا خطتُ له بقلم ، ولا شتمته ولا هجوته ،  
ولا افتريتُ عليه ، ولا أعرف عليه سوءاً . الحرف الناقة المضمرة ، والقلم :  
القدح ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُبَلِّغُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، يعنى قِداح الميسر . والشتم :  
تجريح الوجه ، وهجوته : أزلت نعمته ، وهو الهجى مقصور ، وافتريتُ : لبست  
الفرس ، والسوء : البرص .

وتقول : رأيتُه فى السوق متوفى مقبوراً ، وما أخذ دواءً ولا معجوناً .

(١) اللسان - أبى ، ونسبه لابن أحمز

(٢) سورة آل عمران ٤٤

(٣) سورة الأنبياء ٤٣

فالسوق : أصول الشجر وأعناقها . متوفى دائماً . مقبوراً : مبخراً بالعود .  
الهندي الذي فيه قبر ، أى رخاوة . والدواء والدأوية : جلدة الابن ، والمجنون :  
المضروب على عيانه .

وتقول : هو مجنون مُصاب ، قد غلّ مراراً ، فما اعتذرتُ له ، ولا تنصت له  
لأنه ليس من الأجواد ، ولا الشجعان الذين يُقدح في أنسابهم . الجنون :  
المستور . مصاب : مجذّر من صاب يصب ، وغلّ من الغلّة ، واعتذر وتنصل :  
اتخذ عذاراً ونَصلاً . والأجواد : العطاش . والشجعان : الحيات ، والأنساب :  
أسنان المُشط .

وتقول : رأيت الجيش بالثغر ، والفارس في الفوارس ، فما أفضّل عليه  
أحدًا من العرب والعجم . الجنيش : الفليان ، والثغر : شجرٌ له شوكة ،  
والفارس : الحسن الفراسة ، والفوارس : كُشبان رمل ، والعرب :  
فساد المعدة ، وعربت معدته . والمجم : النوى .

وما أكلت دابتي شعيراً . الشعير : جمع شَميرة ، وهو مسمار من الفِضة في  
قائم السيف .

والباب منسحق وفيه تأنس لما ذكره أبو همد .

\*\*\*

ومن المعارض ، أن الحجاج لما أخرج ابن القبري من سجنه قال له :  
صمت يا غضبان ، قال : القيد والرّمة<sup>(١)</sup> ، والخفض والهدمة ، ومن يكن ضيف  
الأمير يستمن ، قال : لأحملك على الأدهم ، قال : مثل الأمير يحمل على الأدهم  
والورذ والكميت . قال : إنه حديد ، قال : لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون  
بليداً ، قال : اضربوا به الأرض ، قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>  
قال : جُرّوه ، قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمَرَسَاهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال : احملوه على الأيدي

(١) الرّمة : الاتساع في الحصب (٢) سورة طه ٥٥ (٣) سورة هود ٤١

فَلَمَّا حَمَلَ قَالَ: ﴿سَبَّحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾<sup>(١)</sup>، فَضَحِكَ الْحِجَاعُ وَقَالَ: غَلَبْنَا هَذَا الْحَبِيثَ، خَلَّوْهُ إِلَى صَنْحَى مِنْهُ، قَالَ: ﴿فَاَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغسانی - وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة - من أين أقصى أترك؟ قال: من صُلب أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: حل الأرض، قال: فقيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أنتقل لا عقلت! قال: إني والله وأقيد، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: فما سنك؟ قال: عظم، قال: ما تزيدني مسألتك إلا عيًّا، قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك.

الربيع بن عبد الرحمن، قلت لأعرابي: أتهمز لإسرائيل؟ قال: إني إذا لرجل سوء؛ أراد قوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، قلت: أتهمز فلسطين؟ قال: إني إذا لتقوى!

خلف الأحمر: قلت لأعرابي: ألتقي عليك بيتًا؟ قال: على نفسك فألتقه.  
قيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال: المهر يهمزها.

ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالي عامل إرمينية، وقد بات على قرب من غدیر فيه ضفادع، فقال عبد الله: ما تركت لنا شيوخ محارب تنام في هذه الليلة لشدة أصواتها. فقال المحاربي: أصلح الله الأمير! إنها أصلت برقما، فهي في بُعْثَانِه. أراد الهلالي قول الأخطل:

تنقُّ بلا شيء شيوخ محاربٍ وما خلقتها كانت تریش ولا تبری<sup>(٤)</sup>  
ضفادع في ظمأ ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

(٢) سورة الزخرف ٨٩

(٤) ديوانه ١٣٢

(١) سورة الزخرف ١٣

(٣) سورة القم ١١

وأراد المحاربي قول الآخر :

لِكَلِّ هِلَالِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بَرَقَ      ولابن هلالٍ بَرَقَ وَقَبِيصٌ  
وهذا النحو من التعريض كثير .

وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى :

يا ضَرَّةَ الشَّمْسِ الَّتِي أَشْرَقَتْ      قَدْ أَشْرَقَتْ حِجَّةَ مُشْتَاؤِكَ  
لِحَظِّكَ أَوْ خَصْرُكَ قَدْ ضَمِنَا      مَا ضَمِنَتْ هِدْيَةَ مِيثَاقِكَ  
تَأْتُرُ المَوْىَ يَطْلُبُهُ تَائِرٌ      مَصْرَمُهُ مَا بَيْنَ أَحْدَاقِكَ  
لَا تَدْخُرِي أَنفَسَ صَوْتٍ قَدْ      يُرْغَبُ فِي أَنفَسِ أَعْلَاؤِكَ  
رَفَقًا بَيْنَ مُلْكَتِهِ فِي المَوْىِ      فَإِنَّه آخِرُ عُشَاقِكَ

فأنفس أعلام المرأة معلوم ، والظرف كآه في قوله : « فإنه آخر عشاقك »  
يعرض أنها أسنت فلا عاشق لها من بملده . والقينة : التي داعبها وما زحها تفهم  
ما خوطبت به ، لأنها تلميذة ولأدة بنت المكتفي ، وولادة شاعرة بارعة التندير ،  
فمن تندرها قولها في ذي الوزارتين ابن زيدون عاشقها تعرض له بشيء  
كان يُزن به :

ما لابن زيدون على فضله      يفتابني ظلماً ولا ذنب لي<sup>(١)</sup>  
يلحظني شزراً إذا جئته      كأنما جئت لأخصي علي

وحتى صبيته ، وكان يمزح معه .

...

فقال له السائل : لله دَرَكٌ من بحرٍ لا يُغضِضُهُ الماتِحُ ، وَحَبْرٌ  
لا يبلغ مدحه المادح ؛ ثم أطرق إطراق الحبي ، وأرم إرمام

(١) تمام المتن ١١٠ .

العبيّ . فقال له أبو زيد : إيه يافتى ! فإلى متى وإلى متى !  
فقال : إيه لم يبق في كِنَاتِي مِرْمَاة ، ولا بِنْدِ إِشْرَاقِ صُبْحِكَ  
مِمَارَاة ؛ فبالله أئى ابنِ أَرْضِ أَنْتِ ؟ فإحسِنِ مَا أَبْنَتِ !  
فأَنشَدَ بِلِسَانِ ذَلِيقٍ ، وَصَوْتِ صَهْصَلَتِي :

أنا في العالم مُثَلَّةٌ ولأهل العِلْمِ قِبَلَةٌ  
غَيْرَ أئى كُلِّ يَوْمٍ يَبِينُ تَعْرِيسِ وَرِحَلَةٍ  
والغريب الدار لو حَلَّ بطُوبَى لَمْ تَطْبَلْهُ

ثمَّ قال : اللهمَّ كما جَعَلْتَنَا مِنْ هُدَى وَيَهْدَى ، فَاجْعَلْهُمْ مِنْ  
يَهْتَدِي وَيُهْدَى .

فساق إليه القومُ ذُوْدًا مع قَيْنَةٍ ، وسألوهُ أَنْ يَزُوْرَهُمُ الفَيْئَةَ  
بعد الفَيْئَةَ . فنهض يُمَنِّيهِمُ العُوْدَ ، وَيُرْجِي الأُمَّةَ وَالذُّوْدَ .

...

قوله : يَفْضُضُهُ : يَنْقُصُهُ . اللَّامُحُ : المُسْتَقَى مِنْ أَعْلَى البُئْرِ ، وَاللَّامُحُ ، هَالِيَاءُ  
مِنْ قَعْرِهَا . حَبْرٌ : هَالِمٌ . أَطْرُقُ : أَمَالُ رَأْسِهِ سَاكِنًا . وَأَرَمٌ : سَكَتٌ . العَبِيّ :  
الَّذِي إِنْ كَلِمَتَهُ لَمْ يُحْسِنِ رَدَّ جَوَابِهِ . إِيهَ : بِمَعْنَى زِدْنِي مِنْ سُؤَالِكَ .

ابن السرى : إِذَا قُلْتَ : «إِيهَ يَارَجُلُ» ، فَإِنَّمَا تَأْمُرُهُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنَ الحَدِيثِ  
المَعْرُودِ بَيْنَكَ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : هَاتِ الحَدِيثَ ، وَإِن قُلْتَ إِيهَ : بِالتَّنْوِينِ ، فَكَأَنَّكَ  
قُلْتَ : هَاتِ حَدِيثًا مَا ، فإلى متى سَكَوَتِكَ ؟ مِرْمَاةٌ : سَهْمٌ يرمى بِهِ السَّبْقُ ، وَقِيلَ :  
هُوَ سَهْمٌ مَدَوْرٌ التَّصَلُّ . بعد إِشْرَاقِ صَبْحِكَ ، أئى بعد ظُهُورِ فَضْلِكَ . وَإِشْرَاقُ  
ضَوْءِ . مِمَارَاةٌ : شُكٌّ . أَبْنَتِ : بَيَّنَّتْ . ذَلِيقٌ : حَدِيدٌ . صَهْصَلَتِي : شَدِيدٌ .

مَثَلَةٌ : معيّر الخلق ، فهي « فُتْلَةٌ » من المثل ، ويقال المثلثة والمثل بمعنى .

\* \* \*

[ ذكر قباح الوجوه من أهل العلم وغيرهم ]

ونذكر على قوله : « أنا في العالم مثلة » ، فصلاً في ذكر قباح الوجوه من العلماء وغيرهم .

فهم الجاحظ ، وأراد المتوكل أن يعائم بنيه الثلاثة ولاية عهده ، فأدخل عليهم ، فارتاعوا من قبح وجهه ، فأخرج عنهم بمنف .

وحكى المسمودي : أن الجاحظ قال : ذُكِرْتُ للمتوكل لتعليم بعض ولده ، فلما رأى استبشع منظري ، فأمر لي بمشرة آلاف درهم<sup>(١)</sup> وصرفني .  
وقال الحدوثي :

لو يُسَخُّ الخنزيرُ مسخاً ثانياً رأيتَه في دون قُبْحِ الجاحِظِ<sup>(١)</sup>  
رجُلٌ ينوب عن الجعيم بوجهه وهو العدوّ لكل عينٍ لاحِظِ  
قال الأصمعي رحمه الله : دخلت يوماً على جعفر بن يحيى ، فقال لي : هل لك يا أصمعي من زوجة ؟ قلت : لا ، قال : بخارية ؟ قلت : للهينة ، قال : فهل لك أن أهب لك بخارية نظيفة ؟ ، قلت : إني لاحتاج إلى ذلك . فأمر بخارية فأخرجت وهي في غاية الحسن والجمال والهينة والظرف ، فقال لها : قد وهبتك لهذا ، وقال لي : خذ هذه ، فشكرته ، وبكت البخارية ، وقالت : يا سيدي ، أتدفعني لهذا الشيخ مع ما أرى من سماحتك وقبح منظره ! وجزعت جزءاً شديداً ، فقال لي : يا أصمعي ، هل لك أن أهوضك منها ألف دينار ؟ قلت : ما أكره ذلك ، فأمر لي بها ، ودخلت البخارية ، فقال لي : يا أصمعي ، أنكرت عليها شيئاً ، فأردت عقوبتها بك ، ثم رحمتها منك ، قلت : أيها الأمير ، أفلا

(١) نسجها الثعالي في ثمار القلوب ٤٠٤

أهلتنى قبل ذلك ، فإنى لم آتاك حتى سرتحت لحيتى ، وأصلحت وجهى وعمتى ، فلو عرفت الخبر لسرت على هيئتى وخلقتى ، فوالله لو رأته كذلك لما عودت شيئاً تنكره أبداً .

وما ضر من ذكرنا قبيحتهم مع العلم الذى زينهم الله به ، وكذا يبنى لمن خلقت قبيح الصورة أن يستعمل لها الأخلاق الحسان ، والأفعال الحسان ، لئلا يجمع بين قبيحين .

كان الأوثيقى الخزومى أقبح الناس خلقة ، وما روى مثله فى العفاف والزهد . وكان قاضى مكة ، فقال يوماً لجلسائه : قالت لى أمى : يا بنى إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان فى بيوت التيان ، فعليك بالدين ، فإن الله تعالى يرفع به الخسيسية ، ويتم به النقيصة . فنفعنى الله بكلامها ، فوليت القضاء .

وروى أن أم مالك بن أنس أوصته بمثل هذه الوصية ، حين أراد أن يتعلم الفناء فى حدائته ، فتركه وتعلم العلم ، فذهب به حيث بلغ .

وكان عطاء بن أبى رباح أعور أسود أفتس أشل أهرج ، ثم عمى . وأمه سوداء تسمى بركة ، وقيل لأهل مكة بمد موته : كيف كان عطاء بن أبى رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التى لا يُعرف فضلها حتى تُنفقد .

وكان فى خلقه أبان بن عثمان كل عيب ، وكان يُضرب بُميوبة المثل فى المدينة .

كان معن بن زائدة أمير اليمن يوماً جالساً إذ أتته امرأة من بنى سهم ، ومعها ابن صغير يتبعها ، ويطأ أذيالها ، فقالت : أصلح الله الأمير إن عمى زوجتى من ليس بكفء ، فقال : من هو ؟ فقالت : ابن ذى مناجب ؟ فقال : طم به ، فدخل أقبح من خلق الله ، وأشوههم خلقاً ، قال : من هذه منك ؟



قال : امرأتى ، قال : خلّ سبيلها ، فقل ، فأطرق معن ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

لَعَنَرى لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُحَبَّبٍ      وَلَا حَسَنٌ فِي عَيْنِهَا ذُو مَنَاجِبِ  
فَمَا أُمُّهَا لَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ      وَغَيْنًا لَهُ خَوْصَاءُ مِنْ تَحْتِ حَاجِبِ  
وَأُنْفًا كَأَنْفِ الْبَكْرِ يَقْطُرُ نَاتِنًا      عَلَى لَحْيَةِ عَضْبَاءٍ مِنْهُ وَشَارِبِ  
أَتَيْتُ بِهَا مِثْلَ الْمَهْسَةِ تَسُوقَهَا      فَيَاحَسَنَ مَجْلُوبٍ وَيَا شَرَّ جَالِبِ

وكان تزوجها بمكة وقدم بها اليمن . والصبي هو ابن جامع المغنى المشهور .

وحكى البعترى في نوادره عن رجل سماه قال : مررت بامرأة من أجمل الناس ، معها رجل من أقبحهم ، فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا منك ؟ قالت : رَجُلِيهِ ، فقلت : وَمَنْ قَرْنِكَ بِهِ ؟ قالت : أَخِيهِ ، فقلت :

جَزَى الرَّحْمَنُ عَنْكَ أَخَاكَ شَرًّا      فَقَدْ أَخْزَاكَ فِي الدُّنْيَا وَزَادَا  
فَلَمْ أَرَ مُفْزِلًا قُرْنَتْ بِكَابٍ      وَلَا خِزًّا بَطَانَتُهُ بِجَادَا  
وقال آخر :

أَلَا رُبَّ بِيضَاءِ الْحَاجِرِ طَافَلَةٍ      تُسَاقُ إِلَى وَغْدٍ مِنَ الْقَوْمِ تَبَالِ  
يَقُولُونَ جَرَّتْهَا إِلَيْكَ قَرَابَةٌ      فَوَيْحَ الْعَذَارَى مِنْ بَنِى الْعَمِّ وَالْخَالِ !

وقال آخر :

لَا بِنَ عِبْدِ النُّورِ وَجْهٌ      صَارَ لِلتُّبَيْحِ مَلَاذَا  
قَالَ قَرْدٌ إِذْ رَأَاهُ      لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى ذَا

وقال في بشار :

تَوَائِبَ أَقْسَارًا وَأَنْتَ مَشَوَةٌ      وَأَقْرَبَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ

وكان بشار ضخمًا قبيح الوجه ، جاخط الحدقتين ، أقبح الناس عى ومنظرًا

قال فيه حماد عجرد :

ألا مَنْ مُبْتَغٍ عَنِ الِ ذِي وَالِدِهِ بُرْدٌ (١)  
 إِذَا مَا نُسِبَ النَّاسَ فَلَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ  
 وَأَعْمَى بِشْبَهُ الْقِرْدَا إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

قال بشار عندما سمع هذا البيت : ما أخطأ ابن الزانية من حين شبّهني بقرد  
 وجعل يبكي ويقول : ما حيلتي ! يراني ويشبّهني ، ولا أراه فأشبهه ! وبعده :

وَلَوْ تُنْقِيهِ فِي صَلْدٍ صَفَا لَانْصَدَعَ الصَّلْدُ  
 هُوَ السَّكَبُ إِذَا مَا مَا ت لَمْ يُوجَدَ لَهُ قَعْدُ

وأنشده رجل قول حماد :

دُعَيْتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لَغَيْرِهِ وَهَبِكَ الْبُرْدِ نَكْتُ أُمِّكَ مِنْ بُرْدٍ

قال : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، قال : أحسن والله ابن الزانية ، ولقد تهيأ  
 له في بيت واحد على خمسة ممان من الهجو ، وهي : « دعيت إلى برد » معنى .  
 « وأنت لغيره » معنى ثان ، و « هبك لبرد » معنى ثالث ، « نكت أمك »  
 شتم واستخفاف مجرّد ، وهو معنى رابع ، ثم ختمها بقوله : « من برد » فأتم  
 بالطامة الكبرى .

وأوجع ما مرّ عليه من قول حماد :

لَوْ طَلَيْتُ جِلْدَتَهُ عَذْبَرًا لِأَفْسَدَتْ جِلْدَتَهُ الْعَنْبَرَا (٢)  
 أَوْ طَلَيْتُ مِنْسَكَ ذَكِيًّا إِذَا تَحَوَّلَ الْمَسْكُ عَلَيْهِ خَرَا

كان حفص بن أبي بردة (٣) أنفص أعفص مقبّح الوجه ، وكان حماد صديقه ،  
 فغناشداوا الشعر يوما ، فطمعن حفص على مرّش ، فقال حماد :

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِيكَ بِأَحْفَصُ شَاغِلٌ وَأَنْفُ كَثِيلِ الْعُوذِ عَمَّا تَنْبَعُ (٤)

(٢) الأغانى ١٤ : ٣٣١

(١) الشعر والخبر في الأغانى ١٤ : ٣٢٩

(٤) الأغانى ١٤ : ٣٥١ .

(٣) ط : « وردة » تصحيف .

تَتَّبِعُ لِحْنًا فِي كَلَامِ مَرْقَشٍ      وَوَجْهَكَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَقْبَعِنِ أَجْمَعِ  
فَأَذْنَاكَ إِقْوَاءَ وَأَنْفِكَ مُكْفَأً      وَعَيْنَاكَ إِطْطَاءً ، فَأَنْتَ لِلرَّقْعِ

أخذ تشبيه الأنف بالثيل من قول كعب في الوليد بن عبد الملك :

فَقَدْتُ الْوَلِيدَ وَأَنْفَاهُ      كَثِيلِ الْبَعِيرِ أَبِي أَنْ يَبُولَا

قال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز من عظامه ، فرآنا نضحك ، فقال لنا : ما يضحككم ا فوالله لقد كنت في قوم يشمونني الأفتس .  
وقال الشاعر :

إِذَا أَنْتِ أُقْبِلْتِ فِي حَاجَةٍ      إِلَيْهِ فَحَلَّمَهُ مِنْ خَلْفِهِ  
فَإِنْ أَنْتِ وَاجِهَتَهُ بِالْكَلا      مَ لَمْ يُسْمِعِ الصَّوْتِ مِنْ أَنْفِهِ

وقال آخر :

لَمَنْ عَيْسَى أَنْفِ أَنْفِهِ      أَنْفَهُ ضِعْفَ لِيَضْمِنِهِ<sup>(١)</sup>  
لَوْ تَرَاهُ رَاكِبًا وَالْأَنْفُ قَدْ جَالَ بِعَظْمِهِ  
لَرَأَيْتَ الْأَنْفَ فِي السَّرِّ      جَ وَعَيْسَى رِدْفُ أَنْفِهِ

وقال الحسن في جعفر بن يحيى :

ذَاكَ الْوَزِيرَ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ      كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطَّوْلِ  
وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْخَلِيعِ<sup>(٢)</sup> :

سَابُورَ وَيَنْحُكَ مَا أَخَصَّكَ      بَلْ أَخَصَّكَ بِالْعَيُوبِ !  
وَجْهٌ قَبِيحٌ فِي التَّبَسُّمِ      كَيْفَ يَحْسُنُ فِي الْقَطُوبِ !

كان جعظة البرمكي ناثي العينين جداً ، قبيح الوجه ، فقال فيه ابن الرومي :  
نَبَتْ جَعْظَةُ يَسْتَعْمِرُ جَعْظُهُ      مِنْ فَيْلِ شَطْرَنْجٍ وَمِنْ سَرَطَانَ<sup>(٣)</sup>  
يَا رَحْمَةً لِنَادِمِهِ تَحْتَمَلُوا      أَلَمْ الْعَيُونَ لِلذِّدَةِ الْأَذَانَ

(٢) هو الحسين بن الضحاك ، والبيتان في ديوانه ٢٩

(١) ذيل زهر الآداب ٢٨١

(٣) ذيل زهر الآداب ١٩٨

وكان طيب الغناء ، وحضر مجلسه علي بن بسام ، ففترق القوم الخاد ، فقال جعظة : مالي لا أعطي مخدة ؟ فقال له ابن بسام : غن فالخاد كلها إليك تصير ، وقال فيه :

يا مَن هَجُوناهُ فَمَنانَا      أنتِ وحقُّ اللهُ أمَّ بَنانَا  
سَيانٍ إنْ غَنَى لنا جعظَةَ      أو مرَّ بهجُونون فرنانَا

وله فيه أيضاً :

بلحظة الحسن عندي يد      أشكرها منه إلى المحشر  
لما رأني ردَّ برذونهُ      وصانني عن وجهه المنكر

كان الحطيئة قبيح المنظر ، كثير الشر ، فالتبس يوماً إنساناً بهجره فلم يهد ، فجعل يقول :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكماً      بشرٍ فما أدري لمن أنا قائلهُ<sup>(١)</sup>  
فأطلع في ماء فرأى وجهه ، فقال :

أرى لي وجهاً قبيح الله شخصه      فقبيح من وجهه وقبيح حامله

نظر إلى هذا إسماعيل بن معمر القراطيسي فقال :

وبلي على ساكن شط الصراة      من وحنديه شمت برق الحياة<sup>(٢)</sup>  
ما تنقضي من حجب فكرتي      من خصلة قرط فيها الولاية  
ترك الحبين بلا حاكم      لم يعمدوا للعاشقين القصاص  
وقد أتاني خبرٌ صاءني      مما لها في السرِّ: وأساءتاه  
أمثل هذا يتنفي وصلنا      أما يرى ذا وجهه في المرآة!

وقال الأصبهاني : إن القراطيسي سأل العباس بن الأحنف فقال له :  
يا أبا الفضل ، هل قلت في معنى قولي هذا شيئاً ؟ فقال : قلت :

(١) ديوان الحطيئة ١٢٠ . (٢) الاغاني ٢٠ : ٨٨ ، ٨٩ — سامي

جاريةٌ أعجبها حُسنُها      ومثلها في النَّاسِ لم يَخْلُقِ (١)  
 خَبِرَتْهَا أَنِي مَحَبٌّ لَهَا      فَأَقْبَلْتُ نَضْعَكَ مِنْ مَنْطِقِي  
 وَالْتَفَعْتُ نَحْوَ فِتَاةٍ لَهَا      كَالرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ فِي قَرْطَقِي  
 قَالَتْ لَهَا قَوْلِي لِمَذَا الْفَتَى:      انظُرْ لِي وَجْهَكَ ثُمَّ اعشِقِ

وقال الصَّعْتَلِيُّ فِي صِفَةِ عَذُولٍ قَبِيحٍ :

رَأَى وَجْهَ مَنْ أَهْوَى عَذُولِي فَقَالَ لِي      أَجَلَّكَ مِنْ وَجْهِ أَرَاهُ كَرِيهًا  
 قُلْتُ لَهُ بَلْ وَجْهُ حَبِيٍّ مَرَاةٍ      فَأَنْتَ تَرَى تَمَثَالَ وَجْهِكَ فِيهَا  
 وَابْنُ الْقَابِلَةِ السَّبْتِيُّ :

وَوَجْهُ حَبِيْبٍ رَقَّ حَسْنَا أَدِيمُهُ      يَرَى الصَّبُّ فِيهِ وَجْهَهُ حِينَ يَنْظُرُ  
 تَعَرَّضَ لِي عِنْدَ الْإِقَاءِ بِهِ رَشَاءً      نَكَادُ الْحَمِيَّاءَ مِنْ حَيَّاهُ تَقَطَّرُ  
 وَلَمْ يَتَعَرَّضْ كَنَى أَرَاهُ وَإِنَّمَا      أَرَادَ يُرَبِّي أَنْ وَجْهَكَ أَصْفَرُ  
 وَبَعْضُ الْمَصْرِيِّينَ فِي غِلَامٍ يَهْوَاهُ :

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى غِلَالَةِ خَدِّهِ      وَأَرْقَ مِنْهُ مَا يَمِرُّ عَلَيْهِ  
 نَاولَتْهُ الْمَرَاةُ يَنْظُرُ وَجْهَهُ      فَكَسَتْ فِتْنَةً نَاطِرِيَهُ إِلَيْهِ

وقال الرَّمَادِيُّ :

وَإِذَا أَرَادَ تَنْزُهَاً فِي رَوْضَةٍ      أَخَذَ الْمَرَاةَ بِكَفِّهِ فَتَنَزَّهَا

كَانَ لِلْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَصِيْفَةٌ ظَرِيفَةٌ كَثِيْرَةُ الْمُلْحِ وَالنَّوَادِرِ ، وَكَانَتْ  
 حَاقِقِيَتَهُ ، وَكَانَ أَبُو نَوَاسٍ يُوَلِّعُ بِهَا وَيَمَازِحُهَا ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : إِنِّي أَحْبَبْتُكَ وَتَبْغِضِيْنِي  
 فَلِمَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : وَجْهَكَ وَالْحَرَامَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، فَقَالَ :

(١) ديوانه ٢٠٣

مذكرة مؤنثة مائة إذا برزت تشبها غلاما<sup>(١)</sup>  
تغاف الماء والعسل المصفي وتشرب من فتوتها المدا ما  
تقول للحظها<sup>(٢)</sup> يا سيف أبشر ستروى من دم وتشق هامنا  
وقائلة لها في وجه نصحر هلام قتلت هذا المستهما ؟  
فكان جوابها في حسن مس<sup>(٣)</sup> : أجمع وجه هذا والحراما !

ومن ملح ابن لسكك في أهاجى أبي رياش :

على التبح الفظيح أبو رياش يعاثرنا بأخلاق ملاح<sup>(٤)</sup>  
يبيع أكفنا أبدا قدها فنصفعه على وجه المزاح

وله فيه أيضا :

قل للوضع أبي رياش لا تبلى تيه كل تيه بالولاية والعمل<sup>(٥)</sup>  
ما ازددت حين وليت إلا خسة كالسكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

\* \* \*

قوله : تعريس ، أى نزول آخر الليل . يهدى : الأول يرشد ، وبدل على الطريق ، ويقال : هداه يهديه هدى فى الدين ، وهداه يهديه هداية فى طريق . يهدى : بطلى هدية ، ويقال : أهده هدية يهديها إهداء ، إذا أعطاها . الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل ، ولا تكون إلا إناثا . قينة : جارية مفضية ويقال : القينة الأمة ، كانت مفضية أو غير مفضية . القينة : الساعة والحين ، ويقال : إني لآنيه القينة بعد القينة ، وقينة بعد قينة ، يستعمل بالالف واللام وبتركهما ، أى أديم الاختلاف إليه الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت . يزجى : بسوق . السفية : البطل المشتغل باللهو .

(٢) الديوان : « لسيفها »

(٤) القيمة ٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧

(١) ديوانه ٣٩٢

(٣) الديوان : « سره »

قال الحارث بن ممام : فاعترضته ، وقلت له : عَهْدِي بِكَ  
سَفِيهَا ، فَمَي صرت فقيهاً ! فظلَّ هُنَيْهَةً يَجُولُ ، ثم أنشأ يقول :

لَبِسْتُ لِكُلِّ زَمَانٍ لَبُوساً

ولا لبستُ صَرَفِيهِ : نُعْمَى وَبُوساً

وعاشرتُ كلَّ جَلِيسٍ بِمَا يُبْلِغُهُ لِأَرْوَقِ الْجَلِيسَا

فَعِنْدَ الرِّوَاةِ أَدِيرُ الْكَلَامَ وَبَيْنَ السُّقَاةِ أَدِيرُ الْكُثُوسَا

وطوراً بوغْظِي أُسِيلُ الدَّمُوعَ

وطَوْرًا يَلَهْوِي أُسْرُ النُّفُوسَا

وأقْرِي الْمَسَامِعَ إِذَا نَطَقْتُ يَا نَا يَقُودُ الْحُرُونَ الشُّمُوسَا

وإن شئتُ أَرْعَفَ كَفِّي الْبِرَاعَ

فَسَاقِطًا دُرًّا يُحْمَلِي الطُّرُوسَا

وكم مشكلاتٍ حَكَّيْنِ الشَّهَا

خفاه فَصِرْنَا بِكَشْفِي شُمُوسَا

وكم مُلْعَعٍ لِي خَلْبِنَ الْعُقُولِ وَأَسَارِنَ فِي كُلِّ قَلْبٍ رَسِيدَا

وَعَذْرَاءَ فَهَتْ بِهَا فَانْتَهَى عَلَيْهَا الشَّنَاءُ طَلِيْقًا حَبِيسَا

\* \* \*

هنيهة : سوية ، تصغيرهنة ، ويقال في تصغيرها هنيهة وهنيهة ، كما تصغر سنة

سُنَيْتِيهِ ، وَسُنَيْتِيهِ . يجول : يتصرف . لبوسا : ثوباً يشاكله ، أخذه من قول النابغة :

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها  
 لا بست : خالطت . صَرَ قَيْه : حالته من الخير والشر . عاشرت : صاحبت .  
 يلائمه : يوافقه . أروق : أعجب ، والصرف اسم لحادث الدهر ، لأنه يعترف  
 الأشياء عن وجوها . طورًا : مرّة . أفرى السامع : أعطى الآذن ، وأجمل  
 فيها البيان . إما نطقت ، أى إن نطقت . الحرون : الذى يأبى المشى والانتقاد .  
 الشموس : الذى إذا نحس وثب ، وقيل : الذى يمنع الركاب . البراع : الأفلام :  
 أرفعها : أسألهما بالداد . يُحْمَلِي : يزين . الطروس : الكتب ، سُميت بذلك لأنها  
 ممحوّة ، والمطروس : المحوّة . قال رؤبة :

\* كآرايت الطلل المطروسا \*

[ مما قبل فى وصف القلم ]

وعلى ذِكر البراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي فى قلم :

وأهيف طاوى الكشع أسمر ناطق له جَوْلَانٌ فى بطون المهارق<sup>(١)</sup>  
 كأنّ اللاكى والزبرجد نطقه ونور الخزأى فى عيون الحدائق  
 إذا استعجلته الكف أمطر خاله بلا صوت إرعاد ولا صوب بارق

وقال ابن عبد ربه :

بكنه ساحرُ البيان إذا أداره فى صحيفته سحرًا<sup>(٢)</sup>  
 مهيفٌ تزدهى به صحفٌ كأنما حلّيت به دُررا  
 يكاد عنوانها لروعته يُنبئك عن سرّها الذى استقرا

وقال التهامي :

يلقى العدا من كتبه بكتائب يجرّون من زرد الحروف ذبولا<sup>(٣)</sup>

(١) المقدم ٤ : ١٩١ ، أدب الكتاب ٨١ . (٢) المقدم ٤ : ١٩٣ .

(٣) ديوانه ٣١ .

(٦ - شرح مقامات الحريري ج ٤)



فترى الصحيفة حليّةً وجيادها أقلامه وصريه من صهيلا  
في كفه قلم أمم من القنا طولاً وهن أم منه طولاً  
وله أيضاً :

وإذا راش بالأفامل منه قلماً واستمدت ساء وصراً<sup>(١)</sup>  
قلم دبر الأقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ إمراً  
يتبع الرمح أمره فابن عشرين ذراعاً بالرأى بمخدم شبرا

السها : نجم خفي . خلين : خدعن . أسارن : أبقين ، والسور . البقية .  
وفي الحديث : « إذا أكلتم فاستروا » ، وأخذت سائرته ، معناه بقيته . الرئيس : أول  
برد الحصى ، يريد أن هذه المُلح لمدوبتها إذا حلت في القلب أحدثت فيه حركة  
وهزة ، وإذا سمع ذو الذكاء كلاماً مستظرفاً من نثر أو نظم وجد له ديبياً  
وقشعيرة . وأخذ « وكمشكلات » ، من قول علي رضي الله عنه :

إذا المشكلات تصدّين لي كشفت حقائقها بالنظر<sup>(٢)</sup>  
وإن برقت في مخيل الصّوا ب عيابه لا يجتليها البصر  
مفنةً بنيوب الأمور وضمت عليها صحيح الفكر  
لساناً كيشققة الأرحبّي أو كالحسام اليماني الذّكر  
وقلبا إذا استنطقته الغيوب أمرٌ عليها بواهي الدرر

عذراء : قصيدة بكر ، لم يسبق إليها . فُتت : نظمت . اثني : رجع . طليقاً :  
منشراً في الناس . حبيساً : موقوفاً عليها لا يتمداها لغيرها .

[ ذكر مدح الشعراء للشعر ]

ومدح الشعراء للشعرباب شأوه بعيد ، وسنذكر لحبيب - وهو المبرز فيه -

(١) ديوانه ٣٩ (٢) ديوانه ٢٢ ، ٢٢ ، زهرة الآداب ٤٠

ولغيره ما يستحسن ويُستجاد ، قال حبيب :

جاءتكَ من نَظْمِ اللّسانِ قِلادةٌ  
حُذِبتُ حذاءَ الحُضرميّةِ أرهفتُ  
إنسيّةٍ وحشيّةٍ كَثُرَتْ بها  
أما الماعى فهى أبكارٌ إذا  
سَمَطانِ فيها التُّونُو للكنُونِ<sup>(١)</sup>  
وأجادها التَّخْصِيرُ<sup>(٢)</sup> والتَّيْبِينُ  
حركاتُ أهلِ الأرضِ وهى سكونُ  
فُضَّتْ<sup>(٣)</sup> ولكنّ القوافى هُونُ

وقال أيضاً :

فوالله لأُنْفِكَ أهدى قصائدًا  
يُحَاكُ بها بُرْدٌ عَلَيْكَ مَجْدَدٌ  
ألذَّ من السَّوْىِ وأطيبَ نَفْحَةً  
أخفَّ على سَمْعٍ وَأثقلَ قِيَمَةً  
إليكِ يَحْمِلُنَ الثَّنَاءَ لِلبَجَلِ<sup>(٤)</sup>  
وتحسبه درًا عليكِ مُفَصَّلًا  
من المسكِ مفتوقًا وأيسرَ مَحْمَلًا  
وأفصرَ فى سَمْعِ الجَلْبِيسِ وَأَطْوَلًا

وقال البحتري :

تَطَوَّعُ القوافى فيكمُ فكأنما  
وكم لى من محبوبكِ الوشى فيكمُ  
يطير إليكمُ من علوِّ قصيدُها<sup>(٥)</sup>  
إذا أنشدت قام امرؤٌ يستعيدُها

وقال أيضاً :

ألستُ الموالى فيكَ نَظْمَ قصائدِ  
ثناءِ تَخالُ الروضِ منه منورًا  
هى الأنجمُ اقتادَت مع الليلِ أنجمًا<sup>(٦)</sup>  
ضحى وتخالُ الوشى فيه مُسَهَّمًا

وقال أيضاً :

إليكِ القوافى نازعاتٍ قواصدًا  
يُسِيرُ ضاحى وشيها ويُنْفِخُ<sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه ٣٣٠ ، ٣٣١ ط : « التحصين » وصوابه من الديوان .  
(٢) ديوانه ٢٥٥ (٤) ديوانه ٦٥٥ (٥) ديوانه ١٩٤٤ (٦)  
(٣) الديوان : « نصت » .  
(٤) ديوانه ١٩٨٤ (٦)

ومشرفة في النظم غراً يزيدُها  
ضوا من لحاجات إنا شوافنا  
بهاء وحسنا أنها لك تُنظّم  
مشقمة ، أوحاكات تُحكّم

وقال علي بن الجهم :

ولكن إحسان الخليفة جعفر  
فسار مسير الشمس في كل بلدة  
دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر<sup>(١)</sup>  
وهب هبوب الريح في البر والبحر

ولابن الرومي يهجو :

خذها إليك منيعة سياره  
تفدو إليك بحاصب وبتارب  
في الناس من بادٍ ومن متعصر  
وعلى الرواة بلؤلؤ متخير

وقال السري الموصلي :

أتسك يحول ماء الطبع فيها  
قوافٍ إن نذت للمرء عطفاً  
مجال الماء في السيف الصقيل<sup>(٢)</sup>  
تني الأعطاف في برود جميل  
وقال أيضاً<sup>(٣)</sup> :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها  
ويقول سامعها إذا ما أنشدت  
شرقت لرونقها<sup>(٤)</sup> يتبر ذائب  
أعقود تحدر أم عقود كواكب  
وقال أيضاً :

ألغاطها كالدرّ في أصدافه  
من كل راتمة الجمال كأنما  
لا بل تزيد عليه في لآلئه<sup>(٥)</sup>  
جاد الشباب لها برونق مائده  
والشعر بجر حزت أنفس دره

(٢) ديوانه ٢١٨

(١) ديوانه ١٤٧

(٤) الديوان : «لريتها» (٥) ديوانه ٥

(٣) ديوانه ٢٣

وقال أيضاً :

لفظ صَمَلْتُ متونهُ فكأنهُ  
وكانما أُجريت في صَمَحَاتِهِ  
أغرَبْتُ في تحبيره فَرُواته  
وقطمت منه شبيبةً لم تستغل  
وإذا ترقق في الصحيفة ماؤه  
يُصفي اللبيبُ له فيقسم لُبُهُ  
جدُّ بطير شرارُهُ ، وفُكاهةُ  
في مشرقات النظم دُرِّ سَخَابِ (١)  
حرّ اللجين وخالص الزرِّيَابِ  
في نزهة منه وفي استغرابِ  
عن حسنة بَصَابٍ ولا بتصابِ  
عَبَقِ النسيم فذاك ماء شبابي  
بين التَّعْجُبِ منه والإعجاب  
تَسْتَعطف الأُحباب للأحباب

قال يحيى بن أكرم لمحمد بن حازم : ما في شعرك شيء غير أنك لا تطيله، قال :

أبي لي أن أطيل الشعر قصدي  
فأبعثن أربعة وخمسا  
خوالد ما حدا ليلُ نهاراً  
وهن إذا وسمتُ بهن قوماً  
وهن إذا أقمتُ مسافراتُ  
تهدأها الرِّوَاةُ مع الرُّكابِ  
إلى المعنى وعلي بالصواب (٢)  
منقنةً بألفاظ عذابِ  
وما حسن الصبا بأخي الشباب  
كأطواق الحمام في الرقابِ  
تهدأها الرِّوَاةُ مع الرُّكابِ

\* \* \*

عَلَى أَنِّي مِنْ زَمَانِي خَصِصْتُ

بِكَيْدٍ وَلَا كَيْدَ فِرْعَوْنَ مُوسَى

يُسِّرْ لِي كُلَّ يَوْمٍ وَغَى

أطامن لظاها وطيساً وطيساً

وَيَطْرُقُنِي بِالْخَطِوبِ الَّتِي

يُذِبْنَ الْقَوَى وَيُسِينَنَّ الرِّمَسَا

(١) ديوانه ٤٢ والشباب : القلادة

(٢) الأغاني ١٤ : ٩٨، ٩٩

ويذهب إلى البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيباً  
 ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه خسيباً  
 نقلت له : خفض الأحران ، ولا تلم الزمان ، واشكر لمن تقلك  
 عن مذهب إبليس ، إلى مذهب ابن إدريس .

• • •

قوله : على أنني ، أي مع أنني . وقوله : ولا كيد فرعون موسى ، أضاف  
 فرعون إلى موسى ، لأن القراعنة كانوا جماعة .  
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لكل أمة فرعوناً ، وفرعون هذه الأمة  
 أبو جهل » .

وفرعون موسى ، كان أكبر القراعنة كيداً وأطولهم عمراً ، وأعتاهم على  
 الله ، وأسراهم مملكة .

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام :  
 يارب ، أمهلت فرعون أربعائة سنة ، وهو يقول : أنا ربكم الأعلى ،  
 ويكذب بآياتك ويمجد رسلك ! فأوحى الله تعالى إنه كان حسن الخلق سهل  
 الحجاب ، فأحببت أن أكانته .

وأما عذابه لبني إسرائيل فقد قدمناه في الخامسة .  
 وما يحكى عنه أنه كان بأمره بالقص فيشق ، ويجعل أمثال الشفار ، ثم  
 يضيف بعضه إلي بعض ، ثم يؤتى بالحبال من بني إسرائيل فيوقن عليه ، فيحز  
 أقدامهن ، حتى إن المرأة لتضع ولداً فيقع بين رجليها ، فتظل تطؤه تتقي به  
 حد القص عن رجليها .

قال وهب بن منبه : بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألف ولد .  
 ولسب الثمالي المفسر فرعون ، فقال : هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الزيان

ابن أراشه بن ثروان بن عمرو بن قاذم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

قوله : يُسَمَّر ، أى يهيج . ونعى : حرب . لظاها : حرّها . وطيساً : شدة ، وحمى الوطيس : اشتدت الحرب ، وأصله تنور من حديد يطبخ فيه ، فشبهت شدة الحرب وحرارتها به . وقيل : هو حفرة يُختَبَزَ فيها . والوطيس : الوطء الشديد ، والبلاء الذى يطسّ الناس ، أى يدقهم ويقتلهم .

يطرقى : يقصدنى ليلاً . الخطوب : الأمور الشداد . خساسة : حقارة . حظى : نصيبى .

ومما قيل فى معنى قوله : ويدنى إلى البعيد البفيض . . البيت .. قول الزاهد ابن عمران :

إلى ما كلّ ثقيل قد أضربنا  
نروم نقصهم والشئ يزواد  
ومن يخفّ علينا لا يلمّ بنا  
ولثقل مع الساعات تردّاد  
ويقرب منه قول الشاعر :

وكيف بودّ القلب من لا بودّه  
بلى قد تريدّ النفس من لا يريدّها  
وقال عدى بن الرقاع<sup>(١)</sup> :

تبلىك<sup>(٢)</sup> أختى لؤى إذ رميت سواها  
وأصاب نبلك إذ رميت سواها  
وأعارها الحدّان منك مودةً  
وأعار غيرك ودّها وهواها  
وهذا من قول الأعمى :

عانتها عرساً وعلقت رجلاً  
غيرى ، وعلقت أخرى غيرها الرجل<sup>(٣)</sup>

(٢) ط : « تبلىك » ، والصواب ما أتته من اللال

(١) اللالى ١٣٩ .

(٣) ديوانه ٥٧ .

وقال مسلم بن الوليد - وهو صريع الفوائى ، وكان حاملاً فولّاه بنو سهل جرجان فشرّف - فقال :

أهلُ الصفاء نأيتم بعد قُرْبِكُمْ  
وقد قَصَدْتُ ندى مَنْ لا يوافقنى  
أردتُ «عمرأ» وشاء الله «خارجة»  
ولهذا أشار ابن شرف بقوله :

سَلْ من رِضاي عَنِ الزَّمانِ فَإِنَّهُ  
فَهُ حَالٌ قد تَنَقَّلَ مَهْدُها  
دارت درارى الخطوبِ قواصداً  
وله أيضاً يتشكى :

مالى أجاذب ذى الدنيا موليةً  
أتى الزَّمان على يأسٍ به لبني الدنيا  
فكَلَّ ثوبٌ عليها قدَّم من دُبُرٍ (٢)  
كَبُشْرى بمولودِ هلى كَبِرٍ  
وقال أيضاً :

إلى وإن عَزَّتْ نيلُ المني لَأَرى  
تقلدتنى اللبالي وهى مديرةٌ  
حِرْصَ التى خَلَّتْ زبدت هلى العدم (١)  
كأننى صارمٌ فى كَفِّ منهومٍ  
وقال جحظة :

ضاقَت على وجوه الرأى فى نَفْرِ  
أقْلَبَ الطرفِ تصميدياً ومنحدراً  
يلقون بالجدد والكفران إحسانى  
فأقابل إنساناً بإنسانى  
وقال أيضاً :

لقد مات إخوتى الصالحون  
فالى صديقٍ ومالى عادُ

(٢) قلعة المينى فى التنف ١٠٤

(٤) قلعة المينى فى التنف ١١١

(١) ديوانه ٣٢٧

(٣) قلعة المينى فى التنف ١٠١

إِذَا أَقْبَلَ الصَّبَحَ وَتَى السَّرُورُ وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلَ وَتَى الرَّقَادُ  
قوله : خَفَضَ ، أَى سَكَنَ .

\* \* \*

### [ ترجمة الإمام الشافعى ]

وابن إدريس هو الإمام الشافعى محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، يلتقى نسبه مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف .

وقال صلى الله عليه وسلم : « نحن وبنو المطلب كهاتين » - وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى مضمومتين .

وحاصرت قريش بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشَّعب .

وكان الشافعى أعلم الناس وأورعهم وأعبدهم ، وأجودهم ، فإن أردت أن تقف على حفظه ومبلغ علمه ، فانظر رحلته .

ووصفه بعض أهل العلم فقال : هو شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه وشريكه فى حسبه .

زوج المطلب ابنة هاشم الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخيه ، فولدت له عبد يزيد جد الشافعى رضى الله عنه ، فكان يقال لعبد يزيد : المحض لاقدى فيه ، فولد الشافعى رضى الله تعالى عنه هاشمان : هاشم بن المطلب وهاشم بن عبد مناف ، فالشافعى ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، لأن للشفاء أخت عبد المطلب ، فهى عمه النبي صلى الله عليه وسلم .

وأسلم السائب جدّه يوم بدر ، وكان صاحب راية بنى هاشم بن عبد مناف



أَمِيرَ وَفَدَى نَفْسَهُ ، فَأَسْلَمَ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَمْ تَسْلَمْ قَبْلَ أَنْ تَفْتَدِيَ ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ أَحْرَمُ الْمُؤْمِنِينَ طَعْمًا لَهُمْ فَتَ .

قال أبو ثور : ما رأيتُ ولا رأى الراعون مثله .

وقال أحمد بن حنبل : ما صلّيت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي . وقال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعاء ؟ قال : يا بني كان كالشمس للدينا ، أو كالعافية للناس .

وحدث صالح بن أحمد بن حنبل قال : مشى أبي مع بَنَلَةَ الشافعي في ركابه ، فبعث إليه يحيى بن معين فقال له : يا أبا عبد الله ، أما رضيت إلا أن تمشي مع بفلته ؟ فقال : يا أبا زكرياء ، لو مشيت من الجانب الآخر لكان أرفع لك ، وما يسّ أحدٌ محبرة إلا وللشافعي في عنقه منة .

وقال الشافعي رضي الله عنه : ما شِئْتُ منذ ست عشرة سنة ، لأنّ الشَّبَعِ يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه من العبادة .

وقال : ما حلفتُ بالله لا صادقاً ولا كاذباً .

وقال : ما ناظرتُ أحداً قط فأحببت أن يخطيء ، وما كتبتُ أحداً إلا أحببت أن يوفق ويُسدّد ويعان ، ويكون عليه من الله رعاية وحفظ . وما كلمتُ أحداً إلا وأنا لا أبالي أن يُبيّن الله الحقّ على لسانه أو لساني ، وما أوردتُ الحجة على أحدٍ ، فقبل مني إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا تابرني على الحق أحدٌ ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته .

وكان يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة .

وقال الكراييسي : بتُّ معه غير ليلة فكان يصلّ نحواً من ثلث الليل ، فما رأيتُه يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فثانة آية . وكان لا يمرّ بآية فيها رحمة إلا

سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين ، ولا بآية هذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين .

وقال عمر بن عبد الله البَلَوِيّ: جلسنا يوماً نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء ، وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم ، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا عمر ابن نباتة ، وقال : فيم تتجاوزون ؟ فأعلمناه ، فقال عمر : والله ما رأيت رجلاً قطّ أوزع ولا أخشع ولا أصبغ ولا أسمح ، ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ، ولا أجلّ ولا أفضل ، من محمد بن إدريس الشافعيّ ، خرجت أنا وهو والحارث بن اليبديد إلى الصفا ، وكان الحارث صاحب صالح الرّعيّ ، وكان من المتقين الخاشعين ، وكان حسن الصوت ، فقرأ ﴿ هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾<sup>(١)</sup> فرأيت الشافعيّ رضي الله عنه قد تغير لونه ، واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً ، ثم خرّ مغشياً على وجهه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، وأعراض النافلين ! اللهم خضعت لك قلوب العارفين ، وذلت لك قلوب المشتاقين ، اللهم هب لي جُردك ، وجلّني بسِتْرِكَ ، واهب عن تقصيري بكرم وجهك . ثم قنا وتفرّقنا .

وقال الربيع بن سليمان ، سمعت الشافعيّ رضي الله عنه ، يقول : أتى عليّ عيّد وليس عندي نفقة ، فاستسلفت سبعين ديناراً لفنقة أهلي ، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل من قریش يشتكي إلى الحاجة فأخبرته خبري ، وقلت له : خذ ما تحب ، فقال لي : ما يقنعني إلا أكثر من هذه الدنانير ، فقلت له : فخذها ، وبثّ ومامعي دينار ولا درهم ، فبينما أنا في منزلي إذ أتاني رسول جعفر بن يحيى البرمكي ، يقول : أجب الوزير ، فأجبتّه . فقال : ما شأنك في هذه الليلة ؟ يهتف بي هاتف كلما دخلت في النوم ، يقول : الشافعيّ الشافعيّ ، فأخبرته بالخبر ، فأعطاني خمسمائة دينار ، ثم قال : أزيدك فأعطاني خمسمائة أخرى ، فلم يرّك يزيدني حتى أعطاني أُنّي دينار .

(١) سورة النازعات ٣٥ ، ٣٦

ومن جوده أن سوطه وقع من يده ، فأعطى مَنْ ناوله إياه خمسين دينار .  
 وورد مكة بمشرة آلاف درهم ، فضرب خبائه خارجها ، فأتاه الناس ،  
 فما برح من موضعه حتى فرّقا .

وكان شاعراً مجيداً ، قال أبو القاسم بن الأزرق : دخلت عليه ، فقلت له :  
 يا أبا عبد الله ، أما تنصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ، ولنا هذا الشعر ، وقد  
 جئتُ تداخلنا فيه ! فإما أفردتنا أو أشركتنا في الفقه ، وقد أتيتُ بأبيات إن  
 أجزئها بمثلها تبت من الشعر ، وإن عجزتُ تَبُّ منه ، فقال لي : إيه يا هذا ،  
 فأنشدته هذا الكلام :

ما همتي إلا مقارعة العدا      خلق الزمان وهمتي لم تخلني  
 والناس أعينهم . إلى سبب الغنى      لا ينظرون إلى الحجا والأولتي  
 لكن من رزق الحجا حرم الغنى      ضدان مفترقان أتى تفرق  
 لو كان بالحيل الغنى لوجدتني      بنجوم أقطار السماء تعلقني

فقال الشافعي رضى الله تعالى عنه : ألا قلت كما أقول ارتجالاً :

إن الذي رزق اليسار فلم ينل      حداً ولا أجراً لغير موقف<sup>(١)</sup>  
 فالجدة يدني كل أمر شاعر      والجدة يفتح كل باب مُغلق  
 فإن سمعت بأن مجدوداً حوى      عوداً فأتمر في يديه فحقق  
 وإذا سمعت بأن محروماً أتى      ماء ليشربه ففاض فصدق  
 وأحق خلق الله بالهم امرؤ      ذو هممة يُبئلى بعيش ضيق  
 ومن الدليل على القضاء وكونه      يؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

قلت له : لا قلت شعراً بعدها .

(١) ديوانه - ، ونقل جامعه عن محمد بن منصور ، قاله : قرأت في كتاب طاهر بن محمد  
 النيسابوري بخط الإمام الشافعي ، وذكر الأبيات .

قال المبرّد : كان الشافعي رضي الله عنه أشعرَ الناس وآدبَ الناس ، وأعرفهم بالفقه والقراءات ، ولقد أخبرني بعض أصحابي أنه مات ولده لعبد الرحمن ابن مهدي ، فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه : يا أخي ، عزّ نفسك بما تُعزّي به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك . واعلم أن أمضَ المصائب قدُ سرور ، وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمع مع اكتسابٍ وزر ! فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألمك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه :

إني أعزبك لا أتي على ثقة من الحياة ولكن سُنّة الدين<sup>(١)</sup>  
 فما المعزى بيباقٍ بهمدٍ مئيتيه ولا للمعزى وإن عاشا إلى حين  
 وقال أيضاً :

على ممي حينما يمتتُ بنفعي قلبي وعاء له لا بطنُ صندوق<sup>(٢)</sup>  
 إن كنتُ في البيت كان العلمُ فيه ممي أو كنتُ في السوق كان العلمُ في السوق  
 وقال أيضاً :

ومنزلةُ السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه<sup>(٣)</sup>  
 فهذا زاهدٌ في قُرب هذا وهذا فيه أزهّدُ منه فيه  
 إذا غلب الشقاء على سفيه تقطع في مخالفة الفقيه

وناظرَ الشافعيَ محمد بن الحسن الكوفي بالرقّة قطعته الشافعي ، فبلغ ذلك هارون الرشيد ، فقال : أما علم محمد بن الحسن إذا ناظر رجلاً من قريش ، أنه يقطعه ؛ سائلاً أو مجيباً ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « قدّموا قريشا ولا قدّموا عليها ، وتعلّموا منها ولا تتلمّوها » ، فإن علم العالم منها يسع طباق

(١) ديوانه ٦٨

(٢) ديوانه ٤٩ .

(٣) ديوانه ٦١

الأرض . وكان الشافعي يعظم محمد بن الحسن لديه ، واستعار شيئاً من كتبه فلم يسمه بذلك ، فكتب إليه الشافعي رضي الله تعالى عنه :

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عِيَةً نَأْمَنَ رَأَاهُ مَثَلُهُ (١)  
 وَمَنْ كَانَ مِنْ رَأَاهُ قَدْرَأَى مِنْ قَبْلَهُ  
 الْعِلْمُ يَنْهَى أَهْلَهُ أَنْ يَنْمُوهُ أَهْلَهُ  
 لَعَلَّهُ يَبْذُلُهُ لِأَهْلِهِ لَعَلَّهُ

فبعث إليه بما سأل .

وقال في النقيه ابن عبد الحكم وقد اعتلّ فعاده :

مَرِيضَ الْحَيْبُ فَعَدْتَهُ فَرَضْتُ مِنْ حَدْرِي عَلَيْهِ  
 شُفِيَّ الْحَيْبُ فَعَادَنِي فَشَفِيْتُ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ

وقال أبو سعيد : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول بيتين وهما :

إِنِّي أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى مِصْرٍ وَمِنْ دُونِهَا عَرَضُ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ  
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلَاخْفِضُ وَالْغَنَى أَقَادُ إِلَيْهَا ، أَمْ أَقَادُ إِلَى الْقَبْرِ

قال : فوالله ما كان إلا قليل حتى سيق إليهما جميعاً .

ورأيته بعد وفاته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أجلسني على كرسي

من ذهب ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب .

وقال المزني : دخلت عليه غداً وفاته فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وإخواني مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، ولا أدري إلى الجنة تصير نفسي فأهنيها أم إلى النار فأعزّيها . ثم أنشأ يقول :

(١) ديوانه . ٥٤ .

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي      جَعَلْتَ الرَّجَا مَعِّي لَعْفُوكَ سُلْمًا<sup>(١)</sup>  
تَمَاعَلْتَنِي ذَنبِي فَلَمَّا قَرِنْتَهُ      بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

وكانت وفاته في رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين ، ودفن في صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر ، ودفن بها نحو قبور الشهداء في مقبرة بنى عبد الحكم وعند رأسه عمود من الحجر كبير ، وفيه مكتوب : « هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي أمين الله » .

وقال الشافعي : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا بكرمه ، ورغب في مودة من لا ينفعه ، وقيل مدح من لا يعرفه .

وقال : من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضى بالقنع زال عنه الخضوع .

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرُبَةٍ      يَجَاوِرُنِي مَنْ لَيْسَ مِثْلِي بِشَاكِلَةٍ<sup>(٢)</sup>  
أَخَامَتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ      وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ  
قال : وسميته بفشد :

حَنَّ النَّفْسَ وَاحْلَهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا      تَمَشُّ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلٌ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَوَلِّينَ النَّاسَ إِلَّا نَجْمَلًا      تَبَّأَ بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَنَّاكَ خَالِيٌ  
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ      عَمَى نَسْكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ  
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِيٍّ مَقْلُومٍ      إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالٌ حَيْثُ تَمِيلُ  
وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعْدُهُمْ      وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ أ

(١) ديوانه ٥٩ . (٢) ديوانه ٥٣ . (٣) ديوانه ٥٣ .

قال : وسمع رجلاً يَسْفَهُ على رجل من أهل العلم ، قال لأصحابه : تزّموا  
أسماعكم عن استماع الخنّي ، كما تزّمون ألسنتكم عن النطق به ، فإن المستمع  
شريك القائل ، وإن السفية ينظر إلى أخبث شيء في وعائه ، فيحرص على أن  
يفرغه في أوهيتكم .

نظم بعضهم هذا المعنى ، قال :

فسمّك صنّ عن سماع الخنّي      كصون اللسان عن النطق به  
فإنك عند استماع الخنّي      شريك لقائله فانتبه

وكان الحسن البصري رحمه الله ، إذا خطب المصباح ، وذكر السلف ،  
يتكلم تشاغلاً عن خطبته ، فقيل له في ذلك ، قال : إن السامع والمتكلم  
شريكان ، ألم تسمع قول الشاعر :

فجاء به ناطق منهم      بليغٌ ومستمعٌ صامتٌ  
فكلٌّ له حظه أنه      أعان مع الناطق الساكتُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

إن كنت لا ترهب ذمّي لما      تعلم من صفحي عن الجاهل  
فاخش سكوتي إذ أنا منعتُ      فيك لمسموعي خني القائل  
فالسامع القول كن قاله      والموكل المأكول كالأكل

وذكر الفنجديّ الشافعي ، قال : هو إمام الأنام ، ونظام الإسلام ، أحد  
الأئمة الأربعة الأطواد ، الشاخرة في الدين الأجواد ، رضيع لبان النبوة ، أفضل  
العلماء ، وأعلم الفضلاء ، وصدر البدور وبدر الصدور ، وهادي الدعاة ، وداعية  
الهداة ، إكسير العلوم ، وإكليل الرسوم . عِلِمُ العلماء شظيةٌ من عِلْمِهِ ، وحلم  
العلماء جَذْوَةٌ من حلمه ، وعقائد الأصول مقتدحةٌ من زناد كلماته ، وقواعد

الفروع مقترحة من عداد نعمائه ، فارس هَيِجَاءِ المشكلات ، ومقوم عَوْجَاءِ  
المضلات ، منبع الشنن ، ومُتَّعِ السِّنن ، فاز بقلبات الأقران ، وحاز قَصَبَاتِ  
الزَّهَانِ ، بَطْهَارَةِ الأعراق ، ودَمَائَةِ الأخلاق ، وفخامة شرف الأمومة ، وكرامة  
طرفي الأبوة والعمومة ، دَرَّةِ الأصداف ، من صميم آل عبدمناف ، كشف الظلمة  
عن الأمة ، وصرف عنهم المظلمة المدلَّمة ، بعلم كالبهر اللججى ، ورأى كالبدر  
فى الليل الدججى ، مذهبه مؤيد بنصوص القرآن ، وفصول الفرقان ، أسس بُنيانه  
على تقوى من الله ورضوانه ، فهو بين المذاهب والأديان ، كالناظر فى الأجفان  
والسمع فى الآذان ، والعقل فى الإنسان ، والمدل لسلطان ، أحله الله محلَّ  
القُدُس ، وأدلى إليه سحاب الأنس ... فى كلام أكثر من هذا .

\* \* \*

فقال : دَعِ الهِتَارَ ، ولا تهتك الأستار ، وانهض بنا لنضرب  
إلى مسجد يثرب ، فعمى أن ترخص بالمزاري ، درن الأوزار .  
فقلت : هيات أن أسير ، أو أفقه التفسير ، فقال : تالله  
لقد أوجبت ذمماً ، وطلبت إذ طلبت أئماً . فهالك ما يشنى النفس ،  
ويئنى اللبس ، قال : فلما أوضح لى العمى ، وكشف عنى  
العمى ، شددنا الأكوار ، وسرت وسار . ولم أزل من مسامرتة ،  
مدّة مسأيرته ، فيما أنسانى طعم المشقة ، ووددت معه بُعد  
الشقة ، حتى إذا دخلنا مدينة الرسول ، وفزنا من الزيارة  
بالسؤل ، أشأم وأعرت ، وغرب وشرقت .

...

( ٧ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



قوله : **دع الهتار** : ، أى أترك تمزيق العِرض ، وفلان يهتار فلانا ، أى يسابه بالباطل من القول ، والقبیح من اللفظ ، وأصل الهتار سقط الكلام والباطل ، والمهاترة : القول الذى ينقض بفضه بعضاً ، وأهتر الرجل فهو مهتر ، إذا أولع بالقول فى الشيء ، واستهتر ، فهو مستهتر : ذهب عقله فيه ، وانصرفت إليه همهته . تهتك : تخرق وتكشف ، يريد أنه لما عرض له بنقائه قال له : **دع كشف العيب** ، فليس هذا موضعه . انهض : تقدم . لنضرب : لنمشى فى الأرض . نرحض : نفسل . المزار : زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . حرن الأوزار : وسخ الذنوب . هيات : معناه بئد ذلك عنك . أفته : أفهم ، وذمماً : جمع ذمة ، وهى العهد . أمماً : شيئاً قريباً ، والأمم : القصد . هاك : أى خذ . المعنى : المعطى المشكل المعنى ، وأراد به شرح المائة الفتىا الملعزة . ويقال لمن يطلب ما يمكن ولم يشتط : **طلب أمماً** قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

كوفية نازح محلها لا أمم دارها ولا صتب<sup>(١)</sup>

**الصب** : القرب . **الفتى** : هى النعمة التى تغطى على القهن ، والمعنى الأمر الملتبس . الأكوار : ما هو للإبل كالبراذع للدواب . الشقة : السفر البعيد . والشول : المراد ، أشأم وأعرت : قصد الشأم وقصدت العراق .

[ فصل فى زيارة قبر الرسول عليه السلام ]

ونذكر هنا فصلاً فى زيارة القبر المعظم وتوديع زائره له ووصف الروضة والمسجد وذكر يثرب ، وهى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجرة ، سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التزيب<sup>(٢)</sup> . وكان صلى الله عليه وسلم يغير الأسماء التى تدل على الاستباح إلى ضدّها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ زار قبرى وجبت له شفاعتى** » .

(١) ديوانه ٨ ، وفيه « ولا صب » ، وهما سواء (٢) التزيب : الإفساد

ابن عمر رضی الله عنهما : يثرب أرض مدينة الرسول في ناحية منها .  
وقال شيخنا ابن جبير في روضته صلى الله عليه وسلم : شاهدنا <sup>(١)</sup> الروضة  
المكرّمة ، وقد وقع الأذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الأصبهاني الذي  
ورث النباهة والوجاهة في العلم كبراً عن كابر ، المعروف برئيس العلماء ،  
توارثه عن أب فاب ، وقد غصّ الحرام بالمتظرين ، وقد أعد له كرسيّ بإزاء  
الروضة المقدسة ، فصعد وحضر قراؤه أمامه ، فابتدءوا بالقراءة بنفحات عجيبة ،  
وتلاحين مطربة بهيجة ، وهو يلحظ الروضة المقدسة ، ويؤمن بالبكاء . ثم أخف  
في خطبة من إنشائه سحرية البيان ، وسلك في أحاليب من الوعظ باللسان ،  
وأندأ أبياتاً بديعة من قوله ، كان يردّد منها هذا البيت ، ويشير إلى الروضة  
المعظمة المطهرة .

هانيك روضته تفوح نسيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وتمدّى في وعظه إلى أن أطار النفوس من خشية ورقة ، هو يستدر من  
التقصير ، لهول ذلك المقام ويقول : عجبا لألكن العجم ، كيف ينطق عند  
أفصح العرب . وتهافت الأعاجم عليه معلنين بالتوبة ، وقد طاشت ألبابهم ،  
ودهشت عقولهم ، فيلقون نواصيهم بين يديه ، فستدعي الجلّسين ، ويجرّها ناصية  
ناصية ، وكلّما جزّ ناصية كساها عمامة ، فتوضع عليه للحين حمامة أخرى ، ثم  
ختم مجلسه ، بأن قال : معشر الحاضرين ، قد تكلمت لكم ليلة بحرم الله ،  
وهذه الليلة بحرم رسوله ؛ ولا بد للواعظ من كدّية ، وأنا أسألكم حاجة وإن  
ضمنتوها إلى أرقّت لكم ماء وجهي في ذكرها . فأعلن الناس بالإسماف وشبهتهم  
قد علا ، فقال : حاجتي أن تكشفوا رءوسكم ، وتبسطوا أيديكم ، ضارعين لهذا  
النبي الكريم في أن يرضى عني ويحترقني الله عز وجل لي . ثم أخذ في تعداد  
ذنوبه ، والاعتراف بها ، فأطار الناس همائمهم ، وبسطوا أيديهم للنبي صلى الله

(١) رحلة ابن جبير ص ١٦٨ وما بعدها مع تصرف .

عليه وسلم ، داعين له باكين متضرعين ؛ فما رأيت ليلة أكثر دموعاً ، ولا أعظم خشوعاً من تلك الليلة . ثم انفضَّ المجلس .

قال ابن جبير رحمه الله : ثم كان في اليوم التالي لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرمة ، فياله وداعاً ، ذهلت له النفوس ارتباعاً ، حتى طارت شماعاً ، وما ظنك بموقف ينادى بالتوديع فيه سيّد المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ! إنه لموقف تنفطر فيه الأفئدة ، وتطيش له الأبواب المتّدة ، فوا أسفاه وأسفاه ! كلُّ يبوح لديه بأشواقه ، ولا يجدُ بُدّاً من فراقه ، فما تستطيع إلى الصبر سبيلاً ، ولا تسمع في ذلك المقام إلا رنةً وعويلاً ، وكلُّ بلسان الحال ينشد :

محبتي تقتضي مقامي وحالتي تقتضي الرجحان

بؤ أنا الله بزيارة هذا النبي الكريم منزل الكرامة ، وجهله شفيماً لنا يوم القيامة ، وألنا بفضلُه في جواره الكريم دار المقامة .

ثم ذكر الروضة المقدّسة مع المسجد العتيق الذي احتوى على الروضة ، فقال : المسجد المبارك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مُستطيلٌ ، وتمخّض من جهاته الأربع بلاطات مستطيلة ، ووسطه كلّ صحن مفروش بالحصى والرمل ، وفي الصحن خمس عشرة نخلة ، فالجهة القبليّة لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق ، والجنوبيّة كذلك ، على الصفة المذكورة والشرقيّة لها ثلاث بلاطات ، والغربيّة لها أربع بلاطات . وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة ، ووسعته مائة وست وعشرون خطوة ، وعددُ سواريه مائتان وتسعون ، وهي أهدمة متصلة بأبوابك دون قسيّ تنمطف عليها ، فكانتْها دعائم قوائم ، وهي من حَجَرٍ منحوت قطعاً قطعاً ، مُكَلِّمة<sup>(١)</sup> مثنوية توضع أثنى في ذكره ، ويفرغ بينهما الرصاص للذباب إلى أن يتصل هموداً قائماً ، وتُنكسى بفلاة جبر ، ويبانغ في صفتها ودنكها ، فظهر كأنها رخام أبيض ، وتمخّضت بالبلاط المتصل بالقبلة من

(١) اللام : الحجر المجتمع الأملس

البلاطات الخمس مقصورة تسكتنفه من غرب إلى شرق ، والمحراب فيها ، وعلى رأس المحراب حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر ، ظاهر البريق ، يقال : إنه كان مرآة كسرى . وفي أعلى داخل المحراب مسمار مثبت في جداره ، فيه شبه حقة صغيرة لا يعرف من أى شيء هو ، ويزعمون أنه كان كأس كسرى . ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع أزاراً على إزار مختلف الصنعة واللون ، مجزّع أبدع تجزيع . والنصف الأعلى من الجدار مزين كله بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفِساء ، قد نتج الصانع فيه نتائج غريبة من الصنعة ، تضمنت تصاوير أشجار مختلفة الصفات ، مائلة الأغصان بثمرها ، والجدران الشرق والغربى الناظران إلى الصحن مُحَرَّان أبيضان مُقَرَّصان ، قد زُيِّنَا برسم يتضمن أنواعاً من الأصبغة إلى ما يطول وصفه من الاحتفال في هذا المسجد المبارك .

وفي الجهة الشرقية بيتٌ مصنوع من عود لمبيت بعض سدنته ، وسدنته فتيانٌ أحابيش صقالبُ ظراف الهيئات ، نظاف الملابس ، والمؤذّن الراتب فيه أحد أولاد بلال ، وفي جوف الصحن قبة كبيرة تُعرَف بقبة الزيت ، هي مخزن لجميع آلات المسجد .

وله تسعة عشر باباً لم يبقَ منها مفتوحاً سوى أربعة : اثنان في الغرب ، ويعرفان بباب الرحمة ، وباب الخشية ، واثنان في الشرق : باب جبريل ، وبقابه دار عثمان التي استشهد بها ، وباب الرجاء . وفي الشرق خمسة مغلقة ، وفي الغرب كذلك ، وفي الجنوب أربعة وفي القبلة واحدٌ صغير ، وله ثلاث صوامع إحداها في الركن الشرقى على هيئة الصوامع ، واثنان في ركني الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة بُرُجَين ، والرّوضة المقدّسة مع آخر الجهتين ، الجهة القبليّة ممالي الشرق ، وقد انتظمت من بلاطاته ممالي الصحن في السعة اثنين وتيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ، ولها خمسة أركان بخمس صفحات ، وشكلها شكل

عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله ، والصفحات الأربع محرفة عن القبلة تحريفاً بديعاً ، لا يتأتى لأحد معه استقبالها في صلاته ، لأنه ينحرف عن القبلة ، والذي اخترع ذلك في تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصطلي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه . وأخذت من الجهة الشرقية سمة بلاطيين ، وانتظم داخلها من أعمدة الأبلطة ستة ، وسعة الصفحة القبليّة منها أربعة وأربعون شبراً ، وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبراً ، ومن الركن الشرقي إلى الركن الجنوبيّ صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبراً ، ومن الركن الجنوبيّ إلى الغربيّ صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبراً ، ومن الركن الغربيّ إلى القبليّ صفحة سعتها أربعة وعشرون شبراً ، وفي هذه الصفحة صندوق آبنوس محتم بالصنديل ، مصفح بالفضة ، مكوكب بها طوله خمسة أشبار ، وعرضه ثلاثة أشبار ، وارتفاعه أربعة ، وهو قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر ، واثنتان وسبعون شبراً ، وهي مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت ، وينتهي الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقلّ يسيراً ، وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر ، قد علاه تضميخ المسك والنظيب مقدار نصف شبر مسوداً متراكباً ، مشققاً مع طول الأزمنة والأيام ، والذي يملؤه من الجدار شبابيك عود متصلة بالثمنك الأعلى ، لأن أعلى الروضة متصل بثمانك المسجد ، والى حيز إزار الرخام تنتهي الأسعار ، وهي لازوردية اللون ، محتمة بخواتم بيض مئونة ومربعة ، وفي داخل الخواتيم دوائر مستديرة ، ونقط بيض تحف بها ، فنظرها منظر بديع الشكل . وفي أعلاها رسم مائل إلى البياض ، وفي الصفحة القبليّة أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار فضة ، هو قبالة الوجه المكرم ، فيقف الناس أمامه للتسليم ، وإلى قدميه صلى الله عليه وسلم رأس أبي بكر رضي الله عنه ، ومما يلي كتفي أبي بكر رأس عمر رضي الله عنهما ، فيقف المسلم مستدبر القبلة ، ومستقبل الوجه الكريم ، فيسلم ثم ينصرف يميناً إلى وجه أبي بكر ، ثم إلى وجه عمر رضي الله تعالى عنهما .

وأمام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلاً معلقة من الفضة ، وفيها اثنتان من ذهب ، وفي جوفى الروضة حوضٌ صغير مرخّم في قبلته شكلُ الجحراب ، قيل : إنه يدت فاطمة رضى الله تعالى عنها ، ويقال : هو قبرها ، وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم ، ومنه إليها اثنتان وأربعون خطوة ، وهو في الحوض المبارك الذى طوله أربع عشرة خطوة ، وعرضه ستّ خطا ، وهو مرخّم كاه وارتفاعه شبر ونصف ، وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار ، وطوله خمس خطوات ، وأدراجة ثمانية ، وبابه على هيئة الشباك مقفل يُفتح يوم الجمعة ، وطوله أربعة أشبار ونصف شبر .

والمنبر مغشى بعود الآبنوس ، ومقعد النبي صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهرٌ ، وقد طبق عليه لوح من الآبنوس غيرُ متصل به ، يصونه من القعود عليه ، يدخل الناس أيديهم إليه ، ويمسحونه تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم ، وعلى رأس رجل المنبر اليمنى ، حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط ، لكنها أكبر لاعبة تستدير في موضعها ، يزعمون أنها كانت لُعبة للحسن والحسين في حال خطبة جدّهما ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وفي الروضة الصغيرة التى بين القبر والمنبر ، جاء الأثر أنها روضة من رياض الجنة ، وقدرها ثمان خطا ، وبتراحم الناس في هذه الروضة للصلاة ، وبإزائها لجهة القبلة عمود ، يقال إنه مُطبق على بقية الجذع الذى حنّ لالنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة ، يقبلها الناس ، ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها فى القبلة منها صندوق كبير للشمع والأنوار التى توقد أمام الروضة كلّ ليلة ، ومصلى الإمام فى الروضة الصغيرة المذكورة إلى جانب الصندوق ، وبينها وبين الروضة الكبيرة محملٌ كبيرٌ مدهون عليه مُصحفٌ كبيرٌ فى غشاء مقفل ، هو أحدُ المصاحف الأربعة التى وجّه بها عثمان إلى البلاد ،

وبإزاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد ، وبليها في البلاط النائي دفةٌ لجهة الشرق ، ودفةٌ مطبقة على وجه الأرض إلى سرداب يهبط إليه على أدراج تحت الأرض ، يُفضى إلى خارج المسجد إلى دار أبي بكر ، وهو كان طريق عائشة رضی الله عنهما إليها . وذلك الموضع هو موضع الخوخة المُفضية لدار أبي بكر رضی الله عنه التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإبقائها ، وبإزاء دار أبي بكر دار عمر وابنه عبد الله بن عمر رضی الله عنهم أجمعين .

وفيما ذكرناه كفاية ، والله تعالى أعلم .

## المفامنة الثالثة والثلاثون وتحريف بالتفليسيّة

حكى الحارث بن همام ، قال : عاهدتُ الله مُذْ يَفْعَتُ ،  
 ألاَّ أُوخِّرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ ؛ فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الْفَلَوَاتِ ،  
 وَلَهُوَ الْخَلَوَاتِ ، أُرَاعِي أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ ، وَأُحَاذِرُ مِنْ مَأْمِ  
 الْفَوَاتِ . وَإِذَا رَافَقْتُ فِي رَحْلَةٍ ، أَوْ حَلَلْتُ بِحِلْمَةٍ ، مَرَّحِبْتُ  
 بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا ، وَاقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا .

فَاتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلَيْسَ ، أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ زَمْرَةٍ مَقَالِيسَ  
 فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ ، وَأَزْمَعْنَا الْانْفِلَاتَ ، بَرَزَ شَيْخٌ بَادِي اللَّقْوَةِ ،  
 بِالِي الْكُسُوءِ وَالْقَوَّةِ ، فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ  
 الْحَرِّيَّةِ ، وَتَفَوَّقَ دَرَّ الْعَصِيَّةِ ، إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةً ، وَاسْتَمَعَ مِنِّي  
 نَفْثَةً ، نَمَ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدِ ، وَبِيَدِهِ الْبَدَلُ وَالرَّدُّ . فَعَقَدَ لَهُ  
 الْقَوْمُ الْحَبَا ، وَرَسَوْا أَمْثَالَ الرَّبَا .

يفعت : شببت ولم أبلغ الحلم ، وقاربت ذلك .  
 ابن أبي الخير : يفع الغلام وأيفع ، إذا كان ابن سبع سنين ، فإذا ناهز الحلم  
 قيل : مُرَاهِقٌ وَكَوَكِبٌ <sup>(١)</sup> ، فإذا أدرك قيل : فِيهِ حَزْوَرٌ .

غيره : غلام يفعه غض الشبَاب ، وَجَارِيَةٌ يَفْعَةُ ، وَالْجَمْعُ أَيْفَاعٌ وَأَيْفَعٌ ، فَهُوَ  
 يَافِعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ . قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَفْعُ الْغُلَامَ ،  
 وَلَا مُوْفِعٌ ، وَمِثْلُهُ أَبْقَلَ الْمَوْضِعَ ، وَأَوْرَسَ ، وَالْوَرَسُ : نَبْتُ أَصْفَرٍ . جَوْبٌ :

(١) في القاموس : الكوكب : الغلام المراهق .



قطع . الخلوات : حيث يخلو للذاته . أراعى . أحفظ . مائم : إثم . الفوات . فوت الوقت . راققت في رحلة : صاحبت في ارتحال وسفر . حَلَّتْ : نزلت ببلدة . والحلّة : جماعة البيوت ، والحلّة : القوم الحُلُولُ والجمع حِلال . مَرَّحِبْت : قلت مَرَّحِبًا . الدّاعى : هو المؤذّن .

[ ما قيل في أداء الصلاة في وقتها وما جاء في تركها ]

وجاء من الأثر في تأخير الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليصلّي الصلاة وما فاتهُ وقتها ، ولما فاتهُ من وقتها أعظمُ أو أفضلُ من أهله وماله » . فهذا وقد أدرك آخر الوقت سيندم على فوات أوله .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الوقت الأول من الصلاة رضوان الله ، والثاني عفو الله » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : رضوان الله أحبُّ إلى من عفوه . وإنما قال ذلك لأن عفو الله لا يُتصوّر إلا عند اكتساب خطيئة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « مَنْ حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة من النار ، ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الذى تفوته صلاة العصر ؛ فكأنما ورَّ أهله وماله » .

وكتب عمر رضى الله عنه إلى عماله : إن أهمّ أموركم عندى الصلاة ، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضييعها فهو لما سواها أضييع .

وجاء في القرآن : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدْمِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وفي التفسير : لم يتركوا الصلاة وإنما أضاعوا وقتها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تفريط في النوم ، وإنما التفريط فى الذى يؤخّر الصلاة إلى وقت الأخرى »

وَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، قَالَ :  
« هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا » .

وَمَا يُسْتَظَرَفُ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَلِيلٌ لَهُ : إِنْ أَبَادُوا لِمَا لَا يَحْضُرُ  
الصَّلَاةَ ، لِأَنَّهُ مَمْتَكِفٌ عَلَى الْخَيْرِ ، وَقَدْ أَفْسَدَ فِتْيَانُ الْمَسْكَرِ ، فَلَوْ أَمْرَتْهُ بِالصَّلَاةِ  
مَعَكَ لِأَصْلِحَتْهُ وَغَيْرِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَبُو دُلَامَةَ الْمَاجِنُ ! قَالَ : يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَنَا وَالْمَاجُونَ ، وَقَدْ سَاوَرْتَ بَابَ قَبْرِي ، قَالَ : عَنَى مِنْ اسْتَسْكَاتِكَ  
وَتَضَرَّعِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَفُوتَكَ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي مَسْجِدِي ، فَإِنْ فَاتَتْكَ  
لأَحْسِنَنَّ أَدَبَكَ ، وَلَا تُطِيلَنَّ حَبْسَكَ . فَوَقَعَ فِي شَرِّ أَمْرٍ ، فَلَزِمَ الْمَسْجِدَ أَيَّامًا ثُمَّ  
كَتَبَ رَقْعَةً وَدَفَعَهَا إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَبِيهِ وَفِيهَا :

ألم تعلمَا أن الخليفةَ لَزَنِي	لمسجده واتقصرِ مالي وللقصرِ <sup>(١)</sup>
أصلى به الأولى جميعاً وعصرهما	فونبلي من الأولى، وونبلي من العصرِ ا
أصليهما بالكُره في غير مسجدي	فمالي في الأولى وفي العصر من أجرِ
يكلّفني من بعد ما شئتُ توبةً	يحطُّ بها عني التَّقِيلَ من الوزرِ
ووالله مالي نيّةٌ في صلاتها	ولا البرّ والإحسان والخير من أمرِ
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّةٌ	ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري
وما ضرّه - والله يفقر ذنبه -	لو أن ذنوب العالمين على ظهري!

فقال : صدقَ دَعْوُهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ ! وَاللَّهِ لَا يَفْلَحُ هَذَا  
أَبْدًا ، فَدَعُوهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَكَانَ الْجَمَّازُ مَنْقَطًا إِلَى أَبِي جَزْءِ الْبَاهَلِيِّ ، فَتَنَاسَكَ أَبُو جَزْءِ ، فَقَالَ  
لِلْجَمَّازِ : لَا أَحِبُّ أَنْ تَحَالِطَنِي إِلَّا أَنْ تَتَنَسَّكَ فَأَظْهَرَ التَّنَسُّكَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) الخبر والشعر في الأغاني ١٠ : ٢٤٨ .

قد جفاني الأمير كي أنقرى فتقرت مكرهاً لجنائيه<sup>(١)</sup>  
والذي أنطوى عليه المعاصي علم الله نيتي من سمائه  
ما قرأة لمكروه بقرأة قد رواه الأمير عن فقهاءه  
ومن مجون أبي نواس أن الأمير لما نهاه عن الخمر وحبسه ، فكلمه فيه  
الفضل بن الربيع ، وأخرجه كتب إليه :

أنت يا بن الربيع علمتني الخيـرَ وعودَ تـذـيـهٍ والخـيرُ عـادَةٌ<sup>(٢)</sup>  
فارعوى باطلي وراجعتي الحلم فأحدثت رهبةً وزهاده  
لو تراني ذكرت بي الحسن البصرى فى حال نسكه أوقتاده  
المساييح فى دراعى والمصحف فى لآبتي مكان القلاده  
فإذا شئت أن ترى طرفه تـنـدـجـب منها ملوحة مستفاده  
فادعُ بي لا عدمتَ تقويمٍ مثلى فتأمل بعينك السجادة  
لورآها بعض المرائين يوماً لا شترها يمدّها للشهادة  
أثرٌ لاح للصلاة بوجهي توفن النفس أنه من عبادة

وأذن بشار لأصحابه والمائدة بين يديه ، فأكل ولم يدعهم طعامه ، ثم دعا  
بطشت وكشفت عن سوءته فبال ، ثم حضر الظهر والمعر والمشاء الأولى  
والآخرة ، فلم يصل فقالوا له : أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكراها  
عليك . قال : وما هي ؟ قالوا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه ، قال :  
إنما أذنت لكم لتأكلوا ، ثم ماذا ؟ قالوا : دعوت بالطشت ونحن حضور  
فبئت ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بقض  
البصر دوني ، ثم ماذا ؟ قالوا : حضرت الصلاة فلم تصل ، فقال : إن الذي  
يقبلها تقارب يقبلها جملة . هذا على أنه القائل :

(١) الأمل ٣ : ٤٦ . تقرى : تنسك .

(٢) ديوانه ١٤٥ ، ذيل زهر الآداب ١٦٨ .

ألم تر أن الدهر يقدح في الصمّاء وأن بقائى إن حيت قليل<sup>(١)</sup>  
 خليلك ما قدمت من عمل التقي وليس لأبّام المنون خليل  
 فعتس خائفاً للموت أو غير خائف<sup>(٢)</sup>

على كلّ نفس للحمام دليل

وقال الحسن رحمه الله تعالى<sup>(٣)</sup> :

وندمان يرى غيباً<sup>(٤)</sup> عليه بأن يمسى<sup>(٥)</sup> وليس له انقشاه  
 إذا نبهته من نوم سُكْرِ كفاه مرّة منك النداء  
 إذا ما أدركته الظهر صلى<sup>(٦)</sup> فلا ظهر عليه ولا عشاء<sup>(٧)</sup>  
 يصلى هذه في وقت هذى فكلّ صلاته أبداً قضاء

[ ذكر مدينة نفليس ]

نفليس : مدينة بأرمينية بينها وبين قالى قلاً ثلاثون فرسخاً، ومن قالى قلاً ابتداء الأنهار للعظام، أو لها الفرات - وقد تقدّم - يأخذ من قالى قلاً فرسخين، ثم يشق مفرّبا إلى ديبيل إلى ورتان، ثم يصب إلى بحر الخزر، والثانى الكبير يخرج من مدينة قالى قلاً، ثم يشق إلى مدينة نفليس مشرقاً إلى مدينة بردعة وأرضها، ثم يقرب من بحر الخزر، فيلتقى مع الرسن ويصيران نهراً واحداً. ويقال : إن خلف الرسن ثلثمائة مدينة خراب، وهى التى ذكرها الله تعالى، وأصحاب الرسن بعث إليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه، فأهلكوا. وقيل فى أصحاب الرسن غير ذلك .

(١) نقله البارودى فى مختاراته ٤ : ٤٦ (٢) المختارات : « عائف »

(٣) مختار الأغانى ٣ : ٦٦

(٤) ط : « عيبا » ، تصحيف . (٥) المختار : « يلتقى » .

(٦) ط : « حيا » ، وما أثبتته من المختار .

(٧) المختار : « ولا عصر عليه ولا عشاء » .

وإرمينية مقسومة على ثلاثة أقسام ، فالقسم الأول مدينة دَبِيل ، ومدينة قَالِي قَلَا ، ومدينة خَلَاط ، ومدينة شَمَشَاط ، ومدينة السَّوَاد ، والجزء الثاني مدينة بَرَدْعَة ، ومدينة البَيْلِقَان ، ومدينة قَيْلَة ، ومدينة الباب والأبواب والثالث مدينة خَزْوَان ومدينة تَمْلَيْس . والمدينة التي تعرف بمسجد ذى القرنين ، وافتتحت إرمينية في خلافة عثمان ، وافتتحها سليمان بن ربيعة الباهلي في سنة أربع وعشرين .

عُصْبَة : جماعة . مَفَالَيْس : فقراء ، وَأَفْلَسَ الرَّجُلُ : صار صاحبُ فُلُوسٍ بعد أن كان صاحبَ دَنَائِرٍ . أَرَمَعْنَا الْإِنْفَلَاتَ : عَزَمْنَا عَلَى الْخُرُوجِ . اللَّقْوَةُ : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْفُؤَاقُ : مَا بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ . دَرَّ الْعَصْبِيَّةُ : لَبِنُ الْحَمِيَّةِ ، وَهُوَ مَثَلٌ . نَفْتَةٌ : كَلِمَةٌ . الْبِذَلُ : الْعَطَاءُ . وَالرَّدُّ : الْمَنَعُ . الْحَبَا : عَقْدُ الْيَدَيْنِ عَلَى الرِّكْبَتَيْنِ . رَسَوَا : ثَبَتُوا . الرِّبَا : الْكُدَى .

\* \* \*

فَلَمَّا آتَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ ، وَرَزَانَةَ حَصَاتِهِمْ ، قَالَ : يَا أُولِي الْأَبْصَارِ الرَّامِقَةِ ، وَالْبَصَائِرِ الرَّائِقَةِ ؛ أَمَا يُغْنِي عَنْ الْخَبْرِ الْعِيَانُ ، وَيُنَبِّئُ عَنِ النَّارِ الدِّخَانُ ؛ شَيْبٌ لَا تُحِمْ ؛ وَوَهْنٌ فَادِحٌ ، وَدَاءٌ وَاضِحٌ ، وَالْبَاطِنُ فَاضِحٌ .

وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ تَمِّنُ مَلَكًا وَمَالَ ، وَوَلِيَّ وَآلَ ، وَرَقَدَ وَأُنَالَ ، وَوَصَلَ وَصَالَ ؛ فَلَمْ تَزَلِ الْجَوَائِحُ تَسْحَتُ ، وَالتَّوَابُ تَنْحَتُ ؛ حَتَّى الْوَاكِرُ قَفَرُ ، وَالْكَفُّ صِفَرُ ، وَالشُّعَارُ ضُرُّ ، وَالْعَيْشُ مُرُّ ؛ وَالْعَصْبِيَّةُ يَتَضَاعُونَ مِنَ الطَّوْرِ ، وَيَتَمَنُّونَ

حُصَاةِ النَّوَى وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ ، وَأَكْشِفُ لَكُمْ  
الدَّفَائِنَ ؛ إِلَّا بَعْدَ مَا شَقِيتُ وَلَقِيتُ ، وَشَبَّتُ مِمَّا لَقِيتُ ؛  
فَلَمَّيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بِقِيَّتُ . ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْأَسِيفِ ، وَأَنْشَدَ  
بصوتٍ ضعيفٍ . . . . .

\* \* \*

أنس : أبصر . إنصاتهم : سكونهم . رزانه حصاتهم : رجاحة عقولهم ،  
والحصاة يكنى بها عن العقل ، قال طرفة :

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاةً على عوزانهٍ لدليل<sup>(١)</sup>

الأبصار الرامة : العيون الناظرة . البصائر : جمع بصيرة وهي الممتقد .  
الرائفة : المعجبة . العيان : المعاينة ، يقول : معاينتك الشيء تُفنى عن خبرته  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النهى صلى الله عليه وسلم : « ليس الخبَرُ  
كالعاينة » .

ينبى<sup>١</sup> : يخبر . لأضح : ظاهر . وهن : ضُف . فادح : مثقل بَيْن . فاضح :  
أى صاحبه في شهرة وفضيحة . ملك : كان ملكاً أو ملك الأموال العظام فصار  
ذا ملك : مال : صار ذا مال . ولي<sup>٢</sup> : صاروا ليا . آل : ساس ، أى صار يمسوس  
الناس ، أى يكون عليهم أميراً ، قال همر رضى الله عنه : ألنا وإبل علينا .  
رِفْد : وهَب الرِفْد . أنال : أعطى التيسل والنوال ، يقال : منه نالته وأنلته .  
وصل : أعطى صلة ، ولترِفْد والنوال : العطاء . والإيالة : السياسة ، آل الأمير  
رعيتَه أحسن سياستهم ، وآل ماله يؤله : أصلحه . صال : بطش وهدد ، وصال

(١) لم أجده في ديوان طرفة ، والبيت في اللسان ( حمى ) ، ونسبه مع بيت قبله لى  
كعب بن سعد الغزوى .

الفعل : هَدَرَ فِي قَطِيئِهِ . الجَوَائِحُ : المصائب . تَسَحَّتْ : تستاصل الأموال .  
 تَدَحَّتْ : تنجر وتأخذ . النَوَائِبُ : النوازل . الوَكْرُ : قعر المنزل : صِفْرٌ : خالية  
 من الدرّاهم . الشُّعَارِ : اللباس : يتضاغون : يصيحون ، والضَّغَاءُ صياح الذئب  
 إِذَا جَاعَ ، والضَّغَاءُ : البكاء بذلّ وخشوع . الطَّوَى : الجوع . مصاصة : ما يمصّ  
 منه . الشَّائِنُ : العائب صاحبه . شَقِيتُ : أدركني الشقاء . لُقِيتُ : أصابني  
 لِقْوَةٌ . تَأَوَّهَ : توجع ، وقال أَوْهَ . الأَسِيفُ : الحزين .

\* \* \*

أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ مُبِحَانَهُ      تَقَلَّبَ الدَّهْرُ وَعُدْوَانَهُ  
 وَحَادِثَاتِ قَرَعَتِ مَرَوْتِي      وَقَوَّضَتْ مَجْدِي وَبُنْيَانَهُ  
 وَاهْتَصَّرَتْ عُوْدِي وَيَأْوِيلَ مَنْ  
 تَهْتَصِرُ الأَحَادِثُ أَغْصَانَهُ

وَأَمَحَلَّتْ رَبِّي حَتَّى جَلَّتْ      مِنْ رَبِّي المَجْلِ جِرْدَانَهُ  
 وَغَادَرْتَنِي حَارًّا بَارًّا      أَكَابِدُ الفَقْرِ وَأَشْجَانَهُ  
 مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَانِرُوهُ  
 يَسْحَبُ فِي النُّمَةِ أُرْدَانَهُ

يَخْتَبِطُ العَافُونَ أَوْرَاقَهُ      وَيَحْمَدُ السَّارُونَ نِيرَانَهُ  
 فَأَصْبَحَ اليَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ      أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ  
 وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا !  
 وَعَافَ عَافِي المَرْفِ عِرْفَانَهُ

فهل فتى يحزنه ما يرى من ضرس شيخ دهره خانة  
فيخرج الهم الذي هم به ويصلح الشأن الذي شأنه

\* \* \*

عدوانه : ظلمه . قرعت مروني : ضربت صغرتي ، وأراد بها نفسه .  
قوّضت : نقضت وهدمت . اقتصرت : كسرت وحتقت ، وهضرت الفصن :  
تمطّفه وأمخناؤه ، وضرب بالمرّوة والموذ أمثالا وهو يريد جسده وماله . أمحلته :  
جعلته محملاً . جلت : طردت . المحجل : الذي لا نبات فيه ولا رزق . جردانه :  
فترانه ، وقد تقدّم فائدة هذا المعنى . بأرا : هالكا . أكابد : أقاسى . أشجانته :  
أحزانه . أخاثروة : صاحب غنى . يسحب . يجرّ . أردانه : أذباله . يختبئ :  
يطلب . العافون : الطالبون للرزق ، وخبطت الورق : ضربتها بالعصا ، فتمسقت  
فتملأها الإبل ، فيضرب بها المثل لعطية الكريم ، وأنشد زهير<sup>(١)</sup> :

وليس مانع ذي قرني وذو رحيم<sup>(٢)</sup> يوما ولا معدما من خابط وراقا  
السارون : الماشون بالليل . عانه : أصابه بالمين . ازورّ : انقبض . عاف :  
كّرّه . عافى العُرف : طالب المعروف . عرفانه : معرفته . هته : أذابه .  
وشانته : عابه .

[ من كلام الأعراب ]

ومن كلام العرب في هذا الباب، ما حكى الأصبغى رحمه الله: أن الأعراب  
أصابتهم سنوات كثيرة جدبة ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم  
أعرابي يقول : أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ،

(١) ديوانه : ٥٢ .

(٢) الديوان : « وذو نسب » .

(٨ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



عابرو سبيل وفلال بؤس ، وصرعى جذب ، تتابمت علينا سنون ثلاث غيرت  
 النعم ، وأكلت النعم ، فأكلنا ما بقى من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نملل  
 بذلك نفوسنا ، ونمعى بالغيث قلوبنا ، حتى هاد مختاراً ، وهاد إشرافنا ظلاما ،  
 فأقبلنا إليكم بصرعنا الوعر ، وينكينا السهل ، وهذه آثار مصائبنا لأئمة فى  
 قسماً نأنا . فرحم الله متصدقا من كثير ، أو مواسيا من قليل ، فلقد عظمت  
 الحاجة ، وكسيف البال ، وبلغ الجهود ، والله يجزى المتصدقين .

وقف أعرابي على حلقة يونس النحوى ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ به أن  
 أذكر به وأنساه ، إنا أناس قد قدمنا هذه المدينة : ثلاثون رجلا ، لاندفن ميتا ،  
 ولا نتحول عن منزل ، وإن كرهناه ، فرحم الله عبدا تصدق على ابن سبيل ،  
 ونضو طريق ، وفل سنة ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله . ولا عمل  
 بعد الموت ، يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه  
 له ﴾ ، إن الله لا يستقرض من عوز ، ولكن ليبلوا أخبار عباده .

قال الأعمى رحمه الله : وقف أعرابي علينا ، فقال : تتابمت علينا سنون ، بتغيير  
 وانتقاص ، فأتركت لنا ضيمًا ولا ريمًا<sup>(١)</sup> ، ولا نافطة ولا عافطة<sup>(٢)</sup> ، ولا ناغية  
 ولا راغية<sup>(٣)</sup> ، فأمانت الضرع وأفنت الزرع ، وعندكم من فضل الله نعمة فأعينوا  
 من عطية الله إياكم ، وارحوا أبا أيتام ، وأنصاء زمان ، فلقد خلفت أقواما  
 لا يمرضون مريضهم ، ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من المنزل وإن كرهوه ،  
 ولقد مشيت إليكم حتى انتهلت الدماء ، وجفت حتى أكلت النوى المحرقة .

وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقالت :

(١) الضيع جمع ضيمة ، وهى المقار . والريع : سبيل الوادى من كل مكان مرتفع .

(٢) العافطة : النعمة ، وكذلك النافطة .

(٣) التغاء : صوت الغم ، والرهاء : صوت البعير أو الذقة .

إِنِّي أَنَيْتُ مِنْ أَرْضِ شَاسِعَةَ ، تَهْبَطِي هَابِطَةً ، وَتَرْفَعِي رَافِعَةً ، فِي مَلَحَاتٍ مِنْ  
الْبِلَالِيَا ، بَرَّيْنِ لَحِيٍّ ، وَهَضْنِ عَظْمِي ، وَتَرَكَتِي وَالْمَةَ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ،  
بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ ، وَكَثْرَةِ الْمَدَدِ ، لَا قَرَابَةَ تُؤْوِيَنِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِيَنِي .  
فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ : مَنْ الْمُرْتَجَى سَيِّبُهُ ، الْمَأْمُونُ عَيْبُهُ ، السَّكْنِيرُ نَائِلُهُ ، لِلْكَفَى  
سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَدْتُ الْوَالِدَ وَالرَّافِدَ ، فَاصْنَعْ  
فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تَحْسِنَ صَفَدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي <sup>(١)</sup> ،  
وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُنَّ لَكَ فَعَلَّ بِهَا ذَلِكَ .

خرج المهدي يطوف بالبيت بعد هدأة من الليل ، فسمع أمرايية من جانب  
المسجد ، وهي تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العميون ، وفدحتهم الدبون ،  
وهضتهم السنون ، بادت رجالهم ، وزهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء  
طريق ، وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهل من أمرٍ بخيرٍ كَلَاهُ  
الله في سفره ، وخَلَنَهُ فِي أَهْلِهِ فَأَسْرَلَهَا مَخْمِسَاتَةَ دَرَمٍ .

ومما جاء في ذم السؤال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَأَنْ يَأْخُذَ  
أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ فِيهِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ،  
فَيَسْأَلُهُ ؛ أَعْطَاهُ أَوْ مِنْهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ ، فَتَحَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفَقْرِ » .

وقال أكرم بن صيفي : كُلُّ سُّؤَالٍ وَإِنْ قَلَّ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ نَوَالٍ  
وَإِنْ جَلَّ .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الْمَسَاكِينُ لَا يَمُودُونَ مَرِيضًا ، وَلَا يَشْهَدُونَ  
جَنَازَةً ، وَلَا يَحْضُرُونَ جَمْعًا ، وَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ يَسْأَلُونَ

(١) الصغد : السقاء . والأود : الامرجاج .

الله من فضله ، اجتمعوا يسألون الناس ما بأيديهم .

سأل سائل بمسجد الكوفة فلم يُعْطَ شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجة عالم لا تعلم ، أنت الذي لا يعوزك نائل ، ولا يلحقك سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل ؛ أسألك صبراً جميلاً ، وفرحاً قريباً ، وبصراً بالهدى ، وقوة فيما تحب وترضى . فتبادروا إليه بالمعطية ، فقال : لا والله لا أرزؤكم الليلة شيئاً ، ثم خرج وهو يقول :

ما نال باذلٌ وجهه بسؤاله      عوضاً ولو نال الغنى بسؤال  
وإذا التوال مع السؤال وزنته      رجح السؤال، وخفت كل نوال  
وإذا بليت يبذل وجهك سائلاً      فابذله للمتكرّم المفضل  
وقال بمض الأدياء : الخذولُ من كان له إلى اللثام حاجة .

وأنشد الجاحظ في نوادره لأهرازي :

سير التنواعج بالقيمة في الضحى      يمشى الدليلُ بها على بلبال  
خيرٌ من الطمع الذيء ومجلس      بفناء لا طلق ولا مفضل  
فابئتُ حوائجك لليلك فإنه      يفنك قبل تخشع بسؤال

\*\*\*

قال الراوي : فصبت الجماعةُ إلى إن تستنبتَه ، لتستنجنشَ خُبَاتَه ، وتستنفِضَ حَقِيْبَتَه ، فقالت له : قد عرفنا قدر رُبَّتِكَ ، ورأينا دَرَّ مُزْنَتِكَ ؛ فمرّفاً دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ ، واحسِرِ الأثامَ عن نِسْبَتِكَ . فأعرضَ إفراسَ مَنْ مَنَى بالإغْنَاتِ ، أو بَشْرَ بالبَنَاتِ ، وجعلَ يلعنُ الضرُّوراتِ ، ويتأففُ من تغيُّضِ المرُوماتِ . ثم أنشد بلفظ صَادِعٍ ، وجَرَمِ خَادِعٍ :

لَعَمْرُكَ مَا كُلَّ فَرْعٍ يَدُلُّ جِنَاهُ اللَّذِيذَ عَلَى أَصْلِهِ  
فَكُلُّ مَا حَلَا حِينَ تُوْتِي بِهِ وَلَا تَسْأَلِ الشَّهَدَ عَنْ نَحْلِهِ  
وَمِيْزٌ إِذَا مَا اعْتَصَرْتَ الْكَرُومَ  
سُلَافَةٌ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ  
لِتُعْلِي وَتُرْحِمَنَّ مِنْ خَبْرَةٍ وَتَشْتَرِي كَلًّا شِرًّا مِثْلَهُ  
فَعَارُهُ عَلَى الْفَطْنِ الْوُدْعَى دُخُولُ الْغَمِيْزَةِ فِي عَقْلِهِ

\* \* \*

قوله : تَسَدَّدْتَبْتَهُ : تَحَقَّقَ مَنْ هُوَ . تَسَدَّدَجَش ، تَسْتَجْرَج ، وَالنَّجَشِ :  
استخراج الشيء المجهول المستور . وقيل : تنفير الوحش ، وهو من الأول ، لأن  
تنفير المطمئن كإظهار الكامن . خبأته : سرته الذي أخبرهم بظاهره حيث  
قال : كيت وكيت .

الحتمية : وعاء يملأه الرجل خلف رَحْلِهِ ، يجعل فيه ما يميز عليه مما يحتاج  
أن يقتنأه متى شاء ، وأراد بها هنا موضع سيره . تستنفض : تنثر ما فيها .  
رتبتك : قدرك ومنزلتك . دَرَّ مَزْنَتِكَ : ماء سعابك ، وأراد ما أبدى لهم  
من البلاغة . دوحه : شجرة . شميتك : فرعك وغصنك . اخسِر : أزل  
واكشف . اللثام : ما يُجْعَلُ عَلَى الأنف والقم ، يريد هرفنا أصلك ، ومن أين  
أنت . مُنِيَّ : بُيْلَى . الإعنات : المشقة ، وَعَنْتَهُ وَأَعْنَتَهُ : كلفته ما يشق عليه .  
وَبُشْرٍ بِالْبِنَاتِ : أَخْبِرِ بَوْلَادِيَهِنَّ ، وقد أخبر الله تعالى أن مَنْ بُشِّرَ بِالْأُنثَى  
خَلَّ وَجْهُهُ مَسْوُودًا وَهُوَ كَطِيمٍ ، يتوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ . وقد  
تقدم وأد البنات وهو دسهن في التراب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر : « لا تَكْرهُوا البنات فإنهنّ المؤمنات الغاليات » . وقال عليه الصلاة والسلام « أحبوا البنات ، فإنّي أبو البنات » ، وإنّ الرجل إذا ولد له ابنة هبط إليها مَلَكٌ فسحا على ظهرها ، وقالوا : ضعيفة خرجت من ضئيف ، مَنْ أَعَانَ عَلَيْكَ لَمْ يَزَلْ يَصَابُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قوله : يتأفف ، يقول : أب أف ، وهو من فعل المهموم الملهوف . تغيّض المروءات : ذهب الأفعال الحسان . صادع : شديد يشقّ الأذن . جرس : صوت . جناه : ما يجتئى منه . الشمد : العسل ، أى كل العسل ، ولا تسل من النحل التي صنعته ، ولا من أين هو ، ضربه مثلا لترك سؤالهم عنه ، إذ أقدم . سُلَافَة : خمر لم تُعَصَّر . عصرك : تصبيرك . خيرة : معرفة وتجربة . الأوذاعى : الذكى . التغميزة : ضعف التدبير والنظر ، لأنّ الذى لا يحسن التدبير ، والنظر إذا سقط غمزه الناس وعابوه .

\*\*\*

قال : فازدهى القومَ بذكائه ، واختلبهم بحسنِ أدائه مع دائه ، حتى جمعوا له خبايا الخبئ ، وخفايا الثبئ ، وقالوا له : يا هذا ، إنك حُمتَ على رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ ، وتعرّضتَ إِخْلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ . فخذ هذه العصابة ، وهبها لا خطأ ولا إصابة .

فنزّل قلمهم منزلة الكثر ، ووصلَ قبوله بالشكر . ثم تولى يجر شقّه ، وينهب بالخبط طُرُقَه .

قال الخبِرُ بهذه الحكاية : فصوّر لي أنه يُحِيلُ لِعَدْلِ الْمُسْلِمِ هَيْلًا

مَتَمَّعٌ فِي مِشِيَّتِهِ . فَهَضَّتْ أَنَّهُجُ مِنْهَاجَهُ ، وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ ؛  
 وَهُوَ يَلْحَظُّنِي شَزْرًا ، وَيُوسِعُنِي هَجْرًا ؛ حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقَ ،  
 وَأَمَّكَنَ التَّحْقِيقَ ، نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ ، وَمَا حَصَّ  
 بَعْدَ مَا غَشَّ ، وَقَالَ : إِنِّي لِإِخَالِكَ أَخَا غَرْبَةِ ، وَرَائِدَ صُحْبَةِ ؛  
 فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُوقُ بِكَ وَيُرْفِقُ ، وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ ؟  
 فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَتَانِي هَذَا الرَّفِيقُ لَوَاتَانِي التَّوْفِيقَ . فَقَالَ لِي :  
 قَدْ وَجَدْتَ فَاعْتَبِطْ ، وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ .

\* \* \*

ازدهى : دعاهم إلى الزهو والإعجاب به . ذكائه : حدة ذهنه . اختلابهم :  
 خدعهم . الخبئن : أطراف الثوب ، كالكس وغيره ، والثبئن : أطراف الرداء  
 وشبهه ، والخبئنة في الثوب الخيط ، وقد خبئته عطفته وكففته بالخياطة ، وقيل :  
 الخبئن القميص ، والخبئنة لما يلي من حُجْزَةِ السراويل والإزار ، والجمع خُبْنٌ ،  
 والثبئنة ما يلي الظهر من السراويل والإزار . حُمَّتْ : حُلقت . رَكِيَّةٌ : بئر . بكية :  
 قليلة الماء . خلية : جَبَّح النحل حيث كان من حجر أو شجر ، وقيل الخلية  
 الخشبية المنقورة لها خاصة ، والخلية في غير هذا السفينة ، فشبَّهت خلية النحل بها .  
 خلية : فارغة ، العُبابة : الشيء القليل إذا أخذ منه بكثرة . الخبط : أراد به أخذ  
 الأموال بالسؤال ، يقال : خبطت الشجرة خبطاً ، نفضت ورقها ، أراد أنه كان  
 يجرّ جانبه الملل ، فكل مَنْ مرَّ به وسأله رجه . محيل : مغير . حليته : خلقته  
 وصفاته . نهضت : تقدّمت للمشي . أنهج منهاجه : أمشى في طريقه . أقفو  
 أدراجه : أتبع آثاره . يلحظني : ينظرني .

شزراً ، أى في جهة بمؤخر عينه . قال ابن الأنباري : نظر إلى شزراً ، أى  
 نظر إلى من جانب عينه من شدة العداوة والبغضاء ، يقال : شزر يشزّر ، إذا نظر

من جانب عينه من العداوة أو من الفرق . ويوسعني هجرأ ، أى يكثر تجنبي ومباعدتي . هسّ : خفّ واهتزّ . بشّ : حسن اللقاء ، ويقال : بش فلان بفلان ، إذا سرّ به وفرح وانبسط إليه ؛ ويقال : تبشّش به بمعنى بشّ به ، والبشاشة والمشاشة الطلاقة والتبشّم . ماحض : أخلص وده . غشّ ، ضد أخلص ، ويقال : غشه ، أى عمل فيما يحبه شيئاً قليلاً وخلطه بما يسوءه ، أخذ من الغشش ، وهو الشراب الكدر . إخالك : أحسبك . رائد : طالب . يرفق بك : يلاطفك ويكون بك رقيقاً . يرفق : يوليكَ مرافقة ، أى يعينك بالله حتى يجد معها الرفق . لو اتانى : لو اتفني . اغتبط ، أى كن به مقتبطاً أى محبباً في بقائه ، والغبطة : حسن الحال . استكرمت فاربت ، أى اتخذت كريماً ، وجاء هذا اللفظ في حكاية ذكرها أبو عليّ ، وهى أن فتى من العرب جاء إلى أمّه ، وقد عميت فقال لها : يا أمّه ، إني اشتريت فرساً ، فقالت : صفه لى ، قال : إذا استقبل فظبى ناصب ، وإذا استدبر فمقل<sup>(١)</sup> هاضب ، وإذا استعرض فسئيد<sup>(٢)</sup> قارب ، موالى المسمعين ، طامح الناظرين ، مدعاق الطّيبين ، قالت : أجدت إن كنت أعربت ، قال : إنه مشرف التليل ، سبط الخصيل ، وهو الواه الصهيل ، قالت : أكرمت فاربت<sup>(٣)</sup> .

...

نمّ ضحك ملياً ، وتمثّل لى بشرأ سويّاً ؛ فإذا هو شيخنا السروجى ، لا قلبه بجسّمه ، ولا شبهة فى وسمه ؛ فقرحت بلقيته ، وكذب لقوته ، وهممت بلامته ، على سوء مقامته ، فشحا فاه ، وأنشد قبل أن ألحاه :

ظَهَرْتُ بِرَثٌ كَيْمًا يُقَالُ      فقيرٌ يُرَجى الزمان المزجى

(١) المقل : الفتى من النعام ، والهضب : نوم من السير .

(٢) السئيد : الذئب ، والقرب : نوم من السير .

(٣) يجمع الأمثال ٢ : ١٤١

وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِحْتُ

فَكَمَّ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَى

وَلَوْلَا الرَّثَاةُ لَمْ يُرْتَلِ لِي وَلَوْلَا التَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فُلُجًا

نَمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهِذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ ، وَلَا فِي أَهْلِهَا  
مَطْمَعٌ ؛ فَإِنْ كُنْتَ الرَّفِيقَ ، فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ . فَسِرْنَا مِنْهَا  
مُتَجَرِّدِينَ ، وَرَافَقْتَهُ عَامِينَ أَجْرَدِينَ . وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ  
مَا عِشْتُ ، فَأَبَى الدَّهْرُ الْمَشْتِ .

\*\*\*

قوله : مليًا ، أى طويلاً . قُلبَة : هِلَة . قال الكسائي رحمه الله : مابه قُلبَة ،  
أى شىء يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لفته . وقال الفراء رحمه الله : مابه  
من وجع يُخَاف عليه منه ، من قولهم : قلب الرجل إذا أصابه وجع في قلبه ،  
فلا يكاد ينقلب منه . قال الأصمعي رحمه الله : معناه مابه داء ، مأخوذ من القُلاب ،  
وهو داء يصيب الإبل في رءوسها فيقلبها إلى فوق . شبهة : التباس وتقيير . وسمه :  
صفاته . اللقيّة : المرة الواحدة من اللقاء . وقال في الدرّة<sup>(١)</sup> : العرب تقول :  
لقيّة ولقاءة ولقاية ، إذا أردوا للمرّة الواحدة ، فإن أرادوا المصدر ، قالوا : لقيته لقاء  
وَلَقَى وَلُقِيًا ، هذا وأنشد :

وإنّ لقاءها في المنام وغيره وإن لم تجد بالبدل عندى لراح

وخطأ من يقول : لقيته لقاءة واحدة ، وأغفل أن سيويه قال في كتابه :

أنيته إنباهة ، ولقيته لقاءة واحدة .



والقوة: استرخاء العصب وعوّجه . مقامته : مجلسه الذي كدى به

شحاّاه : فتحه قال جرير :

وُضِعَ الخَزِيرُ قَعِيلَ أَيْنَ مَجَاشِعِ فَشَعَا جَعْفَلَهُ جُرَافٌ هَبْلَعٌ<sup>(١)</sup>

الخزير، بنقط الحاء ثم زاي: دقيق يلبك بشغم، وجراف الشيء سخونة.

الحاء: الأرمه . يزجي: يسوق . المزجي: اللليل الخير، وهذا كما قال: لبست

الحميصة أبنى الحبيصة. فُلجت: أصبت بفالج. الرثانة: سوء الحال. التفالج: استعمال

التفالج، وهو خدرٌ يصيب الجمد. فلجاً: فوزاً وظفراً. مَرَّع: موضع يرعى فيه.

مُنَجَّر دَيْن: مُشرعين، وانجرد الرجلُ في سيره، إذا جدَّ في الذهاب. أجردين:

تامنين كاملين، وسرتُ يوماً وشرّاً وحولاً أجرد، وجريداً أي تاماً، قال

سويد بن كراع:

وَجَسَمَنِي خَوْفُ ابْنِ عَفَانَ رَدَّهَا فَتَفَقَّطَهَا حَوْلًا جَرِيدًا وَمَرَّبَمَا<sup>(٢)</sup>

للشت: المفرق .

## المقامة الرابعة والثلاثون وتعرف بالزبيديّة

أخبر الحارث بن همام ، قال : لما جبتُ البيدَ إلى زبيد ، صحبني غلامٌ قد كنت ربيته إلى أن بلغ أشده ، وثقفته حتى أكل رُشده .

وكان قد أنسَ بأخلاقى ، وخبرَ مجالبَ وِفاقى ؛ فلم يكن يتخطى مرامى ، ولا يُخطئُ فى المرامى ؛ لا جرم أن قُربَهُ التَّاطبُ بِصَفْرِى ، وأَخْلَصْتُهُ لِحَضْرَى وَسَفْرِى ، فالوى به الدهرُ المبيدُ ، حين صَدَّقْتَنَا زبيد .

\* \* \*

جُبتُ : قطعت . البيد : الصحارى .

زبيد : بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا ، وليس فى اليمن بعد صنعاء أكبر منها ، ولا أغنى من أهلها ، ولا أكثر خيرا ، واسعة البساتين ، كثيرة المياه والقواكه من الموز وغيره ، وهى برية لا ساحلية .

وبلغ أشده : أى بلغ الحلم ، وقيل ثلاثين سنة . قال الأزهري رحمه الله تعالى : الأشد فى كتاب الله تعالى على ثلاث ممان : أما قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾<sup>(١)</sup> فبلوغه مبلغ الرجال ، وكذا فى اليتيم ، حكمه أن يحفظ عليه ماله حتى يبلغ أشده ، وبلوغه أشده أن يؤنس الرشد منه مع أن يكون بالغاً .

(١) سورة يوسف ٢٢

وأما قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ (١) فقرن بلوغ الأشد بالأستواء وهو أن تجتمع قوته ، ويكتهل وذلك من ثمان وعشرين إلى ثلاث وثلاثين سنة ، وذلك منتهى الشباب . وأما قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (٢) فهي نهاية بلوغ الأشد ، وعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد اجتمعت حكمته وتمام عقله ، فبلوغ الأشد محصور البداية محصور النهاية ما بين ذلك .

تفتته : قوته وحدّته . خبر : أى جرب وعرف . مجالب وفاق : أى عرف من أين يُجلب ما يوافقنى . يتخطى : يتجاوز . مرامى : مرادى ومقصدى . لاجرم ، أى لاحتمال ولا بد ، ثم صارت بمعنى حقاً . قُرْبَة : ما يُتقرب به إلى من المتبرة . التاطت : لصقت . بصفري : بنفسى وقلبى ، والصفّر دود فى البطن ، إذا جاع الإنسان عضت شرابيفه ، وهى رقيق البطن ، قال أعشى باهلة :

\* وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ \* (٣)

فيريد أن هذا الغلام مهذب يأتى بمحاولاته على الوفاق ، ويقرب الطعام من مولاه وقت الحاجة ، ومن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعمًا للمملوك أن يتوفاه الله ، بحسن عبادة ربه ، وطاعة سيده نعماله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة ربّه فله أجران » .

أخلصته : أفردته . ألوى : ذهب به وأهلكه . المبيد : المهلك . ونشد هنا أبياتا لابن الخضرى فى غلام هلك للمتوكّل ببطليوس :

غالته أيدي المنايا وكنّ فى مقلتيه

(١) سورة القصص ١٤ (٢) الأحقاف ١٥ (٣) الكامل ٤ : ٦٥ ، وصدرة :

\* لَا يَفْغِرُ السَّانِ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَهَبٍ \*

وكان يَسْقِي الندامى بطرفه ويدَّيه  
عُصْن دَوَى وهلالٌ جاء الكسوفُ عليه

ويُستحسن لابن همام أن ينشد في وصف هذا الغلام :

حين نمت آدابه وتردَّى برداء من الشَّباب جديد  
وسقاه ماء الشبيبة فاهتزَّ اهتزاز الفصن الندى الأملود  
وسمت نحوه العيون وما كانَ نَ عليه لزائدٍ من مزيدٍ  
وكأني أدعوه وهو قريبٌ حين أدعوه من مكان بعيدٍ  
وأُنشد بعضهم :

نأى آخر الأيام عنك حبيبٌ فلمعن سَحَّ دائم وغروب<sup>(١)</sup>  
كأن لم يكن كالفضنِ في مَيْعَةِ الضحى  
سقاه الندى فاهتزَّ وهو رطوبُ  
وريحان صدرى كان حين أشبههُ ومونس قَصرى كان حين أغيبُ  
وكانت يدي ملآنة ثم أصبحتُ بمحمدٍ إلهى وهى منه سليبُ

\* \* \*

فلما شالت نعامته ، وسكنت نأته ، بقيتُ عاماً ،  
لا أسيغُ طعاماً ، ولا أربغُ غلاماً ، حتى أجتأني شوائبُ الوخدة ،  
ومتاعِبُ القومةِ والقعدةِ ؛ إلى أن أعتاضَ عن الدرِّ الخرزَ ،  
وارتادَ من هو سدادٌ من عوزٍ ؛ فقصدتُ من يبيع العبيدَ ،  
بسوقِ زبيد ، فقلتُ : أريدُ غلاماً يُعجبُ إذا قلبَ ، ويحمدُ

(١) لإبراهيم بن المهدي يرثى ابنه ، وهي قصيدة وردت في الكامل ٤ : ٢٣ - ٢٥ .  
ومنها هذه الأبيات .

إِذَا جُرَّبَ ، وَلَيْكُنْ مِمَّنْ خَرَجَهُ الْأَكْيَاسُ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى  
السُّوقِ الْإِفْلَاسِ ؛ فَاهْتَزَّ كُلُّ مِنْهُمْ لِمَطْلَبِي وَوَأَبَ ، وَبَدَلُ  
تَخْصِيْلَهُ عَنِ كَثَبٍ . نَمَّ دَارَتِ الْأَهْلَةُ دَوْرَهَا ، وَتَقَلَّبَتْ  
حَوْرَهَا وَكَوْرَهَا ، وَمَا نَجَزَ مِنْ وَعُودِيهِمْ وَعُدَّتْ ، وَلَا سَحَّ لَهَا  
رَعْدُ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّخَّاسِينَ ، نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ ، عَلِمْتُ  
أَنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ خَلَقَ يَفْرِي ، وَأَنَّ لَنْ يَحْكُ جِلْدِي مِثْلُ  
ظَفْرِي . فَرَفَضْتُ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ ، وَبَرَزْتُ إِلَى السُّوقِ  
بِالصَّفْرِ وَالْبَيْضِ .

• • •

شالت نعماته ، أى ارتفع نمشه . ويقال فى المصلوب : شالت نعماته ، أى  
ارتفعت خشبته ، وشالت نعمة القوم ، أى ولّوا منهزمين ، وهو مثلٌ يُغْرَبُ  
للالهزام وللهلاك وللتفريق . وأنشد الشاعر :

تَلْقَى خِصَامَةَ بَيْنِنَا أَرْمَاحُنَا شَالَتْ نِعْمَةً أَبْنَانَا لَمْ يَفْعَلْ

بمخاطب أعداءه وقد وافقهم ، بقول : هَلَمْ تَلْقَى فِي الْفُرْجَةِ الَّتِي بَيْنَنَا أَرْمَاحَنَا ،  
وَنَضْرِبَ بِالسُّيُوفِ ، هَلِكٌ وَانْهَزَمَ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ، يَدْعُو عَلَيْهِ وَيَنْسِبُ ذَلِكَ لِلنِّعْمَةِ ،  
لَأَنَّ النِّعْمَ مَوْصُوفٌ بِالشُّخْفِ وَالرَّقِّ وَالشَّرَادِ . فَإِذَا قَالُوا : شَالَتْ نِعْمَتُهُمْ ،  
وَحَفَّتْ نِعْمَتُهُمْ ، وَرَقَّ رَأْيُهُمْ ، فَعْنَاهُ إِذَا تَرَكُوا مَوَاضِعَهُمْ بِجَلَاءٍ أَوْ بَمَوْتٍ .  
وَيُقَالُ : أَحَقُّ مِنْ نِعْمَةٍ ، لِأَنَّهَا تَنْشُرُ لِلطَّعَامِ ، فَرُبَّمَا رَأَتْ بَيْضَةَ نِعْمَةٍ أُخْرَى  
وَحَدَمَهَا فَحَضَّنَهَا ، وَنَسِيَ بَيْضَتَهَا ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأُخْرَى فَتَرَى عَلَى بَيْضَتِهَا غُورَهَا ،  
فَحَضَّنَى لُوجِهَا ، وَإِيَّاهَا عَنِ ابْنِ هَرْمَةَ بِتَوَلُّهِ :

كثارة بيضها بالمرء وملبسة بيض أخرى جناحا<sup>(١)</sup>

قوله الجاحظ :

وأما أبو عبيدة فقال : عنى الحمامة . وقال ابن الأعرابي ، بيضة البلد التي سار بها النمل هي بيضة النعامة التي تتركها فلا تهتدى إليها فتفسد فلا يقربها شيء . قال الراعي :

لو كنت من أحد يُهَجَى هجوتكم  
يا بنَ الرِّقَاعِ ولكن لست من أحدٍ<sup>(٢)</sup>  
تأبى قضاة أن ترضى لكم نسبا<sup>(٣)</sup>  
وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

قوله : نامته ، أي حركته التي تنمو بحياته . وزعموا أن القامة بوزن العامة ، عرق اليافوخ . أسخ طعاما : استسهل بلعه . أربع غلاما : أطلبه . السداد : اسم ما يسد به الشيء ، مثل سداد القارورة وهو صمامها ، وسداد الفجر ما يذهب ويكتفى به من اللال ، وسداد الثغر ما يذهب خوفه من الخليل والرجال ، والسداد بالفتح : الإصابة في المنطق ، وقال يعقوب : السداد والسداد بمعنى واحد ، وسنميد ذكره في أخبار العرجى .

والعوز : فقد الشيء فإنه أراد عبدا يسد به فقد غلامه الميت . إذا قلب أي إذا قلبت خلقته وجدت كل جزء منها حسا . خرجه : حدقه ورباه . الأكياس : أهل الفطنة والحدق . والإفلاس : الفقر . وثب : قفز وعجل إلى

(١) ديوانه ٨٧ ، قال في شرحه : « يضرب مثلا لمن ترك ما يجب عليه الاهتمام به والجد فيه ، واهتفل بما لا يلزمه » .

(٢) السان - بيض ، والبيت الثاني في المضاف والمنسوب ٤٩٦ .

(٣) السان : « تأبى لقضاة لم تعرف لكم لبا » .

المشى . بذل : أعطى ، تحصيله : وجوده وحصوله . كَثَبَ : قرب يريد أنه أعطى من نفسه القدرة على حصوله في أقرب مدة . دارت الأهله دورها ، أى كملت الستة وكمّلت الأهله فيها بالطلع . كَوَّرَهَا وَحَوَّرَهَا : زيادتها ونقصانها ، وقد تقدّم الكور والحور . نجمز : حضر . سَحَّ : أمطر .  
 الفخاسين : الدالين للعبيد والهداب . ثعلب : أخذ من الفخس وهو الدفع ، فعنى الفخاسين الذين يشترى العبيد لهدموم إلى غيرهم . ليس كلُّ مَنْ خَلَقَ يَفْرِى ، مثل ، وخلق قدر ، يقال : خلق الصانع الجلد ، إذا قدر مايقطع منه ، وقيل : الخلق : القطع ، والفرمى : القطع أيضاً ، ولكن تقديراً ، فبنى المثل : ليس كلُّ من قطع شيئاً قدر مايقطع به ، ويفرى أيضاً : يحسن القطع على جهة الإصلاح . قال زهير :

ولأنت تفرى ماخاتمتَ وبمضُ النقوم يخلقُ ثم لا يفرى<sup>(١)</sup>  
 ويقال أيضاً : خلق الشيء صنّفه ، وفرّاه : أفسده ، وأراد ليس كلُّ الناس يحسن شراء العبيد .

قوله : لا يحك جلدى مثل ظفري هو مثل يضربُ في ترك الانتكال على الناس ، قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :  
 ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك  
 وإذا قصدت حاجة فاقصد لمعرف بقدرك  
 رفضت : تركت . التفويض : أن يتكلم الرجل على غيره ويسلم أمره إليه . الصفر والبيض : الدنانير والدرام .

\* \* \*

فإني لأستعرضُ النلمان ، وأستعرفُ الأثمان ، إذ عارضني  
 رجلٌ قد اختطّمَ بلثامه ، وقبضَ على زندي غلام ، وقال :

(١) ديوانه ٩٤

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلَامًا صَنَمًا  
 فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ قَدْ بَرَعَا  
 بِكُلِّ مَا نُطِقَ بِهِ مُضْطَلِمًا  
 يَشْفِيكَ إِنْ قَالَ وَإِنْ قَلتَ وَعَى  
 وَإِنْ تُصِيبَكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لِمَا  
 وَإِنْ تَسْنُهُ السَّمَى فِي النَّارِ سَمَى  
 وَإِنْ تُصَاحِبُهُ وَلَوْ يَوْمَ رَعَى  
 وَإِنْ تُقْنَعُهُ بِظُلْفٍ قَنَمًا  
 وَهُوَ عَلَى الْكَيْسِ الَّذِي قَدْ جَمَا  
 مَا فَاهِ قَطُّ كَاذِبًا وَلَا ادْعَى  
 وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دَعَا  
 وَلَا اسْتَجَازَنَتْ سِرًّا أَوْ دَعَا  
 وَطَالَمَا أُبْدِعَ فِيمَا صَنَمًا  
 وَفَاقَ فِي النَّشْرِ وَفِي النَّظْمِ مِمَّا  
 وَاللَّهِ لَوْ ضَنَكُ عَيْشٍ صَدَعَا  
 وَصِيبَةُ أَضْحَوْا عُرَاةَ جَوْعَا  
 \* مَا بَعْتُهُ بِمَلِكٍ كَسَرَى أَجْمَا \*

قال: فلما تأملت خلقه القويم، وحسنه الصميم، خلته  
 من ولدان جنّة النعيم، وقلت: ما هذا بشرًا إن هذا إلا  
 ملك كريم.

• • •

استعرض: أطلب أن يُعرض عليّ، وعارضني: قابلني. استعريف: أطلب  
 معرفته. اختظم: جعل اللثام على طرف الأنف - وهو الخَطْمُ والخُرطوم للسمك -  
 واللثام: ما كان على الأنف من النقاب. والزند: طرف عظم الساعد المتصل  
 (٩ - شرح مقامات الحريري ج ٤)



بالسكف ، فهو قد قبض على أرق موضع في الذراع . الصَّعَمَ . الحاذق بالصناعة ، والمرأة صَنَاع . برع : فَضَّلَ وفاق غيره . نُطَتَ : عَلِمَتْ . مضطاماً : مكتفياً قوياً عليه . وعى : حفظ . لَمَأَ ، كلمة تقال للعائر - بمعنى : أقال الله عثرتك ، وسألك الله - تَسَّمَهُ السَّعَى : تكلفه المشى . رَعَى : حَفِظَ الصَّحْبَةَ . الظُّلْفُ للشاة بمنزلة الحافر للذابة . السَّكَيْسُ الحاذق . فاه : تكلم .

ثم قال : لم يدعه الظمع قطّ فأجابه . استجاز : استحلّ . نَثَّ : نشر ، أبدع : أغرب وأنى بما لم يُسَبِّقْ إليه . ضَنَّفَكَ : ضَيَّقَ . صَدَّعَ : كسر ، وأنشدوا في هذا المعنى :

وقد تُخْرِجُ الحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ عِلَاقَ مَنْ رَبِّ بَيْنَ ضَنِينِ

خلقه القويم : المعتدل القامة . الصميم : الخالص ، وهو فعيل ، من صمّ الشيء إذا لم يكن فيه فُرْجَةٌ ولا خَلَلٌ . خَلَّتَهُ : حسبته .

[ ذكر الغلمان وأخبار عشاقهم ]

ونشد في هذه القامة في الغلمان ماله سبب وتعلق بذكر يوسف عليه السلام ، أو يكون الغلام مملوكاً حتى يوافق غرض القامة .

كان شفيئ غلام المتوكل أحسنَ الفتيان وأظرفهم ، وكان المتوكل يُجَنِّ به جنونا ، فأحبت يوماً أن ينادم حسين بن الضحاك ، وأز يرى ما بقي من شهرته - وكان قد أسن - فأحضره وسفاه حتى سَكَرَ ، وقال لشفيئ : اسقه ، فسفاه وحيّاه بوردة ، وكانت على شفيئ ثياب موردة . فدّ حسين يده إلى ذراع شفيئ ، فقال المتوكل : أتحمش أخصّ خدمي بحضرتي ، فكيف لو خلوت به ! ما أحوجك إلى الأدب ! وكان قد غمز شفيئا على العبث به ، فدعا بدواة فكتب :

وكالوردة الحمراء حيّا بوردةٍ من الورد يمشى في قراطق كالورد<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٤٣ ، والأغاني ٧ : ١٧١ ، وفيه : « وكالوردة البيضاء حيا بنبر » .

له هبّات عند كل تحيّة بكفيه تستدعي الحليم إلى الوجد<sup>(١)</sup>  
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة تذكّرني ما قد نسيت من الهدى  
سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلة خلتها ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها لشنيع فأعطاهما المتوكل : فاستمأجها وقال : أحسنت والله  
يا حسين ! ولو كان شنيع ممن تجوز هبته لو هبته لك ؛ ولكن بحياتي يا شنيع  
إلا كنت ساقية بقتية يومنا . وأمر له بمال كثير .

وكان لأمير الدولة غلام تركي ، وكان وضيء الوجه ، منهمكًا في الشراب ،  
ولقرط ميل مولاة إليه جعله رئيس سرية جردّها للحرب بنى حمدان ، وكان  
المهاقي<sup>(٢)</sup> يستظرفه ويستحسنه ، فقال :

ظهي يروق الماء في وجناته ويروق عوده<sup>(٣)</sup>  
وبكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده  
ناطوا بمقعد خضره سيفًا ومنطقة تنوده<sup>(٤)</sup>  
جصلوه قائدًا عسكريًا ضاع الرعيل ومن يقوده<sup>(٥)</sup>

فكانت الدائرة على جيش الغلام ، كما أشار إليه ، ولو غزاهم بالسلاح الذي  
أمر به البيهق غلامًا غازيًا وهو :

يا غازيًا أتت الأحزانُ غازيةً إلى فؤادي والأحشاء حين غزأ<sup>(٦)</sup>  
إن بارزتك رماة الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا  
لسكان الظافر الغالب .

وكان<sup>(٧)</sup> بديع غلام عمير<sup>(٨)</sup> للأموري أحسن خلق الله وجهًا ، وكان

(١) الديوان : « بعينه تستدعي الحلي » .

(٢) هو الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة . له ترجمة في اليتيمة ١٠٢ : ٢ .

(٣) اليتيمة ٢ : ٢٠٣ ، وفيها : « يرق » (٤) يشوده أى يثقله .

(٥) الرعيل : الجيش (٦) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٤ .

(٧) الخبر والشعر في الأغاني ٢٠ : ٥٦ - ساسي ، ومختار الأغاني ٧ : ٢٨٧ .

(٨) في المختار : « مهر » .

الوزير ابن الزيات مفتوناً به ، فاجتاز عليه راكباً بآلة الحرب ، فقال فيه :

راحَ عَلَيْنَا رَاكِبًا طِرْفَهُ  
أُعِيدُ مِثْلَ الرَّشَاءِ الْآنَسِ  
قَدْ لَبَسَ الْقِرطِقَ وَاسْتَمسَكَ  
كَفَاهُ مِنْ ذِي بَدَنٍ مَائِسِ  
وَقُلِدَّ السَّيْفَ عَلَى غُنْجِهِ  
كَأَنَّهُ فِي وَقْعَةِ الدَّاحِسِ  
أَقُولُ لَمَّا أَنْ بَدَأَ مَقْبَلًا :  
يَالْيَقْنِي فَارِسُ ذَا الْفَارِسِ !

وقال ابن الزقاق :

ومَهْدِي عَضْبٍ بِرَاحَةٍ أُعِيدِ  
فِي جَفْنِهِ عَضْبٌ يَبْقُدُ مَفَاصِلِي (١)  
يَسْطُو بِذَلِكَ وَذَا فَيَعْدُو قِرْنَهُ  
بِهِمَا صَرِيحٌ لَوَاحِظٌ وَمَنَاصِلِ  
مَاضٍ كَلَّا السَّيْفِينَ لَكِنْ لِحُظِّهِ  
أَمْضَى وَإِلَّا فَاسْأَلْنِ مَقَاتِلِي

وكان لأبي عيسى بن الرشيد غلام اسمه يُسْرُ (٢) ، وكان آيةً في الجمال ، وكان صالح أخوه يتعشقه ، فبلغت لأبي عيسى قصةٌ جرت بينهما ، فحجبه ومنعه أن يخرج من داره إلا بمحافظ ، وكاد حسين بن الضحاك يموت فيه عشقاً ، فقال فيه :

ظَنُّنَّ مِنْ لَا كَانَ ظَنًّا  
بِحَبِيبِي فَحَمَاهُ (٣)  
أُرْصَدُ الْبَابَ رَقِيبِي  
نَ لَ مَا كَتَفَاهُ  
فَإِذَا مَا اشْتَقَّ قُرْبِي  
وَلَقَائِي مَنَعَاهُ  
جَمَلُ اللَّهِ رَقِيبِي  
مِنْ السُّوءِ فِدَاهُ

وقال فيه :

إِنَّ مَنْ لَا يَرَى وَلَا يَرَانِي  
نُصِبَ عَيْنِي مِمَّا بِالْأَمَانِي (٤)

(١) ملحق ديوانه : ٢٩٧ .

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٧ : ٢٢٠ ، وديوانه ١٢١ ، وقط : د بشر .

(٣) الأغاني ٧ : ١٨٧ ، ديوانه ١١٢ .

(٤) الأغاني ٧ : ١٩٢ ، ديوانه ١٢٢ .

بِأَبِي مَنْ ضَمِيرُهُ وَضَمِيرِي أَبْدَا بِالْمَغِيبِ يَنْتَحِيَانِ  
 نَحْنُ شَخْصَانِ إِنْ نَظَرْتَ وَرَوْحًا نَ إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ مَمْتَزَجَانِ  
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْأَمْرِ أَوْ هَمَّ بِشَيْءٍ بَدَأْتُهُ وَبَدَأَنِي  
 كَانَ وَقَفًّا مَا كَانَ مِنْهُ وَمَنِّي فَكَأَنِّي حَكِيمُهُ وَحَكَايَنِي  
 خَطَرَاتُ النَّفُوسِ مِمَّا سِوَا سِوَا وَتَحْرُكُ الْأَبْدَانِ

وجاءه يوماً فتحدث معه ، فأشار لتقبيله ، فقال له بشير : إياك والتعرض  
 لي وانجُ بنفسك ، وكانت فيه عَرَبِيَّةٌ ، فقال فيه حسين :

أَيُّهَا التَّفَاكُ فِي الْعَمَدِ أَنَا مَطْوِيٌّ عَلَى الْكَمَدِ  
 إِنَّمَا زَخَرَفْتُ لِي خُدَعًا قَدَحْتُ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ  
 مَا لِلْأَنْسِ كَانَ مَبْتَدَأًا مِنْكَ لِي بِالْأَمْسِ لَمْ يَمُدْ<sup>(١)</sup>  
 يَوْمَ تَعَطَّيْتُ وَتَأَخَذْتُهَا دُونَ نَدْمَانِي يَدَا بَيْدِ  
 ذَلِكَ يَوْمٌ كَانَ حَاسِدُنَا فِيهِ مَعْدُورًا عَلَى الْحَسَدِ

\* \* \*

تَمَّ اسْتَنْطَقْتُهُ عَنْ اسْمِهِ ، لَا لِرَغْبَةٍ فِي عَلَيْهِ ؛ بَلْ لِأَنْظُرَ  
 أَنْ فَصَّاحْتُهُ مِنْ صَبَاحَتِهِ ، وَكَيْفَ أَهْجَيْتُهُ مِنْ بَهْجَتِهِ ؛ فَلَمْ يَنْطِقْ  
 بِجُلُوءٍ وَلَا مَرَّةٍ ، وَلَا فَاهَ فَوَاهَةَ ابْنِ أُمَّةٍ وَلَا حُرَّةٍ . فَضْرَبْتُ  
 عَنْهُ صَفْحًا ، وَقُلْتُ لَهُ : قُبْحًا لِمَيْكَ وَشُقْحًا ، فَغَارَ فِي الضَّحْكَ

(١) ديوانه ٤٨ الأغاني ٧ : ١٩٢ ، وبمده في الأغاني والديوان :

هَاتِ بِأَخْدَاعٍ وَاحِدَةً مِنْ كَثِيرٍ قُلْتَهُ وَقَدِيدِي  
 لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ حَلْفِكَ لِي بِوَفَاءِ الْعَهْدِ بَعْدَ غَدِ  
 مَا الَّذِي بِاللَّهِ صَيَّرَهُ بَعْدَ قُرْبٍ فِي مَدَى الْأَبْدِ

وأُجِد ، ثُمَّ أَنْغَضَ رَأْسَهُ إِلَى وَأَنْشَد :  
 يَا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أُبْجِ  
 بِاسْمِي لَهُ ، مَا هَكَذَا مَنْ يُنْصِفُ  
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ  
 فَأَصِخْ لَهُ ، أَنَا يَوْسُفُ أَنَا يَوْسُفُ  
 وَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغِطَاءَ فَإِنْ تَكُنْ  
 فَطِنًا عَرَفْتَ وَمَا إِخْلَاكَ تَعْرِفُ  
 قَالَ : فَسَرَّيْ عَتْبِي بِشِعْرِهِ ، وَاسْتَبَى لُبِّي بِسُغْرِهِ ؛ حَتَّى  
 سُدَّهَتْ عَنْ التَّحْقِيقِ ، وَأَنْسَيْتُ قِصَّةَ يَوْسُفَ الصِّدِّيقِ ؛ وَلَمْ  
 يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا مَسَاوِمَةَ مَوْلَاهُ فِيهِ ، وَاسْتِطْلَاعَ طَلْعِ الثَّمَنِ  
 لِأَوْفِيهِ . وَكُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهُ سَيَنْظُرُ شَزْرًا إِلَى ، وَيُنْفِي السِّيْمَةَ  
 عَلَيَّ ؛ فَأَحَاقَ إِلَى حَيْثُ حَلَّقْتُ ، وَلَا اعْتَلَقَ بِمَا بِهِ اعْتَلَقْتُ ؛  
 بَلْ قَالَ : إِنَّ الْغَلَامَ إِذَا نَزَرَ نَمْنَهُ ، وَخَفَّتْ مُؤَنَّهُ ، تَبْرُكُ بِهِ  
 مَوْلَاهُ ، وَالتَّحَفَ عَلَيْهِ هَوَاهُ ، وَإِنِّي لِأَوْثِرُ تَحْيِيبَ هَذَا الْغَلَامِ  
 إِلَيْكَ ، بَأَنْ أَخْفَفَ نَمْنَهُ عَلَيْكَ ، فَزَنْ مَائِي دَرَاهِمَ إِنْ شِئْتَ ،  
 وَاشْكُرْ لِي مَا حَيَّيْتُ . فَتَقَدَّتْهُ الْمُبْلَغُ فِي الْحَالِ ، كَمَا يُتَقَدُّ فِي  
 الرَّخِيسِ الْحَلَالِ ، وَلَمْ يَخْطُرْ لِي بِيَالٍ ، أَنْ كَلُّ مُرْخَصٍ غَالِ .

\* \* \*

قوله : استنطقته ، أي سأله أن ينطق . صباحته : حسنه . لهجته : لفظه ،  
 وأصلها طرف اللسان ، فكأن بها عن حلاوته . بهجته : حسنه وانضارته ،

وأصلها حسن اللون . لم ينطق بحلوة ولا مرقة ، أى بكلمة جيدة ولا رديئة .  
 فاة : نطق . ضربتُ عنه : أعرضت عنه . صفحاً ، أى أوليته صفحة وجهي ، وهى  
 جانبه . شُتمَ ، إتياع لقبح ، وقيل : هى من شَقَحَ البُسر ، إذا تغيّرت خضرته  
 بجمرة أو صفرة ، وهو أقيح ما يكون فى رأى العين ، وقيل : هو من شَقَحْتُ  
 المود إذا كسرته ، وقال : هو من أشقاح الكلاب ، وهى أديارها ، ويقال :  
 قُبِحَ وشُتمَ بضم أولهما وفتح هـ . غارَ : أتى الغور ، وهو المنخفض من الأرض .  
 أنجد : أتى نجداً ، ومعناه بالغ فى الضحك وذهب فى جهاته . أنفض رأسه ، أى  
 حرّكه ؛ كأنه يهدد ويستخف به . تَلَّهَبَ : اشتعل . أُبِخَ : أنكلم . أصيخ :  
 استمع . أنا يوسف ، أى أنا حرّم مثل يوسف صلوات الله عليه ، إذ باعَه إخوته .  
 سرّى عَتْبِي : أزال لومى استبى لى : أى تملك على بسخره وحلاوة كلامه .  
 شُدِيت : تحيّر ، وهو مقلوب دهشت . التحقيق : التمييز ، وهذا كما قال الشاعر :

والله ما فتنتُ نَفْسِي محاسنُهُ إلاّ وقد سحرتُ أَلْفَاظَهُ أذِنِي  
 ما تُصدِرُ العَيْنُ عنه لحظةً مالاّ كأنه كلّ شيء مرتضى حَسَن

استطلاع طلعه : استخبار خبره ، والسؤال عن قدره . لأَوْفِيهِ : لأعطيهِ  
 كاملاً وافياً . شزرأ : نظر فيه إعراض . التسمية : السؤوم ، وهو السؤال عن  
 الثمن . ما حلق إلىّ حيثُ حَلَقْتُ ، أى ما دار إلىّ حيثُ دُرْتُ ، أى ما كان  
 عنده شيء مما ظننتُ به من طلبه سوّماً غالباً . نَزُرُ قَلْبًا : مؤونه : لوازمه وما يحتاج  
 إليه . تبرك : رآه مباركاً ، والبركة : الكثرة والسمة . التحف : انضم . هواه :  
 حبه . أوثر : أفضل .

\* \* \*

فَلَمَّا تَحَقَّقَتِ الصَّفَقَةُ ، وَحَقَّتِ الْفُرْقَةُ ، هَمَلَتْ عَيْنَا الْغَلَامِ ،  
 وَلَا هُمُومَ دَمَعِ الْغَنَامِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِهِ وَقَالَ :

لِحَاكِ اللَّهِ هَلْ مِثْلِي يَبَاعُ      لِكَيْمَا تَشْبَعُ الْكِرْشُ الْجِيَاعُ  
 وَهَلْ فِي شِرْعَةِ الْإِنصَافِ أُنِّي      أَكُلُّفُ خَطَّةً لَا تُسْتَطَاعُ  
 وَأَنْ أُبَلِي بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ      وَمِثْلِي حِينَ يُبْنَى لَا يُرَاعُ  
 أَمَا جَرَّبَتْنِي فَخَبِرْتَ مِنِّي      نَصَائِحَ لَمْ يَمَازِجْهَا خِدَاعُ  
 وَكَمْ أَرَصَدْتُ نِيَّ شَرِّكََا لِصَيْدٍ      فَعَدْتُ وَفِي حَبَائِلِي السَّبَاعُ  
 وَنُلتَ بِنِي الْمَصَاعِبِ فَاسْتَقَادَتْ

مَطَاوِعَةً وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ

\* \* \*

تَحَقَّقَتِ الصَّفِيقَةُ : تَمَّ الْبَيْعُ . هَمَلَتْ : سَأَلَتْ . الْغَمَامُ : السَّحَابُ لِحَاكِ اللَّهِ :  
 لَعْنُهُ وَأَبْعَدُهُ ، وَلِحَيْتِ الرَّجُلِ : لَعْنُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ لَحَوْتِ الْعُودِ الْحَوْهَ وَلِحَيْتِهِ أَلْحَاهُ ،  
 إِذَا قَشَرْتَهُ ، وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي نَوَادِرِهِ :

لَحَوْتُ سُتْمَاسًا كَمَا تُلْحَى الْعَصَا      سُبًّا لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمِي لَدْمِي<sup>(١)</sup>  
 وَيُقَالُ : لِأَحَاكِهِ مَلَاةٌ وَلِحَاكٌ ، أَصْلُهَا الْمُبَالَغَةُ ، ثُمَّ كَثُرَتْ حَتَّى جُمِلَتْ كُلُّ  
 مَمَانَةٍ وَمَدَافِعَةٍ مَلَاةً . الْكِرْشُ : الْعِيَالُ ، وَكَرْشُ الرَّجُلِ عِيَالُهُ وَصَغَارُ وُلْدِهِ ،  
 وَيُقَالُ فِي الْمَعِيلِ : عَلَيْهِ كِرْشٌ مَشْهُورَةٌ ، وَإِذَا أَكْثَرَتِ الْمَرْأَةُ أَوْلَادَهَا قِيلَ : نَثَرَ  
 كِرْشَهَا ، وَقَدْ قَدَّمَ أَنْ صَبِيئَتُهُ جَوَّعَ . الشَّرْعَةُ : الطَّرِيقُ . وَالخَطَّةُ ، مِثْلُ الْقِصَّةِ :  
 الْأَمْرُ يَقَعُ بَيْنَ الْقَوْمِ . أُبَلِي : أُمْتَحَنَ . الزَّرْعُ : الْفَرْعُ ، لِأَنَّهُ يَصِيبُ الزَّرْعَ وَهُوَ  
 الْقَلْبُ . يَمَازِجُهَا : يَخَالِطُهَا . أَرَصَدْتُ نِيَّ : جَمَلْتُ نِيَّ رِصْدًا ، وَالرِصْدُ : مَنْ يَرْقُبُكَ  
 وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ فَإِذَا جِئْتَهُ هَجَمَ عَلَيْكَ . وَالشَّرِّكَ : آتَةُ الصَّيْدِ . حَبَائِلِي : شِبَابِي  
 نَطْتُ : عَلَّقْتُ . الْمَصَاعِبُ : الْأُمُورُ الشَّاقَّةُ . اسْتَقَادَتْ : انْقَادَتْ .

(١) البت في اللسان - لحا . وفي ط : لحيت ، وما أنبته من اللسان .

وأى كَرِيهَةٍ لَمْ أَبْلِ فِيهَا      وَغُفْمٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعٌ  
وما أَبَدتْ لِي الأَيامُ جُزْماً      فَيُكشِفُ فِي مِصارِمَتِي القِناعُ  
ولم تَعَثُرْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنِّي      عَلَى عَيْبٍ يُبَكِّتُهُمْ أَوْ يُبْذِئُهُ  
فَأَتَى سَاعَ عِنْدِكَ نَبْذُ عَهْدِي      كَمَا نَبَذتْ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ  
وَلَمْ سَمَعَتْ قَرَوْنُكَ بِامْتِهَانِي

وَأَنْ أُشْرَى كَمَا يُشْرَى المَتَاعُ

وَهَلَّا صُنْتُ عَرِضِي عَنْهُ صَوْنِي

حَدَيْتُكَ يَوْمَ جَدِّ بَنَّا الأَوْدَاعُ

وَقَلتْ كَمَنْ يُسَاوِمَ فِي هَذَا      سَكابٍ فَمَا يُعَارُ وَلَا يُبَاعُ

فَمَا أَنَا دُونَ ذَلِكَ الطَّرْفِ لِيَكُنْ

طِبَاعُكَ فَوْقَهَا تِلْكَ الطَّبَاعُ

عَلَى أَنِّي سَأَنْشِدُ حِينَ بَيْعِي      أَضَاعُونِي وَأَيَّ فِتْيِ أَضَاعُوا

\* \* \*

أبل: أبالغ وأجهد نفسي فيه. غُفْم: غنيمه. جُرم: ذنب. مصارمتي: مقاطعتي، وكشفت في الأمر القناع، إذا جاهدت فيه وبالفت. تعثر: تطلع: يكتم: يستر. بذاع: يفشى و« بحمد الله» في البيت، وقعت اعتراضاً بين العامل والمعمول، كما وقعت في التاسعة والأربعين اعتراضاً بين المبتدأ وخبره في قوله: «وأنت - بحمد الله - ولي عهدى» وتعلقها بحذوف تقديره: أبتدى بحمد الله، أو أفتتح بحمد الله الذي خلصني من عيب يُعَثِّرُلي عليه، أو الذي جعلك ولي عهدى، ومنه: سبحان الله وبحمده، معناه أنزه الله وابتدى بحمده، أو أفتتح بحمده، ودخلت الواو هنا لغير معنى العطف، ألا ترى أنك لو قلت: سبحان الله وحده، لكان المعنى:



أستبعه تسبيحًا وأحده حدًا ، هكذا يقتضى ما جاء من المصادر منصوبًا في هذا الباب ، وفي قولنا : وبمحمده لا يكون المعنى ماتقدم في المنصوب ، ولكن الباء أذنت بمعنى ابتدأت ، أو أبدأ بحمد الله ، كأنك قلت : حمدت الله على إلهامه إيايَ تسبيحه ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ .

قوله ساغ : أى سهل . نبذ : ترك . البراية : ما يتساقط من العود إذا نُجِرَ ، ومن القلم إذا بُرِيَ ، وكذا يأتي في مثل البرادة والثحابة ونحوها . الصنّاع : الحاذقة بالصنعة ، والرجل صنّع بغير ألف . قر ونك : نفسه . سمحت : جادت . أشرمى : أباع . عنه ، أى عن البيع . صونى حديثك ، أى صيانتى للحديث الذى أحدثت من بيعى وأنا حرّ . يوم جدّ بنا الوداع ، أى في هذه الساعة التى تريد أن تودّعنى فيها . سكّاب : اسم فرس لرجل من العرب من بنى تميم ، سأله بعض الملوك أن يبيعه منه ، فأبى عليه وقال :

أبيتَ اللّٰهَ إن سَكَّابَ عِنقُ كَرِيمٍ لا يُعَارَ ولا يُباعُ<sup>(١)</sup>  
مفدّاة مكرّمة علينا يُباع لها العيال ولا تنجأ

الطّرف : الفرس الكريم ، يقول : لست أنا دون الفرس ، لكن طباع مالكه أفضل من طباعك ، حيث كان يجمع عياله ويشبمه ، ولم يهنه بالبيع كما أهنتنى به .

[ ذكر العرجى وإيراد بعض شعره ]

وعجّز البيت الأخير صدر بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وهو العرجى ، سُمّيَ بذلك لأنه وُلد بالعرج<sup>(٢)</sup> من مكة ، وقيل : بل كان له بها مال ، وكان يُكثر الاختلاف إليه ، فنُسب إليه . يكنى أبا عمرو ، وهو شاعر

(١) البيت الأول في اللسان ، والصحاح وتاج العروس - مكب .

(٢) ياقوت : العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف .

مطبوع بالفرز مجيد ويشبهه في غزله ومقصده بامر بن أبي ربيعة ، وكان يهوى  
جنداء أم إبراهيم بن هشام الخزومي ، ولها يقول :

أبصرتُ وجهاً لها في جِیده تَلَعُ      تحتَ العقودِ وفي القُرطِينِ تَشْمِيرُ<sup>(١)</sup>  
وجهٌ تحيّرُ فيه الماءُ في بَشِيرِ      صافٍ له حينُ أبدته لنا نورُ  
ولها يقول :

إلى جنداء قد بَشُتُوا رسولاً      ليخبرها فلا صَحِبَ الرسولُ<sup>(٢)</sup>  
كأنَّ العامَ ليس بعامِ حجٍّ      تفسّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ  
ولها يقول :

عوجى علينا ربّة المودجِ      إنك إن لا تَفْعَلِي تَمْرَجِي<sup>(٣)</sup>  
فالمحجّ إن حَجَّتْ وماذا مني      وأهله إن هي لم تحججِ !  
فا استطاعت غير أن أومات      نحوى بعيني شادنٍ أدعجِ  
وقال أيضاً :

بانا بأنعم ليلةٍ حتى بدأ      صبح يلوح كالأغرّ الأشقرِ<sup>(٤)</sup>  
فتلازماً عند الفراق صبابةً      أخذَ الغريم بفضلِ ثوبِ المعسرِ

فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عند ولايته الحجاز ، بسبب طلبه  
عليه ، فضربه بالسياط وألقى الزيت على رأسه ، وأوقفه للناس في الشمس ، حتى  
غشى عليه ، وسجنه بضع سنين حتى مات في سجنه ، فقال في السجن :

أضاعوني وأىّ نَتِي أضاعُوا      ليوم كرهيةٍ وسِدَادِ نَفْرِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ١٠٥ ، وفيه : « تشمير » .

(٢) ديوانه ١٩٠ ، الأغاني ١ : ٣٩٧ . وفيه : « ليحزنها »

(٣) ديوانه ١٧ ، الأغاني ١ : ٤٠٧ .

(٤) الأغاني ١ : ٣٩٧ ، الديوان ١٧٨

(٥) الأغاني ١ : ٤١٣ ، ديوانه ٣٤٥

وخلونى ومعتك المنايا      وقد شرعت أسنتهم لنحرى  
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً      ولم تك نسبتى فى آل عمرو  
أجرر فى الجامع كل يوم      فى الله مظلمتى وقنرى ا  
عمى الملك المحيب لمن دعاه      بنجيتى ويعلم كيف شكرى  
فأجزى بالكرامة أهل ودى      وأجزى بالتداوة أهل وترى

فلما أفضت الخلافة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قبض على محمد بن هشام وأخيه إبراهيم ودعا لهما بالسياط ، فقال له محمد : أسألك بالقرابة ! قال : وأى قرابة بينى وبينك ؟ قال : فأسألك بصهر عبد الملك ! فقال : لم تحفظه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب قرشي إلا فى حد ، فقال : فى حد أضربك وقود ، قال : وماذاك ؟ قال : أنت أول من سن ذلك على العرجى وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فما رعيت [حق] <sup>(١)</sup> جدّه ولا نسبه بهشام من قبل أمّه ، اضربهما <sup>(٢)</sup> يا غلام ، فاضربهما ضرباً مبرحاً ، وأنقلا بالحديد ووجههما إلى يوسف بن عمر ، وأمره بتعدّيهما ، فاضربهما حتى ماتا .

وغنى إسحاق الموصلى الرشيد قوله :

\* أضاعونى وأى فتى أضاعوا \*

فسأل عن سبب هذا الشعر ، فأخبره بمحدث العرجى ، قال إسحاق : فرأيتّه يتغيظ ، فلما أخبرته بما فعل بابنى هشام ، جعل وجهه يُسفر وغيظه يسكن ، ثم قال : يا إسحاق ، لولا ما حدثتني به من فعل الوليد ، لما تركت أحداً من أمثال <sup>(٣)</sup> بنى مخزوم إلا قتلتّه بالعرجى .

ومن جيد شعر العرجى :

فهل أنت آتٍ أهل ليلى فناظرٌ      لذنوب جفونى ، أم جفونى تجرّما <sup>(١)</sup>

(١) من الأغاني      (٢) الأغاني : « اضرب يا غلام »

(٣) كذا فى الأغاني ، وفى ط : « أمثال » (٤) ديوانه ٣٦ ، وفيه : « تمرما » .

فإن يك من ذنب<sup>(١)</sup> ففي ذلك حكمهم  
وحيث أمري في حقه<sup>(٢)</sup> أن يُحَكِّمًا  
كما مثل شهاب النار في كفت قاسي<sup>(٣)</sup>  
إذا الريح هبت وهو كابٍ أضرمًا

ومن جيده :

أخبرتُ أنك قلت نقتله  
والله لا آتي لكم سخطًا  
والله لا أنسى تطوفها  
كالبدر صورتها إذا انتقت  
لا تفعلين ، فدتكمُ نفسي<sup>(٤)</sup>  
حتى أغيب في شرمي رمسي  
تهتز بين كواعب خمس  
وإذا سفرت فانت كالشمسي

ومنه :

حورٌ بعثن رسولاً في ملاطفة  
فجئت أمشي على هول أجشمه  
أمشي كما حركت ربيع يمانية  
حتى جلست إزاء البيت مكتئماً<sup>(٥)</sup>  
فبت أسقى بأكواسٍ أعل بها  
من باردٍ طاب منه الطعام والنسم  
وطالب الحاج تحت الليل يكتم  
تبتنا إذا أسقط النساء الوهم<sup>(٥)</sup>  
تجشم المرء هولاً في الهوى كرم  
غصنا من البان رطباً طاه الرهم<sup>(٦)</sup>

وفي معنى قوله : أمشي كما حركت . . البيت يقول ابن دعبل :

قالت لقد أعيقتنا حجة<sup>(٧)</sup> فأت إذا ما هجع السامر<sup>(٨)</sup>

(١) الديوان : « في ذنبي » .

(٢) الديوان : في « حقتنا » .

(٣) كذا في الديوان ، وفي ط : « فارس » (٤) ديوانه ١٤٨ وفيه : قلت : نهجره .

(٥) ديوانه ٢ ، وفيه : « ثقنا »

(٦) الديوان : « طلة الرهم » . والرهم . العطر الخفيف .

(٧) الديوان :

• لما بلغت إزاء الباب مكتئماً •

(٨) كذا في الأصول ، والبيت الثاني ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة ، ملحق ديوانه ٤٩

واسقط علينا كتموط الندى ليلة لانام ولا أمر

وقال الواثق :

قالت إذا الليل دَجَا فأننا فحمتها حين دجا الليل  
خفني وطء الرّجل من حارسٍ ولو دنا حلّ به الويلُ  
ومن ظَرف العرجى ، أنه وعدوى له أن تزوره في منزله ، فجاءته على أتان  
ومعها جارية لها ، وجاء العرجى على عَيْرٍ ومعه غلام ، فواقمها العرجى ، ثم  
خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعمير على الأتان ، فلما نظر الحال قال : هذا يوم  
غاب هذّاله .

\* \* \*

[ فصل في التضمن ]

ويسمى أخذ الحريرى شطر بيت العرجى التضمن ، وليس بسرقة .  
والتضمنُ يكون في بيت وفي شطر بيت ، والشعراء تتولّع به كثيراً ، وهو من  
صنعة البديع ، فمن الثانى قول الأخطل :

وانتدّ سما للخرتى فلم تقلّ بعد الونى لكن تضايق مقدّمى<sup>(١)</sup>  
ومثله قول الآخر :

وجُزّت على باب الأمير كأنى  
فقأنبك من ذكرى حبيب ومنزّل

ومن تضمن بيت بكاله قول الحسن بن هانى :

إنى عجنبت وفي الأيام معتبرٌ والدّهر يأتى بألوان الأعاجيب

(١) البيت في العمدة ٢٥ : ٧٨ والبديع لابن المعتز ١١٤ ، ونسبه إلى الأخطل ، ولم  
أجده في ديوان الأخطل .

من صاحبٍ كان دنيأى وآخرتى      مدأ على جہازاً عدوة الذيب  
قد كان لى مثل لو كنت أعتله      من رأى غالب أمر غير مغلوب  
لاتمدحن امرأ حتى تجر به      ولا تدمنه من غير تجريب

فضمن هذا البيت .

قال ابن حجاج :

قد قلت لما أن رجعت مؤلياً      ومعى مداير من الكتاب (١)  
نمن الذين لهم يقال وكلفا      فلّ العصا وطريذة الحجاب  
قوم إذا قصدوا الملوك لطلب      نقتت شواربهم على الأبواب

وقال ابن رشيقي : سألني بمض أصحابي أن أضمن له قول الشاعر :

فإن فخرت بأباه لهم شرف      قلنا صدقت، ولكن بس ما ولدوا (٢)  
ولا أزيد على بيت واحد ، قلت :

أصبحت من جملة الأشراف إن ذكروا  
كواحد الأس لا يزكو له عدد  
والتضمين كثير .

\* \* \*

[ خبر للنضر بن شميل مع المأمون ]

وعلى بيت العرجي :

• أضعوني وأى فتى أضعوا •

حديث النضر بن شميل، قال: (٣) كنت أدخل على المأمون في صحره فدخلت

(١) بنية الدهر ٣ : ٧٩ . (٢) التنف ٢٤

(٣) نزهة الألباء ٨٥ - ٨٧ ، درة القواسم ٦٤ معجم الأدياء ١٩ : ٢٣٩

ذات ليلة وعلى أطوار أخلاق ، فقال : يا نَضْر ، ما هذا التَشَفُّفُ ! تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخُلُقَان ؟ قلت : أنا شيخٌ ضعيف ، وحرٌّ مرَّو شديد ، فاتَّبرِد بهذه الخُلُقَان ، قال : لا ، ولكنك قَشِيفٌ ، فيَحْمَلُ منك هذا على التَشَفُّفِ . ثم أجرينَا الحديث ، فقال : حدَّثَنَا هشيمٌ ، عن مجاهد ، عن الشعبي عن ابن عباس رضِيَ اللهُ عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكالها ، كان فيها سِدَادٌ من عَوَزٍ » فأورده بفتح السين ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدَّثَنَا عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكالها كان فيها سِدَادٌ من عوز » ، وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا ، وقال : كيف قلت يا ناضر « سِدَادٌ » ؟ قلت : سِدَادٌ لأنَّ « السِّدَادَ » هنا لحن ، قال : أو تاجتني ! قلت : إنما لحن هشيم - وكان لحنًا - فبيع أمير المؤمنين لفظه ، فقال : فما الفرق بين السِّدَادِ والسِّدَادِ ؟ قلت : السِّدَادُ القصد في الدين والسبيل والسِّدَادُ بالكسر البلغة في الشيء ، وكلٌّ ماسدوت به شيئا فهو سِدَادٌ ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم هذا العرَجِي من ولد عثمان ، يقول :

أضاعوني وأتى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسِدَادٌ تَفَرِّ

ثم أطرق مليا ، وقال : قبيح الله من لا أدب له ! ثم تجارينا الحديث ، فقال : كيف روايتك للشعر ؟ قلت : قد رويت الكثير منه ، قال : فأنشدي أحسن ما قاله العرب في الحِلْمِ فأنشدته :

إذا كان دُونِي مَنْ مُبْلِيَةٌ بِجَهْلِهِ  
أَيُّتُ لِنَفْسِي أَنْ أَقَابِلَ بِالْجَهْلِ  
وإن كان مثلي في محلٍّ من الملا هويت إذا حلما وصفعا عن المثل

وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجبا رأيت له حق التقدم والفضل  
 قال : ما أحسن ما قال ! فأشدني أحسن ما قالته العرب في الحزم ،  
 فأشدته :

على كل حال فاجعل الحزم عدة : لما أنت باغية وهو نأ على الدهر  
 فإن نلت أمراً نلته عن عزيزة : وإن قصرت عنه الحقوق فمن عذر  
 قال : فما أحسن ما قال ! فأشدني أحسن ما قالته العرب في إصلاح المدو  
 حتى يكون صديقاً ، فأشدته :

وذى غيلة ساء لته قهرته : فأوقرته متى بعب التحمل  
 ومن لا يدافع سيئات عدوه : بإحسانه لم يأخذ الطول من عل  
 ولم أرفى الأشياء أسرع مهلكا : لضغن قديم من وادٍ معجل  
 قال : ما أحسن ما قال ! فأشدني أحسن ما قالته العرب في السكوت  
 فأشدته :

إني ليهجرني الصديق تجنباً : فأريه أن لهجره أسبابا  
 وأراه إن هانته أغريته : فيكون تركي للعتاب عتابا  
 وإذا بليتُ بجاهل متحكماً : يجد الحال من الأمور صوابا  
 أوليته متى السكوت وربما : كان السكوت عن الجواب جوابا

قال : ما أحسن ما قال ! ثم قال : ما مالك يا نصر ؟ قلت : أريضةٌ بمرور الزود  
 أنصاتها<sup>(١)</sup> وأتمزها ، قال : أفلا نفيديك مالا معها ؟ قلت : إن رأى ذلك  
 أمير المؤمنين ، فإني لذلك محتاج .

فأخذ القرباس وكتب وأنا لا أدري ما يكتب ، ثم قال : كيف تأمر إذا

(١) أصابها ، أي أشرب صابها .

(١٠ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



أردت أن تُترب الكتاب، قلت: يا غلام أترب الكتاب، قال: فهو ماذا؟ قلت: مترب، قال: فن السحاة، قلت: يا غلام اسحُ الكتاب، قال: فهو ماذا؟ قلت: مسحى<sup>(١)</sup>، قال: فن الطين، قلت: يا غلام طين الكتاب، قال: فهو ماذا؟ قلت: مطين ومُطآن، فقال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: يا غلام أتربه واسحه وطنه. ثم صلى بنا العشاء، ثم قال لغلامه: امض معي إلى الفضل بن سهل بهذا الكتاب، فلما قرأه قال: بيم استأهلت أن يأمر لك أمير المؤمنين بمئتين ألف درهم؟ وما سبب ذلك؟ فأخبرته الحديث على جهته، فقال: لحنت أمير المؤمنين، قلت: كلاً إنما لحن هشيم - وكان لحنانة - فتبع أمير المؤمنين ألفاظه، وقد تتبع ألفاظه الفقهاء ورواة الأخبار. فمجل لي ما في الكتاب، وأمر لي من عنده بأربعين ألف درهم، فانصرفت بتسعين ألف درهم بحرف استفاده مني.

وهذا الخبر جاء في أخبار النحويين. وذكره الحريري في درة الغواص بأخصر مما ذكرناه، ثم قال يثر الخبر: وقد أذكرني هذا المثل أيبانا أنشدنيها أحد أشياخي رحمهم الله لأبي الهيثم:

لي صديق هو عندي عَوَزٌ	من سداد لا سداد من عَوَزٌ
وجبه يذكّرني دار البلى	كلما أقبل نحوى وضمز <sup>(٢)</sup>
وإذا جالس جرعني	غصص الموت بكربٍ وعَلَز <sup>(٣)</sup>
بصف الود إذا شاهدي	وإذا غاب وثى بي وهمز
كحمار الشوه يبيدي مرحاً	فإذا سيق إلى الحمل غمز
ليتني أعطيتُ منه بدلاً	بنصبي شرّ أولاد المعز

(١) مجالس العلماء: «مسحوى».

(٢) ضمز: سكت ولم يتكلم.

(٣) العلز: محرّكة: اللق والهلج.

قد رضينا بيضة فاسدة عوصاً منه إذ البيع نَجَزْ

• • •

[ حكاية أبي حنيفة والإسكاف ]

وكان لأبي حنيفة رحمه الله جازئ إسكاف بالسكوفة ، يعمل نهاره أجمع ، فإذا أجنه الليل رجع إلى منزله بالخمر ولحم أو سمك ، فيطبخ اللحم أو يشوى السمك ، حتى إذا دبّ الشراب فيه رفع عقيرته يُنشد :

أضاعوني وأتى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد فخر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت ، حتى يقبله النوم .

وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلّي الليل كله ، ويسمع جلسته وإنشاده ، فقدد صوته ليالي ، فسأل عنه فقيل له : أخذته العسس منذ ثلاث ليال ، وهو محبوس ، فصلّى الفجر وركب بقلته ، ومشى فاستأذن على الأمير ، فقال : ائذنوا له ، وأقبلوا به راكباً ، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ، ففعل به ذلك ، فوسّع له الأمير مجالسه ، وقال له : ما حاجتك ؟ فقال : لي جازئ إسكاف أخذته العسس منذ ثلاث ليال ، فتأمر بتخليتيه ؟ فقال : نعم ، وكلّ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِمْ أَجْمَعِينَ . فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الإسكاف ، فلما أوصله داره ، قال له أبو حنيفة : أترانا يا فتى أضعناك ؟ قال : لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن محبة الجوار ورعاية الحق ، والله علىّ ألاّ أشرب الخمر أبداً ، فتاب ولم يمد إلى ما كان عليه<sup>(١)</sup> .

[ من حكايات الجوارى والفلماني ]

ومما يوافق هذا الموضع في المقامات من ظرف الحكايات التي تضمنت بيع

(١) الخبر في الأغاني ١ : ٤١٤ .

المالِك عند الضرورات ، وما للأجواد من جزيل الهبات ، مما ذكروا من أحسن أخبار الغلمان أن جعفر بن يحيى عرض عليه في بعض متوجّهاته مملوك من ممالِك رجل جفاه السلطان ، فقَبِضَ ماله ، وأمر ببيع مالمالكه ، فمرض عليه من جملتهم غلام كما طرّ شاربه ، أجل الناس ، يدبّر بين فكّيه لسانا أبين من الصبح . قال جعفر : قتلته : ما اسمك ؟ قال : ماهر ، قتلته : وما صنعتك ؟ قال : الأدب والغناء والشعر وما شئت من بعد ، فسألته عن ثمنه ، فقال : خمسمائة دينار للضرورة ، قال : فأدبت ثمنه ، وصألته أن يُسَمِّعَنِي شيئاً من غنائه ، فأخذ العود وغنى :

حلمتُ جبالَ الحبِّ فوق وإتني لأعجز من حل القميص وأضعفُ  
ظفرتُم بكتمانِ اللسانِ فن لكم بكتمانِ عينِ دمها الدهرَ يذرفُ !  
فأطربني غناؤه ، وشجاني فأجزته ، ووهبت له وخامت عليه ، وأمرته بمادتي . فلما اجترتُ منزل مولاة بمقدار ميل ، أنشأ يقول :

وما كنت أخشى ممهدا أن يبيعتني بشيء ولو أضعفت أنامله صِفرا  
أخوم ومولامٍ وحاملُ سرِّهم ومن قد ثوى فيهم وعانهم دهرًا  
أشوقًا ولنا تمض لي غير ساعة فكيف إذا خبّ المطى بنا شهرًا !

قلت : يا غلام ، أتعرف منزل مولاك من ها هنا ؟ فقال : هيها ، وهل تخفى معالم العيبِ ! قلت : اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى ، ووهبت له ألف دينار ، فقال لي زميلي : أمثل هذا يُعْتَق ؟ قلت : أوَمَثَلُهُ يُمَلِّك ! فوالى وهو يقول :

لا يوجدُ الخبير إلا في معادنه والشرحيث طلبت الشرّ موجودُ  
وحدث ابن عائشة قال : كان لرجل من قيس عيلان جارية ، وكان

بها معجباً ، ولها مكرماً فأصابته حاجة وجهد ، فقالت له : لو بعثني فإن نلت  
 طائلا عدت به عليك ، فعرضها للبيع ، فعرضت على عمر بن عبد الله بن معمر  
 المذحجي ، فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم ، فلما مضت لتدخل القصر ودعت  
 مولاهما وأنشدته :

هنيئاً لك المال الذي قد أصبته      ولم يبق في كفي إلا تفكري  
 أقول لنفسي وهي في كرب غشية      أقلّ فقد بان الحبيب أو اكثري  
 إذا لم يكن للوصول عندك حيلة      ولم نجدى بداً من الصبر فاصبري  
 فأجابها مولاهما :

فلولا تعود الدهر بي عنك لم يكن      لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري  
 أدوبُ بمجنٍ من فراقك موجع      أناجي به قلباً طويل التفكير  
 عليك سلام لا زيارة بيننا      ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

قال ابن معمر : قد شئت ، خذ بيدها فهي لك وثمانها .



قال : فلما وهى الشيخ آياته ، وعقل مناعاته ، تنفس  
 الصعداء ، وبكى حتى أبكى البعداء ؛ ثم قال لي : إني أحل هذا الغلام  
 محلّ ولدي ، ولا أميرُهُ عن أفلاذ كيدي ؛ ولولا خلوٍ مراحي ،  
 وخبوٍ مضاحي ؛ لما درج عن عُشي ، إلى أن يشيع نفسي ،  
 وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين ، والمؤمن هينٌ لئين ،  
 فهل لك في تسليّة قلبه ، وتسرية كربه ؛ بأن تعاهدني على  
 الإقالة فيه متى استقلت ؛ وألا تستثقلني إذا ثقلت ؛ ففي الآثار

الْمُنْتَقَاةُ ، الْمَرْوِيَّةِ مِنَ الْمُتَقَاةِ : مَنْ أَقَالَ نَادِمًا يَبِيعْتُهُ ، أَقَالَهُ اللَّهُ  
عَشْرَتَهُ .

قال الحارثُ بن همام : فَوَعَدْتُهُ وَعَدَا أَبْرَزُهُ الْحَيَاءُ ، وَفِي  
الْقَلْبِ أَشْيَاءُ ، فَاسْتَدْنِي حَيْثُ نَدَى الْغُلَامَ إِلَيْهِ ، وَقَبَلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،  
وَأَنشَدَ وَالذَّمْعُ يَرْفَضُ مِنْ جَفْنَيْهِ :

خَفَضُ فَدَتِكَ النَّفْسُ مَا تُلَاقِي

مِنْ بَرْحَاءِ الْوَجْدِ وَالْإِشْفَاقِ

فَمَا تَطَوَّلَ مَدَّةَ الْفِرَاقِ وَلَا تَنِي رِكَابَ التَّلَاقِ

• مُحْسِنُ عَوْنِ الْقَادِرِ الْخَلَاقِ •

• • •

قوله : هقل مناغاته ، أى فهم كلامه ، والمناغاة تكليم الطفل بما يهوى  
ويفرح به ، فإذا رددَ الصبي كلامك أو ما كاك فقد ناغاك. الصَّمَدَاءُ : ارتفاع نفس  
المهموم . أفلاذ : قِطْع ، يريد أولاده ، والقَلْدَةُ : قطعة من الكبد ، ولِقْرَطُ  
الإشفاق به والحبة فى الولد ، يخاطبه أبواه بقابى وكبدى . وقالوا : أولادنا  
أ كبادنا ، وقال الشاعر :

وإنما أولادنا بيننا أ كبادنا تمشى على الأرضِ

مُرَاحَى : موضع إبلى ودوابى ، وكنى بخلو المراح عن الفقر وذهاب المال .  
درج : مشى . لوعة البين : حرقة الفراق . هَيْنَ لَيْنَ ، هَامَعَ الْأَزْدُوجُ مَخْفَقَتَانِ ،

فإن أفرِدنا شَدَدنا . قوله : لَمَّا دَرَجَ عن عُشَى ، يقول : لولا الفقر ما بعته مادمتُ  
 حيًّا . وتسريرة كربه : لإزالة همه . المنتقاة : المختارة . المدونة : المكتوبة المجموعة ،  
 والحديث معروف من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَقَالَ نَادِمًا يَبِيعُهُ أَقَالَه اللهُ عَثْرَتَهُ » ، أى عفا من زلته .  
 أبرزه : أظهره ، ويريد بقوله : وفى القلب أشياء : أنه أضمر ألا يقيله أبدا .  
 يرفض : يسقط متفرقا . حَمُضٌ : سَكَنٌ . بُرْحَاءٌ : شِدَّةٌ . الوجد : الحزن .  
 الإشفاق : الخوف . تَنِي : تَفْتُرُ .



ثم قال له : أَسْتَوْدِعُكَ مَنْ هُوَ نِعَمَ المولى . وشمرَ ذنبه  
 وولّى . فلبثَ التَّسْلَامُ فى زفيرِ وعويل ، رَيْثَمَا يَقْطَعُ مَدَى  
 ميل . فلما استفاق ، وكفكف دَمْعَهُ المُرَّاق ، قال : أتدري لِمَ أَعَوَلْتُ  
 وَعَلَامَ عَوَلْتُ ؟ فقلتُ : أَظُنُّ فِرَاقَ مَوْلَاكَ ، هو الذى أَبْكَكَ .  
 فقال : إِنَّكَ لِنِى وادٍ ، وَأَنَا فى وادٍ ، وَلَكُمْ بين مُرِيدٍ ومُرَادٍ ،  
 ثم أنشد :

لَمْ أَبْكِ وَاللهِ عَلَى إِنْفِ تَرْخِ

وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَفَرَحِ

وَإِنَّمَا مَدَمَعُ أَجْفَانِي سَفَعِ عَلَى غَبِيٍّ لِحُظَّةٍ حِينَ طَمَعِ

وَرَطَّةٍ حَتَّى تَعْنَى وَاقْتَضَعَ

وَضَبَعَ المَنْقُوشَةَ البَيْضَ الوَضِخِ

وَبِكَ أَمَّا نَاجَتِكَ هَاتِيكَ الْمُلْحَ  
 بِأَنِّي حُرٌّ وَيَمِي لَمْ يُبْسِحْ  
 • إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَحَ •

• • •

زَفِير: أنفاس مرتفعة . عويل: بكاء . ريث: قَدَر. مَدَى: غاية . والمِيل: قَدَر مَبْدَ الْبَصَرِ مِنَ الْأَرْضِ ، ويقال إنه ألف خطوة من خطا البعير ، والفرسخ: ثلاثة أميال ، والبريد أربعة فراسخ . استفاق: استراح وخف ما يجده . كفسكف: ردّ وأذهب . المَهْرَاقِي: اللصوب . أعولت: بكيت بصوت عالٍ ، وأهول إِعْوَالًا: صاح ، ورفَعَ صوته ، وعوَلت على كذا اتكلت عليه ، وعلى الله معوَلَى اتكالى ، وقال الشاعر:

• وَلَيْسَ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ مَعْوَلٌ •

كم بين مُرِيدٍ وَمُرَادٍ ، يريد أنهما متقاربان في اللفظ ، متباعدان في المعنى ، لأن المريد في الشيء الحب فيه ، والمراد الشيء المطلوب ، وهو المحبوب ، فأنت قد تُرِيدُ الشَّيْءَ فَنُتَمَتِّعُهُ ، وَغَيْرُكَ قَدْ يَرَادُ لَهُ فَيَأْبَاهُ وَلَا يَرِيدُهُ ، فاللفظان متضادان ، فيقول: التبس عليك سرّ بكأني فظننت أنه على فراق مولاي . فتظن الآن أنه على سُخْفِ عَقْلِكَ ، كما التبس اللفظان على غير ناقد ، فإذا تظن لهما تباعدا عليه ، والمريد عند أهل الإرادة المبتدى ، والمراد المنتهى ، فالمريد هو الذى نُصِبَ لِلتَّعْبِ وَالْقَاسَاةِ ، والمراد الذى لقي الأمر من غير مشقة ، فهو مرفوق به مرفقة ، وقيل: للمريد متحمل والمراد: محمول .

الجنيد: المريد تتولاه سياسة المعلم ، والمراد تتولاه رعاية الحق ، لأن المريد يسره ، والمراد بطيره ، فحق يلحق السائر الطائر

القشيري: كل مرید في الحقيقة مُراد، لأنه إذا أراد الحق للخصوصية، وفقه  
للإرادة، ولكنهم فرقوا بينهما.

قوله: إلف، أي صاحب. نَزَح: بَعُد. سَفَح: جرى. غَي: جاهل.  
لَحَظَه: نظره. طمَح: ارتفع. ورَطَه: أنشبهه، والورَطَه: أهوية تكون في رأس  
الجبل يشق على مَنْ وقع فيها الخروج منها. وتورطت الماشية: وقعت في الورطَة،  
قال طُفيل:

تهابُ طريقِ الحقِ نحسبُ أنه وُورِطَ ورِاطٌ وهو بَيِّنَدَاهُ بِلَقَعِ<sup>(١)</sup>  
وقيل: الورطة: الوحل تقع فيه الغنم، فلا يمكنها التخلص، ثم ضرب مثلاً  
في كل شدة يقع فيها الإنسان، وأورطت فلانا فتورط هو، أي وقع فيما يمسر  
التخلص منه.

أبو عمرو: الورطَة الملسكة، قال الزجاج:

إن تأت يوماً مثل هذى الخطئة تلاق من ضرب نيمير ورطه<sup>(٢)</sup>

قوله: تعنى، أي تعب. افترض: اشتهر، والوضح: الشديدة البياض النقية،  
أي ضيغ الدرهم المنتوشة البيض، والوضح: البيان والضوء والغرة والفضة  
والدرهم الصحيح، وقيل: لأنه وصف الدرهم بالمصدر، كما يقال: امرأة زور  
وكرم. ويك: عجباً لك. وقوله: هاتيك، يقال للمذكر: ذا، وهو للقريب، وذلك  
لما هو أبعد، وذلك لأبعد الثلاثة، وللمؤنث ذه وذى وذ، بلاياء، وتاونى وهى  
للقريبة، وتيك التى هى أبعد منه، وتلك وتالك لأبعدهن، وتدخلها التنبيه على  
كل ما ليس فيه لام، لأن اللام موضوعة للبعيد، وها موضوعة للقريب، فلا يجمع

(١) البيت في السائق - ورط .

(٢) اللسان (ورط) وقط « يميز » ، وصوابه من اللسان .



بينهما ، نحو هذا وهذاك وهاتا ، وشاهده :

• وليست دارنا هاتا بدار •

وهذه وهذى وهذ وهاتيك ، وشاهده قول ذى الرمة :

قد احتملت مى فهاتيك دارها بها السحْم تَرْدَى والحَمَامُ المَطْوِقُ<sup>(١)</sup>

قوله : لم يبع ، أى لم يجعل مباحاً .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة أنا خصمهم ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل عاهد ثم غدر ، ورجل باع حرّاً ، ورجل استأجر أجيراً فلم يوفه أجره » . وَضَح : تبين .

• • •

قال : فتمثّلتُ مقالهُ في مِرآة المَدَاعِبِ ، ومعرِض المَلَاعِبِ ، فتصَلَّبَ تصَلَّبَ المَحِقِّ ، وتبرّاً مِنْ طِينة الرِّقِّ . فجلُّنا في مُخَاصِمَةِ ، واتصَلَّتْ بِمَلَاكِمَةِ ، وأفضتْ إلي مُحَاكِمَةِ : فلما أوضَحْنَا للقَاضِي الصُّورَةَ ، وتَلَوْنَا عَلَيْهِ الشُّورَةَ ، قال : أَلَا إِنَّ مَنْ أَنْذَرَ ، فَقَدْ أَعَذَرَ ، وَمَنْ حَذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ . وَمَنْ بَصَّرَ فَا قَصَّرَ ؛ وَإِنَّ فِيمَا شَرَحْتُمَاهُ لَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ هَذَا الْغَلَامَ قَدْ نَبَهَكَ فَأَارِعَوَيْتَ ، وَنَصَحَ لَكَ فَا وَعَيْتَ . فَاسْتُرْتُ دَاءَ بَلْهِكِ وَاکْتُمْتُهُ ، وَأُمُّ نَفْسِكَ وَلَا تَلْمُهُ ، وَحَذَارٍ مِنْ اغْتِيْلَاقِهِ ، وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْفَاقِهِ ، فَإِنَّهُ حُرٌّ الْأَدِيمِ ، غَيْرُ مَعْرُوضٍ لِلتَّقْوِيمِ .

(١) ديوانه ٣٩٠ . قال في شرحه : « السحْم : السود ، يعنى الغربان . تردى ، أى تذهب .

والغراب لا يستطيع المشى . ويروى : « بها السحْم فوضى » .

وقد كان أبوه أخضره أمسي ، قُبَيْلَ أَفُولِ الشَّمْسِ ، واعتَرَفَ  
بأنه فرعه الذي أنشأه ، والآ وارث سواه ، فقلت للقاضي :  
أو تعرف أباه ، أخزاه الله ! ، فقال : وهان يُجَهَّلُ أبو زيد الذي  
جُرْحُهُ جُبَارٌ ، وعند كلِّ قاضٍ له أخبارٌ وإخبارٌ ، فتحرقتُ حينئذٍ  
وحولقت ، وأفقتُ ولكنَّ حينَ فاتَ الوقتُ ، وأيقنتُ أنَّ  
لثامه كان شرَّك مكيدته ، وبيتَ قصيدته . فنكسَ طرفي ما أقيت ،  
واليتُ ألا أعاملَ ملثماً ما بقيت .



تمثلت : تصورت . اللداعب : الممازح . والمعرض بفتح الميم : الموضع الذي  
تعرض فيه الأشياء ، والمعرض الثوب تعرض فيه الجارية . تصلَّت : تقوى ، وهو  
« تفعل » من الصلابة وهي الشدة . والأرض الصلبة : القوية . ولا أعلم أحداً خالف  
في هذه الرواية إلا ابن ظفر فإنه رواه : « تصلَّت » بالتاء بنقطتين ، وفسره بتجرد  
وجدت ، وكل جاد مجاهد مسرع في أمره : فهو متصلت فيه ، فذكروا أنه تصحف  
عليه اللفظ ، فشرحه على تصحيفه . الحق : صاحب الحق . الرق : العبودية : وذكر  
الطينة لأنها أصل الخلق . وتبرأ منها ، تباعد . جلنا : تصرفتنا . ملاكمة : مدافعة  
ومضاربة ، واللكم : الضرب بجمع الكف . أفضت : انصلت . أوضحنا :  
بيئنا . الصورة : القصة . نلونا : قرأنا . وذكروا أنها له . أنذر : أعلم . أعذر : أتى  
بُعذر ، ويقال : قد أعذر من أنذر ، أي قد بلغ أقصى العذر من أنذرك ، وهُدِّر  
الرجل فهو معذَّر ، إذا اعتذر ولم يأت بمذر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ  
مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ . ارعويت : رجعت عن جهلك وانكففت . بلهك ، غفلتك  
وجهلك . حدَّارٍ ، أي احذر أن تتعلق به . استرقاقه : تملكه وتمعيده ، ومنه

قولهم : سوق الرقيق ، ومنه سُمِّيَ العبد رقيقاً ، لأنهم يرقون لمالكمم ويخضعون له ويذلّون : والأديم : الجلد . للتمويم : لمعرفة قيمته . أفول : غروب . أنشاه : أحده وولده . جُبَّار : باطل . إخبار : إعلام . وأخبار : جمع خبر ، وأخبره : أعلمه . تحرّقت : عضضت أسناني حتى صوتت من شدة الغيظ . حوّلت : قلت : لاحول ولا قوة إلا بالله . أفتت : انتبهت ، وأنشد الفنجديهي في معنى هذا :

بفتضحُ الجاهلُ لكتفه من بعد ماغربه الناصحُ  
ويصلح ابنُ السوء لكتفه من بعد مامات الأبُ الصالحُ

قوله : وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته ، أي شبكة حياته . وبيت القصيدة : أحسن بيت فيها ، فأراد أن حياته كانت لثامه ، نكس طرفي : أي كسر عيني ، وأمال نظري .

• • •

وَلَمْ أَزَلْ أَتَاوَهُ نُحْسِرُ صَفْقَتِي ، وَاقتضاحي بين رُفْقَتِي . فقال لي القاضي ، حينَ رأى امتعاضِي ، وتبينَ حرَّ ارتِمَاضِي : يا هذا ، ما ذهب من مالك ما وَعَظَكَ ، ولا أجرَمَ إِلَيْكَ من أيقظَكَ . فاتمّظ بما نابَكَ ، وكاتِمِ أصحابِكَ ما أصابَكَ ؛ وتذكّرْ أبداً مادهمَكَ . لتقيَ الذُّكْرِي دَرَاهِمَكَ ، وتخلّق بتخلّق من ابْتليَ فصبرَ ، وتجلّت له العبر فاعتبرَ .

قال الحارث بن همّام : فودّعته لابسا ثوبَ الحجل والحزَن ، صاحباً ذيلِي العَبْنِ والعَبْنِ ، ونويتُ مـكاشفةَ أبي زيدٍ بالهجرِ ، ومصارمته يدَ الدهرِ . فجعلتُ أتسكّبُ عن ذراه ، وأتجنّبُ أنْ

أَرَاهُ؛ إِلَى أَنْ غَشِبَنِي فِي طَرِيقِ ضَيْقٍ، فَحَيَّانِي تَحِيَّةَ شَيْقٍ، فَأَزِدْتُ عَلَى أَنْ عَبَسْتِ وَمَا نَبَسْتُ، فَقَالَ لِي: مَا بِالْكَ شَمَخْتَ بِأَنْفِكَ عَلَى الْفِكَ! فَقُلْتُ: أَنْسَبْتَ أَنَّكَ اخْتَلْتِ وَخَتَلْتِ، وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتِ فَأَضْرَطُّ بِي مُتَهَارِياً، ثُمَّ أُنْشِدُ مِتْلَافِياً:



أَنَاوَهُ: أَنْوَجِعَ. رَفَقْتِي: أَحْبَابِي. امْتَعَاضِي: تَوْجَمِي. ارْتِمَاضِي: حَرَقَةٌ قَلْبِي مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ، وَلَا يَكُونُ الْمَتَعِضُ كَاظِمًا، فَلَا يَدُّ مِنْ ظُهُورِ الْكَرْبِ عَلَيْهِ، وَأَمْرٌ بِمَعْضٍ وَمَاعِضٍ، أَيْ عَمَضٌ كَارِبٌ.

قوله: ما ذهب من مالك ما وعظك، هو مثل، ومعناه إذا ذهب من مالك شيء حذرنا أن يحمل بك مثله، فتأديبه إياك عَوْضٌ من ذهابه. أجزم: أذنب. نابك: نزل بك. دهمك: غَشِيكَ. تجت: ظهرت. العبر: العلامات الخوفة، واعتبرت بالشيء إذا اتمعط به. الخجل: الحياء. ساحبا: جارا. الغبن: بسكون الباء في البيع، وبتحتها في الرأى، يريد أنه غبن في رأيه وبيعه، قال في الدرّة: الغبن بإسكان الباء في المال، وبتحتها في الرأى والعقل. نويت: أضمرت. مصارمته: مقاطعته، وصرمتُ فلانًا: قطعت ما بيني وبينه من المودة. والصرم: القطع، وقيل لآيل: صريم، لانقطاعه عن النهار، وهو في تأويل مَصْرُومٌ أى مقطوع، وكذلك الصريم من الرمل، وهو الذى انقطع من معظمه.

يد الدهر: أى أبد الدهر.

أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يحمل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق السابق إلى الجنة ».

دَرَاه : جَهَنَّم . غَشِيَنِي : قَصَدَنِي وَأَتَانِي عَلَى غَفْلَةٍ . شَتِيق : شَدِيدُ الْحُبِّ ،  
 حَانِبِسْتُ : مَا نَكَمْتُ . شَمَخْتُ : رَفَعْتُ أَنْفَكَ كِبْرًا ، وَشَمَخَ : تَكَبَّرَ . خَنَلْتُ :  
 خَدَعْتُ ، وَخَانَلٌ فِي مَعْنَى خَتَلٌ ، وَأَصْلُ الْخَانَلَةِ الْمَشَى لِلصَّيْدِ قَلِيلًا قَلِيلًا خَفِيَةً لِئَلَّا  
 يُسْمَعَ حَسَكُ ، ثُمَّ جُمِلَتْ مِثْلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وُرِيَ بِهِ وَسْتَرَ عَلَى صَاحِبِهِ . مَتَلَفَايَا :  
 مَقْتَدَارُكَ لِاللَّئِئَةِ .

• • •

يَا مَنْ نَدَا مِنْهُ صُدُو دُ مُوحِشٌ وَتَجْهِمُ  
 وَعَدَا يَرِيشٌ مَلَاوِمًا مِنْ دُونِ الْأَسْتَهْمِ  
 وَيَقُولُ : هَلْ حُرٌّ يَا عُ كَمَا يُبَاعُ الْأَدَمُ  
 أَقْصِرْ فَمَا أَنَا فِيهِ بِذِ عَا مِثْلُ مَا تَتَوَمُّ  
 قَدْ بَاعْتَ الْأَسْبَاطُ قَبْلِي يَوْسُفًا وَهَمَّ هَمُّ  
 هَذَا وَأَقْسِمُ بِأَلْتِي بِسَرِي إِلَيْهَا الْمَتَهْمِ  
 وَالطَّائِفِينَ بِهَا وَهَمَّ شَعَتْ النُّوَاصِي سَهْمِ  
 مَا قَتُّ ذَاكَ الْمَوْقِفَ الْ مُخْزِي وَعِنْدِي دِرْغَمُ  
 فَاغْذُرْ أَخَاكَ وَكَفَّ عَنْهُ مَلَامَ مَنْ لَا يَفْهَمُ

• • •

تَجْهِمُ : عُبُوسٌ . مَلَاوِمًا : جَمْعُ مَلَامٍ أَوْ مَلَاوِمَةٍ ، وَهِيَ الْوَمُ وَالْعِتَابُ ،  
 يَرِيدُ أَنْ لَوْهَهُ أَنْفَذَ مِنَ السَّهَامِ . الْأَدَمُ ، قِيلَ : أَرَادَ بِهِ الْفَرَسَ وَقَصَدَ لَوْنَهُ لِلتَّافِيَةِ ،  
 وَقِيلَ : أَرَادَ الْعَبْدَ الْأَسْوَدَ . بِذِ عَا ، أَيُّ أَوْلَى أَيُّ مَا أَنَا أَوْلَى مِنْ فَعْلٍ ذَلِكَ . الْأَسْبَاطُ :

إخوة يوسف عليه السلام . وهم م : أى وهم أنبياء لم يتغيروا عن مراتبهم ،  
ويقال : هو هو ، أى هو كما عهدته لم يتغير .

### [ قصة يوسف عليه السلام ]

وقد جرى ذكرُ يعقوب والأسباط في المقامات في مواضع، وبهذه المقامة  
على ذكر يوسف وجهه وبيع إخوته إياه . ونريد أن نلمّ بطرف من أخبارهم  
على شرط الكتاب .

ذكر أهلُ الأخبار أن يعقوب - وهو إسرائيل عليه السلام - تزوج بنت  
خاله ليا بنت لئان بن بتوبل، فولدت له رؤوبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وغيرهم ،  
ثم توفيت وخلفَ على أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين . وكان  
يوسفُ وأمه قد قُسم لهما من الحسن شظُرُهُ ، فكفلت يوسفَ عمته . وكانت  
أكبر ولد إسحاق ، وكانت عندها منطقة لإسحاق يتوارثونها على قدر أسنانهم .  
فلما ترعرع يوسف أراد يعقوب أخذه منها ، وقال لها : والله لا أقدر على الصبر  
عنه ، فقالت له : والله لا أقدر على صرْفِهِ إليك . فلما رأت عزمه على أخذه ، حزمت  
للمنطقة تحت ثياب يوسف وهو نائم ، ثم ادعت فقدّها فطلب فوجدت عنده ،  
وكان من سذمتهم أن من سرق شيئاً أخذ فيه ، فتركه لها حتى ماتت . فلما  
رجع إلى أبيه شغل به عن سائر بنيهِ ، فحسدوه ، فسألوا أباهم إرساله معهم للزَّهْم ،  
بعد أن ضمنوا حفظه ، فأخرجوه إلى البرية ، وأخذوا يضربونه ، وكلما ضربه  
واحدٌ استغاث بآخر ، فيضربه الآخر . فلما كادوا يقتلونه منعهم يهوذا ،  
وذكّرهم بما ضمنوا لأبيه من حفظه ، فانطلقوا فأدّوه في الحب ، وهو يقول :  
يا أباه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الآباء ! وكان بعض إخوته لأمه ، فجعل يتعلق  
بشفير الحب ، فربطوا يديه ، وألقوه فيه ، فقالوا له : ادع الشمس والقمر والأحد  
عشر كوكباً ينجوك . ثم أرادوا أن يرضخوه بصخرة ، فنعمهم يهوذا ، وكان  
يأتيه بالطعام خفيةً منهم .

ثم مرت سيارة فأدلى واردٌهم دلوّه فنطاق به ، فلما رآه بشر به السيارة .  
وقال السديّ: إن الذي أخرجه إنما دعا صاحباً له اسمه بشرى ، فأتى إخوته الذين  
أخرجوه وقالوا: إنه عبد لنا ، فباعوه منهم بمشرين درهماً على أن يُخرجوه من  
أرض الشام، فشرطوا لإخوته أن يفرّبوه ، ويذهبوا به إلى مصر ، فحينئذ رجعوا  
إلى أبيهم عشاءً يبكون .

فهذه قصة بيع الأسباط يوسف على اختصار .

ثم إنّه لما بلغ مصرَ من العزيز ، وكان فرعون - وهو الريان بن الوليد -  
قد ولّاه خزائنها ، فكان من قصته مع امرأة العزيز ومن حبّها فيه ومن دعائها  
إياه لنفسها ، ومن تأبّيه من ذلك واستنزائها إياه ؛ حتى همّ بها ، ورؤيته برهان  
ربه - وهو رؤيته صورةً يعقوب يعضّ على إصبعه ، وقيل : إنّه رأى في الحائط  
مكتوباً : « ولا تقرّبوا الزنا - ومبادرته الباب فاراً منها ، وقدّها قيصه من دُبر ،  
وجوده العزيز على باب الدار جالساً مع ابن عمّ له ، وهو الشاهد من أهلها - وقيل :  
إنّه كان صبيّاً في المهدي - واشتهار أمرهما بمصر ، حتى تحدّثت به نسوة في المدينة ،  
وقلن : امرأة العزيز تُرأود فتأها عن نفسه ، وإحضارها لمن وإعدادها لمن ما يتكهن  
عليه - وقيل : اللّسكأ الأترج - وأمرها له أن يخرج عليهنّ ، وإعظامهنّ إياه حتى  
شطن به عن أنفسهن ، وقطنن أيديهنّ وقلن : حاش لله ما هذا بشراً ، تنزيهاً له  
عن أن يأتي - مثله ربيّة ، فكان من هذا الخبر ما قص الله في القرآن ونطقت به  
التفاسير والأخبار .

ثم إن امرأة العزيز قالت للعزيز: إن عبدك فضّحنى في الناس فإما سجنته ،  
وإما برزت للناس أعتذر عن نفسي ، فحبسه ، فدخل معه رجلان أحدهما خباز  
الملك والآخر نديمه . وكان لما بلغ الحلم آناه الله حُكمًا وعلماً من العبارة ، فكان

في السجن يفسر الرؤيا للسجوفين ، ويمرض مرضاهم ، ويوسع على من ضاق عليه مكانه ، قال أحدا الفتيتين لصاحبه : هلم نَجْرِبْ هذا العبد . فسألاه من غير أن يريا شيئاً ، وقال له : إنا نراك من المحسنين في معاشرتك أهل السجن ، قال لهما : أما أحدكما فينادم الملك ، وأما الآخر فوصلب ، فقال له : مارأينا شيئاً ، قال لهما : قضي الأمر فيكما . ثم قال للذي ظن أنه ناجح منهما : اذكُرْني عند ربك ، وأخبره أني محبوبس ظلاماً . فأوحى الله تعالى إليه : إن اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن سجنك ، فموقب بالسجن حيث همّ بامرأة العزيز ، وباطالته حيث اتكل في أمره على غير ربه .

ثم كان من رؤيا الملك وجَّهَلِ أهل دولته وتفسير يوسف لهما ، وقول الملك : انثوني به وتأبيه الخروج حتى يسأل النسوة عن شأنه وشهادتهن عند الملك بتبرته واعتراف امرأة العزيز بأنهاراودته ، وقوله في العزيز : ﴿لَتَيْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ .

ويقال إن جبريل قال له عند ذلك : ولا يوم هممت بما هممت به ! فقال : ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ..﴾ الآية . واستخلاص الملك إياه لنفسه ، وجعله على خزائن أرضه ؛ ما اشتهر قرآنًا وتفسيراً .

ويقال إن العزيز مات في تلك المدة ، وإن يوسف تزوجها ، وقال لها : أليسَ هذا خيراً ؟ فقالت : لاتفى ، كنت امرأة حسناء في ملكٍ ودُنيا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حُسنك ، فغلبتني نفسي على ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذراء ، وأنها ولدت له ابنتين .

ثم أجدبت الأرض ، فأناه إخوته منتجمين ، فكان من أمرهم معهم ، وإحسانه إليهم في الكيل ، وطلبه لهم أن يأتوه بشقيقه بنيامين ، ورجوعهم موقرين ، ورغبته إليهم في إرساله معهم ، وأخذه بسرقة الصواع وتأذيهم بذلك ، ورجوعهم إلي ( ١١ - شرح مقامات الحريري ج ١ )



أيهم وتوالى الحزن على يعقوب بفقد ابنه ، وأمره لبنيه أن يرجعوا طالبين ليوسف وأخيه ، ودخولهم على يوسف أذلاء صاغرين ، وتمريفه لإمام بكانه ، وبعثه بالقميص إلى أبيه ، وجمع شملهم بعد طول مدة الفراق ما نصّه الله تعالى أنه عبرة لأولى الألباب . ولولا أن الأمر في كتب التفسير أشهر من أن يحتمل ، لفترناه فصلاً فصلاً .

\*\*\*

قوله : وأقسم بالتي يسرى إليها التّمهم - بمعنى مكة - والتّمهم الآتي بهامة ، وبهامة اسم مكة ، قال الأصمعي : سمعت العرب تقول : إذا محدّرت من ذات عرق فقد أنهمت . شعث سُمهم : أى متفيرة ألوانهم وشعورهم .

قوله : اعذر أخاك ، قال زيد بن عليّ : ثلاثة لا يجتمعن إلا في كريم : حُسن الحضرم ، واحتمال زلات الإخوان ، وقلة الملاة للصديق .

\*\*\*

ثمّ قال : أمّا ممذرتي فقد لاحت ، وأمّا دراهمك فقد طاحت ؛ فإن كان اقشعراؤك مني ، وازورارك عني ، لفرط شفقتك على غبر نفقتك ، فلست بمن يلسع مرّتين ، ويوطئ على جمرتين . وإن كنت طويت كشحك ، وأطمت شحك ، لتستنقذ ما علق بأشراك ، فلتبتك على عقليك البواكي .

قال الحارث بن همّام : فاضطررتني بلفظه الخالب ، وسحره الغالب ، إلى أن هدت له صفياً ، وبه حفيّاً ، ونبذت فعلته ظهريّاً ، وإن كانت شيئاً فريّاً

لاحت : ظهرت . طاحت : هلكت . اقشعرارك : انقباضك .  
والقشعريرة : رعدة وانقباض . ازورارك : انقباضك وميلك . لفرط شفقتك ،  
لكثرة خوفك . غبر نفقتك : أى تخاف على ما يبقى من نفقتك وإن أخذها .  
بوطيء ، أى يجعل غيره بطأ الجمر ، أى لأضر مرتين . والكشع : انطهر ،  
وقيل : الجنب ، وقيل : هو اسم لما بين الأضلاع ، ورأس الورك ، وكلها مقاربة ،  
وطوى كشحه على أمر ، استمر عليه ، وطوى كشحه ، مثل يضرب للجانبة  
والمكائمة ، قال الشاعر :

طَوَى كَشْحًا خَلِيلُكَ وَالْجَنَاحَا لِبَيْنِ مَنْكَ ثُمَّ غَدَا وَرَاحًا<sup>(١)</sup>  
والشح : البخل مع الحرص ، واضطرنى : ألبانى ، الخالب : الخادع .  
صفيًا : صاحبًا مخلصًا ، حفيًا : معينًا . كريمًا : مكرمًا ، نبذت : رميت . وطرحت  
ظهيرًا ، أى خلف ظهري ، واتخذته ظهريًا ، أى عدة يستظهر بها ، أى يجعلها  
خلف ظهره حتى متى احتاجها استعملها قريبًا : عجبًا ومنكرًا ، والفرى :  
الأمر العظيم ، والفرى الكذب .

ومما جاء فى الشعر على أخبار يوسف عليه السلام

قال ابن الزقاق :

بأبى وغير أبى أغنُّ مَهْمَهْفُ مَهْضُومٍ مَاخَلَفَ الْوِشَاحَ خَيْصُهُ<sup>(٢)</sup>  
لبس النِّوَادَ فَرَزَقَهُ جَفُونَهُ فَأَنَّى كَيُوسُفَ حِينَ قُدَّ قَيْصُهُ

وقال أيضًا :

وسافر عن قرٍ مبتمٍ عن دَرَرٍ<sup>(٣)</sup>

(٢) ديوانه ١٩٦ ، والخيمي : الضامر البطنى .

(١) اللسان (كسج)

(٣) ملحق ديوانه ٢٩٣

لولاح لبحور وقد سل حُسام الحوَرِ  
لقد منه شفقا قميصه من دُبُرِ

ومن الملح في ذلك قول ابن حجاج في مختيار :

فدبت وجه الأمير من قمرِ  
إن زلينا لو أبصرتك لما  
بل وحياتي لو كنت يوسفها  
فإنني عالم بأنك لو  
سبقها وانداقت تدبها  
ولم تزل بالكدين تنقرها<sup>(٢)</sup>  
طيمك كالماء في سهولته  
إن الملك الشباب ما خلقوا

يجلو القدي نوره عن البصر<sup>(١)</sup>  
ملت إلى الحشر لذة النظر  
لم تك من تهمة العزيز برى  
شمت ربنا نسيما العطر  
من بين تلك البيوت والحجر  
من قبل وقت العشا إلى السحر  
لكن أبو الزبرقان من حَجَرِ  
إلا صلاب الفياش والكمَرِ

وقال آخر :

قمص يوسف لما قد من دُبُرِ  
وفي قميصك لما قد من دُبُرِ  
وقال آخر في الحسن بن وهب :

إذا لقيت بني وهب بمنزلة  
مؤدبون على الفحشاء من صقرِ  
قميص أنشاهم ينشق من قبل  
معذكون ولم تقطع مرارهم

لم تدر أيهما الأتقى من الذكْرِ  
مدرّبون على الفسكراء من كِبَرِ  
وقص ذكرائهم تنفذ من دُبُرِ  
بين الحواضين والدايات بالكمَرِ

(٢) البيتية : « تقصروا » .

(١) البيتية ٣ : ٤٠ .

## المقامة الثالثة والثلاثون وتعريف بالتقليسية

حكى الحارث بن همام قال : مَرَرْتُ فِي تَطَوَائِي بِشِيرَاز ، عَلَى نَادٍ  
يَسْتَوْقِفُ الْمُجْتَازَ ، وَلَوْ كَانَ عَلَى أَوْفَازٍ ؛ فَلَمْ أُسْتَطِعْ تَمَدِّيهِ ،  
وَلَا خَطَّتْ قَدَمِي فِي تَنَخُّطِيهِ ؛ فَمَجَّتُ إِلَيْهِ لِأَسْتَبْكَ سِرَّ جَوْهَرِهِ ؛  
وَأَنْظُرَ كَيْفَ ثَمَرُهُ مِنْ زَهْرِهِ ، فَإِذَا أَهْلُهُ أَفْرَادٌ ، وَالْمَائِجُ إِلَيْهِمْ مُفَادٌ .  
وَيَدِينَانِحْنٌ فِي فَكَاهَةِ أَطْرَبَ مِنَ الْأَغَارِيدِ ، وَأَطْيَبَ مِنْ حَلَبِ  
الْعَنَاقِيدِ ؛ إِذَا احْتَفَّ بِنَاذِرِ طَمْرَيْنِ ، قَدْ كَادَ يُنَاهِزُ الْعُمَرَيْنِ ، فَحَيًّا  
بِلِسَانِ طَلِيقٍ ، وَأَبَانَ لِإِبَانَةِ مَنِطِيقٍ ، نَمَّ احْتَبَى حُبُوبَةَ الْمُتَشَدِّينِ ،  
وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمَهْتَدِينَ . فَازْدَرَاهُ الْقَوْمُ لِطَمْرِيهِ ، وَنَسُوا  
أَنَّ الْمَرْءَ بِأَصْفَرِيهِ



التطواف : مصدر طوفت حول الشيء ، إذا أكرت المشى حوله ،  
وقد طفتُ به وأطفتُ ، وإذا درت وأكرت ذلك قلت : طوفت .

وشيراز : مدينة فارس العظمى ، وهي مدينة جليلة عظيمة ، ينزلها الولاة ،  
ولها سعة حتى إنه ليس فيها منزل ، إلا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار  
والرياحين والبقول ، وكل ما يكون في البساتين . وشرب أهلها من عيون  
تجرى في أنهار تأتي من جبال يسقط عليها الثلج .

قوله : ناد : مجالس . يستوقف : يحبس ويجعله يقف . المجتاز : خاطر الطريق  
المرار عليه .

أوفاز : انخفاز وعجالة ، ومنه قولهم : قعد مستوفزاً ، معناه قعد على وفزٍ من الأرض ، والأوفاز : جمع وفز وهو ألا يطمئن في قموده . قال الجوهري رحمه الله تعالى : تقول نحن على أوفاز ، ولاتقول على وفز ، ومعناه ألا تلقاه مُمدّاً . الأزهري : الوفزة : الوثبة بعجلة ، وقعد مستوفزاً ، إذا رفع أليتيه ووضع ركبتيه ولم يطمئن .

نعدية : تحطيه وجوازه . وخطت : مشت . هجبت : مئت . أسبك . أجب سراً جوهره : أراد باطن أهله إذ كانوا في الظاهر ذوى مناظر ، فأراد أن يعرف : هل هم أهل علوم وآداب ، حتى يكلوا في الظاهر والباطن ، أم أمرم على خلاف ذلك . وبين ذلك بقوله : كيف ثمره من زهره ، فكفى بالزهر عن ظاهرهم ، وبالثمر عن سرهم الباطن ، وسر كل شيء : باطنه وخالصه ، وقال المعري :

فلا يفترنك بشرٌ من سواه بدا      ولو أنار ، فكم نورٌ بلا ثمر<sup>(١)</sup>

قوله : أفراد ، أى كبراء لانظير لهم ، فن مال إليهم استفاد ، وأفراد : نجوم الدراري . والعائج : المائل . فكاهة : حديث مطرب . الأغاريد : أصوات الطير ، ويطلقون على ما كان فيه حنان ورقة منها اسم التفريد والفناء ، إلا الحمام فإنهم يسمون أصواتها غناء وتفريدا وبكاء ونياحاً ، ويأخذونه من حال السامع لها . وقرئ على أبي الحسن بن السراج قول سويد بن الأعمى :

لقد تركت فؤادك مستجناً      مطوقةً على فنن تغنى  
يميل بها وتركبه بلحنٍ      إذا ما عن للمحزون أنا

(١) سقط الزند ١٣٩ ، وفي ط : « سر » موضع : « بسر » .

قَالَ : إِذَا تَكُونُ أَصْوَاتُ الْحَمَامِ عَلَى مَا فِي نَفْسِ الْمَسْتَمِعِ ، فَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ يَطْرُبُ سَمَاهَا غِنَاءً ، وَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ يَحْزَنُ سَمَاهَا بَكَاءً .

وقال ابن قاضي ميلة مصدقاً لما قاله ابن السراج :

لَقَدْ فَرَّضَ الْحَمَامُ لَنَا بِسَجْعٍ إِذَا أَصْنَى لَهُ رَكْبٌ تَلَاخِي  
شَجَا قَلْبَ الْخَلْقِ قِوَالِ غَنَى وَبَرَحَ بِالشَّجِي قِوَالِ نَاحَا<sup>(١)</sup>

وسببه المرعي بقوله :

بَارِضٍ لِاحْمَامَةِ أَنْ تَفْنَى بِهَا وَلَنْ تَأْتِفَ أَنْ تَفَوْحَا<sup>(٢)</sup>

وقد قدمنا في شرح الصدر فصلاً للحمام . وما أحسن قول البعري :

حَيَّتِكَ هَمَّا شَمَالِ طَافَ طَائِفُهَا فِي جَنَّةٍ نَفَعَتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا  
غَنَّتْ سُحَيْرًا فَنَاجَى الْفَصْنَ صَاحِبَهُ سِرًّا بِهَا ، وَتَدَاعَى الطَّيْرَ إِعْلَانًا  
وَرُقٌ تَفْنَى عَلَى غُصْنٍ مَهْدَلَةٍ تَسْمُو بِهَا وَتَمَسُّ الْأَرْضَ أَحْيَانًا  
تَحَالِ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرَبٍ وَالْفَصْنُ مِنْ هَزَّةٍ عِطْفَيْهِ نَشْوَانًا

وهذه ديباجة أبي عبادة . وحلب المناقيد : المحر . احتفت : انتظم . طمرين ، أي ثوبين خلتين . يناهز : يقارب . الثميرين : ثمانين سنة ، وذلك أن الإنسان من الشيبية إلى الأربعين في نماء وزيادة وقوة ، ومن الأربعين إلى الثمانين في نقص ، فالبالغ الثمانين قد استوفى عمره في الزيادة والنقص . وسئل ذو الرمة عن سنه ، فقال : بانثُ نصف عمر الهرم أربعين سنة ، وقيل : العمر ستون سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين » .

(١) تار الأزهار ٧٩ ، ونسبه للمنازي .

(٢) سقط الزند ٢٤٥ .

(٣) من زيادات ديوانه .

ومن حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
« مَنْ أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه » ، فالعمران على هذا مائة وعشرون  
سنة . والحكماء يزعمون أنه منتهى ما يبلغ حمر ابن آدم ، والأظهر من سوانق  
المقامة أنه أراد الأول ، لأن مَنْ قارب مائة وعشرين سنة لا يلتذ بحمر ولا بغيره  
وهو يزعم في المقامة أنه يحاول شربها لفناء وغير ذلك .

قوله : أبان : بين . منطلق : فصيح . احتجى حبوتهم ، أى جلس مثل  
جلوسهم المنتدين : أهل المجلس . ازدراه : احتقره .

أصفرية : قلبه ولسانه ، وقيل لهما الأصفران لصفر حجمهما من بين الأعضاء  
لنضلهما ومثرفهما على الأعضاء ، قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :  
والكفى مدرّب الأصفرين ، ولجليهما القيام والكمال ، كأنه قال : المرء بقوم أموره  
بلسانه وقلبه ، ويكمل المرء بهما ، قال الأصمى رحمه الله تعالى : كان ضمرة بن  
أبى ضمرة قصيرا ، وكان يقول : المرء بأصفرية ، بقلبه ولسانه .



وأخذوا يتداعون فصل الخطاب ، ويعتدون عوده من  
الأحطاب ، وهو لا يفيض بكلمة ، ولا يبين عن سمة ، إلى أن  
سبر قرائحهم ، وخبر شائهم وراجحهم . فحين استخرج دفائنهم ،  
واستنثل كنائتهم ، قال : يا قوم لو علمتم أن وراء الفِدام ، صفو  
المُدّام ، لما احتقرتم ذأ أخلاق ، وقُلتم ما لهُ من خلاق . ثم فَجَّر من  
يتابع الأدب ، والنسكتِ الثنّب ، ما جلب به بدائع العجب ،

واستوجب أن يكتب بذبوب الذهب . فلما خلب كلَّ خلب ،  
وقلب إليه كلَّ قلب ، تحلحل ، ليرحل ، وتأهب ، ليذهب ،  
فعلقت الجماعة بذييله ، وعانت مسرب سئله ، وقالت له : قد  
أرئتنا وسمَ قدحك ، فخبّرنا عن قبيضك ومحك . فصمت صوت  
من أفجم ، ثم أغول حتى رجم .

قال الراوى : فلما رأيت شوب أبى زيد وروبه ، وأسلوبه  
المالوف وصوبه ، تأملت الشيخ على سهومة محياه ، وسهوكه رياه ،  
فاذا هو إباه .



بداعون : يدعو بعضهم بمضا إلى ذكر الفصاحة ، والأشبه أن يكون من  
الأدعية ؛ وهى الأحجية والأغلوطة ، كأنهم يتحاجون . وفصل الخطاب ، كناية  
من الفصاحة . يمتدون : يحسبون ، الأخطاب : جمع خطب ، ولا يقال للعود  
خطب حتى يجف ماؤه ويبس ، فأراد أنهم حسبوا أبا زيد من جنس الخطب  
لا نضارة فيه ، كأنه لا علم عنده . وقال الشاعر :

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبةً من المندرات اعتده الناس للخطب

يفيض : يتكلم ويندفع فى القول ، وفاض لسانه وأفاض ، أى أبان . يبين :  
يبين . سمة : علامة . سبر : قاس وجرب . قرأهم : أذهانهم . خبر : جرب .  
شائلهم : ناقصهم . راجحهم : وافهم ، والشائل من الدراهم : الناقص الذى يشول  
به الميزان ، أى يرتفع ، والراجع ضده . وقال فى الدرّة : الشائل : المرتفع ، وأنشد :



ياقوم- مَنْ يَمْدُرُ فِي عَجْرِدِ الْقَاتِلِ الْمَرءِ عَلَى الدَّائِقِ (١)  
لَمَّا رَأَى مِيزَانَهُ شَانِلًا وَجَاهَ بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْمَسَاتِقِ

استنزل كنفانهم : استخرج ما عندهم ، والكفانة : جمعة السهام . الفِدام :  
خرقة تُجَمَلُ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيْقِ لِيُصْفَوْا الْجُرْبَهَا . أَخْلَاقٌ : ثِيَابٌ بَالِيَةٌ . خَلَّاقٌ :  
نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنَ الْخَلِيرِ . يَنْبَاعٌ : مَخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْعَيُونِ . التَّنَكَّتْ : الْمَعَانِي  
الْفَامِضَةُ ، وَالْفَسْكَتَةُ : نَقْطَةٌ فِي شَيْءٍ تَخَالَفُ لَوْنَهُ ، فَإِذَا كَانَتْ فِي الْكَلَامِ فَهِيَ عَيُونُهُ .  
الْفُخْبُ : الْخُنْطَارَةُ ، بَدَائِعٌ : غَرَائِبٌ . ذُوبُ الذَّهَبِ : مَا ذَابَ مِنْهُ ، وَلَوْ أَنْشَدَهُمْ  
شِعْرًا يُوَافِقُ مَجْلِسَهُمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَيْتَاتِ النَّاشِي :

كَأَنَّهُمْ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَفْنَدَةٌ      تُحْسِنُ مَا أَخْطَرُوا فِيهَا وَمَا اعْتَمَدُوا  
يُبْدُونَ لِلنَّاسِ مَا تَخْفِي ضَمَائِرُهُمْ      كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْهَا الَّذِي وَجَدُوا  
دَلُّوا عَلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا بِظَاهِرِهَا      وَعَلِمَ مَا غَابَ عَنْهُمْ بِالَّذِي شَهِدُوا  
مَطَالَعِ الْحَقِّ مَا مِنْ شَبْهَةٍ غَسَقَتْ      إِلَّا وَمِنْهُمْ لَدَيْهَا كَوَكْبٌ يَقْدُ

أَوْ أَيْتَاتِ ابْنِ شَهِيدٍ حَيْثُ قَالَ :

وَفَتِيَّةٌ كَالْتَجْوِمِ حَسَنًا      كَأَنَّهُمْ شَاعِرٌ نَبِيلٌ (٢)  
مَتَّقِدُ الْجَانِبِينَ مَاضٍ      كَأَنَّهُ الصَّارِمُ الصَّقِيلُ  
رَأَوْا انْصِرَاجِي (٣) عَنِ الْمَعَالِي      وَالْقَرَبِ مِنْ دُونِهَا كَلِيلُ  
فَاشْتَدَّ فِي إِثْرِهَا مِسْحٌ      كُلٌّ كَثِيرٌ بِهِ قَلِيلُ

(١) حرة الفواص ٨٥ ، ٧٦ .

(٢) ديوانه ١٣٩ .

(٣) الديوان « انصرالي » .

في مجلس شانه التصافي تطيش في وصفه العُقُول<sup>(١)</sup>

قوله : خَلَبٌ ، أى خدع . وإِخْلَابٌ : الحجاب الذى بين سواد القلب وسواد البطن . تَحَلَّلَ : تحرك ، وأصله للبعير إذا حرَّكته للقيام تقول له : حل حل . هَاقَتْ : منعت وحبست . مَسْرَبٌ : طريق مَسِيلِ الماء ، وسرب يسرب سروباً : مضى على وجهه في سفر بعيد ، وسرب الماء يسرب مَرَباً ومسرَباً فهو سَرِبٌ : سال ، والمعنى منعت المشى . وَسَمَ قَدْحِكُ : علامة سهمك ، والقِدْحُ السهم قبل أن يُرَاشَ ويركَّب نصله . وَأَرْوَيْتَنَا من نضحك ، أى أسقيتنا من بَدَلِكُ ، والنضح : الرش الخفيف : قَيْضُكُ ومُحْكُ ، أى ظاهره وباطنه ، لأن القَيْضُ قشرة البيضة العليا وقلبها الأصفر هو المح ، بجاء غير منقوطة .

الفنجديهى : عن قَيْضِكُ ومُحْكُ أى عن نسبك وبلدك . صَمْتُ : سكت . أفعم : غلبَ وقطع عن الكلام . أعول : بكى . وشَوَّبَ أبى زيد وَرَوَّبه ، أى تخايطه في حيله ، والشوَّبُ : الخلط ، تقول : شُبِّتَ الماء باللبن ، أى خلطتهما والرَّوَّبُ : اتخاذ الرائب ، والشوَّبُ : اللبن الممزوج بالماء هنا ، والرَّوَّبُ : الخالص . ويقال : ما عنده شوَّب ولا روَّب ، أى لا مرق ولا لبن ، وقيل : الشوَّبُ العسل ، والرَّوَّبُ اللبن : وفلان يشوَّب ويروَّب ، أى يخلط ويصفي ، وأصله يَرَبُّ ، قلبت «يروب» طلباً للازدواج ، يضرب مثلاً لمن يخلط في القول والعمل والشوَّبُ والرَّوَّبُ جميعاً : الخلط ، وراب الرجل روَّباً : اختلط عقله ورأيه . أسلوبه : طريقه . المألوف الملتزم . صَوَّبَهُ : قصده وجانبه وصوابه . سهومة محيَّاه : تغير وجهه . سهُوكه رباه : تن رأخته من النحر وغيره . وقوله : فإذا هو إياه :

(١) البيت في الديوان :

في مجلس شابه التصافي وطأردت وصفه العُقُول

استعمل إِيَاءَهُ ، وهو ضمير منصوب في موضع الرفع ، وهو غير جائز عند سيبويه ، وجوزته الكسائي في مسألة مشهورة جرت بينهما :

### [ ذكر مسألة نحوية ]

قال الفنجديهي: سألت شيخنا العلامة إمام النحاة جمال العلماء ، أبا محمد عبد الوهاب بن بَرِّي بن عبد الجبار المقدسي عن شرحها ، فقال أيده الله: سألت شرح الله صدرَك ، وأعلى في منازل الشرف قدرك ، عن المسألة التي جرت بين سيبويه والكسائي ، وهي قوله : « كنت أظن أن المقرب أشدُّ لسمعة من الزنبور فإذا هو إياها » ، وسألت عن وجهِ النصب في « إياها » عند من أجاز ذلك . فاعلم أن مذهب النحويين البصريين في مثل هذه المسألة أن يكون ما بعد إذا مرفوعاً بالابتداء والخبر ، فيقال : فإذا هو هي ، على حدِّ ما في الكتاب العزيز : ﴿ فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ فإذا هي ثُمبانٌ مبین ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فإذا هنا ظرف مكان وليست كالزمانية ، وسأفرق بينهما . وتقديرها في نحو : خرجت فإذا زيد قائم : خرجت فبالحضرة زيد قائم ، والعامل في إذا ، قائم ، وإن شئت نصبت قائماً على الحال ، وجعلت الخبر في إذا ، كما تقول : خرجت فإذا زيد قائم فالقائم بالرفع على الخبر والنصب على الحال ، ومذهب الكوفيين في الحال أن تكون نكرة ومعرفة ، ومن هنا منع سيبويه من إياها في المسألة ، لأن المضمحل يقع حالاً لتعريفه وعدم الاشتقاق فيه ، والحال تكون نكرة مشتقة ، والكوفيون يميزون النصب على معنى : خرجت فإذا زيد قائماً . والأقرب عندي أن يريدوا فإذا هو موجود إياها ، فحذف الخبر وهو موجود لدلالة الكلام عليه ، ومثل هذا عندهم : أئن ضربته ليضربته السيد الشريف ، فينصبون السيد بإضمار ، فإذا حملته على هذا تخرج .

(٢) سورة الضحراء ٣٧ ، الأعراف ١٠٧ .

(١) سورة الأعراف ١٠٨ .

وحكى عن أبي زيد أنه سمع هذه المسألة من العرب ، بنصب «إياها» ، فإن صح أنه سمعها فهذا وجه ، ويجوز في قياس قولهم : أن يكون على إسقاط الكاف ، وهم يروون في الخبر : « ذكاة الجنين ذكاة أمه<sup>(١)</sup> » ، بنصب « ذكاة » يقدرون كذكاة أمه ، فتقديرها فإذا هو كذا ، أى فإذا الزنبور كالعقرب ، وهم يميزون إدخال الكاف على الضمير ، وسيبويه يمنعه إلا في الشعر كقول العجاج :

• وأم أوعالٍ كها أو أقربا •

وقال رؤبة :

فلا أرى بملأ ولا حلائلا<sup>(٢)</sup> كهم ولا كهمن إلا حافظلا

وأجاز بعض النحويين أن يكون «إياها» كناية عن الجملة ، التقدير : فإذا هو لسعته كلسعتها ، فكفى عن الجملة بقوله : «إياها» وينصب على الحال ، لأنها كناية عن الجملة ، وهي نكرة فتصير في حكم النكرة ، كما صارت الماء في : ربه رجلاً نكرة في المعنى ، لكونها كناية عن نكرة ، ولذا دخلت «رُب» هايتها ، وهي لا تدخل إلا على نكرة ، فهذا ما يقتضيه وجه النصب في «إياها» على ما ذكره الكوفيون ، والفرق بين إذا الزمانية والمكانية من أوجه :

أحدها أن الزمانية تقتضى الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط ، والمكانية تقع بعدها الجملة الابتدائية أو المبتدأ وحده .

والثانى : أن الزمانية تقتضى جوابا والمكانية لا تقتضيه .

والثالث : أن الزمانية مضافة إلى الجملة التى بعدها ، والمكانية ليست

مضافة إلى ما بعدها ، بدليل خرجت فإذا زيد ، فزيد مبتدأ وإذا خبره .

(١) الخبر في النهاية لابن الأثير ٢ : ١٦٤ . قال : والتذكية الذبح والنحر . . .

(٢) ديوانه ١٢٨ .

والرابع : أن الزمانية تكون في صدر الكلام ، نحو إذا جاء زيد فأكرمه ،  
والمكانية لا يُبتدأ بها إلا أن تكون جواباً للشرط ، كالفاء في قوله : ﴿ وإن  
تصيهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ .

والخامس : أن الزمانية تقتضي الاستقبال والمكانية تقتضي معنى الحضور ،  
لأنها للفجأة ، والمفاجأة للحاضر دون المستقبل .  
انقضى الكلام عليهما على جهة الاختصار .



فكتمت سيره كما يكتم الداء الدخيل ، وسمرت مكره وإن  
لم يكن يخيل ؛ حتى إذا نزع عن إغواله ، وقد عرف عثوري  
على حاله ، رمقني بعين مضحك ، ثم طفق يثشد بلسان  
متباك .

أستغفرُ الله وأعوذُ له من فرطات أثقلت ظهريه  
با قومٍ كم من عاتقٍ عانسٍ

تمدوحة الأوصاف في الأندية  
قتلها لا أتقي وارناً يطلب مني قوداً أودية  
وكل ما استذنبت في قتلها أحلت بالذنب على الأفضية  
ولم ترن نفسي في غيرها وقتلها الأبنكار مستشرية

قوله : الداء الدخيل ، هو الذي لا يتكلم به استقباحاً له أو لعله . يخيل :  
يشبه ويشكل ، وخال يخيل : اشتبه . نزع : كفت ، إغواله : بكائه . عثوري :  
اطلامي . رمقني : نظر إلي . بعين مضحك ، أي كثير الضحك . متباك :

مستعمل للبكاء بتكلف . أعنو : أذل . فرطت : سقطت وزلات . عاتق :  
 شابة قد أدركت ولم يبين بها زوجها ، بل هي بكر ، ويريد بها الخمر التي لم  
 يفض أحد خاتمها . وهانس : طالت إقامتها في بيت أبيها . الأندية : المجالس .  
 القود : قتل النفس بالنفس . استذنبت : نسبت إلى الذنب : الأفضية : جمع  
 قضاء ، أي كلما قيل لي : فعلت هذا الذنب ؟ قلت : إنما هو قضاء الله وقدره ،  
 وأخذ هذا المعنى من قول الحسين بن الضعك :

واتركي التذلل على من قاله وانسي جوري إلى حكم القضا<sup>(١)</sup>

ولهذا البيت حكاية أدبية ، قال الحسين : كانت لي نوبة في دار الوائق ،  
 فبينما أنا نائم ذات ليلة ، إذ جاءني خادم من خدام الحرم ، فقال لي : إن أمه  
 المؤمنين بدعوك ، فقلت له : وما الخبر ؟ قال : إنه كان نائماً إلى جنب حظيته  
 فقام وهو يظنها قائمة ، فلم يجارية أخرى ، وعاد إلى فراشه ، ففضبت حظيته  
 وتركته حتى نام ، ثم قامت ، ودخلت حجرتها فانتبه وهو يظنها عنده ، فطلبها  
 فلم يجدها ، فقال : مني اختلس كريمتي ، ويحكم أين هي فأخبرناه أنها قامت  
 غضبي ومضت إلي حجرتها . فدعا بك ، قال : فضيت مع الرسول وروبت  
 أبيانا في طريقي ، فلما جئته خبرني القصة ، وقال لي : قل في هذا شيئاً ، ففكرت  
 هنيئة كأنني أقول شعراً ، ثم أنشدته الأبيات :

غضبت أن زرتُ أخرى غضبةً      فلها العثمى علينا والرّضا<sup>(١)</sup>  
 يا فدتك النفس كانت هفوةً      فاغفريها واصفعي همّا مقي  
 واتركي التذلل على من قاله      وانسي جوري إلى حكم القضا  
 فلقد نبتني من رقدتي      وعلى قلبي كثيران الغضي

فقال : أحسنتِ بحياتي ، أعددها عليّ يا حسين ، فأعدتها عليه حتى حفظها .  
وأمر لي بمخمسائة درهم . فقام ومضى إلى الجارية فأنشدها الأبيات فتراضيا ، فكان  
بمدُّ إذ رأني تبسّم لموقع الأبيات ونجحها عند الجارية ، والإحالة على القضاء  
بالذنب هو مذهب الجبزية فمن فعل منهم ذنبا قال : لا ذنب لي ، إنما قُدِّرَ  
عليّ ومذهب القدرية خلافه ، قال الشاعر في رده :

إذا أذنبوا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ وما العار إلا ما تجرُّ المقاديرُ

وقوله : غيها ، أي فسادها . مستشربة : لاحية مصصمة ، واستشري الشيء :  
انتشر ، واستشري في أمره : لج فيه .

### [ وَأَدُّ الْبِنَاتِ ]

والقتل الذي ذكره للبنات هو الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية ، قال الله  
سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾

والمؤودة : التي تُدفن حية ، فتنقل بالتراب ، والوَأَدُ : القتل .

وورد قيس بن عاصم المِنقرِيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له :  
بعض الأنصار عن وأد البنات ، فقال قيس : ما ولدت لي بنتٌ إلاّ وأدتها ،  
وما رحمت منهنّ إلاّ واحدة ولدتها أمها ، وأنا في سقرٍ ، فدفعتها إلى أخوالها ،  
وقدمت فسألت عن الحمل ، فأخبرت أنها ولدت ميتاً . ومضت سنون ، حتى  
ترعرعت ، فزارت أمها ذات يوم ، فدخلتُ فرأيتها قد ضفرت شعرها ، وجعلت  
في قرونها خيبتاً من الخلق ، ونظمت عليها ودعاً ، وألبستها قلادة ، وجعلت في  
عنقها محنقة ، قلت : مَنْ هذه الصبية فقد أعجبتني حسنّها ؟ فبكت ثم قالت : هذه  
ابنتك ، كنت خبّرتك أنّي ولدت ميتاً ، وهذه التي ولدت ، فجعلتها عند خالها ،  
وبلغت لهذا المبلغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتغلت أمها ، ثم أخرجتها يوماً ، فخرتُ

حفرة فجعلتها فيها ، وهي تقول : يا أبت أنفطيني بالتراب ا حتى واريبتها وانقطع صوتها ، فارتحت واحدة منهن ممن وأدت غيرها . فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِنْ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ »<sup>(١)</sup> .

وذكر<sup>(٢)</sup> أن قيساً وأدّ بيده بضع عشرة ابنة ، وكان السبب في وأد البنات أن المشرج<sup>(٣)</sup> اليشكري أغار على قوم قيس ، فسبنا نساء فيهن ابنته وابنة أخيه ، فدخل قيس إليهم فسألهم أن يهبوها له ، فوجد المشرج قد اصطفاهما لنفسه ، فسأله إياها ، فقال : قد جعلت أمرهما إليهما ، فإن اختارتاك فخذها ، فاختارتا المشرج ، فانصرف فوآد كل ابنة له خوفاً من الفضيحة ، فاقترنت به العرب في ذلك .

قال الهيثم : إن الواد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة ، وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة ، فجاء الإسلام ، وقد قلّ إلا في تميم .

وقيل : كان الواد في تميم وقيس وبكر وهوازن وأسد ، تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشدد وطأتك على مُضَرّ واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » ، فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ، ولهذا جاء تحريم الدم ، وهذا خبر بين أن الواد كان للتعاجل لا للأنف ، وبه نزل القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا يَتْلُونَ أَوْلَادَهُمْ ﴾ .

ومن ذكر أنه كان أنفة وأنه كان في تميم ، ومن جاورهم فيحتاج بحديث أبي عبيدة ، أن تيمما منعت النعمان الإتاوة ، فوجه إليهم أخاه الريان ، وجل من معه من بكر بن وائل ، فاستاق النعم وسبى الدراري . وفي ذلك يقول للمشرج اليشكري :

(١) الخبر في الأغاني ١٤ ، ٦٩ ، ٧٠ . (٢) الخبر في الكامل ٢ : ٨٢ . (٣) ط : « المستخرج ، تصحيف ، وفي الأغاني ونهاية الأرب ٤ : ١٢٧ » عمرو بن المشرج .

( ١٢ — شرح مقامات الحريري ج ٤ )



لما رأوا راية النعمان مُقْبِلَةً      قالوا ألا لئيت أدنى دارنا عدنُ  
يأليت أمّ تميم لم تسكن عرفتُ      مرّاً<sup>(١)</sup> وكانت كمن أودى به الزمنُ  
وقال النعمان في جوابه :

لله بكرٌ غداة الرّوع لو بهمُ      يرُمى ذرا حصنٍ زالت بهم حصنُ  
إذ لا أرى أحدًا في الناس يُشبههم<sup>(٢)</sup>      إلا فوارس خامت عنهم المينُ  
فوفدت إليه تميم ، فأناب إليهم ، وأحب البُتيا . وقال :

ما كان ضرّ تيميا لو تعمدها      من فضلنا ما عليه قيسُ عيلانِ

فسألوه النساء ، فقال: كل امرأة اختارت أباهما ردت إليه ، وإن اختارت صاحبها تركت عنده فكلهن اخترن آباءهن إلا ابنة قيس بن عاصم ، اختارت صاحبها عمرو بن المشرح ، فنذر قيس : ألا تولد له ابنة إلا قتلها . فهذا شيء يعقل به من وأد البنات ، ويقول : فعلناه أنفة ، وقد كذب بما أنزل الله تعالى في القرآن الحميد . وأين فعل قيس في الواد وقساوة قلبه من فعل مصمصمة بن ناجية بن عقاب جد الفرزدق ! فإنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية لنفسى ، أبنفنى ذلك لليوم ؟ قال : وما عمالك ؟ قال . أضللت ناقين عشرين<sup>(٣)</sup> ، فركبت جملا ومضيت في بُغائهما ، فرُفِع لي بيت فقصدته ، فإذا شيخ جالس بفناء الدار ، فسألته عنهما ، فقال : هما عندي ، وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك مُعمر ، فجلستُ عنده ليخرجا إليّ ، فإذا عجوز قد خرجت من كبر البيت ، فقال لها : ما وضعتُ ؟ فإن كان ذكرًا أشاركناه في أموالنا ، وإن كان أنثى وأدناها !

(١) ط : « مروا » تصحيف . (٢) الكامل : « أشبههم » .

(٣) المشترى : الناقة التي أتى عليها مذحلت عشرة أشهر .

فقلت : وضعت أنتي ، فقلت : أتبيعنيها ؟ فقال : وهل تبيع العرب أولادها ؟  
قال : فقلت : إنما أشتري حياتها لارقيها ، فقال : بكم ؟ فقلت : احتكم ،  
قال : الناقتين والجل ، قلت : ذلك لك ، على أن يبئني وإياها الجل ، ففعل .  
فأمفت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة في العرب ، أشتري كل  
موهودة بناقتين ووجل ، فمندی إلى هذه الغاية ثمانون ومائة موهودة ،  
قد أنقذتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينفعك ذلك ، لأنك لم  
تبيع وجه الله ، وإن عمل في إسلامك عملاً صالحاً تذب عليه » .

وقال الفرزدق يفتخر بفعل جدّه على جرير :

ألم تر أنا بنو دارمٍ زُرارة منّا أبو مَعْبَدٍ<sup>(١)</sup>  
ومنا الذي منع الوائداتِ وأحيا الوئيد فلم تؤادِ  
أبطلب مجدّ بني دارمٍ عطيةُ كالجعل الأسودِ  
قرّ نبى يحكّ قفا مُقرّفٍ لثيمٍ ماثره قفدُ  
ومجدّ بني دارمٍ دونه<sup>(٢)</sup> مكان السماكين والفرقدِ

وعطية هو أبو جرير ، ويأتي في الأربعين .

وجاء في الحديث الترغيب في إكرام البنات ، قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم . « من ابنتي بشيء من هذه البنات ، فأحسن إليهن كن له ستراً من  
النار » . وفي طريق آخر « من كان له ثلاث بنات ، وثلاث أخوات أو بنتان ،  
أو أختان ، فأحسن صحبتهم والله انتهى فيهن » ، فله الجنة .

ولبهضهم تهنئة بمولودة : اتصل بي خير المولودة ، كرم الله غرضها ، وأبنتها  
غياتاً حسناً ؛ وقد علمت أنهم أقرب إلى القلوب ، وإن الله عز وجل قد بدأ بهن

(١) ديوانه : ٢٠٥

(٢) الديوان : « فوقه » .

في التريب، قال سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكُورَ﴾<sup>(١)</sup>  
وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى، وبحسن التقبل أخرى.

وقال بعض الشعراء:

أَحِبَّ البِنَاتِ وَحُبَّ البِنَاتِ فَرَضَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ  
فَإِنَّ شَعِيبًا مِنْ أَجْلِ ابْنَتَيْهِ أَخَذَهُ اللهُ مُوسَى كَلِيمَةً  
وفي الحديث: « دَفَنُ البِنَاتِ مِنَ المَكْرُمَاتِ » .

مزى رجلٌ يحيى بن خالد في حرمة له، فقال: أيها الوزير دفن الحُرَمِ من  
النِّعمِ، ثم قال:

تَمَزَّ إِذَا رُزِنْتَ فَخَيْرُ دَرَعٍ بِسِرْبَلٍ لِمَصَائِبِ دِرْعٍ صَبِيرٍ  
فَلَمْ أَرِ نَمَةً شَمَتُ كَرِيمًا كَمُورَةٍ مَسْمُومَةٍ سُمِّتَتْ بِقَبْرِ  
وقال عمر بن أبي علقمة المري:

إِنِّي وَإِنْ سَيِقَ إِلَى المَهْرُ أَلْفٌ وَعَبْدَانُ وَذَوْدٌ عَشْرُ  
• أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَى القَبْرِ •

وقال إسحاق بن خلف:

لَوْلَا أُمِيمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ التَّدَمِّهِ  
تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا  
وَلَمْ أَجِبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدَسَ الظُّلْمِ  
وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الحُرَمِ<sup>(٢)</sup>

(١) ط: « أبو اسحاق » ، وهو خطأ .

(٢) ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١ : ٢٧٤ ، وبمده هناك :

وزادني رغبة في العيش معرفتي  
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يُبْلِمَ بها  
ذلَّ القيمةَ ينفوها ذورَ الرَّحِمِ  
فِيهِتِكَ السُّتْرُ عَنِ الحِمِّ عَلَى وَضْمِ

وقال عبید الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلّ أبي بنتٍ براعي شئونها      ثلاثة أصهارٍ إذا ذُكِرَ الصَّهْرُ  
فبيتٌ يغطُّها وبعْلٌ بصونها      وقَبْرٌ يوارِيها وخيرُهم القَبْرُ

وقال آخر :

لأنّ يأسنَ منها فقد زوجتُها      كفوا وضَمِنْتَ الصَّدَاقَ مَلِكًا

• • •

حتى نَهَانِي الشَّيْبُ لَمَّا بَدَا      في مَفْرَقِي عن تَدَكُّمِ التَّغْصِيَةِ  
فلم أَرِقْ مَدَّ شَابِ فَوْدِي دَمًا      من عَاتِقِ يَوْمًا وَلَا مُضْبِيَةِ  
وهأنذا الآنَ على ما يَرَى      مَنِّي وَمِنْ حِرْفِي المَكْدِيَةِ  
أرْبُ بِكَرًا طَالَ تَعْنِيْسُهَا      وَحَجْبِيهَا حتى عن الأَهْوِيَةِ  
وهي على التَّعْنِيْسِ مَخْطُوبَةٌ      كخِطْبَةِ الغَانِيَةِ المُغْنِيَةِ  
ولَيْسَ يَكْفِيَنِي لِتَجْهِيْزِهَا      على الرِّضَا بالدُّونِ إلَّا مِيَةِ  
واليدُ لا تُوَكِّي على دِرْهَمٍ      والأَرْضُ قَفْرٌ والسَّمَاءُ مُضْحِيَةِ  
فإنَّ مَعِيْنِي على نَقْلِهَا      مصْحُوبَةٌ بِالقَيْنَةِ المُلْهِيَةِ  
فِيغْسِلُ الهَمُّ بِصَابُونِهِ      وَالقَلْبَ من أَفكارِهِ المَضْيِيَةِ  
ويقتني مَنِّي الثَّنَاءَ الَّذِي      تَضُوعُ رِيَاءُ مع الأَدْعِيَةِ

• • •

قوله : فَوْدِي ، أي ناحية رأسي . مُضْبِيَةِ : لها صَبْوَةٌ ، أو يصبو إليها  
مَنْ رَأَاهَا ، وجعل الحجر مُضْبِيَةً ، لأنها تغلب شرابها فتصيرهم سكارى ، عقولهم

مقول الصبيان ، فهي تلعبُ بهم كما تلعبُ الأمُ بصبيانها . حِرْزٌ فِتْيَى : صنعَى  
 للكدية : الصعبة ، وأكدى الحافرُ : بلغ كدية ، فرفع عن الحفر آيساً من الماء  
 ثم اصقَمير لغير ذلك أُرْبٌ : أصلح . تَمَنَيْسَهَا : إقامتها بغير زوج .

قال عمر رضى الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مكروب  
 فى القوراة : مَنْ بلغت ابنته اثنتى عشرة سنة ، فلم يزوجها فأصابت إثمًا فإثم  
 ذلك عليه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ بلغ له ولد النكاح وعنده ما ينكحه به فلم  
 ينكحه ، فأصاب إثمًا فالإثم بينهم ما » . ويُعْنَى بها خيراً قديمة حجبتها عن الأهوية ، لئلا  
 يُفسدها الهواء .

قوله : مخطوبة : مطلوبة . الغانية : البارعة الجمال التى غنيت بحسبها عن  
 الزينة ، قال الرستمى : أصلها فى ذات الزوج التى استغفت بزواجها ، ثم قيل  
 فى غير ذات الزوج . قال عماره : هى الشابة التى تعجب الرجال ويعجبونها . المغنية :  
 التى نشأت فى النوى ، وأغنى بمعنى استغنى ، والمغنية أيضاً : التى تغنى زوجها عن  
 غيرها لكامل خصالها . نوكا : تُشد وتربط ، والوكاء : الخيط يشد به فم الوعاء .  
 وراود عبداً فى الجاهلية ابنة سيده عن نفسها ، فأمكنته حتى بلغ أربه  
 منها ، ثم عمدت إليه فحبته . فقال لها أبوها فى ذلك ، فقالت : مَنْ ورد غير مائه ،  
 صدر بمثل حاله ، إن العبد لمن نوكة قد ابتذل إناء لم يوكه ، فقال أبوها : يا بنيتي  
 لاشلأ ولا هي .

ومتيه : محذوفة اللام ، ولا يدري أوأولامها أم ياء ، قاله صاحب العين .  
 وقال ابن الأعرابي : أمأيت القوم ، وأمأيتهم : صاروا بى مائة ، نفى مآبت  
 دليل قاطع على أن اللام ياء .

وقال الفراء رحمه الله تعالى وكُراع : أصلها مِثية ، وأنشد :

قلتُ والرَّكبُ قد تُخْطِبه منيَّته أَدنى عطياتِ آبائي مَثباتُ

قوله : قَفَرٌ : غير هامة . مُصْحِيَةٌ : زال سحابها ، ضربه مثلاً للخُلُوِّ من المال ، فلا في أرضه خصب فتعمر من أجله ، ولا في سمانه سحاب فيرجى خيرها . وقد تقدّم لغيري مطر .

الفَيْئَةُ المَلِيَّةُ : الجارية المغتبية ، وهي في كلام العرب الأمة ، مَفْنِيَةٌ كانت أو غيرَ مَفْنِيَّة ، قال زهير :

• رَدَّ القِيانَ جِمالَ القومِ ناحتلوا<sup>(١)</sup> •

واشتقاقها من قُنْتُ الشيءَ أَقِينَهُ قَيْنًا ؛ إذا لمته ، قال الشاعر :

ولى كَبِدٌ مجرّوحةٌ قد بدا بها صدُوعُ الهوى لو أن قَيْنًا يَقيِمُها<sup>(٢)</sup>

ولهذا سُمِّيَ الصُّواعُ والحِدادُ قَيْنًا ، والماشطة قَيْنَةٌ .

قوله : فيفضل الهمّ بصابونه : يعنى فينقى هَمِّي بالخمر لأنها تنفى الهمَّ والحزن والغم كما يفضل الصابون وسخ الثوب . المضنية : المرّضة . يقتنى : يكتسب . نضوعَ رِيّاه : تتحرك رأحتّه ، يريد أنه يكتسب منه السامع الدهاء فيثني عليه ثناء حسنًا في الدنيا ويدعوه بالآخرة ، ويقال : ضاع المسك بضوع ، أى انتشرت رأحتّه ، وقال الشاعر :

وما هو إلاّ السِئكَ عند ذوى الحمى

بِضُوعٍ وعند الجاهلين بِضُوعٍ

(١) ديوانه ١٦٤ ، وبقيته :

• إلى الظهيرة أمرٌ بينهم لِيكُ •

(٢) اللسان - فبن

قال الراوى : فلم يَبْقَ فى الجماعة إلا مَنْ نَدَيْتَ له كَفُهُ ،  
وانبأعَ إليه عُرْفُهُ فَمَا نَجَحَتْ بُعَيْتُهُ ، وَكَمَلَتْ مِئْتُهُ ، أَخَذَ يُبْنِي  
عليهم بِصَالِحٍ ، وَيُسَمِّرُ عن ساقِ سَارِحٍ ؛ فَتَبِعْتَهُ لِاسْتِعْرَافِ رَبِيبَةِ  
خَدْرِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ فى حَدَثَانِ أَمْرَهُ ، فَكَأَنَّ وَشَكَ قِيَامِي ، مِثْلَ له  
مَرَامِي . فَازْدَلَفَ مِنِّي ، وَقَالَ : افْتَقَهُ عَنِّي :

قَتَلَ مِثْلِي يَا صَاحِبَ مَزْجِ المَدَامِ لَيْسَ قَتْلِي بِلَهْذَمٍ أَوْ حُسَامٍ .  
وَالَّتِي عُنُسَتْ هِيَ البِكْرُ بِنْتُ الكَرَمِ لا البِكْرُ بِنْتُ الكَرَامِ .  
وَلتَجْهِيْزَهَا إِلَى الكَأْسِ وَالطَّاءِ سِ قِيَامِي الَّذِي تَرَى وَمُقَامِي  
فَتَفَهَّمْ مَا فَانَسَهُ وَتَحَاكَمْ فى التَّغَاضِي إِزْنَشْتُ أَوْ فى المَلَامِ .

ثم قال : أَنَا عَرِيدٌ ، وَأَنْتَ رِعْدِيدٌ ، وَبَيْنَنَا بَوْنٌ بِمِيدٍ . ثُمَّ  
وَدَّعْنِي وَأَنْطَلَقَ ، وَزُوْدَنِي نَظْرَةً مِنْ ذِي عَمَقٍ .

\*\*\*

نَدَيْتَ : كَرَمْتَ . انبأعَ : سَأَلَ . عُرْفُهُ : مَعْرُوفُهُ . نَجَحَتْ : انْقَضَتْ وَتَمَّتْ ،  
بُعَيْتُهُ : طَلِبَتُهُ . طَفِقَ : أَخَذَ وَجَمَلَ . سَارِحَ : ذَاهَبَ ، يَرِيدُ أَنَّهُ شَمْرٌ لِّلسَيْرِ ،  
وَأَضَافَ سَاقًا لِسَارِحٍ ، وَهُوَ يَرِيدُ : مِنْ سَاقِ رَجُلٍ سَارِحٍ ، أَى ذَاهِبٍ . رَبِيبَةُ  
خَدْرِهِ ، أَى أَلَّتِي رَبَاهَا فى بَيْتِهِ ، وَرَبِيبَةُ الرَجُلِ بِنْتُ امْرَأَتِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، قِيلَ لَهَا  
ذَلِكَ لِأَنَّهُ بِرَبِيبِهَا فَهِيَ «فَعِيلَةٌ» بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ ، فَأَصْلُهَا مَرْبُوبَةٌ ، وَيُقَالُ : رَبٌّ فُلَانٍ  
فُلَانًا وَرَبَاهُ وَرَبِّبَهُ وَتَرَبَّبَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . حَدَثَانٌ : أَوَّلٌ . وَشَكَ : سَرَعَةٌ .  
مَرَامِي : مَرَادِي وَمَطْلَبِي . اذْدَلَفَ : قَرَّبَ ، وَيُقَالُ : قَتَلْتُ الحِمْرَ ، إِذَا مَزَجْتَهَا ،  
وَقَدْ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ : مَزْجِ المَدَامِ .

## [ حكايات وأشعار حول الحجر ]

قال الأخطل :

قتلت اقتلواها عنكم بِمَزَاجِهَا وَأَحْبِبْ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ<sup>(١)</sup>

وكان الأخطل خليماً ، فأثى هنا على المزوجة . وقال في التي لم تمزج :

وَكَأْسٍ مِثْلَ مِثْلِ مِثْلِ الدَّبِكِ صَرَفٍ تُنْسَى الشَّارِبِينَ لَهَا الْعُقُولَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا شَرِبَ الَّتِي مِنْهَا ثَلَاثًا بِغَيْرِ الْمَاءِ حَاوِلَ أَنْ يَطُولَا  
 حَشَى قَرَشِيَّةً لَاشَكَّ فِيهَا وَأَرخَى مِنْ مَازَرِهِ الْفُضُولَا

• • •

وأصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردة ، فأنشد هذه الأبيات ، ثم قال :  
 كأنَّ الأخطل الآن في حانوتِ خمارٍ محلَّلِ الإزار ، مستقبلَ الشمسِ . ثم بَعَثَ  
 من يطلبه بدمشق ، فوجده كما وصف .

وقال له يوماً : ألا تسلِّم فنفرِضُ لك في الفء ونعطيك عشرة آلاف درهم ؟  
 قال : فكيف بالحجر ؟ فقال له عبد الملك : وما تصنع بها ، وإن أولها مرٌّ وآخرها  
 سُكَّر ! قال الأخطل : وفيما بين هاتين منزلة مايسرُّ لِسُكِّهَا .

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه وقد أعطى كأس خمر ممزوجة :  
 إِنِ الَّتِي نَاوَلْتِنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ - قُتِلَتْ - فَهَاتِهَا لِمُتَلِّ<sup>(٣)</sup>  
 كِلْتَاهَا حَلَبَ العَصِيرِ فَمَا طِئِي بُرْجَاجَةَ أَرْخَاهَا لِلْمَنْفَعَلِ  
 فدعا بالقتل على الذي أعطاهها له ممزوجة .

(١) ديوانه ، ، وروايته : « فأطيب بها ، » .

(٢) ديوانه ٣١١

(٣) ديوانه ٣٧١



وذكر الحريري في الدرّة<sup>(١)</sup> البيتين ، وقال في قوله : « أرخاها » القياس : أشدّها إرخاءً لفصل ، لأن أصل هذا الفعل أرخى ، فبناؤه ليس مقيساً كما قالوا : « ما أحوجه إلى كذا فبنوّه من حوج ، وإن كان قياسه : ما أشدّ حاجته .  
ولهذين البيتين حكاية يحسن أن نعقبهما بروايتها ، ونضوع نشرها بنشر مُلحِها ، وهي ما رواه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه ، قال : حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال : حدّثنا أحمد بن عبد الملك بن السّمك السعدي قال : حدّثنا أحمد بن ظبيان الحائز ، قال : اجتمع قوم على شراب لهم ، ففنام مفتفيهم يشعر حسان : « إن التي » البيتين . فقل بعضهم : امرأتي طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علّة هذا الشعر ، لم قال : « إن التي » ، فوحّد ، ثم قال : كلتاها ، ففتى ؟ فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ، ومضوا يتخطّون القهائل ، حتى انتهوا إلى بني شقرة وعبيد الله ابن الحسن يعلّو ، فلما فرغ من صلواته قالوا : قد جئناك في أمرٍ قد دعوتنا إليه ضرورة ، وشرحوها له خبّرهم ، وسألوه الجواب ، فقال :

• إن التي ناولتني فرددتها •

هتّى بها المزوجة بالماء ، ثم قال : من بعد : كلتاها حلب العصير ، يريد الخمر المحتلبة من العنب ، والماء المتحلب من السحاب ، المكتفى عنها بالمعصرات في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا ﴾ ، قال الشيخ الإمام الأجلّ الأوحّد العالم أبو محمد أدام الله سعادته : فهذا ما فسرّه به عبيد الله بن الحسن .  
وقد بقي في الشعر ما يحتاج إلى كشف سرّه ، وتبيان نكته ، أما قوله :

إن التي ناولتني فرددتها فقلت فقلت ...

فإنه خاطب به الساقى الذي كان ناوله كأساً ممزوجة ، لأنه يقال : فقلت الخمر إذ امزجتها ، فكأنه أراد أن يعلمه أنه قد فطن لما قد فعله ثم ما اقتنع منه بذلك

حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج . وقد أحسن كل الإحسان في تجنيس اللفظ ،  
ثم إنه عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه ما لم تقتل - يعني العُرف - التي لم تمزج .

وقوله : أرخاها للفصل ، يعني اللسان ، ومُسمىً مفصلاً بكسر الميم ، لأنه به  
يفصل بين الحق والباطل ، وليس فيما اعتمده عبید الله بن الحسن من الإسماح  
وخفض الجناح ، ما يقذف في نزاخته أو بغض من نُبله وبراعته .

ويضارع هذه الحكاية في وطأة القضاة المتقشفين المستفتين وتلايئهم في  
مواطن اللين ، ما يحكي أن حامد بن العباس ، سأل علي بن عيسى في ديوان  
الوزارة عن داء الخمار ، وعن دوائه ، فأعرض من كلامه ، وقال : ما أنا وهذا  
للسألة انزعج حامد منه ، ثم التفت إلى قاضي القضاة أبي عمرو ، فسأله عن ذلك  
فتنحنتح القاضي لإصلاح صوته ، ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ نَزْلُ  
نُفُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام :  
« استمعينوا على الصناعات بأهلها » . والأعشى هو المشهور في الجاهلية بهذه  
الصناعة ، قال :

وكأسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَوَيْتُ مِنْهَا بِهَا <sup>(٢)</sup>  
لَسِكِي يَلْمُ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُؤٌ أَنْتِ الْمُرُوءَةُ مِنْ هَاهُنَا

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام ، فقال :

دَعُ هُنَاكَ لَوْمِي فَإِنَّ الْاَوْمَ إِغْرَاهُ وَدَاوِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ <sup>(٣)</sup>

فأسفر حينئذ وجه حامد ، وقال لعلي بن عيسى : ما ضرك يا بارداً أن نجيب

(١) سورة المائدة ٤١

(٢) دايونه ١٧٣

(٣) ديوانه ٢٣٤

بعض ما أجاب به قاضي القضاة ؛ وقد استظهر في جواب المسألة بقوله سبحانه  
 أولاً ، ثم بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ثانياً ، وبين الفتيا وأدى المعنى ،  
 ونفقى من المهدة . فكان خجل على بن عيسى من حامد بهذا الكلام  
 أكثر من خجل حامد منه ، لما ابتداءه بالمسألة وتبع حسان مسلم بن الوليد ،  
 فقال وأحسن :

إذا شئنا أن نسقياني مُدَامَةً      فلا تقتلاها كلَّ مَيِّتٍ محرَّمٍ (١)  
 خَلَطْنَا دَمًا مِنْ كَرَمَةِ بَدْمَانِنَا      فأظهِرَ في الألوانِ مِثْلَ دَمِ الدَّمِ  
 وقال أبو نواس في الصَّرف :

وَكُمَيْتٍ أَرَقَّتْهَا وَهَجَّ الشَّمْسُ      وصيفٌ يَفِي بِهَا وَشْتَاءُ  
 لَمْ يَشْنُهَا الطَّاهِي بِطَبِخٍ وَلَاغِي      رَهَا عَنِ طَبِيعَةِ الكَرَمِ مَاءُ  
 وقال فيه أيضاً :

تَوَارَتْ عَنِ الأَبْصَارِ مِنْ عَيْدِ آدَمِ      حِذَارًا لِكُونَ المَاءِ بِوَمَا قَرِينُهَا (٢)  
 فَضُنَّهَا عَنِ المَاءِ القَرَارِ وَأَسْقَى      فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ نَسْقِي مِتَّ دُونَهَا  
 على أنه القائل :

أَلَا دَارِهَا بِالمَاءِ حَتَّى تَلِينَهَا      فَلَنْ نَكْرَمَ الدَّهْبَاءَ حَتَّى تَهَيِّفَهَا  
 وقال أبو نواس لإخوانه في مرض موته : إياكم والخمر صرِّفًا فإنها أحرقت  
 كبدى ، قال ابن رشيقي :

قِدْرُ المُدَامَةِ فَوْقَ قِدْرِ المَاءِ      فَارْغَبْ بِكَأْسِكَ عَنِ سِوَى الأَكْفَاءِ (٣)

(١) ديوانه ١٧٩ .

(٢) ديوانه ٣٤٩ .

(٣) التنف ٥ .

مالي ومزجَ الرّاح إلّا في في  
 ذاك المزاج وإن تعدّاني الذي  
 أشهى وأبلغ في الفؤاد مسرة  
 لي الصّرف إن زج النديم ولم أكن  
 بالريق من فم غادة حساء  
 في لزن من ذي رقة وصفاء  
 من غيره وأدب في الأعضاء  
 مستأثراً فيها من التّدماء

وقال أيضاً :

قلت لمن ناوأتني مُرّة  
 لا نسقى راحك بمزوجة  
 ما راحتي في الرّاح إن غُيرت  
 ما بي حبّ الفيد بل حبّها<sup>(١)</sup>  
 واشرب فسا يمكثني شربها  
 دعها كما جاء بها ربّها

ونصلُ بهذا التّمط ، ما قيل في نبيذ الزيب ، قال أبو الأسود الدؤلي :

دع الخمر يشربها الفؤادُ فإنّي  
 فإن لا يكنها أو نكنه فإنه  
 رأيتُ أخاها مغنياً بمكاتبها  
 أخوها غدّته أمه بلبانها

يقول : إن لا يكن الزيب الخمر أو الخمر الزيب ، فإنهما أخوان غديا باين واحد  
 وهي الحبة التي هي أصل العنب والزيب ؛ فأحدهما ينوب مناب الآخر ،  
 وأنشد الخماضي :

تركتُ الخميّا لستُ أختار شربها  
 ولكنّ آخرى من نبيذ معثق  
 وما حاجتي في أن أمرّ الأهدابا  
 بمنّيك إن أكرت منه الأمانيا  
 أخو الخمر من عنقودها غير أنهم  
 إذا قطعوها جفّفوه لباليها

قال المأمون : نقلت هذا المعنى بأبيات ملوكية لا تحضر السوقة بمثلها :

صلى النذمان يوم المهرجان بكأس من معتقة الدنان  
 بكأس خمر وإني عتيق فإن العبد عبس خرواني  
 وجنبي الزبيبين طرا فشان ذوى الزبيب خلاف شاني  
 فأشربها وأزعمها حراما وأرجو عفو رب ذى امتنان  
 وبشرها ويزعمها حلالا وتلك على الشقي حارنان

سأل رجل شريحا القاضى : هل النبيذ حلال أم حرام؟ فقال : حلال، فقال :  
 قلبه خير أم كثيره؟ قال : قلبه ، قال الرجل : ما رأيت حلالاً وقلبه خير من  
 كثيره إلا هذا .

وقال فتية بن مسلم لقاضى مرو : بلغنى أنك شربت النبيذ ، قال : نعم  
 أصلحك الله ! أشرب منه ما بسلى العقل ويطيب النفس ، ويغنى عن الماء، ويهضم  
 الطعام ، قال : فما أبتيت؟ قال : أبتيت أخبثه وأرداه ، الاتكاء على الشمال ،  
 ومنادمة الرجال ، والاختلاف إلى المبال .

وترك رجل النبيذ فقبل له : ليم تركته وهو رسول السرور إلى القلب؟ فقال :  
 ولكنه بس الرسول ! يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الرأس .

• • •

قوله لثم : هو سنان الرُمح . بنت الكرم : الخمر ، وتجنمبها :  
 حملها . والطاس : إناء الخمر كالإبريق يصب منه الشراب في الكأس ،  
 وجمه طاسات ، قال الناشي :

وكانما الطاسات تما حزلها من نورها يسبحن في ضحاح  
 لو بث في غسق الظلام ضياؤها طلع المساء بغرة الإصباح

[ مما قيل في ذم الغناء ومدحه ]

وقدم في المقامة أنه لا يجتزمها إلا مصحوبة بالقيئة، أي لا يشربها إلا بالغناء .  
وقد ذموا الغناء ومدحوه ، فأما ذمه ، فقال السكندى : الغناء برسام  
حاد ، لأن المرء يسمع فيطرب ، ويسبح فيفتقر ، فيغمم فيمرض فيموت .

وقال يزيد بن الوليد : إياكم والغناء فإنه يسقط المروءة ، وينقص الحياء ،  
ويبدى العورة ، ويزيد في الشهوة ، وإياه لينوب عن الخمر ، ويصنع بالعقل  
ما يصنع به السكر وإن كان ولا بد فجنّبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنا .

وأما مدحه فقال ربيعة بن عبد الرحمن : السماع مطربة ، وهو من نتيجة  
العقل ، فمن كره السماع ، دلّ بذلك على قلة عقله .

وقال بعض الفلاسفة ، جعلت اللذات خمسا في خمس ، فجعل المس لليدين ،  
والشمّ للمنخرين ، والسمع للأذنين ، والذوق للسان ، واللون للعينين ، وعلى كل  
جراحة تعب من اللذات إلا النّعمة ، فإنه لا تعب هلى الأذنين فيها ، ولذلك  
صار الناس كلهم عربّهم وعجميّهم ، صغيرهم وكبيرهم مشتركين فى الإصاخة  
إلى النّعمة الحسنة ، والصوت المستمتع ، متباينين فى غير ذلك . وقد يوجد  
أكثرها فى أكثر الحيوان كالخيل يصفر لها عند الشرب ، فتشرب والإبل  
يحدّى لها فتغاد ، قال الشاعر :

فليس الشراب إلا بالملاهي وبالحرّكاتِ فى بهمٍ وزيرِ  
فلا تشربُ بلا طربِ فإنى رأيتُ الخيلَ تشربُ بالصّفيرِ  
وقال آخر :

فانظر إلى الإبلِ لتى هى - وبك - أغلظُ منك طنبما

تُصْنِي إِلَى صَوْتِ الْحَدَا : فَتَقْطَعُ الْفَلَوَاتِ قَطْعًا  
 قَوْلُهُ : التَّفَاضِي أَي التَّفَافِلُ . عِرْيِيدٌ : سِيءُ الْأَخْلَاقِ عِنْدَ سُكْرِهِ ، وَهُوَ  
 الَّذِي يُؤْذِي بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ أَصْحَابَهُ . رِعْدِيدٌ : جَبَانٌ فَرَّاحٌ . بَوْنٌ : فَضْلٌ وَمَرْزَبَةٌ  
 مِنْ ذِي عَلَقٍ ، أَي مِنْ صَاحِبِ مَحَبَّةٍ ؛ هُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ أَنْ يَنْظُرَ بَوْدًا وَمَحَبَّةً  
 ابْنُ طَرِيفٍ : الْعَلَقُ : الْحَبُّ ، وَعَلِيقٌ فَلَانٌ فَلَانَةٌ ، أَي أَحَبَّهَا . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

## المقامة السادسة والثلاثون المملطية

أخبر الحارث بن همام قال : أنختُ بِمَلْطِيَّةِ مَطِيَّةِ البَينِ ،  
وَحَقِيقتِي مَلأى مِنَ العَينِ ؛ جَعَلتُ هِجِرَايَ ، مُذْ أَلقيتُ بِها عَصَايَ ؛  
أَنْ أُوَرِّدَ مَوادِدَ المَرَحِ ، وَأَتَصَيِّدَ شَوادِدَ المَلِيحِ ؛ فَلَمَّ يَفْتِنِي بِها  
مَنْظَرُ وَلَا مَسْمَعُ ؛ وَلَا خَلا مِني مَلَمَبٌ وَلَا مَرْتَعٌ ؛ حَتَّى إِذا لَمْ  
يَبْقَ لِي فِيها مَأْرَبٌ ، وَلَا فِي الشَّوَاءِ بِها مَرْغَبٌ ، عَمَدتُ لِإِنْفاقِ  
الذَّهَبِ فِي ابْتِيعِ الأَهَبِ . فَلَمَّا أَكْمَلتُ الأَعْدادَ ، وَهَيَّأُ الظَّمَنُ  
فِيها أَوْ كادَ ، وَجَدتُ بِها تِسْعَةَ رَهْطٍ قَدْ سَبَتُوا قَهْوَةَ ، وَارْتَبَتُوا  
رَبْوَةَ ، وَدَمَّاتُهمُ قَيْدُ الأَلْهَاطِ ، وَوُكَاةُهمُ حُلُوءَةُ الأَلْفَاظِ ،  
فَنحوتُهمُ طَلِبًا لِئادَمِهمُ لَا لِإِدَامَتِهمُ ، وَشَغَفًا بِمازَجَتِهمُ  
لَا بِزُجَاجَتِهمُ .

• • •

أَنخَتِ المَطِيَّةُ : صَيَّرتُها بارَكَةً بالأَرْضِ .

[ ذَكَرَ مَلْطِيَّةَ ]

مَطِيَّةٌ : بَلَدٌ بِالجزيرةِ ذاتِ أنظارٍ وُقُرى ، بَينَها وَبَينَ الرِّقَّةِ خَمسونَ  
فَرَسَخًا ، وَالرِّقَّةُ : أُمَّ قُرى الجزيرةِ ، وَذَكَرَها المَسعودِيُّ فِي شِعْرِهِ فَقالَ :

وَلَمْ يَجلِبُها مِنْ وِراءِ مَطِيَّةٍ نَصَدَعُ أَجِبالٍ بِها وَأَكامُ

(١) ضَبطُها بِالقوتِ : « بَفتَحِ أَوَّلَهُ وَثانِيَهُ وَتَخَفِيفِ البِاءِ » قالَ : وَالعامَةُ تقولُ بِتَشديدِ  
البِاءِ وَكسْرِ الطاءِ .

(١٣ - شرح مقامات الحريري ج ٤)



وقيل : مَلَطِيَّةٌ فِي نَعْرِ الشَّامِ .

قال اليعقوبي : ملاطية هي المدينة المظلمى ، وكانت قديمة فأخربها الروم ،  
خبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة ، وجعل عليها سوراً واحداً ، ونقل إليها  
عدة قبائل من العرب ، قال : وهي في مستو من الأرض يحيط بها جبال الروم ،  
وماؤها من عيون وأودية من الفرات ، وخففها المنفي ضرورة فقال :

وَكُرَّتْ فَذَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطِيَّةٍ مَلَطِيَّةُ أُمِّ لَبْنِينَ تَكُولُ<sup>(١)</sup>

قوله : مطية البين ، يريد ناقة السفر ، أى أقام بها وترك السفر . الخيبة :  
وماء الرحل . والعين : الذهب . هجيراى : عادتى . وألقى بها عصاه ، أى أقام  
بها وترك السفر . أنورد : أطلب وأدخل ، وتوردت الإبل الماء : دخلته قطعة  
قطعة . والمرح : النشاط . شوارد : نوافر ، وأراد أنه أتبع نفسه جميع اللذات  
بملطية وشاهدها . مرتع : موضع خصيب كثير الطعام . مارب : حاجة .  
الثواء : الإقامة . عمدت : قصدت . ابقياح الالهب : اشتراء المدد للسفر .  
الظمن : الارتحال . الرهط . الجماعة من ثلاثة إلى عشرة . سبئوا قهوة : اشتروا  
ارتبثواربوة : طامعوا كذبة ، وقال الحسن :

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفْتُ مَطِيَّيَهُمْ إِلَى بَيْتِ خَمَارٍ نَزَلْنَا بِهِ مُظْهِرًا<sup>(٢)</sup>

أَتَيْنَا يَهُودِيَا تَجَمَّلَ ظَاهِرًا

وَيُضْمِرُ فِي الْمَكْنُونِ مِنْ مِرَّةِ الشَّرَا

فَجَاءَ بِهَا زَيْنِيَّةً ذَهَبِيَّةً فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا

خَرَجْنَا عَلَى أَنْ الْمَقَامُ ثَلَاثَةٌ فَطَابَتْ لَنَا حَتَّى أَقْنَا بِهَا شَهْرًا

(١) ديوانه ٣ : ١٠٢ .

(٢) ديوانه ٢٧٢ مع اختلاف في الرواية وترتيب الآيات .

وقال في شراء الحجر بثيابه :

نجوت من اللص المغيرِ بسيفهِ  
وواصلتُ<sup>(٢)</sup> خارا على بخرمة  
إذا مارماه بالتجار سبيل<sup>(١)</sup>  
فراح بأثوابي<sup>(٣)</sup> ورحتُ أميل

وقال الأمير تميم بن المعز :

شربنا على نوح المطوقة الورقي  
معتقة أفنى الزمان وجودها  
وأردية الرّوضِ الملقفة البلق<sup>(٤)</sup>  
فجاءت كفوت اللّحظِ أورقة العشق  
كان السحاب الغرّ أصبحن أكوّسا

لنا وكان الرّاح فيها سنا البرق  
فبتنا نحت الكأس حنا وإننا  
لنشرّبها بالحث صرفا ونستسقي  
إلى أن رأيت النجم وهو مغرب

وإقبال<sup>(٥)</sup> رايات الصّباح من الشرف

كان سواد الليل والفجر طالع

بقية لطنخ الكحل في الأعين الزرق<sup>(٦)</sup>

وأحسن في هذا المعنى ما شاء ، إلا أنه جعل شربنا في الرّوض على نوح الحمام ،  
ولوعوض من لفظ « النوح » لفظ الغناء أو التمريد لكان أتمّ للذّته ، كما  
قال ابن الرومي :

وأذكي نسيم الرّوض ريمان ظلّه  
وغنى معني الطّير فيه فرجما<sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه ٣٢٣ (٢) ديوانه : « وسلطت »

(٣) الديوان : « بأسلابي »

(٤) ديوانه ٢٩٦ وفيه : « الملقفة »

(٥) الديوان : « وأقبل »

(٦) الديوان : « بقايا مجال الكحل في الأعين الزرق »

(٧) نقله البارودي في مختاراته ٤ : ٧٥ .

وكانت أهازيج الذباب هنا كم على شدوات الطير صوتا موقعا  
وقال آخر :

وكأسٍ كريقِ الإلف شغشغها . به

وعيشي من هذا الشراب المشغشع

إذا ما نثر بنا كأسها صب فضلها على روضنا للمسمع المتخاع

المسمع : المنفى ، بمعنى به الذباب الذى ذكره عنتره فى قوله :

فقرى الذباب بها يُغنى وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم<sup>(١)</sup>

وإنما ذكر الحريرى الربوة ، لأن الثبات فيها أحسن وأسلم من نبات

الانخفاض ، لأن نبات الانخفاض وخيم ، قال الله تعالى : ﴿ كمثل جنفة

بربوة أصابها وابل فانت أكلها ضعفين ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال المنفى<sup>(٣)</sup> :

• نحن نبت الربا وأنت الغمام •

قوله : دما تهم قيد الأخطاء ، أى سهولة أخلاقهم تؤيد عيون الناظرين إليهم ؛

حتى لا ينظروا إلى غيرهم ، قال ابن المعتز :

منظرة قيد عيون الورى فليس خالق يلقاه

نحوتهم : قصدتهم . شغفا : حبا .

• \* \*

(١) من المعلقة ص ١٨١ - بشرح التبريزى ، ورواية البيت هناك .

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِحٍ غَرِدِ كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَنِمِ

(٢) سورة البقرة ٢٦٥ (٣) ديوانه ٣ : ٣٤٣ ، وصدرة :

أين أزمعت أهدأ الهمام

(٤) ديوانه

فَلَمَّا انْتَضَمَتْ عَاشِرَهُمْ ، وَأَضْحَيْتُ مَعَاشِرَهُمْ ، أَلْفَيْتُهُمْ أَبْنَاءَ  
عَالَاتٍ ، وَقَذَائِفَ فُلُواتٍ ؛ إِلَّا أَنَّ لُحْمَةَ الْأَدَبِ ، قَدْ أَلْفَتْ شَمْلَهُمْ  
أَلْفَةَ النَّسَبِ ؛ وَسَاوَتْ بَيْنَهُمْ فِي الرَّثَبِ ؛ حَتَّى لَأَحْوَا مِثْلَ كَوَاكِبِ  
الْجُوزَاءِ ، وَبَدَّوْا كَالْجَمَلَةِ الْمُنْتَسِبَةِ الْأَجْزَاءِ ، فَأَبْهَجْنِي الْإِهْتِدَاءَ إِلَيْهِمْ ،  
وَأَخَذْتُ الطَّالِعَ الَّذِي أَظْلَعَنِي عَلَيْهِمْ ، وَطَفِئْتُ أُفَيْضُ بِقِدْحِي مَعَ  
قِدْحِهِمْ ، وَأَسْتَشْفِي بِرِياحِهِمْ لِابْرَاحِيهِمْ ، حَتَّى أَدْنُوْنَا شُجُونُ الْمُفَاوِضَةِ ،  
إِلَى التَّحَاجِي بِأَهْمَقَايِضَةٍ ، كَقَوْلِكَ إِذَا عَنَيْتَ بِهِ الْكِرَامَاتِ : مَامِثْلُ  
النُّومِ فَاتِ ؛ فَأَنْشَأْنَا تَجَلُّو السَّهَابِ وَالْقَمَرِ ، وَنَجْنِي الشُّوكَ وَالثَّمَرَ .

• • •

انتظمت : مرت معهم في نظام واحد ، والنظام الجوهر . معاشرم :  
مصاحبهم . ألفتهم : وجدتهم . أبناء عالاتٍ ، أي غرباء من بلاد مختلفة ،  
وبنوا العالات : الذين أبوم واحد وأمهاتهم شتى . قذائف فُلُواتٍ ، أي قد رمت  
بهم التفار ، والطرق المختلفة واحدها قذيفة ، وهي التي يُقذف أي يرمى بها .  
لحمة ، أي قرابة . ألفت شملهم : أي جمعت متفرقهم ، وجعل للأدب لحمة مجازاً ،  
وجعل الأدب يجمعهم كما يجمع بنى العالات الأب ، والبلاد تفرقهم ، كما تفرق  
بنى العالات الأمهات .

[ مما قيل في المودة بين الشعراء ]

وهذا نحو ما يُحكى<sup>(١)</sup> أن دِعْبِلًا ذُكِرَ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْإِجْمَهْ فَكَفَّرَهُ وَلَعَنَهُ ،  
وَقَالَ : كَانَ يَظْهَرُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، دِينًا وَشِعْرًا ، قَالَ لَهُ بَعْضُ  
مَنْ حَضَرَ : لَوْ أَنَّ أَبَا تَمَامٍ أَخُوكَ مَازِدَتْ عَلَى مَدْحِكَ لَهُ ، قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ

(١) الخبر في أخبار أبي تمام للصولي ٦١ ، ٦٢ .

أخى في النسب، فهو أخى في المودة والأدب، أما سمعت ما خاطبني به  
وأشدد لأبي تمام :

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا الْإِخَاءَ فَإِنَّا نَفْعِدُو وَتَسْمُرِي فِي إِخَاءِ تَالِدٍ (١)  
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقَمَّاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ  
وكرر أبو تمام هذا المعنى، فأحسن بقوله :

ذُو الْوَدِّ مَنِي وَذُو الْقَرْبَى بِمَنْزِلَةٍ وَإِخْوَتِي أَسْوَدٌ عِنْدِي وَخِلَائِي (٢)  
عَصَابَةٌ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدْبِي فَهَمُ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي (٣)  
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَنَدَّتْ أَجْسَامُنَا فِي عِرْقٍ أَوْ خُرَّاسَانَ  
وأشدد إسحاق الموصلي :

يَقُولُونَ لِي هَلْ مِنْ أَخٍ أَوْ قَرَابَةٍ قُلْتُ لِمَ إِنْ الشُّكُولُ أَقْرَبُ  
تَسْبِيحِي فِي رَأْيِي وَهَزَمِي وَمَذْهَبِي وَإِنْ بَاعَدْتَنَا فِي الْوَلَاءِ الْمُنَاسِبُ  
وَلَيْسَ أَخِي إِلَّا الصَّحِيحُ وَدَادُهُ وَمَنْ هُوَ فِي وَصْلِي وَقُرْبِي رَاغِبُ  
وكان لسليمان بن وهب نديم يأنس به، فمرَّ بَدَّ عَالِيَهُ لَيْلَةً فَطَرَحَهُ وَجَفَاهُ  
فوقف له بالطريق، فلما مرَّ به وثب إليه، ثم قال : أيها الوزير، لا تَكُنْ فِي  
أَمْرِي إِلَّا كَمَا قَالَ عَلِيٌّ بِنِ الْجَنَّةِ :

الْقَوْمُ أَخْدَانُ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ مِنَ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعَدَّلْ بِهِ نَسَبٌ (٤)  
تَرَضَعُوا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بَيْنَهُمْ فَأَوْجِبُوا الرِّضِيعَ الْكَاسُ مَا يَجِبُ  
لَا يَحْفَظُونَ عَلَى السِّكْرَانِ زَلَّتْهُ وَلَا يَرِيكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيْبُ  
فقال : قد رضيت عنك رضا صحيحا، فعدُّ لشأنك .

(١) ديوانه ٨٦ ، وبمده :

أَوْ يَخْتَلِفُ مَا هُوَ الْوَصَالِ فَاؤْنَا عَذِبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَامٍ وَاحِدٍ  
(٢) وفيه : « وإخواني » .  
(٣) الديوان : « بشام أو خراسان ،

(٤) ديوانه ١٠٥ ، ١٠٦ ، الأهاني ١٠ : ٢٤٣

قوله الرنب : أى للنازل الرفيعة . مثل كواكب الجوزاء ، أى فى الإضاءة والرفعة . والجملة المتناسبة الأجزاء ، أى المتَّفِقَة ، بمعنى مقاديرهم فى الفضل وغيره . متساويةً لاتفاضل بينهم ، كالجملة التى لامزية لبعضها على بعض ، وأقل جملة حسابية أجزاؤها متناحبة لا كسر فى بعضها ولها التَّصْف والثلث والرَّبع والخمس والسادس والسبع والثمن والتسع والعشر هى ألفان وخمسمائة وعشرون ، نصفها ألف ومائتان وستون وثلاثمائة وأربعون ، وربعمائة وستون ، ونصفها خمسمائة وأربعة ، وسدسها أربعمائة وعشرون وسبعمائة وستون ، وثمنا مائة وخمسة عشر ، وتسعمائة مائتان وثمانون وعشرها مائتان وثمانون وخمسون .

قوله : أبهَجَى ، أى أفرحى أحمَدت: وجدته محمودا . الطالع: النجم الذى يسعد به صاحبه وينحس على زعمهم . طَلقت : أخذت . أفيض بِقِدْحِي : أضرب بسهمى ، وهذا من فعل الميسر . وأراد أنه يمشى كلامه مع كلامهم ويدخل مداخَلهم . أدَّتنا : أوصلتنا . شجون المفاوضة . طارق المراجعة فى الكلام ، والشجون فى الكلام ، تداخله ، واختلاط بعضه ببعض ، والتفاوض : الاندفاع فى الحديث ، وفى المثل : الحديث ذو شجون ، أى ذو فنون وأصْلُه من الشجر المشجون ، وهو الشجر الذى التفَّ بعضُه ببعض . التَّحاجِي : التماطن . المفاوضة : المقارضة . السكرى : النوم . فات ، بمعنى مات ، وأراد أن هذا النوع من الألفاظ هو أن يُوتَى بلفظٍ عوضاً من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد ، والمماثلة التى بينهما إنما هى موافقة الذى . نجلو : نكشف . السها : نجم خفى ، وقرن السها فى خفائه مع القمر فى ظهوره ، وإنما يشير إلى قولهم فى المثل : أريها السها وترينى القمر ، وأواد أهم يأنون بافظة ظاهرة المعنى ، وأخرى خفية ، فلا يتم لهم شئ .



وبينا نحن نُنشِرُ القَشِيبَ والرِّثَ ، وننشُلُ السَّمِينِ والنَّثَ ،  
وعَلَّ عَلَيْنَا شَيْخٌ فَذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ ، وَبَقِيَ خُبْرُهُ وَسَبْرُهُ ؛ فَثَلَّ  
مُثُولَ مَنْ يَسْمَعُ وَيَنْظُرُ ، وَيَلْتَقِطُ مَا تَنْثُرُ ، إِلَى أَنْ نَفِضَتِ  
الْأَكْيَاسُ ، وَحَصَّصَ الْيَاسُ .

فَلَمَّا رَأَى إِجْبَالَ الْقَرَائِحِ ، وَإِكْدَاءَ الْمَاتِحِ وَالْمَاتِحِ ، جَمَعَ  
أُذْيَالَهُ ، وَوَلَّانَا قَدَّالَهُ ، وَقَالَ : مَا كُلُّ سَوْدَاءِ تَمْرَةٍ ، وَلَا كَلُّ  
صَهْبَاءِ خَمْرَةٍ ، فَاعْتَلَقْنَا بِهِ اعْتِلاقَ الْحِرْبَاءِ بِالْأَغْوَادِ ، وَضَرَبْنَا دُونَ  
وِجْهَتِهِ بِالْأَسْدَادِ ، وَقَلْنَا لَهُ : إِنَّ دَاءَ الشَّقِّ أَنْ يُحَاصَ ، وَإِلَّا  
فَالْقِصَاصَ الْقِصَاصَ ؛ فَلَا تَطْمَعُ أَنْ تَجْرَحَ وَتَطْرَحَ ، وَتُنْهَرَ الْفَتْقُ  
وَتَسْرَحَ . فَلَوَى عِنَانَهُ رَاجِعًا ، ثُمَّ جَثَمَ بِمَكَانِهِ رَاصِعًا ، وَقَالَ :  
أَمَّا إِذَا اسْتَرْثَمُونِي بِالْبَحْثِ ، فَلَا أَحْكُمُ حُكْمَ سُؤْلِيمَانَ فِي الْحَرْثِ .

\* \* \*

القشيب : الثوب الجديد. الرث : الخلق . نشل : يخرج النشيل ، وهو  
لحم يطبخ بلا نابل ثم يُنشَلُ ، أى يُخرج باليدشَل ، وهو حديدة معقمة . ذهب  
حبره وسبزه : هيئته ولونه ، قال الفراء : من قولهم : جاءت الإبل حسنة الإخبار  
والإسبار ، قال الأصمعي رحمه الله : هي الجمال والبهاء وأتار النعمة ، يقال : فلان حسن  
الحبزه والسبزه ، إذا كان جميلاً حسن الهيئة ، وفي الحديث : يخرج من النار رجل  
قد ذهب حبره وسبزه ، أى قد ذهب جماله وبهاؤه ، وسمى الحبر حَبْرًا لأنه يزين  
الكتابات ، ويحسن القرطاس ، وحبرت الشيء زينهته ، وقيل إنه سُمي حَبْرًا لأنه  
يؤثر في القرطاس ، فيكون علامة فيما يقع فيه ، ويقال للأثر : حبرة وحبار ،

والسَّبْر: الأصل واللون والهيئة والمنظر، والسَّبْر ما يدلُّ به على لون الدابة وكرمها، ويروى حَبْرُه وسَبْرُه، بكسر أو لهما وفتح، فإذا كسرا كانا اسمين، وإذا فتحا كانا مصدرين، وحَبْرُه علمه، وسَبْرُه قياسه. مثل: تَمَثَّلَ قَائِماً. الأكياس: أوعية الدرهم، ونفضت: أتى ما فيها، وأراد فراغ كلامهم. وحَصَّنَحْص: تبين، اليأس: ضد الرجاء. إجبال القرائح: انقطاعها عن الكلام. إكداء: صعوبة، وأصل هذا في البئر، فأول ما يرشَّح من ماءها هو القريمحة، ثم نقل إلى الطبيعة والذهن، وأجبال الحافر: إذا حال بينه وبين الماء جبل، وأكْدَى: حال بينه وبينه كُدْبِيَّة، والجبل والكديبة حجارة وصلابة تعرِّض في البئر، لا يمكن حفرها معها، ثم يقال: أكَدَى أَى قَلَّ حَبْرُه وأجبال الشاعر، أى انقطع شعره. وأكْدَى فلان عطائى، أى قطعه وقال خير، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾<sup>(١)</sup>. والماتح: المستسقى على فم البئر. والماتح: النازل إلى قعرها ليملاً الدلاء ويفرِّق بينهما بنقطة الحرف الذى قبل آخرها، فمتى كانتا فوق الحرف، فالمستسقى فوق البئر لكثرة الماء، ومتى كانتا تحته فالمستسقى في قعر البئر ليملاً اللو بيده، وذلك لقلَّة الماء، وإذا تكاثرت الدلاء عليه، وكثُر صياح الناس عليه من رأس البئر، وكل يرغب ليملاً دلوه، فيأخذ دلوً مَن لامل له فيضرب به رجا البئر، أى جانبه ليرتدع الناس عنه، ثم يضرب مثلاً للمهان، قال الشاعر:

فلا يُرَمَى بى الرَجَوَانِ إِيَّى أَقَلِّ القومِ مَن يُعْنِي مَكَانِي<sup>(٢)</sup>

وقالت جارية من العرب تستمطفه:

يأتيها الماتحُ دلوِي دُونَكَ إِيَّى رأيتُ النَّاسَ بِمَحْدُونِكَ<sup>(٣)</sup>

(١) - سورة النجم ٣٤ .

(٢) - اللسان - رجا

(٣) - اللسان - مبيح .



ومن أمثالهم : أبصر من المائع ياست للائع .

وأشد الفنجديهي :

يا مائع العين هُدِمَت الرَدَى

من حوض هذى العين كم تستقي

من شيمة الماء انحدار فم ماء جفوني أبدا ير نقي

قوله : جمع أذياه : شمر ثيابه للقيام . فذاله : قفاه .

ما كل سوداء تَمْرَة ، مَثَل . والسوداء تستعمل للامرة والفحمة فيقول :  
ما كل الكلام سهل فتعاطونه وما كل ما جئتم به بفائق فيدخل في باب المقايضة ،  
وهو مثل يضرب في موضع التهمة .

والصهباء : من أسماء الحجر ، والضببية أن تعلق الحجر شقرة وأصوله سود .

[ الحرباء وما ورد فيها من الشعر ]

الحرباء : دويبة تستقبل الشمس بوجهها إذا استوت في كبد السماء ،  
وإن لم يأت لها الفرصة بوجهها تملكت وتقلبت ، ولم تزل في قلق حتى تميل  
الشمس ، فاستقبلها - أعنى قُربها - بوجهها حتى تغرب وهي في طول يومها ،  
لاتأكل شيئا ، فإذا جاء الليل ذهب تبنى مانأكل ، والأثني منها حرباء .

وقال أبو عبيدة : الحرباء تستقبل الشمس برأسها أبدا ، يقال : إنما تفعل  
ذلك لتتقى جسدها برأسها ، وقيل : الحرباء ذكر أم حُبِين ، وفي صدره استرخاء  
وقُرب من الأرض ، فإذا حيت الأرض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه  
الأرض لازوقه بها ، فيصعد على عود شجرة ، فليتزمه بهديه ، ويجعله بينه وبين  
الشمس ، ويضرب به المثل في الذشبث بما تعلق به ، وذلك أنه إذا تعلق بعود  
الترزمه ، وقبض عليه فلا يفارقه ، حتى يستوثق من آخر ، فيضرب المثل به ،  
فيقال : أحزم من الحرباء . وقال قيس بن الحداية :

بانت سعاداً فأمسى القلبُ مشتاقاً وأفلقتها نوى الإزماع إقلاقاً<sup>(١)</sup>  
 واحتتّ حاديهُمُ بزلاًّ مخيصةً كُوم الذرا مدد الأعضاد أفياقاً  
 أنى أتبيح لها حرباء تنضّب لاي رسل الساق إلا تمسكا ساقاً

والساق : ساق الشجرة ، والتنضّب : شجر يتعلق بأعواده الحرباء ،  
 فيقال حرباء تنضبه ، كما يقال : ذئب غصّي . وقال الأزهرى رحمه الله تعالى :  
 الحرباء دويبة على خِلقةٍ سام أبرص ، ذات أربع قوائم دقيقة الرأس مخططة  
 الظهر ، وأكثر الشعراء من ذكر الحرباء وتشبيهها ، ومن جيّد ذلك قول  
 ذى الرّمة :

ودويبةٍ جرّداء جبداء خيتم

بها هفوات الصنيف من كلّ جانب<sup>(٢)</sup>  
 كأنّ يدي حربائها مقشمسا يدا مذنب يستغفر الله نائب  
 وقال آخر :

وقد جعل الحرباءُ بصفرَ لونه ويخضّر من لفتح المجير غباغبه<sup>(٣)</sup>  
 وبشبح بالكتفين حتى كأنه أخو نجوة عالى به الجذع صالبه<sup>(٤)</sup>  
 وقال أيضاً :

يظلّ بها الحرباء للشمس مائللاً على الجذل إلا أنه لا يكبر<sup>(٥)</sup>  
 إذا حول الظلّ العشي رأيتهُ حنيفاً وفي قرن الضحى ينتصر

(١) البيت الثالث ، من أبيات ثلاثة في ديوان أبي دواد الإيادي ٣٢٦ .

(٢) ديوانه ٧٨ .

(٣) ديوانه ٤٧ ، وفقط : «عباغه» ، وصوابه : «الديوان» ، والقباهب : الجلد ، واحده غنيب .

(٤) يشبح : يعد كفيه ، كأنه مصلوب .

(٥) ديوانه ٢٢٥ ، وحاسة ابن الشجرى ٢٢٦ ، وفقط : « الجذع » ، وما أتته .

من الديوان .

## غدا أكهب الأعلى وراح كأنه

من الضحّ واستقبله الشمس أخضر<sup>(١)</sup>

أخبر أنه يدور مع الشمس في وقت الزوال ، حتى تكون الشمس في  
هذاه القهلة ، فكأنه باستقباله لها في ذلك الوقت مُسَلِّمٌ يعالَى لها ، وفي الضحى  
تكون في وجه المشرق ، فكأنه نصرانيّ فيستقبلها بصلاً .

قال ابن الرومي :

ما بألها قد حسّنت ورقبها أبداً قبيحٌ قبح الرقباء  
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء

قوله : وجهته ، أى جهته . والسدّ : الحاجز بين الشيتين . يحاص : يحاط ،  
ويقال : حاص ثوبه وعين صقره وشقوق رجلته حوصاً وحياسة : خاطها ،  
وقيل : الحوص : الخياطة بعد رقعة ، ولا يكون إلا في جلد ، وأنشد يعقوب :

ترى برجلته شقوقاً في كلّغ من باري حيص ودامٍ مُنسلع<sup>(٢)</sup>

الكلّغ : الوسخ ، ومنسلع : متشقق . القصاص : أخذ الحق في الجنائيات .  
وتنهر : توسع فترده كأنه . الفتق : الخرق . وتشرّح : تذهب . لوى  
عنانه : أماله وعطفه . جثم : برك . راصما : لاصقا بالأرض والرّصع : تباعد  
ما بين الركبتين ، ورصع بالشئ يرصع رصوعاً إذا لازمه . استترتموني :  
طلبتموني واستخرّجتم ما عندي . والبحث : المناقشة في السؤال ، وأصله الصيد  
تقول : استترت الصيد ؛ إذا بحثت عليه حتى تقيمه من مرقده .

[ قصة سليمان في الحرث ]

قوله : حكم سليمان في الحرث . كان سليمان عليه السلام ، فيما ذكروا

(١) أكهب : أغبر إلى السواد . والضح : الشمس ، وقيل الضح : ما طلعت عليه الشمس  
(٢) اللسان - كلم ، ونسب وآخراً إلى حكيم بن معية الربيع .

أبيض ، وضيئاً ، جسيماً كثير الشعر ، يلبس من الثياب البياض . فلما بلغ مبلغ الرجال ، كان أبوه في أيام ملكه يشاوره في أموره ، وكان هذا الحكم - فيما ذكر من ابن عباس رضى الله عنهما - أن رجلين دخلاً على داود عليه السلام ، أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : يا نبي الله ، انفلتت غنم هذا في زرعى ليلاً ، فرتعت في حرثى ، فلم تستبق منه شيئاً ، فقال له داود : اذهب ، فإن الغنم لك ، فلكه رقابها بما أكلت من حرثه ، فلما خرجا من عنده خطرا على سليمان عليه السلام ، فأخبراه بقضاء أبيه ، فقال : لو وليت أمركما لفضيت بغير هذا . فأخبر داود عليه السلام ، فدعاه وقال له : كيف كنت تقضى بينهما ؟ فقال : أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ، فيكون له رسلها ونسلها ووصفها ، ويبذر صاحبها لصاحب الحرث مثل حرثه ، فإذا صار الزرع كهيئته يوم أكل ، أخذ غنمه . فقال داود : القضاء ما قضيت به ، وحكم بقضاء سليمان عليهما السلام .

وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل : أراد بالحرث السكرم ، وأن الغنم أكلت قضبانه ، فأفسدته ، فحكم بها داود لصاحب السكرم ، ولم يكن بين الغنم والسكرم تفاوت ، فرثوا بسليمان عليه السلام ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال : يعمل الراعى في إصلاح السكرم حتى يعود كهيئته ، ثم يأخذ غنمه .

ومن عجائب حكم سليمان عليه السلام ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : بينا امرأتان معهما ابناهما ، إذ جاء الذئب ، فذهب بأحدهما ، فقالت : هذه إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فاختصما إلى داود عليه السلام ، ففضى به للأكبرى فرتا على سليمان ، فأخبرته ، فقال عليه السلام : « اثنيان بسكين أشقه بينكما ، فقالت الصغرى :

لا ويرحمك الله ، هو ابنها ، قضى به للضغري « . قال أبو هريرة رضي الله عنه :  
والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ، ما كنت أقول إلا المدنية .

قوله : الشائل : الخلائق والطباع . والشمول الذهبية : الخمر الحمراء .

\*\*\*

[ من وصف الشعراء للخمر ]

وذكر في هذه المقامة أنهم سبثوا قهوة ، وذكر هاهنا أنها في لونها حمراء ،  
والدرب تمتدح بشرب الخمر السبيثة ، ونصفها بالحمرة ، كقول الأعشى ، وهو في  
أوصافها في الجاهليين ، كالحسن في الإسلاميين ، وحبّه فيها صدّه عن الإسلام :

وَسَبَيْتِي مِمَّا تَعْتَقُ بَابِلُ كَدَمِ الدَّبِيحِ سَابِثُهَا جِرْيَالُهَا<sup>(١)</sup>  
وقوله :

فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصْنَعُ دِيكُنَا إِلَى خَمْرَةٍ عِنْدَ حَدَادِمَا<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا<sup>(٣)</sup>  
فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً نَسَكُنُنَا يَمْدَ إِرْعَادِهَا  
كَمَيْتٌ تَكْشِفُ عَنْ خُمْرَةٍ إِذَا ضَرَبَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا<sup>(٤)</sup>  
فَجَالَ عَلَيْنَا بِإِرْيَقِهِ مَخْضَبُ كَفِّ بَفْرِ صَادِهَا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٢٧ . والجريال : صبغ أحمر .

(٢) ديوانه ٦٩ ، ٧١ وفيه : « لى جونة » ، وهى خابية الخمر . والحداد صاحب الخمر ،  
يحد الناس عنها لنفاسها .

(٣) الأدماء : صادقة البيض .

(٤) كميته : تضرب إلى السواد ، فإذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت :  
ذهب زبدها .

(٥) الفرصاد : الثوب ؛ إذا كان أحمر اللون .

حَفْرُحْنَا تَعْمُنَا نَشْوَةٌ تَجُورُ بِنَا بَعْدَ إِفْصَادِهَا (١)

وقال أبو ذؤيب :

ولا الرّاح راحُ الشّامِ جاءتِ سَدَبِيَّةٌ لها غايةٌ تهدي الكريّمَ عَمَابَهَا (٢)  
عقارُها كما الثّبرُ ليست بِخَمَطَةٍ ولا خَلَّةٌ يَكْوِي الشّروبَ شَهَابَهَا (٣)

وقال الحسن :

وَتَحَارٍ أَمَحْتُ عَلَيْهِ لَيْلًا قَلَانَصَ قَدْ تَعَيْنَ مِنَ السَّفَارِ (٤)  
فَجَمَجَمَ وَالكَرَى فِي مُقَلَّتَيْهِ كَمَخْمُورٍ شَكَا أَلَمَ الْحُمَارِ  
أَبْنَى لِي كَيْفَ سِيرْتَ إِلَى حَرِيمِي وَثُوبُ اللَّيْلِ مَصْبُوغٌ بِقَارِ  
قَلْتُ لَهُ تَرَفَّقْ بِي فَإِنِّي رَأَيْتُ الصُّبْحَ مِنْ خَلَلِ الدِّيَارِ  
فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ كَلًّا وَمَا صُبْحٌ سِوَى صُبْحِ الْعُمَارِ  
وَقَامَ إِلَى الدَّنَانِ فَسَدَّ فَاها فَعَادَ اللَّيْلُ مَسْدُولَ الإِزَارِ

وقال عبد الصمد :

وخيمةٌ نَأْظُورِ تَعْمُفُ بَرَوْضَةٍ يُحْيِيكَ مِنْهَا وَرُدُّهَا وَالْبِنْفَسُجُ  
وَأَشْمَطُ أَعْلَى وَسَطِهَا بَعْدَ هَجْمَةٍ تَرَاهُ مِنْهَا مِنْ قَرِهِ يَفْشِنُجُ  
دَعْوَتُ فُلْبِي وَهُوَ بِالصَّوْتِ عَارِفُ وَأَقْبَلُ نَحْوَ الْبَابِ يَزْهُو وَيَهْرَجُ

- (١) تجور : تميل . وفي ط : « قصادها » تحريف ، والصواب ما أثبتته من الديوان .  
(٢) ديوان المهذلين ٧٢ والقاب : الرأية . وفي الديوان : « تهدي الكرام » .  
(٣) في الديوان : كماء التي « ، قال في شرحه : أراد في صفاتها ، وهو ما قطر من القوم .  
والخطة : التي أخذت ريحاً ولم تدرك . وفي ط : « ليست بمحضة » ، تصحيف ، والخلة : الحامضة .  
وقوله : يكوى الشروب ، أي لها ومض شديد مثل النار . والشروب : الندى .

(٤) ديوانه ٢٧٥

فقلت له المصباح إن كنت مسرّجاً فقال: قفوا فالجر في السكاس تُسرجُ

• • •

اعلموا يا ذوى الشّمائِلِ الأَدَبِيَّةِ ، وَالشُّعُوعِ الذّهِيَّةِ ، أن وَضَعَ  
الأُحْيِيَّةَ ، لامتحانِ الأَلْمِيَّةِ ، واستِخْرَاجِ الخَبِيَّةِ الخَفِيَّةِ ، وشرَطُهَا  
أن تَكُونَ ذاتُ مُمَامَلَةٍ حَقِيقِيَّةِ ، وألفاظٍ معنويَّةِ ، ولطيفةِ أَدَبِيَّةِ ؛  
فتى نَافَتِ هَذَا النَّمَطَ ، ضَاهَتِ السَّقَطَ ، ولمْ تَدْخُلِ السَّفَطَ ؛ ولم  
أرْكُمْ حَافِظَتُمْ عَلَى هَذِهِ الحُدُودِ ، ولا مِرْتَمَ بينَ المَقْبُولِ والمَرْدُودِ ،  
فقلنا له : صَدَقْتَ ، وبالْحَقِّ نَطَقْتَ ؛ فَكِلَا لَنَا مِنْ لُبَابِكَ ،  
وأفِضْ عَلَيْنَا مِنْ عُبَابِكَ ؛ فقال : أَقَلُّ لَثَلًا يَرْتَابُ المَبْطُلُونَ ،  
وَيُظُنُّوا بِي الظُّنُونَ .

• • •

قوله: «لامتحان الألمية» ، أى لاختبار الفطنة . نافت: باعدت . القمط :  
النوع ، يقال : الزم هذا النمط ، أى هذا المذهب والفن والطريق . ضاهت :  
شابهت . السقط : ردى المتاع ومالياً به . والسقط : وعاء لجميع الثياب  
الرفيعة ، وسقط العلوم : السكتب ، أى لم تسكتب ولم تدون في السكتب . مرتّم :  
فرقم . لبابك : خالص ما عندك . أفيض : صب . عبابك : بحرك ، وعب البحر  
عباباً هاج واضطرب : يرتاب : يشك .

• • •

ثم قَابِلَ ناظورة القوم ، وقال :

يا مَنْ سَمَاً بِذِكَاءٍ فِي الْفَضْلِ وَارَى الزَّنَادِ

مَاذَا يَمَانِلُ قَوْلِي : جُوعٌ أَمِيدٌ بَزَادِ

ثم ضحك إلى الثاني وأنشد :

يَا ذَا الَّذِي فَاقَ فَضْلاً

مَا مِثْلُ قَوْلِ الْحَاجِي : ظَهَرَ أَصَابَتُهُ عَيْنُ

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول :

يَا مَنْ نَتَأْتِجُ فِكْرِهِ

مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي

ثم أتلع إلى الرابع وقال :

أَيَا مُسْتَنْبِطَ الْغَامِضِ مِنْ لُغْزٍ وَإِضْمَارِ

أَلَا اكشِفْ لِي مَا مِثْلُ : تَنَاوَلْ أَلْفَ دِينَارِ

ثم رمى إلى الخامس ببصره ، وقال :

يَأْتِيهِذَا الْأَلْمِيعِي أَخُو الذِّكَاةِ الْمَنْجَلِي

مَا مِثْلُ أَهْمَلِ حَلِيَّةً بَيْنَ هُدَيْتَ وَهَجَلِ

\*\*\*

ناظورة القوم : كبيرهم الذي ينظرون إليه . سما : ارتفع . ذكاء : جودة  
الذهن . وارى : مبدى النار ، أى زنده متى ضرب أوزى نارا . فاق : فضل  
غيره . نتأجت : ما بولده الفكر من الكلام . النقود : الدراهم . أتلع : مهتد  
( ١٤ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



عنقه ونصبه ، وتلع الرجل بقلع تلمع : أخرج رأسه من شيء كان فيه . مستقبط : مستخرج . الفامض : الخفي ، وغض غموضا : دق وأحوج إلى النظر ، والألمى : هو الذكي ، أى صاحب الفطنة .

• • •

ثم التفت لفت السادس وقال :

يا مَنْ تَقْصُرُ عن مدا هُ خطأ مُجاريه وتضمف  
ما مثل قولك للذي  
أضحى يحاجيك : اكفف اكفف

ثم خلع السابع بحاجبه وقال :

يا مَنْ له فِطْنةٌ تَجَلَّتْ ورُتْبةٌ في الذكاء جَلَّتْ  
بَيْنَ ما زِلْتَ ذا بيان ما مثل قولي : الشقيق أفلت

ثم استنصت الثامن وأنشد :

يا مَنْ حدائق فضله مَطْلُولةُ الأزهارِ غَضَّة  
ما مثل قولك للمحاجي ذِي الحِجِّي : ما اختار فضته

ثم حدج التاسع يبصره ، وقال :

يا مَنْ يشارُ إليه في القلبِ الذكي وفي البراعة  
أوضح لنا ما مثل قولي لك للمحاجي : دس جماعه

قال الراوى : فلما انتهى إلى ، هز منكبي ، وقال :

يا مَنْ له النكتُ التي يُشجِي الخصوم وينكت  
أنت المبين فقل لنا ما مثل قولي : خالي اسكت

الفَتِ لَت ، أى قصد قصده بالنظر ، ولت عنقه إلى ، أى لواها ناظرًا إلى .  
 حدهاء : غاية . خالج : غمز ، وقال الراجز .

\* قد خلجت بحاجب وعين \*

تجَلَّت : ظهرت . جَلَّت : عظمت . واستنصت : سكت . حدائق : بساين .  
 مطولة : أصابها الظل . غضة : ناعمة . الحجاج : العقل . حدج : رمى . البراعة :  
 الفصاحة ووفور العقل . يشجى : يفص ، والغصص : الاختناق . ينكت : يقبلهم  
 على رؤوسهم ، وطمنه فذكته : ألقاه على رأسه ، وعند القضاء يشجى ، وينكت ،  
 أى يسكت على ذلك .

\*\*\*

ثم قال : قد أنهلتكم وأمهلتكم ، وإن شئتم أن أعلكم  
 عللتكم .

قال : فألجأنا لهب الغل ، إلى استسقاء الغل ؛ فقال : لست  
 كمن يستأمر على نديعه ، ولا يمن سمنه في أدعيه . ثم كر على  
 الأول وقال :

يا من إذا أشكل المعنى جلته أفكاره الدقيقة  
 إن قال يوماً لك المأجبي : خذ تلك ما مثله حقيقة

ثم أتى جيده إلى الثانى ، وقال :

يا من بدأ بيانه عن فضله مينا  
 ماذا مثال قولهم : حار الوحش زينا

ثم أوحى إلى الثالث بِأَحْظِهِ ، وقال :

يَا مَنْ غدا في فضلهِ      وذكائهِ كالأصمعيِ

ما مثل قواك اللذي      حاجاك : أنفق تقمعه

ثم حلق إلى الرابع وأنشد :

يا من إذا ما عويصُ      دجا أنار ظلامه

ماذا يماثل قولي :      استنش ريح مُدامه

ثم أوحى إلى الخامس ، وقال :

يا مَنْ تنزه فمه      عن أن يرؤى أو يشكا

ما مثل قولك للذي

أضحى يحاجي : غط هلكي

\*\*\*

أنهلكم : أستيحكم ، والنهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني  
 أملكم : أميكم عللاً . لبُّ العال ، أي حرّ العطش . يستأثر ، أي يخصّ  
 نفسه بشيء دون أصحابه . سمته في أديمه : أي خيره موقوف عليه ، والأديم  
 هنا : زقّ السم ، وأصل المثل : سمكم هربق في أديمكم ، أي خيركم موقوف  
 عليكم ؛ قاله أبو عبيدة . وخطأ البكري في تفسير الأديم بالزق ، وقال :  
 إنما الأديم هنا طعامكم المأدوم ، فعيل بمعنى مفعول ، أي خيرهم راجع إليهم ،  
 وهو قول الأزهري رحمه الله ولم ينكر الأول ، وهو مثل يُضرب للبخيل ولن  
 لا يتعداه خيره ، وينفق على نفسه دون غيره . وقعه يقمعه : ضربه بالمقعة ،  
 أي قهره وكفه ، وقع الشراب وأقمع : مرّ في الحلق مرّاً بنير جرّع . كرّ :

عطف . جیده : عنقه . أوحى : أشار . حلق : أحدَ النظر . عویص : صعب .  
دَجَا : اسودَّ . أنار : جعل فيه النور . تنزه : تباعد . بروى : يفكر ، وقد روأت  
الحديث ، إذا درَّته وهَيَّأته .

\* \* \*

ثم أقبل إلى السادس ، وأنشد :

يا أبا الفِطْنَةِ الَّتِي بَانَ فِيهَا كَمَالُهُ  
سارَ بِاللَّيْلِ مُدَّةً أَيَّ شَيْءٍ مِثَالُهُ

ثم نحا بصره إلى السابع ، وقال :

يا مَنْ تَحَلَّى بِفَهْمِهِ أَقَامَ فِي النَّاسِ سُوقَهُ  
لَكَ الْبَيَانَ فَبَيِّنْ مِثْلُ: أَحْبِبْ فِرْوَقَهُ

ثم قصدَ قصيدَ الثامن ، وأنشد :

يا مَنْ تَبَوَّأَ ذِرْوَةَ فِي الْمَجْدِ فَاقَتْ كُلَّ ذِرْوَةَ  
مِثْلُ قَوْلِكَ: أَعْطِ إِزْ رِيقًا يَلُوحُ بِغَيْرِ عُرْوَةَ

ثم ابتسم إلى التاسع ، وقال :

يا مَنْ حَوَى حَسْنَ الدَّرَا يَهُ وَالْبَيَانَ بِغَيْرِ شَكِّ  
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَا جِي ذِي الذِّكَا: الثَّوْرُ مِلْكِي

ثم قبض بجمعه على رُذْيِي ، وقال :

يا مَنْ سَمَا بِثَقُوبِ فِطْنَتِهِ فِي الْمَشْكِلَاتِ وَنُورِ كَوْكَبِهِ  
مَاذَا مِثَالِ صَفِيرِ جَحْفَلَةٍ يَبْنِيهِ تَبْيَانًا يَمُّ بِهِ

\* \* \*

بان : تبين . تملى : تزين . تبوأ : نزل . والذروة : أعلى الشئ .  
تقوب : نفوذ .

\* \* \*

قال الحارثُ بن همام : فلمَّا أطربنا بِمَا سمعناه ، وطألبنا مكاشفةً  
ممنَّاه . قلنا له : اسنا من خيلِ هذا الميدان ، ولا لنا بجلِّ هذه المُقدِّ  
يدان ، فإنَّ أبنتَ مننت ، وإن كتمتَ غممت . فظلَّ يُشاوِرُ  
نفسِيه ، ويُقبَّ قَدَحِيه ، حتى هان بذل الماعون عليه .

فأقبل حينئذٍ على الجماعة وقال : يا أهلَ البلاغةِ والبراعة ،  
سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ولا ظننتم أنكم تعلمون .  
فاوَكُوا عليه الأوعية ، وروَّضوا به الأندية . ثم أخذ في تفسيرِ  
صقلَ به الأذهان ، وامتنفِرخَ معه الأردان ، حتى آضتِ الأفهامُ  
أنور من الشمس ، والأكامُ كأن لم تنن بالأمس .

\* \* \*

أبنت : بيّنت . مننت : أفضلك علينا . نفسيه : أراد أنه يردّد  
رأيه : هل يفعل أولاً يفعل ؟ فكان له نفسين ، يردّد المشورة عليهما حتى يظهو  
لها الرأي الأرجح فيهما فيبني عليه . وقال حويرث العبدى :

لكلِّ امرئٍ نفسانِ نفسٌ كريمةٌ ونفسٌ فيعصياها الفتى أو يطوعها

وقد تقدّم معنى يقلب قدحيه . الماعون : المعروف ، وقال يونس :

الماعون في الجاهليّة : كلّ عطية ومنفعة ، وفي الإسلام الزكاة والطاعة . وقال ابن عباس : الماعون المروف كلّه حتى ذكر القدر والقصة والناس .

وحكى الفنجديّ عن ابن عباس : الماعون العارية ، وقال الماعون : اسم جامع لمنافع البيت ، كالقدر والناس والماء والملح ونحوها ، وقال الأعشى :

بأجود منه بماهونه إذا ما سماؤهم لم تغم<sup>(١)</sup>

والأظهر فيه ، أنه من العون ، وأصله مموون بوزن « مفعول » ، قدّمت الواو التي بعد العين ، فصار موعون ، ثم قلبت ألفا كما قيل : يا جل<sup>(٢)</sup> . وحكى الغراء عن بعض العرب : الماعون الماء ، فيكون على هذا مفعولاً من العين ، ويُقلّ كما علّ من العون ، أو يكون فاعولاً ، من مَعَن الماء ، إذا سال . وهو أيضاً قول من اشتقه من قولهم : مُمِعِنٌ هرباً ، أو من قولهم : عين مَعِين . قال قطرب : ماعون فاعول من المن ، وهو الشيء اليسير ، ومنهم من قال : أصله معونة ، والألف بدل الماء .

قوله : أو كوا : أي شدوا . روضوا : زينوا ، واجملوها مثل الرياض . الأردنان : الأكام . آصت : رجعت أذهانهم مضية بالفهم وزال عنها الالتباس . تغمّ بالأمس ، يريد أن أكامهم كانت بالأمس مغلطة بالدرهم ، ففترغت اليوم إذ وهبوا له ما فيها .

• • •

ولما تمّ بالمفرّ ، سُئِلَ : أين المفرّ ؟ فتنفّس كما تنفّس الشكول ، ثم أنشأ يقول :

(٢) يا جل ، أصله يوجل .

(١) ديوانه ٣٩ .

كُلَّ شَيْبٍ لِي شَيْبٌ      وَبِهِ رَبِيعِي رَحْبٌ  
 غَيْرَ أَنِّي بِسُرُوجٍ      مُسْتَهَامُ الْقَلْبِ صَبٌ  
 هِيَ أَرْضِي الْبِكْرُ وَالْجَوْ      الَّذِي مِنْهُ الْمَهْبُ  
 وَإِلَى رَوْضِهَا الْفَنَاءُ      دُونَ الرَّوْضِ أَصْبُو  
 مَا حَلَّ لِي بَعْدَهَا حُلُوٌّ      وَلَا اعْدُوذِبَ عَذْبُ

قال الراوي: «قلت لأصحابي: هذا أبو زيد السروجي، الذي  
 أذنتي ملحه الأحاجي، وأخذت أصف لهم حُسن تَوْشِيَّتِهِ. ثم  
 التفت فإذا به قد طمر، وناء بما قمر؛ فمجنياً مما صنع إذ وقع، ولم  
 ندر أين سَكَعَ وَصَقَعَ.»

\* \* \*

المقرّ: المهرب. المقرّ: المنزل والبلد. الشكول: المرأة الشكلى  
 الفاقدة لأحبابها. شيب، أى طريق، أى كل بلد لى بلد. رباعي رحب،  
 أى منزلى متسع. المستهام: الذى غلب الحب على قلبه فخرج هائماً على وجهه  
 لا يدري أين يتوجه، وهام يهيم: ذهب عقله فخرج فى غير الطريق، وقيل:  
 الهائم: العليل القلب، الذى يجد فى قلبه هياماً، وهو وجعٌ يجده البعير،  
 فلا يروى من شرب الماء: قال عروة بن حزام:

بى اليأس أو داء الهيام أصابى      فأبأك عني لا يكن بك ما بينا<sup>(١)</sup>

(١) اللآلى ٢٢٦.

أو يكون من التهويم ، وهو هجوم النوم ، وهو في الأوجه الثلاثة اسم مفعول ، وكان قياسه مستهيمًا إلا أنه لما كان كأنه مغلوب على ذلك ، جاء على هذا وحذف « به » دلالة للمعنى . والصَّب : العاشق . البِكْر : التي ولدت بها . الجَو : اسم لنواحي السماء . مهبّ الريح : موضع هبوبها من الجَو ، وأراد بلمته التي يجيء منها ويخرج عنها للبلاد : الغنّاء : السكينة الأشجار ، وتقدّمت علّتها . أصبو : أمول . أدنى : أقل . توشيته : تزيينه كلامه . مشيته : إرادته . طَمَر : وثب ، وهو من الأضداد يقال : طمرتُ الشيء : سترته ، وطمر الجرح سَفُلَ وعَلَاً أيضاً ، ومنه قيل لبرغوث طامر ، لنزوه وارتفاعه . ناء : نهض . قَمَر : حازه بالقمار . سَكَم : مشى مشى المتعسّف . صَمَع : ذهب ، وقيل : لم يدر أين ذهب . والسَّكَم : الذهب على غير هداية ، والصَّمْع : الناحية من الأرض ، وما أدري أين صَمَع ، أى أى ناحية قصد من الأرض .



### [ فصل في تفسير الرؤيا ]

إذا أردت أن تعرف المائلة في هذه الأحاجي فننظر « جوعٌ أمدٌ بزاد » فتقابل به بطوامير ، فتقسم هذه اللفظة ، فتقابل القسم الأول وهو « طوا » بقولك : « جوع » فتجده مثله في المعنى ، وتقابل بالقسم الثاني ، وهو « مير » قولك : « أمد بزاد » ، فتجده مثله في المعنى ، والمير الإمداد بالزاد ، ومير الرجل : أعطى نفقة وقوتاً لعياله ، فهذه المائلة الحقيقية التي قدّم ، وكذلك تقابل « ظهر أصابته عين » بقولك : « مطاعين » ، فتجد المطأ الظهر ، وعين الرجل : أصيب بالعين ، وكذلك صادف جائزة ، هي أنى صلة ، وأنى هي : صادف ، والجائزة هي الصلّة ، تصل



بها مَنْ قصدك . وإن تركت الألفاظ منظومة بغير تقسيم ، ينتج منها معنى آخر فيقال لك : ما الطوامير ؟ فتقول : السكتب ، الواحد طُومار ، والمطاعين : جمع مِطْطمان ، وهو الكثير الظمن ، والفاصلة ، التي تقع بين شيئين فتفصل هذا من هذا والفاصلة في العروض : توالي أربعة أحرف أو ثلاثة متحركة بعدها ساكن ، وهكذا هي المقايضة في هذه المقامة ، تصل اللفظة فيكون لها معنى ، وتفصلها فيكون لها معنى آخر .

وأنا أفسر معنى المتصلة إذ المنفصلة قد وقع تفسيرها في المقامة . قوله : هادية ، أي مرشدة ، تقول : هدتني الطريق فهي هادية . والفاشية : ما يغمى القلب ، أي يغطيه من الهم والسقم ، والفاشية أيضاً القوم يمشونك ، أي يقصدونك ويوزرونك ، والفاشية : القيامة ، والفاشية : المرأة تفشاك وتزورك ، والفاشية غشاء القلب ، والفاشية : غشاء السرج .

والمهمة : القفر ، والأخطار : جمع خطر ، وهو القَرَر ، والأخطار : المنازل الشريفة . والأبارقة : جمع إبريق ، وهو إناء معروف ، والأبارقة أيضاً : الشيوف الصقيلة ، واحدها إبريق ، والطاقية : الجيفة تطفو على وجه الماء ، أي تطلع عليه .

الفرازين : وزراء الفُرْس الواحد فرزان ، ومنه فرزان الشطرنج ، الذي تسميه العامة « فرزا » ، لأنه وزير الشاه ، والشاه في كلام الفرس الملِك . وقمت : معناه كفت .

والمنتقم : الفرح بمصيبة غيره . والرَّحْرَاح من الأواني : الواسع القصير الحديد ، ورَّحْرَاح : موضع معروف . والصنْبُور : النخلة الطويلة العنق القليلة الحمل ، والصنْبُور أيضاً : العفص الذي يجعله السقاء في فم القربة ، ويشد

عليه ويفرغ منه الماء ، والصنوبر أيضاً : اللثيم ، والصنوبر من الناس من  
ليس له نسل .

والمترجين : الذئب الواحد ميرحان . الأسكوب : المطر الكثير الصب  
والأسكوب والأسكاب : قطعة خشب فيها قرص تجمل في خرق الزق .  
والمقلاع : آلة يُقلع بها الشيء . والله الموفق .

## تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوعٌ أمدٌ بزادٍ ، فثله طوامير ، وأما ظَهْرٌ أصابته عين ، فثله مَطَاعِين ، وأما صادف جائزة فثله الفاصلة . وأما تناول ألف دينار ، فثله هادية . وأما أهْمِلَ حَلِيَّةٌ فثله المَاشِيَّة .

وأما ا كُفِّفَ ا كُفِّفَ ، فثله مَهْمَه ، وأما الشقيق أفلت فثله أخطار .

وأما ما اختار فضة فثله أبارقة ؛ لأن الرقة من أسماء الفضة ، وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « الرقة ربع العشر » .

وأما دس جماعة فثله طافية . وأما خالى اسكت فثله خالصة ؛ لأنك إذا ناديت مضافاً إلى نفسك جازلك حذف الياء ، وإثباتها ساكنة ومتحركة ؛ وقد حذف هاهنا حرف الذاء ، كما حذفه في أصل الأحيائية . وصة بمعنى اسكت ، وأما خُذْ تلك فثله هاتيك .

وأما حمار وحش زُبْنَا ، فثله قرابين ، لأن الفراء حمار الوحش ، ومنه الحديث : « كلّ الصيد في جوف الفرا » .

وأما قوله : « أنفق تقم ، فثله منتقم ؛ لأن الأمر من مان يَمُونُ مَنْ . ومضارع وقت تقم .

وأما استنش ربيع مدامه ، فثله رَحْرَاح ؛ لأن الأمر من استدعاء الرامحة رُحْ . وأما غَطَّ هَلَكِي فثله صنبور ؛ لأن البورم الهلكي ، وفي القرآن ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ .

وأما سارَ بالليل مدة ؛ فثله سَراحين .

وأما أحب فزُوقه ؛ فثله مِقْلَاع ، لأن الأمر من وَمَق يَمُق مُمُق . واللاع :  
الجبان ؛ يقال : فلان هَاعَّ لَاعَّ ؛ إذا كان جباناً جَزُوعاً .  
وأما أعط أبريقاً بلُوح بغير عُرْوَة ، فثله أَسْكُوب ؛ لأن الأوس الإهطاء  
والأسم منه أس . والكبوب : الأبريق بغير عُرْوَة .  
وأما الثور ملكي ، فثله اللَّأَى ؛ لأن اللَّأَى على وزن القنا هو ثور الوحش .  
وأما صفيح جَحْفَلَة ، فثله مكاشفة ؛ لأن المُكَاء الصفيح ؛ قال تعالى :  
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ ، والأصل في المكاء  
المد ؛ ولكنه قصّره في هذه الأحجية ، كما حذف همزة الفراء في أحجيته ، وكلا  
الأمريين من قصر المدود ، وحذف همزة المهموز جائز .

## المقامة السابعة والثلاثون وتعرف بالصعدية

حكى الحارث بن همام قال: أضعدتُ إلى صعدة، وأنا ذو شظايطٍ يحكى الصعدة، واشتدادٍ يبدرُ بناتِ صعدة؛ فلما رأيتُ نُضرَّتها، ورعيتُ خُضرَّتها، سألتُ نَحاريرَ الرِّوَاةِ، عمَّا تحويه من السَّراةِ، ومعادِنِ الخيراتِ؛ لأتَّخِذَهُ جَدْوَةً فِي الظُّلُمَاتِ، وَنَجْدَةً فِي الظُّلَامَاتِ. فُنِمْتُ لِي قَاضٍ بِهَا رَحِيبُ الْبَلَاغِ، خَصِيبُ الرَّبَاعِ، تَمِيْمِي النَّسَبِ وَالطَّبَاعِ؛ فَلَمْ أَزَلْ أَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْإِلْمَامِ، وَأَتَنَفَّقُ عَلَيْهِ بِالْإِجْمَامِ؛ حَتَّى صَرْتُ صَدَى صَوْتِهِ، وَسَلْمَانَ بَيْتِهِ.

\* \* \*

أصعدت: طلعتُ وارتفعتُ، قال يعقوب: الإصعاد إلى نجد واليمن والحجاز، والانحدار إلى العراق والشام وعمان. وقال الأَخْفَشُ: أصعد في البلاد: سار فيها ومضى، وأصله الذهاب في الصعود وهو الارتقاع، ثم توسعوا في ذلك. قال الفراء رحمه الله في ابتداء الأسفار والخارج، تقول: أصعدنا من مكة إلى بغداد، وأصعدنا من بغداد إلى خراسان، فأما في السلم فتقول: صعدت فيه لا أصعدت. قال يعقوب رحمه الله: صعد في الجبل وأصعد في البلاد: انحدر فيها، وصعد: ارتقى.

وصعدة: مدينة عظيمة باليمن، بينها وبين صنعاء ستون فرسخاً، وتحكمُ

فيها صنعةُ الجلود ، والجلد الصمديّ في غاية الجودة ، ويضرب المثل  
بجسّن نساءها .

الشَّطاط : طول القامة . والصَّعْدَة : الرمح . اشتداد : جرى . يبدر :  
يسبق . بنات صَعْدَة : حمر الوحش . نُضرتها : خصبها ونعمتها ، والنضرة : صفاء  
اللون وبريقه . محارير : علماء ، والنَّحرير ، الماهر ، والحاذاق الذي جرّب الأمور  
وعرفها ، وهو اسم يجمع وجوها من المدح ، فيفتمّر النحرير بالعالم والمفلق  
والحاذاق والماهر والعاقل . والسَّرَاة : السادة ، وهو جمع سَرِيّ ، وهو السيد  
الشريف ، وجمع فَمِيل على فَعَلَة عزيز لا يُعرف غير هذا . الجذوة : الجرة  
الغليظة العظيمة ، وجيمها بثلاث حركات ، ويجمع ثلاثتها ، نحو جَذَا وجَذَا وجَذَا  
نجدة : قوّة وعونا . الظَّلَامات : جمع ظُلامَة ، وهو ما يشعكبه المظلوم ، رَحيب  
الباع : واسع العطاء ، فكُنّي بالباع عن ذلك . والعرب إذا وصفت الرجل  
بالسخاء ، قالوا : هو رحيب الباع ، وطويل الباع ، وكرم الباع ، والباع والبوع  
بَسَط اليد بالمعروف ، وقد باع ببوع منه ، ويقال للبخیل : قصير الباع . خصيب  
الرُّباع ، أى هو كثير المسال فجمع له كرمه كثرة ماله ، فالتماس يجدون في  
كَنَفِهِ الخِصْب وقد يراد بخصيب الرباع نافق سوق الأحكام فالتعلق به يجد  
الخصب .

تميميّ النسب ، أى من بنى تميم وشرك الطباع مع التَّسب ، وهو يريد  
أنه كامل تام في خلقه ، فنسب قبيلته لتميم ، وطباعه للتتام والكمال فنقلب  
أحدهما ، وشرك بينهما لاترب . قال ابن شرف : فيما يلمّ بهذا التمشريك ، ويجسّن  
أن يمدح قاضى القامة به لجوده :

جارِرٌ عَلِيًّا وَلَا تَحْفِلُ بِمَحَادِنَةٍ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَتَسْأَلِ عَنِ الْأَسَلِ (١)

(١) نقله في التنف ١٠٩ .

اسم حكاة المُسَمَّى في الأفعال فقد حاز العاليتين من قول ومن حمل  
فالمالجد السيد الحرّ الكريم له كالتنعت والعطف والتوكيد والبدل  
زان العلاء وسواه شأنها، وكذا تميز الشمس في الميزان والحمل  
وربما عابه ما يفخرون به

يُسْنَا من انخضر ما يهوى من الكفل  
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع ، والأفواه والمقل

فإنه أراد بقوله : «حاز العاليتين» ، أي حاز عليًا بالاسمية ، والعلو بالفعلية ،  
وهذا مثل ما تقدم للحريّ :

جاد بالعين حين أسمى هواه عينه فاشتي بلا عينين

فقد أوقع التشبيه على شيتين ، يتفقان في اللفظ ، ويختلفان في المعنى . وقد  
أشدنا فيما تقدم لهض المتأخرين :

فكيف أصبر عنها اليوم إذ جمعت  
طيب الهواين ممدود ومقصود

فالمقصود هوى النفس ، والممدود الهواء الذي بين السماء والأرض ، وقد  
قدمنا في تفسير قول الحريّ ، وحيّا المسجد بالتسليمتين ، أن السلام الواحد  
على من في المسجد عند دخوله ، والثاني تحليل الصلاة .

وقوله : هنا تيمية النسب والطباع من هذا القبيل ، وأكثره في كلام  
المولدين ، وهو مستعمل في كلام العرب ، ولا يبعد أن يكون من هذا قولهم :  
اللقى الثريان ، فإنهم يريدون بذلك كثرة المطر ، وأنه يبلغ في الأرض إلى التراب  
الندى ، فالترى الواحد المطر ، والثاني التراب الندى ، على أنه يحتمل أن يريد

بذلك أن التراب اليابس لمآبله المطر ، حتى لحق بالتراب الندى ، صار اليابس منهما يسمى «ثرى» ، فقيل : التقى الثريان ، وقال النابغة :

وقد أبقتْ صُروف الدهر منى كما أبقت من السيف الجمانى<sup>(١)</sup>  
بصمّم وهو مأثور جُرازٌ إذا نُجمت بقامه اليسدان

فسره أبو عبيد البكري<sup>(٢)</sup> وغيره : بأنه أراد بذلك الجارحة ، والأيد الذي هو القوة ، فجمع على الأخف ، فهذا من قبيل ما قدمناه ، ولا يحضرنى الآن غير هذا من كلام العرب .

قوله : الإلام ، أى تخفيف الزيارة . أنفق ، أنخرج ، والفتاق ضدّ الكساد . الإجم : الزيارة . صدى صوته ، أى متى دعاه وجده حاضرًا مجيبًا له ، والصدى : صوت الجبل الذى يردّ عليك إذا صحت .

وابن همام فى هذا المقامة شُرطىّ القاضى .

### [ ذكر مناقب سلمان الفارسى ]

وسلمان الذى ذكره ، هو سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ، ويعرف بسلمان الخير ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان لسلمان رضى الله عنه مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفرد به فى الليل ، حتى كاد يفلتنا عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أمرنى ربي بحبّ أربعة ، وأعلمنى أنه يحبهم : على ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان » ، رضى الله تعالى عنهم .

وأنى أبو صفيان على سلمان وصهيب وبلال ، فقالوا : ما أخذت سيوفُ الله من عنق عدوّ الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش

(١) هو النابغة الجعدي والبيتان فى أمالي القالى ١ : ٧١ . والآلى ٢٤٦ والحزاة ١ : ٥١٣ . والمأثور : الباقي أثره ، والجراز : الماضى التافذ .

(٢) فصل المقال ١٤٨ .



وسيدهم ! وأنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا أخوتاه ، أأغضبتكم ؟ فقالوا : لا ، ويغفر الله لك .

وكان من أبناء أساورة فارس ، وأصله من رامهرمز ، وقيل : كان من أصبهان ، وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده ، فدان بالنصرانية وغيرها ، وقرأ الكتب ، وصبر في ذلك على مشقات نالته ، وكلمها مذكورة في إسلامه في كتب السيرة .

وقيل : تداوله في ذلك بضمة عشر رباً ، حتى أفضى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتراه من قوم من اليهود .

وأول مشاهد الخندق ، وهو الذى أشار بحفره ، فقال أبو سفيان وأصحابه : هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدوها .

وسئل على عنه فقال : علم العلم<sup>(١)</sup> الأول ، بحر لا ينزف ، هو منا أهل البيت ، وفي رواية : هو مثل لثمان الحكيم ، وكان فاضلاً حبراً زاهداً عالماً متقشفاً .

وتعلم حمله الخوص ، فقيل له : لم نعمل هذا وأنت أمير ! وقد أجرى عليك رزق ، فقال : إني أحببت أن آكل من عمل يدي . وكان يتصدق بما رزق من بيت المال ، وكانت له عيادة يفترش بعضها ويلبس بعضها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان الدين في الثريا لناه سلمان » .

أبو هريرة رضى الله عنه ، كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ سورة الجمعة ، فلما قرأ : « وآخريين منهم لما يلحقوا بهم »<sup>(٢)</sup> - وفيها سلمان - وضع يده على سلمان ، ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناه رجل من هؤلاء » .

(١) ط : « علم » وما أثبتته من الاستيعاب ص ٦٢٧ .

(٢) سورة الجمعة ٣

وتوفِّي في آخر خلافة عثمان رضى الله عنه ، وماتك شيئا يورث عنه .  
وفضائله كثيرة .

وعلى قولهم لأبى بكر « لا ، وبغفر الله لك » . قال أبو محمد فى الذرة :  
وربما أجاب المستخبر بلا النافية ، ثم عقبها بالدعاء له ، فيستحيل الكلام إلى  
الدعاء عليه ، كما روى أن أبا بكر رضى الله عنه رأى رجلا ، بيده ثوب ، فقال :  
أتبيع هذا ؟ فقال لا عافاك الله ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : لقد علمت لو تعلمون  
فهل قلت : لا وعافاك الله !

قال أبو محمد : والمستحسن ما قال يحيى بن أكرم للأموون ، وقد سأله عن أمر ،  
فقال : لا ؛ وأبى الله أمر أمير المؤمنين .

وحكى أن الصحاب بن هبدا لما سمع هذه الحكاية ، قال : والله لهذه  
الواو أحسن من واوت الأصداع ، فى حدود المرزد الملاح .

• • •

وكنت مع اشتيار شهيد ، وانتشاق رنديه ، أشهد مشاجر  
الخصوم ، وأسفير بين المعصوم منهم والمؤصوم . فبينما القاضى  
جالس للإسجال ، فى يوم المحفل والاحتفال ؛ إذ دخل شيخ  
بالى الرّياش ، بادي الارتعاش ؛ فتبصر الحفل تبصر نقاد ،  
ثم زعم أن له خصما غير منقاد ؛ فلم يكن إلا كضوء شرارة ،  
أو وصى إشارة ؛ حتى أحضر غلام ، كأنه ضيرغام فقال الشيخ :  
أيّد الله القاضى ، وعصمته من التغاضى ؛ إن ابى هذا كالقلم  
الزّدى ، والسيف الصّدى ، يجهل أوصاف الإنصاف ، ويرضع  
أخلاف الخلاف ، إن أقدمت أحجم ، وإذا أغربت أعجم ،

وإن أذكيتُ أَخْمَدَ ، ومَتَى شَوَيْتَ رَمَدًا ؛ مع أُنَى كَهَلْتَهُ مَذْ  
 دَبٌّ ، إلى أنْ شَبَّ ، وكُنْتُ له أَلْفٌ مَن رَبِّي وَرَبِّ .  
 فأَكْبَرُ القَاضِي ما شَكَا إليه ، وأَطْرَفَ بِهِ مَن حَوَّالِيهِ ، ثم قال :  
 أَشْهَدُ أَنَّ العُقُوقَ أَحَدُ الثُّكَلَيْنِ ، وَارْبُ عُمُقِمَ أَقْرُ لِلْعَيْنِ .

\*\*\*

قوله : اشْتِيَارُ شَهْدَةٍ ؛ أى اسْتِخْرَاجُ عَسَلِهِ ، وأَرَادَ اجْتِنَاءَ مَنفَعَتِهِ . انْتِشَاقُ :  
 شَمٌّ ، يُقَالُ : نَشَقَ الرِّيحُ العُطْبِيَّةَ نَشْقًا وَانْتَشَقَ : وَتَنَشَّقُ : شَمَّهَا . الرَّئْدُ : شَجَرٌ طَيِّبٌ  
 الرَّائِحَةُ ، قال ابن دريد رحمه الله : هو الأَس ، وقال الجوهري رحمه الله : ربما  
 سُمِّيَ العُودُ رَيْدًا . مَشَاجِرُ المَصُومِ : مواضع الخصاص التي يتشاجر فيها الخصمان ؛  
 أى يمتزج كلام هذا بكلام هذا ، من الشُّجْر ، واحدها مَشْجَرٌ ، وقد يراد بها  
 المصدر ، وُجِّعَ لاختلاف أنواعه . أسفر : أمشى بينهم بالصلاح المصوم : المحفوظ  
 من الوقوع فيما يحذر ، وأصل العصمة في كلامهم المنع ، وعصمته من كذا ،  
 إذا منعته . (وَاللَّهُ بِمَقْصِدِكُم مِّنَ النَّاسِ) <sup>(١)</sup> ، أى ينفك . الموصوم : ذو الوضم ،  
 وهو العيب ، فأراد أنه يصلح بين أهل الظلم والشر . للإسجال : للحكم ،  
 وأسجل القاضي على نفسه بالحكم ، وسجّل ، إذا كتب على نفسه ، فأراد أنه جلس  
 للحكم في العقود والسجلات . ومحفل القوم : مجتمعهم . والاحتفال : كثرة الناس  
 واجتماعهم ، ومعنى احتفل الرجل : جمع ، وأراد : يكثر من الشيء الذي قصد ،  
 وجمع المحفل محافل ، ومنه الشاة المحفلة ، وهي التي يجبس لبها أياماً في ضرعها  
 لا تحلب . الرياش : الثياب . تبصّر الحفل : نظر الجمع وشخص فيهم . نقاد :  
 مفسّس ، كأنه يتقدّم ببعصره الرجال ، ويريد أنه نظر من شرط القاضي أهل الحزم

(١) سورة المائدة ٦٧ .

والجراءة، فأخبرهم بقصة ابنه، فأنطلقوا فنوابه، ونقاد الدرهم: الذي يُعْمِن النظر فيها  
والثقلب لها، ليميز جيدها من رديتها . وحى إشارة . يريد إشارة العين ، إذا  
غمزت مَنْ تريد أن يفهم إشارتك دون غيره، والوحى: الإيماء الخفى . ضِرْغام:  
أسد في عِظْم خلقته وشدته . التفاضى: التماثل والسكوت عن الظلم . الصّدَى:  
الذى علاه الصّدأ، وهو وسخ السيف . والأخلاف جمع خِلاف، وهو ما يجلب  
منه اللبن ويقبض عليه الحالب . قال ابن دريد: وقيل: الخِلاف للناقة كالضمرع  
للبقرة . أحجم: تأخر . أمربت: أوضعت . أعجم: أبهم وأبس . أذكيت:  
أوقدت . أخذ: أطفأ، وخذت النار: طُفئ لهبها . كفلته: رببته . دبّ:  
مشى مشى صغير على يديه ورجليه . شبّ: صار شاباً لطف: أشفق وأرق . ربّ:  
أصلح، يريد أنه أصلح أحواله، وأحسن تربيته تحمّزاً من أن ينسبه الفاضى إلى  
تقصير . أكبر: رآه كبيراً . أطرف: أعجب، وجعلهم يستطرفون خبره .  
الشككين: الفقدين، يريد أن الرجل إذا عمّه ولده ولم يبرّه فكأنه قد فقده .

### [ ذمّ العتوق ]

ومما جاء في العتوق: كان جرير الشاعر أعقّ الناس بأبيه، وكان بلال  
ابنه كذلك، فراجع جرير بلالاً في الكلام، فقال له بلال: الكاذب بينى  
وبينك ناك أمّه، فأقبلت أمّه عليه، وقالت: يا عدوّ الله، تقول هذا لأبيك!  
فقال جرير: دعيه، فكأنه سمعها منى وأنا أقولها لأبى .

ومن شهر عنه العتوق بوالديه الخطيئة الشاعر، قال يهجو أباه:

لحاك الله ثمّ لحاك حقاً أباً ولحاك من عمّ وخال<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ١١٩

فبئس الشيخ أنت لدى الحازي وبئس الشيخ أنت لدى المعالي  
جمعت اللؤم لاحتباك ربي وأبواب السّماة والضلال  
وقد تزدّم هجو نفسه وأمه .

وعن هجا أباه وغيره على بن بسام ، وما سلم من هجائه أمير ولا وزير ،  
ولا كبير ولا صغير ، ومما قال في أبيه :

هيك عُحْرَتِ عُحْرَ عشرين نَسْرًا أنرى أنفى أموت ونبقى<sup>(١)</sup>  
فلئن عشتُ بعدم موتك يوما لأشقن جيب مالك شقا  
وقال فيه أيضا :

بمئتُ لأسئمدك عَيْرًا ولم أكن عَلِمْتُ بأنّ العَيْرُ صار لنا صِهْرًا  
فوجّه به كي نشترك في ركوبه فتركبه بطنًا وأركبُه ظهْرًا  
وقال فيه أيضا :

شدت دارًا خلقها مكرمة ساط الله عليها الفرقا  
وأرانيك صريبا وسطها وأرانها صعيدا زلقا  
وقال فيه أيضا :

بني أبو جعفر دارًا فشيئدما ومثله لظهور الدور بنساء  
فالجوع داخلها والذلّ خارجها وفي جوانبها بؤسٌ وضراءُ  
ما ينفع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبزٌ ولا ماء

وكذب ، كان أبو جعفر محمد بن نصر بن منصور بن يسام في نهاية  
السودد والرودة والنظافة ، رجل مترفٌ نبيل المركب ، ماهج الملبس ، ظريف  
العلمان ، له همة في تشييد البنيان ، ومارثاه ابن الرومي به بدل على كذب ابنه ،  
قال ابن الرومي فيه :

(١) ابن خالكان ١ : ٣٠٢ .

أودَى محمد ابن نصرٍ بعدما ضُرِبَتْ به في جوده الأمثال<sup>(١)</sup>  
 ملكٌ تنافست العلا في عمره وتنافست في موته الأجالُ  
 مَنْ لم يعاين صيرَ نَمشَ محمدٍ لم يدر كيف تُسيرُ الأجمالُ  
 ودخرته للدهرِ أعلمُ أنه كالحصنِ فيه لمن يثولُ مالُ  
 وتمتعتُ نفسى بروحِ رجائه زمناً طويلاً والتمتعُ مالُ  
 ورأيتُه كالشمسِ إن هي لم تُنلْ فالرفقُ منها والضياءُ ينالُ  
 لم في لفقـدك يا محمدُ إنه فقِدَتْ بك النفعاتُ والأنقالُ  
 بالله أقسمُ إنَّ همك ما انتفضى حتى انتفضى الإحسانُ والإجمالُ

ولابن بسام يمزى أبا القاسم بن وهب في ابن مات له :

قل لأبي القاسم بن وهبٍ أنى بك الدهرُ للمعائب<sup>(٢)</sup>  
 ماتَ لك ابنٌ وكان زينا وعاش ذو الشين والمعائبُ  
 حواءُ هذا كوت هذا فليس تغلُو من المصابِ

وقد تقدّم هجوه في أخيه .

ومن حسن التعطف على الابن المات، قول إبراهيم الصابر ، وكان  
 ابنه يمهقه :

أرضى عن ابني إذا ما عنتي حذراً عليه أن يفضبَ الرحمنُ من غفَبي  
 ولست أدرى بم استحققتُ من ولدي إسخانَ عيني وقد أقررتُ عينَ أبي!

• • •

قوله : ولرب عقيم ، العقم الأ تلد المرأة .

(١) مختارات البارودي ٣ : ٣٢٤

(٢) خاص الحاس ١٠٩

فقال الغلام ؛ وقد أمتعه هذا الكلام : والذي نصب  
 القضاة للمدل ، ومدكهم أئمة الفضل والفضل ، إنه مادعا قط  
 إلا أمنت ، ولا ادعى إلا آمنت ، ولا لبي إلا وأحرمت ،  
 ولا أوري إلا وأضرت ؛ بيد أنه كمن ينبغي بيض الأنوق ،  
 ويطلب الطيران من النوق . فقال له القاضي : وبم أعتك ،  
 وامتحن طاعتك ؟ قال : إنه مذ صفر من المال ، ومني  
 بالإحمال ، يسومني أن أتلمظ بالسؤال ، وأستمطر سغب  
 التوال ؛ ليفيض شربه الذي غاض ، وينجبر من حاله ما أنهاض ،  
 وقد كان حين أخذني بالدرس ، وعلمني أدب النفس ،  
 أشرب قلبي أن الحرص متعبة ، والطمع متعبة ، والشرة متخمة ،  
 والمسألة ملامة .



أمتعه : أوجهه وأغضبه ، وأمعض من ذلك وامتعض : غضب وشق عليه  
 وأوحه . ادعى : نسب لنفسه ماشاء ، وفلان مدع وفله الدعوى . آمنت :  
 صدقت ما ادعاه . لبي : من تلبية الحاج إذا صاح : لبيك لبيك . أحرمت : صرت  
 محرماً . أوري : أظهره النار من الزند . أضرت : أوقدت . بيد : غير الأنوق :  
 ذكر الرخم ولا يبيض له ، فكأنه طلب أمراً لا يكون أبداً ، ومثله : طلب الأبق  
 العقوق ، والأبلى الذكر والعقوق من الخيل : التي امتلأ بطنها من حملها ؛ يقال  
 للأشي : قد أعقت وهي معق وعقوق ؛ فكأنه طلب أمراً لا يكون أبداً ، لأنه  
 لا يكون الأبلق عقوقاً .

ويقال : إن رجلاً سأل معاوية أن يزوجه أمه هنداً ، فقال : أمرها إليها ،  
 وقد أبت أن تزوج ، قال : فولئي مكان كذا وكذا ، فقال معاوية معتملاً :

طلب الأباقي العتوق فلما لم ينله أراد بيض الأنوق  
والأنوق : طائر أبيض في شواهد الجبال ، فبيضها في حرز لا يطمع فيه ،  
فعمناه طلب مالا يكون ، وأما طلب الطيران من النوق فمثل الأول ، وهو لا يمكن .  
قوله : أعنتك ، أى أنعبك ، وكذلك ما يشق عليك ، من عنت البعير بعنت عنتا ،  
إذا حدث في رجله كثر بعد الجبر ، فلا يمكنه التصرف إلا بمشقة . قال  
أبو عبيد رحمه الله : عنته : أضربه ، والعنت : الضرر ، قال : وأعنته أيضا ، أهلكه .  
وقال أحمد بن عبيد : أعنته : شدد عليه ، والعنت : التشديد .

ابن عزيز : عنت : هلاك ، وأصله المشقة والصعوبة ، ومنه قولهم : أكمة  
عنت ، إذا كانت صعبة المسالك ، وقوله تعالى : ﴿ لَأَعْتَبُكُمْ ﴾ (١) ، أى  
لأهلككم ، ويجوز أن يكون المعنى لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب أداءه  
عليكم ، كما فعل بمن قبلكم . امتحن : ابتلى . صفر : خلا . مني : بلى .  
الإحمال : الجذب والفقر . يسومى : يكافى . أتلف بالسر ، أى أكثر  
السلام به ، والتلفظ : تنقيع ما بقي في الفم من الطعام باللسان بعد الأكل . سحب :  
جمع سحابة . النوال : العطاء ، قال ابن الأنباري رحمه الله : النوال والنوال :  
المنفعة والحظ ، ونلت الرجل : إذا نفعته ، وأنلته حظا ونالني فلان : نفعني ،  
وقولهم : ما كان نولك أن تفعل كذا ؛ أى ما كان لك منفعة في هذا الفعل ،  
ونولك : منصوب خبر كان وأن فعل اسم كان أو بالمكس . يفيض : يسيل ويكثر .  
شربه : ماؤه ، وأراد به ماله : غاض : جفت . انهاض : انكسر . أشرب :  
روى وسقى . الحرص : كثرة الطمع والطلب للدنيا ، والشرة : الحرص  
الكثير . متخمة : مفسدة ، والمسألة : سؤال ما يبدى الناس . ملامة : لوم .

\*\*\*



ثم أنشدني من فلقٍ فيه ، ونَحَتْ قوافيه :

إَرْضَ بَأَذْنِي الْعَيْشِ وَاشْكُرْ عَلَيْهِ      شَكَرَ مِنَ الْقُلِّ كَثِيرٌ لَدَيْهِ  
وَجَانِبِ الْحَرِّصِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ      يَعْطُ قَدْرَ الْمَتْرَاقِ إِلَيْهِ  
وَحَامٍ عَنِ عِرْضِكَ وَاسْتَبْقِهِ      كَمَا يُحَامِي اللَّيْثُ عَنِ لِبْدَتَيْهِ  
وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَابَ مِنْ فَاقَةٍ      صَبَرَ أَوْلَى التَّزَمِ وَأَغْمِضْ قَلْبَهُ  
وَلَا تُرِقْ مَاءَ الْحَيَا وَلَوْ      خَوَّلَكَ الْمَسْتَوِلُ مَا فِي يَدَيْهِ  
فَالْحَرُّ مَنْ إِنْ قَذَبَتْ عَيْنُهُ      أَخْفَى قَدْرَ جَفْنَيْهِ عَنِ نَاطِرَيْهِ  
وَمَنْ إِذَا أَخْلَقَ دِيْبَاجَهُ      لَمْ يَرَ أَنْ يُخْلِقَ دِيْبَاجَتَيْهِ

• • •

فَلَقٌ : شِقٌّ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ . نَحَتْ : نَجَرَ ، أَرَادَ إِنْشَاءَ قِصَائِدِهِ . وَالْقَوَافِي ، مِنْ قَفْوَتِ الشَّيْءِ ، إِذَا تَبَعْتَهُ ، وَسَمَّيْتَ بِذَلِكَ الْإِتْبَاعَ بَعْضُهَا بَعْضًا الْقَلُّ : الْقِلَّةُ . الْمَتْرَاقُ : الْمُرْتَفِعُ . لِبْدَتَيْهِ . شَعْرٌ مُتَلَبِّدٌ عَلَى كَفَلِهِ وَبَيْنَ كِتْفَيْهِ . نَابَ : نَزَلَ . فَاقَةٌ : فَجْرٌ . أَغْمِضْ ، أَي اسْتَرْهَ وَأَغْفَلَ عَنْهُ ، وَالْحَيَا : الْوَجْهَ . خَوَّلَكَ : مَلَّكَكَ . النَّاطِرُ : سَوَادُ الْعَيْنِ ، فَيُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ فِي عَيْنَيْهِ قَذَى وَهُوَ السَّقَطُ عَلَى شِدَّةِ إِذَابَتِهِ ، أَحْتَمِلُهُ الْحَرَّ الْكَرِيمَ وَصَبَرَ عَلَيْهِ ، وَأَخْفَاهُ مِنْ نَاطِرَيْهِ : تَجَلَّدَ ، أَي أَخْفَى أَدَى بَعْضِ الْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْضٍ ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْمُبَالَغَةِ . دِيْبَاجُهُ : ثَوْبُهُ ، وَالْدِيْبَاجُ : ثَوْبٌ رَفِيعٌ . دِيْبَاجَتَيْهِ : خَدَيْهِ ، وَقِيلَ دِيْبَاجَةُ الْخَلْدِ حَسَنُ بَشَرَتِهِ ، وَأَخْلَقَ الشَّيْءُ ، وَأَخْلَقَهُ غَيْرُهُ لَازِمٌ وَمَتَعَدٌّ ، يَقُولُ : إِذَا افْتَقَرْتَ وَبَلَى ثَوْبُكَ فَلَا تَبْذُلْ وَجْهَكَ لِأَحَدٍ ، وَلَا تَمْنَنْهُ بِالسُّؤَالِ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ حَبِيبٍ :

ذَلَّ السُّؤَالَ شَجَاعًا فِي حَلْقٍ مَعْتَرِضٍ      مِنْ دُونِهِ شَرِقٌ مِنْ خَلْفِهِ حَرَّضٌ<sup>(١)</sup>  
 مَا مَاءٌ كَفَكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخَّتْ      مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِذَا أَفْنَيْتُهُ عَوَضٌ  
 وَقَالَ فِي ابْنِ الزُّبَايْنِ :

أَعْطَى وَنَطْفَةَ وَجْهِي فِي قَرَارَاتِهَا      بِصُونِهَا الْوَجَعَاتُ الْغَضَّةُ الْقُشْبُ<sup>(٢)</sup>  
 يَقُولُ : لَمْ يَخْلُقْ وَجْهِي سُؤَالَ ، فَوْجِهِ غَضٌّ جَدِيدٌ ، وَالنَّطْفَةُ : مَاءُ الْوَجْهِ  
 الَّذِي نَهَى الْحَرِيرِيُّ عَنْ إِرَاقَتِهِ حِينَ قَالَ :

وَلَا تُرِقْ مَاءَ الْحَيَا وَلَوْ      حَوَّلَكَ الْمَسْئُولُ مَا فِي يَدَيْهِ

[ بَيْنَ أَبِي تَمَامٍ وَعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَذَلِّ ]

قَالَ الصُّوَلِيُّ : كَانَ حَبِيبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَجِيبُ هَاجِيًا ، تَرْفَعًا عَنْهُ ، فَامْحَدِرُ  
 إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ يَمْدَحُ مِنْ بَهْمَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَذَلِّ :

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ تَبْرِزُ لَنَا      س<sup>(٣)</sup> بِكَلْتَيْهِمَا بُوْجِهٍ مُذَالٍ<sup>(٤)</sup>  
 لَسْتَ تَفْكَ طَالِبًا لَوْ صَالَ      مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا لِنَسْوَالٍ  
 أَيْ مَاءِ الْحَرِّ<sup>(٥)</sup> وَجْهَكَ يَبْقَى      بَيْنَ ذَلِّ الْهَوَى وَذَلِّ السُّؤَالَ  
 فَلَمَّا قَرَأَ الشَّعْرُ قَالَ : قَدْ شَفَلَ هَذَا مَا يَأْبِيهِ ، وَلَا أَرَبَ لَنَا فِيهِ<sup>(٦)</sup> .

وَحَكَى الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : جَمَعَ مَجْلِسٌ أَبَا تَمَامٍ وَعَبْدَ الصَّمَدِ ، وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ

(١) ديوانه ١٤٩

(٢) ديوانه ٤٨ .

(٣) في أخبار أبي تمام للصولي : « تفدو مع الناس » .

(٤) المذال : المهان .

(٥) « الصولي : لاء وجهك » .

(٦) أخبار أبي تمام للصولي ٢٤٢، ٢٤١

سريح القول ، وفي أبي تمام بطء ، فأخذ عبد الصمد قرطاسا ، وكتب : أنت بين اثنتين .. الأبيات ، ورمى بها إلى أبي تمام ، فأخذه وخلّاه به طويلا ، وجاء وقد كتب فيه :

أفّ تنظّم قولَ الزُّورِ والفَنَدِ وَأنتَ أنزُرُ مِن لا شيءٍ في العَدَدِ  
أشْرَجْتَ قلبك من بفض على حُرَقِي<sup>(١)</sup> كأنها حَرَكَاتُ الرُّوحِ في الجَسَدِ

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بظُرّ أمه<sup>(٢)</sup> ، أخبرني من « لا شيء » في العدد كيف يكون ؟ وعن قولك : « أَشْرَجْتَ<sup>(٣)</sup> قلبك » ، أعيبة أو خُرج ، فأشْرَجَ ، عليك لعنة الله<sup>(٤)</sup> .

فانقطع أبو تمام انقطاعاً ماريّ مثله .

وحكاية الصوليّ أوّلَى بالصحة من هذه ، وليس عبد الصمد من رجال أبي تمام ، ولاله من التصرف في أنواع الشعر ما لأبي تمام ، وصنمُ البديع وَقَفَّ عليه ، ولو صحّت الحكاية فلا يحكم بالقدرة ، لكن يحكم بالجملة ، واستعمال ديوان حبيب في مجالس العلماء شاهد على فضله ، على أن ما جمعنا لعبد الصمد في هذا الكتاب غاية في بابه . فلنرجع إلى ما قيل في ذل السؤال .

[ مما قيل في ذل السؤال ]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سأل وعنده ما يفدّيه أو بعثيه ، فإنما يستكثر من جَهَنَّمَ » .

(١) ط : « أشرجت » بالسين تصعيف .

(٢) بعدها في الأغاني : « يا فت » . وأشرجت العيبة : أو شدتها بخيط أو نحوه

(٣) أشرجت العيبة : شدتها بخيط .

(٤) الخبر في الأغاني ١٣ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ برويه عن ابن مهرويه . وفي آخر الخبر : قال

أبو الفرج الأصفهاني : « كان في ابن مهرويه تعامل على أبي تمام لا يضر أبا تمام هذا منه ، وما أقل ما يقدح مثل هذا في أبي تمام » .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : حسبك من السؤال أنه يهذف لسان المتكلم ، ويكسر قلب الشجاع البطل ، ويوقف الحرّ الكريم موقف العبد الذليل ، وبذهب بفضرة اللون ، ويهجو الحسب ، ويحبب الموت ، ويمتت الحياة .

الأصمعي رحمه الله : سمعت أعرابياً يقول : المسألة طريق الذلّة ، تساب الشريف عزّه والحسب حسبه .

وقال معاوية لعبد الله بن الزبير : أنشدني ثلاثة أبيات غريبة ، فقال أنشدكها بثلاثين ألفاً تدفعها إليّ ، فقال : حتى تنشد فأسمع ، فأنشده أبيات الأفوه الأودي<sup>(١)</sup> :

بلوتُ النَّاسَ قرناً بعد قرنٍ فلم أرَ غيرَ حَتَلٍ أو قَمَّالٍ<sup>(٢)</sup>  
ولم أرَ في الخطوب أشدَّ ضرراً وأذى من مُعَاذَةِ الرَّجَالِ<sup>(٣)</sup>  
وذقت مرارة الأشمَاء طراً فما شيء أمرُّ من السؤال

ثم قال له : أسمعك وأنت الحكم ، فحسبكم له ، وأمر له بثلاثين ألفاً .  
وينظر إلى ما نسبه ابن المعتز لحبيب من إضافة ذل السؤال ، ما أضافه له علي بن الجهم من ذل الاعتذار ، وقال يعقود للمتوكل :

إن ذلَّ السؤال والإعتذار خُطَّةٌ صَعْبَةٌ على الأحرارِ<sup>(٤)</sup>  
ليس من باطلٍ تورّدها المرء ولكن سوابقُ الأقدارِ  
فأرض للسائل الخضوعَ وللنا رِفَ ذنباً بذلّة<sup>(٥)</sup> الإعتذار

(١) ديوانه ٢٢ ( مجموعة الطرائف الأدبية ) ، ميون الأخبار ٣ : ١١٣ .

(٢) الديوان : « غير خلاب وقال » .

(٣) رواية الديوان : « فاطم الخطوب » .

(٤) ديوانه ١٤٩ .

(٥) الديوان « مضاهة » .

إن نجافيت منما كنت أولى من نجافى عن الذنوب الكبار  
أو تعاقب فانت أعرف بالله وليس العقاب منك بمار

وقال أيضاً :

هى النفس ما حملتها تعجلُ      وللهدر أيامٌ تجورُ وتمدِلُ<sup>(١)</sup>  
وعاقبة الصبر الجميل بجميلة      وأكل أخلاق الرجال التفضلُ  
ولاعاراً نزلت عن المرء<sup>(٢)</sup> نعمة      ولكن عارا أن يزول التعجلُ  
وما المال إلا حسرة إن تركته      وغنم إذا قدمته معجلُ

\*\*\*

قال : فعبس الشيخ واكفهر ، واندراً على ابنه وهر ،  
وقال له : صه باعق ، يا من هو الشجى والشرق . ويك ،  
أتعلم أمك البضاع ، وظنرك الإرضاع ، لقد تحككت المقرب  
بالأفقى ، واستنتت الفصائل حتى القرعى . ثم كأنه ندم على  
ما فرط من فيه ، وحدته المقة على تلافيه ، فرنا إليه بمن  
عاطف ، وخفض له جناح ملأطف ، وقال له : ويك يا بئى ،  
إن من أمر بالقناعة ، وزجر عن الضراعة ، ثم أرباب البضاعة ،  
وأولو المكسبة بالصناعة : فأما ذوو الضرورات ، فقد استثنى  
بيهم فى المحظورات ؛ وهبك جهات هذا التأويل ، ولم يبلغك  
ما قيل ، ألسنت الذى عارض أباه ، فيما قال وما حاباه !

(٢) الديوان : د من الجزء

(١) ديوانه ١٦٢ ، ١٦٣

قوله : اكْفَهْر ، اشتدَّ هبوسه ، ووجه مكْفَهْر : منقبض كالج ، لا بُرَى فيه أُنْزُ بَشْر ولا فرح . اندرأ : اندفع على ابنه بالشتم . مرّ : كثر وجهه وحبسه . صه : اسكت . يا عَمَّق : يا كثير العمق ، ويقال : عَمَّقَ أباه بعمقه عقوقا ، فهو عاق ، و يُبدَل إلى عَمَّق للمبالغة ، كما صر وعمر ، وعَمَّقَ أباه : لم يطمه وطمع رحمه . ولما قُتِل حمزة همُّ النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن عمه ، مرَّ به أبو سفيان ، فطمه بالرمح في شِدْقِه ، وقال : ذق عَمَّق ، أى ذق جزاء فِعْلِكَ يا عَمَّق ، والعَمَّقُ : القطع والشق .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاقُّ لوالديه ، والدبوثُّ ، ورَجُلَةٌ <sup>(١)</sup> النساء . »

قوله : الشَّجَا : الاختناق بالطعام ، الشَّرَقَ بالماء والطعام والشراب ، بهما قوام العيش ، فإذا عرض فيهما ذلك فقد عرضت مشقة وأذية في موضع الالتذاذ ، وكذلك الولد العاق ، وهو أذية في موضع راحة ، وما أحسن قول القائل :

قَرَايَةُ السُّوءِ دَاءٌ سُوءٌ فَاحِلٌ أَذَاهُمْ تَعِيشٌ حَمِيدًا  
فَن تَسْكُنُ قَرَحَةً بِفِيهِ يَصِيرُ عَلَى مَصَّةِ الصَّدِيدِ

المُضَاع : الفكاح والجماع . ظُنْرُك : مرضعتك . تحمكت : لصقت بها وحلقت حوايلها . استفتت : جرت متقابلة في سنن ، وهو الطريق والمذهب ، ومنه فلان بسنن ، أى يجرى على أى أمر شاء ، لا يجره عنه زاجر . وقيل : استفتت ، أى سمعت ، من قولهم : سنّ الراعى إبله ؛ إذا أحسن رعيها فأسمتها ، فكأنه حسنها وصقلها . القرعى <sup>(٢)</sup> : التى يصيبها الذرع في رأسها ، والقرعى : جمع قرعب ، مثل مَرَضَى ومرريض ، وهذه أمثال تضرب لمن ينشبه بغيره ، ولا يقوى قوته .

(١) الرجل ( بالضم ) من النساء المترجلة ابن الأثير .

(٢) لفظ المثل : استفتت الفصال حتى القرعى ، ذكره الميداني في ١ : ٣٣٣ ، وقال : « يضرب »

لذى يتكلم مع من لا يفهم ، أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره . »

فَرَطٌ : سبق . حدثه : ساقته . المِثْمَةُ : الحبة . تلافيه : تداركه بالمعطف عليه .  
 رنا : نظر : عاطف : راحم . ملاطف ، أى رفيق به ، أى حسن كلامه وأمنه .  
 وخض الجناح ؛ يكتفى به عن لين الجانب وبك : عجباً لك ! زجر : نهى .  
 الضَّرَاعَةُ : القَذال ، وضرع ضراعة فهو ضارع ، تضرع : تذلل وتخشع . البضاعة :  
 التجارة . المحظورات : المنوعات ، وأراد بالاستثناء ما أحل الله من المحرمات  
 لأهل الضرائر ، ويروى : سوغوا في المحظورات ، أى رخصوا لهم فيها . هبك :  
 أحسبك . التآويل : التفسير . ولم يبلفك ما قيل ، يعنى فى إباحة السؤال للمضطر ،  
 وهو قول الناس : الضرورات تبيح المحظورات ، ويصدقه قوله تعالى : ﴿ قَمَنَ  
 اضْطُرُّ فِي مَخْصَةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> الآية ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما المسألة كدوح يكدح  
 بها أحدكم وجهه إلا مسألة من ذى سلطان أوفى أمر لا بد منه » . عارضه :  
 قابله بتقيض ما قاله . حابه : اختصه بهذه الوصية ، أى جعل هذا الشمر وصية  
 لمن سمعه ، ويقال : حابى فلان فلاناً ، إذا مال إليه واتصل به ، أخذ من حبي  
 السحاب ، وهو السحاب الذى يدنو بمضه من بعض وقيل . حباه : خصه  
 باليل ، أخذه من الحَبْوَةِ ، وهى العطية يحميها الرجل صاحبه ، ويخصه بها ،  
 قال البيهقى : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ابنك ، وزوجك ، وخادمك .

\* \* \*

لا تَقْمُدَنَّ عَلَى ضُرٍّ وَمَسْعَبَةٍ لِكَيْ يَقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرٌ  
 وَاَنْظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ أَرْضٌ مُعْطَلَةٌ مِنْ النَّبَاتِ كَأَرْضِ حَقِّهَا الشَّجَرُ  
 قَعْدٌ عَمَّا تُشِيرُ الْأَغْيِيَاءُ بِهِ فَأَيُّ فَضْلِ لِعُودٍ مَالُهُ ثَمَرٌ  
 وَأَرْحَلٌ رِكَابَكَ عَنْ رُبْعٍ ظَمِئَتْ بِهِ  
 إِلَى الْجَنَابِ الَّذِي يَهْنِي بِهِ الْمَطْرُ

(١) سورة المائدة ٣

وَأَسْتَنْزِلِ الرَّيَّ مِنْ دَرِّ السَّحَابِ فَإِنْ  
 مُبْتُ يَدَاكَ بِهِ فَلْيَهِنْكَ الظَّفَرُ  
 وَإِنْ رُدِدْتَ فَمَا فِي الرَّدِّ مَنَّقَصَةٌ  
 عَلَيْكَ ، قَدْ رُدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ

\* \* \*

مسفية : جوع . حلقها : حلقها ، يريد أن الأرض ذات الخصب تقصد  
 لما فيها من الأرزاق ، والأرض المعطلة من النبات - وهي الجدبة - يفرّ عنها ،  
 وكذلك الغنى يُكرّم لاله ، والفقير يهجر ويهان .

[ فضل المال ]

ومما جاء في فضل المال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمعاشي : « إن  
 كان لك مالٌ فلك حسب ، وإن كان لك خلقٌ فلك مروءة ، وإن كان لك  
 دينٌ فلك كرم » .

وقال حكيم لابنه : يا بني أوصيك ، عليك بطاب المال ، فلو لم يكن إلا  
 أنه عز في قلبك ، وذل في قلب عدوك<sup>(١)</sup> .  
 وقال آخر لابنه : يا بني أوصيك باثنتين إن نزال بخير ما تمسكت بهما :  
 درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

وكان سعد بن عبادة يقول : اللهم ارزقني حمداً ومجداً ، فإنه لا مجدَ إلا  
 بفعال ، ولا فعال إلا بمال .

وقالوا : المال آلة للسكارم ، ومعون على الزمان ، ومتألف للإخوان ، ومن  
 فقدته قلت الرغبة إليه والرهبة منه .

قال سفيان الثوري : المال سلاح المؤمن في هذا الزمان .

(١) هاشم ط : « قوله : « فلو لم يكن إلا أنه » جواب لو محذوف ، أي لكماك أو نحره .  
 ( ١٦ - فرج مقامات الحريري ج ٤ )



وكان لأحيحة بن الجلاح بالزوراء ثمانمائة ناضح ، فدخل بسعاقا له ، ففتر بثمره فلقطها ، فلبم على ذلك ، فقال : ثمرة إلى ثمرة تمرات ، وجم إلى جل ذؤود . ثم أنشد يقول :

إني مقسيم على الزوراء أعمرها  
استغن أومت ولا يفرزك ذو نسب  
كل الفداء إذا ناديت بخذلي  
إلى الفداء إذا ناديت يا مالي

(١) إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال  
من ابن عم ومن عم ومن خال (٢)

وقال مروة بن الورد :

ذري للفتى أسمى فإني  
وأدنام وأهونهم عليهم  
يُبساعده القريب ونزديبه  
ويبقى ذو المعى وله جلال  
قليل ذنبه والذنب جم  
رأيت الدس شرمم الفقيير (٣)  
وإن أمسى له حب وخير  
حاملته ويقهره الصفير  
يكاد فؤاد لاقبه بطير  
ولكن للفتى رب غفور

ومن أمثال بغداد : المال المال ، وما سواه محال .

قوله : الأغبياء : الجهال ، وأراد بهم الذين يأمرون بالبخل . ظمئت : عطشت . والركاب : الإبل . والجناح : الجناح والناحية . يهيم : يسول . والرئى : الشبع من الماء ، والصوب وقع الماء . ولاظفر : الفوز بالحاجة ، يقول : فارق أرضك واغترب في طب المال ، وأسأل الكرماء بعبوك .

وقال الشاعر :

سأعمل نص العيس يوما ليكني  
فألموت خير من حياة يرى بها  
غنى المال يوما أو غنى الخلدان  
على المرء بالإقلال وتسم هوان

(١) الأغاني ١٥ : ٣٧ ، وفيه : « على الإخوان »

(٢) الأغاني ١٥ : ٣٧ ، وفيه : « على الإخوان »

(٣) البيان والتبيين ١ : ٢٣٤ ، ولم ترد الأبيات في ديوانه .

إذا قال لم يُسْمِعْ لِحَسَنٍ مقالِهِ وإن لم يقل قالوا عديمُ بيانٍ  
 كانَ الفِى في أهله يجعلُ الفِى بغيرِ لسانٍ ناطقاً بلسانٍ  
 وأشار بقوله : « قد رد موسى قبل والخضر ، إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا  
 أتيا أهلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَمَعَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا ﴾ (١) .

وفي نسب الخضر اختلاف ، منهم مَنْ جمعه من قابيل بن آدم ، ومنهم من  
 يجعل بينه وبين سام بن نوح خمسة آباء ، ويجعله من ذرية سام ، وقال عليه  
 الصلاة والسلام : « إنما سُمِّيَ خَضِراً لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز  
 خضرة » . وللفروة : الأرض البيضاء ، وقصته مع موسى مشهورة . وقيل إن  
 موسى صاحبه غير موسى بن عمران . وقال موسى للخضر حين فارقه : عظمي  
 فقال : لا يراك الله حيث نَهَاكَ ، ولا يفقدك حيث أمركَ ، فكما تذهب بأمل  
 صادق فتغيب ، قد تذهب بأملٍ كاذب فتصيب ، وتذهب للحقير ، وتدرك  
 الجليل . وقد ذهب موسى ليقْتَبِسَ ناراً ، فكلمه ربه . وقد تقدّم هذا .

قال ابن هبد ربه : مما جُبِلَ (٢) عليه الحرُّ السكريم ، ألا يقنع من شرف  
 الدنيا والآخرة بشيء مما انبسط له من أسر الدنيا ، بل يكون أملاً فيما هو أسنى  
 درجة وأرفع مرتبة ، ولذلك قال هر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو عامل  
 بالمدينة لدُكَيْنِ (٣) الراجز : إن لى نفساً تواقفةً ، فإذا بلفك أنى صرت إلى أشرف  
 من منزلتي فأتنى . فلما صار خليفة أتاه ، فقال : أنا أعلمتك أن لى نفساً تواقفةً ،  
 وأن نفسى ناقت إلى أشرف منازل الدنيا منزلة ، فلما بلغتُها وجدتها تتوقى إلى  
 أشرف منازل الآخرة منزلة .

ومن الشاهد لهذا المعنى أن موسى عليه السلام لما كلفه ربه تكليماً سألَهُ ،

(١) سورة الكهف ٧٧ (٢) ط : « الرعين » تحريف (٣) القصد ٣ ؛ ٢٠ ؛ ٢١

الغفر إليه إذ كان ذلك - لو وصل إليه - أشرف من المنزلة التي فالها؛ فالحرّ  
السكرام لا يقنع بمنزلة إلا رجا أشرف منها قال: ومن قولنا في هذا المعنى:

والحرّ لا يكفى أبداً من نيل منزلةٍ حتى ينال ألقى من دونها العطبُ  
يسعى به أملٌ من دونه أجلٌ إن كَفَّه رهبٌ يدعو به رغبٌ  
لذلك ما سال موسى ربه: أرني أنظرُ إليك وفي تسأله عجبٌ  
ببغى التزويد فيما نال من كرم وهو النجى لديه الوحي والكتب

وقال حبيب:

ذري وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه<sup>(١)</sup>



قال: فلمّا أن رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله، وتعلّيه  
بما ليس من أهله، نظر إليه بعين غضبي، وقال: أتميميامرة وقبسيما  
أخرى أف لمن ينقض ما يقول، ويتلون كما تتلون القول.  
فقال الغلام: والدي جملك مفتاحاً للحق، وفتاحاً بين الخلق؛ لقد  
أنسيت مذ أسيت، وصدي ذهني مذ صدّيت؛ على أنه أين الباب  
الفتح، والعطاء الشرح! وهل بين من يتبرع باللها، وإذ استطعم  
بقول: ها!

قال له القاضي: مه فمع الخواطي ستم صائب، وما كل برقي  
حالب، فيز البروق إذا شئت، ولا تشهد إلا بما علمت.

(١) ديوانه ٤٤٤

قوله تحلّيه : تزينه ، وقوله : أنميئاً مرة وقيسياً أخرى ، مثل يضرب لمن  
 يتناقض فيما يقول ، تقديره : أنتسب مرة لتميم وتنسب مرة لقيس ، وتميم وقيس  
 قبيلتان عظيمتان ، وبينهما أبدأ مكافحات ومقاتل ، وتميم هذا ابن مرة بن أدين  
 طابحة بن إلياس بن مضر ، وقيس ابن الهاس ، قال أبو الدرداء رضی الله تعالى عنه :  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الدرداء ، إذا فاخترت ففاخرت بقريش ،  
 وإذا كثرت فكاثر بتميم ، وإذا حاربت فحارب بقيس ، إلا أن وجهها  
 ككفانة ، ولسانها أسد ، وفرسانها قيس ، إلا أن لله فرساناً في سمائه وهم الملائكة ،  
 وفرساناً في الأرض وهم قيس ، وإن آخر من يقاقل على الإسلام حين لا يبقى  
 إلا ذكره ، ومن القرآن إلا رسمه ، رجل من قيس » ، قلت : يا رسول الله ،  
 من أي قيس ؟ قال : من سليم . وفي البديعية :

إن حالي مع الزما ن كحالي مع "تمسب"<sup>(١)</sup>  
 أنا أصحى مع التبيسط وأهيب مع العرب  
 نسبي في يد الزما ن إذا سامه انقلب

وقال زفر بن الحارث لعمران بن حطان : أزيدياً مرة ، وأوزاعياً أخرى  
 وقال عمران بن حطان :

فأهذر أخاك ابن زنباع فإن له في النائبات خطوباً ذات ألوان<sup>(٢)</sup>  
 يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت ممدداً فمدداني  
 وقال آخر :

أفي الولائد أولاداً لواحدة وفي العبيادة أولاداً لعلات  
 قوله : يتلون ، أي بتغير ويتنوع . والقول : ساحرة الجن ، وهو يتصور

(٢) الكامل ٣ : ١٧٠

(١) مقامات الحمذاني ١٠٥

في صور شقي . وأخذه من قول كعب بن زهير :  
 فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها إلا كما تلونُ في أنوابها الغول<sup>(١)</sup>  
 وتزعم العرب أنه إذا انفرد رجل في الصحراء ظهرت له في خِلْفَةِ إنسان ،  
 ولا يزال يقيمها حتى يضلَّ الطريق ، فتدنو منه ، وتتمثل في صور مخافة فتهاكبه  
 رَوْماً . وإذا أرادت أن تضلَّ الناس أوقدت نارا فيُبصرها السارى فيقتصدها ،  
 فتفعل ذلك وتروعه ، فإن كان الذي يأتيها شجاعاً مقدّماً تحامل وتبعها ، فإذا  
 رأت ذلك لم تضره ، وجلس يصطلي بنارها وهي معه . وقال تأبط شراً :

وأدّهم قد جبتُ جليبا به كما اجتابت الكاعب الخبيلاً<sup>(٢)</sup>  
 إلى ضوء نارٍ تنورُ رُشها<sup>(٣)</sup> فبت لها مدبراً مُقبلاً  
 فأمسيتُ والغول لي جارةً فيا جارنا أنت ما أهولا  
 فن يك عن جارتى سائلاً فإن لها باللوى منزلا

قال أبو عمرو رحمه الله بات تأبط شراً لئله ذات ظلمة ورعد وبرق بواد  
 يقال له : رحى بطن ، فلقية الغول - وهو سبعٌ من سباع الجن - فما زال يقاتلها  
 حتى قتلها ، فقال :

ألا من مبلغٌ فبيان فمهم - بما لا قيتُ عند رحى بطن<sup>(٤)</sup>  
 فإني قد رأيت الغول تهوى بسهب كالصحنفة صحنان<sup>(٥)</sup>  
 فشدت شدة نحوى فأهوى لها كفى بمصقول يماني  
 لها عينان في رأس قببج كراس المر مشقوق اللسان  
 وساقاً مخدج وشواة كلب وثوبٌ من عباء أو شقان<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ٨ (٢) الشعر والعمراء ٣١٣ . والحيل : الفرو ، واجتابته : ألبسته .  
 (٣) العمراء : « على شيم نار » (٤) مختار الأغانى ٢ : ١٥١ .  
 (٥) السهب : الفلاة . والصحنان : ما استوى من الأرض .  
 (٦) المخدج : الناقص الخلق . والشواة : كعب الرأس . والشقان : القرية الخلقة .

قالوا : وَخَلَقَتْهَا خاتمة إنسان ورجلاها رجلا حمار ، فإذا صاح بها الرجل :  
رجلي حمار انتهت نهيقا لا تخطيء السبب والطريق ، وفرت منه .  
وانظر في القاسمة والأربعين ذكر القطرب وفيه شيء مستظرف .  
قوله : فَتَاحًا ، أى حاكم . وافتح بيننا ، أى احكم بيننا ، والفتاح : الناصر ،  
والفتح : النصر . والحاكم : بصر المظلوم . أسيت : حزنت صدى ذهى ، أى  
تغلى بالفضة ، من الصدا ، وهو ما يعلوه من الدرّ . وصدت ، غير مهموز  
أصدى صدى ، وأراد مذ افتقرت علاني الوسخ ، وصحفي النسيان . الفتح :  
الكثير المتفتح الواسع الذى لا يطاق فى وجه قاصده . الشرح : الكثير الذى  
يسرح صاحبه فى أنواع الجود ، والسرح : السهل السريع ، وناقى سروح : مسرعة  
فى سيرها . يقبرع : يتفضل بجوده متطوعاً ، وتبرع : تطوع . اللها : العطايا .  
ها . معناها : خذ وتناول . وذكر أبو محمد هذه اللفظة فى الدرّة<sup>(١)</sup> فقال : ويقولون  
لمن يُناول شيئاً ، بقصر الألف ، فيلحنون فيها ، لأن الألف ممدودة كما جاء فى  
الحديث : « الذهب بالذهب رباً إلا هاء وهاء » . ويجوز فيه فتح المدة وكسرهما  
مع المدّ ولا تقصر إلا إذا اتصلت بها كاف الخطاب ، فيقال : هاك ؛ كما يروى  
أن علياً رضى الله عنه آب إلى فاطمة رضى الله عنها من بعض مواطن الحرب ،  
وسينه يقطر دما ، فقال :

• أفاطمَ هاكِ السيفَ غيرَ مذمّمٍ •

وعند الذحويين أنّ المد فيها بدل من كاف الخطاب ، لأن أصل وضعها أن  
تقرن كاف الخطاب بها . فساقها أبو محمد هنا مقصورة بغير كاف ، ووقع فيما زعم  
أنه لحن . فإن قيل : لملها لسا وقعت فى فقرة موقوف عليها ، يحتمل فيها ذلك ،  
فنقول : إنه قد أوردتها على فقرة قبلها مقصورة بإجماع ، وهى اللها نسواها معها ؛  
على أن أهل اللغة حكوا فى اللفظة أربع لغات : ها مقصورة كافى للقامة ، وهاء

بالدمع فتح الهمزة وكسرها . وسمع رجل أبا العتاهية ينشد :  
فانظر بطرفك حيث شئت فان ترى إلا بخيلا

فقال : قد بخلت الناس كلهم ، فقال : كذبى أنت بواحد منهم سمعنى .  
قوله : مه : ا كفف . الخواطرى : للسهم نخطىء الفرض ، وهذا مثل يضرب  
لمن يكثر الخطأ ويأتى أحيانا بالصواب . خالب : خادع شئت للبرق : نظرت  
سحابه أين يطر . أعظم : جملة عظيما .

\* \* \*

فلما تبين للشيوخ أن القاضى قد غضب للسكرام ، وأعظم تبخيلا  
جميع الأنام ؛ علم أنه سينصر كلمته ، ويظهر أكرومه ، فما كذب  
أن نصب شبكته ، وشوى فى الحريق سمكته ، وأنشأ يقول :

يأيها القاضى الذى علمه      وحلمه أرسخ من رضى  
قد ادعى هذا على جهله      أن ليس فى الدنيا أوجدوى  
وما درى أنك من مشر      عطاؤهم كالمس والسوى  
فجد بما يثنيه مستخزيا      مما افتري من كذب الدعوى  
وأنثى جذلان أنثى بما

أوليت من جدوى ومن عدوى

\* \* \*

والحريق : ما تحرقه النار من الحشيش والعودان ، وناره ضعيفة لا تدوم .  
السمك : كبش الماء ، فلا يستوى إلا على نار قوية فربما شوى سمكه ما دام  
لهب النار موجودا ، فإذا سكن الهم لم يتمكن من شيئا لعدم الجمر فى الحريق ،  
فيريد أنه حرّض القاضى بالشعر على السكرم ، حين اهتز للسكرام ، وغضب

من تبخيلهم . فهزه بهذا الشعر ليجود عليه قبل أن يسكن ، فربما يبدو له ألا يجود . أرسخ : أثبت رضوى : جبل بالمدينة سهل مشتق من الرضوان ، كان الذي يصمده راض عنه لقلة المشقة في صعوده . أخو جدوى : صاحب عطية وكرم . المن والساوى : طعام كان ينزل على بنى إسرائيل ، وقيل : المن الترنجيبين والساوى : الدماق ، وهو طائر . بثنيه : يره . مستخزبا : صاغرا خاضعاً . وىروى « مستخديا » ، والخديبة : الاستحياء ، أو يكون بمعنى مهانا ، والخزى : الهوان افترى : كذب واستبمد أنثى جدلان : أرجع فرحاً . أوليت : أعطيت . جدوى : إمانة ، أى أرجع بالجدوى ، وبإعانتك لى عليه حتى يتوب من عقوبه .

\* \* \*

قال : فهش القاضى لقوله ، وأجزل له من طوله ، ثم لفت وجهه إلى العلام ، وقد نصل له أسهم الملام ، وقال له : أرايت بطل زعمك ، وخطأ وهمك ! فلا تعجل بئها بدم ، ولا تمنعت عوداً قبل عجم ، وإياك وتأبيك ، عن مطاوعة أيبك ، فإنك إن عدت تمقه ، حاق بك منى ما تستحقه ، فسقط الفتى فى يده ، ولاذ بحقوق والده ، ثم نهض يحفد ، وتبعه الشين يمشد :

من ضامه أو ضاره دهره      فليتمرد القاضى فى صمده  
سماحه أزرى بمن قبله      وهده أئيب من بئده

\* \* \*

هش : فرح . أجزل : أكثر . طوله : إفضاله وهباته . لفت : رد . نصل : جعل له نصالاً ، وأنصلها : نزع نصالها ، والنصل : حديدة السهم . بطل زعمك ، أى بطلان قولك . وهمك : ظنك . تمنعت : تنجر . عجم : اختبار ،



أى حتى تعلم : هل هو قوى أو ضعيف ، يقول : لانتعب أحداً حتى تجرب به . قوله : وإياك وتأييدك عن مطاوعة أبيك ، أى احذر أن تمتنع عن مطاوعة والدك ، فإنك ومالك لأبيك .

جابر رضى الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقال له : اذهب ، فأنتقي به ، فأوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الشيخ عن شيء فى نفسه ، قاله فى شأن ابنه . فلما جاء الشيخ ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال ابنك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذ ماله ! فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقته إلا على نفسى أو على إحدى عيانه أو خالاته ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعنى من هذا ، أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ، ما سمعته أذنك ، فقال : يا رسول الله ، ما زال الله يزيدنا بك يقيناً ، لقد قلت فى نفسى شيئاً ، ما سمعته أذناى ، وأنشد يقول :

غذونك مولوداً وُعانتك يافماً	تَمَلَّ بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا ساهراً أتمل
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى	طُرقت به دُونى فعمساي تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما باشت السن والنسابة التى	إليها مدى ما كفتُ فيك أو مل
جملت جزأى غلظةً وفضافةً	كأنك أنت المنعم المفضل
فليحك إذ لم ترع حق أبوتى	فملت كما الجار الجاور بَقَل

قال : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلايب ابنه ، وقال : « أنت ومالك لأبيك » .

قوله : حاق ، أى نزل ، تقول : حاق به المكروه والشؤم يَحِيقُ حقيقاً ،  
نَزَّلاً به .

ابن عرفة : وجبا عليه وأزماءه ، قال الأزهرى رحمه الله : الحوق ما يحيط بالإنسان  
من سوء عمله ومكروه فعله ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ  
إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ، أى لا ترجع عاقبة مكرم إلا عليهم . سَقِطَ فى يده ، يقال ذلك  
لنادم المتعير ، ويقال : سَقِطَ فى يده وأسَقِطَ فى يده ، إذا ندم على فعله ، وتَحَسَّرَ  
عليه ، واليَدُ هنا : الندم ، وقوله : سَقَطَ الذئبُ فى يده ، قال جماعة من أهل اللغة :  
صوابه : سَقِطَ فى يده من غير تسمية الفاعل ، لأن الفعل يسند إلى الجرور .  
وقال الأزهرى رحمه الله : إِنَّمَا حَسَنَ سَقِطَ فى يده بضم السين ، غير مسمى فاء له  
الصلة ، وهى فى يده ، ومثله قول امرئ القيس :

\* دَعَّ عَنْكَ نَهَبًا صَبِيحًا فِي حَجَرَاتِهِ \*

أى صاح المنتهب فى نواحيه ، وكذلك المراد سقط الندم فى يده . وقال  
أبو القاسم الزجاجى : سَقِطَ فى أيديهم نظم لم يُسمع قبل القرآن ، ولا عرفته للعرب ،  
فيوجد فى أشمارها وحقى على الإسلاميين قال أبو نواس :

\* وَنَشْوَةٌ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي بَدْيِ \*

وأخطأ فى استمالها ، لأن فعلت لا يُبنى إلا مما يتعدى ، لا يقال : رغبت  
ولا غضبت ، إنما يقال رغبت فى وغضب على . لاذ : لجأ وتستر ، ولاذ فلان  
بفلان : تستر به ودار حوله ، وبعضهم يقول : أَلَاذ ، والأولى هى الغالبة ، واللواذ  
مصدر لاوَّذ ، ولذا أثبتت الواو ، ولو كان مصدر «لاذ» لقات لياذاً ، كقمت قياماً .

بحقو : مخضّر ، وجمعه أحقاء وحقاء . وحفد يحد أمرع . ضامه : أذله .

ضارَه : ضرته : أزدى : قصر . وتقدم مدي البيت في الرسالة السادسة  
والعشرين

\*\*\*

قال الراوى : فحررت بين تعريف الشيخ وتنكيره ، إلى أن  
أحرورف لسيره ، فناجيت النفس باتباعه ، ولو إلى رباعه ، أعل  
أظهر على أسرارهِ ، وأعرف شجرة ناره ، فمذت الملق ، وانطلقت  
حيث انطلق ، ولم يزل يخطو وأعتقب ، ويبعد وأقترب ، إلى أن  
ترأى الشخصان ، وحق التعارف على الخلصان ، فأبدى حينئذ  
الاهتِشاش ، ورَفَعَ الارتِماش ، وقال : من كاذب أخاه فلا عاش .  
فمرفت عند ذلك أنه السروجى بالأحالة ، ولا حمول حالة . فأسرعت  
إليه لأصافحه ، وأستعرف سانيحه وبارحه ؛ فقال : دونك ابن أخيك  
البر ، وتركبي ومر . فلم يمد الفتى أن أن افتر ، ثم فر كما فر ، فمذت  
وقد استنبنت عينيهما ، ولكن أين هما

\*\*\*

أحرورف : مال واحرف . ناجوت : حدثت . رباعه : دياره . شجرة  
ناره ، يربد أصل جبلته . أعتقب : أمشى خلفه واتبع عقبه . ترأى : ظهر ،  
وخلصان الرجل : صديقه الذى خلصت له مودته . الاهتِشاش : الطرب والبشر .  
الارتِماش : الرعدة ، يريد أن داهه كذب لاحقيقة له محاله : حيله . حمول :  
تعبير . أصافحه : أحافقه وأسلم عليه . أستعرف سانيحه وبارحه ، أى أطلب منه

أن يعرفني بخبره وشره . والسانح من الطير والوحش ما مرّ على ناحية يمينك ،  
 والبارح ما مرّ على ناحية يسارك . وقيل : السانح ما أولاك ميامنه ، والبارح :  
 ما أولاك مهامره ، وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشام بالبارح ، وبعضهم  
 يتبرك بالبارح ، ويتشام بالسانح ، والسانح : الذي يمر عليك عن مهامك إلى  
 مهامك ، فيمكن لقطاع طعنه ، وللراعي رموه ، فالذي يتمين به يرى أنه رزق  
 حاصل ، والذي يُتَشام به يرى أنه عاطب وهالك ، والبارح بالصدّة ، فالأول  
 يرى أنه فائت ، وراميه خاسر فيتشام به ، والثاني يرى أنه سالم غير عاطب ،  
 فيتمين به ، والثاني يقيّمون بالبارح ويتشامون بالسانح أهل نجد ، والذين  
 يضادّونهم أهل العالمة .

قوله : دونك ، أي خذه واقصده . البرّ : والبار : الكثير الإكرام لأبويه .  
 افترّ : ضحك . استنبذت : عرفت . عيّنهما : شخصهما ، وجعله آخر المقامة برّاً  
 له لموافقته له في الحيل ، وجرت العادة بأن الأب إذا كان نجيباً ، فالابن بالصدّة  
 ولهذا قال الشاعر :

إذا أطلع الدهر حرّاً نجيباً      فسكن في ابنه سيّئ الاعتقاد  
 فلست ترى من نجيب نجيباً      وهل تترك النار إلا الرمادا

\* \* \*

## المقامة الثامنة والثلاثون وهى المروية

حكى الحارث بن همام قال: حُبِّبَ إِلَى مَذْ سَعَتِ قَدَمِي ، وَنَفَثَ قَلَمِي ، أَنْ أَتَّخِذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً ، وَالْاِقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْمَةً ؛ فَكُنْتُ أَنْقَبُ عَنْ أَخْبَارِهِ ، وَخَزَنَةَ أَسْرَارِهِ ؛ فَإِذَا أَلَفْتُ مِنْهُمْ بُيُوتَ الْمَلْتَمَسِ ، وَجَذْوَةَ الْمُقْتَبِسِ ، سَدَدْتُ يَدِي بِغَرْزِهِ ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَةَ كَنْزِهِ ؛ عَلَى أَنِّي لَمْ أَلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غِزَارَةِ الشُّحْبِ ، وَوَضَعَ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرًا مِنَ الْمَثَلِ ، وَأُسْرِعَ مِنَ الْقَمَرِ فِي النُّقْلِ ، وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ ، وَاسْتِحْسَانِ مَقَامَاتِهِ ، أَرْغَبُ فِي الْاِغْتِرَابِ ، وَأَسْتَعَذِبُ السَّقَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ .

\* \* \*

قوله : نفث ، أى كتب ، والنفث ما تلقىه من فيك من البصاق الغليظ ، فشيبه ما يلقى القلم من المداد بالنفث ، هذا ظاهر اللفظ ، وإنما أراد في المعنى بالقلم ذكره ، ونفثه منيه ، فكأنى عن البلوغ بذلك ، فهو يريد وقت الحلم ، وهو الوقت يقوى فيه على المشى فى الأسفار ، والتصرف ؛ كذا فسره لنا بعض حذائق أشياخنا ، وفسره الفنجديهى على ظاهره ، فقال : معنى مذسعت قدمى نفث قلمى ، مذ قدرت على المشى والسكرتلية والنظم والفن . شريعة : طريقة وشريعة وعادة ، ومعناه : أصرف همتى إلى علم اللغة والعربية . قال الشافعى رضى الله عنه : مَنْ نَعِمَ الْقُرْآنَ عَظَمَتْ قِيَمَتُهُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفَقْهِ نَبِيلَ مَقْدَارِهِ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْاَلْمَةَ رَقِيَ طَهَعَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحِسَابَ جَزُلَ رَأْيُهُ ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوَّيْتُ حُجَّتَهُ

ومن لم يصن نفسه ، لم ينفعه عمله .

الاقْتِباسُ : الاكتساب وهو افتعال ، من القَبَس . نجمة : طلب المرعى ، أى جعلت طلب الأدب لى غذاء ورزقا . أَنْقَبَ : أبحث . أَحْبَارُهُ : علمائه . أَلْفَيْتَ : وجدت . بَغِيَّةٌ : حاجة . المَلْتَمِسُ : الطالب لشيء . جَذْوَةٌ : جرة عظيمة . والمَقْتَبِسُ : الطالب للنار ، والفَرَزُزُ : للرجل ، كالتَّكَبُّ للسرَّج ، ومهني شددت بفرزه ، أى تمسكت بركابه وبالفن في خدمته ، روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَخَذَ بِرِكَابِ رَجُلٍ لَا يَرْجُوهُ وَلَا يَخَافُهُ غَفِرَ لَهُ » .

غزارة : كثرة ، والتَّعَبُّ : جمع سحابة ، ككفى بها من كثرة العلم . الهناء : القَطْران . التُّقْبُ : جمع نُقْبَةٍ وهو أوَّل ما يبدو من الجَرْب ، وهو مثلٌ لَمَنْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ ، أَرَادَ أَنَّهُ مَاهِرٌ ، أَيْ حَازِقٌ بِعَطْفِ كُلِّ طَالِبٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَيَشْفِيهِ مِنْ سُؤَالِهِ ، لِأَنَّ الْجَهْلَ فِي الْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ الدَّاءِ ، فَهَذَا يُوقِعُ بِهَانِهِ بِمَوْضِعِ الْجَهْلِ ، فَيَبْرَأُ صَاحِبُ ذَلِكَ مِنْ دَائِهِ ، وَوَضَعَ الْهِنَاءُ مَوَاضِعَ النُّقْبِ ، فَجَزُّ يَتِ لِدْرِيدِ بْنِ الصَّمَّةِ ، وَكَانَ خَرَجَ فَرَأَى الْخُنُسَاءَ الشَّاعِرَةَ تَهْنَأُ ذُودًا لَهَا ، ثُمَّ نَصَّتْ ثِيَابَهَا وَاغْتَسَلَتْ وَهِيَ يَرَاهَا وَلَا تَرَاهُ فَقَالَ :

حَيُّوا تَمَاضِرَ وَارَبُّعُوا صَحْبِي وَقِفُوا فَنَ وَقُوفِكُمْ حَسْبِي <sup>(١)</sup>  
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالَى أَبْنَى جَرْبٍ  
 مَتَبَدَّلًا تَبَدُّوْ عَاسِنُهُ بَضْعَ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ النُّقْبِ  
 وَتَمَاضِرَ اسْمِ الْخُنُسَاءِ . قَوْلُهُ : أَسِيرٌ مِنَ الْمَثَلِ ، أَيْ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ بِبَلَدٍ .

(١) الشعر والشعراء ٣٠٢ والأغانى ١٥ : ٧٦ وبعد هذا البيت هناك :

أَخْنَأَسَ قَدْ هَامَ النَّوَادِ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَنْبَلٌ مِنَ الْحَبِّ

الذئبل ، يربد انتقاله في المنازل فلا يقيم بمنزلة سوى ليلة ، وينتقل في الثانية إلى أخرى ، فأراد أن أبا زيد لا يستقرّ ببلد إلا ما يستقرّ القمر بمنزله وهي ليلة واحدة ، بل هو أسرع من القمر في ذلك ، وإنما خصّ القمر به لأنه أسرع الكواكب ثقلاً من رُجح إلى رُجح ، إذ لا يمكث في البرج إلا يومين أو ثلاثاً ، والبرج منزلتان وثلاث ، والشمس تمكث في البرج ثلاثين يوماً ، وعطارد يمكث فيه سبعة عشر يوماً ، والمشتري اثني عشر شهراً وزُحل ثلاثين شهراً ، والمريخ شهراً ونصفاً ، والزهرة ستة وعشرين يوماً ، والرأس والذنب ثمانية عشر شهراً ، ذلك تقدير العزيز العليم .

قوله : وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب : هو حديث صحيح ، رواه مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدهم نومه وطعامه وشرابه ، فإذا قضى أحدكم نُهْمَتَهُ من وجهته فليعجل الرجوع إلى أهله . » اللهم . بلوغ الهمة والشهوة والحاجة ، ورجل منهموم بكذا مواع به .

\*\*\*

فلمّا تطوّحتُ إلى مَرَوْ ، ولا غَرَو ، بشرّني بملقاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ ،  
والفأل الذي هو بَرِيدُ الخَيْرِ ؛ فلم أزل أنشدُه في المحافل ، وعند تلقّي القوافل .  
فلا أجدُ عنه مُخْبِراً ، ولا أرى له أثرًا ولا عَمِيرًا ، حتى بلغ اليأسُ الطمعَ  
وانزوى التأميلُ وانقطع ، فإني لذات يوم بحضرة والى مَرَوْ ، وكان  
ممن جمع الفضلَ والسَّرو ، إذ طلّع أبو زَيْدٍ في خلقٍ مِمْلَاقٍ ، وخلق  
مِلَاقٍ . فحيّا الوائِيَّ تحييةَ المُخْتاجِ ، إذا لقي ربَّ التاجِ ، ثم قال له :

اعلم وقيتَ الذم ، وكفيتَ الهمم ؛ أن من عُدِّتْ به الأعمال ،  
أعلقتْ به الآمال ، وَمَنْ رُفِعَتْ له الدرجات ، رُفِعَتْ إليه الحاجات .  
وَأَنَّ السعيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ ، وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ ، أَدَّى زكاةَ النِّعم ، كما يُؤدِّي  
زكاةَ النِّعم ، والتزمَ لأهل الحَرَم ، ما يُلتزم للأهل والحَرَم . وقد  
أصبحتْ بحمدِ اللهِ عَمِيدَ مِصْرِك ، وعمادَ عَصْرِك ، تزجى الرَّكائبُ  
إلى حَرَمِك ، وتزجى الرَّغائبُ من كَرَمِك ، وتُنزلُ المطالبُ بساحتك ،  
وتُسْتَنْزِلُ الرَّاحةُ من راحتِك ، وكانَ فضلُ اللهِ عليك عظيماً ،  
وإحسانُهُ لَدَيْكَ عَمِيماً .

• • •

قوله : تطوّحت ، يقال : تطوّح في البلاد : ذهب به ما هنا وما هنا ، فأراد  
بقوله : تطوّحت : رميت بنفسي إليها .

[ ذكر مرو ]

مَرَوْ : بلدةٌ بخُرَاسان<sup>(١)</sup> ، جليلةٌ لها قرى ومجالات ، وتسمى أم خُرَاسان ،  
وهي دار خلافة المأمون ، ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ، يُنسب إليها .  
للثوب مَرَوِيٌّ والرجل مَرَوِزِيٌّ ، وهو شاذ النسب ، ومن مَرَوْ إلى مَرَوْ<sup>(٢)</sup>  
خمس مراحل ، وعلى مرو نهر قوته بالسائبان ، وهو جبل عظيم الارتفاع ،  
تسيل منه أنهار تخترق بلاد خُرَاسان ، منها وادي خُوَارِزْم ، مسيرته أربعون  
يوماً ، ووادي القنهار مسافته شهر ، ونهر سجستان ، مسافته شهر ، ونهر مَرَوْ ،  
مسافته شهر ، ونهر هرّاة مسافته عشرون يوماً ، ونهر بَلْخ مسافته اثنا عشر

(١) يريد مرو الشاهجان ، ولصبتها نيسابور .

(٢) يريد من مرو الروذ إلى مرو الشاهجان ؛ ذكرهما ياقوت .

(١٧ - شرح مقامات الحريري ج ٤)



يوما ، وبلغ هي متوسطة خراسان ، منها إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مغربا ، وإلى سجستان مما يلي القبلة كذلك وإلى كابول وقندهار كذلك ، وإلى خوارزم كذلك . وأهل مَرَوَ وطبع الناس على البُخْل ثم أهل خراسان ، قال نامة : ما رأيت الذي يأكل في بلد قط إلا وهو يدعو المدجاجة إلى الحب ، ويلفظ الحب إليها ، إلا بَمَرَوَ ، فإنني رأيت يأكل وحده ، فعلمت أن لؤمهم كثير جدا ، وهو فيهم طبع ، ورأيت بها طفلا صفها ، بيده بيضة ، فقلت له أعطنيها ، فقال لي : ليست تستها في يدك ، فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم .

لا غرو : لا عجب . زَجْر الطير . النفاؤل بها ، وفسر الشافعي رضي الله عنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم « أقرتوا الطير على مكيناتها <sup>(١)</sup> » . لأن الرجل كان في الجاهلية ، إذا أراد الحاجة أتى الطائر في وكره فنقره ، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته ، وإن أخذ ذات الشمال رجع . فهي النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال : « لا عدوى ولا طيرة ، وبمجيئى النأل » قيل : وما النأل ؟ قال : « كلمة طيبة » .

### [ العيافة والزجر ]

وزجر الطير القيام بها ، والتشاؤم . وكان عند العرب قوة زائدة وإدراك ، فينظر الزاجر منهم للطائر ، ولما يفعل ، فيستقرى من ذلك ما يقيمان به وينشأ من مثله ما يحكى عن أمية بن أبي الصلت أنه كان يشرب مع إخوان له في قصر خَيلان بالطائف ؛ إذ سقط غراب على شرف القصر ، فنصب نعبة ، فقال له أمية : بئيك الكشكش - وهو التراب ، فقال له إخوانه ما يقول ؟ قال : يقول : إذا شربت الكأس الذي في يدك ميت . ثم نصب نعبة ، فقال أمية نحو ذلك ، فقالوا له :

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ٤ : ٢٥٠ ، وقال في شرحه : « أي لاتزجروها وأفروها على مواضعها التي جعلها الله لها » .

وما يقول؟ قال: زعم أن علامة ذلك أن يقع على هذه الزبلة تحت القصر، فيستنير عظما، فيشجى به فوموت. فبينما هم يتكلمون، إذ وقع الغراب على هذه الزبلة ليلتقط، فاستنار عظما، فأراد أن يتلمه، فشجى به فأت، فانكسر أمية، ووقع الكأس من يده، وتغير لونه، فجملوا يميرونه عليه، ويقولون: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا، وكان باطلا. فالتحوا عليه، حتى شرب الكأس، قال<sup>(١)</sup> في شق فاعشى عليه، ثم أفاق، وقال: لا برى فاعتذر، ولا قوى فأنصهر، ثم زهقت نفسه<sup>(٢)</sup>.

وحكى المدائني قال<sup>(٣)</sup>: خرج كثير من الحجاز يريد مصر، ليزور عزة، فلما قرب منها رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه، فتطير من ذلك، فلتقه رجل من بني لب<sup>(٤)</sup> فقال: يا أبا الحجاز، مالك كاسف اللون؟ فذكر له ما رأى، فقال: إنك تطلب حاجة لا تدرى كها. فقدم مصر، والناس منصرفون من جنازة عزة فقال:

(١) كذا في الأغاني، ووط: «فبال».

(٢) الخبر في مختار الأغاني ١: ٨٧، ٨٣.

(٣) ورد الخبر في ديوان كثير ٤٦١ هكذا: «فيل: وفدت عزة كثير على عبد الملك بن مروان فلما دخلت سلمت، فرد عليها السلام، ورحب بها وقال: ما أقدملك يا عزة؟ قالت: شدة الزمان وكثرة الألوان واحتباس القطر وقلة المطر، قال: هل تروين لكثير:

وقد زعمت أنني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير

فالت لا، ولكن أورى له:

كأن أنادي صخرة حين أعرضت من اللهم لوتعشى بها العضم زلت

فقال: ما كنت نصيري إلى حاجة أو تهى نفسك لي فأزوجك منه. قالت: الأمر إليك، يا أمير المؤمنين؛ ما كنت لأزهد في هذا الصنف الباقى لي مادامت الدنيا؛ أن يكون أمير المؤمنين ولي. فظنم بذلك قدرها عنده، وأمر لها بمال، وكتب إلى كثير وهو بالكوفة أن اركب البريد وجعل فإن مزوجك عزة، فأناه للكتاب وهو مضى من الفوق إليها؛ فرحل فأقبل نحوها، فلما كان في بعض الطريق... وساق بقية الخبر كما هنا.

(٤) بنو لب، من قبائل العرب الذين اشتهروا بالعبافة والزجر. وفي الديوان: «بنو نهد» تصحيف.

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقَطًا فَوْقَ بَانِيهِ      يَنْتَفِ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ  
 قَلْتُ وَلَوْ أَنِّي أَشَاهُ زَجْرَتَهُ      بِنَفْسِي لِأَهْبَى فَمَهْلُ أَنْتِ زَاجِرُهُ  
 قَالَ غُرَابٌ لِأَغْتَرَابٍ مِنَ النَّوَى      وَفِي الْبَانِ بَيْنَ مَنْ حَبِيبِ تَجَاوِرِهِ  
 فَا أَعْيَفَ اللَّهُبَى لِأَدَرَ دَرَهُ      وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ ، لِأَطَارِ طَائِرُهُ (١)

وَمَنْ زَجَرَ لِنَفْسِهِ بِشَرِّ ذُو الرُّمَّةِ فَقَالَ :

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقَطًا فَوْقَ قَضْبِيَّةٍ      مِنَ الْقَضْبِيِّمْ يَنْبُتُ لَهَا وِرْقٌ خَضِرٌ (٢)  
 قَلْتُ غُرَابٌ لِأَغْتَرَابٍ وَقَضْبِيَّةٌ      لِقَضْبِ النَّوَى ، تِلْكَ الْهَيَاةُ وَالزَّجْرُ  
 وَمَنْ زَجَرَ بِخَيْرِ أَبُو حَيَّةٍ ، حِينَ قَالَ (٣) :

وَقَالَ صِغَابِي هُدْمَدٌ فَوْقَ بَانِيهِ      هَدَى وَيَبِيحُ بِالنَّجَاحِ يَلُوحُ  
 وَقَالُوا دَمٌ ، دَامَتْ مَوَائِقُ بَيْنَنَا      وَدَامَ لَنَا حَلْوُ الصَّفَاءِ صَرِيحُ  
 وَقَالُوا حَمَامَاتٌ ، فَحَمَّ لِقَاؤُهَا      وَطَلَحَ فَزِيرَتِ وَالْمَطِيُّ طَلُوحُ

وَمَنْ مَلَحَ الزَّجْرَ زَجَرَ أَبِي نَوَاسٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَخْفَى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَكَانَ  
 لِأَبْفَارِقِهِمْ ، وَوَجَّهُوا رَسُولًا إِلَيْهِ ، فَرَمَى لَهُ ظَهْرَ قَرطَاسٍ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، غَيْرِ  
 مَكْتُوبٍ ، وَخَرَمُوهُ بِزِيرٍ ، وَخَتَمُوهُ بِقَارٍ ، وَأَمَرُوا الرَّسُولَ أَنْ يَرِيحَ إِلَيْهِ  
 الْكِتَابَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، فَاسْتَمَلَ مَوْضِعَهُمْ ، وَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

زَجَرْتُ كِتَابَكُمْ لَمَّا أَنَا نِي      بِمَرِّ سَوَانِحِ الطَّيْرِ الْجَوَارِي  
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَخْرُومًا بِزِيرٍ      عَلَى ظَهْرِي وَخَتَمُومًا بِقَارٍ  
 فَفِئْتُ الظَّهْرَ أَهْيَفَ قُرْطَاسِيَا      بِحَارِ الطَّرْفِ مِنْهُ بِأَخْوِرَارٍ  
 وَكَانَ الزَّيْرُ ذَا شَدْوٍ مَصِيبٍ      وَقَارُ الخُتْمِ مِنْ قَارِ العُقَارِ

(١) ديوانه : د لاهز ناصره .

(٢) ملحق ديوانه ٦٦٧

(٣) من أميدة له في الأمل ١ : ٧٠ والآل ١ : ٢٤٣ ، وأبيات منها في المحاسن

والمساوي ٢ : ١٧ .

فَطَرْتُ إِلَيْكُمْ يَا أَهْلَ وَدْيَ      بَلْبُكُ مِنْ هَوَاكُمُ مُسْتَطَارِ  
فَكَيْفَ تَرَوْنِي وَتَرَوْنَ زَجْرِي      أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ !  
وما أحسن قول ابن قاضي ميلة<sup>(١)</sup> وجمع الوصفين :

وَلَمَّا التَقِينَا مُحْرِمِينَ وَسِيرُنَا      بَلْبَيْكَ يَطْوِي وَالرَّكَائِبُ تَنْسِفُ  
فَقُلْتُ لِتَرْبِيهَا أَبْلَغَاهَا بَأَنِّي      بِهَا مُسْتَهَامٌ قَالَتَا : تَنْطَلِفُ  
تَفَاءَلْتُ فُيْ أَنْ يَطْوِي طَارِقُ الْهَوَى      بَأَنْ عَنِ لِي مِنْهَا الْبَيْتَانِ الْمَطْرَفُ  
وَأَمَّا دِمَاءُ الْهَدْيِ فَهُوَ تَوَاصُلٌ      يَدُومُ وَرَأْيٌ فِي الْهَوَى يَتَأَلَفُ  
وَفِي عَرَاقَاتٍ مَا يَخْتَرُ أَنِّي      بِعَارِفَةٍ مِنْ نَيْلِ وَصْلِكَ أُسَعَفُ  
وَتَقْبِيلِ رَكْنِ الْبَيْتِ إِقْبَالُ دَوْلَةٍ      لَنَا وَزَمَانٌ بِالْمُودَةِ يَمُطِفُ  
وَأَبْلَغَاهَا مَا قُلْتَهُ فَتَنْهَدَتْ      وَقَالَتْ أَحَادِيثُ الْعِيَاةِ زُخْرَفُ  
لِئِنْ كُنْتُ تَرْجُو فِي مَنَى الْفُوزِ بِالْمَنَى      فَبِالْخَلِيفِ مِنْ أَعْرَاضِنَا تَخْوَفُ  
وَقَدْ أَنْذَرَ الْإِحْرَامَ أَنْ وَصَلْنَا      حَرَامٌ وَأَنَا عَنْ مَرَادِكَ نُهْرَفُ  
فَهَذَا وَقَدْ نَفَى بِالْخِلَاصِ مَنْذَرٌ      بَأَنَّ النَّوَى لِي عَنْ دِيَارِكَ تَقْدَفُ  
فَهَادِرٌ نَقَارِي لَيْلَةَ النَّفْرِ إِلَيْهِ      سَرِيعٌ وَقُلٌّ مَنَّ بِالْمَعَاةِ أَعْرَفُ



قوله: أنشده، أي أطلبه والمهافل: الجموع . والقوافل: الرفاق الرواجع .  
حنيرا: غبارا . الهأس: قطع الرجاء . انزوى: انقبض . التأميل: الترسى، وهو  
مصدر أمّل الخبير، أي ترجاه . انقمع: انكف . السّرو: السيادة . بملاق: تقدير.  
ملاق: متلطّف في كلامه . عُدِقت: عُلِّقَتْ وشدّدت به، وعذق شاته بعدقها، إذا  
ربط في صوفها خرقة تخالف لونها . الدرجات: المنازل الشريفة .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) ميلة: مدينة صغيرة بأرض إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام . بانوت

«خُلِقَانِ يَجْهَبُهُمَا اللَّهُ ، وَهُمَا السَّخَاءُ وَالسَّاحَاةُ ، وَخُلِقَانِ يُبْفِضُهُمَا اللَّهُ ، وَهُمَا الْبُهْلُ . وَسُوءُ الْخُلُقِ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ » .

وقال خالد بن صفوان : لا تسأل الحوائج ثلاثة لا تسألها : كذوباً ، فهترب بعيداً ويبعد قريباً ، ولا أحق فإنه يريد أن ينفمك فيضرك ، ولا رجلاً له إلى صاحبك حاجة ، فإنه بصير حاجتك بطانة لحاجته .  
واتاه : وافته وطاوعه . أدى : أعطى . زكاة النعم : الإبل والشاة ، أى أعطى الصنائع والمعروف .

الحُرْم : جمع حرمة ، أراد بذلك أهل الصِّيَانَةِ والعتاف .  
الغنجديهى : الحرْم أقوام محترمون ، والحرْم الثانى : الأهل والقربا ، ومن يحرم على الإنسان نكاحه أو أتركه لضياعه . عهد : سيد .

مصرك : بلدك ، والمِصر : الحد ، ويكتب أهل نجد : اشترى فلان من فلان الدار بمصورها ، أى بمحدودها .

قطرب : هو مأخوذ من مَصَرَتِ الناقة أمصُرُها مَصْرًا ، إِذَا حَلَبْتَهَا ، وَجَعَلَتْ ضَرْعَهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ ، فَخَرَجَ مِنَ اللَّبَنِ شَيْءٌ قَلِيلٌ ، فَيَسْمَى مِصْرًا ، لِأَنَّ النَّاسَ يَجْهَتُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَبْتَعُونَ ، أَوَّلَ فَأَوَّلَ وَقَوْلُ : المِصر العلامة .  
العماد : ما يقوم عليه الخيلاء ، شبهه فى قيامه بالأموال بالعماد .

تُرْجَى : تساق . الرّ كائب : الإبل . حرملك : بلدك وموضعك الذى تجميه . الرغائب : المطايا . ساحتك : فناء دارك . راحتك : كنفك .

ونذكر من الأحاديث ما يوافق هذا الفصل الذى قدّمنا نفسه .  
قال النبى صلى الله عليه وسلم «مَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظُمَتْ مَثْوُونَةُ النَّاسِ

إليه ، فإن لم يَقُمْ بتلك لثبوتة مَرَضِ النعمة للزوال .»

عمرو بن العاص : والله أَرَجُلٌ ذَكَرَنِي ، ينام حل شِقَّةَ مَرَّةٍ ، وحل الأخرى  
أخرى ، يراني موصيا لحاجته لهو أوجب حل حقا ؛ إذا سألها مني أن أفضيها له .  
وقف العتابي بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكرم ، فقال له : إن رأيت أن  
تُعَلِّمَ أمير المؤمنين بموضي ! قال : لست بمحاجب قال : لقد علمتُ ، ولكنك  
ذو فضل وذو الفضل معوان ، قال : سلكت بي غير طريقي ، قال : إن الله تعالى  
ألفك بحاجه ونعمة فهمامقيان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتفكير إن كفرت ،  
وأنا اليوم لك خير منك لنفسك ، أدهوك إلى ما فيه زيادة نعمتك ، وأنت  
تأبى ذلك ، ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين .

[ من غرر المدائح ]

وأما قوله : تزجى الركائب إلى حرمك ، فهو كثير في الشعر ، ونذكر منه  
شيئا يبين حالة القصد لهذا الاسم ، وقال الحسن يمدح الأمين<sup>(١)</sup> :

أقولُ والعميس تمروري الفلاة بنا	صغر الأزيمة من مثنى ووحدان <sup>(٢)</sup>
يا ناقُ لاتسأبي أو تهلني مِلْكَاً	تقبيلُ راحته والركن سِيانِ
محمدٌ خير مَنْ يمشي على قدمِ	يَمْنِ برا الله من إنسي ومن جانِ
محمدِ يبي أملاكِ تفضله	ولادَتان من المنصور ثنتان
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبا	خَلَقًا وَخَلَقًا كما قُدَّ الثمرا كان
سيان لا فرق في العقول بينهما	معناها واحدٌ والمِدة اثنتان

وقال حبيب :

إلى أحمد المدوح أمت بنا الشري نواهبُ في عرضِ الفلأ ورواسم<sup>(٣)</sup>

(١) هو الحسن بن هاني المروفي بأبي نواس ، والأبيات في ديوانه ٦٥ .

(٢) المروفي : سار في الأرض وحده . والصعر : جمع أصغر وصعراء ، من الصعر وهو الخيل .

(٣) ديوانه ٢٨٦ ، وأمت : قصدت . نواهب : سرعات . رواسم : ترسم الأرض بأخفافها .

إلى سالم الأخلاق من كل جانب  
 جدير بالألّا يصبح المال عنده  
 وليس له مال من الجود سالم  
 جديراً بأن يبقى وفي الأرض غارم<sup>(١)</sup>  
 وقال آخر<sup>(٢)</sup> :

سأجهد عزمي والمطالبا فإنتي  
 مَرَّيْنِ بنا رهواً ووخذاً وإنما  
 أرى التقوى لا يمتاح إلا من الجهد  
 يظل ويُمسى التنجع في كنف الوخذ<sup>(٣)</sup>  
 قواصدُ بالسير الخثيث إلى أبي السميت  
 فما تنفك ترقلُ أو تُخدي<sup>(٤)</sup>  
 إلى مُشرق الأخلاق للجود ماحوي  
 فقي لم يزل تُقضى به طاعة الندى  
 ويحوى وما يخفى من الأمر أو يُبدي  
 إلى العيشة الفراء والشؤدد الرغد<sup>(٥)</sup>  
 وقال فيها معتدراً :

أنا في مَحِّ الركبان ظنُّ ظننته  
 ومن زمن البسنتيه كأنه  
 لَفَقْتُ له رأسي حياءً من المجد<sup>(٦)</sup>  
 إذا ذكرت أيامه زمنُ الوردي  
 إذا لهجاني عنه معروفه عندي  
 كريمة متى أمدحه أمدحه والوري  
 متى مالت له لفته وحدي<sup>(٧)</sup>  
 وقال أبو الطيب :

فلم تلقَ ابنَ إبراهيمَ عنِّي  
 وفيها قوتُ يومٍ للقراد<sup>(٨)</sup>

(١) غارم : خاسر .  
 (٢) في ط : « زهوا » تصحيف . والزهو : السير السهل . والوخذ السير السريع .  
 (٣) الخثيث : السريم . وترقل : تسرع .  
 (٤) في الديوان : « العيشة المسراء » .  
 (٥) ط : « رأسا » .  
 (٦) هذا البيت من شواهد البلاغة ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٢٥ .  
 (٨) ديوانه ١ : ٣٥٧ . وفي ط . « عيسى » والفتى : الناقة الصلبة .

فلما جئته أعلى محلى  
تهلل قبل نسله عليه  
كان الهام في الهيجا عيون  
وقد صفت الأسمه من هموم -  
وأجسني على السبع الشداد<sup>(١)</sup>  
وألقي ماله قبل الوساد  
وقد طبعت سيوفك من رقاد  
فما يخظرن إلا في فؤادي

وقال أبو الهندي :

سألناه الجزيل فما تاني  
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا  
ساراً ما قصدت إليه إلا  
وأعطى فوق منيفتنا وزادا  
فأحسن ثم عدت له فعاداً  
تبسم ضاحكاً وثقى الوسادا

وقال أبو الطيب :

ولما قلت الإبل أمتطينا  
مطابيا لا تذل إمن عليها  
وترتع دون نبت الأرض فينا  
إذا نكبت كنانته استبنا  
يُصيب ببعضها أفواق بعض  
إلى ابن أبي سليمان الخطوبيا<sup>(٢)</sup>  
ولا بيني لها أحد رُكوبا  
فما فارقتها إلا جدياً<sup>(٣)</sup>  
بأنصلها لأنصلها ندوبا<sup>(٤)</sup>  
فلولا الكسر لاصلت قضيباً<sup>(٥)</sup>

(١) قال شارحه: السبع العداد، يريد السنوات السبع، والشداد هنا: المثقنة الصنع، قال تعالى: (وبلينا فؤادكم سبعاً هداداً)

(٢) ديوانه ١ : ١٤٠ .

(٣) الديوان : « حريباً » .

(٤) نكبت : قلبت هل وأحبا . والكنانة : الجمبة . قال الفارح « المعنى : إذا ألقى ما من كنانته رأينا لنصوله آثارا في فصوله لأنه يرميها هل طريقة واحدة، فتصيب النصول بعضها بعضاً » .  
(٥) الأفواق من السهم : موضع الوتر والجمع أفواق . قال شارحه : « المعنى يريد أنه حسن الرمي ، وأنه يصيب ببعض نصوله أفواق السهام التي رماها ، وأنه لولا كسر السهام لاصلت حق قضيباً . متوباً ، أي غصنا » .



ألت ابن الأول سمدوا وسادوا  
ولم يلدوا امرأ إلا نجيباً<sup>(١)</sup>  
ونالوا مشهوراً بالحزم هوناً  
وما ربيعاً رباحاً لهاولسكن  
كساهد فنفهم في الترتب طيباً

ومن المدح قول للشري في أبي الحصين القاضي :

لقد أضعت خلال أبي حصين  
حصونا في اللات الصباب<sup>(٢)</sup>  
كسائي ذيل<sup>(٣)</sup> فائله وآوى  
غرائب منطقي بعد اقترب  
فككت كروضة صفت سعاباً  
فأنث بالذسيم على السحاب

وقال بديع الزمان وشاعر الأوان :

بأسيده الأمرأ فخرأ فما ملك  
إلا تمنك مولى واشتهك أبا<sup>(٤)</sup>  
وكاد يحكميك صوب الفيث منسكها  
لو كان طلق الحيا يطر الذهبا  
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت  
والآيث لو لم يصد<sup>(٥)</sup> والبحر لو عد با

هذه الجملة كافية وكأنها تفسير ما أجل من ذكر ممدوحه .

ثم إنى شيخ تريب بعد الإتراب، وعدم الإغشاب، حين شاب .  
قصدمتك من حلة نازحة ؛ وحالة رازحة ، أمل من بحرك دفة ، ومن  
جاهك رفة . والتأمل أفضل وسائل السائل ، ونائل النائل ؛ فأوجب  
لى ما يجب عليك ، وأحسن كما أحسن الله إليك . وإياك أن تلوى

(٢) ديوانه ٧٣

(٤) بليمة الدهر ٤ : ٢٧٦

(١) ط : « وجادوا » .

(٣) الديوان : « ظل نائله »

(٥) ط : « يصل » تحريف .

هَذَا رَكَ، عَمَّنْ اِزْدَارَكَ، وَأَمَّ دَارَكَ، أَوْ تَقْبِضَ رَاكًا؛ عَمَّنْ اِمْتَاكَ،  
وَامْتَارَ سَمَاكَ؛ فَوَاللَّهِ مَا مَجِدُ مِنْ تَجْدٍ، وَلَا رَشْدُ مِنْ حَشْدٍ؛ بَلِ  
اللَّبِيبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادًا، وَإِنْ بَدَأَ بِمَائِدَةٍ عَادَ؛ وَالكَرِيمُ مَنْ إِذَا  
اسْتَوْهَبَ الذَّهَبَ، لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ.

ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أَكْلَ غَرَسِهِ، وَيَرْصُدُ مَطْيِبَةَ نَفْسِهِ وَأَحْبَبُ  
الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ: هَلْ تُنْفِطُهُ تَمَدُّ، أَمْ لِقَرِيحَتِهِ مَدَدُ الْفَاطِرِ يُرَوِّى  
فِي اسْتِثْرَاءِ زَنْدِهِ، وَاسْتِشْفَافِ فِرْنَدِهِ، وَالتَّبَسُّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ سِرٌّ  
صَمْتِيهِ، وَإِرْجَاءُ صِلَتِهِ، فَتَوْغَرُ غَضْبًا، وَأَنْشُدُ مَقْتَضِبًا:

\* \* \*

قوله: تَرَبُّ، افْتَقَرُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَا يَقَعْدُ عَلَيْهِ غَيْرَ التُّرَابِ. وَالْإِتْرَابُ:  
الاسْتِفْهَاءُ، وَأَتْرَبُ: صَارَ لَهُ مِنَ الْمَالِ بَكْتَرَةٌ التُّرَابِ. وَالْإِعْشَابُ: إِصَابَةٌ  
الْعُشْبِ، وَأَرَادَ بِهِ الْمَالُ. تَحَلَّةٌ: مَنْزِلٌ يَحُلُّ فِيهِ.

فَازِحَةٌ: بِمِثْلِهِ. رَاوِحَةٌ: كَالَهُ مِنَ التُّهْزَالِ، وَرُزِحًا: كُلٌّ مِنَ الْعَمَلِ.

ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: رَزَحَ فُلَانٌ: ضَمَّفَ، وَذَهَبَ مَا فِي يَدِهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ  
رَزَحَتِ إِبِلُ فُلَانٍ وَكَلَابِهِ، إِذَا ضَمَفَتْ، وَلَزَقَتْ بِالْأَرْضِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ  
الرُّزْحِ، وَهُوَ الْمَطْمِنُ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَأَنَّ الرُّزْحَ قَدْ لَزَمَهُ، وَضَمَفَ عَنِ الْارْتِقَاءِ  
إِلَى الْعُلُوِّ. آمَلٌ: أَرْجُو. جَاهَكُ: مَرْكَ. وَالْوَسَائِلُ: جَمْعُ وَسِيَّةٍ، وَهِيَ  
الشَّفِيعَةُ، فَجَمَلٌ نَأْمُولُهُ أَفْضَلُ وَسِيَّةٍ. نَائِلٌ: هِطَاءٌ، وَالْفَائِلُ: الْمَطِيُّ، وَرِنْتُ

له بالمعطاء أنول وأنت أنول ، ورجل نال<sup>(١)</sup> ورجلان نالان ، ورجال أنوال ،  
ونلته أنوله نولا أعطيته ، قال الأعشى :

ينولُ المشيرة ما عنده ويفقر ما قال جُها لها<sup>(٢)</sup>

تلوي مذارك : تعرض بوجهك . ازدارك ، بمعنى زارك ، واستعمل  
قصدك . راحك : جمع راحة ، وهي باطن الكف . امتاحك : استسكك وأراد  
طلب معروفك ، قال الزجاج :

أفلح ساق يهوديك امتاحاً وقره هينا ورجا الفـلاحا

قوله : امتارَ : استعجب منك الرزق . سماحك : جودك . مجدَ : كرمُ ،  
وصار ماجدا ، أي شريفاً ، ومجد يمجد ، مجداً فهو ماجد ، ومجد مجادة فهو مجيد .  
وقيل : المجد تكريم الآباء خاصة ، وقيل : الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي .  
وقيل كرم الفعل . جد : بخل . حشد : جمع المال . اللبيب : العاقل . وجد :  
استغنى . جاد : تسكّر . عاد : فعلها مرة بعد أخرى ، وقد تقدم منطوما :  
لم يهب : لم يخف . أن يهب : أن يعطى ، وهذا كله قصد فيه العجيبين فجاء  
منه بكل بديع .

قوله : نطفته تمد ، أي قليل .

الأزهرى : النطفة يقال للماء القليل والكثير ، ورأيت أهراييا شرب من  
ركنية غزيرة الماء فقال : والله إنها لنطفة باردة ، والتمد : الماء القليل القى لا مدد  
له . قريحته : ذهنه . أطرق : أي أمال رأسه لفكرة . في استبراء زنده : في  
استخراج ناره ، وأراد طلب ما عنده من العلم والاستشفاف : الاستقصاء في

(١) في القاموس : رجل نال ؛ أي جواد كثير النائل .

(٢) ديوانه ١٦٦ .

النظر والتأمل فيما يبهر، واستشف الثوب : جعله طاقا واحدا ، أو رفعه في ظل  
 حتى ينظر : أ كثيف هو أم رقيق ، واستشفه : رأى ما وراءه ، والاستشفاف :  
 النظر إلى كل شيء صقيل . الفرند : جوهر السيف ، وأراد أن الوالى أعجب  
 بكلامه ، فأراد أن يعلم هل كان في حفظه لغيره أو ارتجله لنفسه . صمته :  
 صكته . إرجاء : تأخير . توغر : توقد . مقضبا : مرتجلا .



لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب      لأن بدا خلق السربال سبروتا  
 ولا تضع لأخي التأميل حرمة      أ كان ذا لسن أم كان سكبنا  
 وانفع بعرفك من وفاقك      مختبطا

وانعش بعونك من أبيت منكوتا  
 غير مال الفقى مال أشاد له      ذكر آتنا لله الرهبان أو صيتنا  
 وما على المشتري حمداً بموهبة      غبن ولو كان ما أعطاه بأفوتنا  
 لولا المروءة ضاق المذر عن فطان

إذا شراباً إلى ما جاوز القسوتنا  
 ليكنه لابناء المجد جد ومن      حب السباح نني نحو الملا ليتنا



قوله : أبيت اللعن ، تحية ملوك الجاهلية ، قال ابن الأبارى رحمه الله في  
 تفسيرها قولان : أحدهما أبيت أن تأتي من الأشياء ما تصعق الأذن عليه ،  
 فاللعن منصوب ، والآخر - وهو أبدأ القولين - أن تكون الألف بمعنى « يا » ،

وبيت من البيوت مضاف إلى اللعن ، لأن بعضهم يخفض اللعن ، وتقديره :  
يا بيت اللعن : سمة لذلك ، نقل من الوجه الأول لكثرة الاستعمال ، ألا ترى أنها  
تعطى معنى النداء في البيت ، وتقديره : يا ملك أو يا أمير ، ويتضمن معناه  
النداء ، أي جعلك الله بمن يكره اللعن ؛ ولذا وقع اعتراضا بين اللعنين ؛ الأول  
طالب للثاني ، كما قال ابن محمّل :

إِنَّ الثَّانِينَ - وَبُلَّغَتْهَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانٍ<sup>(١)</sup>

سَبْرُوتَا : فقيرا محتاجا ، والسَبْرُوت : الفقير الذي لا ثياب له . ذَا لَسْنٍ ،  
أي فصيحاً . سَكَيْتَا : عَيِيًّا كثير السكوت . انْفَحَ بُرْفُوكَ ، أي ارم بمرورك .  
انفش بنوثك ، أي ارفع بمطيتك ، والنفوث الإغاثة ، وهي المبادرة بالنصرة  
لمن جاء يستغيثك . والإنماش أن ترى رجلا قد أهوى لاستقوط فرفمه ، أو افتقر  
فنجبره . منسكوتا : ملقى على رأسه ، ونُسِكِتِ الرجلُ فهو منسكوت ، إذا  
ضُرِبَ فأسقط على رأسه . قوله أشاد : أي رفع .

[ الذكر الحسن ]

صبيحا : ذكرا حسنا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أردتم أن  
تعملوا ما للعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء » .

وقيل لبعض الحكماء : ما أجد الأشياء ؟ قال : أن يبقى للانسان  
أحدونة حسنة .

أكرم بن صئيف : إنما أنتم خير ، فطيّبوا أخباركم ، أخذه حبيب فقال :  
وما ابنُ آدم إلا ذكر صالحٍ أو ذكر سيئة يسرى بها الكلمُ

(١) من نصيدة له في أمال القائل : ١٠٠ .

أما سمعتَ بدهرٍ بادِ أُمَّتِه جادت بأخبارها من بعدها أُمَّ  
الأحنف : ما أذخرت الآباء للأبناء ، ولا أبت الموتى للأحياء شيئاً أفضل  
من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب .

وقيل لمعاوية : أى الناس أحب إليك ؟ قال : مَنْ كانت له عندي يد  
صالحة ، قيل : فإن لم تكن ؟ قال : فَمَنْ كانت لى عنده يد صالحة .

قال بُرْزُبُجْهَر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تبقى ، وإذا  
أدبرت عنك فأنفق منها ، فإنها لا تبقى . أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

لا تبخلنَ بدُنْيَا وهى مقبلةٌ      فليس ينقصها التبذير والسرفُ  
فإن تولت فأحرى أن تجود بها      فالحمد منها إذا ما أدبرت خلفُ

وقال آخر :

إذا جادت الدنيا عليك فاجذبها      على الناس طراً قبل أن تنفقت  
للا الجودُ يُفنيها إذا هى أقبلت      ولا الشحُّ يُبقيها إذا هى ولت

وكان سميد بن العاص يقول على المنبر : مَنْ رزقه الله رزقاً حسناً ، فلينفقْ  
منه سرّاً وجهراً ، حتى يكون أسعد الناس به ؛ فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ؛  
إما لمصلحة فلا يقل عنده شيء ، وإما لمفسد فلا يبقى له شيء . أخذ الشاعر فقال :

احصدْ بمالكِ فى الحياةِ فإنما      يبقى خلاصك مصلحٌ أو مفسدُ  
فإذا جمعتَ لمفسدٍ لم تُنهِدِ      وأخو الصلاحِ قليله يتزَيّدُ

[ مما قيل فى الروءة ]

قوله : لولا الروءة ، الروءة هى الأفعال الشريفة ، التى يجب أن يقال

لرجل بها سره ، مثل الرجولة الأفعال التي يستحق الرجل أن يقال له  
بها رجل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا دين إلا بمروءة » .  
وقال عمر رضی الله عنه : المروءة مروءتان : ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة  
الرياش والباطنة للعفاف .

قدم وفدٌ على معاوية رضی الله عنه ، فقال لهم : ما تعدون المروءة ؟ قالوا :  
العفاف وإصلاح العيشة ، قال : اسمع يا يزيد !  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا قدي المروءات عثراتهم ، فوالله  
إن أحدم ليعثر وإن يده بيد الله » .

عبد الله بن عمر رضی الله عنهما : إننا معشر قريش ، نمدد الحلم والجود  
سوُدُداً ، ونمدد العفاف وإصلاح المال مروءة .  
أنوثيروان : المروءة ألا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية .  
غيره : المروءة اسم جامع للمعاسن كلها .  
وقالوا : للمروءة العمق والخرفة .

قوله : اشرب : تشوف ، والتشوف أن تسمع بالشيء وتتطلع أن تراه ،  
وتمتد أن تنظر إليه ، يقول : لولا الأفعال الجميلة كان عذر الفطن الحاذق يضيق  
عليه إذا سئل . وقيل له : قد جاوز مالك قوتك ، وفضل عن مؤنتك ، فلم تجهد  
في طلب المال ، وترغب في الزيادة منه . قال : فالمروءة توسع عليه عذره ،  
فيقول ذو المروءة . إنما اكتسبه لأنفقه في البر ، وبين هذا بقوله : « نبي نحو  
النبي ليثا » والليث : صفة المنق فيقول : إنما نبي عنقه ، وأمالها حياً في  
الساح .

وقد سبقه إلى هذا التهامي بقوله :

ولولا العطسايا أنها سُنَّةٌ له لما قال للدنيا إذا عثرت: لما<sup>(١)</sup>  
 فإن باشر الدنيا فلاجود لالها<sup>(٢)</sup> وإن هجر الدنيا فمنها تردماً  
 فزاد بقوله: « وإن هجر الدنيا » معنى حسناً .  
 وقالوا: نعم العون على الروءة المال .

وقال الأحنف بن قيس :

فلو مَدَّ رَزْوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ      لَجِدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذَلًا<sup>(٣)</sup>  
 فإن الروءة لا تُسْتَطَاعُ      إذا لم يكن مالها فاضلاً

وقال آخر :

لولا شماتة أعداء ذوى حسدٍ      أو أن أنال بنفع من يرجمي<sup>(٤)</sup>  
 لما خطبتُ إلى الدنيا مطالِبها      ولا بذلتُ لها عرضي ولا ديني

• • •

رما تنشقَّ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرِيمٍ  
 إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ الْمِسْكِ مَقْتُوْتَا  
 وَالْحَمْدُ وَالْبُخْلُ لَمْ يُقْضِ اجْتِمَاعُهُمَا  
 حَتَّى لَقَدْ خِيَلَا ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتًا

(١) ديوانه ١٧٣ ، ولما : صوت معناه الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته .

(٢) ديوانه

• فإن يلجس الدنيا فلاجود لالها •

(٣) الهمتان في البيان والتبيين ٣ : ٢٩٢ .

(٤) للبتان في المقدم لابن صدر به ٣ : ٤٣٠ ، وفيه : « وأن أنال » وبمدها :

لكن منافسة الأكفاء تحمليني      على أمور أراها سوف ترديني  
 وقد خشيتُ بأن أبقى بمنزلة      لادين عندي ولادنيا توافيني

(١٨ - شرح مقامات الحريري ج ٤)



وَالسَّمْحُ فِي النَّاسِ بِحَبُوبِ خِلَاتِهِ  
 وَالْجَامِدُ الْكَفَّ مَا يَنْفَكُ تَمَقُّوتَا  
 وَالشَّحِيحُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ يَوْمَئِذٍ أَبَدًا ذَمًّا وَتَبْكِيَتَا  
 فَجَبَدَ بِمَا جَمَعَتْ كِفَاكَ مِنْ نَسَبٍ  
 حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جَبَدِ ذَوَاكَ مَبْهُوتَا  
 وَخُذْ نَصِيذَكَ مِنْهُ قَبْلَ رَائِقَةٍ  
 مِنَ الزَّمَانِ تَرِيكَ الْعُودِ مَنجُوتَا  
 فَادْهَرُ أَنْكَدَ مِنْ أَنْ تَسْتَمِرَّ بِهِ  
 حَالٌ، تَكَرَّرَتْ تِلْكَ الْحَالُ أَمْ شَيْتَا  
 فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: تَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ، فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ؟ فَنَظَرَ  
 إِلَيْهِ عَنَ عُرْضٍ، وَأَنشَدَ وَهُوَ مُنْفَضٍ:  
 لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مِنْ أَبِيهِ وَرُزْ خَلَا لَهُ ثُمَّ صَلِّهُ أَوْ فَاضِرِمِ  
 فَمَا يَشِينُ السَّلَافَ حِينَ حَلَا مَذَاقَهَا كَوْنُهَا ابْنَةَ الْحِضْرِمِ.

• • •

قوله: تنشق، أي شم. نشر: رائحة. أزرى: حاب. مفتوتًا: مدقوقًا،  
 يقول: لشكر المعروف عند أهل الجرد أعطر من ربيع المسك إذا فت فانتشرت  
 رائحته.

وقال إبراهيم الشيباني: كنت أرى رجلاً من وجوه أهل الكوفة، لا يحف  
 لبده، ولا يستر بحلقه في طلب حوائج الناس، وإدخال المرافق على الضعيف،  
 قلت له: أخبرني عن الحال التي هونت عليك هذا القعب في القيام بحوائج

الغاس ، ماهى ؟ قال : قد والله سمعت تنريد الأطيّار بالأسعار في فروع الأشجار ،  
وسمعتُ خُفوق أوتارِ العِمدان وترجيع أصوات القِيان ، فطارت من صوتٍ  
قطّ طرَبِي من ثناء حسن ، بلسانِ حسن ، على رجلٍ قد أحسن ، وما سمعتُ  
أحسنَ من شكر حرّ لرجلٍ حرّ ، ومِن شفاعَةِ محسِبٍ لطالبٍ شاكر ، فقلت له :  
فَهْ أبوك ! لقد حُشيتُ كرمًا ، فلذّة السمع هنا بمنزلة الشم في البيت .  
خيّل : حسب ، والضبّ والحوت قد تقدّما في الثامنة عشر .

قوله : الجامد الكفت : هو البخيل ، وهو ضدّ السّمح . ممقوتًا : مبهوضًا .  
هكّل : أهدار . يُوسِعُه ذمًا ، أى يكثرن ذمه ، التبكيت : الموان والتوبيخ .  
جُدّ : تكرم . نَشَب : مال . مجندى جدواك : طالب عطاياك . مبهوتًا : متحيرًا ،  
يريد أنه يجب من كثرة مانعته فيتحير وما يدري كيف يشكره !

### [ مدح الكرم و ذم البخل ]

ومن مدح الكرم و ذم البخل قالوا :  
لو لم يكن في الكرم إلا أنه من صفات الله عز وجل .  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يعبّب الجود ومكارم الأخلاق  
ويذمّ سَفَافها » .

وقيل لقوم من العرب : مَنْ سيّدكم ؟ فقالوا : فلان على بخلٍ فيه ، فقال  
عليه الصلاة والسلام : « وأى داء أذوى من البخل <sup>(١)</sup> ! »

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وقال المأمون لمحمد بن عباد : أنت متلاف ، فقال : منع الجود سوء ظن  
بالمبود ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا نَقَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ لَا يَخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٣

(٢) سورة المؤمن ٩

(٣) سورة سبأ ٣٩

وقال كسرى : علمكم بأهل السخاء والشجاعة ؛ فإنهم أهلُ حسن الظن بالله ، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضررٍ يخلهم ومذمة الناس لهم وإطباقُ القلوب على بفضهم ، إلا سوء ظنهم برهم في اتخلف لكان عظاما ، أخذه محمود الوراق فقال :

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مَبْعَدَنَا      والبخل من سوء ظنّ للربّ بالله  
وخوفٌ بخيلٌ سَخِيًّا الإملاق والفقير ، فردّ عليه السخى ، يقول : (الشَّيْطَانُ  
يَمِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَمِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) (١) .  
وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل المال ،  
فقال : بأبي أنتما وأمي إنا لله عودنى أن يفضلّ على ، وعودته أن أنفضّل  
على عبیده ، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى عادته .

قوله : وخذ نصيبك منه قبل رائمة . الرائمة الشيبة ، لأنها تروّع الإنسان  
أى تفرّعه ، وتعلمه أنها تأتيه بالسكبر والهرم . والعود المنحوت ، أراد به الجسم  
الهابس لأن الهرم يُذهب نعمة الجسم ، وأصل المنحوت المنجور .  
وأراد بقوله : خذ نصيبك قوله عليه الصلاة والسلام : « يقول ابن آدم : مالي  
مالي ، وماله من ماله إلا ما أكل فأنفى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأمضى » .  
[ مما قول في الشيب ]

وقال الشاعر في الرائمة :

أهلاً برائمةً للشيب واحدةٍ      تنفى الشباب وتنهانا عن النزلِ (٢)

وقال أبو الطيب المتنبي :

راعتك رائمة المشيب بعارِضٍ      ولو أنها الأولى لراع الأسمع (٣)

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) شرح العكبري ٤ : ١٢٣ .

(٣) ديوانه ٤ ، ١٢٣ . العارض ، مايل المد والأسمع : الأسود .

لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي سَفَرْتُ عَنْ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ يُكْتَمُ<sup>(١)</sup>  
 وفي رواية ابن جني: «رائحة البياض»، وقال: هي أول شمرة تطلع من الشيب.  
 وأنشد ابن الأعرابي «أهلاً برائحة للشيب» وأنشد غيره «برائحة بهضاء» أي  
 بشمرة تطلع من الشيب بيضاء تروع الناظر، وهذا أصوب من الوجه الآخر،  
 وقال كثير:

كَذَّبَ الْعَوَازِلُ بِلِ أَرْضِنَ خِيَاتِي وَبَدَتْ رَوَائِحُ لِعَمِّي وَقُتُومِ<sup>(٢)</sup>  
 وقال الألبيري:

بَصُرْتُ بِشَيْبَةٍ وَخَطَّتْ بِلَيْلِي قَلَّتْ لَهَا تَأَهِّي لِرَحْمَلِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَا يَهْنُ الْقَلِيلُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَالشَّيْبُ وَيَحْكُ مِنْ قَلِيلِ  
 فَكَمْ قَدْ أَبْصَرْتُ هَيْئَكَ مَزْنَا أَصَابَكَ طَلَهَا قَبْلَ النَّزُولِ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَا تَحْقِرْ بِنُورِ الشَّيْبِ وَاعْلَمْ<sup>(٥)</sup> بَأَنَّ الْقَطْرَ يَبْعَثُ بِالشَّيْبُولِ

وقال أبو بكر البلوي:

نَسِيتُ فِي شِعْرِي وَشِعْرِي وَمَا نَسِيتُ فِي صَبْرِي بِمَسْكُوبَةٍ  
 إِذَا دَنَتْ بِيضَاءَ مَكْرُوهَةٍ مَنِي نَأَتْ سُدَاءَ مَحْبُوبَةٍ

وقال كشاجم فأحسن:

نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ فَرَوَّهَتْني طَلَائِعُ شَيْبَتَيْنِ لَدَى التَّابِ<sup>(٦)</sup>  
 فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَزَعَتْ مِنْهَا إِلَى الْمَقْرَاضِ مِنْ حَبِّ التَّصَابِي  
 وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَصَفَعَتْ عَنْهَا لِشَهْدِ الْبِرَاءَةِ مِنْ خِضَابِي

(٢) ديوانه ٢٠٦، والقنوم: الشعوب والتنمير.

(٤) الديوان: «الممول»

(٦) ديوانه ١٠

(١) الديوان: «تلتئم»

(٣) ديوانه ١٤٧، ١٤٨

(٥) ديوانه: «بزر الذهب»

فوالك من مشيبٍ قد تبسدى  
وقال البحتري :

وأبت تركي الغديباتُ والآ  
شمراتُ أفضهنَ وبرجِه  
وقال ابن المعتز :

أست ترمي شيباً برأمي شاملاً  
كانت المقاريض التي يعوزتهُ  
وقال رجل من الأزدي :

ولقد أقولُ لشيبةٍ أبصرتها  
عنى إليكِ فلمتُ منها لقد  
هل لي سوى عشرين عاماً قد مضتُ  
ولقدما ارتاع منك وإني  
فعليك ما استطعت الظهورَ بلمتي  
وقال أبو نواس :

وإذا عُددتُ السنَّ كم هي لم أجذ  
وقال أبو داف :

في كلِّ يوم أرى بيضاء قد طلعتُ  
لئن قرضتُك بالفراضِ هن بصرى  
كأنما نبقتُ في ناظرِ البصيرِ (٤)

(١) الديوان :

فيما عجباً فذلك من مشيبٍ أقتُ به الدليل على الذهابِ

(٢) ديوانه ١٢٠٩ ، وفيه «خضبت بالفراض»

(٣) الأفراس : الأهداف

(٤) أمالي المرتضى ١ : ٦٠٨ ، وفيه : « كأنما طلعت في أسود البصر »

وقال كشاجم :

أخى قِمِّمَ فعاوَنِي على شَيْبَةٍ بفتُ  
إِذَا مَا مَضَى المِنقَاشُ بِأَنِي بِهَا أَتتُ  
كعَمانِ على السُّلطانِ يُجَزَى بِذَنبِهِ

ولأبي الفضل الدارمي :

شَيْبَةٌ نَقَصَتْ عَليَّ شِبابِي  
قَلتُ مَاذا كَذَا العَمْرُ التَّصَابِي  
فَأجابت جَرِي من الرِّسْمِ للسُّلـ  
فإن ازدَدتَ في الجِفاءِ فلا تـ

وهذا مثل قول الآخر :

وزائرة للشيب لاحت بمارضى  
فقال على ضمني استطلت ووحدي  
فلم يك إلا عن قريب فأقبلت  
فوا أسفا لو كان يُغني تأسني

وقال الرماني :

وثلاث شيبات طلعتن بمفرق  
طلعت ثلاث في طلوع ثلاثة  
فمزلتني عن صَبوتِي فأنن ذلـ

وفي معنى قول أبي نواس : « وإذا عدت السن كم هي » قال المعري :  
عجبت هنداً من تسرع شيبتي  
موضعتني بد السقاسف من مينـ

(١) زهر الآداب ٢ : ٨٩٨ .

كَانَ لِي فِي انْتِظَارِ شَيْبِي حَسَابٌ  
وَقَالَ ابْنُ الْمَلْحِ الشُّبْلِيُّ:

طَلَعَ الْمَشِيبُ بَلَمْتِي فَتَمَجَّبُوا  
مَا شَبَتْ مِنْ كَبْرٍ وَلَكِنْ مَن بَيْتٌ  
مَنْ كَدَّهْ وَتَمَجَّبُوا مِنْ مُهْلَتِهِ  
دَنْقًا وَمَشْتَقًا يَشِبُّ مِنْ لَيْلَتِهِ  
وَقَالَ أَبُو عَمَّانٍ الْخَلَالِيُّ:

فَدَيْتُكَ مَا شَبْتُ مِنْ كَبْرَةٍ  
وَلَكِنْ هَجَرْتِ فِجْلَ الْمَشِيبِ  
وَهَذِي سِنِّي وَهَذَا الْحَسَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ قَدْ وَصَلَتْ لِحْلَ الشَّبَابِ<sup>(٢)</sup>  
وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٌ .

قوله : فالدهر أنكد ... البيت يقول : إن كنت غنياً أو فقيراً ففلك حال  
لا تدوم، كرهت أو رضيتها .

وقوله : أئى ولد الرجل أنت ، هذا الكلام إنما يقع في باب النفي ، قال  
يعقوب : تقول العرب : لأدرى أئى ولد الرجل هو ؟ يعنون بالرجل آدم وولده  
الناس ، فكأنه قال : ما أدرى أئى الناس هو .

عُرْضٌ : جانب . مغمضٌ : مغمض عينه ، يريد أنه لم يعجبه سؤاله ، فلم يقبل  
علمه بنظره ، ولا بإنشاده . ورُزٌّ ، بالراء قبل الزاى ، معناه اختبر واطلب . قال  
ابن الأنبارى : رزت ما عنده ، أى طلبته وأردته ، قال الزبيدى : الرّوز قريب  
من التحقيق ، والرّوز أن تأخذ الصنجة بيدك ، فترفعها لتختبر ثقلها ، قال الشاعر :

وإن الله راز حلوم قيسٍ فلما ذاق خِفَّتْهَا قَلَاهَا  
وقال الأعمش :

فشي ولم يخش الأئى من فرازها وخلاً بها  
أصرم : أقطع الصعبة . الشلاف : الحجر الخالص . الحصرم : الحامض ، لأن

(٢) الديوان : د لمام الشبّاب و

(١) ديوانه ١٠٨

عود العنب حامض ، ويقول عنه شيء قديد ، وتقدم معنى البدين .  
وأما وجود الأشياء مع أضدادها مثل الحلاوة مع مائله مرةً فله نظائر ،  
قال حبيب :

• والناقد تُفتضى من ناضِرِ السَّلمِ • (١)

وقال المتنبى :

فإن الماء يَجْرِي من جادٍ وإن النار تخرج من زناد (٢)  
وقد يجرى أيضاً خلاف العادة في الأشياء ، فقد يقشبه الشيطان من جهة ،  
ويقهاعدان من أخرى .

قال المرعي :

قد يَيمدُ الشيءُ من شيءٍ يُشابهه إن السماء نظير الماء في الزرقي (٣)  
قال المتنبى وقد سبقه إليه :

وقد يتقارب الوصفان جيداً وموصوفاً هما مُعبأعدان (٤)  
وما أحسن قول ابن صارة :

يا مَنْ بَعْدَ بِي لَمَّا تَمَلَّكَ نِي ماذا تريد بعدذي وإضراري  
تروقُ حسناً وفيك الموت أجمعه كالصقل في السيف أو كالنور في النار  
وقال ابن عبدون أستاذ بلنسية :

يا مَنْ مَحْيَاهُ جَفَاتُ مَفْتَحَةٌ وهجره لي ذنب غير مغفور  
لقد تَفَاقَضَتْ في خُلُقِي وفي خُلُقِي تَفَاقَضَ النَّارُ بِالتَّدْخِينِ وَالتَّنُورِ

• • •

قال : فقرَّبه الوالي لبيانه الفاتن ؛ حتى أحله مقعد الخاتن . ثم  
فرض له من سُيوب نَيْلِه ، ما آذن بطول ذَيْلِه ، وقصر ليله . فنهض

(١) ديوانه ٢٦٩ . تنقي : لتخرج ، وصدرة :

• أخرجهموه بكره من سحيقه •

(٢) ديوانه ٢ : ٣٦٥ (٣) سقط الزند ٦٨٨ (٤) ديوانه ٤ : ٢٥٥ .



عنه يرُذَن مَلَان ، وَقَلْبٍ جَذْلَان ، وَتَبَعْتُهُ حَازِيًا حَذْوَهُ ، وَقَافِيًا  
خَطْوَهُ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ ، وَفَصَلَ عَنْ غَايِهِ ، قُلْتُ لَهُ :  
هُنَّتْ بِمَا أُوتِيتَ ، وَمُلِّيتَ بِمَا أُوتِيتَ . فَأَسْفَرَوَجْهَهُ وَتَلَلَا ، وَوَالَى  
شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ خَطَرَ اخْتِيَالًا ، وَأَنشَدَ اِرْتِجَالًا :

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحَافَةِ حَظًّا أَوْ سَمَّا قَدْرَهُ لَطِيبِ الْأَصُولِ  
فَبِفَضْلِي انْتَفَعْتُ لِأَبِضُولِي وَبِقَوْلِي ارْتَفَعْتُ لَا بِقِيُولِي  
ثُمَّ قَالَ : تَمَسَّا لِمَنْ جَدَبَ الْأَدَبَ ، وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ وَدَابَ ،  
ثُمَّ وَدَعْنِي وَذَهَبَ ، وَأَوْدَعْنِي اللَّهَبَ .

\* \* \*

قوله : مقعد الختان : كناية عن القرب ، كما أن مزجَرَ السكب كناية عن  
الهمد . سهوب : عطايا ، وأصلها الكنوز والمعادن . نَيْلُهُ : ماله الموهوب ، وفي  
كتاب العين : أفلت المعروف ونولته ونولته واسم ما تهب للنوال والنيل . آذن : أهدم .  
طول ذيله : كثرة ماله . قصر ليله : يريد قلة هـ ، لأن المهموم لا ينام فطول ليله ،  
ووصف الليل بالطول والقصر ، وله باب مشهور في كتب الأدب تركنا ذكره  
لشهرته وكثرته ، وهنته راجمة لما ذكر من أن ليل السرور قصير ، وليل  
الهم طويل .

[ مما قبل في طول الاول ]

وحدث إسحاق الموصلي قال : دخلت على الرهيد وهو مُسْتَلْقٍ عَلَى قَفَاهُ  
وهو يقول : أحسن والله فني قريش وظريفها وواشامرها ، قلت : فبِمَ ذلك يا أحمق  
المؤمنين ؟ قال في قوله :

لا أسأل الله تغييراً لما فعلتُ نامت وقد أمهرتُ عينيّ حينها  
فالليل أطولُ شيءٍ حين أنقدها والليل أقصر شيءٍ حين أنقاهما

ثم قال : أنتعرفه ؟ قلت بصوت ضعيف : لا ، قال : بحق عليك ؟ قلت : نعم  
هو الوليد بن يزيد ، فقال استر ماسمعتَه مني ، وإنه ليستحق أكثر مما وصفته به<sup>(١)</sup>

ولبعضهم وأجاد :

إنّ الأبيالَ للأنام مطيئةٌ تطوى وتُنشر بينها الأعمارُ  
فقصارهنّ مع الموم طويلةٌ وطواهنّ مع السرورِ قصارُ

وأنشد الفنجديهي للطرافي :

أخوالهوى يستطيلُ الليلَ من سهرٍ والليل في طولهِ جارٍ على قدرِ  
كئيلُ الموى سنّةٌ في المجر مدّةٌ لسكنه سنة في الوصل من قصرِ

وأنشد السّلامي رحمه الله :

لبلى ولبنى سواءٌ في اختلافهما قد صبراني جوماً في الموى مثلاً<sup>(٢)</sup>  
يجود بالطول لبلى كلما بنخباتٍ بالطول لبلى وإن جادت به بجلاً

وقال ابن أبي دباكل :

يطولُ اليومُ لا ألتاكِ فيه وحولٌ نلتقى فيه قصيرُ

وتبّه بشار ، فقال وأحسن :

(١) الخبر والشعر في شرح المختار من شعر بشار ٢١ ، والشعر أيضاً في زهر الآداب ٧٤٩

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تفور<sup>(١)</sup>  
 ليلي كما شامت فإن لم تزُرْ طال وإن زارت فليلي قصيرُ  
 تصرف الليل على حكمها فهو على ماصرِّفته يدورُ

وزاد ابن العريف الزاهد على هذا المعنى ، فقال وأحسن :

لست أدري أطال ليلي أم لا كبري يدري بذاك من يتقلّى  
 لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي التجوم كنتُ مُخِلاً  
 إن للماشقين عن قصر الليـ ل وعن طوله من المم شُغلاً

قوله : ردن ، أي كم . جذلان : مسرور . حاذباً حذوه ، أي متبعاله  
 جامعاً قديم موضع قدمه ، فيتسع فيه ، فهقال : حذوت حذوه ، أي فعلت مثل  
 فعله ، وأصله في حذو النمل بالنمل ، وقد تقدم .

قافيا : متبعاً . فصل : زال وخرج . غابه : موضعه ، والغاب للشجر المتلف  
 يتخذ الأسد فيه بيتاً . ملّيت : أطيل لك ومتمت به ، من الملاوة ، وهو الحين .  
 أوليت : أعطوت . أسفر : أضاء ، ومثله تلاً ، إلا أن معناه أبلغ ، وأصل  
 تلاً : ابهض ، فأشبهه بياض اللؤلؤ ، وصفاءه ، يريد أنه انبسط وجهه وحسنت  
 خلقته لما دعاه . والى : كرّر . خطر اختيالا : جراً أثوابه إعجاباً بنفسه . مما قدره :  
 ارتفعت منزلته . طيب الأصول : شرف الجدود . الفضول : الحثق والدخول  
 فيما لا يعنى . والقبول : من دون اللك ، واحدم قليل ، وأراد بهم الأجداد  
 الأشراف ، وطابق بين الحماقة والفضول ، وبين طيب الأصول والقبول ، وسلخه  
 من قول المتنبي :

(١) لسب الفأل في الأمالي ١ : ١٠٠ هذا الشعر لعل بن بسام وكذلك فزهرا لأدب ٨٤٩  
 والنويري ١ : ١٣٥ ، وثمار الأزهار ٢٣ ، ودبوان المعاني ١ : ٣٤٩

ما بقومي شرفت بل شرفواي وبفسي ارتفعت لا بمجدودي (١)  
أشار إلى نسبه من ملوك كنده .  
قال آخر :

أبها الفاخر جهلاً بالحسب إنما الناس لأتم ولأب  
إنما النخس بمقل راجح وبأخلاق حسان وأدب  
ذاك من قد فاخر الناس به فاق من فاخر منهم وغلب  
وقال الحكيم بن قنبر :

لاخير فبين له أصل بلا أدب حتى يكون على مانابه حدباً  
كم من حبيب أخى عي وطمطمه فذم لذي القوم معروفاً إذا انتسباً  
في بيت مكرمة أباه نجب كانوا الرءوس فأضحى بدم ذنباً  
وقد تقدمت نظائره .

قوله : تمسا ، أى هلاكا . جذب : عاب ، وفي الحديث : «جذب ابن الأئمة  
بالسمر بعد العشاء» (٢) أى عابه ، وقال ذوالرمة .

إذا نازعتك لقول مية أو بدأ لك الوجه منها أو نضاً الدرع سألته (٣)  
فمالك من خدر أسيل ومنطق رخم ومن خلق تمل جادبه (٤)  
قوله : دأب ، أى دام عليه . أودعي : ضمنى ، وجمله في قلبى . اللهم :  
بجور النار .

ومما يتعلق بما قدمناه من الشعر قول جعظلة .

(١) ديوانه ١ : ٣٧٢ . (٢) النهاية لابن الأثير ، وقال : «أى ذمه وعابه»

(٣) ديوانه ٤٢

(٤) أسيل : سهل . رخم : فيه لحن . جادبه : عابه .

أرى الأعياد تتركى وتمغى وأوشك أنها تبقى وأمغى  
 علامة ذلك شيبٌ قد علاني وضعتي عند إبرامى ونفغى  
 وما كذب الذى قد قال قبل إذا مامرت يوم مرّ بمغى  
 أرى الأيام قد ختمت كتابى وأحسبها ستقبه بفض

وعلى قوله: «إذا مامرت يوم مرّ بمغى» قال بعضُ بنى حمدان:

السرى وقت له تنامٍ مقدرٌ طوله وعرضه  
 فكلماً مرّ منه يوم فإنسا مرّاً منه بعضه

وجعظة مطبوع الشعر، هو القائل فى أبى بكر بن دريد:

فقدتُ بآبن دريدٍ كلَّ قائدةٍ لما غدا نالك الأحجار والتراب<sup>(١)</sup>  
 وكنت أبكى لفقْد الجود مجتهداً فصرت أبكى لفقْد الجود والأدبِ

أين هذا من قول الفرزدق يرثى سائسا، أنشده أبو محمد فى الدرّة:

ليبك أبا الخنساء بقلّ وبغلةٌ ومخلّاةٌ سوء قد أضيع شعيرها<sup>(٢)</sup>  
 وبجرّفة مطروحة ومحمّة ومقرعة صفراء بال سهوها

أخذه من قول زبد الخليل يرثى عبداً له:

أما تعاورتك الزماح فلا أبكيك إلا لادلو والمرسِ

وقد قدّمنا فصلاً فى التشاؤم بالأدب فى قوله، فقد دهانى شوّمه وأنى عليه

هنا بقوله: تمسك لمن جدّ الأدب، وطوبى لمن جدّ فيه وأدب.

(١) تاريخ بغداد ٢: ١٩٧

(٢) درة الغواص ٩٧.

## [ فصل في مدح الأدب ]

ونذكر هنا فصلاً مقنماً في مدحه ، حسب ما شرطنا من الجرى معه على أغراضه .  
قال العملاء بن أيوب كان يقال : مثلُ الأديب ذى القريحة ، مثلُ دائرة  
تُدَار من خارجها ، فهي في كلِّ دائرة تدار تتسع وتزداد عِظْماً ، ومثلُ الأديب  
غير ذى القريحة مثلُ دائرة تُدَار من داخلها ، فهي من قلول تبلغ إلى باطنها .  
أوصى بعض الحكماء بِنُوحِهِ ، فقال لهم : الأدب أكرمُ الجواهر طبيعةً ، وأنفسها  
قومةً ، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويُبغني من غيره عشيرةً ،  
ويكثر الأنصارَ من غير رزيه ، فالبسوه حُلَّةً ، وتزيّنوا به حِلْيَةً ، يؤنسكم في  
الوحشة ، ويجمع القلوب المختلفة .

وقال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل ، دليل على الروعة  
صاحب في العربة ، مؤنس في الوحشة ، حلية في المجلس .  
وقال الخليل : مَنْ لَمْ يَكْتَسِبْ بِالْأَدَبِ مَالاً أَكْتَسَبَ بِهِ جَمَالاً .

وأنشد الأصمعي رحمه الله :

إِنَّ بَكَ لَعَقْلٌ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مَسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ  
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مَخْتَلِطًا بِالْتَرَبِ تَطْهَرُ عَنْهُ زَهْدَةُ الْعُشْبِ  
وقال عبد الملك لبنيه : عليكم بالأدب ، فإنكم إذا احتجتم إليه كان لكم  
مالاً ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً .

ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لئالٍ أو لدنيا ، فلا يمجبتك ، فإن تلك  
كرامة تزول بزوالها ، ولكن لمجبتك إذا أكرموك لدين أو أدب .  
وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع  
جهه ، ومن علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

وقال بُرْزُجْمَرُ : ما ورثت الآباءُ الأبناءَ خيراً من الأدبِ ، لأن به يكسبون المال ، وبالجهل يثقلونه .

وقال : حسنُ الخلقِ خيرُ قرين ، والأدبُ خيرُ ميراث ، والتقوى خيرُ زاد . وقالوا : ثلاثٌ لا غربةَ معهن . مجانبَةُ الرَّيْبِ ، وحسنُ الأدبِ ، وكفُّ الأذى . وقال بُرْزُجْمَرُ : من كثر أدبه كثر شرفه ، وإن كان قبلُ وضيماً ، وبعد صيته ، وإن كان خاملاً ، وسادوا إن كان غريباً ، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً .

وقال عمر رضِيَ اللهُ عنه عنه : من أفضل ما أعطيتُهُ العربُ الأبيات ، يقدمها الرجل بين يدي حاجتِهِ ، فيستمطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم . وقالوا : الأدبُ أدبَان . أدبُ الفريزة ، وهو الأصل وأدبُ الرواية وهو الفرع ، ولا يتفرع الشيء إلا عن أصله ، ولا ينمو الأصل إلا بانصال المادة . وقال حبيب فأحسن :

وما السيفُ إلا زَبْرَةٌ إن تركته على الخِلقةِ الأولى لما كان يقطعُ (١)  
وقال آخر :

ما وهبَ اللهُ لأمري هِبَةً أفضلَ من عقله ومن أدبِهِ  
مما كمالِ الفتي فإن فقداً فقدتهُ للحياة أحسنُ به

وقالوا : إذا كان الرجل طاهر الأدب ، طاهر المنبت ، نادب بأدبه ، وصلح بصلاح أهله وولده .

وقال الشاعر :

رأيت صلاح المرء يُصالحُ أهلهُ وَيُعديهمُ عند الفساد إذا فسَدَ  
يعظمُ في الدنيا لأجل صلاحِهِ وَيُحفظُ بعد الموت في الأهل والولدِ

(١) ديوانه ١٢٨ . الزبرة : القطعة من الحديد .

## المقامة التاسعة والثلاثون وهي العمانيّة

حدّث الحارثُ بن همام ، قال : لهجتُ مُدِ اخضرَ إزارِي ، وَبَقَلِ  
 هِذَارِي ، بَأَنْ أَجُوبَ البَرَارِي ، عَلَى ظُهورِ المَهَارِي ، أَنجِدُ طُورَا ،  
 وَأَسْئَلُكَ تَأْرَةَ غُورَا ؛ حَتَّى فَلَيْتُ المَعَالِمَ وَالمَجَاهِلَ ، وَبَلَوْتُ المَنَازِلَ  
 وَالمَنَاهِلَ ، وَأَذْمَيْتُ السَّنَابِكَ وَالمَنَاسِمَ ، وَأَنْضَيْتُ السُّوَابِقَ  
 وَالرِّوَاسِمَ فَلَمَّا مَلَيْتُ الإِضْحَارَ ، وَقَدْ مَسَّنَحَ لِي أَرَبٌ بِصُحَارَ ، مَدَّتْ  
 إِلَيَّ اجْتِيَازَ التِّيَارِ ، وَاجْتِيَازَ الفُلكِ السِّيَارِ ، فَتَقَلَّمْتُ إِلَيْهِ أَسَاوِدِي ،  
 وَاسْتَصَحَبْتُ زَادِي وَمَزَاوِدِي ، ثُمَّ رَكِبْتُ إِلَيْهِ رُكُوبَ حَازِرِ نَازِرِ ،  
 عَازِلِ لِنَفْسِهِ عَازِرِ . فَلَمَّا شَرَعْنَا فِي القُلْعَةِ ، وَرَفَعْنَا الشُّرُوعَ لِلسُّرْعَةِ ،  
 سَمِعْنَا مِنْ شَاطِئِ المَرَسِيِّ ، حِينَ دَجَا اللَّيْلُ وَأَعْسَى ، هَاتِفًا يَقُولُ :  
 يَا أَهْلَ ذَا الفُلكِ القَوِيمِ ، المَزَجِيُّ فِي البَحْرِ العَظِيمِ ، بِتَقْدِيرِ العَزِيزِ  
 العَلِيمِ ، هَلْ أَدْلَسَكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ . فَقَلْنَا :  
 أَقْبِسْنَا نَارَكَ أَيُّهَا الدَّلِيلُ وَأَرْشِدْنَا كَمَا يُرْشِدُ الخَلِيلُ الخَلِيلُ .

\*\*\*

لهجتُ ، أَيْ اخْتَدَعْتِي ، وَأَصْلُهُ فِي الفَصِيلِ إِذَا رَضِعَ أُمُّهُ ، يُقَالُ : لَهَجَ بَضْرَعِ  
 أُمِّهِ ، إِذَا لَمَّه لِرَضْعِهِ . اخضرَ إزارِي : كُنِيَ بِهِ عَنِ الخَبَابِ ، وَكَانَتِ العَرَبُ  
 إِذَا بَلَغَتْ مِنَهَا الفُلامَ الحُلْمَ ، وَأَشْعَرُ بِلِسِ الإِزَارِ لَيْسَتْ عَوْرَتُهُ . بَقَلِ هِذَارِي : اخضرَ  
 خَارِبِي ، وَبَدَأَ الشُّعْرَ فِي وَجْهِهِ اخضرَ مِثْلَ البَقْلِ .

( ١٩ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



## [ مما قيل في العذار ]

ونذكر هنا شيئاً مما قيل في العذار ، قال أبو نؤاس :

مِنْ أَيْنَ لَرِشَا الْأَهْنَ الْأَحْوَرِ      فِي الْخَدَّةِ مِثْلَ وِذَارِهِ الْمُعْتَبِرِ  
قَرَّ كَأَنَّ بِمَارِضِيهِ كَلَيْهِمَا      مَشْكَاً تَسَاقَطُ فَوْقَ وَرْدِ أَحْمَرِ  
وقال أيضاً :

قَدَّ كَانَ بَدَرَ السَّمَاءِ حَسْبًا      فَالنَّاسُ فِي حَبِّهِ سَوَاءُ  
فَزَادَهُ رَبُّهُ عِذَارًا      نَمَّ بِهِ الْحَسَنُ وَالْبِهَاءُ  
لَا تَمَجُّبُوا ، رَبُّنَا قَدِيرٌ      يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ  
وقال ابن رشيقي :

حَمَّتْ عِذَارَاهُ بِتَقْبِيلِهِ      فَاسْتَلَّ مِنْ عَوْنِهِ سَيْفَيْنِ<sup>(١)</sup>  
نَذَلَكَ الْحَمْرُ مِنْ خَدَّةِ      دَمٌ جَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ  
وقال غيره :

قَرَّ كَأَنَّ قَوَامَهُ      مِنْ قَدَّ غَصْنٍ مَسْرَقُ  
وَكَأَنَّ قَلَمَ الزَّمْرِ      فِي عَوَارِضِهِ مَشَقُ  
ولأبي الفضل الدارمي :

وَإِذَا أَدَّى خَطَّ الْجَمَالِ بُوْجْهَهُ      خَطَّيْنِ هَاجِبَا لَوْعَةٍ وَبَلَابِلَا  
مَا صَحَّ عِنْدِي أَنْ لِحْظَكَ صَارَمٌ      حَتَّى رَأَيْتُ بِمَارِضِيكَ حَمَائِلَا  
وقال أيضاً :

قَلْتُ لِلْمُنْقِي طَى الْخَدَّيْنِ مِنْ وَرْدِ نُحَارَا  
أَسْبَلُ الصُّدْغُ طَى خَدَّيْكَ مِنْ مَسْكِ عِذَارَا

(١) نقله في التنف ٨١

أم أمان اللهل حتى غلب الليل النهارا  
قال مهديان جرى الحسن عليه فاستدارا  
ركضت فيه هون فأنارته غبارا

قوله : أجوب ، أى أقطع . البرارى : الصحارى . المهارى : إبل كرام .  
أنجد : أطلع ، والنجد : المرتفع . والنور : ضده ، وقد أنجد وغار . أصلك :  
أدخل وأمشى . فليت : قطعت . المعالم : الواضع المطومة ، والمجاهل ، ضدها .  
بلوت : جربت . المناهل : مواضع المياه . السبابك : أطراف الخوافر . المناسم :  
جمع منسم ، وهو مقدم خف البعير . أنضيت : أهزات . السوابق : الخليل .  
الرواسم : الإبل السريعة ، ورسمت الناقة فهى راسمة ، إذا أثرت فى الأرض  
من شدة وطئها ، قال أبو عبيد رحمه الله : إذا ارتفع السير عن العنق قليلا ، فهو  
التريد ، فإذا ارتفع عن ذلك ، فهو الذميل ، ثم الرسيم . الإصحار : الدخول  
للسعراء ، يريد مالت من سفر اللبر . صنع : ظهر وعرض . أرب : حاجة .

### [ ذكر صُحَّار ]

صُحَّار : سوق عُمان ، وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر ، مرساها فرسخ  
فى فرسخ ، وبلاد عُمان ثلاثون فرسخا ، ماوى للبحر سهول ورمال ، وماتعاقد  
عنه حزون وجبال ، وهى مدن ، منها مدينة عمان وهى حصينة على الساحل ،  
ومن الجانب الآخر مياه تجرى إلى المدينة ، وفيها دكاكين الثجبار مفروشة  
بالتحاس مكان الآجر ، وهى كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة  
والشمر والأرز وقصب السكر ، وفى الأمثال : مَنْ تَمَذَّرَ عَلَيْهِ الرزق فَعَلَهُ بِمَآن ،  
وفى أحوازها مناص الولوؤ . وعُمان من أحواز اليمن سُميت بهمان بن سبأ .  
الفنجديهي : صحار اسم بلدة بكورة عُمان وهى قصبتها نَمَا بِل الجبل .



التيار : البحر . الفُلك : السفينة . التسيار : الكثير المشى ، والفُلك بكرون

واحدا وجما ، وبذكر ويؤنث .

أساودي : أمقاعى، لأنها تسود الأرض بظلمها ، وهى جمع أسودة ، وأسودة جمع سواد ، وسواد الأمير تَقَلُّه . أبو عبيد : كَلَّ شخص سواد ، من متاع أو إنسان أو غيره . الحاذِر : الخائف . ناذر : حالف ، وأراد به الذى ينذر بخير إن سلمه الله تعالى من هَوَلِ البحر . عاذل وعاذر ، يريد أنه يمدل نفسه عن التفرير بدخول البحر ومقاساة أهواله ، ويمدِرُها لسكثرة المقاجر . شَرَحْنَا فى القلعة : أخذنا فى قَلْعِ المراسى ، ورفع القلع وهى الشَّرْع . قوله : أغشى ، أى أظلم هاتِفًا ، أى صامعًا . القويم : المستقيم . المَزَجَى : المسوق المسير ، قال الله تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِى يُزْجِى لَكُمْ الْفُلْكَ فى الْبَحْرِ ﴾ أى يسيرها ، وأزجاء : إذا ساقه . أقبسنا : أعطنا أرشدنا : دلنا ، قاله الأزهرى رحمه الله .



فقال : أَسْتَضْجِبُونَ ابْنَ سَبِيلٍ ، زَادَهُ فى زَيْلٍ ، وَظَلُّهُ غَيْرُ تَقِيلٍ ، وَمَا يَنْبِى سِوَى مَقِيلٍ . فَأَجْمَعْنَا عَلَى الْجُنُوحِ إِلَيْهِ وَالْأَنْبَخْلِ بِالْمَاعُونَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْفُلِّكَ ، قَالَ : أَعُوذُ بِمَالِكِ الْمَلِكِ ، مِنْ مَسَالِكِ الْهَلِكِ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّا رَوَيْنَا فى الْأَخْبَارِ ، الْمَتَوَلَّاتِ عَنِ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخَذَ عَلَى الْجُهَّالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا ، حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ، وَإِنْ مَبِى لِعُوذَةٍ ، عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَأْخُوذَةٌ ، وَعِنْدِى لَكُمْ نَصِيحَةٌ ، بَرَاهِينُهَا صَحِيحَةٌ ، وَمَا وَسَعَتِ الْكُتْمَانِ ، وَلَا مِنْ خِيْبِى

الْحَرَمَانَ فَتَدَبَّرُوا الْقَوْمَ وَتَفَهَّمُوا ، وَاعْمَلُوا بِمَا تُعَلَّمُونَ  
وَعَلَّمُوا .

ثمَّ صَاحَ صَيِّحَةَ الْمَبَاهِي ، وَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا هِيَ إِهْيَ وَاللَّهِ  
حِرْزُ السَّفَرِ ، عِنْدَ مَسِيرِهِمْ فِي الْبَحْرِ ، وَالْجُنَّةُ مِنَ النَّعْمِ ، إِذَا جَاشَ  
مَوْجُ الْيَمِّ ، وَبِهَا اسْتَعَصَمَ نُوْحٌ مِنَ الطُّوفَانِ ، وَنَجَّاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ  
الْحَيَوَانَ ؛ عَلَى مَا صَدَّعَتْ بِهِ آيَةُ الْقُرْآنِ . ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَ أُسَاطِيرِ  
تَلَاهَا ، وَزَخَارِفَ جَلَّاهَا ، وَقَالَ : اذْكُبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا  
وَمُرْسَاهَا . ثُمَّ تَنَفَّسَ تَنَفُّسَ الْمُغْرَمِينَ ، أَوْ عِبَادِ اللَّهِ الْمَكْرَمِينَ .

وَقَالَ : أَمَا أَنَا فَاقْدُ قُمْتُ فِيكُمْ مَقَامَ الْمُبْلَغِينَ ، وَنُصِحتُ لَكُمْ  
نُصْحَ الْمُبْلَغِينَ ، وَمَسَلَكْتُ بِكُمْ مَحَجَّةَ الرَّاشِدِينَ ، فَاشْهَدِ اللَّهُمَّ  
وَأَنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ .

\*\*\*

ابن سبيل : هو المسافر الذي انقطع به ، وهو يريد الرجوع إلى بلده ،  
ولا يجد ما يفتلح به ، فله سهم في الصدقات . زبيل : قُفَّةٌ من جلود ، والنز به  
بعضهم فقال :

وذى أذنين لا يفتن قوتاً وجوفٍ للعوائج واحتمالٍ  
بكلّف شغل أهل البيت طراً وتُحْمَلُ فِيهِ أَقْوَاتُ الْعِيَالِ  
تُسِيرُ إِلَيْهِ فِي الْأَسْوَاقِ سِيراً فَلَا يُفْشِيهِ إِلَّا فِي الرَّحَالِ  
ظله غير ثقيل ، أى هو خفيف الروح ، وقد تقدّم معنى استئثال ظله في

الثانية والعشرين ، ويريد بظله شخصه ، كما يسمى الشخص سواداً ، لأنه يستود الأرض بظله .

قال زياد بن عبد الله: قيل للشافعي رضى الله عنه: هل تمرض الروح؟ قال: نعم من ظل النعلاء ، قال: فررت به يوماً وهو بين تقيمين، فقلت كيف الروح؟ قال: في النزع .

وقال المهيم بن عدي: انظر إلى التقييل حُمى الروح . مقيل: موضع جلوس في القائلة . الجنوح: الميل ، والماعون اسم للمطر . وأنشد أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه :

بج صبيره الماعون نجاً إذا نسّم من الهيف اعتراه  
والماعون الزكاة ، قال الزّامى :

قومٌ على الإسلام لنا ينعوا ماعونهم ويضتموا التّهلّيلاً

مسالك: طرق ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أمان لأمتي من الفرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا: بسم الله الملك، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ، الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمَرَسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

وقوله: إن الله تعالى ما أخذ على الجمل -ال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا ، قيل: معنى أخذ: أوجب ، وأراد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما آتى الله تعالى عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه » . قال الحسن بن عمر: أنيت الزهرى بمد أن ترك الحديث ، وأقيته عنى بابه ، فقلت: إنما أن تحدثنى وإمدا

أن أحدثك ، قال : حَدَّثَنِي ، فقلت : حَدَّثَنِي الحَكَمُ بنُ عَينَةَ ، عن يَحْيَى بنِ الجِزار ، قال : سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه يقول : ما أخذ اللهُ على الجَهِالِ أن يَتَمَلَّوا حقِّي أخذَ على العُلَماءِ أن يعلِّمُوا ، قال : حَدَّثَنِي بَارِعِينِ حَدِيثًا .

قوله : عُوذَةٌ ، أى ما يعمودُ به الإنسانُ مِنَ الحِرْزِ وشبهه . براهِنُها : حُجُبُها . خِيصِي : طَبِي . الحِرْمَانُ : مَنَعُ الفَوَائِدِ . اللَّبَاهِي : المَفَاخِرِ السَّكَنِيهِ الإِمْعَابِ . السَّفَرُ : المَسافِرُونَ . الجُلُفَةُ ، السِّتْرُ . جاش : تَمَرَّكَ وَهَاجَ . الهمَّ : البَحْرُ . اصمَعَصَمَ : اصمَعَمَ . الطُوفانُ : المَاءُ العَامُّ . صَدَعَتْ : نَطَقَتْ . آي : جَمْعُ آيَةٍ ، وتَقَدَّمت . الأَساطيرُ ، هِيَ الأَباطيلُ . زَخارفُ : أَشْيَاءُ مُزَيَّفَةٌ المَغْرَمِينَ : المَذْبُوبِينَ ، والمُغْرَمِ المولعُ بالحبِّ وغيره . الرَّاشِدِينَ : المادِينِ للطريقِ .

• • •

قال الحارث بن همام : فَأَعَجَبْنَا بَيَّانَهُ البَادِي الطَّلَاوَةَ ، وَعَجَبْتُ لَهُ أصواتنا بالتَّلَاوَةِ ، وَأَنَسَ قَلْبِي مِنْ جَرَسِهِ ، مَعْرِفَةَ عَيْنِ شَمْسِهِ ، فقلتُ لَهُ : بِالَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ اللُّجِّيَّ ؛ أَلَسْتَ السَّرُوجِيُّ أَفقال لي : بلى ، وَهَلْ يَخْفَى ابْنُ جَلالٍ إِفأَحَدْتُ حينئذِ السَّفَرَ ، وَسَفَرْتُ عَنْ نَفْسِي إِذِ سَفَرَ ، وَلَمْ تَزَلْ نَسِيرُ والبَحْرُ رَهْوٌ ، والجَوْهُ صَخْوٌ ، والعَيْشُ صَفْوٌ ، والزَّمانُ لَهْوٌ ، وَأنا أَجِدُ للقيانِ ، وَجَدَ المَثْرِي بِعَقْيَانِهِ ، وَأفْرَحُ بِمَناجِرَتِهِ ، فَرَحَ الفَرِيقِ بِمَنجائِهِ ، إِلى أَنْ عَصَفْتَ الجُنُوبَ ، وَعَصَفْتَ الخُوبَ ، وَسَيَّ السَّمَرُ ما كانَ . وجاءُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ ؛ فَمِلْنَا لِهَذَا الحَدَثِ السَّائِرِ ، إِلى إِحْدَى الجِزارِ ؛ لَرُبِّيعٍ وَنَسْتَرِيعِ ؛ رَيْشًا تَوَاتَى الرِّيحَ .

فَمَا دَىٰ اعْتِيَاصُ الْمَسِيرِ ؛ حَتَّىٰ نَفَسَدَ الزَّادُ غَيْرَ الْبَسِيرِ ؛ فَقَالَ لِي  
 أَبُو زَيْدٍ : إِنَّهُ لَنْ يَحْرَزَ جَنَى الْعُودِ بِالْقَعُودِ ، فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِثَارَةِ  
 السُّمُودِ بِالصُّمُودِ أَفَقَلْتُ لَهُ : إِنِّي لَا تَبِيعُ لَكَ مِنْ ظِلِّكَ ، وَأَطْوَعُ مِنْ  
 نَفْلِكَ .

\*\*\*

الطُّلَاوَةُ : الْحَسَنُ وَالْقَبُولُ . عُبُجَتْ : ارْتَفَعَتْ . آانس : أَحْسَنَ وَأَدْرَكَ .  
 جَرَسَهُ : صَوْتَهُ الْخَفِيُّ . عَيْنُ شَمْسِهِ : حَقِيقَةُ نَفْسِهِ وَمَعْرِفَتُهُ الْعَبْجِيُّ : الْمَعْظَمُ الْمَجْدُ  
 وَهِيَ مَعْظَمُ الْمَاءِ .

### [ ذِكْرُ الطَّرْفَانِ ]

وَنَذَكُرُ هُنَا بَعْضَ مَا حَدَّثَ مِنْ طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ذَكَرَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ  
 كَانُوا أَهْلَ أَوْثَانٍ ، يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَبُعِثَ لَهُمْ نُوحٌ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ،  
 فَكَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ ، وَيَسْتَخْفُونَ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ  
 لَا يَظْلِمُونَ . فَلَمَّا كَثُرَ اسْتِخْفَاؤُهُمْ بِهِ ، قَالَ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ  
 الْكَافِرِينَ دَبَّارًا ﴾ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَّكَ لِإِنَّهُمْ مَفْرُقُونَ . فَأَقْبَلَ  
 عَلَى قَطْعِ الْخَشَبِ وَضَرْبِ الْحَدِيدِ وَتَهْيِئَةِ الْعُودِ بِالْفَأَرْ وَغَيْرِهِ ، فَصَنَعَهُ مِنْ خَشَبِ  
 السَّاجِ ، وَجَمَلَ طُولَهُ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا وَمَرْضَهُ خَمْسِينَ ذِرَاعًا ، وَطُولَهُ فِي السَّمَاءِ ثَلَاثِينَ  
 ذِرَاعًا . وَكَانَ قَوْمُهُ فِي خِلَالِ صَنْعَةِ السَّفِينَةِ يَأْتُونَهُ أَفْوَاجًا ، يَسْتَخْفُونَ عَقْلَهُ ،  
 وَيَبْذُونَ قَعْلَهُ مِنْ جَنُونِهِ ، وَيَقُولُونَ لَهُ : عَمِلْتَ سَفِينَةً فِي الْبَرِّ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : سَوْفَ  
 تَعْمَلُونَ . فَلَمَّا اطْمَأَنَّنَا فِي الْفُلِّكَ فَارَ الْعَتُورِ مِنَ الْمُنْدِ ، وَقَالَ الشُّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ

من الكوفة . وفتحت أبواب السماء بماء منهمر ، وتفجرت الأرض ميوناً ، فكان بين إرسال الماء وارتفاعه أربعون يوماً ، فلما بلغ الماء إليهم أوزوا إلى الجبال ، فكانت الجبال تستقبلهم بالحجارة ، وتغرقهم في الماء ، فانوا غرق ، وارتفع الأفك ، وجعل يجرى في موج كالجبال ، ودار الأرض كلها في ستة أشهر ومشر لهال . ويقال : إنهم ركبوها لشر ليال مَضِينَ من رجب ، ونزلوا يوم عاشوراء من الحرم ، فلذلك صام الناس يوم عاشوراء ، وأنت السفينة الحرم فدارت به أسبوعاً ، ولم يبق شيء من الخلائق ولا من الشجر إلا هلك ، إلا نوح ومن معه ، وإلا هوج بن عنق - فما يزعم أهل الكتاب - وانتهت آخرها إلى الجودي ، وهو جبل بالحصنين من أرض الموصل فنزلت عليه .

\* \* \*

قوله: ابن جلا ، أى المشهور المعروف ، يقال للرجل إذا كان على الشرف واضح الأمر لا يخفى مكانه : هو ابن جلا ، أى هو الذى الأمور بنفسه ، وأوضحها ، قال سحيم بن وثيل :

أنا ابنُ جلاَ وطلّاعُ الشنايا متى أضع العمامة تعرفونى

وكان صاحب غارات ، يطلع فيها من ثنية الجبل على قومه ؛ قال ثعلب : العمامة تُلبس في الحرب وتوضع في السلم ؛ قال ابن الأهرابي : يقال للستيد: ابن جلا ، قال سيبويه رحمه الله : جلاً فعل ماض ، كأنه يعنى الذى جلا ، أى أوضح وكشف .

قوله : أهدت ، أى وجدته محمودا . سَفَرَت : كشفت وأزلت المم . سَفَر : هَرَفْنَا بنفسه ، ويقال : سَفَرْتُ عن نفسى كما سَفَر ، أى مرتفته شخصى كما هرفنى هو شخصه ونفسه . رهو : ساكن ، ويقال : فعل ذلك رَهْوًا ، أى ساكنًا من غير تشدد ، قال تعالى : ﴿ رَاثِرُكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . والرّهو عند العرب الساكن ، يقال : جاءت الريح رَهْوًا ، أى ساكنة ، ويجوز أن يكون رَهْوًا من



نعت موسى عليه السلام، أى اتركه على حينئذك ، أو يكون من نعت البعير ، أى  
دَعَهُ بِمُوسَى سَاكِنًا وَقَانًا مَأْوَاهُ وَاعْبِرَهُ . الجوى : ناحية . السماء صمو : نقي من  
السحاب المثري : الفنى . والعقيان : الذهب يثبت نباتاً . عصفت الريح : اشتدت .  
الجنوب : الريح القبليية . عسفت : جاءت من كل جانب ، والعسف ركوب  
الأسر على جهالة . والخبوب ، بخاء ممجمة ، جمع خب ، وهى الرواية الصحيحة عن  
ابن جرير وغيره ، وهو هيج البحر واضطراب الماء ، وهو الذى صححه الفنجدي .  
كان أباء عمرو القسطلي شاهد هذه الحالة من هول البحر فوصفه بقوله (١) :

إليك شحنا الفلك تهوى كأنها	وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لبحر خضري إذا هبت الصبا	ترامى بنا فيها ثبير وشهلان
موائل يرمى في ذراها موائل (٢)	كما هببت في الجاهلية أوئان
تقاتل موج البحر واليم والدجى (٣)	تموج بنا فيها هبون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا	سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال آخر :

وسماء في السرى مخضلة	لا زور ذبية ما فيها صفا
غطت (٤) الأرض فلم تترك لنا	من فضاء الأرض إلا طرفا
فكان الأرض فيها هائم	غاب إلا هامة أو كتنا

(١) هو ابن دراج القسطلي ، واسمه : أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن مهدي  
ابن دراج ، وقى كنيته خلاف ، ذكره الدكتور محمود طي مكلي حواشي ديوانه س ٢١ ، والآيات  
في ديوانه ٨٧ ، ٨٨ .  
(٢) الديوان :

\* موائل ترمى في ذراها موائلاً \*

(٣) الديوان : « يقاتل موج البحر واليم والدجى » .

(٤) ط : « غصت » .

وَكأنَ المِوجِ فِها مِسكرٌ لَبِوا لَما وِغالوا حُجفاً  
خافقٌ راجفةٌ أحشاؤُهُ كحفاً المِجورِ يَهُو أسفاً

قوله : نسي السفراً كان، أي نسوا ما كان من طيب العيش بصفو الصحو.  
قوله : الحدّث الثائر، أي الأمر الطارئ . لنريح ، أي لنريح أنفسنا من نصب  
المول والخوف ، وأراح الرجل : استراح وأراح فيره ، وأراح الريح وأروحها  
واسترّوحها: وجدّها . رَبّث : قدّر ، والرّيث اللبث والبطء . تواتى : توافق .  
اعقباص : التواء وتصب . ففدّ : ففّى . اسنّثارة : استخراج ، بقول : هل  
لث في إدراك الحظ بالخروج من السفينة إلى البرية .

• \* •

فَنهَدنا إلى الجزيرة ، على ضُعبٍ من المِريّة ؛ لركضٍ في امتراء  
الميرة ؛ وِكلاناً لا يَمَلِكُ فتيلاً ، ولا يَهْتَدِي فيها سبيلاً ؛ فأقبلنا  
نَجوسِ خِلالها ، ونفقياً ظلالها ، حتّى أفضبنا إلى قصيرٍ مشيدٍ ، له  
بابٌ من حَدِيدٍ ، ودونه زُمرَةٌ من عبيد . فَناسَمناهم لِنَتَّخِذَهُمُ سُلماً  
إلى الارتقاء ، وأرشيّةً للاسْتِقاء ؛ فألفينا كلاً منهم كئيباً حسيراً ؛  
حتّى خِلناهم كسيراً أو أسيراً . فقلنا : أَيُّها العِلْمَةُ ، ما هذه النُمة ؟ فلم  
يُجيبوا النّداء ، ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء ، فلمّا رأينا نارهم نارَ  
الجُحُوبِ ، وخبرهم كسرّاب السباسب ، قلنا : شاهت الوجوه ، ورفح  
اللُكعُ ومَن يَرِجوه فابْتَدَرَ خادِمٌ قد علمته كَبْرَةً ، وعَرّته عُبْرَةً ،  
وقال : يا قوم ، لا تَوسِعُونَا سبباً ، ولا توجِعُونَا عتبا ؛ فإنّا لاني حُزنٍ  
شامِلٍ ، وشُغلٍ عن الحديثِ شاعِلٍ ، فقال له أبو زيد : نَفَسْ خِناقاً

الْبَثِّ ، وَانْفِثْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى النَّفْثِ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ مِنِّي هَرَّافًا  
كَافِيًا ، وَوَصَافًا شَافِيًا .

\* \* \*

هَذَا : تَقَدَّمَ نَا . الْمِرْبِرَةُ : قُوَّةُ النَّفْسِ . نَرَكُضُ ، بَفَتْحِ أَوَّلِهَا ، وَأَصْلُ  
الرَّكُضِ ، تَحْرِيكُ الْقَرَامِثِ ، وَمِنْهُ ﴿ وَارْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ ، وَلِهَذَا قِيلَ لِجَنِينِ إِذَا  
اضْطَرَبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ : قَدِ ارْتَكَضَ ، وَمِنْ مُشْكَلِ آيَاتِ الْمَعَانِي :

قَدِ سَبَقَ الْحَلْبَةَ وَهُوَ رَاكِضٌ فَكَيْفَ لَا يَسْبِقُ وَهُوَ رَابِضٌ

الْمُرَادُ : أَنَّ أُمَّهُ سَبَقَتْ الْجِوَادَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ ، نَاضِافَ السَّبْقِ إِلَيْهِ لِانْصَافِهِ  
بِهَا ، وَأَرَادَ بِرَاكِضٍ تَحْرِيكَهُ قَوَائِمَهُ فِي مَقَرِّهِ ، وَالرَّكُضُ بِسَعْمَلٍ فِي الْخَمَلِ وَغَيْرِهَا  
فَيُقَالُ : رَكِضَ الْبَعِيرُ بِرِجْلِهِ ، وَالطَّائِرُ بِجَنَاحِهِ .

قَوْلُهُ : امْتَرَاهُ ، أَيِ اسْتَخْرَاجِ . الْمِيرَةُ : جَلْبُ الرِّزْقِ ، وَمَارُ الرَّجْلِ عَلَى  
أَهْلِهِ مَيْرًا : جَلْبُ لُحْمِ الْقَوْتِ .

نَجُوسٌ خِلَافًا ؛ نَطُوفٌ فِي طَرَفِهَا ، قَالَ الْإِيْثُ وَابْنُ سَيِّدِهِ : الْجَوْسُ وَالْجَوْسَانُ :  
الدَّرْدُ فِي خِلَالِ الدَّوْرِ وَالْبُيُوتِ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَالْأَزْهَرِيُّ وَأَبُو هَبِيدَةَ :  
جَاسُوا الْمَوْضِعَ : وَطَنُوهُ ، وَفُلَانٌ يَجُوسُ بَنِي فُلَانٍ ، أَيِ يَطْوُمُ يَطْلُبُ فِيهِمْ .  
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ وَالنَّقَاشُ وَالزَّجَاجُ وَالثَّمَالِيُّ : ﴿ جَاسُوا ﴾ (٢) خِلَالَ الدِّيَارِ ، أَيِ طَافُوا  
بَيْنَ بَيْتِهِمْ ، يَطْلُبُونَهُمْ وَيَطْلُبُونَهُمْ ، ذَاهِبِينَ وَجَائِئِينَ . وَالخَلْلُ : الْفَرْجَةُ بَيْنَ  
الشَّبِيثَيْنِ ، وَالْجَمْعُ خِلَالٌ . تَنَتَيْتُ : نَسْتَلُّ ، وَتَفَيْتُ بِهِ : اسْتَعْتَلَّ بِهِ ، وَتَفَيْتُ : تَقَلَّبَ

أفضينا : وصلنا . مَشِيد: مرتفع البناء، والشَّيد : الحصن . زمرة : جماعة. ناسنهم : قربنا منهم ، وناسمه : سارّه وشامه ، وناسمت الرجل : قربت نسمةك من نسمة ، وتحدثت معه سرا . أرشية : حبلا . الارتقاء : الصعود . المسك : الجلد ، يريد أنه شديد التوجع ، وهذا كما تقول : لقيت فلانا في ثوب نمر ، أو في جلد أسد ، أى لقيه بادي الثمر ، قال الشاعر :

فطورا ترانا في مُسوكِ جبادنا وطورا ترانا في مُسوكِ الثعالب

قال البكري : الخويل توصف بالإقدام والثعالب بالزوغان ، فيريد أنهم مُقدمون على أعدائهم يوما ، ورائعون عنهم يوما . وقال الأستاذ : أى أُسروا فكثفوا بجلود خيلهم المقورة وفي جلود الثعالب ، كناية عن خُبث الأسير . فاهوا : نطقوا . سوداء : كلمة رديئة . نار الحباب : ما تطاير من الشرر في الهواء بتصادم حجرتين أو بضرب حافر في حَجَرٍ ، وتلك نارٌ لا منفعة فيها ، وقيل : الحباب رجل يجهل كان يُوقد نار ضعيفة لئلا يُتصد ، فإن أحسن بإنسان أطفأها لئلا يقتبس أحدٌ من ناره ، وقيل : نار الحباب نار مراحه ، ولينعله كان إذا جاء أحدٌ يوقد منه أطفأها ، وقال عبد الصمد بن المذل في أخيه :

ليت لي منك يا أخى جارةً من محاربٍ  
نارها كل شقوةٍ مثل نار الحبابِ

يريد جارة القطامي التي يقول فيها :

إلى حيزبونٍ تُوقد النارَ بمد ما تَلَفَقَتِ الظلماءُ من كلِّ جانبٍ

فلما تنازعنا الحديث سأئها عن العى قالت: معشر من محارب  
 إلا إنما نيران قومي إذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحياح  
 وقيل: الحياح ذباب يطير بالليل، له شمع كالسراج. قوله: خيرم،  
 الخبر بضم الخاء، مصدر خبرت أخبر إذا امتحنت، والسباب والبسباس:  
 الأرض المستوية، واحدها سبب وسبب. شامت الوجوه: قبعت الوجوه.  
 وفي الحديث: «أخذ عليه الصلاة والسلام قبضة من تراب يوم بدر فحشاها في  
 وجوه المشركين، وقال: شامت الوجوه»، ويقال شاة وجه الرجل يشوه شوهًا  
 وشوئه، قبح، ووجه مشوه، أى مقبح، ورجل أشوه وامرأة شوهاه. والأكع  
 الثنوم، وقد لكع لكما فهو الكع، ولكع ولكع، إذا لؤم وسحق وامرأة لكع  
 ولكيعه. قوله: هلته كبرة، أى أسن وكبر. وعرته عبرة، أى غشيقه ذمعة.  
 والنخام: النخعي، موصوف بطول العمر وسرعة العبرة، قال الميثم بن عدي:  
 في النخعي عشر خصال لا تجتمع في غيره: التهمة، والنميمة، والشرة، وسرعة  
 الدمعة، وطول العمر، وكبر القدم، والتبري من الصلح، والإجارة في الصفر،  
 والتهادة في الكبر، والاسترخاء في المقعدة وسعة الحجر. لانوسمون سبًا، أى  
 لانكثروا شقنا عتبا لوما وموجدة، وعتبت عليه أعتب عتبا وعتابا، وأعتبه:  
 أرضاه، والعنتى الرضا، واستعتبه طلبت إليه أن يعتب، وقال النابغة:

\* وإن تك ذا عنتى ففكك بُمِيت \* (١)

وقال حبيب:

سرت تحمل العنتى إلى الرضا إلى السخط والعذر الجميل إلى الحقد (٢)

(١) ديوانه ١٤، وسدره:

\* فإن أك مظلوما فمهد ظلمته \*

(٢) ديوانه ٢١٥

الحنان: العجل يُحنق به كالعقال للجمل يُعقل به . نفس: روح وحل  
عن الحنوق . والبث: العزن . انث: تكلم ، وأصله ابصق ، عرافا: كثير  
المعرفة ، والعراف: العالم بالشيء ، وأصله الكاهن .

• • •

فقال له : اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة ،  
وشاه هذه الرقعة ؛ إلا أنه لم يخل من كمد ، لخلوه من ولد ؛ ولم  
يزل يستكرم المغارس ، ويتخير من المفارش التفائس ؛ إلى أن  
بشر بحمل عقيلة ، وأذنت رقلته بفسيلة ، فنذرت له الثدور ،  
وأخصبت الأيام والشهور . ولما حان التاج ، وصيغ الطوق والتاج .  
عسر نخاض الوضع ، حتى خيف على الأصل والفرع ؛ فما فيما من  
يعرف قراراً ، ولا يظعم النوم إلا غراراً . ثم أجهش بالبكاء  
وأعول ، وردد الاسترجاع وطول . فقال له أبو زيد : اسكن  
يا هذا واستبشر ، وأبشر بالفرج وبشر ؛ فعندى عزيمة الطلق ،  
التي انتشر سمها في الخلق . فتبادرت الغلظة إلى مولاهم ، متباشرين  
بانكشاف بلوآهم ، فلم يكن إلا كلاً ولا ، حتى برز من هلمم بنا  
إليه . فلما دخلنا عليه ، ومثلنا بين يديه ، قال أبو زيد : إيهنك  
منالك ، إن صدق مقالك ، ولم يفن فالك .

• • •

قُطِبَ هذه البقعة ، أي رئيس هذه الأرض ، وقطب القوم : سيدهم الذي يلجئون إليه .

وشاه هذه الرقعة : مَلِك هذه الجزيرة ، وأراد بالرقعة سُفْرَةَ العُطْرَج ، وشاهها : مَلِك جيشها الذي يتصرف في بيوتها كيف شاء ، وقد أحسن مَنْ قال فيها :

أرضٌ مَرَبَعَةٌ سَحْرَاءُ مِنْ أَدَمِ      مَا بَيْنَ خِلْمَيْنِ مَوْصُوفَيْنِ بِالكَرِيمِ  
تَذَاكَرَّا الْحَرْبَ فَاحْتَالَ لَهَا شَبَّهَا      مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَقِيمَا فِيهَا لِسَفْكَ دِيمِ  
هَذَا يُبْعِرُ عَلَى هَذَا وَذَلِكَ عَلَى      هَذَا يُبْعِرُ وَعَيْنَ الْحَرْبِ لَمْ تَمِ  
فَانظُرْ إِلَى فِطْنٍ جَاشَتْ بِمَعْرِفَةٍ      فِي عَسْكَرِينَ بِلَا طَبِيلٍ وَلَا عِلْمِ

قوله : كَمَد ، أي حزن . المغارس والمغارش : النساء ، كأنَّ التَّنَطَّفَ تَمَرَسُ فوهن فيكثر الولد منها للفئانس : الكرائم . عَقِيلَةٌ : خَيْرَةٌ ، والعقيلة درة البحر ، وبه سُمِّيَتِ المرأة لكرمها وشرفها ، وكل كريمة من النساء والإبل والخيل فهي عَقِيلَةٌ . الرَقْعَةُ : النَّخْلَةُ الطويلة . الفَسِيلَةُ : نُخَيْلَةٌ تَكْبُرُ فِي أَصْلِ النَّخْلِ ، أراد أن المرأة حملت بولد . نذرت النذور ، أي وَعَدَتْ بفعل خير إن سلم الحمل . أَحْصَيْتْ : عُدَّتْ ، وعلم ما بقى منها . حان الفَتَاحُ : قَرُبَ وَقْتُ الْوَلَادَةِ صَبِيغٌ : صَبِيغٌ . الطَّوْفُ : الثَّوْبُ يلبسه المولود بغير جيب ، ولما سبق إلى جذيمة ابن أخته عمرو ، وكان له طَوْفٌ يلبسه في الصُّفْرِ ، فقال له : البسه فلم يسهه ، فقال : شبَّ عمرو عن الطوف ، فذهبت مثلاً ، قال ابن القَبْطُرُنة<sup>(١)</sup> في الحكم بن حزم ، وكتفه ذلك ابن سراج :

(١) ط : « القبطرية » تصحيف ، صوابه من نفع الطيب ، قال « وكان بنو القبطرية بالأندلس أشهر من نار على علم ، وقد تصرفوا في البراعة والقلم ، ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المذكورة » .

رأى صاحبي عمرًا فكَلَّفَ وصفَه      وحتلبي من ذاك ما ليس في الطوق<sup>(١)</sup>  
 قلت له : عمرو كعمرو فقال لي      صدقت ولكن شب هذا عن الطوقِ  
 عَسْرُ : صعب . مخاض : تحرك الولد عند الولادة ، وقيل : وجع الولادة .  
 القرار : السكون . الفرار : النوم القليل ؛ وهو من غرَّ الطائرُ فرخه يفرّه ، إذا  
 أطعمه شيئًا بمد شيء ، وأخذه من قول الشاعر :

لا أذوقُ النومَ إلا غِراراً      مثل حسو الطير ماء الشما<sup>(٢)</sup>

ولا يَطْعَمُ النومَ ، أي لا يذوقه ، ويقال : طعمه وتطعمه : ذاقه ، وفي المثل :  
 تطعم تطعم ، أي ذق تشته . أجهش : أي تهيتاً للبكاء ، والإجهاش : تغير الوجه  
 عند إرادة البكاء . أعول : رفع صوته بالبكاء . الاسترجاع ، قد تقدم . التلق :  
 وجع الولادة ، سُميَ طلقاً على التفاؤل للمرأة بالانطلاق بالولد . سممها : ذكرها  
 الجميل . تبادرت : تسابقت .

وجع غلام غيلةً وغلمان . البلوى : البلاء . كلاً ولآ ، أي كاللفظ بها ، وهي  
 كناية عن قلة الألبث وسرعة الأمر ، ويضرب بلا المثل ، فيقال : أخف من  
 لا على اللسان ، وأقل من لا في اللفظ ، وقال جرير :

يكون نزول القوم فيها كلاً ولآ      غشاشاً ولا يدنون رجلاً إلى رجل<sup>(٣)</sup>

غشاشاً أي قليلاً . ويقال : لقمه على غشاش ، أي على عجلة ، وقال الكُمَيْت :

(١) نفع الطيب ١ : ٦٣٦ ، فرائد المقيان ١٧٦ . قال في النفع : « وركب أبو الحسن بين  
 القبطنة إلى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسن بن سراج فنظر له أبي الحسن بن حزم ؛  
 خلاصاً كما من تمانه ؛ وهو يروق كأنه زهر فارق كائمه ، فسأل أبا الحسن بن سراج أن يقول  
 فأرتج عليه ؛ فثنى عنان القول إليه ، فقال « وذكر البيهقي .

(٢) الكامل ١ : ١٥١ - بشرح الرصني ، من أربعة أبيات لديها إلى بعض الأهراب ،  
 وفي ط « الثار » تحريف .

(٣) ديوانه ٤٦١ ، وفيه « رجلاً إلى رجل » بالخاء .

(٤٠) - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



كَلَّا وَكَذَا تَفْمِيضُهُمْ ثُمَّ هَجَّيْتُمْ لَدَى حِينٍ أَنْ كَانُوا إِلَى النَّوْمِ أَفْقَرًا<sup>(١)</sup>  
يقول : كان نومهم في الغلة والسرعة ، كقول القائل : لا وذا .

وقال الحسن<sup>(٢)</sup> رحمه الله :

يا عاقد القلب مِنِّي هَلَّا تَذَكَّرْتَ خِلَا  
تَرَكْتَ مِنِّي قَلِيلًا مِنْ التَّلْهِيلِ أَقْلًا  
يَكَادُ لَا يَتَجَزَّى أَقْلٌ فِي الْفِظِّ مِنْ لَأَ

وفي أبيات البديع :

وَأَرْوَعُ أَهْدَاءٍ لِي اللَّيْلُ وَالْقَلَا وَخَمْسَ نَمَسٍ الْأَرْضِ لَكِنْ كَلَّا وَلَا

جعل قوائمه فرسه وهي الخمس نَمَسَ الْأَرْضِ في المشي كَلَّا ولا على اللسان .  
قوله : بَرَزَ ، أي خرج . هَلِمَ : دعا ، وقال لنا هَلِمَ مَثَلْنَا : وَقَفْنَا ، ومثَل بين  
يديه : انقصب قائمًا . مَنَّاكَ : عطائك . ولم يقل فاك : لم يخطئ رأيك ، وقال  
رأيه فيولة : ضُفَّ وأخطأ .

\*\*\*

فَامْتَحَضَرَ قَلَمًا مَبْرِيًّا ، وَزَبَدًا مَجْرِيًّا ، وَزَعْفَرَانًا قَدْ دَبِبَ ، فِي  
مَاءٍ وَرَدٍ نَظِيفٍ ؛ فَمَا إِنْ رَجَعَ النَّفْسَ ، حَتَّى أَحْضَرَ مَا التَّمَسَ ، فَسَجَدَ  
أَبُو زَيْدٍ وَعَقَّرَ ، وَسَبَّحَ وَاسْتَغْفَرَ ، وَأَبْعَدَ الْحَاضِرِينَ وَنَفَّرَ . ثُمَّ أَخَذَ  
الْقَلَمَ وَاسْتَحْفَرَ ، وَكَتَبَ عَلَى الزَّبَدِ بِالْمَزْعَفْرِ :

(١) اللسان (٧) ، وفيه « تفيضة » .

(٢) هو الحسن بن هاني ، أبو نواس

أَيُّهَا الْجَنِينِ إِنِّي نَصِيحٌ لَكَ ، وَالنُّصِيحُ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ  
 أَنْتَ مُسْتَعِيمٌ بِكِنِّ كَثِيرٍ وَقَرَارٍ مِنَ الشُّكُونِ مَكِينِ  
 مَا تَرَى فِيهِ مَا يَرُوعُكَ مِنْ الْإِفِّ مَدَاجٍ وَلَا عَدُوٍّ مُبِينِ  
 فَتَى مَا بَرَزْتَ مِنْهُ تَحَوَّلْتَ إِلَى مَنْزِلِ الْأَذَى وَالْمُهُونِ  
 وَرَأَى لَكَ الشَّقَاءَ الَّذِي تَذُقُ فِي فَتْبِكَ لَهُ بَدْمَعٌ هَتُونِ  
 فَاسْتَدِمَّ عَيْشُكَ الرَّغِيدَ وَحَازِرَ أَنْ تَبِيحَ الْمَحْقُوقَ بِالْمُظَنُّونِ  
 وَاحْتَرَسَ مِنْ مُخَادَعِ لَكَ يَرْقِيكَ لِيُلْقِيكَ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ  
 وَلَعَمْرِي لَقَدْ نَصَحْتُ وَلَكِنْ كَمْ نَصِيحٍ مُشَبَّهِ بَطْنِينِ

\* \* \*

والزَّبْدُ : حجر معروف ، وهو شديد البهاض دقيق الثقب جداً ، يوجد  
 دائماً على وجه الماء بصرف في الأكمال . وقالت الحكماء : من خصائص  
 الزَّبْدِ البحرى أنه إِذَا هُتِقَ عَلَى امْرَأَةٍ مَا خُسَّ سَمَلُهَا مِنَ الْوَلَادَةِ ، وَيَكُونُ  
 فِي بَحْرِ الْبَيْنِ . دَيْفٌ : خُطِيطٌ . التَّمْسُ : طَلَبُ عَفْرِ : جَمَلٌ وَجْهَهُ عَلَى الْأَرْضِ ،  
 وَالْمَقَرُّ التَّرَابُ . اسْتَحْفَرٌ : جَدٌّ وَشَمْرٌ لِلْكِتَابَةِ ، وَيُقَالُ : اسْتَحْفَرُ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا  
 نَحَفَزَ فِيهِ . وَقَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ :

يَا أُمَّتَا أَبْصَرَنِي رَاكِبٌ مُسْتَحْفَرٌ فِي مَسْرَبٍ لِأَجِبِ<sup>(١)</sup>  
 مَازَلْتُ أَحْتَوُّ التَّرْبَ فِي وَجْهِهِ عِدَاً وَأُحْمَى حَوْزَةَ الْغَائِبِ

(١) تنسب هذه الأبيات للبحرئى ، وانظر الديوان وحواعيه س ٣٠١ .

فأجابتها أمها<sup>(١)</sup>:

الْحُضْنُ أَوْلَىٰ لَوْ تَأَيَّبْتَهُ مِنْ حَنِيكِ التَّرْبِ عَلَى الرَّابِ  
 مَسْرَبٍ : طريق لاجب بَيْن . الغائب : زَوْجُهَا . الحصن : العفة . تَأَيَّبْتَهُ :  
 تَعَمَّدْتَهُ وَقَصَدْتَهُ . الزُّعْفَرُ : اللدَادُ مِنَ الزُّعْفَرَانِ . الجَنِينُ : الولدُ فِي بطنِ أُمِّهِ .  
 النَّصْحُ : ضدُّ اللَّعْنِ ؛ قَالَ الخَطَّابِيُّ : التَّصْبِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حَيَاةُ الحِطِّ  
 لِلْمَنصُوحِ ، وَقِيلَ : أَصْلُهَا مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ ، أَيْ خَاطَهُ ، وَالنَّصَاحُ : الخَيطُ ،  
 شَبَّهُوا فِعْلَ النَّصَاحِ بِالخَطِّ الَّذِي يَلَامُ الخَلَلَ وَالْمَتَوَقَّ ، وَالقُبُورَةُ الْمَنصُوحُ ،  
 كَأَنَّهَا تَرَقَعُ مَا خَرَقَتْهُ الْعَصِيَّةُ . مَسْمَعٌ : مَسْمَعٌ مَمْنَعٌ ، وَاسْتَمَعَمَ<sup>(٢)</sup> فِي ذِكْرِ  
 يَوْسُفَ : امْتَنَعَ وَتَأَبَّى . كَنَّ : مَوْضِعٌ يَكْنَى فِيهِ . كَنِينٌ : حَاتِرٌ ، وَالسَّكِينُ :  
 لِلسُّمُورِ . وَالقَرَارُ : لِلسَّكَنِ الْمَطْمَئِنِّ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ الْمَاءُ ، وَأَرَادَ بِهِ الرَّحِمَ .  
 بُرُوعُكُ : يَفْزَعُكَ . لِمَفٍ : صَاحِبٌ . مَدَاحٌ : يَبْظُهرُ الحُبَّ ، وَيَضْمُرُ خِلافَهُ ،  
 وَدَاجِاهُ : سَآرَهُ بِالْمَدَاوَةِ . بَرَزَتْ : خَرَجَتْ . الأَذَى : الضَّررُ . الهُؤُنُ : الهُؤَانُ .  
 تَرَامَى : نَظَاهِرٌ . هُؤُونٌ : كَثِيرُ السَّيْلَانِ . وَهَفَّتِ السَّمَاءُ : صَبَّتْ . الرُّغَيْدُ :  
 الوَاسِعُ . الخُفُوقُ : الَّذِي لَا يَشْكُ فِيهِ . اللُّظُنُونُ : الشُّكُوكُ فِيهِ ؛ فَهُوَ يُشِيرُ عَلَى  
 الصَّحِيحِ أَنْ يُقِيمَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَا يَخْرُجُ لِلدُّنْيَا . ظَنِينٌ : مَتَمٌّ .

• • •

ثُمَّ إِنَّهُ طَمَسَ الْمَكْتُوبَ عَلَى غَفْلَةٍ ، وَتَفَلَّ عَلَيْهِ مِائَةٌ تَفْلَةٍ ، وَشَدَّ  
 الزُّبْدَ فِي خِزْفَةٍ حَرِيرٍ ، بَعْدَ مَا ضَمَّخَهَا بِمِيزٍ ، وَأَمَرَ بِتَعْلِيقِهَا عَلَى فَنَخْدِ

(١) في الديوان :

قَالَ لَهَا ضَاحِكَةً أُمُّهَا أَنْتِ كَثَلِ الأَمَلِ الخَائِبِ

(٢) هو قوله تعالى في سورة يوسف ٣٢ ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَفْصَمَ ﴾

الماخِضِ ، وألّا تملقَ بِهَا يَدُ حائضٍ ، فلم يَكُنْ إِلَّا كَذَوَاقٍ  
شَارِبٍ ، أو فَوَاقٍ حَالِبٍ ، حتّى اندلَقَ شَخْصُ الوَلَدِ ، لِخِصْمِيهِ  
لِلزَّبَدِ ، بِقُدْرَةِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ .

فامتلاً القَصْرُ حُبوراً ، واستطيرَ عميدُهُ وعبيدُهُ سروراً ،  
وأحاطتِ الجماعةُ بأبى زيدٍ مُتَنِي عليه ، وتقبَّلُ يَدِيهِ ، وَتَتَبَرَّكُ بِمَسَاسِ  
حِطْرِيهِ ؛ حتّى خيلَ إِلَيَّ أَنَّهُ القَرْنِيُّ أُوَيْسُ ، أو الأَسَدِيُّ دُوَيْسُ .

• • •

طمس : غطى ، وطست الدار إذا غطى الغراب آثارها ومحامها . والقفل :  
نفع يخرجُ معه بَصَاقٌ متفرقٌ ، وأوله البزقُ ثم القفلُ ، ثم اللثغُ ، ثم النفعُ .  
ضَمَخَهَا : لَطَمَهَا . عَيْرٌ : أَخْلَاطٌ مِنَ الطَّوْبِ . الماخِضُ : الحاملُ . ولا تَمْلُقُ  
بِهَا يَدَ حائضٍ ، تمويهٌ بأن مكتوبه من القرآن والحائض لا تمسه . الذَوَاقُ : مَنْ  
الطعام أو الشراب بلسانك . القَوَاقُ : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة  
تُحَلَبُ ثم تترك ساعة يرضعها فصيلها لئلا تدر ثم تحلب . اندلَقَ : خرج بسرعة ،  
وكل شيء يدرّ خارجاً بسرعة فقد اندلَقَ ، واندلق التتيفُ من غمده إذا  
سقط من غير أن يسقط . خِصْمِيهِ الزَّبَدُ ، أى خاصيته التى ينفرد بها عن الأحجار ،  
واختصتُ بالشيء : انفردتُ به ، وجاءنى خِصْمِيهِ القومُ ، مقصورياً ، أى  
خاصتهم ، وخصمته بالشيء خصوصاً وخصوصيةً وخِصْمِيهِ .

ابن جرير رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما وُلِدَني  
أهل بيت غلامٌ إلا أصبح فيهم عزٌّ لم يكن » .  
وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وُلِدَ مولوداً فأذن في أذنه اليمنى وأقام في  
اليمنى ، دخلت منه أم الصبيان » .

حُبورا: سرورا. واشتطير: داخله السرور. عبيده: سيده. طمويه: ثوبيه.  
 وذكر ابن قتيبة بسند متصل بابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : مرَّ  
 عيسى بن مريم عليه السلام على بقرةٍ قد اعترض ولدها في بطنها ، فقالت :  
 يا كلمةَ الله ، ادعُ الله أن يخلِّصني ، فقال : يا خالقَ النفس من النفس ، ويا مخرجَ  
 النفس من النفس ، ويا مخلصَ النفس من النفس خلِّصها ، فألقت ما في بطنها ،  
 فإذا حسرت على المرأة ولادتها فيكتب على مكيال ، ثم تعطاه المرأة .

وذكر الفنجديهي بسند متصل بأبي هريرة رضى الله عنه ، قال : بيئا  
 عيسى ويحيى عليهما السلام في البرية إذ رأيا وحشيةً ماخضا<sup>(١)</sup> ، فقال عيسى  
 ليحيى : قل تلك الكلمات : جنة ولدت مريم ، مريم ولدت عيسى ، الأرض  
 تدموك يا ولد ، اخرج يا ولد ، اخرج .

قال حماد بن زيد : فما يكون في الحى امرأة ماخض ، فيقال هذا عندها  
 إلا ولدت ، حتى الشاة التي يدمس وضعها ، فيقال هذا عندها ، فلا تبرح  
 حتى تضع .

يونس بن عبيد الله : اللهم أنت عدتي عند شيدتي ، وأنت صاحبي عند  
 كربتي ، وأنت ولي نعمتي ، من قالها عند النساء إذا عسر عليها ولدها ، أو  
 على بهيمة ، أذن الله تعالى في خروجه .

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا عسر على المرأة ولادتها ،  
 فليكتب لها بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ  
 الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا مَشْيَةً  
 أَوْضَاحًا ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ . لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ  
 بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(٢) سورة النازعات : ٤٦ .

(١) الماخض : الحامل .

(٣) سورة الأحقاف : ٣٥ .

قال سفهان : يكتب هذا في جام وتُسْقَاه .

وذكر من أبي الزناد قال : كنت مِثْنَانَا ، فقبل لي استغفر الله إذا جمعت ،  
فقطت فوضع لي بضمة عشر ذكرا .

قوله خَيْل : أي شَبَه .

[ ذكر أوبس القرني ]

وأوبس القرني بَشَّرَ به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من التاجين .

وفي صحيح مسلم : إن أهل الكوفة وقَدُوا على عمر رضى الله عنه ، وفيهم  
رجل يَمْنُ كان يسخر بأوبس ، قال عمر رضى الله عنه : هل هاهنا أحد من قرن ؟  
فجاء ذلك الرجل ، فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلاً  
يأتىكم من اليمن يقال له أوبس ، لا بدع باليمن غير أمّ له ، وقد كان فيه بهاض ،  
فدعا الله ، فأذهب الله عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم ، فمن آتته منكم فليستغفر  
لكم .

وفيه عن أسيد بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا  
أناه أمداد أهل اليمن سأل : أفهكم أوبس بن عامر ؟ حتى أتى على أوبس ، فقال :  
أنت أوبس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : من مُرَادٍ ، ثم من قرن ؟ قال : نعم ،  
قال : فكان بك برصٌ فبرئت منه إلا موضع الدرهم ؟ قال : نعم ، قال : أفك  
والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتي إليكم  
أوبس بن عامر ، مع أمداد أهل اليمن ، من مُرَادٍ ثم من قرن ، وكان به بهاض  
فهرى منه إلا موضع الدرهم ، له والدة هو بها يارث لو أقسم على الله لأبره ، فإن  
استظمت أن يستغفر لك فافعل ، فاستغفرت لي فاستغفر له ، فقال عمر رضى الله عنه  
أين تريد ؟ فقال : الكوفة ، قال ألا أكعبك إلى عاملها ؟ قال : أكون  
في غير الناس أحب إلي . قال : فلما كان في العام التابل حجج رجل من أنسرافهم ،

عوفى عمرَ رضى الله عنه ، فسأله عن أُويس ، فقال : تركته رثَّ البيت ، فليل  
 المتاع . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : يأتي عليكم أُويس  
 ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد ثم من قرَن ، وكان به برص فبرئ  
 منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بارٌّ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استظمت  
 أن يستغفر لك فافعل . فأتى أُويس فقال : استغفر لى ، فقال : أنت أحدث عهدا  
 بسفر صالح ؟ قال : نعم ، قال له : لتوت عمر ؟ قال : نعم ، فاستغفر له ، فظن له  
 الناس ، فانطلق على وجهه ، قال أسيدٌ : وكسوته بُرْدَةٌ ، فكان كلما رآه  
 إنسان قال : من ابن لأُويس هذه البُرْدَةُ !

وفى كتاب الإحياء : أنه لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : أيتها  
 الناس ، مَنْ كان من أهل العراق فليقم ، فقاموا ، فقال : اجلسوا إلّا مَنْ كان  
 من قرَن ؟ فجلسوا إلّا رجلا واحداً ، فقال له عمر رضى الله عنه قرنى ؟ أنت ؟ قال :  
 نعم ، قال : أنعرف أُويسا ؟ قال : نعم ، وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين ؟  
 والله ما بيننا أحق ولا أجبن ولا أحوج منه ! فسكى عمر رضى الله ، ثم قال :  
 ماقلت ، إلّا أتى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل فى شفاعته  
 مثل ربيمة ومضر » . ولما كان عند أمه كالمجنون بَدَّوا له بيتاً على باب دارهم ،  
 فكان تَأْتى عليهم السنَّة لا يرون وجهه ، كان يخرج أوَّل الأذان ويأتى بعد  
 العشاء الآخرة ، وكان طامأه أن يلقط النَّوى ، فكلمها أصاب حَشَفَةً خبأها  
 لإفطاره ، فإن أصاب ما بقوته باع النَّوى ، ونصدَّق به ، وإلّا اشترى منه ما يقوته .  
 وكان لباسه قطع الأَكسبة من المزابل ، يلققُ بعضها إلى بعض ، ثم يلبسها ،  
 وإذا مرَّ بالصبيان رجوه ، يظنُّون أنه مجنون ، ولهذا أعظمَ النبي صلى الله عليه  
 وسلم حرمة ، فقال : « إني لأجد نفس الرحمة من قبل اليمن » إشارة إليه .

## [ ذكر الأمير دبيس ]

وأما دبيس فهو الأمير سيف الدولة بن مزيد الأصدى ، وقيل : دبيس بن صدقة بن مزيد ، وذكر أبو الحسن علي بن الحسين بن أبي طالب البخارزي للأمير أبا الأحرز دبيس بن علي فقال : خدمته ببغداد ، وعبرت إليه أخت يده الجراد - يعني دجلة - وهي زاخرة الأمداد ، فإذا باحة للطارقين مباحة ، وراحة في كنفها للمفاتيح راحة ، وقباب التفت بها غاب القنا ، واشترك مع أجودها الناس في فرائس الفنى .

قال الفنجديي : سمعت بعض أهل الفضل يقول ببغداد : لما سمع الأمير دبيس ، أن الرئيس أبا محمد الحريري ذكره في مقاماته ، وأورد فيها بعض صفاته ، أنفذ إليه من الخلع الستية ، والجوائز الهنيئة ومزية العطية ، ما عجز عنه الوصف ، وكل عن الطرف ، واقتضاه علو همته ، ومموته قدرته . ثم عصى دبيس على الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل بن المستظهر بالله ، وسمى في إراقة دمه ، وجمع المساكر وحشد ، وقصد بغداد في عسكر عظيم ، وعاث في أطرافها ، وأفسد في أكنافها ، فخرج المسترشد بالله أمير المؤمنين من دار الخلافة ، واجتمعت إليه الأجناد ، وظهر إليه وحمل عليه ، فهزم دبيس وعسكره ، وانتهى إلى الحلة الزيدية ، فانتهبها ، وذلك في الحرم في سنة سبع عشرة وخمسمائة . وانهمزم دبيس في خواص من أصحابه وغلمانه خوفاً من الخليفة ، ومر نحو الشام ثم قتل الأمير دبيس بن صدقة بن مزيد في سنة ثلاثين أو في سنة تسع وعشرين ، قتله السلطان مسمود بن محمد بن ملكشاه لأموار أنكرها وأسباب امغمض لها ، نسبت إليه<sup>(١)</sup> .

ثم انثال عليه من جوائز المجازاة ، ووصائل الصلات ، ما قيس له



النِّعَى، وَيَبِضُّ وَجْهَ الْمُتَى، وَلَمْ يَزَلْ يَنْتَابُهُ الدَّخْلُ، مَذْتُبِجِ السَّنْعَلِ؛  
إِلَى أَنْ أُعْطِيَ الْبَحْرُ الْأَمَانَ، وَتَسَنَّى الْإِتْمَامُ إِلَى عُحْمَانَ؛ فَاصْتَقَى  
أَبُو زَيْدٍ بِالنُّحْلَةِ، وَتَاهَبَ لِلرَّحَلَةِ؛ فَلَمْ يَسْمَحِ الْوَالِي بِمَحْرَكَتِهِ، بَعْدَ  
تَجْرِبَةِ بَرَكَتِهِ، بَلْ أَوْعَزَ بَضْمَهُ إِلَى حُرَاتِهِ. وَأَنْ تُطْلَقَ يَدُهُ فِي  
حِرَاتِهِ.

قال الحارث بن همام: فلما رأيته قد مال، إلى حيث يكتسبُ  
المال، أنعتت عليه بالتمنيف، وهجنت له مفارقة المائف والأليف،  
فقال: إليك عني، واسمع مني.

\* \* \*

قوله: انثال، أي انصب. جوائز: عطايا. وصائل: متصلات غير منقطعة،  
والوصائل: ثياب حر محطمة تُصنَعُ باليمن بلبسها النساء، قال الشاعر:

\* لها حُبُّكَ ككأنها من وصائل \*

فويض: قدَّرَ وساق. يفتابه، أي يقصده ويأنه مرةً بعد أخرى.

الدخْل: العطايا التي تدخل إليه من قبل الأمير وغيره، ورجل كثير  
الدخْل: إذا كثُرَ دخوله الرزق عليه. والسَّنْعَل: الولد.

وما يستحسن في التهنئة بمولود قول الخلواني:

نجم تولد من شمسٍ ومن قمرٍ وأين من أبواء الشمس والقمر

شمس العفافٍ ومجد البدرِ بينهما تولد النور إلا أنه بشر

أخذه من قول ابن الرومي :

شمس وبدُرٌّ ولداً كوكباً أقسمت بالله لقد أنجها

وجاء الرمادي يهني الفقيه ابن العطار بمولود ، فقال :

يَهْنِيكَ مازادت الأيام في عدوك من فلذة برزت بالسقدم كبدك<sup>(١)</sup>  
 كأنما الدهر دهرٌ كان مكتئباً من انفرادك حتى زاد في عدوك  
 لا خلفتك الهالي تحت ظل ردي حتى ترى ولداً قد شب من ولدك

قوله : تَسَنَّى الإتمام ، أى تيسر إتمام الشئ والإفلاح . اكنفى : اقتنع .  
 الفحلة : المعطية . أوعزَ ووعز ، تقدم ، يقوب : لا يقال . وعز بالتخفيف . حزانته :  
 جماعته ، وعياله الذين يتحرّون لذكبته ولفقده ، ويحزن هو لضيقهم .  
 أنحيت : ملت عليه وقصدته به . التنعيف : اللوم والأخذ باللسان . المؤلف : الهلدة  
 وموضع الألفة . الأليف : الصّاحب . إلهك عنى : تعاهدنى .

\* \* \*

لا تصبُون إلى وَطَنٍ فِيهِ تَضَامٌ وَتُمْتَهَنُ  
 وازحَلْ عن الدارِ الَّتِي تُغْلِي الوِهَادَ على القُننِ  
 واهْرَبْ إلى كَنِّ يَبْقَى ولو أَنَّهُ حِضْنًا حَضَنُ  
 واربأُ بِنَفْسِكَ أن تَقِيَمَ بِحَيْثُ يَنْعَشَاكَ الدَّرَنُ  
 وَجِبِّ البِلَادِ فَأَيْهَا أَرْضَاكَ فَاخْتَرَهُ وَطَنُ  
 وَدَعِ التَّذَكُّرَ للمعا  
 هِدِ والحَيْنِ إلى السَّكْنِ

(١) نفع الطيب ٣ : ٤١٤

واعلمه بأن الحرف في أوطانه يلقى الغبن  
كالدر في الأصداف يستتررى ويُنحس في الثمن

• • •

تصنّبون : تمهّلن ، وصبوت إليه ملّت بالهبة . تضام : تذل . تمهن :  
تعتقر ، وقال محمد بن بشر في هذا المعنى :

إتما أزرى بقدرى أنى      لست من بآبة أهل الجبلد  
ليس منهم غير ذى مقلية      قدوى الألباب أو ذى حسد  
يتحامون لقائى مثل ما      يتحامون لقاء الأسد  
مطلعى أنقل فى أهنهم      وعلى أنفيسهم من أحد  
لوراؤنى وسط بحر لم يكن      أحداً يأخذ منهم بيدي

وقال البحترى :

أشرفى أم أغرب ياسعيد      وأنقص من زماعى أم أزيد<sup>(١)</sup>  
عدتني عن نصيبين العوادى      فبختى أبله فيها بليد  
وأخلفنى الزمان على رجال      وجوههم وأيديهم حديد  
لهم حلل حسن فهن بيض      وأخلاق سمجن فهن سود

ومن نبا به بلده للفاضى أبو محمد عبد الوهاب ، خرج من بغداد يريد مصره  
فشيته أكابرها ، ومن أصحاب محاربا جملة موفورة ، فقال لهم : والله لو وجدت  
بين أظهركم رغيفين كل يوم ، ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية ، وانلخص عندهم يومئذ  
ثلثائة رطل بدينار ، وقال :

(١) ديوانه ٨٠

سلامٌ على بغدادٍ مِنِّي تحيةٌ وحقٌ لها مني السلامُ المضعفُ (١)  
 لعمرك ما فارقتها قالياً لها وإني بشطى تجا نديها لمارفُ  
 ولكها ضاقت عليّ برُحبتها ولم تكن الأقدار تمن يساعفُ  
 فكانت كخيلٍ كدت أهوى دنوهُ وتأنى به أخلاقه فهخالفُ

وقال أيضاً :

بغدادُ دار لأهلِ المالِ واسعةٌ وللمفاليس دار الضنكِ والضييقِ (٢)  
 قد صرتُ أمشي مهانكاً في أزقتها كأنني مصحفٌ في كفِّ زنديقِ

قوله: الوهاد والقن: الانخفاض والارتفاع ، والقنفة: أعلى الجبل ، والوهدة  
 القعدة من الأرض تجرى إليها مياه جهاتها . حَضناً : جانباً حصيناً مانعاً . أرباً ،  
 أي ارتفع . بفشاك : يُفعل بك . الدرّن: الرسخ . المعاهد: منازل سكناه . الحنين:  
 الشوق . السكّن : الأهل . الأصداف : محالّ الجواهر . يستزرى : يستعقر .  
 يبغض : ينقص ، ومعنى هذه الأبيات يقول : أرحل عن بلد يملو فيه قدر أصاغر  
 الناس قدر أكابرهم ، ولا تُقيم فيه على الهوان ، وارفع قدر نفسك من أن تقيم  
 بموضع توستحك فيه الإهانة ، فإن المرء حيث يضع نفسه ، وطُفّ بالبلاد ، واختر  
 وطنك ما أرضاك ، فإن الحرّ يضع في وطنه ، ولا يعرف قدره .

الأصمى : سمعتُ بعضَ العرب يقول : الفقر في الوطن غربه ، والغنى في  
 الغربة وطن .

ونظر أبو الحسن إلى بردونٍ يُستقى عليه ، فقال : المرء حيث يضع نفسه ،  
 لو هاج هذا لم يُبيل بما ترون .

(٢) معجم البلدان ٢ : ٢٤١ .

(١) معجم البلدان ٢ : ٢٣٩ .

الزبير رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن العباد عباد الله ، والهلاك بلاد الله ، فحينما وجدت خيراً فأقم ، واحمد الله » .

وقال هلال بن الملاء الرقيّ :

لا تجزمن وإن نأتِ      أرضٌ تُنالُ بها الهبةُ  
وطنُ الغريب يساره      والفقيرُ الأوطانُ غربةُ

وقال آخر :

أشدّ من فاقة الزمانِ      مقام حرٍّ على الهوانِ  
فاسترزق الله واستغنِه      فإنه خيرٌ مستمانِ  
فإن نبا منزلٌ بجرٍّ      فن مكانٍ إلى مكانِ

وقال آخر :

شرق وغرب تجد من غادرٍ بدلاً      فالأرض من تربة والناس من رجلٍ  
وقال آخر :

من ضاق منك فأرض الله واسمه      من وجه كل مضيق وجه منفرج  
خيرُ المذاهب في الحاجات أنجحها      وأضيق الأسر أدناه من الفرج

• • •

ثمّ قال : حسبتُك ما استمعت ، وحببّ ذاك أنت لو اتبعت .  
فأوضحت له معاذيري ، وقلت له : كُنْ عَذِيرِي . فَعَدَّرَ وَاعْتَدَّرَ ،  
وزوّدحتي لم يذرْ ، ثمّ شيعني تشييع الأقارب ، إلى أن ركبتُ  
في القارب . فودّعته وأنا أشكرُ الفراقَ وأذمه ، وأودّه لو كان  
هلك الجنين وأمه

• • •

حسبك : يكفيك . أوضحت : بيّنت . معاذيري : أهداري ، والتذيرةُ :  
 للمذر ، ويقال : هذيرك من كذا، بمعنى هلمّ معذرتك منه ، وقيل : العذير بمعنى  
 عاذر ، فِعول بمعنى فاعل ، أي هلمّ لمن يمدرك منه .

ثَلَب : العذير ، مصدر بمعنى التَّكْبِير ، ومعنى عذيري منه ، أي مَنْ  
 يَمدِرني منه !

وَعَذَرَ : قَبِلَ العذر . والله أعلم .

## المقامة الأربعون وهي التبريرية

أخبر الحارث بن همام، قال: أزمعت التبريز من تبريز، حين نبت بالدليل والعزير، وخلصت من المجير والمعيز؛ فبينما أنا في إعداد الأهبة، وارتداد الصحبة، ألفت بها أبا زيد السروجي ملتقاً بكساء، ومحتقاً بنساء، فسألته عن خطبه، وإلى أين يسرب مع مربه؛ فأومأ إلى امرأة منهن باهرة السفور؛ ظاهرة النفور، وقال: تزوجت هذه لتؤنسني في القرية، وترخص عني قشف العزبة، فلقيت منها عرق القرية، تمطيني بحق، وتكلفني فوق طوق، فأنا منها نضو وجي، وحلف شجور وشجي. وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم، ليضرب على يد الظالم؛ فإن انتظم بيننا الوفاق، وإلا فاطلاق والانطلاق.

قال: قلت إلى أن أخبر لمن القلب، وكيف يكون المنقلب؛ فجمت شغلي دبّر أذني، وصحبتهما وإن كنت لا أعني.

\* \* \*

أزمعت: عزمت، ولزم مع العزم، والتبريز: الخروج إلى البراري، وهي الأرض الفضاء بلا شجر. تبريز: قرية من كور أذربيجان من عمل خراسان، بينها وبين المراغة عشرون فرسخاً.

نبت: قلمت وارتفعت الجير: الذي يجيرك من الناس ويكفيك فرهم، والمجيز: الواهب الجائزة وهي الصلة ارتداد: طلب محققاً. محتقاً: خطبه:

أمره . يسرّب : يذهب . ومِرْبِه : جماعة نسائه . أوماً : أشار . باهرة : ظاهرة .  
والشفور : كشف الغتاب من الوجه . ترخّض : تفسل ، ورخّض الثوب يرخّضه  
غسله . قشّف : تغيّر ، ورجل متقشّف : لا يتمهد الغسل والنظافة . والقشّف :  
سوء العيش . ومعلّله حقّه ، كناية عن جماعه لها ، والمطلّ في الأصل : المدّ ، يقال :  
مطلّ القين الحديد يطّله مطلقاً إذا ، مده وطوّله ، فعنى يمتطلي : تطول على .  
والطوق : الطاعة . نهووجي : هزبل من الجفاء ، وأراد به شرهما وما يلقاه  
منها . حلف شجر : صاحب حزن . والشجاء : الاختناق بالمظم وهو شيء  
صعب : يضرب على يده : ليكفّه ويمنّمه



فلما حضرا القاضي ؛ وكان يمين يرمى فضل الإمساك ، ويضن  
بنفائة السواك ، جثا أبو زيد بين يديه ، وقال : أيد الله القاضي  
وأحسن إليه ، إن مطيبي هذه أيبة القياد ، كثيرة الشراد ؛ مع أني  
أطوع لها من بنائها ، وأخني هليها من جنائها . فقال لها القاضي :  
ويحك ! أما علمت أن النشوز ينضب الرب ، ويوجب الضرب !  
فقالت : إنه يمين يدور خلف الدار ، ويأخذ الجار بالجار ، فقال له  
القاضي : تبالك ! أتبذرفي السباح ، وتستفرخ حيث لا إفراخ !  
اهزب عني ، لا نيم عوفك ، ولا أمن خوفك ، فقال أبو زيد : إنها  
ومرسل الرباح ، لا أكذب من سجاج !  
فقالت : بل هو ومن طوق الحمامة ، وجنح النعامة ، لا أكذب  
من أبي ثامة ، حين نخرق باليمنة !



( ٢١ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



لا أنفي ، أي لا أنفع ، الإمساك : الشح ، يضمن : يبخل ، والثفانة :  
مانطرحه من فوك من السواك بعد الانتفاع به ، وهذا وإن كان في غاية البخل  
مُتَزَعٍّ من قول الشاعر :

لقد بخلتُ حتى لو أتى سأتها      قدى العين من ضاحي القراب لصدتِ  
وقال آخر في معناه :

يبخل بالماء ولو أنه      منفسٌ في وسطِ القبولِ  
شجاً فلا تطمع في خيرِه      ولو نوسلتَ بجبريلِ

وقال آخر :

ما كنتُ أحسبُ أن الخبز فأكمةٌ      حتى نزلتُ على أوقى بن منصورِ  
يا حابس الروث في أعتاب بملقه      خوفاً على الحب من أقط المصافيرِ

وهذا الباب مستوفى في الرابطة والأربعة :

وبما يستظرف من لفظ السواك ، قول بعض الظرفاء :

قد هجرتُ السواك من أجل أني      إن ذكرتُ السواك قلتُ سواكاً  
وأحبُّ الأراك من أجل أني      إن ذكرتُ الأراك قلتُ أراكاً

جنا : برك ، أيد : قوى مطيقي : زواجتي ، أبيتة : حشبة مضممة على قائدها .  
الشتراد : الثفور ، أحنى : أعطف وأرحم . جنانها : قلبها .

النشوز : عصيان الزوج ومخالفته ، والنشوز أصله الارتفاع . وويح ،  
معناها التوبيخ والتقيح ، وأنه عمل أيضاً للرحم ، وقوله : ويوجب الضرب  
من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي  
الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> فنشوزهن : عصيانهن . الأزهرى : النشوز : كراهة  
كل واحد من الزوجين صاحبه ، ونشزت فنشز فهي ناشز

(١) سورة النساء . ٣٤ .

ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تُسْكِنُوا  
النساء العزف فيشرفن ، ولا تعلموهن الكتابة ، واستعينوا عليهن بالضرب » .  
ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَلَقُوا  
السوط حوث براه أهل البيت » .

ووصى بعض أهله فقال : « أنفق على أهلك من طَوْلِكَ ، ولا ترفع عصاك  
منهم ، وأخفهم في الله » ؛ فمضى لا ترفع عصاك ، أى لا تترك تأديبهم في الله تعالى .  
قوله : وبأخذ الجار بالجار ، العرب تسمى فرج المرأة بالجار ، ودُبرها جار الجار ،  
وأخذه الحريرى من قول أعرابى جاء لامرأته وقد اغتم واشتدت شهوته ،  
فأنظ ، فلما قرب منها وهجم عليها قالت له : إني حائض ، قال لها : فأين الهنة  
الأخرى ؟ ثم حمل عليها وهى تدافعه وتسبه ، وهو ماض فى شغله ينشدها :

كَلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْأَسْتَارِ لِأَهْتِكَنَ حَلَقَ الْحَقَّارِ  
\* قد يؤخذ الجارُ بذنب الجارِ \*

قال الخليل : الحتار : ما استدار من طَوق الجنن ، وكذلك حتار الظفر  
والدبر ، وما يبين هذا المعنى قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

جَارُكَ قَدْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تُمَدِّي الصَّحَّاحَ مَبَارِكُ الْجُرُوبِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَرَبِّ مَاخُوذٍ بِذَنْبِ قَرِينِهِ وَنَجْمِ الْقَارُوفِ صَاحِبُ الذَّنْبِ<sup>(٣)</sup>

(١) البيتان فى العقد ٥ : ٢٣٧ و ١٥٠ ، واسمها لتؤيب بن عمرو ، بقولهما لأبيه ، وذكر بلهما :

يَا كَسْبُ إِنْ أَخَاكَ مَنَعَمَقٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ صِرَّةً كَسْبُ

(٢) فى العقد « جانيك من يحن عليك » .

(٣) القاروف : لا تتركب ؛ وموضع هذا البيت فى العقد ٥ : ٢٣٧

وَالْحَرْبُ قَدْ تَضَطَّرَّ صَاحِبَهَا نَحْوُ الْمَضُوقِ وَدُونَهُ الرَّحْبُ

أنهذر: أنزرع ، والبذر الحبوب تزرع : السباح : الأرض ذات الملح  
والرشح ، وهي لا تنبت شيئاً للوحثها وقلة جفافها ، وأراد: أنزرع نطفتك في موضع  
لا يقبل الولد ، تستفرخ : تلهس عمل الفرخ . اعزب : غب  
طوق الحمامة : جعل لها طوقاً ، والحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو  
الفواخيت والوراشين والقمارى ، ودخلت الماء على أنه واحد للجنس لا للتأنيث ،  
البيث : تقول العرب : حمامة ذكر ، وحمامة أنثى ، والجمع الحمام .  
الشافى : كل ما عبَّ وهدر فهو حمام ، يدخل فيه القمارى والوراشين ؛  
سواء كانت مطوقة أو غير مطوقة ، آفة أو وحشية ، وهذا القول كأنه الأكثر  
لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بأخذ الحمام التي تستفرخ في البيوت ،  
وليست ذوات أطواق ، وكان يسميها حماما ، وكان في منزله حمام أحر ، اسمه  
وردان ، وقد قدمنا فصلا في الحمام في المصدر  
تخرق الرجل : أوم أنه على حق وصواب ، وهو على خلافه

### [ قصة زواج مسيلة بسجاح ]

وأورد هنا في شرح تزويج مسيلة بسجاح ما يبين سخف نيتها ، وإن  
كان الحريرى قد أشار إلى ذلك في هذه المقامة .  
(١) كان مسيلة بن حبيب الخنفي ، ثم أحد بني الدليل ، قد نسي بالرحمن  
في الجاهلية ، وكان من المعترين .

ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلة تسمى بالرحمن قبل أن يولده عبد الله  
أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما بُدِث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كانت قريش تقول : إنما يعلم محمداً رجلٌ يقال له الرحمن ، فنزلت ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ  
بِالرَّحْمَنِ ﴾ (٢) وكانت بنو تميم قد تحاذت في أمر الردة بعد موت النبي صلى الله

(٢) سورة الرعد ٣٠

(١) القصة في تاريخ الطبري ٣: ٢٧٦ وما بعدها

عليه وسلم واختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً ، فبينما هم على ذلك إذ جاءتهم  
سجاح بنت الحارث مقبلةً من الجزيرة ، تقول بى ربيعة . فأتاهم أسراً كان أعظم  
تجأهمُ فيه من الاختلاف ، وكانت سجاح تمهيةً وبدواً أيها في تطلب ، وأدعت  
النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في الجزيرة ، فاجتمعت عليها بنو تميم  
ورؤساء تغلب ، فأدعت أنها أنزل عليها . « بآياتهم المؤمنون المتقون ، لنا نصف الأرض  
ولقريش نصفها ، ولكن قریشاً قوم يبغون » . فاجتمعت تميم كلها تنصرها ،  
فكان فهم الأحنف وحارثة بن بدر ووجوه بنى تميم ، وكان مؤدبها شبيب  
ابن ربيع الرياحي ، فقالت : « أهدوا الركاب ، واستمدوا للتماب ، ثم اغدوا على  
الرباب ، فليس من دونهم حجاب » . فصمدت إليهم ، وقتلت فهم قتلاً كثيراً ،  
ثم قالت لأجنادها : اقصدا اليمامة ، فقيل لها إن شوكة أهل اليمامة قوية شديدة  
وقد غلظ أمر مسيلة ، فقالت : « يامعاشر تميم ، اقصدا اليمامة ، فاضربوا فيها كل  
هامة ، واضربوا ناراً ملهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة » ، وإن الله تعالى  
لم يجعل هذا الأمر في ربيعة - تعنى نبوة مسيلة - وإنما جعلها في مضر ،  
واقصدوا هذا الجمع ، فإذا قصدتموه عكرتم على قريش .

فسارت في قومها ، وهم عدد لا يحصى ، وبلغ مسيلة الخبير ، فضاق به ذرعاً ،  
وتحصن في جبر حصن اليمامة ، وأحاطت به جيوشها ، فأرسل في وجوه قومه .  
وقال : ماترون ؟ قالوا : نسلم هذا الأمر لها ، فإن لم نفعل فهو البوار . فقال لهم  
بدهائه : سدنظر . ثم بعث إليها ، وقال : إن الله قد أنزل عليك وحياً وعلى ،  
فهلمي بمنجم فتدارس ما أنزل الله ، فن عرف الحق تبعه ، واجتمعنا ، فأكلنا  
العرب أكلآ بقوى وقومك . فأنعمت له ، فأمر بضرب قبة من آدم ، فضربت  
وأمر بالموذ المندي فبخرت به ، وقال : أكثروا من الطيب ، فإن المرأة إذا  
شمّت رائحته ذكرت الباه . وأتته إلى القبة ، وقالت : هات ما أنزل عليك ربك ،

قال: « ألم تركم فعل ربك بالخبيلى ، أخرج منها نسمةً تسمى ، ومن بين صِفاقٍ <sup>(١)</sup> وحشَى ، من بين ذكروا نبي ، وأمات وأحيا ، إلى ربكم يكون للفتى . قالت : وما ذاك ؛ قال : « ألم تر أن الله خلقنا أفراجا ، وجعل لنا النساء أزواجا ، فنوارجُ فيهن قمسا إبلجا ، ومخرجه منهن إذا شئنا إخراجا ، ، قالت : فبأى شيء أمر ربك ؟ قال :

ألهبى إلى الخدعُ      فقد هبى لك المضجعُ  
فإن شئتِ فى البيت      وإن شئتِ فى الخدعُ  
وإن شئتِ سلقنالكِ <sup>(٢)</sup>      وإن شئتِ على أربعُ  
وإن شئتِ بثلاثيه      وإن شئتِ به أجمعُ

قالت : بل به أجمع . قال : كذلك أوحى إلى . فواقعها فلما قام عنها قالت : إن مثل لا يُسكح هكذا ، فيكون وضمةً على قوى ، والسكى مسلةً لك للنبوة ، فاخطبى إلى أولهاى بزواجك ، ثم أقود معك تميما . فخرج وخرجت معه ، واجتمع الحيان : حنوفة وتيم ، فقالت سجاج : إنه قرأ على ما أنزل عليه ، فوجدته حقا ، فقبضته ، ثم خطبها فزوجوه منها .

وقل الأغلب المجلى فى ذلك :

قد لقيت سجاجُ من بعد العمى      ملوحاً فى العين مشدودَ القوى  
كان هرق أيزر إذا بدا      جهل عجوز ضفرت سنبعا قوى  
ما زال عنها بالحديث والمبى      والخلق السفساف بردى فى الردى <sup>(٣)</sup>  
قال : ألا أدخله ؟ قالت : بلى      فشام فيها مثل محراب القمصا

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

(٢) سلقه : ألغاه على قناه .

(٣) السفساف : الردى . ويردى مثل يرضى : ملك .

تقول لما غاب فيها واستوى لئلا هذا كفت أحسبك الحسى  
والهامة بلد الزرقاء . وسأنى ذكرها فى الحسين ، فعلى نحو ما ذكرنا من  
أمر سجاح ، ذكرها أكثر أهل الأخبار .

وقال الفجديسيّ: سجاج بنت الحارث بن سويد بن عقيان ، من بنى يربوع ،  
كنيتها أم صادر ، أدعت النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فى  
بنى تغلب ، فاستجابوا لها ، وتبعها قوم من تميم ، وظهر أسرها حتى هابتها العرب  
وصالحتها ، لتجوز فى بلادهم حيث شاءت . فسمعت بمسيلة فى الهامة ، فقالت  
قومها «عليكم بالهامة ، دُفوا إليها ذئب الهامة<sup>(١)</sup> ، فإنها غزوة صرامة ، لا تلتصقكم  
بدها ملامة .»

وبلغ مسيلة خبرها فهابها ، وخاف إن هو شغل بها غلبه ثمانية بن أمال  
وشرحبهل على حُجر الهامة إذ هما من قبل أبى بكر رضى الله عنه ، فأرسل إليها  
يسأمنها على نفسه ، فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة ، فقال لها : نصف  
الأرض لى ، والنصف الذى كان لفريش صار لك ، فقالت : لا يردها نصف إلا من  
جنت ، فأحل النصف . فصالحها على أن يحمل إليها نصف غلات الهامة من  
تلك السنة ، وعلى أن يسلفها ثمن غلات السنة لاقبلة . فقبلت منه ، وقدم لها مغلّة  
تلك السنة ، ورجعت إلى الجزيرة ، فلم تزل فى بنى تغلب حتى نقلتهم معاوية عام  
انفراده بالملك إلى الكوفة ، فانتقلت معهم ، وحسن إسلامها .

[ قصة تخاصم أبى الأسود مع امرأته ]

وأظن أن الحريرى صور تخاصم زوجة أبى زيد معه على تخاصم أبى الأسود  
الدولى مع زوجته عند معاوية .

(١) ط : « الجماعة » تحريف ، والصواب ما أثبتته من تاريخ الطبرى .

حدث أهل الأخبار قالوا : كان أبو الأسود كبيراً عند معاوية ، وكان معاوية يجالسه وبتدنيه ، ويسأله فنجيبه فيما يعلم ، فبينما هو ذات يوم عند معاوية وقد قدم المدينة إذ دخلت عليه امرأة بَرَزَةٌ<sup>(١)</sup> فقالت : أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ، إن الله جطك خليفة في البلاد ، وورقياً على العباد ، يُسْتَسْقَى بك المطر ، وَيُسْتَنْبَت بك الشجر ، وَيُؤْمَن بك الخائف ، وَيُرَدَّع بك الجانف<sup>(٢)</sup> . أنت الخليفة المصطفى ، والأمير المرتضى ؛ قدسأل الله لك الذممة في غير تغيير ، والبركة من غير تغيير ؛ فقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق بي عنه المخرج ، من أمر كرهتُ عاره ، بما أردتُ إظهاره ، فليكشف عني أمير المؤمنين ، وليصغني من الخصم ، وليكن ذلك على يديه ، فأني أعود بك وبمحمومك من العار الويل ، والأسر الجليل ؛ الذي يشق على الحرائر ، ذوات البيوت الأخيار . فقال لها معاوية : مَنْ هذا الذي أشمرك شواره ؟ قالت : أمر طلاق جائر ، من بعلٍ غادر ، لا تأخذه من الله مخافة ، ولا يجد بأحد رافة ، قال : وَمَنْ بعلك ؟ قالت : هو أبو الأسود . فالتفت معاوية إليه فقال : أحق ما تقول هذه للمرأة ؟ فقال : إنها تقول من الحق بعضاً ، وليس أحد بطوق عليها نقضا . أما ما ذكرتُ من أمر طلائها فحق ، وسأخبرك عن ذلك بصدق ، أنا والله ما طلقتم أريية ظهرت ، ولا من هفوة حضرت ؛ ولكن كرهت شمائلها ، فقلعت حبالها . قال : فأني شمائلها كرهت أقال : إنك تهيبها على جواب عتيد ، ولسان شديد . قال : لا بد من جوابها ، قال : هي يا أمير المؤمنين كثيرة الصنخ ، دائمة الدرب ، مهيبة للأهل ، ومؤذبة للبعل ؛ إن ذكر خيراً دفنته ، وإن ذكر شراً أذاعته ، تخبر بالباطل ، وتطير مع المازل ، لا تفكك عن عتب ، ولا يزال زوجها معها في عتب ؛ فقالت : أما والله لولا حضور أمير المؤمنين ، ومَنْ حضر من المسلمين ،

(١) امرأة بَرَزَةٌ ، أي بارزة الحسن . أو المرأة الجليية التي تبرز للنوم يجلسون إليها

(٢) الجانف : المائل .

ويحمدون .

ترددت عليك بوادر كلاميك بنوادر تردع كل سهامك. فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته ا فقالت : هو والله يا أمير المؤمنين سنول جهول ، ملحاح بمول ، إن قال فشرّ قائل ، وإن سككت فقدم غائل ، لبت حين يأمن ، نعلب حين يخاف ، شحيح حين يستضاف ، إن التمس الجود عنده انقمع ، لما يعلم من لؤم آبائه ، وقصر رشائه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحمي ذماراً ، ولا يقصرم ناراً ، ولا يرعى جواراً ، أهون الناس عليه من أكرمه ، وأكرمهم عليه من أهانه .

فقال معاوية : ما رأيت أعجب منها . انصرفي رواحاً<sup>(١)</sup> ، فلما كان العشي جاءت ، فلما رآها أبو الأسود قال : اللهم اكفني شرّها ، فقالت : كفاك الله شرّي ، وأرجو ألا يعيدك من شرّ نفسك . قال : ناويني هذا العصبى حتى أحله ، قالت : ما جعلك الله بأحق من يحمل ابني . فوثب فانتزعه منها ، فقال معاوية : مهلا يا أبا الأسود . قال : يا أمير المؤمنين حماة قول أن تحمله ، ووضعه قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وانظر في أوده ، أمنحه على ، وألممه حلمي ؛ حتى يكمل عقله ، ويستحكم قلبه ، قالت : كلاً أصلحك الله أحمله خفياً ، وحمله ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعه كرهاً . حجري فناؤه ، وبطني وعازؤه ، وندبي سفاؤه ، أكاؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام .

فقال معاوية : ما رأيت أعجب من هذه المرأة ا فقال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ، إنما تقول من الشعر أبياناً فتجديها ، قال : فتكلف أنت لها أبياناً لعلك أن تفرها بالشعر ، فقال أبو الأسود :

مَرَّحِبًا بِأَتَى تَجُورَ عَلَيَا      نَمَّ أَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمَحْمُولِ  
أَغْلَقْتُ بِأَبَا عَلِيٍّ وَقَالَتْ      إِنْ خَيْرَ نَسَا ذَوَاتُ الْبِعْمُولِ  
شَفَلْتُ قَلْبَهَا عَلَيَّ فَرَاغًا      هَلْ سَمِعْتُمْ بِفَارِغٍ مَشْفُولِ ا

(١) الرواح : العشي .



قالت :

ليس مَنْ قَالَ بالصواب وبالْحَقِّ كَمَنْ حَادَ مِنْ مَلَارِ السَّبِيلِ  
كَانَ حَجْرِي فَنَاءَهُ حِينَ بَضَعِي      ثم تَدْبِي سَقَاؤُهُ بِالْأَصْبَلِ  
لَسْتُ أَبْنِي بِوَأَحْدَى يَابِنِ حَرْبٍ      بَدَلًا مَا رَأَيْتَهُ وَالْجَاهِلِ

فقال معاوية رضى الله عنه :

ليس مَنْ قَدَ غَذَاهُ طِفْلًا صَغِيرًا      وَسَقَاهُ مِنْ تَدْبِيهِ بِالْجَدُولِ  
هِيَ أَوْلَى بِهِ وَأَقْرَبُ رَحْمًا      مِنْ أَبِيهِ وَفِي قَضَاءِ الرَّسُولِ  
ثم دفعه معاوية إليها .

\* \* \*

فزفرَ أبو زيدٍ زفيرَ الشَّوَاظِ ، واستشَاطَ استِشَاطَةَ الْمُتَشَاظِ ،  
وقال لها : وَيَلَاكِ يَادِرْفَارِ يَا فَجَارِ ، يَا غُصَّةَ الْبَعْلِ وَالْجَارِ ، أَتَعْمَدِينَ  
فِي الْخَلْوَةِ لِتَمْدِيحِي ، وَتُبْدِينَ فِي الْحَفَلَةِ تَكْذِيبِي ا

وقد علمتِ أُنَى حِينِ بَنَيْتُ مَلَيْكَ ، وَرَرْتِ أَوْتُ إِلَيْكَ ، أَلْفَيْتِكَ  
أَقْبَحَ مِنْ قِرْدَةٍ ، وَأَيْنَسَ مِنْ قِدَّةٍ ، وَأَخْشَنَ مِنْ لَيْفَةٍ ، وَأَتَنَ  
مِنْ جَيْفَةٍ ، وَأَثْقَلَ مِنْ هَيْضَةٍ ، وَأَقْدَرَمَ مِنْ حَيْضَةٍ ، وَأَبْرَزَ مِنْ قِشْرَةٍ ،  
وَأَبْرَدَ مِنْ قِرَّةٍ ، وَأَحْمَقَ مِنْ رِجْلَةٍ ، وَأَوْسَعَ مِنْ دِجْلَةٍ ؛ فَسَتَرْتُ  
عَوَارِكَ ، وَلَمْ أَبْدِ هَارِكَ . قَلَّ أَنَّهُ لَوْ حَبَّتْكَ شَيْرِينَ بِجَمَاهَا ، وَزُبَيْدَةً  
بِمَاهَا ، وَبَلْقَيْسُ بِعَرَشِيهَا ، وَبُورَانُ بِفَرَشِيهَا ، وَالزُّبَاءُ بِمَلِكِيهَا ،

ورَابِةٌ بِنُسْكِيهَا ، وَخَنْدِفٌ بِفَخْرِهَا ، وَالْخُنْسَاءُ بِشَعْرِهَا فِي  
صَخْرِيهَا ، لِأَنِّي أَنْ تَكُونِي قَمِيْدَةً رَحْلِي ، وَطَرُوقَةً فَحْلِي .

• • •

قوله : زفر : أى تنفس غيظ ، والزفر والزفير رد النفس في جوفه حتى تنفخ  
عروقه . قال ابن عرفة : الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . الشواظ : النار  
بغير دخان وزفيره : صوت انقاده . استشاط : اشتد غيظه وانتشر في جسده .

يا فَجَّارَ : ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَذَفَ  
امْرَأَتَهُ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ جَلْدَةٍ بِسِيَّاطٍ مِنْ نَارٍ » .

والنُصَّةُ : ما يحنق به . واليئمل : الزوج ، وأراد أنها مؤذبة يشق بها  
زوجها وجارها ، كما يشق صاحب النُصَّة . تعمدين : تقصدين . الخلوة . الافراد .  
والحفلة : الاجتماع . بنيت عليك ، أى تزوجتك ، وكانت العرب إذا تزوج  
الرجل بقى على أهله قُبَّةً ، فيستى دخول الزوج بقاء لذلك . رنوت : نظرت .  
ألفيمك : وجدتك . قِدة : شراكة تقُدُّ من من جلد غير مدبوغ . والألفية ،  
واحدة ليف النخل ، وهى التى تكون بين الجرائد . هَيْضَةٌ : هى اللانخمة تنول  
إلى القيء والإسهال وقشرة الشىء : ما علا عليه

وِدَجَلَةٌ : نهر العراق ، وعليه بغداد والبصرة ، وواسط على جرفها ، ويجرى  
على وجه الأرض أربعمائة فرسخ . ولم يحمل الحريرى مهالفة السعة على هذه ؛  
ولما أراد دجلة الموراء ؛ وهى التى انتشر ماؤها في البطاح ، حتى صارت سعتها  
هنالك ثلاثين فرسخاً في مثلها .

وقال ابن سُكَّرَةَ يهجو امرأة بالسَّمة :

لَا تَعْدُ لَوْ هِيَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَلَلٍ      مِنْ ذَا يَرَاكِ وَلَا يَهْبُؤُ إِلَى الْمَلَلِ (١)

(١) بديعة الدهر ٣ : ١٣ .

إن كنت أبصرتُ أشقى منك في بصرى فلا بلغتُ الذى أهواه من أميل  
 البحر أنت ، وأبصرى ليس من تمكِّ و ليس بينى وبين البحر من حملو  
 قال هشام بن عبد الملك للأبرش السكبي : زوجنى امرأة من كلب ،  
 فزوجته ، فقال له ذات يوم يهزل معه : تزوجنا إلى كلب ، فوجدنا فى نساءهم سمة ،  
 فقال الأبرش : يا أمير المؤمنين ، إن نساء كلبٍ خلقتنَ لرجال كلب .

وسمع رجل من كِنْدَةَ رجلاً يقول : وجدنا فى نساء كندة سمة ، فقال :  
 إن نساء كندة مكامل فقَدَت مَراودها .

قيل : لامرأة تُطلِّق كثيراً : ما بالكِ تُطلِّقين أبداً؟ قالت : يريدون الضيق :  
 خَتيق الله عليهم .

قوله : فسرت عوارك ، ابن عباس ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما من  
 مُسْلِمٍ اطَّلَعَ على عورة مسلم فأذاها عليه شمانة وعدوانا إلا كان حتماً على الله  
 أن يفضحه عاجلاً أو آجلاً ، ومن سترها عليه كان حتماً على الله أن يدخله فى  
 ستره وحجابها يوم تُنبأى السرائر وتُخْرَجُ الحَبَّاتُ » . حَبَّتِكَ : أى حَمَّتِكَ .

وشيرين هى بنت أرويز بن هرمز ، وكانت آية فى الجمال ، وغاية فى الحسن  
 والكمال ، فاقت نساء زمانها صهابة وظرفاً ، وبهرشهن ملاحه وأطفاً ، وخلقت فى  
 العراق آثاراً منها قصر شيرين ، ولها قصة منظومة مشهورة بالعجمية .

### [ زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد ]

وزبيدة : هى بنت جعفر بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور ، زوجها هارون  
 الرشيد ، وجدتها المنصور ، وعمتها المهدي ، وابنها الأمين ؛ فكانت اخلافة  
 قد اكتفتها ، و ليس فى بنى هاشم هاشية ولدت خليفة إلا هى . ولدت فى حياة  
 المنصور ، فسُميت أمة العزيز .

وكان المنصور يرقصها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة! فقلب ذلك على اسمها، وكانت أموالها لا تهمى، وأنفقت في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد والقناطر ما لم يتفقه أحد قبلها؛ فن ذلك ما أنفقت في حفرها للعين المعروفة بعين المشاش بالحجاز، فإنها حفرتها، ومهدت الطريق لها في كل رفع وخفض، حتى أجرتها من مسافة اثني عشر ميلا، فأحصى ما أنفقت فيها فوجد ألف وصبمائة ألف دينار، دون ما كان في وقت الشغل بها في البذل، وما عم أهل القاعة، ولها في طريق مكة من العراق آثار كثيرة في مصانع حفرتها، ويرك أحدها، تنزل وفود الحج عليها، فلا نجد ماء إلا فيها، فيشربون ويسقون إبلهم، ويتزودون وهم في الكثرة أعداد لا يحصيهم إلا خالقهم، والسكل داعون زبيدة إلى زماننا هذا. وأما آثارها الموكية، فإنها أول من اتخذت الآلات من الذهب والفضة المكللة بالجواهر. وبلغ ثوب وشى اتخذت لباسها خمسين ألف دينار.

وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس، وكلاهما من الذهب، ملبسة بالوشى والديباج، وأنواع الحرير الملون، وهي أول من اتخذ الخفاف المرصمة بالجواهر، وشماخ المنبر. ولما أفضى الأمر إلى ابنها الأمين رفع منازل الخدم ككوتر وغيره، فلما رأته حبه فيهم اتخذت له الجوارى المقدورات الحسان الوجوه، وعمت رده وسمن، وجعلت لمن القطر والأصداغ والأقوية، وأبستمن الأقبية والقراطين والمناطق، فبات قدودهن، وبرزت خصورهن. وبعثت بهن إليه، فاستحسنهن وأبرزهن للناس، فمشوهن الفلاميات.

وأخبارها كثيرة، وعندما قتل الأمين دخل عليها بعض خدمها، فقال لها: ما بمجذك وقد قتل أمير المؤمنين؟ فقالت: وبلك وما أصنع؟ قال: تخرجين وتأخذين بدمه، كما خرجت هائشة تطلب بدم عثمان، فقالت: إخسا لأم لك! ما للنساء وطلب الدماء ثم أمرت بثيابها فسودت ودعت بدواة، فكتبت إلى المأمون:

أخيراً إمام قام من خير عنصرٍ  
 ووارث علم الأولين وفخرهم  
 كتبتُ وهوى تسنُّهٍ دموعها  
 أصبَّتْ بأذى الناس منك قرابةً  
 أنى طاهرٍ، لا طهر الله طاهراً،<sup>(١)</sup>  
 فأبرزني مكشوفة الوجه حاسراً  
 يعزّ على هارون ما قد لقيته  
 تذكّرْ أمير المؤمنين قرابتي  
 فإن كان ما أبدى لأمره أمرته  
 وإن كان ما قد كان منه تمدّياً  
 وأفضل راقٍ فوق أعواد منبرٍ  
 إلى الملك المأمون من أمّ جمفرٍ  
 إليك ابن عمي من جُفوني ومحجري  
 ومن زال عن عيني قلّ نصبري  
 فما طاهر في فعله بمظنرٍ  
 وأهيب أموالاً وحرّق أدوري  
 وما نالني من ناقص الخلق أعورٍ  
 فدبتك من ذى قرْبتي معذكرٍ  
 صبرتُ لأمرٍ من قديرٍ مُقدّرٍ  
 على أمير المؤمنين ففبرٍ

فأما قرأها المأمون ، بكى بكاءً شديداً ، ثم قال : إني لأقول كما قال عليّ أمير المؤمنين حين بلغه قتلُ عثمان رضي الله عنهما : والله ما أمرتُ ، ولا رضيتُ ، اللهم جَلِّ قلب طاهر حزناً .

قال إبراهيم الحربي : رأيتها في المنام ، فقلت لها : ما فعل الله بك ؟ فقالت : غفرت لي ، فقلت : بما أغفقت في طريق مكة ؟ فقالت : أما النفقات فرجعت أجورها إلى أربابها ، وغفرت لي بنتي .

[ بوران بنت الحسن بن سهل وزوجها بالمأمون ]

وأما بوران فهي خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل ، تزوجها المأمون على يد إسحاق الموصلي ، وفي هذا التزويج قصة الزبول وهي طويلة ظريفة ، نذكرها على جهة الاختصار ، حدث إسحاق الموصلي قال :

(١) هو طاهر بن الحسين قائد المأمون ؛ قتل الأيمن بتدبيره سنة ١٩٨ .

بيننا أنا ذات يوم عند الأمامون ، وقد خلا وجهه ، وطابت نفسه ، فقال :  
يا إسحاق ، هذا يوم خلوة وطيب ، فقلت : طيب الله عيش أمير المؤمنين ،  
وأدام سروره وفرحه . فأخذ بيدي ، وأدخلني في مجالس عهد التي كنا فيها ،  
فأخذنا من لاداننا وشرابنا حتى غربت الشمس ، فقال : قد عزمْتُ على دخلة  
إلى دار الحرم ، فلا ترمُ حتى آتيتك ، فنهض وبقيتُ إلى عامة الليل ، وكان  
للأمامون أشغف خلق الله بالنساء ، وأشدَّهم مهلاً إليهن ، فقلت في نفسي : هو في  
لذة وأنا في غير شيء ، وتذكرتُ صبيَّة اشتريتها ، وكنت عازمت على اقتضاها  
فنهضت إلى الباب ، فقال الحاجب : أين تريد ؟ فقلت : الانصراف ، قال فإن  
طلبك ، قلت هو من لذة السرور في شغلٍ عن طلبه ، فقيل لي : إن خلعتك  
استطونوك وانصرفوا . فجيء بدابة ، فركبته ومشيت ، فأحسست بالبول ،  
فصعدت إلى زقاق لأبول ، فبليتُ وقت لا تمسح بالحيطان إذا أنا بشيء معلق من  
تلك الدور ، فنهضت فإذا بزيبيل<sup>(١)</sup> كبير بأربع آذان ، ملبس ديباجا ، فقلت :  
إن لهذا سببا ، وبقوت أروى في أمره ، ثم قلت : والله لأجلسن فيه كأننا  
ما كان ، فجلست ، فلما أحسن بي الدين يرقبونه ، جذبوه إلي رأس الحائط ، فإذا  
أربع جوار يقطن لي : انزل بالزحب والسمعة ، فمشت بين يدي جارية بشمة ،  
حتى نزلت إلى دار نظيفة إلى مجالس مفروشة ، لم أر مثلها إلا في دار ملك ،  
فجلست فاشعرت إلا بعد ساعة ، حتى أزيلت ستور كانت في ناحية الدار ،  
وإذا وصائف يتأشين ، في أيديهن الشمع ، وبعضهن بمجامر يجرق فيها العود ،  
ويذهبن جارية تنهادى كأنها البدر الطالع ، فنهضت قائما ، فقالت : مرحبا بك  
من زائرا وجلست . ثم استطردت إلى سؤالي أبداع استطراد ، فقلت : انصرف  
من عند بعض إخواني ، وغرني الوقت ، وحركتني البول ، فعدتُ إلى هذا الزقاق ،

(١) الزيبيل : اللثة أو الرماء .

فوجدت زبيلاً معلقاً ، فحملني اللبىذ أن جلست فيه ، فإن كان خطأ فاللبىذ أكسبنيهِ ، قالت : لا خير ، أرجو أن تحمد عاقبة أمرك ، قالت : فما صناعتك ؟ قلت : بزّاز من بغداد ، قالت : فهل رويت من الأسمار شيئاً ؟ قلت : شيئاً ضعيفاً ، قالت : فذا كبرنا ، قلت : إن للداخل حشمةً ولكن تهديني ، قالت : صدقت ، فأندتني لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أفاضلهم ، وأنا مستمع لا أدرى مِمَّ أعجب أَمِنْ حسنها ، أم من حُسن روايتها وجودة ضبطها للفريب ، أم من اقتدارها على التبحر ومعرفة أوزان الشعر ، ثم قلت : أذهب ما كان عندك من الحصر ؟ قالت : إى والله ، قالت : فإن رأيت أن ننشدنا ، فأندتني لجماعة من القدماء ما فيه مقنع ، فاستحسننت ذلك ثم قالت : والله ما ظننت أن يوجد في أبناء السوقة هذا !

ثم أمرت بالطعام فأخضِر ، وقالت : المألجة<sup>(١)</sup> أول الرضاع ، فدونك . وجمات تقطع وتضع بين يدي ، وفي المجلس من صفوف الرياحين وغرائب الفواكه ما لا يسكون إلا عند سلطان ، ودعت بالشراب ، فشربت قَدْحاً ، ثم سكبت لي قَدْحاً ، فشربت ، ثم قالت : هذا أو ان المذاكرة بالأخبار وأيام الناس ، فاندفتُ قلت : بلنى أنه كان كذا ، وكان رجل يقال له كذا ، حتى أتيت على عدة أخبار حسان ، فسُرت بذلك ، وقالت : كثر تمجُّي أن يكون أحدٌ من التجار يحفظ مثل هذا ، وإنما هذه أحاديث ملوك ، قلت : كان لي جار يُتقاهم الملوك ، فإذا تعطلتُ حضرتُ معه ، فربما حدثت بما سمعت ، فأخذتها عنه . فقالت : لعمري لقد أحسنت الحفظ ، وما هذا إلا لقريحة جيّدة ، وأخذنا في للذاكرة إذا سكت ابتدأتُ هي ، وإذا سكتتُ ابتدأتُ أنا ، حتى قطعنا عامة

(١) يقال : ملج الصبي أمه ، أى تناول فديها بأذني فهِ ، والكلام على التشبيه .

الليل ، وبحور العود يتعبق ، وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار فرحاً . فقالت : إنك من الرجال وضى الوجه ، بارع الأدب ، وما بقى عليك إلا شيء واحد . قلت : وما هو ؟ فقالت : لو كنت تترنم ببعض الأسمار ! قلت : والله لقد بما كلِّفتُ به ولم أرزقه ، فأعرضت عنه ، وفي قلبي منه حزازة ، وكنت أحب أن أسمع في مجلسي هذا منه شيئاً لتكمل ليلتي ، قالت : كأنك عرضت بنا ! قلت : والله ما هو تعريض ، قد بدأت بالفضل وأنتِ جديرةٌ باستتمامه . فأحضر هودٌ بأمرها ، ففتت بصوت ما سمعت كعسنة ، مع حسن أدائه ، وجودة الضرب . قلتُ : والله لقد أكل الله فيك خلال الفضل وحباك بالكمال الراجح ، والعقل الوافر ، والأخلاق الرضية والأفعال السنية . قالت : هل تعرف هذا الصوت ومن غنى فيه ؟ قلت : لا والله ، قالت الشعر : فلان ، وكان سببه كذا والفناء لإسحاق ، قلت : وإسحاق هذا جُمعتُ فذاك في هذا الحال ! قالت : بئح . إسحاق بارع هذا الشأن ، قلت : سبحان الله ! لقد أعطى هذا مالم يعطه أحد ، قالت : فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ! فلم نزل كذلك حتى إذا انشق الفجر أقبلت هجوز كأنها دابة لها ، قالت : أي بنية ، إن الوقت قد حضر ، فنهضت عند قولها ، فقالت : مصاحباً ، لتستر ما كنا فيه ، فإن المجالس بالأمانات ، قلتُ : جُمات فذاك ، فأحتاج إلى وصية في ذلك ! وودعتها وجارية بين يدي إلى باب الدار . فتفتح لي ، وخرجت إلى داري فصلبت الصبح ، ونمتُ .

فأنبئني رسول المأمون فسيرتُ إليه ، فلما رآني ، قال : يا إسحاق ، تشاغلتا عنك ، فما كان حالك ؟ قلت : اشتريت صبيةً وكنت مملق القلب بها ، فضيتُ لها ، وشربت معها ونمتُ ، فقال : بئها مثل هذا ، فهل لك فيما كنا فيه أمس ! قلت : وما يمنع من ذلك ؟ فنهضتُ إلى مجلس أمس ؛ فلما كان المعاء قال : لايم ، فإني أجيئك ونهض ، فقأملت ما كنت فيه الهارحة ، فإذا هو شيء . ( ٢٢ - فروح مقامات الحريري ج ٤ )



لا يصبر عنه إلا جاهل؛ فخرجتُ. فقال القلمان : الله الله، فإنه أنكر علينا تخليتك ، فومدَّهم أن آتى قبل أن يمىء ، وأن خروجى لمدر ، وفي الحين أرجع .

فنهضت إلى الزَّيْبِل فجلست فيه ، فَرُفِعَ بى إلى موضع البارحة ، فإذا هى قد طامت ، فقالت : لقد عاودت ، نقلت : ولا أظنّ إلاّ أنى قد تَقَلَّتْ ، فقالت : مادح نفسه بقرئك السلام ، قلت : فهفوة فتنى بالفضل . قالت : قد فعلنا ، ولا تُعَدُّ ، فأخذنا في مثل الآية السالمة من المذاكرة والناشدة وغريب الغناء منها إلى العجبر .

فانصرفتُ إلى منزلى وصليت ونمت ، فأنبهنى رسولُ المأمون ، فلما رآنى قال : أبيت إلا مكافأة لنا ؛ نقلت : والله بأمر المؤمنين ما ذهبت إلى ذلك ، ولكن ظننت أن أمير المؤمنين قد تشاغل عن بلدته ، وأغفل أمرى ، وجاء الشيطان ، فذكرنى أمرتك للمعونة، فبادرت قال : فما كان منك ؟ قلت : قضيت الحاجة منها ، قال : فقد انقضى ما كان بقلبك منها ، وواحدة بواحدة ، والهادى أظلم . قلت : بل أنا أظلم ، وإليك المذرة ، قال : لا تتريب عليك ، فهل لنا في مثل حالنا أمس ؟ قلت : إى والله ، فتمننا إلى موضعنا إلى الوقت ، فقال : بالإسحاق ما مزمتك ؟ قلت : لا هذر لى ، قال : فعزمت عليك لتجلس حتى أجيء ، فإنى عازم على الصبح ، وقد نَفَصتْ على منذ يومين ، قلت : فالليلة إن شاء الله ، فما هو إلا أن غاب وجاءت وساوسى ، فلما تذكرت ما كنت فيه البارحة هان على ما يلحقنى من سَخَطِهِ؛ فوثبت مبادراً ، فوثب إلى جند الدار ، وحُبست ، فقالت : الله الله ! إنى مدّلق البال بهمض مانى منزلى ، فقالوا : ما إلى تركك من سهول ، فلم أزل أرغب هذا وأقبل يدهذا ، ووهبت خاتمى لهذا ، وردائى لهذا ، وخرجت أهدو وحامراً حتى وافيت الزَّيْبِل ، فتعدتُ فيه ، فَرَفِقتُ إلى موضعى ، وأقبلت ، فقالت : صديقنا ! قلت : إى والله ، قالت : أجملتها دار مقام ؟ قلت : جِعلتُ فِدَاكَ ! حق الضيافة ثلاث ، فإن رجعتُ فأنتم في حلٍّ من دى . قالت :

واقفه لقد أتيت بحجة ، ثم جلسنا في مثل تلك الحال ، فلما قُرب الوقت علمت أن المأمون لا بُدَّ أن يسألني ، ولا يفتح مني إلا بشرح القصة ، فقلت لها : أراك ممن يعجب بالفناء ، ولي ابن عمّ أحسن مني وجهاً ، وأظرف قدّاً ، وأكثر أدباً ، وأنا حسنة من حسناته ، وهو أعرف خلق الله بفناء إسحاق الموصل ، قالت : طهوني وتفتح ؟ قلت لها : أنت الحكمة ، قالت : إن كان ابنُ حمك على ما نصف فما نكره معرفته ، ثم جاء الوقت فنهضت فلم أصل إلى داري إلا وورسل المأمون قد هجموا عليّ ، وحلوني حلالاً عنيقاً ، فوجدته على كرمي وهو مفتاظ ، فقال : يا إسحاق أخرجنا من الطاعة ا قلت : لا والله قال : فما قصّتك وما هذا الانحراف ؟ فأصدقتني ، قلت : في خلوة ، فأوماً إلى من بين يديه فتحووا لخدمته الحديث وقلت له : قد وعدتُها في أمرك ، قال : قد أحسنت ، ولو لا ذلك لتكلمت بك ، فقلت : قد سلم الله ، فأخذنا في لخدمته في ذلك اليوم ، وهو لا يسمع مني غير حديثها ، فلم يتمّ النهار إلا والمأمون معاقق القاب ، فلما جاء الوقت يبرنا وأنا أوصيه وأقول : بحسب أن تظهرني بحضورها ، ودعوني من نحوه الملاك ، وكن لي تبعاً ، وهو يقول : نعم ويحك ! وإن قالت : غنّ كيف أصنع ؟ قلت : أنا أدفعها عنك .

ثم سرنا إلى زيبين فقمنا فيهما ، فرُفعا إلى الموضع ، فأقبلت فسلمت ، فما تمالك إذ رآها أن بهت في حسنها ، وقالت لي : والله ما أنصفت ابن حمك إذ لم ترفع منزله ، وكان قد قعد دوني ، فقالت : ارتفع فديتُك ، أنت جديد ، وهذا قد صار من أهل البيت ، فنهض إلى صدر البيت ، وأقبلت تُذاكره وتناشده وتمازحه ، وهو يظنُّ عليها في كل فن . ثم أحضِر القبهذ فشربنا ، وهي مقبلة عليه ومسرورة به ، وهو أكثر ، وأخذت العود ففنت صوتاً ، وقالت : وابن حمك هذا من التجار ؟ قلت : نعم ، قالت : إنسكا لفربيان . فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ، ثم رأيتُه ينظر إليّ نظر الأسد إلى فريسته ، فصاح : يا إسحاق ، فنهضت وقلت : لبيك يا أمير المؤمنين !

قال : غنّ هذا الصوت ، فلما علمت أنه الخليفة نهضت إلى كِأمة مضروبة ، فدخلتها ، فلما فرغت من الصوت ، قال : انظر من ربّ هذه الدار ؟ فسألت عجوزاً ، فقالت : هو الحسن بن سهل ، فقال : على به ، فقابت العجوز ساعده وإذا الحسن قد حضر ، فقال له : ألك ابنة ؟ قال : نعم بوران ، قال : فزوّجتها ؟ قال : لا والله ، قال : فإني أخطبها إليك ، قال : هي أمّك ، وأمّرها إليك ، قال : قد تزوّجتها على نقد ثلاثين ألفاً نعملها إليك صبيحة يومنا ، فإذا قبضت المال فاحملها إلينا ، قال : نعم ، ثم خرجنا .

فقال : يا إسحاق لا يقف على ما وقفت عليه أحد ، فسترت الحديث إلى أن مات المأمون ، فما اجتمع لأحد ما اجتمع لي في تلك الأربعة الأيام : مجالسة المأمون بالنهار ، ومجالسة بُوران بالليل ، والله ما رأيتُ أحداً من الرجال في ملوكهم مثل المأمون ، ولا شاهدت امرأة تقارب بُوران فهما وعقلا ، وما أظن أحداً وقف من العلوم على ما وقفت عليه .

وفي السعدي : انحدر المأمون إلى فم الصلح في شعبان سنة تسع ومائتين ، وأمّك<sup>(١)</sup> بخديجة بنت الحسن بن سهل ، ونثر الحسن في ذلك الإملاك ما لم ينثره قط ملك في جاهلية ولا إسلام ، نثر على الهاشميين والقواد والكتّاب بنادق مسك ، فيهارقاع بأسماء ضياع ، وجوار وأسماء ديار ودواب وغير ذلك ، فإذا وقعت البندقية بيد الرجل ، فتحها فبجدها على قدر سمه ، ثم ينثر بعد ذلك الدنانير والدرهم ونوافج المسك على عامة الناس ، وأنفق على المأمون وعلى جميع قواده ، فلما أراد المأمون الانصراف إلى مدينة السلام قال له : يا أبا محمد ، سل حوائجك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أسألك أن تحفظ على مكاني من قبلك ، فأمر المأمون أن يحمل له خراج فارس والأهواز لسنة<sup>(٢)</sup> .

وذكر الحريري في الدرّة أن المأمون لما بي على بُوران ، فرش له حصير منسوج بالذهب مامّته أحد ، وعليه در منشور ، فوجه الحسن إلى المأمون أن

(١) أمّك : تزوج

(٢) مروج الذهب ٤ : ٣٠

هذا نثار يجب أن يُلتقط، فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء: شرّفن أبا محمد،  
فدّت كل واحدة منهنّ يدها، فأخذت دُرّةً وبقيَ باقي الدرّ بلوح على الحصيد  
المذهب، فقال: قاتل الله أبا نُوَاس، لقد شتبه بشيء ما رأه قط، فأحسن في  
وصف الخمر والحباب الذي فوقها فقال!

كَأَنَّ صُفْرِي وَكُثْرِي مِنْ فَوَاقِمِهَا حَصْبَاءُ دَرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ<sup>(١)</sup>  
فَكَيْفَ لَوْ رَأَى هَذَا مَعَابِنَةَ!

ويقال: إن الحسن بن سهل نثر في ذلك العرس على المأمون ألف حبة جواهره  
وأشمل بين يديه شحمة عنبر، وزنها مائة رطل، فأسرله المأمون بمائة ألف ألف درهم،  
وأقطعته مدينة فم الصلح، وهي قريبة من واسط، وكان العرس بها.

وذكر المبرد أن الملاحين الذين تصرّفوا في هذا العرس تقيفوا على السهمين  
الفا، وكانت جرياة السلطان عليهم، وإسأ بقى المأمون على بُوران وأراد غشيانها  
حاضت، فقالت: أتى أمر الله فلا تستمجلوه! فنام في فراش آخر، فلما أصبح  
دخل عليه أفاضل ندمائه يهيمونه ويدعون له فأنشدهم بديها:

فَارِسٌ فِي الْعَرَبِ مَنْفِيسٌ هَارِفٌ بِالطَّمَنِ فِي الظُّلْمِ  
رَامَ أَنْ يَذِي فَرِيضَتَهُ فَأَنْقَتَهُ مِنْ دَمٍ بَدِيمِ

وأكثر الشعراء في ذلك الإملاك، وأسقطر منها قول ابن أبي حازم الهاهلي:

بَارِكْ اللَّهُ لِحَسَنٍ وَلِبُورَانَ فِي اتِّخَانِ<sup>(٢)</sup>  
يَا بَنَ هَارُونَ قَدْ ظَفَرَتْ وَلَسْكَنَ بِنْتٌ مَنَّا

(١) ديوانه ٢٤٣

(٢) البيتان في معاهد التنصيص ٣: ١٣٩، من شواهد التوجيه، وهو لإيراد الكلام

بوجهين مختلفين، وهناك يعلم ما أراد بقوله: «بنت من».

فلما وصلت إلى المأمون قال : لا والله ما نَدْرِي أخيراً أَرَادَ أمِ شِراً .  
 وبشبهه هذا أن رجلاً أتى رجلاً خياطاً بثوب ليقطع له منه قميصاً ، فقال :  
 والله لأنفصلته لك تفصيلاً ، لا يُدْرِي أقميص هو أم قَبَاء ؟ ففعل ذلك ، فقال له صاحب  
 الثوب : وأنا والله لأدعون لك دعاء لا يُدْرِي ألك هو أم عليك ؟ وكان الخياط  
 يستي بِشِراً ، وكان أهور ، فقال :

خاط لي بشرٌ قَبَاءٌ كَلَيْتَ هَيْبِهِ سِوَاءُ<sup>(١)</sup>

وأنت المأمون بهما لم يُسمع بمثله قط كان فيه الفُرْشُ منسوجةً بالذهب .  
 وقال إبراهيم بن العباس الصولي يهني الحسن بمصاهرة المأمون :  
 هُنْتُكَ أَكْرُومَةٌ جَلَّتْ نِعْمَتُهَا أَعْلَتْ وَلِيكَ وَاجْتَنَّتْ أَعَادِيكَ<sup>(٢)</sup>  
 ما كان يُحِبُّ بِهَا إِلَّا الْإِمَامَ وَلَا كَانَتْ إِذَا قُرِنَتْ بِاتِّلَاقٍ تَمْدُوكَا  
 وماتت بُوران في سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد بلغت ثمانين سنة .  
 وثم بُوران أخرى وهي بنت كسرى ، وأمها صريم بنت قيسر ، ملكت  
 سدةً ونصفاً ، وليست المعنية في المقامة .



[ ذَكَرَ بَلْقَيْسَ وَعَرَشَهَا ]

وأما بلقيس فهي ابنة شراحبيل بن أبي سرح بن الحارث بن قيس بن صفيان  
 ابن سبأ ، وكان سبب مراسلة سليمان إليها أنه فقد الهدد ، وبه يُعرف قُرْبُ  
 الماء من بُعْدِهِ ، فنزل سليمان عليه السلام بمغارة ، فدعا بالهدد فلم يُوجَدْ ، فقال .  
 وهو غاضب ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ ... ﴾<sup>(٣)</sup> الآيات . وكان الهدد قد مر بهرش

(١) معاهد التنصيص ٣ : ١٣٨ ، ونسبه إلى بشار ، وذكر بعده :

فقلتُ شعراً ليس يُدْرِي أمدِيحٌ أم هجاءُ

(٢) سورة النمل ٢٠ وما بعدها .

(٣) ديوانه ١٣٥ ، ١٣٦

بَلْقَيْسِ وَسَاتِنِيهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ تَلَقَّته الطير ، فقالوا : تَوَعَّدَكَ رسول الله بنقش ريشك أو بذبحك ، فيقطع نسلك ، قال : وما استثنى ؟ قالوا : بلى ، قال : ﴿ أَوْلِيَا نَبِيِّي بِسُلْطَانِ مُبِينٍ ﴾ ، أى بمذرميين فأثنى سليمان فقال : ما غيبيك عنى ؟ قال : ﴿ أَحطت بما لم تحط به ﴾ حتى بلغ ﴿ فَاَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَ سَنْظُرُ أَصْدَقَتْ .. ﴾ الآيات فوجهه بالكتاب ، فوافقه فى قصرها ، فسدّ عليها بالكتاب ضوء طاق ، فالتفتت فالتفت إلىها الكتاب ، فأخذته وغطته بثوب ، ونادت فى قومها فقالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ... ﴾ الآيات ، فقالوا لها : ﴿ نحن أولو قوة ... ﴾ الآيات . ثم قالت : إن قبيل الهدية فهو ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه ، وإن لم يقبلها فهو نبي من عند الله .

فلما رجع بالهدية قال سليمان : ﴿ أْتِمِدُّوْنِي بِمَالٍ ﴾ إلى ﴿ وهم صاغرون ﴾ . فلما رجع إليها أرسلها بالخبر ، خرجت فزعة فى قومها - قال ابن عباس رضى الله عنهما : ومعه ألف قنيل ، وأهل اليمن يسمون القائد القنيل - مع كل قنيل عشرة آلاف . وكان سليمان مهيباً لا يبدؤه أحدٌ بشيء حتى يسأل عنه ، فخرج فرأى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس ، قال : وقد نزلت منا بهذا المكان . ثم قال : ﴿ أَبُكُمْ يَا نَبِيَّيَ بِمَرْشِيهَا ﴾ فأتاه به الذى عنده علم الكتاب قبل ما قطع كلامه ، وصرف بصره ، فرآه مستهزئاً عنده ، فقال : هذا من فضل ربى . ثم جاءت بلقيس وقعدت إلى سليمان ، فقيل لها : ﴿ أَهْمَكِذَا عَرَشُكَ ﴾ فنظرت إليه وقالت : ﴿ كأنه هو ﴾ ثم قالت : تركته فى قصرى والجنود محيطة به ، فكيف جىء به ! وكانت شعراء السابقين ، فقالت الجن : إن نكحها سليمان فولدت له غلاماً ما انفك من العبودية أبداً ، فهلم نبي له بنهانا ، فيرى شعرها فيه فلا يترزجها ، فبنوا له صرحاً أخضر من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا فى باطن طرائفه كل شيء من الدواب والسمك وغيره ، وألقى سليمان كرمى فى أفصاه : فلما رأى منه مارأى فقد عليه ، ودعا بها ، فلما رأت صور السمك فيه حسبته لجة ، وكشفت عن ساقها . فأبصر شعرها سليمان ،

فصرف بصره عنها ، وقال إنه صرح ممرّد من قوارير ، فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي .. ﴾ الآية . فقال سليمان للجن : ما يذهب الشعر ؟ فقالوا : له الغنّورة ، فاستفكحها سليمان عليه السلام .

وذكر ابن إسحاق أنها لما أسلمت ، قال لها سليمان : اختاري رجلاً من قومك أزوجه ، فقالت : ومثل يُنكح ، وقد كان لي من الملك والسلطان ما كان ! فقال لها : ما ينبغي أن تحرمي ما أحلّ الله لك ، فزوجها ذاتيغ ملك همدان ، وملك اليمن ، وردّها معه ، فلم يزل ملك اليمن حتى مات سليمان . وكانت بليقيس من بيت الملكة ، قيل : إنها ولدها أربعون ملكاً ، واختلف في أمها فقيل : إنسيّة وقيل جنّية .

وأما عرشها ، وهو سريرها ، فقيل : كان طولُه ثمانين ذراعاً ، ومرضه كذلك . وكان عرشها صفاً من ذهب وفضة قد ركبت فيه فُصُوصُ الياقوت الأحمر والأزرق والأخضر والدرّ واللؤلؤ ، وكان له قائمتان من ياقوت وقائمقان من زَرَجْد ، والملك لله وحده ، القى سخر لسليمان هذا الملك العظيم ومن أحضر له هذا العرش العظيم قبل رجوع الطرف !

وذكر الحريري في الدرّة : أن صواب لفظ « بانيس » أن تكسر باؤه لأن كل أجنبي يُمرّب بقياسه أن ياجق بأمثلة كلام العرب ، قال : وعن ذلك بليقيس .<sup>(١)</sup>

وقرأت في أخبار سيف الدولة أن الخالدين مدحاه ، فبعث إليهما وصيفاً ووصيفة ، مع كل واحد منها بدرة وتخت من ثياب مصر والشام ، فسكعها إليه :

(١) درة الدوايس ٦٢ .

لم يَغْدُ شَكَرَكَ فِي الْخَلَائِقِ مَطْلَقًا  
 خَوْلَتْغَنَا شَمْسًا وَبَدْرًا أَشْرَقَتْ  
 رَشَاءُ أَنَا نَا وَهُوَ حُسْنًا «يُوسُفُ»  
 هَذَا وَلَمْ تَفْنَعْ بِذَلِكَ وَهَذِهِ  
 أَتَتْ الْوَصِيفَةُ وَهِيَ تَحْمَلُ بَدْرَةَ  
 وَكَسْرَتَنَا مِمَّا أَجَادَتْ حَوْكَةَ  
 فَذَالْنَا مِنْ جُودِكَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَفْكُوحِ وَالْمَلْبُوسِ  
 إِلَّا وَمَالُكَ فِي النَّوَالِ حَبِيبٌ (٢)

فلما قرأها سيف الدولة قال: أحسنا، إلا في لفظ «المنكوح»، إذ ليست بما  
 مخاطب بها الملوك.

وهذا من بدیع نغده الملیح وشواهد ذكائه الصریح .  
 وأما الزبأء: فقد تقدم ملكها في الرابعة والعشرين .

\* \* \*

[ ذكر رابعة المدوية ]

وأما رابعة فهي (٢) بنت إسماعيل المدوية، وكانت قد بلغت من النسك  
 والفضل والزهد منزلة شريفة، وكانت منورة البصيرة، مطهرة السريرة،  
 حطيت بالكاشفات الربانية. وكان سفيان الثوري يذهب إليها وبها من  
 مسائل دينية، ويعتمد عليها، وخطبها عبد الواحد بن زيد، فقالت له بعد أن

(٢) انظر ترجمتها في ابن خلكان ١: ١٨٢

(١) ديوان الخالدين ١٦٢ .



حبيبته أيا ما تم أذنت له: يا شهوان، أي شيء رأيت في من آية الشهوة إلا خطبت  
شهوة وانتهى مثلك !

وقال أبو سليمان الداراني: بت ليلة عند رابعة المدوية، فقامت إلى محراب  
لها، وقت إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر، فقلت: ما جزاء من قوتانا  
على قيام هذه الليلة؟ قالت: جزاؤه أن نصوم له غدا.

وزارها أصحابها، فذكروا الدنيا وأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن  
ذمها، فلولا موضعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها إلا من أحب شيئا  
أكثر من ذكره.

واحتاجت رابعة إلى شيء فقيل لها: لو بعثت إلى فلان؟ قريب لها، فقالت:  
والله لا أطلب الدنيا ممن يملكها، فكيف بمن لا يملكها !

وحدث جعفر بن سليمان قال: أخذ بيدي سفیان الثوري فقال لي: سر بي  
إلى المؤذبة التي لا أجدني أستريح إذا فارقتها - يعني رابعة - قال: فلما دخلت  
عليها، رفع سفیان يديه، وقال: اللهم إني أسألك السلامة أفيك رابعة،  
فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: أنت عرضتني للبكاء، فقال لها وكيف ذلك؟  
فقلت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت  
مقاطع بها !

وقال سفیان الثوري رابعة رحمة الله عليهما: ما حقيقة إيمانك؟ قالت:  
ما عبده خوف الفار، ولا رجاء الجنة، فأكون كالأجير السوء، بل عبده حباله  
وشوقا إليه، وقالت في معنى ذلك:

أحبك حُبَّين: حبَّ الهوى وحُبَّاً لأنك أهلٌ لذلك

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَىٰ فَشَغَلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ  
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشَفَكَ لِي الْحِجْبَ حَتَّىٰ أَرَاكَ  
فَلَا الْحَدَّ فِي ذَا وَلَا ذَا لِيَا وَلَكِنْ لَكَ الْحَدُّ فِي ذَا وَذَاكَ

وقيل لها : كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : شغلي  
حُبُّ الخَالِقِ عَنِ حُبِّ المَخْلُوقِينَ .

ودخل سنيان عليها وهي قائمة تصلي ، فلم تترجع عليه ، ودخل جعفر - وكان  
يخدمها - فقال لسفيان : أي شيء دار بينك وبينها ؟ قال : ما كلمتني . فقال لها :  
يا سبحان الله ! الشيخ جاء إليك فما كلمته ، فقالت : إن العبد إذا كان مقبلاً على  
الله عز وجل كان الله مقبلاً عليه ، وقد كنت مقبلة على الله عز وجل ، ولست  
أشك في إقباله علي ، فأبما أحب إليك أن أكون مقبلة على الله ويكون  
مقبلاً علي ، أو أقبل على هذا ؟ ثم قالت : الله أكبر .

وقال لها رجل : إني أحبك في الله ، فقالت : فلا تنعمي الذي أحببتني له  
وأنشدت :

أَنْضَمُّنُ بِأَنْفِي تَرْكَ المَعَاصِي وَأَرْهَنُهُ الكِفَالَةَ بِاتِّخْلَاصِ  
أَطَاعِ اللهِ قَوْمٌ فَاسْتَرَا حُوا وَلَمْ يَتَجَرَّ هُمَا غُصَصَ المَعَاصِي

\*\*\*

[ ذَكَرَ خَنْدَفَ ]

وأما خندف ، فهي ابنة بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ،  
وهي امرأة إلياس بن مضر ، ولدت منه محرراً وهو مدركة ، وعامراً وهو طابخة ،

وعميراً وهو قَمَمَة ، فندت لهم إبل ، فخرجوا في طلبها فأدركها عمرو ، فسُمِّيَ مدركة ، واقطنص حاسر أرنبا فطلبها ، فسُمِّيَ طابحة ، وانتمع عمير في بيته فسُمِّيَ قَمَمَة ، فلما أبطلوا عليها خرجت في إثرهم ، فقالت : ما زلت أخندف في إثركم ؟ فلقتبت خندف ، والخندفة بالهرولة ، وهي أمّ عرب الحجاز ، وجميع ولد إلباس من خندف ، والخندف يُنسبون ، وجميع ولد مضر من إلباس وخندف ، فن مدركة كنانة وأسد ابنا خزيمه ، ومن طابحة ضبة بن طابحة ، ومزينة والزباب ، وم عدى وتميم بن مر بن أد بن طابحة ، وتور وعُكل بن مدركة ، وقريش وهو في كنانة .

ومنها سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى ما في كنانة من الشجعان المشاهير في الجاهلية .

ومن طابحة تميم ، وهي أكبر قبيلة في العرب وأشجعها ، وهي عدد لا يحصى ، ومز لا يدرك .

وقال المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود قبائل العرب ودّها بزهر بن فقال : ليا بس هذين البرذيين أكرم العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة ، فأحجم الناس ، فقام الأحمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، فلبس أحدهما وارتمى الآخر ، فقال له المنذر : ما حجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار في مضر ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في بهدلة ، قال : هذا أنت في أصلك ، فكيف أنت في عشيرتك ؟ قال : أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة قال : هذا أنت في عشيرتك ، فكيف أنت في نفسك ؟ فقال : شاهد العميف شاهدي ، ثم قام فوضع قدمه في الأرض ، وقال : من أزالها فله مائة من الإبل ، فلم يقم إليه أحد ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

فما تمّ في سمدٍ ولا آل مالكٍ غلام إذا ما قيل لم يقبهدلٍ (١)  
 لهم وهب الذمّ ما كان بردى محرقٍ بعجد معدّ والمديد المحصل  
 فليخندف هذا الفخر في الجاهلية ثم النبوة ، ثم الملك إلى يوم القيامة وفيها  
 يقول الراجز :

\* وخنندف هامة هذا العالم \*

\* \* \*

[ ذكر الخنساء ]

وأما الخنساء فهي تماضر بنت عمرو بن الشريد ، من سرة قبائل سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن خيس عيلان ، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم ، ولسليم في الإسلام سابقة حسنة ، حضر منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحرب حنين ألف رجل .

وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستغشد الخنساء ويهتبه شعرها ، فكانت تشده وهو يقول : هيه يا خنساء ! ونظرتها هائشة رضى الله عنها ، وعليها صيدارٌ من شعر ، فقالت : يا خنساء ، أتلبسين الصدّار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : لم أعلم بنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان للصدّار سبب ، كان زوجي رجلاً معلاًفاً فأملق ، وأراد أن يسافر ، فقلت له : أقم حتى آتى أخى صخر ، فأنيته فشاطرتني ، ماله فأتلفه زوجي ، فمدت إليه فعاد بمثل ذلك ، فأتلفه زوجي ، فمدت إليه في الثالثة والرابعة ، فقالت له زوجته : إن هذا المال معلف ، فامنعها شرار مالك ، فقال :

(١) ديوانه ٧٤٤ .

والله لا أمنحها شرارها وهي حصان وقد كفتني عارها (١)  
ولو هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعرها صدارها  
فلما هلك اتخذت هذا الصدار .

وقيل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، لولا هذه الفاعلة - بمعنى الخنساء -  
قيل له : فيم فضلتك ؟ قال بقولها :

إن الزمان وما تفتي عجائبه أبقى لنا ذنباً واستوصل الراس (٢)  
أبقى لنا كل مجهول وفتحنا بالحالمين فهم هام وأرماس (٣)  
إن الجديدين في طول اختلاهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس  
فأجمع علماء الشعر أنه لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .

وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بمكأظ على كرمي ، ينشدونه  
فيفضل من يرى تفضيله ، فأنشدته في بعض اللوالم فأعجب بشعرها ، وقال لها :  
والله لولا أن هذا الأعمى أنشدني قبلك - يعني الأعمى - لفضلتك على شعراء .  
هذا اللوم .

وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له :  
أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربع خصي .

ومن جيد ما رثت به صخرأ قولها :

(١) شرح ديوان الخنساء ٢١ ، الأغاني .

(٢) ديوانها ١٥٥ ، وروايته : د وما يفتي له عجب .

(٣) فحنا : أحزننا ، والهام : جمع هامة ، أراد به هاهنا الجثث والمرقات . والأرماس :

القبور ، جمع رمس .

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني      لقد أضحكتني دَهْرًا طويلاً<sup>(١)</sup>  
بكيّتك في نساء ممولاتٍ      وكنتَ أحقَّ من أبدى العوِيلاً  
دفعتُ بك الجليلَ وأنتَ حيٌّ      فنَ ذا يَدْفَعُ الخَلْطَ الجليلاً  
إذا قَبِحَ البكاءُ على قَبيلٍ      رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً

ومنه :

بؤرتني التذكرُ حين أمسى      ويردّ عني عن الأحزان نُكسي<sup>(٢)</sup>  
على صخرٍ وأنى فتى كصخرٍ      ليوم كريمة وطمان خَاسٍ  
ولم أرميْله رُزءاً لجنّ      ولم أر مثله رزءاً لإنسي  
يدكرّني طلوعُ الشمسِ صخراً      وأبكيه لكلِّ غروبِ شمسٍ  
ولولا كثرةُ الباكينِ حوْلي      على إخوانهم لقتلتُ نفسي  
وما يبكون مثل أخى وليكن      أعزى للنفسِ عنه بالتأمي

ومنه أيضاً :

أبعدُ ابنِ عمرو من ال شريد حَلَّتْ به الأرضُ أمّالها<sup>(٣)</sup>  
لعمُرُ أبيه لغمَمَ الفتى      إذا النفسُ أعجبتُ مالها  
فإن تك مرّة أودتْ به      فقد كان يكثرُ قتالها  
فخرتِ الشوامخُ من قَدِّه      وزلزلتِ الأرضُ زلزالها

(١) ديوانها ٢٢٥ .

(٢) ديوانها ١٥٠ ، وفيه : « مع الأحزان » .

(٣) ديوانها ٢٠١ ، وقبله :

ألا مالهمك أم مالها      وقد أخضل الدمعُ يربز بالها

ومنه أيضاً :

أعيت جوداً ولا نجمداً      ألا تبكيانِ لصخرِ القدي (١)  
ألا تبكيانِ الجرىءِ الجول (٢)      ألا تبكيانِ الفتى السودا  
طويلُ النجادِ فيعُ العسا      دسادَ عشيرتهِ أمرداً

ومنه أيضاً :

تمرتني الدهرُ نهشاً وحزاً      وأوجعتني الدهرُ قرماً وغمزاً (٣)  
وأفنى رجالي فبادوا مما      فأصبحتُ من بينهم مستغزاً (٤)  
كان لم يكونوا حتى يُتقى      إذ الناس إذ ذك من عزباً  
وكانوا سراًةً بني مالكٍ      ونخر العشيرة مجدأً وعزاً  
جززنا نواصي فرسانها      وكانوا يظنون إلا تجزاً  
ومن ظن بمن يلاق الحرو      بـألا يصاب فقد ظنَّ عجزاً

ومنه أيضاً :

يا صخرُ و زادَ ماءً قد تبادره (٥)      أهل اللوارِدِ وما في وِردِه عارُ  
مضى السببُ حتى إلى هوجاءٍ مفضلةٍ      له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ (٦)

(١) ديوانها ٤١ .      (٢) الديوان : « الجميم » .  
(٣) ديوانها ١٤٣ .      (٤) الديوان :

• فأصبح قلبي لهم مستغزاً •

(٥) ديوانها ٧٥      (٦) الديوان : النمر .

وما جعلوا على بؤر نحن له لها حنينان إعلان وإسرار  
 ترتع ما ترتعت<sup>(١)</sup> حتى إذا ذكرت فإنما هي إقبال وإدبار  
 يوما بأوجع مني حين فارقتي صخرٌ فلدهر إحلال وإمزاز  
 وإن صخرًا لو ألها وسيدنا وإن صخرًا إذا نشتو لنحار  
 وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار  
 وحدث للفضل قال : كنت جالساً يوماً على باب منزلي ، أحتاج إلى درهم  
 واحد ، وعلى دين عشرة آلاف درهم ، إذ جاءني رسول المهدي ، فقال : أجب  
 أمير المؤمنين ، قلت في نفسي : وما بيته إلى اللل ساهياً سعى بي عنده . ثم  
 دخلت منزلي ، ولبست ثيابي ، وسرتُ إليه ، فلما مثلت بين يديه أوماً إلى  
 بالجلوس ، فلما سكن جأسي ، قال لي : يا مفضل ، ما أفخرُ بيت قالته الرب ؟  
 فأرتج على ساعة ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين قول الخفساء ، فاستوى جالساً  
 وكان معكنا ، فقال : أي ، [ بيت هو ؟ ]<sup>(٢)</sup> قلت قولها :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال : قد قلت له فأبي علي - وأوماً إلى إسحاق<sup>(٣)</sup> بن بزيع - قلت : الصواب  
 مع أمير المؤمنين ، ثم قال : يا مفضل ، حدثني حديثه حتى انقصف النهار ، قال :  
 أنشدني ، فأنشدته قول الحسين بن مطهر الأسدي :

وقد تندر الدنيا فوضعي غنيها فقيرا ويترى بمد بؤس فقيرها  
 وكم قد رأينا من تغير عيشة وأخرى صفا بمد كد غدورها  
 فلا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تنقى ويبقى مربوها

(٢) من الأغانى .

(١) ط : « دخلت » .

(٣) في الأغانى : وأوماً إلى إسحاق بن بزيع ، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه .

( ٢٣ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



وكان المهدي رقيقاً فبكي ، وقال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال مَنْ عليه عشرة آلاف درهم ، وليس معه منها درهم واحد ، قال : يا إسحاق ، أعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه ، وعشرة آلاف درهم يستعين بها على حاله ، وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شأنه <sup>(١)</sup>.

ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخنساء تطوفُ بالبيت مخلوقة الرأس ، تبكي وتلطم خدّها ، وقد علقت نملَ صَخْرٍ في خاها ، فوعظها فقالت : إني رزيت ظرساً لم يرُزأُ أحدٌ مثله ، فقال : إن في الناس مَنْ هو أعظم مرزاةً منك ، وإن الإسلام قد غطى ما كان قبله ، وإنه لا يجلُّ لك لطمٌ وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكففت من ذلك وقالت :

هَرَبْتِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفَيْتِي      وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتِ وَلَنْ نُطَوِّقِي <sup>(٢)</sup>  
 وَقَوْلِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ      وَأَكْرَمَهُمْ بِصَحْرَاءِ الْعَقِيقِ  
 الْإِهْلَ تَرْجِمَنَّ لَنَا اللَّيَالِي      وَأَيَّامٌ لَنَا بِلَوَى الشَّعْبِيقِ  
 وَإِذْ فِينَا مَعَاوِيَةَ بْنَ هُرَيْرٍ      عَلَى أَدْمَاءٍ كَالْجَلِجَلِ الْفَنَيْقِ <sup>(٣)</sup>  
 فَتَبْكِيهِ فَقَدْ أَوْدَى حَمُودًا      أَمِينَ الرَّأْيِ مَحْمُودَ الصَّدِيقِ <sup>(٤)</sup>  
 فَلَا وَاللَّهِ إِنْ تَسَلَّوْكَ نَفْسِي <sup>(٥)</sup>      لِفَاحِشَةٍ أَنْتِ تُلَاقِيهِ  
 وَلَسَكُنِّي رَأَيْتِ الصَّبْرَ خَيْرًا <sup>(٦)</sup>      مِنَ التَّنْمَلِينَ وَالرَّأْسِ الْخَلِيقِ <sup>(٧)</sup>

وأما أبو العباس المبرد فقال : وقالت الخنساء ترى أخاها معاوية بن عمرو ، وكان أخاها لأبيها [ وأما ، وكان صخر أخاها لأبيها ] <sup>(٨)</sup> وكان أحبهما إليها ،

(١) الخبر والعمر في الأغانى ١٦ : ٢١ ، ٢٢ . (٢) ديوانها ١٧٣ .

(٣) أدماء : نالة بيضاء . والفنيق : الفحل من الإبل .

(٤) الديوان : « تبكيه » . (٥) الديوان : « ما سليت نفسي » .

(٦) الديوان : « بفاحشة علقت » .

(٧) الديوان : « بمالقة فإن الصبر خير » . (٨) من الكامل .

واستحق ذلك لأمر : منها أنه كان موصوفاً بالحلم مشهوراً بالجود ، معروفاً بالتقدم والشجاعة ، محظوظاً في المشهورة ، ثم أنشد الأبيات المقدمة (١) .

وكان صخر أمّ حمل رجل في العرب ، وكان سبب قتله أنه جمع جمعاً ، وأغار على بني أسد بن خزيمه ، فنذروا به والقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فارتضى أصحاب صخر عنه ، فطامنه ربيعة بن ثور الأسدي ، فأدخل جوفه حلقة من الدرع ، فاستقل (٢) منها ، وسار إلى أهله فاندمل عليه الجرح ، وتأن منه مثل الهدى ، فأضناه ذلك حولاً ، فسمع سائلاً يقول لامرأته : كيف صخر اليوم ؟ قالت : لاحت فيرجى ، ولاميت فينهي ، ولقد لقينا منه الأمرين - وامرأته بدبلة الأسدية وكان سبأها من بني أسد ، وانخذها لنفسه - فلما سمع قولها علم أنها برمت منه ، ورأى نحرّنه (٣) أمه عليه ، فقال :

أرى أمّ صخرٍ لا تجفّ دموعها	وملئت سليمي مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة	عليك ، ومن يفتّر بالحدّتان
أمّ بأسر الحزم لو استطيعه	وقد حيل بين العير والنزوان
لمعري قد نبتت من كان نأما	وأسمت من كانت له أذنان
فأتى امرئ ساوى بأمّ حليّة	فلاش إلا في شقي وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع ، فلما قطعه بثس من نفسه ، فقال :

أجارتنا إن الخطوب قريب	على الناس ، كلّ الخطئين تصيب
أجارتنا إنا غريبان هاهنا	وكلّ غريب للغريب نسيب

(١) الكامل ٤ : ٥١ .

(٢) ط : « فاستقل » تحريف . وفي الكامل : « استقل بها » .

(٣) الكامل : « حزن أمه » .

فلما مات دفن في أرض بني سليم بقرب عيب<sup>(١)</sup>.

وحضرت الخنساء القادسية مع بنينا وم أربعة رجال ، فقالت لهم من أول الليل : يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو ؛ إنكم لبنور رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخفت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا فبرت نسبكم ، وقد تعملون ما أهدأ الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الدنانية ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَاوْصِرُوا وَوَرَّابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، فإذا أصبعتهم غدا إن شاء الله سالمين فأعدوا لقتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شممت من ساقها ، وجلت نارا على أوراقها ، فتهيموا وطيسها ، وجاهدوا ريسها ، تظاهروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مرا كزم فتقدموا واحداً بعد واحد ، ينشدون أراجيزاً يذكرون فيها وصية المجوز لهم ، حتى قتلوا من آخرهم ، فبأنها الخبر ، فقالت : الحمد لله الذي شرّني بقلمهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مسقر الرحمة .

وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنينا الأربعة ، وكان لكلٍ منهم مائتاً درم ، حتى قبض رضي الله تعالى عنه .

قوله : قهدة رجلي ، أي امرأة يتي . وناقاة طروقة : بلغت أن يطرقها الفحل . وأضفت . اسفنتكفت وكرهت .

\*\*\*

قال : فتذمرت المرأة وتذمرت ، عن ساعدها وشممت ، وقالت له : يا ألام من مادر ، وأشام من فاشر ، وأجبت من صافر ، وأطيش .

(١) الخبر والشعر في الكامل ٤ : ٦٦ ، ٦١ مع اختلاف في العبارة وتغيير في الأبيات .

من طامر؛ أترميني بشنارك، وتفرى عرضي بشفارك، وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة، وأعيب من بئلة أبي دلامة، وأفضح من حبة، في حلقة، وأحير من بقة، في حقة.

وهبك الحسن في وعظه ولفظه، والشعبي في علمه وحفظه، والخليل في مروضه ونحوه، وجريراً في غزله وهجوه، وقسافي فصاحته وخطابته، وعبد الحميد في بلاغته وكتابته، وأبا عمرو في قراءته وإعرابه، وابن قريب في روايته عن أعرابه؛ أتظنني أفضلك إماماً لمخزأبي، وحسماً لقرأبي، لا والله ولا بواباً لبأبي، ولا هصاً لجرأبي.



تذمرت: غضبت، وتذمر الرجل، إذا رأى ما يكرهه فنضب وتهدد، والتذمر: اللوم والحض، وتذمر قائد الجيش أصحابه يذمرهم، إذا لامهم وأصمهم ما يكرهون ليحذوا في القتال. تفترت: تشبهت بالنمر، ولا يوجد النمر إلا مستكراً فضبان، ونمر الرجل وتفتت: تفتت وتغير. حسرت عن ساعدها: شممت عن ذراعها. أطيش: أخف، والطيش: خفة العقل.

والطامر: البرغوث، يقال له طامر ابن طامر. قال الأحمسي: كنت بالبادية فرأيت أعرابياً قد بسط كساءه ليفليه في الشمس، فوقفت أنظر إليه، فجعل يأخذ البراغوث، ويدع القمل، فقلت له: لم تأخذ بمضا وتدع بعضاً؟ فقال: أبدأ بالفرسان ثم أعكر<sup>(١)</sup> على الرجال.

(١) عكر على الشيء: كره وانصرف إليه.

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يسبُّ برغوثاً ، فقال : « لا نسبه فإنه نبيه نبياً من الأنبياء لصلاة الفجر » .

أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذاك البراغيث ، فخذ قَدْحاً من ماء ، واقْرأ عليه سبع مرات ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ التَّوَكَّلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . فكفوا شرِّكم وأذاكم هنا ، ثم ترش الماء حول فراشك ، فإنك تبيت الليلة آمناً من شرِّها » .  
شَنَارِك : عيبك وعارك . تَفْرِي : تقطع ، وفري ، يستعمل في القطع على جهة الإصلاح ، وقد جاء هنا في الإنشاء ، ومنه قول الشاعر :

فَرَى نَائِبَاتُ الْأَهْرِ بَيْنَ وَبَيْنِهَا وَصَرَفَ الْيَالِي مِثْلَ مَا فَرَى الْجِلْدُ

ابن سيده : فَرَى الشيء يفريه فريباً وفَرَاهُ تفريةً ، كلاهما شقٌّ وأفسده .  
وأفراه أصلحه ، والمُتَفَرِّون من أهل اللغة ، يقولون : فرى : شقَّ للإفساد وأفرى للإصلاح . وقيل : أفراه أفسده ، وفراه : قطعه للإصلاح . قال الأصمعي رحمه الله :  
أفرى الجلدَ مَرَقَهُ وأفسده ، يُفريه إفراءً ، وفري المَزَادَةَ يفريها فريباً : خرزها .  
القَلَامَةُ : ما يقص من الظفر ، وبها يتعلق وسخه ، فهي مع حقارتها مستفدرة .

### [ ذكر أبي دلامة ]

وأما أبو دلامة ، فاسمه زَنْدٌ - بالنون - بن الجون ، وهو كوفي أسود ، مولى لابي أسد ، أدرك آخر أيام بني أمية ، ونهغ في أيام بني العباس ، ومدح السَّفَّاح والنصور والمهدى ، وكان صاحب نوادر ومُلَحٍّ ، وكان خليعاً فاسد الدين ، ردى المذهب ، وقد تقدم له شيء من ذلك في الصلوة والحج ، ونذكر له ما هنا شيئاً في الصيام ، ونضيف له فنوناً من سائر مَلَحِهِ .  
وأما بقاته فكانت جامعة لعيوب الدواب كلها ، وكانت أشوه القواب -

(١) سورة إبراهيم ١٢

خِلْقَةً فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ، وَأَسْوَأَهَا خَلْقًا فِي مَخْبَرِهَا، فَكَانَ إِذَا رَكَبَهَا تَبِعَهُ الصَّبِيَانُ  
بِقَضَائِحِكُنْ بِهِ، وَكَانَ يَقْصِدُ رَكُوبَهَا فِي مَوَاقِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْكِبْرَاءِ، لِيَضْحَكَهُمْ  
بِشَاسِمَا؛ حَتَّى نَظَمَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ<sup>(١)</sup> وَهِيَ:

أَبْعَدَ الْخَلِيلِ أَرْكَبَهَا كِرَامًا      وَبَعْدَ الْفَرْزِ مِنْ حُضْرِ الْبُهَالِ<sup>(٢)</sup>  
رَزِقْتُ بُعْمَلَةً فِيهَا وَكَالٌ      وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْوِكَالِ<sup>(٣)</sup>  
رَأَيْتُ مَيُوبَهَا كَثُرَتْ وَغَالَتْ<sup>(٤)</sup>      وَإِنْ أَكْثَرْتُ نَمَّ مِنَ الْمَقَالِ<sup>(٥)</sup>  
لِيُحْصِيَ<sup>(٦)</sup> مَنْطِقِي وَكَلَامَ غَيْرِي      عَشِيرَ خِصَالِهَا، شَرُّ الْخِصَالِ<sup>(٧)</sup>  
فَأَهْوَنُ عَيْنِيهَا أَنِّي إِذَا مَا      نَزَلْتُ وَقَلْتُ: إِمْسِي لِانْتِبَالِي  
تَقُومُ فَمَا تَبَّتْ<sup>(٨)</sup> هُنَاكَ شَيْئًا      وَتَرْتَحْنِي وَتَأْخُذُ فِي قِتَالِي  
وَحِينَ رَكَبْتُهَا أَذَيْتُ نَفْسِي<sup>(٩)</sup>      بِضَرْبِ بَالِيَيْنِ وَبِالسَّمَالِ<sup>(١٠)</sup>

(١) وردت هذه القصيدة في ثمار القلوب للشمالي ٣٦١-٣٦٤، وكتاب الغول في البقال  
للجاحظ، وأبيات منها في الأغاني ١٠: ٢٦٥، ونهاية الأرب ١٠: ٨٩.

(٢) ثمار القلوب: «بعد الفرز» والبيت في كتاب البقال ونهاية الأرب:

أَبْعَدَ الْخَلِيلِ أَرْكَبَهَا وَرَادًا      وَشُقْرًا فِي الرَّحِيلِ إِلَى الْفَعَالِ

(٣) الوكال: الحسب والبطء.

(٤) كذا في كتاب البقال: وفي ثمار القلوب: «وميت فيها». وفي نهاية الأرب:

«وعالت» و«ولست»

(٥) كتاب البقال ونهاية الأرب وثمار القلوب: «ولو أفنيت مجتهدا، قال».

(٦) ثمار القلوب: «ليحصر».

(٧) ثمار القلوب: «فخير خصالها شرح الحصال»، ولم يرد هذا البيت في نهاية الأرب.

(٨) ثمار القلوب: «فما تسير هناك سيرا». وفي كتاب البقال: «تقوم فما تريم لافا

استعنت».

(٩) ثمار القلوب: «وحين ركبتهما أذيت نفسي».

(١٠) ثمار القلوب: «أركبها».

وبالزجلين أركضها جما  
أناي خائب يسقام<sup>(٢)</sup> مئى  
وقال تبعمها؟ قلت ارتبطها  
فأقبل ضاحكاً نحوى سرورا  
هلم إلى يخلو بي خداعاً<sup>(٤)</sup>  
قلت بأربعين فقال أحسن  
فأترك خمسة منها لعمى  
فلما ابتاعها مئى وبتت  
أخذت بثوبه وبرئت مما  
برئت إليك من مَشَش<sup>(٦)</sup> قديم

فهالك فى الشقاء وفى الكلال<sup>(١)</sup>  
عربى<sup>(٣)</sup> فى الخسارة والفضال  
بحمك إن بيمى غير خال  
وقال أراك سهلاً ذا جمال  
وما يدري الشقى بمن يُحملي  
إلى فإن مثلك ذو سجال<sup>(٥)</sup>  
بما فيه بصير من الخبال  
له فى البيع غير المُستقال  
أعدت عليه من سوء الخلال  
ومن جرد<sup>(٧)</sup> ومن بَلال الخالى<sup>(٨)</sup>

(١) بدمه فى كتاب القلوب فى البغال ونهاية الأرب :

رياضة جاهلٍ وعليج سؤء  
شتم الوجهِ هلباجِ هِدَانِ  
فأذبحها بأخلاق سماجِ  
فلما هدّنى ونقى رُقَادى  
أنيتُ بها الكفاسة مسغفياً  
بمهدة سائمة ردت قديماً  
فبينما فكرتُ فى السوم تُمرى

من الأكراد أحبّنى ذى سُعالِ  
نعموسِ يوم حلّ وارتحالِ  
جزاه الله شراً عن عوالي  
وطالَ لِذَلِكَ هَمى واشتغالى  
أفكر دائباً كيف احميالى  
أطمئ بها على الداء المُضالِ  
إذا ما مُنّت أرخصُ أم أعالى

(٢) كتاب البغال وثمار القلوب ونهاية الأرب : « حتى شق » .

(٣) فيما عدا الصريمى : « قديم » .

(٤) كتاب البغال ونهاية الأرب : « وراوغي ليخلو بي خداعاً » .

(٥) السجال هنا : المباراة والساجلة ، يريد أنه لا يملك فى الثمن » .

(٦) اللشش : ورم يأخذ فى مؤخر عظم الوظف أو باطن الساق .

(٧) الجرد فى الدواب : ورم فى مؤخر عرلوب الفرس يعظم حتى يمنه المشى .

(٨) فى كتاب البغال ونهاية الأرب وثمار القلوب : « وتخربق الجلال » وبعده فيها :

ومن فرط الحِران ومن ججاجِ  
ومن ضمف الأسافل والأعالِ

ومن فتق بها في البطن ضخم .  
 ومن قطع اللسان ومن بياض  
 ومن عض الغلام ومن خراط<sup>(٣)</sup>  
 وأفطى من فرج الذر مشها  
 وتكسر سرجها أبدا شماسا  
 ويذبر ظهرها من مس كف  
 تظن ركة منها وقمدا  
 ومشغار<sup>(٧)</sup> تقدم كل سرج  
 وتحنق لونسير على الحشايا  
 إذا استعملتها عتت وبالت  
 وتضرب أربعين إذا وقفنا  
 فقطع منطلق ونحول بيني  
 وتذعر للدجاجة إذ تراها  
 ومن عقالمها<sup>(١)</sup> ومن انفتال  
 بهيئتها ومن قرض الجبال<sup>(٢)</sup>  
 إذا ماتم صحك بارتحال  
 بها عرن وءاء من سلال<sup>(٤)</sup>  
 وتقصم للإكاف على اغتيال<sup>(٥)</sup>  
 وتهزم في الجمام وفي الجلال<sup>(٦)</sup>  
 يخاف عليك من ورم الطحال  
 تصير دقيد على القذال  
 ولو تمشى على دم الرمال  
 وقامت ساعة عند المبال  
 على أهل المجلس للسؤال  
 وبين حديثهم فيما توالي  
 وتنفّر للصغير وللخيال

(١) العقال : داء يأخذق قوائم الدابة .

(٢) كتاب البغال : « بناظرها ومن حل الجبال » ، وبمده :

وعقال يلازمها شديد  
 وتقطع جلدها جربا وحكا  
 ومن هدّم المايف والركال  
 إذا هزلت وفي غير الهزال

(٣) كتاب البغال ونهاية الأرب : « ومن عض العضاض ومن عياب » .

(٤) العرن : داء يأخذ الدابة في آخر رجلها ، وفي غير العرني : « وأطف »

(٥) في كتاب البغال :

ونلقى سرجها أبدا شماسا  
 وتنتقط في الوحول وفي الرمال

(٦) في نهاية الأرب :

وتهزم لها الجمام إذا خصيننا  
 ويذبر ظهرها من الجلال

(٧) ط : « ومشغار » ، والصواب ما أتبعه من نهاية الأرب .



فَأَمَّا الْإِعْتِلَافَ فَأَذِنَ مِنْهَا      من الأتيان أمثال الجبال  
وَأَمَّا الْقَتَّ فَاتٍ بِالْفِ وَفَرٍ      بأعظم حمل أحمال الجبال  
فَلَسْتُ بِعَالِفٍ مِنْهَا ثَلَاثًا      وعندك منه عودٌ للخلال  
وَإِنْ عَطَشْتُ فَأَوْرَدَهَا دُجَيْلًا      إِذَا أَوْزَدْتَ أَوْ نَهْرِي بِلَالٍ (١)  
فَذَاكَ لِرِيَّهَا سَعْتِي حَمِيًا      وَإِنْ مَدَّ الْفَرَاتِ فَلَا نَهَالِ  
وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كَسْرِي (٢)      وَتَذَكَّرُ نَبْعًا هُنْدُ الْفَعَالِ  
وَقَدْ دَبَّرَتْ وَنُعْمَانَ صَبِي (٣)      وَقَبْلَ فِصَالِهِ تَلَكَّ الْإِسْوَالِي (٤)  
وَتَذَكَّرُ إِذْ نَشَأَ بِهَرَامِ جُورٍ (٥)      وَعَامِلُهُ عَلَى خَرْجِ الْجَوَالِي  
وَقَدْ مَرَّتْ بِقَرْنٍ بِمَدِّ قَرْنٍ      وَآخِرُ عَهْدِهَا لِهَلَاكِ مَالِي  
فَأَبْدَيْتَنِي بِهَا بَارِبَ طِرْفَا (٦)

وَأَنشدها المهدي ، فقال : لقد أَقَلَّتْ من بلاءٍ عظيم ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرًا أتوقع صاحبها أن يردّها . فقال المهدي لصاحب دوابه : خيّرهُ بين مركبين في الإصطبل ، فقال : إن كان الاختيار إلى فقد وقعت في شرٍّ من البقلة ، ولكن مره يخر لي ، ففعل .

وفي القصيدة ألفاظ من الغريب أبيتها ، فمنها يقال : وَآكَلَتِ الْعَدَابَةُ وَكَالًا : أساءت للسير . ورمحت ترمح : ضربت برجلها والمَشُّش : داء في قوائمها . والجرد . استرخاء العَصَب ، والمعْقَال : أن تنقبض القوائم ولا تنهت ، والخرّاط :

- (١) يشير إلى النهر الذي حفره بلال بن أبي بردة بالبصرة .
- (٢) القارح من ذى الحافر: الذي شق نابه وطلم .
- (٣) كتاب البغال : « ونعمان فطيم » .
- (٤) كتاب البغال : « وذو الأكتاف في الحجج الجوالي » .
- (٥) بهرام جور ، من ملوك ساسان .
- (٦) الطرف : الفرس الجواد .

الجاح ، والعَرَن : حكة وشقاق في القوائم ، وقد عرن عَرْنَا ، وقص يقمص ويقمص  
قصا وقمصا : رفع يديه ممّا وطرحهما ممّا ، وعجن يديه ، وقطا يقطو :  
قارب الخطو .

وكان لأبي دلّامة برذونٌ أعجف محطّم هريم ، فدخل على المهديّ يوماً  
وبين يديه سلّمة الوصيف ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنّي جليتُ لهابك مهراً  
ليس لأحدٍ مثله ، وأحببت أن أهديه لك ، فإن أحببت أن تشرّفتني بقبوله فأمر  
بإدخاله ، فخرج وأدخل برذونه ، فقال له المهديّ : أيّ شيء هذا وبلك الم تزعم  
أنه مُهر ، فقال له أبو دلّامة : أو ليس هذا سلّمة الوصيف قائماً بين يديك تسميه  
الوصيف وله ثمانون سنة فإن كان سلّمة وصيفاً فهذا مُهر ، فجعل المهديّ  
بضحك وسلّمة يشقه ، فقال له المهديّ : وبلك إن لهذه أخوات ، والله  
ليضحكن بك في الحافل . قال : والله يا أمير المؤمنين لأنضحتنه ، فليس في  
مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره ، فاشربت الماء له قطاً . فخكم عليه المهديّ  
أن يشتري نفسه بثلاثة آلاف درهم ، فقال له سلّمة . على ألاّ تعاود ، فقال  
أبو دلّامة : أفعل ، فحملها إليه .

وعما ينظم بهذا النمط أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حلّ أبا الديناء على  
فرس ، فكتب إلى أبيه : أعلم الأمير أمره الله أن أبا محمد أراد أن يبرّني فمضى ،  
وأن يُركبني فأرجاني ، أمرني بدابة تقف للنبّرة ، وتمثر بالنبّرة ، كالقضب  
الهابس عجناء ، وكالمهجور الهائس دنفاء ، قد أذكر الرواة عروة المذريّ  
والجنون العامريّ ، مباعداً أعلاه لأسفله ، حباقة مقرون بسعاه ، فلو أمسك  
لترجيت ، ولو أفرد لتعزّبت ، واسكنه يجمعها في الطريق للممور ، والجلس  
المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، يضحك من فعله للنسوان ،  
ويقتاع من أجله الصبيان ، فن صائح بصوح : داره بالطباشير ، ومن قائل

يقول : نَقَّ له الشعر ، قد حفظ الأخبار وروى الأشعار ، وخلق العلماء في  
 الأمصار ، فلو أعين بنطق لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي وعامر الشعبي .  
 ولم أوتَ من أمر الأمير أعزّه الله ، وإنما أتيتُ من كاتبه الأعور ؛ الذي إذا  
 اختار لنفسه أصاب وأكثر ، وإذا اختار لغيره أخيب وأتزر ، فإن رأى الأمير  
 أن يبدلني وبريحي بمركوب بضحكى كما أضحك مني ، يحو بمسنة وفراغه ،  
 ما سطره العيب بقبحه ودناءته ، ولست أذكر سرجه وجمامه ، لأن الأمير أكرم  
 من أن يساب ما يهديه ، وينقص ما يمضيه . فوجهُ إليه ببردون بسرجه وجمامه ،  
 ثم اجتمع بابه محمد عنده ، فقال له عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني أنه  
 يشتريه الآن منك بمائة دينار ، وهذا ثمنه لا يؤخر عنك ، فقال : أعز الله الوزير  
 لو لم أكذب مستزبدا ، لم أذهب مستفيدا ، وإني وإياه لسكا قالت امرأة العزيز :  
 ﴿ أَنَا وَأَوْدَتُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وقال ابن رشيقي في بقل :

أوصيكَ بالهفلِ شرًّا	فإنه ابن الحمار <sup>(١)</sup>
لا يصدحُ الهفلِ إلا	لكدِّ والأسفار
كالعبدانِ لم تُهنئهُ	جَنَى على الأحرارِ
ما اعراضُ بقلًا بطرفِ	إلا أخو إدبار <sup>(٢)</sup>

وله أيضاً فيه :

فأوصيكو بالهفلِ شرًّا فإنه	من العَيْرِ في سوء الطَّبَاعِ قريب <sup>(٣)</sup>
وكيفَ يحمي الهفلُ يوماً بحاجته	تَسْرَ وفيه لَحْمٌ نَصَبُ

(١) نفله الميمى في التنف ٣٦ .

(٢) الطرف بالكسر : الفرس الجواد ؛ والباء دخلت على المتروك .

(٣) نفله الميمى في التنف ٦ .

وله من قصيدة :

أَوْ بِفَلَةٍ سَفَوَاءَ تَعْرُضُ لِفَتَى      فَتُضَالُ تَحْتَ السَّرَجِ أُمَّ غَزَالٍ<sup>(١)</sup>  
سَأَلْتُ إِلَى الْأُمِّ الدَّجَابَةَ مِنْ أَبِي      وَزَهَتْ عَلَى الْأَهَامِ وَالْأُخْوَالِ  
وَكَأَنَّهَا قَدْ أَفْرِغَتْ فِي قَالِبِ      لِأَنَّهَا خُلِقَتْ عَلَى نِمْتَالِ  
وَه مِنْ قَصِيدَةٍ أَيْضًا :

كَأَنِّي بَعْضُ نُجُومِ السَّمَاءِ      تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ نَمِ الْهَدَنِ  
عَلَى رَسَلَةٍ مِنْ هَيْبَاتِ الْمَوِ      لِكِ سَفَوَاءِ مَلُومَةٍ كَالْحَجْرِ  
تَعَاوَنَ فِي جَدَلِ أَعْضَائِهَا      بَنُو أَخْدَرٍ وَبَنَاتِ الْأَفْرِ

ولمحمد بن يسير<sup>(٢)</sup> الخارحى في بئلة :

تَزَهَتْ مِنْ الْخَلِيلِ الْعِثَاقِ نَجَادِهَا      مِنْهَا وَعِثَقَ سَوَافٍ وَلِبَانٍ<sup>(٣)</sup>  
وَلَهَا مِنَ الْأَعْمَارِ عِنْدَ مَسِيرِهَا      قِمَّةٌ<sup>(٤)</sup> وَطُولٌ صَبَارَةٌ وَمِيرَانِ  
رَجَعْنَا إِلَى أَخْيَارِ أَبِي دَلَامَةَ .

يحكى أن المهدي أو المنصور - أنشده ما أعجبه ، فكساه طيلسانا وأمره  
بمال ، وعاينه الآ بشرب الخمر ، فحلف له وخرج إلى بني داود بن علي  
فضحكوا به . وقمن عليهم خبره فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه ، فأعلم  
المهدي الخمر ، فأرسل فيه ، وأمر الرسول بسجنه وتخزيق ساجه ، والآن يمكن

(١) لعله في التنف ٦٣ .

(٢) ط : « بشر » تحريف ، وهو محمد بن يسير ، عامر ظريف من الهدنين . وله ترجمة في  
العمر والشعراء ٨٧٩ - ٨٨٠ والأغانى ١٢ : ١٣٩ - ١٣١ .

(٣) القول في البغال ٧٥ من مقطوعة طلب فيها من موسى بن عمران بئلة لرحله . وفيه :  
« نجادها » .

(٤) القول في البغال « جد » ، وفيه « قال ذلك لأن حافر الأمير أوقف المواقر » .

من قرطاس ولا مداد ، ففعل به الرسول ذلك ، فانقبه في جوف الليل فنأدى  
جاريته فقال له السجبان: طمئة في كبدك فقال له : ويلاك امنٌ أنت ، وأين أنا ؟  
فقال له : سَلْ نفسك أين كنت عشاء أمس ؟ فاستحلفه مَنْ أنت؟ فقال :  
أنا السجبان ، بعث بك أمير المؤمنين وأنت سَكْران ، فأمرني أن أحبسك مع  
اللدجاج ، فقال : أحب أن تُدْرِج لي سراجا ، وتأتييني بدواة وقرطاس ، ولك  
هندي صِلَة ، فقال له. أما السراج فنعم ، وأما القرطاس والدواة ، فقد أمرت ألا  
أمكنك منهما . فلما أتاه بالسراج وجد ساجه محرقا ملطخا بإزبال اللدجاج ،  
ورأى نفسه جالسا بينها ، فقال له : ادع لي ابي دلامة ، فدعاه ، فأمره أن يجيد  
حلاقة رأسه ، وأن يأتيه بفَحْمَة ، ففعل ، فكتب على رأس ابنه :

أَمِنْ صِهْبَاءِ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ	كَانَ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ <sup>(١)</sup>
نَهَشَ لَهَا الْقُلُوبَ وَنَشْتَمَهَا	إِذَا بَرَزَتْ تَرْتَفِقُ فِي الزُّجَاجِ
أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بَنِي جُرْمٍ	كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخِرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حَبِستُ لَكَانَ خَيْرًا	وَلَكِنِّي حُبِستُ مَعَ الدَّجَاجِ <sup>(٢)</sup>
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتِكَ نَفْسِي	فَقِيمِ حَبِستِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا	تَلْبِيزِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

ثم قال : يا أمير المؤمنين، هذه أمانة ، فإذا قرأتها فزق الرقعة. ثم أمر دلامة  
أن يدخل على أمير المؤمنين ويقرئه ما في رأسه ، فأتى الباب وصاح : دعوة

(١) وبمده في الأغاني :

وقد طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَقِّي

لقد صارت من النطفِ الفُضَّاحِ

(٢) وبمده في الأغاني :

وقد كانت تحببني ذنوبي

بأني من عقابك غير ناجي

الظالم ، فعلم أمير المؤمنين بمكانه فأمر بإدخاله ، فكشف رأسه ، وقال : إن ظلامتي مكتوبة في رأسي ، فأدبني منه حتى قرأها فاشتدَّ ضحكك ، وعجب من حيالته وأمر بإخراجه ، وقال : ما كان أحوج هذه الرقعة أن تُمزَّق ، ثم وصله بصلة ، ونهاه أن يوجد سكران<sup>(١)</sup> .

وخرج المهدي يتصيد ومعه علي بن سليمان ، فسمح له قطع من الظباء ، فأرسلت الكلابُ وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سهماً فصرع ظليماً ، ورعى علي بن سليمان سهماً فصرع كلباً ، فقال أبو دلامة :

قَد رَمَى المَهْدِيّ ظليماً شَقَّ بالسَّهْمِ فُؤَادَهُ  
وعَلَى بنِ سَلِجَانٍ رَمَى كَلْباً فَصَادَهُ  
فَمَهَيْتَا لَهَا كُلَّ امْرِئٍ بِأَكْلِ زَادَهُ  
فَضَحَكَ المَهْدِيّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ .

ومن ملحه ، أنه دخل على المهدي ، وعنده وجوه بنى هاشم ، فقال : أنا أعطى الله عهداً لئن لم تهتجُ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك ، فنظر إلى القوم ، فكلما نظر إلى واحد غمزه بأن عليه رضاه ، قال : فعلت أئى وقعتُ ، وأنها عزيمة من عزماته لا بد منها ، فلم أرأدهى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

أَلَا أبلِغُ لَهْدِكَ أبا دُلَامَةَ  
فليسَ من الكرامِ ولا كرامَةَ  
إذا ليسَ العامةُ كان قرداً  
وخنزيراً يكون بلا عمامَةَ  
جمعتَ دمامَةَ وجمعتَ لؤماً  
كذلك اللؤمُ تقومه الدمامَةَ  
فإن نَكَ قد أصبتَ نعيمَ دُنْيَا  
فلا تفرحْ فقد دنتَ القيامةُ

(١) الخبر في الاغانى ١٠ : ٢٥٢ مع اختلاف في رواية الخبر والعمر .

فضحكوا ، ولم يبق أحد إلا أجازَه (١) .

وخرجت (٢) له صبيّة فأخذها على كتفه ، فبالت عليه فرمى بها ، وقال :

بَلَّتِ عَلَيَّ - لَا حَيِّتَ - نُوْبِي      فَبَالَ مَلِيكَ شَيْطَانِ رَجِيمٍ  
فَمَا وَلَدْتِكِ مَرْيَمُ أُمَّ عَيْسَى      وَلَا رَبَّكَ لَقَمَانُ الْحَكِيمِ  
وَلَكِنْ قَدْ تَضَمُّكَ أُمَّ سُوءٍ      إِلَى لَبَاتِهَا وَأَبُ لَثِيمِ

ولما خرجت الخيزران إلى الحج تلقّاهما ، فصاح : الله الله في أسرى أفسأله  
عن أمره فقال : إني شهنج كبير ، وأجرُك في عظيم ، تهبين لي جارية تُؤنسوني  
وترفقيني ، وتُرَبِّحنني من عبوز عندي ، قد أكلت رِفْدِي ، وأطأت كَدِّي ،  
وقد عزفت (٣) جلدًا جلدِي ، وتمنيت بُمُدَّهَا ، ونشوقت قَدَّهَا ، فوهدته بها ،  
فلما جاءت من الحج دخل على أم عُبَيْدَةَ حاضمة موسى وهارون ، فدفع إليها  
رقعة ، فدفعتها إلى الخيزران وفيها :

(١) الخبر في الأغانى ١٠ : ٢٥٨ .

(٢) الخبر في الأغانى ١٠ : ٢٤٠ : « دخل أبو عطاء السندی يوماً إلى أبي دلامة ، فاحتبسه  
عنده ، ودعا بطعام فأكلوا وشبوا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبية فحملها على كتفه ، فبالت عليه ،  
فبذها من كتفه ، ثم قال : بللت على ... البيتين ، ثم التفت إلى أبي عطاء ، فقال له : أجز ، فقال :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا      مَطْمَرَةٌ وَلَا فَخْلٌ كَرِيمٌ  
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّشَتْهَا أُمَّ سُوءٍ      إِلَى لَبَاتِهَا وَأَبُ لَثِيمِ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنة الله ! ما حملك على أن بلغت بي هذا كله ! واقعة لا أنزلها  
بيت شعر أبداً . فقال أبو عطاء : لأن يكون الحرب من جبهتك أحب إلي .

(٣) الأغانى : « عاف » .

وفيهما :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي إِنْ شئتِ يَا أُمَّ عَبِيدَةَ  
 أَمَا أُرشِدُهُمَا اللَّهُ وَإِنْ كَأْتِ رَشِيدَةَ  
 وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَحْرُجَ لِحَجِّ وَرَيْدَةَ  
 إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَيْسَ فِي بَيْتِي قَبِيدَةَ  
 غَيْرَ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ سَاقِمًا مِثْلَ الْقَدِيدَةِ  
 وَجَبْهَا أَقْبَحَ مِنْ حَوْ تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةَ  
 مَا حَيَاتِي - مَعَ أَتِي مِثْلَ عَرْمِي - بِجَمْعِيدَةَ (١)

فضحكت واستمادت «حوتاً في عصيده» وهي تضعك ، ثم قالت للجارية :  
 خذي ما عندك في قصري وامشي إليه . فلما بلغها الرسول منزلته لم يجده ،  
 فدفنها إلى امرأته ، ودخل دُلَامَةٌ وأمة تبكي ، فسألها فأخبرته وقالت : إن أردت  
 يرثي يوماً من الدهر ، فالיום . قال لها : قولي ما شئتِ ألهه ، قالت : تدخل  
 إليها ، وتعلمها أنك مالكتها ، فتطوؤها فتعمر عليه ، وإلا شغلته لجفاني وجفائك .  
 ففعل ، وجاء أبو دُلَامَةَ فسألها عنها ، قالت : هي في ذلك البيت ، فدخل ومدَّ  
 يده إليها ، وذهب ليقبلها ، فرأت شيئاً عظيماً فبهج الوجه ، فقالت : تنج  
 وإلا لعلمتُك لطمَةٌ دَقَّتْ بِهَا أَنْفَكَ . قال : وبهذا أوصتُك سيدتك ؟  
 قالت : إنها بعثتني إلى فتى من صفته كذا وكذا ، وقد نال حاجته مني آنفاً .  
 فلم أنه دهاء من دُلَامَةَ وأمه (٢) ، فخرج ولطمه ولتبه (٣) . وحالف الأباقره  
 إلّا إلى المهدي ، ففضى على تلك الحالة حتى دخل إلى المهدي ، فقال له : ما بالك

(١) الأغاني : « بسميده » .

(٢) الأغاني : « فلم أنه دمي من أم دلامة وابنها »

(٣) ليبة : أخف بتليبه ، أي جمع ثيابه عند صدر ونحوه في المصومة ثم جره .

(٢٤) — شرح مقامات الحريري ج ٤



وَنَحِكَ اِقْتُلْ لَه : حَمَل بِي هَذَا ابْنُ الْخَبِيثَةِ مَا لَمْ يَمْلِكْ أَحَدًا بِأَبِيهِ ، وَلَا يَرْضِيهِ إِلَّا أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَأَخْبِرَهُ الْخَبِيرُ . فَضَعَكَ لِلْمَهْدِيِّ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَأَبُو دَلَامَةَ يَقُولُ : بِمَجْعِكَ فَعَلَهُ ، فَضَعَكَ مِنْهُ ! قَالَ : عَلَى بِالسُّيُوفِ وَالنَّطْعِ ، قَالَ دَلَامَةَ : اسْمِعْ حَبِيقِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا سَمِعْتَ حُجَّتَهُ ، قَالَ : هَاتِي ، قَالَ : هَذَا الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجَهًا ، وَهُوَ بَنِيكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَغْضَبْتَ ، وَنَبَيْتُ جَارِيَتَهُ سَرَةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ . فَضَعَكَ الْمَهْدِيُّ أَشَدَّ مِنْ ضَعْعِكَ الْأَوَّلِ ، قَالَ : دَمَهَا لَه [ يَا أَبَا (١) ] دَلَامَةَ ، وَأَنَا أَطْعَمُكَ خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ : عَلَى أَنْ تَخْطَأَهَا بَيْنَ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَهَا كَمَا نَاكَ هَذِهِ ، وَحَافِ دَلَامَةَ إِنْ عَادَ لِيُقَاتِلَنَّهُ (٢) .

وجاء دُلامَةُ لأبيه في محفل ، وجلس بين يديه ، وقال للجماعة : إنَّ شَيْخِي كَأَثَرُونَ قَدْ كَبَّرَ سِنَتَهُ ، وَرَقَّ جِلْدُهُ وَدَقَّ عَظْمُهُ ، وَبَنَا إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ ، وَأَنَا لَا أَزَالُ أَشِيرُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ يَمْسُكُ رِمْتَهُ ، وَيَبْقَى قُوَّتُهُ ؛ فَيُخَالِفُنِي . وَأُرْغَبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوهُ قَضَاءَ حَاجَةٍ فِيهَا صِلَاحٌ لِحَسَمِهِ ، فَقَالُوا : حَبِّبًا وَكِرَامَةً ، فَأَخَذُوا أَبَا دَلَامَةَ بِالسُّنْتَمِ ، قَالَ : قُولُوا لَهُ الْخَبِيثُ فَلْيَقْتُلْ مَا يَرِيدُ ، فَسْتَعْمَلُونَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِهَيْلَةٍ . قَالَ : إِنَّمَا يَقْتُلُهُ كَثْرَةُ النَّيْكِ ، وَلَا يَدْفَعُهُ مِنْهُ إِلَّا الْخِصَاءُ ، فَتَمَاوَنُونِي عَلَيْهِ حَتَّى أَخْصِيَهُ ، فَضَعَكُوا مِنْهُ كَثِيرًا ، وَقَالُوا لِأَبِيهِ : قَدْ سَمِعْتَ فَاعْنَدُكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ مَرَّفَكُمُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِخَيْرٍ ، وَقَدْ جَعَلْتُ أُمَّهُ حَكْمًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَتَمَاوَنُونِي إِلَيْهَا ، فَدَخَلُوا عَلَيْهَا وَقَصَّوْا الْقِصَّةَ عَلَيْهَا ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَقَالَتْ : إِنْ أَبَى أَبِقَاءَ اللَّهِ ، قَدْ نَصَحَ أَبَاهُ وَبَرَّهَ ، وَأَنَا إِلَى بَقَاءِ أَبِيهِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَيْهِ ؛ إِلَّا أَنْ هَذَا الْأَمْرُ لَمْ يَقَعْ فِيهِ تَجْرِبَةٌ عَلَيْنَا ، وَلَا جَرَتْ بِهِ عَادَةٌ ، وَهُوَ قَدْ آذَى مَعْرِفَةَ ذَلِكَ ،

(١) من الألفاظ .

(٢) الخبر في الألفاظ : ١٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

فلهيبدأ بنفسه فليخضعها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أبقى عليه أترأ محموداً ، استعمله  
أبوه على علم ، فجعل القوم يضحكون ويمنجبون من اتفاهم في الخبث .

وأمره المهدي أن يلزم المسجد في رمضان ، وقال له : إن تأخرت فلتشرب  
الخر ، ولئن علمت ذلك لأقتلنك ، فشق عليه ذلك ، ونشع إليه بكل إنسان ، فلم  
يشغمه ، فأدخل إلى ربطة رقعة ، - وكان للمهدي لا يخالفها - وفيها :

أبانا رِبْطَةَ أَنِي كُفْتُ عِيداً لِأَبِيهَا  
فَضَى يَرْحَهُ اللهُ وَأَوْصَى بِي لِأَبِيهَا<sup>(١)</sup>  
جَاءَ شَهْرُ الصَّوْمِ بِمَشَى مِشِيَةً لَا أَشْتَهِيهَا  
قَائِداً الْقَلَّةَ لِيَدُ رِ كَأَنِّي أَبْتَهِيهَا  
تَنْطَحُ الْقَيْلَةَ شَهْرًا جَبَهْتِي لَا تَأْتِيهَا<sup>(٢)</sup>  
فَاطِلِي لِي فَرَجًا مِنْهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

فضحكت ، وقالت : بصبر حتى تمضي ليلة القدر ، فقال : إذا مضت ليلة  
القدر في الشهر . وكعب إليها :

(١) بدمه في الأغاني :

وَأَرَاهَا نَسَيْتَنِي مِثْلَ نَسِيَانِ أَخِيهَا

(٢) بدمه في الأغاني :

وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا فِي فَيَاقِ وَجِيهَا

فِي لِيَالٍ مِنْ شِتَاءٍ كُنْتُ شَبِيحًا أَصْطَلَهَا

قَاعِدًا أَوْ قَدْ نَارًا لِضِيَابِ أَشْعُوبِهَا

وَصَبُوحِ وَغَبُوقِ فِي مَلَابِ أَحْتَسِبِهَا

مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَلَا تُسَمِّعُنِيهَا

خَافِي إِيْلَكَ فِي نَفْسِي قَدْ اخْتَضِرَتْ      قَامَتْ قِيَامَتَهَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَا  
 مَالِيَةُ الْقَدْرِ مِنْ هَمِّي فَأَطْلَبَهَا      إِيْ أَخَافُ الْمُنَابَا قَبْلَ هِشْرِينَا  
 لِابَارِكِ اللهُ فِي خَيْرِ أَوْمَلُهُ      فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا قَامْنَا ثَلَاثِينَا  
 بِأَلْوَةِ الْقَدْرِ قَدْ كَثُرَتْ أَرْجَلُنَا      بِأَلْوَةِ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تُمْنِينَا  
 فَلَمَّا قَرَأْتَهَا ضَحِكْتَ ، وَدَخَلْتَ إِيْلَ الْمَهْدِيِّ فَشَعَمَهَا<sup>(١)</sup> فِيهِ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ

• • •

وعلى قومه : جاء شهر الصوم قال أبو القاسم النعماني : أنشدني الفقيه  
 أبو الحسن بن زرقون :

أَشْهَرَ الصَّوْمِ مَا مَلَكَ عِنْدَ اللهِ مِنْ شَهْرِ  
 عَلَى أَنَّكَ حَرَمْتَ عَلَيْنَا لَذَّةَ السُّكْرِ  
 وَقَرَعَ الْكَأْسَ بِالْكَأْسِ وَرَشَفَ الثُّغْرَ بِالثُّغْرِ  
 وَإِنِّي وَالَّذِي شَرًّا فَأَوْفَانَاكَ بِالذِّكْرِ  
 وَمَا أَمْسَى يَصَلِّي فِيكَ مِنْ شَفْعٍ وَمِنْ وَتْرِ  
 لَسُرُورٌ بَأَن تَنْفَى عَلَى أُنَاكَ مِنْ عُجْرِي

وقال ابن المعتز :

تَجَلَّى عِشَاءَ هِلَالِ الصَّيَامِ      بِنَحْسٍ عَلَى الْكَأْسِ وَالْبُرْبَعِ  
 وَكَمْ مِنْ قَتِي رَاحَ بَيْنَ الْقِيَا      نَ نَشْوَانِ ذَا فَرَحٍ مُفْرَطِ  
 وَكَانَ نَشِوْطًا فَلَمَّا رَأَى      هَمَّ بِهِمْ وَلَمْ يَنْشَطِ  
 فَأَعْرَضَ عَنْهُ كَمَا أَعْرَضَتْ      فِقَاةٌ عَنِ الْجَانِبِ الْأَشْمَطِ

(١) الخبر والدمري الأغانى ١٠ : ٢٤٩ : ٢٥٠

وقال ابن رشيوق :

لأح لي حاجب الملاك عشاء فتمنيت أنني من سحاب<sup>(١)</sup>  
 قلت أهلا وليس أهلا لما قلت ولكن أسمعتها أصحاب  
 مظهر حبه وعندى بفض أمدو الكؤوس والأكواب  
 الحقة : الضربة ، والحلقة جماعة الناس ، وربما تؤدى فضيحتها أمام القوم  
 إلى أن يموت صاحبها غمًا ، وقد وجد ذلك .

• • •  
 [ أنا كيه ]

وحقق أعرابي في جماعة فاستحيا ، فأشار نحو استه ، وقال : إنها خلفت  
 نطقت خلفا .

وذكر الحريري أن مطيع بن إباص ويحيى بن زياد وحماة الراوية كانوا  
 بشر بون ذات يوم ، ومهم نديم لهم ، فبرزت منه فدية ، فحجل وغاب عنهم أيامًا ،  
 فكذب إليه مطيع :

أمن قلوب غدت لم يؤذيها أحدٌ إلا تذكرها بالزمل أوطانا  
 خان العقال لها ثابت إذ نقرت وإنما القرب فيه لذي خانا  
 أظهرت منك لنا هجرًا ومعبية وغبت عنا ثلاثا أنت تنفاننا  
 موت عليك فاف الناس ذو إبل إلا وأبقته بشر دن أحمانا  
 دخل<sup>(٢)</sup> أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد ، فخرج به ، وأجلسه معه  
 على سرير ، فحبق البديع حبة منكورة ، ثم أراد أن يفتي عن نفسه الاتمة ،  
 فقال : يا مولانا هذا سرير التخت ، فقال له : بل صهري «التخت» ، فخرج البديع  
 خجلًا ، وانقطع عن الوصول إليه فكذب إليه الصاحب :

(١) نقله في التنف ١٢

(٢) بئمة الدهر ٣ : ١٨٨

قل لصفيرى لاتذهب على خجلٍ من ضَرْطَةٍ أشبهت نايًا على عودٍ<sup>(١)</sup>  
 فإتها الريح لاتسطيع تدفِّعُها إذ لست أنت سليمان بن داود  
 تزوج أعرابى امرأة ، فلما دخل عليها عابثها ، فضرطت ، فخرجت غضبي  
 إلى أهلها ، وقالت : والله لا أرجع إليه أو يضل ما فعلت ، قال لها : عودى لأفعل ،  
 فعاتت ، فعاثها فضرطت أخرى ، فقال :

طالبتي دينا قديما فلم أذنيك حتى زوت في قرضك  
 فلا تلوميني على مظهره إن كان ذا دابك لم أفضيك  
 قيل لأعرابى : ماتول في الضرطة ؟ فقال : لا بأس بها ، وربما سببت  
 الضرطة وأنا راكم في الصلاة .

قدم أبو علقمة الأزدي على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي بالبصرة ، قال  
 الفضل جلسائه : إذا جلسنا على المائدة وأبو علقمة ممعا فلهضراط أحدكم ثم الآخر  
 ثم الآخر ، وليسكن بين كل ضرطتين فرجة ، فلما وضعت المائدة فعلوا ذلك ،  
 فأخذ أبو علقمة المائدة ، وقام بها ، فقيل له : إلى أين يا أبا علقمة ؟ قال : إلى  
 الكنيف ، فمن أراد منكم أن يخرجاً كان قريبا .

وجلس فقيل إلى بشار ، فضرط بشار ضرطة منكرا ، فظن الرجل أنها فلقه ،  
 ففسى في حديثه ، فضرط بشار ثانية وثالثة ، فقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ قال :  
 رأيت أو سمعت ؟ قال : بل سمعت ، قال : كل ما سمعت ربح لاتصدق حتى ترى .

قوله : حقه ، أى وعاء الطيب ، ويقال له : حق والجمع حقاق ، وتبدل عامقنا  
 من قافه كافا ، والروائح العطرة مضرّة بهذه الهوام المنقنة ، وقد قال المتعبى :  
 بذي النباوة من إنشادها ضررٌ تضررٌ كما تضر رباح الورد بالجمل<sup>(٢)</sup>

(١) بليمة العمر :

يابن الخضيرى لاتذهب على خجلٍ لحادث منك مثل الناي والعود

(٢) ديوانه ٣ : ٤٠

قوله هبك ، أى حسبك .

\*\*\*

[ ترجمة الحسن البصرى ]

وأما الحسن فهو أبو سعيد بن أبي الحسن البصرى ، وهو من التابعين . ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وأمه اسمها خيرة ، وكانت مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت تُعطيها ثديها إذا اشتفت أمه ، فدرت ثديها له بالابن ، فأظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه . وأبوه مولى لامرأة من الأنصار ، وقول إن أبويه كانا مملوكين لرجل من بني الفجار ، فتزوج امرأة في بني سلمة من الأنصار ، فساقها إليها من متهرها فأعتقها ، وكان أحسن الناس لفظاً وأبلغهم وعظاً ، وكان زاهداً عالماً مقدماً في العلم والدين على نظرائه من التابعين .

وكان الحجاج له معظماً و متمجّباً من فصاحته ، ولم ينفك من مجلس وعظ أو تدريس علم ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وقال أبو عمرو بن الدلاء : مارأيت قطُّ أوعظَ ولا أفصحَ من الحسن البصرى .

وقال أبو أيوب التسخينى : ماسمع أحد كلام الحسن البصرى إلاّ نُقلَ عليه كلام الرجال .

قال حمّاد : قال لى الشعبي ونحن بمكة : أحبّ أن اختلّى بالحسن ، فقلت : ذلك للحسن ، فقال : إذا شاء ، فجاء الشعبي ، فقلت له : ادخل عليه ، فإنه فى البيت وحده ، فقال : أحبّ أن تدخلَ معى ، فدخلنا فإذا الحسنُ قبالة القبلة يقول : يا بن آدم ، لم تكن فكرونت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فممت ، فبئس ما صنعت ! ثم يذهب فيرجع بعيد ذلك حتى أعادها مراراً ، فقال لى الشعبي : يا هذا انصرف فإن الشيخ فى عهد ما نحن فيه .

ولما دخل على الحجاج فقال له : ما تقول في علي وعثمان ؟ قال : أقول فيهما ما قال مَنْ هو خيرٌ مني بين يدي مَنْ هو شرٌّ منك ، قال : ومَنْ ذلك ؟ قال : موسى وفرعون حيث قال له فرعون : ﴿ فَأَمَّا الْفِرْعَوْنِ الْأَوَّلَى قَالَ : عَلِمَهَا مِنْدَرِي فِي كِتَابٍ ﴾ (١) .

الشمعي قال : قدمنا على الحجاج في البصرة في جماعة من قراء الشام والعراق في يوم صائف شديد الحرّ ، وهو في آخر ثمانية أبيات ، فدخلنا الأول فإذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه ، وفي الثاني أكثر وفي الثالث أكثر ، والحجاج قاعد على سريره وعنبة بن سمود إلى جانبه ، فجلسنا على الكراشي ، ودخل الحسن آخر مَنْ دَخَلَ ، فقال الحجاج : مرحباً بأبي سعيد ! اخلع قميصك ، فجل الحسن يمالج زرة القميص فأبطأ به ، فطأ له الحجاج رأسه تطلقاً به حتى حله ، وجاءت جارية بدُهْنٍ فوضعت على رأس الحسن وحده ، فقال له الحجاج : يا أبا سعيد ، مالي أراك منهوك الجسم ، لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية إلا نأمر لك بنفقة توسع بها على نفسك ، وخادم لطيف ! فقال : إني من الله تعالى إني سعة ونعمة وإني منه لفي عافية ، ولكن الكبر والحرّ ، فأقبل الحجاج على عنبة ، وقال : لا والله ، بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه ، فلم يسمعها الحسن ، وسمعتها أنا قرئبي من عنبة ، وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه وذلنا منه مرضاة له ، وفرقاً من شره ، والحسن حاضرٌ على إبهامه ، فقال له : مالي أراك ساكتاً ؟ فقال : وما عسى أن أقول : فقال : أخبرتنا برأيك في أبي تراب ، قال : إني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ لِيَمُنَّ بِقَلْبِهِ عَلَى عَقَبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرؤوف رحيم ﴾ (٢) فليؤمن هدى الله ، ومن أهل الإيمان وابن عمّ نبي الله صلى الله

(١) سورة طه ٥١

(٢) سورة البقرة ١٤٣

عليه وسلم وختنه على بنته ، أحب الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات سهقت له من الله عز وجل ، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها . فتغير وجه الحجاج وقام منفضباً عن سريره ، ودخل بيتاً خلفه . وخرجنا وأخذت بيد الحسن ، قلت : يا أبا سعيد ، أغضبت الأمير ، وأوغرت صدره ، فقال : إليك عني يا عامر ، ألت شيطاناً من الشياطين إذ تواقفه في رأيه إلا صدقت إذ سئلت أو سككت فسليت اقلت : قلنا والله ، وأنا أعلم بما فيها ، قال الحسن : فذلك أعظم في الحجة عليك ، وأشد في التهمة . ثم خرجت إلى الحسن التحف والأطرف ، وكانت له للنزلة واستخف بنا وجفانا ، فكان أهلاً لما أتى إليه ، وكننا أهلاً لما أتى إلينا ، فما رأيت مثل الحسن بين الطلاء إلا مثل الفرس العربي فيما بين المقاريف ، وما شهدنا بدم شهداً إلا برز علينا بغضه ، وقال لله ، وقلنا مواقة للوالة ، وكان يقول : جددوا هذه الأنفس فإنها سريعة الدور ، واقدعوها فإنها طامحة وإنسكم إن لم تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية .

وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير : عظ أصحابك ، فقال له : إني أخاف أن أقول مالا أفضل ، فقال له : يرحمك الله ، وأبنا يقول ما يضل ابود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم ، فلم يأمر أحد بمعروف ولم يبه عن منكر .

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إن الله تعالى جعل الصوم مضاراً لبيده ، ليستبقوا إلى طامته ، ولعتمري فكشف الخطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر .



ومات في سنة عشرة ومائة وله تسعون. وتقدم موت ابن سيرين بمائة يوم،  
ومات في رجب ليلة الجمعة .

وقال عبد الواحد بن زيد : رأيت ليلة مات الحسن في النوم أبواب السماء  
كأنها مفتحة ، وكان للملائكة صفوف ، فقلت : إن هذا لأمرٌ عظيم ، فقال لي  
قائل : ألا إن الحسن البصري قدِم على الله وهو عنه راضٍ !

وسمع بعض أصحابه في منامه ليلة مات كأن منادياً ينادي في السماء : (إن الله  
اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ) ، واصطفى الحسن  
البصري على أهل زمانه .

### [ ترجمة الشعبي ]

والشعبيّ ، اسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل بن عبيد بن ذى كهار الشعبيّ  
من شعب تهمذان ، وكنيته أبو عمرو ، منسوب إلى شعبان بن عمرو ، وهو من  
رحمته ، فن كان منهم باليمن فهو حميريّ ، ويقال له شعبانيّ ، ومن كان بالعراق  
فهو همدانيّ ، ويقال له شعبيّ . وولد لست سنين من خلافة عمر رضى الله عنه .  
سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة  
رضوان الله عليهم أجمعين ، وهو كوفيّ ، وبه يُضرب المثل في الحفظ ، فيقال :  
أحفظ من الشعبيّ .

وقال الزهريّ : العلماء أربعة : سعيد بن المسيّب بالمدينة ، وعامر الشعبيّ  
بالكوفة ، والحسن البصريّ بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقال ابن شُبْرُمة : سمعت الشعبيّ يقول : ما كعبتُ سوداء في بيضاء إلى

يومي هذا ، ولا حدثني رجل قطّ بحديث إلا حفظته ، ولا أحببتُ أن يُعيدَه عليّ .  
وقال الشعبي لأصحابه : ما أروى شيئاً أفلّ من الشعر ، ولو شئت لأشدتكم  
شهر الأعياد .

وكان الشعبي فقيهاً عالماً حافظاً أدبياً ، وقال : لولا ما زوجت في الرحم  
ما قامت لأحدٍ معي قائمة .

وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابث إلى رجلا يصُنع للدين والدنيا ،  
أنتخذه سميراً وجليساً ، فبث إليه بالشعبي ، فلما دخل عليه وجده مغتماً ، فقال :  
ما بال أمير المؤمنين ؟ قال ذكرت قول زهير<sup>(١)</sup> :

كأني وقد جاوزتُ نسمين حجةً      خلعتُ بها عني عذارَ لجابي  
رمتني بناتُ الدهر من حيث لا أرى      فكيف بمن يرّمي وليس برام  
فلو أنني أرتي بنبلٍ رموتها<sup>(٢)</sup>      ولكنني أرتي بنير سهاى  
على راحتين تارة وعلى المصا      أنوه ثلاثاً بدمعن قوساي<sup>(٣)</sup>

فقال له الشعبي : ليس كذلك ، ولكن كما قال ليهود بن ربيعة :

كأني وقد جاوت سبعين حجةً      خلعت بها عن منكبي ردائها<sup>(٤)</sup>  
فلما بلغ سبعاً وسبعين ، قال :

(١) الأغانى « أصبحت كما قال عمرو بن قيسه » .  
(٢) الأغانى « فلو أنها نبل إذا لا تقيتها »  
(٣) موضعه في الأغانى :

وأهلكني تأميلُ يوم وليلةٍ      وتأميلُ عامٍ بعد ذلك وعامٍ

(٤) ملحق ديوان لبيد ٣٦١

بانت تشكى إلى الموت مجهشة<sup>(١)</sup> وقد حلتك سبها بعد سبمينا  
فإن تراخت ثلاثاً تهلني أماً<sup>(٢)</sup> وفي الثلاث وقلا لثمانينا  
فلما بلغ التسمين ، قال :

وَلَقَدْ سَمِيتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعَنَيْتُ سَبَقًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ  
وَسؤال هذى الناسُ كيف ليهد<sup>(٣)</sup> لو كان للنفس الجوج خلودُ  
فلما بلغ عشرين ومائة ، قال :

أليس ورأى إن تراخت منيقي أخيراً أخبارَ القرون التي مَضَتْ  
لزومُ العصا تُحْفَى عليها الأصابع<sup>(٤)</sup> أنوه كأنى كلما قت راعم<sup>(٥)</sup>  
فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة ، فقال :

نمقى ابتغى أن يبش أبوهاً قوماً فقولا بالذى أنا أهله  
وهل أنا إلا من ربهمة أو مضر<sup>(٦)</sup> ولا تخميشاً خذاً ولا تخلفاً شمرُ  
أضاع ولا خان الخليل ولا غدرُ إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما  
ومن يهك حولاً كاملاً قد اعتذر

(١) الأغاني :

• قامت تشكى إلى الموت مجهشة •

(٢) الأغاني « فإن تزدى ثلاثاً » .

(٤) ديوانه ١٧١

(٣) ديوانه ٣٥

(٥) الديوان :

• أدبُ كأنه كلما قت راعم •

(٦) ديوانه ٢١٣ ، وبعده في الديوان :

ونامحتان تندبان بماقل وفي ابني نزار أسوة إن جزعتما  
أخاتقة لا عين منه ولا أثرُ وان تسألأم نخبرافيهم الخبزة  
دعائمُ عرش خانه الدهرُ فانقر

قال الشعبي: فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يمشيها<sup>(١)</sup>.  
وقال الحريري في الدرّة: حدثني أحد شيوخي أن ليل الأخيلىة كانت  
تسكلم بلغة بهزاء، فتكسر حرف المضارعة، فتقول: «أنت تَظلم» فاستأذنت يوما  
على عبد الملك بن مروان وبمضرتة الشعبي، فقال: أناذن لى بأمر المؤمنين  
في المنع منها؟ فقال: اقل، فلما استقرّ بها المجلس قال لها الشعبي: يا بلي،  
ما بال قومك لا يكتبون! فقالت: ويحك أما نكتفى - بكسر النون - فقال: لا والله  
ولو فعلت لاغتسلت، فنجلت عند ذلك، واستفرق عبد الملك في الضحك.

الأصمى: وجه عبد الملك الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمور، فاستكبر  
الشعبي، فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى  
عبد الملك حمله رقعة لطيفة، وقال له: إذا بلغت صاحبك جمع ما يحتاج إلى معرفته  
من ناحيتنا فادفع إليه هذه الرقعة، فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى  
ذكره، ونهض. فلما خرج ذكر الرقعة، فرجع فقال: بأمر المؤمنين إنه سحلي  
إليك رقعة أنسيها، فدفنها إليه ونهض فقرأها عبد الملك، وأمر برده فقال:  
أعلمت ما في الرقعة؟ قال: لا، قال: فيها عجب من العرب كيف ملكت غير  
هذا! أفترى لم كتب إلى بهذا؟ قال: لا، قال: حسدى عليك، فأراد أن يغرّبي  
بقتلك، فقال الشعبي: لوراك بأمر المؤمنين ما استكبرني. فبلغ ذلك ملك الروم،  
فذكر عبد الملك وقال: لله أبوه! والله ما أردت إلا ذلك.

وكان الشعبي خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج، فلما هزم  
عبد الرحمن أتى به موثقا مع الأسرى، وكان حكم الحجاج فيهم: من أقر أنه  
كافر أبقاه، ومن أقر أنه مسلم قتله. قال: فلما جئت باب القصر لقيني يزيد  
ابن مسلم كاتبه، فقال: إنا لله يا شعبي، لسا بين دفتيك من العلم! وليس

(١) الخبر والشعر في الأغاني، ١٨، ١٤٣.

بيوم شفاعة، قلت له: وما المخرج؟ فقال بؤ للأمير بالشرك والذفاق، وبالحرى أن تدجو، فلما دخلت على الحجاج قال لي: وأنت يا شعبي ممن حرج علينا! قلت: أصلح الله الأمير! أخزن بنا المنزل، وأجدب بنا الجناب، واستخلصنا الخوف، وضاق الملك، وخطبتنا<sup>(١)</sup> قتنة، لم نكن فيها بررة أولياء، ولا فجرة أقوياء، قال: لله أبوك! لقد صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا، ولا قويتهم. خلوا سبيلهم.

وكلم ابن مهيبة في قوم حبسهم، فقال: إن كنت حبستهم بباطل، فالحق يطبقهم، وإن كنت حبستهم بحق، فالعفو يسعهم.

ودخل عليه رجل من النواكبي، وهو جالس مع امرأة، فقال: أئبكا للشعبي؟ فقال له: هذا، فقال: ما تقول أصلحك الله في رجل شتمني في أول يوم من رمضان هل يؤجر؟ فقال له الشعبي: أما إن كان قال لك: يا أحمق، فأرجو له الأجر.

وسأله آخر، فقال: ما تقول في رجل أدخل إصبه في أنفه في الصلاة، فخرج عليها دم، أترى له أن يحتجم؟ فقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة. وسأله آخر: كيف كانت تسمى امرأة إبليس؟ قال ذلك نكاح لم يشهده ودخل الحتام فرأى داود الأودي بلا مئزر، فتمض عينيه، فقال له داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ فقال: مذ هتك الله سترك. ومات في سنة أربع ومائة وهو ابن اثنين وثمانين سنة.

[ ذكر الخليل بن أحمد ]

والخليل رحمه الله هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي، ينسب إلى فراهيد بن مالك بن قثم بن عبد الله بن مالك بن نصر الأزدى، ويقال: السخمي. واليحمد بن بطن من الأزد.

وكان الخليل من أزهد الناس وأعلام نفساً ، وأشدّهم تعمقاً ، ولقد كان الموك بقصدونه ويعمر فون إليه لئمال منهم ، فلم يفعل ، وكان يعيش من بُستان له خلقه عليه والده ، وكان يفزو سنة وبهج أخرى ، حتى جاءه الموت .

محمد بن حميد ، قال : تزوّجت إلى جبران الخليل ، فنزلت عليهم ، فكنت أسمع قرآن الخليل طول الليل ، فقالوا لي : ما عرفنا من هذا الرجل إلا ما ترى ، وإنه لهضب عتافي غزوي وحيج فتعوحش إليه ، وقالوا : لا يجوز الصراط بعد الأنبياء والصحابة أدقّ ذهنًا من الخليل . وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم أبيه ، لأنه أوّل من تسمّى بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو عاصم : دخلت عليه قبل وفاته بأيام ، فقال : والله ما فلت قطّ فملا أخاف على نفسي منه وكان لي فضل ففكر ، صرفته إلى جهةٍ ودِدت أني كنت صرفته إلى غيرها . وما علمت أني كذبت متمتداً قطّ ، وأرجو أن ينفر الله لي العاؤل .

واجتمع أدياء من كل أفاق ، فجعل أهل بلد يرفمون علماءهم ، ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل ، فلم يبق أحد إلا قال : الخليل أذكى العرب ، وهو مفقاح العلوم ومصرفها .

الغضر : ما رأى الراهون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه . وكان أشعث الرأس ، شاحب اللون ، قشيف المهمة ، معترق الثياب ، متتلع القدمين ، مغموراً في الناس لا يُعرف .

محمد بن الفضل : كان بالهجرة رجل يعطى دواء لظلمة البصر ، فونتفع به الناس ، فمات فأضّر ذلك بمن كان يستعمله ، فدُكر للخليل فقال : أله نسخة ؟ فقالوا : لم نجدها ، قال : فهل كان له أنية يعمل فيها ؟ قالوا : نعم ، إناء يجمع فيه أخلاطاً ، قال : فجيئوني به ، ففعل يتشتمه ، ويخرج نوعاً نوعاً حتى

أخرج خمسة عشر نوعاً ، ثم سأل من جمعها ومقاديرها فمره من كان يعالج مثله فعله ، وأعطاه الناس ، فانتفعوا به مثل تلك المنفعة . ثم وجدت النسخة في كُتُب الرجل ، فإذا فيها ستة عشر خلطاً ، فلم يقل إلا عن خلط واحد .

وكتب إليه ملك اليونان كتاباً باليونانية ، فحلا به شهراً حتى فهمه ، فقيل له في ذلك ، قال : قلت : لا بد أن يفتح الكتاب باسم الله تعالى وما أشبهه ، فهبت أول الحروف على ذلك حتى انقاست لي .

المنذر بن شميل . جاء رجل من حلقة يونس ، فسأل الخليل عن شيء ، فأطرق بفكر ، فقالوا له : ما هذا مما يحتاج إلى فكر يفكر فيه ؟ فقال لهم : فما الجواب عندكم ؟ قالوا : كذا ، قال : فإنه يزيدكم في الجواب كذا ، قالوا : يقول كذا ، يقول : كذا ، فاقطموا ، فقال : ما أجبت بجواب قط إلا وأنا أعرف آخر ما على فيه .

وكان يخرج من منزله فلم يشعر إلا وهو في الصحراء ، ولم يردّها لشغله بالفكر .

وقال المنذر : سمعت الخليل يقول : الأيام ثلاثة : فمهود وهو أمس ، ومشهود وهو اليوم ، وموهود وهو غد .

وقال الخليل : إذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به نحول بالفارسية .

ورأى مع رجل دقراً وفيه خط دقيق ، فقال لصاحبه : أبيت يا هذا من طول عمرك !

وقال : إن لم تعلم الناس نوباً فعلمهم ليعلمهم بتعليمهم عليك ، ولا تجزع من تفرع السؤال ، فإنه يذهبك على علم ما لم تعلم .

وقال : أ كثر من العلم لفهم ، واختر قليلا منه لتحفظ .

وكان يقول : إذا خرجتُ من منزلي لقيتُ أحدَ ثلاثة ، إما رجلاً أعلم بشيءٍ مني ، فذلك يوم فائدة ، أو مثل ذلك يوم مذاكرة ، أو دُونِي فذلك يوم ثواب .

وقال : من الناس مَنْ يدرى ويُدري أنه يدرى ، فذلك عالم فاتبعوه ، ومنهم مَنْ لا يَدري ولا يَدري أنه لا يَدري ، فذلك جاهل فاحذروه ، ومنهم مَنْ يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك ضالٌّ فأرشده .

وكان يقول : إذا أردت أن تعلم خطأ مملتك من صوابه فجالس غيره .  
وقال : أنا أول مَنْ سُمِّي الأوعية ظروفاً ؛ لأنها جُعِلت ظرفاً للأدب والنظافة .  
وقال : أدركت بعض ما أنا فيه بأطراح الحشمة بيني وبين الملمين ، وَمَنْ رَقَّ وجهه في طلب العلم رَقَّ علمه .

وقال : إذا أخطأ بمحضرتك مَنْ تعلم أنه يأنف بإرشادك فلا ترد عليه خطأه ، فذلك إذا نبتته على خطئه أسرعت إفادته ، واكتسبت هدوته .

وقال : اجمل ما تكتب بيت مال ، وما في صدرك للفقرة .

وقال : العلوم أفعال والسؤالات مفاتيحها .

وقال : الناس في سجن ما لم يمازحوا .

وقال : الرجل بلا صديق ، كاليمين بلا شمال .

وقيل له : إن استفساد الصديق أهونُ من استصلاح العدو ، قال : نعم ، كما أن تخريب الثوب أهونُ من نسجه .

وقيل له : ما الجود ؟ فقال : بذل الجهود ، قيل له : فما الإهد ؟ قال : ألا تطلب المفقود ، حتى تفقد الموجود .

وقال : الدنيا أمدّه والآخرة أبد .

( ٢٠ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



وقال: حسب امرئٍ من الشرِّ أن يرى في نفسه فساداً لا يصلحه ، ومن علم بفساد نفسه علم بإصلاحها، وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب إلى غير توبة ولا إقلام منه .

وقال : الدنيا أصدقاء معجورة وأشياء متباينة ، وأقارب مقابدة ، وأباعد مقاربة .

وقال : ثلاثة أشياء أنا أحبها لنفسى ولن أحب ربه : أحب أن أكون بينى وبين ربي من أفضل عباده ، وأكون بينى وبين الخليفة من أوسطهم ، وأكون بينى وبين نفسى من شرِّهم . وقال عبد الله بن داود : لو كتب شيء بالذهب لكتب هذا .

ونظر في فقه لأبي حنيفة ، فقيل له : كيف ترى؟ فقال : أرى جداً وطريقاً جداً ، ومحن في هزل وطريق هزل .

وقال عبد الله بن داود : لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب ، وإنه ليهن أخصاص البصرة ، يزهد فيما يرغب فيه .

وقال : ثلاثٌ يُنسين المصائب : مَرَّ الغيالي ، والمرأة الحسناء ، ومحادثة الرجال .

التنصر : سمعت الخليل يقول : التواني إضاعة ، والحزم بضاعة ، والإنصاف واحة ، والجاج وقاحة .

وكان له غلام كثير الخلاف عليه ، فقال له يوماً : قُمْ ، فقال : لا أقوم ، فقال : اقم : فقال : لا أقم ، قال : فأى شيء تصنع ؟ قال : لا أصنع شيئاً . ويشبه هذا قولُ الشاعر في امرأته :

سكتُ فقالتِ لم سكتَ من الحقِّ      وقلتُ فقالت: مادعاك إلى التثني<sup>(١)</sup>  
 فأومأتُ هل من حالةٍ بين ذاوذا      قالت وذا الإيماء أيضاً مع الخني  
 فلم أرى إذ حلت الغربَ راحةً      من الشرِّ إلا في المروب إلى الشرقي  
 لما أنيت الشرقي أفيئها به      وقد قدمت لي منه في ضيق الطريقي

ولإنما أكثرنا من أخباره لأنها آداب ، وحكمٌ من اتقى بها اعدى ،  
 وما تركناه من أخباره أكثر ، وذكر النحو والعروض مؤخر إلى المحسن إن  
 شاء الله تعالى :

ولقدّمته في الدم ضربت العمراء به النمل ، فمن ذلك قول أبي تمام يهجو  
 ههناش بن لهيعة :

ولو نشر الخليلُ له لعمتُ      بلادته على فطنِ الخليل<sup>(٢)</sup>  
 فما أدري حماني من رشادي      دعاني أم حماك من الجويل

وقال آخر :

يا مَنْ يزيدُ نَمُومًا      وتباخُضًا في كل لحظة  
 واقه لو كفت الخليلَ      لما رَوينا عنك لفظه

وأشدد المبرد :

لم تدري ما علمُ الخليلِ ففتدي      ببيان ذاكِ ولا حدودَ المديانِ

وقال المعري :

إذا قيل نُسكٌ فالخليلُ ابنُ آزرٍ      وإن قيل فهمٌ فالخليلُ أخو القومِ

ابن مزاحم الشاعر: كان الخليل صديقاً لي ، فدخلت عليه يوماً ؛ فقال: أجز

رأيت غنى الإنسان نفساً زكوة

قلت :

• مُطَهَّرَةٌ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وَبَاطِلٍ •

قال :

• نَفِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مَدِيحٌ وَرُفْعَةٌ •

قلت :

• وَخَيْرٌ عَظِيمٌ عَاجِلٌ بَعْدَ آجِلٍ •

قال : والله جئت بما في نفسي ، ثم قال :

كَأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ خَامَرْتَ قَلْبِي جِئْتَ بِمَا شَقَّيْتَ بِهِ الْغَلِيلاً

رَأَيْتَ بَرَاعَةَ الْإِبْجَازِ أَشْفَى فَصَارَ كَثِيرٌ غَيْرِكَ لِي قَلِيلاً

وله :

العلم يُذَكِّي عَقولاً حين يصبُّها وقد يزيدُها طولَ العجائبِ

وذو العادِبِ في الجهلِ مغربٌ بَرَى وَيَسْمَعُ أَوَانَ الْعَجَائِبِ

وكان صديق سايان بن حبيب ، وأنشده الشعراء ، فنشغل عنهم سليمان ،

فذكروا ذلك لخليل فكتب إليه :

لا تقبلن الشمر ثم تفتنه وتنام والشعراء غير نيام

واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكام

وجناية الجاني عليهم تنفسي وكلومهم تنبي على الأبيام

• • •

## [ ذكر جرير ]

وأما جرير فهو ابن عطية بن الخطّاق. شاعر من فحول العرب ، وانفتحت  
 للعلماء على أن أشعر الإسلاميين جرير والفرزدق والأخطل ، وأكثُرهم على  
 تفضيله عليهما . وسأذكر لك شيئاً من غزله وهجوه ، نستدلّ به على منزلة  
 شرفه في الشعر : ورايت أمه وهي حامل به كأنها ولدت جهلاً من شجر أسود ،  
 فلما سقط جعل ينزّو ويقع في عنق هذا فيهنّقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة ،  
 فانتبهت فازمة فأولت الرّؤيا ، فقول لها : تلهين غلاماً شاعراً ذا أسيرٍ وشدة  
 وشكبة وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمته جريراً ، باسم الجهل الذي رأته ، فهاجاه  
 ثمانون شاعراً ، فذأبهم .

وقال جرير : ماعشقتُ ولوعشيتُ لنسبت نسبيها تسمه المعجوز فبهكي على  
 حاقنا من شباهها . قالوا : وأرق ما جاء في النسيب قوله :

إنّ العميون التي في طرفها حورٌ      قتلنا ثم لم يجهن قتلانا<sup>(١)</sup>  
 يضرّ من ذا اللبّ حتى لا حراك له      ومن أضعف خلق الله أركاننا  
 أنصمهم مُقلّة إنسانها غرقٌ      هل ما ترى تارك لعين إنسانا

ومثل هذا أوجب على الحريري أن يذكر جريراً بالفضل ، وإلا فقد أخذ  
 عليه في ذكر جرير بالفضل ، وإنما الذي اشتهر في زمانه بالفضل مثل عمر بن أبي  
 دبيعة وكثير عزة وبجميل وقيس بن ذريح وأمثال هؤلاء ، وإنما اشتهر جرير  
 بالمدح والمجهر ، ولا نطباها قد جاء في شعره من الفزل الرقيق كثير ، وإن كان  
 عسكنا إذ لم يشق . قال الجاحظ : كان للفرزدق مشهوراً بالنساء ، ومع ذلك

(١) دابره ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، وفيه ، « في طرفها مرض »

فليس له بيت واحد في النسب ، وكان جرير عفيفاً لم يمشق امرأة قط ، ومع ذلك فهو أغزل الناس شعراً .

وسئل الفرزدق عنه ففتنس حتى كادت حيازيمه تنشق ، ثم قال : قاله الله ! فما أحسن ناحيته وأشر دافيته ، والله لو تركوه لأبكي الشابة على أحبائها ، والمعجوز على شبائها ، ولسكنهم هزوه فوجدوه عند المراهش ناجحاً ، وعند الجراء قارحاً ، ولقد قال بيتاً ، لأن أكون قلقة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، وهو :

إذا غضبت عليك بدو نعيم  
حسبت الناس كلهم خضاباً<sup>(١)</sup>

وقال مسعود بن بشر : قلت لابن معاذ : من أشمر الناس ؟ قال : من إذا شئت جدته ، وإذا شئت لبع ، وإذا شئت أطمك لبعه ، وإذا رمقته بعد عليك ، وإذا جدت فيما قصد له آيسك من نفسه . قلت : مثل من ، قال : مثل جرير إذ يقول حين لبع :

إن الدين غدواً بلبك غادروا  
وشلاً ببعنك لا يزال مميهاً<sup>(٢)</sup>  
غيبضن من عبرتهن وقلن لي  
ماذا لقيت من الهوى واقبنا !  
ثم قال حين جدت :

إن الذي حرم المسكرم نفلها  
جمل الخلالة والعبوة فيها<sup>(٣)</sup>  
مضر أبي وأبوللوك فهل لكم  
لاخزر تغلب من أبي كائنا  
هذا ابن عسي في دمشق خليفة  
لو شئت فادكم إلى قطينا

(٢) ديوانه ٥٧٨

(١) ديوانه ٧٨

(٣) ديوانه ٥٧٨ ، ٥٧٩

فلما بلغ عهد الملك هذا، قال: ما زاد ابن للرافة أن جعلني شرطياً له أما إنه  
وقال: « لو شاء ساقمكم » لستقمهم إليه كما قال .

ونزل الفرزدق حين قدم على الأخوص فقال: ماتشهي؟ قال شواء وظلاً  
وغناء، قال: ذلك لك، ومضى به إلى قينة فمفتته:

ألا حتى الدار بسند إني أحب حب فاطمة الديار<sup>(١)</sup>  
إذا ما حلّ أهلك بأسلمى بدارة صلصل شحطوا مزاراً<sup>(٢)</sup>  
أراد الظالمون ليعرّموني فهاجوا صدع قلبي فاصطاراً<sup>(٣)</sup>

فقال: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز! قال: أو تدرى ابن هذا؟ قال:  
هو لجرير يهبوك، قال: وبل لابن الرافة! ما كان أحوجهم عقافه إلى صلابه  
شعري، وأحوجني مع فسوق إلي رقة شعره، وفي الفرزدق منها:

وكنّت إذا نزلت<sup>(٤)</sup> بدار قوم رحلت بمخزّية وتركت هاراً

وقال جرير:

لقد طال كتمانى أمامة حبّياً فهذا أوان الحبّ تَبْدُو شواكُله<sup>(٥)</sup>  
وإني وإن لام الموائل مولعٌ بحبّ الغضامين حبّ من لا يزاله  
ولما استقرّ الحبّ ألتت بي العاص<sup>(٦)</sup> ومات الهوى لما أصبحت مقاتله  
وقلن تزوّج لا يكن لك حاجة<sup>(٧)</sup> وقلبك لا تشغل وهنّ شواغله

(١) ديوانه ٢٨٠

(٢) الديوان: « المزارا »

(٣) الديوان: « ليجزوني » .

(٤) ديوانه ٤٧٨

(٥) الديوان:

(٤) الديوان: « حلت » . .

• فلما التقى الحَيانِ النَيْبِ المصا •

(٧) الديوان:

« وقلن تزوّج لا تكن لك ضيمة »

وقال أيضاً :

يا أخت ناجيةً السلام عليكِ  
لو كنت أعلم أن آخر مهديكم  
قبل الرحيل وقبل يوم المذل<sup>(١)</sup>  
يوم الفراق فلتُ مام بفعلٍ  
وقال أيضاً :

بفسي من نجته عزيز  
ومن أمس وأصبح لا أراه  
على ومن زيارته ليام<sup>(٢)</sup>  
ويطرقني إذا هجع النيام  
أذكر إذ نودنا سلمي  
بفرع بشامة ستي البشام  
وقال أيضاً :

لا تكترن إذا جعت تلومي  
كان الخليل ثم الخليل فزايلوا  
لا يلبث القرناء أن يفرقوا  
لا يذهبن بفك الإكثار<sup>(٣)</sup>  
ولقد تهدل بالدار ديار  
وليل يسكر عليهم ونهار  
ومن هجوه في الراي :

ففض الطرف إنك من نعيم  
ومندما قال هذا البيت وثب قائماً حتى أصاب السقف رأسه ، وقال :  
فلا كهبا بلفت ولا كلاباً<sup>(٤)</sup>  
أخريته والله وغصصه ، وقد تم أخويه عليه ، والله لا يفلح بعدها ، وكان كما قال ،  
ما أفلح بعدها هو ولا نعيم .

وقال في جندل بن الراي :

أجندل ما تقول بنو نعيم  
إذا ما الأيرني است أبوك فابا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٤٤٣ :

يا أم ناجيةً السلام عليكِ  
قبل الزواجر وقبل يوم المذل<sup>(١)</sup>

(٢) ديوانه ٥١٢ .

(٤) ديوانه ٧٥ .

(٣) ديوانه ٢٠١ .

(٥) ديوانه ٧٥ .

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف ، فلما بلغ إلي قوله :

• تَرَى بِرِصًا بِأَجْعِ إِسْكَنْبِيهَا •

وضع الفرزدق يده على فيه ، وغطى منفته فقال :

• كَتَفَنَقَةَ الْفِرْزَدِقِ حِينَ شَابَا •<sup>(١)</sup>

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخزِه ، ولقد طلت حين بدأ البيت  
الألّا يقول غيرها ، ولكن طمعتُ ألا تأتيه .

وقال في ابن جلا :

تَمَرَّضْتُ نِيْمَ لِي هَدَا لِأَسْتَمِيهَا      كَا تَمَرَّضَ لَأَسْتِ الْخَارِي الْحَجْرِ<sup>(٢)</sup>  
بَانِيْمَ تَنِيْمَ عَدِي لَا أَبَالِكُمْ      لَا بَلَقِيْنَكُمْ فِي سَوْدَةِ عَمْرُ

وقال بذكر أمه :

تَقُولُ وَالْمَبْدُ مَسْكِينُ يُزَحَّرُهَا      رَفَقًا فِدَا لَكَ أَنْتَ الْفَاكِحُ الذِّكْرُ<sup>(٣)</sup>

وبينا جرير ينشد في زوجته :

لَوْلَا الْحِيَاءُ لَمَادَنِي اسْتَعْبَارُ      وَلَزَرْتُ قَبْرِكَ وَالْحَيْبُ يُزَارُ<sup>(٤)</sup>  
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجْبِعُ فِرَاشَهَا<sup>(٥)</sup>      كَتِمَ الْحَدِيثُ وَعَفَّتِ الْأَمْرَارُ  
لَا يَلِيْتُ الْقِرْنَاءُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا      لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

إذ طلع الأصوص قطع إنشاده ، ورفع صوته ، يقول :

عَوَى الشَّعْرَاءُ بِمَعْضَمٍ لِبَعْضٍ عَلَى فَقْدِ أَصَابِهِمْ انْتِقَامُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ٦٩

(٢) ديوانه ٢٨٣

(٣) ديوانه ٢٨٦

(٤) ديوانه ١٩٩ ، ٧٠١

(٥) الديوان : « هَجَرَ الظَّلِيلُ فِرَاشَهَا » .

(٦) ديوانه ٥١٣ ، الأغاني ٨ : ٦٥



إذا أرسلتُ صاعقةً عليهم رأوا أخرى تمزق فاستداموا<sup>(١)</sup>  
فصطلم<sup>(٢)</sup> للسامع أو خصي<sup>(٣)</sup> وآخر عظم هامته حطام

ثم عاد . فقيل : لم فلت هذا ؟ قال : إني نهوت الأحوص أن يمين الفرزدق [على<sup>(٤)</sup>] وإني والله بابي عمرو بن عوف مانعوت من شاعر قط ، ولولا حكم مانعوت منه .

الأصمعي : حدثني أبي قال : رأى رجل جريرا في اللثام ، فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : خفرتي ، قال : بماذا قال بتكبيره كبرت الله في الحرم . وهو ماء بالبادية . قال : فما فعل أخوك الفرزدق ؟ قال : هيات أهلكه قذف الحصنات .  
قال الأصمعي : لم يدعه في الحياة ولا في المات ، وتوفي سنة أربع عشرة ومائة .

• • •

[ ذكر قس بن ساعدة الإيادي ]

وأما قس بن ساعدة الإيادي ، فيضرب به المثل في الفصاحة والخطابة ، فيقال : أبلغ من قس ، وهو أسقف نجران ، وهو من حكماء العرب ، وكان مؤمنا بالله ومبشرا برسوله ، وهو أول من خطب متوكفا على عصا ، وأول من كعب : من فلان إلى فلان ، وفيه يقول الأعمى :

وأنصح من قس وأجرى من الذي بذى العين من خفان أصبغ خادرا<sup>(٥)</sup>  
ولما<sup>(٦)</sup> قدم وفد بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألم من رجل

(١) استداموا ، أي اخطروا .

(٢) مصطلم : مقطوع

(٣) من الأفاخي

(٤) في معجم البلدان : خر : لعب من أهراص المدينة .

(٥) البيت ليس في ديوانه

(٦) الخبر في الأفاخي ١٥ : ٢٤٦

كان فيهم نازلاً ، يقال له : قُسّ بن ساعدة الإباضي ، قالوا : هلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتُ بمكاذ يخطب على جبل له أوزق<sup>(١)</sup> وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا ، واسمعوا وعُوا ، من عاشر مات ، ومن مات فات ، وكلّ ما هرات آت ، لهلّ موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تقور ، وبهر يور . أمّا بعد ، فإنّ في السماء ظهراً ، وإنّ في الأرض لظهراً ، ما لي أرى للناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركوا كما هم فناموا . أقسم بالله قسّ قسماً حقاً ، فما حنث ولا أتم ، إنّ لله ديناً هو أرضى من ديننا ، هذا الذي عن عليه ، ثم قال أبيتاً ما أحفظها ، فقال رجل من الأنصار : أنا شاهد بارسول الله ، بأبي أنت وأمّي اقل : فأنشدنا ، قال : سمعته يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر  
أنا رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها تمضي الأصغر والأكابر  
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين هابر  
أيقنت أنّي لا محال حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> فيه هو قسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن أيدعان<sup>(٢)</sup> بن النخعي بن واثق بن الطمئان بن عبد مناة بن يقدم بن أنصى ابن دُعَمَى بن إِيَاد .

وكان يفتد على قيصر زائراً فيكرمه ويمعّظه ، فقال له قيصر : ما أفضل العلم ؟ قال : معرفة الرجل بنفسه ، قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف المرء عند حله ، قال : فما أفضل الأدب ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه : قال : فما أفضل

(١) الأوزق : الذي فيه سواد ويابس .

(١) الأغاني ١٥ : ٢٤٦ ط : د أرغان ، والثبت من الأغاني

المروءة؟ قال : قلة رغبة المرء في إخلاف وعده ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قُضِيَ به الحق.

ابن عباس رضى الله عنهما : وفد الجارود بن عبد الله في وفد عبد القيس ، وكان سيِّدا في قومه ، معظما في عشيرته ، فأمن وآمن قومه ، فسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بهم ، ثم قال : يا جارود ، هل في جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسًا؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا كنت من بينهم ، أفقر أثره ، وأطلع خبره ، كان قسَّ سبطًا من أسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحًا ، ذا شئمة حسنة ، عمَّر سبعمئة سنة ، يتفقَّر القفار ، ولا تيكُنُّه دار ، ولا يُقرُّه قرار ، يتحصَّى في تقفره بعض الطعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، يلبس للأسوح ويتبع السباح على منهاج المسيح ، لا يغير الزهانية ، مقرًّا بالوحدانية ، تُضربُ بمكثه الأمثال وتكشف به الأحوال ، وتقبَّحه الأبدال ، أدرك رأس الحواريين سمان ، فهو أول من ناله<sup>(١)</sup> من العرب وأعجب من تعبد في الحقب ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذَّر سوء المنقلب والمآب ، ووعظ بذكر الموت ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، الحسن الأنفاذ ، الخاطب بسوق عكاظ ، العارف بشرق وغرب ، وبابس ورطب ، وأجاج وعذب ، كأنى أنظر إليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالرب الذي هو له : ليبلغن السكباب أجله ، وليوفين كلَّ عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من هواه أدكارُ وليالٍ خلاطن نهارُ  
ونجوم يحتمها قمر الأئيل وشمس في كلِّ يوم تدارُ  
ضوءها بطمس العيون وإرعا د شديد في الخائفين مثارُ  
وغلام وأحسط ورضيع كلهم في القراب يوماً يزارُ  
وقصور مشيدة حوت الخيبر وأخرى خوت فهن قفارُ  
وكثير مما تقصرُ عنه حدسة الناظر الذي لا يحارُ

(١) ناله ، أى تعبد .

والَّذِي قَدْ ذَكَرْتَ دَلَّ عَلَى اللَّهِ نَفوساً لَهَا هَدْيٌ وَاعْتِبَارٌ  
 قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَى رِسَالِكَ يَجَارُودُ ، فَلَسْتُ أَنْسَاهُ بِمَوْقٍ  
 حَكَاظٌ ، عَلَى جِلِّهِ أَوْزَقٌ ، وَهُوَ بِتَسْكُوتِكُمْ بِكَلَامٍ مَوْتِقٍ ، مَا أُظِنُّ أَحْفَظُهُ ، فَهَلْ  
 فِيكُمْ لِمُعْشَرٍ لِلْهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ يَحْفَظُ لَنَا مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَوَثَبَ أَبُو بَكْرٍ قَائِمًا ،  
 وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَحْفَظُهُ وَكُنْتُ حَاضِرًا بِمَكَاظٍ حِينَ خُطِبَ فَأُطْنَبُ ،  
 وَرَهَبٌ وَرَغَبٌ ، وَحَذَرٌ وَأَنْذَرٌ ، وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَهُوَا ،  
 وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَاتْتَفِعُوا ، إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلَّ مَا هُوَ آتٍ  
 آتٍ ، مَطَارٌ وَنَبَاتٌ ، وَأَرْزَاقٌ وَأَقْوَاتٌ ، وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ ، وَأَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ ، وَجَمْعٌ  
 وَشَعَاتٌ ، وَأَيَّاتٌ بَعْدَ أَيَّاتٍ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ تَلْبِيرًا ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ آمِيرًا ، لَوْلَا  
 دَاجِرٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَأَرْضٌ ذَاتُ رَنَاجٍ ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ ، مَا لِي أَرَى  
 النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ أَرْضًا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَى كَوَا هُنَاكَ فَنَامُوا أ  
 أَقْسَمُ قَسْمًا بِاللَّهِ قَسْمًا حَقًّا لَا آتَمَّا فِيهِ وَلَا حَاتَمًا ، إِنْ لَمْ يَكُنْ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ  
 دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَنَبِيًّا قَدْ حَانَ حَيْثُهُ ، وَأُظْلِمَ كُمْ وَأَوَّاهُ وَأَدْرَكَكُمْ إِبَّانُهُ ،  
 فَطَوَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ فِهْدَاهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ ا ا ثُمَّ قَالَ : تَبَّ لِلْأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ  
 مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَالْمَقْرُونِ لِلْمَاضِيَةِ ا بِامْعَشَرَ لِإِيَادِ ، أَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَأَيْنَ  
 لِلرَّبِضِ وَالْعَمَوَادِ ، وَأَيْنَ الْقِرَاعَةِ الشَّدَادِ ؟ أَيْنَ مَنْ بِي وَشَيْدٍ ، وَزَخْرَفٍ وَنَجْدٍ ،  
 وَغَرَمِ الْمَالِ وَالرَّوَدِ ا أَيْنَ مَنْ نَبِيٍّ وَطَنِيٍّ ، وَجَمْعٍ فَأَوْحِي ، وَقَالَ : أَنَا رَبِّكُمْ الْأَعْلَى .  
 أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوَالًا ، وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَجَالًا ، وَطَحَنَتْهُمُ الثَّرَى بِكُلِّكَ ،  
 وَتَمَزَّقَتْهُمْ بِطَلْوَلِهِ ، فَتَلَّكَ عِظَامَهُمْ بِالْيَةِ ، وَيَبُوتَهُمْ خَاوِيَةً ، عَمَّرَتْهَا الذَّنَابُ الْعَاوِيَةَ .  
 كَلَّابٌ هُوَ لِلْمَبُودِ ، لَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الْقَاهِئِينَ الْأَوَّلِينَ . . الْأَيَّاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ . قَالَ : ثُمَّ جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ ، وَقَامَ رَجُلٌ ذُو هَامَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَقَامَةَ جَسُومَةٍ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ،  
 وَصَفْوَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ قَسَمٍ عَجِيبًا ؛ أَشْرَفَ بِي جِلِّي عَلَى وَاوِدِ ،

وشجر من شجر عاد ، مُورقة موقنة ، وقد تهطل أغصانها . قال : فدوت منه ،  
فإذا بُقس في ظل شجرة ، بيده قضيب من أراك يـسكت به الأرض وهو  
يقترنم ، ويقول :

بإناحي اللوت والمحدود في جدثٍ عليهم من بقايا خزّم خرق  
دعهم فإن لهم يوماً يطاح بهم فهم إذا انتهبوا من نومهم فرق  
حق يعودوا بحال غير حالهم خلتاً جديداً كما من قبلها خلتوا  
منهم عراةً ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهيج الخلق

قال : فدوت منه ، وسلّمت عليه ، فردّ على السلام ، وإذا بين خراة ،  
في أرض خوارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين ، بلوذان به ، وبتمتعان  
بأثوابه ، فأراه أحدهما أن يسبق إلى الماء ، وتبعه الآخر يطالب الماء ، فضربه فس  
بالتضيب ، وقال : ارجع تسكلتلك أمك احق يشرب الدمى ورو قهالك . فرجع  
ثم ورد بعده ، فقالت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبر أخوين لي كانا يعهدان  
الله معي في هذا المكان ، لا يشركان بالله شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتهما ،  
وهما أنا بين قبريهما ، حتى ألحق بهما . ثم نظر إلى السماء فتفرغرت عيناه بالدموع ،  
وانسكب عليهما ، وجمل يقول :

خَلَيْتِي هَبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدُّكَ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَامَا (١)  
ألم تملسا أني بسَمْعَانِ مفردٌ ومالي فيها من خليلٍ سواكما  
مقيم على قبرينكما لصتُ بارحاً طول الليلي أويجيب صداكما  
أبكمكما طول الحياة وما الذي يردّ على ذي عوالة إن بكما كما  
كأنكما والموت أقرب غاية بروحي في قبرينكما قد أنا كما

(١) الأغانى ١٥ : ٢٤٨

أَمِنْ طُولِ نَوْمٍ لِأَجْبِيَانِ دَاخِيًا    كَأَنَّ الْقَدَى يَسْقَى الْعَقَّارَ سَقَا كَمَا  
فَلَوْ جُمِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَابَةٌ    لَجِدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَا كَمَا  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ قَسَا، إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَبِيعَهُ اللَّهُ  
أُمَّةً وَحِدَةً» .

• • •  
[ ذكر عبد الحميد ]

وأما عبد الحميد ، فهو ابن يحيى بن حميد ، كاتب مروان بن محمد ، آخر ملوك  
في أمية ، وكتب أيضا للمنصور . وقول إنه قيل مع مروان .  
وكان رأسا في الكتابة ، ومقدما في الفصاحة والخطابة ، بليغا مرسلًا ، وقال  
فيه ابن هبدره : كتب عبد الحميد بن يحيى لعبد الملك بن مروان ، وكتب  
لسليمان بن عبد الملك ، وليزيد بن عبد الملك ، ثم لم يزل كاتبًا خلفاء بني أمية ؛  
حتى انقضت دولتهم <sup>(١)</sup> .

وعبد الحميد أول من فتق أكام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب  
الشعر <sup>(٢)</sup> .

وقال له مروان حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت أن تصد مع عدوي ،  
وتظهر الفدر بي ؛ فإن أعجابهم بأدائك بدموم إلى حسن الظن بك ، فإن  
استطعت أن تنفسي في حياتي ، وإلا لم تمجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي . فقال  
له عبد الحميد : إن القدي أشرت به على أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما لي ، وما عندي  
إلا الصبر حتى يفتح الله لي ولك ، أو أقتل معك . ثم قال :

أَمِيرٌ وَفَاءٌ ثُمَّ أَظْهَرَ خَدْرَةَ    فَنِي بِمَذْرُ بُوَيْسِجِ النَّاسِ ظَاهِرُهُ <sup>(٣)</sup>

(١) المقدم : ١٦٥

(٢) المقدم : ١٦٢

وعبد الحميد هو صاحب الرسائل والبلاغات ، وهو أول من أطلال الرسائل ، واستعمل العميدات في فصول الكتب ، واستعملت بعده ، وهو القائل :  
البلاغة تقرير المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام .

ولم يزل الشعراء ومهّرة الكتبة يضربون ببلاغته وكتابته الأمثال في كتبهم وأشعارهم في القديم والحديث ، كفضل الصاحب وقرنائه ، مع طابع تفتح ولفظ عذب ، وصلة نثر ينظم ، فإن شاء قال : أنا الوليد ، وإن شاء قال أنا عبيد ، وإن شاء قال : أنا عبد الحميد ، وإن شاء قال : أنا سعيد .

وقيل : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .



[ ذكر أبي عمرو بن العلاء ]

وأما أبو عمرو فهو ابن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ابن جَلْهَم بن خَزَامِي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم : واسمه وكنيته واحد في الأشهر .

الفنجدية : اختلف في اسمه على تسعة عشر قولاً ، فقيل : اسمه محمد أو حميد أو حماد أو عثمان أو سفهان أو غير ذلك ، وأصحها زَبَان .

واختلف في مولده ، فقيل : ولد سنة خمس وسعين بمكة في أيام عبد الملك ابن مروان : وقيل : سنة سبعمين .

أبو عبيدة : كان أبو عمرو أتمّ طوبلاً ضرب الديدن ، حاد النظر ، مارأيت مثله قبله ولا بعده في فهمه ولا عليه ، وكان صاحب غريب ونحوه ، وهو أحد الأئمة في القراءة ، وعنه أخذ يونس والأصمعي وأبو عبيدة . وفيه يقول الفرزدق :

ما زلتُ أغلقُ أبواباً وأنتحها حتى أنبتُ أبا عمرو بن عمارٍ  
وقال ابن مجاهد : كان أبو عمرو مقدماً في عصره ، عالمًا بالفراة ووجوهها ،  
قدوة في العلم باللغة ، إمام الناس في العربية .  
وكان مع ذلك متمسكاً بالآثار ، ولا يكاد يخالف في اختياره ما جاء من  
الأئمة قبله ، متواضعاً في علمه .

وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب  
وأنسابها وشمورها ، وكانت دياره ملء بيت ، فأما تنسك أحرقها ، وجعل على  
نفسه أن يحتم القرآن في كل ثلاث ليال ، فلما أسنّ اختلط بالناس ، واحتاجوا  
إليه فعول على حفظه ، فأتمى من حفظه كتب الناس ووقع عليه الإجماع .

روى الأصمعي عن أبي عمرو قال : كنتُ أسمر مع مسلم بن قنينة الباهلي  
وكان بمجبه الزوى على السين ، فأشده ليلة سبعين قصيدة على السين لستين شاعراً ،  
اسمهم عمرو .

الأصمعي : كان لأبي عمرو كل يوم من غلة داره قلصان : فلس يشتري  
به كوزاً ، وفلس يشتري به ربحانا ، يشرب في الكوز يومه ، ويشمُ الریحان  
يومه ، فإذا أمسى تصدق بالكوز ، وأمر الجارية أن تجفف الریحان وتدقه  
في الأشتان .

الأصمعي : قال أبو عمرو : كنت في ضيقتي ، فاشد على الحر ، فسكنت  
أدور في سدرٍ فيها نصف النهار ، فسمعت قائلاً يقول :  
وإن امرءاً دنياه أكبرُ همهُ لستمسكُ منها بجملٍ غرورٍ<sup>(١)</sup>

(١) الخبر والبيت في طبقات النحويين والنحويين لازبيدي ٣٣ .

( ٢٦ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



فقلت : إنسى أم جنى؟ فما أجابني ، فنقشته في خاتمي ، فكان نقش خاتمه .

الأصمعيّ : كنت واقفاً بالمرْبَد ، وإذا أنا بأبي عمرو ، فلما بصُر بي مال إلىّ ، فقال : ماوقوفك هنا يا أصمعيّ ؟ قلت : إني أحبّ المرْبَد وأكثُر الجلوس فيه ، فقال : الزمّه ، فإنه يشدّ النظر ويجلو البصر ، ويجمع بين ربيعة ومضر . ثم أردت الانصراف ، فقال : إلى أين يا أصمعيّ ؟ فقلت : إلى صديق لي ، فقال : إمّا لعائدة أو لعائدة أو لعائدة وإلا فلا . ثم قال لي : مالي أراك بلا عمامة ؟ قلت : لا همامة لي ، فنزع عمامته عن رأسه فدفعها إلىّ ، فكبرّ ذلك عليّ ، فقال لي : إن لي بدلها إحدى عشرة عمامة ، ثم قال لي : الزم العمامة ، فإنها تشدّ اللام ، وتحفظ الهامة ، وتزيد في القامة ، ثم استخرج من كُمّة كيساً فدفعه إلىّ ثم قال : يا أصمعيّ ، لازنم بخير مادتم تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، فإذا تركتم ذلك سخط الله عليكم أقواماً غلاظاً فظاناً ، خبّرتكم على قدر معرفتكم .

وأما قراءته وإعراجه المذكوران في القامة ، فإن شجاع بن نصر ، قال : قلت لأبي عمرو : كيف طلبت قراءة القرآن ؟ قال : لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما أنزل عليه ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : هرب أبي من الحجاج ، وأنا شابٌّ ، فقدمنا مكة ، فلقيت بها عدّة من التابعين يمتنّ قرأ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل مجاهد وسعيد ابن جبير ومطاء وغيرهم ، فقرأت عليهم القرآن ، وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باليمن ، فهذه التي أخذت بها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشدّد يدك بها .

وقال : خرج أبي هاربا من الحجاج إلى اليمن ، فإننا لندسير في الصحراء باليمن إذ لحقنا لاحقٌ يُبشِد :

رَبِّمَا نَجْزِعُ النَّفُوسَ مِنَ الْأُمُورِ لَهُ فَرْجَةٌ كَعَلِ الْعِقَالِ<sup>(١)</sup>  
 فقال له أبي : ما الخبر ؟ فقال : مات الحجاج ، فأنا بقوله : « فَرْجَةٌ » بفتح  
 الفاء أخذت مروراً متى يموت الحجاج ، فقال أبي : اصرف ركبنا إلى البصرة .

الفنجدية : رأيت في بعض الفوائد أن الحجاج قال لأبي عمرو : ما وجه  
 قراءتك : ﴿ إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً ﴾ بفتح الغين ؟ فقال : أبلغني ربي ، فقال :  
 قد أبلغتك الغرات . وقال : قائل الله ابن أم الحجاج ، لئن لم تأتني بالجواب إلى  
 خمسة عشر يوماً لأقتلنك شرّ قتلة ، ووكلت به موكلين ، فخرج أبو عمرو بطرف  
 في أحياء العرب ، فلم يجد له حجة إلى يوم وعده ، فجزه للموكلون به ليرجموه إلى  
 الحجاج ، فسمع راعياً ينشد : رَبِّمَا نَجْزِعُ النَّفُوسَ ... البيت ، فقال له أبو عمرو :  
 كيف تنشد هذا البيت : له فَرْجَةٌ أو فَرْجَةٌ ، فقال : فَرْجَةٌ وفَرْجَةٌ ، وكذلك كل  
 ما جاء على فَعْمَلَةٍ ، فلنا فيه ثلاث لغات ، فقال له أبو عمرو : فما سبب إنشادك  
 هذا البيت في هذا الوقت ؟ فقال : إننا كنا خائفين من الحجاج ، وقد بلغنا نعيه ،  
 قال : والله لا أدري بأيهما كنت أشدّ فرحاً ، بوجداني الجواب والحجة لقولي  
 واختهاري ، أم بموت الحجاج !

سفيان بن عيينة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت له :  
 يا رسول الله ، قد اختلفت عليّ القراءات ، فقراءة مَنْ تأمرني أن أقرأ ؟ قال :  
 بقراءة أبي عمرو بن العلاء .

وقال أبو العباس بن سريج : من أراد أن يتظرف فعلوه بمذهب الشافعي ،

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت ، وهو في اللسان ، ( فرج ) وذكر قبله :

\* لا تَضَيِّقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكشَفُ غَمَاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِمَالٍ \*

وقراءة أبي عمرو بن العلاء وشعر ابن المعتز ، فقهيل له : قد عرفنا مذهب الشافعي  
وقراءة أبي عمرو بن العلاء ، فأنشدنا من شعر ابن المعتز ما يوجب الظرف فأنشد :

كنت صهاجي قير عينٍ نصرتُ أمسي صريع بين  
بعين نفسي أصبتُ نفسي فإله بيني وبين عيني

وكان يقول : إتما نحن فيمن مضى ، كقبل في أصول نخل طوال .

وقال أبو عمرو : ناظرت عمرو بن عبيد في الوعيد ، فقال : إن الله تعالى  
لا يؤمدنا بشيء فيخلقه ، فقلت له : يا أبا عثمان<sup>(١)</sup> ، ليس لك علم بالآفة ، إن خاف  
الوعيد عند العرب ليس بخلف ، وأنشد :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لبيكذب إيمادي ويصدق مؤيدي<sup>(٢)</sup>

وقال أبو عمرو : كنت رأساً والحسن حتى . وتوفى بالسكوفة سنة أربع  
وخسين ومائة ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، وعلى قبره مكتوب « هذا أبو عمرو  
ابن العلاء مولى بني حنيفة » .

وإنما قيل هذا لأن أمه كانت من بني حنيفة .

أبو عبيدة : دخل أبو عمرو على ساجان بن عبد الملك ، فسأله عن شيء  
فصدقه فيه ، فلم يمجبه ما قال ، فخرج أبو عمرو وهو يقول :

أنت من اللّ عند اللوكِ وإن أكرموني وإن قرّبوا  
إذا ما صدقت لهم خفتهم ويرضون متى بأن يكذبوا

وقال أبو بكر بن مجاهد : رأيت أبا عمرو في المنام ، فقلت : ما فعل الله

(١) أبو عثمان كنية عمرو بن عبيد .

(٢) البيت كما في اللسان ( وعد ) لعامر بن الطليل ، وروايته .

• أخلف إيمادي ومُنجز مؤيدي •

بك؟ فقال لي : دعني مما فعل الله بي ، مَنْ أقام ببنداد على السنة والجماعة ومات ، نُقل من جنة إلى جنة .

### [ ذكر مناقب الأصمعي ]

وأما ابن قُريب ، فهو أبو سميذ عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمعي ، وإلى أصمعي هذا يُنسب . وأصمعي يُخَذُّ من بني قتيبة بن معن بن أعصر بن سميد بن قيس بن عيلان ، وبنو معن هُمُ بنو باهلة ، وباهلة امرأة من تهمدان تزوجت معنًا فذُنب ولده إليها . والأصمعي في اللغة الضاسر الذي ليس بمنفتح ، ومنه الصَّومعة لضمرها ، وتدقيق رأسها ، ومثله قولهم : جاء بثريرة مصممة ؛ إذا رققها وأخذ<sup>(١)</sup> رأسها ، وسهم متصمغ : متطاع بالدم ، فانضمت قذذه<sup>(٢)</sup> .

وكان الأصمعي حافظًا عالمًا فطنًا عارفاً بأشعار العرب وأخبارها ، كثير الطول بالبوادى لانهاس علومها وتلقى أخبارها ، فهو صاحب غرائب الأشعار ، وعبائب الأخبار ، وقدوة الفضلاء ، وقبة الأدباء ، قد استولى على الغايات ، في حفظ اللغات ، وضبط العلوم الأدبيات ، صاحب دين معين ، وعقل رصين ، وكان خاصًا بالرشيد ، أخذ الصلواته كثيرًا ، وقد تقدّم في هذا الكتاب من الحكايات المسندة إلى الأصمعي ، ما يدل على تبحره وحفظه .

ومن حكاياته عن أعرابه على ما أشار له الحريري هنا : حدث الأصمعي رحمه الله ، قال : أعرابي : حُسن التدبير مع الكفاف ، أ كفى من الكثير مع الإصراف .

الأصمعي : سمعت أعرابيًّا يقول : مَنْ كساه الحياه ثوبه ، أخفى على الناس هيبته .

(١) ط : د أخذ .

(٢) القذذ : جمع قذذ ، وهي ريش السهم .

الأصمعيّ: قال أعرابيٌّ: من اقتصد في الفنى والفقر ، فقد استعدّ لناثبات  
الدمر .

قال : وقال أعرابيٌّ : مداوة الحكيم أقلّ عليك ضرراً من مودة  
الجاهل منهم .

قال : وقال أعرابيٌّ : أعجزُ الناسَ مَنْ نُهر في طلب الإخوان ، وأعجز  
منه مَنْ ضيَّعَ مَنْ ظفِرَ به منهم .

وقال : تزوّج أعرابيٌّ إلى بعض الحاضرة ، فلما كان ليلة دخوله بها ، إذا  
هي أدماء مجدورة ، فخرج من البيت وهو ينشد ويقول :

زَوَّجْتَنِي أدماءَ مجدورةٍ كأنها من خَشَبِ البيتِ  
قُبُوعَةُ الوجهِ لها منظرٌ يفتر منه ملكُ الموتِ

قال : وجرى بين أعرابيٍّ وبين امرأته كلام بالمزبد ، فشقته ، فقال لها :  
اسكتي ، فوالله ما شريك بوارد<sup>(١)</sup> ، وما فوك ببارد ، ولا نديك بناهد ، ولا بطنك  
بوالد ، ولا الخير فوك بزائد ، ولا الشرّ فيك بواحد ، وما أنا لك بحامد ،  
ولا بمد موتك بواجد .

[ مجلس للأصمعيّ عند الرشيد ]

ونذكر بعد ذلك حكاياته المشهورة مع الرشيد ووزرائه ، ومحتمل طولها  
لما احتوت عليه من غرائب الآداب ، وكان مجاسَ مذاكرة بين أفراد ، فأظهر  
كلّ رجل منهم أفضل ما يذكر .

حدث الأصمعيّ قال : استدعاني الرشيد في بعض الايالي ، وقد تصرّمت  
قطعة من الايل ، فراهني رسله ، ولم أفأ أن مثلت بين يديه ، وإذا في المجلس  
يحيى بن خالد وجعفر والفضل ، فلما لحظني الرشيدُ استدعاني ، فدنوت منه ،

(١) الشعر الوارد : الطويل المتزسل .

فتبين ما لبسني من الوجع ، فقال لي : ائفريخ روعك ، فأردناك إلا ما يراد له منلك ، فكثت ههههه إلى أن ثابت إلى نفسي بمد أن كادت تطير شماعا ، فقال : إني نازعت هؤلاء القوم في أشعر بيت فالته العرب في التشبيه ، ولم يقع إجماعنا على بيت ، فأردناك لفصل هذه القضية ، واجتداء ثمرة الخطار<sup>(١)</sup> فيها . قلت : يا أمير المؤمنين ، إن التعمين على بيت واحد في نوع واحد - قد وسعت للعرب فيه ، وجملة مقلدا لأنكارها ، ومستراحا لخواطرها - لبعيد أن يقع النص عليه ، ولكن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس في قوله :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(٢)</sup>  
وفي قوله :

كَانَ هُوْرَنَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِنَا      وَأَرْحَانَا الْجَزْعَ الَّذِي لَمْ يَثْقُبِ<sup>(٣)</sup>  
وفي قوله :

وَلَوْ مِنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِي      وَجُرْحَ الْإِن كَجْرَحِ الْوَدِ<sup>(٤)</sup>  
وفي قوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا      سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ<sup>(٥)</sup>  
فالفتت إلى يحيى ، وقال : هذه واحدة ، قد نص على امرئ القيس أنه أبدعهم تشبيها . قال يحيى : هي لك يا أمير المؤمنين ، ثم قال لي الرشيد : فما أبدع تشبيهاه عندك؟ قلت : قوله بصف فرسا :

(١) الخطار : المراهنة

(٢) ديوانه ٣٨ ، والمخف : ردى التمر

(٣) ديوانه ٥٢ والجزع : الخرز

(٤) ديوانه ١٨٥

(٥) ديوانه ٣١

كَانَ تَشْوَقَهُ بِالضَّمِيِّ تَشَوُّفُ أَرْزُقِ ذِي مِخْلَبٍ (١)  
إِذَا قَرَعْتَهُ حَلَالٌ لَهُ تَقُولُ سَلَبْتُ وَلَمْ تَسْلِبِ

فقال : هذا حسن ، وأحسن منه قوله :

فَرَحْنَا بِكَابِنِ الْمَاءِ يُجَنَّبُ وَسَطْنَا تَصَوَّبَ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتَرْتَقِي (٢)

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ، ما هذا التحكم ؟ قال الرشيد : وكيف ؟ قال :  
يذكر أمير المؤمنين ما وقع اختباره عليه ، ونذكر ما اخترناه ، ويكون الحكم  
واقعا بعد ، فقال الرشيد : أسرحت ، فاستحسنها - يقال : أمرض الرجل : إذا قارب  
للصواب - ثم قال الرشيد : بل تبدأ يا يحيى ، فقال يحيى : أحسن الناس تشبيها  
: إضافة في قوله :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ (٣)  
وَفِي قَوْلِهِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمَقْأَى مِنْكَ وَاسِعُ (٤)  
وَفِي قَوْلِهِ :

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَوْثِيٌّ أَكَارَعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّقِيلِ الْفَرْدِ (٥)

فقال الأصمعي : أما تشبيهه مرض الطرف فحسن ، إلا أنه عجبه بذكره  
العلة ، وتشبيهه المرأة بالليل . وأحسن منه قول عدي بن الرقاغ العاملي :

وَكَانَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَائِمِ (٦)

(١) لم يرد هذان البيتان في ديوانه .

(٢) ديوانه ١٧٦ وفي ط : ب . بكأس الماء ، ، تصحيف صوابه من الديوان .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٤) ديوانه ٥٥ .

(٥) ديوانه ١٨ .

(٦) الخلاصة ٢١ .

وَسَقَانُ أَقْصَدَهُ النَّمَامُ فَرُنَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَابِسَ بِنَائِمٍ  
 وَأَمَا تَشْبِيهِ الْإِدْرَاكِ بِاللَّيْلِ ، فَقَدْ نَسَاوَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَمَا يَدْرُكَ كَانَهُ ، وَإِنَّمَا  
 كَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا لَيْسَ لَهُ قِسْمٌ ، حَقٌّ يَأْتِي بِمَعْنَى يَنْفَرِدُ بِهِ ، وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ :  
 إِنَّ قَوْلَ الْهَرَمِيِّ فِي هَذَا أَحْسَنُ ، لَوَجَدَ مَسَاغًا إِلَى ذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :  
 فَلَوْ كُنْتُ بِالْمَنْقَاءِ أَوْ بِسِنَامِهَا نَلَلْتُكَ إِلَّا أَنْ تُصَدَّرْتَنِي  
 وَأَمَا قَوْلُهُ :

\* طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ \*

فَالطَّرْمَاحُ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ أَخَذَهُ لِحُجُودِهِ وَزَادَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ النَّابِغَةُ  
 اخْتَرَهُ ، وَقَوْلُ الطَّرْمَاحِ :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَانَهُ سَوْفَ عَلَى شَرَفٍ يُسَلِّ وَبُغْمَدُ

فَقَدْ جُمِعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْتِمَارَةٌ لَطِيفَةٌ بِقَوْلِهِ : « وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ » وَتَشْبِيهُهُ  
 اثْنَيْنِ بِقَوْلِهِ : « يَبْدُو وَتُضْمِرُ » « وَبُسَلِّ وَبُغْمَدُ » ، وَجَمْعُ حَسَنِ التَّقْسِيمِ  
 وَصَحَّةُ الْمَقَابَلَةِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَاسْتَقْبَشَ الرَّشِيدَ وَبَرَقَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ ، حَتَّى خَلَّتْ بَرَقًا  
 يُومِضُ مِنْهَا ، وَقَالَ لِهَجِي : فَضَلُّتُكَ وَرَبَّ السَّكْمَةِ ، فَانْتَفَعَ بِحِجِّي ، فَكَانَ  
 الرَّمَادُ ذَرًّا عَلَى وَجْهِهِ ، قَالَ الْفَضْلُ : لَا تَهْجُلِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى أَمَرَ مَا قَلَّه  
 بِسَمْعِهِ ، فَقَالَ : قُلْ ، قَالَ : أَحْسَنُ النَّاسِ تَشْبِيهُهَا طَرَفًا فِي قَوْلِهِ :

وَوَجْهُهُ كَانَ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِذَاءَهَا عَلَيْهِ نَقَى الْوَلُونَ لَمْ يَتَخَذُوا<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٣١٠ (ضمن مجموعة مخار الفعري الجاهل) وقط : « يتجدد » بحريف .



وفى قوله :

بشق حباب الماء حيزومها بها      كما قسم الترب المغايل باليد<sup>(١)</sup>

قال : قلت : هذا حسن وغيره أحسن منه ، قد شرکه في هذا المني جماعة من الشعراء ، وبعد فطرفة صاحب واحدة ، لا يُقطع بقوله مع التجوز ، وإنما يمد من أصحاب الواحدة قال : ومن أصحاب الواحدة؟ قلت : الحارث بن حنظلة في قوله :

آذنتنا بينهما أَسْمَاهُ      رَبُّ نَاوِيْمِلُ مِنْهُ الشَّوَاهُ<sup>(٢)</sup>

والأسعر الجعفي في قوله :

هل دان قلبك من سُلَيْمِي فَأَشْفِي      ولقد عنيت بحبها فيما مضى<sup>(٣)</sup>

والأنوف الأودي في قوله :

إِن تَرَى رَأْمِي فِيهِ تَذَعَّ      وشواني خلة فيها دوار<sup>(٤)</sup>

وعليمة في قوله :

• طحأبك قلب في الحسان طروب<sup>(٥)</sup>

وسويد بن أبي كاهل في قوله :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلَ لَنَا      فوصلنا الحبل منها فأتسع<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ٣٠٩ .

(٢) مطلع المعلقة ٤٣٣ - بشرح ابن الأنباري .

(٣) لم يرد في مقصورته الأصمعية ٤٤٤ .

(٤) ديوانه ١١٤ ( مجموعة الطرائف الأدبية )

(٥) مطلع قصيدته الباشقة ٤١٨ ( مختار الشعر الجاهلي ) وبقية :

• يعبد الشباب عصر هان مشوب<sup>٦</sup>

(٦) مطلع قصيدته المفضلة ص ١٩١ .

ومرو بن كلثوم في قوله :

ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِيْنَا وَلَا تُنْبِئِي خَمْرَ الْأَنْدَرِيْنَا<sup>(١)</sup>

ومرو بن معد يكرب في قوله :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّامِي السَّمِيعِ بُورَفَنِي وَأَحْبَابِي هُجُوعُ<sup>(٢)</sup>

فاستخفت الرشيد الأربحية ، وقال : ادنه ، فإنك جَحَيْش وحدك ، وزدت

في عيني نبلا ، فقال جعفر :

\* أَبِثْ قَلِيلاً بِدِرْكِ الْمُهْجَا سَحَلْ \*

بمرّض بأنه قد يجوز أن يدرك ما يحاوله ، فقال له الرشيد : فانك والله السوابق ، وجئت سُكَيْنَا<sup>(٣)</sup> ذازوائد أربع ، قال : ورأيت الحمية في وجهه ، فقال جعفر : على شريطة حملك . قال : أتراه يسع غيرك وبضيق عنك ؟ فقال جعفر : لست أنص على شاعر واحد أنه أحسن الناس في بيت تشبيهاً ، ولكن قول امرئ القيس :

كَانَ غُلَامِي إِذْ عَلَا حَالَ مَتْنِهِ عَلَى ظَهْرِ بَازِي فِي السَّمَاءِ مَحْتَقِي<sup>(٤)</sup>

وقول عدي بن الرقاع :

يَتَمَّاورَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَاةَ غَبْرَاءِ مَحْكَمَةٍ هُمَا نَسَجَاهَا<sup>(٥)</sup>

تَطْوِي إِذَا وَرَدَا مَكَانًا جَاسِمًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَمَهَتْ نَشْرَاهَا<sup>(٦)</sup>

(١) مطلع المعلقة ٣٧١ - بشرح ابن الأنباري .

(٢) مطلع قصيدته الأصعبية ٦١ .

(٣) الركيث : ما يمس آخر الحلية من الخيل .

(٤) ديوانه ١٧٣ .

(٥) أمالي المرتضى ١ : ١٠٣ ، ١٠٤ وفيه : « ملاة بيضاء »

(٦) ط : « خاستاء » وما أتتبه من أمالي المرتضى . والجاسي : اللبظ من الأرض . وأسهمت :

صارت إلى سهولة الأرض . وفي الأمالي : « إذا وطئنا مكانا » .

وقول النابغة :

بأنك شمسٌ والملكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ<sup>(١)</sup>  
قال الأصمعي : قلت : هذا حسن كُله بارع ، وغيره أحسن منه ، وإنما يجب  
أن يقع التعمين على ما اخترعه قائله فلم يُتمرّض له ، أو تعرّض له شاعر ، فوقع  
دونه ، فأما قول امرئ القيس :

\* على ظنّهِ بازي السّمَاءِ محلقٍ \*

فن قول أبي دواد :

إذا شاء راکبُه ضمتُه كما ضمَّ بازي السماء الجناحُ<sup>(٢)</sup>  
وأما قول هدي :

\* يتعمّاوران من الغبارِ ملاءةٌ \*

فمن قول الخنساء :

جاري أباه فأقبلا وهما يتعمّاوران ملاءة الحُضِرِ<sup>(٣)</sup>

وأول من نطق به جاهلي من بني عقيل ، قال :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالبرَدانِ عَفَتَ حَجَجٌ بَعْدِي لَمَنْ نَمَانِي<sup>(٤)</sup>  
فلم يبق منها غير نؤي مهديمٍ وغير أنافٍ كالرّكي دِفَانِ  
وآثار هابٍ أوزق اللون سافرتُ به الرّيحُ والأمطارُ كلَّ مَكَانِ

(١) ديوانه ١٣

(٢) ديوانه ١٣ ، وفيه « إذا شاء فارسه » ، وفي ط : « الجناحا »

(٣) ديوانها ٢٥٩ .

(٤) خزائن الأرب ٣ : ٢٧٦ ومهجم البلدان ٥ : ٣ ، وزهر الآداب ٩٢٦ ، وتغني هذه

الآيات إلى ابن مقبل ، كما تنسب لابن أحر .

قِفَارٌ مَرَوْرَاةٌ يَحَارُّ بِهَا الْفَطَا وَيُضْحَى بِهَا الْجَابَانِ يَنْفَتِرُ كَانَ (١)  
يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ الْعُبَارِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا وَيَرْتَدِيَانِ

وشارك هدياً أبو النجم، وأورده في أحسن لفظ، قال يصف عيرا وأنا  
وما أثاراه من العبار بمدوهما :

أَلْقَى بِجَنْبِ الْقَمَاعِ مِنْ حَيْهَلِهَا مَرْبَا لَهْ وَأَنْشَامِ فِي مِيرْبَاهِلِهَا

وأما قول النابغة :

• بَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ •

فقد تقدمت فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند ، وهو  
أحق به من النابغة ؛ إذ كان أباً عذرتيه ، فقال :

كَادَتْ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِذْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ غَضِبَةً وَهُوَ عَاتِبٌ  
هُوَ الشَّمْسُ وَأَقْتَبَ يَوْمَ سَمَدٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ

قال : فكأنني والله ألقمت جهنماً حَجَرًا . فاهتز الرشيد فوق سريره ، وكاد  
يطير عجباً وطرباً ، وقال : والله ، لِيَلِدَ دَرَكٌ يَا أَصْمَعِي ، اسمع الآن ما كان وقع  
عليه اختياري ، فقال : ليقبل أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه ، فقال : عيّنت على  
ثلاثة أعمار ، أقسم بالله إنني أملك السبق بأحدها ، فقال بجي : خفف على ههناك ،  
فأبى الله إلا أن يكون لك الفضل ، ثم قال الرشيد : أنترف يا أصمعي تشبيهاً  
أفخر وأعظم في أحقر مشبه وأصغر في أحسن معرض ، من قول عنتره الذي  
لم يسبقه إليه سابق ، ولا نازعه منازع ، ولا طمع في مجاراته طامع ، حين شبه  
ذباب الرّوض العازب في قوله :

(١) الرواية : المغازة ، واليابان ، مثنى جاب ، وهو الحمار الفليظ من حر الوحش .

وخلأ القبابُ بها فليس بيارحٍ غِرْدًا كفعَل الشَّاربِ المَرْتُمِ (١)  
هزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَمَلَّ المَكِيبَ مَلَّ الزَّنَادِ الأَجْدَمِ

ثم قال : يا أصمعي - هذا من التشبيهات المغمى التي لا تنتج ، شبهت بالريح المقيم التي لا تنتج ثمرة ، ولا تلتج شجرة ، فقلت : كذلك هو يا أمير المؤمنين ، وبمجدك آلمت ما سمعت قط أحدًا يصف شعرا بأحسن من هذه الصفة ، ولا استطاع بلوغ هذه الغاية ، فقال : مهلا ، لا تعجل! أتعرف أحسن من قول الخطيئة يصف لغام ناقته ، أو تعلم أحدا قبله أو بعده شبه تشبيهه حوث يقول :

تَرَى بَيْنَ لَحْيَيْهَا إِذَا مَا رَتَّحَتْ لُغَامًا كَنَسَجِ العَفْكَبُوتِ المَدَدِ (٢)

قلت : والله ما علمت أحدًا تقدمه إلى هذا التشبيه ، أو أشار إليه بعده ولا قبله ، قال : أتعرف بيتًا أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ لغامة سقط ريشها ، وبقي أثره في قوله :

كَأَنَّمَا مُنْتَهَى أَقْصَاعِ مَا مَرَّطَتْ مِنْ العِفَاءِ بِلِيَدَيْهَا الشَّأْوَلِ (٣)

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، فالتفت إلي يحيى ، فقال : أوجب ، فقال : ووجب ، فقال : أزيدك ؟ فقال : وأي خبر لم يزيدني منه أمير المؤمنين ! قال : وقول النابغة الجعدي :

رَمَى ضَرْعِ نَابٍ فَاسْتَهَلَّ بِطَعْنِهِ كَحَاشِوَةِ البُرْدِ البَيَانِيِّ المَسْمُومِ (٤)

(١) اللقاة ٣١٤ ، ٣١٥ - بشرح ابن الأباري .

(٢) ديوانه ٧٣ ، الترمم : الصوت الضعيف . ولغام البعير زبده .

(٣) ديوانه ٢٧٨ ، أقصاع : جمع قم ، وأصله القى على رأس الثمرة . ما مرطت : ماتفت .

والعفاء : الريش .

(٤) ديوانه ١٤٣ . والناب : الناقة المسنة . والبرد المسوم : المخطط .

تم التفت إلى الفضل ، فقال : أوجب؟ قال : وجب ، قال : أزيدك ، قال ذلك لأمير المؤمنين ، قال : قول الأعرابي :

به ضرب أنداد المطايا كأنه ملاعبٌ ولدانٍ نخطّ وتمضغ

ثم التفت إلى جعفر ، فقال : أوجب؟ قال : وجب ، قال : أزيدك ، قال : لأمير المؤمنين علو الرأي ، قال : قول هدي بن الرقاع :<sup>(١)</sup>

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِمَرْءٍ رَوْقَهُ قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت حسدٍ عدياً عليه جرير ، قال : وكيف ذلك؟ قلت : زعم أبو عمرو بن العلاء أن جريراً قال : لما ابتدأ هدي بنشد :

• عَرَفَ الدِّبَّارَ تَوَهُّمًا فَاَعْتَادَهَا •<sup>(٢)</sup>

قلت في نفسي : ركب والله مركباً صعباً ، سيُبدع فيه ، فإزال يتخلص من حَسَنٍ إلى حسن ، إلى أن قال :

• تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِمَرْءٍ رَوْقَهُ •

فرحمته ، وظننت أن مادته تقصُر به ، فلما قال :

• قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا •

حالت الرحمة حسداً ، فقال : لله أبوك يا أصمعي؟ ثم أطرق ورفع رأسه ، وقال : أتراك تهنئي في انحطاطك في هواي؟ قلت : كلا يا أمير المؤمنين ، إنك لتجمل عن ذلك ، قال : انظر خمساً ، قلت : قد نظرت ، قال : فالتبُّق لمن؟ قلت : لأمير المؤمنين ، قال : فقد أحسستُ لك في العُشر والعُشر كثير ، ثم

(١) الخبر والشعر في الأغاني ٩ : ٢١٦ ، ٢١٧

رعى بطرفه إلى يحيى ، وقال : المال الساعة ، وأولى لك ! فما كان ساعة حتى  
 حقرت اليدُ بيني وبينه ، ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع ،  
 فأغار إلى خادم على رأسه ، كم هي ؟ فقال : ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقال :  
 دونك احتمال ثلاثين ألفاً إلى منزلك ، ونهض عن مجلسه ، وأمر الخدم بما وئق  
 على سحله ، فسكانت أسعد ليلة ابتدم فيها الصبح عن أحدٍ بالنفى .  
 فهذه الحكاية تدلُّك على تبجره في علوم العربية وسعة حفظه .

• • •

تبع ابن الرماذى عفترة في قوله : « وخلا الذباب » بقوله :

وكأس كريق الإلف شئشئها به      وعيشى من هذا الشراب الشئشع  
 إذا ما نربنا كأسنا صبب فضلها      على روضنا للمسوع المتخلع

وقال ابن الرومى :

وأذكى نسيمُ الروض ريمانَ ظله      وغنى معنى الطير فيه فرجما  
 وكانت أهازيجُ الذباب هنا كم      على شدواتِ الطير صوتاً موقماً

وكان أبوه قريب بخلافه ، كان ندلاً خسيساً ، وكان عطاء الملك أنى  
 بجماعة من البصرة إلى قريب فوجدوه ماتفاً بكساء ، نائماً لشمس ، فوكزه  
 برجله ، وصاح به : قم يا قريب وبلك ! قال : ألتيت أحداً من أهل العلم قط  
 أو من أهل الافة أو الفقهاء أو من الحدثين ؟ قال : لا والله ، قال لمن حصر :  
 اشهدوا على ماسمتم ، لا يقول لكم غداً الأصمى أو بعد غد : أنشدنى والدى  
 أو حدثنى ؛ ففضحه .

• • •

ومن حكاياته عن أبيه قال الأصمعيّ : حدثني أبي قال : أتني هبذّ لثلك ابن مَرْوان برجل مع بعض مَنْ خرج عليه ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا جزائي منك ، قال : وما جزاؤك ؟ قال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالطيرك ، وذلك أن رجل مشنوم ، ما كنت مع رجل لظّ إلا غلب وهُزِم ، وقد بان لك سحمة ما ادمت به ، وكنت عليك خيرًا لك من مائة ألف معك . فضحك منه وخرل سبيله .

وكان للأصمعيّ ابنٌ ظريف ، فقيل له يوما : أين أبوك ؟ قال : في بيته يكذب على الأعراب .

ومرض الأصمعيّ فماده أبو ريحمة - وكان يحب أهل الأدب - فقال له : أقرضني خمسة آلاف درهم ، ففعل ، وقال : أنشئني غير هذا ؟ قال : نعم ، فصأ حسنا ، وسيفًا قاطما ، وبرذونا حسنا وسرّجًا محليّ ، فبعت بذلك إليه .

وكان إسحاق<sup>(١)</sup> الموصلي يهظمه ويقراء عليه ، فدخل الأصمعيّ يوما على الفضل بن يحيى وإسحاق بنشدته في صفة فرس :

كأنه في الجبل<sup>(٢)</sup> وهو سائم      مشتملّ جاء من الختام  
يسور بين السرج والجمام      سور القطامي إلى الختام<sup>(٣)</sup>

فقال الأصمعيّ : ماتت بفتيتها ، فقال له إسحاق : ألم تقل لي : ما بقي منها شيء ؟ قال : ما بقي إلا هونها . ثم أنشد بعد ذلك ثلاثين بيتًا ، فغضب إسحاق وعرف الفضل قلة شكره لمارقة ، وبخله بما عنده ، وأخذ يصف فضل أبي عبيدة : وبزاهه ، وبذله لما عنده ، واشتماه على علوم العرب ، فأنفذ إليه الفضل مالا جليلًا

(١) الحبر والعمرى الأفاني ٥ : ٣٥٢ ( بيروت ) مع تصرف واختصار .

(٢) الجبل لدابة ، كالثوب اللسان .

(٣) يسور : يثب . والقطامي : الصقر .



واستقدمه من البصرة ، وسعى بالأصمى عند الرشيد ؛ حتى حط منزله . وقال  
إسحاق يهبوه :

أبسى من المجائب أن قرنا أصيبح باهليا يستعيل  
ويزعم أنه قد كان يُفتى أما عمرو وبسأله الخليل  
إذا ما قال: «قال أبي» عجبنا لما باني به ويا يقول  
وجله عطاء الملك عارا تزول الراسيات ولا يزول  
قل لأبي زبيبة إذ عصاني وحاد به عن القصد السبيل  
لقد ضاعت برودك فاحسبها وضاع الفص والسيف الصقيل  
فأما الخسة الآلاف فاعلم بأنك غنيتها لا تستعيل

والأصمى لا يقدح هذا القدر في جانبه ، لأن بعض محاسنه يفتى على  
كل مساوئه .

وكان منشؤه بالبصرة ، وبها توفى سنة تسع عشرة ومائتين وبلغ ثمانيا  
وثمانين سنة .

قوله : محرابي ، وما بعده في معناه ، يعنى فرجها . والإمام وما بعده ، يعنى  
به ذكره . وسمى محراب المسجد محراباً لأنه يباعده من ليس من أهله أن يقربه ،  
إذ هو أرفع من المسجد ، وفلان حرب لفلان ، أى مهاد له . والقرباب : وهاء  
من جلد يُجمل فيه السيف مع غمده . والقرباب : وهاء الزاد .

• • •

فقال لها القاضي : أراكما شئنا وطبقة ، وحيداة وبندقة ،  
فانرك أيها الرجل اللدد ، واسلكت في سيرك الجدد .  
وأما أنت فكنتى عن سبابه ، وقرى إذا أتى البيت  
من بابيه .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : وَاللَّهِ مَا أَسْجُنُ عَنْهُ لِسَانِي ، إِلَّا إِذَا كَسَانِي ،  
وَلَا أَرْفَعُ لَهُ شِرَاعِي ، دُونَ إِشْبَاعِي . فَحَلَفَ أَبُو زَيْدٍ بِالْمَحْرَجَاتِ  
الثَّلَاثِ ، إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ سِوَى أَطْمَارِهِ الرِّثَاثِ .

فَنظَرَ الْقَاضِي فِي قَصَصِهِمَا نَظَرَ الْأَلْمَعِيِّ ، وَأَفْكَرَ فِكْرَةَ  
الْأَوْذَعِيِّ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا بِوَجْهِ قَدْ قَطَبَهُ ، وَبِحَجْنٍ قَدْ قَلَبَهُ ،  
وَقَالَ : أَلَمْ يَكْفِكُمَا التَّسَافَهُ فِي تَجْلِيسِ الْحُكْمِ ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى  
هَذَا الْجُرْمِ ، حَتَّى تَرَاقِبْتُمَا فِي فُحْشِ الْمُقَادَعَةِ ، إِلَى حُبِّ  
الْمُعَادَعَةِ ، وَإِيمِ اللَّهِ لَقَدْ أَخْطَأْتُمَا اسْتِكْمَا الْخَفْرَةَ ، وَلَمْ يُعِيبْ  
سَهْمَكُمَا الثُّغْرَةَ ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ بِيَقَاتِهِ الدِّينَ ،  
نَصَبَنِي لِأَقْضَى بَيْنِ الْخِصْمَاءِ ؛ لِأَقْضَى دَيْنِ الْغَرْمَاءِ . وَوَحَقُّ  
نِعْمَتِهِ الَّتِي أَحَلَّتْنِي هَذَا الْمَحَلَّ ، وَمَلَكَتْنِي الْعَقْدَ وَالْحِلَّ ، لَنْ لَمْ  
تَوْضَعَا لِي جَلِيَّةَ خَطْبِكُمَا ، وَخَيْبَةَ خَبْكُمَا ، لِأَنْدَدَنَّ بِكُمَا فِي  
الْأَنْصَارِ ، وَلَا جَمَلَنَكُمَا عِبْرَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ .



وَالدَّو : شِدَّةُ الْخِصْمَةِ . الْجَدَّد : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ ، وَاللِّغْيُ فِي قَوْلِهِ : اسْلَكْ  
فِي سَبِيلِ الْجَدَّدِ ، جَاءَهَا فِي الْفَرْجِ لِأَنَّهَا ، وَفِي النَّبْلِ : مَنْ سَلَكَ الْجَدَّدَ  
أَمِنَ النَّارَ .

قَرَى : اسْكَنَ . الْبَيْتُ ، كِتَابَةٌ مِنْ فَرْجِهَا . مِنْ بَابِهِ ، يَرِيدُ الْآلَ بِأَخَذِ  
الْجَارِ بِالْجَارِ . وَقَوْلُهَا : إِلَّا إِذَا كَسَانِي ، قَالَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْرُوا  
النِّسَاءَ بِزَمَنِ الْحِجَالِ » .

والشراع : قلع السفينة ، وأرادت برفه كشف نياها ورفع رجلها حين يظوها ، وقال أبو نواس في ممتاه :

ترنق قلبلاً قد اوجعتني وألحقت قُرطِي بخلخالِيه

والقُرط في الأذن ، والخلخال في الرجل ، فانظر متى يجهمان . وقال ابن

الرومي في ذلك :

يا أحمد بن سهد لو بعُرت بها إذا الأكت لساقيها خلاخيلُ

وقال البصيري :

لم تخطُ باب الدهليز خارجة إلا وخلخالها مع الشف<sup>(١)</sup>

وقال ابن الرومي :

لو أن رجلي عرّسنا بداها<sup>(٢)</sup> ما أخطأتها رحمة نقشاها

قد خلّنت مرفوعةً رجلاها كأنما يستغفران الله

وه أيضاً :

شبه لنا بكفى أبا حفصَل أقرنُ مثل الأبل الأتول<sup>(٣)</sup>

تبيت في منزله نسوةً يلبسن ثوب الأبل كالنزل

يملن فيه عملاً صالحاً برفه الله إلى أسفل

يستغفر الناس بأيديهم وهن يستغفرن بالأرجل

قال الأصمعي : قلت لأمة ظريفة : يا جارية هل في يديك هل ؟ قالت :

لا ، ولكن في رجل .

والحرجات الثلاث : هي الطلاق والعتق والنسي إلى مكة ، وقيل : هي

الطلاق الثلاث ومحرجات : فيها حرج ، أي إثم وضيق .

(١) ديوانه ١٤١١ (٢) المرس : امرأة الرجل . (٣) الأتول : الأحمق

وحدث أبو حاتم، عن الأصمعي عن عيسى بن عمر، قال: اشكى رجل  
اسرائيل، فقال له شيخ من بني نصر، كان أسنّ مده: ألا تكثرت بها بالحرجات  
- يعني الطلاق - قال: قاتلك الله افا أغرك، وعلى الطلاق ثلاثا .

حدثنا أبو بكر محمد بن أسد الدبلي قال: سمعت أبا فتان الدارم يقول:  
الطلاق الثلاث البت لازم لي، لقد سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول:  
الطلاق الثلاث، البت لازم لي، لقد سمعت أبا عمرو بن العلاء، يقول الطلاق  
الثلاث البت لازم لي، إن كانت العرب قالت أحكم من هذه الأبيات .

كُنْ لِلسَّكَّارِ بِالتَّزَاءِ مَقْنَعًا      فَلَمَلْ يَوْمًا لَا تَرَى مَا تَكْرَهُ  
فَلَرَبَّمَا اسْتَمَرَّ اللَّفْقُ فَتَنَافَسَتْ      فِيهِ الْعَبُورُ وَإِنَّهُ لِمَوْتُهُ  
وَلَرَبَّمَا خَزَنَ السَّكْرِيمُ لِسَانَهُ      حَفَرَ الْجَوَابَ وَإِنَّهُ لِمَفْوَتُهُ  
وَلَرَبَّمَا ابْتَسَمَ السَّكْرِيمُ مِنَ الْأَذَى      وَفَوَّادَهُ مِنْ حَرِّهِ بِتَأْوَتِهِ

قوله: أطواره الرنثاء، أي ثيابه الخلقية. الألمى: المتوقد الحاضر الذهن .  
ابن الأعرابي: الألمى: الذي إذالمع له أولُ الأسماء عرف آخره، فيمكنني بظنه  
دون تعيينه . واللودعي: الفطن الذكي الظريف الحديد القواد . قطّبه: عبّسه .  
مجنّ: ترس . وقابيه، كناية عن إبداء الشر بعد الخير، وقد تقدم . التسافه:  
الإحاش . والشتم . الجرم: الذنب . المقاذفة: المشائمة بما فحش . الثغرة: الحفرة  
في أصل العنق . خبتكما: خدامكما وغشكما . أندون: أسمع الناس بما يقال  
عندي من المكروه، وندّ به: شتمه وأسمه الفهيج . الأمصار: البلاد . هبرة:  
موعظة . أولى الأبصار: أهل العقول .

\*\*\*

فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع ، ثم قال له :  
سَمَاعٍ سَمَاعٍ :

أنا السُّرُوجِيَّ وَهَدِي عِرْسِي	وَلَيْسَ كُفَاً الْبَدْرَ غَيْرُ الشَّمْسِي
وما تنافى أنسها وأنسى	ولا تنأى ديرًا عن قُتِّي
ولاعدت سُقْيَايَ أَرْضَ غَزِي	لَكِنَّا مِنْذُ لِيَالِ خَمِيسِ
نُصْبِحُ فِي ثُوبِ الْعُلُويِّ وَنُؤَسِي	لَا نَعْرِفُ الْمَضِغَ وَلَا التَّعْسِي
حَتَّى كَأَنَّا نَلْفُوتِ النَّفْسِ	أَشْبَاحُ مَوْتِي نُشِرُوا مِنْ رَمْسِ
فحين عزَّ العَصْبُ بَرُّو النَّاسِي	وَشَفْنَا الضَّرَّ الْأَلِيمُ الْفَسَّ
فَمَنَّا لَسَعَدِ الْجَدُّ أَوْ لِلنَّخْسِ	هَذَا الْمَقَامَ لِاجْتِيَابِ فَلِيسِ
وَالْفَقْرُ يُلْجِي الْحَرَّ حِينَ يُرْسِي	إِلَى التَّجَلِّيِّ فِي لِبَاسِ اللَّبْسِ
فهذه حالي وهذا دَرْسِي	فَانظُرْ إِلَى يَوْمِي وَسَلْ عَنْ أَمْسِي
وَأمرُ بِجَبْرِى إِنْ تَشَاءُ أَوْ حَبْسِي	فَفِي يَدَيْكَ صِحَّتِي وَنُكْمِي



أطرق : أمال رأسه حاكنا. الشجاع : الحية . سماع سماع ، أى اسمع مني ،  
كُفَاً الْبَدْرَ : أى نظيره ، والكف : النظير والمثل . دَبَّرَهَا : فرجها . قُتِّي : ذَكَرِي .  
وَأصل التَّيْرُ لِلنَّصَارِي ، وَالْقَسَمُ وَالْقِسْمِيس : عالمهم وعابدهم . عَدَّتْ : جارت .  
وخرجت عن طريقها . وَالسُّقْيَا : الشرب ، وهى هنا مصدر بمعنى السَّقَى .  
والتَّعْسِي : شرب الحنوة ، وأراد بالمضغ والتعسى أكل الخبز واللحم ، وحنو  
مرقه . وقيل : المضغ فى الرِّخَاءِ وَالْحَسْوِ فى الشَّدَّةِ ، كاستعمالهم فيها حَسْوِ السَّخِينَةِ

وغرها . وعرز : قل . الناسي : الاقضاء بالفهر ، وقد ناسى ناسياً إذا اقتدى بفعل  
غيره وتعبّر ، وهذا بابٌ غلبت عليه الخفساء بقولها :

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَلَّتْ نَفْسِي (١)  
وما يهكون مثل أخى ولكن أعرزى النفس منه بالناسي

فزاد عليه ابن العباس الرومي ، في المعنى وبيته حتى استحقته حيث قال :

رَأَيْتُ الدَّخْرَ يَجْرَحُ نَمَ بِأَسْوِ بُوْسِي أَوْ يَمَوْضِ أَوْ بِنْسِي (٢)  
أبت نفس الملاءع لرزه ثم كفى رزءاً لنفسي رزءٌ نفسي  
أنجزعُ وحشةً لفراق ألفٍ وقد وطنتها لجلول رمسي

فذهب في هذه الأبيات كل مذهب ، ثم أراد أن يظهر ما عنده من فضل

الملة وحسن التصرف ، فقال :

بِأَشْبَابِي وَأَيْنَ مَعِي شِبَابِي أَذِنْتِي أَيَامُهُ بِاتْقَضَابِ  
ومعز من الشباب مؤمن بمشيب اللذات والأصحاب  
قلت لما انتهى يمد أساه بمصابٍ شبايه بمصابٍ  
ليس ناسوكومٌ غيري كلومي مابه مابه ومابني مابني

وكرر هذا المعنى فأحسن ما شاء ، وذهب فيه مذاهب أخرى ، فقال :

خَلِيلِي قَدْ قَلَّامَانِي بِالْمَوِي وَأَنْعَمْنَا لَوْ أَنَّي أَنْقَلَّ (٣)  
الناس إيتاري وإلا فما الأسي وعيشكا إلا ضلالٌ مُضَالٌ  
ومراحة الرزوء في رزء غيره أيجمل عنه بعض ما يهتجل  
كلأ حاملي أوفى الرزية مثلٌ وليس معها مثل الظنم مثل  
وضرب من الظلم الخفي مكانه تعزبك بالرزوء حين نأقل

(٢) زهر الآداب ٩٢٩

(١) ديوانها ١٥٣

(٣) زهر الآداب ٩٢٩ .

ولابن رشوق :

رَأَيْتُ التَّمَزِّيَّ مِمَّا يَبْجُ عَلَى الْمَرْءِ سَاكِنَ أَوْصَابِهِ (١)  
وَمَا نَالَ ذُو أُسْوَةٍ سَلْوَةً وَلَسْكَنَ أُنَى الْحَزَنِ مِنْ بَابِهِ  
تَفَكَّرَ فِي مِثْلِ أَرْزَائِهِ فَذَكَرَهُ مَا بِهِ مَا بِهِ

وقال ابن رشوق : أَخَذْتُهُ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَ (٢)

وَأَخَذَهُ عُمَرُ مِنْ قَوْلِ مَقْسَمِ بْنِ نُورَةَ :

وَقَالُوا أَنْتَبِكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ إِقْبَرِ نَوَى بَيْنَ النَّوَى وَاللَّهِ كَأَدِكِ (٣)  
قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَمْسَ يَبَيْتُ الْبُكَاءَ دَعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ (٤)

\* \* \*

خَفُوتَ : ضَعْفُ الْفِئْسِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ ، وَخَفَّتْ خَفُوتًا : ضَعْفٌ وَسُكُنَ  
وَمَاتَ . وَالْأَشْبَاحُ : الْأَشْخَاصُ ، وَأَصْلُ الشَّبِيحِ الشَّخْصُ تُبْهِرُهُ عَلَى بَدَنِهِ  
فَلَا تَعْرِفُ مَا هُوَ ، وَيَقَعُ الشَّبِيحُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ مَرَّةً . نَشَرُوا : أَحْبَبُوا .  
رُمِيَ : قَبِرَ ، وَالْمَسَّ : لَصِقَ جَارِحَةً بِأُخْرَى . الْجَدَّةُ : الْحِظُّ وَالنَّصِيبُ . يُرْمَى :  
يُثَبِّتُ وَيَقِيمُ . الْعَجَلَى : الْبُرُوزُ وَالظُّهُورُ . الْأَبْسُ : الْعُخْلُوطُ . دَرَمَى : نَوَى الْخَلْقَ

(٢) ديوانه ٤٠٣ ، وفيه :

(١) التنف ١٤

• وَذُو الْقَلْبِ الْمُنْصَابِ وَلَوْ تَعَزَّى •

(٣) أمالي الثاني ٢ : ١ ، وذكر قبله :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقَبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لَتَذَارِفِ الدَّمْعِ السَّوَانِكِ

(٤) في الأمال : • إِنَّ الشَّجَا يَبِيتُ الشَّجَا • وَذَكَرَ بِنْدَهُ :

أَلَمْ تَرَ هَيْبًا يَفْتَسِمُ مَا هُوَ وَتَأْوِي إِلَيْهِ مَرَمِلَاتُ الضَّرَائِكِ ؟

الضرائك : الفقراء السهيو الحال -

الجبر : أن تُغْنِيَ الرَّجُلَ مِنْ فَقْرٍ ، أو تصلح عظمه من كثره ، وجبره الله : سدّ مفارقه . والنكس : بضم النون : عود المرض بعد القوّة ، ونكس نُكْسًا .

• • •

فقال له القاضي : لِيُثِبْ أَنْسُكَ ، وَلتَطِيبْ نَفْسُكَ ، فَقَدَحَقَّ  
كَ أَنْ تُغْفَرَ خَطِيئَتِكَ ، وَتُوَفَّرَ عَطِيَّتُكَ . فنارت الزوجة عند ذلك  
واستطالت ، وأشارت إلى الحاضرين وقالت :

يا أهل تبريز لَكُمْ حَاكِمٌ أَوْفَى عَلَى الْحُكَّامِ تَبْرِيزًا  
مافيه مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ يَوْمَ النَّدى قِسْمَتُهُ ضِيْرِي  
قصدته وَالشَّيْخُ نَبِيٌّ جَنِي عود له ما زال مَهْـزُوزًا  
فسرَحَ الشَّيْخُ وَقَد نَالَ مِنْ جَدْوَاهِ تَخْصِيصًا وَتَمِيْزًا  
وَرَدَّنِي أَخِيْبَ مِنْ شَأْمٍ بَرَقًا خَفَا فِي شَهْرِ تَمُوْزًا  
كَأَنَّهُ لَمْ يَسْدِرْ أَثْنِي الَّتِي لَقَنْتُ ذَا الشَّيْخِ الأَرَاجِيْزًا  
وَأَنِّي إِنْ سِنْتُ غَادِرَتُهُ أَضْحُوْكَةً فِي أَهْلِ تَبْرِيزًا

• • •

لِيُثِبْ : أي ليرجع . تُوفَّرَ : تكثر . نارت : ظهرت ، وأنشت مرّما .  
واستطالت : جرحت بلسانها ، وأعلت كلامها . أوفى : أنصف عليهم وزاد .  
تبريزا : ظهورا وسبقا . ضييزي : غير مستوية ، فيها بحس ونقصان ، وقد ضار  
الحاكم ، إذا جار ، وضازه بضييزه ضبزا ، إذا نقصه ومنعه حقه . ويمكن أن مزيدا  
المدني - ويكي أبا إسحاق - صلى يوما ، فلما فرغ من صلاته قالت امرأته : اللهم



أشركني في دعائه ، فقال مزيد اللهم أصابني ، قالت امرأته: أما قل هذا فلا ، فقال  
بأصراطة ، تلك إذا قسمة ضبزي .

قوله والشيخ : منصوب على المفعول معه . نبض : نطلب . القدي :  
السكرم . وجى العود : ما يجي من عمده ، وأرادت كرم القاضي . مازال  
مهزوزاً ، أي مازال القاصدون يهزون عوده فيتساقط عليهم جفاه ، فمضى مازال  
مهزوزاً ، أي مطلوب منه المطايا . جدواه : عطاباه . مخصمها : ترفيها . تميزاً :  
تمييناً ، وقد مخصم الرجل : تشبه بالخواص ، وتمين : تشبه بالأعيان . شام :  
فاطر للبرق . خفي : لمع . تموز : يوليه بالسريانية ، وهو أشد الشهور حرّاً .  
لغت : فهمت وحفظت . غادرت : تركته . أضحوكه : يضحك به من رآه .

• • •

قال : فلما رأى القاضي اجترأ جناهما ، وانصلاّت لسانهما ، علم  
أنه قد منى منهما بالداء الميأ ، والداهية الدهيأ ؛ وأنه متى منح أحد  
الزوجين ، وصرف الآخر صفر اليدين ، كان كمن قضى الدين  
بالدين ، أو صلى المغرب ركعتين . فطاسم وطزمت ، واخرنطم  
وبرطم ، وهمهم وغغم ، ثم التفت يمنة وشامة وتملل كآبة  
وتدامة ، وأخذ يذم القضاء ومتاعبه ، ويعدّد شوائبه ونوائبه ، ويفند  
طالبه وخاطبه . ثم تنفس كما يتنفس الحريب ، وانتحب حتى كاد  
يفضحه التحيب ، وقال : إن هذا الشيء عجيب ! أرتشق في موقف  
يسمّين ! ألزم في قضية بمرمين ! أطبق أن أرضي الخصمين ،  
ومن أين ومن أين !

• • •

اجترأه : إقدام وتشجع جَنَانَهُمَا : قلبهما ، يريد أنهما لم يهاباه . انفصالات  
لسانها : خروجه بالكلام وطاقته بالشر ، وانصلت السيف : تسلل من عنده  
وخرَج . مُنَى : بُلَى . الداء المباء : الذي يبي الطيب . والداهية : كل أمر  
فظم لا يطاق . الدهياء : مهالفة وتأكيد لعنى الداهية ، أى الدهاية الشديدة .  
منح : إعطاء . صفر : فارغ . ومن قفى الدين بالدين ، فسكاته ما قضاه وأنشدوا :  
إذا كنت تقضى الدين بالدين لم يكن قضاءه ولكن كان غرماً على غريم  
تملل : توجع وتقلب . كآبة : حزن وهم . شوائب : ما يكره ويحفظ  
به . نوائبه : نوازله . يفتد : يُحطَى . الحرب : المحزون المسلوب ماله ، وقد  
حرَّبه ، إذا سلَّه «فعل» بمعنى «مفعول» . انتحب : بكى . يفضعه : يشهره .  
أرشق : أرمى ، والأرشق جملة السهام تُرمى مجتمعة ، وقال لبيد<sup>(١)</sup> .

فرميت للقوم رِشْقًا صائبًا ليس بالطيش ولا بالفتمل

وإذا وقعت السهام مجتمعة عند الغرض سُميت رِشْقًا . القضية : القضاء  
والحكومة . الفرَم والغرامة واحد .

\*\*\*

ثم قطف إلى حاجبه ، المنفذ للآربه ، وقال : ما هذا يوم حُكم  
وقضاء ، وفصل وإمضاء ؛ هذا يوم الاعتِمَام ، هذا يوم الاعتِرام ،  
هذا يوم البُحران ، هذا يوم الخُسران ، هذا يوم عَصيب ، هذا  
يوم نُصاب فيه ولا نُصيب ؛ فأرخني من هذين المهذارين ، واقطع  
لسانها بدينارين . ثم فرق الأصحاب ، وأغلق الباب ، وأشع

(١) ديوانه ١٩٤ ، والرشق ، بكسر الراء : أن تُرمى سهام كثيرة دفعة واحدة .

أَنَّهُ يَوْمٌ مَذْمُومٌ، وَأَنَّ الْقَاضِيَ فِيهِ مَهْمُومٌ؛ إِثْلًا يَخْضِرُنِي خَصُومٌ.  
 قال: فَأَمَّنَ الْحَاجِبُ عَلَى دُعَائِهِ، وَتَبَاكَى لِبِكَائِهِ ثُمَّ تَقَدَّ أَبَا زَيْدٍ  
 وَعَرَسَهُ الْمِثْقَالَيْنِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ لَكُمْ مَا لِأَحْيِلُ الثَّقَلَيْنِ؛ وَلَكِنْ  
 احْتِرَمَا مَجَالِسَ الْحُكَّامِ، وَاجْتَنِبَا فِيهَا فُحْشَ الْكَلَامِ؛ فَمَا كَلَّ  
 قَاضِي قَاضِي تَبْرِيزَ، وَلَا كَلَّ وَقْتِ تَسْمَعُ الْأَرَاجِيزَ، فَقَالَ لَهُ:  
 مِثْلَكَ مَنْ حَجَبَ، وَشُكْرُكَ قَدْ وَجَبَ، وَنَهَضَا وَقَدْ حَظِيَا بِدِينَارَيْنِ،  
 وَأَصْلِيَا قَلْبَ الْقَاضِي نَارَيْنِ.

\* \* \*

مآربه حوائجه . الجبخران : كالمهوم السابع من المرض ، والبحران عند  
 الأطباء : مدافعة عظيمة تقع بين الطبيعة والعلّة ، وبخر الرجل بحراً ، إذا اجتهد في  
 المدو طالباً أو مطلوباً ، فانقطع وضُف . ورجل بحر : مسلول ذاهب اللحم .  
 عَصِيب : شديد . المذارين : الكثيرين الكلام بلا فائدة . اقطع لسانها ،  
 أي صلّمها حتى ينقطع بالدينارين كلامهما ، وهذا اللفظ الذي هو قطع اللسان  
 بالصّلة قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤنفة قلوبهم من  
 نفل حنين ، مائة مائة ، وأعطى العباس بن مرداس أباعر ، فسخطها وقال :

أَنْجَمِلُ نَهْيِي وَنَهَبَ الْعُبَيْدُ بَيْنَ عَيْفَةِ وَالْأَفْرَعِ (١)  
 وما كان حصنٌ ولا حابسٌ      يفوقان مرداسَ في جمع  
 وما أنا دون امرئٍ منهما      ومن يخفّضِ المهوم لم يرفع

قال صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عنى لسانه » . فأعطى حتى رضى وقد جاء في

(١) الشعر والشعراء ٧٤٨ .

التقوادر في حكاية ليلي الأختيلية حين قال الحجاج : يا غلام اذهب إلى فلان ، قتل  
 له يقطع لسانها ، فأمر بإحضار الحجاج ، فقالت : ثم كلتلك أمك ! إنما أمرتك أن تقطع  
 لساني بالصلة ، وهي لفظة مستعملة عند من له أمرٌ ونهى .

قوله : آمن ، قال : آمين ، ومعناه الرغبة في الإجابة . تباكي : اسم عمل  
 الهكاء . الأثقلين : الإنس والجن ، والواحد ثقل وثقل كمثل ومثل ، وأصله  
 ما يحمل من الشيء الثقل ، فقيل لهما : ثقلا ، لأنهما كالثقل على الأرض .  
 والفحش في القول كالفاحشة في الفعل . نهضا : تقدما . شكرك قد وجب :  
 يقال : وجب البيع والحق ، ومعناه وقع ، ومنه قوله تعالى : ( فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا )<sup>(١)</sup>  
 أي وقعت على الأرض وسقطت . ووجب الحائط : سقط ، ووجب قلبه : فزع  
 وخنق . حظيا : سيدا . أصليا : أو قدا وألصقا به .

(١) سورة الحج ٢٦ .

## تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله : « لَقَمْتُ مِنْهَا عَرَقَ الْقَرِيبَةِ » ، هذا مثلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَلْتَقِي شِدَّةَ  
مِنْ الْأَمْرِ الَّذِي يُرَاوِلُهُ ، كَمَا أَنَّ حَامِلَ الْقَرِيبَةِ يَلْتَقِي جَهْدًا حَتَّى يَفْرُقَ .  
وقوله : « جَمَلْتُهُ دَبْرَ أَذْنِي » ، بمعنى طرحتُهُ ، وهو كقولهِ تعالى :  
( فَتَقَبَّذُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِي ) .

وقوله : « أَكْذَبُ مِنْ سَجَاحٍ » ، بمعنى التي تَنْبَأُ فِي عَهْدِ مُسَيِّلَةِ  
الْكَذَابِ ، وَسَارَتْ إِلَيْهِ لَتُنَازِرَهُ وَتُخْتَبِرُهُ ثُمَّ آمَنَتْ بِهِ ، وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ  
وَهَذَا الْأِسْمُ ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْكُسْرِ ، مِثْلُ حَذَائِمٍ وَقَطَامٍ ، لِكَوْنِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ  
لِلْمَدْوُولَةِ ، وَاشْتِقَاقَهُ مِنَ السَّجَاحَةِ ، وَهِيَ الشُّهُولَةُ ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ : مَلَكَتْ  
فَأَسْجِجْ .

وقولها : « أَكْذَبُ مِنْ أَبِي ثَمَامَةَ » ، هَذِهِ كُنْيَةُ مُسَيِّلَةِ الْكَذَابِ ، وَكَانَ  
تَنْبَأً بِالْإِيمَانَةِ . وَتَخْرُقُ بِهَا ، إِلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ .  
وقوله : « لَا نَعِيمَ عَوْنُكَ » . الْعَوْنُ : الْحَالُ ، وَالْعَوْفُ أَيْضًا اللَّذْكَرُ ،  
وَيُدْعَى لِلْبَانِي عَلَى أَهْلِهِ فَيُقَالُ لَهُ : « نَعِيمَ عَوْنُكَ » .

وقوله : « يَا دَفَارٍ يَا جَارٍ » . هَذَانِ الْأَسْمَانُ مَعْدُولَانِ مِنْ دَافِرَةٍ وَطَاجِرَةٍ ،  
وَالدَّفَرُ : النَّقْنُ ؛ وَبِهِ تَحْمِيَّتُ الدَّنَا أَمْ دَفْرٌ ؛ وَكُلٌّ مَأْتِيٌّ بِصِفَةِ غَالِبَةٍ ، ثُمَّ عُدِلَ  
بِهَا إِلَى « فَعَالٍ » ، بُنِيَ عَلَى الْكُسْرِ عِنْدَ الْفَدَاءِ ، كَقَوْلِكَ : بِالْكَعَابِ بِأَخْبَاتٍ ،

(١) سورة آل عمران ١٨٧ .

يَا دَفَارِ يَا جَارِ ، ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر ،  
كقول الحطيئة :

أَطْوَفُ مَا أَطْوَفُ نَمِ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَسْكَامِ

وأما قوله : « أَحَقُّ مِنْ رِجْلَةٍ » ، فهي ضرب من الحِمض تَنْبُتُ فِي  
بِجَارِي السَّيْلِ نَجِيرُهَا .

وأما قولها : « الأُمُّ مِنْ مَادِرٍ » ، فهو رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ؛  
كَانَ اتَّخَذَ حَوْضًا لِسَقْيِ إِبِلِهِ ، فَلَمَّا رَوَيْتْ سَلَحَ فِيهِ ، وَمَدَّرَهُ بِسَلْحِهِ ؛ لئلا  
يَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ .

وأما قولها : « أَشَامٌ مِنْ قَاشِرٍ » ؛ فَإِنَّهُ فَعْلٌ كَانَ فِي قَبَائِلِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ  
سَعْدَةَ بْنِ تَمِيمٍ ، مَا طَرِقَ إِهْلًا إِلَّا مَاتَ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهِ الْعَامُ الْمَجْدِبُ ، وَسُمِّيَ  
قَاشِرًا لِقَشْرِهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ النَّهَاتِ .

وأما قولها : « أَجْبِنُ مِنْ صَافِرٍ » ، فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَسْوِيرِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :  
عَنَى بِهِ كُلَّ مَا يَصْفُرُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَخَصَّ بِالْجَبْنِ لِكَثْرَةِ مَا يَتَّقِيهِ مِنْ جَوَارِحِ  
الْجَوِّ وَمَصَائِدِ الْأَرْضِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ طَائِرٌ بَعِيثٌ ؛ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ تَلَقَّى بِبَعْضِ  
الْأَغْصَانِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَصْفُرُ طَوْلَ لَيْلِهِ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَنَامَ فَيُؤْخَذَ . وَقِيلَ :  
إِنَّهُ الَّذِي يَصْفُرُ بِالرَّأَةِ لِرَيْبِهِ وَهُوَ يَجِبُنُ وَقَدْ صَغِيرُهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُظَهَرَ عَلَى أَمْرِهِ .  
وَقِيلَ : إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ فِي التَّلِّ الْمَصْفُورُ بِرٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي يَنْذِرُ بِالصَّغِيرِ لِيَهْرَبَ ،  
فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَاعِلٌ هُنَا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ أَي  
مَدْفُوقٍ ، وَكَقَوْلِهِمْ : رَاحِلَةٌ بِمَعْنَى مَرْحُولَةٍ ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ ، وَقَدْ جَاءَ  
« مَفْعُولٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ » ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حِجَابًا مَسْعُورًا ﴾ ، أَي سَاتِرًا .

وكفوه تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾

وأما قوله : « أَطَيْشٌ مِنْ طَامِرٍ » ، فالمراد به البرغوث ؛ وبسْمِ طَامِرِ ابن طامر ؛ لكثرة وُثوبه .

وأما قول القاضى : « أَرَاكُمْ شَفَا وَطَبَقَةً ، وَحِدَاةً وَبُنْدُقَةً » ، فإنه أراد به أن كلاً منسكاً كفاء لصاحبه و قانوم له . ولكل من المتلین تفسير مختلف فيه . أما شَنٌّ وطَبَقَةٌ ؛ فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم : « وافق شَنٌّ طَبَقَةٌ » ، فقال الأكترون : إنهما قَبِيلَتَانِ ؛ فشنٌّ هو ابن أنصى بن دُهمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وطَبَقَةٌ حَيٌّ من إباد ؛ وكانت طَبَقَةٌ لا تُطَاق ، فأوقعت بها شَنٌّ ، فانقصت منها .

وقال بعضهم : كان شَنٌّ رجلاً من دُعاة العرب ، وكان أَلَزَمَ نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة تلامه ، فكان يجوب البلاد في ارتياد طَلَبِقَةٍ ، فصاحبه رجلٌ في بعض أسفاره ، فلما أخذ منهما السير ، قال له شَنٌّ : أحمك أم أحلك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل وهل يجمل الزاكب الراكب ! فأمسك وساراً حتى أتيا على زرع ، فقال له شَنٌّ : أترى هذا الزرع أكمل أم لا ؟ فقال له : يا جاهل ، أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة ، فقال له شَنٌّ : أترى صاحبها حياً أم لا ؟ فقال : ما رأيتُ أجملَ منك ، أترام تحلوا إلى القبر حياً ! ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل ، فصار به إلى منزله ، وكانت له بنت تسمى طَبَقَةٌ ، فأخذ يُطْرِفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ ، فقالت له : ما لطق إلا بالصواب ، ولا أسفم منك إلا مما يستفهم عن مثله ذُوو الألباب . أما قوله : أحمك أم أحلك ، فإنه أراد : أحمدني أم أهدئك ، حتى قطع الطريق بالحديث . وأما قوله : أترى هذا الزرع أكمل أم لا ؟ فإنه أراد : هل استسلف أربابه فمده

أم لا ؟ وأما استفهامه من حياة صاحب الجنازة ، فإنه أراد به : أخلف عقباً يحميا ذكره به أم لا . فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه ، فخطبها إليه ، فزوجها إياها ، فلما سار بها إلى قومه وخبروا ما فيها من الدماء والفظلة قالوا : وافق سنن طَبِيقَة ، فصار مثلاً .

وحكى من الأصمى ، سئل عن تفسير هذا المثل فقال : أظن أن الشن وعاء من آدم كان قد استشن ، فلما اتخذ له غطاء واقفه ، ضرب فيه هذا للثل . وأما حدأة وبندقة ؛ فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزعُ بعدوه أو يُبلى بنظيره : حدأحداً أو وراءك بندقة ؛ وكان الأصل حدأة بإثبات الهاء ، فرخم في اللداء وقد اختلف في المراد بهما ، فقول : الحدأة هو الطائر المعروف ، وبندقة الرامى . وقيل : إنهما قبيلتان من سمد العشيرة ، فأغارت حدأة - وكانت تنزل بالكوفة - على بندقة ، وكانت تنزل باليمن ، فنالت منهم ، ثم كرت بندقة على حدأة فأحمت عليهم .

وروى بعضهم هذا المثل : حدأ حدأ ، غير مهموز ، على مثال عصا وقفا ، وزعم أنه اسم القويبة .

وأما قوله : « أخطأت استكما الحفرة » ؛ فإنه مثل يضرب لمن يُخطيء في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه .

وأما قوله : « طلسم وطرسم » ، فعنى طلسم كره وجهه ، وطرسم طرسم أطرق . وقوله : « اخرنطم وبرطم » أى غضب وقطب وجهه .

وقيل : معنى اخرنطم غضب مع تكبير . ومعنى برطم غضب مع تعيس .

وأما قوله : « همهم وغهمم » أى لم يبين الكلام .

تم الجزء الرابع من كتاب شرح المقامات للشربشى ويليهِ الجزء الخامس وأوله شرح المقامة الحادية والأربعون .

( ٢٨ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )



فهرس المقامات

- صفحة
- المقامة الحادية والثلاثون الرملية . تتضمن وعظ أبي زيد للحجاج  
في حال مسيرهم ، وكونه حج في ذلك العام ماشياً . ٣٥ - ٣
- المقامة الثانية والثلاثون الطيبية أو الحربية . تتضمن أن أبا زيد  
قام فقيهاً بمائة مسألة فقهية ملفزة . ١٠٤ - ٣٦
- المقامة الثالثة والثلاثون التعليلية ، تتضمن أن أبا زيد به لقوة  
وقام في المسجد مكدياً . ١٢٢ - ١٠٥
- المقامة الرابعة والثلاثون الزيدية ، تتضمن أن أبا زيد باع ولده  
في صفة غلام واشتراه الحارث . ١٦٤ - ١٢٣
- المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية ، تتضمن أن أبا زيد ربّ  
بكراً وطلب ما يجهزها به ، وكفى بذلك عن الخمر . ١٩٢ - ١٦٥
- المقامة السادسة والثلاثون اللطية ، تتضمن أن أبا زيد  
بالمقايضة ، أي بما يماثلها من الكلام . ٢٢١ - ١٩٣
- المقامة السابعة والثلاثون الصمدية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد عند  
القاضي مع ابنه ينسبه إلى العقوق . ٢٥٣ - ٢٢٢
- المقامة الثامنة والثلاثون المروية ، تتضمن كون أبي زيد دخل  
مكدياً عند الوالي فلم يجبه وتمريضه له بذلك . ٢٨٨ - ٢٥٤
- المقامة التاسعة والثلاثون العمانية والصحارية ، تتضمن ركوب  
أبي زيد البحر ، وأنه كتب عزيمة الطاق للحامل فوضعت حملها . ٣١٩ - ٢٨٩

المقامة الأربعة التبريزية ، تتضمن نخاسم أبي زيد وزوجته  
عند القاضي وأخذها منه ديفارين .  
٤٢٣ - ٤٢٠

---

### استدراك

وقع خطأ في صفحة ١٦٥ في عنوان المقامة ، والصواب : « المقامة الخامسة  
والثلاثون الشيرازية » .

فهرس الموضوعات

صفحة	
٦- ٤	عما قيل في الأوطان .. .. .
١٤- ٧	ذكر مكة ومعالمها .. .. .
٢٣- ٢١	ذكر المرانين وما قيل فيهم .. .. .
٣١- ٢٨	عما قيل في المناق من اشعر .. .. .
٦١- ٤٥	تقيه العرب وفتواه .. .. .
٦٨- ٦١	الملاحن وللعاريض .. .. .
٧٩- ٧٢	ذكر قباح الوجوه من أهل العلم وغيرهم .. .. .
٨٢٤- ٨١	عما قيل في وصف القلم .. .. .
٨٥- ٨٢	ذكر مدح الشعراء للشعر .. .. .
٩٧- ٨٩	ترجمة الإمام الشافعي .. .. .
١٠٤- ٩٨	فصل في زيارة قبر الرسول عليه السلام .. .. .
١٠٩- ١٠٦	عما قيل في أداء الصلاة لوقتها وما جاء في تركها .. .. .
١١ ، ١٠٩	ذكر مدينة تفلين .. .. .
١١٥- ١١٣	من كلام الأعراب .. .. .
١٣٣- ١٣٠	ذكر الفلمان وأخبار عشاقهم .. .. .
١٤٢- ١٣٨	ذكر العرجي وإيراد بعض شعره .. .. .
١٤٣، ١٤٢	فصل في التضمين .. .. .
١٤٧- ١٤٣	خبر للنضر بن شميل مع المأمون .. .. .
١٤٧	حكاية أبي حنيفة والإسكاف .. .. .

١٤٩-١٤٧	.. .. .	من حكايات الجوارى والغلمان
١٦٢-١٥٩	.. .. .	قصة يوسف عليه السلام
١٦٤-١٦٣	.. .. .	ما جاء من الشعر على أخبار يوسف عليه السلام
١٧٤-١٧٢	.. .. .	ذكر مسألة نحوية
١٨١-١٧٦	.. .. .	وآد البنات
١٩٠-١٨٥	.. .. .	حكايات وأشعار حول الحجر
١٩٢، ١٩١	.. .. .	مما قيل في ذم الغناء ومدحه
١٩٤، ١٩٣	.. .. .	ذكر مطوعة
١٩٨، ١٩٧	.. .. .	مما قيل في المودة بين الشعراء
٢٠٤-٢٠٢	.. .. .	الحرباء وما ورد فيها من الشعر
٢٠٦-٢٠٤	.. .. .	قصة سليمان في الحرب
٢٠٨-٢٠٦	.. .. .	من وصف الشعراء للخمر
٢٢١-٢١٧	.. .. .	فصل في تفسير الأحاجي
٢٢٧-٢٢٥	.. .. .	ذكر مناقب سلمان الفارسي
٢٣١-٢٢٩	.. .. .	ذم العتوق
٢٣٦، ٢٣٥	.. .. .	بين أبي تمام وعبد الصمد بن العنفل
٢٣٨-٢٣٦	.. .. .	مما قيل في ذم السؤال
٢٤٣، ٢٤١	.. .. .	فضل المال
٢٥٨-٢٥٧	.. .. .	ذكر مرو
٢٦١-٢٥٨	.. .. .	العيافة والزجر
٢٦٦-٢٦٣	.. .. .	من غرر اللدائح
٢٧٢-٢٧٠	.. .. .	الذكر الحسن

صفحة	
٢٧٦، ٢٧٥ .. .. .	مدح السكرم وذم البخل
٢٧٩-٢٧٦ .. .. .	مما قيل في الشيب .. .. .
٢٨٤-٢٨٢ .. .. .	مما قيل في طول الليل .. .. .
٢٨٨، ٢٨٧ .. .. .	فصل في مدح الأدب .. .. .
٢٩١، ٢٩٠ .. .. .	مما قيل في العذار .. .. .
٢٩١ .. .. .	ذكر سحر .. .. .
٢٩٧، ٢٩٦ .. .. .	ذكر الطوقان .. .. .
٣١٢، ٣١١ .. .. .	ذكر أوبس القرني .. .. .
٣١٣ .. .. .	ذكر الأهر ديس .. .. .
٣٢٧-٣٢٤ .. .. .	قصة زواج مسيامة بسجاح .. .. .
٣٣٠-٣٢٧ .. .. .	قصة تخامم أبي الأسود مع امرأته .. .. .
٣٣٤-٣٣٢ .. .. .	زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد .. .. .
٣٤٢-٣٣٤ .. .. .	بوران بنت الحسن بن سهل وزوجها بالأمون .. .. .
٣٤٥-٣٤٢ .. .. .	ذكر بلقيس وعرشها .. .. .
٣٤٧-٣٤٥ .. .. .	ذكر رابعة العدوية .. .. .
٣٤٩-٣٤٧ .. .. .	ذكر خندف .. .. .
٣٥٦-٣٤٩ .. .. .	ذكر الخفصاء .. .. .
٣٧٧-٣٥٨ .. .. .	ذكر أبي دلامة .. .. .
٣٧٨-٣٧٥ .. .. .	ترجمة الحسن البصري .. .. .
٣٨٢، ٣٧٨ .. .. .	ترجمة الشعبي .. .. .
٣٨٨-٣٨٢ .. .. .	ذكر الخليل بن أحمد .. .. .
٣٩٤، ٣٨٩ .. .. .	ذكر جرير .. .. .

صفحة	
٣٩٩-٣٩٤ .. .. .	ذكر قس بن ساعدة الإلادي ..
٤٠٠-٣٩٩ .. .. .	ذكر عبد الحميد السكاني ..
٤٠٥-٤٠٠ .. .. .	ذكر أبي عمرو بن العلاء ..
٤٠٦-٤٠٥ .. .. .	ذكر مناقب الأصبغى ..
٤١٦-٤٠٦ .. .. .	مجلس للأصبغى عند الرشيد ..



المسرح  
غفر الله له ولوالديه

مشرح

# مَقَامَاتُ الْحَزْبِيِّ

تأليف الأديب أحمد بن عبد الرحمن العيسى الشرايبي

تمتبه  
محمد إبراهيم الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية  
بيروت

الجزء الخامس

المسرح  
غفر الله له ولوالديه



# شرح مقاصد الحري

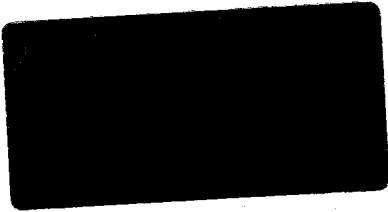
للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

جامعة الكويت  
إدارة المكتبة - قسم التوثيق العربي  
رقم التسجيل: ١٣٦٧٣٥  
التاريخ: ٩/١٦/٤٨

الجزء الخامس



المكتبة الوطنية  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار البيضاء - المغرب

بكيروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تليكس ٤٩١٧٤٤

صعيدا - ص.ب ٢٤١ - تليكس ٤٩١٩٨٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الحادية والأربعون وهي التَّيْسِيَّةُ

حدّث الحارث بن همام قال : أَطَعْتُ دَوَاعِيَ التَّصَابِي ، فِي غُلُوَاءِ شَبَابِي ؛ فَلَمْ أَزَلْ زِيْرًا لِلنَّيْدِ ، وَأُذُنًا لِلْأَغَارِيدِ ؛ إِلَى أَنْ وَافَى النَّذِيرَ ، وَوَلَّى الْعَيْشُ النَّصِيرَ ؛ فَفَرِمْتُ إِلَى رُشْدِ الْإِنْبِيَاءِ ، وَنَدِمْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي كَسْحِ الْهَنَاتِ بِالْحُسْنَاتِ ، وَتَلَا فِي الْهَفُوتِ قَبْلَ الْفَوَاتِ ؛ فَلِمْتُ عَنْ مُعَادَاةِ الْعَادَاتِ ، إِلَى مُلَاقَاةِ الثَّقَاةِ ، وَعَنْ مُقَانَاةِ الْقَيْنَاتِ ، إِلَى مُدَانَاةِ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ ، وَآلَيْتُ إِلَّا أَصْحَبَ إِلَّا مَنْ نَزَعَ عَنِ النَّمَى ، وَفَاءً مَنَشْرُهُ إِلَى الطَّيِّ . وَإِنْ أَلْفَيْتُ مَنْ هُوَ خَلِيعُ الرَّسَنِ ، مَدِيدُ الْوَسَنِ ، أَنْأَيْتُ دَارِي عَنْ دَارِهِ ، وَفَرَرْتُ عَنْ عَرِّهِ وَعَارِهِ .

\* \* \*

أَطَلَعْتُ دَوَاعِيَ التَّصَابِي ، بِقَالَ : أَطَعْتُ كَذَا ، وَطَعْتُ لَهُ ، أَيِ انْقَدْتُ . وَالْمَطِيعُ : الْمُنْقَادُ ، وَالتَّصَابِي : التَّظَاهِرُ بِالصَّبَا وَالتَّشَاغُلُ بِهِ . وَدَوَاعِيهِ : مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، وَغُلُوَاءُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ وَسُرْعَتُهُ ، أَرَادَ : مِلْتُ إِلَى اللُّهُوِّ وَاللَّعْبِ فِي أَوَّلِ

شبابي ، فلما أتى الشيبُ أحببت الرجوعَ إلى الخير . زيراً : كثير الزيارة .  
والغِيد : جمع غَيْداء ، وهي اللينة العنق والمفاصل من النعمة . أذنًا  
للأغاريد ، أي كثير الاستماع للغناء ، وفلان أذن ، إذا كان يستمع من كل  
قائل ، ويقبل منه . وافي : أتى ، والتذير : الشيب ، لأنه منذر الإنسان بتمام  
العمر ، أي يُعلمه . ولى : رجع وزال . النَّضِير : الناعم ، يريد زمن الشَّباب .  
ونؤخرُ ذكر الشيب ، فإنه يؤدِّي إلى تغيير شرح المقامة ، وتكلم هنا  
على ذهاب الشباب .

### [ البكاء والأسف على ذهاب الشباب ]

قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكَّتِ العربُ شيئاً ما بكَّتِ الشباب ، وما  
بلغتْ به ما يستحقّه .

الأصمعيّ : من أحسن ألفاظ الشعر المراثي والبكاء على الشباب ، قال ابن  
عباس رضى الله عنهما : الدنيا عافية ، والشباب الصحة .

ومن ألفاظ أهل المعمر : الشَّباب باكورة الحياة ، وروائح الجنة في  
الشباب . أطيب العيش أوائله ؛ كما أنّ أطيب الثمار بواكرها .

قال الصوليّ : قد أكثر في ذكر الشَّباب القدماء وأهل الإسلام . وأجمع  
الحذاق بالشعر وتمييز الكلام وألفاظه ؛ أنه لم يُقلّ فيه أحسن من قول  
منصور التَّمَرِيّ ، ووقع الإجماع عليه ، فما ضرَّ تأخّره ، وهو :

مَا تَنْقُضِي عِبْرَةَ مَنْى وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتَ شَبَاباً لَيْسَ يَرْتَجِعُ<sup>(١)</sup>

(١) الاغانى ١٣ : ١٤٥ ، اهنالى المرتضى ٢ : ٦٠٦ ، حماسة ابن السجري ٢٣٩

بَانَ الشَّبَابُ وَقَاتَنَدَنِي مَسْرَتُهُ  
 مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ غُرَّتِهِ  
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَطْعَمِي تُكَلَّ الشَّبَابُ وَلَمْ  
 أَبْكِي شَبَابًا سُلْبِنَاهُ وَكَانَ وَلَا  
 مَا وَجَّهَ الشَّيْبُ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ رَمَمَتْ  
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

كَانَ الشَّبَابُ مِطْيَاةَ الْجُهْلِ  
 كَانَ الْجَمَالَ إِذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ (٢)  
 كَانَ الْبَلِيغَ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ  
 كَانَ الْمَشَقَّعَ فِي مَارِبِهِ  
 وَالْبَاعِثِي وَالنَّاسَ قَدَرَقَدُوا (٤)  
 وَقَالَ جِحْظَةَ :

وَمَحْسَنَ الضَّحِكَاتِ وَالْمَهْرَلِ (١)  
 وَخَرَجْتُ أُخْطِرُ صَيِّتَ النَعْلِ  
 وَأَصَاحَتِ الْآذَانَ لِلْمُهْلِي  
 عِنْدَ الْحِسَانِ وَمُدْرِكَ التَّنْبَلِ (٣)  
 حَتَّى أَكُونَ خَلِيفَةَ التَّنْبَلِ (٥)

وَأَمَّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ  
 وَزَوَاهِنِ بِمَا عَرَفْتَ مِنَ الْمُنَاكِرِ وَالْمَعَارِفِ  
 أَيَّامِ ذِكْرِكَ فِي دَوَا  
 وَيُنِ الصَّبَا صَدَرَ الصَّحَافِ

(١) ديوانه ٣١١ ، أمالي المرتضى ٢ : ٦٠٧

(٢) المرتضى : « كان الجميل » .

(٣) التنبل : اللثائر ، وفي ط : « النبل » تحريف .

(٤) الديوان وأمالي المرتضى : « هجموا » .

(٥) بعده في الديوان والمرتضى :

وَالْأَمْرِي حَتَّى إِذَا عَزَمْتَ  
 فَالآن صِرْتُ إِلَى مِقَارِبَةٍ  
 نَفْسِي أَعَانَ عَلَيَّ بِالْفِعْلِ  
 وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَارِ حَلِي

وقال ابن أبي حارثة :

وَلَى الشَّبَابُ نَفْلَى العَيْنِ تَهْمِلُ  
فَقَدُّ الشَّبَابِ بِفَقْدِ الرُّوحِ مُتَّصِلٌ<sup>(١)</sup>  
لا تكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها  
من الشَّبَابِ بيومٍ واحدٍ بدلٌ  
وقال آخر :

شيثان لو بكت الدماء عليهما  
لم أبلغ العشار من حَقِّيهما :  
عيناى حتى تؤذنا بذهاب  
فقدُ الشَّبَابِ وفُرقة الأحاب  
أعرابي :

يا طيبَ أيامِ الشَّبَابِ وعَصْرِهِ  
ما كان أقصرَ ليـلـه ونهاره  
لو يُسْتَعَارُ جَدِيدُهُ فيعمارُ<sup>(٢)</sup>  
وكذاك أيامُ الشرورِ قِصارُ  
وقال ابن عبد ربه :

قالوا شَبَابُكَ قد مَضَتْ أَيامُهُ  
فَهُ أية نعمة كان الصِّبا  
بالعِشِ قَلْتُ وَقَدْ مَضَتْ أَيامِي<sup>(٣)</sup>  
لو أَنها وُصِدَتْ بِطُولِ دَوامِ  
حَسَرَ الشَّبَابُ قَناعَهُ عن رَأْسِهِ  
وصحا العواذِلُ بعد طُولِ مَلامِ  
فكَانَ ذاكَ العِيشَ ظِلُّ غَمامَةٍ  
وكانَ ذاكَ اللهُوَ طُولُ مَنامِ<sup>(٤)</sup>  
وقال أيضاً :

صِباى كَيْفَ صِرْتِ إِلى نَفادِ  
وُبدَلتَ البِياضَ مِنَ السَّوادِ<sup>(٥)</sup>

(١) اللالى لابی عبید البکری ٣٣٧ ، حساسة ابن الشجرى ٢٣٩ ، معانى العسکرى ٢ : ١٥٢ ، ونسبة الأبيات فيها الى محمد بن حازم ، وانظر أيضا العقد ٣ : ٤٦

(٢) العقد ٣ : ٤٧ ، بنسبته الى اعرابى أيضا .

(٣) العقد ٣ : ٤٧

(٤) العقد : « طيف منام » .

(٥) العقد ٢ : ٤٨ ، وفيه : « شبلى كيف صرت » .

فما أَبَقَ الحوادثُ منك إلا كما أَبَقَت من القَمَرِ الدَّادِي<sup>(١)</sup>  
 فراقك عرَفَ الأحرَازَ قَلْبِي وفرَّقَ بينَ عيني والرِّقادِ  
 زمانٌ كانَ فيه الرُّشدُ غَيًّا وكانَ الغيُّ فيه من الرِّشادِ  
 بِقُتْلِي بَدَلًا مِنْ قُتُولِ<sup>(٢)</sup> وَيُسَعِدُنِي بِوَصْلِ مِنْ سَعَادِ  
 وَأَجْنِبُهُ فِيمَظِينِي قِيادًا وَيَجْنُبُنِي فَأَعْطِيهِ قِيادِي

قال الفرزدق :

إِنَّ الملامَةَ مثل ما بَكَرَتْ بها من تحت ليلتِها عليك نَوَارِ<sup>(٣)</sup>  
 قالت : وكيف يَمِيلُ مثلكَ للصِّبا<sup>(٤)</sup> وعليك من سِمَةِ الحليمِ عِدَارُ  
 والشَّيْبُ يَهْضُ في الشَّبَابِ كأنَّهُ ليلٌ يصيحُ بجانبه نهارُ  
 إنَّ الشَّبابَ لرابحٌ مَبْتاعُهُ<sup>(٥)</sup> والشَّيْبُ ليس لبائعِهِ تِجارُ

قال إسحاق الموصلي : قال لي المعتصم : لقد فَضَحَكَ الشَّيْبُ في عارضيك ،  
 فقلت : نعم يا سيدي ، وبكيت ثم قلت :

تولَّى شبابُك إلا قليلاً وحلَّ الشَّيْبُ فصبراً جَمِيلاً<sup>(٦)</sup>  
 كَفَى حَزَناً بفراقِ الصِّبا وإن أصبحَ الشَّيْبُ منه بديلاً  
 فلما رأى الغانياتِ المشيبَ أغضينَ دونيَ طَرَفًا كَجَمِيلاً<sup>(٧)</sup>  
 سأندُبُ عَهْدَ انقضاءِ الصِّبا وأبكي الشَّبَابَ بكاءً طويلاً

(١) الدَّادِي : ثلاث ليالٍ من آخر الشهر قبل ليلِ الحاق .

(٢) العمد : « قبول » .

(٣) ديوانه ٦٧

(٤) الديوان : « وتقول كيف » .

(٥) الديوان : « لرابح من باعه » .

(٦) الخبر والشعر في الاغانى ٥ : ٦٩ (مأسى) .

(٧) الاغانى : « أغضين دونك » .

وَعَنَيْتُهَا . فَبِكِي الْعَتَمِمْ ، وَقَالَ : لَوْ قَدَرْتُ عَلَى رَدِّ شَبَابِكَ لَفَعَلْتُ وَلَوْ بِشَطْرِ  
مُلْكِي ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِكَلَامِهِ عِنْدِي جَوَابٌ إِلَّا أَنْ قَبَّلْتُ الْبَسَاطَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَأَبْنَى يَتِّ وَرَدَّ فِي فَقَدِ الشَّبَابِ قَوْلَ أَبِي الْغَضَنِ الْأَسَدِيِّ :

أَتَأْمُلُ رَجْعَةَ الدُّنْيَا سَفَاهًا وَقَدْ صَارَ الشَّبَابُ إِلَى ذَهَابِ

فَلَيْتَ الْبَاكِيَاتِ بِكُلِّ أَرْضٍ جُمِعْنَ لَنَا فَمُخِّنَ عَلَى الشَّبَابِ

وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ ، وَهُوَ جَاهِلِيٌّ :

أُودَى الشَّبَابِ حَمِيدًا ذُو التَّعَاجِبِ أُودَى وَذَلِكَ شَاؤُهُ غَيْرُ مَطْلُوبِ (١)

وَلَى حَيْثًا وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَمَاقِيبِ (٢)

أُودَى الشَّبَابِ الَّذِي مَجْدُهُ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدَةٌ وَلَا لِدَاتٍ لِلشَّيْبِ

وَقَالَ سَلَامَةُ أَيْضًا :

يَا خَدَّ أُمْسَى سِوَاذِ الرَّأْسِ خَالِطُهُ شَيْبُ الْقَدَالِ اخْتِلَاطَ الصَّمُوقِ بِالْكَدَرِ (٣)

يَا خَدَّ أُمْسَتْ لُبَانَاتِ الصَّبَا ذَهَبْتُ فَلَسْتَ مِنْهَا عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ

كَانَ الشَّبَابُ لِحَاجَاتٍ وَكَانَ لَهُ قَدْ فَرَعْتُ إِلَى حَاجَاتِي الْأُخْرَى

وَأَنشَدَ أَبُو الْعَيْنَاءِ :

مَا فِي يَدَيَّ مِنَ الصَّبَا إِلَّا الصَّبَابُ وَالْأَسْفُ

جَاءَ الشَّبَابُ فَمَا أَقَامَ وَلَا أَلَمَ وَلَا وَقَفَ

كَانَ الشَّبَابُ كِرَائِرٍ مَلَّ الزِّيَارَةَ وَانصَرَفَ

وَالْبَابُ لَا يُحْصَى كَثْرَةُ .

(١) مطلع المنضوية ٢٢ ص ١١٩ . وأودى : هلك : ذو التعاجيب : كثير العجب .

(٢) اليماقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل ، خصه لسرعته .

(٣) الأبيات لابن مقبل ، ديوانه ٧٣ ، ٧٤ ، وفيه : « يا حر » .



قوله : قرمت لكذا ، أى اشتدت شهوتى إليه ، وأصله شدة الشهوة إلى اللحم . والرشد والرشد واحد . فرطت : ضيقت ، وفرط فى الشيء : قدم فيه التقصير والعجز ، وهو من قولهم : فرط الفارط فى طلب الماء ، أى تقدم القوم إليه . وقرئ : ﴿ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾<sup>(١)</sup> ، بتخفيف الراء ، ومثله : ﴿ يا حسرتنا على ما فرطت فى جنب الله ﴾<sup>(٢)</sup> ومعنى القراءتين التقصير فى جنب الله ، أى فى حقه ، وقيل : فى أمر الله ، وقيل فى طاعته .

ابن الأعرابي : فى قرب الله . القراء : الجنب : القرب ، والجنب معظم الشيء وأكثره ، ومنه : هذا قليل فى جنب مودتك . الزجاج : أى على ما فرطت فى الطريق الذى هو طريق الله الذى دعانى إليه .

وكسع الهنات ، أى طرد القبائح والقاذورات ، والهنات ، كناية عن الفواحش والأفعال القبيحة ، مأخوذ من الهن ، وهو الفرج ، وكسعها : دفعها وإزالتها ، والكسع أن تضرب بيدك على دبر الشيء ، وكسعهم بالسيف ، إذا اتبعت أديبارهم ، فكأنه أزال القبائح عن نفسه ثم أذهبها بالدفع والضرب ؛ حتى نفاها بحسناته ، والكسع أيضاً : أن تضرب الشيء بصدر قدمك وقد كسعته . الأصمعي : الكسع : سرعة المر ، وكسعته بكذا : جعلته تابعاً له .

تلافي : تدارك . الهفوات : السقطات والزلات ، وقد هفا الرجُل ، إذا فعل المنكر وما يُكرهه . الفوات : الموت . مفاداة : مباكرة ، وقد غاداه : أتاه بالغدو ، والغادات : النواجم من النساء ، الواحدة غادة ، والتقاء : الخائفون ،

(١) سورة الأتعام ٢١

(٢) سورة الزمر ٥٦

الواحد تقى ، وقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾<sup>(١)</sup> ، يجوز أن يكون الأتقياء ، ويجوز أن يكون مصدرًا ، وهو أجود القولين : تقيته ، واتقيته نُقَى وَتَقِيَّةٌ وَتَقَاً وَتَقَاءً ، أى حذرته ، والاسم التقوى . مقاناة : مخالطة وملازمة ، وهى مفاعلة من التقيئة ، وهى الجارية المغنية ، والجمع قَيِّنَات . مداناة : مقاربة . ديانات ، هى من الدين ، أراد بها الطاعة . آليت : حلفت . نزع : زال وكفت . الغى : الضلال . فاء : رجع . منشره : انقشاره فى الصِّبَا واللَّهُو . ألفت : وجدت . خلع الرِّسَن : مسبب فى المعاصى ، لا يكفه عن إتيانها عقل ولادين ، وَحَلَمْتُ رَسَنَ الدَّابَّةِ : تركتها ترعى حيث شاءت سائبة ، ومثله خَالِعِ العِدَارِ ، وخالع عذاره ، أصله فى الدَّابَّةِ إِذَا خُلِعَ عِدَارُهَا فَسُيِّتَ ، فَإِنْ انْقَلَتِ رَسَنُهَا الذى تمسكها به ففرت ، قيل : جرت رسنها ، وفلان يجر رسنه ، وبابه فى الاستعارة أنه مسبب فى الشهوات مجاهر بها . مديد الوسن : طويل النوم ، أى فارغ البال من ذكر أو صلاة بالليل أو قراءة . أنأيت : أبعدت . عره : جربه ودائه ، يريد أنه حلف ألا يصاحب إلا من كفت عن الصِّبَا واللَّهُو والنساء ، ومتى وجد أهل اللهُو والغزل فرغ عنهم وتركهم ، وقال الألبيرى فأحسن :

مَنْ حَادَ عَنِ نَهْجِ المَدَى فَأضَلَّ قَصْدَ سَبِيلِهِ  
فَتَوَقَّ حَلْمَتَهُ فَدِينُ المَرءِ دِينُ خَلِيلِهِ

وله أيضاً

أَلَا خَيْرٌ بِمَنْزَحِ النَّوَاحِي أَطِيرَ إِلَيْهِ مَقْصُوصَ الجَنَاحِ<sup>(٢)</sup>

(١) سورة آل عمران ٢٨

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٨٤

وَأَسْأَلُهُ وَالظَّفَى عَسَاهُ      سَيَأْسُو مَا بَدِينِي مِنْ جِرَاحِ  
 وَيَجْلُو مَا دَجَى مِنْ لَيْلِ جَهْلِي      بِنُورِ هُدَى كَنْبَلِجِ الصَّبَاحِ  
 فَأَبْصُقُ فِي حَيَّا أَمْ دَفْرِي      وَأَهْجُرُهَا وَأُدْفَعُهَا بِرَاحِي  
 وَأُحْضُو مِنْ حُمَيَّاها وَأَسْلُو      عَفَاقًا عَنْ جَاذِرِهَا الْمِالَاحِ  
 وَأَصْرَفُ هَمِّي بِالْكَفِّ عَنْهَا      إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ

\* \* \*

فَلَمَّا أَلْقَيْتِ الرُّبَّةَ بِنَيْسٍ، وَأَحَلَّتْنِي مَسْجِدَهَا الْأَيْسِ، رَأَيْتُ  
 ذَا حَلَقَةٍ مُتَلَحِّمَةٍ، وَنَظَّارَةَ مُزْدَحِمَةٍ؛ وَهُوَ يَقُولُ بِجَاشِ مَكِينِ،  
 وَلِسَانِ مُبِينِ: مِسْكِينِ ابْنِ آدَمَ وَأَيُّ مِسْكِينِ! رَاكِنَ مِنَ الدُّنْيَا  
 إِلَى غَيْرِ رَاكِنِ، وَاسْتَعَصَمَ مِنْهَا بِمَيْرِ مَكِينِ، وَذُيِّحَ مِنْ حُجْبَهَا بِغَيْرِ  
 مِسْكِينِ، يَكْلَفُ بِهَا لِعِبَاوَتِهِ، وَيَكْلَبُ عَلَيْهَا لِشِقَاوَتِهِ، وَيَعْتَدُّ  
 فِيهَا لِمُفَاخِرَتِهِ، وَلَا يَتَزَوَّدُ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ.

أُقْسِمُ بِمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، وَنَوَّرَ الْقَمَرَيْنِ، وَرَفَعَ قَدْرَ الْحَجْرَيْنِ:  
 لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ، لَمَا نَادَمَ، وَلَوْ فَكَّرَ فِيمَا قَدَّمَ، لَبَكَى الدَّمُ،  
 وَلَوْ ذَكَرَ الْمَكَافَاتِ، لاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ. وَلَوْ نَظَرَ فِي الْمَالِ، لِحَسَنِ  
 قَبْحِ الْأَعْمَالِ.

يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ، لِمَنْ يَقْتَحِمُ ذَاتَ اللَّهَبِ، فِي اسْتِنَازِ الذَّهَبِ،

وَحَزَنِ النَّسَبِ ، لِذَوِي النَّسَبِ . ثُمَّ مِنَ الْبِدْعِ الْعَجِيبِ ، أَنْ يَعِظَكَ  
وَحُطُّ الْمَشِيبِ ، وَتَوْذِنَ شَمْسُكَ بِالْمَغِيبِ ، وَلَسْتَ تَرَى أَنَّ تُنِيبَ ،  
وَتَهْدِبَ الْعَمِيبِ .

\* \* \*

[ ذكر تنيس ]

تنيس بلدة كبيرة ، وهي جزيرة أهدقت بها بحيرة يتصل بها النيل ،  
فتعذب عند زيادته ستة أشهر ، وتملح ستة أشهر ، ويتصل بها خليج دمياط ،  
وخليجها ينقسم على شرفها غربياً ، ويلتقيان في البحيرة ، فيسيرون بسفهم  
من دمياط إلى تنيس ؛ دخولهم لها وخروجهم بريح واحدة محكمة . وأهل تنيس  
ذو يسار ، وأكثرهم حاكة . وثياب الشروب التي تُصنع بها وبدمياط لا يُصنع  
مثلها في الدنيا ، وليس في الدنيا طراز كَتَّان يبلغ الثوب منها دون أن يعين  
بذهب مائة دينار ، غير طراز تنيس ودمياط ، ويكتفى ثوبها بقصارة يوم  
واحد في البحيرة فيبيض . قال اليعقوبي : مدينة تنيس يحيط بها البحر  
الأعظم للملح ولها بحيرة يأتي ماؤها من النيل ، وهي مدينة قديمة بها  
تُعمل الثياب الرفيعة الصفاق والعصب والبرود والوشى ، وبها مرسى المراكب  
الواردة من الشام والمغرب .

قوله : ملتحة ، أي منضمة ملتصقة . ذا حلقة : يريد واعظا قد حلقة  
الناس والنظارة : الناظرون إليه . جاش : تنفس . مكين : شديد . ميين :  
مفصح . أي مسكين : ترحم عليه لكثرة مسكنته وتعجب منه . ركن :

سكن ولجأ. ركين شديد: قوى يُرْكَن إليه ، ورجل ركين ، أى وَقُورٌ بَيْنَ الرَكَاةِ ، والرَّكِينِ الثَّابِتِ . مكين : عزيزله مكانة ، أى منزلة رفيعة . ذُبُحٌ من حَبِّهَا بغير سكين ، إشارة لعذابه فيها ومحنته ، لأنَّ السُّكِينِ تَذِيحُ المَذْبُوحِ من ساعته ، ومنْ يُذْمَحُ بِحَجَرٍ أو عُودٍ أر غير ذلك ، فهو فى تعذيب .

أبو موسى: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضْرَّ بِدُنْيَاهُ ، فَآثِرٌ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى . »

وقال سفيان بن عيينة: وَيَلِكُمْ يَا عُلَمَاءَ السُّوءِ ، لَا تَكُونُوا كَالْمَنْخَلِ يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّقِيقُ الطَّيِّبُ فَيَمْرُ وَيَمَسُّكَ التَّنْخَالَةُ ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ ، وَيَبْقَى الْغِلَّةُ فِي صُدُورِكُمْ ، وَيَحْكُمُ ! إِنَّ الَّذِي يَخْوُضُ النَّهْرَ لِابْتِدَاءِ أَنْ يَصِيبَ ثَوْبَهُ الْمَاءَ وَإِنْ جَهَدَ أَلَّا يَصِيبَهُ ، كَذَلِكَ مَنْ يَحِبُّ الدُّنْيَا لَا يَنْجُو مِنَ الْخَطَايَا .

يَكَلِّفُ ، أى يولع بها ويشتدُّ حُبُّه فيها . غباوته : جهله . يَكَلِّبُ : يشتدُّ حرصه ، وكَلِّبَ عَلَى الشَّيْءِ : أَلْحَ فِي طَلْبِهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْكَلْبِ وَهُوَ السُّعْرُ فِي الْكَلَابِ . يَعْتَدُّ : يَسْتَعِدُّ . مَرَّجٌ : خَلَطٌ ، وَقِيلَ : أُرْسَلَهُمَا وَخَلَّاهُمَا كَمَا تَسْرَحُ الدَّابَّةُ فِي مَرْعَاهَا . وَالتَّمْرِينَ : الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، غَلَّبَ لَفْظُ الْقَمَرِ لَخَفَّتَهُ بِالتَّذْكِيرِ وَإِنْ كَانَتِ الشَّمْسُ أُنْثَى ، وَهِيَ أَصْلُ لُنُورِ الْقَمَرِ ، وَلِهَذَا قَالَ الْمُتَنَبِّئِيُّ :

وَمَا التَّانِثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّنْذُ كَبِيرٌ نَفْرٌ لِلْهَلَالِ<sup>(١)</sup>

أراد أن الشمس أنور وأضوأ ، فما يضرُّ هاتانِثِ اسمها ، وما ينفع الهلال تذكيرُ اسمه ، وهو ناقص عنها ، فإخفة لفظ القمر غلب ، كما قالوا : العميران

(١) ديوانه ٣ : ١٨

الأبى بكر وعمر ، وأبو بكر أفضل من عمر باتفاقٍ من أهل السنّة ، فغلب لفظ عمر خلفته بإفراده وقلة حروفه .

### [ مما قيل في القمر ]

ومما يحسن موقعه مع قوله : وَنَوَّرَ الْقَمَرِينَ ؛ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَضَلَّ الطَّرِيقَ  
أَمَاتَ جَزَعًا ، وَأَيُّقِينَ بِالْهَلَاكِ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْقَمَرُ اهْتَدَى ، وَوَجَدَ الطَّرِيقَ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ  
رَأْسَهُ لِيَشْكُرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَى مَا أَقُولُ لَكَ ، وَلَا مَا أَقُولُ فَيْكَ !  
أَقُولُ : رَفَعَكَ اللَّهُ ، فَاللَّهُ قَدْ رَفَعَكَ ، أَمْ أَقُولُ : نَوَّرَكَ اللَّهُ ، فَاللَّهُ قَدْ نَوَّرَكَ ،  
أَمْ أَقُولُ : حَسَّنَكَ اللَّهُ ، فَاللَّهُ قَدْ حَسَّنَكَ ، وَلَكِنْ مَا بَقِيَ إِلَّا الدَّعَاءُ أَنْ يُنْسِيَ  
اللَّهُ فِي أَجْلِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ السُّوءِ فِدَاءَكَ .

وَصَلَّتْ نَاقَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ ، فَأَكْثَرَ فِي طَلَبِهَا ، فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَلَمَّا  
طَلَعَ الْقَمَرُ وَانْبَسَطَ نُورُهُ وَجَدَهَا إِلَى جَانِبِهِ بِبَعْضِ الْأُودِيَةِ ، وَقَدْ كَانَ اجْتِازَ  
بِمَوْضِعِهَا مِرَارًا فَلَمْ يَرَهَا لِشِدَّةِ الظَّلامِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْقَمَرِ ، وَقَالَ :  
مَاذَا أَقُولُ وَقَوْلِي فَيْكَ ذُو خَطَرٍ وَقَدْ كَفَيْتَنِي التَّفْصِيلَ وَالْجَمَالَ  
إِنْ قُلْتَ لِأَزَلْتِ مَرْفُوعًا فَأَنْتِ كَذَا أَوْ قُلْتَ زَانَكَ رَبِّي ، فَهُوَ قَدْ فَعَلَا  
وَمَّا قِيلَ فِي ذَمِّهِ : عَرَبِدْ بَعْضَ الْحِجَانِ عَلَى الْقَمَرِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْكَ لَتَنْفَتَّ  
السُّكَّانُ ، وَتُغَيَّرُ الْأَلْوَانُ ، وَتَصْفَرُّ الْأَسْنَانُ ، وَتَخْتَرُ الْأَبْدَانُ ، وَتَسُدُّ الْأَذَانُ ،  
وَتَفْضَحُ السُّكَّرَانُ ، وَتُظْهِرُ السُّكَّامَانَ وَتَقْلِقُ الصَّبِيَانَ ، وَتَبْيِضُ الْأَرْجُونَ ،  
وَتَلْحَسُ الزُّعْفَرَانَ ، وَتَهْزِلُ الْحَيْتَانَ ، وَتَمْحَقُ الْأَدْمَغَةَ بِالنَّقْصَانِ .

وقال ابن المعتز يذمه :

يَا سَارِقَ الْأَنْوَارِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى يَا مُشْكِلِي طَيْبِ السُّكْرِ وَمَنْعِصِي<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٢ : ١٣٢

أما ضياء الشمس فيك فناقص<sup>(١)</sup> وأرى حرارة نارها لم تنقص<sup>(٢)</sup>  
لم يظفر التشبيه فيك بطائل متسلخ لونا كلون الأبرص

قوله : الحجرين ، أى الذهب والفضة . وقيل الحجر الأسود ومقام إبراهيم  
عليه السلام . نادم : صاحب ، والنديم الصاحب على الحجر . المكافات :  
الجزاة . المأل : المرجع . ذات اللهب : صاحبة النار ، يعنى جهنم . يقتحم :  
يتراعى فيها ، وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأخذ  
بِحُجَزِكُم عن النار ، وأتم تفتحمون فيها ، كما تفتحم الفراش والجنادب » .

الخرن : الجمع . البدع : الحدث لم يكن ثم كان ، وقد ابتدعت الشيء :  
أحدثته ، وسقت الناس إلى فعله . وخط : اختلط ، وقد وخط الشيب الشعر ،  
إذا خالطه وفشا فيه . وتؤذن : تعلم . شمسك بالمغيب : نفسك بالذهاب . تنيب :  
ترجع وتتوب . تهذب : تخلصه من العيب . والمعيب : الكثير العيب .  
يرشد : يهدى ويدل الطريق .

### [ مما قيل في الدنيا ]

ونذكر هنا شيئاً مما قيل في الدنيا موافقةً للحريى ، ثم نعود إلى ذكر  
الشيب :

ومن حُطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا :

ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً ، وأعدّ عديداً ، وأوضح  
أثاراً ، وأكثر جنوداً ، وأعدّ عتاداً ، وأطول عماداً ؛ تعبدوا للدنيا أى تعبد ،

(١) الديوان : « ضياء الشمس منك » .

(٢) الديوان : « حرارتها بها » .

وآثروها أى إِيثار، وطمعوا عنها بالكَرْه والصَّغَار، فهل بلفظكم أنّ الدنيا أَسْمَحَتْ لهم نفساً، وأَغْنَتْ عنهم بِحِيلَةٍ، بل أرهقتهم بالحوادث، ووضَّعَتْهم بالنوائب، ودهمتهم بالمصائب، أَرَأَيْتُمْ مَكْرَهَا مِن دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ (١) إلى قوله: ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة رضى الله عنه: «أَلَا أُرِيكَ الدنْيا جِعاءً بما فيها؟ قال: قلت: بلى، فأخذ بيدي، وأتى وادياً من أودية المدينة، فإذا مَزْبَلَةٌ فيها رموس الناس وعذرات وخِرْق، فقال: يا أبا هريرة، هذه الرموس كانت تحرِّص حرصكم، وتأمِّل أملككم، ثم هى اليوم عظام، ثمَّ غداً رماد، وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوا من حيث اكتسبوا، فقدفوها فى بطونهم، فأصبحت والنَّاس يتحامونها، والريح تصفِّقها، وهذه عظام دوابهم التى كانوا بها ينتجعون أطراف البلاد، فمن كان باكياً على الدنيا فليبك». فما برحنا، حتى اشتدَّت بكأؤنا.

مرّة أبو عثمان الدَّبَّاح، برجلٍ على كنيف، فقال له: إلى هذا اتتهت دنيا القوم.. وقال الشاعر:

ولقد سألتُ الدارَ عن أخبارهم فتبسَّمتُ عجَباً ولم تُبْدِ  
حتى مررتُ على الكنيفِ فقال لى أموالهم ونوالهمُ عندى

ويُروى أنّ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مرَّ بِجُمعة فضرَّها برجله، وقال: تكلمى بإذن الله، فقالت: يا رُوحَ الله، أنا مَلِكُ زمن كذا، فبينما أنا جالس فى مُلْكِي، على تاجي، وحولى حَشِيى وجنودى على سريرى،

(١) سورة هود ١٥، ١٦



إذ بدأ لي ملك الموت وظهر ، فزال عني كل عضو من موضعه ، ثم خرجت إليه نفسى .

ولبعض الزهاد :

دُنَيْيَا تُخَادِعُنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ حَالَهَا  
مَدَّتْ إِلَيَّ يَمِينَهَا قَطَعَتْهَا ، وَشِمَاهَا  
مَنْعَ الْإِلَهِ حَرَامَهَا وَأَنَا اجْتَنَبْتُ حَلَالَهَا  
وَرَأَيْتَهَا مُحْتَاجَةً فَوَهَبْتُ مُجْلَتَهَا هَلَا

ولبعضهم :

هَبِ الدُّنْيَا تَسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى اتِّتَالِ  
وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مَثَلُ فِيءٍ أَظْلَكَ مِمَّ آذَنَ بِالزَّوَالِ  
أبو العتاهية :

يَا مَنْ تَرَفَّعَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَيْسَ التَّرَفُّعُ رَفَعَ الطِّينِ بِالطِّينِ  
إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ فَانظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينِ  
أَرَى أَنَا سَاءَ بَادِنِي الدِّينِ قَدْ قَتَعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالذُّونِ  
فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَعْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ  
وقال التَّهَامِيُّ :

حُكْمُ الْمَدِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ قَرَارِ<sup>(١)</sup>  
بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مَخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ  
طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ  
وَمُكَلَّفَ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مَتَطَلَّبٌ فِي الْمَاءِ جَدْوَةٌ نَارِ

وقال أبو حاتم: إنما بيني وبين الملوك واحدة؛ أما أمس فلا يجدون لذته،  
وأنا وإيَّاهم في غد على وجل، وإنما هو اليوم، فمأسى أن يكون اليوم!  
أخذه أبو العتاهية فقال:

حَتَّى مَتَى نَحْنُ فِي الْأَيَّامِ نَحْسَبُهَا      وَإِنَّمَا نَحْنُ فِيهَا بَيْنَ يَوْمَيْنِ<sup>(١)</sup>  
يَوْمٌ تَوَلَّى وَيَوْمٌ نَحْنُ نَأْمُلُهُ      لَعَلَّ أَجْلُبُ الْأَيَّامِ لِلْحَيْنِ  
ولحاتم:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد      كذا الدهر فيما بيننا يتردد  
برد علينا ليلة بعد يومها      فلا عمرنا نأبتي ولا الدهر ينفد  
وللفقيه الباجي:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا      بَانَ جَمِيعُ حَيَاتِي كِسَاءَهُ  
فَمَ لَّا أَكُونُ ضَمِينًا بِهَا      وَأَجْعَلُهَا فِي صَالِحٍ وَطَاعَةٍ!  
وله أيضاً:

تَبَلَّغْ مِنَ الدُّنْيَا بِإِسْرٍ زَادِ      فَإِنَّكَ عَنْهَا رَاحِلٌ لَمَعَادِ  
وَعُضِّعْ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخْرِفِ أَهْلِهَا      جَفْوَتِكَ وَكَحْلُهَا بِطَيْبِ مَسَادِ  
وَجَاهِدْ عَنِ اللِّذَاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا      فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرُ جِهَادِ  
وَمَا هِيَ إِلَّا دَارٌ لَمَوْ وَفْتِنَةٍ      وَإِنَّ قِصَارَى أَهْلِهَا لِنِفَادِ  
وقال آخر:

وَمَا أَهْلُ الْحَيَاةِ لَنَا بِأَهْلٍ      وَلَا دَارُ الْفَنَاءِ لَنَا بِدَارِ  
وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوَارٍ      سِيَآخِذَهَا الْمَعِيرُ مِنَ الْمَعَارِ

(١) ديوانه: ٢٧٢٤

ولأبى العتاهية :

قطعتُ منكِ حباثل الآمالِ      وحططتُ عن ظهر المطى رِحالي  
 ووجدتُ برْد اليأسِ بين جِوانِحي      فأرحتُ من حطّى ومن ترِحالي  
 فالآن يا دُنيا عرَفْتُكِ فاذهبي      يا دارَ كلِّ تنقُّلٍ وزوالِ  
 والآف صار لي الزمانُ مؤدِّباً      ففدا وراحَ علىّ بالأمثالِ  
 بأبيها البطلُ الذي هو من غدٍ      في قبره متفرق الأوصالِ  
 حيلُ ابن آدمٍ في الأمورِ كثيرةٌ      والموتُ يقطعُ حيلةَ المحتالِ  
 وللقاضي أبي حفص بن عمران :

أيها المفسرُ بالزَّمنِ      في هواه خالِع الرِّسَنِ  
 حبِّك الدنيا وزينتها      فتنة عمَّتْكَ بالفِتَنِ  
 ظلَّت والحالاتُ شاهدةٌ      عاكفاً منها على وثنِ  
 فاهجرنها إن زينتها      زينةً شانت ولم تزنِ  
 خدعتك إنها قبحت      باطناً في ظاهرٍ حَسَنِ  
 واسئل عن حرصٍ وعن طمعٍ      أملاً يردى وعن وعنِ  
 ولتقدّم ما تُسرِّ به      قبل طول البَثِّ والحزنِ  
 فكان أحرَّك ما برحتَ      وكان دنياك لم تكنِ

\* \* \*

ثم اندفع يُنشدُ، إنشاد من يُرشد :

يا وَيْحَ مَنْ أَنْدرَهُ شَيْبُهُ      وَهُوَ عَلَى غَيِّ الصِّبَا مُنكَمِشِ  
 يَعْشُو إِلَى نارِ الهوى بَعْدَ ما      أَصْبَحَ مِنْ ضَعْفِ القَوْسِ يَرْتَمِشِ  
 وَيَتَطى اللّهُوَ وَيَعْتَدُهُ      أَوْ طأما يَفْتَرِشُ المُفْتَرِشِ

لَمْ يَهَبِ الشَّيْبَ الَّذِي مَا رَأَى      نَجْـوَمَهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا دُهَشَ  
 وَلَا انْتَهَى عَمَّا مَا نَهَاهُ النَّهَى      عَنْهُ وَلَا بَالَى بِعِرْضِ خُدَيْشِ  
 فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحِقًا لَهُ      وَإِنْ يَعْشُ عُدًّا كَانَ لَمْ يَعْشِ  
 لَا خَيْرَ فِي حَيَا امْرئٍ نَشْرُهُ      كَنَشْرِ مَيْتٍ بَعْدَ عَشْرِ نُبَشِ

\* \* \*

قوله : يا ويح من أنذره شيبه ، ويح كلمة ترحم ؛ أنذره : أبلغه وحذره .  
 غى : ضلال . منكش : مسرع إليه ملازم له ، وقد كَمَشَ الرَّجُلُ وانكش  
 في أمره : استمرَّ ومَضَى فيه مسرعاً .

ومن قولهم في الشيب

في هذا المعنى ما قال أكرم بن صيفي : الشيب عنوان الموت

وقال العتابي : الشَّيْبُ نذيرُ الموت .

وقال الثميري : هو عنوان الكبر .

قيس بن عاصم : هو خِطَامُ المنيَّة .

محمود الوراق : الشَّيْبُ إخذى الميتين .

المعز بن سايمان : الشيب موت الشَّعْر ، وموت الشَّعْرِ عِلَّةُ موتِ البَشَرِ .

أعرابي : كنت أنكر السوداء ، فياخير مبدول وياشر بدل ! أخذه

حبيب قال :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ قَضَلِ شَيْبِ الْفَوَادِ (١)

(١) ديوانه ٧٥

وكذاك الروس من كلِّ بؤسٍ<sup>(١)</sup> ونعيمٍ طلائعُ الأُجسادِ  
 طال إنكارى البياضَ وإنْ عُمِّرَتْ شيئاً أنكرتْ لونَ السَّوادِ<sup>(٢)</sup>  
 زارنى شخصه بطلعة ضيمٍ عَمَّرتْ مجلسي من العُوادِ  
 قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : عجَّلْ عليك الشيب يا رسول الله ، فقال :  
 « شيبتني هود وأخواتها » .

وقيل لعبد الملك : عجَّلْ عليك الشيب يا أميرَ المؤمنين ، فقال شيبني ارتقاء  
 المنار وتوقع اللحن .

وقيل لشاعر : عجَّلْ عليك الشيب ، فقال : كيف لا ، وأنا أعصِرُ قلبي في  
 عملٍ لا يُرَجَى ثوابه ، ولا يؤمن عقابه .  
 وقال محمود الوراق رحمه الله :

بَكَيْتُ لُقُوبِ الأَجَلِ وَبَعَدَ فَوَاتِ الأَمَلِ<sup>(٣)</sup>  
 ووافدِ شَيْبِ طَرَا بَعَقِبِ شَبَابِ رَحَلِ  
 شَبَابٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَشَبَبٌ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ  
 وقال حبيب :

عَمَدَا الشَّيْبِ مُخْتَطًّا بَفُودَى خُطَّةَ

طريقُ الرَّادَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْمِجٍ<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان : « وكذاك القلوب » .

(٢) بعده في الديوان :

نال رأسي من نُفْرَةِ الهَمِّ دالا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ نُفْرَةِ المِيلادِ

(٣) المعقد ٣ : ٤٢

(٤) ديوانه ١٩٠

هو الزَّورُ يُجَنِّى والمُعَاشِرُ يُجْتَوَى  
له مَنْظَرٌ في العين أبيضٌ ناصعٌ  
وَتَحْنُ زُرْجِيه على السخط والرضا<sup>(١)</sup>  
وذو الإلف يُقَلِّى والجديد يرقعُ  
ولكنه في القلب أسودٌ أسفعُ  
وأَنْفُ الفتي من وجهه وهو أجدعُ

وقال ابن عبد ربه :

شَبَابُ المرء تُنْفِدهُ اللَّيَالِي  
فَأَسْوَدُهُ يعود إلى بياضٍ  
وإن كانت تصيرُ إلى نَفَادٍ<sup>(٢)</sup>  
وأبيضُهُ يعودُ إلى سَوَادٍ

أخذ هذا من قول المستوغر بن ربيعة حين دخل على معاوية ، وهو ابن  
ثلاثمائة سنة ، فقال : كيف تجدك يا مستوغر ؟ قال : أجدني قد لآن مني ما كنت  
أحب أن يشتد ، وابيض مني ما كنت أحب أن يسود .

وقال ابن عبد ربه :

أَطْلَالٌ لهوكٍ قد أقوت مغانيها  
هذي المفارق قد قامت شواهدُها  
لم يبق من رَمِيمِها إلا أُنَافِيها<sup>(٣)</sup>  
على فنائك واندنيا تُرْكِيها  
لم يبق للموت إلا أن يسحِّيها<sup>(٤)</sup>  
للموت سفتجةٌ فيها معنونة

\* \* \*

قوله : يعشو ، أى ينظر ببصر ضعيف . يمتطى : يركب . يعتده : يحسبه .  
المفترش : المضطجع على الفراش ، يريد أنه يركب اللهو فيلتهده ويحده وطيثاً .  
يهب : ينحف . اللب : العقل : دُهِش : تحيّر . النهى : جمع نهية ، وهى العقل  
ينهى عن التبيح ، وينتهى به إلى حسن الرأى فى الأمور ، ويقال : نهاه عن  
ذلك نهاه ، أى عقله .

(١) الديوان : « على الكره والرضا » .

(٢) المقدم ٢ : ٤٤

(٣) المقدم ٢ : ٤٤

(٤) يقال : سحى القرطاس ، اذا أخذ منه سحاة ، والسحاة : ما يقشر عنه .

وأُشَدُّ أَبُو طَاهِرِ السَّلَفِيِّ ، قَالَ : أَنشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ  
نَصْرِ بْنِ مَرْهَفِ الْمَهَاوِنْدِيِّ ، قَالَ : أَنشَدَنِي الْأَدِيبُ الْمَدِينِيُّ لِنَفْسِهِ فِي نَفْسِهِ :

لِي عَلَى النَّاسِ فَضْلٌ نَظْمٍ وَنَثْرٍ      مِنْ أَبَاهُ هَجُونُهُ وَأَبَاهُ  
وَإِذَا مَا أَتَى صَفَعْتُ قَفَاهُ      وَقَفَا مَنْ أَعَانَهُ وَقَفَاهُ  
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ مُحَالًا      فَتَهَاهُ عَنِ الْحَالِ نُهَاهُ

قوله : خُدِشَ ، أَي ذَمَّ وَسُبَّ ، وَأَصْلُ الْخُدِشِ الْأَثْرُ فِي الْجِلْدِ ، ثُمَّ  
اتَّسَعَ فِيهِ ، فَجُعِلَ لِلْعَرَضِ . سَحَقًا : بَعْدًا ، وَالنَّشْرُ : الرِّيحُ ؛ طَيِّبَةٌ كَانَتْ  
أَوْ خَيْشَتَةً . نُبِشَ : أُخْرِجَ ، وَكُلُّ مَدْفُونٍ أُخْرِجَتْهُ فَقَدْ نَبَشَتْهُ . وَأَخَذَ هَذَا  
الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

تَبَحَّثْتُ عَنْ آثَارِهِ فَكَأَنَّمَا      نَبَشَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ ثَالِثَةِ الدَّفْنِ

وله :

أُنْبِيْ عَلَيْكَ بِمِثْلِ رِيحِكَ مِيتًا      فِي عَقَبِ يَوْمِ تَرْفُكِ الْأَعْوَادِ

وَأَخَذَ هَذَا وَهَذَا مِنْ قَوْلِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ ثَالِثَةِ ! وَتَقَدَّمَ  
فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ .

\* \* \*

وَحَبَّبًا مَنْ عَرِضُهُ طَيِّبٌ      يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بُرْدِ رُقِيشِ  
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ سَاكَهَ ذَنْبُهُ :      هَلَكْتَ يَا مَسْكِينُ أَوْ تَنْتَقِشِ  
فَأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمِئِنَ بِهَا      مِنْ الْخَطَايَا الشُّوْدِ مَا قَدْ نُقِشِ  
وَعَاشِرِ النَّاسِ بِمُخْلِقِ رِضَا      وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشِ  
وَرِشِ جِنَاحِ الْحُرِّ إِنْ حَصَّهُ      زَمَانُهُ ، لَا كَانِ مَنْ لَمْ يَرِشِ

وَأَجِدِ الْمَوْتورَ ظَلَمًا فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِجَادِهِ فَاسْتَجِسْ  
وَأَنْعَسْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ عَسَاكَ فِي الْحُسْرِ بِهِ تَنْتَعِسْ  
وَهَاكَ كَأْسَ النَّصِيحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشَ

\* \* \*

يروق : يُعْجِب : بُرَد : ثوب . رُقِش : رِقْمٌ وَزَيْنٌ ، تقول : رَقَشْتُ يَدَ  
الْمَرْأَةِ بِالْحِنَاءِ وَالْحَائِطَ بِالْأَصْبَاغِ وَالْقِرطَاسَ بِالْمِدَادِ ، وشبه هذا شاكهُ ذَنْبُهُ ،  
يقال : شاكهُ يَشُوكُهُ ، إذا دخل فيه شَوْكَةٌ ، قال الشاعر :

لَا تَنْقُشَنَّ بِرَجْلِ غَيْرِكَ شَوْكَةً فَتَقِيَّ بِرَجْلِكَ رِجْلَ مَنْ قَدْ شَاكَهَا  
فشاكها ، أَدْخَلَ فِيهَا الشَّوْكَ ، وشَاكَتَهُ الشَّوْكَةُ : دخلت فيه ، وشَاكَتَهُ  
أَنَا ، إذا أَدْخَلْتَ الشَّوْكَةَ فِي جِسْمِهِ ، فَإِنْ أَصَابَكَ الشَّوْكَ قَالَتْ : شاكَنِي الشَّوْكَ  
يَشُوكُنِي شَوْكًا . وانتَمَشَتْ حَتَّى مِنْ فُلَانٍ ، إذا استخرجته ولم تترك منه شيئًا .  
وقال صلى الله عليه وسلم : « وإن شيك فلا انتقش » ، فشيك أصابه  
الشوك ومعناه إذا وقع في شرٍّ فلا يخلص منه .

تَنْتَقِشُ : تخرج الشَّوْكَةَ وتبحث عليها ، وأَوْ بمعنى إلاً . والمناقشة : البحث  
والاستقصاء ، ومنه مناقشة الحساب ، وبذلك سُمِّيَ الْمِنْقَاشُ ، وقال ابنُ الرومي :

إِذَا رُمْتُ بِالْمِنْقَاشِ تَنْفَ أَشَاهِي أَتِيحُ لَهَا مِنْ بَيْنِهِنَّ الْأَبَاهِمُ  
يُرَاوِغُ مِنْقَاشِي نَجْمَ مَسَائِحِي وَهَنْ بَعِينِي طَالَعَاتُ نَوَاجِمُ  
تَطْمِيسُ : تمحو . ونَقَشَ : كتب ، والنَّقَشُ يستعمل في مثل الخشب  
والحائط والصَّخْرِ ، والنَّقَشُ : الفتح والتأثير في نفس المنقوش . وقال الأليبري  
في معنى هذا البيت :

مَنْ لَيْسَ يَسْعَى فِي الْخِلَاصِ لِنَفْسِهِ كَانَتْ سَعَايَتُهُ عَلَيْهَا ، لَا لَهَا (١)



إِنَّ الذُّنُوبَ بِتَوْبَةٍ تُمَحَّى كَمَا يَمْحُو سُجُودُ السَّمِوِّ غَفْلَةً مَنْ سَهَا  
 قوله : عاشر ، أى صاحب . دار : عامله بما يحب ، وَاَمْشِ عَلَى غَرْضِهِ .  
 طاش : خَفَّ عَقْلُهُ ، ورجل طَيَّاشٌ غير مقتصد فى قوله ، وهو مِنْ طاش السهم ،  
 إذا لم يصب ووقع على غير قصد ، ومثله قول أعرابيِّ لبنيه : عَاشِرُوا النَّاسَ  
 مُعَاشِرَةً إِذَا غَبْتُمْ حُنُوءًا إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ مَتُّمُ بَدُّوا عَلَيْكُمْ ؛ وهذا من قول الشاعر :  
 وَأَكْرَمُ كَرِيمًا إِنْ أَتَاكَ لِحَاجَةٍ لِفَاقَتِهِ إِنْ الْعَصَا تَرُوحُ  
 وقال الأضبط بن قريع :

لَا تَهِينِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرَكَ يَوْمًا وَالذَّهْرَ قَدْ رَفَعَهُ (١)

رش الجناح : اكسه الريش ، والمعنى أصلح حال الحرِّ إذا افتقر . حَصَّه :  
 نفثه . أَنْجِدْ : قَوِّ وَأَعِنْ ، والموتور : المظلوم الذى قَتَلَ له أخ أو ولد أو نسيب .  
 اسْتَحْشِنْ : اجمع جيشًا ، والمعنى : إذا لم تقدر على إعانة مظلوم ، فتوسَّطْ لمن  
 يُعِينُهُ . انعش : ارفع . كبوة : سَقَطَةٌ وعثرة . تنتمش : ترتفع وتقوم من  
 عَثْرَتِكَ . هَاكْ : خذ ، والمعنى خذ كأس النصيحة فاشربها فإذا رويت فاستقِ  
 غيرك . ولا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب .

\* \* \*

قال : فَأَمَّا فَرَّغَ مِنْ مُبَكِّيَاتِهِ ، وَقَضَى إِنْشَادَ آيَاتِهِ ، نَهَضَ  
 صَبِيٌّ قَدْ شَدَنَّ ، وَأَعْرَى الْبَدَنَ ، وَقَالَ : يَا ذَوِي الْحِصَاةِ ، وَالْإِنْصَاتِ  
 إِلَى الْوَصَاةِ ، قَدْ وَعَيْتُمُ الْإِنْشَادَ ، وَفَقَّهْتُمُ الْإِرْشَادَ ، فَمَنْ نَوَى مِنْكُمْ  
 أَنْ يَقْبَلَ ، وَيُصْلِحَ الْمُسْتَقْبَلَ ، فَلْيَبِينِ بِيْرَى عَنِ رَبِّهِ ، وَلَا يَعْدِلْ

(١) الشعر والشعراء ٢٨٣ ، وهو من أبيات الشواهد ، على أن نون التوكيد الخفيفة  
 تحذف لالتقاء الساكنين والاصل : « لا تهين » .

عَنِّي بِعَطِيَّتِهِ ؛ فَوَالَّذِي يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ ، وَيَغْفِرُ الْإِضْرَارَ ؛ إِنَّ سِرِّي لَكَمَا  
 تَرَوْنَ ، وَإِنَّ وَجْهِي لَيَسْتَوْجِبُ الصَّوْنَ ؛ فَأَعِينُونِي رُزِقْتُمُ الْعَمُونَ .  
 قَالَ : فَأَخَذَ الشَّيْخُ فِيمَا يَعْطِفُ عَلَيْهِ الْقُلُوبَ ؛ وَيُسَنِّي لَهُ الْمَطْلُوبَ ؛  
 حَتَّى أَنْبَطَ حَفْرُهُ ، وَاعْشَوْشَبَ قَفْرُهُ . فَلَمَّا أَنْ تَرَعَ الْكَيْسُ ؛  
 انْفَلَتَ يَمِيسُ ، وَيَحْمَدُ تَنِيْسُ ، وَلَمْ يَحُلْ لِلسَّيِّخِ الْمَقَامَ ، بَعْدَ مَا انْصَاعَ  
 الْغَلَامُ . فَاسْتَرْفَعَ الْأَيْدِي بِالْذُّعَاءِ ، ثُمَّ نَحَا نَحْوَ الْإِنْكَفَاءِ .

\* \* \*

قوله : قضى ، أى أتم . نهض : قام وتقدم . شَدَنَ : اشتدَّ وقوى ،  
 وأصله فى الظَّبِّيِّ والصَّبِيِّ ، تقول : شَدَنَ الظَّبِّيُّ ، إِذَا اشْتَدَّ وَتَرْمَعُ ، وَكَذَلِكَ  
 الصَّبِيُّ قَالَ عمر بن أبى ربيعة :

إِذْ تَسْتَبِيكُ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ وَمَقْلَتِي جُوذَرٍ لَمْ يَعُدُّ أَنْ شَدَنَا<sup>(١)</sup>  
 أَرَادَ أَنَّهُ تَرْمَعُ لِلْمَشَى وَالرَّغَى . أَغْرَى الْبَدَنَ : تَرَكَهُ عُرْيَانًا . ذَوِي  
 الْخِصَاةِ : أَهْلُ الْعُقُولِ ؛ وَالْإِنْصَاتِ : السَّكُوتِ وَحَسَنُ الْإِسْتِمَاعِ . وَالْوَصَاةُ ،  
 بِمَعْنَى الْوَصِيَّةِ كَالْتِمَاقَةِ بِمَعْنَى التَّقِيَّةِ ، وَأَصْلُهَا « وَقِيَّةٌ » قُلِبَتْ الْوَاوُ تَاءً وَالْيَاءُ أَلْفًا ،  
 وَالْوَاوُ إِذَا انْضَمَّتْ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ كُنْتَ بِالْخِيَارِ ، إِنْ شُدَّتْ تَرَكَتَهَا ، وَإِنْ  
 شُدَّتْ قَلْبَتَهَا ، وَلِهَذَا تُرِكَتْ فِي الْوَصَاةِ . وَقِيلَ الْوَصَاةُ بِفَتْحِ الْوَاوِ فِي الْوَصِيَّةِ ،  
 وَبِضْمِّهَا جَمْعٌ وَاصٍ كِرَاعٍ وَرُعَاةٍ ، وَعَيْتِمٌ : حَفِظْتُمْ . فَهَيْتِمٌ : فَهَيْتِمٌ : الْإِرْشَادُ ؛  
 الْمَهْدَايَةُ : أَيْ قَدْ فَهَيْتِمٌ مَا دَلَّتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ فَاغْتَمُوا . نَوَى : قَصَدَ وَأَضْمَرَ ، وَهُوَ  
 مِنَ النَّيَّةِ ، وَأَرَادَ بِالْمُسْتَقْبَلِ ، مَا يَسْتَقْبَلُهُ مِنْ أَفْعَالِهِ . فُلَيْبِنٌ : فَلْيَفْصَحْ وَبَيِّنْ .  
 بَرِّي : يَا كِرَامِي . عَنْ نَيْتِهِ : عَنْ قَصْدِهِ وَصِدْقِ بَاطِنِهِ . يَعْدِلُ : يَمِيلُ .

الإصرار : الإقامة على الذنب ، سرّى لكما ترون ، أى هو ظاهر لكم غير مستتر : الصّون : الحوطه فيما يعطف عليه القلوب ، يريد أنه أخذ في كلام تحنّ به للصبيّ قلوب الناس . يسنى : يسهل وييسّر . أنبط : أخرج الماء . القفر : مالا نبات فيه . اعشوشب تغطى بالعشب ، يريد أنه استغنى بعد القفر ، وضرب بأنبط واعشوشب المثل . ترع : امتلأ ، والكيس : وعاء الدرهم . انصلت : تسلل وخرج بسهولة . عيس : يتمايل ويقبخر . انصاع : ذهب مسرعاً وانفتل راجعاً . استرفع : طلب رفعها . نحاحو الانكفاء ، أى قصد قُصد الانصراف .

\* \* \*

قال الراوى : فازمحت إلى أن أعجمه ، وأحلّ مترجمه ، فتبعته وهو يشتد في سمنه ، ولا يفتق رثق صمته ؛ فلما أمّن المفاجي ، وأمّكن التناجي ، لفت جيده إلى ، وسلم تسليم البشاشة على ، ثم قال : أراقك ذكاء ذاك الشويدين ؟ فقلت : إى والمؤمن المهيمن ؛ قال : إنه فتى السروجي ، ومخرج الذر من اللجى . فقلت : إنك لشجرة ثمرة ، وشواظ شررته . فصدّق كهانتى ، واستحسن إبانتي . ثم قال : هل لك في ابتدار البيت ؛ لنتنازع كأس الكميت ؟ فقلت له : ويحك ! « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم » . فافتتر افتتار متضاحك ، ومرّ غير مباحك . ثمّ بدا له أن تراجع إلى ، وقال : احفظها عني وعلى :

أصرف بصرف الراح عنك الأسي وروح القلب ولا تكسب  
وقل لمن لامك فيما به تدفع عنك الهم : قدك اتتب

قوله : ارتحت ، أى اشتهيت وطربت . أُنجمه : أخْبَره . مترجمه : ملتبسه  
يشتد : يجرى . سمته : طريقه . يفتق رتق : يشق غلق . صمته : مبهم أمره  
والفتق : الخرق ، والرتق : الإغلاق ، وهو ضدّه ، وذلك أن يضمّ المتخرق  
بعضه إلى بعض : التناجى : التحدث . لفت جيده : عطف عنقه . البشاشة :  
الخِلفة وإبداء السرور . أراقك؟ : أمعجبك؟ ذكاء : حذق ، والذكاء : توقّد الذهن .  
الشوَيْدين : تصغير شادن ، وأراد ابنه . والمؤمن المهيم ، هو الله تعالى ، والإيمان :  
التصديق . وقال أبو بكر بن العربي : البارئُ تعالى مؤمن بتصديقه لنفسه  
بقوله ، وذلك حقيقته ، قال الله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، أو بتصديقه  
لرسله بإظهار المعجزة ، أولاً وليائه بإظهار الكرامة ، وهما مجازان . والمهيم :  
الرقيب الحافظ .

الكسائيّ : المهيم : الشهيد . أبو عبيدة : الرقيب ، وقد هيمن هيمنة .  
ابن الأنباري : القائم على خلقه ، قال الشاعر :

ألا إن خير الناس بعد نبيهم      مهيمنه التّاليه في العرف والنكر  
أى القائم على الناس بعده ، وأصله « مؤمن » فأبدلوا من الهززة هاء كما  
قالوا : أرتق وهرقت . وفي مثل مدح هذا الغلام بالذكاء قال الفضل بن جعفر :  
فإن خلّفته السنّ فالعقل بالغٌ      به رتبة الكهل المرشح للمجد  
قد كان يحيى أوتى الحكم قبله      صبيّاً وعيسى كلم الناس في المهدي  
وقال البحرى :

لا تنظرن إلى العباس من صغر  
في السن وانظر إلى المجد الذي شادا<sup>(١)</sup>

إنّ النجوم نجومٌ أقرها      في العين أكثرها في الجوّ إصعادا

(١) ديوانه ٦١٠ . وفيه : « لا تنظرن الى العباس » ، والاصح ما في الديوان ،  
والقصيدة في مدح على بن محمد بن الفياض .

## [ ذكر نوادر الولدان ]

ولمَّا ذَكَرَ لهذا الصبيّ من فصاحة اللسان وبراعة البيان ما ذكر، وجب علينا أن نذكر من نوادر الولدان فصلاً كافياً يؤنس بما ذكر، لئلا نخلّ بما شرطناه، فقد تروى للولدان نوادر، ربما عجزت عنها الكهول ذوو البصائر.

حكى الخطّابيّ أنه قدِمَ على عمر بن عبد العزيز وقدّم فيهم شاب، فتحوّس للكلام، فقال عمر: كبروا وكبروا، أي ليتكلّم الكبراء منكم، فقال: الغلام يا أمير المؤمنين، لو كان [ الأمر ] بالسنّ لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك. قال عمر: صدقت! تكلم.

فتحوّس: فهنيئاً للكلام.

وفي رواية: قدّم وفد الحجاز على عمر فقدّموا غلاماً منهم للكلام، فقال عمر: مهلاً، ليتكلّم من هو أسنُّ منك، فقال الغلام: مهلاً يا أمير المؤمنين، إنّما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد أجاد له الحلية. قال: تكلم، قال: نحن وفود الشكر، لا وفود المرزومة<sup>(١)</sup>، لم تُقدّمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأننا أمنا في زمانك ما خفنا، وأدر كنا ما طلبنا.

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير، فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين، محمد بن عبد الملك، سليل نعمتك وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك؛ أفتأذن لي في الكلام؟ قال: نعم. فحمد الله تعالى وصلى على نبيه، ثم قال: أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا،

(١) رزاء: أصاب منه خيرا.

ورعاية أقداننا وأدنانا ، بقائك يا أمير المؤمنين ، ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا ، وفي أثرك من آثارنا ، ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا ، هذا مقام العائذ بظلك ، الهارب إلى كنفك وفضلك ، الفقير إلى رحمتك وعدلك . ثم سأل حوائجهم فقضاها .

وقحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك ؛ فوفد عليه رهوس القبائل فجلس لهم ، وفيهم صبي<sup>١</sup> ، ابن أربع عشرة سنة ، يسمى درواس بن حبيب ، في رأسه ذؤابة ، وعليه بُرْدَةٌ يمانية . فاستصغره هشام وقال لحاجبه : ما يشاء أحدٌ أن يصل إلينا إلا وصل ، حتى الصبيان ! فقال درواس : يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يُخلِّ بك ولا انتقصك ، ولكنّه شرّفتني ، وإن هؤلاء قدّموا لأمرٍ فهابوك دونه ، وإن الكلام نشر ، والسكوت طي لا يُعرف إلا بنشره ؛ فأعجبه كلامه ، وقال : انشر لا أم لك ! فقال : إنا أصابنا سنون ثلاثة ، فسنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت الشحم ، وسنة أنقمت<sup>(١)</sup> العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله عز وجل فقرّ قوها على عباده ، وإن كانت لهم فلا تحتبسوها عنهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ؛ فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ؛ وإنّ الوالي من الرعيّة كالروح من الجسد ، لا حياة له إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر بمائة ألف دينار فقرّرت في أهل البادية ، وأمر له بمائة ألف درهم : فقال : اردّدها في جائزة العرب ، فما لي حاجة في خاصّة نفي دون عامّة المسلمين .

أحمد بن يحيى : حدثني السدرى أن مُبِيراً غزت حنيفة فغنمت ، وتبعتهم حنيفة فهزموهم ، وردّوا غنائمهم ، فلقيتُ غلاماً منهم ، قلت : كيف صنع قومك؟ فقال : تبعوهم والله ، وقد أحقبوا كلُّ جُماليّة خيْفانة ، فما زالوا ينخسفون

(١) انقت العظم : أخرجت النقي منه . والنقى : مخ العظم .

أخفاف الطيّّ بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثلاثة . فجعلوا المرّان أرسية الموت ، فاستقوا بها أرواحهم .

وهذا كلام فصيح كثير الاستعارة . أحقبا : أريدوا بموضع الخفية ، والجالية المرأة الجميلة : وخصف : خرز ، وتشبيه المرّان — وهي الأرماع — بالأرسية وهي الجبال حسن .

وجلس خالد القسري يوماً للشعراء على الفرات ، فأنشده وأخذوا الجوائز وانصرفوا ، ولم يبق إلاّ غلام ، فقال خالد : يا غلام ، أشاعر أنت ؟ قال : لا ولكنني مُتعلّم ، وقد قلتُ شيئاً ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

ألا هل ترى موج الفرات كأنه      جبال سرورٍ قد أتيتك عوماً  
وما ذاك من عاداته غير أنه      رأى شيةً من جاره فتعلّماً

وكان بقي على البساط فضلة مال ، فقال له خالد : اطو البساط بما عليه ، فأخذه الغلام بما عليه .

ورأى بعضُ الملوك غلاماً يسوق حماراً ، وهو يعنف عليه ، فقال : ارفق يا غلام ، فقال : أيها الملك ، في الرفق مضرة عليه ، قال : وما مضرتُه ؟ قال : يطول طريقه ، ويشتدّ جوعه ، وفي العنف عليه إحسانٌ إليه ، يخفّ حمله ، ويطول أكله . فأعجب به ، وقال : قد أمرت لك بألف درهم ، قال : رزقٌ مقدور ، وواهب ماجور . قال : وقد أمرت بإثبات اسمك في حشبي ، قال : كُفيتُ مئونة ، ورزقت بهامعونة ، قال : لولا صفرك لاستوزرتك ، قال : لم يعلم الفضل من رزق العقل ، قال : أفتصلح لذلك ؟ قال : إنما يكون الحمد أو الذم بعد التجربة ، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها ، فاستوزره فوبده ذا رأى صائب .

دخل الفرزدق — وهو غلام يافع — على سعيد بن العاص ، وقد أشد  
أشعاراً والحطيئة حاضر فأنشده :

ترى الغرّ الجعاجيح من قُرَيْشٍ إذا ما الأمرُ في الحدّانِ عَالاً<sup>(١)</sup>  
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ كأنهم يرون به اهتلالاً

فقال الحطيئة : هذا والله الشعر ، لا ما تعلل به نفسك هذا اليوم ، يا غلام  
أدركت من قبلك ، وسبقت من بعدك ، وإن طال عمرك لتبرزن ، ثم قال  
له : هل أنجدت أمك يا غلام ، قال : لا بل أنجد أبي ، فوجده لقيناً حاضر  
الجواب فأعجبته .

وكان للفرزدق نديم يسمى زياداً الأقطع ، فأتى بابه ، فخرجت له بُدَيَّةٌ له  
صغيرة اسمها مكية ، فقال لها : ابنة من أنت ؟ قالت : ابنة الفرزدق ، قال :  
فما بالك حبشيّة ؟ قالت : فما بال يدك مقطوعة ؟ قال : قُطعت في حرب الحرورية ،  
قالت : بل قُطعت في اللوصية ، فقال : عليك وعلى أبيك لعنة الله ، ثم أخبر  
الفرزدق بالخبر ، فقال : أشهد أنها ابنتي حقاً ، ثم قال :

سام إذا ما كنت محمّية<sup>(٢)</sup> بدارميّ أمه ضبية<sup>(٣)</sup>  
\* صَحْمَحٍ مثل أبي مكيّة<sup>(٤)</sup> \*

وقرّع باب عدى بن الرقاع جماعة من الشعراء ، فخرجت إليهم بُدَيَّةٌ له  
صغيرة فقالت : ما تريدون من أبي ؟ فقالوا : جئنا لئهاجتيه ، فقالت :

تجمعتن من كلّ أوبٍ ووجهة على واحدٍ لازلتم قرنَ واحدٍ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٦١٨ . عال : انقل ، وفي الديوان : « لا »

(٢) ديوانه ٨٨٥ ، وفيه : « شاهد » ، بدل : « سام » .

(٣) « ضبية » وما أتته من الديوان .

(٤) الصمّح : الشديد الخلق والالواح .

(٥) الخبر والشعر في الاغانى ٩ : ٣١٠ .



فأخفتهم ، ورجعوا بأخزى حالة .

وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو صغير : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟  
 فقال : إنَّ أبى أوصى إلىَّ ولم يوصِ بى . أخذهُ بعضهم فقال :

وكنْتُ النجيب لدى ناجلي فأوصى إلىَّ ولم يوصِ بى

قال يحيى بن يزيد : استنشدتُ غلاماً ، فأشدنى أرجوزة ، فقلت : لمن هذه ؟

فقال : لى . فجزته فأنشأ يقول :

إنى وإن كنتُ صغير السنِّ وكان فى العين نُبوُّ عنى

فإنَّ شيطاني أميرُ الجنِّ يذهب بى فى القول كلَّ فنِّ

الأصمعى رحمه الله : قال وقف على غلام بحمى ضريبة ، ما ظننته يجمع بين

كلمتين ، فقلت له : ما اسمك ؟ قال : حُرّ يقيص ، فقلت له : ما كفى أهلك أن سموك

حرقوصاً حتى صفروا اسمك ! فقال : إن السَّقَط ليحرق الحرجة ، فمجبت من

جوابه ، فقلت : أنشد شيئاً من أشعار قومك ؟ قال : نعم أنشد لمرآرنا :

سكنوا شبيئنا والأحصَّ فأصبحت نزلت منازلهم بنو ذُبْيَانِ

وإذا يقال أنيتمُّ لم يبرحوا حتى تقيم الخيل سوق طِعَانِ

وإذا فلان مات عن أكرومة رنعوا معاوزَ فقيرِه لفلانِ

قال : فكادت الأرض تسوخ لحسن إنشاده وجودة الشعر ، فحدثت

الرشيد الحديث فقال : وددتُ يا أصمعى لو رأيتُ هذا الغلام ، فكنتُ أبلغه

أعلى المراتب<sup>(١)</sup> . فهذا الغلام مُتَمَّى بمحقير مصغر ، وهو فى معناه جليل معظم .

ويُنظَر إلى هذا من باب الضدِّ ما حدث أبو العباس عن الرياشي عن

الأصمعى ، قال : مرَّ بنا أعرابي ، وهو ينشد ابناً له ، فقلت له : صِفْه ، فقال :

ديمرى ، قتلنا : لم نره ، فلم نلبث أن جاء بجمعلٍ على عنقه ، قتلنا له : لو سألت

عن هذا لأرشدناك ، ما زال هذا اليوم بين أيدينا .

(١) الخبر فى أمالى العالى ١ : ٦٦

(٣ م — شرح مفاتيح الحريرى ج ٥)

الأصمعيّ: قيل لأبي المِخْش: أما كان لك ابن؟ فقال: المِخْش، قيل: وما كان المِخْش؟ قال: أشدق خُرطائياً، إذا تكلم سالها به، كأننا ينظر من فلسين، وكان ترقوته بُوَان أو خالفة<sup>(١)</sup>، وكان مشاش منكبيه كركرة جل؛ فقأ الله عيني هاتين إن كنت رأيتُ أحسن منه قبله أو بعده، وأنشد:

نعم ضجيع الفتى إذا برد الليل سحيراً وقرقف الصرد  
زيناها الله في الفؤاد كما زين في عين والد ولد

وقال أبو المِخْش: كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفاً كأنها طلعة، في ذراع كأنها جمارة، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصنتني بها، فزوجتها، وصار يجلس معي على المائدة ابن لي، فيبرز كفاً كأنها الكرنافة، في ذراع كأنها سباطة، فلا تقع عيني على أكلة نفيسة إلا سبقت يده إليها قبلي.

- المِخْش: الذي ينخش في القوم، يدخل معهم وهم يأكلون، وأراد بمثل الفلاسّين عور عينيه. وقيل خُفرتهما. خُرطائياً: طويل الأنف، وسيلان اللعاب يدل على قوة النفس. البُوَان: عمود في مقدم البيت، والكرنافة: طرف الكرب العريض المتصل بالنخلة كأنها كتف -

اليزيدي: أول ما ظهر من نجابة المأمون وسداده أني كنت أودّبه فوجهت إليه يوماً ليخرج، فأبطأ، فقلت لسعيد الجوهري وهو في حُجرة: إن هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة، فقال سعيد: قومته بالأدب، فلما خرج ضربته ثلاث درر، فإنه ليبيكي إذا يجعفر بن يحيى قد استأذن عليه، فوثب إلى فراشه مسرعاً، وهو يمسح عينيه، فجلس ثم قال: ليدخل، فدخل، فقامت من المجلس وخشيت أن يشكوني إلى جعفر، فألقى منه ما أكره، فأقبل عليه بوجه طلق وحادثه وضاحك، فلما هم بالحركة قال: يا غلام، دابته، ورجعت. قال: ما حملك أن

(١) الخالفة: عمود من اعمدة البيت.

قت عنا ! قلت : خفت أن تشكروني إليه فيؤبختني ، فقال : إنا لله يا أبا محمد !  
ما كنت أطلع الرشيد على هذا ، فكيف أطلع جعفرأ على أني أحتاج إلى أدب !  
يفغر الله لك . فكنت أهابه بعد ذلك .

وشكيت إلى معلم عبد الرحمن بن حسان بصبيان ، فضربهم حتى انتهى إلى  
عبد الرحمن ، فهدده فقال :

الله يعلم أني كنت معتزلاً في دار حسان أصطاد اليعاسيا  
فتركه . وبلغ حسان ، فضمه إليه وقال : أنت والله ابني حقاً فذاك  
أبي وأمي !

ودخل عليه يوماً يبكي من لسعة زنبور ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال :  
لسعتني طائر كأنه ملتفت في بُردتي حبرة ، فقال : قلت والله يا بُني الشعر .  
وجاءت سكينه بنت الحسين أمها الرباب وهي تبكي ، قالت : مالك ؟  
فقلت : مررت بي طويرة فلسعتني بأيرة .

ويروي : مررت بي ذبيرة ، تصغير دبرة وهي النحلة .

\* \* \*

قوله : اللجى : البحر . شواظ : لهب النار . والكهانة : بالكسر : حرفة  
الكاهن ، وبالفتح فعل الكاهن ، وهو المصدر ، والكاهن : الخبز بالغيث .  
واقترت : تبسم . متضاحك : مستعمل الضحك . مُمأحك : لجوج ، أى  
مشى غير غضب .

احفظها عني ، أى حصّلها وعيها . وعلى ، أى اكتبها واسترها ، وقامت  
الواو مقام تكرير الفعل . اصرف : أزل ونح . صيرف الراح : خالص الخمر .  
الأسى : الحزن . تكتئب : تهتم وتحزن . قدك : حسبك . اتئب : ارتجع وكف .

وقيل: معناه استخى، يقال منه: وأبّ وأتأب، أى خزى واستحيا والأبّة والثوبّة: الخزى والحياء والالتباس، وأوأبه واستأبه: رده بخزى وعار، والتاء فيها مبدلة من واو، فأصل أتأب أو تأب فأبدلت الواو تاء وأدغمت فى التاء بعدها، وهى من وأب الحافر يئب وأبأ إذا انضم. وحافرٌ وأب، أى خفيف، والثوبّة مأخوذة من أتأب: وقال حبيب:

قَدِّكَ أَتَيْبٌ أَرَيْتَ فِي الْعُلُوِّ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ شَجْوِي

فهذا يبيّن لك موقعها فى المقامة .

وعلى قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (١)، قال: أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مررت برجالٍ ليلة أُسْرِيَ بى ، تُقْرَضُ شفاههم وألسنتهم بمقاريضٍ من نار، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم» .

أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ الذين يأمرون الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم يُجرؤون قصبَهُمْ فى نار جهنم ، فىقال لهم: مَنْ أنتم؟ فىقولون: نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا» .

قال أبو العتاهية فى منصور بن عمار وكانه يخطب واعظ المقامة:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا	إذ عبت منهم أموراً كنت تأتيها
كاللبس الثوب من عرى وعورته	للناس بادية ما إن يوارىها
وأعظم الأمر بعد الشرك تعلمه	فى كلِّ نفسٍ عماها عن مساوئها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها	منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

ومن لزوميات المعرى :

رُوَيْدُكَ قَدْ خُدِعْتَ وَأَنْتَ كَهْلٌ<sup>(١)</sup> بصاحب حيلة يعط النساء<sup>(١)</sup>  
 يَحْرَمُ فِيكُمْ الصَّبَاءَ صُبْحًا ويشربها على عند مساء<sup>(٢)</sup>  
 يَقُولُ لَكُمْ : غَدَوْتُ بِلَا كِسَاءِ وفي لذاتها رهن الكساء  
 إِذَا فَعَلَ الْفَتَى مَا عَنهُ يَنْهَى فمن جهتين لا جهة أساء

[ من الخمريات ]

ونذكر هنا من الأبيات الخمريات ما يأتي على معنى البيتين اللذين أنشد ،

قال الحسن :

ما مثل هذا اليوم في حسنه عطل من لم هو ولا ضيعة<sup>(٣)</sup>  
 هل لك أن تغدو على قهوة تُسرِع في المرء إذا أسرعا  
 ما وجد الناس ولا جربوا اللهم شيئا مثلها مدقعا  
 وله أيضا :

حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا بصفراء من ماء الكروم تَمُولِ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَامَةِ مِنَ الْفَتَى دعا همهم من صدره برحيل  
 وله :

دَعِذَا فَدَيْتُكَ وَاشْرَبَهَا مَعْتَمَةً صفراء تعبق بين الماء والزبد<sup>(٥)</sup>

(١) اللزوميات ٥١

(٢) بعده في اللزوميات :

تَحَسَّاهَا فَمِنْ مَرْجٍ وَصِرْفٍ يَعْلُ كَأَنَّهَا وَرَدَ الْحِسَاءِ

(٣) ديوانه ٣٠٣ ، وفيه : « لم أر مثل اليوم في حسنه » .

(٤) ديوانه ٣١٠ وفيه : « بصعباء » .

(٥) ديوانه ٢٢٧ ، وفيه :

\* صفراء تفرق بين الروح والجسد \*

من كفّ مختصر الزّئار معتدل كفضن بان ثنّي غير ذى أود<sup>(١)</sup>  
لو كان لومك نصحاً كنت أقبه لكن لومك محمول على الحسد  
وقال الصّابي :

كوكبُ الإصباح لاحاً طالماً والدّيك صاحاً<sup>(٢)</sup>  
فاستقيها قهوةً نأ سؤمين الهمّ جراحاً  
ذاتَ نشرٍ كنسيم الرّوض غبّ القطر فاحاً  
ياغلاي ما أرى فيك ولا فيها جناحاً  
وله من أبيات يصف فيها مجلس شراب :

كان الكئوس بأيدي الشّقاء سيوف لها بالدّماء احمرار<sup>(٣)</sup>  
كان تسكّابها في الزّجاج حريق لها من حباب شرار  
فلما برزن إلى الهمّ فيه ولي بالشرور عليه اقتدار  
جرى الضربُ مختلفاً بيننا فمات وعشتُ وقد نيل نار  
وقال أبو بكر البلوي :

ومدام كست الكأ س من النور وشاحاً  
ظهرت في جُنح ليل فكأنّ الفجر لاحاً  
لم يكن وقت صباح فحسبناه صباحاً

وقال أبو بكر الخالدي :

ما عذرنا في تركنا الأعنابا سقط الندى وصفاً الهواء وطاباً<sup>(٤)</sup>  
فأدم لناذة عيشنا بمدامة زادت على هرَم الزّمان شباباً

(١) في الديوان

من كفّ مضطمر الزّئاد معتدل كان غصن بان غير ذى أود

(٢) البيّمة ٢ : ٢٢٦

(٣) البيّمة ٢ : ٢٢٧

(٤) ديوانه ١١٦

سَفَرْتُ وَغَابَ حَبَابُهَا مِنْ لِحْظِهَا      فَعَلَا مُحَاسِنَهَا فَصَارَ نِقَابًا  
ولابن المعتز :

ونار قد حنناها سِراعًا بِسُخْرَةٍ      متى ما يُرْتَقِ مَاءٌ عَلَيْهَا تَوَقَّدُ  
يجولُ حَبَابُ الْمَاءِ فِي جَنَابِهَا      كما جال دمعٌ فوق خدِّ مُورَدِّ

\* \* \*

ثم قال : أما أنا فساأنطلق ، إلى حيث أصطبح وأغتبق ؛ وإذا  
كنت لا تصعب ، وَلَا تُلَامُ مَنْ يَطْرُبُ ؛ فَلَسْتُ لِي بِرَفِيقٍ ،  
وَلَا طَرِيقَ لِي بِطَرِيقٍ ؛ نَحَلُّ سَبِيلِي وَنَكَبُ ، وَلَا تَنْقُرُ عَنِّي وَلَا  
تَنْقُبُ ؛ ثُمَّ وَلِي مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ .

قال الحارث همام : فَالْتَهَيْتُ وَجَدَّ عِنْدَ انْطِلَاقِهِ ، وَوَدِدْتُ لَوْ لَمْ أَثَلِّقْهُ .

\* \* \*

قوله : أصطبح ، أشرب صبوحًا وهو شرب القدو . وأغتبق : أشرب  
غبوقًا ، وهو شرب العشي . تلامم : توافق . نكب : تنح عن طريق واجعله لجهة  
منكبتك . تنقر وتنقب : تبحث وتفتش ، وقد نقرت عن الأمر إذا طلبت علم باطنه  
ونقت عنه ، إذا بحثت عليه بظنك حتى تستخرج سره ، وفلان نقاب ، أى  
فطن ذكئى يحدث بالغائب ، والتعقيب فى البلاد : تطلع أحوال أهلها وتجريب  
أموارهم . ولئى : أدبر ، وترك طريقه الذى كان يستقبله . يعقب : ينظر . والوجد :  
الحزن . والتهيت . اشتعلت . وددت : تمنيت .

ومما قيل فى ترك الوداع :

صدنى عن حلاوة التشيع      اجتنابى سمرارة التوديع  
لا يبق أنسُ ذا بوحشة هذا      فرأيت الصواب ترك الجميع

## المقامة الثانية والأربعون وهي النجرانية

حكى الحارث بن همام قال : تَرَامَتْ بِي مَرَامِي النَّوَى ،  
 وَمَسَارِي الْهُوَى ؛ إِلَى أَنْ صِرْتُ ابْنَ كُلِّ تُرْبَةٍ ، وَأَخَا كُلِّ غُرْبَةٍ ؛  
 إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَقْطَعُ وَاوِيًّا ، وَلَا أَشْهَدُ نَادِيًّا ؛ إِلَّا لِقَبَاسِ الْأَدَبِ  
 الْمُسْلِيِّ عَنِ الْأَشْجَانِ ، الْمَغْلِيِّ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ ؛ حَتَّى عُرِفْتُ لِي هَذِهِ  
 الشُّنْشِنَةُ ، وَتَنَاقَلَتْهَا عَنِّي الْأَلْسِنَةُ ، وَصَارَتْ أَعْلَقِي بِي مِنَ الْهُوَى بَيْنِي  
 عُذْرَةَ ، وَالشَّجَاعَةَ بِأَلِ صُفْرَةَ .

\* \* \*

ترامت بي : رميتني هذه إلى هذه وهذه إلى هذه . والمرامى : المواضع التي  
 ترميه . والمسارى : مواضع الشرى ، وهو سير الليل ، وهو جمع مرعى ومسرى ،  
 ويكون المرعى والمسرى مصدرين . والنوى : الغربة والبعد عن الأهل ،  
 أراد أن البلاد والجهات ترميه بلدة إلى بلدة ، وجهة إلى جهة ، فهو أبدأ في  
 الجولان . وابن كل تربة ، أى ينسب لكل بلدة لكثرة ما يظهر فيها .  
 نادياً : مجلساً . الاقباس : الاكتساب . المسلى : المذهب للهيم ، وتسليت  
 عن الهم : نسيته . والأشجان : الأحزان ، وقد تقدم شرح هذه المعاني وتكررت .  
 الشنشنة : الطبيعية . أعلق : ألصق .

[ ذكر بنى عذرة ونواديرهم وأشعارهم ]

وبنو عذرة : قبيلة معروفة من قبائل العرب ، وهم أولاد عذرة بن سعد بن  
 هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاة .  
 الفنجديهي : عذرة قبيلة من العرب ، يستأذون مرارة العشق مثل الضرب ،



جُبِلت المحبة في طينتهم، وجُنبتِ المودة من لينتهم، وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك، ورهائن قلوبهم من حرارات الشوق لا تُفك، استأرهم العشق أسراً، واستأصلهم الحب قهراً وقسراً؛ فمنهم من يموت من أوام غرامه، ومنهم من يموت بهيام سقامه .

ومن مشاهيرهم جميل بن عبد الله بن مَعَمَر العُذْرِيّ صاحب بيئنة بنت عبد الله العُذْرِيّة ، وعروة بن حزام صاحب عفراء بنت مالك العذريّين .

وقال : سعيد بن عتبة الهمدانيّ : قلت لأعرابيٍّ : من أنت؟ قال : من قومٍ إذا عشقوا ماتوا ، قلت : عُذْرِيّ؟ قال : عُذْرِيّ وربّ الكعبة ، قلت : وممّ ذلك؟ قال : لأنّ في نساءنا صباحة ، وفي فتياتنا عفة .

وسئل أعرابيٍّ منهم قهيل له : ما حدّ الحب عندكم؟ فقال : أعين تتلاخط وألسن تتلافظ ، وعيّدات تتفصّي ، وإشارات تدل على السخط والرضا . قيل له : فالباضعة؟ قال : ذلك طلب الولد ، الحب إذا نكح فسد .

سفيان بن زياد : قلت لامرأة من عُذرة - ورأيت بها هوى غالباً حتى خفت عليها الموت : ما بال العشق يقتلكم معاشرَ عذرة من بين أحياء العرب؟ قالت : فينا جمال وتعفّف ، فالجمال يحملنا على العفاف به ، والعتاف يورثنا رقة القلب ، والعشق يفني آجالنا ، وإنا نرى محاجرَ لا ترونها .

أبو عمر بن العلاء : حدّثني رجل من تميم ، قال : خرجت في طلب ضالّة لي ، فبينما أنا أدور في أرض بني عُذرة أنشدّها، إذاً بيت منعرزل عن البيوت، وفي كسرهِ شابٌّ مغمّي عليه، وعند رأسه عجوز بها بقية جمال، ساهمة تنظر إليه، فسلمت عليها ، فردّت السلام ، فسألتها عن ضالّتي فلم تعلم بها ، فقلت : من هذا الفتى؟ فقالت : ابني ، فهل لك في أجرٍ لا مؤونة فيه؟ فقلت : والله إني أحبُّ الأجر وإن رزيت ، فقالت : إن ابني هذا يهوى ابنة عمِّ له، علقتها وهما صغيران، فلما

كَبُرَتْ خَطْبَهَا غَيْرُهُ ، فَأَخَذَهُ شَبِيهَ الْجَنُونِ ، نَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا ، فَفَنَعَهُ وَزَوَّجَهَا غَيْرَهُ ،  
فَنَحَلَ جِسْمَهُ وَاصْفَرَ لَوْنَهُ ، وَذَهَبَ عَقْلَهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْذُ خَمْسِ زَفَّتْ إِلَى زَوْجِهَا ،  
فَنَهَوَّ كَمَا تَرَى مَعْنَى عَلَيْهِ ، لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، فَلَوْ نَزَلَتْ إِلَيْهِ فَوَعظَتْهُ ! قَالَ :  
فَنَزَلَتْ إِلَيْهِ فَلَمْ أَدْعُ مَوْعِظَةً إِلَّا وَعَظْتُهُ بِهَا ، حَتَّى قُلْتُ لَهُ : إِنَّهُنَّ الْغَوَانِي صَاحِبَاتُ  
يُوسُفَ ، النَّاقِضَاتُ الْعَهْدِ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِنَّ كَثِيرٌ :

هَلْ وَصَلُ عَزَّةٌ إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةٍ فِي وَصَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصَلِهَا خَلْفٌ<sup>(١)</sup>

قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ مَحْمَرَّةَ عَيْنَاهُ كَالْمَغْضَبِ ، وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ كَكَثِيرٍ ،  
إِنْ كَثِيرٌ رَجُلٌ مَاتِقٌ ، وَأَنَا وَامِقٌ ، وَلَكِنِّي كَأَخِي تَمِيمٍ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا لَا يُضِرُّ الْحَبَّ مَنْ كَانَ صَابِرًا وَلَكِنْ مَا اجْتَابَ الْفَوَادِ يَضِيرُ  
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْهُوَى كَيْفَ قَادِنِي كَمَا قَيْدَ مَغُولِ الْيَدِينِ أَسِيرُ

قُلْتُ لَهُ : فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ عَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ أُصِيبَ  
مِنْكُمْ بِمَصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مَصَابِيئِي » ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَمْ تَعُدْنِي أَبْجُلُ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صَدُودُ !  
مَرَضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَمَا لَكَ لَمْ تَرْتَمِي فِيمَنْ يَعُودُ !  
قَدَدْتِكَ يَدِيهِمْ فَبَكَيْتِ شَوْقًا وَقَدَدَ الْإِلْفَ يَا أُمِّي شَدِيدُ  
وَمَا اسْتَبَطَّاتِ غَيْرَكَ فَاعَلِمِيهِ وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحْمِي عَدِيدُ  
وَلَوْ كُنْتُ الْمَرِيضَ لَكُنْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ وَمَا يَهْدِدُنِي الْوَعِيدُ

ثُمَّ شَهَقَ شَهْقَةً ، وَخَفَّتْ خَفْتَهُ ، فَدَاخَلَنِي أَمْرٌ مَا دَاخَلَنِي مِثْلَهُ قَطُّ ، وَالْمَجُوزُ  
تَبَكَّى ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِي قَالَتْ : يَا فِتْنِي ، لَا تَرْتَعْ ؛ مَاتَ اللَّهُ وَوَلَدِي بِأَجَلِهِ ،  
وَاسْتِرَاحَ مِنْ تَبَارِيحِهِ وَغُصَصِهِ ، فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِكْمَالِ الصَّنِيعَةِ ؟ قُلْتُ : قَوْلِي

(١) ملحق ديوانه ٥٥٥ .

مأحيت ، قالت : تأتي البيوت فتنعاه إليهم ، ليعاونوني على رمسه ، فإني وحيدة ، فركبتُ فرسي ، وأتيت البيوت ، رافعاً صوتي بنعيه ، فلم ألبث أن خرجت لي جارية ، أجلُّ ما رأيت من النساء ، ناشرةً شعرها ، حديثة عهد بمرس ، تقول : **بفك الحجر المصمت ! مَنْ تَنَعَى ؟ قلت : أنعى فلاناً ، قالت : أو قد مات ! قلت : إى والله قد مات . قالت : فهل سمعت له قولاً ؟ قلت : اللهم شعراً ، قالت : وما هو ؟ فأشدتها أبياته ، فاستعبرت وأنشأت تقول :**

عَدَّابِي أَنْ أزوْرِكَ يَا مُرَادِي      معاشرُ كلُّهمُ واشٍ حَسودُ  
أشاعوا ما علمت من الدَّواهي      وعايوناً وما فيهم رشيدُ  
فأَمَّا إِذْ ثَوَيْتَ اليَوْمَ لِحَدَا      وكلُّ الناسِ دورهمُ لِحودُ  
فلا طابَ لِي الدُّنيا فُوَاقًا<sup>(١)</sup>      ولا لهمُ ولا أُنزَى العَدِيدُ

ثم شهقت شهقة ، فوَقعت مَفشيًّا عليها ، وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة ، وماتت .

فوالله ما برحتُ حتى دفنتُهما جميعاً<sup>(٢)</sup> .

هشام بن عروة : أذن معاوية للناس يوماً فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عُذرة ، فقام بين السَّمطين وأنشأ يقول :

أَتَيْتَكَ لَمَّا ضَاقَ فِي الأَرْضِ مَسْلِكِي      وَأُنكِرْتُ مِمَّا قَدْ أُصِيبْتُ بِهِ عَقْلِي  
فَفَرَّجَ كَلَاكَ اللهُ عَنِّي فَأَتَيْتِي      لَقِيتَ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي  
وَخَذَلِي هَذَاكَ اللهُ حَقِّي مِنَ الَّذِي      رَمَانِي بِسَهْمٍ كَانَ أَهْوَنُهُ قَتْلِي  
وَكَنتُ أَرْجِي عَدْلَهُ إِذْ أَتَيْتُهُ

فَأَكْثَرَ تَرَدَادِي مَعَ الحَبْسِ وَالكَبْلِ

فَطَلَّقْتُهَا مِنْ جُهْدِ مَا قَدْ أَصَابَنِي      فَهَلْ ذَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مِنَ العَدْلِ!

(١) الفواق : الوقت بين الحلبتين .

(٢) الخبر والشعر في كتاب نهى الهوى لابن الجوزي ٥٠٤ - ٥٠٦ .

فقال له معاوية : اذنُ بارك الله عليك ، ما خطبك ؟ قال : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، إني رجل من بني عُذرة ، تزوّجتُ ابنة عمّ لي . وكانت لي صيرمة<sup>(١)</sup> من الإبل وشويهات ، فأفقت ذلك عليها ، فلما أصابتنى نائبات الزمان وحادثات الدهر رغب عني أبوها . وكانت جاريةً منها الحياء والكرم ، فكرهت مخالفة أبيها . فأنتيت عاملك عبد الرحمن بن أم الحكم فذكرت ذلك له . وبلغه جاهها ، فأعطى أباه عشرة آلاف درهم وتزوّجها ، وأخذني فخبسني ، وضيق عليّ ، فلما أصابني مسُّ الحديد وألم العذاب طَلَقَتْهَا ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين ، وأنت غياث المحروب ، ومعيد المسلوب ، فهل من فرّج ؟ ثم بكى وهو يقول :

في القلب مِنِّي نَارُ	والنَّار فيها شرارُ
وفي فؤادِي جمرٌ	والجر فيه احمرارُ
والجسم مِنِّي نحيلٌ	واللون فيه اصفرارُ
والعين تبكي بِشَجْوٍ	فدمعها مِـدْرَارُ
والحَبّ داء عَسِيرٌ	فيه الطيب يَحَارُ
حملتُ منه عَظِيماً	فما عليه اصطبارُ
فليس لي لَيْلٌ لَيْلاً	ولا نهارٍ نَهَارُ

فرّق معاوية له ؛ وكتب إلى ابن أم الحكم كتاباً غليظاً وفي آخره :

رَكِبْتَ أَمْرًا عَظِيمًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جَوْرِ امْرِئِ زَانِي
قَد كُنْتَ تُشَبِّهُ صُوفِيًّا لَهُ كُتِبَ	مِنَ الْفَرَاغِ أَوْ آيَاتِ فِرْقَانِ
حَتَّى آتَانِي الْفَتَى الْعُذْرِيَّ مُنْتَجِبًا	يَشْكُو إِلَيَّ بِحَقِّ غَيْرِ بُهْتَانِ
أَعْطَى الْإِلَهَ عَهْدًا لَا أَخْبِسُ بِهَا	أَوْ لَا فَبِرِّتْ مِنْ دِينِي وَأَيْمَانِي

(١) الصرمة : الجماعة من الإبل ما بين العشرين والثلاثين .

إن أنت راجعتني فيما كتبتُ به لأجعلنك لهما بين عقبانِ  
 طلق سعاد وفارقهما بمجتمعٍ  
 وأشهد على ذلك نصرأ وابنَ ظبيانِ  
 فما سمعتُ كما حُددتُ من محجبٍ ولا فعالكُ حقاً فعل إنسانِ

فلما ورد الكتاب على ابن أم الحكم ، تنفس الضَّعاء ، وقال : وددت  
 لو أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ، ثم عرض على السيف ، وجعل يُؤامر  
 نفسه في طلاقها فلم يقدر ، فلما أزعجه الوفد طلقها ثم قال : يا سعاد أخرجي ،  
 فخرجت شكلاً غنجة ذات هيئة وجمال ، فلما رآها الوفد قالوا : ما تصأح هذه  
 إلا للأمير المؤمنين لأعرابي ، وكتب الجواب :

لا تحنن أمير المؤمنين فقد أوفى بعهدك في رفق وإحسانِ  
 فما ركب حراماً حين أعجبني فكيف سُميتُ باسم الخائن الزاني !  
 فسوف تاتيك شمس لا خفاء بها أبهى البرية من أنسٍ ومن بجانِ  
 حوراء يقصر عنها الوصف إذ وُصفتُ  
 أقول ذلك في سرٍّ وإعلانِ

فلما وردت على معاوية ، قال : إن كانت أعطيت حسن النعمة مع هذه  
 الصفة ، فهي أكمل البرية ، فاستنطقها ، فإذا هي أحسنُ الناس كلاماً ، وأكملهم  
 شكلاً ودلاً ، فقال : يا أعرابي ، هل من سؤلٍ عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم  
 إذا فرقت بين رأسي وجسدي ، ثم أنشأ يقول :

لا تجعلني والأمثال تُضرب بي كالستجير من الرمضاء بالنار  
 اردد سعاد على حيرانِ مكتئبٍ يُمنسى ويصبح في همٍّ وتذكارِ  
 قد شفه قلقٌ ما مثله قلقٌ وأسعر القلبُ منه أي إسعارِ  
 والله والله لا أنسى محبتهم حتى أغيب في رمسٍ وأحجارِ

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها وأصبح القلب عنها غير صَبَّارٍ  
فغضب معاوية غضباً شديداً ، ثم قال لها : اختارى مَنْ شئت ، أنا  
أو ابن أم الحكم أو الأعرابي ؛ فأنشأت تقول :

هذا وإن أصبح في أطمارٍ أو كان في بعضٍ من البسارِ  
أكبرُ عندي من أبي وجارى وصاحبِ الدرهم والدينارِ  
\* أخشى إذا غدرتُ حرَّ النارِ \*

فقال له معاوية : خذها لا بارك الله لك فيها ، فأخذها وأنشأ يقول :

خَلُّوا عن الطريق للأعرابي ألم ترقوا ويحكمُ لما بي !  
فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأدخلت لبعض قصوره  
حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ، ثم دفعها للأعرابي<sup>(١)</sup> .

وقال بعضهم : كنت سائراً في بلاد عُذرة فوجتُ بعضَ أوديتهم وإذا  
شابُّ حسنُ الوجه ، بيده زمام ناقة ، عليها هودجٌ مسجفٌ<sup>(٢)</sup> ، به جارية ، ومن  
وراء الناقة خمس قلائص<sup>(٣)</sup> ، وقد رفع عقيرته ينشد ويقول :

ته كيف شئت وسيرٌ على مهلٍ كلُّ الجبال عليك يا بجلٍ  
على أنك لا ترى كلالاً ما دام فوقك هذه الكلالُ

فسلمتُ عليه ، فردَّ ، وسألته وسألني وتناشدنا ، واتصل الأنس بيننا ، وسرنا  
غير قليل ، فرأى قانصاً في أحبولته ظبيُّ ، فلما رآه يضطرب في الأحبولة أجهش  
بالبكاء ، وأنشأ يقول :

وذكرني من لا أبو حُبُّه محاجرٌ ظبي في حباله قانص

(١) الخبير والشعر في كتاب نهاية الأرب ٢ : ١٥٦ - ١٥٩

(٢) الهودج : مركب للنساء . ومسجف ، عليه سبحان وهو الستر ■

(٣) القلائص من الإبل : الشاة

فقلتُ وجفنُ العينِ يجري بعبرةٍ      ولحظي إلى عينيه لحظةٌ شاخصِ  
ألا أيُّ هذا القانصِ الظبيِّ خلهُ      وخذ عوصاً منه جياذَ قلائبي  
خفِ الله لا تجسه إن شبيهه      حياتي قد أرعدت منه فرائبي

قال القانص: الله إن فعلت؟ قال: الله، فأرسل الظبي، واستاق القلائص.  
وحدث رجل من بني عذرة قال: كان فينا فتى ظريف غزل، كثيراً  
ما يتحدث إلى النساء، فهو يـ جارية من الحى، فراسلها فأظهرت له جفوة،  
فوقع مضني مُدنفًا وظهر أمره، وتبين دنفه، ولم يزل النساء من أهلها وأهله  
يكلن منها فيه، حتى أجابت، فسارت إليه عائدةً ومسلمةً، فلما نظر إليها تحدت  
عيناه بالدموع، وأنشأ يقول:

أريتك إن سررت عليك جنازتي      تروح بها أيدٍ طوالٍ وتسرعُ  
أما تتبعين النعش حتى تسلمى      على رمس مئيتٍ بالحفيرةِ يودعُ!

فبكت رحمة، وقالت: والله ما ظننت أن الأمر بلغ بك هذا، فوالله  
لأساعدنك ولأداو من على وصالك، فهملت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول:

دنت وظلال الموت بيني وبينها      ومنت بوصولٍ حيث لا ينفع الوصلُ

ثم شق شهقة نخرجت نفسه، قال: فوقت عليه تلثمه، ثم رجعت عنه  
مغشياً عليها، فما مكث بعده إلا أياماً حتى ماتت (١).

قال حماد الراوية: انصرفت من جنازة لبعض السكاسك، فإذا بصبي من  
عذرة ظريف، حسن الوجه، صغير السن، موصوف بقول الشعر، فوقفنا  
فسلمنا، فقام إعظاماً لنا، فقلت: أنشدنا شيئاً، فكأنه استجيا، فقلت له:  
لابد، فأنشدنا:

هل من الحبِّ مجيرةٌ      من ملاحٍ يمتدوننا

(١) ذم الهوى ٥٠٦ - ٥١٠

قد شكونا بخضوعِ عَدَلِ قومِ يمدُّونَا  
 في جوى نلقاهِ مِنَّ لا يبالي ما لقينا  
 وبكينا بدموعِ أغرقت منا الجفونا

قال حماد : فكدت أرقص طرباً وقلت : فداؤك عمك ! وجلسنا إليه تعجباً  
 من رفته وجماله وفصاحته ، فأنشدنا :

ولقد أرسلتُ دمعِي شاهداً ثم صيرتُ إليها المشتكى  
 فتولتْ ، ثم قالت شغلي كلُّ مَنْ شاء تبكى ! فبكى

قال حماد : قلت له : فديتك ، تحبُّ هذه الجارية ؟ قال : يا عم ، والحبُّ  
 عيب ! إن كان عيباً تركته . ثم قال : يا عم إذا قرأت أو بلغني أحاديث قومي مثل  
 عمرو وجميل ، أفلا أشتبهى أن أكون واحداً منهم ! فانصرفنا عنه متمعجين .

### [ ذكر آل أبي صفرة ]

قوله : والشجاعة بآل أبي صفرة ، أبو صفرة هو ظالم بن سراق بن كندی  
 ابن عمرو بن عدى ، ويتصل بعمر و مزيقيا ، ثم بأزد دبا ، وأزد دبا ما بين عُمان  
 والبحرين ، وكانوا أسلموا ثم ارتدوا في خلافة أبي بكر ، فبعث إليهم أبو بكر  
 عكرمة بن أبي جهل ، فقاتلهم وسبى ذراريهم وبعث بهم إلى أبي بكر ،  
 وأبو صفرة غلام ، فحبسهم أبو بكر ، فلما توفى أطلقهم عمر ، فنزل أبو صفرة  
 البصرة ، فشرّف بها .

وروى بعضهم أن أبا صفرة طلب من عمر أن يولّيه عملاً ، فسأله عن اسمه  
 فقال : ظالم بن سراق ، فقال : تظلم أنت ويسرق أبوك ! ولم يولّه عملاً  
 قطيراً باسمه .

والمهلبية تزعم أن أبا صفرة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه حلة



صفراء يسحبها خلفه ذراعين . وله طول ومنظر وفصاحة ، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم مارأى من جماله وخلقه، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا قاطع بن سارق ابن ظالم بن عمرو بن شهاب بن صرة بن الهلقام بن الجلندی بن المستكبر بن الجلندی، الذى كان يأخذ كل سفينة غصبًا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت أبو صُفرة ، ودع عنك ظالمًا وسارقًا » ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقًا ، إنَّ لى لثمانية عشر ذكراً ، ورزقت بأخرم بنتاً سميتها صُفرة .

وأما أولاد أبي صُفرة ، فكانوا كُتَّابًا شجعانًا أبطالاً حماةً ، منهم أبو سعيد المهلب . وذكروا أنَّ أبا صُفرة وفد على عمر رضى الله عنه ومعه عشرة من ولده - والمهلب أصغرهم - فتوَّسَّمهم عمر ، ثم قال : هذا سيِّد ولدك المهلب ، والمهلب هو صاحب حروب الأزارقة ، وولاه عبد الملك خراسان بعد الأزارقة سنة تسع وسبعين ، ومات سنة ثلاث وثمانين ، واستخلف يزيد ابنه عليها ، فأقره عبدُ الملك عليها سنتين أو ثلاثًا . وغزا يزيدُ جرجان في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين ، في ثلاثين ألف مقاتل ، قاتلهم أشهرًا ، ثم صالحهم على أن يُعطوا خمسمائة ألف درهم كلَّ عام ، يؤدونها إليه ، ثم غزا سنة ثمان وتسعين طَبْرِستان ، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة قر زعفران وأربعمائة رجل مع كلِّ رجل بُرنس وطيلسان وخاتم فضة ، وسرقة حرير وكسوة ، قبل ذلك وانصرف عنهم . ثم غدر أهل جُرجان بمن خلف عليهم من المسلمين فقتلهم ؛ فلما فرغ من طَبْرِستان سار إليهم ، قاتلهم شهرًا ، ثم نزلوا على حكمه ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم وصلبهم فرسخين ، وقاد منهم اثني عشر ألفًا إلى وادى جرجان ، فقتلهم وأجرى الماء في الوادى على الدَّم ، وعليه أرحاء بدمائهم تطحن ، واختبز وأكل ، وكان قد حلف على ذلك .

( م ٤ - شرح مقامات الحريري ج ٥ )

الأصمعيّ: قبض<sup>(١)</sup> الحجاج على يزيد ، وأخذَه بسوء العذاب ، فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كلَّ يوم مائة ألف درهم ، فكان دأبه أنه إذا أذاها تركه ، وإلاّ عذّبه إلى الليل ، فجمع يوماً مائة ألف درهم ، يشتري بها عذابه ، فدخل عليه الأخطال فأنشده :

أبا خالدٍ بادت خراسانُ بعدكمُ      وقال ذُوو الحاجات أين يزيدُ (٢) ؟  
فما سقى المرّوان بعدك قطرةً      ولا أخضرَ بالروين بعدك عُودُ  
وما لسرير بعد ملكك بهجةً      ولا لجواد بعد جودك جودُ

فأعطاه المائة الألف . فبلغ ذلك الحجاج ، فدعا به ، وقال : يا مروزيّ ، أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة؟ قد وهبتُ لك عذاب اليوم وما بعده<sup>(٣)</sup> .

ابن عبد الحكم : أخبرنا الشافعيّ قال : طعن يزيدُ بن المهلب رجلاً من الخوارج ، فصرعه فوثب الخارجيُّ بالسيف ، وهو يقول :

وإنّا لقومٌ لا نعود خيلنا      إذا ما التقتينا أن تحميد وتنفرا  
وننكرُ يوم الروع ألوان خيلنا      من الدم حتى نحسب الورد أشقرا  
وليس بمعروف لنا أن نردّها      صحاحاً ولا مستنكرٍ أن تُعقرا

قال يزيد : فكرهت أن أقتل مثله ، فأنصرفت عنه . وقتل يزيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة ، وهو ابن سبع وأربعين سنة .

(١) القصة والابيات في ابن خلكان ٢ : ٢٦٥

(٢) قال ابن خلكان : قوله : « فلا مطر المروان ... ولا أخضر بالروين » هما تشبيهة مرو ، وأحدهما مرو الشامجان ، وهي العطشى ، والأخرى مرو الورد ، وهي الصغرى ، وكلتاها مدينتان مشهورتان بخراسان .

(٣) قال ابن خلكان : قلت هكذا ذكر ابن عسلكر ، والمشهور أن صاحب هذه الواقعة وهذه الابيات هو الفرزدق ، ثم انى رأيت هذه الابيات في ديوان زياد الاعجم ، والله أعلم بالصواب .

وقيل للمهلب: بم نلت ما نلت؟ قال: بطاعة الخزم، وعصيان الهوى .  
 وقيل لأبي إسحاق الهمداني: لم رويت عن المهلب؟ قال: لأنني لم أر  
 أميراً أبين منه تقيةً ولا أشجع منه، ولا أبعد مما يكره، ولا أقرب مما يجب .  
 وصرَّ المهلب بقوم فعضموه وسودوه، فقال رجل: ألهذا الأعور تسودون!  
 والله لو خرج إلى السوق ما زادت قيمته على ألفي درهم، فسمعه المهلب، فقال  
 لبعض مَنْ معه: أتعرف الرجل؟ قال: نعم، فلما انتهى إلى مجلسه أرسل إليه  
 بألفي درهم. فقال له: لو زدتنا في القيمة لزدناك في العطية، ففعل الرجل،  
 وعرف منزلته .

وللمهلب وبنيه وإخوته في حروب الأزارقة مشاهد ما شوهدت قط في  
 جاهلية ولا إسلام .

وقتل المهلب وأولاده وإخوته ومَنْ معه من الأزارقة في ليلة واحدة  
 أربعة آلاف وثمانمائة، وانهمز بقيتهم مع قطري، فنظام إلى أقاصى البلاد حتى  
 قُتل قطري ومَنْ معه .

وسئل المهلب عن ابنه: أمُّهما أشجع أيزيد أم حبيب؟ فقال: إن الولد  
 ربَّما سبق رأى أبيه فيه، وقطري قد مارسهما، فسلوه عنهما . فلما كان من  
 الفد واصطفوا للقتال صاح رجل: يا أبا نعامة<sup>(١)</sup>، فقال: أفرجوا له، ثم قال:  
 قد سمعت قتل؛ فقال: إننا سألنا الأمير عن ابنه يزيد وحبيب: أيُّهما أشجع،  
 فقال: سلوا أبا نعامة، فقال: على الخبير سقطت، أمَّا صاحب الكرك والفرَّ  
 والإقدام والإحجام، وصحة التدبير ومبارزة الكمي المدجج فآخرون يزيد،  
 وأمَّا إذا التقت غياطيل الليل، وخفت الأصوات إلا الغاغم، وقرع الحديد  
 بالحديد فالخيار حبيب .

(١) أبو نعامة كنية قطري .

— الفَيْطَلَةُ التَّبَاسُ الظَّلَامُ ، وَخَفَّتْ: سَكَنْتُ . وَالنَّفَمَةُ : أَصْوَاتُ الْأَبْعَازِ

فِي الْقِتَالِ —

وَسَأَلَ الْحِجَاجُ كَعْبَ بْنَ مَعْدَانَ الْأَشْجَرِيَّ<sup>(١)</sup> حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ بِالْفَتْحِ ،  
قَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ بَنِي الْمُهَلَّبِ ، فَقَالَ : الْمَغِيرَةُ فَارْسَهُمْ وَسَيْدُهُمْ ، وَكُنِيَ بِيَزِيدَ  
فَارِسًا وَشَجَاعًا ، وَجَوَادُهُمْ وَسَخِيْبُهُمْ قَبِيصَةٌ ، وَمَا يَسْتَحْيُ الشُّجَاعُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكٍ ،  
وَعَبْدُ الْمَلِكِ سَمٌّ نَاقِعٌ ، وَحَبِيبُ مَوْتِ دُعَافٍ ، وَمُحَمَّدُ لَيْثُ غَلَبٍ . وَكَفَاكَ بِالْمُفَضَّلِ  
نَجْدَةٌ . قَالَ : كَيْفَ كَانُوا فِي الْبِئْسَ ؟ قَالَ حَمَاةُ السَّرْحِ نَهَارًا ، فَإِذَا أَلْتَلُوا  
فَقَرَسَانَ الْبَيْتِ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ كَانَ أَنْجَدَ ، قَالَ : كَانُوا كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يَدْرِي  
أَيُّنَ طَرَفِهَا .

وَحِينَ وَفَدَ الْمُهَلَّبُ عَلَى الْحِجَاجِ أَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، وَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ ،  
وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، أَتَمَّ عِبِيدَ الْمُهَلَّبِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ  
لَقَيْطِ الْإِيَادِيِّ :

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ لَلَّهِ دَرَكُكُمْ رَحَبَ الدَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِمًا<sup>(٢)</sup>  
لَا مَتَرَفًا إِنْ رَخَا فِي الْأَمْرِ سَاعِدُهُ<sup>(٣)</sup> وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشْمًا  
مَا زَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ يَكُونُ مِتْبَعًا طَوْرًا وَمِتْبَعًا  
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى سَرْزِيرِ مَرَارَتِهِ<sup>(٤)</sup> مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا قَعْمًا وَلَا ضَرَعًا

قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! وَاللَّهِ لَكَأَنَّيْ أَسْمَعَ السَّاعَةَ قَطْرِيًّا يَقُولُ  
لِلْمُهَلَّبِ كَمَا قَالَ لَقَيْطِ الْإِيَادِيِّ ... وَأَنْشَدَ الْآبِيَاتِ ، فَامْتَلَأَ الْحِجَاجُ سُرُورًا .

وَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : إِذْ كَرَى الَّذِينَ أَبْلَوْا وَصَفَى بِلَاءَهُمْ ، فَقَدَّمَ بَنِيهِ ، وَقَالَ :

(١) ط : « الأشعري » بالعين ، تحريف .

(٢) مخنارات ابن الشجري .

(٣) ابن الشجري : « ان رخاء العيش ساعده » .

(٤) ابن الشجري : « مريته » .

وَاللَّهِ لَوْ تَقَدَّمَ مَهُمْ أَحَدٌ فِي الْبَلَاءِ لَقَدَّمْتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَوْلَا أَنْ أَظْلَمَهُمْ لِأَخْرَجْتَهُمْ .  
فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ : نَعَمْ إِنَّهُمْ لِسَيُوفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ .

وَقَالَ يَوْمًا عَبْدُ الْمَلِكِ لِلشُّعْرَاءِ : تَشَبَّهُوْنِي مَرَّةً بِالْأَسَدِ الْأَبْجَرِ ، وَالْجَبَلِ الْأَوْعَرِ ، وَالْبَحْرِ الْأَجَااجِ وَالْبَصْقِرِ وَالْبَاازِ ، أَلَا قَلْتُمْ كَمَا قَالَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيُّ فِي الْمَهْلَبِ وَبَنِيهِ :

بِرَاكِ اللَّهِ حِينَ بَرَكَ بِحَجْرًا	وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غِزَارًا
بَنُوكَ السَّابِقُونَ إِلَى الْعَالِي	إِذَا مَا أَعْظَمَ النَّاسُ الْغَمَّارًا
كَأَنَّهُمْ نَجُومٌ حَوْلَ بَدْرِ	دَجُوجِيٌّ تَكْمَلُ وَاسْتَدَارَا
مَلُوكٌ يَنْزِلُونَ بِكُلِّ نَفِيرٍ	إِذَا مَا الْهَامَ يَوْمَ الرَّوْعِ طَارَا
رِزَانٌ فِي الْأُمُورِ تَرَى عَلَيْهِمُ	مِنَ الشَّيْخِ الشَّمَائِلِ وَالنَّجَارَا
نَجُومٌ يَهْتَدِي بِهِمْ إِذَا مَا	أَخُو الْعَمْرَاتِ فِي الظُّلْمَاءِ حَارَا

وَفِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ :

آلُ الْمَهْلَبِ قَوْمٌ خُسُوتُوا شَرْقًا	مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا <sup>(١)</sup>
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حَيْدٌ عَنْهُمْ وَخُلْمُهُمْ	بِمَا احْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا	آلُ الْمَهْلَبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادَا

وَلِبَعْضِهِمْ :

إِذَا كَانَ الْمَهْلَبُ مِنْ وَرَائِي	هَذَا كَيْلِي وَقَرَّ لَهُ فَوَادِي
وَلَمْ أَخْشِ الدَّنِيَّةَ مِنْ أَنَااسٍ	وَلَوْ صَالُوا بِقُوَّةِ قَوْمٍ عَادِي

وَتَوَوَّعِي الْمَهْلَبَ بِفَنَجْدِيَّةِ بَصْحَرَاءِ رَاغُولِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ؛ فَبَعْدَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ مِنْ وَفَاتِهِ ، رَأَى بَعْضُ عُلَمَاءِ فَنَجْدِيَّةِ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ الْمَهْلَبَ يَقُولُ : اللَّهُ

(٢) دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ - بِشْرَحِ الْمَرْزُوقِيِّ ص ٢٧٨٧

الله ، الحقنى قَبْلَ أن يأخذنى روذمرو - وهو نهر عظيم يُعْبَرُ عليه بالنفن -  
واقفنى إلى بعض مقابر المسلمين ، وأنا مدفون على شاطئ هذا النهر الكبير  
فى الموضع الفلانى ، وقد حفر الماء تحت قبرى ، وقرب أن يأخذنى ، فلما  
أصبح الرجل أخذ جماعةً من أصحابه معهم المساحى والفتوس فمضوا إلى ذلك  
الموضع ، وحفروا حتى وصلوا إلى قلبه فكشفوا التراب عنه ، فكانت عظامه  
ما بليت بعد ، فدفنوه بمقبرة مذونة .

قال الفنجديهي : وهى محلتنا ؛ وسمعتُ معنى هذه الحكاية من والدى  
رحمه الله .

\* \* \*

فلما ألقى الجِرَانَ بِنَجْرَانَ ، واصطفيتُ بها الخِلَّانَ والجيرانَ ،  
تخذتُ أُنْدِيَتَهَا مُعْتَمِرِي ، وَمَوْسِمَ فَكَاهَتِي وَسَمِرِي ؛ فكنْتُ أتعهدُها  
صَبَاحَ مَسَاءَ ، وَأظهرُ فيها على ماسرِّ وساء ؛ فينما أنا فى نادٍ مَحْشُودِ ،  
وَمَحْفِلِ مَشْهُودِ ؛ إِذْ جِئْتُمُ لَدِينَا هُمْ ، عليه هِذْمٌ ؛ فحَيَّا تَحِيَّةَ مَلِيقِ ،  
بِلِسَانِ ذَلِيقِ ؛ ثم قال : يا بُدُورَ المحافلِ ، وبُحُورَ التَّوَافِلِ ، قَدْ بَيَّنَّ الصُّبْحُ  
لِذِي عَيْنَيْنِ ، وناب العيانُ مَنَابَ عَدْلَيْنِ ، فاذا تَرَوْنَ ، فيما تَرَوْنَ ؟  
أَمْحَسِنُونَ العَمُونَ ، أم تَتَأَوْنَ إِذْ تُدْعَوْنَ ! فقالوا : تالله لقد غِظتَ ،  
ورميتَ أنْ تُنْبِطَ فغِضتَ .

\* \* \*

قوله : بِنَجْرَانَ : بلد من كُورِ نجد مما يلي بلاد اليمن ، سُمِّيَتْ بنجران  
ابن زيد بن سبأ . اصطفيتُ : اخترت . الخِلَّانُ : الأصحاب . تخذتُ ،  
بمعنى اتخذت . أُنْدِيَتَهَا : مجالسها ومجتمع أهلها . مُعْتَمِرِي : موضع

زيارتى ، واعتمرت الموضوع : قصده وزرته . موسم : عيد . فكاحتى :  
 مازحتى . سمري : حديثي بالليل . أتعهدُها : أتفقدُها صباح مساء :  
 اسمان مركبان جُعلا خمسة عشر ، وأراد يزورها في الصباح والمساء .  
 ناد محشود : مجلس مجموع الأهل ، ومثله الحفل المشهود . جَمَّ : برك . هم :  
 شيخ هَرَم ، قد أذهب الكبر قُوَّتَه ولحمه ، وتقول : هَمَّتُ الشَّحْمَ : أذبتَه ،  
 ومنه قولهم : هذا الأمر لا يَهْمُنِي ، بفتح الياء وكسر الهاء ، أى لا يذيبني ،  
 ومن قال بضمّ الياء فعناه لا يقلقني . هِدَمَ : ثوب خَلَقَ كأنهُ هدمه البلى .  
 مَلِقَ : متلطف في كلامه . ذَلِقَ : حديد . النَّوافل : العطايا . بَيْنَ الصبح  
 لذي عينين ، مثل ، ويريد أن الليل يساوى في ظلمته الأعمى والصحيح ، فإذا  
 ظهر ضوء الصبح أبصر الأشياء من له بصر ، وقيل معنى بَيْنَ الصبح ، أى  
 تَبَيَّنَ ، والعيان : المشاهدة ، وعابنته : شاهدته ، أى أتممَّ بمن لا يخفى عليكم  
 حالى ، يريد أن المعاينة تغنى عن الشهود العدول . فاذا ترون : فما رأيكم ؟  
 وهى من رؤية القلب . فيما تَرَوْنَ ، أى فيما تنظرون وتبصرون ، وهو من رؤية  
 البصر . وقال الفنجديهي في شرحه : فما ترون ؟ أى فما تظنون فيما تَرَوْنَ ؟  
 أى فيما تبصرون . تناؤن : تبعدون . غظت ، من الغيظ ، أى لقد حرَّكت  
 غيظًا . رُمْتَ أن تُنْبِطَ : أردت أن تخرج ماء . غِضْتَ . غَيَّبْتَه وَجَفَّعْتَه ، والغَيْضُ  
 قَيْضُ الْغَيْضِ ، وغاض الماء : ذهب في الأرض .

\* \* \*

فناشدهم الله عما ذا صدَّهم ؛ حتى استوجب ردَّهم ؛ فقالوا : كُنَّا  
 نتناصَلُ بالألغاز ؛ كما يتناصَلُ يومَ البراز ؛ فما تمالك أن شعثَ من  
 المنصُولِ ، وألحقَ هذا الفضلَ بنمطِ الفضُولِ .

فَلَسَنَتُهُ لُسُنُ الْقَوْمِ ، ووخزوه بأسيئة اللوم ، وأخذ هو يتنصَّلُ

من هَفَوْتِهِ ، ويتندّم على فَوْهَتِهِ ، ومُضِيبُونَ على مُؤَاخَذَتِهِ ؛ ومُلبِثُونَ  
دَاعِي مُنَابَذَتِهِ ، إلى أن قال لهم : يا قوم ؛ إن الاحتمالَ مِنْ كَرَمِ الطَّبِيعِ ،  
فَعَدُّوا عَنِ اللَّذَعِ وَالقَّدْعِ ، مُمَّ هَلُمَّ إلى أن نُلغِزِ ، ونَحْكَمُ المَبْرُزِ .

\* \* \*

ناشدهم : حَلَفَهُمْ . صَدَّهم : صرفهم وأزالهم . نَتَنَاضَلُ : نترامى . البراز :  
القتال : والألفاز : جمع لُغَزٍ ، وهو الكلام المعتمى ، وأنغز ، إذا عمى كلامه  
فلم يفهم ما يقصده ، وأصله من اللُّغَزِ وهو الخبجر الملوئى : ما تمالك : ما أبطأ  
ولا ملك نفسه .

شَعَّتْ : غَبَّرَ ، ويُرَوَى « شَعَبَ » . من المنضول ، أى نقصه وفرقه ،  
والمنضول : المرعى ، أى قبَّح فعلمهم ومراماتهم . الفنجديهيّ : شَعَّتْ الدهرُ  
ماله ، أى أخذه ، والمنضول : المغلوب فى النضال ، والمعنى فما صَبَرَ عن تشميث  
همّ المغلوب ونصره وتخليصه عما أرتج عليه من اللُّغَزِ ، ويقال : شَعَّتْ منه ، أى  
عابه وتنقصه ، وكأنه عاب المنضول كيف أرتج عليه شيء سهل ! وهذا تفسير  
حسن ، إلا أن مساق كلام الحريرى أدلُّ على التفسير الأوّل .

نَمَطَ : نوع . لَسَنَتُهُ : أخذه بلسانه . لُسُنُ القوم : فصحاؤهم . وَخَزُوهُ :  
ظنوه . يَنْصَلُّ : يتبرأ ويعتذر . هَفَوْتُهُ : سقطته . فَوْهَتُهُ : كلمته التى فاه بها ،  
أى نطق . مُضِيبُونَ : مقيمون ملتزمون ، وأضبَّ على الشيء : لازمه . مُؤَاخَذَتُهُ :  
إنشاب الشرِّ معه ، وتواخذ الرجلان : أخذ كلُّ واحد منهما صاحبه بضرب  
أو شتم . مُلبِثُونَ : مجيبون . منابذته : متاركته ومهاجرته ، وقد نبذتُ الشيء ؛  
إذا رميته من يدك . الاحتمال : الصبر على الجفاء . عَدُّوا : انصرفوا وتنجَّسوا .  
اللذع : إحراق القلب باللوم والعتب . والقَّدْعُ : السَّبُّ . نُلغِزِ : نعمى الكلام  
ونلبَّسه على السامع . المَبْرُزُ : الغالب .

\* \* \*



فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ تَوْقُدُهُمْ ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُهُمْ ، وَرَضُوا بِمَا بَهَا  
 شَرَطَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ ، واقترحوا أن يكون أولهم ، فأمسك ريثما يعقد  
 شِئْعُهُ ، أو يُشَدُّ نِسْعُهُ ، ثم قال: اسمعوا وقيتم الطيش ، ومليتم العيش ،  
 وأنشد مملغزاً في مِرْوَحَةِ الخيش :

وجارية في سَيرِها مُشْمَعِلَةٌ      وَلَكِنْ عَلَى إِثْرِ الْمَسِيرِ قُفُولُهَا  
 هَاسَاتُقٌ مِنْ جِنْسِهَا يَسْتَحِثُّهَا      عَلَى أَنَّهٗ فِي الْاِحْتِنَاثِ رَسِيلُهَا  
 تَرَى فِي أَوَانِ الْقَيْظِ تَنْطَفُ بِالنَّدَى      وَيَبْدُو إِذَا وَلَّى الْمَصِيفُ قُحُولُهَا

\* \* \*

ريث ، أى بَطْء . شِئْعُ : شراكة النعل . أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال : « لن ينقطع شِئْعُ أحدكم إلا من ذنبٍ عليه ، فليستغفر الله وليرجع  
 فإنها مصيبة عرضت عليه » . والنسع : شراكة مضمورة على هيئة النعال ، ويشد  
 بها الرَّحْلَ وغيره .

وُقيتم : كفيتم . الطيش : خفة العقل . مليتم : طوّل لكم . الخيش . ثياب  
 خشنة من الكتان ، وهذه المِرْوَحَةُ تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع  
 للسفينة ، وتعلق من سقف البيت ، يشدُّ فيها حبل ويُدَارُ بها مشياً ، وتُبَلَّ  
 بالماء وترش بماء الورد ، فإذا أراد الرجل في القائلة أو الليل أن ينام جذبها  
 بحبلها ، فتذهب بطول البيت وتجيء ؛ فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح  
 بارد فيذهب عنه أذى الحرِّ ويستطيب به النوم وهي فوقه ذاهبة وجائية ، ولذلك  
 سمّاها جارية . ومُشْمَعِلَةٌ : سريعة الذهاب . قفولها : رجوعها . والسائق : الشريط  
 الذى يسوقها إذا جذبت به . يستحثها : يستعجلها ، ومن جنسها ، أى هو من  
 كَتَانٍ مثلها أو من قَنَبٍ . والاحتِنَاثُ : التّعجيل . رَسِيلُهَا ، أى مرسلها ،  
 ويرسل معها لزاوية البيت ويرجع معها ، والرَسِيلُ : الفرسُ يرسل مع آخر

في السباق . أو أن القميط : وقت الصيف . تنظف : تقطر ، ونظف الماء : سال  
 و قطر ، والندى : الرش الضعيف . وقحوها : يسها . ولّى : أدبر ، وإذا ولّى  
 الحُرُّ لم يُحتجج إليها ، فلا تُرش ولا تستعمل فتيس . وللسرى الموصلى فيها :

ومبثوثة في كلِّ غربٍ ومشرقٍ لها أمهاتٌ بالعراقِ بواطنُ<sup>(١)</sup>  
 يحرِّك أنفاسَ الرِّيحِ حراكها كأن نسيمَ الروضِ فيهنَّ كامنُ  
 وله أيضاً :

وخيش كما انجرت ذبولٌ غلائلٍ مصدلةٌ يختال فيها الكواعبُ<sup>(٢)</sup>  
 وقد أطامت فيها الشمالُ واتنت مُقيِّدةٌ عن جانبيها الجوابُ<sup>(٣)</sup>  
 ومما يكتب على مروحة الكفِّ :

أنا في الكفِّ لطيفةٌ مسكنى قصرُ الخليفة  
 أنا لا أصلح إلا لظريفٍ أو ظريفه  
 أو وصيفٍ حسن القدِّ شبيهه بالوصيفه  
 وفيها أيضاً :

إني أجلبُ الرِّياحَ وبى يدفع الخجلُ  
 وحجاب إذا الحيبُ ننى الرأس للقبُل

\* \* \*

ثمَّ قال : وهما كم . يا أولي الفضلِ ، ومراكز العقلِ ، وأنشد  
 مُلغزاً في حابل التخلِ :

(١) لم أجدهما في ديوانه .

(٢) ديوانه ٦١

(٣) الديوان « الجنائب » .

وَمُنْتَسِبٍ إِلَى أُمَّ  
تَنْشَأُ أَصْلَهُ مِنْهَا  
يُعَانِقُهَا وَقَدْ كَانَتْ  
نَفْتُهُ بُرْهَةً عَنْهَا  
بِهِ يَتَوَصَّلُ الْجَانِي  
وَلَا يُلْحَى وَلَا يَنْهَى

\* \* \*

قوله : هاكم ، أى خذوا . سرا كز العقل : مواضعه ومحاله ، كأنّ العقل رُكِّزَ فيهم . والهابول : حبل يُصْعَدُ به على النخل يُعْمَلُ من ليفها ، وهو حبل يُفْقَدُ حلقة ، ويدخل فيها الرجل ويدرجه على النَّخْلَةِ شيئاً شيئاً عند طلوعه حتى يصير بأعلاها ، وحبل النخل ليس فيه شيء من الملاسة ولا في النخلة ذلك ، فله بها استمساك ، ولذلك جعله معانقاً لها ، لأنه استدار بها ، وقيل له : هابول لأنه لا يُسْتَعْمَلُ إلا للصُّعُودِ على النخيل ، قرناً بينه وبين الحبل المستعمل لكل شيء ، ولما كان يُصْنَعُ من ليف النخل ، جعل النَّخْلَةَ أمه . برهة : زماناً . والجاني : الذى يجنى الثَّمَر ، ألفز به وأوهم أنه الذى يجنى جنابة . يُلْحَى : يلام ويسب .

\* \* \*

ثم قال : ودونكم الخفيّة العلم ، المعتكرة الظلم ، وأنشد مثنوياً  
في القلم :

ومأمومٍ بهِ عُرِفَ الإمامُ  
كما باهت بِصُحْبَتِهِ الكرامُ  
لهِ إِذِ يَرْتَوِي طَيْشَانُ صَادٍ  
وَيَسْكُنُ حِينَ يَعْرُوهُ الأوامُ  
ويُدْرِي حِينَ يُسْتَسْعَى دُمُوعاً  
يَرْمُقَنَّ كَمَا يَرُوقُ الإِبْتَسَامُ

\* \* \*

قوله : العلم ، أى الرِّفْمُ فى الثوب ، فأراد أنها خفيّة فى اللفز ، فعلمها الذى تُعْرَفُ به خَفِيّ . والمعتكرة : الشديدة السواد . ومأموم : برأسه آمة ،

أى شجّة ، يريد الشقّ برأسه ، والإمام : أمير المؤمنين ، وجعله معروفاً بالقلم ، لأنّ القلم يبدى أسرار الملك وأخباره في كتبه . وقيل : الإمام الكتاب ، من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> ، أى بكتبهم ، وقيل بنبيهم ، ولا يمتنع أن يريد بالأموم المتّبع ، وإمامه . الذّهن الذى يملئ عليه ، أو يد الكاتب به ، وقيل : سمّاه مأموماً ، لأنّه يوم القرطاس ، أى يقصده ويتبعه والإمام كتاب الله سبحانه وتعالى لأنّه يُتَّبَع ويؤتمّ به ، ويُقتدى بما فيه . باهت : افتخرت . والكرام : الكتبة لقوله تعالى : ﴿بأيدي سَفَرَةٍ \* كرامٍ بَرَرَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> ولا مرتبة أشرف من مرتبتهم بعد الإمرة ، ولذلك قال الصابى :

وقد علم السُّلطان أنّى لسانه      وكتبه الكافي السّديد الموقر<sup>(٣)</sup>  
أوازِرُهُ فيما عرّا وأهدّه      برأى يُرى به الشّمسَ واللّيلُ أغسقُ  
فيميناي يميناه ولفظى لفظه      وعينى له عينُ بها الدهرُ يرْمُقُ

طيشان صاد ، أى جولان عاطش ، وطاش : خفّ . يعرّوه : يقصده .  
والأوام : العطش ، يريد أن القلم إذا ارتوى بالمداد أسرع في الكتابة وإذا جفّ  
توقف وأمسك . يرْمُقن : يُعْجِبُن .

ونظر المأمون إلى جارية تكتب ، فقال :

وزادت لدينا حُظوةً حين أطرقتُ      وفي إصْبَعَيْهَا أسمرُ اللونِ أهيفُ  
أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحرّكٌ      ينالُ جسياتِ العالِ وهو أعجفُ  
وقال العلوّى :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارِمًا      يكاد يصمُّ السامعين صريرها  
تساقط في القرطاس منها بدائعُ      كمثل اللّالى نظمها وثيرها

(٢) سورة عبس ١٦ ، ١٧

(١) سورة الاسراء ٧١

(٣) بيتية الدهر ٢ : ٢٤٧

ثُمَّ قَالَ: وَعَلَيْكُمْ بِالْوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ، الْفَاضِحَةِ مَا قِيلَ، وَأَنْشُدْ مَلْفِزًا  
فِي الْمِيلِ:

وَمَا نَاكِحٌ أُخْتَيْنِ جَهْرًا وَخُفِيَةً      وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي النَّكَاحِ سَبِيلٌ  
مَتَى يَنْفَسَ هَدَى يَنْفَسَ فِي الْحَالِ هَذِهِ      وَإِنْ مَالٌ بَعْلٌ لَمْ تَجِدْهُ يَمِيلُ  
يَرِيدُهَا عِنْدَ الْمَشِيبِ تَعَهُدًا      وَبِرًّا وَهَذَا فِي الْبَعُولِ قَلِيلٌ

\* \* \*

قوله: الواضحة، أى البينة. الفاضحة، أى اللبديّة لعيب ما قيل قبلها من الغمز.  
والميل: المزود. والأختين: العينين. ليس عليه سبيل، مع أنّ الجمع بين الأختين  
لا يجوز. ينفَسَ: يدخل لها. مال: عدل وزال عنها. والبعل: الزوج.  
تعهدًا: تقعدًا. برًّا: إكرامًا. يريد أنّ الأبصار عند الكبر تضعف نظرها  
فتحتاج إلى الكحل. وقيل: عبّر بالمشيب عن مرّة العين وهو فسأدها من  
ترك الكحل.

\* \* \*

ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، مَعْيَارُ الْآدَابِ، وَأَنْشُدْ مَلْفِزًا  
فِي الدُّوَلَابِ:

وَجَافٍ وَهُوَ مَوْصُولٌ      وَصَوْلٌ لَيْسَ بِالْجَافِ  
غَرِيقٌ بَارِزٌ فَانْجَبَ      لَهُ مِنْ رَاسِبٍ طَافِ  
يَسُخُّ دُمُوعَ مَهْضُومٍ      وَيَهْضِمُ هَضْمَ مِثْلَافٍ  
وَتُخَشَى مِنْهُ حَدُّهُ      وَلَكِنْ قَلْبُهُ صَافِ

\* \* \*

أولى الألباب ، أى أهل العقول . معيار : مقياس يعبر به ، وتقول : عايرت المكابيل ، إذا قست بعضها ببعض ، وساويت بينها . والدُّولاب : الناعورة . والجافى : الثقيل ، يريد أن الدولاب جافٍ فى نفسه وخلقته ، وليس بجافٍ لسرعة حركته ودَوْرانه . وموصول : ليس من عودٍ واحد . وِصُول ، يعنى للرياض بمائه ولهذا المنفعة صُنِع . قوله : ليس بالجافى ، يعنى إذا فارق الماء عاد إليه لا يجفوه ، والجفاء يكون فى الخلقة والخلق ، يقال : رجل جافى الخلقة ، أى غليظ ، وجافى الخلق إذا كان كزّاً غليظ العشرة ، وجفا الشيء يجفوه جفاء : لم يلزم مكانه ، وجفا جنبه عن الفراش : لم يطمئن ، ويَجفوه ، ضدّ يصله ، جفوة : مرة واحدة ، وجفاء مصدر عام ، ورجل وِصُولٌ : كثير الوصل .

وقال الرُّصافى فى هذا المعنى فأحسن :

وذى حنينٍ يكاد شوقاً      يختلسُ الأنفس اختلاساً<sup>(١)</sup>  
 إذا غدا للرياض جاراً      قال له المخلُ : لا مساساً  
 يبتسمُ الرّوضُ حين يبتكى      بأعينٍ ما رأينَ بأساً  
 من كلِّ جنفٍ يسلى سيفاً      صارَ له غنمه رئاساً

ولأبى الفضل بن الأعمى فى قواديس الساقية :

ونسك كعبتهم حفرة      من فارق الحفرة بيكها  
 حتى إذا ما أنفذوا دمهم      خرّوا على رموسهم فيها

وقال أعرابى فى ساقية :

باتت تحنُّ وما بها وجدى      وأحنُّ مشتاقاً إلى نجدِ  
 فدموعها تحياً الرّياضُ بها      ودموع عيني أحرق خدّى

قوله : غريق بارز ، يريد أن بعضه يفرق فى الماء وبعضه يبرز منه ، وهو

(١) ديوانه ١٠٢

معنى راسب طافي ، لأنك تقول : رسب الشيء في الماء ، إذا هبط في قعره . وسفل فيه ، وطفأ ، إذا ارتفع على وجه الماء . يسح : يصب . مهضوم ويهضم : ينقص . متلاف : مبدّر للمال ، يريد كثرة أخذه للماء وإراقته له . حدثه : سرعة جريه ، لأنه إن نشب بأحدٍ في جريه أهلكه . وقلبه صافي ، لأنه ليس من الحيوان فيعتقد شرًا إن أخرج . ولابن سعد الخير البلنسيّ ن دولاب :

للهِ دُولَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسِلٍ      فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُبْنِعَتْ أَفْنَانًا<sup>(١)</sup>  
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَامِمُ شَجْوَهَا      فِيحْبِيبَهَا وَيَرَاغِبُ الْأَحْلَانَا  
 وَكَأَنَّهُ دَفِيفٌ يَدُورُ بِمَعْدٍ      يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا  
 ضَاقَتْ مَجَارِي دَمْعِهِ عَنِ جَفْنِهِ      فَتَفْتَحُ أَضْلَاءَهُ أَجْفَانَا  
 وَبَعْضُ أَصْحَابِنَا :

وَقَدَّةَ الْحَسَنِ فِي مَحَاسِنِهَا      لِلْعَيْنِ قَيْدٌ وَلِلْحِجَا شَرَكُ  
 تَبَسُّكِي فَعَبْدِي حَنِينٌ ذِي نُسْكَ      بَعْدَ التَّصَابِي وَمَا بِهَا نُسْكَ  
 إِذَا بَكَتْ فِي الرِّيَاضِ مِنْ طَرْبِ      بَدَأَ بِوَجْهِ الْأَزَاهِرِ الصَّحْكُ  
 كَأَنَّ مَا أَهَلَّ مِنْ مَدَامِعِهَا      رَجُومٌ شَهَبٌ يُقْلِبُهَا فَلْكَ

قال : فلما رَشِقَ ، بِالْخُمْسِ الَّتِي نَسَقَ ، قال : يا قوم تَدَبَّرُوا هَذِهِ الْحُمْسَ ،  
 وَاعْقِدُوا عَلَيْهَا الْخُمْسَ ، ثُمَّ رَأَيْكُمْ وَضَمَّ الذَّيْلَ ، أَوْ الْإِزْدِيَادَ مِنْ  
 هَذَا الْكَيْلِ .

قال : فَاسْتَفَزَّتِ الْقَوْمَ شَهْوَةُ الزِّيَادَةِ ، عَلَى مَا أَشْرَبُوا مِنَ الْبِلَادَةِ ،  
 فَقَالُوا : إِنَّ وَقُوفَنَا دُونَ حَدِّكَ ، لِيُفْحِمُنَا عَنْ اسْتِيْرَاءِ زَنْدِكَ ، وَاسْتِشْفَافِ  
 فِرْنِكَ ، فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ؛ فَاهْتَرَّ اهْتِرَازَ مَنْ فَلَجَ سَهْمُهُ ،  
 وَانْخَزَلَ خَصْمُهُ .

(١) نفع الطبيب ٣ : ٦٠٢ .

قوله: رَشَقَ ، أى رَمَى ، مأخوذ من رَشَق السهام ، يقال : رَشَقْتُ رَشَقًا ، أى رَمَيْتُ ، والرَّشَق بالكسر : اسم للسهم ، وهو اسمٌ لِلْهَدَفِ الَّذِي يرمونه . نَسَقٌ : تابع واحدًا بعد واحد ، وكلُّ شَيْءٍ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا عَلَى السَّوَاءِ فَهُوَ نَسَقٌ . ضَمَّ الذَّيْلُ : التَّشْمِيرُ . الفَجْدِيهِى : ضَمَّ الذَّيْلُ كَنَايَةً عَنِ الْاِكْتِفَاءِ بِهَذِهِ الْأَحَاجِي الْخَمْسِ ، وَالسَّكُوتِ عَنِ طَلْبِ الزِّيَادَةِ ، يَرِيدُ بِالْاَزْدِيَادِ مِنَ الْكَيْلِ ، أَنْ يَزِيدَهُم مِّنْ حَسَنِ الْأَحَاجِي .

واستفرتهم : استدعتهم واستخففتهم ، الرَّجَاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاسْتَفِرُّوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أى استدعه لتستخفَّ به إلى إجابتك ، واستفزه : ختله حتى ألقاه في مهلكة . أَشْرَبُوا : سَقُوا وَدُؤِخَلُوا وَخُولُوا ، وَكُلُّ لَوْنٍ خَالِطٌ لَوْنًا آخَرَ فَقَدْ أَشْرَبَهُ .

والبَلَادَةُ : التَّحْيِيرُ فِي الْأَمْرِ ، وَالبَلِيدُ المَتَحْيِرُ : الَّذِي لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، الْأَصْمَعِيُّ : البَلِيدُ : الَّذِي يَضْرِبُ بِإِحْدَى بِلْدَتَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى مِنَ الْفَمِّ عِنْدَ المَصِيبَةِ . وَالبَلْدَةُ هِيَ الرَّاحَةُ ، يُقَالُ : تَبَدَّلَ الرَّجُلُ ، إِذَا تَحْيَّرَ وَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، يَرِيدُ أَنَّ البَلَادَةَ مَشَتْ فِيهِمْ وَأَشْرَبَتْهُمْ .

\* \* \*

ثُمَّ افْتَحَ النَّطْقَ بِالبَسْمَلَةِ ، وَأَنشَدَ مُلْفِزًا فِي المَزْمَلَةِ :

ومسرورة مغومة طول دهرها	وما تَذْرِي ما السرور ولا النَّمُّ
تُقَرَّبُ أحيانًا لأجل جنينها	وَكَمْ وُلْدٍ لَوْلَاهُ طَلَّقَتِ الْأُمُّ
وتُبَعْدُ أحيانًا وما حال عهدُها	وَإِبْعَادُ مَنْ لَمْ يَسْتَحِلْ عَهْدُهُ ظَلَمٌ



إِذَا قَصَرَ اللَّيْلُ اسْتُلِدَّ وَصَالِهَا  
وإن طَالَ فَلِإِعْرَاضٍ عَنْ وَصْلِهَا نَعْم  
لَهَا مَلْبَسٌ بِأَدِ أَنْيَقُ مَبْطَنٌ  
بِمَا يُزْدَرَى لَكِنْ لَمَّا يُزْدَرَى الْحَكْمُ

\* \* \*

قوله : المزملة ، أى الملقفة ، وقد زُمَّتْ ، إذا لَفَّتْ ، وهى آنية يُبرَد فيها الماء ، شبه الخابية ، تستعمل بأرض العراق وتوضع عليها لفائف ثياب خشنة ، وتُغَشَى بجلد أو ثوب مزيّن ، حسن لنظر العين ، ومن تحته تلك الأغشية الخشنة التي لها السرّ والحكم في تبريد الماء . ومسرورة ، أى محمولة على سرير ، وهم يحملون تحتها مرفعاً من عود أو حديد ، ترتفع به عن الأرض فهو سريرها ، وكذلك رأيتُ خوابي الماء بسجلماسة ، كلها على أسرة عود . وقيل مسرورة : مغمومة مغطاة ، وسرير الكمأة : ما غطاها من التراب . والغم : ضد السرور . جنينها : ولدها ، أراد به الماء . وحال : تغير . عهدها : التقاؤها وقربها . غُئِمَ : غنيمه . أنيق : مُعْجِب . يزدري : يحتقر ، وأراد بالحكم معنى تبريد الماء ، وأراد أن ما بدا منها للناظر فهو غشاء حين يجب من رآه ، وهو قد بطن بلفائف غلاظٍ مستحقرة ، ولها معنى تبريد الماء ، وقال السري الموصلِي في المزملة :

وحافظة ماء الحياة لفتية  
حياتهم أن تُسْتَلَدَ المشارب<sup>(١)</sup>  
تسربلها أجنى اللباس وإئتما  
يليق بها أفوافه والسباب<sup>(٢)</sup>  
على جسدٍ مثل الزبرجد لم يزل  
يشاكله في لونه ويناسب  
إذا استودعت حرّ اللجين سبائكا<sup>(٣)</sup>  
تصوّب في أحشائها وهو ذائب

(٢) الديوان : « السباب » .

(١) ديوانه ٦١

(٣) الديوان : « يصوب من اجسامها » .

( م ه — شرح مقامات الحريري ج ٥ )

فهذه القطعة وقطعة القامة تدل على تفسيرنا ، وبه كان يفسر شيخنا ابن جهور رحمه الله ، حدثنا بذلك شيخنا أبو بكر بن أزهر عنه . وأما الفنجديهي ففسر المزملة بتفسير غير مرضي ، وذلك أنه قال : المزملة موضع يغطى ؛ ويحشى تبناً ، ويوضع في وسط التبن وعاء في القيظ يُبقى الماء بارداً ، ويترك ثقبه في وسط الموضع لدخول الجرة فيها ، ولهذا قال : «مسرورة» أي مقطوعة السررة ، وهو من سرّ الصبي ، إذا قطعت القابلة سرته .

\* \* \*

ثُمَّ كَشَرَ عَنْ أُنْيَابِهِ الصُّفْرَ ، وَأَنْشَدَ مُلْفِزًا فِي الظُّفْرِ :  
 وَمَرَهُوبِ الشَّبَا نَامٍ وَمَا يَرَعَى وَلَا يَشْرَبُ  
 يُرَى فِي الْعَشْرِ دُونَ النَّحْرِ فَاسْمَعُ وَصْفَهُ وَاعْجَبْ

\* \* \*

كشّر : كشف . أنيابه : أضراسه . الصّفْرُ ، يريد أنه لا يتعمدها بالسّواك ، ولذلك اصفرت وتلك الصفرة تسمى القلح ، وقد قال في السادسة والعشرين : «بحسن مُلجِه وقبح قَلجِه» . مرهوب : مخوف . الشبّا : الحدّ . نامٍ : زائد ، والظفر إذا تُرك بغير تعلّم طال . وما يرعى ، يريد أن نمو الخلق وزيادته إنما هو بما يتغذى به من الأكل والشرب ، وهذا يكبر ويزيد من غير غذاء . والعشر في الظاهر : عشر ذى الحجة . والنحر : يوم النحر أي يوم العيد ، فأراد أن هذا المرهوب الشبّا إنما يظهر في العشر خاصّة ، فإذا جاء يوم العيد وطول السنة بعده لم يظهر ، وإنما يعني بالعشر الأصابع . والنحر : العنق ، أي أن الأظفار خُلقت في الأصابع لا في العنق ، أو يريد أن الظفر يرى في الأصابع العشر في عشر النحر من ذى الحجة .

\* \* \*

ثُمَّ تَحَاوَزَ تَحَاوَزَ الْعِصْرِيَّتِ ، وَأَنْشَدَ مُلْفِزًا فِي طَاقَةِ الْكَبِيرِيَّتِ :  
 وَمَا تَحْقُورَةٌ تُدَنِّي وَتُقْصِي وَمَا مِنْهَا إِذَا فَكَّرْتَ بُدُ

لَهَا رَأْسَانِ مُشْتَبِهَانِ جَدًّا      وَكُلٌّ مِنْهُمَا لِأَخِيهِ ضِدُّ  
تُعَذِّبُ إِنْ هُمَا خُضِبَا وَتُلْفَى      إِذَا عَدِمَا الْحِضَابُ وَلَا تُعَدُّ

\* \* \*

قوله : تَحَاوَر ، أى نظر بمؤخر عينيه مستقلا لذلك ، وهو نظر المحترق لمن ينظر المنكر عليه . والعفريت : الشيطان المؤذى ، وهو الرئيس من الجن ، والكبريت ، معروف فارسيّ معرّب . وطاقاته : قضبانه التي تجعل شيئا على شيء وهو الوقود الذي يشعل به المصباح . تُقْصَى : تبعّد . جدًّا ، أى كثيرا ، ويريد بالرأسين طرفي قضيب الوقيد اللذين ينغمسان في الكبريت ، وجعلهما ضديّن لأن هذا في طرف وهذا في طرف ، فقد تباعدا وضدّ الشيء بعيد عنه ، وجعلهما متشبهين ؛ لأن شكل الطرفين وهما الرأسان شكل واحد . وَخُضِبَا : غمسا في الكبريت . وَتُلْفَى : تهجر وتترك ، وقال ابن رشيق :

إِنْ كُنْتَ تَنْكُرُ مَا مِنْكَ ابْتَلَيْتُ بِهِ      فَإِنَّ بُرْءَ سِقَاتِي عَزَّ مُطْلَبُهُ (١)  
أَشْرُ بَعْدِي مِنَ الْكَبْرِيتِ نَحْوِ فَمِي      وَانظُرْ إِلَى زَفْرَاتِي كَيْفَ تُنْلَهُبُهُ

\* \* \*

مُمَّ تَحْمَطُ تَحْمَطُ الْقَرَمِ ، وَأَنْشَدَ مُلْفِزًا فِي حَلَبِ الْكَرَمِ :

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَسَدَا      تَحَوَّلَ غَيْثُهُ رَشَادَا  
وَإِنْ هُوَ رَاقٌ أَوْ صَافَا      أَثَارَ الشَّرِّ حَيْثُ بَدَا  
زَكِيُّ الْعِرْقِ وَالِدُهُ      وَلَكِنْ بَدَسَ مَا وَلَدَا

\* \* \*

قوله : تَحْمَطُ ، أى تكبر وتهيبا للقول ، وأصل التَحْمَطُ للقرم ، وهو فحل الإبل ، وَتَحْمَطُ : تهيبا للهدير وأخذ في الصياح والهجوم على الإبل . وَحَلَبِ الْكَرَمِ ، أراد النحر ، لأنها تُحْلَبُ من العنب . والحلب : اللبن المحلوب ، يقول :

(١) نقله ابن رشيق في الننت ٧ ، ٨

الجر إذا فسدت صارت خلا ، فخلّ استعمالها ، فقد صار غيها وهو فسادها ريشداً ،  
 أي صلاحاً ، وقال أبو بكر بن القبطرنة في خمر له فسدت فصارت خلاً :  
 أبا حسنٍ إني فجمتُ بصاحبٍ أنيس يسلىّ الهَمَّ عند احتلاله  
 غدتُ بنت بسطام بن قيس بدتها وأمست كجسم الشنفرى بعد خاله  
 قوله : « غدت بنت بسطام بن قيس » ، أي صهباء ، لأن بسطام بن قيس يكنى  
 أبا الصهباء . وقوله : « وأمست كجسم الشنفرى » ، أي خلاً ، لأنه يريد قول  
 الشنفرى (١) :

\* إن جسي من بعد خالي خلّ \*

أي مختلّ .

وقال آخر في ذلك :

حَسِبْتُهَا بِنْتَ بَسْطَامٍ لَهَا أَرْجٌ ثُمَّ افْتَضَضْتَ خَتَامًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ  
 عَرَضَ بِأَبِي سَلَمَةَ الْخَلَّالِ .

ومن التعريض المركب على هذا المعنى قول الشاعر :

شربتُ مداماً تسرّ التريفاً فأصبحت تجرّع خلاً ثقيفاً (٢)  
 وصرت حجازاً جديب المحلّ وقد كنت للطالب الخصب ريفاً  
 وقال آخر :

يا عُقاراً صار خلاً وملاذاً للبعوضِ

بِرِّ فما لي فيك حظٌّ كان ذا قبل الجوضِ

ما أبالي بعد أكل الزبد من طرّح الخيوضِ

قوله : راق أو صافاً ، أي حسنت أو صافه وحسبها أن توصف بالرتقة والصفاء

والحمرة والقدم وقوة الفعل ، يقول : فإذا كانت أو صافه معجبة أو قد الشر حينما

(١) اللسان - خلل ، وصدرة :

\* فاستقديها يا سواد بن عمرو \*

(٢) ط : « بت » .

حضر فإذا فسدت أوصافه صلح . زكى العرق : كريم الأصل ، والزكاه : النماء  
والزيادة، أى كثير الفضل والخير، وأراد أنها شجرة مباركة يكون منها العنب  
والزبيب والربّ ، ولكنها تلد ولد سوء ، وهو الخمر ، وأخذ هذا المعنى من  
يقول الشاعر :

فإن نخرت بآبائهم شرفٌ قلنا صدقت ، ولكن بئس ما ولدوا  
أو يريد لذة العنب .

\* \* \*  
ثم اغتصد عصا التسيار ، وأنشد مَلْعَرًا فى الطَّيَّار :

وذى طَيْشَةٍ شِقْمُهُ مائلٌ وما عابَهُ بِهِيَمَا عاقِلُ  
يُرَى أبدأً فوقِ عِلِّيَّةٍ كما يَمْتَلِي المَلِكُ العادِلُ  
تساوى لَدَيْهِ الحِصَا والنُّصَارُ وَمَا يَسْتَوِي الحَقُّ والباطِلُ  
وأعجبُ أوصافه إنْ نَظَرْتَ كما يَنظُرُ الكَيْسُ الفاضِلُ  
تَراضَى الخِصومُ بهِ حاكماً وَقَدَّ عَرَفُوا أَنَّهُ مائلُ

\* \* \*  
قوله : اغتصد ، جعلها تحتَ عَضْدِهِ . التَّسيار : السَّير . والطَّيَّار : ميزان  
معروف عندهم ، يرجِّحه أيسر شيء ؛ فليخفته سُمِّيَ الطَّيَّار . وقيل : الطَّيَّار . ميزان  
الدرهم المعروف عندهم بالقارسطون . الفنجديهي : الطَّيَّار : لسان الميزان .

طَيْشَةٌ خفة . شِقْمُهُ : نصفه وجانبه ، فيريد بالظاهر : وذى حمق وخفة أصابه  
خَدَّر وفالج ، فيبس جنبه فمال على الجانب الصحيح ، ومع ذلك لا يُرَى أبدأً  
إلا فى مكان مرتفع عالياً كما يَفْعَلُ الملك ، والحجارة والذهب عنده سواء .  
والنُّصَار : الذهب ، ثم قال : وإذا نظرت إليه نظر كَيْسٍ حاذق رأيت فى وصفه  
عجباً حين كان الناس يتراضون بحكمه مع معرفتهم بأنه ناقص الخَلْقَةِ ، لا يعدل فى

حكيمه إنما هو ميثال مع أحد الخصمين . والعليّة : اليد التي يمسك عليها الميزان .

### [ بعض الألفاظ ]

وقال أبو نواس يلفز :

واسم عليه جُنُنٌ للصبا	وضمّه للوصف دَوَارُ
فضحتُ عنه مرّاً كتارنه	وكان من شائى إظهارُ
يُحذَفُ أول مبتدأ لاسمه	ثم يكون الوصف إضمار
فذاك عل في لعلّ وفي	قولك في حارث : يا حار
فهو بحذف ذا وترخيم ذا	أح لمن تلذعه النار

الاسم راحة ، يحذف أوّل حرف وآخر حرف ، ويبقى أح ، وهو من لذعته النار .

وقال آخر :

ويلي من الحبّ وويلآه	مُلْكٌ قلبي وتناساه
مَنْ ثالث العنبر بعض اسمه	ورابع العنبر أوّلاه
وقوله عند سؤالي له :	ما في اسمه والحافظ الله ؟

الاسم رعبلان . وأنشد ابن إسحاق النحويّ :

حلف الحبيب عليّ لاسميته	فكنتيه وأطعت خوف تفاضيه
ظلي إذا ما زارني حلّ اسمه	قلبي وذلك من عجيب عجائبه
ويكون إن رخته وجزمته	وقلبته ما تشتهي من صاحبه
ويكون بعد الجزم إن فكرت في	التّضحيف مقلوباً أشدّ معايبه

الاسم فرجة . وأشدّ معايبه فرج ، وهو ما يشتهى من صاحبه ، إذا  
حذفت الهاء .

وقال ابن شرف :

ما آكلٌ يعطى على أكلةٍ إعطاءً إقلالٍ وإكثارٍ<sup>(١)</sup>  
لُقمته قيمتها وحدها من غير خلفٍ ألفُ دينار  
هو فرج المرأة .

وله في المرأة :

ما يقول الشيخ في شئ . تراه ويراك<sup>(٢)</sup>  
ثم لا تلقاه إلا حين لا يلقى سواكا

وله أيضاً في الإبرة :

ضئيلة الجسم لها فعل متين السبب<sup>(٣)</sup>  
حافرُها في رأسها وعينها في الذنب

ولغيره في الميزان :

وقاضٍ قد قضى في الأرض عدلٌ له كفتٌ وليس له بئانٌ  
رأيتُ الناسَ قد قَبِلوا قضاةً ولا نطقٌ لديه ولا بيانٌ

وقال العلويّ الأصهباني يلفز في النَّسر الواقع :

وركب ثلاث كالأنافي تعاوروا دُجَا الليل حتى أو مضتْ سِنَّةُ الفجر  
إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحدٍ وإن فرقوا لم يُعرفوا آخرَ الدهرِ

(١) يظله في التنف ١٠١

(٢) التنف ١٠٦

(٣) التنف ٩٢

وأُشِدُّ الحاتمي في الخفاش وهو طائر الليل :

أَرَى عُلَمَاءَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَنِي      وَقَدْ ذَهَبُوا لِلْعِلْمِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ  
بِجِلْدَةٍ إِنْسَانٍ وَصُورَةَ طَائِرٍ      وَأُظْفَارِ يَرْبُوعٍ وَأَنْيَابِ ثَعْلَبٍ  
وَأُشِدُّ فِي الطَّائِرِ وَظَلَهُ :

عَجِبْتُ لَطَائِرٍ فِي الْحُومِ طَارًا      وَكَانَا وَاحِدًا فَانَيْنِ صَارَا  
فَهَذَا طَائِرٌ فِي الْجَوِّ يَهْوِي      وَذَا مُسْتَأْنَسٌ لَزِمَ الْقَرَارَا  
وَأُشِدُّوا فِي مَصْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِحُرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ      بَيْتَانِ طَوْلَ اللَّيْلِ يَفْتَمَقَانِ  
إِذَا أُمْسِيَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرْصِدًا      وَعِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَفْتَرَقَانِ  
وَأُشِدُّوا :

فَمَا مَيِّتٌ أَحْيَاهُ اللَّهُ مَيِّتًا      لِيخْبِرَ قَوْمًا أَنْذَرُوا بَيَانِ  
وَعَجْفَاءٌ قَدْ قَامَتْ لَتُنذِرَ قَوْمَهَا      وَأَهْلٌ قَرَاهَا رَهْبَةَ الْخَدَّانِ  
الميت الأول بقرة بنى إسرائيل ، والميت الثاني الذي ضرب ببعضها .  
والعجفاء نملة سليمان عليه السلام .

والألفاظ أكثر من أن يأتي عليها الحصر .

\* \* \*

قال : فَظَلَّتِ الْأَفْكَارُ تَهِيمٌ فِي أَوْدِيَةِ الْأَوْهَامِ ، وَتَجُولُ جَوْلَانِ  
المستهام ، إِلَى أَنْ طَالَ الْأَمَدُ ، وَحَصَّصَ الْكَمَدُ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ يَرْزُقُونَ  
وَلَأَسْنَا ، وَيَقْضُونَ النَّهَارَ بِالْمَنَى ، قَالَ : يَا قَوْمُ ؛ إِيَّاكُمْ تَنْظُرُونَ ،  
وَحَتَّامٌ تَنْظُرُونَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ اسْتِخْرَاجُ الْخَبِيِّ ، أَوْ اسْتِسْلَامُ الْعَبِيِّ !  
فَقَالُوا : تَاللَّهِ لَقَدْ أَعْوَصْتِ ، وَنَصَبْتِ الشَّرْكَ فَفَنَصْنَصْتِ ؛ فَتَحَكَّمْ كَيْفَ



شيت ، وحزِ النعمَ والصَّيت ، ففرضَ عن كلِّ معمى فرضاً ، واستخلصه مِنْهُ نضاً . ثم فتح الأقفالَ ، ووسم الأغفالَ ، وحاولَ الإجفالَ . فاعتلقَ مِدْرَةَ القومِ ، وقال له : لا لبسةَ بَعْدَ اليومِ . فاستنسيبَ قَبْلَ الانطلاقِ ؛ وهبها مُتَمَعَةً المطلقِ ، فأطرقَ إطراقَ مُريبِ ، ثم أنشدَ والدمعُ مُجيبِ .

\* \* \*

قوله : تهيم أى تتحير والهائم : الذى يركبُ رأسه ويمشى على غير هداية . الأوهام : جمع وهم وهو ماتوهمه وتتصوره فى نظر مسألة مشكلة ، إما خطأ وإما صواباً ، وأراد أن أفكارهم كانت تتحير فى نظر ألغازه ولا تهتدى . تجول : تتصرف . المُستهام : العاشق الذى ذهب به الحبُّ كلَّ مذهب . حصحص : تبين . الكد : الحزن والهَم . يَزْنِدُونَ ولا سَنًا : يقدحون الزند ، ولا يظهر لهم ضوء ، أى تضرب أذهانهم الألغاز ، فترجع بلا فهم . ويقضون : يقطعون يومهم بأمانى لا محصول لها .

[ من أقوالهم فى الأمانى ]

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إياك والمنى فإنها بضائع النواكى ، وتنبط عن الآخرة والأولى ، وأشرف الغنى ترك المنى .

على بن عبيدة الزنجاني : الأمانى مخايل الجهل .

وقال غيره : الأمانى تمدحك وعند الحقائق تدعك .

وفى ضده : أفلاطون : التمنى حلم المستيقظ وسلوة المحروم .

غيره : الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد أهلك .

قيل لأعرابي : ما أمتع لذات الدنيا ؟ قال : بمازحة الحبيب ، ومحادثة

الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك . وأنشد الثعالبي :

ولا تكن عبدَ المنى فالمنى رعوس أموالِ الفاليسِ

وقال مسلم بن الوليد :  
وأكثر أفعال الغواني إساءة  
وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا<sup>(١)</sup>  
وأنشد أبو تمام في ضده :  
مُنَى إِنْ تَكُنَّ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى  
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً  
أمانى من لئلى حساناً كأنما  
سقتنى بها ليلى على ظمأ برداً  
ابن المعتز يصف ساقياً :  
فقلُّ بُنَاجِينِي يَقَلِّبُ طَرْفَهُ  
بأطيب من نجوى الأمانى وأطفأ  
غيره :

عَلَّيْنِي بِمَوْعِدٍ وَأَمْطَلِي مَا حَيَّتْ بِهِ  
وَدَعَيْتِي أَفُوزُ مِنْكَ بِنَجْوَى تَطْلُبُنِي  
فَعَسَى يَغْتُرُّ الزَّيْمَانُ بِمَخْطَى فَيَنْتَبِهِي  
قوله : تُنظَرُونَ ، أى تؤخرون . يَأْنِ : يحين ويقرب . الحبي ، أى الخبوء  
المستور ، يريد ما خبأ لهم فى الشعر من اللفز . استسلام : انقياد . الغبي ، أى  
الجاهل بالشيء . أَعْوَضْتُ : أنيت بعويض وهو الصعب . الشَّرْكُ : آلة يُصَادُ  
بها . قَنَصْتُ : صدت . العُنْمُ : الغنيمة والجائزة . الصَّيْتُ : الذِّكْرُ الحَسَنُ .  
يُنَشِّرُ فى الناس وَيَشِيْعُ . فَرَضَ : قَسَطَ . وَأَوْجَبَ : وَأَزْمَ . والفرض : العطية .  
واستخلصه : جعله خالصاً . نَصًّا : حاضراً . ففتح الأقفال ، أى حلَّ ألفاظ الألفاظ  
وإلباسها وكأنها لتعميتها كأن عليها أقبالاً ، فحلها بتفسير . والأغفال : جمع  
غُفْلٍ ، وهو الشيء المهمل ليس له علامة يعرف بها . وَسَمَّهَا : جعل لها علامة .  
حاول الإجحال ، أراد الفرار ، وأجفل القوم : انهزموا . ومِدْرَهَ القوم : لسانهم  
وفصيحهم المتكلم عنهم ، وأصل المدرة المدفَاع ، وقد دَرَهْتُهُ ، إذا دفعته : لُبْسَةُ :  
شبهة ، وقد التبس الأمر إذا أشكل ، ومُتَمِّعَةُ الطلاق ، أن يهب الرجل لامرأته

(١) ديوانه : ٣٠٥

شيئا من ماله إذا طلقها يسليها بذلك عن فراقه لها ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أكثر المتعة خادم ، وأقلها ثلاثون درهما ، وقيل : أكثرها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن . وهبها : احسبها ، يقول : احسب انتسابك لنا مُتَمَّةً وتسليَّةً لفراقك عنا . أطرق : أمال رأسه وسكت . مُريب : صاحب ريبة . والدَّمع مجيب ، يريد أن إنشاده دعا دمه فأجابه وقد قال أبو الطيب :

\* أجاب دَمْعِي وما الداعي سِوَى طَلَلٍ (١) \*

يريد أنه لما وقف على الطلل وهو أترُّ دارِ أحبَّه هَيَّجَه لم فبكى ، فالطلل لما دعاه للتذكُّر أجابه بدموعه .

\* \* \*  
سَرُوجُ مَطْلَعِ شَمْسِي      وَرَبْعُ لَهْوِي وَأُنْسِي  
لَكِنْ حُرِمْتُ نَعِيمِي      بِهَا وَلَدَةٌ نَفْسِي  
وَاعْتَضْتُ عَنْهَا اغْتِرَابًا      أَمْرَ يَوْمِي وَأَمْسِي  
مَالِي مَقْرٌ بِأَرْضِي      وَلَا قَرَارٌ لِعَنْسِي  
يَوْمًا يَنْجِدُ وَيَوْمًا      بِالشَّامِ أَضْحِي وَأُمْسِي  
أَزْجِي الزَّمَانَ بِقَوْتِي      مُنْعَصٍ مُسْتَخْسِئِ  
وَلَا أَيْتُ وَعَنْدِي      فَلَسْتُ ، وَمَنْ لِي بِفَلْسِ !  
وَمَنْ يَعْشَنُ مِثْلَ عَيْشِي      بَاعَ الحَيَاةَ بِبَخْسِ

مُثْمٌ إِنَّهُ اخْتَبَنَ خُلَاصَةَ النَّصِّ ، وَتَدْرَضَارِبًا فِي الأَرْضِ ، فَنَاشَدَنَاهُ أَنْ يَعُودَ ، وَأَسْتَنْينَا لَهُ الوَعُودَ ؛ فَلَا وَأَيُّكَ مَارَجِعَ ، وَلَا التَّرغِيبُ لَهُ تَجْمَعُ .

\* \* \*

(١) ديوانه ٤ : ٧٤ ، وبقيته

\* دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبْلِ \*

قوله : مَطَّلَعُ شَمْسِي ، يريد أن سَرُوجُ هِي بِلَدِهِ الَّتِي نَشَأُ فِيهَا . رِبْعٌ : مَنْزِلٌ .  
 اعْتَصَمْتُ : اسْتَبَدَلْتُ . أَمْرٌ : جَعَلَهُ مُرًّا . مَقَرٌّ : إِقَامَةٌ . قَرَارٌ : سَكُونٌ وَإِقَامَةٌ .  
 عَتَسَى : نَاقَتِي الْوَيْثِقَةُ . تَجَدُّ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأُنْجَدُ : أَتَى نَجْدًا . وَالشَّامُ :  
 أَخَذَ مِنَ الْيَدِ الشَّوْمِيِّ . أَزْجَى : أَسْوَقٌ . مَنْقَصٌ : مَكْدَرٌ ، وَيُقَالُ : نَقَّصَ عَلَيْنَا  
 فُلَانٌ ، أَي قَطَعَ عَلَيْنَا مَا كُنَّا نَحْبُ الْإِسْتِكْثَارَ مِنْهُ ، وَكَلَّ مَنْ قَطَعَ شَيْئًا يَحِبُّ  
 الْإِزْدِيَادَ مِنْهُ فَهُوَ مَنْقَصٌ . مُسْتَخَسٌّ : مُسْتَهْجَنٌ . بَحْسٌ : نَقْصَانٌ .

اخْتَبِنَ : جَعَلَهُ فِي خُبْنَتِهِ ، وَهُوَ طَرَفُ ثَوْبِهِ ، وَالْخُبْنَةُ كَالْحُجْزَةِ لِلْإِزْرَارِ ،  
 وَالْخُلَاصَةُ : مَا خُلِصَ لَهُ مِنْهُ وَصَفَا . وَنَدَرَ : سَبَقَ ، وَذَهَبَ يَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ  
 إِذَا سَارَ فِيهَا ، وَأَصْلُ نَدَرَ ، خَرَجَ وَطَارَ ، مِثْلُ التَّوَاتُؤِ إِذَا طَارَتْ مِنْ تَحْتِ الْمَرْضِخِ  
 وَشَبَّهَهَا . فَنَاشَدْنَاهُ : حَلَفْنَاهُ . يَعُودُ : يَرْجِعُ . أَسْتَيْنَا : عَظَّمْنَا وَجَعَلْنَا سَنِيَّةً  
 أَي رَفِيعَةً . وَالْوَعُودُ : جَمْعُ وَعْدٍ ، وَهُوَ مَا وَعَدُوهُ بِهِ مِنَ الْمَالِ . التَّرْغِيبُ :  
 التَّطْمِيعُ ، وَقَدْ رَغِبْتَهُ فِي الشَّيْءِ إِذَا زَيَّنْتَهُ لَهُ وَطَمَعْتَهُ فِيهِ . وَنَجَعَ : نَفَعَ ، وَقَدْ نَجَعَ  
 عَلَيْهِ الطَّعَامُ ، إِذَا أَصْلَحَ عَلَيْهِ جِسْمُهُ .

## المقامة الثالثة والأربعون وهي البكرية

حكى الحارث بن همام قال : دفأ بي البين المطوح ، والسَّيرُ  
 المبرح ، إلى أرض يضلُّ بها الخريتُ ، وتفرقُ فيها المصاليثُ ،  
 فوجدتُ ما يحدُّ الحائرَ الوحيد ، ورأيتُ ما كنتُ منه أحميد ؛ إلا أنني  
 شجعتُ قلبي المزود ، ونسأتُ نضوى الجهود ، وسرتُ سيرَ  
 الضاربِ بقدحين ، المستسلمِ للحين ؛ ولم أزلْ بينَ وخدٍ وذميل ،  
 وإجازةٍ ميلٍ بعد ميل ؛ إلى أن كادتِ الشمسُ تجب ، والضيءُ يحجب .  
 فازتمتُ لإضلالِ الظلامِ ، واقتحامِ جيشِ حام ، ولم أدرِ أأكيفتُ  
 الذيلَ وأرتبطُ ، أم أتعتمدُ الليلَ وأختبِطُ !

\* \* \*

هنا ، أي طار وخف . المطوح : التبعد المشفى على الهلاك ، وقد طوحتُ  
 الشيء ، إذا رميتَ به وألقيته إلقاءً منكراً . المبرح : الشاق المتعب ، وقد برح  
 الأمر ، إذا عظم واشتد . يضلُّ : يتحير ويتلف . الخريت : الدليل ، وقيل :  
 هو من خرت الإبرة كأنه من حسن دلالة يهتدى على مثال خرت الإبرة  
 وهو نُقبها . تفرق : تفرع . المصاليث : الشجعان الماضون في الحروب ، واحدم  
 مصلات ، قال الفراء : المنصت : المسرع من كل شيء ، وجمعه مصالت  
 ومصاليث . أحميد : أخاف وأميل عنه . المزود : المفزع ، وزئد الرجل : فزع .  
 نسأت : ضربتُ بالنسأة ، وهي العصا . نضوى : بعيرى . الجهود : المتعب .  
 قدحين : سهمين .

## [ اليسر والقُداح ]

وكان الرجل في الجاهلية يُمسك ثلاثة أقداح ، على أحدها مكتوب : « أمرني ربي » ، وعلى الثاني « نهاني ربي » ، والثالث غُفْل لا شيء عليه وهو المنيح ، فإذا أراد سفراً أو أمراً ضرب بها ، فإن خرج له « أمرني ربي » مضى آمناً ، وإن خرج له « نهاني ربي » ترك ذلك الأمر وإن خرج له غُفْل أعاد الضرب .

وقيل : كان يمسك قدحين مكتوب على أحدهما « افعل » وعلى الثاني « لا تفعل » ، فإن خرج « افعل » مضى ، وإن خرج « لا تفعل » ترك .

وقيل : كان لا يمضي حتى يخرج له « افعل » ثلاث مرات ، ولا يترك المضي حتى يخرج له « لا تفعل » ثلاث مرات ، فإن خرج له مرة « افعل » ومرة « لا تفعل » ولم يخلص له أحدهما ، فإن مضى في ذلك الأمر مضى وهو يرجو ويخاف ، وهذا هو الذي أراد الحريري لأنه كان بين الرجاء والخوف .

ولما قُتِل حجر أبو امرئ القيس ، أخذ امرؤ القيس أزالامه وهي القُداح ، وأتى ذا الخُلصة - وهو صنم لدوس وخشم وبجيلة - فاستقسم عندها بالأزالام فخرج له القُدح الذي يكره ، فأخذ الأزالام وكسرها وضرب بها وجه صنمها ، وقال :

لو كنت يا ذا الخُلص الموتوراً<sup>(١)</sup>

مثلي وكان شيخك المقبوراً

لم تنه عن قتل العداة زوراً

وحكى الفنجديهي ، قال : الضارب بقدحين ، يعني به قول الناس :  
إِذَا الْغُفْمُ ، وَإِذَا الْغُرْمُ ، وَإِذَا الْمُلْكُ وَإِذَا الْمُلْكُ قال الشاعر :

(١) الرجز في معجم البلدان ٣ : ٤٥٨

ضربتُ بها البيتَ ضَرْبَ القِدَا ح إما لهذا وإمّا لهذا<sup>(١)</sup>  
والقِدْح : السهم قبل أن يُرَاش ويركَب نَصْلُهُ .

وحكى ابن ظَفَر أن الأزلام سبعة قِدَاح ، مكتوب على أحدها « نعم »  
وعلى الآخر « لا » وعلى قِدْح « منكم » وعلى قِدْح « من غيركم » وعلى قِدْح  
« مُلصَق » وعلى قِدْح « العقل » ، وعلى قِدْح « فضل العقل » . وكانت بيد  
سادن الأصنام ، فيأتيه ذو الحاجة بدراهم ، فيسأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه ،  
ثم يضرب بالقِدَاح ، فإن أتى سائل عن تزويج أو سفر أو شبه ذلك مما يستشار  
في مثله ضَرَبَ له بالقِدْحين اللذين عليهما نعم ولا ، فإن خرج « نعم » مضى  
على فعله وإن خرج « لا » ترك ذلك . فإن انتسب رجل إلى قبيلة ضرب له  
بالأقداح الثلاثة التي فيها « منكم » « من غيركم » « ملصق » فإن خرج  
« منكم » أضافوا نسبه إلى أنفسهم ، وإن خرج « من غيركم » كان حليفاً  
وإن خرج « ملصق » لم يكن له حلف ولا نسب . فإن أتى سائل عن قتيل أو  
جناية ضرب بالقِدْحين اللذين عليهما العقل ، فإن خرج على قوم « العقل » برىء  
منه الآخرون ، وإن عقلوا ففَضَّلَ شيء ، فإن اختلفوا فيه ضرب بالقِدْح الذي  
عليه فضل العَقْل ، فإن خرج عليه أَدَاه .

ومعنى الاستقسام بها الرِّضا بالقسمة بينهم من الأمر والنهي والبراءة  
والوجوب .

وسهام الميسر عشرة : ثلاثة يُتسكَّرُ بها لا أنصباؤها ، وسبعة لها أنصباؤها ،  
فأولها القَدَّ ، وفيه فُرْضة واحدة وله نصيب واحد ، والثاني التووم وفيه فُرْضتان  
وله نصيبان ، ثم الرقيب وفيه ثلاث فُرُض ، وله ثلاثة أنصباؤها ، ثم الحِلْس بأربع ،  
والنَافس بخمس ، والمسبل بست ، والمعلَى ، وهو أعلاها بسبع فُرُض وعلى عدد  
الفُرُض هي الأنصباؤها . وقال ابنُ بُجَال لجمعها في بيت :

(١) انظر الميسر والقِدَاح ٥٦ ، ٥٧ .

فَذُوٌّ وَتَوْعْمٌ وَالرَّقِيبُ وَنَافِصٌ وَالْحِلْسُ ثَمَّتْ مُسْبِلٌ ثُمَّ الْمَعْلُ  
 وَاسْمُ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يُتَكَثَّرُ بِهَا : الْفَسِيحُ وَالنَّبِيحُ وَالْوَعْدُ ؛ فَإِذَا أَرَادُوا  
 الضَّرْبَ بِهَا طَلَبُوا أَوَّلَ رَجُلٍ يَلْمُقُونَهُ ، فَشَدُّوا عَيْنِيهِ ، وَيَسْمُونَهُ الْحِرْضَةَ ،  
 وَأَقَامُوا لَهُ الرَّقِيبَ وَضُرِبَ ، فَكَلَّمَا خَرَجَ لَهُ قِدْحٌ دَفَعَهُ إِلَى الرَّقِيبِ ، وَالرَّقِيبُ  
 هُوَ الْأَمِينُ عَلَى الضَّرْبِ بِالْقِدَاحِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

لَهَا خَلْفٌ أَذْنَابُهَا أَزْمَلُ مَكَانَ الرَّقِيبِ مِنَ الْيَاسِرِ

وَكَانَ أَهْلُ الْيَسَارِ وَالْجُودِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ شِدَّةِ الزَّمَانِ ، يَنْحَرُونَ  
 الْجُزُورَ وَيَقْتَسِمُونَهَا وَيَضْرِبُونَ عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ ، فَمَنْ قَرَأَ (١) جَعَلَ نَصِيْبَهُ لِأَهْلِ  
 الْمَيْسِرِ ، وَالْقَمَارِ يُكْتَنَى عَنْهُ بِالْمَيْسِرِ ، وَأَصْلُ الْمَيْسِرِ مَوْضِعٌ تُنْفَخُ بِهِ الْجُزُورُ ،  
 وَالْيَاسِرُ : الْجَازِرُ ، وَتَقْسِمُ الْجُزُورَ عَشْرَةَ أَجْزَاءَ : الْعَضُدَانِ فِي الْكَتْفَيْنِ جِزْأَنِ ،  
 وَهِيَ ابْنَا مَلَاطٍ ، وَالْعَجْزُ وَالزُّورُ جِزْأَنِ ، وَالكَاهِلُ وَاللِّحَاءُ عَلَيْهِمَا الْجَنْبُ  
 بِنِصْفَيْنِ جِزْأَنِ ، وَالوَرِكَانِ عَلَيْهِمَا الذَّرَاعَانِ جِزْأَنِ ، وَالْفَخِذَانِ وَعَلَيْهِمَا الْعُنُقُ  
 مَقْسُومَا جِزْأَنِ . وَيَقِي جَنْبٌ ، وَهِيَ يَسْتَنْوَنُهُ وَقَدْ لَا يَسْتَنْوَنُهُ ، فَيَرُدُّ مِنْهُ عَلَى  
 جِزْءِ الْكَاهِلِ ضَالِعَانِ وَعَلَى سَائِرِهَا ضِلَعٌ ضِلَعٌ ، فَإِنْ فَضَلَتْ قِطْعَةٌ أَوْ عَظْمٌ  
 مِمِّي الزَّيْمِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَنتُ كَعَظْمِ الزَّيْمِ لَمْ يَدِرْ جَازِرٌ عَلَى أَيِّ أَدْنَى مَقْسِمِ اللَّحْمِ يَجْعَلُ

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي الْمَيْسِرِ : إِنَّهُ شَيْءٌ كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْهُ

حَقِيقَةٌ .

قَوْلُهُ : الْمَسْتَسْلِمُ لِلْحَيِّنِ ، أَيُّ الْمُنْقَادِ لِلْهَالِكِ . الْوَعْدُ : نَوْعٌ مِنَ السَّيْرِ وَهُوَ أَنْ  
 تَرْتَجِمَ الْأَرْضَ بِقَوَائِمِهَا لِسُرْعَةِ سَيْرِهَا . وَالذَّمِيلُ : سَيْرٌ لَيْنٌ . تَجِبُ : تَسْقُطُ لِلْغَيْبِ .

(١) قمر ، أي غلب .



ارتعت : فزعت . لإظلال : لقرب ودنو . اقتحام : دخول الشيء على غرر .  
وحام ، هو ابن نوح وقد تقدّم في الحادية والعشرين ، وأراد بجيش حام ظلام الليل ،  
لأنّ حاماً أبو السودان ، أكفت : أقبضه وأشمره . أربط : أربط بعيرى .  
أعتمد : أقصد : أخطب : أمشى على غير هداية ، وأراد أنه لا يدرى ما يفعل ،  
أينزل ويبيت ، أم يسير في الليل على غرر .

\* \* \*  
وَيْنَمَا أَنَا أَقْلَبُ الْعِزْمَ ، وَأَمْتَنُخِضُ الْحُزْمَ ، تَرَاءَى لِي شَبِيحُ جَلِّ ،  
مُسْتَنْدِرٍ بِجَبَلٍ ، فَتَرَجِيئُهُ قُعْدَةُ مَرِيحٍ ، وَقَصْدَتُهُ قَصْدُ مُشِيحٍ ؛ فَإِذَا  
الظَّنُّ كَهَانَةٌ ، وَالْقُعْدَةُ عَيْرَانَةٌ ، وَالْمَرِيحُ قَدْ ازْدَمَلُ بِبِعْجَادِهِ ، وَاکْتَحَلَّ  
بِرُقَادِهِ ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ ؛ حَتَّى هَبَّ مِنْ نَعَاسِهِ ؛ فَلَمَّا اازْدَهَرَ  
سِرَاجَاهُ ، وَأَحْسَّ بِمَنْ فَاجَاهُ ، نَفَرَ كَمَا يَنْفِرُ الْمَرِيْبُ . وَقَالَ : أَخْوَكُ  
أَمْ الدَّيْبُ ! فَقُلْتُ : بَلَى خَابِطُ لَيْلٍ ضَلَّ الْمَسْلِكُ ، فَأَضَى لِي أَقْدَحُ لَكَ .  
فَقَالَ : لَيْسَ رَعْنُكَ هَمْكُكَ ، قَرُبٌ أَخْ لَكَ لَمْ تَلِدُهُ أُمُّكَ . فَانْسَرَى عِنْدَ  
ذَلِكَ إِشْفَاقِي ، وَسَرَى الْوَسْنُ إِلَى آمَاقِي ، فَقَالَ : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ  
الْقَوْمُ الشَّرَى ، فَهَلْ تَرَى كَمَا أَرَى !

\* \* \*  
العزم والحزم : اجتماع رأى الرجل على ما يريد أن يفعله فلا يتردد فيه .  
أمتنخض : أحرّك وأحلب ، وأراد أنه أخذ يحدث نفسه ويُدبّر رأيه : هل  
يسرى أو يقعد . تراءى ، أى ظهر . مستندر : مستعلٍ ، والذروة أعلى الشيء ،  
أراد أنه ظهر له شبح جمل ، أى شخصه في أعلى جبل . قعدة : بعير يقعدُ عليه  
عند الركوب . مريح : مستريح ، قد نزل يريح نفسه وبعيره . مشيح : مُجِدِّ .  
والقعدة : المراكب . والعيرانة : الناقة الصلبة تشبه بالبعير ، وهو حمار الوحش .  
( م ٦ - شرح مقامات الحريري - ج ٥ )

وازْدَمَل : التَفَّ . بيجاده : بكسائه . هَبَّ : انتبه . ازدهر : انفتح وأضاء .  
 سراجاه : عيناه . فأجاه : أتاه على غفلة . المريب : الذى أتى ريبة . أخوك  
 أم الذيب<sup>(١)</sup> ، مثل ، كأنه خاطب نفسه ، قال : أخوك هو الذى رأيت أتى  
 لمؤانستك أم ذئب لإذابتك ، وتضمن الكلام أن الاستفهام وقع بالذى رآه ،  
 فكأنه قال له : يا هذا ، أخ أنت أم صاحب فأركن إليك أم عدو فأحذرُك ؟  
 فأجابه بأن قال له : بل خاطب ليل ، أى ماشٍ فيه على جهالة . ضلّ المسلك :  
 أخطأ الطريق . أضىء لى : اكشف لى عن حالك . أقدح لك : أكشف لك  
 عن حالى ، وهذا أيضاً مثل ، وفى هذا التباس ؛ لأنه إذا أضاء له ، أى أعطاه  
 ضوءه أو أظهره له ، فأى حاجة له فى القدح ، وهو الضرب بالزئد ليخرج ناره ،  
 وإنما معناه أن رجلاً كان طلب لآخر ضوءاً مثل فتيل يوقده ، فتخيل من  
 صاحبه أنه لا يعطيه ، فقال له : أضىء لى ، أى أعطنى ضوءاً فليس عليك فيه  
 تكاف فإنك أن أتيتنى فى مثلها فلم تجد لى ضوءاً قدحت لك زئدى ، وتكلفت لك  
 ذلك ، ثم استعمل فيمن يطألك على أمره فتطلمه من أمرك على ما هو أفيد  
 ممّا أطلعتك عليه ، فمعناه أطلعتنى على ظاهر أمرك أطلعتك على باطن أمرى .  
 ويروى : « أكدح لك » قال أبو زيد : إذا طلب الرجل إلى الرجل حاجة  
 فلم يعرف وجهها ، قال : أضىء لى أكدح لك ، أى بين لى فأكدح لك ، أى  
 أسعى لك ، وكدح لمعيشته : سعى واكتسب ، وأضىء : أسرج .

المنجديهى : أضىء لى أكدح لك ، مثل يضرب فى المساواة بالأفعال ،  
 والمعنى : كن لى أكن لك ، واسع لى أسع لك ، والمراد به كُن لى أكثر مما أكون  
 لك لأن الإضاءة أكثر فعماً من القدح ، ويقال : معناه : تولّ الأمر المئين أتولّ  
 الأمر الصعب . لَسْرُ : ليزلّ وليذهب . سَرى عِرْق الشجرة يسرى : دبّ  
 تحت الأرض ، وسرى يسرى سار .

(١) الميدانى ١ : ه . ه ، قال فى شرحه : أى هذا الذى تراه أخوك أم الذئب ، يعنى  
 من أخاك الذى تختاره مثل الذئب فلا تأمنه ، يضرب فى موضع التلوى والشك .

[ أصل المثل : ربّ أخ لم تلده أمك ]

رُبّ أخ لك لم تلده أمك ، معناه قد وجدت منى صديقاً يقوم لك مقام شقيقك ، وأصل المثل أن لقمان بن عاد رأى امرأته قد خلا بها رجلاً وهي تلاعبه ويلاعبها ، ومعها صبيٌ صغير يبكي ، وهما قد أقبلتا على شأنهما لا يكثران به ، فسألها عن الرجل ، فقالت : هو أخي ، فقال ربّ أخ لك لم تلده (١) أمك ، يكذبها في قصدها أي هو أخوك بالحبة والصداقة لا بالولادة . وقال في الدرّة : حكى ابن نصر (٢) الكاتب أن أبا العباس ابن ياسر (٣) دخل عليه ، رجل نصرانيّ ومعه فتى من أهل ملته حسن الوجه ، فقال له : من هذا الفتى ؟ فقال له : بعض أخواني ، فأنشد أبو العباس :

دعنى أخاها أمّ عمرو ولم أكن      أخاها ولم أرضع لها بلبانٍ  
دعنى أخاها بعدما كان بيننا      من الأمر ما لا يصنع الأخوانِ

وقالوا في هذا المعنى : ربّ بعيدٍ أقرب من قريب ، وقالوا : القريب من قُرْب نفعه ، وقال أبو تمام :

ولقد سبّرت الناس ثم خبرتهم      وبلوت ما وصفوا من الأسباب (٤)  
إذا القربة لا تقرب قاطعاً      وإذا المودة أقرب الأنساب

وقال ابن ميادة :

وإني لزوار لمن لا يزورني      إذا لم يكن في وده بمريبٍ  
تقرّب لي دار الحبيب وإن تأت      وما دار من أبعضته بقريبٍ  
فلا تطابن القرب والبعدها      إلى غير نياتٍ وغير قلوب

(١) الميداني ١ : ٢٩ ، ٣١

(٢) درة الغواص : « في كتاب المناوذة » .

(٣) درة الغواص : « أبو العباس بن ماسرجس » .

(٤) المعقد لابن عبد ربه ٢ : ٣١٤ ونسبهما إلى أبي تمام وفي ٢ : ٢٢٨ من غير نسبة ■

وقال آخر :

أخو ثقة يُسرّ ببعض شأني      وإن لم تُدنيه منّي قرابة<sup>(١)</sup>  
أحبُّ إلى من ألفى قريب      بنات قلوبهم لي مُستراة

وقال ابن هرمة :

هش إذا وقف الوفودُ ببابه      سهل الحجاب مؤدّب الخدام<sup>(٢)</sup>  
فإذا رأيت صديقه وشقيقه      لم تدر أيّهما أخو الأرحام

انسرى : زال وذهب ، وسرّوتُ الثوب عني إذا جردته . إشفاقى :  
خوفى . سرى الوسن : أقبل النوم . آماقى : آخر عيني ، والموقُ طرفُ العين من  
جهة الأنف .

[ أصل المثل : عند الصباح يحمد القوم السرى ]

قوله : عند الصباح يحمّد القوم السرى مثل ؛ ومعناه إذا سرى القوم بالليل  
قطعوا أرضاً كثيرة والأرض تُطوى بالليل لمن يمشيها فإذا أصبحوا حمداً وسيرهم .

وهذا المثل بيت من رجزٍ وقّع في شعر الشماخ ، وذلك أنه سافر في قوم  
من بني ثعلبة ، فمشوا حتى إذا كانوا قريباً من قِيَاء ، قال الشماخ لابن أخيه :  
انزل فاحدّبنا ، فنزل لحدّابهم ثم نزل القوم للحدّاء واحداً بعد واحدٍ ، فوقمت  
أرجيزهم في ديوان الشماخ ، فنسبت إليه ، وأول الرجز :

(١) المقعد ٢ : ٣١٤ من غير نسبة .

(٢) ديوان الحماسة - بشرح المرزوقى ٢ : ٨٠٨ ونسبها الى محمد بن بشير الخارجي .

وفكر تبلها :

نم الفتى فجعت به إخوانه      يومَ البقيع حوادثُ الأيام

والإبيات أيضاً في المقعد ٢ : ٣١٥ مع اختلاف في الرواية .

طَافَ خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى فَأَعْتَرَى <sup>(١)</sup>  
 بِنَجْدٍ أَوْ تِيَاءٍ أَوْ وَادِي الْقُرَى <sup>(٢)</sup>  
 فَمَنَعَ النَّوْمَ وَمَنَى بِالْمَنَى

وفي آخره :

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى  
 وَتَنْجِلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرَى

قال المفضل الضبيّ : أول من قال ذلك خالد بن الوليد ، لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو باليمامة أن ينزل إلى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائيّ : قد سلكتها في الجاهليّة ، وهي خمس للإبل الواردة ، وما أظنك تقدر عليها إلا أن تحمّل من الماء ، فاشتري مائة شارب <sup>(٣)</sup> فمطشها ثم سقاها الماء حتى إذا مضى يومان خاف العطش على الناس والخليل ، وخشي أن يذهب ما في بطون الإبل ، نحرها ، واستخرج ما في بطونها . فسقى الناس والخليل ومصّى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : انظروا ، هل ترون سدرًا عظيمًا ؟ فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوها فأخبروه فكبرّ وكبرّ الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد :

(١) ديوانه ٢٧٧ - ٢٨٤ ويعد هذا البيت كما في الديوان :

حَدَّتْ وَقَالَتْ بَدَتْهَا حَتَّى مَتَى

تُبَشِّرِي بِالرِّفِّ وَالْمَاءِ الرَّوَى

(٢) رواية الديوان :

بَشَجْرًا أَوْ تِيَاءً أَوْ وَادِي الْقُرَى

فَمَنَعَ النَّوْمَ وَمَنَانَا الْمَنَى

(٣) الشارف : المسن .

لِلَّهِ دَرُّ رَافِعٍ أَنَّى اهْتَدَى (١)  
 فَوْزٌ مِنْ قَرَارٍ أَنَّى سَرَى  
 خَسًّا إِذَا سَارَ بِهَا الْخَيْسُ بَكَى  
 مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْسٌ سَرَى  
 عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى

ويقال : فوز إذا ركب المفازة . وقرار : اسم قرية من اليمن . والخيس : الجبان الضعيف ، وقيل : الثقل . قال أبو عبيدة : والخيس أن تشرب الإبل يومَ وردها وتُصَدِّرُ يومها فتظلُّ بعد ذلك اليوم من الماء ثلاثة أيام سوى يوم الصدر ، وتردُّ اليوم الرابع فذلك الخيس .

\* \* \*

فَقُلْتُ إِنِّي لَكَ لِأَطْوَعُ مِنْ حِذَائِكَ ، وَأَوْفَقُ مِنْ غِذَائِكَ ، فَصَدَعَ  
 بِمَجِبَّتِي ، وَبَخْبَجَ بِصُحْبَتِي ، ثُمَّ احْتَمَلْنَا مُجِدِّينَ ، وَارْتَحَلْنَا مُدْجِلِينَ ، وَلَمْ  
 نَزَلْ نُعَانِي الشَّرَى ، وَنَعَايِي الْكَرَى ؛ إِلَى أَنْ بَلَغَ اللَّيْلُ غَايَتَهُ ، وَرَفَعَ  
 الْفَجْرُ رَايَتَهُ .

فلما أسفر الفاضح ، ولم يبق إلا واضح ، توهمت رفيق رحلتي ،  
 وسمير ليلتي ، فإذا هو أبو زيد مطلب الناشد ، ومعلم الراشد ، فتهادينا  
 تحية المحبين ؛ إذ التقينا بمد البين ، ثم تباثنا الأسرار ، وتناثنا  
 الأخبار ، وبعمري ينحط من الكلال ، وراحلته تزف زيف الرال ؛  
 فأعجبني اشتداد أسرها ، وامتداد صبرها ؛ فأخذت أستشف جوهرها ،  
 وأسأله من أين تحيَّرها .

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤١٦ ونسبها الى شاعر من المسلمين .

فقال : إِنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ خَبْرًا حُلُوَ الْمَذَاقَةَ ، مَلِيحَ السِّيَاقَةِ . فَإِن  
أَحْبَبْتَ اسْتِمَاعَهُ فَأَنْخِ ، وَإِن لَمْ تَشَأْ فَلَا تُصِخ .

\* \* \*

قوله : حذائك ، أى نعلك . صدع : كشف وأظهر . وبخنج : قال :  
بخ ، وهى كلمة تقال عند الإعجاب . مُجَدِّين : مُجْتَهِدِينَ . مُدَلِّجِينَ : ماشيين  
بالليل . نعانى : نقاسى . الكرى : النوم . رايته ، أراد ضوءه . أسفر : أضاء .  
الفاضح : من أسماء الصبح سمى بذلك لأنه يفضح الأشياء ، أى لا يظهرها .  
واضح : بين ، يريد أن الصبح كشف ماستره الليل فاستبان كل شيء . توسمت :  
نظرت . الفنجديهي : واضح : نجم ، والنجم الذى يرى بعد الضُحى مضيئاً  
فى كثير من الأوقات وهو الزُّهْرَة . ابن سيده : الواضح : الكواكب الخس ،  
إذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل . والخلس : الراجمة  
والتأخرة والمنقبضة . رحلتى : ارتحالى . والسمير : محادئك بالليل . مطلب  
الناشد ، أى حاجة الطالب التى تلفت له ، فجعل يطلبها . معلم الراشد : دليل  
الهادى ، والمعلم : الجبل يُعلم به الطريق . فتهادينا تحية الهجين ، أى أهديته  
سلام محبباً أهدي لى مثل ذلك . تباثنا : تكاشفنا ، أى كشفت له سرى  
وكشف لى سره . تناثنا : تفاشينا ، أى أفشيت له خبرى وأفشى لى خبره ،  
والبث أصله التفریق ، والنث بالنون : أصله نشر الحديث وإفشاؤه .  
الفنجديهي : تناثنا : تذاكرنا ، والنث : الذُّكْرُ ونَثَوْتُ الذُّكْرَ ونَثَوْتُ  
الحديث ، أشوه ، إذا أذعته وأفشيته . ابن الأعرابى . النشاء فى الحسن والقبیح  
من الكلام ، وقيل : النث : نشر الحديث الذى كتبه أولى من نشره ،  
وفى معنى هذا اللقاء قال المعرى :

وَلَوْ لَمْ أَلْقَ غَيْرَكَ فِي اغْتِرَابِي لَكَانَ لِقَاؤُكَ الْحِطَّ الْجَزِيلًا<sup>(٥)</sup>  
 سَتَحْمِلُ نَاجِبَاتُ الْعَيْسِ مِنِّي صَدِيقًا عَن وِدَادِكَ لَنْ يَحْوَلَا  
 يُؤَمِّلُ فِيكَ إِسْعَافَ اللَّيَالِي وَيَنْتَظِرُ الْعَوَاقِبَ أَن تُدْبِلَا

ينحط: يزفر وينفس من شدة التعب، والنحط: خروج النفس بصوت، وهو صوت يعترى المهوم والتعوب من صدره بتوجم، وقد نحط ينحط نحطاً ونحيطاً، والتحيط يعترى الذابة إذا كلت أو زيد في حملها، فتسمع لها زفيراً بصوت، فذلك هو النحيط، وقد نحط القصار إذا ضرب بالثوب على الحجر وتنفس ليكون أرواح له. تزف: تسرع. والزيف: مشى في سكون متتابع. والرأل: فرخ النعامة والجمع الرئال. أسرها: قوتها وشدة خلقها. امتداد: طول. أستشيف: أنظر. جوهرها: خلقها وجوهر كل شيء: ما وضعت عليه جيلته. أنخ: حط بعيرك وانزل. تُصخ: تستمع.

\* \* \*

فَأَنحَتُ لِقَوْلِهِ نِضْوِي، وَأَهْدَفْتُ السَّمْعَ لِمَا يَرَوِي، فَقَالَ:  
 اَعْلَمَ أَنِّي اسْتَعْرَضْتُهَا بِحُضْرَمَوْتٍ، وَكَابَدْتُ فِي تَحْصِيلِهَا الْمَوْتَ، وَمَا زِلْتُ  
 أَجُوبُ عَلَيْهَا الْبُلْدَانَ، وَأَطِسُ بِأَخْفَافِهَا الظَّرَّانَ؛ إِلَى أَنَّ وَجَدْتُهَا عَبْرَ  
 أَسْفَارٍ، وَعُدَّةِ قَرَارٍ، لَا يَلْحَقُهَا الْعَنَاءُ، وَلَا تُرَاهِقُهَا وَجَنَاءُ، وَلَا تَدْرِي  
 مَا الْهِنَاءُ. فَأَرَصَدْتُهَا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَحْلَلْتُهَا مَحَلَّ الْبِرِّ السَّرِّ، فَاتَّفَقَ أَنْ  
 تَدَّتْ مِنْذُ مُدَّةٍ، وَمَالِي سِوَاهَا قَعْدَةٌ، فَاسْتَشَعَرْتُ الْأَسْفَ، وَاسْتَشَرَفْتُ  
 التَّلْفَ، وَنَسِيتُ كُلَّ رِزِّ سَلْفٍ، وَمَكَشْتُ ثَلَاثًا، لَا أَسْتَطِيعُ انْبِعَاطًا،  
 وَلَا أَطْعَمُ النُّومَ إِلَّا جِثَامًا، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي اسْتِقْرَاءِ الْمَسَالِكِ، وَتَفَقَّدْتُ

(٥) سقط الزند ١٤٠١



التسارح والمبارك ، وأنا لا أستنشي منها ريحاً ، ولا أستغشي يأساً  
مريحاً ؛ وكلما اذكرت مضاءها في السير ، وانبراءها لمباراة الطير ،  
لاعني الآذكار ، واستهوتني الأفكار .

\* \* \*

نضوى : يعرى المهزول . أهدفت : جعلته غرضاً يقع فيه كلامه . والسمع :  
الأذن . والهدف : الغرض ترمى عليه . استعرضتها : طلبت أن تعرض على  
الجميع . حضرموت : كورة من كور اليمن فيها مدائن ، وتعمل بها النعال  
الحضرمية وهي غاية في الجودة . كابدت : قاسيت . أجوب : أقطع . أطس :  
أكسر . والوطن : الوطء الشديد المؤثر . الظران : واحدها ظرر ، بظاء منقوطة  
وراءين ، وهي الحجارة العريضة ، وقيل الحددة . عبر أسفار : أى قوية على  
السفر كأنها تُعبر بها المراحل ، أى تقطع ، وأصله عَبَّرت في النهر إذا جزته  
من جهة إلى جهة أخرى . فرار ، أى قد استعدت للفرار والهرب . العناء :  
التعب . تُرأهقها : تدانها وتقاربها ، وقد أرهقت الرجل ، إذا دانتها ، وذلك  
أن يذهب أمامك فتتبعه ، فإذا قرُبت منه قلت : رهقته ، فإذا أدركته قلت :  
أرهقته : ورواية ابن جهور « تُوأهقها » بالواو ، ومعناها تواظب على المشي  
معها ، والمواهقة : المعارضة في السير . وجنء : ناقة قوية غليظة . والوجين :  
ما صلُب من الأرض ، وقيل : الوجناء : العظيمة الوجنات . والهناء : القَطِران ،  
أى ليس بها داء فتحتاج إليه فهمى لا تعرفه . أرصدها : أعددها . البر : الذى  
يُبرك ويكرمك . والسر : ما يسرك : نددت : قرّت وشرّدت . استشعرت :  
لبست . الأسف : الحزن . استشرفت التلف : عاينت الهلاك ونظرته ،  
واستشرفت فلاناً إذا رفعت رأسك لتنظر إليه ويدك على حاجبك . والرؤء :  
فقد الشيء . سلف : مضى . مكثت : أقمت . انبعثاً : نهوضاً وخروجاً إلى السفر .

حِثًّا: قليلاً، والحِثَّاء: أن يصيبك النومُ ثم يزول عنك في الحال، ويوصف به  
 فيقال: يوم حِثَّاء، أي قليل. والطعم: الذوق. استقراء: تتبّع. والمسالك:  
 الطُرُق. المسارح: المراعى وحيث تسرح الإبل. والمبارك: مرافد الإبل  
 حول الماء. استنشاء الريح: شمها، مهموز وغير مهموز. استغشى ثوبه: تغطى  
 به. اليأس: قطع الرجاء. مريحا: يُدخِل على صاحبه الراحة. اذكرت:  
 تذكرت. مضاءها: فنادها وإسراعها. انبراءها: نهوضها، وقد انبرى لك  
 فلان إذا عَرَضَ لك. مباراة: معارضة. لاعنى: أحرقتى، اللوعة: حرقة القلب  
 من شدة الوجد. استهوتنى: هَوَتْ بى فى كلِّ طريق. الأفكار: تذكّر المهموم.

\* \* \*

فبينما أنا فى جِواء، بعض الأحياء، إذ سمعتُ من شخصٍ مُتبعِد،  
 وصوتٍ مُتجرّد: مَنْ صَلَّتْ لَهُ مطيَّة، حَضْرَمِيَّة وطِيَّة، جلدُها قد وُسيم،  
 وعَرَّها قد حُسيم، وزمامُها قد ضَفِر، وظَهْرُها كأنَّ قد كَسِرَ ثمَّ جُبِر،  
 تَزِينُ الماشية، وتُعِينُ النَّاشية، وتقطعُ المسافةَ النَّائية، وتظلُّ أبدأ لك  
 مُدانية، لا يمتوِرُها الوَتى، ولا يعترِضُها الوَجى، ولا تُحَوِّج إلى  
 العصا، ولا تَعصى فِيمَنْ عَصَى؟

قال أبو زيد: فجذبني الصَّوتُ إلى الصَّائت، وبشّرني بدرك الفاتت.  
 فلما أفضيت إليه، وسلمت عليه، قلت له: سلمَّ المطيَّة، وتسلمَّ العطيَّة،  
 فقال: وما مطيَّتكَ، غفرت خطيَّتكَ؟ قلت له: ناقة جُشَّتْها كالهضبة،  
 وذُرْوَتُها كالثَّقبَة، وحَلَبُها ملءُ الثَّلبَة، وكنتُ أعطيتُ بها عشرين،  
 إذ حَلَلْتُ يَبْرين، فاستردت الَّذى أعطى، ودَرَيْتُ أنه أخطا.

\* \* \*

قوله : حِواء : بيوت مجتمعة مائتان أو نحوها . الأحياء : القبائل . متجرد : ماضٍ ظاهر ، وقيل ضعيف لبُعده . ضَلَّت : تَلَفَتْ وضاعت . مطية ، يعنى بها نعلًا فى المعنى وناقاة فى اللفظ ، وقد تقدّمت أشعار الألفز بهما . وطية : لا تحرك الراكب ، وهى الذّول ، وفراش وطىء : وثير لا يؤذى جنب النائم عليه ، وعلى من ضلّت له مطية [ أن يقول ما ]<sup>(1)</sup> فى حديث عتبة بن غزوان عن النّبى صلى الله عليه وسلم : « إذا ضل أحدكم شيئًا وأراد غوثًا وهو بأرضٍ ليس بها أحد فليقل : يا عباد الله المسلمين أعيونى ، يا عباد الله المسلمين أعيونى ، فإنّ لله عبادًا لا نراهم » ، وقد جرب ذلك . وميم : خُرز ، أى جعل الخرز فيها كالعلامة . عرّها : جربها . حُسيم : استوَصِل بالقطع ، يريد أن آثار الجرب التى كانت فى الجلد الذى صنعت منه هذه النعل قد قُطعت وأزيلت . وزمأها : شرّكها . كسّر ثم جُبر ، يريد أن ظهرها يبس فتكسّر ، فوَصِل بجلد آخر فصحّ .

والماشية : الرّجل التى تمشى فيها ، وكذلك النّاشية ، ويقال : نشأ الرجل ، إذا نهض لحاجته وتنشأ أيضًا . وسهل النّاشية لأجل الماشية وأصلها الهمز . الفنجديهى : تُعين النّاشية ، أى تُعين على السّير فى ناشئة الليل ، قال ابن عرّفة : كلّ ساعة قامها قائم من الليل ناشئة . الأزهرى : ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على « فاعلة » بمعنى النّشء كالعافية والخاتمة بمعنى العفو والختم ، وقيل : النّاشية والنّشيئة أن تنام من أوّل الليل ثم تقوم . وقيل : النّاشئة أوّل النهار أوّل الليل ، وأكثر المفسرين على أن ناشئة الليل أوّله . عاصم : يهيمزه والباقون لا يهيمزون . جدّبنى ، ساقى بعنّف . الصّائت : صاحب الصوت الذى سمع ، وقد أصات إذا رفع صوته . درك الفائت : لحوق التّالف . أفضيت : وصلت .

(1) زيادة يقتضيهما السياق .

تَسَلَّمَ : خذ . جُنَّتْهَا : جسدها ، والجُنَّة : شخص القائم والقاعد والراكب .  
والهَضْبَةُ : الصخرة العظيمة ، وقيل الجبل المنبسط الأملس . ذِرْوَتُهَا : أعلى  
ظهرها . والعُلْبَةُ : إناء من جلود . يَبْرُؤِن : أرض فيها رمل .

\* \* \*

قال : فَأَعْرَضَ عَنِّي ، حِينَ سَمِعَ صِفَتِي ، وقال : لست بصاحب  
لُفْطَتِي . فَأَخَذْتُ بِتَلَابِيهِ ، وَأَصْرَرْتُ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَهَمَمْتُ بِتَمْزِيقِ  
جَلَابِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا هَذَا مَا مَطَيْتِي بِطَلْبِكَ ، فَكَفَفْتُ عَنِّي مِنَ  
عَرَبِكَ ، وَعَدَّدْتُ عَنْ سَبِّكَ ؛ وَإِلَّا فِقَاضِنِي إِلَى حَكْمِ هَذَا الْحَيِّ ، الْبَرِيِّ  
مِنَ النَّبِيِّ ، فَإِنَّ أَوْجِبَهَا لَكَ فَتَسَلَّمَ ، وَإِنْ زَوَّاهَا عَنْكَ فَلَا تَتَكَلَّمْ ، فَلَمْ  
أَرِدْ دَوَاءَ قِصَّتِي ، وَلَا مَسَاغَ غُصَّتِي ، إِلَّا أَنْ آتَى الْحَكْمَ ، وَلَوْ لَكُمْ .

فانخرطنا إلى شيخ ركين النُّصْبَةِ ، أُنِيقِ الْعِصْبَةِ ، يُؤَنَسُ مِنْهُ سَكُونُ  
الطَّائِرِ ، وَأَنْ لَيْسَ بِالْجَائِرِ ، فاندَرَأْتُ أَتَطَلَّمُ وَأَتَأَلَّمُ ، وَصَاحِبِي مُرَمِّمٌ  
لَا يَتَرَمِّمُ ، حَتَّى إِذَا ثَلَّتْ كِنَانَتِي ، وَقَضَيْتُ مِنَ الْقِصَصِ لُبَانَتِي ، أُبْرَزُ  
نَعْلًا رَزِينَةَ الْوِزْنِ ، مَحْدُودَةً لِمَسْلِكِ الْحَزْنِ ، وَقَالَ : هَذِهِ الَّتِي عَرَفْتُ ،  
وَإِيَّاهَا وَصَفْتُ ، فَإِنْ كَانَتْ هِيَ الَّتِي أُعْطِيَ بِهَا عِشْرِينَ ، وَهِيَ هُوَ مِنْ  
الْمُبْصِرِينَ ، فَقَدْ كَذَبَ فِي دَعْوَاهُ ، وَكَبُرَ مَا افْتَرَاهُ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَمُدَّ  
قَدَالَهُ ، وَيُيَبِّنَ مِصْدَاقَ مَا قَالَهُ .

\* \* \*

أغرَضَ : نحى وجهه . واللَّطَظَةُ : ما تجده قد سقط من غيرك فتلقتقه ، وعامة أهل اللغة على فتح قافها مثل أبي عبيدة ويعقوب والفضل وأملب وابن قتيبة وغيرهم . وحكى ابنُ خالويه أن تسكينها لفة تميم ، وفتحها لفة أهل الحجاز ، فهما لغتان ، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ التَّقَطَّ لَقَطَةً فَلْيُشْهَدْ ذَا عَدْلٍ ثُمَّ لَا يَكْتُمُ وَلَا يَغِيبُ ، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا ، وَإِلَّا فَهُوَ مَالُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » . تَلَايِبِهِ : أطواق ثوبه ، والتلبيب الجيب ، وأخذت بتلبيب فلان ، إذا جمعت ثوبه الذي حوالى صدره وقبضت على نحريه ، والجلباب : المِخْفَةُ والرِّدَاءُ . أصررت : أقت . تمزيق جلايبه : تمزيق ثيابه . بطلبك : بما تطلب . والطلب : اسم ما تطلب . ابن دريد فلانة طلب فلان ، إذا كان يطلبها ويهونها . عَدَّ : كَفَّ واصرف . سَبَّك : شتمك . قاضى : حاكمنى . الحى : القبيلة . الفى : الضلال والفساد . زواها : نَحَّأها .

قوله : مَسَاغُ غُصَّتِي ، أى بلع ما أختنق به ، وساغ الطعام والشراب فى الحلق : سهل نزوله فيه . لَكَمَهُ ، يلكه : ضربه بجمع كفه .

انخرطنا : سرنا مسرعين . رَكِينُ النَّصْبَةِ : وقور الهيئة ، وفلان ركين بين الركانة ، أى ثقيل المجلس ثابت قوى . الأزهرى . يقال للرجل إذا كان وقوراً ساكناً : إنه لَرَكِينٌ ، وقد رَكُنَ ركانة . الجوهرى . يقال جبل ركين ، أى له أركان عالية ، فيحتمل على هذا المعنى أن يكون ركين النَّصْبَةِ ، على الانتصاب حسن القامة ، والنَّصْبَةُ الْفِعْلَةُ من الانتصاب ، وأراد بها هيئة انتصابه فى جلوسه وحالته . أنيق : مُعْجِب . العَصْبَةُ : هيئة العمامة على رأسه ، تقول : عَصَبْتُ رَأْسِي بِالْعَمَامَةِ إِذَا شَدَدْتَهُ بِهَا ، وَالْعَصْبَةُ هَيْئَةُ التَّعَمُّمِ ، يَقُولُ : إِنْ هَذَا الشَّيْخُ الْحَاكِمُ رَزِينٌ فِى جُلُوسِهِ حَسَنَ التَّعَمُّمِ وَالْهَيْئَةَ . يُونُسُ : يبصر . سكون الطائر ، كناية عن الوقار والحلم ، وإنما ذكر الطائر لأنه لا ينزل إلا على ساكن ،

وإذا نزل عليه سكن هو ، فإذا كان عند الرجل هَوَجٌ وطيش ، قيل : طارت عصفيره ، فإذا كان القوم أهلَ وقارٍ قيل : كأنَّ على رءوسهم الطير . اندرأت : اندفعت . أنظَّم : أنشكى الظلم . أتألم : أتوجع . مُرِّمٌ : ساكت . لا يترمم : لا يُجيب ولا يتحرك ، وتكلمَ فسا ترَمَّرمَ ، أى ما أجاب ، وأصل ترَمَّرمَ تحرك . ثلثُ كِناتى : أخرجت ما فيها من السهام ، وأراد أتمت كلامى . وقصيت : أتمت . والقصص : ذكر الخبر . لبانتى : حاجتى . أبرز : أظهر . رزينة : ثقيلة .

محدوة، جُعل عليها الحذاء ؛ وهو الجلد الذى تُنقل به . مسالك : طرق . والحزن : ما غلظ من الأرض . عرَّفت : صحَّت بها ليعرفها صاحبها . ما افتراه : ما جاء به من الادعاء والكذب . قذالة : عنقه ، والقذال : ما بين نُقرة القفا إلى الأذن ، وجمعه قُدُل ، يقول : فإن كانت هذه النعل تُساوى عشرين - وما هو يبصر أن هذا باطل - فقد صارت دعواه باطلة ، اللهم إلا أن يمدَّ عنقه ويأتى ببيان أنها تساوى عشرين ، إلى هذا التفسير رأيتُ أكثر من لتيت يذهب ، وهو ضعيف ولا يكون لمدَّ قذا له معنى ولا لما بعده .

والتفسير الحسن الذى فيه جِلاء للمعنى ما كان يفسره به شيعنى أبو بكر ابن أزره عن ابن جهور ، وذلك أنه كان يفسر أعطى بمعنى صُفِع وضرب ، وكذلك كتب عليه فى طرة كتابه ، أنَّ أعطى بمعنى ضَرَب ، لغة أهل الشرق ، وقد حدَّثتُ أنا عنهم أن الرجل إذا كلم الآخر بما لا يُرضيه ثم انصرف عنه صاح الآخر فى أثره : أعطه ، بمعنى اصفعه ، فهى لفظة متعارفة بينهم لهذا المعنى وبيان موقعها هنا أنه لما ادعى السَّروجى أنه أعطى بناقته عشرين ، فوصفها بما يصح معناه فى حقها من أنها تساوى عشرين . ثم قال : إن المعرِّف أبرز

نعلا رزينة الوزن ، أى ثقيلة فى الميزان . محدوة لسلك الحزن ، أى قد جعل عليها حذاء ، أى رُقِعُ من الجلد طرقت بها ليسلك بها الحزن ، أى ليمشى بها فى أرض ذات حجارة فلا تؤثر فيها لتلك الأطراف ، وبتلك الأطراف صارت ثقيلة فى الوزن ، فلما أبرز هذه النعل التى وصفتها رفعها بيده إلى الحاكم قائلاً له : هذه النعل التى عرّفت ، وإياها وصفت ، فإن كانت هذه التى أعطيت بها عشرين ، أى صُفِع بها عشرين . فقلت : الإيعاء للنعل بمعنى يوافقها إذ عدت عشرين ديناراً فى ثمنها بعيد ، ثم بينه بقوله : وها هو من المبصرين . والضرب الجافى فى العنق تدمع له العينان ، وإذا أفرط فيه عمى له المصفوع ، فيقول المرء : هذه النعل لو صُفِع بها إنسان صَفْعَةً واحدة لعمى ، وهذا يقول إنه صُفِع بها عشرين وهو سالم البصر ، فقد كذب فى ادّعائه أنه صُفِع بها عشرين ، وكبرت فريته ، اللهم إلا أن يمدّ قفاه فيرينا فيها أثر الصفع ، وأثره احمراره وتعجيره ، فيتبين بذلك الأثر صدق قوله . فهكذا تفسير هذا الموضع ومعناه . وابن جهور الذى شافه الحريرى بمشكلات كتابه كان أضبط لها ممن يتحكم فيها بنظره ، فيكون تخليص المعنى إن المرء يقول : هذه النعل يدعى هذا أنه أعطيت بها عشرين ، وأتم ترويه سالم البصر ، ومحال أن يُصَفِع بها إنسان لخسرتها وقلتها عشرين صَفْعَةً إلا وبعمى ، فقد صارت دعواه كاذبة إلا أن يمدّ لنا عنقه فبرى فيها أثر الصفع والرّزء فنصدقه فى دعواه . وفى رواية غير ابن جهور « بعد المبصرين » فقال : كذب دعواه وهو داخل فى قول المرء الأول فلا يحتاج إلى إدعائه ، ولو جاء هنا بتمّ مكان الفاء لكان أبين فكان بمعنى قوله ، قال : ثم يمشى فى كلامه ثم ينسّق عليه قال : لكلام ثان ، وإتما وضع الفاء موضع تمّ لأن جواب الشرط الذى هو « فإن كان » مضمّن فى قوله « وها هو من المبصرين » فإنه يتضمّن قوله : « وها هو من المبصرين » معنى فقد كذب ، وليس فيه لفظ الجواب ، فجاءت الفاء كأنها جواب لفظى ، ووقعت قال : موطنه

لقال الأولى ، ألا ترى أن في رواية ابن جهور مكان فقال فقد ، والكلام بها متصل حسن ، قال أبو الرعمق يصف العمى من الصنع :

ورءوس القوم تُسَلَّبُ	ولقد بُقنا على زمنٍ
وبها اللذات والطَّرَبُ	وكثوسُ الصنع دائرة
شُعْلُ النَّيرانِ تلهبُ	وكان الصنع بينهمُ
عنه باللذات مقربُ	والعمى منهم وإن شغلوا

وله :

بالفرع في زمن الشُّورِ	إنّ الذين تصافموا
حضروا ولم ألك في الحضورِ	أسفوا على لأنهم
من أخذ بيد الضرير	لو كنت تمّ لقييل هل
والصنع مفتاح السرورِ	ياللرجال تصافموا
يَسْتَلُّ أحقاد الصدورِ	لا تغفلوه فإنه

وقال يصف أثر الصنع في قفاه :

قليله لكثير الحق إكسيرُ	ففي ما شئت من حق ومن هوسِ
وكيف يُدرك ما فيه قناطرُ	كم رام إدراكه قوم فأعجزهم
وقد حضرت يرى في الرأس تعجيزُ	لا عيب في سوى أتى إذا طربوا
لكثرة المزح توريمٌ وتخميرُ	والأخدعان فما زال يرى لها

ففي هذه الأشعار تبين لك تلك الأغراض التي قدمنا ذكرها .

[ حكاية ابن المغازلي ]

وتنتظم في سلكها حكاية ابن المغازلي ، وكان رحلاً يتكلم ببغداد على الطرق بأخبار ونوادر متنوعة ، وكان نهايةً في الحدق لا يستطيع من سمعه ألا يضحك



قال : وَقَفْتُ يوماً على باب الخِصَّةِ أُضْحِكُ النَّاسَ وَأَتَنَادِرُ ، فحضر خَلْفِي بعضُ خَدَّامِ المَعْتَصِدِ ، فأخذت في نوادر الخدم ، فأعجب بذلك وانصرف ، ثم عاد فأخذ بيدي وقال : دخلتُ فوقفت بين يدي سيدي فتذكرتُ حكايتك فضحكتُ ، فأنكر عليّ ، وقال : مالك ويلك ! فقلتُ : على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يتكلم بحكايات ونودار تُضحك الشكول ، فأمر بإحضارك ولي نصف جائزتك ، فطمعت في الجائزة ، وقلت : يا سيدي أنا ضعيف وعليّ عيلة ، فلو أخذت سُدْسَمًا أو ربعها ! فأبى وأدخلني فسَلَّمتُ فردّ السَّلام ، وهو ينظر في كتاب ، فنظر في أكثره ، وأنا واقف ، ثم أطبقه ورفع رأسه إليّ ، وقال : أنت ابن المغازلي ؟ قلت : نعم يا مولاي ، قال : بلغني أنك تحكي وتُضحك بنوادِرَ عجيبة ، فقلت : يا أمير المؤمنين الحاجة تفتقُ الحيلة ، أجمع للنَّاسِ حكايات أتقرَّب بها إلى قلوبهم فالتمس برَّهم ، فقال : هات ما عندك ، فإن أضحكْتَنِي أجزتُكَ بمِئَةِ درهم ، وإن أنا لم أضحك فسا لي عليك ؟ فقلت للحجين : ما معي إلَّا قفاي ، فاسأل ما أحببت ، قال : أنصفت إن لم تُضحكني أضعفك بذلك الجراب عشر صنعات ، قلت في نفسي : مَلِكٌ لا يضعف إلا بشيء لئن خفيف ، والتفت فإذا بجراب من آدم معلق في زاوية البيت ، قلت : ما أخطأ ظنِّي ، عسى فيه ربحٌ إن أضحكته ربحت ، وأخذت الجائزة ، وإلَّا ففسر صنعات بجراب منقوخ شيء هين ، ثم أخذت في النُّوادر والحكايات والنَّماشة والعبارة ، فلم أدع حكاية أعرابيّ ، ولا نحويّ ، ولا مخنث ، ولا قاضي ، ولا نبطيّ ، ولا سنديّ ، ولا زنجيّ ، ولا خادم ، ولا تركيّ ، ولا شاطر ، ولا عيَّار ، ولا نادرة ، ولا حكاية إلا وأحضرتها حتى نفذ كلُّ ما عندي ، وتصدَّع رأسي ، وفترت وبردت ، ولم يبق ورائي خادم ، ولا غلام إلا وقد ماتوا من الضحك ، وهو مقطَّبٌ لا يتبسم ، قلت : قد نفذ ما عندي ، والله

ما رأيتُ مثلكَ قطّ ، فقال لي: هيه ، ما عندك؟ قلت: ما بقي لي سوى نادرة واحدة ، قال : هايتها ، قلت : وعدتني أن تجعل جائزتي عشر صفعاتٍ وأسألك أن تُضعفها لي وتضيف إليها عشر صفعاتٍ أخرى . فأراد أن يضحك ثم تمالك ، قال : نفعل يا غلام خذ بيده ثم مددت قفاي فصُفِعتُ بالجراب صَفْعَةً ، فكأنما ستطتُ على قفاي قطعةً من جبل ، وإذا هو مملوء حصاً مدوراً فصُفِعتُ عشرًا ، فكادت أن تنفصل رقبتي ، وطمّنت أذناي وانقدح الشعاع من عيني ، فصحتُ يا سيدي ، نصيحة ، فرفع الصّفْع بعد أن عزم على العشرين ، قال : قل نصيحتك ، فقلت : يا سيدي إنه ليس في الديانة أحسن من الأمانة ، وأقبح من الخيانة ، وقد ضمنتُ للخادم الذي أدخلني نصفَ الجائزة على قلها وكثرها ، وأمير المؤمنين بفضله وكرمه قد أضعفها وقد استوفيتُ نصفي ، وبقي نصفه . فضحك حتى استلقي ، واستفزه ما كان سمع ، فتجامل له ، فما زال يضرب بيديه الأرض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه ، حتى إذا سكن قال : على به ، فأتي به ، وأمر بصفعه ، وكان طويلًا ، فقال : وايش جنابتي؟ قلت له : هذه جائزتي وأنت شريكى فيها ، وقد استوفيتُ نصيبي منها ، وبقي نصيبك ، فلما أخذه الصّفْع وطرق قفاه الوقع ، أقبلتُ ألومه وأقول له : قلت لك إني ضعيف معيل ، وشكوتُ إليك الحاجة والمسكنة ، وأقول لك خذ ربمها أو سدسها ، وأنت قول : لا آخذ إلا نصفها ، ولو علمتُ أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جائزته الصّفْع وهبها لك كلها . فعاد إلى الضحك من عتابي للخادم ، فلما استوفى نصيبه أخرج صُرّة فيها خمسمائة درهم ، وقال : هذه كنت أعددتها لك ، فلم يدعك فضولك حتى أحضرت شريكًا لك ، فقلت : وأين الأمانة؟ قسمها بيننا وانصرفت .

\* \* \*

فقال الحكم : اللهم غفراً ، وجعل يقلب النمل بطناً وظهراً ؛  
ثم قال : أما هذه النمل فنعلي ؛ وأما مطيتك فني رحلي ، فانهض لتسلم  
ناتقتك ، وافعل الخير بحسب طاقتك ، فقلت وقلت :

أقسمُ بالبيتِ العتيقِ ذى الحرمِ  
والطائفينِ العاكفينِ فى الحرمِ  
إنك نعم من إليه يُحتكمُ  
وخير قاضٍ فى الأعرابِ حكمُ  
فاسلم ودم دؤوم النعامِ والنعمِ

فأجاب من غير روية ، ولا عقديّة ، وقال :

جزيت عن شكرِك خيراً يابن عمّ  
إذ لست أستوجبُ شكراً يُلتزمُ  
شرُّ الأنامِ من إذا استقصى ظلمُ  
ثم من استرعى فلم يزرع الحرمُ  
فذانِ والكلبُ سواي فى القسيمِ

ثم إنه نفذ بين يدي ، من سلم الناقة إلى ، ولم يمتن على ، فرخت  
بجيج الأرب ، أجر ذيل الطرب ، وأقول يا للمعجب !

\* \* \*

قوله : اللهم غفراً ، أى اغفر غفراً ، والغفر : السَّتر والتغطية . انهض : تقدم .  
 لتَسَلَّم : لقبض . العتيق : القديم . الحُرَم : جمع حُرمة . والعاكفين : المقيمين فيه  
 للعبادة ، والعكوف : الإقامة ، والحرم حَرَم مكة . اسلم : دعاء ، معناه سَلَمك الله .  
 والنعام : طير معروف . الأعراب : الأعراب وهم سكان البادية . والنعم :  
 جمع نعمة ، والدَّوْم والدوام واحد . روية ، أى فكرة . عَقْد نِيَّة : أى ندير .  
 اسْتُرِعِي : جعل راعياً ، أى حكماً على الناس . يَرَعَى : يحفظ . فذان ، أى فهذان .  
 القيم : جمع قيمة . يَمَنُّ : يعتدّها منّة ، وامتن فلانٌ عليك ، إذا فعل معك  
 معروفاً فتى أنكرك عليك شيئاً ذكر لك معروفه وجبّهك به ، وقالت الحكماء :  
 أحبى المعروف بإماتة ذكره ، وعظمه بالتصغير له .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : فقلت له تالله لقد أطرفت ، وهرفت بما  
 عرفت ، فناشدتُك الله : هل أَلقيتُ أسحَرَ منك بلاغة ، وأحسن لفظ  
 صياغة ؟ فقال : اللهم نعم ، فاستمع وانعم . . . كنتُ عَزَمْتُ حينَ  
 أَلهَمْتُ ، على أن أُنحِذَ ظَمِينَةً ، لتكونَ لى مُعِينَةً ؛ فحين تعين الخُطْبُ  
 الملب ، وكاد الأمرُ يَسْتَتِب ، أفكرتُ فِكْرَ المُتَحَرِّزِ مِنَ الوَهم ،  
 المتأمل كيف مَسَقَطُ السهم ، وبت ليلتي أناجي القلبَ المَعْدَب ،  
 وأقلبُ العزمَ المَدْبَدَب ، إلى أن أجمعتُ على أن أسحِر ، وأشاور أول  
 من أبصر . فلما قوسنتِ الظلمةُ أبوابها ، وولت الشهبُ أذنانها ،  
 غدوتُ غُدُوَ المتعرف ، وابتكرتُ ابتكارَ المتعيف ، فانبرى لى يافع ،

في وجهه شافع، فتيمنتُ بنظره البهيج، واستقدحتُ رأيه في التزويج .  
فقال: أَوْ تَبْنِيهَا عَوَانًا، أم بكرًا تُعَانِي؟ فقلت: اختر لي ما ترى،  
فقد أقيتُ إليك العرى .

\* \* \*

أطرفَ: أتيتَ بطرفة، يريد بأمرٍ عجيبٍ غريب . هَرَفتُ بما عَرَفتُ ،  
أى تكلمتُ بشيءٍ غريب ، والمهرفُ: الإطناب في المدح ، ومن كلام العرب  
لا تهرفُ بما لا تعرف . ناشدتك : حَلَقْتُكَ : صياغة : صنعة وسببك . أتهمتُ :  
أنيتُ تِهامةً ، وهى ما انخفض من أرض العرب . طعينة : زوجة . الخِطْبُ :  
النكاح . وتَعَيَّنَ : تحقق . يستتبُّ : يتم . الوهمُ : الغلط . التأملُ : الناظر .  
المذبذبُ : المضطرب ، الذى لا يعتمد على رأى . أزمعتُ : عزمت . أُسجِرُ :  
أخرجُ في السَّحَر . قوضتُ : هدمت . والأطنابُ : حبال الخيلاء وتقويضها :  
إزالتها . الشَّهْبُ : النجوم ، وجعل لها أذناناً مجازاً ، وأراد أن الفجر إذا طلع  
وانتشر غابت النجوم ، فكانها قد ولَّت أذنانها وقال التهامي في ذلك :

فظلتُ أعثرني ثوبِ الدُّجَى ولها والجوَّ رَوْضُ وزهرُ الشَّهْبِ كالزَّهْرِ (١)  
وللهجرة فوق الأرض معتركٌ كأنها حَبَبٌ يعلو على نهرٍ  
وللثريا ركود فوق أرخلينا كأنها قطعة من قروة النمرِ  
كانَ أنجمها والصُّبْحُ يُغمِضها قَمراً عيونُ غفت من شدة السَّهرِ

المتعرفُ : المكتسب لأنه يعرف ما جهل . المتعيفُ : الزاجر ، من عاف  
الشيء إذا كرهه . يافعُ : فتى شابٌ وقد أيفع إذا شب . في وجهه شافع ، أى  
هو حسن الوجه يشفع حسنُ وجهه إذا أذنبَ أو أخطأ .

\* \* \*

(١) ديوانه ٤٢ .

[ من قولهم في الوجه الحسن ]

وفي وجهه شافع صدر بيت للحكم بن قنبر .

وقال يحيى بن علي المنجم : كنت يوماً بين يدي المعتضد ، وهو مقطّب ، فأقبل بدرّ مولاه ، فلما رآه من بعيد ضحك وقال : يا يحيى من الذي يقول : « في وجهه شافع » ؟ فقلت : يقوله ابن قنبر المازني البصري ، فقال لله : درّه ، فأشيد هذا الشعر ، فأشدته :

وَيْبِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النُّومَ فَاْمْتَنَمَا      وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا  
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي أُعْطَافِهِ لَمَعَتْ      حُسْنًا أَوْ الْبَدْرُ مِنْ أَرْزَارِهِ طَلَعَا  
مُسْتَقْبِلَ الْبَلْدَى يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ      مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا  
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَحْوِي إِسَاءَتَهُ      مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثَمَا شَفَعَا

أنس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حسن الوجه مال » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الخيرَ عند حسان الوجوه » .

وقال الشاعر :

أنت شرط النبي إذ قال يوماً      اطلبوا الخير من حسان الوجوه  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آتَاهُ اللهُ وَجْهًا حَسَنًا وَاسْمًا حَسَنًا ، وَجَمَلَهُ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ شَائِنٍ ، فَهُوَ مِنْ صَفْوَةِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ » .

ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة تجلّو البصر : النظرُ إلى الخُضرة ، والنظرُ إلى الماء الجاري ، والنظرُ إلى الوجه الحسن » ، نظمها الشاعر فقال :

ثلاثة يُذهِبْنَ للمرءَ الحزنَ      الماءَ والخُضرةَ والوجهَ الحسنَ

قوله تَيْمَنَتْ : تبرّكت . البهيج . الحسن . استقدحت : طلبت ، وأصلها ،  
في قَدْح النار . تبغيها : تطلبها . عَوَانًا : نَيْبًا . تعانى : تعالج وتُراضى . العرا :  
جمع عمروة .

\* \* \*

فقال : إلى التَّيْنين ، وَعَلَيْكَ التَّيْمين ، فاسمعَ أَنَا أَفْدِيكَ ، بعد  
دَفَنِ أَعَادِيكَ ؛ أَمَا الْبِكر فالذَّرَّةُ الخزونة ، وَالْبَيْضَةُ المكنونة ،  
وَالْبَاكُورَةُ الْجَنِيَّةُ ، وَالسَّلَافَةُ الْهَيْبَةُ ، وَالرَّوْضَةُ الْأُنْفُ ، وَالطَّوْقُ  
الَّذِي كَمُنَّ وَشُرْفُ ؛ لَمْ يَدُنْسْهَا لَامِسٌ ، وَلَا اسْتَفْشَاهَا لَابَسٌ ، وَلَا مَارَسَهَا  
عَابِثٌ ، وَلَا وَكَسَهَا طَامِثٌ ، وَلَهَا الْوَجْهُ الْحَيُّ ، وَالطَّرْفُ الْخَفِيُّ ، وَاللِّسَانُ  
الْعَمِيُّ ، وَالْقَلْبُ التَّقِيُّ . ثم هي الدَّمِيَّةُ الْمَلَاعِبَةُ ، وَاللُّعْبَةُ الْمُدَاعِبَةُ ، وَالنِّزَالَةُ  
الْمُغَازِلَةُ ، وَالْمُلْحَةُ الْكَامِلَةُ ، وَالْوِشَاحُ الطَّاهِرُ الْقَشِيبُ ، وَالضَّجِيعُ  
الَّذِي يُشِبُّ وَلَا يُشِيبُ ... أَمَا التَّيْبُ فَالطَّيْبَةُ الْمُدَلَّلَةُ ، وَاللُّهْنَةُ الْمُعْجَلَةُ .  
وَالْبِنْيَةُ الْمُسَهَّلَةُ ، وَالطَّبَّةُ الْمُعَلَّلَةُ ، وَالقَرِينَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ ، وَالْخَلِيلَةُ الْمُتَقَرَّبَةُ ،  
وَالصَّنَاعُ الْمُدْبِرَةُ ، وَالْفِطْنَةُ الْمُخْتَبِرَةُ . ثمَّ إِنَّهَا مُجَالَةُ الرَّاكِبِ ، وَأَنْشُوطَةُ  
الْخَاطِبِ ، وَقُعْدَةُ الْعَاجِزِ ، وَنُهْرَةُ الْمُبَارِزِ ، عَرِيكَتُهَا لَيْنَةٌ ، وَعُقْلَتُهَا هَيْبَةٌ ،  
وَدِخْلَتُهَا مُتَبَيِّنَةٌ ، وَخِدْمَتُهَا مُزَيِّنَةٌ ، وَأُقْسِمُ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي النَّعْتَيْنِ ،  
وَجَلَوْتُ الْمَهَاتَيْنِ ، فَبَأَيَّتِهِنَّ هَامَ قَلْبُكَ ، وَعَلَى أَيَّتِهِنَّ قَامَ رُبُوكَ ؟

\* \* \*

الذَّرَّةُ : الجوهرة . الخزونة : التي جُعِلت في الخِزَانة لرفعها ، يريد أن  
الْبِكر تُحَجَّب وتُصَان : البيضة المكنونة ، أراد بيضة النعام ، ويشبه بها النساء

لبياضها والصفرة التي تضرب فيها، وقد تقدمت هذه الصفة في العاشرة، وقال  
امرؤ القيس :

كَبِيرٍ مُقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصُفْرَةٍ      غَدَاها تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَلِ (١)

وقال ذو الرثمة :

\* كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ \* (٢)

والمنكونة : المصونة، والنعامة تُكِنُّ بِيضَتَهَا بَرِيشَهَا، ولا تبديها للشمس  
والريح لئلا تتغير، وقال الله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٣)، الباكورة :  
أول ما يُبَاكِرُ من الثمر. والسلافة : الخمر، والمدخورة : المحجوبة في آنتها.  
الأنف : التي لم تُدْخَلْ ولا رعيت. والطوق : ثوب رفيع. ثمن : كثر ثمنه.  
اللامس : الذي يلمس الشيء بيده ويدنسه، وأراد به الذي يلاعبها وبعضها.  
ابن عباس : اللمس والملامسة واللّامس، كناية عن الجماع، وفلانة لا ترد يد  
اللامس، أي لا تمنع مجامعتها من أرادها. استغشاها : جامعها، وغشيان النساء :  
جماعتهن. واللابس : الذي لا بسها واختلط بها، يريد نكحها. مارسها :  
عالجها وعانها. عابث : مفسد، وأراد من يعبث بها عند الجماع. وكسها :  
تقصها، ووضع منها، والوكس : الخسارة في البيع. طامث : ناكح. والطامث :  
المفتقر للبكر. العبي : الذي لا يعرف تصرفات الكلام : والدمية صورة  
الرخام. واللعبة : ما يلعب به، وتقول : لمن اللعبة ؟ أي لمن القلب في لعب  
الشطرنج وشبته. على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المرأة  
لعبة زوجها، فإن استطاع أن يُحسِّنَ لعبته فليفعل ». والمداعبة : المازحة.  
والمغازلة : تقول غازلتني المرأة إذا تماججت عليك في كلامها، وأشارت لك

(٢) ديوانه ٥، وصدرة :

(١) ديوانه ١٦

\* كَحَلَاةٍ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءٍ فِي نَعَجٍ \*

(٣) سورة الصافات ٤٩



بعينها وغزرتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . والمُلْحَة : الصورة المستملحة كالدمى وكالصورة التي تلعب بها البنات والشطّار ، وهي اللعبة . وجاء بملحة أى بكلمة طيبة مليحة . والوشاح : الحزام . والقشيب : الجلد يد جعلها كالوشاح عند عناقها وجماعها . والضجيع : المراقد . يشبّ : يردك شاباً . يُشيب : يُكسِبُك الشيب . اللهنّة : ما يعجل للضيف قبل القرى . والطبّة : الحاذقة بمصالحها . المعلّة : التي تعطيك ما تريد منها مرّة بعد مرّة ، وهي بكسر اللام ، والمعلّة : التي تملّ مرتشفها بالريق ، قال امرؤ القيس :

\* وَلَا تَمْنَعِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمَلَلِ <sup>(١)</sup> \*

ابن الأعرابي : المَلَلُ : المعين بالبرّ بعد البرّ ، ومن نصّب اللّام فعناه المطيب مرّة بعد مرّة ، والتعليل سقى بعد سقى . والقرينة : الصّاحبة . والحليلة : الزّوجة . والصّناع : الحاذقة بالصنعة . ومجالة الراكب : ما يعجل له من الطعام والشراب ، مثل التمر والسويق ، وما لا يتعب بمعالجته ، وكانت العرب لسكرمها يمرّ عليها الرجل ، وهو راكب فتعريض عليه النزول للقرى ، فيمتنع لأعدار له فيمسك ؛ حتى يُخرَج له من البيوت أيسرُ ما يوجد ، يأكله وهو راكب ، فجعل الثيّب لسهولتها كالمجاله التي لا يتكلّف لها ، وقال عمر ابن الخطاب رضی الله عنه : البكر كالبرّة تطحنها وتعجنها وتخبزها وتأكلها ، والثيّب مجالة الراكب تمر وسويق . والأنشوطه : عقدة تُحلّ بسهولة . نهزة : فرصة وغنيمة سهلة . هريكتها : طبيعتها ، ورجل لّين العريكة إذا كان سهلا سلس القيادة ، وأصل العريكة سنام البعير ، وكانوا يعمدون للبعير إذا كان فيه شماس وامتناع ، فيقطعون في حدّته وهي مرتفعة يصعب الرّكوب عليها ، فإذا قطع فيها سكن البعير ولان ، وتوطأ موضع الرّكوب منه فيقال : قد لانت هريكته وقال الشاعر :

(١) ديوانه ١٢ ، صدره :

\* قَلَّتْ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زَمَامَهُ \*

من اللواتى إذا أودتْ عريكتهَا يَبْقَى لها بعدها ألٌ ومجھودُ  
 قوله : أودتْ ، أى زالت وذھبت ، فهذا يدلُّ على ما ذكرنا . عُقلتها :  
 حبستها ، يريد أن ما يعقلها به صاحبها شيء هين ، والعُقلة مثل العقدة ، ولفلان  
 عُقلة يعقل بها الناس فيغلبهم ويصرعهم . دَخَلتها : باطن أمرها ، وفلان  
 عفيف الدخلة وخبيثها ، أى الباطنة والسريرة . متبينة : مكشفة ظاهرة ،  
 أى سرها ظاهر . المهاتين : البكر والثيب ، والبقرة الوحشية هى المهاة . هام :  
 تحير من شدة الحب .

\* \* \*

قال أبو زيد : فرأيتُهُ جندلةً يتقيها المراجيم ، وتُدعى منها  
 الحاجيم ؛ إلا أنى قلت له : كنتُ سمعتُ أن البكر أشدُّ حُبًا ، وأقلُّ  
 حُبًا ، فقال : لعمري قد قيل هذا ، ولكن كم قول أذى ، ويحك !  
 أما هى المهرّة الأبيّة العنان ، والمطيّة البطيّة الإذعان ، والزئدة المتعسرة  
 الاقتداح ، والقلمة المستصعبة الافتتاح . ثم إن مؤنتها كثيرة ، ومعونتها  
 يسيرة ، وعشرتها صليفة ، ودآلتها مكلفة ، ويدها خرّفاء ، وفدنتها  
 صماء ، وعريكتهَا خشناء ، وليلتها ليلاء ، وفي رياضتها عناء ، وعلى خمرتها  
 غشاء ، وطالما أخزت المنازل ، وفركت المغازل ، وأحنقت الهازل ،  
 وأضرعت الفينق البازل . ثم إنها التى تقول : أنا ألبس وأجلس ،  
 فأطلب من يُطلق ويحبس .

فقلت له : فما ترى فى الثيب ، يا أبا الطيب ؟ فقال : ويحك ! أتَرَغب  
 فى فضالة المآكل ، وثمالة المناهل ، واللّباس المستبدل ، والوعاء

المستعمل، والذواق المتطرفة والخراجة المتصرفة، والوقاح المتسلطة،  
والمختكرة المتسخرطة. ثم كلمتها: كنت وصيرت، وطالما بُني على  
فُصِرْتُ. وشتان بين اليوم والأمس، وأين القمر من الشمس! وإن  
كانت الحنّانة البروك، والطّماحة الهلوك، فهي الغلّ القميل، والجرح  
الذي لا يندمل.

\* \* \*

قوله: المراج، أى الذى ترجمه ويرجمك. خبياً: مكرراً وخديعة، ورجل  
خبّ: غاشّ فاجر. الابيّة العنان: الممتنعة القيادة. الإذعان: الخضوع والذلة.  
الزّئدة: ما تزئد منه النار. المتعسرة الاقتداح: التى يعسر إخراج النار منها.  
القلعة: الحِصن والمكان المرتفع. عشرتها: صُحبتها. صلفة: مجاوزة حدّ  
الطّوق، وأصل الصّلف الإعراض عن الشئ كأنه إذا استقبلك أبدت له  
صليفك، وهو صفحة عُقّك. ودآتها: انبساطها، يريد انبساطها إذا أرادت  
أن تُدلّ عليك تتكأف ذلك. خرّقاء: لا تحسن العمل. صماء: شديدة، كأنها  
لا تسمع النهى والعذّل. ورفنتها: شرها. خشناء: خشنة صعبة. ليلاء:  
شديدة السواد طويلة. خمرتها: لبستها الخمار. غشاء: غطاء وستر. فضالة:  
بقية، وكذلك نمالة المنهل: موضع الماء. والنهك: الشرب الأول. والذواق  
المتطرفة، أى التى تذوق طرف الشئ وتركه أو تذوق بطرف لسانها ثم تبصقه،  
وتطرّفت الناقة: رعّت بأطراف المرعى، فيريد أنها لا تبقى على زوج واحد،  
إنما هى تذوق كلّ زوج وتجرب لذة مباشرتهم، وقال رجل للنبي صلى الله عليه  
وسلم: إني قد طلقت زوجتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يحب  
الذواقين ولا الذواقات». الخراجة: الكثيرة الخروج. المتصرفة: الجوّالة.  
الوقاح: الصّلبة الوجه التى ليس عندها حياء. المتسلطة: المستطيلة اللسان.

والمحتكرة : التي تَسْرِق رِزْق زوجها، ثم تحتكره ، أى تدخره وترفعه ، فإذا احتاج زوجها لشرائه أخذت منه ثمن ما عندها محتكراً . كنتُ وصرت : مخاطب به زوجها أى كنت في نعمة مع الزوج الأول وأنا معك على شقاء . بُغِيَ على ، أى اجتمع على بالظلم، والبغى : الظلم . وشتان : بُعد . واليوم وأمس : الزوج الحاضر معها والزوج المفقود ، وهو الذى أراد بالقمر والشمس ، ويقال : شتان زيد وعمر وترفعهما بشتان، وتفتح نونها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بالأدوات ويقال : شتان ما زيد وعمره ، فتجعل ما صلة أو تنصبها على التمييز على حَدِّ نَعْم رجلاً زيدٌ والتقدير : شتان شهباً زيد وعمره ، وورفعهما بشتان بمعنى بُعد شهباً زيد وعمره ، ويجوز كسر نون شتان على أنها تثنية شت ، وهو التفرق ، وجمعه أشتان ، ويقال : شتان ما بين زيد وعمره ، وترفع «ما» بشتان على أنها بمعنى الذى ، وبين صلتها ، ولا يجوز كسر نون شتان لأنها اسم واحد ، ومعنى يميهات بُعد الحنّانة : صاحبة الولد الذى من غير الزوج الذى هى معه : فتى رأت ولدها حنّت لوالده ، والبروك : التى تنزّوج ولها ولدٌ كبير ، ويسمى ولدها الحوبند . والطمّاحة المهلوك : هى التى فارقها زوجها فتطمح له أبداً وتهالك فى محبّته . وقيل : الطمّاحة التى تطمح إلى كلِّ شهوة ، والمهلوك الفاجرة . والغُلّ : الشرك التى يُقَلَّبها الأسير أى يربطها فى عنقه ويديه . والقمل : الذى كثرت فيه القمل ويضرب بالغُلّ القمل المثل للمرأة السيئة الخلق . لا يندمل : لا يبرأ .

أبو موسى رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « ثلاث يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفيهاً ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الشَّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ ﴾ ، ورجل كان له على رجلٍ دينٌ فلم يشهد عليه » .

المقدمى : قال بعض الحكماء : أربعة أشياء يمنع النوم والقرار : المرأة السوء ،

والولد الجاهل ، والعشير المخالف ، والعبد اللثيم . قال الأصمعيّ : قال لى زائدة  
البندار : قيل لى بالشأم : هل لك أن ترى العَجَب؟ فذهبتُ فإذا سبعة في شق ،  
جدّ وستة من ولده وولد ولده ، وإذا الجَدّ السابع أشب من الابن السابع ،  
فسألت عنه فقيل : كان للجدّ امرأة مُواققة وللابن السابع امرأة سَكليطة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أربعة لا يشبَّعنَ من أربعة : عينٌ من نظر ،  
وأرض من مطر ، وأنتى من ذكر ، وعالم من علم » .

قال الأصمعيّ : تزوج رجل من عُذرة امرأة من بليّ حقاء ، فغاب عنها  
غيبَةً ثم قدم عليها ، فلما جمعهما المضجع أنشأت تقول :

ما مسّني بعدك من إنسيّ      غير غلامٍ واحدٍ جعديّ  
ورجلٍ أحق من بليّ      ورَجُلين من بني عديّ  
وتسعة كانوا مع المطيّ      وتسعة كانوا على الطويّ  
وخسة وافوا مع العشيّ      من بين جدّيّ إلى مكّيّ

\* ومن تهاجىّ إلى نجدى \*

فقام إليهما بالسوط فضربها ، فاجتمع لذلك من حوله يلومونه ، فقال :  
والله لولا ما قتتُ لضربها لعدت على أهل عرفات ومي .

وقيل ليحيى المديني : ما الجرحُ الذي لا يندمل ؟ قال : حاجة الكريم  
إلى اللثيم .

\* \* \*

فقلت له : فهل ترى أن أترهب ، وأسئلك هذا المذهب ؟  
فانتهرني اتهار المؤدّب ، عند زلة المتأدّب ، ثم قال : ويك ! أتقتدى  
بالرهبان ، والحق قد استبان ! أف لك ولو هن رايك ، وتبّا لك ولأولئك

أَتْرَاكَ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ ، أَوْ مَا حَدَّثْتَ بِمَا كَاحِ  
 نَبِيِّكَ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ . ثُمَّ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَرِينَةَ الصَّالِحَةَ تَرْبُّ بِبَيْتِكَ ،  
 وَتَلْبِي صَوْتِكَ ، وَتَفُضُّ طَرْفَكَ ، وَتُطَيِّبُ عَرْفَكَ ، وَبِهَا تَرَى قُرَّةَ عَيْنِكَ ،  
 وَرِيحَانَةَ أَنْفِكَ ، وَفَرَحَةَ قَلْبِكَ ، وَخُلْدَ ذِكْرِكَ ، وَتَعَلَّةَ يَوْمِكَ وَغَدِكَ !  
 فَكَيْفَ رَغِبْتَ عَنْ سُنَّةِ الْمُرْسَلِينَ ، وَمُتَعَّةِ التَّاهِلِينَ ، وَشِرْعَةِ الْمُحْصَنِينَ  
 وَمَجْلِبَةِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَاءَ نِي فِيكَ ، مَا سَمِعْتَ مِنْ فِيكَ . ثُمَّ  
 أَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْمَغْضَبِ ، وَفَرَّأَ نَزْوَانَ الْعُنْطَابِ ، فَقُلْتَ لَهُ : قَاتِلْكَ  
 اللَّهُ ! أَتَنْطَلِقُ مُتَبَخِّرًا ، وَتَدْعُنِي مُتَحِيرًا ! فَقَالَ : أَظَنَّاكَ تَدْعِي الْحَيْرَةَ ،  
 لِتَجْلِدَ عُمَيْرَةَ ، وَتَسْتَعْنِي عَنِ الْمَهْيَرَةِ . فَقُلْتَ لَهُ : قَبِّحَ اللَّهُ ظَنَّاكَ ،  
 وَلَا أَشْبَهَ قَرْنَاكَ . ثُمَّ رُحْتُ عَنْهُ مَرَّاحَ الْخَزْيَانِ ، وَتُبْتُ مِنْ مَشَاوِرَةِ  
 الصَّبِيَّانِ .

\* \* \*

قوله: أترهب، أي أترك التزويج، والترهب ترك النساء. اتهمزني: زجرني  
 وأخذني بلسانه. زلة: سقطه. اسقبان: ظهر. الأفّ وسخ الأذنين، والوهن:  
 الضعف والخسران. ولأولئك، إشارة للرهبان. السكّن: الزوجة يسكن إليها  
 ترّبّ: تصلح. تلبي: تجيب. تفضّ طرفك، أي تحصنك وتمنعك من نظر  
 النساء. عرفك: ربحك الطيب. وقرّة العين: ما يتمنى وتقرّ به العين.

ريحانة: شجرة طيبة الريح، وريحانة من صفة المرأة. قال عليّ رضي الله عنه  
 في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: « لا تملك المرأة من الأمر ما يتجاوز نفسها  
 فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانه ، وإن ذلك أدومٌ لحالها وأرضى لبالها . »

وما أحسن ما قال ابن اللبانة يرثي أختَ المرتضى صاحبَ مُيورقة ، ومات  
بعد أخيها :

أبنتَ الملا جدّدتَ منى على منى  
مضى المرتضى أصلاً وأتبعته فرعاً  
جرى الموت جرّى الريح في منبتيكما  
فأذواك ریحاناً وكسره نَبأ

تَعَلَّة : أى تتعلّل وتنتفع بما عندها من القيام بمؤنتك . ومُتَمَعَة : ما يُتَمَع به ويتلذذ . المتأهلين : المتزوجين الذين لهم أهل . شِرْعَة : طريقة . المحصنين : المتزوجين . نزا : وثب وارتفع . العُنْطُب : ذكر الجراد .

### [ فصل فى الزواج واختيار الأزواج ]

ونذكر هنا فصلاً يليق بهذا الموضوع .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعطاف بن وداعة الملالى : « يا عطاف ألك امرأة ؟ قال : لا قال : فأنت إذاً من إخوان الشياطين ، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منّا فسننتنا النكاح » .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من العزب » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الولود الودود من من النساء فإني مكاثرٌ بكم الأمم » .

وقال صلى الله عليه وسلم « النساء ثلاث : صِنْفٌ كالرحتى تحمِل وتَضَع ، وصِنْفٌ كالعَرّ وهو الجرب ، وصِنْفٌ ودود ولود تُعين زوجها على إيمانه فهي خيرٌ له من الكنز » .

ابن عمرو رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا أتى على أمتى مائة وثلاثون سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب فى رءوس الجبال » .  
وقال صلى الله عليه وسلم : الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة .  
وقال خالد بن صفوان لرجل : أتزوجت؟ قال : لا ، قال : فتزوج ، ثم قال بعد ساعة : لا تتزوج ، فقال : لم؟ قال : إنك إن تزوجت واحدة فتطهر إن طهرت وتحيض إن حاضت وتفضب إن غضبت ، فإن تزوجت بائنتين تقع بين صرتين ، فإن تزوجت ثلاثاً تقع بين أناف ، وإن تزوجت بأربع يغاسنك ويهزم منك . قال : أفترحم ما أحل الله لك؟ قال : لا ، ولكن كوزان وخماران وعباءة وقرصان .

وقال رجل : أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع على ، فأعمل برأيه ، فأول من طلع على هبةفة القيسى الأحق وتمتته قصة ، فقلت له : إني لأستشيرك فى النكاح ، فقال : البكر لك والثيب عليك ، وذات الولد لا تقرّبها ، واحذر جوادى لا ينفحك .

وقال رجل لولده: يا بنى لا تتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عسبة الدار ولا كية القفا ، فالحنانة التى لها ولد من غيره فهى تحن إليه ، والأنانة : التى مات زوجها فهى إذا رأت الثانى أنت للأول وقالت : يرحم الله فلانا ، والمنانة التى لها مال ، فهى تمنّ به على زوجها متى احتاج إليه ، وعسبة النار : خضراء الدمن ، وقد تقدّمت ، وكية القفا : التى انصرف ابنها أو زوجها من بين القوم قال رجل قد كان بينى وبين أمّ هذا أو زوجته شيء .

وسئِل أعرابى عن النساء ، وكان ذا تجربة لهنّ فقال : أفضلنّ أطولهنّ إذا قامت ، وأكظمن إذا قعدت وأصدقهن إذا قالت ، التى إذا غضبت حلت وإذا ضحكت تبسّمت ، وإذا صنعت شيئاً جوّدت ، التى تلزم بيتها ولا تعصى



زوجها العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود .  
 نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : ما هذه الجماعة ؟  
 قالوا : امرأة تدلّ على النساء ، فأناها فقال لها : أبعي امرأة ، قالت : فصفها ،  
 قال : أريدها بكرًا كثيب ، أو ثيبًا كبكر ، حُلوة من قريب ، ضخمة من  
 بعيد ، كانت في نعمة ، وأصابتها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذلة الحاجة ، إذا  
 اجتمعنا كُنّا أهلَ دنيا ، وإذا افترقنا كُنّا أهلَ آخرة ، قالت : قد أصبته لك ،  
 قال : فأين هي ؟ قالت : في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها .

[ حكاية خالد بن صفوان مع أبي العباس السفاح وزوجهِ أم سلمة ]

وقال خالد لأبي العباس السّفاح - وكانت عنده أمُّ سلمة بنت يعقوب بن  
 سلمة الخزوميّ ، وكان تزوّجها قبل الخلافة ، وحلف ألاّ يتزوج عليها ، ولا  
 يتسرّى :- يا أمير المؤمنين ، إنّي تفكّرت في أمرك ، مع سَمّة ملكك ، وقد  
 ملكتكَ امرأة واحدة ، إن مرضت مرضت لمرضها ، وإن غابت غابت ،  
 وحرمت نفسك التّادّ بالجواري ومعرفة جلاتهنّ ، فإنّ منهنّ الطويلة العيّداء ،  
 والفضة البيضاء ، والعقيقة الأدماء ، والرقيقة السّماء ، والبربرية العجّزاء ،  
 يقتنّ بمحادثتهنّ . وناتك عن بنات الأحرار والنّظر إليهنّ ، ولو رأيت الطويلة  
 البيضاء ، والسّمراء العيّناء ، والبيضاء العجّزاء ، والمولّدات من البصريّات  
 والكوفيّات ذوات الألسن العذبة ، والقُدود المهففة ، والأوساط المحصّرة  
 والأصداع المزرققة ، والعيون المكحلة ، والثديّ المحقّقة ، وحسن زينتهنّ  
 وشكلهنّ ، لرأيت شكلاً حسناً ، فقال له : ويحك يا خالد ! ما سلك مسامعي  
 والله كلامٌ أحسنُ مما سمعت منك . فانصرف وبقى أبو العباس متفكراً .  
 فدخلت عليه أم سلمة فرأته ، مغموماً فقالت له : إنّي لأنكرك يا أمير المؤمنين ، هل  
 أمّاك خيرٌ فارتمت له ؟ قال : لا ، قالت : فما قصّتك ، فروى وجهه عنها ، فلم  
 ( م ٨ - شرح مقامات الحريري - ج ٥ )

تزل به حتى أخبرها ، قالت : فما قلت لابن الفاعلة ؟ قال : سبحان الله ! ينصحنى وتشتمينه ! فخرجت مفضبة ، وأرسلت إليه جماعة من العبيد ، وبأيديهم مقامع من حديد ، وأمرتهم ألا يتركوا من خالد عضواً صحيحاً . قال خالد : فانصرفت مسروراً لما رأيتُ من إعجابه بما ألقى عليه ، ولم أشك أن صلتى ستأتينى .

فأتى لقاعد على باب دارى ، وإذا بالعبيد قد أقبلوا نحوى فلم أشك في الجائزة ، فسألوا عني فقلت : أنا خالد ، فأهوى أحدهم إلى بهراوة فوثبت إلى منزلى ، وعلمت أنى أتيت من أم سلمة . وطلبنى أبو العباس طلباً شديداً ، وأنا مستخف ، فهجج على في الثالث ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فأيقنت بالموت ، فدخلت عليه وليس في وجهى دم ، فسلمت وجلست ، وإذا خلف ظهري ستر خلفه حركة . فقال لى : يا خالد أين كنت منذ ثلاثة أيام ؟ قلت : عليلاً ، قال : إنك وصفت لى من أخبار النساء والجواري ما لم يخرق مسامعى قط شئ ! أحسن منه ، فأعده على ، قلت : نعم أعلمتك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ، وإن أحدهم لم يكن عنده أكثر من واحدة إلا كان في جهده . قال : ويحك لم يكن هذا في الحديث ! قلت : بلى والله ، وأعلمتك أن الثلاث من النساء كأنافى الصدر يُغلى عليهن . قال أبو العباس : برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك في حديثك ، قلت : وأخبرتُك أن الأربع شوم مجتمع لصاحبهن ، يسقم منه ويهر منه ويسيبنه . قال : والله ما سمعت هذا منك قط ! قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! وتكذبنى ! قلت : وتريد أن تقتلنى ! قال : مرّ في حديثك ، قلت : وأخبرتُك أن أبكار النساء رجال ولكن لاخصى لهن ، قال : وسمعت الضحك من وراء الستر ، قلت : وأخبرتُك أن بنى مخزوم ريمانة قريش وعندك ريمانة من الرياحين ، وأنت تطمح إلى غيرها من الإماء ! فقيل لى من وراء الستر : صدقت والله يا عماء وبرزت ، وبهذا حدثته ، ولكنه غير وبدل . فقال لى

أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخزأك ! وفعل وفعل ! فتركته وخرجت ، فما شعرت إلا برسلك أم سلمة ، ومعهم عشرة آلاف درهم ، وتحت وبرذون وغلأم ، قبضتها<sup>(١)</sup> .

وفي هذا الحديث المليح تعلق بما ذكر الحريري من مدح النساء وذمهن ، وخالد بن صفوان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه ، وقد تقدم في الثالثة هذا الفن .

[ من فصاحة خالد بن صفوان ]

وقال أبو العباس السفاح لخالد وعنده أخواله الحارثيون : كيف علمك بأخوالى يا خالد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هم هامة الشرف وعز بنين الكرم ، وغرس الجود ، وفيهم خصال ليست لغيرهم ، إنهم لأصونهم أمأ ، وأحسنهم أمأ ، وأكرمهم شيأ ، وأطيبهم طعاماً ، وأوفاهم ذمأ ، وأبعدهم همأ ، الجرة في الحرب ، والوفد عند الجذب ، وهم الرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب . فقال : لقد وصفت يا بن صفوان فأحسنت ، فزاد أخواله في الفخر ، ففضب أبو العباس لأعمامه فقال : انخر يا خالد ، فقال : أعلى أخوال أمير المؤمنين ؟ قال : فأن أنت من أعمامه ! قال : كيف أفاخر قومأ هم بين ناسج برد وسائس قرد ، ودابع جلد ، دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة !

ودخل خالد على أبي الجهم العدوى وهو يريد ركوب حمار ، فقال خالد : أما علمت أن العير عار ، وأن الحمار شنار ، منكر الصوت ، قبيح الفوت ، مترج في الخلل ، مرتطم في الوخل ، ليس بركوبة فحل ، ولا مطية رخل ، راكبه مقرف ، ومسايره مشرف . فاستوحش العدوى من ركوبه ، فركب فرساً وركب خالد الحمار ، فقال : ويحك يا خالد ! أنتهى عن شيء وتأتى مثله ! قال : أصلحك الله ، عير من بنات الكداد ، أسحم السربال ، مدمج الأوصال ،

(١) الخبر في مروج الذهب للمسمودي ٢ : ٢٧٥ - ٢٧٨

محملج القوائم ، يحمل الرحلة ، ويبلغ العقبة ، ويمعنى من أن أكون جباراً  
عنيداً ، أو ملكاً شديداً ، فقد ضللت إذا وما أنا من المهتمدين ! ذلك لك ، وهذا  
لى . فتبسم العدوى .

### [ ذكر مقاطيع في أوصاف النساء ]

ثم نرجع إلى جملة مقاطيع من أوصاف النساء تقيين بها أوصافهن ،  
قال المدبيل بن الفرخ :

لِعِبِّ النَّسِيمِ بَهْنٌ فِي أَظْلَالِهِ      حَتَّى لَبَسْنَ زَمَانَ عَيْشِ غَافِلِ  
يَأْخُذْنَ زِينَتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا يُرَى      وَإِذَا عَطَّلْنَ فَهِنَّ غَيْرَ عَوَاطِلِ  
وَإِذَا أُرِينَ خَدُودَهُنَّ أُرِينَهَا      حَدَقَ الْمُهَى وَأَخَذْنَ سَهْمَ الْقَاتِلِ  
وَرَمَيْتَنِي لَا يَسْتَعْتِرُنَّ بُجْنَةَ      إِلَّا الصَّبَا وَعَرَفْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي

وقال العباس بن طرخان :

تَقَسَّمْنَ قَلْبًا كَانَ مَجْتَمِعَ الشَّمْلِ      وَفَرَّقْنَهُ بَيْنَ الْمَسَالِكِ وَالشُّبْلِ  
زَوَّعْنَ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ ثُمَّ سَقَيْنَهُ      صَبَابَاتِ مَاءِ الشُّوقِ بِالْأَعْيُنِ النَّجْلِ  
رَمَيْنَ فَلَمَّا أَنْ أَصَبْنَ مَقَاتِلِي      تَوَلَّيْنَ وَأَنْضَمَّتْ جِرَاحِي عَلَى النَّبْلِ

وقال البحتري :

لَمَّا مَشَيْنَ بَدِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ      أُعْطَافَ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودِ<sup>(١)</sup>  
فِي يَمْنِي حَبْرٍ وَرَوْضٍ فَالتَقَى      وَشِيَانِ : وَشَى رُبًّا وَوَشَى بُرُودِ  
وَسَفَرْنَ فَاْمْتَلَأَتْ عَيْونُ رَاقِمَا      وَرِدَانِ : وَرَدَّ جَنَى وَوَرَدُ خُدُودِ  
وَمَتَّى يَسَاعِدُنَا الْوِصَالُ وَدَهْرُنَا      يَوْمَانِ : يَوْمَ مَنَى وَيَوْمَ صَدُودِ !

وقال التهامي :

ماتت لفقْدِ الظَّاعِنِينَ ديارُهُمْ  
لا عيبَ فيهِم غيرَ شحِّ نساءِهِم  
طرقته في أترابِها جَلَّتْ له  
وأشدُّ الأَصمعي :

خُزاعِيه الأَطرافُ مُرَبِّيةُ الحَشِي  
لها حُكْمُ لِقانٍ وصورَةُ يوسف  
نِزارِيه العِينِينَ طائِيه الفِمْ  
ونَعْمَةُ داوُدِ وعِفَّةُ مَرِيَمِ  
وقال الأَسعد بن نَبِيط :

عُلامِيَّةٌ جَاءتْ وَقَد جَعَلَ الثُّجِي  
قَلتْ : أَحاجِيها بِناءِ جَفونِها  
مَحَبَّةُ العِينِينَ مِنْ غيرِ سَكْرَةٍ  
أرى صُفْرَةَ المِسْواكِ مِنْ مُحْمَرَةِ اللَّمِي  
عَسَى قَدَحُ قَبائِلِهِ فإِخاله  
نَلتَمِرُ فِيها فَصراً غانِيَةً خَطًّا  
وما بِالشِّفاءِ الأَعسِ مِنْ حُسْنِها المَعطَى  
مَتى شَرِبْتَ الحِماظِ عِينِكَ إِسْفَنْطاً  
وشارِبَكَ المَحضَرَ بِالمِسْكِ قَدْ خُطًّا  
عَلَى الشِّفَةِ المِماءِ قَدْ جاءَ مُنْحَطًّا

فتصور في البيتين قبل هذا أحسن مقابلة ، وتصور في البيتين من آخر  
هذه القطعة ثلاث تشبيهات شبهت بشيء واحد يتضمنها جميعاً !

وقال ابن شرف :

قامت تجرُّ ذبولَ العَصَبِ والحَبْرِ  
تخطو فتولي الحِصانِ مِنْ حَلابِها نُبْداً  
ضعيفَةَ الخَطِّوِ والمِشايقِ والنَّظَرِ  
عن واضحٍ مِثْلَ نَوْزِ الرِّوضةِ المِطْرِ

مالد للعين نومٌ بعد ما ذكرتُ  
تساقطَ الطلُّ من فوق النحورِ بهِ  
ليلاً سمرناه بين الضالِّ والسَّمْرِ  
تساقطَ الدُّرُّ في اللَّبَّاتِ والغَفْرِ  
وقال الرمادى :

شَعَطَتْ نواهم بشمسٍ في هوادجهم  
شكَّتْ محاسنها عيني وقد عذرتُ  
لولا تلالوها في ليلهنَّ عَشُوا  
لأنها بضمير القلب تنخمشُ  
شغراً ووجهه تبارى في افتخارها  
لحسن هذا وذاك الرُّومُ والخَبَشُ  
شككت في سقَمي منها، أفي فرشي  
إذا تأملت إلا الطيفُ والفرشُ؟  
ولبعض أصحابنا :

سَأَلْتُ سُقَاةَ الحَيِّ عنِ نَجْدِيَّةِ  
صفراء كالدينا رعلٌ تريبها  
وردَ الحجاجُ بها سقايةَ زَمَزَمِ  
بالزَّعفرانِ وخَدَّها بالمندمِ  
لبستُ بَرُودَ السابريِّ فأفضلتُ  
من ذيلها ولبستُ جلدَ الأَرَمِ  
ياليت شعري وهي أنسك ناسكٍ  
لم تستحلِّ دمَ الحَبِّ المُسَلِّمِ !  
نَبَّتْ أنَّ الظاعنين بها سَعُوا  
للأجر فاقبلوا بكبُرِ المائِمِ  
سَفَكُوا دماءَ الرَّائِحينِ إلى مِنى  
بجفونها ونجوا بسافكةِ الدمِ

وهذا القدر في هذا الموضع كاف ، وقد تضمن هذا الديوان مقطعات بديعة في أوصاف النساء .

### [ ما جاء في الاستمناء ]

قوله : لتجلد عميرة ، يقال لهذا الفعل الخضخضة والتدليك والاستمناء والاعتار ، واعتمر الرجل : جمع يديه وضمهما لذلك ، والإلطاف للنساء مثل الخضخضة للرجال ، يقال منه : ألطفت المرأة ، وقال القتيبي بيتاً ما سمعناه على وجه الدهر :

إذا سررتَ بوادي لا أنيس به فاضربُ عميرة لا عاراً ولا حراجُ

آخر :

بيدي ورجلي لا عدمت كليهما أصبحت أغني من يروح ويفتدي  
أمشي على هذي وأنكح هذه فطيتي رجلي وجاريتي يدي

آخر :

تسألني عن عتدي وعندي فإنني يا بننة آل مرثدي

\* راحتي رجلاي وامراتي يدي \*

وقال أعرابي :

إن تبخلى بالمركب المخلوق فإن عندي راحتي وريقي  
ودلكات لسن للتمزيق أشهى من التصبيح والتغبيق

وقال الخزامي :

خطبتُ إلى ساعدي راحتي وما كنتُ من شرِّ خطأها  
وما إن تكلفتُ من مهرها سوى ريقة أتجرى بها  
فإن شئتُ أوتى بها ثيباً وبكراً إذا شئتُ أوتى بها  
وترَّهت نفسي عن الغانيات وعن ذكر سلمى وأثرابها

وقال الحسن :

إذا أنت أنكحتِ الكريمة كنفوها

فأنكح حسيباً راحة لابن ساعدي

وقل بالرفا ما نلت من وصل حرّة لها ساحة حُف بخمسٍ ولائد

وقال ابن الرعمق :

ومن بلائي أبو عميرٍ  
ممرّضٌ بي إلى المنونِ  
منتصباً ما ينام وقتاً  
وليس يهدأ من الزّنين  
من يك ذا زوجة فإني  
لشقوتي زوجتي يميني  
عميرة قد جلدتُ حتى  
خشيت والله تجلدوني  
فراقبوا الله في يميني  
وخلّصوها وزوجوني

وقال آخر يشتكى غلظ يده :

لو أنها لذنة قضيتُ من وطري  
لكنه خشينٌ أربي على السفينِ  
أشكو إلى الله نعظاً قد منيت به  
وما ألاق من الإملاق والحزنِ  
آخر :

ومقتابٍ إذا نبجاً  
يظنّ سواه قد جرحاً  
ومن لم يدر لم يالم  
فعاد عليه ما اجترحاً  
كنا كح كفه ينوي  
فتاةً كان قدّ لها  
وما نكح الفتى أحداً  
ولكنّ نفسه نكحاً

فنكاحُ الكفّ هو جلد العميرة .

قال ابن أبي الأزهر : مررت على برّذعة الموسوس ، وقد أدخل يده في جيبه ، وهو يخضخض ، فضربته برجلي ، فانكشف ، فإذا هو منمظ ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : أما ترى تلك ! وأشار بيده إلى جارية جميلة في عليّة متطلعة ، فقال : إني دعوتها إلى نفسي فلما لم تجبني أحببتها ، فقلت : قبّحك الله ! ووليتُ عنه . فلم يلبث أن لحق بي ، وقال : قضيتُ الحاجة على رغم أنفك ، ثم أنشدني :  
أأنكرت ما كُنيت من كنفٍ دالكِ    وهل يُنكرُ التديك في قول مالكِ



لقد أمِنَ الدَّلَاكُ من أن تنالهمْ خُدود الزَّنا في واخحاتِ المسالكِ  
وإني قد سكنت عزيمة عملي بحسن عيون والشدى العواتك

كذب على مالك والشافعي ، وعامة العلماء يجرمون الاستمناء ، وحجتهم  
قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْيُنِهِمْ هَادِفُونَ ﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ .

الفتجديهي : وقد جاء في تحريم الخضخضة حديث مشهور ، وسنده إلى  
أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ،  
ولا يزكّيهم ولا يجهمهم مع العالمين ، ويُدخلهم النار مع الداخلين ؛ إلا أن  
يتوبوا ، فمن تاب تاب الله عليه : الناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومُدْمِن  
الخمر ، والضارب أبويه حتى يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه ، والناكح  
حليلة جاره » . وإنما رويت الرخصة في ذلك عن عمرو بن دينار .

وروى عن ابن عباس أنه سئل عن الخضخضة فقال : نكاح الأمة خيرٌ  
منها وهي خير من الزنا .

الأزهري : أبو عمير ذكر الرجل .

الفتجديهي : سمعتُ الحافظ أبا العلاء يقول : الخضخضة على مذهب الإمام  
أحمد بن حنبل جائزة إن استولت عليه الشهوة حتى خاف على نفسه  
إتيان الفواحش .

أبو الفرج محمد بن أبي جعفر الطائي بهَذَان ، قال : أنشدنا الإمام  
أبو المظفر معاوية لنفسه ، وكان من أروع الفضلاء وأزهدهم :

خليلى لا بغداد تدنو فتتقضى . هومى ولا الرى البغيضة تبعد  
فليس من الأنصاف والعدل أنكم . تديكون ربّات الحجال وتُجَلد  
وترضون بالحرمان للفيشة التي . على غضب باتت تقوم وتقعّد

فلا تحسبو جَلْدِي عُمَيْرَةَ وَصِمَّةَ      على فقد أفتى بها الشَّيْخُ أَحْمَدُ  
ولو وسعتها راحتي لاحتملتها      فما حيلتي إذ ضاق ذرعاً بها اليدُ  
وذكر بيتين آخرين .

قال : وأنشدني إمام أهل اللغة أبو المعالي إسماعيل بن الحسن البديع

لبعضهم :

إِنَّمَا هِيَ كُثِيرَةٌ      نشفت ماء قُدِيرَةٌ  
وخميرةٌ في دُكَيْرِهِ      مُبْلَغَتِي مِنْهَا سُكَيْرَةٌ  
وعِلامٌ أو فتاة      قد كِنِي جِلْدَ عُمَيْرَةٍ  
مَنْ رَأَى عَيْشِي هَذَا      عاش لا يُوْثِرُ غَيْرَةَ

قال : وأنشدني البديع أيضاً لبعضهم :

يا سيدي نحن في زمان      أبدلنا الله منه غَيْرَةَ  
فكل ذي خِسَّةٍ وَذَلٍّ      مَتَّعَ بِالطَّيِّبَاتِ أَيْرَةَ  
وكل ذي فطنة وكنسٍ      يجلِّدُ في بيته عُمَيْرَةَ

\* \* \*

قوله : أشبَّ قرنك : يُدْعَى بذلك للصبيِّ أن يكبر وتطول قامته ، كما تقول للصبيِّ في ضدِّ ذلك : لا كبرك الله . ويقال : شبَّ الصبيِّ يشبُّ بكسر الشين شباباً بفتح الشين وكسرها ، إذا طال ونما جسمه والصبيُّ شاب ، وأشبَّ الله قرنه ، أي جعله شاباً أسود الذؤابة ، والقرن الضفيرة ، وهي الذؤابة وقيل : القرن جانب الرأس . الأراح كالرَّواح . الخزيان : ألهان والمستحي ، وخزى يخزى خزياً : أهين ، وخزاية استحيا ، فهو خزيان أي مستحي ، وقوم خزايا .

وتبتُّ من مشاورة الصبيان ، قال عمر رضی الله عنه : خصلتان من علامة

الجهل : مشاورة النساء والصبيان ، واستكثام السرِّ النساء والصبيان .

\* \* \*

قال الحارث بن همام: فقلتُ له: أُقسِمُ بَمَنْ أُنَبِّتَ الْآيِكَ، أَنَّ  
الجدالَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ؛ فَأَعْرَبَ فِي الضَّحِكِ، وَطَرِبَ طَرَبَةَ الْمُنْهَمِكِ،  
ثم قال: الْعَقِي الْعَسَلُ، وَلَا تَسَلْ، فَأَخَذْتُ أُسْهَبُ فِي مَدْحِ الْأَدبِ،  
وَأَفْضَلُ رَبَّهُ عَلَى ذِي النَّسَبِ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى نَظَرِ الْمُسْتَهْجِلِ، وَيَغْضَى  
عَنِّي إِغْضَاءَ الْمَتْمَلِّ. فَلَمَّا أَفْرَطْتُ فِي الْعَصَبِيَّةِ، لِلْعُصْبَةِ الْأَدَبِيَّةِ، قَالَ لِي:  
صَهْ، وَاسْتَمِعْ مِنِّي وَافْقَهْ:

يَقُولُونَ إِنَّ جَمَالَ الْفَتَى      وَزَيْنَتَهُ أَدَبٌ رَامِخٌ  
وَمَا إِنْ يَزِينُ سِوَى الْمَكْتَرِينَ      وَمَنْ طَوْدُ سُـ وَدِدِهِ شَامِخٌ  
وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَخَيْرٌ لَهُ      مِنْ الْأَدَبِ الْقُرْصُ وَالْكَامِخُ  
وَأَيُّ جَمَالٍ أَنْ يَقَالَ      أَدِيبٌ يَعْلَمُ أَوْ نَاسِخٌ!  
ثم قال: سَيَبْضِحُ لَكَ صَدَقَ لَهْجَتِي، وَاسْتِنَارَةَ حُجَّتِي.

\* \* \*  
الأيك: شجر. الجدال منك وإليك، أي إنما كان هذا الخصام بينك  
وبين نفسك، ولم يكن ثم صبي تحاوره، أي أن حديثك مصنوع لا أصل له.

### [ بعض الحكايات المصنوعة ]

ومن مستعمل الأخبار المصنوعة ما يحكى أن حبيب بن أوس، قال: لِقِينَا  
أَعْرَابِيًّا، وَقَدْ خَرَجْتُ فِي أَيَّامِ الْوَاتِقِ إِلَى سِرِّ مَنْ رَأَى، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ؟ قَالَ: مَنْ  
بَنِي عَامِرٍ، قُلْتُ: كَيْفَ عَمَلِكَ بِمَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَتَلْتُ أَرْضًا عَالِمًا، قُلْتُ:  
مَا تَقُولُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: وَتَقَى بِاللَّهِ فَكَفَاهُ، أَشْجَى الْعَاصِيَةِ، وَقَمَعَ  
الْعَادِيَةَ، وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَّةِ. قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ؟ قَالَ: هَضْبَةٌ.

لا ثرام ، وجبل لا يُضام ، تشحذله أمدى ، وتُنصَب له الجبائل ، حتى إذا قيّد  
وثب وثبة الذئب ، وَخَقَلَ خَتَلَ الصَّب . قلت : لحمد بن عبد الملك ؟ قال :  
وسِعَ الدانيَ شره ، ووصل البعيدَ ضره ، له في كل يوم صريع ، لا يرمى فيه  
أثر نابٍ ، ولا نَدَبٍ مِخْلَبٍ ، قلت : فما تقول في الفضل بن مروان ؟ قال :  
ذلك الرجل نُشِرَ بعد ما قُبِرَ ، فعليه حياة الأحياء ، وخَفَتَه الموتى . قلت : فابن  
الخصيب ؟ قال : أكل أكلة نهم ، وذرق ذرقة بَشِمٍ ، قلت : فأخوه إبراهيم ؟ قال :  
أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون أيان يُبَعَثُونَ ، قلت فأحمد بن إبراهيم ؟ قال :  
لله درّه ! أى رجل هو ! اتَّخَذَ الصَّبِرَ دثاراً ، والحق شعاراً ، وإن هونَ عليه يهيم ،  
قلت : فسلیمان بن وهب ؟ قال : ذلك رجلُ السلطان ، وبهاء الديوان ، قلت :  
فأخوه الحسن ؟ قال : عودٌ نضير ، غرسَ في منابت الكرم حتى إذا اهتز لهم  
حصدوه ، قلت : فإبراهيم بن نجاح ؟ قال : ذلك رجلٌ أوتقه كرمه ، وأسلمه  
حسبه ، وله دعاء لا يسلمه ، وربُّ لا يخذله ، وخليفة لا يظلمه ، قلت : فنجاح  
ابن سامة ؟ قال : لله درّه أى طالبٍ وترٍ ومدركٍ نأر ! يلتهب كأنه شعلة نار ،  
له من الخليفة في الأنام جلسة تزيل نعماً ، وتحلّ نعماً ، قلت : يا أعرابي أين  
منزلك ؟ قال : اللهم غفراً إذا اشتمل الظلام ، ألتحف الليل ، فحيثما أدركنى الرقاد  
رقدت ، ولا أخلق وجهى بمسألتهم ؟ أما سمعت هذا الطائى يقول :

وما أبالى وخيرُ القوم أصدقهُ      حَقَنْتَ لى ماء وجهى أو حقنت دعى

فقلت له : أنا قائل هذا الشعر ، قال : أئنك لانت الطائى ! قلت : نعم ،

قال : لله أبوك ، أنت الذى تقول :

ما جودُ كفك إن جادت وإن بحت      من ماء وجهى إذا أخلقته عِوضُ

قلت : نعم ، قال : أنت أشعر أهل زمانك .

ونمى خبره إلى ابن أبي داود فأوصله إلى الواثق ، فأعطاه ألف دينار ،

وأخذ له من أهل الدولة ما غنى به عقبه بعده .

وهذا الخبر خرج عن أبي تمام ، فإن كان صادقاً<sup>(١)</sup> وما أراحه ، فقد أحسن الأعرابي الوصف ، وإن كان صنعه فقد قصر إذ منزلته أكبر من هذا .

\* \* \*

قوله : أغرب ، أى أكثر الضحك حتى دمت عيناه . المنهمك : المبالغ الطرب . العق العسل ولا تسل ، معناه إن طاب لك الكلام فاحفظه ولا تسل عن صدقه ولا باطله ، كما إذا وجدب العسل حلواً فلا يلزمك السؤال عن نحلته وقد قال فيما مضى :

\* ولا تسأل الشَّهَد عن نَحْلِهِ \*  
\* \* \*

فهذا هو ذلك . أسهب : أبالغ وأكثر . ذى النشب : صاحب المال . يفضى : يتغافل . المستجهل : الذى يحسبني جاهلاً . المهمل : المؤخر ، وقد أمهله أى أخره . صه : معناه اسكت . القرص : الخبز ، وتسمى الخبزة قرصة ؛ لأن الخابز بقرصها من العجين ، أى يقطعها .

### [ الكامخ ]

والكامخ : شئ يصنع من اللبن الحامض ، وهو أنواع . وقد قدّم لأعرابيُّ كامخ ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : كامخ ، فقال : قد علمت فأشكم كمنخ به ؟ يقال : كمنخ البعير إذا أخرج نلّطه رقيقاً . وقدّم لأعرابيِّين كامخ ، فذاقه أحدهما ، فلم يستطبه ، فقال : هذا خراء ، وذاقه الآخر فاستطابه ، فقال : يوشك أن يكون خراء الأمير ! وقدّم لأعرابيِّ كامخ فلم يستطبه قال : ما هذا ؟ قالوا كامخ ، قال : ومن أى شئ صنع هذا ؟ قالوا : من الحنطة واللبن قال : أبوان كريمان : وما أنجبا .

(١) الخبر فى أخبار أبى تمام للصولى ٨٩ - ٩٢

وقُدِّم لأعرابي كأمخ ، فلم يستطِبه ، وأكل منه شيئاً وخرج ، ودخل المسجد والإمام في الصلاة يقرأ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، فقال الأعرابي : والكامخ لا تنسه أصلحك الله !

وقيل : هو طعامٌ يؤتدَم به .

وقيل : هو البقل في الطعام مثل الكبر والزيتون والمرىء والعتاب إذا غاب طخاء الشحم على المعدة ، أخذ الرَّجُلُ منه شيئاً ، فأنجلى عن معدته ، وتَشَطَّ الأكل .

وقال أعرابي يصف إبطيه بالثَّتَن :

كَأَنَّ إِبْطِيَّ وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةَ حُرْمٍ مِنْ كَوَامِيخِ الثَّرَى (١)

الأصمعيّ : قدم علينا أبو طَيِّبَةَ الأعرابيّ بعد ما خرج إلى البادية ، وتفقّه ، فقلنا له : ما قولك في البيض ؟ قال : حرام ، فقلنا : ولم ؟ قال : لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ والدجاج عندي من ذوى الأظفار . قلنا : فما قولك في الكامخ ؟ قال : حرام ، قلنا : ولم ؟ قال : لقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، والكامخ يتخذ من الفخار ، فأظنُّ بينه وبين الجلد نسبا .

قوله : واقفه ، معناه افهم . راسخ : ثابت . الكثيرين : الأغنياء . طَوْدٌ سَوُودَةٌ : ارتفاع سيادته . والطوود : الجبل . شامخ ، أى ثابت مرتفع . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِيهِ أَصْفَرٌ وَأَبْيَضٌ لَمْ يَتَمَنَّ الْعَيْشَ » - يعنى الذهب والفضة .

وقال مهيار الديلمي :

تَشْرَفُ بِحِطِّ فَإِنَّ الْحِطُّوَظَّ حُلِّيَ كُلِّ ذِي نَسَبٍ يَفْضُلُ (٢)

(٢) ديوانه ٣ : ١٢٦

(١) عيون الأخبار ٤ : ٦٣

وما الحظّ في أدبٍ مُفصحٍ وَمِنْ دونه نَسْبٌ مُجْهَلٌ  
تُرَاضِي الفتي رتبة وهو حيث يجعله ماله يُجَمَلُ

وقال ابن قاضي ميّلة :

أُسْعِدْ بِجَدِّكَ لَا تَكُونُ أَدِيبًا      أَوْ أَنْ يَرَى فِيكَ الْوَرَى تَهْذِيبًا  
إِنْ كُنْتَ مُسْتَوِيًّا ففَعَلَكْ كَلَهُ      عِوَجٌ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ كُنْتَ مُصِيبًا  
كَالْتَّقَشِ لَيْسَ يَصْحُ مَعْنَى خْتَمِهِ      حَتَّى يَكُونَ بِنَاؤُهُ مَقْلُوبًا

قوله : لهجتى ، أى منطقتى ، وقيل : هى جرس الكلام ، وقيل : هى  
طَرَفُ اللسان ، وفلان فصيح اللهجة ، وهى لغته التى جُبِلَ عليها فاعتادها ونشأ  
عليها . استنارة : ظهر نورها .

\* \* \*

وَسِرْنَا لَا نَأَلُو جُهْدًا ، وَلَا نَسْتَفِيقُ جَهْدًا ؛ حَتَّى أَدَانَا السَّيْرُ ،  
إِلَى قَرْيَةٍ عَزَبَ عَنْهَا الْخَيْرُ ، فَدَخَلْنَاهَا لِلذَّرْتِيَادِ ، وَكَلَانَا مُنْفِضٌ مِنْ  
الزَّادِ ؛ فَمَا إِنْ بَلَّغْنَا الْمَحَطَّ ، وَالْمَنَاخَ الْمُخْتَطَّ ، أَوْ لَقِينَا غَلَامٌ لَمْ يَبْلُغِ الْحِنْثَ  
وَعَلَى مَاتِقِهِ ضِعْفٌ . خِيَّاهُ أَبُو زَيْدٍ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِ ، وَسَأَلَهُ وَفَقَةَ الْمُفْهِمِ ، فَقَالَ :  
وَعَمَّ تَسْأَلُ وَفَقَكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : أَيْبَاعُ هَاهُنَا الرُّطْبُ بِالْحُطْبِ ؟ قَالَ : لَا  
وَاللَّهِ . قَالَ : وَلَا الْبَلْعُ بِالْمَلْحِ ؟ قَالَ : كَلَّا وَاللَّهِ ، قَالَ . وَلَا الشَّمْرُ بِالسَّمْرِ ؟  
قَالَ : هِيَهَاتَ وَاللَّهِ . قَالَ : وَلَا الْعَصَائِدُ بِالْقَصَائِدِ ؟ قَالَ : اسْكُتْ  
عَافَكَ اللَّهُ . قَالَ : وَلَا الثَّرَائِدُ بِالْفَرَائِدِ ؟ قَالَ : أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ أَرْشَدَكَ  
اللَّهِ ! قَالَ : وَلَا الدَّقِيقُ بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ ؟ قَالَ : عَدَّ عَنْ هَذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ !

\* \* \*

نالو : نَقَصَر . جهداً : طاقة واجتهاداً . نستفيقُ جهداً : نستريح من المشقة .  
 أدانا : أوصلنا . والقربة : في كلامهم : الموضع الذي يجتمع الناس فيه ، وقربتُ  
 الماء في الحوض جمعته فيه . وعزُب : بعد . للارتداد : لطلب ما يؤكل .  
 مُنْفِض : فارغ ، وأنْفَضَ : فنيَ زاده فنفض مزوده من الفئات . المحطّ :  
 المنزل الذي تُحطّ فيه الأحمال . والمناخ : مثله في المعنى . والمُحْتَطّ : المُعَلِّم عليه  
 بخطّ ، وكلُّ موضع أردت حمايته ومنعه خَطَطْتَ عليه بخطّ ، فمن رآه علم أنه  
 محميٌّ فاجتنبه . الحنث : الإثم ، أى لم يبلغ حدّ التكليف ، وهو الحلم فيكتب  
 عليه إثم . على عاتقه ضِغْثٌ ، أى على عنقه حزمة حشيش ، والعاتق : ما بين  
 المنكب والعنق ، والضغْث قبضةٌ من أخلاط النبات أو من قُضبانٍ مختلفة .  
 المُفْهِم : الخبز المبين . أبيع هاهنا الرُطْبُ بالرُطْبِ ؟ الرُطْبُ والبلح نوعان من  
 التمر . والسمر : السهر بالليل على الحديث . هيهات ، أى بعد .

ابن عباس رضى الله عنهما : ما باع الدقيق برُّ ولا فاجرٌ إلا أصفرَ لونه  
 وقسا قلبه ، ونزعت الرّحمة من قلبه .

الفرائد : جواهر الكلام . أين يذهب بك : أين تتلف وتضلّ ! ولذلك  
 دعا له ، فقال : أرشدك الله ، أى هداك الطريق . عدّ : كُفّ واضرف .

\* \* \*

وامتَحَلَى أَبُو زَيْدٍ تَرَاجُعَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَالتَّكَايُلَ مِنْ  
 هَذَا الْجِرَابِ . وَلَحَّ الْفَلَامُ أَنَّ السُّوْطَ بَيْطِينَ ، وَالشَّيْخَ شُوَيْطِينَ ، فَقَالَ  
 لَهُ : حَسْبُكَ يَا شَيْخُ قَدْ عَرَفْتُ فَنَّاكَ ، وَاسْتَبْنَتْ أَنَّكَ ، فَخَذَ الْجَوَابَ  
 صَبْرَةً ، وَاكْتَفَى بِهِ خُبْرَةً ؛ أَمَا بِهَذَا الْمَكَانِ فَلَا يُشْتَرَى الشَّعْرُ بِشَعِيرَةٍ ،  
 وَلَا التُّرْبُ بِتُنَّارَةٍ ، وَلَا الْقَصَصُ بِقِصَاصَةٍ ، وَلَا الرِّسَالَةُ بِمُسَالَةٍ ، وَلَا حِكْمُ



لُتْمَانِ بِلْقَمَةِ ، وَلَا أَخْبَارُ الْمَلَا حِمِ بِلِخْمَةِ . وَأَمَّا جَيْلُ هَذَا الزَّمَانِ ، فَمَا مِنْهُمْ  
 مِنْ يَمِيحٍ ، إِذَا صَيَّغَ لَهُ الْأَمْدِيحُ ، وَلَا مَنْ يَحِيزُ ، إِذَا أُنشِدَ لَهُ الْأَرَا جِيزُ ،  
 وَلَا مَنْ يُعِيثُ ، إِذَا أَطْرَبَهُ الْحَدِيثُ ، وَلَا مَنْ يَمِيرُ ، وَلَوْ أَنَّهُ أَمِيرُ .  
 وَعِنْدَهُمْ أَنْ مِثْلَ الْأَدِيبِ ، كَالرَّبْعِ الْجَدِيدِ ، إِنْ لَمْ تَجِدِ الرَّبْعَ دِيمَةً ،  
 لَمْ تَكُنْ لَهُ قِيَمَةً ، وَلَا دَاتَهُ بِهَيْمَةٍ . وَكَذَلِكَ الْأَدَبُ ، إِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ نَسَبٌ ،  
 فَدَرْسُهُ نَصَبٌ ، وَخَزَنَةٌ حَصَبٌ . ثُمَّ انْسَدَرَ يَعْدُو ، وَوَلَّى يَحْدُو .

\* \* \*

لمح : نظر . الشَّوْطُ : الطلق والجري إلى الغاية : الأخص الشَّوْطُ أَنْ  
 تَأْتِيَ إِلَى مَوْضِعٍ تَرِيدُهُ ، ثُمَّ تَرْجِعُ وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَذَلِكَ شَوْطٌ  
 آخَرٌ ، وَمِنَ الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ شَوْطٌ : وَجَرَى الْفَرَسُ شَوْطًا إِذَا بَلَغَ مَجْرَاهُ ثُمَّ  
 عَادَ . بَطِينٌ : مَتَّسِعٌ ، وَمَعْنَاهُ : عِلْمٌ أَنْ كَلَامَ الشَّيْخِ كَثِيرٌ . وَرَجُلٌ بَطِينٌ : عَظِيمٌ  
 الْبَطْنُ ، وَكَيْسٌ بَطِينٌ ، أَيْ مَلَانٌ ، وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زَهْرٍ :

وَزَحْزَحْنَ بَيْنَ أَدَانِي الْغَضَى وَبَيْنَ عُنَيْزَةِ شَوْطًا بَطِينًا

شُوَيْطَيْنِ ، أَيْ دَوِيهِيَّةٍ لَا تَقَاوِمُ ، وَتَصَغِيرِهِ بِمَعْنَى التَّعْظِيمِ . حَسِبَكَ :  
 يَكْفِيكَ . فَتَنُكَ : نَوْعُكَ وَطَرِيقُكَ . اسْتَقْبَلْتُ أَنْتُكَ ، أَيْ تَحَقَّقْتُ أَنَّكَ دَاهِيَةٌ :  
 صُبْرَةٌ : أَيْ جَمَلَةٌ بَغِيرُ كَيْلٍ ، وَكَدْسُ الْقَمْحِ ، وَمَا يَكَالُ يُسَمَّى صُبْرَةً . اِكْتَفَى :  
 اقْتَنَعَ . خَبْرَةٌ : اخْتِبَارٌ . النَّثْرُ : ضِدُّ النَّظْمِ مِثْلُ التَّرَاسُلِ وَالْخَطْبِ . وَالنُّشَارُ :  
 مَا تَنَاطَرَتْ مِنْ الشَّيْءِ ، أَيْ تَفَقَّتْ ، تَقُولُ : نَثَرْتُ الشَّيْءَ أَيْ رَمَيْتُهُ بِهِ مُفْتَرَقًا ، وَاسْمُ  
 مَا يَتَسَاقَطُ مِنْهُ النُّشَارَةُ . وَالْقَصَصُ : أَخْبَارُ الْمُتَمَدِّمِينَ . وَالْقَصَاصَةُ : مَا تَسَاقَطُ  
 مِنْ الشَّعْرِ إِذَا قُصَّ . وَالغُسَالَةُ : الْمَاءُ الَّذِي قَدْ غُسِلَ بِهِ بِمَيَّةِ الطَّعَامِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ

( م ٩ - شرح مقامات الحريري - ج ٥ )

ويروى : « بفضالة » ، مكان غسالة ، والفضالة من الزرع إذا غرِبِلَ تَبَقَّى في  
الغربال فتدرَس بعد ذلك ، ويخرَج ما فيها من الزرع .

وأُنشد الفَنَجْدِيَّ في هذه المعاني :

عرضت على الخبازِ نموَّ المبرِّدِ      وكتبنا حسانا للخليل بن أحمدِ  
ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهلِ      وتجويد عمرٍو بعدَ قسه محمدِ  
وأشدته شعر الكميِّتِ وجروِّلِ      وغنيتهُ لحن الغريِّضِ ومعبُدِ  
فما نفعتني دون أن قلتُ هاكها      مدورة صُفراً تطنُّ على اليدِ

وقال أخبرني أبو المحاسن بن أبي العلاء بن محمد الأديب ، قال : أنشدني  
لنفسه أبو يوسف بن محمد يعقوب الأديب .

[ ذكر لقمان عليه السلام ]

قوله : ولا حكم لقمان بلقمة ، في لقمان سبعة أقوال :

قال قتادة : خيره الله بين النبوة والحكمة ، فاختر الحكمة ، فقدفها عليه  
جبريلُ ، وهو نائم ، فأصبح ينطق بالحكمة ، فسئل عن ذلك ، فقال : لو أرسل  
الله إلى النبوة عزمة ، لرجوت الفوز بها ، ولكنه خيرني نخفت أن أضعف  
عن النبوة .

وقيل : كان من الثوبة قصيراً أفتس الأنف .

وقيل : كان حبشياً .

سعيد بن المسيب : كان أسود من سُودان مصر ، ذا مشقرٍ ، حكمته  
حكمة الأنبياء .

وقيل : كان خياطاً .

وقيل : كان راعياً ؛ فراه رجلٌ كان يعرفه قبل ذلك ، فقال : ألسنت عبد

بني فلان كنت ترعى بالأمس ؟ قال : بلى ؟ قال : فما بلغ بك ما أرى ، قال :

وما يُعجِبُكَ من أمرى؟ قال: وطء النَّاسِ بساطِكَ، وغشيتُهم بآبِكَ؟ ورضاهم  
بِحَوْلِكَ؟ قال: يابن أخى، إن صنعتَ ما أقولُ لك كنتَ كذلك، قال: وما تصنع؟  
قال: غصتُ بصرى، وكفتُ لساني، وعتقتُ طعمي، وحفظتُ فرجِي، وقيامي  
بِعَهْدِي، ووفائي بوعدِي، وتكرمة ضيفي، وحفظ جاري؛ وترك ما لا يعنيني؛  
فذلك الَّذِي صيرتني كما ترى.

ويروى أنه قال: قدَّرَ اللهُ وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني.  
أنس رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحكمة تزيد  
الشريف شرفاً، وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك، قال الله تعالى:  
(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (١).

وقال الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعالبي المفسر: اتفق العلماء  
على أن لقمان كان حكماً، ولم يكن نبياً، إلا عكرمة فإنه تفرَّد بأنه نبي.  
ابن عمر رضى الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: حقاً  
أقول، لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً صمَّصامة، كثير التفكير، حسن  
اليتين، أحبَّ الله فأحبَّه، ومنَّ الله عليه بالحكمة.

وهب بن منبه: كان لقمانُ ابنَ أختِ داود عليه السلام، وقيل: ابن خالته،  
وكان في زمنه، وكان داود يقول له: طوبى لك! أوتيت الحكمة، وصرفت  
عنك البلوى، وأوتيت داودُ الخلافةَ وُبلَى بالبيَّة. وكان داود يَغشاه ويقول:  
انظروا إلى رجلٍ أوتي الحكمة، ووُقِيَ الفتنة.

عبد الوارث: أوتي لقمانُ الحكمة في قاله قالها، فقيل: وهل لك أن تكون  
خليفة فتعمل بالحق؟ فقال: إن تحترق فسمماً وطاعة، وإن تحببني أختار العافية.  
صهيل: وما عليك أن تكون خليفة فتعمل بالحق؟ قال: فإن أعمل بالحق

فبالحرى أن أنجو، وإن أخطىء الحق أخطىء طريق الجنة، وإنه من بيع الآخرة  
بالدنيا يخسرهما جميعاً، وأن أعيش حقيراً ذليلاً أحبُّ إلى من أن أعيش قوياً  
عزيراً. فشكر الله تعالى مقالته، ففظه في الحكمة غطة فاصبح وهو أحكم الناس.

وقيل: كان عبداً نجاراً فقال له سيده: اذبح شاةً وأتني بأطيب مُضغَتَيْن،  
فأماه بالقلب واللسان، ثم أسره بمثل ذلك، وأن يُخرج أخبث مُضغَتَيْن،  
فأخرج القلب واللسان، فقال له: ما هذا؟ فقال: ليس شيء أطيبُ منهما إذا  
طابا، ولا أخبثُ منهما إذا خبثا.

وأما حكمته فقد ذكر الله تعالى منها في كتابه ما علم، وذكر مالك في  
موطئه منها كلاماً كثيراً، وذكر منها فصلاً في كتاب الجامع من الموطأ.

ومن حكمته: يا بني إنَّ الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون، وهم إلى  
الآخرة مِرَاعاً يذهبون، وإنَّك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت  
الآخرة، وإن داراً تسير إليها أقرب من دارٍ تخرج منها. يا بني ليس غنى كصحة،  
ولا نعيم كطيب نفس. يا بني لا تجالس الفُجَّار ولا تماشهم؛ اتق أن ينزل  
عليهم عذابٌ من السماء فيصيبك معهم، وجالس العلماء وزاحمهم بركبتك،  
فإن الله تعالى يُحْيِي القلوب الميتة بالعلم، كما يُحْيِي الأرضَ بوابل المطر.

أبو إسحاق الثعالبي يأسناده له عن عكرمة، قال: كان لقمان من أهن  
ممالك سيده عليه، فبعثه مولاه مع عبده له إلى بستانه يأتونه بشيء من ثمر  
لجأوه ومامعهم شيء، وقد أكلوا الثمر، وأحالوا على لقمان، فقال لقمان لمولاه:  
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً، فاستقني وإياهم ماء حياً. ثم أرسلنا لنعدو  
ففعل فجعلوا يتقيثون تلك الفاكهة ولقمان يتقياً ماء، فعرف مولاه صدقه وكذبهم.  
قال: وأول ما عرف من حكمته أنه كان مع مولاه؛ فدخل مولاه المبرز  
فأطال فيه الجلوس، فناداه لقمان: إنَّ طولَ الجلوس مع الحاجة ليجع منه

الكبد، ويورث البأسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هويئى، قال :  
فخرج وكتب حكته على باب الحش.

قال : وسكر مولاه يوماً فحاطر قوماً أن يشرب ماءً بئيرة ، فلماً أفاق عرف  
ما وقع فيه ، فدعا لقمان فقال له : لئله هذا كنت اختبأتك . فقال لمولاه : أخرج  
أباريقك ثم اجمعهم ؛ فلما اجتمعوا قال : على أى شىء خاطرتموه ؟ قالوا : على أن  
يشرب ماء هذه البئيرة . قال : فإن لها مواداً فاحبسوا عنها موادها ، قالوا :  
وكيف نستطيع ذلك ! قال لقمان : وكيف يستطيع هو أن يشربها ولها مواداً !  
وأراد مولاه بيعه . فقال : يا مولاي إن لى عليك حقاً فلا تبعنى إلا .  
ممن أحب . قال : لك ذلك ، فكان الرجل إذا جاء يستامه قال : لأى شىء  
تريدنى ؟ فقال أحدهم : تحفظ على بابى . قال : اشترى ، فلما جئته الليل أغلق  
الباب ، وقام يصلّى فى الدهليز . وكان لبنات الرجل أخلاء فجاءوا فضرخوا  
الباب ، فقلن : يا لقمان ، افتح الباب ، فقال : بأبى أنتن وأمى ! ليس لهذا  
اشترانى أبوكن ، فضربنه ضرباً كيدن أن يأتين منه على نفسه ، فلما أصبح  
لم يخبر أباهن ، فلما كانت الليلة الثانية عاودنه بمثل ذلك ، فلما أصبح لم يخبر  
أباهن ، فلما كانت الليلة الثالثة عاودنه بمثل ذلك ، فلما أصبح لم يخبر أباهن ، فأقبل  
بعضهن على بعض قلن : ما جعل الله هذا العبد الأسود أولى بهذا الخبير منا ،  
قال : فنسكنن نسكاً لم يكن فى بنى إسرائيل أفضل منهن .

عبد الله بن دينار ، قال : قدّم لقمان من سفرى ، فاستقبله غلام له فى الطريق ،  
فقال له لقمان : ما فعل أبى ؟ قال : مات ، قال : الحمد لله ملكت أمرى ، قال :  
ما فعلت أمى ؟ قال : ماتت ، قال : الحمد لله ، ذهب همى . قال : ما فعلت امرأتى ؟  
قال : ماتت ، قال : الحمد لله جدّد فراشى ، قال : ما فعلت ابنتى ؟ قال : ماتت ،  
قال : الحمد لله سترت عورتى ، قال : ما فعل ابنى ؟ قال : مات ، قال : إنّا لله  
وإنّا إليه راجعون ، انتطع ظهري !

وقيل له : ما أقبح وجهك ! قال : أتعيب على هذا النقش أم على النقاش !  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سادة السودان أربعة : لقمان والنجاشي  
وبلال ومهجع » .

وتمَّ لقمان آخر وهو لقمان بن عاد ، وهو تذكرة العرب في أخبارها ،  
وكان أيضاً حكيماً ، وكانت له أخت محمّدة فقالت لامرأته : هذه ليلة طهوري ،  
فهي لي ليلتك ، طمعاً في أن تعلق من أخيها ينجيب ، ففعلت فولدت لقسيم بن  
لقمان ، وفيه يقول النمر بن تولب :

لُقْسَيْمُ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنَ أُخْتِهِ وَإِبْنَمَا (١)  
وقال المسيب يذكره :

أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا وَتَوَاجَهُوا كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ  
وَلَأَنْتَ أَبِينِ حِينَ تَنْطِقُ مِنْ لُقْمَانَ لَمَّا عَى بِالْفَكْرِ  
وقالت بنت عثمان بن وثيمة ترضى أباه :

الْوَاهِبُ الْمَائَةِ التَّلَا دَلْنَا وَيَكْفِينَا الْعَظِيمَةَ  
وَالدَّافِعُ الْخِصْمِ الْأَلَدَّ إِذَا تَفَوَّضَ فِي الْخِصْمِ  
بِلِسَانِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ وَفَصَّلَ خُطْبَتَهُ الْحَكِيمَةَ  
أَجْلَسْتُهُمْ بَعْدَ التَّجَا ذُبَّ وَالتَّدَافِعِ فِي الْحُكُومَةِ

\* \* \*

قوله الملاحم : مواضع الحروب التي تلتجِم فيها الجموع ، وتختلط عند القتال  
وتسمّى أخبار الوقائع والحروب ملاحِم . جيلك : أهل عصرك . الأوان :  
الحين والعصر . يميح : يعطى معروفاً ؛ ويحتمل أن يريد يسقيك ماء ، والمأمخ :  
النازل في قعر البئر ، يخرج ماءها ، وقد ماح الماء ، إذا استقاه . صيغ : صنغ -  
يُحْيِزُ : يُعْطَى الجائزة . يُغِيثُ : يتكرّم ويجود ، وهو من الفيث . يميح :

(١) اللسان ( لقم ) من غير نسبة .

يُعْطَى الميرة . والميرة : الطعام المجلوب . والرَّبْعُ : المنزل . الجديب : الذي لا يُمْطِر . ديمة : مَطَرٌ دَائِمٌ . دانته : قاربتَه . يعصده : يقويه . نَسَبٌ : مال . نَصَبٌ : تعب . حِزْبُهُ : أهله . والحَصَبُ : هو الحطب الملقى في النار ، وكل ما تطعمه النار فهو حَصَبٌ ، وهو من حَصَبْتُهُ بالحِصْبَاءِ ، أى رميته بها . انْسَدَرَ : جرى وانصبَّ في جريه ، وانسدر البازي ، إذا انحطَّ . يَعْدُو : يسرع . يحدو : يتابع الجرمي ، وكل شيء اتبعته فقد حدَّوْتَه .

\* \* \*

فقال لى أبو زيد : أَعْلَمْتِ أَنَّ الْأَدبَ قَدْ بَارَ ، وولت أنصاره الأذبار ؛ فبوت له بِحُسْنِ البصيرة ، وسامت بِحُكْمِ الضرورة . فقال : دَعْنَا الْآنَ مِنَ المِصَاعِ ، وَخُضْ فِي حَدِيثِ القِصَاعِ ، واعلم أَنَّ الْأَسْجَاعَ ، لَا تُشْبِعُ مَنْ جَاعَ ؛ فما التدير فيما يَمْسِكُ الرَّمَقَ ، وَيُطْفِئُ الحُرْقَ ؟ فقلت : الأمرُ إليك ، والزَّمامُ بيدَيْكَ ، فقال : أَرَى أَنْ ترهنَ سَيْفَكَ ، لِتُشْبِعَ جوفَكَ وَصَيْفَكَ ، فناولنيه وأقيم ، لأنقلب إليك بما تلتقيم .

فأحسنت به الظنَّ ، وقلدته السَّيْفَ والرَّهْنَ ، فابث أن ركب التافة ، ورفض الصَّدَقَ والصَّدَاقَةَ ؛ فكنت مَلِيًّا أترقبه ، ثم نهضت أتعقبه ؛ فكنت كمن صَبَّعَ اللَّبَنَ فِي الصَّيْفِ ، ولم ألقه ولا السَّيْفَ .

\* \* \*

بَارَ : هَلَكَ ، ومنه بَارَ الطَّعَامُ ؛ إذا كسد ، وفي الحديث : « نعوذ بالله من بَوْرِ الأيِّمِ » أى من كسادها . وقال الله تعالى : ﴿ تَرَجُّونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ (١) أى لن

(١) سورة ناطر ٢٩

تَكَسَدَ ، وقال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ أى هالكين . قال الفراء :  
البُور يكون للمذكر والمؤنث والائنين والجمع بلفظ واحد . أبو عبيدة رحمه الله :  
هو جمع بائر كعائذ وعوذ ، ويدل على صحة قول الفراء قول ابن الزبير :  
يا رسول الملوك إنَّ لساني رائق ما فتئتُ إذا نابور<sup>(١)</sup>

بؤت : رجعت . البصيرة : اليقين والاعتماد الصحيح . المصاع : مراجعة  
الكلام . والمصاع فى الأصل : القتال والدِّفاع وكل ما عانته بشدة وجد قد  
ماصعته . القِصاع فى الأصل : صحاف الطعام . الأسجاع : الكلام المفقّر . الرَّمق :  
بقية النفس . والحرق : جمع حُرقة ، وأراد بطفء الحرق تسكين ألم الجوع .  
ما لبث : ما أقام ولا استقر . رَفَضَ : ترك . الصّدق : قول الحق ، والصدّاقة :  
الضحبة . مكثت ملياً : أمت زماناً . أترقبه : أنتظر مجيئه . أتقبه : أمشى  
فى أثره وأطلبه .

[ أصل المثل : الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ ]

وضيَّع اللبن فى الصيف ، مثل يضرب لكل من ضيَّع أمره ، ثم تعرّض  
لاستدراكه بعد فوته ، قاله عمرو بن عُدس التميمي ، وكان تزوّج دَخْتَنُوس  
بنت لقيط بن زُرارة - وكان شيخاً مُسِنَّاً ذا مال كثير - فأبغضته بسبب كِبَره  
وسألته طلاقها ، فطلقها وتزوّجها عمير بن مَعْبُد بن زُرارة - وكان شاباً معدماً -  
فبينما هو معها جالس إذ مرّت بهما إبل عمرو بن عمرو بن عُدس كالليل  
لكثرتها ، فقال لها عمير : ابعثى إلى عمرو يعطيك لبناً أو حلوبة ، فأرسلت إليه  
رسولاً بذلك ، فقال لرسولها قل لها : الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ<sup>(٢)</sup> ، فلما بلغها ذلك  
ضربت على كتف ابن عمها ، وقالت : هذا ومدقه خير ، فيريد أنه طلقها فى  
الصَّيْفِ فضاع لبنها فى ذلك الوقت . وقال فى الدرة : خصَّ الصَّيْفِ بالذِّكر  
لأنها كانت سأله الطلاق فيه ، فكأنها يومئذ ضيَّعت اللبن . والله تعالى أعلم .

(١) طبقات الشعراء ٢٠٢

(٢) جبهة الامثال ١ : ٥٧٥



## المفامه الرابعه والأربعون وتعرف بالشتويه

حكى الحارث بن همام قال : عَشَوْتُ فِي لَيْلَةٍ دَاجِيَةِ الظُّلْمِ ،  
فَاحِجَةِ اللَّمَمِ ، إِلَى نَارٍ تُضْرَمُ عَلَى عِلْمٍ ، وَتُخْبِرُ عَنِ كَرَمٍ ، وَكَانَتْ لَيْسَلَةً  
جَوْهَا مَقْرُورٌ ، وَجَنِيهَا مَزْرُورٌ ، وَبَجْمُهَا مَغْمُومٌ ، وَغَيْمُهَا مَرَكُومٌ ،  
وَأَنَافِيهَا أَضْرَدٌ مِنْ عَيْنِ الحِرْبَاءِ ، وَالعَنْزِ الحِرْبَاءِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْصُ عُنْسِي ،  
وَأَقُولُ : طُوبَى لَكَ وَلِنَفْسِي ، إِلَى أَنْ تَبْصُرَ المَوْقِدَ آلِي ، وَتَبَيَّنَ إِزْقَالِي ،  
فَاتَّحَدَرَ يَعْدُو الجَمْزَى ، وَيُنْشِدُ مَرْتَجِزًا !

\* \* \*

دَاجِيَةٌ وَفَاحِيَةٌ : شَدِيدَةُ السَّوَادِ . وَاللَّمَمُ : جَمْعُ لَيْلَةٍ ، وَرَبِّ مُجْمَعِ الشَّعْرِ الَّتِي  
أَلَمَّتْ بِالنَّكَبِ ، أَيْ قَارِبَتِهِ . وَجَعَلَ لِللَّيْلَةِ لَيْلَةً مُجَازًا ، وَهُوَ يَرِيدُ شِدَّةَ سَوَادِهَا .  
تُضْرَمُ : تُوقَدُ . عِلْمٌ : جَبَلٌ . جَوْهَا : نَاحِيَةُ سَمَائِهَا . مَقْرُورٌ : بَارِدٌ ، وَأَرَادَ  
أَنْ مَا يَجِيءُ مِنْ جَوْهَا مِنَ الرِّيحِ وَالهُوَاءِ بَارِدًا جَدًّا . سَمْرُورٌ : مَشْدُودٌ بِالْأَزْرَارِ ،  
وَهِيَ أَطْوَاقُ الثِّيَابِ ، وَهَذَا يَكُونُ فِي طَوِّقِ الصَّغِيرِ يُشَقُّ فِي صَدْرِ الثَّوْبِ عِوَضًا  
عَنِ الجَنِيْبِ ، وَيُتْرَكُ مِنَ الطَّوِّقِ طَرَفَانِ عَلَى ذَلِكَ الشَّقِّ ، فَإِذَا لَبَسَ الثَّوْبَ شَدَّةَ  
الطَّرَفَيْنِ ، فَيُقَالُ عِنْدَ ذَلِكَ : قَدِ زَرَّتْ الثَّوْبَ ، يَرِيدُ أَنْ السَّحَابُ قَدِ تَكَاثَفَ  
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَلَا تَبْصُرُ العَيْنُ فِيهَا لِشِدَّةِ ظِلَامِهَا ، لِأَنَّ الثَّوْبَ إِذَا شَدَّدَتْ  
أَزْرَارَهُ ، لَمْ يَجِدْ رَأْسُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ ، فَلَمَّا جَعَلَ لِللَّيْلَةِ ثَوْبًا مِنَ الظُّلَامِ  
وَالسَّحَابِ جَعَلَهُ مَرَبُوطًا مَشْدُودًا مَغْمُومًا مُسْتَوْرًا . غَيْمُهَا : سَحَابُهَا . مَرَكُومٌ ،  
أَيْ مَتْرَاكِبٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . أَنْصُ عُنْسِي ، أَيْ أَجْهَدُ نَاقِيًا وَأَتَعِبُهَا ، وَالنَّصَّ  
رَفَعَ السَّيْرَ ، وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : مَا كُنْتُ قَائِلَةً لَوْ أَنَّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصّة قلوّصاً من منهل  
إلى آخر ، ومنه نصّ الحديث إلى فلان ، أى رفعه إلى شخص . وإرقالى :  
سُرْعَى . يعدو : يُسْرِع . الجزى : عدو شديد .

\* \* \*

حُمَيْتَ من خَابَط ليل سَارِي      هَدَاه بل أهداه ضوء النَّارِ  
إلى رحيبِ البَاعِ رَحْبِ الدارِ      مُرَحَّبٍ بالطَّارِقِ المُمْتَارِ  
تَرَحَّبَ جَعَد الكفِّ بالدِّينَارِ      ليس بجزورٍ عَن الزُّوَارِ  
ولا يَمْتَنِمُ القِرَى مِنخَارِ      إذا اقشَعَرَّتْ تَرَبُّ الأَقْطَارِ  
وضنّتِ الأنواءِ بالأَمْطَارِ      فهو على بُؤسِ الزَّمانِ الضَّارِ  
جَمُّ الرَّمَادِ مُرَهَفُ الشَّفَارِ      لم يَخْلُ في ليلٍ ولا نَهَارِ

\* من نِحْرٍ وَارٍ واقتِداحِ وَارِي \*  
\* \* \*

قوله : سَارِي ، أى آتٍ بالليل . والخَابِطُ : الماشى على غير عِلْمٍ بالطريق .  
هداه ، من الهداية . وأهداه ، من الهدية . رحيب الباع : كثير البرّ . واسع  
العطاء : واسع البرّ . والرَّحْبُ : المتسع . مَرَحَّبٌ ؛ يقول : مرحباً بك . والطَّارِقُ :  
الآتِي بالليل . المُمْتَارُ : طالب الميرة ، وهى الطعام يُجَلَّبُ من بلد إلى بلد . جَعَدُ  
الكفِّ ، هو البخيل أى يرحَّبُ بالضيف كما يرحَّبُ البخيل بالدِّينارِ إذا وقع  
في كَفِّهِ .

نظر أعرابيٌّ إلى درهمٍ في يد رجل ، وأدام النَّظَرَ إليه ، فقال له الرجل :  
لو كان لك ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أنظر إليه نظرة ثم تكون آخر  
عهده باليد .

وكان بعضُ البخلاء إذا وقع الدرهم في يده يخاطبه ويقول له : أنت عَقْلِي  
 وديني وصلاتي وصيامي وجامع شملي وقرّة عيني وأنسى ، وقوتي وعُدّتي وعمادي  
 ثم يقول له :

أهلاً وسهلاً بك من زائرٍ كنتُ إلى وجهك مشتاقاً

ثم يقول : يا نورَ عيني وحيبَ قلبي ، قد صرتَ إلى من يصونك ، ويعرف  
 قدرك ، ويُعظّمُ حقّك ، ويرعى قيمتك ، ويشفق عليك ، وكيف لا تكون  
 كذلك وأنت تعظّمُ الأقدار وتعمُرُ الدّيار ، وتفتَضُ بك الأَبكار ، وتسمو  
 على الأشراف ، وترفع الذكر ، وتُعَلِّي القَدْر ، وتونس من الوحشة ، ثم يطرحه  
 في الكيس ، ويقول :

بنفسى محبوبٌ عن العين شخصه      ومَنْ ليس يخلو من لساني ولا قلبي  
 ومَنْ ذكره حظي من الناس كلهم      وأوّلُ حظي منه في البعد والقربِ

مُزَوَّرٌ : منقبض . معتام : مؤخر مبطن . والقري : طعام الضيف ،  
 معناه أنه لا يؤخر طعامه ، ويقال : أعمّ يابله إذا أخر حلبها ، ومنه العتمة  
 لتأخر وقتها . متخار : كثير التأخر . اقصرت : انقبضت من شدّة البرد .  
 تُرَب : جمع تُرْبَة وهي وجه الأرض . والأقطار : البلاد والنواحي . ضنّت  
 الأنواء : بخلت النجوم ، وكانوا يستمطرون بها . بؤس : شدّة . الضّاري :  
 المعتاد ، أي الذي عادته ألا يكون فيه غير بؤس . جمّ : كثير ، وإذا كثرت  
 الرماد كان عن كثرة النار ، وكثرة ما يطبخ عليها . مُرَهَف : قاطع . اقتداح :  
 ضرب بالزند . وارٍ : بعير سمين ، وورِيّ المتخّ : اكتنز فهو وارٍ ، وورِيّ الزند  
 فهو وارٍ ، أي مبدٍ للنار .

\* \* \*

ثُمَّ تَلَقَّانِي بِحَيَّا حَيِّي ، وَصَاحِنِي بِرَاحَةِ أُرَيْحِي ، وَاقْتَادَنِي إِلَى  
بَيْتِ عِشَارِهِ تَحُورٌ ، وَأَعْشَارُهُ تَقُورٌ ، وَوَلَائِدُهُ تَمُورٌ ، وَمَوَائِدُهُ تَدُورٌ ،  
وَبَأْكَسَارِهِ أَضْيَافٌ قَدْ جَلَبَهُمْ جَالِي ، وَقُدُّبُوا فِي قَالِي ، وَهُمْ يَجْتَنُونَ  
فَاكْهَةَ الشِّتَاءِ ، وَيَمْرَحُونَ مَرَحَ ذِي الْفَتَاءِ ، فَأَخَذْتُ مَا خَذَهُمْ فِي  
الْإِضْطِلَاءِ ، وَوَجَدْتُ بِهِمْ وَجَدَ الثَّمَلِ بِالطَّلَاءِ .

\* \* \*

مُحْيَاً : وَجْه . صَاحِنِي : وَاجِهْنِي وَقَابِلْنِي . بَرَاةٌ : بَكَفٌ . أُرَيْحِي : كَرِيمٌ  
يَهْتَزُّ لِلْكَرْمِ . اقْتَادَنِي : سَاقَنِي . وَوَلَائِدُهُ : خَدَمُهُ . تَمُورٌ : تَسِيرُ وَتَخْتَلِفُ .  
بِالطَّعَامِ مَوَائِدُهُ : جَمْعُ مَائِدَةٍ .

أَبُو عَبِيدٍ : سُمِّيَتْ مَائِدَةٌ لِأَنَّهَا مِيدَ بِهَا صَاحِبُهَا ، أَيْ أُعْطِيَهَا وَتُقْضَى عَلَيْهِ  
بِهَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : مَادَنِي فَلَانٌ يَمِيدُنِي ، إِذَا أَحْسَنَ إِلَيَّ ، فَكَأَنَّ الْمَائِدَةَ تَمِيدُ  
مِنْ حَوَالِيهَا مِمَّا أَحْضَرَ عَلَيْهَا ، قَالَ رُوَيْبَةُ :

\* إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَتَادُ \* (١)

أَيُّ الْمُسْتَعْطَى غَيْرَهُ ، سُمِّيَتْ مَائِدَةٌ لِأَنَّهَا تَمِيدُ بِهَا عَلَيْهَا ، أَيْ تَتَحَرَّكُ ، وَمَادُ  
الْفَصْنُ يَمِيدُ : مَالٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ رَوَاسِيًّ أَنْ تَمِيدَ ﴾ .  
الْجُرْمِيُّ يَقَالُ : مَائِدَةٌ وَمِيدَةٌ وَأَنْشَدَ :

وَمِيدَةٌ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ تُصْنَعُ لِلْإِخْوَانِ وَالْجِيرَانِ

وَذَكَرَ الْقَوْلِينَ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي دَرَةِ الْفَوَاصِ (٢) وَزَادَ أَنَّهُ لَا يَقَالُ لَهَا مَائِدَةٌ  
إِلَّا أَنْ يُحْضَرَ عَلَيْهَا طَعَامٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ خِيَانٌ ، وَاسْتَدَلَّ بِأَنَّ الْخَوَارِئِينَ لَمَّا اقْتَرَحُوا

(١) ديوانه ٢٠

(٢) درة الفواص ١٠

على عيسى عليه السلام أن يُنزل عليهم مائدة، قالوا نريد أن نأكل منها .  
قال : وحكى الأصمعيّ قال : غدوت ذات يوم إلى زيارة صديق لي ، فلقيني  
أبو عمرو بن العلاء فقال لي : إلى أين يا أصمعيّ ؟ فقلت : إلى صديق لي ،  
فقال : إن كان لفائدة أو لعائدة أو لمائدة ، وإلا فلا ، وهذا باب يتسع كثيراً ،  
وسأسوق جملة تأتي على أكثره .

### [ فصل فيما قيل في الكرم وإيقاد النار للضيف ]

وهذه الحالة التي وصف من إيقاد النار هي التي كان يفعل حاتم . وكان إذا  
اشتدّ البرد وكبّ الشتاء أمر غلامه ، فأوقد ناراً في يفاعٍ من الأرض ، لينظر  
إليها من أضلّ الطريق ليلاً فيهدى إليها ، وقال في ذلك :

أوقد فإن الليل ليلٌ قرٌ      والريحُ يا موقدُ ريحٌ صيرٌ<sup>(١)</sup>  
علّ يَرَى ناركَ من يمرُّ      إن جلبت ضيفاً فأنت حرٌ

ولابن هرمة في هذا أشعار مستحسنة منها :

أغشى الطريق بقبتي ورواقها      وأحلّ في قللِ الرُّبَا وأقيم<sup>(٢)</sup>  
إن امرأ جعلَ الطريقَ لبيته      طنباً وأنكرَ حقّه للثيم

وقال مهيار :

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم      يتقارعون على قري الضيفان<sup>(٣)</sup>  
ويكاد موقدها يجود بنفسه      - حُبّ القرى - حطباً على النيران

(١) ديوانه ٦٠

(٢) ديوانه ١٩٤

(٣) ديوانه ٥١ : ٢

ولا بن هرمة أيضاً :

ومستنجح تستكشط الرِّيح ثوبه  
عوى في سواد الليل بعد اغتساقه  
فجاوبه مُسْتَسْمِع الصَّوْتِ لِلْقَرَى  
يكاد إذا ما أبصر الضَّيْفَ مَقْبِلاً  
ليسقط عنه وهو بالرَّمْلِ مُعْصِمٌ (١)  
لِيَنْبِحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَنْزَعَ نُومٌ  
له عند إتيان المَلِيّنِ مَطْعَمٌ  
يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

وقال بعض المحدثين :

ويدلّ ضيفي في الظلام على القرى  
حتى إذا واجهته ولقيته  
وتكاد من عرفان ما عودته  
من ذلك أن يفصحن بالترحاب  
إشراق ناري أو نباح كلابي  
حيثه ببصائص الأذنان

ولا بن هرمة في ذلك أيضاً :

كيف احتيالي لبسط الضيف من حصري  
عند الطعام فقد ضاقت به حيلي (٢)  
أخاف ترداد قولي : « كل » فأقطعه  
والسكت ينزله مني على البخل

وقال حاتم :

سلي الطارق المتار يا أم مالك  
أيسفر وجهي إنه أول القرى  
إذا ما اعتراني بين قدري ومجزري (٣)  
وأبداً معروفى له دون منكري

(١) ديوانه ٤٩

(٢) ديوانه ١٨٢

(٣) الغمر لعروة بن الورد ، ديوانه ٩٩

وقال أيضاً :

أما والذي لا يعرف السرَّ غيره  
ويحي العظام البيض وهي رميم<sup>(١)</sup>  
لقد كنت أختار القرى طوى الحشى  
محافظة من أن يقال لئيم  
وإني لأستحي يميني وبينها  
وبين ففي داجي الظلام بهم

وقال أيضاً :

أكف يدي من أن تنال التيامها  
أكف صحابي حين حاجتنا مع<sup>(٢)</sup>  
أيت هضم الكشح مضطرم الحشى  
من الجوع أخشى الدم أن أتضلعاً  
وإني لأستحي رفيقي أن يرى  
مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً  
وإنك إن أعطيت بطنك سؤله  
وفرجك نالاً منتهى الدم أجمعاً

وقال أبو زياد الأعرابي :

له نارٌ تُشَبُّ على يفاع  
إذا النيران ألْبَسَتِ التِنَاعَا  
فلم يكُ أكثرَ الفتیانِ مالا  
ولكن كان أرحبهم ذِراعَا

وقال آخر :

لعلَّ عاراً إذا ضيفُ  
تأوَّبني  
ما كان عندى إذا أعطيت مجهودى  
جهد المقل إذا أعطاك نائله  
ومكثُ في الغنى سيان في الجود

وقال آخر :

تركت ضاني تود الذئب راعيها  
وأنها لا تراني آخر الأبد

(١) ديوانه ٨٧

(٢) ديوانه ٦٩

الذئب يطرقُها في الدهر واحدة  
وقال آخر :

وسَّعَ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَّحْمِ تَقْسِيمَهُ  
وسَّعَ بِهِ وَتَلَّقَتْ نَحْوَ حَاضِرِهِ  
وقال الغنوى :

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتِ بَيْتُهُ  
أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقِرَى  
وقال آخر :

وإِنَّا لَمُشَاهُونَ بَيْنَ رَحَائِنَا  
فَدَوِ الْحِمِّ مَنَا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ  
وقال آخر :

سَاقِدِحٌ مِنْ قِدْرِي نَصِيبًا لِحَارَتِي  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُشْرِكْ رَفِيقَكَ فِي الَّذِي  
ولبعض أصحابنا :

وَسَارٍ تَحْتَلِي أَنْجَمَ اللَّيْلِ زِينَةً  
رَفَعَتْ لَهُ نَارِي فَآنَسَ ضَوْؤُهَا  
أَتَانَا فِحْيَانَا فَكَانَ جَوَابُهُ  
وَمَا أَنَا مِنْ سُؤَالِهِ تَمَنَّ الْفَتَى  
فَدَاكَ الَّذِي أُوْدِي بِمَا كَتَسَبَتْ يَدِي

(١) ديوانه الحماسة ١٥٧٧



## [ ما قيل في البخل ]

وقال آخر في ضد ماقلناه :

أراني من بني حكمٍ غريباً      على قترٍ أزرور ولا أزارُ  
أناسٌ يأكلون اللحمِ دوني      ويأتيني المأذِرُ والقتارُ

القتر والقطر : الجانب .

وقال آخر :

مات في عُرْسِ سُلَيْمِا      نَ من الجُوعِ بِجَمَاعَةٍ  
مات أقوامٌ وقومٌ      حملوا فيه القنَاءَةَ  
لم يكن يوجد فيه الخبزُ      إِلَّا بِشَفَاءِهِ

آخر :

وما تُدْسِي الأيَامَ لا أنسَ جوعنا      بدارِ بَنِي بَدْرِ وطولِ التَّلَادِ  
ظللنا كأننا بينهم أهلٌ ماتمٍ      على مَيِّتِ مستودعِ بطنِ مَلْحَدِ  
يحدثُ بعضٌ بعضنا عن مصابه      ويأمرُ بعضٌ بعضنا بالتَّجَلِّدِ

وفي هذا طرف من قول الآخر :

إذا ما عراكمُ حادثٌ فتحدّثوا      فإنَّ حديثَ القومِ يُنْسِي المَصَائِبِ  
وأهلُ الحُزْنِ يستعملون الحديثَ      اشتغالاً عن المصيبة .

وقال بشار :

أبناء عمرو ولقي خفضٍ وفي دعةٍ      وفي عطاءٍ لعمري غيرِ مَمْنُوعِ  
وضيف عمرو وعمرو ساهمانِ معاً      عمرو لبطنته والضيفُ لِلْجُوعِ

آخر :

ما كنت أحسب أن الخبزَ فأكهة      حتى نزلتُ على قومِ بَيْسَانَ

( م ١٠ - شرح مقامات الحريري - ج ٥ )

قوم إذا حلَّ ضيفٌ بين أظهرهم لم يُنزِلُوهُ ودلُّوه على الخمانِ  
آخر:

والناس في فِطْرٍ سوى شهرهم ودهر أضيافك شهر الصيام  
آخر:

كتبت له صيفا فظنَّ بأنِّي كتبت له ضيفا فقام إلى السيف  
فقلتُ خيراً فظنَّ بأنِّي ذكرتُ له خبزاً فمات من الخوف

وإن ابنَ هَرَمَةَ الأُمِّ الناس مع ادِّعائه في شعره الكرم ، قال رجل :  
أتيناها في جماعة من قريش أحببنا أن يتنزه عندنا ، ومشينا بزادٍ كثير ، فخرج  
علينا ، وقال : ما جاء بكم ؟ قلنا : شعرك حيث قلت : إن امرأ جعل الطريق  
لبيته ... ، وقولك أيضاً :

وإذا تنوَّرَ راكبا مستنبحٌ نَبَحَتْ فدلَّته على كلابي<sup>(١)</sup>  
وعوَيْنَ يستعجلنه فلقينه يَصْرِبْنَهُ بِشْرَاسِيفِ الأَذْنَابِ<sup>(٢)</sup>  
وسمعناك تقول :

كم ناقةٍ قد وجأتُ منحَرها بمستهلِّ الشُّبُوبِ أو بجملٍ<sup>(٣)</sup>  
لا أمتِّع العودَ بالفصال ولا أتباع إلا قريبة الأجلِ

فنظر إلينا وقال : ما على وجه الأرض عصبَةٌ أسخفُ عقولاً منكم ،  
أما سمعتم قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ في الشعراء ،  
والله إني لأقول ما لا أفعل ، وأتم تريدون أن أفعل ما أقول ، والله لا أغضب  
ربِّي في رضاكم . فضحكنا منه وأخرجناه معنا يتنزه حتى فَنِيَ الزَّادُ .

(١) ديوانه ٧٣.

(٢) في الديوان : « وفرحن إذ أبصرناه فلقينه »

أتى الحطيئة رجلٌ وهو في غنمه ، وقال : يا صاحبَ الغنم ، سلام عليك ،  
 قرفع الحطيئة العصا ، وقال : إنها مجزأة من سلمٍ ، فقال الرجل : إني ضيف ،  
 قال : للضيفان أعددتُها ، فأعاد السلام ، فقال : إن شئتَ قتُ بها إليك .

ومرّ به ابن حمامة وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلام عليكم ، فقال :  
 قد قلتَ مالا ينكر .

وقال : خرجت من أهلى بغير زاد ، قال : ما ضمنتُ لأهلك قراك ، قال :  
 أفنأذن لي أن آتى ظلَّ بيتك ؟ قال : دونك الجبل بنيء عليك ، قال : أما  
 ابن حمامة ، قال : انصرف وكن ابن أوى طائرٍ شئت . يروى هذا عن  
 أبي الأسود الدؤلى .

ونزل الغضبانُ بن القَبَعْرَى خارج كِرْمان وهي قرية كثيرة الرّمضاء ،  
 فضرب قَبْتَه ، فورد عليه أعرابى من بكر ، فقال : السّلام عليك ، قال : السّلام  
 عليك كثير ، وهي كلمة مقولة ، قال الأعرابى : ما اسمك ؟ قال : آخذ ، قال أو  
 تعطى ؟ قال : ما أحبّ أن يكون لى اسمان ، قال : ومن أين جئت ؟ قال : من  
 الدّلّول ، قال : وأين تريد ؟ قال : أرضنا أمشى فى مناكبها ، قال : ومن عرض  
 اليوم ؟ قال آل فرعون على النّار ، قال : فمن بُشّر ؟ قال : الصّابرون ، قال : فمن  
 عَلب ؟ قال : حزبُ الله قال : أفقرض ؟ قال : إنما تقرض الفأرة ، قال : أفنسمع  
 قال : إنما نسمع القينة ، قال : أتُنشد ؟ قال : إنما تُنشد الضّالة ، قال : أفنقول ؟  
 قال : إنما يقول الأمير ، قال : أتسجّع ؟ قال : إنما تسجع الحمامة ، قال :  
 أفنتطق ؟ قال : كتاب الله ينطق ، قال : إنك لمنسكّر ، قال : إني لمعروف ،  
 قال : ذلك أريد ، قال : وما إرادتك ؟ قال : الدّخول عليك ، قال : وراءك  
 أوسع ، قال : قد أضرتنى الشّمس ، قال : الساعة يأتىك النّوى ، قال : الرّمضاء  
 أحرقت قدمى ، قال : بلّ عليها تبرداً ، قال : قد أوجعتنى الحرّ ، قال : ليس لى

عليه سلطان ، قال : إني لا أريد طعامك ولا شرابك ، قال : أتعرض بهما ؟  
والله لا تذوقهما عندي ، قال : سبحان الله ! قال : قبل كوثيك ، قال : ما أرى  
عندك ؟ قال : هراوة أرزن ، أدق بها رأسك . فتركه وانصرف .

الأصمعيّ: عَدَلْتُ أعرابية أباهَا في إتلاف ماله ، فقالت : يا أبتِ ، حبس المال  
أنفع للعيال من بذل الوجه للسؤال ، وقد أتلفت التلاد ، وبقيت ترقب ما بأيدي  
العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه يُوشك أن يقع فيما يضره ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا ربَّ جودٍ جرَّ فقر امرئٍ      فقام للناس مقامَ الذليلِ<sup>(١)</sup>  
فاشدُّدُ عُرَا مالك واستبقه      فالبخل خيرٌ من سؤال البخيلِ  
وقال بعض البخلاء :

أَعْدَدْتُ للأضياف كلباً ضارياً      عندي وفضل هراوة من أرزنِ  
ومعاذراً كذباً ووجهاً باسراً      وتشكياً عضَّ الزمان الأذنِ  
الأذن : المضيق .

محمد بن الجهم : ودِدْتُ أَنْ عَشْرَةَ من الفقهاء ، وعشرة من الشعراء ،  
وعشرة من الخطباء ، وعشرة من الأدباء ، تواطئوا على ذمي حتى ينتشر ذلك  
عندهم في الآفاق ، فلا يمتدّ إلى أمل أمل ، ولا ينبسطُ نحوى رجاء لراج .

وكان يقول : مَنْ وَهَبَ في عمله فهو مخدوع ، ومن وَهَبَ بعد العزل فهو  
أحمق ، ومن وَهَبَ في جوائز سلطانه ، أو عمل لم يتعب فيه فهو مخذول ،  
ومن وَهَبَ من كسبه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه ، المحتوم على  
سمعه وبصره .

وقال : مَنْعُ الجميع ، أرَضَى للجميع . وهذا كقول الأصمعي ! لو قسمت في

الناس ألف ألف لكان أكثر للأثمي من لو أخذتها منهم ، قالوا : ولم يُرد  
البخل ؛ ولكن إذا تعذر عليه أن يعم فلا يخلص .

وقال آخر : قول « لا » يدفع البلاء وقول « نعم » يزيل النعم .

دعبل كتنا يوماً عند سهل بن هارون وأطلنا الحديث حتى أضرب به الجوع ،  
فدعا بغدائه ، فإذا بصحفة فيها مرقّ ولحم ديك ، قد هَرِم ، لا تحزّ فيه سكين ،  
ولا يؤثر فيه ضرس ، فأخذ قطعة من خبز قلع بها جميع المرق ، ووقد الرأس ،  
فبقي مطرقة ساعة ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميتُ به ،  
قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ، قال : ولم ظننت ذلك ؟ فوالله إنني لأمقت مَنْ  
يرمى برجله فضلاً عن رأسه ، والرأس رئيس الأعضاء وفيه الحواس الخمس ،  
ومنه يصيح الديك ، وفيه عيناه اللتان يُضرب بهما المثل في الصفاء ، فيقال :  
شراب مثل عين الديك ، ودماغه عجيب لوجع السكّاية ، فإن كان بلغ من جهلك  
أنتي لا آكله ، فإن عندنا مَنْ يأكله ، انظر أين هو ؟ قال : والله لا أدري  
أين رميتُ به ، قال : لكني والله أدري ، رميتُ به في بطنك .

ولسهل هذا رسالة مدح فيها البخل وفضله على السخاء ، ليرى في ذلك  
بلاغته ، وأهداها إلى الحسن بن سهل في وزارته للمأمون فوقع عليها : لقد مدحت  
ما ذمّه الله ، وحسنت ما قبح ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك ، وقد جعلنا  
ثوابك عليها قبول ما فضلت فيها ، وتنادب فيها بأدبك . ولم يعطه شيئاً .

وقيل : إن الذي أهدى إليه كتاب ألفه ، مدح فيه البخل ، وذمّ الجود  
فوقع عليه بما تقدم . قال دعبل :

صدّق أليته إن قال مجتهداً      لا والرغيفِ فذاك البرُّ من قسَمِهِ<sup>(١)</sup>  
فإن همت به فافتك بحُبزته      فإن موقعها من لحمه ودمه

(١) ديوانه ١٨٨ ، المعتد ٦ : ١٦٠ ، نهاية الأرب ٣ : ٣٠٦ ، عيون الأخبار ٢ : ٤٤٦

تمد كان يعجبنى لو أن غيرته  
 أبو نواس في البؤبؤ الزنديق :  
 لقيت في آل زياد فتى  
 ينزل للضيف بنياته  
 وإن في النيك مستمتعا  
 آخر :

أما الرغيف لدى الخوا  
 ما إن يُحسّ ولا يمسّ  
 فتراه أخضر يابساً  
 آخر :

أبو نوح دخلت عليه يوماً  
 وقدم بيننا لهما سميناً  
 فلما أن رفعت يدي سقاني  
 فكان كمن سقى الظمان آلاً  
 وقال في أبي نوح أيضاً :

لأبي نوح رغيف  
 فهي تحميه مدى الدهم  
 وله كاتب صدق  
 فسيكفيكم الله  
 أبداً في حجر دابة  
 ر بكم ووقايه  
 خط فيه بعناية  
 إلى آخر الآية

(١) الجرائق : نوع من الخبز .

(٢) المعقد ٦ : ٨

آخر:

استبقي ودأبي القسا  
سيان كسر رغيغه  
فارق بكسر رغيغه  
وتراه من خوف النزو  
تل حين تأكل من طعامه<sup>(١)</sup>  
أو كسر عظم من عظامه  
إن كنت ترغب في كلامه  
ل به يروّع في منامه

آخر:

خان عهدى عمرو وما خنت عهده  
ليس لي مذ حيت ذنب إليه  
غير أنني يوماً تغدّيت عنده  
وجفاني وما تقيرت بعده

آخر:

أبو جعفر رجل عالم  
تخوف تحمة أضيافه  
بما يصلح المعدة الفاسدة  
فعودهم أكلة واحدة

أبو نواس:

فتي لرغيغه قرط وشنف  
ودون رغيغه قلع الثنايا  
وإن كسر الرغيغ بكى عليه  
ولؤلؤتان من خرز وشذر  
وحرب مثل وقعة بوم بدر  
بكا الخنساء إذ فحمت بصخر

آخر:

رغيغ أبي علي حل خوقاً  
إذا كسروا رغيغ أبي علي  
من الأضياف منزلة الشماك  
بكي يبكي بكاء فهو بالك

(١) من أبيات في ميون الاخبار ٢ : ٣٦ ورواية البيت الاول فيه

ارفق بحفص حين تأكل يا معاوي من طعامه

آخر:

إِنَّ هَذَا الْفَتَى يَصُونَ رَغِيفًا      ما إليه لناظرٍ من سبيلِ  
هو في قُفَّتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا      نُفٍ فِي سَلَّتَيْنِ فِي مِندِيلِ  
فِي جِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى      والمفاتيح عند ميكائيلِ  
ابن بسام :

أَنَا نَا بَخْبِزٍ لَهُ يَابِسٍ      كَنَلِ الدَّرَاهِمِ فِي خَلْقَتِهِ  
إِذَا مَا تَنَفَّسْتُ عِنْدَ الْخِوَانِ      تَطَايَرٍ فِي الْبَيْتِ مِنْ خِفَّتِهِ

وقال عباس الخياط :

رَغِيفُهُ التَّجْمُ لِمَنْ رَامَهُ      يُرَى وَلَا يُطْمَعُ فِي لَسِيهِ  
كَأَنَّهُ فِي جَوْفِ مِرَاتِهِ      يَبْدُ وَلَا يُطْمَعُ فِي جَسِيهِ  
وَفَلْسُهُ الْأَمْسُ الَّذِي قَدْ مَضَى      بَلْ أَمْسُهُ أَوْجَدُ مِنْ فَلْسِهِ  
آخر :

رَغِيفٌ فِي الْحِجَالِ عَلَيْهِ قُفْلٌ      وَخَزَانٌ وَأَبْوَابٌ مَنِيَمَةٌ  
رَأَى فِي يَتِيهِ يَوْمًا رَغِيفًا      فَقَالَ لَضِيْفِهِ هَذَا وَدِيعَةٌ  
اعْتَلَّ أَبُو هِقَانَ فِي مَنْزِلِ ابْنِ أَبِي طَاهِرٍ فَأَبْطَثُوا عَلَيْهِ بِالْقَدَاءِ فَقَالَ :

أَنَا فِي مَنْزِلِ خِلٍّ      مَشْفُوقٌ بِي وَرَفِيقِي  
رَجُلٌ أَعْمَرُ مِنْ مَنْزِلِهِ      ظَهَرَ الطَّرِيقِ  
لَيْسَ لِي أَكْلٌ سِوَى لَحْمِي      وَشَرِبْتُ غَيْرُ رَيْقِي  
ولحظة يهجو رجلاً :

لَا تَعْدِلُونِي إِنْ هَجَرْتُ طَعَامَهُ      خَوْقًا عَلَى نَفْسِي مِنَ الْمَأْكُولِ  
فَتَى أَكَلَتْ قَتَلَتَهُ مِنْ بَخْلِهِ      وَمَتَى قَتَلْتَ قَتَلْتَ بِالْمَقْتُولِ



وله أيضاً يذم بخيلاً :

تَبَرَّمَ إِذْ جُنْتُهُ لِّلسَّلَامِ وَأَبْدَى لِي الكُرَّةَ لَمَّا دَخَلْتُ  
قَلْتُ لَهُ : لَا يَرُعُكَ الدُّخُولُ فَوَاللَّهِ مَا جُنْتُ إِلَّا أَكَلْتُ

أين هذا من قول إبراهيم بن العباس الصولي :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاً وَتَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا<sup>(١)</sup>  
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تَسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَدَمَّ دِمَاؤُهَا  
حَمِيٌّ وَقِرَى فَاَلْمُوتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَهْوَنُ خَطْبٍ فِي الْحَقْوِقِ بِنَاؤُهَا<sup>(٢)</sup>

وقوله :

لَا تَلُمِي فَإِنَّ هَمَّكَ أَنْ تُثَرِي وَهَمِّي مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ<sup>(٣)</sup>  
كَيْفَ يَسْتَطِيعُ حِفْظَ مَا جَمَعْتَ كَفَاهُ مَنْ ذَاقَ لَذَّةَ الْإِنْفَاقِ

وقوله :

تَلِجُ الضَّمِيرُ بُيُوتَهُمْ وَتَرَى لَهَا عَنْ جَارِ بَيْتِهِمْ ازْوِرَارَ مَنَاكِبِ<sup>(٤)</sup>  
وَتَرَاهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَشِفَارِهِمْ مُسْتَشْرِفِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبٍ  
حَامِينَ أَوْ قَارِينَ حَيْثُ لَقِيَتَهُمْ نَهَبَ الْعَفَاةِ وَنَهْزَةَ لِلرَّاعِبِ

وجلس هارون بن محمد بن الزيات في مجلس عبد الله بن سليمان ، فجعل هارون يُنشد من شعر أبيه محاسنه ، فقال له ابن برد الخباز : إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم :

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا مَا هَجَّتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا<sup>(٥)</sup>  
يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْرِفُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

(١) ديوانه ١٥٣

(٢) رواية الديوان « وأيسر خطب يوم حق فناوما » .

(٣) ديوانه ١٨٦

(٤) ديوانه ١٢٩

(٥) ديوانه ١٣٣

أو مثل قوله : « تلج الضيوف » البيتين فاذكرة وفاخر به ، وإلا فأقليل  
من الفخار والتناول بما لا طائل فيه ، فنجعل هارون .  
وإبراهيم هذا أشعر الكتاب بلا خلاف .

[ في وصف القدور ]

وذكر الحريري القدور ، ومن وصفها ، فأحسن الفرزدق حين قال :  
وقد علم الجيران أن قدورنا قدورنا ضامن للأرزاق والريح زفوف<sup>(١)</sup>  
تفرغ في شيزي كأن جفانهم حياض الملاء منها ملاء وأصف<sup>(٢)</sup>  
ترى حولن المعتفين كأنهم على صنم في الجاهلية عكف  
وقال أمية بن أبي الصلت :

وكانها بفيائه للضيف مترعة زواخره<sup>(٣)</sup>  
وكانهن بما شحن وما حنين به ضرائر  
زبد وقرقرة كقر قرة الفحول إذا تخاطر

وقال النابغة في مثله :

له بغياء البيت سواداء فحمة<sup>(٤)</sup> تلقم أعضاء الجزور المراعير  
بقية قدر من قدور تورمت لآل جلاح كابرأ بمد كابر  
يطل الإماء يتدرف قديحها كما ابتدرت سعد مياء قراقر  
- قديحها : مرقتها لأنه يقدح ، أي يؤخذ بالمقدحة ، وهي المرفة -

وقال آخر :

وسوداء لا تكسى الرقاع نبيلة لها عند قرات العشيات أزملا

(١) ديوانه ٥٦٠

(٢) الشيزي : قصاع من خشب الجوز .

(٣) ديوانه ١٧٣ ( نشرة الذكور شكري فيصل ) .

(٤) ديوانه .

إِذَا مَا قَرَيْنَاهَا قَرَاهَا تَضَمَّتْ قَرَى مَنْ عَرَانَا أَوْ تَزِيدُ فَتَفْضِلُ  
وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّرَامِيِّ :

كَأَنَّ قُدُورَ قَوْمِي كُلِّ يَوْمٍ قِبَابُ التَّرْكِ مَلْبَسَةُ الْجِلَالِ  
بَأَيْدِيهِمْ مَغَارِفٌ مِنْ حَدِيدٍ أَشْبَهَهَا مَقْبِيرَةَ الدَّوَالِي (١)

الدَّالِيَّةُ : الْخَطَّارَةُ .

وَفِي ضِدِّ ذَلِكَ لِأَبِي نَوَاسٍ :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ تَبَلَّى عَلَى الصَّلَى  
وَقَدَّرَ الرَّقَاشِيِّينَ بِيضَاءَ كَالْبَدْرِ (٢)

يَضِيقُ بِحَيْرُومِ الْبِعُوضَةِ صَدْرُهَا وَيُخْرِجُ مَا فِيهَا عَلَى طَرَفِ الظُّفْرِ  
إِذَا مَا تَنَادَا وَالرَّحِيلِ سَمَى بِهَا أَمَامَهُمُ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

لَوْ أَنَّ قَدِرًا بَكَتْ مِنْ طُولِ مَا جَهَشَتْ

عَلَى الْجَفُوفِ بَكَتِ قَدِرُ بْنُ عَمَّارٍ (٣)

مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مَذْفُضٌ مَعْدِنُهَا وَلَا رَأَتْ بَعْدَ نَارِ الْقَيْنِ مِنْ نَارِ  
وَتَسْمَى النَّارُ فَكَهَةِ الشِّتَاءِ لَمَّا يُجْتَنَى مِنْ تَسْخِينِهَا .

وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ صَارَةَ فِي وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :

هَاتِ الَّتِي لِلْأَيْكِ أَصْلُ وَلَادِهَا وَلَهَا جَبِينُ الشَّمْسِ فِي الْأَشْمَاسِ  
يَتَقَشَّعُ الْيَاقُوتُ مِنْ لَبَاتِهَا يَوْسَاوَسَ تَشْفِي مِنَ الْوَسْوَاسِ

(١) البيت في اللسان (ولا) وقال : الدالية : الناعورة .

(٢) ديوانه ١٧٧

أنسُ الوحيد وصبح عين المجتلي  
 حمراء ترْفُلُ في السواد كأنها  
 ولباس مَنْ أُمسى بغير لباسِ  
 ضَرَبَتْ بعِرْقٍ من بنى العباسِ  
 وقال آخر :

لابتة الزند في الكوانين جمره  
 خَبَرُونِي عنها ولا تكذبوني  
 كالداراري في الليلة الظلماء  
 أديها صناعة الكيمياء  
 سبكت فحمها سبائك تبر  
 كلما ولول النسيم عليها  
 رقصت في غلالة حمراء  
 حاجب الشمس طالعا في العشاء  
 سفرت عن جبينها فأرتنا  
 لو ترانا من حو لها قلت شرب  
 يتعاطون أكوس الصهباء

وقال الفقيه الأديب ابن لبّال رحمه الله :

فم ذكت في حشاه ناراً  
 أو خد من قد هويت لما  
 فقلت مسك وجناراً  
 أظل من فوقه العذار  
 وقال البحرى يصف كانوناً :

وذى أربع لا يطيق النهو  
 تحمله سبجا أسودا  
 ولا يألف السَيْرَ فيمن مَرى<sup>(١)</sup>  
 فيقلبه ذها أحمرأ

\* \* \*

قوله : قلبوا في قالي ، أى هم أمثالى لأن قلب الشيء كل ما يُجمل فيه  
 ليحيى مثله ، وقلّبوا : جُعلوا في القالب . يمرحون : ينشطون ويطنّبون . ذوى  
 الفتاء : أهل الفتوة . والفتاء : الحدائة والشباب ، يقال منه : فتؤ فتأ فتاء ،  
 ويقال أيضاً : بكر فتى بين الفتاء ، وفتى من الناس : بين الفتوة ، والفتى

(١) ملحق ديوانه ٢٥٦٧

والفتية : الشاب والشابة . الاصطلاء : التسخن بالنار . الثمل : السكران .  
والطلاء : الحمر ، وأصل الطلاء الرطب التخين الأسود ، فسميت الحمر الصافية  
طلاءً بضد صفتها ، كما سُمي اللديغ سليماً ، والأسود أبا البيضاء ، والذئب أبا جمدة ،  
وجمدة اسم الشاة .

\* \* \*

ولما أن سرى الحصر ، وأنسرى الحصر ، أتينا بموائد كالهالات  
دوراً ، والروضات توراً ، وقد سُجِنَ بأطعمة الولائم ، ومُحِين من  
العائب واللائم ، فرفضنا ما قيل في البطنة ، ورأينا الإمان فيها  
من الفطنة ، حتى إذا اكتلنا بصاع الحطم ، وأشفينا على خطر الثم ،  
تعاورنا مشوش العمر ، ثم تبوأنا مقاعد السم ، وأخذ كل واحد  
منا يشول بلسانه ، وينشر ما في صوانه ، ما عدا شيخاً مشتهراً فوداه  
مخلوقاً بُرداه ؛ فإنه ربح حجرة ، وأوسعنا هجرة ، فعاظنا بحببه ،  
الملتبس موجه ، المدور فيه مؤننه ، إلا أننا التاله القول ، وخشينا في  
المسألة العول ، وكلما رُمنا أن يفيض كما فضنا ، أو يفيض فيما أفضنا  
أعرض إعراض العلية الأزدين ، وتلا ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ .  
ثم كأن الحمية حاجته ، والنفس الآية ناجته ، فدلف ، وازدلف ، وخلع  
الصلف ، وبدل أن يتلافى ما سلف ، ثم استزعى سمع السامر .  
واندفع كالسيل الهامر وقال :

\* \* \*

مَرَى الحَصْرَ ، أى زال السكوت ، والحَصْرُ : انتطاع الكلام ، وهو العِيّ ، وحَصْرٌ يَحْصِرُ : عَى ، والحصر أيضاً : ضيق الصدر . انسرى الحَصْرُ : ذهب البرد ، والحصر : البارد ، وحصر الرجل : إذا آذاه البرد وآلمه فى أطرافه . والروضات نورا ، أى هى فاعمة بكثرة الطعام وأنواع الألوان . سُحِنَ : ملئن . الولايم : الأعراس . مُحِينٌ : مُنِعِنٌ . العائب : الذى يعيب الطعام . واللائم : الذى يقف على رموس أضيافه ، فيقول : ما أكلتم ، استعملوا ، زد يا فلان ، فينجل أضيافه لذلك ، فلا يتمكنون من الطعام . رفضنا : تركنا .

### [ مما قيل فى البطننة ]

البطننة : الامتلاء من الطعام ، والذى قيل فى البطننة : البطننة تُذهب الفطنة ، فقال تركنا هذا المعنى وخالفناه ، ورأينا أن البطننة وهى امتلاء البطن من الطعام والإمعان فيه ، أى المبالغة فى الأكل يقوى الفطنة ، ويولدها لا أنه يُذهبها . والفطنة : الذكاء وحدة الذهن .

معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أحلّ الله حلالاً أبغض إليه من بطنٍ مليء طعاماً ، ققصروا من الطعام تملثوا من الحكمة » .

المتدام بن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكالات يُقمن صُلبه ، فإن كان لا محالة ، فثأث لطعامه ، وثأث لشرابه ، وثأث لنفسه » .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يأبىها الناس ، إياكم والبطننة ، فإنها مكسلة عن الصلاة ، مفسدة للجسد ، مورثة للسقم .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : إياكم والبطننة فإنها مفسدة للقلب الأصمى قال أعرابى : إذا كنت بطيئاً فعد نفسك زميماً .

وقال الحارث بن كلدة : أربعة أشياء يهزمن البدن : الغشيان على البطنة ، ودخول الحُمَّام على الامتلاء ، وأكل القديد ، ومجامعة العجوز .

وقال الأصمعي : كنت عند هارون الرشيد فقدمت إليه فالوذجة فقال : يا أصمعي ، حدثني بحديث مزرد أخى الشماخ ، قلت : إن مزرداً كان رجلاً جسيماً ، وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد ، وكان يُحفظه ذلك منها ، فذهبت يوماً في بعض حقوق أهلها ، وخلفته في بيتها ، فدخل خيمتها فأخذ صاعين من دقيق ، وصاعاً من عجوة ، وصاعاً من سمن ، فضرب بعضه ببعض وأكله ثم أنشأ يقول :

وإنما مضت أحمى تزور عيالها      أغرت على المك الذى كان يمنع  
خلطت بصاعى حنطة صاع عجوة      إلى صاع سمن فوقها يترع  
ودليت أمثال الأثافي كأنها      رهوس لعادٍ قطعت لا تجمع  
وقلت لبطنى أبشر اليوم إنه      حمى آمن مما يغير ويفزع  
فإن مصفوراً فهذا داوؤه      وإن كنت غرثاً نأفاً فذا اليوم تشبع

فاستضحك منه حتى أمسك بطنه ، واستلقى على ظهره ، ثم قدم يده بمال ، وقال : خذ ، فهذا يوم تشبع يا أصمعي .

قوله الحُطَم ، أى الذى يحطم ويُسكسر ، ورجل محطم وحطمة ، إذا كان قليل الرحمة للماشية ، وفى المثل : شرُّ الرِّعاء الحُطمة . وقال الزَّاجر :

\* قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ \*

فمعنى اكلتنا بصاع الحُطَم ، أى اكلنا أكل أكل لا يشفق على نفسه من السَّتم . وأشفيينا : أشرفنا . حَطَر : غرر التُّنم : جمع تُحمة بفتح الخاء ، وهو أن يشقل الطعام على المعدة ويتغير ، والعامة تسكن الخاء ، وقد يحىء ذلك فى الشعر قال أعرابي :

وإذا المعدة جاشتَ فارمها بالمنجنيقِ  
 بثلاثٍ من نبيذٍ ليس بالخلو الرقيقِ  
 تهضم التَّخمة هَضْمًا حين تجرى في العروقِ

وتعاورنا الشيء : تداولناه ، وأخذه بعضنا من بعض ، وأزلناه من موضع إلى موضع . وَعَوَّرُ العين : زوالها . وَالْعَمَرُ : ريح اللحم وزهيمه . تَبَوَّأنا : أخذنا ونزلنا . السَّمَرُ : الحديد يُسَمَّرُ عليه . يشول بلسانه ، أى يضرب به في كلِّ كلام ، وشال : رفع . والصَّوان : وعاء يُصان فيه الشيء . فواده : ناحيتا رأسه ، والفؤود : ما بين طرف الجبهة والأذن . مخلولتًا : كثير البلي . بُرِّداه : تَوَّباه . رَبَّضَ : جلس ، وفي المثل : فلان يَرَبِّضُ حَجْرَةً ، ويرتقى وسطًا ، يضرب مثلاً لمن يساعذك ما دمت في خير ، فربض حَجْرَةً ، أى جلس ناحية وبرك . أَوْسَعْنَا : كثر لنا . الهجرة : المباعدة والمقاطعة ، يريد أنه اعتزلهم وجلس ناحية ولم يكلمهم بكلمة . تَجَنَّبَه : تباعده ، يقال : تَجَنَّبْتُكَ وتَجَانَبْتُكَ ، أى تباعدت عنك ، والجار الجُنْبُ : البعيد . وما زاره إلا عن جَنَابَةٍ ، أى عن بعد . التلبَّسَ موجه ، أى الذى التبسَ علينا ما أوجبه . مؤتبه : لأئمه . العول : الزيادة . رُمْنَا : طلبنا . يَفِيضُ كما فِضْنَا : يتكلم كما تكلمنا والفيض زيادة الماء ، ويُفيض فيما أفضنا ، أى يأخذ معنا في النوع الذى أخذنا فيه . أعرض : لوى وجهه . اللَّعْلِيَّةُ : الأشراف . الأردلِين : الأدنياء . أساطير : تأليف وكتب . الحمية : عزة النفس . حاجته : حرَّكته . الأبيَّة : العريضة . نأجته : حَدَّثْتَهُ . دلف : مشى إلينا ، وازدلف : تقرب . خلع : أزال . الصلَفُ : مجاوزة قدر الظرف حتى يفضى به ذلك إلى أن تأخذ به بابًا ما فيخالفك ولا يعبأ بك . يتلاق : يتدارك . سلف : مضى . استرعى : دعاهم الاستماع يقال : أرعيت سمعك أى أسمع منى . الهامر : الكثير الانصباب .

\* \* \*



عندي أعاجيبُ أزوِيها بَلَا كَذِبِ

عن العِيَانِ فكَثُونِي أَبَا الْعَجَبِ

رَأَيْتُ يَا قَوْمِ أَقْوَامًا غِذَاؤُهُمْ بَوْلُ الْعَجُوزِ وَمَا أَغْنَى ابْنَةَ الْعِنَبِ

— بَوْلُ الْعَجُوزِ : لبن البقرة ، والعجوز أيضاً من أسماء الخمر —

وَمُسْتَنَتَيْنِ مِنَ الْأَعْرَابِ قَوْتَهُمْ

أَنْ يَشْتَوُوا خِرْقَةً تُغْنِي مِنَ السَّعْبِ

— الْخِرْقَةُ : القطعة من الجراد —

وَقَادِرِينَ مَتَى مَا سَاءَ صَنَعُهُمْ

أَوْ قَصَّرُوا فِيهِ قَالُوا الذَّنْبُ لِلْحَطَبِ

— الْقَادِر : الطَّائِحُ فِي الْقِدْرِ ، وَالْقَدِير : المطبوخ فيها .

وَكَاتِبِينَ وَمَا خَطَّتْ أَنَامِلُهُمْ حَرْفًا وَلَا قَرَعُوا مَا خُطِّفَ فِي الْكُتُبِ

— الْكَاتِبُونَ الْخُرَّازُونَ ؛ يُقَالُ : كَتَبَ السَّقَاءُ وَالْمَزَادَةُ ؛ إِذَا خَرَزَهَا

وَكَتَبَ الْبَغْلَةُ أَوْ النَّاقَةُ ، إِذَا جَمَعَ بَيْنَ شَفْرِيهَا وَخَاطِطِهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَآكَتْهَا بِأَسْيَارِ

وَتَابِعِينَ عِقَابًا فِي مَسِيرِهِمْ عَلَى تَكْمِيهِمْ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

— الْعِقَابُ : الرَّايَةُ ، وَكَانَتْ رَايَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى الْعِقَابِ .

\* \* \*

العِيَانُ ، أَيْ الْمَشَاهِدَةُ بِالْعَيْنِ . مُسْتَنَتَيْنِ : أَصَابَتْهُمُ السَّنَةُ ، أَيْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ .

يَشْتَوُوا : يَتَخَذُوا شِوَاءَ . السَّعْبُ : الْجُوعُ . تَكْمِيهِمْ : اسْتَرَّهُمْ . الْبَيْضُ :

مَا يَجْعَلُ فِي الرَّيْوسِ فِي الْحَرْبِ .

ومتدين ذوى نُبُلٍ بدت لهمُ نبيلةً فانتنوا منها إلى الهرب  
 — النبيلة: الجيفة، ومنه تَنَبَّلَ الأميرُ؛ إذا مات وأزوح، يعنى تن .  
 وعُصْبَةٌ لم تر البيت العتيق وقد حَجَّتْ جُمِيًّا بلاشكَّ على الرُّكْبِ  
 — معنى حَجَّتْ جُمِيًّا، أى غلبت بالحجة مجادلين جائين على الرُّكْبِ،  
 وجُمِيٌّ: جمع جاثٍ .

ونسوة بعدما أَدْلَجْنَ من حَلَبٍ صَبَّخْنَ كاظمةً من غير ما تمب  
 — كاظمة فى هذا الموضع من كَظَمَ الغيظ —  
 ومُدْلَجِينَ سَرَوْا من أرضِ كاظمةٍ

فأصبحوا حينَ لاح الصُّبْحُ فى حَلَبِ  
 — فى حَلَبِ، أى أصبحوا يَحْلُبُونَ اللبن —

ويافعاً لم يلامس قط غانيةً شاهدته وله نسلٌ من العقب  
 — النَّسْلُ هاهنا: العدو قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ .  
 والعقب: مؤخر القدم .

\* \* \*

منتدين: مجتمعين . انتنوا: رجعوا . والنبيلة: الحاذقة فى فعلها . عُصْبَةٌ:  
 جماعة . أَدْلَجْنَ: سرن بالليل، ومثله سَرَوْا . لاح: ظهر . يافعاً: شاباً .  
 يلامس: يلاعب، ويمسها بيده . غانية: امرأة جميلة غَنِيَتْ بحسبها عن الزينة .  
 صَبَّخْنَ كاظمةً، أى سُقِنَ الصُّبُوحُ كاظمةً غيظها . وصَبَّحَهُ . سقاه صَبُوحًا،  
 وكَظَمَ غيظه: تجرعه، وهو قادر على الإيقاع بعدوه ولم يمضه، وكَظَمَ خصمه:  
 أجابه بالمسكت فأخفه، وأصل الكَظْمُ للبعير، وهو أن يردد جِرتَه فى حلقه  
 ولا يجرها: وكاظمة: موضع على سيف البحر، أى على ساحله على مرحلتين  
 من البصرة، وفيه ركاباً كثيرة، وماؤها شروب .

\* \* \*

وشائبا غَيْرُ مُخْفٍ لِلْمَشِيبِ بَدَا فِي الْبَدْوِ وَهُوَ فِتْنَةُ السَّنِّ لَمْ يَشِبِ  
 — الشائب هاهنا : مازج اللبن ، والمشيب : اللبن المزوج ، ويقال فيه  
 مَشِيبٌ وَمَشُوبٌ .

وَمُرْضَعًا بِلَبَانٍ لَمْ يَفْهَ قَمُهُ رَأَيْتَهُ فِي شَجَارِ يَبْنِ السَّبَبِ  
 — الشَّجَارُ : الحَفَّةُ مَا لَمْ تَكُنْ مُظَلَّلَةً فَإِنْ ظَلَّتْ فَهُوَ الْهُودِجُ . وَالسَّبَبُ  
 هَاهُنَا : الْحَبْلُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ —

وَزَارِعًا ذُرَّةً حَتَّى إِذَا حُصِدَتْ  
 صَارَتْ غَبِيرَاءَ يَهْوَاهَا أَخُو الطَّرَبِ  
 — الْغَبِيرَاءُ : الْمُسْكِرُ الْمَتَّخِذُ مِنَ الذَّرَّةِ وَيُسَمَّى أَيْضًا الشُّكْرَكَ .  
 وَفِي الْحَدِيثِ : « إِيَّاكُمْ وَالْغَبِيرَاءَ فَإِنَّهَا خَمْرُ الْعَالَمِ » .

وَرَاكِبًا وَهُوَ مَغْلُولٌ عَلَى فَرَسٍ قَدْ غُلَّ أَيْضًا وَمَا يَنْفَكُ عَنْ خَبَبِ  
 — الْمَغْلُولُ هَاهُنَا الْمَطْشَانُ ، وَغُلَّ ، أَيْ عَطَشَ .

وَذَا يَدٍ طَلَّقَ يَقْتَادُ رَاحِلَةً  
 مُسْتَعْجِلًا وَهُوَ مَأْسُورٌ أَخُو كَرْبِ  
 — الْمَأْسُورُ : الَّذِي يَجِدُ الْأَسْرَ ، وَهُوَ احْتِبَاسُ الْبَوْلِ .

\* \* \*

الْبَّانُ : ابْنُ الْأَدْمِيَّاتِ . يَفْهَ : يَنْطِقُ . يَهْوَاهَا : يَحِبُّهَا . أَخُو الطَّرَبِ :  
 صَاحِبُهُ لِلْوَلَعِ بِهِ . يَنْفَكُ : يَزُولُ . خَبَبٌ : نَوْعٌ مِنَ السَّيْرِ . طَلَّقَ : سَارَحَ .  
 كَرْبٌ : مَمْ .

\* \* \*

وجالسا ماشياً تهوى مطيته به وما في الذي أوردت من ريب

— الجالس : الآتي نجدأ ، والماشي : الذي كثرت ماشيته ، وعليه فسر بعضهم قوله تعالى : ﴿ أَنْ امشُوا ﴾ ؛ كأنه دعاء عليهم بكثرة الماشية والنماء والبركة

وحائكا أجدم الكفين ذا خرسٍ فإن عجبتم فكم في الخلق من عجب

— الحائك ها هنا : الذي إذا مشى حرك منكبيه وفجج بين ركبتيه .

وذا شطاطٍ كصدور الرُمح قامتُه صادقته يئني يشكو من الحدب

— الحدب : ما ارتفع من الأرض —

وساعياً في مسرات الأنام يري إفراحهم كالظلم والكذب

— إفراحهم : إيقاظهم بالدين ، ومنه قوله عليه السلام : « لا يُترك في

الإسلام مُفْرَحٌ » أي مُثقلٌ من الدين أو يقضى عنه دينه —

ومُغرماً بمناجاة الرجال له وما له في حديث الخلق من أرب

— الخلق ها هنا : الكذب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ

الْأَوَّلِينَ ﴾ —

وذا زمامٍ وقتٍ بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

— الذمام الثاني : جمع ذمة ، وهي البئر القليلة الماء . وعنى بالمذهب المسلك ،

أي ماله آبار قليلة الماء في البدو .

\* \* \*

تهوى : تسقط وتسرع . ريب : شكوك . أجدم : مقطوع . خرس :

بكم . شطاط : طول . مُغرماً : شديد الحب . مناجاة : محادثة . أرب : حاجة .

\* \* \*

وَذَا قُوَى مَا اسْتَبَانَتْ قَطُّ لِيَمْتُهُ وَلِبْنُهُ مُسْتَبِينٌ غَيْرٌ مُحْتَجِبٍ

— اللَّيْنُ : نَحْيِلُ الدَّفْلِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ .

وَسَاجِدًا فَوْقَ فِجْلِ غَيْرِ مَكْتَرٍ بِمَا آتَى بَلَى يَرَاهُ أَفْضَلَ الْقُرْبِ

— الْفِجْلُ : الْحَصِيرُ الْمَتَّخَذُ مِنْ فُجَالِ النَّخْلِ .

وَعَاذِرًا مَنْ ظَلَّ يَنْذِرُهُ مَعَ التَّلَطُّفِ وَالْمَعذُورُ فِي صَحْبٍ

— الْعَاذِرُ : الْخَائِنُ . وَالْمَعذُورُ : الْمَخْتُونُ .

وَبَلَدَةٌ مَا بَهَا مَاءٌ لِمَفْتَرٍ وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَيْهَا جَرِيٌّ مُنْسَرِبٌ

— الْبَلَدَةُ : الْفُرْجَةُ بَيْنَ الْحَاجِبِينَ ، وَتَسْمَى أَيْضًا الْبَلْجَةُ —

وَقَرْيَةٌ دُونَ أَفْوَصِ الْقَطَا سُحْنَتٌ

بَدِيلٌ عَيْشُهُمْ مِنْ خُلْسَةِ السَّلْبِ

— الْقَرْيَةُ : بَيْتُ النَّمْلِ . وَالْبَدِيلُ النَّمْلُ الْكَثِيرُ . وَخُلْسَةُ السَّلْبِ :

لِحَاءُ الشَّجَرِ .

وَكَوْكَبًا يَتَوَارَى عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَرَى فِي أَمْنَعِ الْحُجْبِ

— الْكَوْكَبُ : النَّكَتَةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الْعَيْنِ . وَالْإِنْسَانُ هَاهُنَا :

إِنْسَانُ الْعَيْنِ .

\* \* \*

مَكْتَرٍ : مَنكَسَرٌ مِنَ الْهَمْ . الْقُرْبُ : جَمْعُ قُرْبَةٍ ، وَهِيَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى

اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ . عَاذِرٌ : قَابِلُ الْعَذْرِ . مُؤَلَّمًا : مُوجَعًا . التَّلَطُّفُ :

الرَّفْقُ وَاللَّيْنُ . الصَّخْبُ : الصِّيَاحُ ، وَتَفْسِيرُ ظَاهِرِ الْبَيْتِ أَنْ تَقُولَ : رَأَيْتُ عَاذِرًا

يُوجَعُ الَّذِي يَمْتَدِّرُ لَهُ مَعَ تَلَطُّفِ الْعَاذِرِ لِلْمَعْتَدِرِ وَتَلْيِينِهِ الْقَوْلَ لَهُ ، وَالْمَعْتَدِرُ فِي

صياحٍ من شدة ضَرَرًا لعاذر له ، فتقابل هذه الأضداد ، فإذا فسرتَ بتفسير  
الحريري صحَّ المعنى . ومُنسَرَب : داخل في السَّرَب وهو الحفير في الأرض .  
قرية : مدينة ، وأخوص القطأ : مرقدُها وهي تَفَحَّضُها : برجلينها توسعه . شُحِنَتْ :  
ملئت . والدَّيْلِمُ : أمة من العجم . خُنْسة : سرقة . والسَّلَبُ : المال المسلوب .  
يتوارى : يتغطى ، وقال الحسن بن هانئٌ في صفة الكواكب الذي هو النكتة  
على إنسان العين :

أعورُ المقلَّة من غير عِوَجٍ      لو عداه عَوْرُ العين انْسَمَجَ (١)  
تحسب النكتة في ناظرِه      درَّةٌ بيضاء في فصٍّ مَسْبَجٍ

\* \* \*

ورؤُة قُوِّمَتْ مالا لَهُ خَطَرٌ      ونفسُ صاحبِها بالمالِ لَمْ تَطِيبِ  
— الرؤُة : مقدَّم الأنف —

وصحفةٌ مِنْ نُضارٍ خالصِ شُرَيْتِ      بَعْدَ المِكاسِ بقيراطٍ مِنَ الذَّهَبِ  
— النُّضار هاهنا : شجر النَّبَع ، ومنه قول بعض التابيين : لا بأس أن  
يُسرَب في قدح النضار ؛ عَنَى به هذا .

ومُسْتَجِيشًا بِخُشخاشٍ لِيَدْفَعَ ما      أَظْلَهُ من أَعادِيهِ فلم يَنْجِبِ  
— الخُشخاش : الجماعة عليهم دُرُوع وأسليحة —

وطالما مرَّ بي كلبٌ وفي فيه ثَوْرٌ ،      ولكنَّه ثورٌ بلا ذَنبِ  
— الثَّورُ : القطعة من الأقط ، وهو نوع من الجبن .

(١) ديوانه .

وكم رأى ناظري فيلاً على جملٍ      وقد تورك فوق الرّحلِ والقَتَبِ  
— الفيل : الرّجل الفائت الرأى .

وكم لقيتُ بمرُضِ البيدِ مُشْتَكِيًا      وما اشتكى قَطُّ في جِدِّ ولا تعيبِ  
— المشتكى : المتخذ شكوةً وهى القربة الصغيرة .

\* \* \*

قوله : حَظَرَ ، أى حظ كثير ، والخطير : الرفيع القدر ، نُضار : ذهب  
أحمر . المِكَاس : الماكسة بين المتبايعين ، وهو أن يطلب صاحب السلعة من  
المشترى سَوَمًا ، فلا يزال المشتري يراجعه وينقص له مما طلب شيئاً حتى يتفقا  
على ما يتراضيان عليه . والمستجيش : الجامع للجيش . والخشخاش : بنت معروف ،  
وقال ابن وكيع يصفه :

وخشخاش كأننا منه نفرى      قيصَ زَبْرَجِدٍ عن جسمِ دُرٍّ<sup>(١)</sup>  
كأقداح من البلور صيغت      وأغشية من الدِّياجِ خُضِرِ  
أظله : قَرُب منه ، وكأنه أغشاه ظله . القَتَب : خشب الرّحل ، والرّحل  
برذعة البعير . بمرُضِ البيد : بجانب القفار .

\* \* \*

وكنت أبصرتُ كرازاً لرّاعيةٍ      بالدَّوِّ ينظر من عينين كالشّهْبِ  
— الكراز : كبش يَحْمِل عليه الرّاعى أداته .

وكم رأتُ مقلتي عينين ماؤهما  
يجرى من الغربِ والعينانِ في حَلْبِ  
— الغرب : مجرى الدمع . والعينان : المقلتان .

(١) ديوانه ٦٢ . ونفرى : نقطع .

وصادعاً بالقنا من غير أن علقته كفاء يوماً برمحٍ لا ولم يثب  
— القنا : ارتفاع الأنف وتحذب وسطه ، وصدع به ، أى كشفه .

وكم نزلت بأرضٍ لا تخيل بها  
وبعد يومٍ رأيت البسرة في القلب  
— البسرة : جمع بسرة ، وهو الماء الحديث العهد بالمطر . والقلب :  
جمع قلب —

وكم رأيت بأقطار الفلا طبقا  
يطير في الجو منصبا إلى صباب  
— الطبقة : القطعة من الجراد .

وكم من مشايخ في الدنيا رأيتهم  
مخلدين ، ومن ينجو من العطب  
— المخلد : الذى أبطأ شيبه —

وكم بدا لى وحش يشتكى سغبا  
بمنطق ذلق أمضى من القضب  
— الوحش : الرجل الجائع .

وكم دعاني مستنجج فحادثني  
وما أخل ولا أخلت بالأدب  
— للمستنججى : الجالس على نجوة ، وهر المكان المرتفع .

\* \* \*

كرّاز : إناء . والدوّ : الصحراء ، والغرب : الدلو العظيمة . فى حلب :  
فى سيلان وجري . البسرة : التمر الذى لم يطب . القلب البئر ، والجمع القلب .  
أقطار الفلا : نواحي القفار . والصّبب : الانحدار . العطب : الهلاك . السغب :  
الجوع . ذلق : حاد . أمضى : أقطع . القضب : السيف . أخل : نقص .  
المستنججى : الجالس لقضاء حاجة الإنسان .

\* \* \*



وكم أنختُ قَلْوِصِي تَحْتِ جُنْبُدَةٍ      تُظِلُّ مَا شِئْتَ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عُرْبٍ  
 — الجُنْبُدَةُ: القُبَّةُ . والعُرْبُ : جمع عَرُوبٍ ؛ وهى المتحبة إلى زوجها ،  
 من قوله تعالى : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ .

وكم نظرتُ إِلَى مَنْ سُرَّ سَاعَتُهُ      وَدَمَعُهُ مَسْتَهْلُ الْقَطْرِ كَالشُّحْبِ  
 — سُرٌّ ، أى قطع سَرَرُهُ ، ويسمى ما يبقى بعد القطع الشَّرَّةُ —

وكم رأيتُ قَيْصًا ضَرَّ صَاحِبَهُ      حَتَّى انْتَهَى وَاهَى الْأَعْضَاءَ وَالْعَصَبِ  
 — القَيْصُ : الدَّابَّةُ الكَثِيرَةُ الْقَوَاصِ ، وهو الوئوب والقفز .

وكم إزارٍ لَوَانٍ الدَّهْرَ أَتْلَفَهُ  
 لَجَفَّ لَبْدٌ حَيْثُ السَّيْرِ مُضْطَرِبِ  
 — الإزار : المرأة ، ومنه قول الشاعر :

\* فدى لك من أخى ثقة إزارى \*

هذا وكم من أفانين مُعْجِبَةٍ      عِنْدِي وَمِنْ مَلْحٍ تُلْهِى وَمِنْ تُنْجِبِ  
 فَإِنْ فَطِنْتُمْ لِلْحَنِ الْقَوْلِ بَانَ لَكُمْ      صَدَقِي وَدَلَّكُمْ طَلْعِي عَلَى رُطْبِي  
 وَإِنْ شُدِّهْتُمْ فَإِنَّ الْعَارَ فِيهِ عَلَى      مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْخَشْبِ

\* \* \*

أنختُ : أبركت . قَلْوِصِي : ناقتى الفتية . تظَلُّ : تستر . سُرٌّ : أدخل  
 عليه السرور ، وقد بين هو أنه المقطوع السرة ، وقال فى الدرة فيما يكنى فى  
 الماريض . المَقُولُ : الذى ضُرِبَتْ قَلْتُهُ ، أى أعلاه ، والمركوب : الذى  
 ضُرِبَتْ ركبته ، والمذكور : الذى قُطِعَ ذكوره . والسرور : الذى قُطِعَتْ سرتَه ،  
 قال : ومن الأحاجى بأبيات المعانى :

تَسْرَهُمْ وَإِنْ هُمْ أَقْبَلُوا وَإِنْ أَدْبَرُوا فَهُمْ مِنْ سَبَبِ  
أَي نَظْفَنِهِمْ إِذَا أَقْبَلُوا فِي السَّرَةِ ، وَإِذَا أَدْبَرُوا فِي الشَّبَةِ وَهُوَ الْإِسْتِ .  
وَأُنْشِدُ أَيْضًا :

ذَكَرْتُ أَبَا عَمْرٍو فَسَاتَ مَكَانَهُ فَوَاعْجَبًا هَلْ يَهْلِكُ الْمَرْءُ مِنْ ذَكَرٍ  
وَزُرْتُ عَلِيًّا بِسُدَّةٍ فَرَأَيْتَهُ فَفَارَقَ دُنْيَاهُ وَمَاتَ عَلَى صَبْرٍ

ذَكَرْتُهُ : قَطَعْتُ ذَكَرَهُ ، وَرَأَيْتُهُ : قَطَعْتُ رِثَتَهُ . مُسْتَهْلٌ : سَائِلٌ . الْقَطْرُ :  
مصدر قطر ، إِذَا سَقَطَ ، وَلَا يُقَالُ : اسْتَهْلَ حَتَّى يَكُونَ مَعَ انْصِبَابِهِ صَوْتٌ . وَاهِيٌ :  
ضَعِيفٌ . الْتَعْصَبُ : حَبَالُ الْجَسَدِ . الْإِزَارُ ، هُوَ الْمُنْزَرُ الَّذِي يُجْعَلُ عَوَضًا مِنْ  
السَّرَاوِيلِ . حَيْثُ : مُسْرِعٌ أَرَادَ بِهِ ذَكَرَ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ نِكَاحِهِ الْمَرْأَةَ إِنَّهُ  
مُضْطَرَبٌ سَرِيعُ السَّيْرِ وَالِدْفَعُ فَيَقُولُ : إِنْ الْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ تَبْلُ الذَّكَرَ عِنْدَ  
الْجَمَاعِ لَوْ هَلَكْتَ لَبَقِيَ جَافًا وَأَرَادَ بِاللَّبْدِ مَوْضِعَ اللَّبْدِ وَهُوَ الظَّهْرُ ، الْفَنْجَدِيهِسُ  
يَقُولُ : كَمْ مِنْ امْرَأَةٍ لَوْ مَاتَتْ لَتَرَكَ زَوْجَهَا كَثْرَةَ الْحَرَكَةِ فِي طَلْبِ الْمَعِاشِ مَرْضَاةً  
لَهَا ، وَجَفُوفَ الْعَرَقِ قَدْ يَكُونُ مِنَ السَّكُونِ ، وَالتَّفْسِيرُ الْأَوَّلُ أَبِينٌ ، وَهَذَا  
الثَّانِي يُحْتَمَلُ إِمَّا وَصْفَهُ بِالسَّرْعَةِ وَالِاضْطِرَابِ ، وَهُوَ صِفَةُ فَرَسٍ جَعَلَ لَهُ لَبْدًا  
فَالْفَرْزُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَاتَتْ امْرَأَتُهُ :

وَكَنتِ فَرَيْسَتِي وَغِلَافَ بُضْعِي فَأَمْسَى الْبُضْعُ لَيْسَ لَهُ غِلَافٌ  
وَمِنَ الْفَرْزِ فِيهِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَصَاحِبٍ مَعْجَبٍ فِي طَوْلِ نُحْبَتِهِ لَا يَنْفَعُ الدَّهْرُ إِلَّا وَهُوَ مَحْمُومٌ  
تَأْتِيكَ فِي نَافِضِ الْحَمَى مَنَافِعُهُ وَإِنْ أَفَاقَ يُرَى فِي وَجْهِهِ اللُّومُ

وَقَالَ الْأَقْبِشَرُ : وَكَانَ عَيْنِيًّا ، فَغَالَطَ فِي شَعْرِهِ بِالضَّدِّ :

وَلَقَدْ عَدَوْتُ بِمَشْرِفِي يَا فَوْحُهُ عَسِرَ الْمَكْرَةَ مَاؤُهُ يَتَدَقَّقُ

أرن يسيل من النشاط لعابه ويكاد جلد إهابه يتمزق  
 حتى علوت به مشق تنيية طوراً يفور بها وطوراً يفرق  
 قوله : أفانين ، أى ضروب وأنواع ، والأفانين : الأساليب وهى أجناس  
 الكلام وطرقه ، الأزهرى : أفانين : جمع أفنان : جمع فَنَن ، وهو الفصن  
 والخصلة من الشعر ، وقيل : الأفنونُ الفن ، وهو ضربٌ من الشجر ، والحبال ،  
 والجمع أفانين . مُلح : ما يتكلم به من حلو الكلام والغازيه . تلمهى : تشغل  
 تُحِب : مختارة . لحن القول : معناه ومذهبه ، واللحن التورية ، وهى أن تظهر  
 خلاف ما تضرر . الطلّع : أول ما يخرج من الثمر . والرطّب : الطيب منه .  
 شدّهم : تحيرتم .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : فطفقنا نخبط في تقليب قرينه ، وتأويل  
 معارضة وهو يلهو بنا لهو الخلى بالشجى ، ويقول : لئس بوشك  
 فاذرجى ، إلى أن تعسر التتاج ، واستحکم الارتتاج ؛ فالتينا إليه المقادة ،  
 وخطبنا منه الإفادة ؛ فوقفنا بين المطمع واليأس ، وقال : الإيناس قبل  
 الإبناس ؛ فعلنا أنه ممن يرغب في الشكم ، ويرتشي في الحكم ،  
 وساء أبا مثنوانا أن تعرض للكرم ، أو نخيب بالرغم ؛ فأحضر صاحب  
 المنزل ناقة عيديدية ، وحلة سعيدية ، وقال له : خذها حلالاً ولا ترزأ  
 أضيافى زبالاً ، فقال : أشهد أنها شينشينة أجزمية ، وأزحمة حامية .

\* \* \*

طفقنا : أخذنا نخبط : نتكلم بالزائد والناقص . تأويل : تفسير .  
 معارضة : ما عرض به ولم يتمه . الخلى : الذى لا تم له ، والشجى : الحزين  
 وياء الخلى مشددة وياء الشجى مخففة ، وقد شدّدت ياء الشجى فى الشعر إتباعاً

لياء الخَلْيَ، وقالوا: إني لآتية بالغدايا والعشايا، فحملوا الغدايا على المشايا، وحكى ثعلب في غير الفصيح عن الأصمعيّ تفقيل الياء فيهما، ومَنْ جعل شَجِيّ فِعْلٍ كحذر خَفَّفَ، ومن جملة فِعِيلٍ مثل غنّى شَدَّدَ، وفعل بغير ياء أقيس، والتشديد في المثل أحسنُ للازدواج. تَعَسَّرَ: صَعُبَ. النَّتَاجُ: ما ينتج لهم من المعاني. استحكَمَ: توثق. الارتجاج: الانفلاق، وأرْتَجَ على القاريّ وارتجج، إذا لم يقدر على القراءة كأنه أُطْبِقَ عليه. ويرثي: يأخذ الرُّشوة. وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لعن الله الراشيَ والمرثيَ والرائشَ»، فقيل: وما الرائش؟ قال: الذي يمشي بينهما.

ألقينا إليه المقادة: أي انقدنا له، ورزأتُ الرَّجُلَ أرزوه؛ إذا أصدت منه خيراً، ورزأته ماله: نقصته والزَّبال بالكسر: ماتحمله التَّمَلَّةُ بفيها. والأوريجية: الاهتزاز للجود. ساء: حزن. والرَّغْمُ: الذلة والهوان. شِنْشِنَةُ: طبيعة حامية منسوبة إلى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج أحد بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء.

### [ ذكر حاتم الطائي ]

يكنى أبا سقانة وأبا عدى. فارس شاعر جاهليّ، أحد الأجداد الذين يُضْرَبُ بهم المثل، بل هو أشهر منهم، وهم: كعب بن مامة، وهريم بن سنان، وحاتم، وكان إذا قاتل غلب، وإذا غنم نهب، وإذا سئل وهب، وإذا قامر سبق، وإذا أسر أطلق، وإذا أترى أنفق. ويقال: إنه لا يُعرف ميت قرى أضيافه إلا هو، وذلك أن ركبا من العرب نزلوا بموضع قبره، وقد نفذ زادم، وفيهم رجلٌ يكنى أبا خيرى، فجعل يقول: أبا سقانة، أما تقرى أضيافك أبا سقانة، إن أضيافك جياع، يعيدها، فلما نام نار من نومه، وهو يقول: وارا حلتاه اُعْمَرَت والله ناقتي، فقال له أصحابه: وكيف؟ قال: رأيت أبا سقانة قد انشق عنه قبره، فاستوى قائماً ينشدني:

أبا خيبري لأنت امرؤ ظلوم العشيبة لوامها  
وماذا تريد إلى رمة بدوية صخب هامها  
تبغى أذاها وإسعارها ودونك طي وأنعامها

ثم عمد إلى سيفي ، فانتضاه من غمده ، وعقر ناقتي ، وقال : دونكم  
فما أيقظني إلا رغاؤها ؛ وإذا بالناقة ترغو ما تنبعث ، فقالوا : قد والله قرأك  
حاتم فحروها ، وأكلوا وتزودوا واقتسموا متاع أبي خيبري ، واستبروا  
لوجهتهم ، فلما صاروا في الظهيرة وضح لهم راكب يجنب بعيراً يوم سمتهم ،  
حتى التقوا فقال لهم : أفيكم أبو خيبري ؟ قالوا : نعم ، فقال : فإن عدي  
ابن حاتم رأى أباه البارحة ، وهو يقول : إن أبا خيبري وأصحابه استقروني ،  
فقريتهم ناقته ، فعوضه منها ، وزده بكرأ يحمل عليه متاعه ؛ وهذه الناقة  
وهذا البكر ، فارتحل أبو خيبري الناقة ، وتحف هو وأصحابه من أزوادهم ،  
على البكر ، ومضوا بأنهم قرى .

وأدرك عدى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان يحدث  
أصحابه بهذا الحديث بعد إسلامه وقال الشاعر في عدى :

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل لدن شب حتى مات في الخير راغباً  
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبره قبله الدهر راكباً

وكانت سفانة بنته من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الصرمة  
من إبله فتمبها وتعطيها الناس . فقال لها أبوها : يا بنية إن الغويين إذا اجتمعا  
في المال أتلغاه ، فإما أن أعطي وتمسكي ، وإما أن أمسك وتمطى أنت ؛ فإنه  
لا يبقى على هذا شيء ، فقالت : والله لا أمسك أبداً ، قال : وأنا لا أمسك أبداً  
قلت : فلا تتجاوز ، فقاسمها ماله وتباينا .

وحكى أن أمه كانت من أسخى الناس ، وأقراهم للضيف ؛ وكانت

لا تحبس شيئاً تملكه ، وهي عُتْبَةُ بنتِ عُمَيْفِ بنِ عمرو بن عبد القيس ، فلما رأى إخوتُها إتلافَها ، حجرُوا عليها ومنعوا مالها ؛ حتى إذا ظنوا أنها قد وَجَدَتْ أُمَّ ذلك أعطوها صِرْمَةً من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن تسألها ، فقالت : دونك الصِّرْمَةُ ، نخذيها ، فوالله لقد عَضَّني من الجوع ما لا أُمْنَعُ بعده سائلاً أبداً ، ثم أنشأت تقول :

لَعَمْرِي لَقَدِمَا عَضَّني الجوع عَضَّةً      فآلَيْتُ أَلَا أُمْنَعُ الدَّهْرَ جَانِماً<sup>(١)</sup>  
 فقولا لهذا اللائم : اليوم أعفني      فإن أنت لم تفعل فعض الأصاباً  
 فإذا عسيتم أن تقولوا لأختكم

سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً  
 وهل ما ترون اليوم إلا طبيمة      وكيف بتركي يا بن أم الطَّبائِما  
 قد اكتنفته الجود من أمه وأبيه .

وقالت امرأته النوار : أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبر أفق السماء ، وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة ، فأيقنا بالهلاك ، فوالله إني لفي ليله صَبِيرَةٌ<sup>(٢)</sup> بعيدة الطرفين ، إذ تضاعى صديبتنا جوعاً : عبد الله وعدى وسفانة ، فقام إلى الصبئين وقت إلى الصبية ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل يملئي بالحديث ، فعرفت ما يريد ، فتناومت ، فلما تفورت النجوم إذا شيء قد رقع كسر البيت ، فقال : من هذا ؟ فقالت : جاريتك فلانة أتيتك من عند صبينة يتماوون من الجوع غواء الذئاب ، فما وجدت معولاً إلا عليك أبا عدى ، فقال : أمجليمهم فقد أشبعك الله وإيتاهم ، فأقبلت تحمل اثنين ، ويمشى إلى جانبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رثالها ، فقام إلى فرسه فوجأ لبتها بمدية ،

(١) الخبر والشمر في طبقت الشعراء ٢٤٢

(٢) صبيرة : شديدة البرد .

تفرّجت ، ثم كشط الجلد ، ودفع اليد إلى المرأة وقال شأنك ، فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ، ثم جعل يأتهم بيتاً بيتاً ، ويقول : هُبُوا أيها القوم ، عليكم بالنار ، فاجتمعوا والتفت في ثوبه ناحية ينظر إلينا ، والله إن ذاق منها مُزْعة ، وإنه لأحوجُ إليها منا ، فأصبحنا وما على الأرض منها إلا عظمٌ وحافر ، فأنشأ يقول :

مهلاً نوار أفلَى اللومَ والمذلاً      ولا تقولى لشيء فاتَ ما قَملاً<sup>(١)</sup>  
ولا تقولى لشيء كنتُ مهلكه

مهلاً وإن كنتُ معطى العنسَ والجلاً

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً      إن الجوادَ يَرى في ماله سُبلاً

ولم يكن يمسك شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه ، فإنه كان لا يجود به .

وذكر الحريري أن عُقيلاً تمثل بقول حاتم :

\* شَنِشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أُخْزَمِ \*

وكان عُقيلاً<sup>(٢)</sup> بن عُلفَةَ المريّ غيوراً نفوراً وكانت الخلفاء تُصاهره ، فخطب إليه عبدُ الملك ابنته لبعض ولده ، فقال : أمّا إن كان ولا بدّ ، فجنّبتني هُجْناه ولدك ، وخرج يمتار ومعه ابنه وابنته الجرّباء فنزلوا بالشأم بديرِ سعد ، فلما ارتحلوا قال عُقيلاً :

قضتُ وطراً من دَيْرِ سعدٍ وربّما      على عُرْضِ ناطحنه بالجمّاجم<sup>(٣)</sup>  
ثم قال لابنه أجزيا عمّس ، فقال<sup>(٤)</sup> :

(١) ديوانه ٧٤

(٢) الاغتى ١٢ = ٢٥٦

(٣) دير سعد : موضع بين بلاد غطمان والشام ، ويعدّه في الاغتى :

إذا هبطت أرضاً يموت غرابها      بها عطشاً أعطيتهم بالخرّام

(٤) في الاغتى : « اتفد يا ملقة » .

فأصبحن بالمواة يَحْمِلْنَ فتيمةً نَسَاوَى من الإدلاجِ ميلَ العائمِ (١)  
ثم قال لابنته الجرباء : أجزى ، فقالت (٢) :

كَانَ الكرى أَسْقَاهُمْ صَرَخِديَّةً عُقَاراً تَمَشَّتْ في المطا والقوائِمِ (٣)  
قال لها : وما يدريك ما نعتُ الحجر؟ ثم سلَّ السيف ، فاستغاثت بأخيها  
فاختبل فحذيه بسهم ، فبرك ومضوا وتركوه حتى بلغوا المياه الدانية إليهم ، فقالوا  
لأهل المياه : إنا أسقطنا جزوراً ، فأدركوها فوجدوا عُقِيلاً باركاً ، وهو يقول :  
\* إنَّ بنىَ ضرجونى بالدمِ \* (٤)

\* \* \*

ثمَّ قَابَلْنَا بوجهِ بِشرِهِ يَشْفَى ، ونُضْرَتُهُ تَرِفُ ، وقال : يا قومِ ؛ إنَّ  
الليل قد اجلودَ ، والتعاس قد استَحُوذَ ، فافزعوا إلى المراقِدِ ، واغْتَنِمُوا  
راحة الرّاقِدِ ، لتشرَبُوا نَشَاطاً ، وتُبَعَثُوا نِشَاطاً ، فتمَّوا ما أفسَّر ،  
وبتسَمَّل لكم المتسَمِّر ، فاستصَوَّبَ كُلُّ ما رآه ، وتوسَّد وسادة كراه .  
فلما وَسَنَتِ الأَجْفَانَ ، وأَغْمَتِ الصَّيْفَانَ ، وثب إلى النَّاقَةِ فرحلها  
ثمَّ ارْتَحَلها ، وقال مخاطباً لها :

(١) بعده في الاغانى :

إذا عَلِمَ غادرته بِنُوفِيَّةٍ تذاغُنْ بالأيدى لآخرِ جاسِمِ

(٢) في الاغانى : « ثم قال أنفذ بي يا جرباء ، نعملت : « وانا آمنة ؟ قال : نعم ،  
معاليت »

(٣) الصرخية نسبة الى صرخد : بلد قريب من دمشق . والعقار : الخبز . والمطا :  
للظهر .

(٤) رواية الاغانى للابيات :

إنَّ بنىَ سَرَبونى بالدمِ من يلقُ أبطالَ الرّجالِ يكلم  
ومن يكُ ذا أودٍ يقوِّمُ شنشنةَ أعرِفها من أخزمِ

وأخزم نحل كان لرجل من العرب وكان منجبا مضرب في ابل رجل آخر - ولم يعلم  
صاحبه - فرأى بعد ذلك من نسله جبلا فقال : شنشنة أعرِفها من أخزم .  
وانظر الاغانى واللسان - خزم .



سَرُوحُ يَانَاقُ سِيرِي وَخِدِي      وَأَذْلَجِي وَأُوْبِي وَأَسْـئِدِي  
 حَتَّى تَطَا خُفَاكَ مَرَعَاها النَّدِي      فَتَنْعَمِي حَيْثُ نَدِي وَتَسْعَدِي  
 وَتَأْمِنِي أَنْ تُتْهِمِي وَتُنْجِدِي      إِلَيْهِ فَدَتِكَ النُّوقُ جِدِّي وَاجْهَدِي  
 وَافْرِي أَدِيمٍ فَدَفِدٍ فَفَدَفِدٍ      وَاقْتَنِعِي بِالنَّشِيجِ عِنْدَ الْمُورِدِ  
 وَلَا تَحْطِي دُونَ ذَلِكَ الْمُقْصِدِ      فَقَدْ حَلَفْتُ حَلْفَةَ الْمُجْتَمِدِ  
 بِجُحْرَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْعُمْدِ      إِنَّكَ إِنْ أَحَلَّتْنِي فِي بَلَدِي  
 \* حَلَلْتِ مَنِّي بِمَحَلِّ الْوَلَدِ \*

\* \* \*

قوله : بشره ، أى طلاقته . يشف : يتلأأ ويرق حتى يكاد يصف ما وراءه من الشرور . نضرته : نعمته وروثه . ترف : تندی . استحوذ : غلب واستولى . افزعوا : الجثوا . لتشربوا نشاطاً ، أى يتمشى النشاط في أجسادكم حتى تروا به . تبعثوا : تنتهبوا . نشاطاً : جمع نشيط ككريم وكرام ، ونشط ينشط فهو نشيط ، إذا كان طيب النفس للعمل . تعوا : تحفظوا . المتعسر : الصعب . كراه : نومه . سئت : خالطها الوسن ، وهو النوم . أغفت : نامت . قوله : خدي ، أى أسرعى . تتهمى وتنجدى : تقصدى تهامة وتجدأ . إليه ، معناه زیدی فی سيرك . اجهدى : اتعبى . افرى : اقطعى . أديم : جلد . فدند : أرض صلبة ، وقيل مستوية ، وقيل فلاة ، وأراد بالأديم وجه الأرض . ونشح ينشح نشحاً : شرب قليلاً قليلاً . تحطى : تنزلى . العمد ، والعمود : ما يقوم عليه الخباء .

وقوله يخاطب ناقته :

إِنَّكَ إِنْ أَحَلَّتْنِي فِي بَلَدِي      حَلَلْتِ مَنِّي بِمَحَلِّ الْوَلَدِ

( م ١٢ - شرح مقامات الحريري - ج ١ ، )

قد جاء في كلامهم نظيره وضده ، وكلاهما في باب حـسن . قال الشماخ في  
ضده من مجازاة الناقاة على إحسانها بالسوء :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي      عَرَابَةً فَاشْرَقِي بَدْمِ الْوَتِينِ<sup>(١)</sup>  
وَنَاقِضَهُ الْآخِرُ قَالُ :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذَا بَلَّغْتَنِي      لَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنِّي بِالْيَمِينِ  
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْقُرْبَانِ طَعْمًا      وَلَا قَلْتُ أَشْرَقِي بَدْمِ الْوَتِينِ  
وَتَبِعَهُ ذُو الرِّئْمَةِ قَالُ :

أَقُولُ لَهَا إِذَا شَمَّرَ اللَّيْلُ وَاسْتَوَتْ      بِهَا الْبَيْدُ وَاسْتَنْتَّ عَلَيْهَا الْحَزَاوِرُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَّالًا بَلَّغْتَهُ      قَامَ بَقَاسٍ بَيْنَ رَجْلَيْكَ جَازِرُ

وتوجيه الحسن في هذا المذهب على شئمة ظاهره أنه لا يبالي بفقدها ، لأن  
الممدوح يحمه ، ويعطيه فهو في غنى عنها . ومن يميم هذا يقول مجازاة الحسن  
بالسوء قبيح ، وقد قال رسول الله عليه وسلم للمرأة التي قالت وقد نجت على  
ناقته : نذرتُ إن نجاني الله عليها أن أنحرها : « بئس ما جازيتها ، ولا نذر لك  
في مال غيرك » والمذهب الأحمدي ذلك قولُ عبد الله بن رواحة رضی الله عنه  
حين خرج في جيش مؤتة يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي      مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدِ الْحِسَاءِ<sup>(٣)</sup>  
فَشَأْنُكَ فَانْعِمِي وَخَلَاكِ ذِمٌّ      وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

ولهذا تبعه الحريري في شعره .

وقال الحسن :

(١) ديوانه ٣١٩٥  
(٢) ديوانه ٢٥٣٤  
(٣) الحساء : موضع وانظر معجم البلدان ٢ : ٢٧٤

وإذا المطى بنا بلفظ محمدًا فظهوره على الرجال حرام<sup>(١)</sup>  
 قرّبنا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمام  
 وقال داود بن أسلم يدح قُم بن العباس رضى الله عنهما :

نجوت من حلٍّ ومن رحلةٍ يا ناق إن بلفنتى من قُم<sup>(٢)</sup>  
 إنك إن بلفنتيه غداً عاش لنا الخير ومات العدم

\* \* \*

قال : فعلت أنه التمرجى الذى إذا باع أنباع ، وإذا ملأ

الصاع انصاع .

ولما انبلح صباح اليوم ، وهبّ النوام من التوم ، أغلستهم أن  
 الشيخ حين أغشاهم الشبات ، طلقهم البتات ، وركب الناقة وفات ؛  
 فأخذهم ما قدّم وما حدّث ، ونسوا ما طاب منه بما خبث ؛ ثم انشعبنا  
 فى كلّ مشعب ، وذهبتنا تحت كلّ كوكب .

\* \* \*

قوله : أنباع ، أى جرى ومدّ باعه ، ومعناه هرب منه فى سيره .

يقال : صُغت الشيء فانصاع ، أى فرقته ففترق ، ومعناه إذا ملأ كيسه من  
 عطاء قوم راح عنهم . انبلج : أضاء . هبّ : انتبه . أغشاهم : غطاهم . الشبات :  
 النوم الخفى كالقشبية . ثعلب : الشبات ابتداء النوم فى الرأس حتى يبلغ القلب ،  
 وسبت الرجل فهو مسبوت : نفس . والبتات : القطع البائن . فات ، أى فرّ  
 فلا يلحق .

(١) ديوانه ٦٤

(٢) الكامل للبرد ٢ : ٢٩ ونسبها الى سليمان بن قنة من الاخفش .

وذكر الحريري في درّة العواص : أن قولهم : حَدَّثَ أمر بضم الدال قياساً على أخذهم ما قَدَّم وما حَدَّثَ خطأ ، وإنما ضُمَّت الدال من حَدَّثَ حين قرن بقَدَّم للمحافظة على الموازنة ، فإذا أفردت لفظة حَدَّثَ زال موجب الضم ، ووجب الردّ إلى الأصل . قال : وأنشدني بعض أدباء خراسان لأبي الفتح البستي :

جزعت من أمرٍ فظيعٍ قد حَدَّثَ أبو تميم وهو شيخ لا حَدَّثَ  
 \* قد حبس الأصلع في بيت الحدّث \*  
 \* \* \*

لم تتعرض في شرح هذه المقامة ، لما ثبت في كتاب المقامات من شرح مُنْشِئِهَا ، بل نُعْتِبَ ما أهمله ، وكان الأولى إثبات ما شرح بنصه ؛ إذ هو وَفَّقُ لِفَرْضِهِ .

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن عليّ رحمه الله تعالى :  
 قد فسرتُ سرَّ كلِّ لغزٍ تحته ، ولم أبعُد على مَنْ يقرؤه كشفه ، وقد بقيت  
 أليفاًظ اشتملت عليها هذه المقامة ربّما التبس تفسيرها على بعض مَنْ تقع إليه ،  
 فأحببتُ إيضاحها له ليُكفَى حَيَرة الشبهة وكلفة الفكرة ، ووضّمة البحث والمساءلة ،  
 وبالله تعالى الاستعانة والقوّة .

قوله : « عشوتُ إلى نار » يعني تنوّرتها فقصدها فإن لم تقصدها قلت :  
 عَشَوْتُ عنها ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ أى يُعْرِض .  
 وقوله : « وأنا أضرد من عينِ الحرباء والعنزِ الحرباء » هذان مثلان  
 يُضْرَبان لمن يبلغ منه البرد ، وذلك لأنَّ الحرباء تدورُ أبداً مع الشمس وتستقبلها  
 بعينها ، ولذلك شبه ابنُ الرومي الرقيب بالحرباء في قوله <sup>(١)</sup> :

ما بالها قد حُسِّنت ورقبها      أبداً قبيح ، قبح الرقيباء  
 ما ذاك إلا أنها شمست الضحا      أبداً يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلّة شعرها . وذكر بعضهم أن العنز الجرباء  
 تصحيف المثل الأول .

وقوله : « من نحر وارٍ » يعني الجمل المكتنز شحمًا ، الكثيرُ مخًا .

وقوله : « عِشاره تخورُ وأعشاره تفور » العِشار : النُوق الحوامل .  
 والأعشار : البُرمة العظيمة ، كأنها شُعِبت لعظمتها ، يقال : بُرمةٌ أعشار  
 وجفنةٌ أكسار وتوبُّ أسمال و بُرْدٌ أخلاق وحبل أزمَام ، ووصف الجماعة  
 منها كوصف الواحد .

وقوله : « فاكهة الشتاء » كفى بها عن النار ، ومنه قول بعض الحدّثين :

النار فأكهة الشتاء فمن يُرذُ أكل الفواكه شاتياً فليضطلَّ  
إنَّ الفواكه في الشتاء شَهِيَّةٌ والنار للمقروور أفضلُ ما أكل

وقوله: « موائد كالهالات » يعني دارات القمر ، ودارة الشمس تسمى  
الطفاوة

وقوله: « مَشوش القمر » يعني المنديل ، يقال : مشَّ يده بالمنديل ، أى  
مَسَحَهَا ، ومنه قول امرئ القيس :

نُشُّ بأعراف الجياد أكَفَّنَّا إذا نحن قُمْنَا عن شِواءٍ مُصَهَّبٍ (١)

وقوله: « مشتهباً فوداه ، أى صاراً من الشَّيب في لون الأشهب ، ومنه  
قول امرئ القيس :

قالتِ الخنساءُ إِنَّا جَمَّئُهَا شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا واشتَهَبَ (٢)

وقوله: « رَبَضَ حَجْرَةٌ » يعني ناحية ، ويقال في المثل لمن يشارك في  
الرخاء ويحانِب عند البلاء: يَرْتَعُ وسطاً وَيَرْبُضُ حَجْرَةً .

وقوله: « فاستترعى سَمْعَ السَّامِرِ » يعني السَّامِرُ ؛ لأنَّ السامِر اسم للجمع  
كالخاضر اسم للحى النازلين على الماء ، وكالبقر : اسم لجماعة البقر .

وقال بعض أهل اللغة : هو اسم للبقر مع رُعَاتِهَا ، واشتقاق السَّامِر من السَّمر ،  
وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة ، فلَمَّا كان غالب أحوال السَّامِر أنهم  
يتحدثون في ظل القمر اشتقَّ لهم اسم منه ، وإلى هذا يَرْجِع قولهم : « لا أكلمه  
القَمَر والسَّمر »

وقوله: « ليس بُشْكٌ فاذرُجى » هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي  
له . والعشُّ : ما يكون في شجرة ، فإذا كان في حائط أو كهف جبل فهو وكُر .

وقوله: « الإيناس قبل الإيباس » هذا مثل أيضاً ، ومعناه أنه ينبغي  
أن يؤنس الإنسان ثم يكلف ، وأصله أن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ،

ثم يبسّ بها للحلب ، والإبسّاس أن تقول لها : بس بس ، لتسكن وتلدّ ،  
وتسمّى الناقة التي تدرّ على الإبسّاس : البسّوس .

وقوله : « يرغب في الشّم » الشّم ما أعطيته على سبيل المجازاة ، فإن  
أعطيته مبتدئاً فهو الشّكد .

وقوله : « ساء أبا مثنوانا » يعنى المضيف الذى أووا إليه وثووا عنده .

وقوله : « ناقة عيدية » قيل إنها منسوبة إلى فحل منجب اممه عيد ،  
وقيل : هي منسوبة إلى فخذ من مهرة اسمه عيد بن مهرة ، وكانت مهرة وعيد  
تتخذان نجائب الإبل ، فنسبت إليهما .

وقوله : « حلّة سميدية » هي منسوبة إلى سعيد بن العاص ، وكان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلّة فنسب جنسها إليه .

وقوله : « لاترّزأ أضيافى زبالاً » أى لاترزوهم شيئاً وإن قل ، والأصل  
فى الزّبال ما تحمله النملة بفيها .

وقوله : « شنشنة أخزمية » أشار به إلى المثل الذى ضربه جدّ حاتم بن  
عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائى ، حين نشأ حاتم وتقبّل أخلاق  
جدّه أخزم فى الجود ، فقال : « شنشنة أعرّفها من أخزم » وتمثّل عُتميل بن  
علفة به حين قال :

إن بَنِي ضَرَجُونِي بِالْدمِ مَنْ يَلْقَ آسَادَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ  
\* شِنْشِنَةَ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ \*

ومن ادعى أن المثل له فقدسها فيه .

وقوله : « اجلوذ » أى أسرع فى الذّهاب ومثله اخروّط .

وقوله : « وَتَبَّ إِلَى النَّاقَةِ فَرَحَلَهَا » يعنى شدّ عليها الرّحل ، وبه سمّيت  
الراحلة ، لأنها فاعلة : يعنى : معوله كقوله تعالى : ﴿ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ، أى مرضية .

وكتوله تعالى: ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ أى مدفوق، والراحلة تقع على الناقة والجل ودخول الماء فيها للمبالغة، مثل داهية وراوية.

وقوله: « ارتحلها » أى ركبها، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد، فركبه الحسن فأبطأ في سجوده، فلما قضى صلاته قال: « إن ابني ارتحلني فكرهت أن أمجله ».

وقوله: « ورحلها » أى أزعجها وأشخصها وأجدت بها في الرحيل، ومنه الخبر: « تخرج عند اقتراب الساعة ناراً من قعر عدن ترحل الناس ».

وقوله: « فأذلجى وأوبى وأسدى ». الإدلاج: أن تسير الليل كلمة والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالشديد: أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة، بضم الدال. وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد. والتأويب: سبر النهار وحده. والإستاد: أن تسير ليلاً ونهاراً. والنشع: أن تشرب دُونَ الرّى.

وقوله: « ما قَدُم وما حدث »، يقال ذلك لمن تستولى المهموم عليه وتلاعب به. وتضمّ الدال من « حدث » في هذا الموضوع وحده، ليوافق لفظها لفظ « قَدُم »؛ فإن أفردت « حدث » عن قَدُم وجب فتح الدال من « حدث »، ومثله قولهم: هنأى ومرأى بحذف الألف من أمرأى إذ ذكر مع « هنأى » فإن أفردته قلت: أمرأى الشيء.

وقوله: « ذهبنا تحت كل كوكب » هذا المثل يضرب لمن تختلف في السفر طرقهم وتقباين سبلهم.



## المفامة الخامسة والأربعون وهي الرملة

حكى الحارث بن همام قال : كنت أخذتُ عن أولي التجارِبِ ،  
 أن السَّقرَ مرأةُ الأعاجيبِ ، فلم أزلُ أجوبُ كلَّ تنوُفةٍ ، وأقتحمُ كلَّ  
 مخوُفةٍ ، حتى اجتلبتُ كلَّ أطروفةٍ ؛ فن أحسن ما لمَحَّتْهُ ، وأغرب  
 ما استَمَلَحَتْهُ ، أن حَضَرْتُ قاضيَ الرَّملةِ ، وكان من أربابِ الدولةِ  
 والصَّولةِ ، وقد ترفعَ إليه بالِ في بالِ ، وذاتُ جمالٍ في أسْمالِ ، فهممُ  
 الشَّيخِ بالكلامِ ، وتبينان المَرَامِ ؛ فنعمته الفتاة من الإفصاحِ ، وخسأته  
 عن الثُّباحِ ، ثم نَصَّتْ عنها فَضْلةُ الوِشاحِ ، وأنشدته بلسانِ  
 السِّلِيطةِ الوَقَّاحِ :

\* \* \*

أولى التجارِبِ ، أى أصحابها وأهلها . أجوب : أقطع . تنوُفة : قفرة .  
 أقتحم : أدخل . اجتلبت : رأيت . أطروفة : عجيبه . لمحتة : نظرتة . استملحته :  
 وجدته مليحاً . الصولة : الاستطالة . وقد صال إذا استطال وهدد . ترفع ،  
 أى تداعى للحكومة ، ورفع كل واحد صاحبه . بالِ : شيخ كبير . فى بالِ :  
 فى ثوب خَلَقَ ، وأسْمالِ : ثياب خَلَقَة ، واحدها سَمَل ، وسمل الثوبُ وأسْمَل ،  
 ويقال أيضاً : ثوب أسْمالِ ، فيوصف بالجمع ، كما يقال : رمح أقصاد ، وبرُومةِ  
 أعشار . تبينان المرام : تبين مراده ، وإظهار حجته . الإفصاح : التبيين . خسأته :  
 أبعدته وطردته . الثُّباح : الكلام هنا ، وخسأ ونبح أصلهما فى الكلب ، ويقال :  
 خسأتُ الكلبَ خسئاً : طردته وأبعدته ، وخسأ الكلب بنفسه ، أى انخسأ ،

يتعدى ولا يتعدى ، قال تعالى : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا ﴾ أى تباعدوا تباعداً سُخْطاً .  
 نَضَتْ : جردت . الوشاح : الحزام ، وهو المنطقة . الفنجديهي : الوشاح شبه  
 قلادة تنسج من آدم عريضة وتُرَصَّع بالجواهر وغيرها . السِّلِيطة : المستطيلة  
 بلسانها . الوَقَاح : التى ليس فى وجهها حياء ، فهى تقول ما شاءت .

\* \* \*

يا قاضيَ الرَّملة يا ذا الَّذِي      فى يده التَّمرةُ والجَمرةُ  
 إليك أشكو جورَ بَليِّ الَّذِي      لم يَحْجِجِ البَيْتَ سِوى مَرَّةٍ  
 وليتَّه لَمَّا قَضَى نُسْكَهُ      وخَفَّ ظَهْرًا إِذ رَمَى الجَمرةُ  
 كانَ على رأى أبى يوسُفٍ      فى صِلَةِ الحِجَّةِ بالعمرةِ  
 هذا على أَنى مُذْ صَمِنِي      إليه لَمْ أعصِ له أَمْرَةً  
 فدُرَّةٌ إمَّا ألفَةٌ حُلُوةٌ      تُرْضِي وإمَّا فُرْقَةٌ مُرَّةٌ  
 من قبل أن أخلع ثوبَ الحيا      فى طاعة الشيخ أبى مُرَّةٍ

\* \* \*

الرَّملة : قرية بالشَّام ، وقسم الشَّام خمسة أقسام ، فَخُمس منه فلسطين  
 ومدينته العظمى الرَّملة ، والرَّملة أربعة آلاف صَبِيعة ، ومن مدن فلسطين إيلياء  
 مدينة بيت المقدس ، بينها وبين الرَّملة ثمانية عشر ميلا . وقال ابنُ ظَفَرٍ : عشرون  
 فرسخًا . التَّمرة والجَمرة : الخير والشر ، والنفع والضر ، ويضرب بهما المثل فى هذا  
 المعنى ، وَمَنْ قَضَى له القاضى شىء فكَأَنه قد أعطاه . والبيت ، عَنَتَ به فَرَجَها  
 يُحْجِجُ : يتقصد إليه بالجماع ، وقولها . سوى مرة ، تريد أول مرة وطَّهَّها وافترعها  
 ولم يَعدْها بعد تلك المرة ، وتعنى بالنسك افتراعها وما هناك من الدم . وَعَنَتَ  
 رَمَى الجَمرة إتيانه لها ، وَجَمَعَ الجمر جمار ، وهى الحجارة الصغار عند العرب ، وجمَّرو  
 الرجل تجميراً : رمى جمار مكة ، قال عمر بن أبى ربيعة :

فلم أر كالتجمير منظرَ ناظرٍ ولا كليلي الحج أفلتن ذا هوى  
ومنه الحديث: « وإذا استجمرت فأوتر » معناه تمسحت بالحجارة .

### [ ذكر أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ]

أبو يوسف ، هو يعقوب بن إبراهيم بن حسين بن سعد بن حبيب الأنصاري .  
وأبو يوسف كوفي صاحب أبا حنيفة فغلب عليه ؛ حتى قالوا : أبو يوسف  
أبو حنيفة ، أي يسد مسده ويفني عنه ، وروى عن أبي حنيفة والمطرف والمغيرة  
وهشام بن عروة الشيباني . وكان صدوقاً من أهل الدين والعلم ، وكان قاضي  
القضاة ببغداد لثلاثة خلفاء : المهدي والهادي والرشيد ، وكانت أم جعفر قد استفتته  
في مسألة ، فأفتاها بما أوجه العلم عنده ، فوافق بذلك مرادها ، فأهدت له حُقاً  
من فضة فيه طيب وجام فضة فيه دنانير ، فقال له بعض من حضره :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه  
فيها » ، فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره ، والاستحسان قد منع من  
إمضائه ، فإن ذلك إذ كان هدايا الناس التمر واللبن ، لا في هذا الوقت ، والهدايا  
ذهب وورق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال أبو جعفر الطحاوي : ولد أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة .

حماد : رأيت أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زُفر ،  
وهما يتجادلان في مسألة ، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده عليه زُفر ،  
ولا يقول زُفر قولاً إلا أفسده عليه أبو يوسف إلى وقت الظهر ، فلما أذن  
المؤذن رفع أبو حنيفة يده ، فضرب بها فخذ زُفر ، وقال : لا تطمع في رياسة  
في بلد فيها أبو يوسف ، فقَصَى لأبي يوسف .

على بن حرملة التيميّ: قال أبو يوسف: كنت أطلب الحديث والفقّه، وأنا مُقلِّ رثُ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بنيّ لا تمدّن رجلك مع أبي حنيفة، فإن خير أبي حنيفة مستور، وأنت محتاج إلى المعاش، فقصّرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة والدي. ففتقدني أبو حنيفة، وسأل عني، فجعلتُ أتعهّد مجلسه، فلما كان أوّل يوم أتيته بعد تأخري عنه، قال لي: ما يشغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش، وطاعة والدي، فلما انصرف الناس دفع إليّ صُرّة، وقال: استمتع بهذه، وإذا فيها مائة درهم، وقال لي: الزم الجماعة، فإذا نفذت فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدّة يسيرة دفع إليّ مائة أخرى، ثم كان يتعهّدني كذلك، وما أعلمته بنفادها قط، وكأنه كان يخبر بنفادها، حتى استغنيت وتموّلت.

على بن الجعد: حدّثني أبو يوسف، قال: توفّي أبي إبراهيم، وخلفني صغيراً في حجر أُمّي فأسلمتني، إلى قصّار أخذمه، فكنت أدعُ القصّار وأمرّ على حلقة أبي حنيفة فأجلس وأستمع، فتجيء أُمّي فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصّار. وكان أبو حنيفة يُعني بي إمّا كان يرى من حرصي على التعلّم، فلما طال ذلك على أُمّي وكثُر عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبيّ فساد غيرك، هذا صبيّ يتيم لا شيء له، وإمّا أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكتسب دانقاً يعود به على نفسه. فقال لها أبو حنيفة: مرّي يا رعناء، هاهو ذا يتعلّم أكل الفالوزج بدّهن الفستق، فانصرفت عنه وهي تقول: أنت شيخ قد خرّفت وذهب عقلك. قال: ثمّ لزمته ونفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلّدت القضاء، فكنت أجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدّم إليه فالوزجة. فقال لي: كل يا يعقوب، فليس في كلّ يوم يُعمل لنا مثلها، قتلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوزجة بدّهن فُسْتُق، فضحكت فقال لي:

مِمَّ تَضَحِكُ؟ قُلْتُ: خَيْرًا، أبقَى اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَال: لَتَخْبِرُنِي وَأُلْحَ عَلِيَّ، فَحَدَّثْتُهُ بِالْقِصَّةِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، فَمَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: لِعَمْرِي إِنَّ الْعِلْمَ لَيَنْفَعُ وَيَرْفَعُ دِينًا وَدُنْيَا، وَتَرَحَّمَ عَلِيَّ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ بَعَيْنِ عَمَلِهِ مَا لَا يَنْظُرُهُ غَيْرُهُ بَعَيْنِ رَأْسِهِ. وَأَبُو يُوسُفَ أَوَّلُ مَنْ دُعِيَ بِقَاضِي الْقِضَاةِ فِي الْإِسْلَامِ.

إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ: حَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَأَلْتُهُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ؟ قَال: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي، وَكُنْتُ فِي حَدِيثِ ظَرِيفٍ، قُلْتُ: حَدَّثَنِي بِهِ، قَال: قَالَ لِي أَبُو يُوسُفَ: كُنْتُ الْبَارِحَةَ قَدْ أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي، فَإِذَا دَاقُ يَدُوقُ الْبَابَ بِشِدَّةٍ، فَأَخَذْتُ عَلِيَّ إِزَارِي، وَخَرَجْتُ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ أَعِينٍ يَقُولُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قُلْتُ: يَا أَبَا حَارِثَةَ لِي بِكَ حُرْمَةٌ، وَهَذَا وَقْتُ كَمَا تَرَى، وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَكُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَعَانِي لِمَكْرُوهِ، فَإِنْ أَمَكْنِكَ أَنْ تَدْعَ الْأَمْرَ إِلَى غَدِي فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْدُثَ لَهُ رَأْيٌ! قَال: مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ، قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ السَّبَبُ؟ قَال: خَرَجْتُ إِلَى مَسْرُورِ الْخِدَامِ، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَ بِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قُلْتُ: أَنْ أَدْنِي لِي أَنْ أَصُبَّ عَلَى مَاءٍ وَأَتَحْتَطَّ فَإِنْ كَانَ أَمْرًا كُنْتُ قَدْ أَحْكَمْتُ شَأْنِي، وَإِنْ رَزَقَ اللهُ الْعَافِيَةَ فَلَنْ يَضُرَّ، فَدَخَلْتُ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، وَتَطَيَّبْتُ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ وَمَسْرُورِ وَاقِفٍ، قُلْتُ: يَا أَبَا هَاشِمٍ خِدْمَتِي وَحُرْمَتِي، وَهَذَا وَقْتُ ضَيْقٍ، أَتَدْرِي لِمَ طَلَبَنِي؟ قَال: لَا، قُلْتُ: فَمَنْ عِنْدَهُ؟ قَال: عَيْسَى بْنُ جَعْفَرٍ وَحَدَّه، ثُمَّ قَال: مَرَّةً فَإِذَا صَرْتُ فِي الصَّخْنِ فَحَرِّكْ رَجْلِيكَ، فَإِنَّهُ فِي الرِّوَاقِ، فَفَعَلْتُ، قَال: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: يَعْقُوبُ، قَال: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلِيَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: أَظُنُّنَا رَوَّعْنَاكَ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ وَمَنْ حَلَّنِي، قَال: اجْلِسْ، فَلَمَّا سَكَنَ رَوَّعَنِي، قَال: يَا يَعْتُوبُ هَلْ تَدْرِي لِمَ دَعَوْتَنِي؟ قُلْتُ: لَا، قَال: لِأَشْهَدَكَ عَلِيَّ هَذَا؛ إِنَّ عِنْدَهُ جَارِيَةً، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَهْبِئَهَا أَوْ يَبْدِيعَهَا لِي

فأبى ، ووالله لئن لم يفعل لأقتلنه . فالتفت إلى عيسى وقلت : وما بلغ قدر الجارية ؟  
أتمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة ؟ فقال لي : عجّلت القول قبل أن  
تعرف ما عندي ، إن على يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك ألا أبيعها  
لأحدٍ ولا أهبها ، فالتفت إلى الرشيد ، فقال لي : هل لك في ذلك نخرج ؟ قلت :  
نعم ، قال : وما هو ؟ قلت : يهب لك نصفها ويبيعك نصفها ، فيكون لم يبيع  
ولم يهب ، قال عيسى : ويجوز ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فأشهدك أنى قد وهبت  
له نصفها ، وبعث منه نصفها بمائة ألف دينار ، وأتى بالجارية ، فقال : خذها  
يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها ، قال : يا يعقوب ، وبقيت واحدة ، قلت :  
يا أمير المؤمنين ، وما هي ؟ قال : هي مملوكة ولا بد . أن تستبرأ ، ووالله إن  
نفسى لتخرج إن لم أبت معها . قلت : يا أمير المؤمنين تعتقها وتزوّجها ، فإن  
الحرّة لا تستبرأ ، قال : فإنى قد أعتقها ، فدعا بمسرور وحسن ، وخطبت وحدث  
الله ثم زوّجت على عشرين ألف دينار ، ودفع المال إليها ، ثم قال : يا يعقوب  
انصرف ، ثم قال : يا مسرور احمل إلى أبى يوسف مائتى ألف درهم وعشرين  
تختاً ثياباً ، فحمل معى ذلك ، قال بشر : فالتفت إلى يعقوب ، فقال : هل  
رأيت بأساً فيما فعلت ؟ قلت : لا قال : فحقتك منها العشر فشكرته ، وذهبت لأقوم  
وإذا بعجوز دخلت ، فقالت : يا أبا يوسف ، بنتك تقرئك السلام ، وتقول :  
والله ما وصلنى من أمير المؤمنين فى ليلتى هذه إلا المهر الذى قد عرفت ، وقد  
جعلت إليك النصف منه ، وخلفت الباقي لما أحتاج إليه ، فقال : ردّيه ، فوالله  
لا قبلته ، أخرجه من الرّق وزوّجتها من أمير المؤمنين وترضينى بهذا ، فلم نزل  
نتلطف إليه أنا وعمومتى يقبلها فقبلها وأمر لى بألف دينار .

وأما صلة الحج بالعمرة التى ذكر الحريرى ، فإن أبا يوسف فى ذلك مخالف  
للك رضى الله عنهما فى أن القران فى الحج أفضل من الأفراد ، وهو مذهب

على بن أبي طالب رضى الله عنه وقوله : خَفَّ ظَهراً ، أى حَطَّ عن ظهره بعضَ الذنوب ، والذى أرادت أنه لم يأتها ولا جامعها غير مرّة واحدة خَفَّفَ بها ظهره وبعض شهوته وليته فعل ذلك مرّتين ، فورت بظاهر كلامها عن هذا المعنى .

وجاءت امرأة إلى المغيرة بن شعبة بزوجها تستعديه عليه ، وتذكر أنه عَيْنين فقال الرجل :

الله يعلم يا مغيرة أنى قد دُستها دَومَ الحِصانِ المرسلِ  
وأخذتها أخذَ المعنفِ شأنه مَجْلانَ يذبجها لقومِ نَزَلِ  
فقال له المغيرة : إني لأرى ذلك في شمائك .

وخاصمت الدهناء بنت مسحل أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة العجاج ، وكان من بنى عمها إلى والى اليمامة ، فكان أبوها يُعِينها على ذلك ، فقال له أهل اليمامة : ألا تستحي ، تطلب المسب لابتك ! فقال : إني أحب أن يكون لها ولد ، فإن أفرطتهم أجرت ، وإن بقوا دعوا الله لها ، فدخلت على والى ، قالت : إني منه بجمع ، فقال : لعلك تفارين الشيخ ؟ فقالت : إني لأرعى له بادى ، وأقيم صُلبي ، فقال العجاج :

أظنت الدهننا وظن مسحلُ أن الأمير بالتضاء يعجلُ  
عن كسلاقي والحصان يكسلُ عن السِّفاد وهو طرف هيكَلُ  
فقال هي :

والله لولا خشية الأميرِ وخشية الشرطىّ والمشيرِ  
جلت من شيخ بنى الفقيرِ كجولان صعبية عسيرِ

فأخذها وضماها إليه يقبلها فقالت :

تالله لا تخدعني بالضمِّ إليك والتَّقْيِيلِ بعد الشَّمِّ  
إلاَّ بهزهازي يسألني همي ينزع عني فتجني في كمي

فذهب بها إلى أهلها ، فطلَّقها في تلك الليلة مرًّا . ولو استقبلها العجاج  
بما وصف ابن الرومي حيث يقول :

ألا يا هند هل لك في ممدِّ غليظٍ تفرحين به متين  
يشدُّ به حشاك غلام نيكٍ من الفتيان منقطع القرين  
فمن يره يبولُ يقول : أتى بدا من فرجها ثلثا جنين  
لرضيته ، ولم تحاكمه .

قوله : ألفة : مُحَبَّة . أخلع : أزيل . وأبومرَّة . كنية إبليس لعنه الله ، وكنى  
بذلك لما تقدَّم أنَّ أبغض الأسماء إلى الله تعالى مرَّة وحرب . تقول : إماما يصاحبني  
صحبة يرضيني فيها بكثرة الجماع ، وإلا أزلتُ عنى الحياء وخرجت أزني وأفسق  
في طاعة إبليس ، ولو عاجلها بما كان يعالج به رجل زوجته ، وكان إذا وقع  
بينهما شرٌّ انحى عليها بالجماع ، فكانت تقول : لعنك الله اكلمًا وقع بيننا شرٌّ  
جئتني بشفيع لا أقدر على ردِّه ! فلو جاءها بهذا الشفيع لما رفعته إلى الوالى .

محمد بن يحيى بن حَيَّان : عاتبت جدتي جدتي في قلة الباه ، فقال لها : أنا  
وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قالت : وما قضاء عمر ؟ قال :  
قال : إن الرجل إذا أتى امرأته في كلِّ طُهرٍ مرَّة فقد أدَّى حقها ، قالت :  
فكلُّ الناس تركوا قضاء عمر ، وأقتُ أنا وأنت عليه !

وقال إعرابي كبيرٌ وعجَز :

عجبت من أيزرى كيف يصنَعُ أدنعه بإصبعي فيرجعُ  
\* يقوم بعد الشدِّ ثم يركع \*  
عجبت من أيزرى كيف يصنَعُ أدنعه بإصبعي فيرجعُ



دخل عيسى بن موسى على جارية له فعجز ، فقال :

النَّفْس تطمع والأسباب عاجزة والنَّفْس تهلكُ بين العجز والطمع  
خلا ثمامة بن أشرس بجارية له فعجز ، فقال : ويحك ! ما أوسع حرك !  
فقال :

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه ويشتكى الضيق منه حين يلقاه  
وكان عروة بن شديم أوفر الناس أيزراً وأشدهم نكاحاً ، وكان إذا أنعظ  
يستاقى على قفاه فيأتى الفصيل الجرب فيحتك بأيره بظنه الجذل ، وهو عود في  
العطن يُنصب لتحتك به الإبل الجربى .

ويزعمون أنه أصاب أيره جنب عروس زُفَّت إليه ، فقالت له : أتهددني بالركبة!  
وهو القائل :

ألا رَبِّمَا أنعظتُ حتى إخاله سينتقد للإعناظ أو يتمزق  
فأعمله حتى إذا قلت : قدوتى أبى وتمطى جاحاً يتمطق  
وأقبل رجل على على رضى الله عنه فقال : إن لى امرأة كلما غشيها ،  
تقول : قتلتنى قتلتنى ! فقال : اقتلها وعلى إمتها .

وقع أعشى همدان أسيراً عند الدليم ، ثم إن ابنة العالج الذى أسرَه عشقته ،  
فكفنته ليلة من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمان مرات ، فقالت له : يا معشر  
المسلمين ، أهكذا تعملون بنسائكم ! قال : هكذا نعمل كلنا ، فقالت :  
بهذا العمل نصرتم ، أفرايت إن خلصتُك تصطفينى ؟ فعاهدها ، خلَّت قيوده  
بالليل ، وأخذت به فى طرقٍ تعرفها حتى تخلص ، فقال أسير شاعر فيه :

فن كان ينفديه من الأسر ماله فهمدان تفديها الفداة أيورها

كان عبد الله بن عمر من أنزه الناس نفساً ، وأبعدهم عن المزاح وذكر الفاحشة ،  
فجاءه ابنُ أبى عتيق يوماً ، وكان صاحب مزاح وفكاهة ، وفى يده رُقعة فيها :  
( م - ١٣ شرح مقامات الحريري ج ٥ )

ذَهَبَ إِلَهِ بِمَا تَعِيشُ بِهِ وَقَمَرَتَ مَالِكٌ أَيَّمَا قَمَرٍ  
أَنْفَقَتَ مَالِكٌ غَيْرَ مَكْتَرٍ فِي كُلِّ زَانِيَةٍ وَفِي الْحَمْرِ

وكانت هجته بهما امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن الخزومي، فقال:  
يا أبا عبد الرحمن، انظر هذه الرقعة وأشير عليّ برأيك فيها. فلما قرأها عبد الله  
استرجع فقال: ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر؟ قال: أرى أن تغفوا وتصفح،  
فقال: يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيتُ صاحبه لأنيكته نيكاً جيداً، فأخذ ابن عمر  
من قوله وأرعد وأزبد، قال: مالك؟ غضب الله عليك! فقال: ما هو إلا  
ما قلت لك، وافترقا، فلماً كان بعد أيام لقيه ابنُ عمر، فأعرض عنه، فصاح:  
يا أبا عبد الرحمن، إني لقيتُ صاحبَ البيتين فنكته والله نيكاً شافياً، وأقسم  
على ذلك، فصعق ابنُ عمر، فلما رأى ابنُ أبي عتيق ما حلَّ به ذنا منه، وقال له  
في أذنه: إنَّها والله امرأتِي، فقام ابنُ عمر وقد سُرِّيَ عنه، وهو يضحك، فقبَّله  
بين عينيه، وقال أحسنت، زده من هذا الأدب، فلن يهجوك بعدها أبداً.

\* \* \*

فقال له القاضي: قد سمعتُ ما عزتكَ إليه، وتوعَّدتكَ عليه،  
فجانِبْ ما عَرَّكَ، وحاذِرْ أن تُفَرِّكَ، وتُمرِّكَ، فجنا الشيخُ على ثفِناته،  
وفجَّرَ يَنْبُوعَ نَفْثاتِهِ، وقال:

اسْمَعْ عَدَاكَ الذَّمُّ قَوْلَ امْرِئٍ  
وَاللَّهِ مَا أَعْرَضْتُ عَنْهَا قَلِيًّا  
وَأِنَّمَا الذَّهْرُ عَادَا صَرَفُهُ  
فَمَنْزِلِي قَفْرُهُ كَمَا جِيْدُهَا  
يُوضِحُ فِيمَا رَابَهَا عُذْرَةَ  
وَلَا هَوَى قَلْبِي قَضَى تَذْرَةَ  
فَابْتَزْنَا الذَّرَّةَ وَالذَّرَّةَ  
عُطِلُّ مِنْ الْجِزْعَةِ وَالشَّدْرَةَ  
وَدِينِهِ رَأَى بَنِي عَذْرَةَ  
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَرَى فِي الْهَوَى

فَمَذْنِبَا الدَّهْرُ هَجَرْتُ الدُّمَى هِجْرَانٌ عَفٌّ آخِذٌ حِذْرَةٌ  
 ومَلْتُ عَنْ حَرَثِي لَا رَغْبَةَ عَنْهُ وَلَكِنْ أَتَّقِي بَدْرَةَ  
 فَلَا تَلْمُ مَنْ هُوَ فِي حَالِهِ وَأَعِظُفٌ عَلَيْهِ وَاحْتِمِلُ هَذْرَةَ

\* \* \*

قوله عَزَّكَ، أى نسبته. تَوَعَّدْتُكَ: هَدَّدْتُكَ. عَرَّكَ: شَانَكَ وَعَابَكَ  
 وَلَطَّخَكَ بَشْرًا وَسَاءَكَ، وَعَرَّ فُلَانٌ قَوْمَهُ بَشْرًا: لَطَّخَهُمْ بِهِ. حَاذِرٌ: خَفَ.  
 نَفَّرَكَ: تَبَعَّضَ، وَفَرَّكَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا: أَبْغَضَتْهُ. وَتُعْرَكَ: تُدَلِّكُ ذَلِكَ  
 شَدِيدًا مِثْلَ ذَلِكَ الْأَدِيمِ، وَعَرَّكَتِ الْقَوْمَ فِي الْحَرْبِ قَاتَلَتْهُمْ. جَنًّا يَجْتَوِ جَمًّا  
 وَجَمِيًّا: جَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ. الثَّفِينَاتُ: مَا وَلِيَ الْأَرْضَ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَعِيرِ وَغَلَطُ؛  
 إِذَا بَرَكَ عَلَى الرَّكْبَتَيْنِ وَالْكَرُّ كَرَّةٌ. يَنْبُوعٌ: مَا وَاها النَّابِعُ. نَفَّاتُهُ: كَلِمَاتُهُ.  
 عَدَاكَ: تَجَاوَزَكَ. يُبَيِّنُ: رَابَهَا: شَكَّكَهَا وَأَدْخَلَ عَلَيْهَا الرِّيْبَةَ.  
 أَعْرَضَتْ: صَدَدَتْ. قَلَى: بَغَضَ. هَوَى: حَبَّ. النَّذْرُ: أَنْ يَنْذِرَ الْإِنْسَانَ  
 عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا يَفْعَلُهُ، وَقَضَى نَجْبَهُ: اسْتَوْفَى غَرَضَهُ. عَدَا: ظَلَمَ. صَرَفَهُ: تَصَرَّفَهُ  
 بِالْإِنْكَادِ. ابْتَزَّنَا: سَلَبْنَا. الدَّرَّةُ: اللُّوْلُؤَةُ. وَالذَّرَّةُ: اللَّابِنُ، وَمَالُ الْعَرَبِ الْإِبِلُ،  
 وَعَيْشُهُمْ مِنْ لَبْنِهَا، فَهَذَا جَنَسٌ بِالذَّرَّةِ مَعَ الدَّرَّةِ. جِيْدَاهَا: عُنُقُهَا. عُطْلٌ: خَالٌ.  
 الْجَزْعَةُ: خَرَزٌ يَمَانِيٌّ، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ. وَالشَّدْرُ: قَطْعٌ مِنْ ذَهَبٍ،  
 يَفْصَلُ بَيْنَ الْجَوَاهِرِ، وَقِيلَ: الْجَزْعُ: خَرَزٌ مُلَوَّنٌ، وَالشَّدْرُ: خَرَزٌ أَخْضَرٌ،  
 وَقِيلَ: الشَّدْرَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الذَّهَبِ تَلْتَقِطُ مِنَ الْمَعْدِنِ مِنْ غَيْرِ إِذَابَةِ الْحِجَارَةِ.  
 بَنَى عَذْرَةَ، قَبِيلَةٌ بَغَابٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَبَّ النِّسَاءِ، فَكَلَّ مَنْ أَفْرَطَ فِي حُبِّهَا  
 قِيلَ لَهُ: عَذْرِي، فَسَبَّ إِلَيْهِمْ. وَسُئِلَ أَعْرَابِيٌّ، قَعِيلٌ لَهُ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ:  
 مِنْ قَبِيلَةٍ إِذَا أَحْبَبُوا مَا تَوَا، فَسَمِعْتَهُ جَارِيَةً، فَقَالَتْ: عَذْرِي وَرَبَّ السَّكْبَةِ.

قوله: نَبَا، أى ارتفع وزال خيرُه. الدُّمَى: النِّسَاءُ الْمُشْبَهَاتُ فِي بَيَاضِهَا  
 وَصَفَائِهَا بِصُورِ الرَّخَامِ، وَكَانَ الْعَاشِقُ مِنَ الْعَرَبِ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْعِشْقُ

والهَجْرَ ذهب إلى الأماص فاشتري صُورَةَ من رُخام على صورة محبوبته ،  
فإذا ركب بعيره أجلس الصُورَةَ بين يديه يمدتها ، ويستريح إليها ، نسوا  
النساء دُحَى تشبيهاً بصور الرخام . عَفّ : عفيف . البَذْرُ : ما يزرع في الأرض  
من الحبوب ، وحرثته نكاحه ، وأراد بالبذر ما يزرعه فيها من النُتْنة . مَذْرُه :  
هذيانه ، وكلامه الفارغ .

\* \* \*

قال : فَالْتَطَمَتِ المرأة من مَقَالِهِ ، وانْتَضَتِ الحُجْبَجَ لجدالِهِ ،  
وقالت له : ويلك يا امرئمان ! يا مَنْ هو لاطمامٌ ولا طمان ؛ أَنْضِيقَ بالولد  
ذَرْعًا ، ولا كُلَّ أَكْوَلَةٍ مَرَّتِي ؛ لقد ضلّ فهُمُك ، وأخطأ سَهْمُك ،  
وسفّهت نفسك ، وشقيت بك عِرْسُك .

فقال لها القاضي : أمّا أنتِ نلوجادلتِ النساء ، لا تثبتِ عنكِ  
خَرْسَاء . وأمّا هو فإن كان صدق في زعمه ، ودعوى عُدْمِهِ ، فَلَهُ في مَمِّ  
قَبْقَبِهِ ، ما يشغله عن ذبْدَيْهِ . فأطرقتَ تنظر ازورارآ ، ولا ترجع حِوارآ .  
حتى قلنا قد راجعها الخُفْر ، أو حاق بها الظفر . فقال لها الشيخ : تَمَسَّا  
لكِ إن زخرُفتِ ، أو كتبتِ ما عَرَفْتِ . فقالت : وَيْمُك ! وهل بعد  
المنافرة كُتْم ، أو بَقِي لنا على سرِّ ختم ! وما فينا إلا مَنْ صدق ، وهناك  
صَوْتُهُ إذ نَطَقَ ، فليتنا لا فينا البِـكْم ، ولم تأنق الحِـكْم ، ثم التفتت  
بوشاحها ، وتباكت لا فتضاحها ، وجعل القاضي يعجب من خطبها  
ويعجب ، ويلوم لها الدهر ويؤوب ، ثم أخفّر من الورق أُنْفِيز ، وقال :

أرضيا بهما الأجوّفين، وعاصيا النازغ بين الإلفين، فشكراه على حسن التّسراح، وانطلقا وهما كلماء والراح.

\* \* \*

التقطت: حتمّت والتهبت غيظاً. وانتضت: جرّدت: جداله: خصامه. مرّقان: كثير الرّقاعة، والرّقاعة كالحماقة، كأن عمّله تمزّق فرُقع. وضّقت بالشئ ذرعاً، إذا لم تقدر عليه. ضلّ: تحيّر. عرسك: زوجك. جادلت: خاصمت. اثنت: رجعت. خرساء: بكاء. زعمه: ما ادّعاه. قوله: قبّبه، التّقبّب: البطن، والتقبّبة: الصوت الذي يدور فيه، فسُمّي به.

والذبذب: الذّكر، وأصل الذذبذبة الاهتزاز والاضطراب، فسُمّي الذذبذب لحركته. ونظّر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب، فقال: يا شاب إن وقيت شرّ ثلاث، وقيت شرّ الشّباب: لقلبك، وذذببك، وقبّبك. الأصمى: اللتلق: اللسان، والتقبّب البطن، والذبذب: الذّكر.

قوله: أطرقت، أى سكنت مميلة إلى الأرض رأسها حياءً. ازوراراً: مَيّلاً. والحوار: مراجعة الكلام. الخفّر: الحياء. حاق: لحق. والظفّر هنا: غلبة حُجّبتها وظفّرها به. تمساً: هلاكاً. زخرفت هنا: زيّدت الباطل. المنافرة: الحماكة. حتمّ: ربط، أى قد أظهرنا جميع أسرارنا. هتك: خرق. صونته: صيانتته. لا قينا البكم، أى أصابنا البكم وخلفنا خُرْساً، فلم نبد ما أبدينا من القبائح، والبكم: الخرس مع عي. وقال نعلب: البكم: أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر، وبكم بكماً وبكاماً. والحسك: الحاكم. التفتت: التفت. والوشاح: الثوب، وقد توشحت بثوبها، جعلته موضع وشاحها. لاقتضاحها: لاشتمارها بالقبائح. خطّهما: أمرهما. يعجب: يجعل غيره يُعجب منه. يؤنّب: يوبخ ويلوم. الوريق: الدراهم. الأجوفين: البطن والفرج. النازغ: الماشى بالشرّ المفسد، ونزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغاً، أغوى وأفسد. والإلفين:

الصّاحِبِينَ . السَّرَاحُ : الانصِرافُ . والرَّاحُ : الحِمرُ ، وهى سَريعةُ الامتِزاجِ مع الماءِ ، فيُضْرَبُ بهما المثلُ فى امتِزاجِ نفوسِ المتجانِسِينَ .

وقد جاء من ذلك فى الشَّعرِ ما يُستَحسنُ ، قال ابنُ أبى فَنانٍ : أحسنُ ما قيلَ فيه قولُ العباسِ بنِ الأحنفِ :

ما أنسَ ما أنسَ يَمِنَها مِعْطَقَةٌ      على فِؤادى ويُسْراها على رَاسِى<sup>(١)</sup>  
وقولها : لَيْتَهُ ثوبٌ على جَسدى      وليتَنى كَنتُ سِرّاً لِعِباسِ  
أوليتَهُ كانَ لى خِمرًا وكَنتَ له      من ماءِ مَزنٍ فِكننا الدَّهْرَ فى كاسِ

قال الحاتِمى : وأحسَنُ دَعِبُ كلِّ الإحسانِ فى قولِهِ :

اللهُ يَعْلَمُ والأَيامُ دائِرَةٌ      والمرءُ ما بينَ إِيحاشٍ وإيناسِ<sup>(٢)</sup>  
أنى أَحَبُّكَ حَبًّا لو نَضَمْتُهُ      سَلِمى سَمِيكَ دَكَّ الشاهِقِ الراسِى<sup>(٣)</sup>  
حَبًّا تلبَسُ بالأحشاءِ وامتزجا      تمازُجُ الماءِ بالصَّمْبَاءِ فى الكاسِ

وقال البَحرى فأحسنُ :

تَهْتَزُّ مِثْلَ امْتِزاجِ العِصنِ حرَّكِهِ      مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ الوَسْمِىِّ سَحَّاحِ<sup>(٤)</sup>  
إِنى وَجَدتَكَ من قَلبى بِمَنزِلَةٍ      هى المِصافاةُ بَينَ الماءِ والرَّاحِ

\* \* \*

وطَفِقَ القاضى بَعْدَ مَسَرَّحِهِما ، وتَنانَى شَبَّحَهُما ، يُثنى على أدبِهِما ، ويقولُ : هَلْ من عارِفٍ بهما ؟ فقال له عَينُ أعوانِهِ ، وخالصةُ خُلصانِهِ : أما الشَّيخُ فَالتَّسْرُوجىُّ المَشهُودُ بِفِضْلِهِ ، وأما المِراةُ فَقَعِيدَةُ رَحْلِهِ ، وأما تَحّاكُمُهُما فَكَيِّدَةٌ من فِعلِهِ ، وأحْبُولَةٌ من حَبائلِ خَتَلِهِ ،

(١) ديوانه ١٥٦

(٢) ديوانه ٦٤

(٣) سلمى أحد جبلى طَبِيبٍ .

(٤) ديوانه ٤٤٢

فأحفظ القاضي ما سمع، وتلَّهَّبَ كيف خُدِّع . ثم قال للواشي بها :  
 قُمْ فَرَدِّهَا ، ثم اقْصِدْهَا وَصِدِّهَا . فنهض ينفض مِذْرُوبِهِ ، ثم عاد  
 يَضْرِبُ أَصْدَرِيَهُ . فقال له القاضي : أَظْهَرْنَا عَلَى مَا نَبَّهْتَ ، وَلَا تُخَفِّ عَنَّا  
 مَا اسْتَخْبَثْتَ . فقال : مَا زِلْتُ اسْتَقْرِي الطَّرِيقَ ، وَأَسْتَفْتِحُ الْعُلُقَ ،  
 إِلَى أَنْ أَدْرَكَتُهُمَا مُصْحِرَيْنِ ، وَقَدْ زَمَّا مَطِيَّ الْبَيْنِ ، فَرَعَّبْتُهُمَا فِي الْعَلَلِ ،  
 وَكَفَلْتُ لِهَمَا بَنِيْلَ الْأَمَلِ ، فَأَشْرَبْتُ قَلْبَ الشَّيْخِ أَنْ يِيَّاسَ ، وَقَالَ : الْفِرَارُ  
 بِقُرَابِ أَكَيْسٍ ، وَقَالَتْ هِيَ : بَلِ الْعُوْدُ أَحْمَدُ ، وَالْفَرُوقَةُ يَكْدُ .

\* \* \*

قوله طَفِقَ ، أى جعل . مسرحهما : انصرفهما . تنأى شبحهما : بعد  
 شخصهما . وعين الأعوان : مقدمهم . وأخلصان : الأحاب . وخالصة : خيار ،  
 فكأنه خيار خيارهم . قعيدة رَحْلِهِ : زوجته وصاحبة بيته . مكيدة : مكر .  
 أحبولة : شبكة . ختله : خداه . أحفظ : أغضب . تلَّهف : تندم فصاح :  
 يالهي ! . رُدَّهَا : اطلبها . مِذْرُوبِهِ : أطراف أليتيه . والأصدران : عرقان  
 في الصدغين ، وقيل : هما المنسكبان ، وقيل : العطفان ، ويقال : أتى فلان  
 ينفض مِذْرُوبَهُ ، إذا جاء غاضباً يتهدد . وَيَضْرِبُ أَصْدَرِيَهُ ، إذا جاء فارغاً  
 بلا حاجة ، فإذا قضى حاجته قيل : جاء ثانياً من عنانه . وقال الحسن البصرى ،  
 ورأى الناس يوم عيد يضحكون ، فقال : تلقى أحدهم أبيض بضاً يملخ في الباطل  
 مَلْخًا ، ينفض مِذْرُوبَهُ ، ويضرب أصدره ، يقول : ها أنا ذا فاعر فونى ، قد  
 عرفناك ، مقتك الله ، ومقتك الصالحون . يملخ : يبلج ، وقيل ينتنى ويتكسر .  
 استخبت : أصبته خبيثاً . استقرى : أتبع . العلق : جمع عُلقَة ، وهى المغالق  
 التى تسدُّ بها الطرق وغيرها ، وباب غلق ، أى مغلق . مصحرين : ذاهبين في

الصحراء . زَمًّا : شدة . والتبئ : الفراق . والعَلَل هنا : العطاء . كَفَلت : ضمنت . نيل الأمل : درك الحاجة . أَشْرِب : دوخل وألقى في نفسه ، والفرار بقُرَاب أكيْس ، مثل ، وقُرَاب الشيء : ما يقاربه وأراد الهروب باليسير والقريب أكيْس من الرجوع إلى الطمع ، ويروى : الفرار بقُرَاب ، بكسر القاف ، وهو مصدر بمعنى المغاربة ، والمثل لجابر بن عمر المازني ، وكان سائرًا في طريق ومعه أوفى بن مطر وشهاب بن قيس ، فترامى آثار رجُلين معهما فرسان وبعيران وكان قائمًا فقال : أرى آثار رجُلين شديد كلبهما ، عزيز سلبيهما ، والفرار بقُرَاب أكيْس ، ثم مضى هاربًا ، والمعنى : فرارنا ونحن بقرب السلامة خير لنا من أن نتورط في المكروه . والعود أحمد ، أى أوفق وأحق أن يوجد محمودًا ، والعود أحمد مثل ، أى الرجوع أحسن ، وقال المرقش :

وأحسن فيما كان بيني وبينه      فإن عاد بالإحسان فالعود أحمدُ  
وأشد أبو الحسن لعمارة :

بني دارم إن يفن عُمرى فقد مَضَى      حياتي لكم مني ثناءً مَخْلَدٌ<sup>(١)</sup>  
بدأتم فأحسنتم وأثبتت جاهداً      وإن عدتم أحسنتُ والعودُ أحمدُ

قوله : الفروقة ، أى الفزاع الكثير الفرق وهو الخوف . يكمد : يحزن حزناً لا يستطيع إمضاه . تبين : علم . غرر : خطر .

\* \* \*

فلمَّا تبين الشيخ سَفَه رأيها ، وغرر اجترائها ، أمسك ذلاً ذلها ،  
ثم أنشأ يقول لها :

دونك نصحي فافتني سُبلةً      واغني عن التفصيل بالجملة  
طيري متى نقرت عن نخلة      وطلقيها بثة بثلة

(١) الكامل - بشرح المرصفي ١ : ١٢٩



وَحَاذِرِي الْعَوْدَ إِلَيْهَا وَلَوْ سَبَّلَهَا نَاطُورُهَا الْأَبْلَهَ  
نَخِيرَ مَا لِلصَّ الْأَيْرَى يُبْقَعَةَ فِيهَا لَهُ عُمَلَةَ

\* \* \*

سَمَهُ : خفة ، والسفيه : الخفيف العقل . اجترأها : جسارتها وجراتها .  
خُذِلَ ذُلْمًا : أطراف ثوبها ، وذِلْ ذُلَّ القميص : ما يلي الأرض من أسافله ، الواحدُ  
ذُلْدُلٌ مثل قُمُومٍ وقَمَاقِمٍ . دونك : معناه قاربك ما تطلب فتناوله . اقتنفي :  
اتبعتي . سُبِّلَهُ : طرقه . نُفِّرَتِ : أُكَلَّتِ ثمرتها بمنقارك ، وهو مثل ، ونفرت  
أيضاً : بحثت ، والتَّنْقِيرُ : البحث عن الشيء ، يقول : متى ما أخذت من ثمر  
نَخْلَةٍ بنصيبٍ ففارقها ولا ترجع إليها ، وفي حديث أبي سعيد قال النبي صلى الله  
عليه وسلم : « خلقت النخلة والرمان والعنب من فصل طينة آدم عليه السلام » ،  
والبتة البتلة : التي لا رجعة فيها ، والبث : القطع . سَبَّلَهَا : طرقتها وأصله  
لابن السبيل . الناطور : حارس النخل خاصة ، بطاء غير معجمة ، وقيل :  
هو حافظ الكرم ، والجمع النواطير . الأبله : الكثير الغفلة . اللص : السارق .  
وعُمَلَةُ : سرقة وقعة قبيحة .

\* \* \*

ثم قال لي : لَقَدْ عُنَيْتَ ، فيما وُلِّيتَ ، فارجع من حيث جِئْتَ ،  
وقل لِمُرْسَلِكِ إن شئت :

رُؤْيُوكَ لَا تُعْقِبُ جَمِيلَكَ بِالْأَذَى فَتُضْحِي وَشَمْلُ الْمَالِ وَالْحَمْدُ مِنْ صَدِغِ  
وَلَا تَتَعْصَبُ مِنْ تَزِيدِ سَائِلِ فَمَا هُوَ فِي صَوِّغِ اللِّسَانِ بِمَبْتَدِعِ  
وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَ تَكِ مِرِّي خَدِيعةً فَعَبْلَكَ شَيْخُ الْأَشْرِيَيْنِ قَدْ خُدِعِ

فقال له القاضي : قَاتَلَهُ اللهُ ! فَمَا أَحْسَنَ شَجْوَنَهُ ، وَأَمْلَحَ فِتْوَنَهُ !

ثم إنه أصحَبَ رائدَه بُرْدَيْنِ، وَصُرَّةً مِنَ الْعَيْنِ، وَقَالَ لَهُ: سِرِّ سِيرَ مَنْ لَا يَرَى الْإِلْتِفَاتِ، إِلَى أَنْ تَرَى الشَّيْخَ وَالْقَتَاةَ، قَبْلَ يَدَيْهِمَا بِهَذَا الْحِيَاءِ، وَبَيِّنْ لِهَذَا الْخِدَاعِ لِلْأَدْبَاءِ .

قال الراوى : فلم أَرَفِي الاغتراب ، كَهَذَا الْعُجَابِ ، وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ يَمِّنُ جَمَالَ وَجَابِ .

عُنِيَّتْ : تعبت . وُلِّيتْ : كَلَّفْتُ . رُوَيْدِكَ : رَفَقَكَ ، أَيْ أَوْلَيْنَا مِنْكَ الرَّفْقَ وَالْمَهْلَ . لَا تُعْقِبْ : لَا تَتَّبِعْ . الْأَذَى : الضَّرَرُ . وَتَمَثَّلْ : جَمْعٌ . مَنْصَدِعٌ : مَتَفَرِّقٌ . صَوْنُغُ اللِّسَانِ : كَذِبُهُ وَحِيلُهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ « هَذِهِ كَذْبَةٌ صَاغِمَا الصَّوَاغِ » ، أَيْ اخْتَلَفَهَا الْكُذَّابُ . مُبْتَدِعٌ : أَوَّلُ فَاعِلٍ . سَاءَتْكَ : أَحْزَنْتَكَ .

شيخ الأشعريين ، هو أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسمه عبدالله بن قيس ، من ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب ابن يعزب بن كهلان بن سبأ ، قدم مكة وأسلم بها ، ثم هاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدم مع جعفر بن أبي طالب إلى المدينة ، والذي خدعه هو عمرو بن العاص في قصة التحكيم بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما ، وهي قصة مشهورة في كتاب العقد وفي كتاب المسعودي وغيرهما من كتب الأدب ، وفيهما أشياء مفككة في حق الصحابة رضي الله عنهم ، فلذلك أضربنا عن ذكرها .

رائدُه : طالبه . أصحبه : جعله في صحبته . بُرْدَيْنِ : ثوبين : صُرَّةٌ : خُرْقَةٌ تَمَثَّلَتْ فِيهَا الدَّرَامُ . الْعَيْنِ : الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ . سِيرَ مَنْ لَا يَرَى الْإِلْتِفَاتِ ، أَيْ سِيرًا سَرِيعًا لَا يَلْتَفِتُ مَعَهُ إِلَى مَهْمٍ . قَوْلُهُ : بَلَّ أَيْدِيَهُمَا ، يُقَالُ : بَلَّتْ بِهِ أَيْ بَلَّ إِذَا خَفِرَتْ بِهِ ، وَبَلَّتْ اللَّهُ بَابِنَ ، أَيْ رَزَقَكَ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » . أَيْ صَلُّوْهَا ، وَبَلَّتْ رَجْحَى أَبْلُهَا بِلَالًا ، إِذَا نَدَيْتَهَا وَوَصَلَّتَهَا . الْحِيَاءُ : الْعَطَاءُ . جَالٌ : تَصَرَّفَ وَقَطَعَ الْبِلَادَ بِالْمَشَى .

## المقامة السادسة والأربعون وهي الحلبية

روى الحارث بن همام قال : تزَّع بي إلى حَلَب ، شوقٌ غَلَب ،  
 وطلبٌ ياله مِنْ طلب ! وكنتُ يومئذٍ خفيفَ الحاذ ، حديث  
 النفاذ ، فأخذتُ أهبةَ السَّير ، وخفقتُ نحوها خُفوقَ الطَّير ؛ ولم أزل  
 مذ حَلَلتُ رُبوعَها ، وارتبعتُ ربيعَها ، أفانى الأيام ، فيما يشني الغرام ،  
 ويُرَوى الأوام ؛ إلى أن أقصر القلب عن ولُوعه ، واستطار غرابُ  
 البين بعد وقوعه .

\* \* \*

تَزَّع بي ، أى شوقنى وَحَمَلنى .

[ ذكر مدينة حلب ]

حَلَب : مدينة عظيمة بالشام وقنسرين ، خمس من أحماس الشام ، ومدينته  
 المغلبي حَلَب وساحلها أنطاكية . وذكرها شيخنا ابن جبير فقال : حلب  
 بلدةٌ قدرها خطير ، وذكرها في كلِّ زمانٍ يطير ، حُطَّابها من الملوك ؛ كثير ؛  
 كانت في القديم ربوة فيما يقال ، كان يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه السلام  
 بضمه ، فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها ، فسميت حَلَب ، وبها مشهد كريم منسوب  
 إليه ، يتبرك الناس بالصلاة فيه ، ولها قلعة شهيرة الامتناع ، بائنة الارتفاع ، معدومة  
 الشبه والنظير في القلاع ، تزمت حصانةً أن تُرام أو تُستطاع ، قاعدة كبيرة ،  
 ومائدة من الأرض مستديرة ، منحوتة الأرجاء ، موضوعة على نسبة اعتدال  
 واستواء ، فسبحان من أحكم تديرها وتقديرها ، وأبدع كيف شاء تصويرها

وتدويرها . ومن كمال جمالها الزائد على المشترط لحصانة القلع أن الماء بها نابع ، وقد صنع عليها جفان ، والطعام يصير فيها الدهر كله ، وليس من شروط الحصانة أهم من هاتين الخلتين ، ويُطيف بجبلها سوران حصينان ، يعترض دونهما خندق بالماء ، فلا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه ، وسورها الأعلى مجلّل ، كله أبراج منتظمة فيها القلالي المنيعة ، قد تفتحت كلّها طيقات ، وكل برج منها مسكون ، والبلد ضخم جداً ، جميل الترتيب ، أسواقه متصلة الانتظام ، تخرج من سماط صفة إلى سماط أخرى ، وقيساريّتها وجامعها ومدارسها ما تُسمع بئس وصفها في بلد من بلاد الله تعالى ؛ كل سوق من أسواقها مسقف بالخشب ، يقيدُ البصر حسناً ويستوقف المستوفز تعجباً . وقيساريّتها حديقة بستان نفاقة وجمالاً ، مطيفة بجامعها . وأكثر حوائطها خزائن من الخشب البديع الصنعة ، قد أصل السماط كله خزانة واحدة ، وتخلّتها شرف حسنة ، بديعة النقش وتفتحت كلّها حوائط ، فجاءت في أجمل منظر ، وكلّ سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع .

ثم أخذ ابن جبير في وصف الجامع والمدارس والبيارستان بأنواع من الأوصاف الحسان .

\* \* \*

قوله : ياله ! معناه التعجب كأنه قال : ما أعجبه من طلب : خفيف الحاذ ، أى قليل العيال ، وتقدم الحاذ في السادسة . حيث النفاذ : سريع المضي في أموره ، ورجل نأفذ ونفوذ ونفاذ : ماض في جميع أموره . أهبة : عدّة . خففت : ارتحلت بسرعة . حلت ربوعها : نزلت في بيوتها . ارتبعت ربيعها : التمت خيرها . أفانى : أقطع ، وفنى الشيء ، تم وانقطع . والفرام : عذاب الحب . والأوام : العطش . وأقصر : كف ، وأقصرت عن الشيء : تركته وأنت عليه قادر . ولوعه : مصدر ولع به إذا أحبه ولزمه . استطار ، بمعنى انتشر . وقوعه : نزوله ، وهم يتشاءمون بالفراب لأنه يؤذن عندهم بالفراق ، وذلك أنهم لا يرون

الغراب عند منازلهم إلا إذا حطوا بيوتهم للرحيل ، ينزل يلتمس ما يتركون مما يلقط ، ولذلك سموه غراب البين ، واشتموا من اسمه الغريب والغربة .

\* \* \*

فأغراني البال الخلو، والمرح الخلو ؛ بأن أقصد خص لأضطاف يبتعتها ، وأسبر رقاعة أهل رقتها ؛ فأسرعت إليها إسراع التجم ؛ إذا انقض للرجم ، فحين خيمت برسومها ، ووجدت روح نسيها ، ملح طرفي شيخاً قد أقبل هريره ، وأدبر غريره ، وعند عشرة صبيان ، صنوان وغير صنوان ، فطاوعت في قصده الحرص ؛ لأخبر به أدباء خص ، فبش بي حين وافيته ، وحيًا بأحسن مما حيينته ، جلست إليه لأبلوجني نطقه ، وأكنته كنه محقه ، فالبث أن أشار بمصيته ، إلى كبر أصيبيته ، وقال له : أنشد الأبيات العواطل ، واحذر أن تماطل ، فبنا جثوة ليث ، وأنشد من غير ريث ..

\* \* \*

أغراني : حرصني وساطني . الخلو : الفارغ . المرح : النشاط وخفة النفس من الطرب .

[ ذكر حمص ]

حمص مدينة عظيمة ، بينها وبين دمشق مائة ميل ، وأرض حمص خمس من أخماس الشام ، وهي مدينة يقال إن لها سوراً وفي وسطها حصنها ، ولا تدخلها حية ولا عقرب ، وأول من ابتدع الحساب أهلها ، لأنهم كانوا تجاراً ياشبيلية وأحوازها ، نزل أهل حمص عند افتتاح الأندلس ، فلذلك سميت حمص ، أخذت من قولهم : حمص الجرح يحمص محوصاً ، والحمص ينحمص انحصاصاً ، إذا ذهب وزمه .

قال اليعقوبي : مدينة حِمْص من أوسع مبانى الشام ، ولها نهر عظيم ، منه يشرب أهلها ، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه . وفى حديث عمر رضى الله عنه : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَيَبْعَثَنَّ اللهُ تعالى من مدينةٍ بالشام يقال لها حمص سبعين ألفاً يوم القيامة لا حساب عليهم » .

ودخلها شيخنا ابن جبير سنة ثمانين وخمسائة وقال : هى فسيحة الساحة ، مستطيلة المساحة ، نزهة لعين مصرها من النظافة والملاحة ، موضوعة فى بسيط من الأرض ، عريض مداه ، لا يتخترته النسيم بمسراه ، ويكاد البصر يقف دون منتهاه ، وماؤها يجلب لها من نهرها العاصى ، وهو منها بنحو ميل ، ومنبعه فى مغارة بسفح جبل بمرحلة منها ، بموصل يقابل ببلدك . وأهل حمص موصوفون بالنجدة لمجاورتهم العدو ، وأسوارها فى غاية العتاقة والوثاقة ، مرصوص بناؤها بالحجارة السود ، وأما داخلها فما شئت من بادية شعثاء ، حَلْمَة الأرجاء لا إشراق لآفاقها ، ولا رَوْنق لأسواقها ، وما ظنك ببلد حصن الأكراد منه على أميال يسيرة ، وتجذب فيها عند اطلاعك عليها بعض شبه من مدينة إشبيلية يقع للحين فى نفسك حبها ، ولذلك سميت باسمها فى القديم ، ولهذا نزل إشبيلية بعض أعراب حمص .

وقال الفنجديسى : بأهل حمص يضرب المثل فى الحماقة ، وكثرة الرقاعة ، ونسب إليهم حكايات مضحكة ، حكى عن بعضهم أنه قال : دخلتها وفى فمى درهم لأشترى به بعض ما اشتبهه ، فإذا برجلٍ بباب الجامع جالس على كرسي ، وعلى رأسه عمامة محنك بها على قانسوة ، وقد لبس فرّوة مقلوبة بلا سراويل ، وقد تقلد سيف ، وفى حجره مصحف يقرأ فيه ، وعنده كلب رابض يمسكه بمقوده ، فسألت عليه ، فردّ السلام ، وقلت له : أترى القوم صلّوا ؟ فقال لى : أو أنت أعمى ! أما ترانى قاعداً ! قلت : من أنت ؟ قال : أنا أبو خالد إمام الجامع ، فقلت : ما هذه الحلية ؟ قال : ورد رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ، ويشتم أبا بكر الصناديق وعمر القواريرى وعمان بن أبي سفيان ومعاوية

ابن أبي غَسَّانَ الذي هو من حملة العرش ، وزوجه النبي ابنته عائشة في زمن الحجاج بن يوسف ، فاستولدها الحسن والحسين ، قلت : ما أعرفك بالمثاقلة والأنساب ! قال : وما خُفيَ عنك أكثر ، قلت : أتحفظ القرآن ؟ قال : نعم ، قلت : فاقراً شيئاً منه ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهَلَّ السَّكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رُؤْيَاً » ، فصغته صغرة سقطت عمامة ، وبقي التحنك في عنقه ، فصاح بالناس : قلنسوني ! وقال : احملوه إلى المحتسب ، فأوصلوني إلى رجل حاسر حافٍ ، قد لبس دراعة بلا سراويل ، فقال : ما صنع هذا ؟ قالوا : صنع إمام الجامع ، قال : يا مسكين ، أهلكك نفسك ، قلت : هذا حكم الله فصبوا عليه ؟ قال : أيما أحب إليك عمل عينيك ، أو قطع يديك ، أو تدفع نصف درهم ؟ قال : فرفعت يدي وصغعت المحتسب صغرة ، ثم أخرجت الدرهم من فمي ، وقلت : يا سيدي خذ نصف درهم لك ، ونصف درهم لإمامك .

وقال فيهم بعض الشعراء :

لأنهم أهلٌ حص لا عقول لهم      بهائم غير معدودين في الناس  
ونزلها في القديم أهلُ اليمن ، ولم يكن فيها من مصر إلا ثلاثة أبيات :  
وكان لهم إمام من مصر ، ففضبوا عليه وعزلوه ، فقال فيهم ديك الجن يهجوهم :  
سمعوا الصلاة على النبي توالى      فتفرقوا شيعاً وقالوا : لا ، لا (١)  
ثم استمر على الصلاة إمامهم      فتحزبوا ورعى الرِّجالُ رجالاً  
يا أهلَ حص توقموا من عارها      خزيًا يحلُّ عليكم ووبالاً  
شاهت وجوهكم وجوهاً طالبا      رغمت معاطسها وساءت حالاً

(١) ديوانه ١١٠ ، وآخر بيت في هذه المقطوعة :

إِنَّ يُبَيِّنَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ كَرَامَةً      فَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْهِ تَعَالَى

قوله : أصطاف ، أى أسكن فى الصَّيف . وأسبر : أختبر . والرَّقاعة :  
نجاوز الحدِّ فى الوقاحة وصلابة الوجه . والبقعة : القطعة من الأرض ، وكذلك  
الرقعة . وانقضَّ النجم للرجم ، إذا استطار لرجم الشياطين ، وأراد أنه أسرع  
إليها بسرعة الخليل كسرعة النجم المنقضِّ ، قال خلف الأحمر :

كالكوكب الدرِّى مبتهلاً سيراً يفوت الطرفَ أسرعهُ  
وكانما جهدت أليته ألا تمس الأرض أربعهُ

وقال ابن الرومى :

خذها تبوعاً لمن أولى مسومة كأنها كوكب فى إثر عفريت<sup>(١)</sup>  
وما أحسن قول ابن المعتز فى هذا المعنى :

كأنما النجم والعفريت مسترقاً للسمع ينقضُّ يُلقي خلفه لهبهُ  
كفارس حلّ من عجب عمامته فردّها كلّها من خلفه عذبهُ  
قوله : خيِّمت ، أى أقت ، وأصله ضربت خيِّمة . رسومها : آثارها .  
روح نسيمها : لذة ريحها : لمح طرفى : أبصرت عيني . هريره : صياحه ، وقد هرت  
الكلب هريراً ، إذا نبح وحمل على من أنكره . وغريره : شبابه ، والغرّة : صغر السن ،  
ومعناه أقبل شرّه وسوء خلقه ، وأدبر صباه وحسن خلقه ، ولما كانت خليقته فى  
هذه المقامة منبسطة مع صبيانها صار هذا التفسير فيه بُمد . وقال بعضهم : أقبل هريره ،  
أقبل هرّمه وبُئسه ، من هرّ الشوك إذا اشتدّ يبسه حتى صار كأنياب الهرّ ،  
وهذا يوافق الغرض ، فعناه أقبل هرّمه وكبره وأدبر صباه وصقره ، ومثله  
كالت الإبل شجر الشوك ، إذا رعت كأنها رعت فيه أنياب الكلاب لصعوبته ،  
والغرير أيضاً : الضامن ، ويكنى به هنا عن الشباب كأنه ضمن لصاحبه طول  
الحياة المنقودة . معناها فى الهرم . والصنوّ : الأخر الشقيق ، وأصل الصنوّ فى النخيل  
والشجر ، وهى التى تجتمع أصولها وتفترق أجسادها . الحرّص : الرغبة والطمع .

(١) ديوانه ١ : ٣٧٩



أخبر : أ ج ر ب : بش . استبشر ، والبشاشة إظهار السرور وبسط الوجه .  
وافيته . أتيته . جنى نطقه : ما يجنى من كلامه ويحصل منه . أكتنه : أتعرف  
وأتحقق . كنه . قدر وحقيقة . ابن الأنباري : الحق عند العرب الحجر ، ثم أخذ  
منه الأحق وهو المتغير العقل .

[ من نوادر المعلمين ]

فمما يحكى من حماقتهم : كان حمزة المعلم متقلناً فأناشد فيه أبو جعفر الحاكم :  
أرى على حمزة المقرئ قلنسوة عساكر القمل تجرى في حواشيتها  
إن المعلم لا تخفى حماقته ولو تقلنس بالدنيا وما فيها  
تقلنس : لبس القلنسوة .

الجاحظ : عقل مائة معلم عقل امرأة ، وعقل مائة امرأة عقل حائك ، وعقل  
مائة حائك عقل خصي ، وعقل مائة خصي عقل صبي ، قال الشاعر :  
معلم صبيان وصاحب ذرة وليس له عقل بمقدار ذرة

الفنجديهي : قال أبو طاهر : عقل امرأتين كاملتين عقل رجل ، وعقل  
أربعة خصيان عقل امرأة ، وعقل أربعين حائكاً عقل خصي ، وعقل أربعين  
معلماً عقل حائك .

الزبير بن عبد الملك الهاشمي قال : سررت ببعض المعلمين ويعرف بكسرى ،  
فرأيتَه يصلي بالصبيان صلاة العصر ، فلم أزل واقفاً أفكر فيه ، فلما أن ركع  
أدخل رأسه بين رجليه ، لينظر ما يصنع الصبيان خلفه ، فرأى صبياً يلعب .  
فقال له وهو راكع : يا بن البقال ؛ هوذا ؟ أدري ما تصنع !

الجاحظ : سررت بمعلم وقد كتب على لوح صبي : « وإذ قال لقمان لابنه  
وهو يعظه . يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ، وأكيد  
( م ١٤ - شرح مقامات الحريري ج ٥ )

كيداً فهل الكافرين أمهلهم رويداً». فقلت: ويحك! أتدخل سورة في سورة؟ فقال: نعم عافاك الله، إن أبا العاصِّ بَطْرَأمه يدخل أجرة شهر في شهر، وأنا أيضاً أدخل آية في آية، فلا أنا آخذ شيئاً ولا الصبي يتعلم شيئاً.

أبو بكر القبطي: عبرت على معلم وهو يَمْلِي على غلام بين يديه: «فريق في الجنة وفريق في السعيد»، فقلت: يا هذا ما قال الله من هذا شيئاً إنما هو في السعير، فقال: أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي، وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني فقلت: معرفتك بالقراء أعجب إليّ؛ وانصرفت.

وروى بعض الفضلاء قال: مررتُ في بعض قرى السواد، وإذا معلم صبيان يقول: وَيَحْكُم يا صبيان، تفسون افصاح به واحد منهم، وقال: إنما فسا أخى، فقال المعلم: إني لأعلم فسوته الخبيثة، ولكن أعلل نفسي بالأباطيل، ثم قال: إني لأعرف فساء كم كما أعرف أصواتكم، وحلف على ذلك ثم أنشد:

معلم صبيان يروح وَيغتدي على أنفه ألوان ريح فُسايمهم  
وقد أفسدوا منه الدماغ بقسومهم ورفعهم أصواتهم في سحائمهم

الجاحظ: كان في المدينة رجلٌ معلمٌ صبيان، يُفرط في ضربهم، فلاموه على ذلك، فساءني حاله معهم، فاستفتح صبي، وقال: يا معلم، وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين، ما بعده؟ فقال: بل عليك وعلى والديك لعائن الله تترى.

وجاء آخر فقال: يا معلم، أخرج منها فإنك رجيم، ما بعده؟ قال: ذاك أبوك الكشخان. وجاء آخر، فقال: يا معلم مالنا في بناتك من حق، ما بعده؟ فقال: لا ولا رأيتهن، فقال: على هذا أضربهم، أتعذرونني؟ قلت: نعم.

العتبي: كان ببغداد معلمٌ يشتم الصبيان فأخذت بيد المشايخ فدخلنا عليه، فقلنا: يا شيخ ما يحمل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان؟ فقال: أنا مبتلى بهم، ما شتم إلا من يستحق الشتم، فاحضروا حتى تسمعوا بعض ما أنا فيه، فحضرنا

معه ، فقرأ عليه صبيّ : « عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون » فقال : يا ماصّ بظراًمه ، فليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا أكراد شهرزور ، قال : فضحكنا والله حتى بال أحدنا في سراويله ، فقرأ عليه آخر : « لا تنفقوا إلاّ من عند رسول الله » وتردّد فقال : من عند أبيك القرّنان أولى ، فإنه أكثر مالاً يا بن الفاعلة ، أتلتزم النبي صلى الله عليه وسلم نفقةً لا تجب عليه ؟ أمعجبك كثرة ماله ؟ فقال : فكنت بعد ذلك أترك أشغالي ، وأجلس عنده أتعجب .

الجاخط : سرق صبي عثمان مصحفاً ، فقال له المعلم : ماذا لقيت المصاحف منكم يا آل عثمان ! أبوك أحرقها وأنت تسرقها !

قال أفتح التركي : خرجنا سرّة إلى حرب لنا ، ومعنا معلم كان يقول : أنا أتنبئ أن أرى الحرب كيف هي ؟ فأخرجناه معنا ، فأول سهم جاء وقع في رأسه ، فلما انصرفنا دعونا له معالجا فنظر إليه ، وقال : إن خرج الزج وفيه شيء من دماغه مات ، وإن لم يخرج عليه شيء من دماغه لم يكن عليه بأس ، فسبق إليه المعلم فقَبِلَ رأسه ، وقال : بشرك الله بخير ، أنزعه فما في رأسه دماغ ، فقال الطيب : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني معلّم كتاب الله تعالى ، وما في رءوس المعلمين ذرّة من دماغ ، ولو كان فيه ذرّة من دماغ ما كنت هاهنا .

وقال موسى بن حستان السكاتب : رأيت بالبصرة معلّماً قد أجلس أولاد الأغنياء للظلّ وأولاد المساكين للشمس ، وهو يقول لأولاد الأغنياء : يا أهل الجنة ، ابرقوا على أهل النار - يعني أولاد المساكين - قفلت : يا هذا ، ما بال هؤلاء يُبخسون ؟ فقال : هؤلاء يبخسون الأخطار .

أحمد بن دليل : مررت بمعلّم يضرب صبيّاً ، ويقول : والله لأضربنك حتى تقول لي : من حفر البحر ؟ فقلت : أعزك الله ، والله لا أدري أنا من حفر البحر ، فقل لي حتى أتعلّم أنا ، فقال : حفر البحر كردم أبو آدم عليه السلام .

أبو العنابس : كان في دَرْبنا معلّم طويل اللحية ، فكنت أجلس إليه كثيراً وأتلّمى به ، فجنّته يوماً وبين يديه صبيّ يقول له : ويلك ! اللجة من حفرها ! قال : عيسى بن مريم ، قال : فالجبل من خَلَقَه ؟ قال : موسى بن عمران ، قال : فالبعر ، من دَوَّرَه في است الجمل ، قال : شيطان يقال له الحىّ ، قال : أحسنت ، فآدم من أبوه . قال : نوح ، قال : بنجر بنجر ، نجوت والله ! قلت : ياسبحان الله ! أليس آدم أباً للبشر ! قال : نعم ، قلت : فكيف يكون نوح أباه ! قال : ويلك أتعرفنى بآدم وأنا أبو عبدالله المعلم ، يا صبيان كرفسوه فكرفسونى ، حتى صيرونى مقيداً ، خلفت ألا أقف على معلم أبداً .

الجاحظ : أتت امرأة إلى معلّم بابت لها ، وكان المعلم طويل اللحية ، فقالت : إن هذا الصبي عاق لا يطيعنى فأحب أن تفرّغه ، فأخذ المعلم لحيته وألقاها في فيه وحرك رأسه ، وصاح صيحة ، فصرّطت المرأة من الفزع ، وقالت : إنما قلت لك : فرّغ الصبي ، ليس إياى ، فقال لها : مرّى باحتماء إن العذاب إذا نزل هلك الصالح والطالح .

الأصمعي : مررت بمعلّم بالبصرة يضرب صبياً ، ثم أقام الصبيان صفّاً ، وجعل يدور عليهم ، ويقول : اقرأوا ، فلما بلغ الصبيّ المضروب ، قال لآخر إلى جنبه : قل له : يقرأ فإنى لا أكلمه !

### [ فصل في التأديب والأدباء ]

ونذكر هنا في التأديب والأدباء ما يكون من شكل هذا الموضع ، ثم نبيع عند ذكر الغلمان الحسان من الأشعار ما يجرى كاليان والتفسير لأحوالهم بعون الله تعالى .

قالت الحكماء : من أدب ولده صغيراً مُرّبه كبيراً ، ومن أدب ولده أرغم حاسده .

وقال ابن عباس : مَنْ لَمْ يَجْلِسْ فِي الصَّفْرِ حَيْثُ يَكْرَهُ ، لَمْ يَجْلِسْ فِي الْكَبْرِ حَيْثُ يَحِبُّ .

وقالوا : أَطْبَعُ الطَّيْنَ مَا كَانَ رَطْبًا ، وَأَغْرَزَ الْعُودَ مَا دَامَ لَدْنَا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الصخر ، والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء » .

وسمع الأحف : التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر ، فقال : الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه أشغل قلباً .

وقال علي رضي الله تعالى عنه : قلب الحدّث كالأرض الخالية إذا أتى فيها شيء قبلته .

وقالوا : نشاط الأناب في عصر الشباب ، والسودد مع السواد ، وشواظ النار قبل الرماد .

وقال الشاعر :

إِنّ الغصون إذا قومتمها اعتدلت      ولن تكلين إذا قومتمها الخشب  
وقال آخر :

إِنّ الكبير إذا تنامى سنه      أعمت رياضته على الرّواضِ  
فإذا دفعت إلى الصغير فأما      تكفيك منه إشارة الإيماضِ  
وقال آخر :

\* ومن العناء رياضة الهرم \*

وأنشدوا :

\* أبعد شبك هذا تبتغي الأديا \*

وقال الشاعر في تدرّج الصبي برفق :

سَدَّ صِرَاحِي الطِّفْلِ فِي شَأْنِهِ      بِلَفْظَةٍ تَشْدُدُ بِهَا أَرْزَرَهُ  
وَاعْتَمَرُ اللَّحْمَةَ مِنْ فَهْمِهِ      إِنْ الْمَبَادِي أْبْدَا نَزْرَهُ  
كَأَنَّ تَرْبِي النَّارُ مِنْ شِعْلَةٍ      وَالذَّوْحَةُ الْغَنَاءُ مِنْ بَذْرِهِ  
وهذا ضدّ ما قال المعري :

لا يستوى ابنك في خَلْقٍ وَلَا خُلُقٍ      إِنْ الْحَدِيدَةُ أُمُّ السَّيْفِ وَالْجَلْمُ  
فَاضْرِبْ وَلِيَدِكَ وَادِلَّهُ عَلَى رَشْدِهِ      وَلَا تَقُلْ هُوَ طِفْلٌ غَيْرَ مُحْتَلِمٍ  
قَرَّبْ شِقَ بَرَأْسٍ جَرَّ مَنْفَعَةً      وَوَسَّ عَلَى نَفْعِ شِقِ الرَّأْسِ بِالْقَلَمِ  
أشار إلى قوله تعالى : ﴿ يَا بَحِي خذ الكتاب بقوة ﴾ .

وقال صالح بن عبد القدوس :

وَإِنْ مَنَ أَدْبَتَهُ فِي الصَّبَا      كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ مِنْ غَرَسِهِ  
حَتَّى تَرَاهُ مَوْرِقًا نَاضِرًا      بَعْدَ الَّذِي أَبْصُرْتَ مِنْ بُنْسِهِ  
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ      حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ  
إِذَا ارْعَوَى عَاوَدَهُ جَهْلُهُ      كَذَى الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ  
مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ      مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقال عتبة بن أبي سفيان لعلم ولده : ليكن أوّل إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيوبهم معقودة بعيبك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبیح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تمهلهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم فيه فينجسوه ، ورومهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفّه ، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يُنكسوه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم ، وعلمهم سير

الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وهددهم في أدبهم دوني ، وكن لهم كالطيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، واستزدني بزيادتك إيتاهم أزدك في برسي ، وإياك أن تتشكل على عذر مئى ، فقد اتسكت على كفاية منك لى .

وأوصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطه ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الآثار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصّره مواقع الكلام ، وامنمه الضحك إلا في أوقاته ، ولا تمرر بك ساعة إلا وأنت مفتنم فيها فائدة تفيدها له من غير أن تحرق به فتعيت ذهنه ، ولا تمن في مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت باقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة ، وباللّه توفيقكما .

وقال للأصمعيّ : يا عبد الملك ، أنت أعلم منا ، ونحن أعقل منك ، لا تعلمنا في ملا ، ولا تسرع بتذكيرنا في خلا ، واطركننا حتى نبتدئك بالسؤال ؛ فإذا بلغت الجواب حسب الاستحقاق ، فلا تزد إلا أن نستدعي ذلك منك .

للموردي : إذا كان لبعض الملوك رغبة في العلم ، فلا تجعل ذلك ذريعة للانبساط عليه والإدلال . وكتب شريح إلى معلم ولده :

تَرَكَ الْعَصَلَةَ لِأَكْلِيبِ يَسْعَى بِهَا      يَبْغِي الْهَرَّاشَ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجَسِ (١)  
فَإِذَا هَمَّتْ بِضَرْبِهِ فَبَدْرَةٌ      وَإِذَا بَلَغَتْ بِهِ ثَلَاثًا فَاخْبِسْ  
وَإِذَا أَنَاكَ فَعَصَّهُ بِعِلَامَةٍ      وَعَظَمَتِهِ مَوْعِظَةُ الْأَدِيبِ الْأَكْبَسِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَتَيْتَ فَنَفْسِهِ      مَعَ مَا يَجْرَعُنِي أَعَزُّ الْأَنْفَسِ

(١) العمدة لابن رشيقي ١٧

[ فن آخر في التهمين من المعلمين ]

اتصل حماد مجرد بالربيع يعلم ولده ، فكتب إليه بشار :

يا أبا الفضل لا تتم      وقع الذئب في الغنم  
إن حماد مجرد      إن رأى غفلة هجم  
بين نخذه حرمة      نى غلاف من الأدم  
إن خلا البيت ساعة      تجتمع الميم بالقلم

فطرده الربيع .

واتخذ المهدي قطرباً لتأديب بعض ولده ، وكان حماد يطعم في ذلك ، فلم يتم له تهنتكه وشهرته في الناس بما قال بشار ، فلما تمكن قطرب من موضعه ، صار حماد كالمغنى ، فجعل يقوم ويقعد قلقاً ، ثم دس إلى المهدي رقعة فيها :

قل للإمام جزاك الله سالحة      لا تجمع الدهر بين السخل والذئب  
السخل غير وهم الذئب فرصته      والذئب يعلم ما في السخل من طيب

فقال المهدي : انظروا لا يكون هذا المؤذب لوطياً ، ثم أخرجوه من الدار ، فبعث الضجر حماداً حيث حرّمه بشار هذه المراتب إلى أن قال فيه :

لقد صار بشار بصيراً بدبره      وناظره بين الأنام ضريب  
له مقلة عمياء وأست بصيرة      إلى الأيز من تحت الثياب تشير  
على وده أن الحمير تنيكه      وأن جميع المعلمين حمير

وقال فيه :

ألا من مبلغ عنى السدى والده زرد



إذا ما ذُكر الناس فلا قَبْلُ ولا بَعْدُ

وأعمى يشبه القرد إذا ما عمى القردُ

وقال فيه :

دُعيتَ إلى بُردٍ وأنت لغيره

وهبك ابن برد نكت أمك من بُردٍ

وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد لوطياً زنديقاً ، وكان سعيد

ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جميل الوجه شاعراً ، فدخل على عبد الصمد فراوده في نفسه فسبّه ، وخرج مغضباً ، فدخل على هشام بن عبد الملك ، وهو

يقول :

إنّه والله لولا أنت لم ينجُ مني سالماً عبد الصمد

فقال هشام : ولم ؟ قال :

إنه قد رام مني حُطّةً لم يرُمها قبله مني أحد

قال : وما هي ؟ قال :

رامَ جهلاً بي وجهلاً بأبي يُدخل الأفعى إلى غيل الأسد

فضحك هشام ، وقال : لو فعلت به شيئاً لم أنكر عليك .

وكان سعيد يومئذ صغيراً في المكتب ومؤدب عبد الصمد هذا ، فلما راوده

عن نفسه شكاه إلى هشام وأبدع في الكناية ، ورتق هذا المنكر الأكبر بلفظ يقابل به خليفة ، وغاية ذوى الحُنكة من الخطباء محاكاة براعته واستعارته ،

وليس ببدع ، فهو من بيت ثلاثة شعراء في نسق ، وكان هذا الشعر سبب إبعاد عبد الصمد من تأديب أولاد الخلفاء .

قوله : مالمبث ، أى ما أقام ولا تأخر . كبر أصيبته ، أى أكبرهم ،  
وكبر ولد الرجل أكبرهم من الذكور ، وكبر قومه : أقدمهم فى النسب ، أى  
أقربهم إلى الجد الأكبر ، ومنه قيل : الولاء للكبر . أصيبته تصغير أصبية .  
قال الجوهري : الصبي : الغلام ، وجمعه صببية وصببان وهو من الواو ، ولمّا  
لم يقولوا : أصبية ولا أغلمة استغنوا عنهما بصبية وغلمة ، وجاء فى الشعر أصببية .  
وقال سيبويه : تصغير صببية أصببية ، وتصغير أصببية صببية وكلاهما على  
غير قياس .

ابن سيده : عندى أن صببية تصغير صببية وأصببية تصغير أصببية ، ليكون  
كل شيء منهما على بناء مكبره .

العواطل : التى لا تقطع فيها . تماطل : تؤخر إنشادها . جئاً : برك .  
ليث : أسد . ريث : بطاء وتأخير .

\* \* \*

أَعْدِدْ لِحَسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ	وَأُورِدِ الْآمِلَ وَرَدَ السَّمَاحِ
وَصَارِمِ اللَّهْوِ وَوَضَلِ الْمَهَا	وَأَعْمِلِ الْكُومَ وَسُمَرَ الرِّمَاحِ
وَاسْنَعِ لِإِدْرَاكِ مَحَلِّ سَمَا	عَمَّادَهُ لَا لِأَدْرَاعِ الْمِرَاحِ
وَاللَّهِ مَا السُّوْدُودُ حَسَنُ الْبَلَا	وَالأَمْرَادِ الْحَمْدُ رُوْدُ رِدَاخِ
وَأَهَا مُلْحَرٌّ وَاسِعَ صَدْرِهِ	وَمَهْمُهُ مَا سَرَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ
مُورِدُهُ حُنُوقُ لِسْوَالِهِ	وَمَا لَهُ مَا سَأَلُوهُ مُطَاحِ
مَا أَسْمَعَ الْآمِلِ رَدًّا وَلَا	مَاطَلَةً وَالْمَطْلُ لُؤْمٌ صُرَاحِ
وَلَا أَطَاعَ اللَّهُوَلَمَّا دَهَا	وَلَا كَسَا رِحَالَهُ كَأَنَّ رَاخِ

سَوْدَهُ إِصْلَاحُهُ سِرَّهُ      وَرَدُّعُهُ أَهْوَاءُهُ وَالطَّمَّاحُ  
وَحَصَلَ الْمَدْحُ لَهُ عَلَيْهِ      مَا مِيزَ الْعُورُ مَهْوَرُ الصِّحَاحِ

\* \* \*

أورد الأمل ، أى أعطى الراجى . ورد الطماح : ماء الكرم . صارم : قاطع . المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية ، وأراد النساء . الكوم : جمع كومة ، وهى الناقة العظيمة السنام . اسع : اجر مسرعاً . محل سما : منزل ارتفع . والعماد : قائمة الخباء وإذا علت علا البيت . ادراع : لبس الدروع . والمدراح : الطرب والنشاط ، كأنه يقول : لا تشتغل باللهو واشتغل بكسب الشرف . حسو الطللاً : شرب الخمر . الشودد : الفعل الذى يرجع به فاعله سيئداً . سمراد ، بفتح الميم : مذهب وطريق ، وأصله موضع اختلاف الإبل مقبله ومدبرة وهو المرعى . رُود : جارية ناعمة شابة . والرذاح : العظيمة العجز ، وهو كما قال أبو نواس :

لئن خُلِقَ الأنامُ لحبِ كأسٍ      ومزمارٍ وطنبورٍ وغُودٍ  
فلم يُخلَقِ بنو حَمدانٍ إلا      لبأسٍ أو لجدٍ أو لجودٍ

واهاً : محبباً . ما : بمعنى الذى . مطاح : هالك بالمطاء . صراح : ظاهر .. راحاً : كفاً . راح الثانى : خمر . سؤدده : شرفه ، وجعله سيئداً . سره : باطنه . ردعه : كفه . أهواءه : شهواته . والطماح : ارتفاع النظر . العور : جمع عوراء . وهى الفاقدة إحدى عينيها . مهوور : جمع مهر ، وهو الصداق ، وأعمل علمه فيما بعده من الكلام ، وضرَبَ العور والصحاح مثلاً للأفعال الجميلة والذميمة ، فأراد أن تميزه بين الأشياء المتضادة وعلمه أن مهر التبيحة العوراء لا يبلغ مهر المليحة الحسنة ، جعل ممدوحاً سيئداً . ومثل هذا الشعر الذى لم يتقط ما أنشد أبو القاسم الزجاجى لأحمد بن الورد :

علم العدو ملامة اللوامِ ودوام صدك وهو صدح حمام  
لولاك ما حذر السهاد دموعه ولما أطار كراه حرّ أوامِ  
هل ما أسرّ وما أوْمَل رادعٌ هول الهموم وروعة الأحلامِ  
رُدّ السلام وما أراك مسلماً وراك أهلُ هواك سرّاً كلامِ  
كم حاسد لك أو مسرّاً وداده ومعللُ أهواه طول ملامى

وهي قصيدة نحو الثمانين بيتاً وما زال المحدثون يظهرون اقتدارهم في هذا الفن ، إلا أنه قلما يقع في ذلك بيت مستحسن ، فذلك تركنا أن نمشى مع أشعار هذه المقامة فيما يماثلها ، وقد أكثر الناس القول في ذلك ، وفائدته أن يقال : قدر على لزوم مالا يلزم لا أن يقال : قد أحسن فيما قال ، وقد أنشد أبو القاسم أيضاً ، أبياتاً لا تنطبق عليها الشفاء ، منها :

أُتِينَاكَ يَا جَزَلَ الْعَطِيَّةِ إِنَّنَا رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِلْعَطَايَا الْجَزَائِلِ  
عَقِيلِ النَّدَى يَا حَارِ عَدْنَا عَقِيلَةً نَعْمُكَ انْتِجَاعًا لِلْحَسَانِ الْعَقَائِلِ

\* \* \*

فقال له : أَحْسَنْتَ يَا بُدَيْرَ ، يَا رَأْسَ الدَّيْرِ ، ثُمَّ قَالَ لِتِلْوِهِ ، الْمَشْتَبِهِ  
بِصْنُوهِ : اذْنِ يَا نُؤَيْرَهُ ، يَا قَمْرَ الدُّوَيْرَةِ ، فِدَانَا وَلَمْ يَتَبَاطَأْ ، حَتَّى حَلَّ مِنْهُ  
مَقْعَدَ الْمُعَاوَى ، فَقَالَ لَهُ : اجْلُ الْأَيَّاتِ الْعَرَائِسَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَفَاسٌ ،  
خَبِرِي الْقَلَمَ وَقَطِّ ، ثُمَّ احْتَجِرِ اللَّوْحَ وَخَطِّ :

فَتَنَّنِي لِحَمَّتَنِي تَجَنِّي بَتَجَنِّ يَفْتَنُّ غِيبًا تَجَنِّي  
شَفَقْتِي بِحَفْنِ ظَلِي غَضِيبِي عَنِيحٍ يَفْتَضِي تَغْيِضَ جَفْنِي  
غَشِيَّتِي بِزَيْتِنِي فَشَفَّتْنِي بِزِيٍّ يَشِفُّ بَيْنَ تَشْنِي

فَتَنْظَيْتُ تَجْتَدِي فَتَجْزِي نِي بِنَفْسٍ يَشْفِي نَغِيبَ ظَنِّي  
 ثَبَّتْ فِي غَشِّ جَيْبٍ بَزْيِيهِ نِ خَيْثٍ يَبْنِي تَشْفِي ضِعْنِ  
 فَزَتْ فِي بَجْنِي فَشَنْتِي بِنَشِيحٍ يُشْجِي بِنُ فَنِّ فَنِّ

\* \* \*

قوله : أحسنت يا بدير : تصغير بَدْر ، صغره لصغر سنه ، على أنه قد زعم  
 أنه كبير صبيانه . وفي مثل هذا البدر الذي قد نثر هذه الدرر قال الشاعر :

دُرَانٍ مِنْ فَمِهِ شَفَا مَحْدَهُ      لِلنَّثْرِ وَالنَّظْمِ مَسْمُوعٌ وَمُلْتَمِّمٌ  
 فَدَقَلْتُ لَوْ قَبْلَ الْوَعْظِ الْمَبِينِ لَهُ      خَفِ الْمُهَيْمِينَ فِينَا إِنَّا نَسَمُّ  
 فَقَالَ مَنْ ضَرَّجَتْ خَدِي نَظْرَتُهُ      فَإِنْ سَيْفِ جُنُونِي مِنْهُ يَنْتَقِمُ

يا رأس الدير : يا عظيم القوم ، والدير : موضع القسيسين ، أراد به حلقة  
 أصحابه . تَلَوْه : التابع له ، أو الجالس إلى جانبه . صنوه : أخوه الذي على قدر  
 سنه . اذُنُ : اقرب . نُؤْيِرَةٌ : تصغير نار ، شبه في حدته وذكائه بها ، أو في  
 حسنه وبهائه . والدويرة : تصغير دارة ، وهي حلقتهم التي اجتمعوا فيها ،  
 فكانه قال : يا قرأ في أصحابه .

[ مما قيل في العلمان الكتاب ]

ومما قيل في غلام كاتب : سأل الثعالبي أبا الفضل الدارمي أن يصف له  
 غلاماً كاتباً حسن الخطأين : خطى اليد والوجه ، فقال :

وَكاتبٌ أهديتُ نَفْسِي لَهُ      فهِ مِنْ الشَّوْءِ فِدَى نَفْسِهِ  
 سَاطِئٌ خَدَيْهِ عَلَى مُهْجَتِي      فَاسْتَأْصَلَاهَا وَهِ مِنْ غَرَسِهِ  
 فَلَسْتُ أَدْرِي بِمَدِّ مَا حَلَّ بِي      بِمَسْكِهِ أَتْلَفُ أَمْ نَقِيسِهِ

وقال في ذلك :

وشادن أسرف في صدّه      وزاد في التيه على عبده  
الحسن قد بثّ على خده      بنفسجاً يربو على وزده  
رأيتُه يكتب في طرسه      خطأ يبارى الدرّ في عقده  
نخلتُ ما قد خطّه كفّه      للحسن قد خطّ على خده

ولابن رشيق :

كتبت ولو أنني أستطيعُ      لإجلال قدرك دون البشر<sup>(١)</sup>  
قدّدت البراعة من أملي      وكان المداؤ سواد البصرُ

وله أيضاً :

عزيز يُبارى الضُّبحَ إشراق خده      وفي مفرق الظّماء منه نسيب<sup>(٢)</sup>  
يزفّ إليه ضاحكاً أقحوانه      ويهتزّ في برديه منه قضيبُ

ولابن المعتز في العذار المشبه بالحروف :

بليتُ بشادن كالبدر حسناً      يُعدّني بأنواع الدّلالِ  
غلالة خده ورد جنّي      ونون الصّدغ معجزة بحالِ

وله أيضاً :

كأنّ خطّ عذارٍ فوق وجنته      مَيّدانُ آسٍ على وِردٍ ونَمْرينِ  
وخطّ فوق حجاب الدرّ شاربه      بنصف صاِدٍ ودار الصّدغ بالنونِ

وله أيضاً :

لَه من عيون الوحش عينٌ مريضة      ومن خضرة البستان خضرة شاربِ  
كان غلاماً حاذقاً خطّه له      فجاء كنصف الصّاد من خطّ كاتبِ

(١) التث ٣٧

(٢) التث ٧

وقال آخر :

تعلم العطف من ضدغيه فانعطفاً      وكان عادته ألا يفي فوفى  
دب العذار على ميدان صفحتيه      حتى إذا هم أن يسعى به وقفاً  
كأنه كاتب عز المداد به      أراد يكتب لاماً فابتدى ألفاً

وقال أبو القاسم بن المغربي :

ولما احتوى بدر الدجى صحن خذّه      تحيّر حتى ما درى أين يذهب  
كان انعطاف الصدغ لأمّ أمالها      أديب يجيد الخطّ أيان يكتب

فهذه الأشعار المستعذبة التي بها تعلق بالعلماء الذين يذكر أنهم كتاب من جهة حسنهم واعتدال قدودهم وتوريد خدودهم ، وتطريزها بالعدار أحسن من ذكر شعر لزومي ليس فيه شيء من الأنس للنفس .

قوله تَبَاطَا : أى تأخر وأصله الهمز . المعاطى : الذى تعطيه كأس الخمر ويُعطِيها لك ، وقد عاطيته وعاطاني وقد تعاطى فلان كذا ، أى تناوله وأخذه ، من قولهم : عَطَوْتُ أَعْطَوْتُ عَطَوًّا ، أى تناولت . العرائس : جمع عروس ، وسمّاها عرائس لما فيها من التزيين بالنقطة ، وكانت زينة العروس عند العرب أن تُنْقَطَ في خديها نقط صغار بالزعفران ، فلذلك سُمي هذه عرائس لنقطها ، وسمّي التي قبلها عواطل لعدم نقطها . نفائس : جمع نفيس ، وهو الرفيع القدر ، يريد أنه لما لزمها ما لم يلزم ضعفت ، وقد ذكرنا أن الغرض بمثل هذه الأشعار إظهار الاقتدار ، وعلى ما ذكر أنها غير نفائس فهي أحسن مما عمل في بابها ، وما أحسن ما قال ديك الجن في جاريته :

انظر إلى شمس التصور وبدرها      وإلى خزامها ونفحة زهرها<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٢٦٨ .

لم تَبْلُ عَيْنُكَ أَيْضًا فِي أَسْوَدٍ      جمع الجبال كوجهها في شَعْرِهَا  
 وَرَدِيَّةِ الْوَجَنَاتِ يَخْتَبِرُ اسْمُهَا      من ريقها من لا يحيط بخبرها  
 وَتَمَائِلَتْ فَضَحَكَتُ مِنْ أُرْدَاهَا      عجباً ولكني بكيت لخصرها  
 تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا      وَرَدِيَّةٌ وَمُدَامَةٌ مِنْ تَفْرِهَا  
 وِلاِبِنِ الرَّقَاقِ :

تَضَوُّعَنْ إِشْرَاقًا وَأَشْرَقْنَ أَوْجَهَا      فهن منسيرات الصَّبَاحِ بَوَاسِمِ<sup>(١)</sup>  
 لئن كُنَّ زَهْرًا فَالْجَوَانِحُ أُبْرُجٌ      وإن كن زهراً فالقلوب كَأَمِّ  
 قوله : قَطٌّ : قطع ، وقيل : القَطُّ القطع عرضاً ، والقَدُّ : التقط طولاً .  
 احتجر : جمعه في حجره . خط : كتب . فتلنتي ، أى عذبت قلبي . جننتني :  
 أى صيرتني مجنوناً . تجنى : اسم امرأة ، والتجنى الدلال والتيه .  
 وللبحتري :

إِذَا خَطَرْتُ تَأَرَّجَ جَانِبَاهَا      كما خطرت على الأرض القبول<sup>(٢)</sup>  
 وَيَحْسُنُ دَلَّهَاً وَالْمَوْتَ فِيهِ      وقد يستحسن السَّيْفُ الصَّقِيلُ  
 شَغَفْتَنِي : بلغ حبها شغاف قلبي ، والشغاف حجاب القلب . ظبي : غزال .  
 غضيض : منكسر الطرف فاتر العينين . والغُنْجُ : تسكير الكلام وتخنيثه  
 وهو الحجامة . يقتضى : يتضمّن . تغيّض جفني : سيلان عيني .  
 ومما قيل في مرض العينين وحسن فيه التشبيه قول البحتري :

غُدَاةٌ تَشَدَّتْ لِلدَّوَاعِ وَسَلَّمَتْ      بعينين موصولٍ بجفنيهما السَّحْرُ<sup>(٣)</sup>  
 تَوَهَّمَتْهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى      كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْيُنِهَا الْخَمْرُ

(١) ديوانه ٢٩٧ .

(٢) ديوانه ٨٢٢ .

(٣) ديوانه ٨٤٤ .



وقال ذو الرثمة :

لها بَشْرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رخيماً الحواشي لا هُراء ولا تَزُنْ (١)  
وعينان قال الله كونا فكاتنا فَمَوْلان بالألباب ما تفعل الخمر  
وقد تقدّم جملة من هذا .

غشبتني : أتنى على غفلة . شفقتني : أنحلت جسمي . والزتي : الهيئة الحسنة  
من اللباس . يشفّ : يفضل . تننّ : اهتزاز وانعطاف . تظنّيت : حسبت .  
تجنّيتني : تختارني . بنفث : بلفظ وكلام . والجيب : القلب . يبغى : يطلب .  
تشتي صغني : إزالة عداوتي . نزت : وثبت . تجنّيتني : بعدى . ثلثتني : ردّتني .  
نشيح : صوت البكاء . يشجي : يحزن . بفسّ ففنّ : بنوع فنوع .

\* \* \*

فلما نظر الشيخُ إلى ما حَبَّرَه ، وتصفَّح ما زَبَّرَه ، قال له : بورك  
فيك من طَلَا ، كما بُورِكَ في لا ولا . ثم هتَفَ : اقرب ، يا قُطْرُب ،  
فاقترب منه فتى يَحْكِي نَجْمَ دُجِيَّة ، أو تَمثالَ دُمِيَّة ، فقال له : اِرْقُمِ  
الآيات الأَخْياف ، وتجنّب الخِلاف ، فأخذ القلم ، ورَقَمَ :

اسمَحَ قَبْتُ السَّماحِ زِينٌ ولا تَحِبُّ أَملاً تَضَيَّفُ  
ولا تُجْزِرُ دَذِي سَـؤَالِ فَتَنَ أَم في السَّؤَالِ خَفَّفُ  
ولا تَظُنُّ الذُّهُورَ تُبَنِّقِي مَالَ صَنِينِ وَلَوْ تَقَشَّفُ  
واحْلُمِ لِحْفُنِ السِّكرامِ يُفِضِي وَصَدْرُهُم في العَطَاءِ تَقَنَّفُ  
ولا تَتَخُنْ عَهْدَ ذِي وِدادِ بُنْتُ ولا تَبْغِ ما تَرَيَّفُ

\* \* \*

(١) ديوانه ٢١٢

( م — ١٥ شرح مقامات الحريري )

حَبْرَه : زَيْتَه . زَبْرَه : كَتَبَه . طَلَا : غَزَالَ . لَأَوْلَا ، یعنی الزیتون ، ومن  
 كلام العامة : بورك فيك كما بورك في الزيت ، وأراد بلاولا قوله تعالى :  
 ﴿لَوْ قَدْ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾<sup>(١)</sup> ، فأخذ من الآية  
 لا ولا واكتفى بهما .

الفنجدية : يحكى أن بعض الناس ظهرت به علة مزمنة شديدة أعيان  
 الأطباء علائها ، فلما أيسر رأى النبي صلى الله عليه وسلم في التَّوْم فشكا إليه  
 علته المزمنة ، فقال له : عليك بلاولا ، فقصَّ رؤياه على ابن سيرين ، فقال له :  
 إن صدقت رؤياك فإنه صلى الله عليه وسلم أمرك بقناول الزيتون ، فتناولها  
 الرجل فبرئ من علته ، فقال لابن سيرين : من أين قلتها ؟ قال : من قوله تعالى :  
 ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ، المعنى من زيت شجرة مباركة زيتونة  
 لا شرقية ، أى ليست تطلع عليها الشمس أول النهار فقط ، ولا غربية أى عند  
 الغروب فقط ، أى لا يسترها من الشمس في وقت من النهار شيء ، فهو أنضُرُ  
 لها وأجود لزيته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه  
 يخرج من شجرة مباركة » .

قوله : هتف : صاح . قطرب : خفيف النوم ، والقطرب : دويبة تمشى بالليل .  
 وجنية : تبرك على الإنسان فيجد لها ثقلا ، والعامة تبدل طاءها تاء ، والعرب  
 تسميها التُّنْدَلان ، والكابوس والجانوم ، ويسمونها أهل بغداد البحت .  
 دُجبية : ظلمة . دمية : صورة رخام ، وجمعها دُججى ودُججى وكان صورة هذا  
 الغلام الذى ذكر الشاعر :

بدا فبدا من وجهه البدرُ طالماً	لدى الروض يستعلى قضيباً منعماً
وقد أرسلت أيدى العذارى بخدّه	عذاراً من الكافور والمسك أسحماً
وأحسب هاروتاً أطاف بطرفه	يملاً من سحرة فتملاً
ألم بنا فى دامن الليل فانجلى	فلما انثنى عننا وودع أظلاماً

(١) سورة الزور ٣٥

والأبيات للأمير أبي الحسن أحمد بن عضد الدولة .

وقال أبو إسحاق الحصرى مؤلف كتاب الزهر :

عالمٌ طرفٍ سقيتُ خمرًا      من مقلتيه فتُ سكرًا  
ترقرقت وجنتاه ماءً      مازج فيه العتيق دُرًا  
يُحرِّك الدلَّ منه غصنًا      ويطلع الحسنُ منه بدرًا  
قد نمت مسكًا بعارضيهِ      خلف للعاشقين عُذرًا

قوله : الأخياف ، أى المختلفة . وقوله : فأخذ القلم ورقم ، كأن  
أبا إسحاق الحصرى إياه عنى بهذه الأبيات :

إذا بدا القلم الأعلى براحتِهِ      مطرّزاً لرداء الفجر بالظلم  
رأيت أسود في الأبصار أبيض في      بصائر لحظها للفهم غير عمي  
كروضةٍ خطرت في وشى زهرتها      وافترت نوارها عن ثغرٍ مبسم  
وكانّ الحين استعمار منه الدواة والقلم حيث قال :

ياريم هاتِ الدواة والقلمَا      أكتب شوقى إلى الذى ظلمًا<sup>(١)</sup>  
غضبان قد غرتنى رضاه ولو      يسأل فيما غضبت ما علماً  
لو نظرت عينه إلى حجّري      ولد فيه فتورها سقمًا  
فليس ينفك منه عاشته      فى جمع عذرٍ لغير ما اجترماً  
علقت من لوأوى إلى أنفـس المـاضين والغـابرين ما ندماً

قوله : اسمح : جُد . بث : نشر . أملا : راجياً . تضيّف : طلب منك أن  
تضيّفه . فنن : أى بفنون من السؤال . ضفين : بخيل . تقشّف : ترك النظافة .

يُعْضِي: يتغافل. نفف. واسع، والنفف مقسم الأرض. ثبت: صادق الود،  
ويروى: نث أي نشر. تبغ: تطلب. تريف: تنقص، وصار زائفاً، وهو  
الدرهم الرديء.

\* \* \*

فقال له: لَأَشَلَّتْ يَدَاكَ، وَلَا كَلَّتْ مُدَاكَ. ثم نادى: يَا عَشْمَسَمَ،  
يَا عِطْرَ مَنْشَمَ، فَلَبَّاهُ غَلَامٌ كَدَّرَهُ عَوَاصُ، أَوْجُوْ ذَرِ قَنَاصُ، فقال  
له: اكتب الآيات المَتَائِمَ، ولا تكن من المشائم، فتناول القلمَ  
المثَقَّفَ، وكتب ولم يتوقف:

زَيْنْتُ زَيْنَبُ بَقْدٌ يَقْدُ      وَتَلَاهُ وَيَلَاهُ نَهْدٌ يَهْدُ  
جُنْدُهَا جَيْدُهَا وَظَرْفٌ وَطَرْفٌ      نَاعِسٌ تَاعَسٌ بِحَدٍّ يَحْدُ  
قَدْرُهَا قَدْرُهَا وَتَاهَتْ وَبَاهَتْ      وَاعْتَدْتُ وَاعْتَدْتُ بِحَدٍّ يَحْدُ  
فَارَقْتَنِي فَارَقْتَنِي وَشَطَّتْ      وَسَطَّتْ ثُمَّ نَمَّ وَجَدَّ وَجَدَّ  
فَدَنْتُ فَدَيْتُ وَحَنْتُ وَحَيْتُ      مُعْضَبًا مُعْضَبًا يُوْدُّ يُوْدُّ

\* \* \*

قوله كَلَّتْ، أي حفيت. مُدَاكَ: سكاكينك، جمع مُدِيَّة. العشمسم: الذي  
لا يرده شيء عن مراده.

[ أصل المثل: دَقُّوا يَدَيْهِمْ عِطْرَ مَنْشَمَ ]

عِطْرَ مَنْشَمَ، قيل: كانت مَنْشَمَ جارية عَطَّرَتْ رِجَالَهَا حِينَ خَرَجُوا لِلْقِتَالِ،  
فَقَتَّلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، فَضَرَبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الشُّؤْمِ. وقيل: بل الإشارة إلى عطارة،  
أغار عليها قوم فأخذوا عِطْرَهَا فَتَطَيَّبُوا فَاسْتَعَانَتْ بِقَوْمِهَا، فخرجوا في طلبهم،

فمن شموا عليه رائحة الطيب قتلوه ، ومن أوله على هذا قال : عِطْرُ مَنْ شَمَّ ،  
فجعلوه من كلمتين . وقيل : الكناية عن قرون السنبل الذي يقال إنه سم ساعة .

وذكر ابن الكلبي أنها امرأة من خزاعة كانت تباع العطر فتطيب  
بعطرها قومٌ وتحالفوا على الموت ، فماتوا .

وقال غيره : بل هي صاحبة يسار الكواعب ، وكان عبداً أسود مشوه  
الخلقة راعى إبل ، فنتى رأته النساء ضحكن منه ، فتوهم أنهن يضحكن من إجمابهن  
بحسنه ، فقال يوماً لرفيق له : أنا يسار الكواعب ، ما رأيتني جارية كاعب إلا  
وعشقتني ، فقال له رفيقه : يا يسار ، اشرب لبن العشار ، وكل لحم الحوار<sup>(١)</sup> ، وإياك  
وبنات الأحرار ، فأبى وراود مولاته عن نفسها ، فقالت له : مكانك حتى آتيك  
بطيب أشمك إياه ، فآتته بموسى ، فلما أدنى أنفه ليشم الطيب جدته .

ويقال إنه لما راودها قالت له : أهكذا تأتيني بذفركِ ووسخك ! ادنُ  
حتى أعطرك ، فأدخلت يدها تحته وفيها موسى لطيفة قد أعدتها له ، فقبضت على  
ذكره وخصيته ، فاقتطعت الجميع ، فخرج فن رآه على تلك الحالة قال له : ما هذا ؟  
فيقول : عطرُ من شمَّ .

وقيل : كانت تباع الحنوط وهو عطر الموتى .

وقيل : المنشم : الشر نفسه ، وقيل : المنشم ثمرة سوداء منقنة .

وقيل فيها غير ما ذكر .

وذكر الحريري في الدرّة أكثر هذه الوجوه ، وذكر أن كسر شين منشم  
أكثر وأشهر ويروى بفتحها .

قوله المتائم : جمع مُتَمِّم ، وهي التي من عادتها أن تلد توأمين ، ولما كانت  
أبيات لا يوجد فيها إلا الألفاظ المزدوجة ، سمّيت متائم ، وقيل : المتائم : جمع  
توأم على غير قياس . المشائم : جمع مشام ، وهو الكثير الشؤم ، وشبه بدرّة

(١) العشار : اسم يقع على النوق والحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه .

غواص في بياضه ورقة ديباجه . وجوذر قناص ، هو الظبي الفاتر العيينين ،  
والقنّاص : الصياد ، فكأنه يصطاد بعينيه مَنْ نظر ، وإن أضفت جوذر إلى  
القنّاص فمعناه مستقيم ، فيصفه بالخوف وكثرة التلفت خشية أن يُصاد .  
وما أحسن ما قال صاحبنا الوزير الحسيب أبو المطرف الزهرى في هذا المعنى  
وكان جالساً في باب داره مع زائر له ، فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة  
الوجه كالشمس الطالعة ، فحين نظرتهما على غفلة نفرت خجلة فزعة ، فرأى الزائر  
ما أبهته ، فكأفّه وصفها ، فقال مرتجلاً :

يا ظبيةً نفرت والقلب مَسَكْنُهَا      خوفاً لختلى أو عدداً لتعذبي  
لتأمني فابنُ عبد الحمى أَلْحَقْنَا      عدلاً يؤلف بين الظبي والذبي  
وكان ابن رشيق وصف هذا الغلام الكاتب حيث قال :

وفاتر الأجنان ذى وجنةٍ      كأنها في الحسن ورد الرياض<sup>(١)</sup>  
قلت له : يا ظبي خذْ مَهْجَتِي      داوى بها تلك الجفون المراض  
فجاوبت من خده خجلة      كيف ترى الحمرة فوق البياض  
وقال أيضاً :

بين أجنانك سحرٌ ولأغصانك بدرٌ<sup>(٢)</sup>  
جردت عينك سيفين لذا أمرك أمرٌ  
فعلى خديك من نزهةٍ فِدْمَا العِشَاقِ أثرٌ  
ومن الكشبان شَطْرٌ لك والأغصان شطر  
وسواء قلت درٌّ ما أرى أو قلت نقرٌ  
وبماذا أصف الخضر وما إن لك خضرٌ  
بك شغلى واشتغالى ومضى زيد وعمرو

(١) التتف ٤١

(٢) التتف ٣٠

وقال خالد الكاتب :

قد قلتُ لما أن بدا متبخترًا      والرِّدْف يجذب خَصْرَه من خلفه  
يا من يسلمُ خَصْرَه من رِدْفِه      سَلَّمُ فؤاد محبِّه من طرفِه

وله مما يتعلق بالكتابة :

كتبتُ إليك بماء الجفون      وقلبي بماء الهوى مُشْرَبُ  
فكيف تخطُّ وقلبي يملُّ      وَعَيْنِي تمجو الذي أكتبُ  
فليس يتم كتابي إليك      بشوقى فمن هاهنا أعجبُ

قوله : زينت زينب بقَدَّ يمدّ ، إنما أراد يقدّ يقدّ ، أى ينقطع لرقّة خَصْرَه ،  
فعوّض منه يقدّ لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج . وقال البحترى  
في القدود :

من السّم اللدان إذا استبكرتُ      وصرف الموت فى السّم اللدانِ  
شديها الرّماح قنى جفونِ      وكلمٍ فى القلوب بلا سنانِ  
فهل من ضربةٍ أو من سنانِ      كعين أو كثغر أو بنانِ

وقال السرى :

قامتْ وحُوط البانة السّمّياس فى أثوابِها  
تسقى بصهايين من الحاظها وشراها  
ويهزّها سُكرانِ سُكر شراها وشبابها  
وكانَّ كأس مُدامها لما ارتدت بحبابها  
توريد وجنتها إذا ملاح تحت نقابها

وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

هَذَا فَوَادَى أَقْصَدْتَهُ الْأَسْمُهُمْ      مَنْ ذَا يَرَى تِلْكَ الْجَفُونَ وَيَسْلَمُ  
يَا غِرَّةَ حَكْمِ الْجَمَالِ لَهَا عَلَى      شَمْسِ الضَّحَى وَأَصَابَ فِيمَا يَحْكُمُ  
يَحْكِي الْجَاذِرَ حَيْدُهَا وَلِحَاظَهَا      هَيْبَاتِ دُونَ الْعَالَمِ الْمُتَعَطِّمِ  
وَكَأَنَّ قَامَتَهَا وَنَعْمَةَ لَفْظَهَا      غُضُنَّ عَلَيْهِ بَلْبَلٌ يَتَرْتَمُ  
يَضْحَى الْخَلِيَّ إِذَا رَأَاهَا عَاشِقًا      وَالْمَقْلَ تَوَقَّفَهُ اللَّحَاطُ النَّوْمَ

وما أحسن ما قال أبو الحسن بن القبطرنة :

ذَكَرْتُ سَلِيمِي وَحَرَّ الْوَعْيِ      كَقَلْبِي سَاعَةَ وَدَعَتْهَا  
وَأَبْصُرْتُ بَيْنَ الْقِنَاقِدَا      وَقَدْ مَلَنَ نَحْوِي فَعَانَتْهَا

قوله : تلاه ، أى تبعه . ويلاه : دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى  
تهدأ لا يصبر عنه .

### [ فى وصف النهود ]

ومما جاء من التشبيهات الحسان فى أوصاف النهود قول عمرو بن كلثوم :  
وئدياً مثل حرق العاج رخصاً      مصاناً من أكف اللامسينا<sup>(١)</sup>  
بشار :

وَالنَّهْدُ تَحْسَبُهُ وَسَنَانٌ أَوْ كَسِيلًا      وَقَدْ تَمَائِلَ مَيْلًا غَيْرَ مُنْكَسِرِ  
ابن الرومى :

صَدُورُ فَوْقَهُنَّ حَقَاقُ عَاجٍ      وَدُرٌّ زَانَهُ حُسْنُ أَسَاقِ  
بِقَوْلِ الْقَائِلُونَ إِذَا رَأَوْهُ      أَهَذَا الدَّرَّ مِنْ هَذَى الْحَقَاقِ !

(١) الملققات — بشرح البربري ٣١٤



وأخذه من قول عبد الله بن السبط :

كَأَنَّ التَّدَى إِذَا مَا بَدَتْ      وَزَانَ الْعُقُودَ بَيْنَ التُّحُورَا  
حِقَاقٍ مِّنَ الْعَاجِ مَكْنُونَةٌ      يَسْعَمَنَّ مِنَ الدَّرِّ شَيْئًا يَسِيرًا

ولإدريس اليماني :

أَيَّ رِبَّةٍ النَّهْدِ الَّذِي بَسْتَانِهِ      يَحْطُ فَتَى الْهَيْجَاءِ عَنِ فَرَسِ نَهْدِ  
أَحْقَانٍ مِّنْ عَاجٍ بِصَدْرِكَ أُمَّهَا      رَقِيبَانِ قَدْ قَامَا عَلَى جَمَّةِ الْخَلْدِ

ومن البدائع الروائع قول الآخر :

وَذَاتِ دَلَالٍ سَبَتْ مَهْجَتِي      بِمَسْتَشْرِفَيْنِ عَلَى مِئْزِرِ  
كَأَنَّهَا خَوْطُ كَافُورَةٍ      بِأَعْلَاهَا نُقْطَاتَا عُنْبَرِ

وللقاضي عبد الوهاب ، ويروى لغيره :

يَا صَاحِبِيَّ قِبَالِيَّ مُخْصَانَةٌ      مَالَتْ فَمَالَ الدَّعْصُ مِنْ أَعْطَافِهَا  
فِي الصَّدْرِ مِنْهَا لِلطَّعْمَانِ أَسِنَّةٌ      مَا أَشْرَعَتْ إِلَّا لِحْنِي قِطَافِهَا  
إِن تَنَكَّرَا قَتَلِي بِهَا فَتَعْبِينَا      تَجِدَا دِجِي قَدْ جَفَّ فِي أَطْرَافِهَا

على بن الجهم :

كَنْتُ مُشْتَقًا وَمَا يَجْجِرُنِي      عَنْكَ إِلَّا مَانِعٌ يَمْنَعُنِي (١)  
شَاخِصٌ فِي الصَّدْرِ غَضْبَانُ عَلَى      قَبَبِ الْبَطْنِ وَطَى الْعُكْنِ  
يَمْلَأُ الْكَفَّ وَلَا يَفْضُلُهَا      فَإِذَا أَثْنَيْتَهُ لَا يَنْدَثُنِي

\* \* \*

قوله جيدها : أى عنقها ، وكان حبيباً وصف هذه الجارية وجيدها بقوله :

كَالْخَوْطِ فِي الْقَدِّ وَالْفَزَالَةِ فِي الْبَهْجَةِ      وَابْنِ الْفَزَالِ فِي غَيْدِهِ  
وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَهْ ————— يَمُّ لَهُ      فِي حَسَنِهِ بَلْ حَكَاهُ فِي جِيدهِ

(١) ديوانه ١٨٨

وإن كان هذا الجيدُ عاطلاً حليماً بقول ابن العباس الأعمى :

ونبتتُ ذاكَ الجيدَ أصبحَ عاطلاً      خذى أدمعى إن كنتَ غَضْبِي على الدرِّ  
 خذى فانظّمِها أو كِلِمِي لنظْمِها      حُلِيًّا على تلكَ التّرائبِ والنّحرِ  
 خذى اللؤلؤُ الرطبَ الذى لهجُوا به      تحارتهُ جفنى ولجته صــــــدري  
 ولا تخبرى حُورَ الجنانِ فرَبِّما      غَضَبَنَكَ بينَ الخديعةِ والمكرِ  
 طرف : عين . ظرف : حلاوة ورشاقة ، وجعل الطرف والعنق جنداً لها ،  
 لأنها لما حسنت معنى هذه الصفات انقاد لها عشاقها أذلاء ، فكأنها أغارت  
 على قلوبهم فاستلبتها ، وقد قال فيما تقدّم :

وأحوى حوى رقى لفظه \*

فجعله قد ملكه بحلاوته . وقال حبيب :

وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت      وسنى فما تصطاد غير الصيدِ

فجعلها تصطاد السادات بفتور عينيها ، وهذا المعنى لا يحصى كثرة .

وأراد بالتعاس الفاتر النظر وينعش من كان له منه نصيب وتمكن .  
 يحدّ : يمنع من رآه من التسلى والتصبر . زهاً : تكبر . والتهيه : ضرب من  
 الزهو ، وهو الكبر . باهت : فاخرت وعظمت . واعتدت : ظلمت . يحدّ :  
 يقطع ، أى أن خدّها يقطع فى القلوب لاسيما إن كان كما قال من أحسن :

وبيضاء تحسبها دُرّة      تضىء الدجى إن بدت أو تكاذ

نمّم بالمسك كافورتى      محيياً حوى الحسن طراً وزاد

نقلت : أوصلك هذا البياض      وبعض صدودك هذا السواد

فقلت : أبى كاتب للـلوك      دنوت إليه بحسن الوداد

نخاف اطلاعى على سرّه      فلم يعد أن رشنى بالمداذ

فوصفها بأن فى خديها خيلاً نا .

قوله : أَرَقْتَنِي ، أى منعتنى النوم . شَطَّتْ : بعدت . سَطَّتْ : بطشت .  
 نَمَّ : أفشى السرَّ ، أى أفشى ما بى من الحب . وجد : حزن من الحب وهم .  
 جدَّ : اجتهد . فذنت : قربت . حنَّت : أشفقت . مغضياً : متغافلاً عما ينال  
 منه . يودَّ : يتعمى . يُودِّدُ : يُحِبُّ ، يقول : لما نَمَّ لها وجدى بما أُجِنُّه من حبِّها  
 وأبصرت ما فعل هجرها بى دنت عند ذلك مئى شفقةً ، وحيثنى بسلامها وأنا فى  
 حال غضبان ، لما حلَّ بى من الهجر متمنياً أن تجيئنى ، فلمَّا سلمت علىَّ أزلت  
 غضبى ، وأغضيت عما ساف من الفعل القبيح .

### [ أبيات حسان فى وصف الجوارى ]

ونذكر هاهنا من الأشعار الحسان مما يوافق وصف هذه الجارية جملة  
 مستظرفة ، قال عبید الله بن عبد الله بن طاهر :

يزيدنى البعد شوقاً إليك      وطول صدودك حِرْصاً عليك  
 ولو كنت أملك ما تملكين      من الصبر ما طال شوقى إليك  
 وقال آخر :

وما أنسَ لا أنسَ ذاك الخضوعَ      وقبض الدموع وغمز اليدِ  
 وخدَى مضاف إلى خدِّها      قياماً إلى الصبح لم نرقدِ  
 وقال أبو مطرف الزهرى :

مررتُ بنا وبدتُ كالبدر وانفلتتُ      كالفضن والتفتتُ كالشادن الخرقِ  
 تسربتُ ببرود الحُسن والتحفُتُ      بالعُنج واشتملتُ مرطاً من العسقي  
 وقال السرى :

لبستُ مصندلة الثياب قَمَنَ رأى      قرأ تسربل قبَلها أمواباً (١)  
 وحكَّت من الظبي الغرير ثلاثةً      جيداً وطرفاً فاتراً وإهاباً

(١) ديوانه ٦٣

وله أيضاً :

مفضضة الثغور بأقحوان<sup>(١)</sup>      مذهبة الحدود بجلنار  
وحياناً بأوجهك الحسان      سقانا الله من ربك ربنا  
وللقاضى أبى حفص :

همُ نظروا لواحظها فهاموا      وتشرّب عقلَ شاربها المدامُ  
سما طرفي إليها وهو باكٍ      وتحت الشمس ينسكبُ الغمامُ  
يخاف الناسُ مقلتها سواها      أيدعمر قلبٌ حامله الحسامُ !  
وأذكر قدّها فأنوح شوقاً      على الأغصان تنقذب الحمامُ  
وأعقب همتها في الصّدرِ عمّا      إذا غربت ذكاه أنى الظلامُ  
وله أيضاً :

أعيذك يا سليمى من سليمٍ      قتلت فتاهم وهو الكرمُ  
فمالكِ طالب بتراتِ نفسى      إذا قتل الغرامُ فلا غريمُ  
فؤادى سار نحوك عن ضلوع      بها ياريمُ حُبك لا يريمُ  
ودادكُ صحّ فى قلبِ سليم      كطرفك صحّ ناظره السقيمُ  
إذا أعرضت نسود الأمانى      وإن أقبلت تبيضُ المومُ

\* \* \*

فطفيق الشيخُ يتأمل ما سطره ، ويقلب فيه نظره ، فلما استحسن  
خطه ، واستصحّ ضبطه ، قال له : لاشلّ عشرُك ، ولا استخيتَ شمرُك .  
ثمّ أهابَ بقى فتان ، يُسفرُ عن أزهارِ بُستان ، فقال له : أنشدِ البيتينِ  
للمطرقين ، المشتبهى الطرقين ، اللذين أسكتا كلّ نأفث ، وأمنا أن  
يغرزا بثالث ، فقال له : اسمع لا وقر سممك ، ولاهزم جممك ، وأنشد  
من غير تلبث ، ولا ترّيت :

سِيمٌ سِيمَةٌ تَحْسُنُ آثَارَهَا وَأَشْكُرُ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِسِمَهُ  
وَالْمَكْرُومَهُمَا اسْطَعَمَتَ لَا تَأْتَهُ لَتَقْتَنِي السُّؤْدُودَ وَالْمَكْرُمَةَ

\* \* \*

قوله : طفق ، أى أخذ . يتأمل : ينظر . سطره : كتبه . استصحح : وجده .  
صحيحاً ، والضبط : الشكل والنقط : لاشلَّ عرشك ، دعاء ، أى لا يبت أصابعك ،  
ويروى : لا تُلَّ عرشك ، أى لا هُدِّم عرك ، والرواية الأولى هى الصحيحة .  
استخبت : فسد وصار خبيثاً . شرك : راحتك العطرة . أهاب : دعا وصاح .  
يسفر : يكشف عن وجهه لثامه . عن أزهار بستان : عن بياض الوجه وحمرة  
الخدَّين والشفتين وسواد العينين والأشفار وخضرة الشارب والعذار ومحاسن  
لا تبق بها ناضرات الأنوار ، وقد يكون يسفر بمعنى يتبسّم عن بياض شقيق  
وأفحوان واحمرار عقيق ومرجان ، وكأنّ هذا الغلام هو الذى ذكر أبو الرقعمق .  
بقوله :

إذا جرت يدهُ فى الطرس كاتبةً      تبلى الطرس عن دُرٍّ ومرجانِ  
وإنْ تكلمَ جاءته براعتهُ      بكلِّ ما شاء من فهمٍ وتبيانِ  
وقال بعضهم يصف غلاماً كاتباً :

انظر إلى أثر المدادِ بطرسِهِ      كبنفسج الرّوض المشوب بوردهِ  
ما أخطأت نوناته من صدغه      شيئاً ولا ألفاته من قدّهِ  
وكانما ألفاته من شعرِهِ      وكانما قرطاسُهُ من خدّهِ

ولممر بن فتح :

فنوناته من حاجبيه استعارها      ولامانته من صدغه المتعاطفِ  
ومن صدّه المؤذى اسودادُ مداده      ومن وصله الهجى ابيضاض الصحائفِ

ولأبي إسحاق المصري في وصف هذا الغلام :

أيا من تَمَسِكَ الأوصافُ عنه      أعنَّه وَضَفِنَا نَظْمًا وَنَثْرًا  
 ومن يدعو القلوب إلى مُناها      بعينيه فلا تأتيه قَسْرًا  
 ومن يُجْرِي اللَّالِي في أقْلاجِ      يمازج ظَلمَهُ بَدَاً وَحَمْرًا  
 ويعرض في رياض الدلِّ غصنا      ويطلع في سماء الحسن بَدْرًا  
 كأن بحدِّه ذهبًا صَقِيلًا      أذاب عليه ياقوتًا ودُرًّا  
 ومنها في وصف الكتاب :

قرأت كتابك الأعلى محلاً      لدى وموقعاً شرفاً وقدراً  
 فأحياني وقد غودرت مَيِّتًا      وأنشرتني وقد ضُمَّتُ قَبْرًا  
 نَقِشت بِحَالِكِ الأتِشاشِ نَوْرًا      جَلًّا لعيوننا نَوْرًا وَزَهْرًا  
 فدَجَّج من بسِيطِ الفِكرِ رَوْضًا      أنيقاً مشرق الجنباتِ نَضْرًا  
 لو استسقى العليلُ به لأروى      أو استسقى العليلُ به لأبرى  
 هَفَاً عطر الجنوب له نسيمٌ      أقول إذا أناسم منه نَشْرًا :  
 نثرت لنا على الكافورِ مِسْكَاً      ولم تنثر على القرطاسِ خَبْرًا  
 وله في العذار :

سَلَبْتُ محاسنه سوادَ عيوننا      وقلوبنا وكسَّتْ أديمَ عذارِه  
 فبدأ طرازاً في أسيلِ مشرقِ      ماء الحياة يجولُ في أسرارِه  
 علم الذي استلبت له يدُ حسنه      منا فمازج أَمَنَهُ بِحَذَارِه  
 فله توقُّفٌ مستريبٌ تائب      ولنا تلهُّبٌ عاجزٌ عن تارِه  
 وقال أبو الفضل الدرامي :

ظاني إذا حَرَكَ أصداعه      لم يلتفت خلق إلى العِطرِ  
 غنى بشمري منشداً ليتنى اللفظ الذي ضمته شمري      غنى بشمري منشداً ليتنى اللفظ الذي ضمته شمري  
 فكلماً كرر إنشاده      قبلته فيه ولا يدرى

ولمهيأر :

مشتبه أعرفه وإتـما  
وحملي على السرور حاملٍ  
قد كتب الحسنُ على عارضه  
ولأبي إسحاق الطليطلي :

ومعدِّر رَقَّتْ له خمر الصبا  
ديباج حسنٍ تاه عقلاً ناقصاً  
وشكا الجمال مقيله في وزده  
عامت بماء الصقل شامة خده  
إن كان يحجو نقشه من خده  
فطلا الغزال بمسكها يتفتقُ

قوله : المطرفعين ، أى الغريبين ، وقد أطرفته ، جثته بطرفة ، أى بشيء  
موجب . نافث : متكلم . يعززا : يقويا ويشددا ، وإذا صلب الشيء قيل : تعزَّز  
وأصله من العزاز وهى الأرض الصلبة .

وقال فى الدرّة : ويقولون شفعت الرّسولين بثالث فيوهون فيه ، والعرب  
تقول : شفعت الرّسول بأخر ، أى جعلتهما اثنين ليطابق معنى الشفع فى كلامهم ،  
وهو اثنان ، فأما إذا بلغت ثلاثاً فوجهه أن يقال : عززت بثالث . قال تعالى :  
﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ﴾ ، والمعنى فى عززته قوّيته .  
وأعززته : جعلته عزيزاً ، فإن واترت الرّسل فالأحسن أن تقول قفّيت بالرسل ،  
قال تعالى : ﴿ لئنمّ قفّينا على آثامهم برسلنا ﴾ .

وما أحسن ما قال ابنُ شرف فى المذار وذكر التعزيز بثالث :

قد كنت في وعد العذار فأجزا      وقضى لحسبك بالسكّال فأوجزاً<sup>(١)</sup>  
 وافى لنصرِ الحسنِ إلا أنه      وتلى إلى فتنة الهوى متحيزاً  
 عطفٌ تعلم منه قلبي عطفه      وجدّ الفؤادُ به السبيلَ إلى العزا  
 لم يكف وجهك حسنه وبهاؤه      حتى اكفسي نوبَ الجمالِ مطرزا  
 سبحان من أعطاك حسناً ثانياً      وبثالثٍ من حُسنِ فعلك عزراً

الْوَفْرُ: الفقل في الأذن. تَلَمَّثٌ: طول إقامة. تَرَيَّثٌ، إذا احتبس ومكث،  
 ويقال: تَرَيَّثَ بِنَقَطَيْنِ وَتَرَيَّثَ تَرَيَّثًا بِوَاحِدَةٍ، والمعنى فيهما واحد. سَمٌ: عِلْمٌ.  
 سَمَةٌ: علامة. سَمْسَمَةٌ: حبة جلجلان. المَكْرُ: الخداع. تَقَتَّنِي: تَكْتَسِبُ.  
 السُّودُودُ: الشرف. والمَكْرَمَةُ: الكرامة.

ومن اشترط أن يتيه لا يعززان بثالث قبل الحريري أبو دلف حين قال ؟

أنا أبو دلف المهدي بقافية      جوابها يهلك الزأهي من الغيظِ  
 مَنْ زاد فيها له رَحْلِي وراحلي      وخاتمي والمدى فيها إلى القيظِ  
 وذكر الحصري الأعمى المكرومة في تجنيس قوافيه ، فسمع قوماً يقدحون  
 فيه وفي أبي خلصة فقصده وقال :

يا أديبا ملكتني في يديهِ المَكْرُمَاتِ

ليت قوماً دأبهم فيّ وفيك المَكْرُمَانِوَا

وله :

رب ظبي هويته      نفتى للهـوازِنه

قلت: ما أقل الهوى      قال: ما للهوى زنه

(١) التثنية ١٠٢



وله أيضاً :

إن كتمت الهوى فقد صار سرى علائقه  
بسة سام أذابي وشحوب علائقه  
\* \* \*

فقال له : أجَدتَ يا زُغلول ، يا أبا الغُلول ، ثم نادى : أوضِحْ  
يا ياسين ، ما يُشكِل من ذوات السِّين ، فهض ولم يتأن ، وأنشد  
بصوتٍ أغنّ :

نفسُ الدَّواءِ ورُمنُ الكفِّ مثبتةٌ سيناها إن هُما خطأ وإن دُرِسا  
وهكذا السِّين في قِيبٍ وباسقةٍ

والسَّفح والبَحسِ واقسِرْ واقبَسْ قَبَساً  
وفي تقسَّست بالليل الكلامَ وفي مُسَيِّطِرٍ وشموسٍ واتخذ جرساً  
وفي قَرِيسٍ وبردٍ قارسٍ نخذ الصَّوابَ مِنِّي وكنّ للعلمِ مُقتبِساً  
فقال له : أَحسنتَ يا بُعَيْش ، يا صَنَاجَةَ الجِيش ، ثم قال : ثب يا عبِسة ،

وبين الصاداتِ الملتبِسة ، فوثب وثب شَبِلٍ مُشار ، ثمَّ أنشد من غير عثارة  
بالصاد يكتب قد قبصت دراهماً بأناملي وأصيح لِتَسْتَمِعَ الخَبْرُ  
وبصقتُ أبصقُ والصَّماخُ وصنجةٌ والقصُّ وهو الصَّدْرُ واقتصَّ الأثرُ  
وبخصتُ مقلته وهذِي فرصةٌ قد أرعدتُ منه الفريضةُ للخوزُ  
وقصرتُ هنداً أي حبست وقد دنا فصيحُ النَّصارى وهو عيدٌ مُنتظرُ  
وقرصته والحمرِ قارصةٌ إذا حدتِ اللسانَ وكلَّ هذا مُستطرُ

\* \* \* ( م - ١٦ نرح مقامات الحريري )

أَجَدَّتْ: أُنِيتَ بِجَيْدٍ. الزُّغْلُولُ: الخفيف، وزغلول الرجل: ولده، والغُلُولُ: لخيانة في المعنى، وأصله الستر والتغطية، تقول: غَلَّ الشَّيْءُ غَلًّا وَغُلُولًا، إذا ستره، وصفه كأنه يُغَلُّ العقول، أي يمسكها ويخون أصحابها فيها، وقالت عَلَيَّةُ:

\* يَا غُلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ \*

أوضح: يَبِّن. يتَأَنَّى: يقباطاً ويفتر، والتأني: التثبت، وفي الحديث أنه نظر صلى الله عليه وسلم إلى رجل ينخطى رقاب الناس يوم الجمعة، فقال: «آنَيْتَ وَآدَيْتَ»، أي أَخَرْتَ الحِجْيَاءَ، ويكون يتَأَنَّى من قولهم: فلان ذو أُنَاةٍ مِنْ وَنَى بَنِي، وتكون الهمزة مبدلةً عن واو، وهو الأظهر. أَعْنَى: فيه غُنَّةٌ، وهو البجح الخفيف، والأعْنَى: الذي يتكلم من قِبَل خياشيمه. نَقَسَ: مَدَاد. رسغ الكف: موصلها من الذراع. والنَقَسُ: نوى التمر. باسقة: نخلة طويلة. السَّفْحُ: أسفل الجبل. البخس: النقص. أقسر: اقهر واغلب. اقتبس قبساً: اطلب شملةً من نار. وتَقَسَّست: تَقَبَّعت. والشَّمُوسُ: الدابة التي تمنع أن تُسرج وأن تُرَكَّب. جَرَسًا: الذي يضرب به فيصوت. قَرِيْسٌ: حوت. قارس: شديد. مقتبسًا: طالبًا حريصًا على كسبه.

قوله: نُفَيْشٌ، أي كثير الحركة، وقيل: نُفَيْشٌ تصغير النَّفَاشِ مِنَ الرِّجَالِ الحَقِيرِ الخَلْقَةِ، الغاية في القصر، فصفة هذا الغلام أنه حثير الخلقه كثير الحركة، وقلمًا تكون تلك الخلقه إلا ومعها الحركة والحدة. ورواه الفنجديهي «نفيش» بالفاء، أي قصير. ثعلب: النفاشون، هم القصار الضماف الحركة، ومنه الخبر أنه رأى نفاشًا فسجد شكرًا، قال: والنَّفَشُ: تحرك الشيء في مكانه، يقال: دار تنتفش صديانًا، والتنفش: دخول الشيء بعضه في بعض. وصناعة الجيش: التي يُضْرَبُ بها المثل في الحروب، وقيل: الصَّنَاجَةُ الضَّرَابَةُ بالدُفُوفِ والطناير وعود الغناء ونحوه من آلات اللهو، قال الهذلي وهو ساعدة بن جُؤَيَّة:

وعاودنى دِينى فبتَ كأنما      خلال ضلوع الصدر شرعٌ ممددٌ<sup>(١)</sup>  
 بأوب يدي صَنَاجِعَ عند مدمنٍ      غوى إذا ما يَنْبَشِي يتغردُ  
 يصف ماني صدره من الحرق . ودينه : حالته التي تعتاده من الهم ، والشرع :  
 الوتر ، يقول : كأنما في صدري عود ، لأونارته مما أحدثت به نفسى من الهموم .  
 وأوب يديها : رجهما بضرب الصنّج ، أى بتحريك يديها حين تترأ وتارها ،  
 وينبشى : يسكر . ويتغرد : يتغنى ، وفلان صنّاجة قومه ، أى المقدم عليهم فى  
 الفضل . وقيل : صنّاجة الجيش هو البطل المعروف ، ويقال : ليلة قرأه صنّاجة  
 وصنّاجة ، إذا كانت مضيفة ، وصنّج فلان بفلان إذا صرعه . وكان أعشى قيس  
 يدعى صنّاجة العرب لفصاحته . وقيل : لرقعة شعرة ، وقيل : الصنّاجة الغناء ،  
 ويريد بالجيش الصبية الذين جيشوا حوله ، فُنَبَشِ صَنَاجَتِهِمْ ، أى أنبلهم وأحذقهم  
 أو كالصنّجة فى خلقته وقصره . ثب : اقفر . عنبسة : اسم أسد . والشبل : ولده .  
 مُثَار : مفزع ، وقد أثير : استخرج من مكانه بالبحث عليه . قبصت : أخذت  
 بأطراف أصابعى ، والقبصة أقل من القبضة . أصح : استمع . الضمّاخ : ثقب  
 الأذن . صنّجة ، هى التى يوزن بها . والمقلة : شحمة العين . بخصتها : فقأها .  
 واستلبتها فرصة : نهزة وغنيمة . والفريضة : بضعمة عند الكتف تُرعد عند  
 الفزع . الخور : الضعف . قرصته : عضضته بظفرى . حدت اللسان : قرصته  
 بحدتها . مُسْتَطِر : مكتوب .

\* \* \*

فقال له : رَعياً لك يا بنى ، فقد أقررتَ عيني . ثم استنفض ذا جُمَّة  
 كالبيدق ، ونفشة كالسودق ، وأمره أن يقف بالمرصاد ، ويسرد مايجرى  
 على السين والصاد ، فمض يسحب بُردَيْه ، ثم أنشد مشيراً بيديه :

(١) ديوان الهذليين ١ : ٢٣٦

إِنْ شِئْتَ بِالسَّيْنِ فَكُتِبَ مَا أَيْدِيهِ وَإِنْ تَشَأْ فَهُوَ بِالصَّادَاتِ يُكْتَبُ  
 مَغْسٌ وَفَقْسٌ وَمُسْتَطَارٌ وَمُمَّسٌ وَسَالَعٌ وَسِرَاطُ الْحَقِّ وَالسَّقَبُ  
 وَالسَامِغَانُ وَسَقَرٌ وَالسُوبِقُ وَمَسْلَقٌ وَعَنْ كُلِّ هَذَا تَفْصِيحُ الْكُتُبِ  
 فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا حَبَقَّةَ ، يَا عَيْنَ بَقَّةَ ، ثُمَّ نَادَى : يَا دَغْفَلَ ،  
 يَا أَبَا زَنْفَلَ ، فَلَبَّاهُ فَتَى أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةِ ، فِي رَوْضَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا عَقَدَ هَجَاءُ  
 الْأَفْعَالِ ، الَّتِي آخِرُهَا حَرْفُ اعْتِلَالٍ ، فَقَالَ : اسْمِعْ ، لَا صَمَّ صَدَاكَ ،  
 وَلَا سَمِعْتَ عِدَاكَ . ثُمَّ أَنْشَدَ ، وَمَا اسْتَرَشَدَ :

إِذَا الْفِعْلُ يَوْمًا غَمَّ عَنْكَ هَجَاؤُهُ فَأَلْحِقْ بِهِ تَاءَ الْخَطَابِ وَلَا تَقِفْ  
 فَإِنْ تَرَقَّبَلِ التَّاءَ يَاءٌ فَكُتِبَتْهُ يَاءٌ وَإِلَّا فَهُوَ يُكْتَبُ بِالْأَلْفِ  
 وَلَا تَحْسِبِ الْفِعْلَ الثَّلَاثِيَّ وَالَّذِي تَعْدَاهُ وَالْمَهْمُوزَ فِي ذَلِكَ يَخْتَلِفُ

\* \* \*

رَعِيًّا : حَفْظًا ، أَيْ رَعَاكَ اللَّهُ رَعِيًّا . اسْتَمْتَهَضَ : أَمْرُهُ بِالْمَهْوُوسِ . جُنَّةٌ :  
 جَسَدٌ . وَيَبْذُقُ الشُّطْرَنْجَ ، مَعْرُوفٌ ؛ يَشْبَهُهُ بِهِ الْخَفِيفُ الرُّوحُ الْحَازِقُ . نَعَشَةٌ :  
 حَرَكَةٌ . وَالسُّوَدُوقُ ، هُوَ السَّدَانِقُ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي يُصْطَادُ بِهَا . بِالْمُرْصَادِ ،  
 أَيْ قَرِيبٌ مِنْهُ حَيْثُ يَنْظُرُهُ . يَسْرُدُ : يَقْرُؤُهَا بِسُرْعَةٍ . يَسْحَبُ بَرْدِيَهُ : يَجْرُؤُ ثَوْبِيَهُ .  
 وَقَالَ الْحَسَنُ يَصِفُ مِثْلَ هَذَا الْفَلَامِ :

يَأْيِهَا الْمَبْطُولُونَ مَعْدِرَتِي أَرَاكُمْ اللَّهُ وَجْهَ تَحْقِيقِ (١)  
 نَمَّ بِمَا كُنْتُ لَا أَبُوحُ بِهِ عَلَى لِسَانِ بِالْمَعِ مَنِطِيقِ

(١) ديوانه ٨٩ ، وفيه : « وجه تصديق » والقصيدة يمدح فيها العباس بن الفضل بن الربيع

شوقاً إلى حسن صورة ظفرت  
وصيف كاسٍ محدثٍ ملكٍ  
يشوبُ عِزًّا بذلةً فله  
أمشى إلى جنبه أراحه  
ومن مدحها :

وإن عبّاساً مثل والده  
تأتق الحسن حين زانكنا  
فضور الفضل من حجاوندى  
وله أيضاً :

ترى للحسن والحركات فيه  
فيا من صيغ من حسن وطيب  
أصبنى منك يا أملى بذنب  
سواماً لا تُذاد عن القلوب  
جلّ عن المشاكل والضريب  
تتبه على الذنوب به ذنوب

قوله: سراط، أى طريق. والسّقر من الجوارح: التى يُضطاد بها. السّويق: الشعير إذا قُلي وطُحن. حَبِقة: ضَرْطة. عين بقة، يقال: ذلك للصغير. دَعْفَل: اسم رجل كان نَسابة، والدَّعْفَل. ولد الفيل، والدَّعْفَل: الزمن الخصب، فسُمي الصبي بأحدها. والزَّنفَل، من أسماء الداهية. والبيضة: بيضة النعام، وجعلها فى رَوْصَة، يريد أنها مصنونة منعمة، وتشبههم للنساء بهذه البيضة مشهور فى شعر امرئ القيس وغيره. وقيل للأوسية — وهى امرأة حكيمة من العرب — بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أى منظر أحسن؟ فقالت: قُصورٌ بيض فى حدائق خضر، فأنشد رضى الله تعالى عنه لمدى بن زيد:

(١) الديوان: « أنرت » .

(٢) زواية الديوان :

تأتق الله حين صاغك  
لأن تفوقاً فأئى تأنيق

كُدِّمِي العاج في الحارِبِ أو كالسبيض في الرِّوضِ زَهْرُهُ مستنيرٌ<sup>(١)</sup>  
قوله : لاصمَّ صدك ، أى لاهلكت ، فلا يكون لك صوت .

وقال امرؤ القيس في الدار الخالية :

صَمَّ صَدَاها وَعَفَا رَسْمُها واستمعجت عن منطِقِ السَّائِلِ<sup>(٢)</sup>

والصَّدى : الصوت الذى يجيئك من الجبل ، أو من الموضع الخالى ،  
والصَّدى : طائر يخرج من رأس المقتول ، فلا يزال يصيح : اسقونى اسقونى ،  
حتى يُقتل قاتله على زعمهم . و لاصمَّ صدك ، دعاء بطول العمر ، لأن الصدى تابع  
للصوت ، فإذا مات الإنسان انقطع صوته ، فلا يُسمع له صدى ، فكأنَّ صداه  
بعد موته أصمّ لا يسمع ولا يجيب . ما استرشد ، أى ما طلب مَنْ يرشده ويده .

\* \* \*

فطرب الشيخُ لما أدّاه ، ثمَّ عَوَّدَهُ وَقَدَّاه ، ثمَّ قال : هلمَّ يا قَعْقَاعُ ،  
يا بَأَقَمَةَ البِقَاعِ . فأقبل فتى أحسنُ من نارِ القِرَى ، فى عينِ ابنِ الشَّرَى ،  
فقال له : اصدعْ بتمييزِ الظَّاءِ من الضَّادِ ، لتصدعْ به أكبادَ الأصدادِ ؛  
فاهتزَّ لقوله واهتسَّ ، ثمَّ أنشد بصوتِ أجسَّ :

أَيُّها السَّائِلِ عن الضَّادِ والظَّاءِ ء لِكَيْلَا تُضِلَّهُ الألفاظُ  
إن حفظَ الظَّاءاتِ يُفْنِيكَ فاستمعَها استمعَ امرئٌ له استيقاظُ  
هى ظمياءُ والمظالمُ والإظلامُ والظلمُ والظبىُّ واللحاظُ  
والعظا والظلمُ والظبىُّ والشئِ ظمُّ والظلُّ واللظى والشواظُ  
والتظنى واللفظُ والنَّظْمُ والتقرِيطُ والقَيْطُ والظمَّما واللمَّاظُ

(١) شعراء النصارية ٤٥٥

(٢) ديوانه ١١٩

وَالْحِطَاءُ وَالنَّظِيرُ وَالظَّئِرُ وَالْجَا حِطٌّ وَالنَّازِرُونَ وَالْأَيْقَاطُ  
وَالتَّشَطُّي وَالظَّلْفُ وَالْمَعْظَمُ وَالظَّنْبُوبُ وَالظَّهْرُ وَالشَّطَّاءُ وَالشَّطَّاطُ  
وَالْأَظْفِيرُ وَالْمَظْفَرُ وَالْمَحْظُورُ وَالْحَافِظُونَ وَالْإِحْفَاطُ  
وَالْحِطْرَاتُ وَالْمِظَنَّةُ وَالظَّنَّةُ وَالْكَاطِمُونَ وَالْمُتَمَتِّطُ  
وَالْوِظَافَاتُ وَالْمَوَاطِبُ وَالْكَحِظَّةُ وَالْإِنتِظَارُ وَالْإِظَاطُ  
وَوِظِيفٌ وَظَالِعٌ وَعَظِيمٌ وَظَهِيرٌ وَالْفَظَّ وَالْإِغْلَاطُ  
وَنِظِيفٌ وَالظَّرْفُ وَالظَّلْفُ الظَّا هَرَمٌ الْفِظِيعُ وَالْوَعَاظُ  
وَعَاظٌ وَالظَّعْنُ وَالْمِظَّ وَالْحِظْلُ وَالْقَارِظَانِ وَالْأَوْشَاطُ  
وِظْرَابُ الظَّرَّانِ وَالسَّظْفُ الْبَا هِظٌّ وَالْجَمْعَظَرِيُّ وَالْجَوَاطُ  
وَالظَّرَابِينُ وَالْحَنَاطِبُ وَالْمُنْظَبُ مِمَّ الظِّيَّانُ وَالْأَرْعَاطُ  
وَالسَّنَاطِي وَالذَّلْظُ وَالظَّابُ وَالظَّبْطَابُ وَالْمُنْظَوَانُ وَالْجِنْعَاطُ  
وَالسَّنَاطِيرُ وَالتَّمَاظِلُ وَالْعِظْمُ وَالْبِظْرُ بَعْدُ وَالْإِنْمَاطُ  
هِيَ هَذِي سَوِي النَّوَادِرِ فَاحْفَظْهَا لِنَقْفِ آثَارِكِ الْحِفَاطُ  
وَاقْضِ فِيهَا صِرْفَتِ مِنْهَا كَمَا تَقْضِيهِ فِي أَصْلِهِ كَقِيظٍ وَقَاطُوا

\* \* \*

أَدَاهُ : أبلغه ، تقول : أديت الأمانة ، إذا بلغتها صاحبها . عودته : قرأ عليه  
المؤذنين . وفداه : قال : نفسى فداؤك . قعقاع : شديد الصوت ، والقعقعة ،  
صوت متتابع . وألباعة : الداهية . والبِقَاع : جمع بُقعة ، قطعة من الأرض

لقري : طعام الضيف . ابن المشرى ، هو الطارق بالليل ، وقد تقدم ذكر هذه النار عند قوله :

فلم أزل أنصُ عنسى وأقول : طوبى لك ولنفسى

وهم يضربون المثل بها وحدها في الحسن فيقولون : هو أحسن من النار ، فكيف إذا كان إنسان مع ظلام الليل في ريح وبرَد وجوع ، لا يدري أين يتوجه ، فرأى ناراً قد أوقدت لقري الأضياف ، فلا يقدر قَدَرَ حسنِها إلا من جربها .

وقالت أعرابية : كنت في شببتي أحسن من النار .

وأشد التوزي ملفزاً في النار :

وشمءاء غبراء الفروع كأنما بها توصفُ الحساء بل هي أجملُ  
دعوتُ بها صحبي بليلِ كأنهم وقد أبصروها يمحطشون فأنهلوا  
فهذا مثل الذي ذكره الحريري .

وقال الآخر يصف ناراً :

ومشوبة لا يقبِس الجار ريبها ولا طارق الظلماء منها يؤنسُ  
مقَى ما يزرها زائر يُلفِ دُونها عَقيلة دارى من المسك تفرسُ  
وأشد أبو زيد فيها ملفزاً :

وزهرءاء إن كفتنَّها فهو عيشها وإن لم تكفُنَّها فموتٌ معجلُ

وكان الحسن بن وهب أشدَّ الناس عشقاً لنبات جارية محمد بن حماد ، وكانت تفتى في مجلسه ، وبين يديها كانون لحم ، فتأذت بالنار ، وأمرت بإعادها ، فقال الحسن مرتجلاً :



بأبي كرهت النَّارَ لِمَا أُوقِدَتْ      فَعَرَفْتُ مَا مَعْنَاكَ فِي إِبْسَادِهَا  
 هِيَ ضُرَّةٌ لَكَ بِالتَّمَاعِ ضِيَائِهَا      وَبِحَسَنِ صَوْرَتِهَا لَدَى إِبْقَادِهَا  
 وَأَرَى صَنِيعَكَ فِي الْقُلُوبِ صَنِيعَهَا      بِأَرَاكَهَا وَسَيَالِهَا وَقَتَادِهَا  
 شَرَكْتُكَ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ بِحَسَنِهَا      وَضِيَائِهَا وَصَالِحِهَا وَفَسَادِهَا

وكان مع أصحابه يوماً ، فقال : لو ساعدنا الزمان لجاؤنا نبات ، فما تكلموا  
 بشيء حتى دخلت ، فقال : إني وإياك لكما قال علي بن أمية :

وفاجأتني والقلبُ نحوكَ شاخصٌ      وذَكَرَكَ ما بين اللسانِ إلى القلبِ  
 فيأفرحةً جاءت على إثرِ ترحة      ويأغفلتني عنها وقد نزلت قربي

ودخلت عليه يوماً وهو محموم ، فسأمت وقبّلت يده ، فأراد تقبيل يدها  
 فأزعجش وقال :

أقول وقد حاولتُ تقبيلَ كَفِّهَا      ولى رعدةً أهتزُّ منها وأسكنُ  
 فديتك إني أشجع الناس كلهم      لدى الحرب إلا أنني عنك أجبنُ

قوله : اصدع ، أي بين وأظهر . تصدع : تشق . الأضداد : الأعداء .  
 أجش : أبح . تضله : تضيعه وتلفه . استيقاظ : انتباه . ظمياء : عطشى .

الأزهري : شفة ظمياء ، ليست بوارمة كثيرة الدم ويحمد ظموها ، ولثة  
 ظمياء ، ورجل أظمي ، وامرأة ظمياء ، وقيل : شفة ظمياء ، إذا كانت فيها سُمرَةٌ .  
 وساق ظمياء : قليلة اللحم . والظلم ، بالفتح : ماء الأسنان ، وقيل : بريقها وصفاءها ،  
 والجمع ظلوم . واللحاظ : طرف العين الذي يلي الضدغ . العطاء : جمع عطاءية ،  
 وهي دويبة حمراء إلى الغبرة ، ذات قوائم أربع . الظلم : ذكر النعام . الشيطم :  
 الطويل . اللَّظي : النار . والشواظ : لهاها بغير دخان . التظني : مصدر تظنيت  
 أي حسبت ، والأصل تظننت بالنون ، فأبدلت ياء . والتقريرظ : مدح الرجل

حَيًّا . والقَيْظُ : فصل الحرِّ . وَالظَّمَأُ : العطش . وَاللَّعَاطُ : الشيء اليسير من الطعام وقد نَمَطَّتْ ، إذا تَدَبَعَتْ بلسانك بقيةَ الطعام بعد الأكل ، واسم تلك البقية اللَّعَاطَةُ ، وقيل : التَّلَمَطُ هو لَعَقُ الشفتين باللسان من عطشٍ أو غَيْظٍ .  
 الحِطَا : انتفاخ اللحم . النَّظِيرُ : المثل . الظُّنْرُ : المرضع بالأجرة . الجاحِظُ : الذي بَرَزَتْ عيناه . الأيقاظُ : ضدُّ النَّيَامِ ، الواحدُ يَقْظُ بضم القاف وكسرها . قوله : القَشَطِيُّ : أن تصيِّرَ العودَ فلقاً ، والشَّظِيَّةُ : الفِلَقَةُ منه . والشَّطِيُّ : عظم لاصق بالركبة ، وقيل هو تشقق عصب الذراع . وَالظَّلْفُ للغنم والبقر بمنزلة الحافر للدَّوَابِّ ، وكل حافر مشقوق ظِلْفٌ . الظَّنْبُوبُ : مقدَّم عظم الساق . والشَّطَّاطُ : عود الشَّدَادِ ، الذي يشدُّ به المتاع ، وقيل : هو عود يدخل في عُرَا الغِرَارَاتين فيحملان به على ظهر البعير . المظْفَرُ : المؤيد . المحْظُورُ : الممنوع . الإحْفاظُ : الإغضاب . الحِظِيرَاتُ : جمع حظيرة ، وهي الزَّرْبُ يُعمل منه شبه الدار ، تسكنها الغنم والإبل ، وقد يكون من حائط ، وأصل الحِظْرُ المنع ، وكل مانع بين شيئين حِظِيرٌ . والمِظَنَّةُ : الموضع ترمى فيه بظنك ، وفلان مِظَنَّةٌ خير ، أى يُظَنُّ فيه الخير . والمِظَنَّةُ : التهمة . الكَاظِمُونَ : المتجرِّعون غيظهم ، وقد كَظَمَ غِيظَهُ ، تجرَّعه وردّه . الوظيفاتُ : جمع وظيفة وهي ما يلزمك من المفرم . المواظبُ : الملازم ، وقد واظبت على الشيء ، داومت عليه . الكِظَّةُ : الامتلاء من الطعام ، والإلْفاظُ : اللزوم . الوظيف لـكل ذى أربع : ما فوق الرُّسْغ إلى الساق . والظالِعُ : الأعرج . والظَّهيرُ : القوى الظهر ، وهو أيضاً المُعِين . والفِظُّ : الغليظ ، والفظاظةُ : الجفاء والغِلظةُ . والإغلاظُ : الجفاء . والتَّظْيِيقُ الحَسَنُ . وَالظَّلْفُ : المنع والردُّ ، وقد ظلقت أترى ظلفاً ، إذا مشيت في حُزونة الأرض وصلابتيها فمنعت أترك أن يؤثر فيها . والفِظيعُ : السكرية المَطعم ، وقد فِظِعَ الشيء ، اشتدت كراهيته ومرارته . عُكَاظُ : موسم للعرب . الظعنُ : السفر . الحنْظَلُ : شجر مرة ، والباهِظُ : الغالب . والبِظْرُ : زيادة في فرج المرأة ، ورجل أبْظَرُ : في

شفتة العليا تنوء ، وامرأة بطراء ، والأول راجع إلى هذا المعنى . الإنعاط : قيام  
الذكر . النوادر : الغرائب والشواذ . تقفو : تتبع . قيط : شدة الحر ، وقاطوا :  
دخلوا في زمن القَيْظ .

\* \* \*

فقال له الشيخ : أحسنتَ لأفضَّ فُوك ، ولا بُرَّ مَنْ يجفوك ، فوالله  
إنك مع الصِّبا الغضِّ ، لأحفظُ من الأرض ، وأجمعُ من يوم العرض ،  
ولقد أوردتُك ورفقتك زُلالى ، وثققتُكم تثقيفَ العوالى ، فاذكرونى  
أذكركم ، واشكروالى ولا تكفرونى .

قال الحارث بن همام : فمجيبتُ لما أبدى من براعه ، معجونة  
برقاعة ، وأظهر من حذاقة ، ممزوجة بحماقة ؛ ولم يزل بصرى يصعد فيه  
ويصوب ، وينقر عنه وينقب ، وكنت كمن ينظر فى ظلماء ، أو يسرى  
فى بهماء ؛ فلما استراث تنبهى ، واستبان تدلهى ، حلق إلى وتبسم ،  
وقال : لم يبق من يتوسم . فبهتُ لفحوى كلامه ، ووجدته أبا زيد  
عند ابتسامه ، فأخذت أومه على تدير بقعة النوكى ، وتحير حرفة الحقى ،  
فكانَّ وجهه أسفَّ رماداً ، أو أشرب سواداً ، إلا أنه أنشد وما تمادى :

تخيرتِ حمص وهذى الصنائة      لأرزق حُطوةً أهل الرقاعة .  
فما يصطفى الدهر غير الرقيع      ولا يوطن المال إلا بقاعة .  
ولا لأخى اللب من دهره      سوى ما المعير يربط بقاعة .

\* \* \*

فضّ : كسر . يجفوك : يغلظ لك في الكلام . الغضّ : الطرى . يوم  
العرض : يوم القيامة ، ولما أشار من أوّل على أكبرهم ، انحطّ في أسنانهم إلى  
أصفرهم ، فحتم به كما بدأ بأكثرهم ، فلذلك قال : مع الصبا الغضّ .

[ مما قيل في الصغار ]

ومما قيل في الصغار من الشعر المستحسن ، قال أبو الفضل الدرامي وقد سأله  
النعالي أن يصف له غلاماً صغيراً ، بديع الحسن ليثبت ذلك في كتابه المترجم  
بألف غلام ، فأنشد :

إنّي عشمتُ صغيراً قد دبّ فيه الجمال  
وكاد يفشى حديث الفُضول فيه الدّلال  
لومرّ في ضوق الوصل ما اعتراه الضّلال  
يريك بدرأ منيراً في الحُسن وهو هلال

قال لحسن :

حين أوفى على ثلاث وعشرٍ      يطال عهد أذنه بالشُّنوفِ  
غنة فيه للصبا تعقلية      بحجة الاحتمال للتشريفِ  
حين رام النساء منه بعينٍ      وطوى أختها على التخويفِ  
وقال آخر :

لئن يزيد على عشرٍ بواحدة      وزاد أخرى وشاب الحبّ بالجَزَعِ  
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه      وجوز الوعد بين اليأس والطمعِ  
قد كان غراً بقتلى ليس يُحسِنه      فاليوم يبدع في قتلى على البِدَعِ  
وقال آخر :

قالوا أتبكي على صغيرٍ      خصصته بالوداد طِفلاً  
فقلت إن البنان خمس      أصغر ما بينها يُحلى

ولابن إدريس اليماني :

عشقتَه شادناً صغيراً      وكنت لا أعشق الصغاراً  
أعارني سقمَ ناظريه      فاستشرفتُ نفسه حذاراً  
يُسفر عن وجه مستنير      يردُّ جُنْحَ الدُّجَى نهاراً  
لم أر من قبل ذلك نُوراً      أضرمَ فيه الحياة ناراً

ولابن شهيد (١) :

راقني من شيمه برقٌ بدا      أمسنا المحبوب أوزى أُنْدَا  
هبَّ من نَعْسَتِهِ منكسراً      مُسَبِلَ الكُمَيْنِ مُرْخٍ للردَا  
يمسح النَّعْسَةَ من عَيْنِي رشاً      صائِدٍ في كلِّ يوم أسداً  
قلت هب لي يا حبيبي قبلةً      تَشْفِ من حَبِّكَ تبريح الصدى  
فانثني يهتز من منكبه      قائلاً : لا، ثم أعطاني اليدَا  
قال لي يلعب : صِدْ لي طائراً      فتراني الدهر أجرى بالكدي  
وإذا استنجزت يوماً وعدَه      قال لي يمتل : ذكّرني غداً  
شربتُ أعطافه خمرَ الصبا      وسقاه الحسن حتى عرَبداً

ورأى الحسن غلاماً في المكتب فأشار إلى تقبيل يده فقبّله فقال :

ظفرت بقبلةٍ منه      على عيني معلّة  
أشرتُ بها إلى يده      فأوصلها إلى فمه

وقال الخلواني :

نعرَضْتُ من شَفْنِي هجره      بيده سلام عليه شفاهاً

وقلت عساه يردّ السّلام      فتبلغ نفسي منه منهاها  
فجاد عليّ بتقبيلها      وقد كان أعرض عني وتاها  
وكنت كموسى أتى للضياء      لتقبس نارِ فجاجي إلها

وكتب الحسن لغلام كاتب يستعطفه ، فوقع الغلام في كتابه : « تزد هجرأ  
إلى يوم الحساب » فقال الحسن :

كعبت إلى الحبيب بيت شعري      أعاتبه فأغضبه كتابي  
أجني يا ملول على كتابي      فإنّ النّفس تسكن بالجواب  
فوقع في الكتاب : يزد هجرأ      وإبمأداً إلى يوم الحساب

وقال ابن رشيقي في محبوبه الصانع :

وظبي من بنى الكتاب يسبي      قلوب العاشقين بمقلتيه<sup>(١)</sup>  
رفعت إليه أستفضى رضاه      وأسأله خلاصاً من يديه  
فوقع : قد رددت فواد هذا      مسأحة فلا يعدى عليه

وناوله يوماً تفاحة فقال :

وتفاحة من كفت ظبي أخذتها      جناها من الغصن الذي مثل قده<sup>(٢)</sup>  
لها لمس ردفه وطيب نسيمه      وطعم ثناياه ومحرّة خده

ولابن فرج :

ومن بنظر إلى خديك يحكم      على ورد الحدايق للحدود  
وما اهتزت غصون الرّوض إلا      كتمت حُسن قدك في القود

(١) النّف ٨٦

(٢) النّف ٢٨

وقال مسلم بن الوليد :

تفاحة شاميةٌ من كَفِّ ظبي غَزَلِ  
ما خلقت مذ خلقت تلك لغير القَبَلِ  
كأنما حمرتها مُحرة خدَّ خَجَلِ

وقال آخر في ضدِّ ما تقدّم :

فديتك لا تحفِ مني سلّوا إذا ما غدير الشعر الصغاراً  
أدين بدنّ خلّ كان خمرأً وأهوى لحيةً كانت عذاراً

وقال ابن المعتز في مثله :

من مُعِينِي على السَّهْرِ وعلى الحبِّ والفِكرِ  
وبل ما بي من شادنٍ كِبَرَ الحبِّ إذ كَبِرِ

قوله: زُلالي، أي خالص على، والزُّلال: الماء العذب الصافي. ثققتكم: قوّمتمكم.  
العوالى: صدور الرِّماح. براعة: فصاحة. الحِذاقة: المهارة في كلِّ عمل،  
وهي الحِذق، وأصله القَطْع، كأنَّ الحاذق يقطع الأمور المشكّلة بعقله، وحذق  
الصبي القرآن: قَطَعه حفظاً. الرِّقاعة: الحماقة، رَقَعَ رِقاعة فهو رِقيع. يصعد:  
يرفع نظره. يصبُّ: ينظر في اعتدال واستواء. ينقرُّ: وينقُب: يفتش. بهماء:  
أرض مجهولة. استرث: استبطأ. تدلّهي: تحيرى، ودلّه الحب: حيره  
وأدهشه. تخلق: نظر بملاقه، وهو باطن جفنه، وهو نظر المغضب. يتوسّم:  
يحسن النظر والميز. بهت: فطنت، وفي الحديث «ربّ ذى طمرين لا يؤبه له»،  
أي لا يفتن له لذّته، وتأبه فلان: تكبر، وإنه لذو أبهة، أي ذو كِبَر ونحوه.  
الفتجديهي: رأيت بخط الحريري: يقال: أبهت له وأبهت ووبهت له بمعنى،

قال يعقوب . تقول : ما بهت له ، وما بهت به وما أوبهت له ، وما بهأت له : ما فظنت له . ففحوى : معنى . عند ابتسامته ، قد تقدم وصفه بالفتح ، يريد لنا ابتسم ورأى قلح عرقه . تدير بقعة النوكى ، أى اتخذه حمص داراً ، وجعلهم نوكى لرفاعتهم ، والنوك : الحق . حرفة : صنعة . أسف رماداً ، أى تغير فكأنه ذرّ عليه الرماد . وأسف الجرح الدواء أى حشاه به . ما تبادى ، أى مادام ولابقى على غضبه ، وتبادى فى الشيء : لَجَّ فيه . حظوة ، أى منزلة . يصطفى : يختار . يوطن : يسكن . بقاعه : منازلها ، وهى جمع بقعة . أخى اللب : صاحب العقل . غير : حمار . قاعة : انخفاض ، أى ليس للإنسان من دهره إلا ما أكله .

\* \* \*

ثم قال : أما إنَّ التعليم أشرفُ صناعة ، وأرفعُ بضاعة ، وأنجحُ شفاعة وأفضلُ براءة ، وربُّه ذو إمرة مطاعة ، وهيبته مُساعة ، ورعيته مطواعة ، يتسيطر تسيطر أمير ، ويرتبُ ترتيب وزير ، ويتحكّم تحكّم قدير ، ويتشبه بذي مُلك كبير ، إلا أنه يخزف فى أمد يسير ، ويتسم بمحمتي شهير ، ويتقلب بعقل صغير ؛ ولا يذبّتك مثل خبير ؛ فقلت له : تالله إنك لابن الأيام ، وعلم الأعلام ، والساحر اللاعب بالأفهام ، المذلل له سبيل الكلام . ثم لم أزل مُتكتفاً بناديه ، ومُغترباً من سبيل واديه ، إلى أن غابت الأيام الغرّ ، ونابت الأحداث العبر ، فقارقه ولعيني العبر .

\* \* \*



قوله أَمْجَح، أى أنفع وأسرع لقضاء الحاجة . أَمْرَةٌ مطاعة ، العرب تقول :  
لك على أَمْرَةٍ مطاعة ، بفتح الألف ، أى أَمْرَةٌ أَطِيعُكَ فيها ، وحكى الفراء  
كسرها على ضَعْف ، وفتح أَفْصَح ، والأَمْرَةُ بالفتح : المرة الواحدة من الأمر ،  
وبالكسر الإمارة والولاية . مُشَاعَةٌ : فاشية . يتساطر : يتساقط . يَحْرَفُ : يهزم .  
يَتَسِمُ : يجعل لنفسه سِمة ، أى علامة الحق .

ومما قيل في المعلم وتفضيله على الوالد ، أنشد الماوردي :

يا فَاخِرًا لِلسَّقَاهِ بِالسَّلَفِ      وَتَارِكًا لِلْعَلَاءِ وَالشَّرَفِ  
آبَاءِ أَجْسَادِنَا هُمْ سَبَبٌ      لِأَنَّ جُعِلْنَا عَوَارِضَ التَّلَفِ  
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كَانَ خَيْرَ أَبِي      ذَاكَ أَبُو الرُّوحِ لِأَبِوالتُّطَفِ

أخذه من قول الإسكندر ، وقيل له : ما بال تعظيمك معلمك أشد من  
تعظيمك لوالدك ؟ فقال : إن أبى سبب حياتى الفانية ، ومعلمى سبب حياتى  
الباقية .

ولبعضهم :

إِنَّ المَعْلَمَ والطَّيِّبَ كِلَاهُمَا      لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا  
فَاصْبِرْ لِدَائِكِ إِنْ جَفَوْتَ طَيِّبَهُ      وَاصْبِرْ لِحَمَلِكِ إِنْ جَفَوْتَ مَعْلَمَا

جاء فى الحديث « يُجَاءُ بِالْمَعْلَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهَهُ عَظِيمٌ لَا لَحْمَ عَلَيْهِ » .  
قال عطاء : الذين يأخذون على القرآن أجرًا . ابن الأيام : الخبير بها والبصير  
بمواطنها . علم الأعلام : أشهر المشاهير . الأفهام : جمع فهم ، أراد اللآعب  
بالأذهان والعقول . سُبُل : طرق . ممتكفأ بناديه : ملازمًا لحلسه . مفترقا من  
سيل واديه : آخذًا من بحرٍ علمه . الفرء : البيض الحسان . نابت الأحداث  
للغبر : رجعت النوازل الشداد التى تغبر الأرض من شدة تحطها . لعينى الغبر ،  
أى سخنة الدمع لحزنه . واستعبر : بكى . والله تعالى أعلم .

( م - ١٧ شرح مقامات المريى )

## المقامة السابعة والأربعون وهي الحبرية

حكى الحارث بن همام : قال : احتجت إلى الحجامة ، وأنا  
بِحَجْرِ اليمامة ، فأرشدت إلى شيخ يحجمُ بلطافة ، ويسفر عن نظافة ؛  
فبعثت غلامي لإحضاره ، وأرصدت نفسي لانتظاره . فأبطأ بعمد  
ما انطلق . حتى خلته قد أبق ، أو ركب طبقا عن طبق . ثم عاد عود  
الخنق ، مسماه . الكليل على مولاه ، فقلت له : ويالك الأبطأ فئد . وصلود  
زند ! فزعم أن الشيخ أشعل من ذات النخيين ، وفي حرب كحرب  
حنين ، فعمت الممشى إلى حجّام ، وحرت بين إقدام وإحجام ؛ ثم رأيت  
الآ تعنيف . على من يأتي الكنيف .

\* \* \*

قوله : احتجت للحجامة ، وأنا بحجر اليمامة . أنس عن النبي صلى الله  
عليه وسلم ، قال : « خير ما تداو به الحجامة والشوفيز والقسط » .  
القسط : عود يجاء به من الهند ، يجعل في الدواء والبخور .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« خير يوم يُحتجم فيه سبعة عشر وتسعة عشر وأحد وعشرون ، وما مررت  
بملا من الملائكة ليلة أُسري بي إلا قالوا : عليك بالحجامة يا محمد » .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : لقد تببغ<sup>(١)</sup> بي الدم يا نافع ، ادع لي  
حجّاماً ، ولا جعله شيخاً كبيراً ، ولا صبياً . ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله

(١) البيغ : ثوزان الدم .

عليه وسلم يقول: «الحجامة على الرِّيق أمثلُ»، فيها شفاء وبركة، تزيد في العقل والحفظ، وتزيد الحافظ حفظاً، فمن احتجم فيوم الخميس والأحد والاثنين والثلاثاء، فإنه يومٌ رفع الله فيه البلاء.»

عن أيوب عليه السلام، وأصابه [مرض] يوم الأربعاء: لا يبدأ جذام أو برص إلا في يوم الأربعاء أو ليلته.

حَجْرٌ: قصة. اليمامة: يأتي ذكرها في الخمسين إن شاء الله تعالى، وهي بلدة كبيرة كثيرة النخل، وسكنتها حنيفة، وهي بلدة مسيئة الكذاب الحنفي، وبها تنبأ وآمن به أهلها، وهي «فَعَالَةٌ» من اليمم، وهو طائر، أو من يَمَّتُ الشيء إذا تمعدته. من الأمام، بمعنى قدام، وأبدلت الهمزة ياء لما دخلتها الهاء، وأقرب المدن منها البصرة.

يُسْفَرُ: يكشف. نظافة: صقالة وحسن. أرصدت: أعددت. أبقى: هرب. طبقاً عن طبق: حالاً عن حال، وأسراً عن أمر. الخائب: مسعاه: سعيه. الكَلَلُ على مولاه: الذي لا ينفعه شيء، ولا يكفيه أمر نفسه، والكَلَلُ: الثقل الروح. قوله: ضلود زَنْد، هو ألا يسمح الزَنْد بالنار. حُنَيْن: موضع وقعة مشهورة، كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هوزان، هُزِمَتْ فيها هوزان، وسببت أموالهم وعبائلهم، وقُتِلَ فيها دُرَيْدُ بن الصَّمة كافرًا. عَفَّت: كرهت. الإقدام: الجرأة والترامي. والإحجام: الرجوع إلى خلف، أراد أنه ردّد رأيه: هل يأتيه أم لا؟ والتعنيف: العتب. والكنيف: المرعاض.

### [ حكاية ظريفة تجمع أسماء المرعاض ]

ونذكر هنا حكاية ظريفة تجمع أسماء. رحل رجلٌ من الكوفة إلى ابن عمِّ له من بني هاشم بالمدينة، فأقام حولاً عنده، لا يدخل مُستراحاً، فلما أراد

الرجوع إلى الكوفة ، قال ابن عمّه أقيمتين له : أما رأيتما ظرف ابن عمي ، أقام حولاً عندنا لم يدخل الخلاء ، قالتا : نعمائنا أن نضع له شيئاً لا يجد معه بدءاً من الخلاء ، قال : شأنكما ، فعمدنا إلى خشب العُشْبُر ، وطرحناه في شرايه وهو مستهل ؛ فلما حضر وقت شرايهما قرّباه له وسقنا مولاها من غيره ، فلما أخذ الشراب منهما تناوم مولاها ، ومَنَعِصَ الفتى من بعده ، فقال لإحداها : يا سيدتي ، أين الخلاء ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تُغْنِيَهُ :

عَمَّا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَادِ      فَنَزَلَ أَهْلُهَا مِنْهَا خَلَاءَ

فغنته ، فقال : أظنهما كوفيتين ، فقال الأخرى : يا سيدتي أين الخش ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

\* لقد أوحش الرّيانُ فالديترُ منهما \*

فغنته ، فقال التي : أظنهما عراقيتين ، وما فهمتا عني ، فقال الأخرى : يا سيدتي ، أين المتوضأ ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسأل أن تغنيه :

تَوْضُؤًا لِلصَّلَاةِ وَصَلَّ خَمْسًا      وَأُذِّنَ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ الذِّيَّ

فقال : أظنهما حجازيتين ، وما فهمتا عني ، فقال لإحداها : يا سيدتي ، أين الكنيف ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : إنه يسألك أن تغنيه :

تَكْتَنِفِي الْوَأَشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ      وَلَوْ كَانَ وَاشٍ وَاحِدٌ لَكَفَانِي

فغنته ، فقال : أظنهما تهمايين ، فقال الأخرى : يا سيدتي أين المستراح ؟ فقالت لصاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

تَرَكَ الْفِكَاهَةَ وَالزَّاحَا      وَقَلَى الصَّبَاةِ فَاسْتَرَا

فَعَنَّتْهُ ، وَلِلْمَوْلَى يَسْمَعُ ، فَلَمَّا كَرَّ بِهِ الْأَمْرُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

تَكُنْفِي الْمَلَاخُ وَأُخَجِرُونِي      عَلَى مَا بِي بِتَكْرِيرِ الْأَغَانِي  
فَلَمَّا ضَاقَ عَن ذَاكَ اصْطَبَارِي      ذَرَقْتُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الزَّوَانِي

ثم حلَّ سراويله ، وسلَّحَ عليهما ، فتركهما آيةً للناظرين . وانقبه مولاها ،  
فلما رأى ما نزل بهما ، قال له : يا أخي ما حالك على هذا ؟ قال له : يا ابن الزانية ،  
لك جوارٍ يرئى الخرجَ عرَاطاً مستقيماً فلا يدُلُّنني عليه ، فلم يكن لمنَّ جزاء  
عندي غير هذا ، ثم رحل عنه .

فيقول أبو محمد : لا بأس للإنسان أن يأتي المواضع الحسيسة عند الضرورة ،  
وأصل الكنيف السائر .

\* \* \*

فلما شهدت مؤسمة ، وشاهدت ميسمة ، رأيتُ شيخاً هيئته  
نظيفة ، وحركته خفيفة ، وعائيه من النظارة أطواق ، ومن الزحام  
طباق ، وبين يديه فتى كالصمصامة ، مُسَهَّدِفٌ للحجامة ، والشيخ  
يقول له : أراك قد أبرزتَ رأسك ، قبل أن تُبرزَ قرطاسك ، ووليئني  
قدالك ، ولم تقل : لي ذالك ، ولستُ ممن يبيعُ نقداً بدين ، ولا يطلبُ  
أثراً بعد عين ، فإن أنتَ رَضِخْتَ بالعين ، حُجِمْتَ في الأخدعين . وإن  
كنتَ ترى الشَّحَّ أُولَى ، وحَزَنَ الفِلسِ في النَّفْسِ أَحْلَى ، فافراً عَبَسَ  
وتولى ، واغْرُبْ عَنِّي وَإِلَّا : فقال الفتى : والذي حَرَّمَ صَوْغَ المِئِنِ ؛  
كما حَرَّمَ صَيْدَ الحَرَمَيْنِ ؛ إني لأفلسُ من ابنِ يومين ، فثِقْ بِسَيْلِ تَلْعِي ،  
وأنظرني إلى سَعِي .

\* \* \*

موسمه : مجتمعه وسوقه . ميسمه : علامته . النظارة : الناس الناظرون .  
أطواق : أى حلقة خلف حلقة ، قد استداروا حولها . والطباق : الذى طويق .  
فجعل بعضه على بعض ، شبه به ركوب بعض الناس بعضاً .

### [ الصمصامة ]

والصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب ، وكانت تقطع الحديد كما يقطع  
الحديد الخشب . وبعث ملك الهند إلى الرشيد بسيف قلعية ، و كلاب سلوقية ،  
وثياب هندية ، فأمر الأتراك فصقوا بين يديه صقنين ، قد لبسوا الحديد ، ودخل  
الرشيد فقال لهم : ما جئتم به ؟ قالوا : هذه أشرف كسوة بلادنا ، فأمر فقطعت  
جلاًلاً وبراقع نخيله ، فسكبوا على وجوههم ، وتذموا ، ثم قال : ما عندكم ؟  
قالوا : هذه سيوف قلعية ، لا نظير لها ؛ فدعا بالصمصامة ، فقطعت بها السيوف  
سيفاً سيفاً ، كما يقطع الفجل من غير أن تشنى لها شفرة . ثم عرض عليهم حدّ  
السيف فإذا هو لافلّ فيه ، ثم قال : ما عندكم ؟ قالوا : كلاب سلوقية ، لا يبقى  
لها كلب ولا سبّيع إلا عقرته ، فأمر بالأسد فأخرج إليهم ، فلما نظروا إليه هالهم ،  
وقالوا : ليس عندنا مثل سبّيعكم ، ثم أرسلوا عليه الأكلب — وكانت ثلاثة —  
فزقته ، فقال : تمنّوا فى هذه الأكلب ماشتم ، قالوا : السيف الذى قطع سيوفنا ،  
قال : لا يجوز فى ديننا أن نهادىكم بالسلاح . فانتقلوا خائمين .

وكانت الصمصامة عند الهادى ، فدعا بها يوماً وبكامل مملوءة دنانير ،  
وأمر الشعراء أن يقولوا فيه ، فبدأهم ابن يامين فقال :

حاز صمصامة الزبيدى عمرو من بين جميع الأنام موسى الأمين  
سيف عمرو ، وكان فيما سمعنا خبيراً ما أعمدت عليه الجفون  
أوقدت فوقه الصواعق ناراً ثم شابت به الزعاف القيون

(١) الأبيات فى ابن خلكان ٢ : ٢٠٤ ، ونسبها إلى ابن يامين البصرى ، وهى فى  
نمار القلوب ٦٢١ ، ونسبها إلى أبى الهول ، وكذلك فى الحيوان ٥ : ٨٧

وإذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكذب تسدين  
 يستطير الأبصار كأنبس المشعل ما تستقر فيه العيون  
 وكان الفيرند والجوهر الجا رى على صفحته ماء معين  
 ما يبالي إذا الضريبة حانت أشمال سقطت به أم يمين  
 وكان المنون نيطت إليه فهو من كل جانبه منون  
 فقال له : لك السيف والمكئل ، ففرق ، المكئل على الشعراء ، وقال :  
 حرمتهم بسبي ، وأخذ من المهدي في السيف خمسين ألف دينار .

ومن أفرط في وصف قطع السيف النمر بن تواب حين قال :  
 أبقى الحوادث والأيام من نمر أسباد سيف كريم أثره بادي  
 تظّل تحفر عنه الأرض مندفعاً بعد الذراعين والساقين والهادي  
 ويروى :

\* تظّل تحفر عنه إن ضربت به \*

والأسباد : البقايا ، واحدا سبد ، وقال أبو الهول :

حُسام عداة الرّوع ماضٍ كأنه من الله في قبض النفوس دليل<sup>(١)</sup>  
 كأن جنود الذرّ كسّرن فوقه قرون جراد يمين ذحول  
 كأن على إفرنده موج لجة تقاصر في ضحاها وتطول  
 وقال ابن الرومي :

يقول القائلون إذا رأوه لأمر ما تُعولت الدرّوع

والشعر في وصف السيف كثير مشهور فلذلك اقتصرنا على هذه النبذة .

\* \* \*  
 قوله : مسهدف ، أى منتصف ، والهدف : الغرض ، وأراد بالقرطاس  
 قطعة من كأغد توضع فيها الدرهم . الفنجديهي : القرطاس : درهم من نحاس ،

(١) غار القلوب ٦٢٣ .

وفيه شيء من الفضة ، يتعاملون به في الشام . كذلك : مؤخر عنقك وهو ما بين  
قُرّة القفا إلى الأذن وجمعه قُذُل . ذا ، إشارة إلى الدرهم . تقدأ : حاضراً .

أثراً بعد عين . قد تقدّم ، والعين : نفس الشيء ، وقيل : العين المعاينة ،  
فمعناه لا أترك شيئاً وأنا أعينه ، وأطلب أثره إذا غاب . وقال الفنجديسيّ :  
سمعت بعض الفضلاء بفنجدية ، يقول : حكى أن رجلاً سرق منه شيء ، فخرج  
يطلب السارق ، فلما ظفر به أخذ يضربه ويشدّ وثاقه ، فقال له أحد أهل البلد :  
خَلّ سبيله ، حتى يخرج فإن هنا أثر قدميه ، فضحك الرجل منه وقال : لا أطلب  
أثراً بعد عين ، فصار مثلاً لمن ترك شيئاً حاصلًا ثم تبع أثره بعد فوت عينه .

رضخت : أعطيت . والعين : الدراهم والدنانير . الأخدعان : عِرْقَان يقع  
عليهما الحجمتان ، وقيل : هما في صفحتي العنق قد خفياً وبطننا فلنخفأهما يتخدعان  
الحاجم . خَزْن : إمساك وحبس . اغرُب : غب . وإلآ ، معناه وإلآ صفتُ  
عنقك . المئين : الكذب . الحرمين : مَكَّة والمدينة ، حرم الله تعالى بمكة وحرم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . التَّلعة : مجرى الماء من أعلى الوادى .  
أَنْظَرَنِي : أَخْرَجَنِي . سَعَتِي : غِنَاي .

\* \* \*

فقال له الشيخ : وَيْحَكَ ! إِنْ مَثَلَ الْوُعود ، كغرسِ العود ، هو  
بين أَنْ يُدْرِكَ الْعَطْبُ ، أَوْ يُدْرِكَ مِنْهُ الرُّطْبُ ، فَمَا يُدْرِينِي : أَيُحْصَلُ  
مِنْ عودِكَ جَنِّي ، أَمْ أَحْصَلُ مِنْهُ عَلَى صَنِّي ، ثم ما الثَّقةُ بِأَنَّكَ حِينَ تَبْتَعِدُ ،  
سَتَنِي بِمَا تَعِدُ ! وقد صار الغدرُ كالتحجيل ، في حِلْمِيهَذَا الجِيلِ ، فَأَرِحْنِي  
بِاللَّهِ مِنَ التَّعْذِيبِ ، وَارْحَلْ إِلَى حَيْثُ يَعْوِي الذَّيْبُ . فَاسْتَوَى الْغلامُ  
إِلَيْهِ ، وَقَدْ اسْتَوَى الْخَجَلُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يَخِيسُ بِالْعَهْدِ ، غَيْرُ



الْحَسِيدِ الْوَعْدِ، وَلَا يَرِدُ غَيْرَ الْعَدْرِ، إِلَّا الْوَضِيعُ الْقَدْرُ؛ وَلَوْ عَرَفْتَ  
مَنْ أَنَا، لَمَا اسْتَمَعْتَنِي الْخَنَا؛ لَكِنَّكَ جَهَلْتَ فَقُلْتَ، وَحَيْثُ وَجِبَ أَنْ  
تَسْجُدُ بَلْتَ، وَمَا أَقْبَحَ الْعُرْبَةَ وَالْإِقْلَالَ، وَأَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ:

\* \* \*

جَنَى: مَا يُجْنَى مِنْهُ. صَنَى: مَرَضَ. التَّحْجِيلُ: بِيَاضُ فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ.  
حِلْيَةٌ: صِفَةٌ وَزِينَةٌ. الْحَيْلُ: أَهْلُ الْعَضْرِ. اسْتَوَى: اجْتَدَلَ قَائِمًا. اسْتَوَى:  
غَلَبَ عَلَيْهِ الْحَجَلُ. يَخِيسُ: يَفْدِرُ، وَخَاسَ الشَّيْءُ تَغَيَّرَ. الْوَعْدُ: الرَّذْلُ السَّاقِطُ  
الْحَسِيدِ الدَّنِيِّ. الْخَنَا: الْفُحْشُ.

\* \* \*

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مُمْتَهَنٌ      فَكَيْفَ حَالِ غَرِيبٍ مَالَهُ قَوْتٌ!  
لَكِنَّهُ مَا تَشِينُ الْحَرَّ مُوجِعَةٌ      فَالْمِسْكُ يُسْحَقُ وَالْكَافُورُ مَفْتُوتٌ  
وَطَلَمَا أَصْلَى الْيَاقُوتُ جَمْرَ غَضِي      ثُمَّ انطَفَى الْجَمْرُ وَالْيَاقُوتُ يَاقُوتٌ

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا وَيْلَةَ أَيْبِكَ، وَعَوَّلَةَ أَهْلِيكَ! أَنْتِ فِي مَوْقِفِ  
غَيْرِ يَطْهَرُ، وَحَسَبِ يُشْمَرُ، أَمْ مَوْقِفِ جِلْدٍ يُكْشَطُ، وَقَفَاءَ يُشْرَطُ؛  
وَهَبْ أَنْ لَكَ الْبَيْتُ، كَمَا ادَّعَيْتِ، أَيْحَصِلُ بِذَلِكَ، حَجْمٌ قَدْ ذَلِكَ؛  
لَا وَاللَّهِ وَلَوْ أَنَّ أَبَاكَ أَتَافَ، عَلَى عَبْدٍ مَنَافٍ، أَوْ لَخَالِكَ دَانَ، عَبْدُ الْمَدَانِ.

\* \* \*

الطَّوِيلُ الذَّيْلُ: الْكَثِيرُ الْمَالِ. تَشِينُ: تَعِيبُ. أَصْلَى: أَدْخَلَ النَّارَ.  
الْيَاقُوتُ: حِجَارَةٌ يَتَزَيَّنُ بِهَا وَالنَّارُ لَا تَغْيِرُهُ.

وَمَا جَاءَ فِي مَعْنَى هَذَا الشَّعْرِ:

إنَّ الغَربَ ذَليلاً حَينَما سَلَكَ  
إِذا تَغَنَّى حَمامُ الأَبِكِ في عُصنِ  
لو أَنَّهُ مُلْكٌ كَلَّ الوَريَ مَلَكَ  
حَنَّ الغَربُ إِلى أوطانِهِ فَبسَكَ  
أَجْرُ :

وَإِذا حَلَّتْ بدارِ قَومِ دارِهِمْ  
فالشَّمسُ تُشرقُ في مَحَلَّةِ كَبشِها  
فَلَهُم عَليكَ تَعزُّزُ الأوطانِ  
وتَكونُ مَنحَطاً مَعَ المِيزانِ  
وقال الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم :

لا يَشمتن حاسداً إن نَكَبَ عَرَصَتِ  
فالحِرَّ كالتَّبرِ يَلقَى تَحْتِ مَنقَعَةٍ  
فالدَّهرُ ليسَ عَلى حَالٍ بِمَـتَرَكَ<sup>(١)</sup>  
طَوراً وطَوراً يُرَى تاجاً عَلى مَلِكِ  
وقال البحتري في سعيد وقد حبس :

وما هَـذِهِ الأَيامُ إِلا مَراحِلُ

وقَد هَذَبَتِ النائِباتُ وإِنما  
فَإِنَّ مَنزِلَ رَحَبٍ وَمِن مَنزِلِ ضَنكِ<sup>(٢)</sup>  
صفا الذَهبُ الإبريزَ قَبْلَكَ بالسَّيِّكِ  
وقال أبو بكر بن دريد :

لا تَحقرنَ عالِماً وَأَن حَلَقَتِ  
واُنظِرْ إِليه بِعَينِ ذى حَظَرِ  
أُتوا بِهِ في عَيونِ رَامِقِهِ<sup>(٣)</sup>  
مَهذبُ الرأى في طَرائِقِهِ  
فالمسكُ إِذْ ما تَراه مَمتهناً  
بِفَهْرِ عَطارِهِ وساحِقِهِ  
سَوف تَراه بِعارضِ مَلِكِ  
ومَوضِعِ التَّاجِ مِن مَفارِقِهِ  
وقال ابن شِماخ :

نَوابِ غالَتَني فَأَبَدتِ فَضائِلِي  
فَكَانَتِ وَكَانَتِ النَّارُ وَالعَنبرُ الوَرْدَةُ

(١) نفع الطيب

(٢) ديوانه ١٥٦٨ وفيه : « إلامنازل »

(٣) ديوانه ٩٨

وعلى لسان عود الطيب :

إِنَّ مَسْتِ النَّارِ جَسْمِي      أَبَدَيْتُ طَيْبَ نَسِيمِي  
كَالدَّهْرِ إِنْ عَضَّ يَوْمًا      أَبَانَ فَضْلَ كَرِيمِي

وسخط المتوكل على علي بن الجهم ، فنفاه إلى خراسان ، وكتب أن  
يُصَلَّبَ إذا وردها يوماً إلى الليل ، فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه ظاهر بن عبدالله ،  
ثم أخرجته فصلبه إلى الليل مجرداً فقال (١) :

لَمْ يَصَابُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا (٢)  
نصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مَاءَ عَيْونِهِمْ      شَرْفًا وَمَلَأَ صُدُورَهُمْ تَبَجِيلًا  
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةَ وَسَعَادَةً      وَازْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نَكُولًا  
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارِقَ غِيَابِهِ      فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولًا  
مَا عَابَهُ أَنْ يُزَعِّنَهُ لِبَاسِهِ      كَالسَّيْفِ أَفْضَلُ مَا يُرَى مَسْلُولًا (٣)  
وقال في الحبس :

قَالَتْ حُبْسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ      حَبْسِي وَأَيُّ مَهْنَدٍ لَا يُعْمَدُ (٤)  
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ بِأَلْفِ غِيَابِهِ      كَبِيرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَصِيدُ (٥)  
فَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ      عَنْ نَاطِرِيكَ لِمَا أَضَاءَ الْفِرْقَدُ  
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ      لَا تُضْطَلِّي إِنْ لَمْ تُنْثَرِهَا الْأَزْنَدُ  
وَالْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَعْشَهُ لِدُنْيَا      شَنْعَاءَ نَعَمِ الْمَنْزِلِ الْمَتَوَرَّدُ  
بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كِرَامَةً      وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يُزُورُ وَيُحْمَدُ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ      لَا تَسْتَدْلِكُ بِالْحِجَابِ الْأَعْبَدُ

(١) ديوانه ١٧١ ، والشاذياخ ، من ضواحي نيسابور

(٢) الديوان : ( صديحة الاثنين )

(٣) ديوانه : « السيف »

(٤) ديوانه ٤١ ، ٤٢

(٥) الديوان : « تردد »

أخذ الأصوصَ أحدُ الأمراءَ بأمر الوليد بن عبد الملك لأنه كان يراود غلمانَه ، فضربه مائة سوط وصب عليه الزيت ، وأوقفه في الشمس ، وهو مع ذلك يقول :

ما تعتربنى من خطوبٍ مِلمَةٍ إلا تشرّفتني وترفعُ شاني<sup>(١)</sup>  
إني على ما قد علمت مجسّدٌ أنمى على البغضاء والشنان  
فإذا تزول تزول عن متخمّطٍ تُخشى بوادِرُ على الأقوان  
إني إذا خفي اللثيمُ وجدتنى كالشمس لا تخفى بكلّ مكان

\* \* \*

قوله : ياويلة أيبك . الويلة : الفضيحة ، والويل : الحزن . والعوالة : البكاء الشديد ، وأعوول يعول إعوالاً ، إذا رفع صوته وصاح . أهليك : جمع أهل . يكشط : يخلق شعره . هب ، أى احسب . وذكر في الدرّة أن خواصّ العراق يقولون : هب أنى فعلت ، وهبه فعل ، كقول أبي ذهبل<sup>(٢)</sup> :

هَبُونِي امرأً منكم أضل بعيره له ذمّةٌ إنّ الذمام كبيرُ

قال : وهبني ، أى عدّني واحسبني ، فكان فيه معنى الأمر من وهب . انتهى ما قاله في الدرّة<sup>(٣)</sup> .

وقال هنا : وهب أن لك . . . البيت ، وبيت القبيلة : أشرف خذ فيها . أناف : أشرف .

(١) ديوانه ٢٠٣ وروايته

ما من مصيبة نكبة أمّنتي بها إلا تعظّمني وترفع شاني

(٢) ط « ذهل » تحريف

(٣) درّة النواص ١٢١ ( طبع لندن )

## [ شرف عبد مناف ]

عبد مناف بن قصي، هو بيت قريش وشريفها، وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسمه المغيرة، وكان يقال لعبد مناف: القمر لجماله وبهائه ورفعة منزلته، وسمي عبد مناف لأنه شرف وعلا، وأناف على أشرف العرب، وكانت الركاب تضرب إليه من أطراف الأرض يُتَحِفُونَهُ تحف الملوك، فيكرمهم، وكان عنده لواء نزار، وقوس إسماعيل، وسقاية الحاج والمفاتيح. ولما قسم والده المجد بين أولاده جعل السقاية والرياسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار، والرفادة لعبد العزى، وجانبي الوادي لعبد بن قصي. قال الشاعر:

كانت قريش بيضةً فتفلقت<sup>(١)</sup> فالح خالصه لعبد مناف

ولما مات قصي رأس ابنه عبد مناف، وجل قدره، فأنته خزاعة وبنو الحارث بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به، فعقد معهم.

وأما شرف عقبه فلأن منه بنى هاشم، الذين فيهم النبوة والخلافة، ومنه بنو أمية القادة في الجاهلية، وأهل الخلافة في صدر الإسلام، وقد قدمنا في أخبار الشافعي أن عبد مناف، يجتمع بنو هاشم وبنو أمية فيه، فلهؤلاء انتهى شرف مضر.

## [ ذكر بني عبد المدان ]

وأما بنو عبد المدان فأشرف اليمن، وبهم يضرب المثل في الشرف والعزة، وهو عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن خالد بن بجيلة بن مذحج.

(١) من مقطوعة في أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ ونسبها إلى مطرود بن كعب الخزاعي.

وقال لقيط بن زُرارة :

شربتُ الخمرَ حتى خِلْتُ أَنِي      أبو قابوسٍ أو عبدُ لَادَانِ  
أَمْشِي فِي بَنِي عُدُسٍ بِنِ زَيْدٍ      رَخِيَّ الْبَالِ مِنْطَاقِ الْأَسَانِ

وَقَالَ حَسَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا      لِذِي جِسْمٍ بَعْدَ وَذَى بَيَانِ  
كَأَنَّكَ أَهْيَا الْمَعْطَى بَيَانًا      وَجِسْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ

وَقَالُوا لِحَسَانٍ : كُنَّا يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، وَنَحْنُ نَطُولُ بِأَجْسَامِنَا عَلَى الْعَرَبِ نَرَى

لَأَنْفُسِنَا بِذَلِكَ فَضْلًا ، حَتَّى قُلْتُ :

دَعُوا التَّخَايُؤَ وَامْشُوا مِشْيَةَ سُخُجَا      إِنَّ الرِّجَالَ أَوْلُو قَدِّ وَتَذَكِيرِ<sup>(١)</sup>  
لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمٍ      جِسْمُ الْبِقَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ  
فَتَرَكْنَا لَا نَرَى لِأَجْسَامِنَا فَضْلًا .

وحكى الأصمعيّ : أنه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بسوق عُكاظ ، وقدم أمية بن الأسكر الكناني ومعه ابنة له ، من أجل أهل زمانها ، فخطبها يزيد وعامر ، فقالت أمّ كلاب ( امرأة أمية ) : مَنْ هذان الرجلان ؟ فعرّفها أمية ، فقالت : أعرف بنى الديان ولا أعرف عامراً ، قال : هل سمعتِ بملاعب الأسنّة ؟ قالت : نعم ، فقال : هذا ابن أخته ، فقال يزيد : يا أمية أنا ابن الديان ، صاحب الكئيب وورئيسُ مذحج ومكلمُ العقاب ، ومنّ كان بصوّب أصابعه فتنتطفُ دمًا ، وراحته فتخرج ذهبًا ، فقال أمية : بخ بخ ، فقال عامر : جدّي الأجدم ، وعمّي الأصم ، وخالى ملاعب الأسنّة ، وأبي فارس قرزل ، فقال أمية : بخ بخ ، سرّعي ولا كالسعدان ، فأرسلها مثلاً ، فقال يزيد : يا عامر ،

(١) ديوانه ٢١٤ . والتخايؤ : التباطؤ في المشي . وفي النديوان « إن الرجال ذوو

عصب وتذكير »

هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحٍ إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم، فنهض يزيد وهو يقول:

أحى يا ابن الأسكر بن مدلج لا تجعلن هوزاناً كمذحج  
لا النبع في مفرسه كالموسج ولا الصريح الحض كالمزج

\* \* \*

فلا تضرب في حديد بارد، ولا تطلب ما لست له بواجد،  
وباه إذا باهيت بوجودك؛ لا يُجدودك، وبخصوك، لا بأصولك،  
وبصفاك، لا برفاتك، وبأعلاقك، لا بأعراقك؛ ولا تطع الطمع  
فيئذلك، ولا تتبع الهوى فيضلك، والله القائل لابنه:

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويمًا ويتشاه إذا ما التوى التوى  
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى إذا تهبت أحشاؤه بالطوى طوى  
وعاص الهوى المردي فكم من مخلق

إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى  
وأسمف ذوى القربى فيقبح أن يرى

على من إلى الحرّ اللباب انضوى صوى

وحافظ على من لا يخون إذا تبا

زمان ومن يرعى إذا ما التوى نوى

وإن تَقْتَدِرْ فاصْفَحْ فَلَخَيْرَ فِي امْرِئٍ  
 إِذَا اعْتَلَقَتْ أَظْفَارُهُ بِالشَّوَى شَوَى  
 وَإِيَّاكَ وَالشَّكْوَى فَلَسَلِمَ تَرَاذُلُهُ  
 شَكَا بِلِ أَخُو الْجُهْلِ الَّذِي مَا ارْعَوَى عَوَى

قوله : لا تضرب في حديد بارد ، هو ممثل لمن يحاول الانتفاع بمن ليس  
 عنده نفع ، وقال أبو الشعمق<sup>(١)</sup> يهجو سعيد بن سلم :

هَيَمَاتٌ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ      إِنَّ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدِ  
 تَاللهِ نُو مَلِكِ الْبَحَارِ بِأَسْرِهَا      وَأَتَاهُ سَلْمٌ فِي زَمَانِ مُدُودِ  
 يَبْقِيهِ مِنْهَا شَرِبَةٌ لَطْهُورِهِ      لِأَبِي وَقَالَ : نَيْمًا بَصْعِيدِ  
 وَكَذَبَ عَلَيْهِ ، كَانَ سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ . قَوْلُهُ : بَاهٍ ، أَيْ قَاخِرٌ .

سرجودك ومحصولك : ما تجده من المال ويحصل لك . رفاتك : عظام أجدادك  
 البالية . الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس الرفيع من الدخائر . أعراقك :  
 أصولك . قوله : ولا تطع الطمع في ذلك ، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لَا طَمَعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي  
 إِلَى الطَّيِّبِ » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَانِعُ ،  
 وَشِرَارُهُمُ الطَّامِعُ » . وقال الحسبن البصري لبعض ولد علي رضي الله عنهما :  
 مَا مِلَّاكَ الدِّينَ ؟ قَالَ : الْوَرَعُ ، قَالَ : مَا آفَتْهُ ؟ قَالَ : الطَّمَعُ . قَوْلُهُ : وَلَا تَتَّبِعْ  
 الْهَوَى فَيُضَلِّكَ ، ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ  
 مَهْلِكَاتٌ ، شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ، وَعَجْبٌ كُلُّ ذِي رَأْيٍ بَرَأَيْهِ » . وَقَالَ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ ،  
 أَمَّا الْهَوَى فَيُصِدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ » . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

(١) هو أبو محمد مروان بن محمد ، وأبو الشعمق لقبه والأبيات في ديوانه ١٣٤  
 (شعراء عباسيون) .



أفضل النَّاسِ مَنْ عَصَى هَوَاهُ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُ مَنْ رَقَضَ دَنِيَاهُ . تمنى : تزيد .  
التنوى : اعوجج . التَّوَى : الهلاك . القويم : المعتدل . التمهيت : اشتعلت .  
الطَّوَى : الجوع . طَوَى ، أى طوى عليه ضلوعه وستره . وقال أبو فراس :

لا أرتضى وُدًّا إذا هو لم يدُمَّ      عند الجفاء وقلة الإنصاف<sup>(١)</sup>  
تمسَّ الحريصُ وقلَّ ما يأتي به      عوضاً من الإلحاح والإلخافِ  
إنَّ الفنى هو الفنى بنفسه      ولوانه عارى لمنساكبٍ تحافى  
ما كلُّ ما فوق البسيطة كافيًا      فإذا قنمت فكلُّ شيءٍ كافي  
ويعاف لى طمع الحريص فتوتى      ومُرُوتى وقناعتى وعفافى  
شيمٌ عُرِفَتْ بهنَّ مذ أنا يافعٌ      ولقد عُرِفَتْ بثلها أسلافى

قوله : المردي ، أى المهلك . الحلق : الطائر يستدير في طيرانه . هوى :  
سقط . أسمعف : اقض حوائجهم . اللباب : الخالص . الضوى ، انقطع إلى  
جودك وتعلق به . نبا : ارتفع ولم يوافق . يرعى : يحفظ . النوى : البعد .  
نوى : أراده وقصده ، وقد قالوا : خيرُ الإخوان ، مَنْ أقبل عليك إذا أذبر  
الزمان . الشوى : القوائم ، ويقال لجلدة الرأس : شوى . وقوله : شوى ، أى  
صنع شواء وأولاهها النار . يقول : مَنْ اعتذر إليك من الإخوان فاعذره ،  
ولا تكن ممن إذا وقع على ذنب لصاحبه أخذ به ، ونزع جلدة رأسه  
فشواها .

[ ما جاء فى قبول الأعذار ]

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يَقْبَلِ مِنْ مَتَنَصِّلٍ ذَنْبًا ، صَادِقًا كَانَ أَوْ  
كَاذِبًا ، لَمْ يَرِذْ عَلَى الْحَوْضِ » .  
وقالوا : المعترف بالذنب كمن لا ذنب له .

(١) ديوانه ٨١٤

(م — ١٨ شرح مقامات الحريرى ج ٥)

واعتذر رجلٌ إلى إبراهيم بن المهديّ ، فقال : قد أغناك الله بالعدر عن الاعتذار<sup>(١)</sup> ، وأغنانا بحسن التوبة عن سوء الظن .

وقال الحسن بن وهب :

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوِ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّامًا مِنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ<sup>(١)</sup>  
 إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَهَلْ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ  
 أَعْوَدُ بِالْوَدِّ الَّذِي يَبْتَنَّا أَنْ تَقْسُدَ الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ

وقالوا : ليس من العدل ، سرعة العذل .

وقال آخر :

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ وَاثَاكَ مَعْتَدِرًا أَبْرًا فِيمَا أَتَى مِنْ ذَلِكَ أَوْ فَجَّرًا<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا

آخر :

وَهَبْنِي مَسْبُتًا كَالَّذِي قَلَّتْ ظَالِمًا فَعَفُوا جَمِيلًا كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ<sup>(٣)</sup>  
 فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ عِنْدَكَ لِلَّذِي أَتَيْتَ بِهِ أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ  
 الْأَحْتَفِ : رَبِّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

آخر :

\* لعل له عذراً وأنت تلوم \*

آخر :

إِذَا عَتَدَرَ الْجَانِي مَحَا الْعَذْرُ ذَنْبَهُ وَكَلَّ امْرَأَى لَا يَقْبَلُ الْعَذْرَ مَذْنَبَهُ<sup>(٤)</sup>

(٢) العقد ٢ : ١٤٢

(١) العقد ٢ : ١٤٢

(٤) العقد ٢ : ١٤٣

(٣) العقد ٢ : ١٤٣

وقال محمد بن سليم لابن السمّك : بلغني عنك شيء كرهته ، فقال : إذا لا أبالي ، قال : لم ؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرته ، وإن كان باطلاً لم تقبّه . وقالوا في ترك الاعتذار :

إذا كان وجه العذر ليس يبين فإن أطراح العذر خيراً من العذر<sup>(١)</sup> .  
قوله : الشكوى ، أي المشتكى إلى الناس بالضر . نُهي : عقل . ارعوى : رجع . وازعوى عن التبيح : كفّ عنه وحسّن رجوعه ونزوعه عنه من الرّعوى ، وهي حسن المراجعة والنزوع عن الجهل .  
النراء وابن سيده : عوى الفصيل والكلب ، إذا صاح فدّ صوته ، قال الشاعر :

بها الذئب محزوناً كأنّ عواءه عواء فصيلٍ آخر الليل مُحْتَل<sup>(٢)</sup>  
المحتل : السبيء الغداء<sup>(٣)</sup> ، وإذا دعا الرّجل الناس إلى الفتنة فقد عوى واستعوى ، وسمعت عوّة النّوم ، أي أصواتهم وجلبتهم ، قاله الأصمعيّ وأبو زيد : بل أخو الجهل الذي عوى بالشكاية وقت ارعوائه أي رجوعه عنك ، والمعنى كلما غاب عنك : تشكّى ، وما مع الفعل مصدرية وظرف الزمان محذوف ، أي وقت ارعوائه كقوله تعالى : ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ أي مدة دوامهما ، يريد أن العاقل يحتمل ضرّ الزمان ولا يشتكي والجاهل الذي متى رجع عن التشكّي لم يرجع رجوعاً حسناً ، بل يعوى بالتشكي عواء الذئب .

\* \* \*

فقال الغلام للنّظارة : يا للعجبية ، والطرفة الغريبة ! أنف في السماء ، واست في الماء ، ولفظ كالصّهباء ، وفعل كالخصيباء . ثمّ أقبل على

(١) لابن عبد ربه ، العذر : ٢٠٣ : ١٤٣

(٢) اللسان ( حتل ) وفي ط : ( عتل ) تحريف ، والمحتل : السبيء الغداء

(٣) ط : ( الندار ) تحريف

الشيخ بلسانٍ سَلِيْطٍ ، وَغَيْظٍ مُّبْتَسِيْطٍ ، وَقَالَ : أَفَّ لَكَ مِنْ صَوَائِغِ  
بِاللِّسَانِ ، رَوَّاعٍ عَنِ الْإِحْسَانِ : تَأَمَّرُ بِالْبِرِّ ، وَتَعْقُ عُقُوقَ الْهَرِّ ، فَإِنْ  
يَكُنْ سَبَبُ تَعْتَتِكَ ، تَفَاقُ صُنْعَتِكَ ، فَرَمَاهَا اللَّهُ بِالْكَسَادِ ، وَإِفْسَادِ  
الْحُسَادِ ؛ حَتَّى تُرَى أَفْرَعًا مِنْ حِجَامِ سَابَاطٍ ، وَأَضْيِقَ رِزْقًا مِنْ سَمِّ الْخِيَاطِ .  
فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : يَا سَلَطُ اللَّهُ عَلَيْكَ كَثْرَ الْقَمِّ ، وَتَبْيِغَ الدَّمِّ ؛ حَتَّى تُدْجَأَ إِلَى  
حِجَامٍ عَظِيمِ الْاِشْتِطَاطِ ، ثَقِيلِ الْاِشْتِرَاطِ ، كَلِيلِ الْمِشْرَاطِ ، كَثِيرِ الْمُخَاطِ  
وَالضَّرَاطِ .

قوله : الطَّرْفَةُ الْغَرِيبَةُ ، أَى التَّى لَمْ يَزَ مُثْلُهَا \* \* \* . الصَّبَّاءُ : الْخَمْرُ . الْحَضْبَاءُ :  
الْحِجَارَةُ . سَلِيْطٌ ، أَى مُتَسَاطٍ . مُسْتَشِيْطٌ : مُنْتَشِرٌ فِي الشَّرِّ مَلْتَمِبٌ فِي الْغَضَبِ .  
صَوَائِغٌ : كَذَّابٌ ، وَصَائِغُ الْكُذْبِ : صَنْعُهُ . رَوَّاعٌ : مَالٌ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ،  
وَرَوَّاعٌ إِلَى أَهْلِهِ : رَجَعٌ فِي إِخْفَاءِهِ . رَوَّاعٌ : مِيَالٌ وَقَرَّارٌ فِي خُفْيَةٍ . تَعَقٌ : تَقَطُّعٌ .  
وَعُقُوقُ الْهَرَّةِ ، أَنَّهَا تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا .

وَحِكَى الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ «أَفْعَلٌ مِنْ كَذَا» ، يُقَالُ : أَعَقَّ مِنْ صَبٍّ ، قَالَ :  
أَرَادُوا صَبِيَّةً ، فَكَثُرَ الْكِلَامُ بِهَا فَقَالُوا : صَبٌّ ، وَعُقُوقُهَا أَنَّهَا تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا ،  
وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبِيَّةَ ، إِذَا بَاضَتْ حَرَسَتْ بَيْضَتَهَا مِنْ كُلِّ مَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ وَرَكٍ  
وَحِيَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، إِذَا خَرَجَتْ أَوْلَادُهَا مِنْ بَيْضَتِهَا ظَنَّتْهَا شَيْئًا يُرِيدُ بَيْضَهَا ،  
فَوَثَبَتْ عَلَيْهِ تَقْتَلُهُ ، فَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا الشَّدِيدُ . قَالَ : وَهَذَا مَوْضِعٌ قَدْ وَضَعْتَهُ  
الْعَرَبُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَتَتْ بِعَلْمَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى مَا هُوَ فِي الْعُقُوقِ مِثْلُ الصَّبِيَّةِ ،  
فَضَرَبَتْ بِهِ الْمَثَلَ عَلَى الضَّدِّ ، فَقَالُوا : أَبْرَأُ مِنْ هَرَّةٍ ، وَهِيَ أَيْضًا تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا ،  
فَمِنْ سَأَلُوا عَنِ الْفَرْقِ وَجَّهُوا أَكْلَ الْهَرَّةِ أَوْلَادَهَا إِلَى شِدَّةِ الْحَبِّ ، فَلَمْ يَأْتُوا  
بِحِجَّةٍ مَقْنَمَةٍ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أما تَرَى الدَّهْرَ وَهَذَا الْوَرَى كَهْرَةً تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا  
وَاحْتَصِمَ إِلَى شُرَيْحٍ ، فِي وَلَدِ هِرَّةٍ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ : أَلْقَهُ مَعَ هَذِهِ ، فَإِنْ هِيَ  
قَرَّتْ وَدَرَّتْ وَاسْبَطَرَتْ ، فَهِيَ لَهَا ، وَإِنْ هِيَ هَرَّتْ وَفَرَّتْ وَاقْشَعَرَّتْ ، فَلَيْسَ  
لَهَا . اسْبَطَرَتْ : اضْطَحَمَتْ وَهَرَّتْ كَهَرَتْ ، مِنْ هَرِيرِ السُّكَبِ ، وَاقْشَعَرَّتْ الْجِلْدُ :  
قَامَتْ شُعُورُهُ .

قوله: تعنتك : طلب مشقتك ، والتعنت : طلب الزَّالة ، وتعنته أدخل عليه  
الأذى إذا سأل عن شيء ، أراد به اللبس والمشقة عنيه . سم الخياط : ثقب الإبرة .  
بئر : خراج صغار ، ويقال بئر الجرح ، إذا خرجت به أورام صغار فيزيد به  
سيلان الدم عن الأكل وغيره . تبغ : هيجان وتبغ دمه : هاج عليه .  
تاجاً : نحوج . الاشتطاط : مجاوزة القدر . كليين : حافٍ .

\* \* \*

قَالَ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْفَتَى أَنَّهُ يَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمَّتٍ ، وَيُرَاوِدُ اسْتِفْتَاَحَ  
بَابِ مُصَمَّتٍ ، أَضْرَبَ عَنْ رَجْعِ الْكَلَامِ . وَاحْتَفَزَ لِلْقِيَامِ ، وَعَلِمَ  
الشَّيْخُ أَنَّهُ قَدْ أَلَامَ ، بِمَا أَسْمَعَ الْغُلَامَ ، فَخَجَّ إِلَى سَامِيهِ ، وَبَدَّلَ أَنْ يُدْعِنَ  
لِحُكْمِهِ ، وَلَا يَبْنِي أَجْرًا عَلَى حَجْمِهِ ، وَأَبَى الْغُلَامُ إِلَّا الْمَشَى بِدَائِهِ ،  
وَالهَرْبَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَمَا زَالَ فِي حِجَاكِ وَبِيبَابٍ ، وَلِزَازٍ وَجِدَابٍ ،  
إِلَى أَنْ ضَجَّ الْفَتَى مِنَ الشَّقَاقِ ، وَتَلَا رُذْنَهُ سُورَةَ الْاِنْشِقَاقِ ، فَأَعْوَلَ  
حِينَئِذٍ لَوْ فَارَقَ خُسْرِهِ ، وَانْعِطَاطَ عَرْصِهِ وَطَمْرِهِ . وَأَخَذَ الشَّيْخُ يُعْتَذِرُ  
مِنْ قَرَطَانِهِ ، وَيُفِيضُ مِنْ عِبْرَاتِهِ ، وَهُوَ لَا يُصْنَعِي إِلَى اعْتِدَارِهِ ،  
وَلَا يُقَصِّرُ عَنْ اسْتِعْبَارِهِ ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ : قَدَاكَ عَمَّاكَ ، وَعَدَاكَ مَا يَعْثَمُكَ ،

أما تسأم الإغوال ، أما تعرفُ الاحتمالَ ، أما سمِمتَ بمن أقالَ ، وأخذَ  
بقولِ مَنْ قالَ :

أَتَّخِذُ بِجَهْلِكَ مَا يُذَكِّيهِ ذُو سَفَهٍ  
مِنْ نَارِ غَيْظِكَ وَأَضْفَحُ إِنْ جَنَى جَانِي  
فَالْحَلْمُ أَفْضَلُ مَا أزدَانَ اللَّيْبُ بِهِ وَالْأَخْذُ بِالْعَفْوِ أَحْلَى مَا جَنَى جَانِي

\* \* \*

يُرَادُ : يُعَالَجُ . مَصَمَّتْ : مَغْلُوقٌ . احْتَفِزَ : تَهَيَّأَ وَتَشَمَّرَ . أَلَامَ : أُنَى بِمَا يَلَامُ  
عَلَيْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

\* وَمَنْ يَخْذُلُ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا \*

جَنَحَ : مَالَ . سَاهَهُ : صَلَحَهُ . بَدَلَ أَنْ يَدْعُنَ ، أَيْ أَعْطَى الْإِنْقِيَادَ مِنْ نَفْسِهِ .  
يَبْنِي أَجْرًا : يَطْلُبُ أَجْرَةً . فِي حِجَاكِ وَسِيَابٍ ، أَيْ فِي لِحْيَةٍ وَشْتَمٍ . لِرَازٍ : مِلَازِمَةٌ  
لِلنَّصُومَةِ . وَخَصِمَ لِرَازٍ مِلَازً ، أَيْ لَا يَفَارِقُ الْخُصُومَةَ . جَذَابٌ : مُضَارَبَةٌ وَجَذَبَ  
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِشُوبٍ صَاحِبِهِ . ضَيْجٌ : صَاحٍ . وَتَلَارَدُنِي ، أَيْ قَرَأْتُكُمْ ، وَجَعَلَ  
صُوبَ التَّخْرِيقِ كَأَنَّهُ قِرَاءَةٌ . أُعُولُ : بَكَى . وَفَارَةٌ خَسْرَةٌ ، أَيْ كِبَالُ خَسْرَانِهِ .  
انْعَطَاطُ عِرْضِهِ وَطَمْرُهُ ، أَيْ تَمْزِيقُ عِرْضِهِ بِالشَّمْتِ ، وَثُوبُهُ بِالتَّخْرِيقِ ، وَالطَّمْرُ :  
الثُّوبُ الْخَلَّاقُ . فَرَطَاتُهُ : بَوَادِرُهُ ، وَمَا سَبَقَ مِنْ إِذَابَتِهِ . يَغِيضُ : يَذْهَبُ  
وَيَنْقُصُ . عِبْرَاتُهُ : دُمُوعُهُ . يُصْفَى : يَسْتَمَعُ . يَتَصَرَّرُ : يَكْتَفُ . اسْتَمْبَارُهُ : بَكَائُهُ .  
عَدَاكَ : تَجَاوَزَكَ . يَغْمُكُ : يَغْطِي قَلْبَكَ بِالْهَمِّ . تَسَامٌ : تَمَلُّ . الْإِعْوَالُ : الْبِكَاءُ .  
الْإِحْتِمَالُ : التَّسَامُحُ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذْيَةِ . أَقَالَ : عَفَرَ الذَّنْبَ . أَخَذَ : أَطْفَأَ  
وَسَكَّنَ . يَذَكِّيهِ : يُوَقِّدُهُ . سَفَهُهُ : جَهَّلَهُ . أَضْفَحُ : أَظْهَرَ كَرَمَكَ . جَنَى :  
أَوْقَعَ بِكَ جُنَايَةً . وَالْجَانِي : فَاعِلُهَا . الْحَلْمُ : الْعَقْلُ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَضْرَمَاتِ . أزدَانَ :

افتعل من الزَّيْنِ ، أى تزَيَّنَ به . اللبيب : العاقل . العفو : غفر الذنب . جَنَى : قطف الثمر . وهذان البيتان من بدائع مزدوجاته التي نهتبا على أنها من فائق شعره ، وسبقه سابق البربرى إلى معناها بقوله :

لا تُظْهِرَنَّ لِذِي جَهْلِ مَعَانِيَةٍ      فَرُبَّمَا هَيَّجَتْ بِالشَّيْءِ أَشْيَاءَ  
فالماء يحمّد حرّ النار يُطْفِئُهَا      وليس للجهل غير حلم إطفاءه  
تَرَى السَّفِيهَ لَهُ عَن كُلِّ مَحْمُومَةٍ      زيغ ، وفيه إلى النفسه إصغاه

وقال أبو فراس :

ما كنتُ مذكنتُ إلا طوع إخواني      ليست أمواخذةُ الإخوانِ مِن شأني<sup>(١)</sup>  
يحنى الصّديقُ فأستحلي جنائيتَهُ      حتى أدلّ على عفوئى وإحسانى  
وَيُتْبِعِ الذَّنْبَ ذَنْبًا حِينَ يَعْرِفُنِي      عمداً فأتبع غفراًنا بمُفْرانِ  
يحنى علىّ فأعفو صالحاً أبداً      لا شئ أحسنُ من حانٍ على جاني

وذكر الحريرى هذين البيتين والمقطوعة قبلهما ، وجنّس فيهما بين لفظ القافية واللفظ قبله .

وما جاء من ذلك وهو أضبط مما ذكر قول الشاعر :

قدّم لنفسك زاداً      وأنت مالكُ مالكِ  
من قبل أن تنفاني      ولونُ حالِكِ حالِكِ  
ولست تعلم يوماً      أىّ المسالكِ سألِكِ  
إما الجنةِ عدنٍ      أوفى المهالكِ هالكِ

وقال آخر :

مالك من مالك إلا الذى      قدّمت فابذل طائعاً مالِكاً  
تقول أعمالى ولو قدشوا      وجدت أعمالك أنعمى لكاً

(١) ديوانه ١١٤

وقالت للمعمد جارية له : لقد هُتَّنا هنا ، فقال :

قالت لقد هُتَّنا هنا      مولاي أين جاهدنا  
قلت لها إلى هنا      صيرنا إلا هُنا

\* \* \*

فقال له الغلام : أما إنك لو ظَهَرْتَ عَلَى عَيْشِي الْمُسْكَدِ ، لَعَذَرْتَ  
فِي دَمِي الْمُنْهَمِرِ ، وَلَكِنْ هَانَ عَلَى الْأَمَلَسِ مَا لَاقَى الدَّيْرَ . ثُمَّ كَأَنَّهُ  
تَزَعَّ إِلَى الْأَسْتِحْيَاءِ ، فَأَقْلَعَ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَفَاءً إِلَى الْأَرْعِوَاءِ ، وَقَالَ  
لِلشَّيْخِ : قَدْ صِرْتَ إِلَى اسْتَهْمَيْتَ ، فَارْقَعْ مَا أَوْهَيْتَ ، فَقَالَ : هَيْهَاتَ  
شغلت شعابي جدواي ، فشم بارق سواي .

مَّ إِنَّهُ نَهَضَ يَسْتَقْرِى الصُّفُوفَ ، وَيَسْتَجِدِي الْوُقُوفَ ، وَيُنْشِدُ  
فِي ضَمْنِ مَا هُوَ يَطُوفُ :

أُقِيمُ بِالْبَيْتِ الْأَحْرَامِ الَّذِي      تهوى إليه الزُّمَرُ الْحَرِمَةَ  
لَوْ أَنَّ عِنْدِي قُوَّةَ يَوْمٍ لَمَّا      مَسَّتْ يَدِي الْمِشْرَاطَ وَالْمِحْجَمَةَ  
وَلَا ارْتَضْتُ نَفْسِي الَّتِي لَمْ تَزَلْ      تَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ بِهَذِي السِّمَةِ  
وَلَا اشْتَكَيْتُ هَذَا الْفَتَى غِلْظَةً      مِنِّي وَلَا شَاكْتُهُ مِنِّي مُجْمَةً  
لَكِنْ صُرُوفُ الدَّهْرِ غَادَرَتْ نِي      نَحَابِطِ فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ  
وَاضْطَرَّنِي الْفَقْرُ إِلَى مَوْفٍ      مِنْ دُونِهِ خَوْضُ اللَّظَى الْمُضْرَمَةِ  
فَهَلْ فَتَى تَدْرِكُهُ رِقَّةٌ      عَلَيَّ أَوْ تَعْطِفُهُ مَرَحْمَةٌ !

\* \* \*



قوله : المنكدر ، أى المتغير ، والكدرة ضد الصفاء . المنهمر : السائل .  
 أقلع : ارتفع وزال . فاء : رجع . الارعواء : الاستحياء والرجوع الحسن .  
 أوهيت : أفسدت . شيم : انظر . يستقرى : يتتبع . يستجدى : يطلب الجداً ،  
 وهو العظية . فى ضمن : فى أثناء وفى خلال . تهوى : تُسرِع المشى وتتساقط  
 إليه . الزئمر : الجماعات . الحرمه : الداخلة فى الحرم . تسمو : ترتفع . الحمد :  
 الشرف . السمة : العلامة . غلظة : جفاء . شاكنه : ضربته . مُحمة : شوكة  
 العقرب التى تُلَسع بها ، والمُحمة : السّم ، فسمى ما يخرج عنه السّم باسمه .  
 صروف : نواب . غادرني : تركتني . خابط : ماش على جهالة . اضطرني :  
 ألجاني . خوض الظلّى : دخول النار . المضرمة : الموقدة . رقة : شفقة . تعطفه :  
 تلبينه . مرحة : رحمة .

قال الحارث بن همام : فكننت أول من أوى لبلواء ، ورقّ لشكواه ،  
 فنفتحته بدرهمين ، وقلت : لا كأننا ولو كان ذامين ، فابتهج بيا كورة جنّاه  
 وتفاءل بهما لغناه ، ولم تزل الدرّاهم تنهال عليه ، وتثقال لديه ؛ حتى آل  
 ذا عيشة خضراء ، وحقيبة بجرّاء ، فازدهاه الفرخ عند ذلك ، وهنأ  
 نفسه بما هنالك ، وقال للغلام : هذا ربيع أنت بدره ، وحلب لك  
 شطره ؛ فهلمّ لنقتسم ، ولا نحتشم ، فتقاسماه بينهما شقّ الأبلهة ،  
 وهنأ متفقى الكلمة . ولما انتظم بينهما عقد الاصطلاح ، وهّم الشيخ  
 بالرواح ، قلت له : قد تبوّغ دمي ، ونقلتُ إليك قديمي ، فهل لك أن  
 تحجمني ، وشكيفك ما دهمني ، فصوب طرفه في وصعد ، ثم ازدلف  
 إليّ وأنشد :

\* \* \*

أوى : أشفق . نَفَحْتُهُ : رميته ونبذته . ذامنين : صاحب كذب . ابتيج : فرح . باكورة : أول ما يطيب من الشجر ، فجعل الدرهمين باكورة لأنهما أول ما أخذ . تفاعل : جعلهما قالا ، أى لما كان أول ما حصل بأيديهما درهمين ، استكثرهما فرجا أن تمشى عطايا الحاضرين على هذا المثال ، وقد كررت ذِكْرَ الفاعل .

### [ مما قيل فى الفاعل ]

وتذكر هنا منه فصلا على ما أجرينا العادة فى غيره .  
كان صلى الله عليه وسلم يكره الطَّيْرَةَ وَيُعْجِبُهُ الفاعل الحسن .  
ولما قدم المدينة نزل على رجلٍ من الأنصار ، فصاح الرجل بغلمانه :  
يا سالم يا يسار ، فقال صلى الله عليه وسلم : سَلِمْتَ لنا الدار فى يسر .  
وقيل لرجلٍ من العرب : ما لكم تسمون أبناءكم بأسماء السباع والكلاب ،  
وتسمون مواليتكم بأسماء حسان ، مثل عطاء ونجاح ؟ فقال : لأنا أعددنا أبناءنا  
لأعدائنا ، وموالينا لأنفسنا .  
وسأل عمرُ رضى الله عنه رجلاً عن اسمه واسم أبيه ، فقال : ظالم بن سراق ،  
قال : تظلم أنت ويسرق أبوك !  
وجاءه رجل فقال له : ما اسمك ؟ قال : جمره ، قال : ابن من ؟ قال :  
ابن شهاب ، قال : تَمَنُّ ؟ قال : من الحرقة ، قال : وأياً تسكن ؟ قال :  
بحرّة النار . قال : بأيتها ؟ قال : بذات لظى ، قال : أدرك أهلك ، فقد احترقوا ،  
فوجع فوجدهم قد احترقوا ، فكان كما قال .

الذنجديهي بسنده ، حدثني أحمد بن عليّ ، حدثني أبو مسعود ، قال : قال  
لى أبو داود السنجى : ما اسمك ؟ قلت : سعد ، قال : ابن من ؟ قلت :

ابن مسعدة ، قال : أبو من ؟ قلت : أبو مسعود ، قال لي : مسألتك مثل  
أعرابي لقي آخر ، فقال : ما اسمك ؟ قال : فيض ، فقال : ابن من ؟ قال :  
ابن الفرات ، قال : أبو من ؟ قال : أبو بحر ، قال : ليس لنا أن نكلمك إلا  
في زورق .

وقال علي بن الجهم : دخلت يوماً على المتوكل ، وهو جالس في حن داره ،  
وبيده غصن آس ، وهو يتمثل بهذا الشعر :

بِالشَّطِّ لِي سَكَنٌ أَفْئِدِيهِ مَنْ سَكَنِ

أهدى من الآس لي غصنين في غُصْنِ<sup>(١)</sup>

فقلت إذ نطماً إلفين وانتسقا سقياً ورعياً لقال منكما حسن

فالآس لا شك آس من تشوقنا شاف وآس تبقى لي على الزمان

بشرئمتاني بأسباب ستجه منا إن شاء ربّي ومهما يقضيه يسكن

ثم قال لي — وكدت أنشق حسداً : لمن هذا الشعر يا علي ؟ فقلت :

للحسين بن الضحّاك ياسيدي ، فقال : هو والله عندي أشعرهم وأحسنهم

مذهباً وأظرفهم نطقاً ، فقلت : وقد زاد غيظي : في هذا النمط ياسيدي ؟ قال :

وفي غيره ، وإن رغم أنفك ومثّ حسداً ، وأردت إنشاده قصيدةً ، فقلت :

إني لا أنتفع بها مع ما جرى ، فأخترتها إلى وقت آخر .

قوله : تنهال ، أي تنصب متفرقة . آل : رجع . خضراء : ناعمة لكثرة

الرزق . حقيبة بجراء ، أي وعاء ممتلئ ، والأبجر : الذي خرجت سرّته .

ازدهاه : هزه وأعجبه . الربيع : الزيادة والفضل والبذر : ما يزرع من الحبوب .

حكّاب : لبن . شطره : نصفه . نحتشم : نستحي أو نفضب . الابلّة : الدومة

تشق ورقتها فتخرج أبداً معتدلة . تكفكف : تدفع وتكف . دهني : أصابني .

ازدلف : قرّب .

\* \* \*

(١) ديوان الحسين بن الضحّاك ١١٥

كَيْفَ رَأَيْتَ خُذَعْتِي وَخَتْلِي      وَمَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ سَخْلِي  
 حَتَّى انْتَهَيْتُ فَاثْرًا بِالْخُضْلِ      أَرْعَى رِياضَ الْخِضْبِ بَعْدَ الْحَلِ  
 بِاللَّهِ يَا مَهْجَةَ قَلْبِي قُلْ لِي      هَلْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ قَطًّا مِثْلِي  
 يَفْتَحُ بِالرَّقِيَّةِ كُلَّ قُفْلٍ      وَيَسْتَبِي بِالسَّحْرِ كُلَّ عَقْلِي  
 وَيَعْجُنُ الْجِدَّ بِمَاءِ الْمَهْزَلِ      إِنْ يَكُنُ الْإِسْكَانْدَرِيُّ قَبْلِي  
 فَالطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أَمَامَ الْوَبْلِ      وَالْفُضْلُ لِلْوَابِلِ لَا لِلطَّلِّ  
 قَالَ : فَتَبَّهْتَنِي أَرْجُوزُهُ عَلَيْهِ ، وَأَرْتَنِي أَنَّهُ شَيْخُنَا الْمَشَارُ إِلَيْهِ ،  
 فَقرَّعْتُهُ عَلَى الْإِبْتِدَالِ ، وَالِاتِّحَاقِ بِالْأَرْذَالِ ، فَأَعْرَضَ عَمَّا سَمِعَ ،  
 وَلَمْ يُبَيِّنْ بِمَا قُرِعَ ، وَقَالَ : كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَذِي الْحَافِي الْوَرِيعَ . ثُمَّ قَاصَانِي  
 مُقَاصَةَ الْمَهَانَ ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَابْنُهُ كَفَرَسِي رِهَانَ .

\* \* \*

خَتْلِي : مَكْرِي . سَخْلِي : وُلْدِي . الْخُضْلُ : الْعَلْبُ فِي الْقَمَارِ ، وَفِي مَسَابِقَةِ  
 الْخَلِيلِ ، وَفِي مَرَامَةِ السَّهَامِ . يَسْتَبِي : يَأْخُذُ وَيَسْبِي ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي شَرْحِ الصَّدْرِ  
 التَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ . الطَّلُّ : أضعف المطر . وَالْوَبْلُ : أَشَدُّهُ . قَرَّعْتُهُ :  
 أَقْلَقْتُهُ بِكَثْرَةِ اللُّومِ ، وَبِأَخْذِي لَهُ بِلِسَانِي . الْإِبْتِدَالُ : امْتِهَانُ نَفْسِهِ فِي الصَّنْعَةِ  
 الْمَهْجِينَةِ . الْأَرْذَالُ : الْأَدْنِيَاءُ ، فَأَرَادَ عَنَّفْتَهُ وَلَمْتَهُ أَشَدَّ اللُّومِ عَلَى حِرْفَةِ الْحِجَامَةِ ،  
 فَإِنَّهَا صَنْعَةٌ أَرْذَالُ النَّاسِ وَسِيفَلْتُهُمْ .

ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العرب بعضها لبعض  
 أكفاء ، قبيلة لقبيلة ، وحى لحي ، ورجل لرجل . والموالى أكفاء إلا حائكا  
 أو حجاما » .

وقال علي بن الحسين : أربعة أعمال كانت في سُفْلِ بنِي إِسْرَائِيلَ ،  
وصارت في سُفْلِ الْعَبِيدِ وَتَسْكُونُ فِي سُفْلِ الْأَحْرَارِ : الْحَيَاكَةُ ، وَالْحِجَامَةُ ،  
وَالدَّبَاغَةُ وَالْكِنَاسَةُ .

رفاعة بن موسى : سمعت الصادق يقول : ستُّ لَا يُذْجِبُونَ : الْمَلَّاحُ ،  
وَالْمَسْكَارِيُّ ، وَالْحَمَامِيُّ ، وَالْحِجَامِيُّ ، وَالْبَيْطَارُ ، وَالْحَائِكُ .

وَمِنْ شَهْرٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ بَصْنَعَةِ هَيْمَةَ نَصْرٍ بِنِ مُحَمَّدِ الْخَابِرِ رَزِيِّ ، كَانَتْ صَنْعَتُهُ  
خَبْزَ خُبْزِ الْأُرْزِّ فِي دَكَانِهِ بِمَرْبَدِ الْبَصْرَةِ ، فَكَانَ يَنْشُدُ أَشْعَارَهُ عَلَى الْغَزْلِ ،  
وَالنَّاسُ يَزْدَحْمُونَ عَلَيْهِ ، وَأَحْدَاثُ الْبَصْرَةِ يَتَنَافَسُونَ فِي مِيلِهِ إِلَيْهِمْ .

وكان ابن لَنَسْكَكٍ على ارتفاع قَدْرِهِ يَنْتَابُ دَكَانَهُ ، فُخْضِرَهُ يَوْمًا وَعَلَيْهِ  
ثِيَابٌ بَيْضٌ فَاخْرَةً ، فَتَأَذَى بِالْدَكَانِ مِنَ الدُّخَانِ وَسُوءِ أَثَرِهِ عَلَى ثِيَابِهِ ، فَانصَرَفَ  
وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

لنصرٍ في فؤادي فرطُ حبِّ	مُنِيفٍ بِهِ عَلَى كُلِّ الصَّحَابِ <sup>(١)</sup>
أَتَيْنَاهُ فَبخَرَنا بِمَجْهَورًا	مِنَ السَّعْفِ الْمُدَخَّنِ بِالنَّهَابِ
فَقَمْتُ مَبَادِرًا وَحَسَبْتُ نَصْرًا	يُرِيدُ بِذَلِكَ طَرْدِي أَوْ ذَهَابِي
وَقَالَ: مَتَى أَرَأَيْكَ أَبَا حَسِينٍ؟	فَقُلْتُ لَهُ إِذَا تَسَخَّتْ ثِيَابِي

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهِ أَمَلَى عَلَى مَنْ قَرَأَهَا ، وَكُتِبَ عَلَى ظَاهِرِهَا :

مَنْخَتُ أَبَا الْحَسَنِ صَمِيمَ وَدِّي	نُحَاطِبِي بِالْفَاطِظِ عَذَابِ
أَتَى وَثِيَابُهُ كَالشَّيْبِ لَوْنًا <sup>(٢)</sup>	فَعُدَّنْ لَهُ كَرِيمَانَ <sup>(٣)</sup> الشَّبَابِ
وَبَغْضَى لِمَشَيْبٍ أَعَدَّ عِنْدِي	سَوَادًا لَوْنُهُ لَوْنُ الْخَضَابِ
فَإِنْ يَكُنِ الْمَعْطَرُ فِيهِ نَفْرًا	فَلَمْ يَكُنِ الْوَصِيَّ أَبَا تَرَابِ

(١) يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ٢ : ٢٣٧ ، ٢٣٧

(٢) كَذَا فِي الْيَتِيمَةِ ، وَفِي ط : « كَيْبَاضِ شَيْبٍ »

(٣) ط : « كَفْرَبَانَ » .

ومن شعره :

خليلٍ هل أبصرُ بما أو سمِعُما  
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي :  
فما زال نجمُ الكأس بيني وبينه  
يدور بأفلاك السعادة والسعد  
وله :

ورزُّ الحدود ورمان النهود وأغصان القودود تصيدُ السادة الصيدا  
من لي إذا ما رأيت الخضرَ مختصراً والرِّدف مرتدفاً والقَدَّ مقدوداً  
وكان يحيى النمرقسطي أديباً فرجع إلى الجزارين ، فأمر الحاجب بن هود  
أبا الفضل بن محمد أن يوتجه على ذلك فكتب إليه :

تركت الشعر من عدم الإصابة  
وملت إلى الجزارة والقصابة  
فأجابه يحيى :

تعيبُ على مألوف القصابة  
ولو أحكت منها بعض فن  
وإنك لو طلعت على يوماً  
لهالك ما رأيت وقلت هذا  
فتكنا في بني العنزي فتكاً  
ولم نطلع عن الثوري حتى  
ومن يعتز منهم بامتناع  
ويبرز واحد من ألف  
وحقك ما تركت الشعر حتى  
وحتى زرت مشتاقاً حمي  
وطن زيارتي لطلاب شيء  
ومن لم يدر قدر الشيء عابه  
لما استبدلت عنها بالحجابه  
وحولي من بني كلب عصابه  
هزبر صير الأوصام غابه  
أقر الذعر فيهم والمهابه  
من جنا بالدم القاني لعابه  
فإن إلى صوارمنا إبابه  
فيغلبهم وتلك من الغرابه  
رأيت البخل قد أمضى شمابه  
فأندى لي التجهم والكابه  
فأقصاني وأغلظ لي حجابه

قوله : ولم يُبَيَّلْ : أصله يبالي ، حذف ياءه للجزم ، فصار يبال ، قلما أكثر استعماله صار بمنزلة ما لم يحذف منه شيء فقدروا تكرير الجازم عليه مرة أخرى فحذفت حركة اللام للجزم ، فسكنت اللام ، وقبلها ألف ساكنة فحذفت الألف لالتقاء الساكنين .

ولأبي علي في هذه المسألة عبارة استوحش منها أكثر العلماء ، فن مخطئ ، ومن مُصَوَّب ، وتحقيقها غائب إلا عن أهل التحقيق ، وقد أوضناها في شرحنا لكتاب الإيضاح ، والإكثار من مسائل الإعراب في كتب الآداب مما يُستَبْرَد ويعاب .

أعرض ، أي نحى وجهه لجهة . قاضاني : فارقتني ، وقال الفراء : كل شيء أبنته من شيء فقد قصَّيته منه ، وتقصَّى الرجل من الرجل : بان عنه ، وكل رجل باين شيئاً فقد تقصَّى عنه . الليث رحمه الله : كل شيء لازم خلتسته فقد تقصَّى ، وتقصَّيت من الديون : خرجت منها . فرسي رهان : هما اللذان يجريان ويُجعل معهما جُعَل ، فمن سبق أخذه .

ومما أستحسن من أبيات الغز في هذا الباب قولهم في المشارط :

وخضراء لامن بنات الهديلِ      يُلَنَّفُ بِالسَّيْرِ مِنْتَمَارُهَا  
كأنَّ مشق عيون القطا      إذا هنَّ هو من آثارها

آخر :

وكان جدى هراش في كتابته      من أكتب الناس ياهرون بالألف

يعني آثار التشريط تبقى كصور الألفات .

وقال آخر :

يابن مَنْ يكتب في الأز      قاب من غير دَوَاةٍ  
لم يكن يكتب فيها      غير خطِّ الألفات

وقال ابن كنانة يخاطب إبراهيم بن سيابة :

يا ابن الذي عاش غير مضطهدٍ      يرحمه الله أيما رَجُلٍ  
له رقاب الملوك خاضعةٌ      من بين حافٍ منهم وممتعلٍ  
أبوك أو هي النِّجادَ كاهله      كم من كميٍّ أدى ومن بطلٍ  
يأخذ من مالهٍ ومن دمه      لم يُمس من ناره على وجلٍ  
في كفه صارمٌ يقبله      يقدُّ أعناق سادةٍ نُبلٍ

وأخذ صاحبُ الشرطة رجلاً في ربية ، فقال : أصاحك الله : احفظ في الأبوة ، وقال :

أنا الذي لا تنزل الدهرَ قدره      وإن نزلت يوماً فسوف تعودُ  
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره      فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ  
فأمر بتركه ، ثم أخبر أن أباه باقلازي ، فقال : لو لم تتركه إلا لأدبه وحسن  
تخلصه من الكذب لكان فعلنا سداداً .

وكان بالمدينة فتى أبوه مغنٍ وأمه نائحة ، فأغضبه إنسان ، فقال : أتغضبي  
وأنا ابن الطرب والحرب !

وقال ابن عباس المصري يذكر غلاماً جميلاً ، والحجام يأخذ من شعره في الحمام :

مزينٌ انبرى لظبي      كأنه البدر في سُجوفه  
كانَ موساه وهو أيسا      نضى بها الشعر في وقوفه  
كيوان في كفه حسام      يخلص البدر من كسوفه  
ولبعضهم يمدح حجماً :

إن المزين إنسانٌ صناعته      تعلق الصنائع إذ ما مثلها صنعتُ  
ألا ترى أنه لا يُستراب به      وآله الموت في صندوقه جُمعتُ .



يخلو مع الملك المهروب جانبه  
تعلو أنامله في حين خلوته  
وقال السري في مزين محسن :

هل الخدق إلا لعبد الكريم  
إذا لمع البرق في كفه  
جهول الخسام ولكنة  
له راحة سيرها راحة  
نعمننا بخدمته مُدنا  
وله في طيب :

أوضح نهج الطب في معشر  
كانه من لطف أفكاره  
إن غضبت روح على جسمها  
وفي ضده لأبي نصر كشاجم :

عيسى الطيب ترقق  
يأبى علاجك إلا  
شأن ما بين عيسى  
فذاك محي ممت

وللخوازي :

أبو سعيد راحل للكرام  
لم أره إلا خسيت الردى

(٢) ديوانه ٢٥٥  
(م - ١٩ شرح مقامات المري

(١) ديوانه ٢٤٧

يبقى ويفنى الناس من شؤمه قوموا انظروا كيف نخاة اللئام  
ثم تراه آمناً سالماً يا ملك الموت إلى كم تنام  
وللسري :

هل للليل سوي ابن قرّة شاف بعد الإله وهل له من كاف<sup>(١)</sup>  
فكانه عيسى بن مريم ناطقاً يهب الحياة بأيمس الأوصاف  
مثلت له قارورتى فرأى بها ما اكتن بين جوانحي وشفافي  
بيدوله الدواء الخوئ كما بدا للعين رضاض الغدير الصافي

وكثرة الكلام وقف على أهل الحجامه ، ولذلك سرف الحريرى بين  
الشيخ وابنه ما تقدم في هذه المقامة . وكان الفقيه الأعمش أكثر الناس تبرؤماً  
إن أعاد أحد عليه سؤالاً اتهره ، وأخطأ يوماً على قوم ، فقالت لهم امرأته من  
وراء الستر : احموا عنه فوالله ما يمنع من الحج منذ ثلاثين سنة إلا مخافة أن  
يظلم كريبه أو يشتم رفيقه ، وكثر عليه الشعر فقال له تلامذته : لو أخذت من  
شعرك ؟ فقال : لا نجد حجاً يسكت ، قالوا له : نأتيك به ، وتأخذ عليه أن  
يسكت حتى يفرغ ، قال : افعلوا . فأتى بحجام ووصى ألا يكلمه ، فبدأ بحلقه ،  
فلما أمعن سأل في مسألة فنفض ثيابه ، وقام بنصف رأسه مخلوقاً ، حتى دخل  
بيته ، فأخرج الحجام ، وأتى بغيره ، فقال : والله لا أخرج إليه حتى توضوه ،  
وتحلقوه ، خلف ألا يسأل في شيء ، وحينئذ خرج إليه .

ومقامة الحجام في البدعية ، منها قال عيسى بن هشام : فطلبت حجاً فجاءوا  
يرجل نظيف ، ظريف لطيف ، فارتحت إليه ، وسألت عليه ، فقال لي : السلام  
عليك ، من أى بلد أنت ؟ فقلت : من مصر ، فقال لي : حيّاك الله ، من أرض

النعمة والرفاهة، وبلد السنة والجماعة ، ولقد حضرت في رمضان جامعها ، وقد اشتعلت المصاييح ، وأقيمت التراويح، فما شعرنا إلا بمدَّ النيل ، قد أتى على تلك القناديل ، ولكن صنع الله لي بحف ، كنت لبسته رطباً فلم يحصل طرازه على كفه ، وعاد الصبيُّ إلى أمه ، بعد أن صليت العتمة ، واعتدل الظلُّ ، ولكن كيف كان حجُّك ، هل قضيت مناسكه كما وجب ، وصاح الصبيان : العجب العجب، فنظرت إلى المنارة، وما أهورن الحرب عند النَّظَّارة ووجدت الهريسة على حالها ، فهامت أنَّ الأمر بقضاء من الله وقدر ، وإلى متى هذا الضجر ، واليوم وغد ، والسبت والأحد ، ولم أكثر وأطيل ، وما أكثر القال والقليل ، وإن أردت أن تعلم المرِّد حديد موسى في النَّحو فلا تشتغل بقول العامة ، فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لحلقت رأسك ، فهل ترى يا سيدي أن ابتدئ؟

قال عيسى : فبقيت والله متعجباً من هذيانه ، وسألت عنه فإذا هو أبو الفتح قد غلب السواد عليه ، فتركته وانصرفت فهذه غرارة حجام على الحقيقة .

(١) من المقامة الملوانية ص ٢٣٢ مع تغيير في العبارة .

قال الشيخ الإمام الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رضي الله عنه :  
 قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلاً من أمثال العرب ، وها أنا أفسر  
 منها ما إخاله يلتبس ، على من يقتبس .

أما قوله : بَطءَ قِعد ، فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله  
 عنه ، وكانت بعثته بالمدينة ليقبس لها ناراً ، فقصد من فؤره مصر . وأقام بها  
 سنة ، ثم جاءها بعد السنة وهو يشتد ومعه بخر ، فتبدد منه فقال : تَعَسَّتِ  
 العَجَلَة !

وأما ذات النحيين فهي امرأة من تميم الله بن ثعلبة ، حضرت سوق عكاظ  
 ومعها نخباً سمن ، فاستخلى بها خوات بن جبير الأنصاري ليلتصمها منها ،  
 ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها ، فأخذته بإحدى يديها ، ثم فتح الآخر وذاقه  
 ودفعه إليها ، فأمسكته بيدها الأخرى ثم غشيها ، وهي لا تقدر على الدفع عن  
 نفسها لحفظها فمّ النحيين وشحها على السمن . فلما قام عنها قالت له : لا هنالك ،  
 فغضب بها المثل فيمن شغل ، وهي في هذا المثل مفعولة ، لأنها شغلت . وأكثرت  
 الأفعال التي على أفعال تأتي من فعل الفاعل .

وأما قوله : أنف في السماء واست في الماء ، فيضرب هذا المثل لمن يكبر  
 مقالا ، ويضغر فعالا .

وأما قوله : أفرغ من حجّام سابط ، فدكر أنه كان حجّاماً ملازماً سابط  
 المدائن يحجم الجندي بدانق نسيته ، وربما مرّت عليه بزيمة لا يقربه فيها أحد  
 فكان يُبرز أمة عند تهادى عطلته ، فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة ، فما زال  
 يحجمها حتى نزف دمها وماتت .

وأما قوله : يشكو إلى غير مصمت ، فهو مثل يضرب لمن لا يكثر بشأن

صاحبه ، ولا يعبأ باستمرار شكابته ، لأنه لو أشكاه لصمت . وأمسك عن الكلام ، ومنه قول الراجز يخاطب جلاله :

إنك لا تشكو إلى مصمت

فأصبر على الحمل الثقيل أو مت

ونحو هذا المثل : هان على الأملس ما لاقى الدبر .

وأما قوله : شغلت شعابي جدواى ، فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري . والشعاب : هي النواحي ، واحدها شغب .

وقوله : كل الخذاء يحتذى الحافى الوقع ، معناه أن الجهود يقنع بما يجرد ، والواقع أن نصيب الحجارة القدم فتوهمها . فأما البعير الموقَّع فهو الذى يكثر آثار الدبر بظهوره .

## المقامة الثامنة والأربعون - وتعرف بالحرامية

روى الحارث بن همام عن أبي زيد السروجي قال : ما زلت منذ رَحَلْتُ عَفْسِي ، وارتحلتُ عن عِرْسِي وَعَرْسِي ، أحنُّ إلى عِيَانِ البُصْرَةِ ، حنين المظلوم إلى النُضْرَةِ ، لما أجمع عليه أربابُ الدَّيَاةِ ، وأصحاب الرواية : من خصائص معاليها ، وعلمائها ، ومآثر مشاهدتها وشهادتها ، وأسألُ الله أن يوطئني ثراها ، لأفوزَ بِمَرَاها ، وأن يُعْطِيَنِي قَرَاها ، لأقترى قَرَاها . فلما أحلنيتها الحظَّ ، وسرَّح لي فيها اللحظَّ ، رأيتُ بها ما يملأ العينَ قُرَّةً ، ويُسلي عن الأوطانِ كلَّ غَرِيبٍ ، فغلستُ في بعض الأيام ، حين نَصَل خِضابُ الظَّلامِ ، وهتف أبو المنذر بالنوَّام لأخطو في خِططِها ، وأقضي الوَطَرَ من توسطِها ، فأداني الاختراق في مسالكِها ، والانصِلات في سِلكِها ، إلى محِلَّة مَوْسومة بالاحترام ، منسوبة إلى بني حَرَام ، ذاتِ مساجدَ مشهودة ، وحياضٍ موزودة ، ومبانٍ وثيقة ، ومغانٍ أنيقة ، وخصائصٍ أثيرة ، ومزايا كثيرة .

\* \* \*

رَحَلْتُ ، أي شددتُ عليها الرَّحْلَ ، والرَّحْلُ : سرجُ الناقة ، والعَئْسُ : الناقة التوية ، شُبِّهت بالعنس وهي الصخرة لصلابتها ، قال الليث : إذا تمَّ سنُّ الناقة ، واشتدَّت قوتُها وصلبت عظامُها وأعضاؤها فهي عَنَس . عِرْسِي : زوجتي . غَرْسِي : أولادِي . أحنُّ : اشتاق . عِيَان : معاينة ومشاهدة . خصائص :

ما يختص به من الفضائل . معالمها : مواضعها المشهورة . والمآثر : الفضائل  
 والمكارم ، والمآثر : الفضيلة يخص بها . مشاهدتها : مواضع اجتماع أهلها .  
 يوطئني ثراها : يجعاني أطؤها وأمشى عليها ، وأوطأه الشيء : أمكنه من أن  
 يبطأه . الثرى : التراب الندي . ومرآها : منظرها . يُمطيبي قرأها : يزكيني  
 ظهرها . أفترى : أتتبع . أحلنيها : أنزلنيها . الحظ : السعد . اللحظ : العين .  
 قرّة : سُرور . يسلي : يُشغل . غآست : خَرَجْتُ في الفأس ، وهي ظلمة آخر  
 الليل . نصل : زال . هتف : صاح . أبو المنذر : كنية الديك ، ويكنى  
 أبا سليمان . أبو هريرة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا الديك  
 فإنه يوقظ للصلاة » .

أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم الديكة تصيح  
 فإنها رأت ملكاً فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير ، فإنها رأت  
 شيطاناً فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم » .

قال صلى الله عليه وسلم : الديك الأبيض صدقي وإنه يحرس دار صاحبه  
 وسبع دور وكان مستمه في البيت » .

وقال ابن المعتز ويصف ديكاً :

بشّر بالصبح طائر متفأ      هاج من الليل بعد ما انتصفا  
 مذكراً بالصباح صاح بنا      كخاطبٍ فوق منبرٍ وقفا  
 صفق إماماً ارتياحه لنا الفجر      وإما على الدجا أسفنا

وله :

وصاح فوق الجدار مشرفاً      كمثل طرف علاه أسوارُ  
 ثم غدا يسأل الفرات عن الـ      أرزاق منه نغر وميقارُ  
 رافع رأسه طوراً وخافضه      كأنما العرف منه منشارُ

وقال الأسعد بن بليط :

وقامَ بها بنعى الذَّحَى ذو شَقِيقَةٍ      يدِيرُ اليَنايِنَ أَجفانَه سَقَطَا  
 إِذا صاحَ أَصغى سَمعُهُ لأذانَه      وبادرَ ضَرْباً من قوادِمِه الإِبطَا  
 ومهما اطمَأتَ نَفسُه قامَ صارِخاً      عَلى خَيرازِنِ نِيطِ من صُفْرَه خِرَطَا  
 كأنَّ أنو شِروانَ أَعلاه تاجَهُ      وناطتَ عَليه كَفُّ مارِيةِ القِرطَا  
 سَبى حُلةِ الطاووسِ حَسَنَ لِباسِه      ولم يَكفِه حَتى سَبى مَشيةِ البَطَا

قوله : أخطو ، أى أمشى . خططها : طرقها . الوطر : الحاجة . توسطها : المشى فى وسطها . أدانى : أوصلنى . الاختراق : المشى ، واخترت البلدة ، إذا قطعت أرضها بالمشى . والاختراق : المرور والسلوك . والمسالك : الطرق . والانصلات : الخروج بسرعة من زقاق إلى آخر ، وانصلت السيف : خرج بسرعة . سككها : أزقتها الواحدة سكة ، ومثمت سكة لاصطفاف الدور فيها ، ويقال للطريق المستوية المصطفة من النخل : سكة . محلة : منزلة . موسومة : مُعَمَّمة . الاحترام : الامتناع . حياض : بجمع حوض . مورودة : مقصودة . للشرب . مغان : منازل . أنيئة : مُعجبة حسنة . أثيرة : منقشرة لكثرتها . مزايا : جمع مزية وهى الفضيلة يختص بها الشيء .

\* \* \*

بِها ما شِئتَ مِن دِينِ وَدُنْيا      وجيرانِ تَنافوا فى المَعانى  
 فَشغوفٌ بِآياتِ المِثانى      ومَقنونٌ بِرِنااتِ المِثانى  
 ومضطَمَعٌ بِتلخِيسِ المَعانى      ومطلَعٌ إلى تَلخِيسِ عانى  
 وكم من قارىءٍ فيها وقارٍ      أَضراً بِالجُفونِ وبِالجَفانِ  
 وكم من مَعَلِمٍ لِلعِلمِ فيها      وَنادٍ لِلنَدَى حُلُوِ المِجانِ



ومعنى لا تزال تُعْنُ فيه      أغاريدُ الغواني والأغاني  
فصل إن شئتَ فيما بُصِّلِي      وإما شئتَ فاذن من الدنانِ  
ودونك مُحَبَّةُ الأكياسِ فيها      أو الكاساتِ منطلقَ العنانِ

\* \* \*

تناقوا : تباعدوا . مشغوف : مولع شديد الحب . المثاني : أم القرآن ،  
وقيل السَّبْع الطوال من أول القرآن . ورنات : أصوات . المثاني : أوتار عود  
الغناء . مضطلع : قوى . التلخيص : تهذيب الشيء وتخليص فوائده ، وكأنه  
مقلوب التلخيص . وتخليص عان : افتكاك أسير . قارى : عابد مكثراً لقراءة  
القرآن ، قار : مطعم للضيف . الجنون : العيون . الجنان : صحاف الطعام ، يريد  
أن هذا أضرَّ بجنونه بكثرة النظر في الورق قارئاً ما فيها وهذا بجنانه لإطعام  
ما فيها . معنى : منزل . تعنَّ : تصوت . أغاريد : أصوات . الغواني : جمع  
غانية ، وهي المرأة الجميلة . الأغاني : جمع أغنية ، وهي ما يتغنَّى به . الدنان :  
خوابي الحمر . دونك ، أى الزم . الأكياس : أهل الفطنة والتدبير . منطلق  
العنان : مسيب مسرح .

\* \* \*

قال : فينما أنا أنفضُ طرقةها ، وأستشِف روتقها ؛ إذ لمحتُ عند  
ذُلوكِ برّاج ، وإظلالِ الرّواح ، مسجداً مشتهراً بطرائقه ، مُزدهراً  
بطوائفه ، وقد أجرى أهله ذكرَ حُرُوفِ البَدَل ، وجروا في حلبة  
الجَدَل ، فمجتُ نحوهم ، لِأَسْتَمِطِرَ نَوْءَهُمْ ، لِأَلْقَبِسَ نَحْوَهُمْ ، فلم يك  
إلا كَقَبْسِهِ العَجَلان ، حتّى ارتفعتِ الأصواتُ بالأذان ، ثم رَدِفَ  
التأذينَ بروزُ الإمام ، فأعمدتُ ظبي الكلام ، وحلتُ الحبي للقيام ، وشغلنا

بالقنوت ، عن استمداد القوت ، وبالشجود ، عن استئزال الجود .  
 ومثا قضي الفرض ، وكاد اجمع ينفض ، انبرى من اجماعة ، كنهل خلؤ  
 البراعة ، له مع السنت الحسن ، ذلاقة اللسن ، وقصاحة الحسن . وقال :  
 يا جبرتي ، الذين اضفيتهم على اغصان شجرتي ، وجملت خفتهم دار  
 هجرتي ، واتخذتهم كرشى وعياني ، واعددتهم لمحضري وغيتي ،  
 أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة ، وأن فوض  
 الدنيا أهون من فوض الآخرة ، وأن الدين إحماض التصيحة ، والإرشاد  
 عنوان العقيدة الصحيحة ، وأن المستشار مؤتمن ، والمسترشد بالنصح قمن .

\* \* \*

انفض طرفها ، أى أمشى بها وحدى ، يقال : جاء فلان ينفض الطريق .  
 إذا جاء وحده وقالت الجهنية :

يرد المياہ حضيرة ونفيضة وِرْدَ القِطَاةِ إِذَا اسْمَالَ التَّبِعُ

الحضيرة : الذى يحضر معه غيره ، وجمعه الحضائر . والتبع : الظل .  
 واسمالة : نقص ، ويقال أيضاً : نقص المكان واستنفضه ، إذا نظر جميع ما فيه  
 حتى يعرفه . استشف : استقصى النظر . روتها : حسنها . لحت : نظرت . دُوك  
 برّاح : زوال الشمس ، وبرّاح من أسمائها مبنى على الكسر . عبد الله بن مسعود .  
 دُوكها : غروبها . أبو عبيدة : دُوك الشمس زوالها وميلها ، وهو قول ابن عباس  
 الأزهرى هذا القول أصح عندى ، وقيل : دُوكها ، من زوالها إلى غروبها .  
 ويدلّك هذا الوصف على أن البصرة من نهاية العظم والكبر على جانب  
 عظيم ، لأنه زعم أنه خرج فى الفلّس ، وبقى يمشى فى أزقتها إلى الظهر . ويقال

إنها في آخر الدولة الأموية كسرت فوجد في طولها فرسخان ، وفي عرضها فرسخ وخمسة أسداس فرسخ .

قوله : إظلال ، أى دنوت وقرب . طرائفه : عجائبه وغرائبه . مزدهرأ : مضيقاً بخلق الفضلاء والعلماء . طوائفه : جماعته ، وحروف الإبدال يجمعها طال يوم أُنجدته . والحلبة : جماعة الخيل في الطلق تجرى ليختبر عتيقها من هيجنها . الجدل : الخصام . عجت : ملت . أستمطر نوءهم : أطلب معروفهم ، والنوء : طلوع نجم من المنازل وسقوط آخر يقابله . أقتبس : آخذ ، وقبسة العجلان . أخذَه القبس ، وهو شعلة من نار يقتبسها من مُعظم النار . ردِف : تبع وجاء بعده ، قال تعالى : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى جاء بعدكم ، وأردفت الرجل جنت بعده . ابن الأعرابي : ردفت الرجل وأردفته ولحنته وألحقت بهنّى واحد . القنوت : الطاعة ، وهو أيضاً طول القيام في الصلاة . ابن الأنباري : القنوت أربعة أقسام : الصلاة وطول القيام وإقامة الطاعة والسكوت . استمداد : طلب أن يمدوه بالقنوت وهو الاستئزال . ينفض : يتفرق . انبرى : ظهر وقام بسرعة . كهل : تام الخلق . السمت : الوقار . ذلاقة : حدّه . اللسن : حدة اللسان ، وتقدم الحسن في الأربعين . اصطفيتهم : اخترتهم . أغصان شجرتي : بنى عمى وقرايتي وأولادى . خطّتهم : بلدتهم ، والمهاجر عند العرب : المستقبل من البادية إلى الحاضرة . ودار هجرتي : موضع سكنائى الذى هاجرت إليه . كرشى : أهلى . عيبتى : خاصتى الذين أنفرد بهم . وعيبة الرجل : موضع سرّه . وكرشه : عياله . والعيبة : وعاء يجعل فيه المتاع ، والكرش مثلها ، والكرش الجماعة من الناس ، والكرش أيضاً لكل مجتر من البهائم بمنزلة المعدة من الإنسان ، فساق الكرش والعيبة على جهة المثل وإنهم موضع سرّه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الأنصار كرشى وعيبتى » ، قيل : موضع سرّى ، وقيل مدادى لأن ذات الكرش تستمد

(١) سورة النمل ٧٢

من كَرِشها . الفضوح والفضيحة : الشهرة . إمحاض : إخلاص . الإرشاد : الهداية . عنوان العقيدة : دليل البواطن والمعتقدات . والمستشار : الذى تستشير به فى رأيك . مؤتمن : قد أمن على الأسرار والنفوس ، لا يخون فيها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ندم من استشار ، ولا شق من استخار » وقال بشار :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعْنُ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ مَشُورَةٍ حَازِمٍ (١)  
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي رَافِدَاتُ الْقَوَادِمِ  
وَمَا خَيْرَ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرَ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ  
وَحَلَّ الْهَوْبَى لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ ثَوْمًا فَإِنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِنَائِمِ  
وَحَارِبٍ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةً شَبَّ الْحَرْبَ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمِظَالِمِ

وهى قصيدة طويلة ، قالها فى إبراهيم بن عبد الله ، فلما قُتِلَ صرفها إلى المنصور فى أبى مسلم ، وكان بشار يقول : المشاور على إحدى الحسينين : صواب يفوز بشهرة ، وخطأ يشارك فى مكروهه وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٢) ، لما فى ذلك من الائتلاف ، وهو أغنى الناس عن المشورة وقال ابن المعتز :

تجاوز عن إساءة كل دهرٍ وصاحب يوم حادثه بصبرٍ  
وإن نابتك نائبة فشاور فكم حمد المشاور غيب أمرٍ  
وقسم هم نفسك فى نفوسٍ ولا تنفردن بطول فكرٍ  
إذا كظَّ الفرات بماء مدِّ أغصن به حلاقم كل نهرٍ

قال عيسى بن على : ما زال المنصور يشاور فى أمره ، حتى قال فيه ابن هزيمة :

إِذَا مَا أَرَادَ الْأَمْرَ فَاجَى ضَمِيرَهُ فَجَاجَى ضَمِيرًا غَيْرَ مُخْتَلَفِ الْعَقْلِ (٣)

(١) مختارات البارودى ٤ : ٤ (٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) ديوانه ١٧٩

ولم يترك الأدنين في كل أمره إذا اختلفت بالأضعفين قوى الخبل  
وأنشد الجاحظ :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجِزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفْتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَحِيدُ<sup>(١)</sup>  
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

ثم قال : ولا أعلم الموصوف بالاستبداد إلا مجهلاً مذموماً ، والمثل السائر على الأفواه :

وما العجزُ إلا أن تشاور عاجزاً وما العزمُ إلا أن تهيم وتفعلاً  
وقال سعد بن ناشب :

إِذَا هُمْ أَلْتِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَنَكَبْتُ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِباً<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِباً

وقال ابن رشيقي في أدب قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ :

أشاور أقواماً لاأخذ رأيهم فليؤن عني أعياناً وخدوداً<sup>(٣)</sup>  
وليس برأيي حاجة غير أنتي أوئسه كئى لا يكون وحيداً  
ولا أنا ممن يبعث السهم رامياً إلى غرض حتى يكون سديداً  
فلا يتهم عقلى الرجال فإننى أعرّفهم أنى خلقت ودوداً

وأنشد الحريرى يبتى بشار فى درة الفواص<sup>(٤)</sup> على أن قول الخواص مشورة بوزن مفعله خطأ وإنما هى مشورة بوزن معونة ومثوبة مثل مكرمة من الصحيح ، فنقلت حركة الواو إلى ما قبلها فسكنت ، واختلف فى اشتقاقها فقيل : هو من شرت العسل أشوره إذا جنته ، فكان المسقشير يحنى الرأى من

(١) لعمر بن أبي ربيعة، ديوانه ٣٠

(٢) لسعد بن ناشب، ديوان الحماسة — بشرح المرزوق ٦٧

(٣) درة الفواص ٢٨

(٤) نقله الميمنى فى التنف ٢٤

المشير ، وقيل من شرت الدابة إذا أجزيتها مقبلة ومدبرة لتختبرها ، والاشتقاقان متقاربان . المسترشد : السائل أن يُرشد . قمن : حقيق .

\* \* \*

وَأَنَّ أَخَاكَ هُوَ الَّذِي عَدَلَك ، لَا الَّذِي عَذَرَكَ ، وَصَدِيقَكَ مَنْ  
صَدَّقَكَ ، لَا مَنْ صَدَّقَكَ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاضِرُونَ : أَيُّهَا الْخَلُّ الْوُدُودُ ،  
وَإِلْحَدُنْ الْعَوْدُودُ ، مَا سِرُّ كَلَامِكَ الْمَلْفَزِ ، وَمَا شَرَحُ خَطَابِكَ الْمَوْجَزِ ؟  
وَمَا الَّذِي نَبَغِيهِ مِنَّا لِيُنَجِّزَ ، فَوَالَّذِي حَبَانَا بِمَحَبَّتِكَ ، وَجَعَلْنَا مِنْ صَفْوَةٍ  
أَحَبَّتِكَ ، مَا نَأَلُوكَ نَضْحًا ، وَلَا نَدَّخِرُ عَنْكَ نَضْحًا ، فَقَالَ : جُزَيْتُمْ  
خَيْرًا ، وَوُقِيتُمْ ضَيْرًا ، فَإِنَّا كُمْ مِمَّنْ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسٌ ، وَلَا يَصْدُرُ  
عَنَّهُمْ تَلْبِيسٌ ، وَلَا يَحْيِبُ فِيهِمْ مَظْنُونٌ ، وَلَا يُطَوَى دُونَهُمْ مَكْنُونٌ ،  
وَسَأَبُشْكُمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِي ، وَاسْتَفْتِكُمْ فِيمَا عَمِلَ فِيهِ صَبْرِي .

\* \* \*

عَدَلَك : لَامَكَ . صَدَّقَكَ : قَالَ الصَّدَقَ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الصَّدِيقَ إِنَّمَا  
سَمِيَ صَدِيقًا لَصَدَقَهُ لِصَاحِبِهِ ، يَرِيدُ أَنَّ أَخَاكَ هُوَ الَّذِي يَلُومُكَ وَيَقْبَحُ لَكَ سُوءَ  
فِعْلِكَ وَمَنْ حَسَّنَ عَذَرَكَ فِي ذَلِكَ ، فَلَيْسَ بِصَدِيقٍ وَلَا أَخٍ ، مِثْلَ مَا حَاكَى  
الْأَصْمَعِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِأَخٍ لَهُ : اعْلَمْ أَنَّ النَّاصِحَ لَكَ الْمَشْفُوقَ  
عَلَيْكَ ، مَنْ طَالَعَ لَكَ مَا وَرَاءَ الْعَوَاقِبِ بِرُؤْيَتِهِ وَنَظَرِهِ ، وَمِثْلَ لَكَ الْأَحْوَالِ  
الْمُخَوِّفَةِ ، وَخَطَّ لَكَ الْوَعْرَ بِالتَّسْمِيلِ مِنْ كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً  
رِجَالِكَ ، وَشَكَرَكَ إِزَاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ الْغَاشَّ لِهَوَاكَ وَالْحَاطِبَ عَلَيْكَ مِنْ  
مَدَلِّكَ فِي الْإِعْتِرَارِ ، وَوَطَأَ لَكَ مَهَادَ الظُّلْمِ ، تَابِعًا لِمَرْضَاتِكَ مِنْقَادًا لِهَوَاكَ ، وَقَالَ  
الشَّاعِرُ فَيَمُنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ :

إذا ما هديت امرأً مخطئاً أضل السبيلَ إلى قَصْدِهِ  
فلم تلتفه سامعاً قابلاً غسَّ له المشى في ضِدِّهِ

الخلل: الخليل . الودود: الصاحب الكثير الود . الخدن المودود: الصديق  
المحبوب . الملقز: اللبهم الخفي . الموجز: المختصر . تبغيه: تطلبه . لينجز: ليفعل  
في الحين . حباناً: اختصنا . صفوة: خيار . نالوك نصحاً: تقصّر في نصيحتك .  
تدخر: ترفع ونخبأ . نضحاً: عطية ندفعها لك ، مأخوذ من النضح وهو الشرب  
القليل دون الرى . والنضح أيضاً: الرش بالماء . وقيمٌ ضيراً: كفيتم الضر .  
يصدّر: يرجع . تلبس: التباس وتخليط . لا ينجب فيهم مظنون ، أى ما ظن  
فيهم من النصح والمعاونة موجودة فيهم غير مفقودة . مكنون: مستور .  
يُطوى: يُحجّب ويستتر . أبتكم: أنشر لكم وأظهر . حاك في صدرى:  
أثر فيه واحتك به . عيل: غلب ، وعالى الشيء عوَّلاً : غلبنى وثقلَ على .

\* \* \*

اعلموا أنّي كنتُ عند صلود الزند ، وصدود الجُد ، أخلصتُ مع  
الله نيةً المقد ، وأعطيته صفةً العهد ، على الأأسبأ مداماً ، ولا أعاقِر  
تدأى . ولا أحتسى قهوةً ، ولا أكتسى نشوةً ، فسوّلت لى النفسُ  
المضلة ، والشهوة المذلة المزلة ، أن نادمت الأبطال ، وعاطيت الأبطال ،  
وأضغت الوقار ، وارتضغت المقار ، وامتطيت مطاً الكميت ،  
وتناسيت التوبة تناسي الميت ، ثم لم أقنع بها تيكُم المرة ، فى طاعة  
أبى مرة ، حتى عكفت على الخندريس ، فى يوم الخميس ، وبتُ صريع  
الضنباء ، فى الليلة الغراء ، وهأ أنا بادي الكآبة ، لرَفْضِ الإنابة ، ناي

النَّدَامَةُ ، لَوْصَلِ الْمَدَامَةَ ، شَدِيدُ الْإِشْفَاقِ ، مِنْ تَقْضِ الْمِيثَاقِ . مَعْتَرَفٌ  
بِالْإِسْرَافِ ، فِي عِبِّ السَّلَافِ :

فِيَا قَوْمِ هَلْ كَفَّارَةٌ تَعْرِفُونَهَا      تَبَاعِدُ مِنْ ذَنْبِي وَتُذْنِي إِلَى رَبِّي

\* \* \*

قوله : صُلُودُ الزَّمَدِ ، هُوَ أَلَا يَسْمَحُ بِالنَّارِ - صُدُودُ الْجِلْدِ : بِإِعْرَاضِ  
السَّعْدِ ، يَرِيدُ الْأَيَّامَ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا فَقِيرًا . وَالْعَقْدُ ، كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا عَاهَدَ الرَّجُلُ  
صَاحِبَهُ عَقْدًا أَصَابَهُ ، ثُمَّ صَارَتْ الْمَعَاهِدَةُ بِاللِّسَانِ تَسْمَى عَقْدًا ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ  
يُرْبِطُ رَسْنَ بَعِيرِهِ بِخَبَاءٍ مَنْ يَسْتَجِيرُ بِهِ أَوْ يَرْسُلُ حَبْلَهُ فِي الْبَيْتِ مَعَ حَبْلِهِ ،  
فِي شَبَكِهِ بِهِ ، وَكَانَ هَذَا - كَمَا عِنْدَهُمْ عَقْدًا لَا يَسْمُ الْمَسْتَجَارُ بِهِ الْمَسْتَجِيرَ إِلَّا مَا يَسْمُ  
وَنَدَهُ ، وَقَالَ حَبِيبٌ :

بَلَى لَقَدْ سَلَفَتْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ      لِلْحَقِّ لَيْسَ كَحَقِّي حَرَمَةٌ مَجْبُوبُ  
أَنْ يَمْلَسَ الطَّنْبَ الْمُسْتَحْصَدَ الطَّنْبُ      أَوْ يَلْمَسَ الطَّنْبَ الْمُسْتَحْصَدَ الطَّنْبُ  
الْمُصَفَّقَةُ : ضَرْبَةٌ يَدِ الْمُشْتَرِي عَلَى يَدِ الْبَائِعِ . أَسْبَأُ : أَشْتَرِي . مُدَامًا : خَمْرًا .  
أُكْتَسِبِي نَشْوَةَ : أَظْهَرَ سَكْرَةَ . سَوَّلَتْ : زَيَّنَتْ وَحَسَّنَتْ . الْمِضَّةُ : الْحَمِيرَةُ .  
الْأَبْطَالُ : فَرَسَانُ الْخِلَاعَةِ لِلسَّنَنِ . الْأَرْطَالُ : وَهِيَ أَرْبَعَةٌ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

سَأَلْتُ أَخِي أَبَا عَيْسَى      وَجَبْرِيلَ لَهُ فَضْلُ  
فَقُلْتُ : الْخَمْرُ تُعْجِبُنِي      فَقَالَ كَثِيرُهَا قَتْلُ  
فَقُلْتُ لَهُ فَضْلُ زَيْلِي      فَقَالَ وَقَوْلُهُ فَضْلُ  
وَجَدْتُ طَبَائِعَ الْإِنْسَانِ      نِ أَرْبَعَةٌ هِيَ الْأَضْلُ  
فَأَرْبَعَةٌ لِأَرْبَعَةٍ      لِكُلِّ طَبِيعَةٍ رَطْلُ

يَذَكُرُ هَذَا الرَّجُلُ أَنَّهُ تَابَ مِنْ شَرَبِ الْمَسْكَرِ ، وَعَاهَدَ اللَّهَ ، أَلَّا يَشْرَبَ  
خَمْرًا ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَرَجَعَ لَخِلَاعَتِهِ .



ومثل حالته هذه حالة أبي محمد البصرى ، كان تاب وحبج ، فلما قفل راجعاً  
بداله في شرب الخمر ، فقال :

ألا يا هِنْدُ قد قضيت حَجِّي      فهاتِ شِرابَكَ العِطَرَ العَجيباً  
فقد ذهبت ذنوبى بالليالى      فقومي الآن كَتِفْرِفِ الذُّنوباً  
حَلَطْنَا ماءَ زمزم في حَشَانَا      بماءِ المِزْنِ فامتزجاً قريباً

وكان أبو القاسم المغربي قد نسك زماناً ، ولبس الصوف وترهب وحبج ،  
فمشق غلاماً تركياً وهام به ، وتقلد الوزارة ببغداد وغيرها ، وانتهى في الجاه  
إلى للغاية وتملك الأحرار ، واشترى الغلام التركي وقال :

تبدل من مَرَقَعَةٍ ونُسكٍ      بأنواع المسك والشُفوفِ  
وعن له غلام ليس يحوى      هواه ولا رضاه بلبس صُوفِ  
فقد أشد ما كان انتهاكا      كذلك الدهر مختلف الصُروفِ  
وقال أيضاً :

يا أهل مصر قد عاد ناسكم      بالكرخ بعد التثقي إلى الفتكِ  
حش قلبى مفرط غنج      قد بد قاي به من النسكِ  
رمى فوادي بسهم مقلته      وكيف يُخطى مولد التركِ !

وقال كشاجم :

يقولون نُبِّ والكأس في كفتِ شادنٍ      وصوتُ المثنى والمثالثِ عالى<sup>(١)</sup>  
فقت لهم : لو كنت أزمعت<sup>(٢)</sup> توبةً

(١) ديوانه ١٤١

(٢) الديوان : « أضمرت »

( م ٢٠ — شرح مقامات الحريري ج ٥ )

وقال الحسن :

كيف النزوع عن الصِّبا والكاس  
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي  
والراح طيبة وليس تمامها  
وكان شاربها لفرط شعاعها  
وإذا نزعَت من الغواية فايكن  
لله ذلك النزع لا للناس  
قوله : أضعت الوقار ، يريد أنه ضيَّع وقاره في مجلس اللهو ، وقد تقدّم

قوله :

وأصفي السرور إذا ما الوقورُ  
أماط ستور الحيا وأطرخ  
العقار : الخمر ، لأنها عاقرت الدن ، أي لازمته ، أو لأنها تعتر شاربها بثقل  
الشكر . امتطيت : ركب . مطأ الكميت : ظهر الخمر ، وورى بفرس ،  
أراد أنه اعتكف على شربها ، وسميت كميئاً لأنها حمراء إلى الكمئة ، وأبو مرة  
كنية إبليس ، وقد تقدّم ، وقال الحسن :

نمت وإبليس إلى الصبح في  
رأيته في الجو مستعلياً  
فقال لي لما هوى مرحباً  
هل لك في غيذاء ممكورة  
فقلت : لا ، قال : ففي أغيد  
لست أبا مرة إن لم تعدن

كل الذي يؤثمني خصم  
ثم هوى يتبعه نجم  
بتائب يتبعه وهم  
يرتج منها كفل ضخم  
ذى غنة يجرجه اللثم  
فإن ذا من فعلك العشم

وقال فيه وذكر أنه قاده غلاماً :

دب له إبليس فاقتاده  
والشيخ نفاع على لعنته

عجبت من إبليس في كبره      وخُبث ما أخبر من نيتِه  
ناه على آدم في سجدةٍ      وصارقـوا إذا لدريةٍ

وقال سليمان بن الأعمى في الوليد ، أخو صريع الغواني :

يأبى السجود له من فرط نخوته      وقد تحول في مسأخِ قوادٍ  
وقال ابن رشيق يشكر إبليس :

رأيت إبليس من مروءته      لكل ما لا يطاق محتيلاً<sup>(١)</sup>  
إذا هويت أمراً وأعجزني      جاء به في الظلام معتقلاً  
تبدلاً منه في حوائجنا      ولا يزال الكريم مبتذلاً  
وقال أيضاً يلعنه :

أرى الشيخ إبليس ذا علةٍ      فلا برئ الشيخ من علةٍ<sup>(٢)</sup>  
يقود على الحب مستيقظاً      ويأتيك في الليل في صورته  
فيؤتيك ما شاء من نفسه      ويبلغ ما شاء من لذته  
ومن كان ذا حيلة هكذا      تمثل للره في يقظته  
فلا تدخروا دونه لعنةً      لأن رضا الله في لعنته

قوله : عكفت ، أى أقمت ولازمت : الخندريس : الخمر القديمة ، وإنما ذكر يوم الخميس لأنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى وإقدام العبد على الذنوب وقت العرض على الله تعالى أكبر خطراً . الصهباء : التي عُصرت من عنب أبيض . الأصمعى : هى التي تضرب إلى البياض ، من أبيض عُصرت أو من غيره . صريعها : الذى صرعه بالشكر ، يريد أنه بات سكران مطروحاً .  
وقال أبو العلاء بن زهر في سكارى :

(١) التنف ٥٩

(٢) التنف ١٥

وموسدين على الألف خذوذهم قد غاظم شرب الصبوح وغالي  
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى سكرت ونالهم ما نالني  
والخمر تعرف كيف تأخذ ثأرها إني أملت إناؤها فأمالني

الفراء : ليلة الجمعة . رفض الإنابة : طرح التوبة والرجوع . نامى الندامة :  
كثير الندم . بادى السكابة : ظاهر الانكسار والحزن وسوء الحال . المدام  
والمدامة : الخمر ، سُميت بذلك لأنها أديت في ظرفها . الإشفاق : الخوف .  
نفض الميثاق : حل العهد . الإسراف : الإكثار . عبّ : حسو ، والعب أن  
يتابع الرجل الجرعة بعد الجرعة بغير تنفس . الشلاف : الخمر العميقة ، والشلاف  
والشلافة : ما سال منها من غير أن تعصر ، وهي أفضل الخمر قال الأعشى :

يبابل لم تُعصر فجاءت سُلافةً تخالط قنديداً ومسكا مُحْتَمًا<sup>(١)</sup>

القنديد : الخمر تطخ ويحل فيها أفوايه طيب .

[مقاطيع خمرية]

ونذكر هنا جملة من المقاطيع الخمرية ، نجعلها خاتمة ما قيل في الخمر .

عزم الواصل على الصبوح فقال للحسين بن الضحاك : اكتب إلى الفتح  
ابن خاقان تدعوه إلى الصبوح ، وكان قد برى من مرض ، فكتب إليه :

لمّا اصطبحتُ وعينُ اللهوتر مُمْتَنِي قد لآح لي باكرًا في توبٍ لذتِهِ<sup>(٢)</sup>  
ناديت « فتحاً » وبشرت المدام به لمّا تخلّص من مكروه عاتِيهِ  
ذبّ الفتى عن حرّيم الرّاحِ مكرمة إذا رآها امرؤ ضدًا خلقتِهِ<sup>(٣)</sup>  
فإنجّل إليّنا وعجّل بالسرور لنا وخالس الدهر في أوقات غفاتيهِ  
فسار وأصطبح معه .

(٢) ديوانه ٣٣

(١) ديوانه ٢٩٣

(٣) الديوان : « لنعلمه »

وقال الحسين بن الضحاك : دخلتُ على الحسن بن سهل ، في فصل الخريف  
وقد جاد الوسمي من المطر برشِّ حسن ، واليوم في أحسن منظر وأطيبه ، وهو  
جالس على سرير أبنوس ، وعليه قبة فوقها طارفة ديباج أصفر ، تشرفُ على  
بستان ، وعلى رأسه غلام كالدينار ، فسأمت عليه فردَّ عليَّ السلام ، ونظر إليَّ  
كالسنطق ، فقلت :

أَلَسْتَ تَرَى دِيْمَةً تَهْطُلُ      وهذا صباحك مستهْبِلٌ<sup>(١)</sup>  
وهذا المدام وقد راعنا      بطلعته الشادن الأكلُ  
فَعَادَ بِنَاوِبِهِ سَكْرَةٌ      تهوّنْ مكروه ما تسألُ  
فإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ طُرَّةً      تخبرني أنه يَقْمَلُ  
وقد أشكل العيشُ في يومنا      فياحبذا عيشنا المُشْكَلُ

فقال : العيش مشكل ، فما ترى ؟ قلت : مبادرة القصف ، وتقريب  
الإلف ، قال : على شرط أن تبيت ، قلت : لك الوفاء على أن يكون هذا  
الواقف على رأسك يسقيني ، فضحك ، وقال : ذلك لك على ما فيه ، ثم دعا  
بالطعام والشراب ، ففقدت الغلام ساعة ثم جاء من الحمام ، فقلت :

جَرَدَهُ الْحَمَامُ عَنْ دَرَّةٍ      تلوح فيها عُكْنٌ بَصَّةٌ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّما الرَّشُّ عَلَى خَدِّهِ      طلُّ على تَفَاحَةٍ غَضَّةٌ  
يَا لَيْتَهُ زَوَدَنِي قُبْلَةً      أولا فمن وجنته عَصَّةٌ

فقال الحسن : قد عمل فيك النبيذ ، فقلت :

اسْتَقْيَانِي وَصَرَفَانِي      بنت حَوَلَيْنِ قَرَفَانِي<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٩١ ، ٩٢

(٢) ديوانه ٧٠ ، ٧١

(٣) ديوانه ٨١

وَسَقِيَا الْأَهْيَفُ الْغَرِيرَ سَقَى اللَّهُ أَهْيَفًا  
 بِأَبِي مَا جِن السَّرِيرَةِ يَبْدَى تَعَطُّفًا  
 فَإِذَا رَمَتْ مِنْهُ ذَاكَ تَأْتِي وَعَنْفًا  
 فَإِذَا هَمَّ لِلْمَنَا مِ قَقُومًا وَخَفَفًا

فتفاضب الغلام فذهب ، ثم عاد وقال : أقبل على شرابك ، ثم ناولني قدحاً ، والحسن قد خرج ، فشربت وأعطاني ثملاً ، فقلت : اجعل بدله قُبلة ، فأبى ، فقال له فرج غلام الحسن : بحياتي يا بنى ، أسعفه بما طلب ، فضحك ثم دنا منى كأنه يعطيني ثملاً وتغافل ، فاختمت منه قُبلة ، فقال : هي حرام ، فقلت :

هُوَ نَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ لِي فَرَجٍ بِتَأْتِيهِ فَسَقِيَا لِفَرَجٍ (١)  
 وَبِنَفْسِي نَفْسٍ مِّنْ قَالَ وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ حَرَامٌ وَحَرَجٌ

ثم اشتهر الصبح ، فخرجت ثم عدت للحسن من غدٍ ، فقال : كيف كان مسيتك يا حسين ؟ فقلت :

تَأَلَّفْتُ طَيْفَ غَزَالِ الْحَرَمِ فَوَاصِلِي بَعْدَ مَا قَدْ صَرَمَ (٢)  
 نَفَعْتُ الْجَفُونَ عَلَى خِجَالِهِ وَأَعْرَضُ إِعْرَاضَةَ الْمُحْتَشِمِ  
 فَمَازَلْتُ أَبْسُطُهُ مَازِحًا وَأَفْرَطُ فِي اللَّهْوِ حَتَّى ابْتَسَمَ  
 وَحَكَبْنِي الرَّيِّمُ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنَّهُ مُسَكَّتَمَ

فقال : يا فاسق ، أظن ما ادّعيته في النوم وكان في اليقظة ؟ وأصلح الأشياء بنا أن رَحَضَ العار عن أنفسنا بهبته لك ، فخذ لا بارك الله لك فيه ، فأخذته وانصرفت .

(١) ديوانه ٨١ ، ٨٢

(٢) ديوانه ٩٤

وقد تقدم في هذا الكتاب من كلام الحسين ما يفوق به كل شاعر ،

وهو القائل :

أخبرني فإني قد ظممتُ إلى الوعدِ متى يُنجز الوعد المؤكّد بالعهْدِ (١)  
أعيدك من خلفِ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجْدِ  
أبغضُ فرْدُ الحسن عني بنائلٍ قليل وقد أفردته بهوى فرْدِ !

وهذا منتهى ما أوردته للحسين من العجائب .

دخل عليّ بن الجهم على عبد الله بن طاهر في غدوة الربيع ، وفي السماء  
غيم رقيق ، والمطر يحيى قليلاً ، ويسكن قليلاً ، ففاضبته جارية له ، فانتفض  
عزيمته فخبر ابن الجهم بذلك ، فأراد تشييطه فدخل عليه فأنشده :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله صحوً وغيمٌ وإبراق وإرعادٍ (٢)  
كأنه أنت يا من لا شبيه له وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعادٌ  
فباكيرِ الرّاح واشربها مُعْتَمَةً لم يدخر مثلها كسرى ولا عادٌ  
واشرب على الرّوضِ إذ لاحت زخارفه

زَهْرٌ ونورٌ وأوراقٌ وأورادٌ  
كأنما يومنا نعمل الحبيب بناً بذلٌ وبُخلٌ وإبعادٌ وميعادٌ  
وليس يذهب عنى كلّ فعلٍكمُ غيٌّ ورشدٌ وإصلاحٌ وإفسادٌ  
فاستحسنها وأمر له بثلاثمائة دينار وحمله وخلع عليه .

وقال علي أيضاً :

الوردُ يضحكُ والأوتارُ تصطبغُ والنايُ يندبُ أحياناً وينتجبُ (٣)

(١) ديوانه ٤٦

(٢) ديوانه ١٢٢

(٣) ديوانه ١٠٥

والراح تُعَرِّضُ في يوم الربيع كما تُجَنِّي العروسَ عليها الدرَّ والذهب  
 وكلما انسكبت في الكأس آونةً حسبت أن شعاع الشمس ينسكبُ  
 وقد مرَّ من كلام ابن الجهم كلُّ بديعٍ ، في نظمه رفيع ، وآخر شعره قاله  
 وهو أحسن ما قيل في معناه :

يارحمةً للغريب في البلد النَّازِحِ ما ذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا<sup>(١)</sup>  
 فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعَا  
 يقولُ في نأيه وغربته : عدلٌ من الله كل ما صنعا

وكان هجاء لعلى بن أبي طالب ، وسمعه يوماً أبو العيناء يطعن على عليّ  
 فقال له : أنا أدري لم تطعن على أمير المؤمنين ، قال : أتعني قصّة بيعة أهلي ،  
 قال : لا ، أنت أوضع من ذلك ولكن لأنه قتل الفاعل [ فعل ] قوم لوط  
 وأنت أسفلهما . وقال البحترى فيه :

إذا ما حُصِّلتْ عَلَيَا قريشٍ فلا في العيرِ أنت ولا النفيرِ<sup>(٢)</sup>  
 ولو أعطاك ربك ما تمنى ل زاد الخلق في عِظَمِ الأيورِ  
 علام هجوت مجتهداً عليّاً بما لفتت من كذبٍ وزورِ  
 أما لك في استك الوجعاء شغلٌ يكف أذاك عن أهلِ القبورِ

وقال ابن القناص كاتب سيف الدولة :

قُمْ فاسقني بين خفق الناي والعودِ ولا تبغ طيبَ موجودٍ بمفتودِ  
 كأنساً إذا أبصرت في القوم محشماً قال السرور له قُمْ غيرَ مطرودِ  
 نحنُ الشهود وخفق الناي خاطبنا يزوج ابن سحابٍ بنتَ عَنقودِ

(١) ديوانه ١٥٤

(٢) ديوانه ١٠٣٨



وقال المصنفى :

صَفْرَاءُ تَطْرُقُ فِي الزُّجَاجِ فَإِنْ سَرَّتْ      فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صَلِّ اللَّدَاغِ  
خَفِيَتْ عَلَى شَرَابِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ      يَجِدُونَ رَبَّنَا فِي إِنْاءِ فَارِغِ

إدريس بن اليماني :

تَمَلَّتْ زَجَاجَاتُ أَتْنَمَا فُرْعَاءً      حَتَّى إِذَا مُلِمَّتْ بِصَرْفِ الرِّيحِ  
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ      إِنْ الْجِسْمُومُ تَحَفُّ بِالْأَرْوَاحِ

ابن المعتز :

وَنَدْمَانِ سُقِينِ الرِّيحِ صِرْفًا      وَأُفُقِ اللَّيْلِ مُرْتَفِعِ الشُّجُوفِ  
صَفَّتْ وَصَفَّتْ زَجَاجَتَهَا فَأَنْحَتْ      كَمَعْنَى دَقِّ فِي ذَهْنِ لَطِيفِ

وله ، وهو مما يتصل بأبيات الديك المتقدمة :

فَاشْرَبْ عُقَارًا كَأَنَّهُمْ أَقْبَسُ      قَدْ سَابَكَ الدَّهْرُ تَبْرَهَا فَصَفَا  
تَرَى النَّدَامَى الْإِبْرِيْقَ مِنْ دَمِهَا      كَأَنَّهُ رَاعِفٌ وَمَا رَغْفَا

ولبعضهم :

مَا زَالَ يَشْرِبُهَا وَتَشْرَبُ عَقَلَهُ      خَبَلًا وَتُوْذِنُ رُوْحَهُ بِرَوَاحِ  
حَتَّى انْتَنَى مَتَوَسِّدًا بِيَمِينِهِ      سَكْرًا وَأَسْلَمَ رُوْحَهُ لِلرَّاحِ

وقال النظام :

مَا زَلْتُ آخِذَ رُوْحِ الزُّقِّ فِي لَطْفِ      وَأَسْتَبِيحُ دَمًا مِنْ غَيْرِ نَجْرُوحِ  
حَتَّى انْتَنَيْتُ وَلِي رُوْحَانِ فِي جَسَدِي      وَالزُّقَّ مَطَّرَحِ ، جِسْمٌ بِلَا رُوْحِ

أخذه أحسن أخذ من بشار حيث قال :

شَرِبْنَا مِنْ فُوَادِ الزُّقِّ حَتَّى      تَرَكَنَا الزُّقَّ لَيْسَ لَهُ فُوَادُ

وقال ديك الجن :

وقم أنت فاحث كأسنا غير صاغر  
فقام تكاد الكأس تخضب كفه  
موردة من كف ظبي كأنما  
ظلتنا بأيدينا نتعتع روحها  
وقال حبيب :

وكأس كمسول اللماء شربها  
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها  
إذا اليد نالتها بوتر توقرت  
وقال الحسن :

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده  
ترى العين تستعنيك من لماعها  
كن يواقيتا روا كد حولها  
وللخوارزمي :

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة  
مسرة محزون، ورغد معربد  
يطوف بها ظبي يريد عيوننا  
وقال مسلم بن الوليد :

إبريقنا سلب الغزالة جيدها  
يستعنيك من عيني كأس صباية

ولا تسيق إلا خرها وعقارها<sup>(١)</sup>  
وتحسبه من وجنديه استعارها  
تناولها من خده فأدارها  
فتأخذ من أقدامنا الرأح نارها

ولكنها أجلت وقد شربت عقلي<sup>(٢)</sup>  
لهيباً كوقع النار بالخطب الجزل  
على ضغنيها ثم استقادت من الرجل

كأن شعاع الشمس يلقاك دونها<sup>(٣)</sup>  
وتحمر حتى ما تفل جفونها  
وزرقت سنانيه تدير عيونها

شمال وأنهاراً ودهر محرم  
وكنز مجوسى وفتنة مسلم  
على عينه، من شرط يحيى بن أكرم

وحكى المدير بقلتيه غزالاً<sup>(٤)</sup>  
ويعدّها من كفه جريالاً

(٢) ديوانه ١٩٤

(٤) ديوانه ٢٠٤

(١) ديوانه ١٠٧

(٣) نهاية الأرب ٤ : ١١٥

وقال أبو ذلامة :

سقاني أبو بترٍ من الرّاحِ شربةً لها لذةٌ ما ذوقتها بشراب  
وما طبخوها غير أن غلامهم مَشَى في نواحي كرمها بشهاب  
ولما أنشدها علي بن الخليل صاح : أحرقتها العبد أحرقه الله !

كان ابن لنسكك أسرع الناس سكرًا ، فقال في ذلك :

قد يتك لو علمت ببعض ما بي لما جرعتني إلا بمسعط  
فسيبك أن كرمًا في جوارى أمرئ يبابه فأكاد أسقط

قوله : فياقوم هل كفارة تعرفونها ، إنما غيّر بيت أعرابي ، أنشد أبو العباس أبياته ، وهي :

فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعد من ذنبي وتدنني إلى ربّي  
شكوت فقات كل هذا تبرّمًا بحبي أراح الله قلبك من حبي  
فلما كتمت الحبّ قالت : أشدّ ما صبرت وما هذا بفعل شجى القلب  
وأذنو فتقصبني وأبعد طالبًا رضاها فتعتدّ التباعد من ذنبي  
فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها وتجزع من بُعدي وتنفر من قرّبي

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها

أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربّي !

وقال أبو العبر الهاشمي المتحامق :

أبكي إذا غضبت حتى إذا رضيت بكيت عند الرضا خوفًا من الغضب  
فالموت إن غضبت والموت إن رضيت  
إن لم ير حني سلو عشت في تعب

وأبو العبر على تحامقه جيد الشعر ، ومن ذلك قوله :  
 وفي ساعدى ممن تملقت عَصَّةً      تذكرنى ذاك الشَّيْبَ المفلجاً  
 وآثار خدشٍ فى يدى مابِجَّةٍ      أقام عليها القلب منى وعزَّجاً  
 أما والذى أمسيتُ أرجو موابه      لقد حلَّ ما أخشاه وانقطع أرجاً  
 وله :

داء دافين وهوى بدي      أظلم مجازيك بمرصاد  
 يا واحد الأمة فى حسنه      أشمت فى صدك حسادى  
 عبدك تحببى موته قلةً      يجعلها خاتمة الزاد

ولأعرابى فى نحو ما أنشده أبو العباس :

سكتُ فقالت : لم سكتَّ عن الحقِّ      وفهمتُ فقالت : ما دعاك إلى النطقِ  
 فأومأتُ هل من حالةٍ بين ذا وذا      فقالت وذا الإيماء أيضاً من الخمقِ  
 فلم أرلِ إذ حلتِ الغرب مخلصاً      من الشرِّ إلا فى المسير إلى الشرقِ  
 فلما أتيتُ الشرقَ ألفتهمُ بها      وقد قدمت لى منه فى أضيقِ الطرقِ

\* \* \*

وعلى ما تقدم فى وصف الحجر من النظم المستحسن المرغب فى شربها ، فإنه  
 جاء من التحذير فيها ما يوجب تركها على أهل التخصص والفضل .

من حديث أنس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 « مَنْ شَرِبَ الحِجْرَ لم تقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد  
 الثانية لم تقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد الثالثة  
 لم تقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد الرابعة كان حقاً  
 على الله أن يسقيه من طينة الجبال » .

ابن الأعرابى : طينة الجبال عَصارة أهل النار فى النار .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مدمن الحمر كما بدوشن » .

قال أبو زيد : فَمَا حَلَّ أَنْشُوطَةَ نَفْثِهِ ، وَقَضَى الْوَطْرَ مِنْ اشْتِكَاءِ  
بَشْتِهِ ، نَاجَتْنِي نَفْسِي : يَا أَبَا زَيْدٍ ، هَذِهِ نَهْزَةٌ صَيْدٍ ، فَشَمَّرَ عَنْ يَدَيْهِ وَأَيْدٍ .  
فَاتَهَضْتُ مِنْ مَجْتَمِي اتِّهَاضَ الشَّهْمِ ، وَانْحَرَطْتُ مِنَ الصَّفِّ انْحِرَاطِ  
الشَّهْمِ ، وَقَالَتْ :

أَيْهَا الْأَرْوَعُ الَّذِي فَاقَ مَجْدًا وَسُودًا  
وَالَّذِي يَبْتَدِي الرِّشَاءَ دَلِيئًا لِيَنْجُو بِهِ غَدًا  
إِنَّ عِنْدِي عِلَاجَ مَا بَتَّ مِنْهُ مُسَهَّدًا  
فَاسْتَمِعْهَا عَجِيبةً غَادَرْتَنِي مُلْدَدًا  
أَنَا مِنْ سَاكِنِي سَرُو جَزَوِي الدِّينِ وَالْهُدَى

\* \* \*

قوله : أَنْشُوطَةٌ : عُقْدَةٌ سَهْلَةٌ تَسْمِيهَا الْعَامَّةُ اللَّحْجُ . نَفْثُهُ : لَفْظُهُ . الْوَطْرُ :  
الْحَاجَةُ . بَشْتُهُ : حَزَنُهُ . نَاجَتْنِي : حَدَّثْتَنِي . النَّهْزَةُ : الْفُرْصَةُ وَمَا أُخِذَ بِهَا تَعَبُ  
أَيْدٍ : قُوَّةٌ : اتَّهَضْتُ : تَقَدَّمْتُ . مَجْتَمِي : مَوْضِعُ قُعُودِي . الشَّهْمُ : الشَّدِيدُ  
النَّفْسِ . انْحَرَطْتُ : انْدَفَعْتُ بِسُرْعَةٍ وَالانْحِرَاطُ التَّصْمِيمُ وَرُكُوبُ الرَّأْسِ .  
الْأَرْوَعُ : السَّيِّدُ . فَاقَ : زَادَ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ . عِلَاجٌ : مَعَانَاةٌ وَطَبٌّ .  
مُسَهَّدًا : مَمْتَنِعُ النَّوْمِ . مُلْدَدًا : مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ .

\* \* \*

كُنْتُ ذَاتُ رَوْعٍ بِهَا وَمُطَاعًا مَسُودًا  
مَرَبَعِي مَأْلَفُ الضُّيُوفِ فِ وَمَالِي لَهْمُ سُدَى

أَشْتَرِي الْحَمْدَ بِاللَّهِمَا      وَأَقِي العَرِضَ بِأَجْدَا  
لَا أَبَالِي بِنَفْسِي      طَاحَ فِي البَدْلِ وَالتَّنْدَى  
أَوْقِدُ النَّارَ بَالِيْفَا      عَ إِذَا التَّنَكُّسُ أُخْمَدَا  
وِيرَانِي الْمُؤْمَلُونَ      نَ مَلَاذًا وَمَقْصِدَا  
لَمْ يَشْمُ بَارِقِي صِدِي      فَاثْمَنِي يَشْتَكِي الصَّدَى  
لَا وَلَا رَامَ قَابَسُ      قَدَحَ زَنْدِي فَأَصْلَدَا  
طَلَمَا سَاعَدَ الزَّمَا      نَ فَأَصْبَحْتُ مُسْعِدَا  
فَقَضَى اللهُ إِنْ يُعَيَّرَ مَا كَانَ عَوْدَا      بُوًّا الرُّومَ أَرْضَنَا  
بِعْدَ ضِعْنٍ تَوْلَدَا      فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ مَنْ  
صَادَفُوهُ مَوْحِدَا      وَحَوُوا كُلَّ مَا اسْتَسَمَّرَ  
بِهَآلِي وَمَا بَدَا

\* \* \*

ثروة : غنى . مسووداً : مقدماً للسيادة . مربعى : منزلى . مالف : موضع  
الاجتماع . سُدى : مهمل . اللهم : العطايا . اليفاع : ما ارتفع من الأرض . التَّنكس :  
الذنى . أخذ : أطفأ . المؤمنون : الراجون . ملاذ : ملجأ . المقصد : الموضع تقصده  
يشم بارقى : ينظر برفى . صنه : عطش . اثنى : رجع . رام : طلب . قابس :  
طالب النار . قدح زندى : استخراج ناره . أصلد : وجدده صليداً أى شحيحاً .  
ساعد : وافق . بوأ : أى أنزل . ضغن : حقد وعداوة . استباحوا : صيروه مباحاً  
حریم : عيال . موحد : مسلم . حووا : ضموا . استسمر : خفى . بدا : ظهر .

تَطَوَّحَتْ : تَرَاهِيَتْ عَلَى جِهَالَةٍ وَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي لِلْهَلَاكِ . طَرِيدًا : مُنْفِيًّا . مُشْرِدًا : مَفْرَعًا عِنْدَ الْهَرَبِ فَارًّا .

\* \* \*

أَجْتَدِي النَّاسَ بَعْدَمَا      كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُجْتَدِي  
وَتُرَى بِي خِصَاصَةً      أَتَمَّنِي لَهَا الرَّدَى  
وَالْبَلَاءُ الَّذِي بِهِ      شَمَلُ أَنْسِي تَبَدُّدًا  
اسْتَبَاءَ ابْنَتِي الَّتِي      أَسْرَوْهَا لَتُفْتَدِي  
فَاسْتَبِينَ مِحْتِي وَمُدًّا      إِلَى نَصْرَتِي يَدًّا  
وَأَجِرْنِي مِنَ الزَّمَا      نِ فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى  
وَأَعَنِّي عَلَى فَكَا      لِكِ ابْنَتِي مِنْ يَدِ الْعِدَى  
فِيذَا تَنَمَّجِي الْمَاءِ      حِمٌّ عَمَّنْ تَمْرَدًا  
وَبِهِ تُقَبَّلُ الْإِنَا      بَةُ يَمِّنَ تَزَهَّدًا  
وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِمَنْ      زَاغَ مِنْ بَعْدِ مَا هَتَدَى  
وَلئن قَتُّ مُنْشِدًا      فَلَقَدْ فَهتُ مُرْشِدًا  
فَاقْبَلِ النُّصْحَ وَالْهُدَا      يَّةَ وَاشْكُرْ لِمَنْ هَدَى  
وَاسْمَحِ الْآنَ بِالَّذِي      يَتَسَنَّيَ لَتُحْمَدَا

\* \* \*

أَجْتَدِي : أَسْأَلُ . خِصَاصَةً : فَتْرَ . الرَّدَى : الْهَلَاكِ . شَمَلٌ : مَجْتَمِعٌ .  
تَبَدُّدٌ : تَفَرُّقٌ . اسْتَبَاءَ ابْنَتِي : أَخَذَهَا أُسِيرَةً . اسْتَبِينَ : تَحَقَّقَ وَتَبَيَّنَ . مِحْتِي :

بليتي . جار واعتدى : مال وظلم . وفك الرقبة وفسكا كها : تخليصها من أسر الزنق وكذلك الرهن ، وفي الحديث « اعتق النَّسَمَةَ وفكَّ الرَّقْبَةَ » قيل : أو ليسا واحداً ؟ قال : لا ، اعتق النَّسَمَةَ : أن تنفرد في عتقها ، وفكَّ الرَّقْبَةَ : أن تعين في عتقها ، ابن عباس رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَدَى أسيراً من أيدي العدو ، فأنا ذلك الأسير » . تمنحى ، أى تذهب . تمرد : أكثر الفساد . الإنبابة : الرجوع إلى الله تعالى . تزهد : ترك الرغبة في الدنيا زاعج : مال . فُهِتْ : نطقت . مرشداً : دالاً على الخير . اسمح : جُد . يفتنى : يتيسر . الفنجديهي : كان ابن قَطْرِي قاضي ناحية المزار ، بلد عند البصرة قد تاب من الشرب ، ثم تقض التوبة ، وعاد يشرب ، ثم بعد المعاودة حضر مسجد بني حرام يوماً بالبصرة ، وتاب ورجع إلى الله تعالى بصِدْقِ النِّية ، وسأل عن كفارة ذنبه ، وكان في المسجد رجلٌ يزعم أنه من أهل سَرُوج ، وله بنت مأسورة في أيدي الكفار ، فقال لابن قَطْرِي : كفارة ذنبك أن تتصدق على بشيء أفكها به ، فأعطاه عشرة دنانير ، فلما أخذها منه دخل الحانة .

ثم إن الحريري أنشأ هذه المقامة الحرامية في ذلك فقيل له : هي أحسن من مقامات البديع ، فأنشأ أربعين مقامة ، ثم استزادوه فكمّلها خمسين .

قال أبو زيد : فلما أتممت هذرمتي ، وأورهم المسئولُ صِدْقَ كلمتي  
أغراه القرمُ إلى الكرمِ بمواساتي ، ورغبه الكلفَ بحملِ الكلفِ  
في مُقاساتي ، فرضخ لي على الخافرة ، ونضخ لي بالعِدَّة الوافرة .  
فانقلبتُ إلى وكري ، فرحاً بنجح مكري ، وقد حصلتُ من صوغ  
المكيدة ، على سوغِ الثريدة ، ووصلتُ من حوكِ القصيدَةِ ، إلى لوكِ  
العصيدة .



قوله: هذرمتي، أي كثرة كلامي. أوهم: أي خيّل له. كلتي، أي قصيدتي. أغراه، أي حرّضه. القرم: الشهوة. مواساتي: إعطائي. الكلف: الحب. والكلف: جمع كلفة وهي ما يتكلف من العمل. رضخ: أعطى. على الحافرة، أي عندما أكلت كلامي، والحافرة: أول الأمر، وقيل أن أصلها في بيع الفرس، ولرفعة الخيل عندهم كان لا يفارق البائع حافر فرسه، حتى يأخذ ثمنه. نضخ: رفع، ونضخ الماء فورانه من منبعه. الوافرة: الكثيرة. وكري: بيتي، وأصله للظائر. صوغ المكيدة: صنعة الكيد. سوغ: بلع بسهولة. لوك: مضغ.

قال الحارث بن همام: فقلت له: سبجان من أبدعك، فما أعظم خدعك، وأخبث يدعك! فاستغرب في الضحك، ثم أنشد غير مرتبك:

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كأسد يبسه  
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحا المبيسة  
وصد النسور فإن تعذر صيدها فاقنع بريسة  
واجن الثمار فإن تفكك فرض نفسك بالحشيشة  
وأرخ فؤادك إن نبأ دهر من الفكر المطبشة  
فتغاير الأحداث يؤذنب باستحالة كل عيشة

أبدعك، أي أوجدك وخلقك. استغرب: أكثر الضحك. مرتبك: مختلط في كلامه. يبسه: موضع كثير الأسد. المكر: الخديعة. نبأ: ارتفع. المطبشة: المدهشة للعقل. تغاير: اختلاف. الأحداث: النوازل. يؤذنب: يعلم. استحالة: تغير. (م ٢١ - شرح مقامات الحريري ج ٥)

## المقامة التاسعة والأربعون . وهي الساسانية

حكى الحارث بن همام قال : بلغني أن أبا زيد حين ناهز القُبْضَةَ ، وابتزّه قَيْدُ الهَرَمِ النَّهْضَةَ ، أحضر ابنه ، بعد ما استجاش ذهنه ، وقال له : يا بني إِنَّهُ قَدْ دَنَا ارْتِحَالِي مِنَ الفِنَاءِ ، واكْتَحَالِي بِمِرْوَدِ الفِنَاءِ ، وَأَنْتَ بِمُحَمَّدِ اللَّهِ وَلِيٌّ عَهْدِي ، وَكَبَشُ الكِتَابَةِ السَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِي ، وَمِثْلِكَ لَا تُقَرَّعُ لَهُ العَصَا ، وَلَا يُذَبُّهُ بِطَرَقِ الحِصَا ؛ وَلَكِنْ قَدْ نُدِبَ إِلَى الإِذْكَارِ ، وَجُعِلَ صَيْقَلًا للأفكار . وَإِنِّي أُوصِيكَ بِمَا لَمْ يَوْصِ بِهِ شَيْثُ الأَنْبَاطِ ، وَلَا يَمْقُوبُ الأَسْبَاطِ ؛ فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي ، وَجَانِبِ مَعْصِيَّتِي ، وَاحْذُ مِثَالِي ، وَافْقَهْ أَمثَالِي ، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَرَشَدْتَ بِصُحْبِي ، وَاسْتَصْبَحْتَ بِصُحْبِي ، أَمْرَعُ خَانَكَ ، وَارْتَفَعُ دُخَانَكَ ، وَإِنْ تَنَاسَيْتَ سُورَتِي ، وَنَبَذْتَ مَشُورَتِي ، قَلَّ رَمَادُ أُنَافِيكَ ، وَزَهَيْدَ أَهْلِكَ وَرَهْطِكَ فِيكَ .

\* \* \*

ناهز : قارب . القُبْضَةُ ، أراد بها ثلاثاً وتسعين سنة ، لأنك إذا قيل لك : اعقد في يديك ثلاثاً وتسعين قبضت أصابعك كلها وشدت عليها الإبهام ، والمعنى أنه قارب المائة التي ليس في العيش بعدها منفعة ، والشعراء يضمونها أشعارهم إذا وصفوا البخيل بقبض الكف ، قال الخليل بن أحمد :

وكفّ عن الخير مقبوضةٌ كما قبضت مائة سبعة

وقال :

فما تَسْعُونَ تخفروها ثلاث يَضْمُ حسابها رجل شديد  
بكفت خرقوة جُمِعَتْ لَوْجَاءُ بأنكَلَدَ مَنْ عطاءك يا يزيد  
وابتزّه : سَلَبَهُ . الهرَمَ : كَبُرُ السِّن . النهضة : القيام إلى ما يريد .

ودخل هشام بن عبد مناف وقد أسنَّ على فتية من قومه فقاموا إليه إجلالا ،  
وأجلسوه في أرفع موضع ، فقال : بارك الله فيكم ، إن بني مرّة كانوا إذا شاخ  
عندهم الرجل قيّدوه وقالوا له : ثب ، فإن وثب أحبّوه ، وقالوا : فيك بقرية ،  
وإن لم يثب قالوا : ليس في هذا منفعة فقتلوه ، وقال ابن الرومي :

لو أن عمري مائة هَدَيْتَنِي تذكُرِي أُنِي تنصتُهَا (١)  
لهفي على خمسينَ عاماً مضتْ كانت أُمَامِي ثم خَلَقَتْهَا

استجاش : استجمع وحشد . الفناء : ما حول الدار . والفناء بالفتح :  
الموت . الكتبية : الجيش . وكبشها : رئيسها وحاميتها . والذري كانت العصا  
تُقرَع له عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب في الجاهلية ، ولما أسنَّ كان  
يزلُّ في حكمه ، وكانت له بنت حكيمة ، فأمرها أن تقعد وراء سترٍ لتنظر حكمه ،  
فإذا أنكرت منه شيئاً قرعت له للعصا ، ففتى بسمع صوت قرعها علم أنه زل ،  
فرجع . وقيل : قرعت لأكرم بن صيفي ، وقيل لسعد بن مالك الكنانة ،  
وقيل لعمر بن مُحَمَّة الدؤمي .

وخطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب بنته عمرة ، وهي أم عامر  
ابن صعصعة ، فقال : يا صعصعة إنك تشتري مني كبدِي ، فأرحم ولدي ؛ قبلتُك  
أو رددتُك . والحسب : الرجل الصالح أباً بعد أب ، وقد أنكحتك خشية  
ألا أجد مثلك ، أفر من السرِّ إلى العلانية ، يا معشر عدوان أخرجت من بين  
أظهركم كرمتمكم من غير رغبة ، أقسم لولا قسمة الخطووظ على الجدود ما ترك  
الأول للآخر ما يعيش به ، وفيه يقول المتلمس :

(١) ديوانه ١ : ٣٦١

لَدَى الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَا وَمَا عُلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَ<sup>(١)</sup>  
 وَهُوَ أَوْلَ مَنْ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ وَتَكَلَّمَ ، وَفِيهِ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَمْعَرٍ :  
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِيَّ نَافِعٌ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ<sup>(٢)</sup>  
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : نَزَلَتْ عَدْوَانُ مَاءً ، فَأَحْصَى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ غِلَامٍ أَغْرَلَ<sup>(٣)</sup> ،  
 سِوَى مَنْ كَانَ مَخْتُونًا لِكَثْرَتِهِمْ ، ثُمَّ وَقَعَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ ، فَتَفَانَوْا ، فَقَالَ  
 ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِي :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ<sup>(٤)</sup>  
 بَعَى بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى بَعْضٍ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْمِزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَسِ  
 وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقِضُ مَا يَقْضِي

الحكم: عامر بن الظرب، والذي كان يميز الناس في الحج منهم رجل كان  
 يسمى أبا سيارة، أجاز الناس على حمار له أسود، من المزدلفة إلى منى أربعين  
 عامًا، ثقيل في المثل: أصح من عبر أبي سيارة<sup>(٥)</sup>، وكانت إجازته أن يقول: اللهم  
 حَبِّبْ بَيْنَ نَسَائِنَا وَبَعْضِ بَيْنَ رِعَائِنَا ، وَاجْعَلْ لِلْمَالِ فِي سُمَحَاتِنَا ، أَوْفُوا بَعْدَكُمْ ،  
 وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ ، وَاقْرُوا ضَيْفَكُمْ ، ثُمَّ يَدْفَعُ فِيَقُولُ :

خَلَّوْا الطَّرِيقَ عَنِ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنِ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَّارَةَ  
 \* حَتَّى يَجْمِزَ سَالِمًا حِمَارَهُ \*

ثم يقف فيقول: أشرق ثبير، كما نغير. وكانت الإجازة قبلهم في خُرَاعَةَ.  
 فغلبتهم عليها عدوان. ولا تقرع له العصا مثل، يُضْرَبُ لِنِ وَاقِفِ صَاحِبِهِ وَسَاوَاهِ .

(١) ديوانه ٢٦

(٢) المفضليات ٢١٦

(٣) الأغزل: الألف.

(٤) الأغاني ٣ : ٧٩ (٥) مجمع الأمثال ١ : ٤١٠

ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضی الله عنها قال عَمَّهَا :  
 مثل محمد لا تقرّعه العصا ، وأصل ذلك أن الناقة الكريمة إذا أتاها حبل غير كريم  
 منعه عنها ، وقَرَعُوهُ بالعصا على أنفه . وفي المثل : إن العصا قرعت لذي الحلم .  
 قوله : ولا ينَّبّه بطرّق الحصا ، كانت العرب إذا أرادت اختبار الرجل :  
 هل يصلح للسفر والغارة ؟ ترك الرجل صاحبه حتى ينام ، فيأخذ حصاة فيرمي  
 بها إلى جانبه ، فإن انتبه توثق به .

وخرج أبو كبير الهذلي ومعه تابط شراً للغارة ، فلما جنّ الليل أوّأ إلى  
 موضع ليناموا فيه ، فتركه أبو كبير حتى نام ، فرمى إلى جانبه بحصاة ، فساعة  
 مسّت الأرض وثب ثم عاد إلى نومه ، ففعلها ثلاثاً فكان ينتبه لوقوعها ويثب  
 ويجول يطلب لها رامياً ، فلا يجد إلا أبا كبير نائماً ، فقال له عند الثالثة : والله لئن  
 عدت لأقتلتك ، فإنه ليس هنا من يفعل هذا غيرك ، فضحك أبو كبير وقال :  
 أردت اختبارك ، ثم ذكر القصة في قصيدته التي يقول فيها :

وإذا رميت له الحصاة رأيتَه ينزُّ ولوقعتها طُمور الأخيل<sup>(١)</sup>

يريد أن ابنه كان فوق هذا في ذكاء القلب فهو كأنه منتهبه أبداً .

وطرّق الحصا أيضاً من فعل الكهّان يأخذ الكاهن حصيات ، فيضرب  
 بها الأرض وينظر فيها فيخبر بالمغيّبات .

قوله : نُدب ، أي دعى وحُرِّضَ . الإذكار : التذكير بما يفعل .

الأفكار : الأذهان .

شيث هو ولد آدم عليه السلام ، وكان أجلّ بنيه وأحبهم إليه ، وهو وصيُّ أبيه  
 وإليه ترجع الأنساب ، وقال صلى الله عليه وسلم : أربعة من الأنبياء سريانئون :  
 آدم وشيث وإدريس - وهو أخنوخ - ونوح ، وأنزل الله تعالى على شيث  
 خمسين صحيفة . وقال بقرّة بن أرطاة : بلغني أن حواء حملت بشيث الرضا حتى

(١) ديوان الحماسة — بشرح التبريزي ١ : ٨٧

نبقت أسنانه ، وكانت تنظر إلى وجهه من صفائه في بطنها . وهو الثالث من ولد آدم ، وإياه لما حَضَرَها الطَّلُق أخذها عليه شدة ، فالتبذت به ، فلما وضعته أخذته الملائكة ، فمكث معهم أربعين يوماً ، فعموه المهن ، ثم ردَّوه إليها معاً . والمهن جمع مِهنة ، وهي الخدمة .

الأنباط ، قيل : سُموا أنباطاً لاستنباطهم البناء ، واستخراجهم المياه ، والنسابون يزعمون أنهم ولد يافث بن نوح ، ولا يصح على هذا أن يوصيهم شيث ، لأنَّ بين زمن شيث وزمن يافث آفاقاً من السنين . الجوهري : النبط والنبط : قوم كانوا ينزلون بين البصرة والكوفة والجمع أنباط ، والرجل نَبِطِيٌّ . ابن دريد : النبط . جيلٌ من الناس معروف ، وهم النبط والأنباط . والأسباط : بنو يعقوب عليه السلام ، ومنهم تشعبت قبائل بني إسرائيل ، والأسباط في ولد يعقوب كلقبائل في ولد إسماعيل .

أحدٌ مثالي ، أى امش على طريق وافعل بفعل . استرشدت : استدلت . استصبحت : استضأت . أسرع : أخصب . الخان : الفندق ، وهذا مثل لرفاهة العيش . تبذت : طرحت . الأثافي : أحجار القدر . زهد : لم يرغب .

يابني ؛ إني جرَّبتُ حقائق الأمور ، \* \* \* وبلوتُ تصاريفَ الدهور ؛  
فرايتُ المرءَ بنسبه ، لا بنسبه ، والفحصَ عن مكسبه ، لا عن حسبه .  
وكنتُ سمعتُ أن أمه أيش : إمارة ، وتجارة ، وزراعة ، وصناعة ، فأرستُ  
هذه الأربع ، لأنظرَ أيها أوفقُ وأنفع ، فأنحمتُ منها معيشة ،  
ولا استرغدتُ فيها عيشة ، أما فرصُ الوليات ، وخلسُ الإمارات ؛  
فكأضغاثِ أحلامٍ ، وأنيءُ المنتسخِ بالظلام ؛ وناهيكَ عُصَّةُ بمرارة  
القطام . وأما بضائعُ التجارات ، فعُرْضةٌ للمخاطرات ، وطُعْمَةٌ للغارات ،

وما أشبهها بالطيور الطيَّارات. وأما اتخاذه الضياع، والتصدى للزُدِرَاعِ،  
فمنهكةٌ للأعراض، وقِيودٌ عاتقةٌ عن الارتِكَاضِ، وقَلَمًا خَلَا  
رَبُّهَا عن إِذْلالِ، أو رُزِقَ رَوْحَ بَالٍ، وأما حِرْفُ أُولِي الصَّنَاعَاتِ،  
فغَيْرُ فاضِلَةٍ عن الأَقْوَاتِ، ولا نَافِقَةٍ في جميع الأَوَاقَاتِ، ومُعْظَمُهَا  
ممعصوبٌ بشيبيبة الحَيَاةِ. ولم أَرَمَا هُوَ بارِدُ المَنَمِ، لذيدُ المَطْعَمِ، وافي  
المَكْسَبِ، صافي المَشْرَبِ، إِلَّا الحِرْفَةَ التي وَضَعَ ساسانُ أساسَهَا،  
وَوَعَّعَ أَجْناسَهَا

\* \* \*

بلوت : اختبرت . نَشِبِه : ماله . الفحص : البحث ، والأربع التي ذكر  
نسبها الثعالبي للمأمون قال : قال لي المأمون : الناس أربع طبقات بين إمارة  
وتجارة ، وزراعة ، وصناعة ، فمن لم يكن منهم كان كلاً علينا . مارست :  
خالطت . أحمدت : صادفتها محمودة . استرعدت : استكرثت . فُرُص : نُهْز ،  
والنُهْزَة والفرصة ما يحضرك من الفوائد من غير أن تتعنى في طلبها ، فإن فوَّتَهَا  
ولم تتعنى أخذها ففانتك ، وربما تتعنى غاية التعنى في طلبها ، فلا تظفرُ بها .  
الجومري : الفرصة . التوبة والشرب ، يقال : وجد فلان فرصةً ، أي نُهْزَةً ،  
وجاءت فرصتك من الشيء ، أي نوبتك . خُلَس : جمع خُلْسَة ، وهي كالخطف  
وشبهه ، يريد أن الأمير كأنه اختلس أيامه ، أي اختطفها لصر مدتها ، ويقال :  
الخُلْسَة . فرصة . وأضغاث الأحلام : أباطيلها التي لا يصح تأويلها لاختلاطها .  
والضغث : كل ما كان مختلطاً لا حقيقة له ، والحلم : الرؤيا والجمع أحلام . ويقال :  
هذا رجل ناهيك من رجل ! ونهيك من رجل ، أي إنه نجدة وعناية ينهك عن  
تطلب غيره ، فناهيك : كافيك . الغصة : ما يحتنق به . الفطام : قطع الرضاعة عن

الصبي ، وفي الكلام معنى التعجب كأنه قال : ما أنكد غصة العزل على أهل الولايات ، والعزل للولاية كالحيض للنساء . والبضائع : الأموال يتجر فيها . عرضة للمخاطر ، أى معرضة للضرر والسلب ، وفلان عرضة لكذا ، أى نُصب ، وهو له عرضة ، أى يتعرض له دونه ، وهذا عرضة لك ، أى عُدّة . وقال النقاش في قوله تعالى : ﴿ عُرْضَةٌ لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ أى علة لها وسبباً ومتخذاً لذلك ، وأصل العُرْضَة : الدابة تتخذ للسفر لقوتها ، ثم جعل كل ما صلح لشيء عرضة له ، حتى قيل : المرأة عرضة للزوج . والطعمة : المأكلة ، وهذه الضيعة طعمة لفلان ، والطعمة أيضاً : وجه المكتسب ، فطعمة للغارات ، يريد أن قُطاع الطرق يسلبون أموال التجار أبداً فأرزاقهم معرضة للتلف . التصدى : التعرض . منهكة : مذلة وسبب هتك ، وهو الجهد والضعف ، ونهكته الحمى وأنهكته ، إذا جهده وأضنته ونقصت لحمه ، ونهكه السلطان عقوبةً : بالغ في عقوبته . رَوْح بال : راحة قلب . عاقبة : حابسة . الارتكاض : الجرمى والتصرف وهذه مشاهدة من أحوال أهل الحرث وقال صلى الله عليه وسلم حين رأى السكة : «مادخلت قطّ دار قوم إلا ذلّوا» . وقال صلى الله عليه وسلم في الإمارة : «ستحرصون على الإمارة ثم تكون حسرة وندامة ، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» .

والحرّفة : الصنعة : فاضلة : زائدة . معصوب : مربوط ، والعصب الفتل الشديد ، يريد أن الصنعة يُنتفعُ بها ما دام صاحبها شاباً قوياً فإذا شاخ لم يقدر على الانتفاع بها . قوله : بارد المغنم ، أى السهل منه ، وهو الذى يؤخذ بغير قتال .

ساسان : شيخ المسكين والغرباء ، وهم بنو غبراء . والغبراء : الأرض ، وُسّموا بنى غبراء لقطعهم جهات الأرض وجوّالانهم في البلدان ، فكانهم ليس لهم أصل يُنسبون إليه إلا الأرض . وقيل : سُمّوا بذلك للزومهم لغبراء الأرض وهو وجهها وترابها والرقاد فيها فيُعَيَّرُون بذلك ويتغيَّرُون .



وكان الأحنف العكبري<sup>(١)</sup>، وهو أبو الحسن عتيل بن العكبري، كان فصيحاً شاعراً، وذكر صاحب فيه فصلاً وهو: ولو أنشدتُك ما أنشدنيهِ الأحنف العكبري، وهو فردُ بني ساسان اليوم في مدينة السلام في الفصاحة وحسن الطريقة في الشعر لا متلاتٌ تعجباً من ظرفهِ وإعجاباً بنظمه، ومن افتخاره قوله:

على أنى بجمد الله في بيتٍ من المجدِ  
 وإخواني بنو ساسا ن أهل الجِدِّ والجُدِّ  
 لهم أرض خُراسا ن فَمَسَّانِ مع اللدِّ  
 إذا ما أعوز الطَّرِقِ على الطُّراقِ والجُنْدِ  
 حذاراً من أعاديهم من الأعرابِ والكرِدِ  
 قطعنا ذلك النهجِ بلا سَيْفٍ ولا غِمدِ  
 ومن خاف أعاديهِ بنا في الرِّوعِ يَتَّعِدِ

ففي هذا البيت معنى بديع، يريد أن ذوى الثروة وأهل الفضل إذا وقع أحدهم في أيدي العداة وأراد التخلص قال: أنا مكدي، فبني الحريري هذا الموضع من مقامته على شعر الأحنف، وأكثر هذه المقامة مأخوذ من مَلَحِه، ومن هذا الشعر:

وقالوا قد سلا عَنكَ وقد حالَ عن العَهْدِ  
 ولا والله ما خُلْتُ ولكن قلَّ ما عِنْدِي

ومن شعره:

عشت في ذلة وقلة مالٍ واغترابٍ في معشرٍ أنذالٍ  
 بالأمانى أقول لا بالمعاني فغدائي حلاوة الآمالِ  
 لي رزق يقول بالوقف في الرأى ورجلٌ تقول بالاعتزالِ

(١) الأحنف العكبري، له ترجمة في البيهقي ١٠٤ - ١٠٦، أورد فيها كثيراً

وله :

العنكبوت بنت بيتاً على وهن      تأوى إليه ومالى مثله ووطن  
والخنفساء لها من جنسها سكن      وليس لى مثلها ألف ولا سكن

وله :

نرى العقيان كالذهب المصفى      يركب فوق أنفار الدواب  
وكيسى منه خالو مثل كفى      أما هذا من العجب العجاب !

وله :

رأيت فى النوم دنيانا مزخرقة      مثل العروس تراءت فى المقاصير  
فقلت جودى فقلت لى على عجل      إذا تخلصت من أيدى الخنازير

\* \* \*

وأضرم فى الخافقين نارها ، وأوضح لبنى غبراء منارها ، فشهدت  
وقائعها معلماً ، واخترت سياتها لي ميسماً ؛ إذ كانت المتجر الذى  
لا يبور ، والمنهل الذى لا يعور ، والمصباح الذى يعشوا إليه الجمهور ،  
ويستصبح به العمى والعمور . وكان أهلها أعز قبيل ، وأمتع جيل ،  
لا يرهقهم مس حيف ، ولا يفلقهم سل سيف ، ولا يخشون حمة  
لاسيح ، ولا يدينون لدان ولا شاسيع ولا يرهبون بمن برق ورعد ،  
ولا يحفلون بمن قام وقعد ؛ أنديتهم منزهة ، وقلوبهم مرفهة ، وطعمهم  
معتجة ، وأوقاتهم عر محجلة ، أينما سقطوا لقطوا ، وحيثما انخرطوا  
خرطوا ، لا يتخذون أوطاناً ، ولا يتقون سلطاناً ، ولا يمتازون عما  
تعدو خصاصاً ، وتروح بطاناً .

\* \* \*

قوله : أَضْرَمَ ، أى أوقد . الخافقين : المشرق والمغرب . أوضح : بَيَّن .  
 مَنَارَهَا : سِرَاجَهَا . مُعَلِّمًا : مشهوراً . سماها : علامتها ، يريد أنه اختار علامتهم  
 لِنَفْسِهِ . يَبُورُ : يَكْسِدُ ويهلك أهله . المنهل : موضع الماء . يغور : يغوص في  
 الأرض . بعشو : ينظر . الجمهور : معظم الشيء . العور : جمع أعور . الجليل :  
 أهل العصر . يُرْهَقُهُمْ : يدرِكُهُمْ ويفشاهم . حَيْفٌ : جَوْرٌ وظلم . مُحَمَّةٌ : سم .  
 لاسع : ضارب . واللسع : الضرب بمؤخره ، مثل العقرب ، واللدغ لما كان  
 بالفم ، ولأسعه بلسانه : عابه وآذاه ، ورجل لُسعة ولساعة ولساع ، أى عيابٌ  
 مؤذٍ . يدينون : يطيعون . دانٍ وشاسع : قريب وبعيد . يرهبون : يخافون .  
 بَرَقَ ورعد : هدد وخوف . يحفلون : يبالون . مَن قَامَ وقعد : من غيظه وشره .  
 انخرطوا : ركبوا رهوسهم ، واندفعوا بشدة ، وخرطت الفصن ، إذا وضعت  
 يدك عليه ثم تجرّه عليك فيسقط ما فيه من ورقٍ وثمر . أنديتهم : مجالسهم .  
 مرفهة : الرفاهية : العيش اللين . غُرٌّ : بيض . محجلة : مشهورة . سقطوا :  
 وقموا . لقطوا : جمعوا الرزق ، وأصله للطير . يمتازون : يفترون . خصاصاً :  
 جِيعاً . بطاناً : شباعاً وهى للطير ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم  
 كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وترووح بطاناً » .

\* \* \*

فقال له ابنه : يا أبتِ لَقَدْ صَدَقْتَ ، فيما نَطَقْتَ ؛ وَلَكِنَّكَ  
 رَتَقْتَ ، وَمَا فَتَقْتَ ؛ فبَيَّن لي كَيْفَ أَقْتَطِفُ ، وَمِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ  
 الكَتِفُ ، فَقَالَ : يا بَنِيَّ إِنَّ الأَرْتِكَاضَ بِأَبْهَا ، وَالدَّشَّاطَ جِلْبَابُهَا ،  
 وَالْفِطْنَةَ مِصْبَاحُهَا ، وَالْقِحَّةَ سِلَاحُهَا ، فَكُنْ أَجْوَلَ مِنْ قُطْرُبِ ،

وأشْرَى من جُنْدُب، وأنشَطَ من ظَبِي مُقْمَر، وأسلَطَ من ذئبٍ مُتَمَمَّر،  
 وأفدَحَ زَنْدَ جَدِّكَ بِجَدِّكَ، واقْرَعُ بابَ رَعِيكَ بِسَعِيكَ، وَجُبَّ كُلٌّ  
 فَجٌّ، وِلِجٌ كُلُّ لُجٍّ، وَاثْتَجِعُ كُلُّ رَوْضٍ، وألْقِ ذَلُوكَ فِي كُلِّ حَوْضٍ،  
 وَلَا تَسَامِ الطَّلَبَ، وَلَا تَمَلِّ الدَّابَّ، فقد كان مكتوباً على عَصَا شَيْخِنَا  
 سَامَانَ : مَنْ طَلَبَ ، جَلَبَ ، وَمَنْ جَالَ ، نَالَ . وإِيَّاكَ وَالْكِسْلَ ، فَإِنَّهُ  
 عُنوانُ النَّحُوسِ ، وَلَبُوسُ ذَوِي البُوسِ ، وَمِفْتَاحُ المْتَرَبَةِ ، وَلِقَاحُ  
 المْتَعَبَةِ ، وَشِيْمَةُ العَجَزَةِ الجُهْلَةُ ، وَشِنْشِنَةُ الوُكَلَةِ الشُّكَلَةُ ، وما اشتار  
 العَسَلُ ، من اختار الكسَلَ ، وَلَا مَلَأَ الرَّاحَةَ ؛ مَنْ اسْتَوَطَّ الرَّاحَةَ .

\* \* \*

قوله : رتقت ، أى ألحمت وسديت ، وهو ضد فتقت ، تقول : رتقت  
 الشيء ، إذا ضمت بعضه إلى بعض ، وفتقته : نقضته . أفتطف : أجنى الثمر ،  
 وهذا مثل قوله : مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ ، قالوا : تؤكل من أسفلهما ، لأن المرقة  
 تدخلُ بَيْنَ عِظَامِهَا ولحمها ، فمن أكلها من أعلاها جرت المرقة عليه ، ولفظ  
 المثل على ما ذكره أبو عبيد : فلان أعلم من حيث تؤكل الكتف ، يُضْرَبُ  
 مثلاً لمن جرت الأمور ودري تصرفها ، قال البكري : إن لحم الكتف إذا  
 أُكِلَ من أعلاه تناثر ، وإذا أُكِلَ من قَبْلِ العُضْرُوفِ ، لم يثأر لآكله .  
 والعُضْرُوفُ : اللحم الرخِصُ المتَّصِلُ بأسفل الكتف المتسع ، وقيل : أكل  
 الكتف ، إذا أمسك فيها بطرف العُضْرُوفِ ربما سقطت فتربت ، وإذا أمسكها  
 بالطرف الآخر أمن من ذلك .

الفنجديهى : لحم الكتف إذا جذب من الجانب الأسفل انقطع بكليته ،  
 وإذا جذب من الجانب الأعلى تقطع اللحم ولم ينقطع ، لأن المرقة تجرى بين الح

الكتف والعظم ، فإذا أخذته من أعلاه تصببت المرقة عليك بسرعة ، وإذا أخذت اللحم من أسفله تشر من عظمها فلم تنصب المرقة بالسرعة ، وهو مثل يضرب للبصير بالأموار ، وقال أوس بن حجر :

أَمْ دَلَّكُمْ بَعْضُ مَنْ يَرْتَادُ مَشْتَمِي      بِأَيِّ أَكَلَةِ لَحْمٍ تُؤْ كُلُّ الدَكْتِفِ<sup>(١)</sup>  
يقول : أنا أعلم كيف أنالكم .

وقال آخر :

إِنِّي عَلَى مَا تَرُونَ مِنْ كِبَرِي      أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْ كُلُّ السَكْتِفِ

قطرب : دويبة تجول الليل كله ولا تنام ، ويقال فيه أيضاً : أسهر من قُطْرِب ، وهذا قول أبي عمرو ، وغيره يرويه : أسعى من قُطْرِب ، لا أسهر ، ويقول : هو دويبة لا تستقر بالنهار ، ويحتج بقول ابن مسعود : لأعرفن أحدكم جيفة ليل قُطْرِب نهار . وقُطْرِب اسم رحل مشهور ، وهو ابن السنير صاحب المثلث ، وكان من أهل العربية فجلس لسبويه يناظره ، فلما رآه سبويه قد قد احتد بالسؤال قال : إنك لقطرب ليل ، فسمي بذلك ، والقُطْرِبُ أيضاً ذكر الغيلان . ابن ظفر ذكر من يعول عليه أنه حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر ، يظهر للمنفرد من الناس ، فربما صده عن نفسه إذا كان شجاعاً وإلا لم ينته حتى ينكحه ، فإذا أنكحه تدود دُبره وهلك . قال : وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا : أمنكوح أم مروع ، فإن قال : منكوح يتسوا منه . وإن قال : مروع سكنوه وعالجوه . قال : فقد رأيت أهل مصر وما بين يديها وما خلفها ، وتحقت أهل صعيدها والعربان ، وهم مستون في الجهل بهذا الحيوان ، ومختلفون الاختلاف الشديد في فعله وصورته ، إلا أن أهل مصر أكثر لهجاً به ، والقطارب أيضاً : صفار الكلاب .

قوله: أُسْرَى، أى أمشى بالليل . الجندب: ذكر الجراد ، وقيل: هى دويبة تشبه الجراد ذات جناحين ، فلا تزال ترمح ، ولفظ المثل : أُسْرَى من جراد . مقمر: لاعب فى القمَر . وأنشط: أخفّ ، والظبي يأخذه النشاط فى الليلة المقمرة فيلعب . متتمّر: متشبه بالنمّر وهو سَبْعٌ مؤذِنٌ . جَدَّكَ : حظّكَ . اقرع: اضرب . رَعَيْكَ : أكلك ، وأراد بباب رعيك الذى يجيئك منه الرزق . ألقِ دلوك إلى كل حوض: لفظ المثل « ألقِ دلوك فى الدلاء » ، يضرب فى بذل الجهد فى اكتساب المال والبحث عليه ، وهو كما قال الشاعر:

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألقِ دلوك فى الدلاء<sup>(١)</sup>

تجثك بملها طوراً وطوراً تجثك بماءٍ وقليل ماء

قوله: فقد كان مكتوباً على عصا شيخنا ساسان . الفنجديمى قرأت فى بعض الفوائد أنه كان مكتوباً على عصا ساسان . المكدي: الكسل شؤم، والتميز مذموم، والحركة بركة، والتوانى هلكة . وكتب طائف: خير من أسد رابض . ومَنْ لم يفترف: لم يعترف . جال: تصرف ومشى فى البلاد . نال: أدرك حاجته . عنوان: دليل . النحوس: جمع نحس، وهو ضدّ السعد . ذوى البؤس: أهل الفقر . لقاح المتعبة، أى أصلها وسببها . شيمة: طبيعة، وكذلك الشنشنة . الوكّلة التّكّلة: هو العاجز الذى يكلُّ أمره لغيره ويتكل عليه فيه . اشتار: حرّك واستخرج . الراحة الأولى: الكفّ، والثانية ضدّ التعب .

وعليك بالإقدام ، ولو على الضّرعام\* ، فإنّ جرّاء الجنان ، تُنطق اللسان ، وتُطلق العنان ، وبها تُدرك الحظوة ، وتُمثلك الثروة ، كما أن انخور صنو الكسل ، وسببُ الفشل ، ومبْطأةٌ للعمل ، ومخبيّةٌ للأمل ، ولهذا قيل فى المثل : مَنْ جَسَرَ ، أَيْسَرَ ، وَمَنْ هَابَ ، خَاب .

(١) لأبى الأسود الدؤلى ، جمهرة الأمثال ١ : ٧٤ ، وديوان أبى الأسود ٣٣

ثمَّ ابرُز يا بنيّ في بكورِ أبي زاجرٍ، وجراءة أبي الحارثِ، وحزامَةِ  
أبي قُرّة، وختلِ أبي جعدة، وجرصِ أبي عُقبَةَ، ونشاطِ أبي وثّاب،  
ومكرِ أبي الحُصَيْن، وصبرِ أبي أيّوب، وتلطّفِ أبي غزّوان، وتلوّن  
أبي برّاقش، وحيلةِ قَصيد، ودَهَاءِ عمرو، ولُطفِ الشعبيّ، واحتمالِ  
الأحنف، وفِطْنَةِ إياس، ومجانةِ أبي نُؤاس، وطَمَعِ أشعْب، وعارِضَةِ  
أبي العِيناء .

\* \* \*

الإقدام : الجراءة . الضرغام : الأسد . والجراءة : الشجاعة . والجنان :  
القلب . والحظوة : المنزلة الرفيعة ، والثروة : الغنى . صنو : أخ . الفشل :  
الضعف والحيرة ، يريد أن فزَع النفس وضعفها يحثب الأمل والرجاء ، وقال  
معاوية : الهيبة مقرونٌ بها الخيبة .

أبو زاجر : هو الغراب ، سُمّي بذلك ، لأنّ العرب تزجرُ به وتتشام ،  
وتقدّم ذلك ، ومن وصيته لولده على ألسنتهم ، قالوا : قال الغراب لابنه : يا بنيّ إذا  
رميت فتلوّص أي تلوّ ، قال : يا أبت أنا أتلوّص قبل أن أرمى . وقال لابنه وقد  
رأى رجلاً فوق سهماً : يا بنيّ اتنّد ، حتى تعلم ما يريد الرّجل ، فقال : يا أبت ،  
الحذر قبل إرسال السهم .

وأبو الحارث : الأسد كنى بذلك لاحترائه ، أي لا اكتسابه بقوته .

وأبو قُرّة : الحرباء كنى بذلك لأنّ البرد لا يفارقه ، فالحرباء تدور لذلك مع  
الشمس حيثما دارت ، وتقدّم حزامتها ، ومرت أنها لا تفارق ساق الشجرة حتى  
تمسك ساق الأخرى .

وأبو جمدة : كنية الذئب ، وهي كنية بالضدّ لأنّ جمدة عندهم الشاة ، ولما كان الذئب يقتلها حيث وجدها جعلوه أباهما بضدّ ما يفعل الأب الذي لا يقال له أب إلا لوجود الرحمة عنده على بنيه ، ونحوها قولهم للأسود : أبو البيضاء . والختل : المكر .

وأبو عقبة الخنزير ، زمن حرصه أنه يمشى بالليل وبالأسحار لطلب ما يأكل ، ويستتر بالنهار حرصاً على السلامة .

وأبو وثاب : الظبي ، وكنتى بذلك لسرعة وثبه .

وأبو الحصين : الثعلب ، وهو أكثر الحيوان مكرراً ، ومن بعض مكره أنه إذا رأى الغلبة تماوت فلا تشكّ في أنه ميت ، فإذا وقع له غير عارف تركه فما يمرّ سيراً حتى يقوم فاراً أو تحصينه يبصل العنصل من الذئب ، لأنّ الذئب لا يطوّه في زعم قوم ، وقالوا : إنّ الضبّع صادت ثعلباً ، فقالت : أحيرك يا ثعلب بين خصلتين ، فقال : ما هما ؟ فقالت : إما أن آكلك وأما أن أكلك ، فقال لها الثعلب : أما تذكرين يوم نكحتك ؟ فقالت : متى ؟ فافتتح فوها وانفلت الثعلب ، فذكروا ذلك مثلاً ، وقالوا : ضرب عليه خصلتي الثعلب ، وقالوا : إن الثعلب اطلع في بئر وهو عاطش وعليها رشاء في طرفيه دلوان ، فقعده في الدلو العليا فأنحدرت ، فشرّب ، فجاء الضبّع فاطلعت في البئر ، فأبصرت القمر في الماء منتصفاً والثعلب قاعد في قعر البئر فقالت له : ما تصنع هنا ؟ فقال لها : إني أكلت نصف هذه الجبنة وبقي نصفها لك فانزلي فكليها ، فقالت : وكيف أنزل ؟ قال : تقعدين في الدلو فقعدي فيها ، فأنحدرت وارتفع الثعلب في الدلو الأخرى فلما التقيا في وسط البئر قالت له : ما هذا ؟ قال : كذا التجار ، نختلف ، فضربت بهما العرب للثل في المختلفين ، وأوصاف مكره كثيرة .

وأبو أيوب : الجمل مُمّيّ بذلك لأنه أصبر الدوابّ على العطش والجوع



وقطع الأشهر بالسير المتصل ونقل الأوقار، ومهما كان به شيء من قوة تجلده، فإذا وقف عُلِمَ أنه ليس فيه بemie ينتفع بها.

وأبو غزوان المرء لغزوه الفئران وخشاش الأرض وتلفه يظهر في محاولاته لتصيد الفأر فإذا قدمت المائدة: قُرِبَ منها وأخذ يتلطف في صياحه ويتضرع ويمتلك بالمائدة أو بالأكل حتى يعطى.

وأبو براقش: طائر أغبر أوسطه أحمر، وإذا انتفض تلون ألواناً. أخذ الحريري هذا الفصل من كلام العلماء، قالوا: ابن آدم هو العالم الكبير الذي جمع الله تعالى العالم كله فيه فكان فيه بسالة الأسد وصبر الجمل وحرص الخنزير وحذر الغراب وروغان الثعلب؛ وضرع السنور، وحكاية القرد وجبن الصقر.

قيل لرجل من كبار العلماء وكان بليداً سريع النسيان في ابتداء تعلمه: بم أدركت العلم مع بلادتك وكلل خاطرك؟ قال: بيكوري كيكور الغراب وصبر كصبر الجمل وحرص كحرص الخنزير.

واخْلَبَ بِصَوْنِ اللِّسَانِ، \* \* \* واخْدَعُ بِسِحْرِ البَيَانِ، \* \* \* وازْتَدِ الشُّوقَ قَبْلَ الْجَلْبِ، \* \* \* وَاْمْتَرِ الضَّرْعَ قَبْلَ الْحَلْبِ، \* \* \* وَسَأَلِ الرُّكْبَانَ قَبْلَ الْمُنْتَجِعِ، \* \* \* وَدَمِّ لِحْنَبِكَ قَبْلَ الْمُضْطَجِعِ، \* \* \* وَاشْحَذْ بِصِيرَتِكَ لِلْعِيَاةِ، \* \* \* وَأَنْعِمْ نَظْرَكَ لِلْقِيَاةِ، \* \* \* فَإِنَّ مَنْ صَدَقَ تَوْشُمُهُ، \* \* \* طَالَ تَبَسُّمُهُ، \* \* \* وَمَنْ أَخْطَأَتْ فِرَاسَتُهُ أَبْطَأَتْ فَرِيَسَتُهُ.

وَكُنْ يَا بُنَيَّ خَفِيفَ الْكَلِّ، قَلِيلَ الدَّلِّ، رَاغِبًا عَنِ الْعَلِّ، قَالِمًا مِنَ الْوَبْلِ بِالطَّلِّ. وَعَظْمٌ وَقَعَ الْحَقِيرِ، وَاشْكُرْ عَلَى التَّقِيرِ، وَلَا تَقْنَطْ عِنْدَ الرَّدِّ، وَلَا تَسْتَبِعِدْ رَشْحَ الصَّلْدِ، وَلَا تَيْئَسْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.

(م ٢٢ - شرح مقامات الحريري ج ٥)

وَإِذَا خَيْرَتْ بَيْنَ ذَرَّةٍ مَّنْقُودَةٍ، وَذَرَّةٍ مَّوْعُودَةٍ، فَلِإِلَى النَّقْدِ،  
رِفْضِ الْيَوْمِ عَلَى الْغَدِ، فَإِنَّ لِلتَّأخِيرِ آفَاتٍ، وَلِلْعَزَائِمِ بَدَوَاتٍ، وَلِلْعِدَاتِ  
مُعَقَّبَاتٍ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّجَازِ عَقَبَاتٍ وَأَيَّ عَقَبَاتٍ .

\* \* \*

قوله: اخلب بصوغ اللسان، أى بعدوبة الكلام، قال ابن كنانة الشاعر:  
كنت أتكلم بكلام فلو لم يجذ سامعه إلا القطن الذى فى وجه أمه فى القبر ،  
لتغلغل إليه حتى يخرجّه ويهديه إلى . وأنا اليوم أنحدت بذلك الحديث بعينه  
فما أفرغ منه حتى أهينى له اعتذارى . وارتنذ ، أى اطلب . والجلب : ما يجلب  
إلى السوق للبيع . امتر : امسح ، ويفعل ذلك بالضرع لأنه يُدرّ لبنه . المنتجع :  
موضع العشب ، أراد به موضع طلب الرزق . دمت : تين . اشخذ : أجل  
واصقل . وقال فى الدرّة: ويقولون: شحات بالتاء ، وصوابه ، بالذال لأن اشتقاقه  
من شحذت السيف ، إذا بلغت فى إحداه فكان الشحاذ هو الملح فى المسألة  
المبالغ فى طلب الصدقة . بصيرتك : ذهنك . العيافة : زجر الطير . أنعم : بالغ .  
القيافة : الاستدلال على الولد ، وذلك أن ينظر خالقه وصفته ، فيشبهه بأبيه .  
توسمه : نظره . الفراسة : الحكم بحالات الشئ على ما يكون منه فى المستقبل .  
الكل : الثقل . والدلّ والدلال بمعنى واحد . العلّ : الشرب بعد الشرب وراغباً  
عنه : تاركاً له . النقيير : حفرة فى ظهر نوى التمر ، ومنها تنبت النخلة . تقنط:  
تياس . روح الله : رزقه ، ولبعضهم فى هذا المعنى :

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سُدَّ بَابٌ	نعم وتلين الأمور الصعاب
ويقع الحلال من بعدما	تضييق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يُسرّان هوّن عليك	فلا اليسر دام ولا الاكتئاب
إذا احتجب الناس من سائل	فما دون سائل ربّي حجاب

آخر:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِنَّهُ      لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ  
إِذَا اشْتَدَّ عَسْرٌ فَارِحَ يُسْرًا فَإِنَّهُ      تَضَى اللَّهُ أَنْ الْعَسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسْرٌ

آخر:

فَلَا تَجْزَعْ إِذَا أُعْسِرْتَ يَوْمًا      فَتَمَدَّ أَيْسَرْتَ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ  
وَلَا تَيَاسُ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ      لَعَلَّ اللَّهَ يُغْنِي عَنْ قَلِيلِ  
وَإِنَّ الْعَسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسْرٌ      وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ  
وَلَا تَظَنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءٌ      فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

قوله: دَرَه، كناية عن الشيء القليل: دُرَّة: جوهرة. آفات: جوائح. وللعزائم بدوات، يريد أن الإنسان يعزم على فعل الشيء في وقت ثم يبدو له ألا يفعله. النَّجْز: تعجيل قضاء الحاجة، وقد قدم مثل هذا المعنى عند قوله:

وبع آجالنا بالعاجل.

\* \* \*

وَعَلَيْكَ بِصَبْرِ أُولَى الْعَزْمِ، وَرِفْقِ ذَوِي الْحَزْمِ، وَجَانِبِ خُرْقِ  
الْمَشْتَبِ، وَتَخَلُّقِ بِالْخُلُقِ السَّبِطِ، وَقَيْدِ الدَّرَمِ بِالرَّبِطِ، وَشَبِّ الْبَذْلِ  
بِالضَّبِّ، وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،  
وَمَتَّى نَبَأَكَ بَلَدٌ، أَوْ نَابَكَ فِيهِ كَمَدٌ، فُبِتَّ مِنْهُ أَمْلَكَ، وَاسْمَرْخَ عَنْهُ  
جَمْلَكَ، نَخِيرُ الْبِلَادِ مَا جَمَّلَكَ، وَلَا تَسْتَثْمَلَنَّ الرَّحْلَةَ، وَلَا تَكْرَهَنَّ  
النُّقْلَةَ، فَإِنَّ أَعْلَامَ شَرِيعَتِنَا، وَأَشْيَاخَ عَشِيرَتِنَا، أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْحَرَكَهَ  
بِرَّكَهَ، وَالطَّرَاوَةَ سُفْتَجَهَ، وَزَرَوْا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعُرْبَةَ كُرْبَةٌ، وَالنُّقْلَةَ  
مُثْلَةٌ، وَقَالُوا: هِيَ تَعِلَّةٌ مِنْ افْتِنَعِ بِالرَّذِيلَةِ، وَرَضِيَ بِالْحَشْفِ وَسَوْءِ  
الْكَيْلَةِ. وَإِذَا أُرْزِمْتَ عَلَى الْإِغْتِرَابِ، وَأَعَدَدْتَ لَهُ الْعَصَا وَالْجِرَابَ،

فتخير الرفيق المسعّد، من قبل أن تُصعّد؛ فإن الجار قبيل الدار، والرفيق قبل الطريق .

خُذْهَا إِلَيْكَ وَعَيْتَهُ لَمْ يُوصِهَا قَبْلِي أَحَدٌ  
 غَرَاءَ حَاوِيَةً خَلَا صَاتِ الْمَعَانِي وَالزُّبْدِ  
 نَقَّحَتْهَا تَنْقِيحَ مَنْ مَحَّضَ النَّصِيحَةَ وَاجْتَهَدَ  
 فَأَعْمَلَ بِمَا مَثَلَتْهُ عَمَلِ اللَّيْبِ أَخِي الرَّشْدِ  
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا الشُّبْلُ مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ

\* \* \*

المشتط : التجاوز القدر في محاولته . وألخرق ضدّ الرتق . السببط : السهل .  
 شُبْ : أخاط . البذل : العطاء . والضبط : الحبس . قال أبو حاتم الدارى :  
 دخلت مع أبى مدينة السلام فرأيت رجلاً واقفاً على الطريق يلعب بحية ويقول :  
 مَنْ يهب لي درهماً حتى أبتلع هذه الحية ؟ فالتفت إلى أبى وقال : يا بنى احفظ  
 دراهمك فمن أجلها تبتلع الحيات . مغالوة : محبوسة ، أى لانكن شحيحاً ممسكاً  
 ولا كريماً متلقفاً . نأبك : نزل بك . كمد : حزن . بت : اقطع . أملك ،  
 أى رجاءك : أسرح عنه ، أى أزله وسرحه بالمشى إلى غيره . الرّحلة : الارتحال .  
 النقلة : الانتقال . أعلام شريعتنا : مشايخ طريقتنا . الطراوة : أن يطرأ على  
 بلد لم يره . السّفنجة : ما أتاك بغير تكلف ولا مشقة ، وهى عند أهل المشرق  
 أن يأخذ الرجل الدرهم والدنانير ، فيعطىها صاحبه ، ويقول : احملها لى معك  
 لأمن طريقك ، ولنعمتك إلى بلد كذا فادفعها لى ، ثم فإن طريقى غير آمن  
 من اللصوص . قال مالك رضى الله تعالى عنه : إن قصّد بها المنفعة لم يُجز لأنه  
 سلف جرّ منفعة ، فيقول : الطراوة على الناس كالسّفنجة ، ترغب لك فى أخذ

الدرهم، وقد يكون منك تمتع عن أخذها. زروا: عابوا. كربة: هم، وقال: من ذم السفر: الغربة كربة والثقلة مُثلة، والغريب كالفرس الذي زايل أصله وفقد شربه، فهو ذاول لا يشمر وذابل لا ينضر. إذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل. نعلة: عذر. الرذيلة: الدون من كل شيء. الحشف: الردىء من التمر. السكيلة الهيئة، ومعناه أنه اجتمع عليه عيبان: تمر فاسد وكيل ناقص. أزمعت: عزمت. الاعتراب: الجولان والغربة. الجراب: الوعاء للزاد. المسعد: الموافق القليل الخلاف. تصعد: ترتفع وتخرج، الجار قبل الدار، يقول: لا تشتر داراً حتى تعلم من جيرانك، وكفى الجار أن قال صلى الله عليه وسلم في حقه: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى خفت أن يورثه»، وقال الزاهد ابن عمران:

لِتَعْنَ بِالْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ تَسْكُنُهَا      لا خَيْرَ فِي الدَّارِ مَا لَمْ يَحْمَدِ الْجَارُ  
الجار إن غبت عن أهلٍ وعن وطنٍ      نعم الخليفةُ هم أهلٌ وأنصارُ  
والجار المساعد أحسن من القرابة. ويروى أن رجلاً كان جاراً لأبي دلف ببغداد، فأدركته حاجة، وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره، فسأموه فيها، فسمى لهم ألف دينار، فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة دينار، فقال: أبيع مائة وخمسة وعشرون ديناراً، فبلغ أبا دلف الخبر، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تنتقل من جوارنا، فانظر كيف صار الجوار يُباع كما يباع العقار، وقال الشاعر:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي      ولم يعلموا جاراً هناك ينغصُ  
فقات لهم كفوا السلام فإنما      بجيرانها تفلوا الديارُ وترخصُ  
غراء: ظاهرة حسنة. حاوية: جامعة. خلاصات: جمع خلاصة، وهو الذي يتخلص من الشيء ويصفو منه، والزبد: جمع زبدة اللبن. فقحتها:

هَدَّ بِهَا . مَحَضَ : أَخْلَصَ . اللَّيْبُ : الْعَاقِلُ . أَخَى الرَّشِدَ : صَاحِبُ الرَّشِدِ  
السَّبِيلُ : وَالدَّ الْأَسَدُ .

مَّمَّ قَالَ : يَا بَنِيَّ ، قَدْ أُوصِيْتُ وَاسْتَقْصِيْتُ ، \* \* \* فَإِنْ اقْتَدَيْتَ فَوَاهَا لَكَ ،  
وَإِنْ اعْتَدَيْتَ فَأَهَا مِنْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ ، وَأَرْجُو إِلَّا تُخْلَفَ  
ظَنِّي فِيكَ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبَتِ لَا وَضِعَ عَرْشُكَ ، وَلَا رُفِعَ نَعْشُكَ ، فَلَقَدْ  
قَلَّتْ سَدَدًا ، وَعَامَّتْ رَشْدًا ، وَنَحَلَتْ مَا لَمْ يَنْحَلْ وَالِدُهُ وَوَلَدًا ، وَلَئِنْ  
أُمِهَلْتُ بَعْدَكَ — لَا ذَقْتُ فَقْدَكَ — فَلَا تُأَدِّبَنَّ بَادِيَابِكَ الصَّالِحَةَ ،  
وَلَا تُقَدِّبَنَّ بَأَثَارِكَ الْوَاضِحَةَ ؛ حَتَّى يَقَالَ : مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ وَالغَادِيَةَ  
بِالرَّاحَةِ ! فَاهْتَزَّ أَبُو زَيْدٍ لِحُجُوبِهِ وَابْتَسَمَ ، وَقَالَ : مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ .  
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَأَخْبِرْتُ أَنَّ بَنِي سَاسَانَ ، حِينَ سَمِعُوا هَذِي الْوَصَايَا  
الْحَسَنَانَ ، فَضَلُّوْهَا عَلَى وَصَايَا لِقْمَانَ ، وَحَفِظُوهَا كَمَا تُحَفِظُ أُمَّ الْقُرْآنِ ؛ حَتَّى  
إِنَّهُمْ لِيُرَوِّئُوهَا إِلَى الْآنِ ، أَوْلَى مَا لَقَنُوهُ الصَّبِيَّانِ ، وَأَنْفَعُ لَهُمْ مِنْ نَحْلَةِ الْعِيقِيَّانِ .

غَرَاءَ : ظَاهِرَةٌ حَسَنَةٌ . حَاوِيَةٌ : حَامِمَةٌ . خَلَاصَاتُ : جَمْعُ خَلَاصَةٍ وَهِيَ  
الَّذِي يَصِفُو مِنْهُ . وَالزَّبْدُ : جَمْعُ زَبْدَةِ اللَّبَنِ اقْتَدَيْتَ : اتَّبَعْتَ وَصِيَّتِي . وَاهَا :  
عَجَبًا . اعْتَدَيْتَ : ظَلَمْتَ . آهَا : كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا التَّوَجُّعُ . عَرَشُكَ : بِمَرِيرِكَ ، وَالْمَعْنَى  
أَنَّهُ يَدْعُو لَهُ بِالْبَقَاءِ . سَدَدًا : صَوَابًا . نَحَلَتْ : أَعْطَيْتَ . الْوَاضِحَةَ : الْبَيِّنَةَ . الْغَادِيَةَ :  
السَّحَابَةَ تَأْتِي بِالغَدْوِ . وَالرَّاحَةَ بِالْمَشْيِ ، قَالَ الْفَرَاءُ النَّحْوِيُّ : مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا  
ظَلَمَ مِثْلَ أَخْذِهِ النَّاسَ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زَهَيْرٍ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يَخْزِنِي فِي حَيَاتِهِ قَدِيمًا وَمَنْ يَشْبَهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ  
لَقَنُوهُ : عَلَّمُوهُ . أَوْلَى . أَحَقُّ . نَحْلَةٌ : عَطِيَّةٌ . الْعِيقِيَّانُ : الذَّهَبُ .

## المفامة الخمسون أو هي البصرية

حكى الحارث بن همام قال: أشعرتُ في بعض الأيام همًّا برَّح به استعاره، ولاح على شعاره، وكنتُ سمعتُ أن غشيان مجالس الذَّكر، يسرو غواشي الفكر، فلم أر لإطفاء ما بي من الجُمرة، إلا قصد الجامع بالبصرة، وكان إذ ذاك مأهول المساند، مشفوه الموارد، يُحتنى من رياضته أزهير الكلام، ويُسمع في أرجائه صرير الأعلام، فانطلقتُ إليه غير واثق، ولا لاوٍ على شان، فلما وطئتُ حصاه، واستشرفتُ أقصاه، تراءى لى ذو أطمار بالية، فوق صخرة عالية، وقد عصبتُ به عُصبٌ لا يمحى عديدهم، ولا ينادى وليدهم، فابتدرتُ قَصده، وتوردتُ وردة، ورجوتُ أن أجد شفاى عنده، فلم أزل أنتقل في المراكز، وأغضى للاكز والواكز، إلى أن جلستُ تجاهه، بحيثُ أمّنتُ اشتباهه، فإذا هو شيخنا السروجي لاريب فيه، ولا لبس يُحقيقه، فالسرى برآه همى، وازفضتُ كتيبة غمى.

\* \* \*

أشعرتُ: أُلبيتُ. برَّح: شق واشتدَّ. استعاره: توقده في القلب. لاح: ظهر، يريد أنه لبس الهمَّ كالشَّمار. والشَّمار: ثوب يلي الجسد، والشَّمار علامة القوم في الحرب، فعناه عبس وجهه من شدة الهم. يسرو: يزيل. غواشى الفكر: ما يشاه ويدخل عليه من الهم. مأهول: كثير الأهل. المساند: جمع مُسند، وهو ما يسند إليه ظهره، أراد مواضع العلماء المتصدِّرين للإقراء. الموارد: مواضع المياه. مشفوه: كثيرة الشفاه عليه للشرب، وأراد

ازدحام الطلبة على الأشياخ لأخذ العلم . أزاهير : أنوار . أراجائه : نواحيه .  
صيرير : أصوات . وان : مقصّر . لاوٍ على شان : معرّج على أسر . استشرفت  
أقصاه : اطّلت بنظري عليه كله . تراءى : ظهر . أطار : ثياب خَلَقَة .  
عصبت : أهدقت وحلقت . عُصَب : جماعات . لاينادى وليدهم ، هذا مثل  
يستعمل في الأمر المعجب المبالغ في وصفه المعجب منه ، وقد يؤوّل على تأويلات ،  
وهو يستعمل في الخير والشر . والرخاوة والشدّة . ابتدرت قصده ، أى عجبت  
المشي إلى جهته . توردت وزده ، أى طلبت منفعتة . والمراكز : مواضع  
الجلوس ، ومركز الرجل : موضعه ، وركزت الشيء غرسته . أغضى : أغضض  
على المكروه . اللاكز : الضارب في الصدر . الواكز : الضارب في ناحية الفم ،  
والوكز واللّكز بجمع اليد . تُجَاهه : قبالة وجهه . اشتباهه : القياسه بغيره .  
يخفيه : يستره . انسرّى : زال وانكشف . ارفضّت : تفرقت . كتيبة غمى ،  
أى عسكره .

\* \* \*

وَحِينَ رَأَى ، وَبَصَرَ بِمَكَانِي ، قَالَ : يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، رَعَاكُمْ اللَّهُ  
وَوَقَاكُمْ ، وَقَوَّى ثِقَاكُمْ ، فَمَا أَضْوَعَ رِيًّاكُمْ ، وَأَفْضَلَ مَزَايَاكُمْ ،  
بَلَدُكُمْ أَوْ فِي الْبِلَادِ طُهْرَةٌ ، وَأَزْكَاهَا فِطْرَةٌ ، وَأَفْسَحُهَا رُقْعَةٌ ، وَأَمْرَعُهَا  
نَجْمَةٌ ، وَأَقْوَمُهَا قِبْلَةٌ ، وَأَوْسَعُهَا دِجْلَةٌ ، وَأَكْثَرُهَا نَهْرًا وَنَخْلَةٌ ، وَأَحْسَنُهَا  
تَفْصِيلًا وَجَمَلَةٌ ، دِهْلِيْزُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَقِبَالَةُ الْبَابِ وَالْمَقَامِ ، وَأَحَدُ جَنَاحِي  
الدُّنْيَا ، وَالْمِصْرُ الْمَوْسَسُ عَلَى التَّقْوَى ، لَمْ يَتَدَسَّسْ بِيُوتِ النَّيْرَانِ ،  
وَلَا طَيْفَ فِيهِ بِالْأَوْثَانِ ، وَلَا سُجِدَ عَلَى أَدِيمِهِ لَغَيْرِ الرَّحْمَنِ ، ذُو الْمَشَاهِدِ  
الْمَشْهُودَةِ ، وَالْمَسَاجِدِ الْمُصَوَّدَةِ ، وَالْمَعَالِمِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْمَقَابِرِ الْمَزُورَةِ ،



والآثار المحمودة، والخطط المحدودة، به تلتق الفلك والركاب، والحيتان  
والضباب، والحادي والملاح، والقانص والفلاح، والنشاب والرامي،  
والسارح والسابح، وله آية المد الفاضل، والجزر الفاضل.

\* \* \*

وقوله: وحين رأني، يريد أن السروجي علم أن ابن همام يعرف مكره  
الناس في كل بلد، نخشى ألا يُسمح له بخداع أهل بلده، فأخذ يمدح البصرة  
وأهلها ليرضية بذلك. رعاكم الله: حفظكم. وقاكم: كفاكم ما يحذر. تقاكم:  
خوفكم لله. أضوع ريباًكم: أنوح راحتمكم. مزاياكم: فضائلكم التي خصصتم  
بها. أوفى: أكمل. أفسحها: أوسعها. الرقعة: القطعة من الأرض.  
أمرعها: أخصبها. النجعة: موضع العشب ينتج منه القاس. دجلة: نهر البصرة.  
تفصيلاً وجملة، يقول: إن جزئت مواضعها وتناظر كل جزء منها مع كل جزء  
من غيرها كان لها الفضل، فإن قيل: أي البلاد أحسن على الجملة؟ قيل البصرة.  
الدهليز: أسطوان الدار ومدخله، والمقام: موضع قيام إبراهيم عليه السلام  
عند الكعبة للدعاء. أحدتناحى الدنيا: من قول أبي هريرة: «الدنيا على مثال  
الطائر، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربا وقع الأمر». المؤسس على التقوى:  
الذي بُني أساسه في الإسلام. يتدنس: يتوسخ. الأوثان: الأصنام. أدبته:  
جلده، أراد به أرضه. الخطاط: الدور والأزقة. المختطة: الموسومة ليبنى فيها.  
الفلك: السفن. الركاب: الإبل، يريد أنها بحرية برية. الضباب: جمع صب.  
الحادي: سائق الإبل فإذا كان الحادي حسن الصوت بلغت الإبل جهدها  
في المشي. الملاح: خدام السفينة. القانص: صائد الحوت. الفلاح:  
الحراث. النشاب: الرامي النشاب. الرامح: الطاعن بالرمح، أراد الإغزاز  
لأنهم رماة والعرب لأنهم أصحاب رماح. والسارح: راعي الإبل. والسابح:

العائم في الماء . آية : علامة . المدّ والجزر ، أى زيادة البحر ونقصانه وهما اللء  
والحصر ، ونهر البصرة يركض فيه البحر .

\* \* \*

وأما أنتم فمّن لا يَخْتَلِفُ في خصائصهم اثنان ، ولا يُنْكَرُهَا  
ذو شأن ؛ دَهْمًا وَكَمْ أَطْوَعُ رَعِيَّةً لِسُلْطَانٍ ، وَأَشْكُرُهُمْ لِإِحْسَانٍ ،  
وزاهدكم أَوْرَعُ الْخَلِيقَةِ ، وَأَحْسَنُهُمْ طَرِيقَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَعَالِمِكُمْ  
علامة كلِّ زمان ، والحجّة البالغة في كلِّ أوانٍ ، ومنكم من استنبطَ  
عِلْمَ النَّحْوِ ووضعه ، والذي ابتدعَ مِيزَانَ الشُّعْرِ واختَرَعَهُ ، وما مِن  
فَخْرٍ إِلَّا وَأَوَّاكُمُ فِيهِ أَيْدُ الطُّوَلَى ، والقِدْحُ المَعْلَى ، وَلَا صِبتِ إِلَّا وَأَنْتُمْ  
أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى . ثمَّ إِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرٍ مُؤَدِّينَ ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي  
النُّسْكِ قَوَانِينِ ، وبكم اقتدى في التَّعْرِيفِ ، وعُرِفَ التَّسْجِيرُ فِي الشَّهْرِ  
الشَّرِيفِ ، ولكم إذا قرَّتِ المضاجِعُ ، وهَجَعَ الهاجِعُ ، تَدَّ كَارُهُ  
يُوقِظُ النَّائِمَ ، وَيُؤَيِّسُ الْقَائِمَ ، وما ابْتَسَمَ ثَغْرُ فَجْرٍ ، وَلَا بَزَغَ نُورُهُ فِي  
بَرْدٍ وَلَا حَرٍّ ، إِلَّا وَلْتَأْذِينَكُمْ بِالْأَسْحَارِ ، دَوِيَّ كَدَوِيَّ الرِّيحِ فِي الْبَحَارِ .  
وبهذا صدع عنكم التَّقَلُّ ، وأخبر النبيّ عليه السلام مِنْ قَبْلِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ  
دَوِيَّكُمْ بِالْأَسْحَارِ ، كَدَوِيَّ النَّحْلِ فِي الْقِفَارِ ، فشرَّفَلكم بِبِشَارَةِ الْمِصْطَفَى  
ووالها لِمِصْرِكُمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ عَفَا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا شِفَا .

\* \* \*

خصائصهم : ما يختصون به من الفضائل ، أَرَادَ أَنْ الْبَصْرَةَ اجْتَمَعَتْ فِيهَا

الأشياء المتنافرة والمتضادة التي لا تجتمع ببلد ، فهي أجمع بلاد الله فائدة ، قال ابن أبي عيينة في نحوه :

زُرُ وادى القصر نعم التصر والوادي      لا بدّ من زورة من غير ميعادِ  
زُرّه فليس له شبهه يقاربه      من منزلٍ حاضر إن شئت أو بادِ  
ترى قراقره والعيس واقفةً      والضَّبُّ والنون والملاح والحادي

### [ ذكر البصرة ]

والبصرة اختطها عُتْبَةُ بنَ غَزْوَانَ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعُتْبَةُ بدرى مهاجرى ، بناها سنة أربع عشرة من الهجرة فرتب موضع منها فوجد الكدّان ، وهى الحجاره الرخوة فقال : هذه البصرة ، انزلوها بسم الله ، فسميت لذلك البصرة ، واختطت الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة فى المحرم ، وكسرت البصرة فى أيام خالد القسرى فوجد طولها فرسخين فى مثلهما والكوفة ثلاثا . وأما فى أيام المنصور فقسّم على مَنْ يستوجب العطاء من أهل البصرة ألف ألف درهم ، فأصاب كلّ رأس درهمين .

ولأهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لأحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم : النخل والشاء والحمام ، أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم بإصلاحه ، وفيها من أصناف النخل ما ليس فى بلد من البلدان ، وأما الشاء المعبدية فقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عبد القيس ، فقال : يا رسول الله إني رجل أحبّ الشاء ، فدفع له فخلا من المعز فقبض بيده على أصل أذنه ، حتى استدارت أصابعه ، فصار فى أذنه كالسمة فسار إلى بلده فأطرقه شاءه ، فحُمِلت إلى البحرين ، فتناسلت هناك فليس فى البحرين شاة كريمة إلا وفى أذنها سمة كالحلقة ، فيذالى بها لتلك العلامة حتى تبلغ الشاة منها خمسين دينارا ، وتعقد بالبصرة عقودها ، وفيها شاة لبنى فلان أمها فلانة ، وأبوها تيس بنى

فلان ، مقدار حلبها بالغداة والعشي كذا . وحمامهم بلغت في الهداية أن جاءت من أقاصى بلاد الروم ومن مصر إلى البصرة وينتهي ثمن الطائر منها إلى تسعمائة دينار، وتباع بيضتها بعشرين ديناراً، وكل ما وصف في المقامة موجود في البصرة، وأما سعد على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه منبرها خطب وقال في آخر خطبته : يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة، ويا أتباع البهيمة، دعا فاتبعتم، وعمر فانهزتم، أما إنى أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرض يقال لها البصرة، أقوم الأرضين قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، ومتصدقها أكثر الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة منها إلى قرية يقال لها الأبله أربع فراسخ، يسقشده عند مسجدتها سبعون ألفاً، الشهيد منهم كالشهيد في يوم بدر . فبنى الحريري في مدح البصرة على هذا الحديث، وإنما ختم كتابه بذكر البصرة وأهلها لتقوى مفاخرهم، ومفاخر بلدكم في البلدان فيلهجون بالمقامات ويقدمونها على غيرها .

قوله : شأن ، أى عداوة . دهاؤكم : جماعاتكم ، والدهاء معظم الناس وأكثرتهم . والدّه : العدد الكثير . عابدكم : زاهدكم . كالحسن البصرى ومحمد ابن سيرين وغيرهما . الخليقة ، أى أخوف الناس من الله تعالى . علامة : كثير العلم .

### [ ذكر أبى الأسود ]

ومستنبط علم النحو هو أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل ابن سفيان أحد بنى الدليل من كنانة ، وهو يمدّ في التابعين والحدّثين والشعراء والبخلاء والنحويين ، ويمدّ في العُرج والمفاليج والبُخُر ، شهد مع على رضى الله عنه صيغتين ، وولى البصرة لابن عباس رضى الله عنهما ، وكان من شيعة على

وكانت امرأته عثمانية ، وكان أصحابه لا يزالون يردون عليه قوله في عليّ ،  
فقال فيهم :

يقول الأردلون بنو قشِيرٍ      طوَالَ الدَّهرِ لا تنسى عليًّا  
فقات لهم وكيف يكون تركي      من الأعمال ما يعصى عليًّا  
أحبَّ محمداً حباً شديداً      وعباساً وحمزة والوصيا  
بنو عمّ النبي وأقربوه      أحبُّ النَّاسِ كلَّهمُ إليًّا  
فإن يك حبهم رشداً أصبه      ولست بمخطيء إن كان غيًّا

ولم يشك أبو الأسود أنه رشد ، وعلى هذا تأويل قوله تعالى : ( وإنا أو إياكم  
لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) .

ومن بخله أنه كان يقول : لا تجاودوا الله فإن الله أجود وأمجّد ، ولو شاء  
الله أن يوسّع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل . وكان يقول لولده :  
إذا بسط الله لك فى الرزق فانبسط ، وإن قبضه فانتبض .

ومرّ برجل وهو يقول : من يعشى هذا الجائع؟ فأدخله وعشاه حتى شبع ،  
ثم ذهب السائل ليخرج ، فقال له : أين تذهب؟ فقال : لأهلى فقال : لا أدعك  
تؤذى المسلمين بسؤلك ، اطرحوه فى الأدم ، فبات عنده مكبولا حتى أصبح .

وكتب إلى رجل يستسلفه فكتب إليه الرجل : المؤنة كثيرة ، والفائدة  
قليلة ، والمال مكذوب ، فراجعه أبو الأسود : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا ،  
وإن كنت صادقا فجعلك الله كاذبا .

وقال الخليل : كان أبو الأسود ضنينا بما أخذه من عليّ رضى الله عنه ،  
وذلك أنه سمع لحنًا فقال لأبى الأسود : اجعل للناس حروفاً ، فأشار إلى الرفع  
والنصب والحفض .

وقال له زياد : قد فسدت السنة الناس ، لأنه سمع رجلا يقول : سَقَطت عصاتي ، فدافعه أبو الأسود .

وسمع رجلا يقرأ ( أن الله يرى من المشركين ورسوله ) نخفص ، فقال : ما بعد هذا شيء ، فقال له : ابغني كتابا يفهم ، فحجىء برجل من عبد القيس ، فلم يرضه فهمه ، فأتى بأخر من قريش ، فقال له : إذا رأيتني قد فتحت في الحرف فانتظ نقطة على أعلاه ، وإذا ضمنت في فانتظ نقطة بين يديه ، وإذا كسرت في فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإذا أشربت ذلك غنة ، فاجعل النقطة نقطتين ، فهذا نقط أبي الأسود .

واختلف الناس إليه يتعلمون العربية ، وفرع لهم ما أصله فأخذه جماعة كان أبرعهم عنبة بن معدان المهري يقال له الفيل ، فأقبل الناس عليه بعد موت أبي الأسود ، فبرع من أصحابه ميمون الأقرن ، فرأس في الناس وزاد في الشرح ، فبرع من أصحابه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، فبرع في النحو وتكلم في الهمز ، وأملى فيه كتابا ، وأخذ أبو عمرو بن العلاء عن أخذ عنه ، ثم نجم من أصحاب أبي عمرو عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب وأبو الخطاب الأخفش ، فألف عيسى كتابين سمي أحدهما الكامل والآخر الجامع ، قال المبرد : فأخذ الخليل عن عيسى ، فلم يكن قبله ولا بعده مثله ، وهو القائل يمدح كتابي عيسى :

بطل النحو الذي جمعت  
غير ما أحدث عيسى بن عمر  
ذاك إكمال وهذا جامع  
وهما للناس شمس وقر

قال أبو العباس : وقد قرأت أوراقا من أحدهما فكان كالإشارة إلى الأصول ، ثم أخذ عن الخليل جماعة لم يكن فيهم مثل عمرو بن قنبر سيديويه ، ويكنى أبا بشر وأبا الحسن ، وهو من موالى بني الحارث بن كعب فألف كتابه الذي سماه قرآن النحو ، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل .

وأبو الأسود من سكان البصرة .

### [ الخليل مخترع علم العروض ]

ومستنبط : مستخرج ، والذي استنبط العروض هو الخليل ، وذكرة  
بعض العروضيين فقال : للخليل في العروض حكمة مخترعة ، وسابقة مبتدعة ،  
تبين بذلك فضله ، وظهر تقدمه لأنه لم يتبع فيما وضعه أثراً موجوداً ، ولا اقتفى  
فيه رسماً مرسوماً ، واهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا أوجد مزيداً عليه  
المتأخرون . ولولا الخليل لم يُعْلم صحيح الشعر من كسیره ، ولا سقيمه من عليه ،  
وفي حصره لجميع أوزان العرب في خمس دوائر أعظم العجب لمن تدبر  
حاصنع وفهم .

وكان الخليل يجب أن يرى عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يجب ذلك ،  
فجمعهما عبّاد المهابي ، فتحدثا ثلاثة أيام ولياليهن ثم افترقا ، فقيل للخليل :  
كيف رأيت عبد الله ؟ فقال : مارأيت مثله قطّ وعلمه أكثر من عقله . وقيل  
لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : مارأيت مثله قطّ وعقله أكثر من  
علمه ، وصدقا في ذلك ، أدّى عقل الخليل إلى أن مات وهو أزهّد الناس ، وجّهل  
ابن المقفع أرداه ، فكتب كتاباً لعبد الله بن عليّ على المنصور ، فقال فيه ما كان  
مستغنياً أن يقوله ، ولا يحتمل الأمراء دون الخلفاء مثله ، فقال فيه : ومتى غدر  
أمير المؤمنين بعّمه عبد الله بن عليّ ، فنساؤه طواق ودواية حوابس ، وعبيده  
أحرار ، والمسلمون في حلٍّ من بيعته ، فاشتد ذلك على المنصور وكتب إلى  
أمير البصرة أن اقتل عبد الله بن المقفع فقتله .

وقال ابن المقفع إن أكرمك الناس لمالٍ أو لسلطانٍ فلا يعجبك ذلك ،  
فإن زوال الكرامة بزوالهما ، ولكن ليعجبك إن أكرموك لأدبٍ أو دين .  
واتخذ عبّاد المهابي أَرْضاً فأراد غرسها ، فلأمه أصحابه وقالوا : هي سبخة

فأشار عليه الخليل بفرسها ففرسها ، فجاءت بكل شيء حسن ، فحمل إليها الخليل فاستحسنها ، وقال :

ترفعت عن ندى الأعماق وانخفضتُ  
عن المعاطش واستغنت بسقميها  
فقال بالخوخ والرمان أسفلها  
واعتم بالنخل والزيتون أغلاها  
وصار يغبطه مَنْ كان يمدُّهُ  
ولائم لأمه فيها تنأها  
أبامعاوية اشكر فضل واهبها  
وكلم جنتها فاعمر مُصلاها  
وله :

عش ما بذاك قصرك الموتُ  
لامهربٍ منه ولا قوتُ  
بيننا غنى بيت وبهجته  
زال الغنى وتقوُّض البيت

وتوفى الخليل سنة سبعين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة وتقدمت أخباره في الأربعين فلتنظر هناك .

قوله : اخترعه ، أى أوجده قبل أن يكون . مصر ، أى بلد . وقوانين : طرق مستقيمة . التعريف : حلق الرأس بعد يوم عَرَفة . قرت المضاجع : نام الناس فيها . جمع : نام . نعر : سنّ وأراد به بياض الصبح . بَرَّغ : صدع وظهر . النَّقْل : الحديث : المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم . واهًا : عجبًا . عفا : دَس . شفا : طَرَفَ وشيء قليل ، وشفا كل شيء حدّه وطَرَفه .

\* \* \*

ثمّ إته خزن لسانه ، وخطم ييانه ؛ حتى حُدِج بالأبصار ، وقرف بالإقصار ، ووَسِم بالاستقصار ، فتنفّس تنفّس مَنْ قِيدَ لِقُود ، أو صَبَّتْ به برائِنُ أسد ، ثم قال : أمّا أتم يا أهل البصرة ، فما منكم إلاّ العَلَمُ المعروف ، ومَنْ له المَعْرِفَةُ والمعروف . وأمّا أنا فمَنْ عَرَفَنِي



فَأَنَا ذَاكَ ، وشرُّ المعارف مَنْ أذاك ، وَمَنْ لَمْ يُثَبِّتْ عِرْفَتِي ،  
فَسَأَصْدُقْهُ صِفَتِي .

أنا الذي أنجّد وأتّم ، وأَيَمَنَ وَأشامَ ، وَأَصْحَرَ وَأَبْجَرَ ، وَأُدْجَ  
وَأَسْحَرَ ، نَشَأْتُ بِسُرُوجِ ، وَرُيِّبْتُ عَلَى الشَّرُوجِ .

ثُمَّ وَجَلَّتْ الْمُضَاقِ ، وَفَتَحَتْ الْمُغَالِقِ ، وَشَهَدَتْ الْمَعَارِكِ وَأَلَنْتُ  
الْعَرَائِكِ ، وَاقْتَدَتِ الشَّوَامِسِ ، وَأَرْغَمْتُ الْمَعَاطِسِ ، وَأَذَبْتُ الْجَوَامِدِ ،  
وَأَمَعْتُ الْجَلَامِدِ .

\* \* \*

خزن : حبس . خَطَمَ : زَمَّ ، وَالخَطَامُ حَبْلٌ : يَشُدُّ عَلَى أَنْفِ الْبَعِيرِ . حَدَجَ :  
نَظَرَ إِلَيْهِ بِحَدَّةٍ . قُرِفَ : اتَّهَمَ ، وَقَرَفَتْهُ بَشْرٌ . رَمَيْتَهُ بِهِ : الْإِقْصَارُ الْعَجْزُ .  
قَوْدٌ : قَتَلَ نَفْسَ بِنَفْسٍ . صَبَّيْتُ : عَلَّقْتُ . بَرَّانٌ : أَظَاهِيرُ . الْعِلْمُ . الْمَشْهُورُ  
بِالْفَضَائِلِ ، وَالْمَعْرُوفُ لِلثَّانِي : الْعِطَاءُ . أَمْجَدُوا اتَّهَمَ : أَتَى نَجْدًا وَتَهَامَةً . أَيَمَنَ  
وَأَشَامَ : أَتَى الْيَمِينَ وَالشَّامَ . أَصْحَرَ وَأَبْجَرَ : مَشَى فِي الصَّحْرَاءِ وَالْبَحْرِ . أُدْجَ  
وَأَسْحَرَ : مَشَى بِاللَّيْلِ وَالسَّحَرِ . نَشَأْتُ : كَبَّرْتُ . وَجَلَّتْ : دَخَلَتْ . الْمَعَارِكِ :  
مَوَاضِعُ الْقِتَالِ . الْعَرَائِكِ : الطَّبَائِعُ الصَّعْبَةُ . الشَّوَامِسِ : الشَّوَارِدُ الَّتِي تَأْتِي  
الْإِقْيَادَ . أَرْغَمْتُ الْمَعَاطِسِ : أَذَلَّتِ الْأَنْوْفَ . أَمَعْتُ الْجَلَامِدَ : أَسَلَّتِ الْمِيَاهُ  
مِنَ الْجِنَادِلِ الْعَمِّ .

\* \* \*

سَلُّوا عَنِّي الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَالْمَنَاسِمَ وَالْمَعْوَارِبَ ، وَالْمَحَافِلَ  
وَالْجَحَافِلَ ، وَالْقَبَائِلَ وَأَنْقَابِلَ ، وَاسْتَوْضِحُونِي مِنْ تَقَلُّبِ الْأَخْبَارِ ، وَرُؤَاقِ  
الْأَسْمَارِ ، وَحُدَاةِ الرُّكْبَانِ ، وَحُذَاقِ الْكُهَّانِ ، لَتَعْلَمُوا كَمْ فَجَّحٌ  
( م ٢٣ - شرح مقامات الحريري ج ٥ )

سَلَكْتُ، وَحِجَابٍ هَتَكْتُ، وَمَهْلَكَةٌ اقْتَحَمْتُ، وَمَلْحَمَةٌ أَلْحَمْتُ،  
وَكَمْ أَلْبَابٍ خَدَعْتُ، وَبِدْعٍ ابْتَدَعْتُ، وَفُرْصٍ اخْتَلَسْتُ، وَأَسَدٍ  
اِفْتَرَسْتُ؛ وَكَمْ مُحَلَّقٍ غَادَرْتُهُ لَقِيَّ، وَكَامِنٍ اسْتَخْرَجْتُهُ بِالرُّثْقَى، وَحَجَرٍ  
شَحَذْتُهُ حَتَّى انْصَدَعَ، وَاسْتَنْبَطْتُ زُلَالَهَ بِالْخُدَعِ، وَلَكِنْ فَرَطُ  
مَافَرَطُ، وَالْغُصْنُ رَطِيبٌ، وَالْفَوْدُ غَرِيبٌ، وَبُرْدُ الشَّبَابِ قَشِيبٌ؛  
فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اسْتَشَنَّ الْأَدِيمَ، وَتَأَوَّدَ الْقَوِيمَ، وَاسْتَنَارَ اللَّيْلُ الْبَهِيمَ؛  
فَلَيْسَ إِلَّا النَّدَمُ إِنْ نَفَعَ، وَتَرْقِيعُ الْخُرْقِ الَّذِي قَدْ اتَّسَعَ.

\* \* \*

النَّاسِمُ : أخفاف الإبل . الفَوَّارِبُ : متقدم ظهورها . المحافل : الجوع .  
الجحافل : الجيوش . القنابل : جماعة الخيل واحدها قُنْبَلَةٌ . استوضحوني :  
اطلبوا بيان أمرى . الأسمار : الأحاديث بالليل يُسَمَّرُ عليها . الخدأة : خدام  
الإبل . فيج : طريق في الجبل . سلكت : دخلت . هتكت : خرقت .  
مهلكة : موضع خوف يهلك فيه الناس . اقتحمته : تراميت فيه . ملحمة :  
مواضع الحرب الشديدة يلتصم فيها أهلُ المسكرين ويلتصق بعضهم ببعض .  
ألحمت ، أى أوقدت النار بينهم حتى التصقوا وصاروا لحمًا واحدة ، وذلك أشدَّ  
ما يكون الحرب . ألباب : عقول . بدع : جمع بدعة ، وهو الشيء المبدع .  
اختلسها : أخذتها بسرعة واختطفها . محلق : طائر في الهواء . لقي : مطروحاً  
على الأرض . و كامن : مستور . شحذته : صقلته . انصدع : انشق ، وأراد  
بالحجر بخرقاً لا يرشح بشيء كاللحجر ، فتحليل عليه حتى أخذ ماله . استنبطت :  
استخرجت . زلاله : ماء العذب الصافي ، أراد أخذت ماله . فرط مافرط ،  
أى سبق ماسبق . رطيب : ناعم ، وغصنه : قامته . والفود : ناحية الرأس .  
غريب : أسود . برد : ثوب . قشيب : جديد . استشن الأديم : بلس الجلد ،

والشنّ : القربة البالية اليابسة . تأود القويم : اعوجّ المعتدل . استنار : أضاء  
وشاب . الليل البهيم : الشعر الأسود . وقال الشاعر في معنى استشنّ الأديم :

يأمنُ لشيخٍ قد اتخذَ الحُمةَ      أفنى ثلاثَ عمائمَ السَّوانَا  
سَوَدَاءَ حالِكَةٍ وسحقٍ مَفوفٍ      وأجدلونا بعد ذلك هجانَا  
قصر اللبالي خطوه فتداني      وحَنُونٍ قائمٍ صُلبه فتحاني  
والموت يأتي بعد هذا كلّه      وكأنما يعني بذاك سوانَا

وقال ابن الرومي في استنارة الليل :

فجار على ليل الشباب فضامه      نهارٌ مشيبٌ مرمدٌ ليس ينفد  
وعزّاك عن ليل الشباب معاشرُ      وقالوا نهار الشيب أهدى وأرشدُ  
وكان نهار المرء أهدى لرشدِه      ولكنّ ظلّ الليل أندى وأبرد

وأنشد الزاهد ابن عمران قول الشاعر :

لم أقل للشباب في كنف الله ولا حفظه غداةً استقلّاً

فزاد بعد استقلا :

لا ولا المشبّب لآ بدالى      مرحباً بالمشيب أهلاً وسهلاً  
مؤذن بالحمام هذا وذاكم      سوّد الصحف بالذنوب وولّى

وأحسن ما قيل في ذم خضابه قول ابن الرومي :

رأيتُ خضاب المرء بعد مشيبه      حداداً على قَعْدِ الشيبَةِ يلبسُ (١)  
وإلا فما يفري الفتى بخضابه      أيطمع أن يخفى شبابٌ مدلسُ  
وكيف بأن يخفى المشيب لناظر      وكلّ ثلاث صُبْحُه يتنفس  
وهبه يوارى شيبه أين ماؤه      وأين أديمٌ للشيبَةِ أملسُ

(١) ديوانه

وقال محمود الوراق :

يا خاضبَ الشيبَةِ نَحْ قَدِّهَا      فَإِنَّمَا تَدْرُجُهَا فِي كَفَنٍ  
أَمَا تَرَاهَا مِنْ ذَعَائِنَهَا      تَزِيدُ فِي الرَّأْسِ بِنَقْصِ الْبَدَنِ

قوله : ليس إلا القدم . ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من أذنبَ ذنباً أو أخطأ خطيئة فندم كان كفارة لما صنع .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ونور السموات  
والأرض وإن لكم من الله نظرة » .

كتب عبد الملك إلى الحجاج يتوعد على بن الحسين ويكتب إليه بما يقول  
ف فعل ، قال : إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم مائة لحظة ، ليس منها  
لحظة إلا يُخَبِّرُ فيها وميمت ، ويُعَرِّزُ ويُبَدِّلُ ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن  
يكفئك الله منها بلحظة واحدة ، فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك .

وكتب ملك الروم إلى عبد الملك : أكلت الجمل الذي ركب عليه أبوك  
من المدينة لأعزيتك جنوداً مائة ألف ومائة ألف ، فكتب إليه عبد الملك بكلام  
على قال ملك الروم : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

\* \* \*

وكنْتُ رُوِيْتُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُسَنَّدَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَعْتَمَدَةِ ، أَنَّ لَكُمْ  
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةَ ، وَأَنَّ سِلَاحَ النَّاسِ كُلِّهِمُ الْحَمِيدُ ،  
وَسِلَاحَكُمْ الْأَذْعِيَّةُ وَالتَّوْحِيدُ ، فَقَصِدْتُكُمْ أَنْضَى الرَّوَاحِلِ ، وَأَطْوَى  
الْمَرَاكِحِ ؛ حَتَّى قَمْتُ هَذَا الْمَقَامَ لَدَيْكُمْ ، وَلَا مَنَّ لِي عَلَيْكُمْ ؛ إِذْ مَاسَعَيْتُ  
إِلَّا فِي حَاجَتِي ، وَلَا تَعَبْتُ إِلَّا لِإِرَاحَتِي ، وَلَسْتُ أَبْنِي أَعْطَيْتَكُمْ ، بَلْ  
أَسْتَدْعِي أَدْعِيَّتَكُمْ ، وَلَا أَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ؛ بَلْ أَسْتَنْزِلُ سُؤَالَكُمْ .

فادعوا الله بتوفيق المعتاب ، والإعداد للمآب ، فإنه رفيع الدرجات ،  
مُجيب الدعوات ، وهو الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عن عباده ويُفْعُو عن  
السيئات . ثم أنشد :

أُفْرطتُ فِيهِنَّ وَاعْتَدَيْتُ	أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ذُنُوبٍ
وَرَحْتُ فِي النِّعَى وَاعْتَدَيْتُ	كَمْ خُضْتُ بِمَجْر الضَّلَالِ جَهْلًا
وَاخْتَلْتُ وَاعْتَلْتُ وَاقْتَرَيْتُ	وَكَمْ أَطَمْتُ الْهَوَى اغْتِرَارًا
إِلَى الْمَعَاصِي وَمَا وَنَيْتُ	وَكَمْ خَلَمْتُ الْعِذَارَ رَكْضًا
إِلَى الْخَطَايَا وَمَا انْتَهَيْتُ	وَكَمْ تَنَاهَيْتُ فِي التَّخَطُّي
نَسِيًّا وَلَمْ أَجْنِ مَا جُنَيْتُ	فَلَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ هَذَا
مِنْ الْمَسَاعِي الَّتِي سَمِعْتُ	فَالْمَوْتَ لِلْمَجْرِمِينَ خَيْرٌ
لِلْعَفْوِ عَنِّي وَإِنْ عَصَيْتُ	يَارِبُّ عَفْوًا فَأَنْتَ أَهْلٌ

\* \* \*

أنفى الرواحل : أهزل الإبل . أطوى المراحل : أقطع الأرض مجتهداً ،  
وأرد المرحلتين والثلاث مرحلةً واحدة . من : إحسان . أبني : أطلب . الأغطية  
والأدعية : اسم لما يعطى ولما يدعى . استنزل : أطلب بتلطف . سؤالكم :  
طلبكم التوبة لي من الله تعالى . والمآب : الرجوع . يفعو : يمحو ، وعفا الله عنك :  
درس ذنوبك ومحاها ، من عفا المنزل : درس وانمحت آماره . وقال ابن المعتز :

كنت في سفرة البطالة والغي زماناً فخان مني قدوم  
تُبْتُ عن كلِّ مَأْثِمٍ فمَسَى يُعْجَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ذَلِكَ الْقَدِيمُ

وله :

الله يعلم ما إنمَّ هَمَّتْ بهِ      إلا ونَقَصَه خوفي من النارِ  
وإنْ نَفْسِي ما هَمَّتْ بِمَصِيئَةٍ      إلا وقلبي عليها عائبٌ زارِي

آخر :

تطالبني نفسي بما فيه صوتها      فأغضى ويسطو توقها فأطيعها  
ووالله ما يخفى على ضلالها      ولكنها تأتي فلا أستطيعها

قوله : أفرطت ، أى ضيقت . اعتديت : ظلمت نفسي ، قال داود الطائي :  
ما أخرج الله عبداً من ذلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعة إلا وأغناه بغير مالٍ ، وآسنه  
بغير أهلٍ ، وأعزّه بلا عشيرة . خضت : جُزْتُ الغيُّ الضلال . اغترار :  
الخداع . اختلت : تكبرت ومشيت تحيلاً ، واغلت : أهلكت ، والغيلة :  
القتل بالخداع ، وغالم : قتلهم غيلةً . افتريت : كذبت . خلعت العذار :  
أزلت لجامَ الدين الذي يسكني ، وتسيبت في المعاصي . ركضا : جرياً ووثباً .  
وفيت : فترت وقصرت في الجري إليها . تناهيت : أى بلغت النهاية ، وهى  
آخرُ الشيء : التخطي . الجواز والقطع ، وتخطيت الشيء : جزته ، والخطايا:  
الذنوب ، وهى من الخطأ لأنَّ فاعلها مخطيء بفعلها . والنسي : الشيء المنسى  
لخارته لا يخطر ببالك فتنسأه . أجن : أكتسب . المساعى : جمع مسعاة ، وهى  
السعى والمشى الكديد ، والمساعى أيضاً : المواضع التى يسعى فيها ، أى يمشى  
بكد ، وقال حبيب :

أخاف إلهي ثم أرجو نواله      ولكنْ خوفي غالبٌ لرجائياً  
ولولا رجائي واتكالى على الذى      تكفل لي بالصنع كهلاً وناشياً  
لما ساغ لي عذبٌ من الماء بارد      ولا لذى نومٍ ولا زلت باكياً  
على أنه قد كان مني جهالةً      ليالى فيها كنتُ لله عاصياً



قوله : فطِفَّتْ ، أى أخذت وجملت . تمدّه بالدعاء ، أى نَصَلْ دعاءها بدعائه، وقول : امددته بالمال، إذا قَوَيْتَهُ به، ومددته بالجيش . رَجَفَانَهُ : اهتزازهُ، ورجف الشيء : تحركهُ، والرجفة : اهتزازُ الأرض . بانت : ظهرت . انجابت : انكشفت وزالت . غشاوة الاسترابة : غطاء الشك . رَضَخَ : أعطى . مسوره : ما تيسر له . وعضو برهم : فضل إحسانهم . يهرف : يكثر الكلام ويُطْنِبُ في الشكر . انحدر : انصب . يؤمّ : يقصد . شاطيء : ساحل . اعتقبته : تبعته . تخالينا : صرنا في خلوة من الناس . التجسس : طلب الشيء باليد ، وقيل : التجسس : طلب الشيء بالكلام . والتجسس : طلبه باليد، ثم قد يقع كل واحد منهما موقع صاحبه . ابن الأنباري : تجسس الرجل وتحمّس بمعنى واحد ، هذا إجماع أهل اللغة . وفرق بينهما يحيى بن أبي كثير، فقال : التجسس البحث عن عورات الناس والتجسس الاستماع لحديث القوم . ابن الأنباري : الجاسوس : الباحث على أمور الناس . النوبة : الدولة . إيضاحاً : بياناً . المريب : صاحب الريبة . المنيب : الراجع إلى الله بتوبته . الخاضع : هو الخاضع . صفت : مالت .

\* \* \*

فلم أزل أعاني لأجله الفكر ، وأنشوفُ إلى خيرة ما ذكر . وكلما استنشيتُ خبره من الركبان ، وجوابة البلدان ، كنتُ كمن حاور عجماء ، أو نادى صخرة صماء ، إلى أن لقيتُ بعد تراخي الأمد ، وتراقي الكمد ركبا قافلين من سفر ، فقلتُ : هل من مغرّبة خبر ؟ فقالوا . إن عندنا خبراً أغرب من العفاء ، وأعجب من نظر الزرقاء .

\* \* \*

أعاني : ألقى . أنشوف : أتطلع . خيرة : اختبار . استنشيت : استطلعت ، وأصل معناه شممت . جوابة : قطعة . وجوالة أى الذين عادتهم الجولان في



بالبلاذ . حاور : كَلَمْ . عَجَبَاءَ : بهيمة، والمحاورة : المراجعة في الكلام . تراخى :  
طُول المدة . الكمد : مُصاحبة الهمّ والحزن . ركبا : أصحاب الإبل . قافلين :  
راجحين من سفر . مغرّبة ، أى هل عندكم من حديث غريب . والمنقاء ، قال  
ابن عباس رضى الله عنه : هو طائرٌ فُضِّلَ به بنو إسرائيل ، فانتقل بعد يوشع  
إلى بلاد قيس عيلان بنجدٍ والحجاز ، فأذى الولدان ، فشكوا ذلك إلى خالد  
ابن سنان - وكان نبياً بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام - فدعا الله أن  
يَقْطع نَسْلَهَا فبقيت صورتها تصوّر في البسط ، وكان أجمل طائر وأعظمه ،  
ووجهه على هيئة وجوه الناس . وقال أهل الرواية : عنقاء مُغْرِب ، إنما هو  
الأمير العجيب . والعنق : السرعة ، وذكرت عجائب البلدان بمجلس الراضى ،  
فقال قائل : أَعْجَبُ ما فى الدنيا طائر بأرض طبرستان على شاطئ الأنهار شبيه  
بالباشق ، يسمّى الكلم ، وهو يصبح فى فصل الربيع فتجتمع إليه المصافير ،  
وصغار الطير ، فتزقّه ، فإذا كان آخر النهار أخذ واحداً مما قرب من الطير  
فياً كله ، فذلك فعله إلى أن ينتضى فصل الربيع ، فتجتمع إليه المصافير وصغار  
الطير فتطرده وتضربه ، فيفترّ منها فلا يسمع له صوت إلى الفصل الربيعى . وهو  
طائر حسن ، موثى العينين .

وذكر الجاحظ أنه من عجائب الدنيا ، وذلك أنه لا يطأ الأرض بقدميه ،  
بل يأحداها خوفاً على الأرض أن تنخسف من تحته ، والثانى دودة تُضِيءُ  
بالليل كالشمع ، وتصير بالنهار لها أجنحة خضراء ، وبالليل لا جناحين لها ، غذاؤها  
التراب ، لم تشع قط منه خوفاً أن يفتى التراب فتصوت جوعاً ، والثالث أعجب  
من الطائر ، والدودة من يكرى نفسه للقتال ، يعنى المستزقة من الجند ، فاستحسن  
الخبر من حضر ، فقال الراضى معارضاً لما ذكر الجاحظ أن أعجب ما فى الدنيا  
ثلاث : البوم ، لا تظهر بالنهار خوفاً أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ، فظهر  
بالليل ، والثانى الكركى لا يطأ الأرض بقدميه معاً بل يأحداها فإذا وطئها

لم يعتمد عليها اعتماداً قوياً خوفاً من أن تنخسف الأرض بثقله ، الثالث الطائر الذي يقعد في مشارق الماء من الأنهار الذي يُعرَف بملك الحزين ، يشبه السكركي لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشاً . فافتق أهل المجلس والكل متعجبون من الراضى كيف تأتي منه مثل هذه المذاكرة مع مَنْ حضره من أهل السنّ والمعرفة مع صِغَر سنه . والحكاية بكاملها في كتاب المسعودى .

### [ الزرقاء ]

وأما الزرقاء فكانت تُبصر على مسيرة ثلاث ليال ، وكانت من جدّيس ابن عاصم بن إرم بن سام بن نوح ، وكان مع جدّيس طُسم بن لاوذ بن إرم ، وكانت مملكتهم في طُسم ، وكانوا يسكنون اليمامة ، وها من العرب العاربة فأقاموا بُرْهة ، وبلادهم أفضل البلاد ، حدائق ملتفة ، وقصور مصطفة ، فكفروا بأنهم الله فأهلكهم ، وذلك لأنهم ملكهم مُملوق بن طُسم ، وكان غشوماً لا يملك نفسه في هواه ، فاختصمت إليه امرأة من جدّيس اسمها هزيلة مع زوجها في ابن لها ، فأمر بالولد فجعل في غلمانه ، وأمر بالزوج أن يُباع وتُعطى المرأة عُشر ثمنه ، وبالمرأة أن تباع ويُعطى الزوج خمس ثمنها ، قتلت هزيلة :

أَتينا أبا طُسمٍ ليحكّم بيننا فأبدع حُكماً في هزيلة ظالماً

وهي أبيات ، فبلغه قولها ، فأمر ألاّ تزوج امرأة من جدّيس حتى تُحمل إليه قبل زوجها فيعتزرها ، فلقوا منه ذلاً طويلاً إلى أن تزوجت الشمس بنت غفّار أخت الأسود بن غفّار ، وكان سيّد جدّيس فلما كانت ليلة إهدائها حملت إليه ، والقيان معها يقُلن :

ابدأ بملوقٍ إليه فاركب وبادر الصّبح بأمرٍ معجبٍ

\* فما ليكر ببدكم من مذهبٍ \*

فلما افتضحها ، خرجت على قومها في دماؤها شاقّة جيبها من دُبر ومن أُقبل  
وهي تقول :

أصلح ما يؤتى على فتياتكم      وأنتم رجال فيكم عددُ الرَّمَلِ  
فإن أنتم لم تفضّبوا بعد هذه      فكونوا نساء لا تفرّ من الفحلِ  
فوَ أننا كُنّا رجالاً وكنتم      نساء لكننا لا نُقيم على الذلِّ

فأنفت جديس عند ذلك ، واجتمعت إلى أخيها الأسود ، وأجمعوا على  
أن يصنعوا لها طعاماً ، فيدعو عملاقاً مع قومه فإذا جاءوا في الخيل والبغال  
عمّوم بالقتل ، فقالت الشموس لأخيها : الغدر عار وعاقبه بوار، صبحوا القوم  
في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراماً ، فقالوا لها : المكّر أمكن من نواصيهم . ثم  
صنع لهم الطعام ودفنوا سيوفهم في الرمل ، فلما استكملوا في المدعاة أتوا عليهم  
أجمعين ، وهرب من طسم رياح بن مرة ، فأتى حسان بن تبع لينهره ، فاستبعدوا  
أرضهم ، وكان قد تُبّع لرياح كلبة ، فضربها في رجلها حتى عرجت ، فقال :  
أبميده أرض قطعها كلبة عرجاء ! فتجهز معه بجيش فلما صاروا من جديس  
على ثلاثة أيام ، صعدت الزرقاء على منارٍ كان لها لتنظر الجيش ، وكان رياح قد  
قال لهم : إن الزرقاء تُبصر على ثلاث ليال ، ولكن ليقطع كل رجلٍ منكم  
غصناً من شجر ، فيحمله لنشبه عليها ، فلما رأتهم ، قالت : يا قوم أتتكم الشجر  
أو أتتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أقسِمُ بالله لقد دبَّ الشجرُ      أو حمير قد أقبلت شيئاً تجرّ

فكذبوها ، وقالوا . كلّ بصرٍ كوضُف ، فقالت : أقسِمُ بالله لقد أرى رجلاً  
ينهس كيتفاً ، أو يُخَصِّفُ نعلاً، قتها ونوا بجديتها ، حتى صبّحهم حسان فاجتاحهم  
فأخذت الزرقاء ، فشق عينها فإذا فيها عروق سود من الإمد ، وكادت أول  
سن اكتحل به ، وهرب الأسود ، فنزل بطيئاً ، فسله فيهم ، وتسمى زرقاء

اليمامة ، واسم البلد جو ، فلما صُلِبَت على بابها ، سُمِّيت اليمامة ، وقيل : اليمامة اسم البلد ، واسم الزرقاء عَنز ، وقيل إن حساناً لم يصلبها ، ولكن حملها في السَّبِي ، وقالت عندما قُرِّبَ لها البعير لتركبه ، ولم تكن اعتادت ركوبه :

شَرَّ يَوْمِهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا رَكِبْتُ عَنزٌ بِجَدَجٍ جَمَّالًا

وقيل إن عنزاً هي أخت الزرقاء ، وقال الشاعر :

ما نظرت ذات أجفان كمنظرتها      حقاً كما صدع الدين الذي صدعا  
قالت أرى رجلاً في كفه كتفٌ      أو يخصف النعل له في أية صنعا  
فكذبوها فوافتها على مجلٍ      أقبال حمير تزجي الموت والشرعا  
فاستنزلوا أهل جَوْ من معاقلم      وهدموا شامخ البنيان فأنضعا

\* \* \*

فسألتهُم إيضاح ما قالوا ، وأن يكيِّلوا لي بما اكتالوا ، فحكوا  
أنهم ألموا بسروح ، بعد أن فارقها العلوج ، فرأوا أبا زيدها المعروف ،  
قد لبس الصوف ، وأم الصقوف وصار بها الزاهد الموصوف ،  
فقلت : أتعنون ذا المقامات . فقالوا : إنه الآن ذو الكرامات ، ففزني  
إليه النزاع ، ورأيتها فرصة لا تضاع ، فارتحلت رحلة المدة ، وسيرت  
نحوه سير المجد ، حتى حللت بمسجده ، وقرارة متعبده ، فإذا هو قد  
نبذ صحبة أصحابه ، وانتصب في محرابه ، وهو ذو عباة مخلولة ، وشملة  
موصولة ؛ فهبته مهاًبة من ولج على الأسود ، وألفته بمن سباهم في  
وجوههم من أمر الشجود . ولما فرغ من سبجته ، حياني بسبجته ،  
من غير أن نعم بحديث ، ولا استخبر عن قديم ولا حديث ، ثم أقبل

على أوزاده، وترَكِي أَعْجَبُ من اجْتِهَادِهِ، وَأَغْبَطُ مَنْ يَهْدِي اللهُ من عباده. ولم يزل في قُنُوتٍ وَخُشُوعٍ، وَسُجُودٍ وَرُكُوعٍ، وإِخْبَاتٍ وَخُضُوعٍ، إلى أنْ أَكْمَلَ إِمَامَةَ الْخُمْسِ، وصَارَ اليَوْمَ أَمْسٍ، فحينئذٍ انكفأ بي إلى بيته، وأَسْهَمَنِي في قُرْصِهِ وَزَيْتِهِ. ثم نهض إلى مُصَلَّاهُ، وتَحَلَّى بِمَنَاجَاةِ مَوْلَاهُ؛ حَتَّى إِذَا التَّمَعَ الْفَجْرَ، وَحَقَّ لِلْمَجْتَهِدِ الْأَجْرَ، عَقَبَ تَهْجُؤَهُ بِالتَّسْبِيحِ، ثم اضْطَجَعَ ضِجْعَةَ المُسْتَرِيحِ، وَجَمَلَ يَرْجَعُ بِصوتٍ فَصِيحٍ :

\* \* \*

قوله : يَكِيلُوا لي مَا أَكْتَالُوا، أَي يعطوني مَا أعطوا من العلم . المُوا : نزلوا . العُلُوج : الروم . أمّ : صار إماما . حفزني : عَجَّلَنِي . النزاع : الشوق . فرصة : غنيمة . المَعْدَّة : الكامل العُدَّة في السفر . قرارة : الموضع الذي يقرّ فيه . متعبده : موضع عبادته . نبذ : ترك . انتصب : قام ووقف . المحراب عند العرب : سيد المجالس ومقدّمها وأشرفها، وقيل للقبلة محراب لأنه أشرف موضع في المسجد، وقيل للقصر محراب لأنه سيّد المنازل . الأصمعيّ المحراب عندهم : العُرْفَةُ .

أحمد بن عبيد : المِحْرَاب : مجلس الملك ، سمي بذلك لانفراد الملك به لا يقربُه أحد ، ومُتَمِّي محراب المسجد لانفراد الإمام به ، ويقال فلان : حَرَبَ لفلان ، إذا كان بينهما مباحدة . عباءة : كِسَاء . مخلولة بالية مشدودة بالخلال والشَّالَةُ : الكِسَاء يُشْتَمَلُ به . موصولة ، يريد أنها خلنّه قد تقطعت فوُصِلَتْ وَجَلَّ : دخل . ألقيته : وجدته . سياهم : علامتهم حياتي بمسبحته ، أي بسبابته وقد تقدم ذكرها . نعم : تكلم بكلام خفيّ : والأوزاد : جمع وزد ، وهو النصيب من القرآن يقوم به الإنسان كلّ ليلة . أغبط : أحسد وأتمنى أن أكون مثله .

وسجود ور كوع: سجد الرجل إذا انحنى ومال إلى الأرض ، من قول العرب: سجدت الدابة وأسجدت، إذا خفضت رأسها لتركيب، ويقال: قنت الرجل ، إذا أخذ في التَّعْظِيم والدعاء لله تعالى ، والقنوت على أربعة أقسام: الطاعة كقوله تعالى: (كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ) والصلاة كقوله تعالى: (أَقْنِتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي)، وطول القيام ، كقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت والسكوت، كقول زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدهنا الذي يليه حتى نزل (وقوموا لله قانتين) فأمسكنا عن الكلام، قال أبو عبيدة: ترى أن القنوت في الضَّبْح سُمِّيَ قنوتاً لأن الإنسان قائمٌ في الدعاء من غير أن يقرأ القرآن، فكانه في سكوت. إخبار، أي تذل. انكفاً: انقلب. أسهمي ، أي أعطاني سهماً ، أي نصيباً. تهجده: قيامه للصلاة.

\* \* \*

خلٌ اذكار الأربَعِ	والمعهد المرتبع
والظايع المودع	وعدّ عنه ودع
واندبَ زماناً سلفاً	سودت فيه الصُّحفاً
ولم تزل مُتَكِفَا	على القبيح الشنيع
كم ليلة أودعها	مأتماً أبَدَعَهَا
لشهوة أظفها	في مرقدٍ ومضجع
وكم خطأ حشتها	في خزيرة أخذتها
وتوية نكثها	للملب ومرتع
وكم تجرأت على	ربّ السموات الملا
ولم تُراقبه ولا	صدقت فيما تدعي

وكم غمضت بره وكم أميت مكره  
 وكم تبذت أمره نبذ الحذا الرقع  
 ولم ركضت في اللعب وفهت عمدا بالكذب  
 ولم تراج ما يجب من عهد المتبع  
 فالبس شعار النديم واسكب شايب الدم  
 قبل زوال القدم وقبل سوء المصراع  
 واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف  
 واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع  
 إلام تشهو وتني ومُعظم العُمر فني!  
 فيما يضره المقتني وأست بالمر تدع  
 أما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط  
 ومن يلح وخط الشمط يفوده فقد نعي

\* \* \*

ادكار : تذكر . الأربع : المنازل . عمد : كف . دَع : اترك . اندب :  
 ابك . سلف : ذهب وتقدم . الصحف : الكتب . المعتكف : المقيم . الشنع :  
 الذي يتحدّث بعيه . أودعتها : أي ضمنها وجعلتها فيه . المآثم : الذنوب .  
 أبدعتها : اخترعتها . خطأ : جمع خطوة وهي الباع . حثمتها : عجلتها . خزي :  
 هوان . ونكثتها : نقضتها . مراتع : أكل رغد . تجرأت : تشجعت وأقدمت .  
 تراقيه : تحارسه وتخشى منه . غمضت : نقصت . بره : إحسانه . نبذت :  
 تركت . الحذاء : النعل . ركضت : جريت . فهت : انطلقت . تراج : تحفظ .

والعهد : الميثاق . شعار : ثوب يُدَصَّق بالجسد . اسكب : اسكب : صب .  
شأيب : دُفَع المطر ، واحدها شؤبوب ، فاستعارها للدم كما استعار الدم للدمع .  
للمصرع : موضع السَّقطة وصرعت : أسقطت . لُدَّ : الجأ . ملاذ : ملجأ . المقترف :  
المذنب . انحرف : مل . القلع : الذي يقلع عن المعاصي ويفارقها . تسهو :  
تخطئ . تنى : تفتت . فنى : تمَّ ، سَكَن الياء ضرورة . المقتنى : المكتسب .  
المرتدع : المنتهى الكاف عن شهواته . وَخَطَّ : فشا وانتشر ، والوخط : مخالطة  
بياض شيب الرأس بسواده ، والوخط في غير هذا الطَّعن غير النافذ . خَطَّ :  
كتب . خطط : طرائق . والشَّمط : اختلاط بياض الشيب بسواد الشعر .  
بغزده : بجانب رأسه . نعى : تحدَّث بموته ، وقال الألبيري :

الشَّيب نَبِيهَ ذَا النَّهْيِ فَتَذَبَّهَا      وَنَهَى الْجَهْلَ فَاسْتَفَاقَ وَلَا انْتَهَى  
بل زاد غياً نفسه فتهانتت      تَبَعَى الْأَهْمَا وَكَانَهَا بَيْنَ اللَّهِ  
فإلى متى ألهو وأفرح بالنعى      وَالشَّيْخَ أَقْبَحَ مَا يَكُونُ إِذَا هَلَا  
ما حسنه إلا التثقي لا أن يرى      صَبَّأَ بِالْحَاظِ الْجَاذِرِ وَالْمَهَا  
أنى يقانلُ وهو مفلول الطبأ      كَأَبِي الْجَرَى إِذَا اسْتَقَلَّ تَأَوَّهَا  
محق الزمانُ هلاله فكأنماً      أَبْقَى لَهُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ السُّهَا  
فعدا حسيراً يشتهى أن يشتهى      وَلَكَمْ جَرَى طَلِقَ الْجَمُوحِ كَأَشْتَهَى  
إن أن أواه وأجهش بالبكا      لَذَنُوبِهِ ضَحِكَ الْمَدُودِ وَقَهْمَهَا  
ليست تُنَمِّههُ الْعِظَاتُ وَمِثْلُهُ      فِي سَنَةٍ قَدِ انَّ أَنْ يَدَّهْنَهَا  
قد اللداتِ وزاد غياً بدم      هَلَا تَيْقِظُ بِمَدْمٍ وَتَدَبَّهَا  
يا ويحه ما باله لا يندتهى      عَنِ غِيَّهِ وَالْعَمْرُ مِنْهُ قَدِ انْتَهَى ا

\* \* \*



وَيُحَكِّ يَا نَفْسُ اِخْرِصِي      عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ  
 وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي      وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي  
 وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى      مِنَ الْقُرُونِ وَانْقَضَى  
 وَاخْشِي مُفَاجَاةَ الْقَضَا      وَحَازِرِي أَنْ تُخَدَعِي  
 وَاتَّهَجِي سُبُلَ الْهُدَى      وَادَّكِرِي وَشَكَ الرَّدَى  
 وَأَنَّ مِثْوَاكِ غَدَا      فِي قَعْرِ لُحْدٍ بَلْقَعِ  
 آهًا لَهُ بَيْتَ الْبَيْلَى      وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَ الْخَلَا  
 وَمُورِدَ السَّفْرِ الْأُولَى      وَاللَّاحِقِ الْمَتْبِعِ  
 بَيْتٌ يُرَى مِنْ أُودِعَهُ      قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتُودِعَهُ  
 بَعْدَ الْفِضَاءِ وَالسَّعَةِ      قِيدُ ثَلَاثِ أَذْرُعِ  
 لَا فَرْقَ أَنْ يُجْهَلَهُ      دَاهِيَةً أَوْ أَبْلَهُ  
 أَوْ مُعْسِرٍ أَوْ مَنْ لَهُ      مُلْكٌ كَمُلْكِ ثُبَعِ

\* \* \*

قوله : ارتياد ، أى طلب . المخلص : المنجى . عى : احفظى ، وهو أمر  
 للثؤنث من وعى يعى . اعتبرى : اتعلمى . القرون : الأمم السابقة : انقضى :  
 فرغ وتم . والقضاء هنا : الموت . ومفاجأته : إتيانه على غفلة . حاذرى : خافى .  
 انتهجى : استلكى وامشى فى نهج ، وهو الطريق البين . سبل الهدى : طرق  
 الرشاد . ادكرى : تذكرى . وشك الردى : سرعة الموت . ميثواك : موضع  
 إقامتك ، لأن الثوى والثواء : الإقامة . والثوى : الموضع الذى تقيم فيه . لحد :  
 شق فى جانب القبر . بلقع : خال . آها : كلمة توجع . مورد : موضع الماء .  
 ( م ٢٤ - شرح مقامات الحريري ج ٥ )

السفر: المسافرون . الأولى: الأولون المتقدمون، والألى: مقلوب الأول، تقول :  
 أولى وأول ككثيرى وكثير ، وأخرى وأخر ، ثم قلبوا الأول فقالوا: الأولى ،  
 وتأتى الأولى فى كلامهم بمعنى الذين موصولة وهى كثيرة ، يريد أن القبر  
 مورد للأولين والآخرين ، وسماه سفرأ ، لأن الإنسان فى الدنيا مسافر لا يقيم ؛  
 إنما يقطع أيامه ، وقال التهامى :

العيش نومٌ والمنية يقظة والمرء بينهما خيالٌ سارى  
 فاقضوا ما ربكم مجالاً إنما أعماركم سفرٌ من الأسفارِ

قيد : قدّر ، فإن قيل : كيف جعل القبر ثلاثة أذرع ، والذراع شبران ،  
 والقدر قدره ما بين تسعة أشبار إلى ثمانية؟ فأخبرنى الحاج ابن السقاط أن عندهم  
 بالشرق ذراعاً يسمونه المالكى ، يدرعون به ثيابهم وغيرها فيه من ذراع  
 اليد ذراع ونصف .

وقال أبو القاسم الزجاجى : الذراع الهاشمى ذراع وثلاث ، فى ثلاثة أذرع  
 بالهاشمى ثمانية فى ثلاثة أذرع بالهاشمى ثمانية أشبار ، وبالملكى تسعة أشبار ،  
 فأحدى الذراعين أراد .

وإنما نقل لفظ ثلاثة أذرع من قول عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: كيف بك إذا أنت مت ؟  
 فانتلق بك قومك ، فماسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ، ثم رجعوا بك  
 ففسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ، ثم يهيلوا عليك التراب  
 ويدفنوك ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتاناً القبر مُنكرٌ ونكيرٌ أصواتهما كالرعد  
 القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، يجران أشعارهما ، ويحييان التراب بأنياهما  
 فتلتلاك وترهتراك ، كيف بك عند ذلك يا عمر؟ قال عمر : ويكون معى مثل عقلى  
 هذا؟ قال : نعم ، قال : فإذاً أ كفيكما .

## [ ذكر تبع الأكبر ]

داهية : مجرب للأموار حاذق بها . أبله : عى كثير الغفلة . مُعْسِرٌ : فقير .  
تبع ، أراد به تَبَعًا الأكبر ، وهو الذى ذكر الله فى كتابه .

قال صاحب التيجان . اسمه شمو رعش بن ناشر النعم ، وسمى أبوه ناشر النعم لأنه أحيا مُلْك حير بعد أربعين عاماً ، وهى أيام مُلْك سليمان وسمى شمو رش تبعًا الأكبر ، وإن كانت العرب لم تسمَّ قبله تَبَعًا لأن العرب لم يتم لها أحفظ منه ، وكان يتجاوز عن مسيئهم ويحسن إلى محسنهم ، وكان جميع أهل الأرض شاكرين لأيامه ، وكان أعقل مَنْ رَأوا من الملوك وأعلام همة ، وأبعدهم غوراً ، وأشدهم مكرًا لمن حارب ، وغزا جميع ملوك الآفاق ، وقطع بيجوشه الأرض كلها شرقاً وغرباً . ثم رجع إلى قصر غمدان يدير ملك الأرض وذات له ملوكها وعمر زماناً طويلاً ، وهو أولُّ مَنْ أمر بصنعة الدروع السوانج ، جعل على أهل فارس ألف درع ، وعلى الروم ألف درع ، وعلى اليمن كذلك ، وعلى ممالكة كلها مثل ذلك فكانوا يَغْدُونَ عليه كل سنة بذلك العدد ، ولذلك قال أبو ذؤيب :

وعليه مسرودتان قضاها داود أو صنع السوانج تبعُ  
وقال ابن الكلبي : لم يملك الأرض كلها إلا ثلاثة أبرار ، وهم سليمان عليه السلام وذو القرنين وتبع ، وهو أسعد وأبو كرب . وثلاثة كُفَّار ، وهم النمرود وبختنصر والضحاك . وأبو كرب الذى ذكر هو تبع ، وكان مَلِكًا عظيمًا ، فتح البلاد ، وملك العباد ، وأقبل من اليمن يريد العراق فنزل الحيرة وحفر لهم نهراً ، وهو نهر الحيرة إلى سوقها ، وبعث إليه حسان فى جنده ليطوف الأرض ، فضى به حسان فى عسكر عظيم جرار ، لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ملك إلا قهره . وقيل فى تسمية ملوك اليمن تبابعة أنه لكثرة ما يقبض الملك منهم من الجنود . وقيل : سُمِّي تَبَعًا لأنه تبع من قبله . ولا بن سُكْرَةَ فى معنى بيت المقامة .

المجوع يطرد بالرغيف اليابس      فعلام تُكثِرُ حسرتي ووساويي  
والموت أنصف حين عدل قسمة      بين الخليفة والفقير البائس

\* \* \*

وَبَعْدُهُ الْعَرَضُ الَّذِي      يَمْحُو الْحَيَّ وَالْبَدِيَّ  
وَالْمَبْتَدِيَّ وَالْمُحْتَدِيَّ      وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِيَ  
فِيَا مَفَازِ الْمُتَّقِي      وَرَبِحَ عَبْدٌ قَدْ وَقِيَ  
سُوءَ الْحِسَابِ الْمُوْبِقِي      وَهَوَّلَ يَوْمَ الْفَرْجِ  
وَيَا خَسَارَ مَنْ بَنَى      وَمَنْ تَعَدَّى وَطَنِي  
وَسَبَّ نِيرَانَ الْوَعَى      لِمَطْمٍ أَوْ مَطْمَعٍ  
يَا مَنْ عَلَيْهِ الْمَسْكَلُ      قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلٍ  
لَمَّا اجْتَرَحْتُ مِنْ زَلَلٍ      فِي عُمْرِي الْمَضِيعِ  
فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمٍ      وَارْحَمْ بُكَاءَ الْمُنْسَجِمِ  
فَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمَ      وَخَيْرُ مَدْعُوِّ دُعِي

\* \* \*

قوله : وبعد العرض ، يريد عَرَضُ النَّاسِ للحساب . يمحى : يضم .  
الحي : المستحي . البدي : المتكلم بالفواحش . المحتدى : المتبع : الحاذي حذوه .  
رعى : ملك ، يريد أن العَرَضُ يَعْمُ النَّاسَ ، فيحتوى على العفيف والبدي ، وعلى  
الأغنياء والفقراء والملوك ورعيتهم ولا يتميز فيه أحد ولا يشرف إلا بعمل  
صالح . قوله : فيامفاز المتقى . المفاز : الخلاص . وقى : كفى . الموبق : المهلك .  
هول : خوف . بنى : ظلم . وتعدي : جاوز الحد في جوره . طنى : جاوز  
الحد في تكبره . شب : أوقد . الوعى : الحرب . وجل : خوف . اجترحت :

اكتسبت . زلل : خطأ . زفير : نفخ . والشهيق : رد النفس مع البكاء بصوت . ردّفه : خافه .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : فلم يزل يُردّدها بصوتٍ رقيقٍ ، ويصليها بزفيرٍ وشهيقٍ ، حتى بكيتُ لبكاءٍ عينيهِ ، كما كنتُ من قبلُ أبكي عليه . ثم برزَ إلى مسجده ، بوضوءٍ تهجده ، فانطقتُ ردّفه ، وصليتُ مع من على خلفه . ولما انفضَّ من حضر ، وتفرّقوا اشغَرَ بعرٍ ، أخذ يهينمُ بذرسيهِ ، ويسبِكُ يومه في قالبِ أمسيهِ ، وفي ضمن ذلك يُرنُّ إرناَنَ الرُّقوب ، ويبيكي ولا بكاءٍ يعقوب ، حتى استبنتُ أنه التَّحقُّ بالأفراد ، وأشربَ قلبه هوى الاثفِرَاد ، فأخطرتُ بقلبي عزمه الارتحال ، وتخلّيته والتخلّي بتلك الحال ، فكأته تفرّس ما نويت أو كوشيفَ بما أخفيتُ ، فزفر زفير الأواه ثم قرأ : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ؛ فأمجَلتُ عند ذلك بصدقِ المحدثين ، وأيقنتُ أن في الأمةِ محدّثين . ثم دنوتُ إليه كما يدنو المصافح ، وقلت : أوصني أيُّها العبدُ الصالح . فقال : اجعل الموتَ نُصبَ عينيكَ ، وهدافِراقَ بيني وبينك . فودّعته وعبرأتني ، يتحدّرن من المآقي ، وزفرأتني يتصدّعن من اللترّاقِ ، وكانت هذه خاتمة التّلاقِ .

\* \* \*

انفض : تفرق . شغَرَ بَعْر ، أى فى كل طريق وعلى كل جهة . يهيم : يرد  
كلامه خفياً لا يفهم . يسبك يومه فى قالب أمسه : استعارة ، أى يفعل فى اليوم  
ما فعل فى أمس . وفى ضمن ذلك ، أى فى أمثاله . يرنّ : بصوت . الرقوب :  
المرأة التى لا يمشى لها ولد . ولا بكاء يعقوب : يجوز رفع بكاء ونصبه والرفع  
أكثر . وبكاء يعقوب على يوسف عليهما السلام حتى عمى ، وهو قوله تعالى :  
« وَاَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » ، استقبت : تحققت . الأفراد : العباد ،  
يقال : فلان فرد فضله ، أى ليس له نظير ، والأفراد سبعة من العباد لا تخلو الدنيا  
منهم حتى إذا مات واحد خلف الله تعالى فى موضعه آخر . أشرب : خولط  
وغلب عليه . هوى الانفراد : حب الوحدة ، قال ابن الرومى :

إلى الزَّهادِ فى الدُّنيا      جنان الخلد تشناقُ  
عبيد من خطاياهم      إلى الرحمن أباقُ  
حدتهم نحوه الرِّغبة مع الرّهبان فاستاقوا  
عليهم حين تلقاهم      سكينات وإطراقُ  
يضجون إلى الله      ودمع العين مهراقُ  
ملك الملك هل مما      تطوقناه إطلاقُ  
ففى أعناقنا طرّاً      من الآثام أطواقُ

وللفقيه أبى العباس بن خليل :

فهموا إشارات الحبيب فهموا      وأقام أمرهم الرّشاد فقاموا  
وتوسّلوا بدماعٍ منهلةٍ      تحت الدياجى والآثام نيامُ  
وتلوا من الذّكر الحكيم جوامعاً      جمعت لها الألباب والأفهام  
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد      صفت القلوبُ وصفت الأقدام

لرأيت نورَ هدايةٍ قد حَفَّهمُ      فسرى السُّرورُ وأشرق الإِظلامُ  
فهم العبيد الخادمون مَلِيكهمُ      نعم العبيد وأفلاح الخِدامُ  
سَلَّوا من الآفات لما استسَلَّوا      فعليهمُ حتى الماتِ سلامُ

وقالوا في هوى الانفراد : الوحدة خير من القرين السوء ، وأنشدوا :

أَنْتُ بالوحدة علماً بها      فإنها خير من الجمعِ  
ألا ترى الواحد أضلاً لنا      يحسب من أصلٍ ومن فرعِ  
أترك من لا أرتجى نفعه      رجاء ربِّ الضر والنفعِ

آخر :

أنت بوحدتي حتى لو انى      أتانى الأُنس لاستوحشت منه  
ولم تدع التجارب لى صديقاً      أميل إليه إلا ما ملتُ عنه

وقال آخر :

اهرب بنفسك تستأنس بوحدتها      تلق الرِّشاد إذا ما كنت منفردا  
إن السَّباع لتهدأ في مرابضها      والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

قوله : تفرّس ، أى علم بفراسته وجودة نظره . نويت : أضمرت فى نيتى .  
كوشف : اطلع عليه . زفر : نفخ . الأواه : الحزين الذى يصيح : آه آه .  
أسجلت : صدقت . المحذّنين : الذين حدثوه بتوبة السروجى . محدّنين ،  
هم المكشفون من الزهاد الذين يحدثون بالغيوب ، كأن المكشوف قد حدث  
بما يقول . وقيل : المحذّنون الصادقون ظناً وفراصة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « قد كان فيمن قبلكم ، محدّتون ، فإن يكن من  
أمتى هذه فهو عمر بن الخطاب » . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعيا  
وهو الصادق الظنّ ، ودليله ما ذكره صلى الله عليه وسلم فى عمر حديث سارية

ابن زُنَيْمٍ ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد أرسله في جيش للمسلمين ، فألقى الله في روح عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخُطِّبُ الناس بالمدينة : إن العدو قد نهز المسلمين واشتد الخطب عليهم ، وكانوا بمحضرة جبل ، فقطع عمر الخطبة وقال : يا سارية الجبل ، فأسمع الله تعالى سارية من مسافة شهر نداء عمر ، فأنحاز بالمسلمين إلى الجبل ، فتخلصوا . قوله : المصافح ، أى المعانق عند الوداع . نصب عينك ، أى غرضها وقدامها ، وأول مَنْ قال : اجعل الموت نصبَ عينك أُمِيَّة بن أَبِي الصلت في قوله :

كلُّ عيش وإن تطاول يوماً      صائرُ أمره إلى أن يزُولاً  
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لي      في رموس الجبال أرعى الوُعولا  
فاجعل الموت نصب عينك واحذرْ      غولة الموت إن للموت غولا  
عبرأتى : دموعى . يتصعدن : يترفعن . التراقى : العظمان الموعجان أعلى الصدر . خاتمة التلاقى : آخر لقائه .

### [ شعر الوداع ]

ونذكر هنا جملة من الشعر في ذكر الوداع الذى كان بينهما ويجعلها كالتوديع لما سلف لها في هذا الكتاب من رياض الآداب فإنها كانت أنس الوحيد ، ومسلاة الطريد ، فمن ذلك قول بعضهم :

وداعك مثلُ وداع الربيع      وفقدك مثل افتقاد الدَّيْمِ  
عليك سلام فسكم من ندى      فقدناه منك وكم من كرم  
وقال آخر :

أقول له يوم ودعته      وكلُّ بمبرته مُبْلِسُ  
لئن رجعتُ عنك أجسامنا      لقد سافرت معك الأنفُسُ



وقال أبو سعيد الهمداني : أنشدني هلال بن الغلاء حين ودعني :

لأودعنتك ثم تدمع مقلى      إن الدموع هي الوداع الثاني  
وأصوم بعدك عن سواك فأغتدى      متقلاً صومين في رمضان  
في فرقة الأحباب شغل شاغل      والموت صدقاً فرقة الإخوان

( وأنشدني أبو محمد بن حزم )

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي      فقلبي عنكم أبداً مقيم  
ولكن للعيان لطيف معني      له سأل المعاينة الكلام  
وكرر هذا المعنى فقال :

يقول أخي شجاك رحيلُ جسمي      وروحك ما لها عنه رحيلُ  
فقلت له العيانُ مطمئن      لذا طلب المعاينة الخليلُ  
وقال آخر :

بأنوا فأضحي الجسم من بعدهم      ما تبصر العين له فينا  
ووالأسنى منه ومن قولهم      ما ضرك الفقد لنا شيئا  
بأى وجهه أنلقاهم      إن وجدوني بعدهم حيا  
وقال آخر :

لا كان يوم الفراق يوماً      لم يبق للمقاتلين يوماً  
شدت مني ومنك شملاً      فسر قوماً وساء قوماً  
يا قوم من لي بفقد خل      بسومني في العذاب سوماً  
مالامني الناس فيه إلا      بكيت كما أزد لوماً

وقال صاعد اللغوى :

قلت له والرقيب يعجـله مستمجلاً للفراق : أين أنا  
فدّ كفا إلى ترائبـه وقال : سر آمنة فانت هنا

\* \* \*

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن عليّ ، برّد الله مضجعه : هذا  
آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار ، وأمّلتها بلسان الاضطرار ، وقد  
أُجِئتُ أن أَرُصِّدها للاستِعْراض ، وناديتُ عليها في سوقِ  
الاعْتِراض ، هذا مع معرفتي بأنّها من سَقَطِ المتاع ، ومّا يستوجب أن  
يُبَاعَ ولا يُتَمَاعَ ، ولو غَشِيَتْ نوزُ التوفيق ، ونظرتُ لنفسي نظر  
الشَفِيق ، لسرّرتُ عوارِي الذي لم يَزَلْ مَسْتوراً ، ولكن كان ذلك  
في الكتاب مسطوراً . وأنا أستغفر الله تعالى ممّا أودعها من أباطيلِ  
اللغو ، وأضاليلِ اللّهُو ، وأسْتَرَشِدَه إلى ما يعصم من السّهو ، ويُحْظِي  
بالعفو ، إته هو أهلُ التّقوى وأهلُ المغفرة ، وولى الخيرات في  
الدنيا والآخرة .

\* \* \*

قوله : أنشأتها ، أى صنعتها . الاغترار : الجهل والانخداع . أمّلتها :  
ألقيتها لمن يكتبها . واضطر اضطراباً إذا لم يجد بداً من فعله . أرصدها :  
أعددتها . الاستعراض : أن تعرض على الناس حتى يروها . سقط المتاع :  
هينة . يتباع : يشتري . غشيتني : غطاني . أودعتها : ضمنها . اللغو : سقط  
الكلام . الأضاليل : جمع أضلولة ، وهى ما يضل به من ركب . استرشده :  
أستهديه . يعصم : يمنع . السهو : الخطأ . يحظى : يسعد . العفو : المغفرة .

وقوله : هو أهل التقوى ، عن أنس رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَقُولُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَهْلُ التَّقْوَى فَلَا يَشْرِكُ بِي غَيْرِي ، وَأَنَا أَهْلُ لِمَنْ اتَّقَى أَنْ يَشْرَكَ بِي أَنْ أَغْفِرَ لَهُ .

\* \* \*

انتهى الشرح بحمد الله وتوفيقه وحسن عونه، وكان من توفيق الله تعالى أن أول حرف شرحت من اللغة في هذا الكتاب حمد الله ، وآخر حرف ختمت به عفو الله ، وما وقع بين حمد الله سبحانه وتعالى ، والثناء عليه ، وبين عفو الله عن عبده مرجوٌّ من جميل صنعه الامتنان بالصفح عن جميع هذره ، وملتمس من جلاله تعالى وكرمه جزيل الأجر على ما ضمنته من حكم الآداب وغيره .

### [ ذكر في العفو عن المذنبين ]

واذ كر فصلاً أدبياً في العفو عن المذنبين، أختتم به الديوان ، فمن وقت عليه ، ووجد في نفسه لذته، واستشمر؟ لرجاء ، وطمع في العفو ، فرغبنا إليه أن يسأل لنا العفو مع نفسه .

فمن ذلك أنه كان للمأمون خادم لوضوئه ، فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء ، فغضب المأمون فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ ﴾ ، قال : كظمت غيظي ، قال : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ، قال : عفوت عنك ، قال : ﴿ اللَّهُ يَحِبُّ الْحَسَنِينَ ﴾ ، قال : اذهب فأنت حرٌّ .

وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل ، فقال له رجاء بن حيوة : إن الله تعالى قد فعل ما تحب من الظفر ، فافعل ما يحب من العفو ، فعفا عنه .

العتي : وقعت دماء بين حنين من قریش ، فأقبل أبو سفيان فما بقى أحد

واضع رأسه إلا رفعه ، فقال : يا معشر قريش ، هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق ؟ قالوا ؟ وهل شيء أفضل من الحق ؟ قال : نعم العفو ، فتبادر القوم فاصطلحوا .

قال المبارك بن فضالة : كنت جالساً في السَّمَاط عند أبي جعفر إذ أمر برجلٍ أن يُقتلَ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قال صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة ينادى منادٍ بين يدي الله عز وجل : مَنْ كَانَتْ لَهُ يَدٌ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَقُمْ ، فَلْيَتَقَدَّمْ فَلَا يَتَقَدَّمْ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ مَذْنِبٍ » . فأمر بإطلاقه .

وكان رجل شرّيب جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم أن يشتري بها من الفواكه للمجلس ، فرأى الغلام بباب مجلس منصور بن عمار ، وهو يسأل الفقير شيئاً ، ويتول : مَنْ دَفَعْ لَهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ دَعَوْتُ لَهُ أَرْبَعَ دَعَوَاتٍ ، فدفع له الغلام الدرهم ، فقال له منصور : ما الذي تريد أن أدعوك ؟ قال : أن يعتقني الله من رقّ العبودية ، فدعا له منصور وأمن الناس . قال : والثانية ؟ قال : أن يخلف الله على الدرهم ، فدعا له وأمن الناس ، قال : والثالثة يا غلام ؟ قال : أن يتوب الله على مولاى ، فدعا له وأمن الناس ، قال : والرابعة يا غلام ؟ قال : أن يغفر الله لى ولمولاى ولك يا منصور وللحاضرين ، فدعا منصور وأمن الناس ، فرجع الغلام ، فقال له مولاة لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة ، قال : وبم دعا ؟ قال : سألت لنفسى العتق ، قال : اذهب فأنت حرّ ، قال : والثانية ؟ قال : أن يخلف الله على الدرهم ، قال : لك أربعة آلاف درهم ، قال : والثالثة ؟ قال : أن يتوب الله عليك ، قال : تبت إلى الله عز وجل . قال : والرابعة ؟ قال : أن يغفر لى ولك ، وللواعظ وللحاضرين ، وقال : هذه الواحدة ليست لى . فلما بات رأى فى المنام كأن قائلاً يقول : أنت فعلت ما كان إليك ، أترانى لا أفعل ما كان لى ! قد غفرت لك وللغلام ولنصور وللحاضرين .

قال يحيى بن معاذ: يكاد رجائي لك مع الذنوب يقلبُ رجائي لك مع الإخلاص، لأنني أعتمد في الإخلاص على الأعمال، وفي الذنوب أعتمد على عفوك، وقال السّلامي .

تبسطنا على الآمال إنا رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشيّة التي قبض فيها، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف تجددك؟ قال: لأأدرى ما أقول لكم، ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن في حسابكم. ثم ماخرجنا حتى أغمضنا عينيه .

وفي الحديث: «لو لم تذبوا الجاء الله بأمة يذنبون فيغفر لهم»، وقال أبو نواس:

يانوامي توقّر وتمزى وتصبّر  
سأك الدهر بشيء ولما سرك أكثر  
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر  
أكبر الأشياء في أصغر عفو الله أصغر  
ليس للإنسان إلا ما قضى الله وقدر  
ليس له مخلوق تديبر بل الخالق دبر

وقال أبو العتاهية :

إلى لا تمدّ ذنبي فإني مقربا بالذي قد كان مني  
فما لي حيلة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظني  
يظن الناس بي خيراً وإني لشرّ الناس إن لم تعف عني

وكم من زلة في الخطايا وأنت على ذو فضل ومن  
إذا فكرت في ندمي عليها عَصَصْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي

وهذا آخر شعر قاله أبو العتاهية ، وآخر شعر حتمت به هذا الشرح ،  
راجياً من ربي صفحته وعفوه ، والحمد لله أولاً وآخرأ كما يجب بجلاله غفرانك .  
اللهم تباركت وتعاليت . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله  
وصحبه وسلم ، ورضى الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين  
وتابعيهم يا حسان إلى يوم الدين .

## فهرس المقامات

- ٣ المقامة الحادية والأربعون التنيسية ، تتضمن قيام أبي زيد واعظاً ، وقيام ابنه طالباً ، وكيف عطف الناس أبو زيد على ابنه .
- ٤٠ المقامة الثانية والأربعون النجرانية ، تتضمن إلقاء أبي زيد الغزأ في بعض الأشياء .
- ٧٧ المقامة الثالثة والأربعون البكرية ، وتسمى البدوية ، تتضمن ذكر خبر ناقة أبي زيد ، وتتضمن مدح البكر والثير وذمهما وذم الأدب .
- ١٣٧ المقامة الرابعة والأربعون الشتوية ، وتسمى اللغزية ، تتضمن إنشاء أبي زيد قصيدة في الفاز تحمها تفسيرها .
- ١٨٥ المقامة الخامسة والأربعون الرملية ، تتضمن مخاحمة أبي زيد مع زوجته ، وأنه لم يطرقها إلا مرة واحدة .
- ٢٠٢ المقامة السادسة والأربعون الحلبية ، تتضمن كون أبي زيد معلم صبليان ، وأمره للصبليان العشرة بالإنشاء في فنون مختلفة .
- ٢٥٨ المقامة السابعة والأربعون الحجرية ، تتضمن كون أبي زيد حججاً وحاورته مع ابنه .
- ٢٨٤ المقامة الثامنة والأربعون الحرامية ، تتضمن رواية الحارث عن أبي زيد أنه رأى رجلاً يسأل كفارة لذنبه ، فأجابه بأن طالب منه أن يعينه على فداء ابنه من الأسر .
- ٣٢٢ المقامة التاسعة والأربعون الساسانية ، تتضمن أن أبا زيد لما شاخ أوصى ابنه بألا صناعة أتق من الكدية .
- ٣٤٣ المقامة المحسون البصرية ، تتضمن توبة أبي زيد ولزومه المسجد

